

تاريخ الأدب العربي

الجزء الثالث

من مطلع القرن الخامس الهجري

الى الفتح العثماني

٤٠٠ - ٩٢٣ هـ

١٠٠٩ - ١٥١٧ م

(في المشرق)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

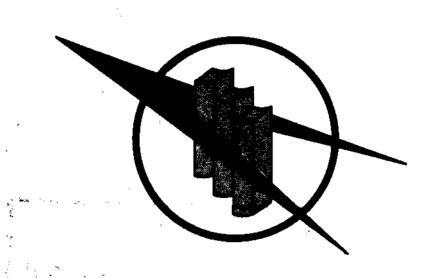


دار العلم للملايين

ص.ب ١٠٨٥ - بيروت

تاريخ الأدب العربي

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى ١٩٧٩

الطبعة الخامسة
تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩



مقدمة الجزء الثالث

يتناولُ هذا الجزءُ فترةً طويلةً جداً من تاريخ الأدب العربي : من أوّل القرن الخامس إلى أواخر الثلُث الأوّل من القرن العاشر للهجْرة (١٠٠٩ – ١٥٢٥ م). هذه الفترةُ غنيّةٌ جداً بأنواعِ الأدب ووُجوهِه وبنِتاجِ الحياةِ الثقافية ، وإن كانَ الأسلوبُ العربيُّ قد عانى في أثنائها مقاديرَ مُتفاوتةً من الركاكة . وفي أعقابِ هذه الفترةِ بلَغَ التكلُّفُ في البلاغةِ عامّةً وفي الصِناعة اللفظيةِ خاصّةً – وفي الكِناية والتَوْريةِ على الأخصّ – مبْلَغاً عظيماً .

هذه الفترةُ ليستْ قليلةَ الشُهرةِ فحسْبُ ، ولكنّها مظلومةٌ أيضاً ، إذْ يُسمّى القِسْمُ الأخيرُ منها « عصْرَ الانحطاطِ » تَسْميةً فيها قليلٌ من الصّوابِ والحقّ وكثيرٌ من الخطأ والباطل . ويَجِد القارئ شَرْحَ جوانبَ من هذه التسميةِ الخاطئة الظالمة في مُقدّماتِ فصولٍ مختلفةٍ من هذا الجزء .

وفي هذا الجُزء أمرانِ جديدان : ضمُّ نَفَرٍ من شُعراء الفُرسِ والتُرْكِ الذين كان لهم نَظْمٌ ونَثْرٌ في اللغة العربية يبلُغان إلى أن تُختارَ منهُما نَماذجُ في كتاب يُؤرِّخُ الأدبَ العربي . إنّ هؤلاء النَفَرَ من أدباء العربيةِ – وهُمْ في الأصلِ غيرُ عَرَبٍ ومن الأدباء الشعراء الفُرْسِ أوِ التُرْكِ الكِبارِ المشهورين – يَكْشِفون عن وَجْهٍ ثقافيٍّ في تاريخنا وعن عبقريّةٍ في أدَبِنا . وأمّا الأمرُ الآخَرُ فهو الاهتمامُ بكتُبِ النُحاةِ العَرَبِ ومُحاولةُ نَسْقِ المطبوعِ منها نَسْقاً مَنْطِقياً ، كما تَجِدُ في ترجمة ابنِ هِشامٍ الأنصاريّ (ص ٧٨٨–٨٧١) . وكذلك أوْلَيْتُ الكُتُبَ المطبوعةَ مِنْ كُتُبِ جلالِ الدين السُيُوطيّ (ص ٩٠٢ – ٩١٤) أخصبِ المؤلّفين العَرَبِ في عَدَدِ الكُتُبِ وفي تَنوُّعِ موضوعاتِها مثلَ هذه العناية .

وحُبّاً بتَسْهيلِ السُبُلِ على الذين يُحِبّون التوسُّعَ في تراجمِ الأدباء أُوردُ عَدَداً من المصادرِ والمراجع (العامة الواردة في أعقابِ التراجم) مُعَرَّفَةً (إذْ كانت المصادرُ والمراجعُ الباقيةُ معروفةً مشهورة أو لم يُطْبَعْ منها إلاّ طبعةٌ واحدةٌ) .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ — ١٣٨٧ هـ (١٩٦٥ — ١٩٦٧ م) .

إخبار الحكماء : للقفطي (تحرير يوليوس ليبرت) ، ليبزيغ ١٩٠٣م .

بروكلمان و بركلمان ، الملحق Geschichte der arabischen Literatur, Von Karl Brockelmann und Supplementbaende, Leiden (Brill) 1937 — 1949.

تاج العروس (الأجزاء ١ — ٩) ، الكويت ١٩٦٦ م وما بعد ؛ عشرة أجزاء ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ .

حسن المحاضرة : للسيوطي ، مصر (مصطفى فهمي الكتبي — مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

دائرة المعارف الاسلامية Encyclopaedia of Islam, Leiden & London (Brill & Luzac)

الطبعة الثانية (صدر منها ثلاثة أجزاء) 1960 — 1971.

(الطبعة الاولى) أربعة أجزاء . 1913 — 1936.

الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (حقّقه محمّد سيّد جاد الحق) ، القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٣٨٥ = ١٩٦٦ م وما بعد .

دمية القِصر للباخرزي (طبعة محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م .

زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (طبعة جديدة راجعها وعلّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة (دار الهلال) بلا تاريخ .

الطالع السعيد : للأدفوي (تحقيق سعد محمّد حسن) ، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م .

طبقات الأطبّاء : لابن أبي أصيبعة ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩هـ = ١٨٨٣م.

طبقات الشافعيّة أو طبقات السبكي : طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ، القاهرة (المطبعة الحسينيّة) ١٣٢٤ هـ.

العبر : العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ، الكويت ١٩٦٠ م وما بعد .

فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي ، مصر (مطبعة بولاق) ١٢٨٣ هـ .

القاموس ، قا : القاموس المحيط للفيروزابادي ، مصر (المطبعة الحسينية) ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ .

ذيل وفيات الأعيان — درّة الحجال في أسماء الرجال : لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المكناسي الشهير بابن القاضي (تحقيق محمّد الأحمدي أبي النور) ، القاهرة (دار التراث) وتونس (المكتبة العتيقة) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق (أصبح اسمها «مجلّة مجمع اللغة العربية») — م م ع ع .
المحمّدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي (حقّقه حسن معمريّ — راجعه حمد الجاسر) الرياض (دار اليمامة) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
معجم الأدباء : لياقوت الحموي (مطبوعات دار المأمون) ، مصر (مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
من ذيول العبر : للحافظ الذهبي وللحسيني ، الكويت (في سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الارشاد والأنباء — رقم ١٧) ، الكويت بلا تاريخ .
النثر الفنّيّ في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م .
نفح الطيب للمقّري (حقّقه احسان عبّاس) ، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .
وفيات الأعيان : لابن خلّكان ، مصر (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ .
يتيمة الدهر : للثعالبي (نشرها محمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م .

•

ووقعتْ في هذا الجزء إشارةٌ الى الفِرْقة الشيعية العَلَويّة بِضْعَ مرّاتٍ فجعَلْتُ اسم «العلويّين» واسم «النُصيرية» مُتَرادفَيْنِ . واطّلع الصديقُ الدكتور أسعدُ العلي على ذلك فقال لي إنّ الاسمين مختلفان . وبما أنّه أكثرُ منّي اطّلاعاً على هذا الجانب فقد أوردتّ هذه الملاحظةَ هنا .

وإنّ كتاباً مثلَ هذا في اتّساعِ النطاق وحُبِّ الضبط لكلّ لَفْظٍ من حيثُ الشكلُ ومن حيثُ المؤدّى — وخصوصاً فيما يتعلّقُ بالمصادر والمراجع وإيراد طَبَعاتها المختلفة بتواريخها — لا يُمْكِنُ أن يخلُوَ من هَنَاتٍ أو أخطاء (ولا أقْصدُ الأخطاءَ المطبعيةَ العارضة) . فإذا أرادَ القارىءُ ان يُؤاخذَني بهذه الأخطاء فهذا حقّه وحقُّ العِلْم . وإذا هو عَذَرَني على ذلك كان المتفضّلَ . وأرجو في كلّ حال أن يَعْمَدَ القارىءُ المُطّلِعُ على هذه الأخطاء فَيُصَحِّحها في نسختِه على الأقلّ .

١٨ جمادى الأولى ١٣٩٢ — ع . ف
٢٩/ ٦/ ١٩٧٢ .



فهرست المسهم
غفر الله له ولوالديه





عصر المماليك

اللغة والأدب والقوميّة والسياسة

هذا العنوان الواسعُ يجب أن تكونَ له معالجةٌ موجزة هنا.

هناك نفرٌ من الناس يحبّون أن يجرّبوا آراءهم في كلّ شيء حولَهم. وفي كثير من الأحيان يُمدّون آراءهم تلك إلى أمور بعيدةٍ في الزمن ويحسَبون أنّهم يُحسنون فيها صُنعاً. وبما أن الكلام قد كثُر في صِلة اللغة بالأدبِ وبِصلة الأدب بالقوميّة ثمّ بصِلة هذه كلِّها بالسياسة، فقد أصبحَ من الضَّروريِّ أن يُحاوِلَ أحدُنا أن يردّ هذه المداركَ المختلفة (لغةً، أدباً، قوميّةً، سياسةً) إلى نِصابها أو إلى نِصابٍ قريب من نِصابها.

لا شكَّ في أن اللغة قد بدأت وسيلةً إلى التعبير عن مقاصدِ الإنسان العاقل وعن آرائه. في أوّلِ الأمرِ لم يكُنْ للإنسان سِوى مقاصدَ أو قصودٍ يُريدُ التعبيرَ عنها. وقد كانتْ تلك القُصودُ في أوّل الأمْر قاصرةً على التعبير عن حاجاته الشخصيّة، لأنّ حياةَ الناس في مطلَع وُجودِهم كانتْ فرديّة: كان كلُّ فردٍ يعتقدُ أنّه موجودٌ بمفردِه في هذا العالم، وأن لكلِّ شيءٍ في هذا العالم قيمةً إذا كان هو مُحتاجاً إليه. أمّا إذا لم يكنِ الفردُ محتاجاً إلى شيءٍ ما، فإنّ ذلك الشيءَ لم يكُنْ له عند ذلك الفرد قيمة.

ثم أخذ الإنسانُ يشعرُ أنّه مرتبطٌ بهؤلاء الذين يعيش مَعَهم في هذا العالم (أو في رُقعةِ الأرضِ التي كان هو يعيشُ فيها) فآحتاجَ إلى التَّفاهُمِ مَعَ هؤلاء - وكان في أوّل الأمر يَكْفِيهِ أن ينقُلَ قُصودَه المُعبّرةَ عن حاجتِه إلى رفيقتهِ ولو لم يكُنْ يشعُرُ بحاجةِ تلك الرفيقةِ إليه.

في هذا الطّوْر المتأخّرِ بدأتِ الحياةُ الآجتماعيةُ وأصبحَ كلُّ فردٍ يشعُرُ أنّه جُزْءٌ من هذا المجموع الذي فَرَضَتْ عليه الحَياةُ أن يكونَ مع غيره في مكانٍ واحد.

من أجل ذلك مرّتِ اللغةُ الإنسانية في ثلاثةِ أطوارٍ متلاحقةٍ:

الطور الأوّل: طورُ اللغةِ التي كانت حَركاتٍ:

لعلّ أقدمَ ما بدا للإنسان أن ينقُلَ به مَقاصِدَه إلى الآخرين كان الحركاتِ: حركاتِ الإنسان بيدِه أو برِجْلِه أو بأعضاء وَجْهِه (كالشِّفاهِ والجُفون والحواجب) أو بأسارير وجهِهِ (بتبدُّلِ مواضعِ الخطوطِ التي على وجهه). وكانتِ الحركاتُ قد أصبحتْ للإنسانِ الأوّلِ الأعجمِ (الذي لا يَنْطِقُ نُطقاً فصيحاً مُعَبِّراً) لغةً ثابتةً لها قواعدُها، وكانتِ القصودُ منها معروفةً كما نَعْرِفُ نحنُ اليومَ معانِيَ الألفاظِ التي نَتَداوَلُها في كَلامنا.

ونَحْنُ نَعْرِفُ اليومَ هذه الحركاتِ ومَعانِيَ هذه الحركاتِ مِمّا نُشاهده عند الأطفالِ أو عندَ الشعوب الفِطريّة أو عند الأفراد الذين فَقَدوا حاسَّةَ السَّمْعِ أو حاسّةَ النُّطق أو فَقَدوهُما معاً[1]. نحن نَعْرِفُ أشكالَ الحَركاتِ التي تعبِّرُ عن الرَّغْبَة في الطعام أو الشراب وعنِ السرور أو الحُزن وعن الرِّضا وعنِ الغضب وعنِ الآستدعاء وعنِ الطَّرْد. ولا يزالُ الإنسانُ المُتَحَضِّرُ إلى اليوم إذا هو آنفعَلَ آنفعالاً شديداً لَجأ في التعبير عن قُصودِهِ إلى الحركاتِ التي تُرافِقُ كلامَه أو إلى تلك الحَركاتِ وحدَها. وهنالك عددٌ من الحركاتِ قد أصبح لها دَلائلُ مُعيَّنَةٌ في الأمم المُختلفةِ كما أصبحَ للألفاظِ من الدلائل الخاصّة بكل لفظٍ.

حينما كنتُ في ألمانيا، اتّفق لي - وأنا في أحَدِ المطاعم - أن أستَدْعِيَ النَّدْلَ (الخادم القائمَ على الإتيانِ بالطعام إلى الموائد)، فرَفَعتُ يَدِيَ (وباطنُها إلى أسفلَ) وأشَرْتُ إليه بالسَّبّابةِ (الإصْبَعِ التي تلي الإبهام). جاء الرجلُ إليّ وأبدى الملاحظةَ التالية. قال لي: إذا أَنت آحتَجْتَ إلى أحدٍ مرّةً ثانيةً وأردْتَ أن تُنادِيَهُ وهُوَ بعيدٌ عنك، فآجْعَلْ باطِنَ يَدِكَ إلى أعلى. إنّ استدعاءَ إنسانٍ وكفُّكَ إلى أسفَل يكونُ في حالةِ الغَضَبِ أو الخِصام. أمّا إذا كان باطنُ الكفّ إلى أعلى، فإنّ ذلك يكون في الرِّضا أو في الحاجات المألوفة. إنّ ذلك يدُلّ على أن للحركاتِ في عالَمِنا المتحضِّرِ دلائلَ كدلائلِ الكَلِماتِ.

وخرج الإنسانُ من طور الحركاتِ إلى طور الأصوات، من غيرِ أن تَفْقِدَ الحركاتُ وُجوهَ آستخدامِها إلى جانبِ الأصوات.

---

(١) كان الناس قبل عصرنا الحاضر (وقبل اختراع وسائل نقل الكلام: بالتلّغراف والتلفون والتلكس) يتخاطبون بإشعال النيران وبحركات اليدين (في الكشّافة). وبحركات أذرع من خشب (بين السفن إذا مرّ بعضها ببعض)، وكما يفعل الخرسان إلى اليوم.

والاجماع اليوم يكادُ يكونُ مُنعَقِداً على أنَّ الانسانَ قد تعلَّمَ الأصواتَ من الطبيعة: لقدْ قلَّدَ الإنسانُ في التعبيرِ عن قُصودِه أصواتَ الحَيوانِ والجمادِ والنباتِ (صوتَ الرعد وصوتَ الكلب وصوتَ الأغصان في الرياح). وليس ذلك عندَنا بِمُسْتَبْعَدٍ، بل لا بدَّ من أنْ يكونَ الإنسان قد نقَلَ عدداً من أصواتِه عن الطبيعة. غير أنّ حَقَّنا أن نقول إنّ الإنسانَ قد أخرَجَ عدداً كبيراً من أصواتِه من عِنْدِ نفسِه. إنّ الإنسان إذا فتح فاهُ وهُوَ راضٍ مُطْمَئِنٌّ خرجَ من فِيهِ صوتٌ غيرُ الصوتِ الذي يُمْكِنُ أن يخرج من فيهِ إذا هو كان غضبانَ مُضْطَرِباً.

ويحسُنُ أن أشيرَ هنا إلى أن اللغة بالحركاتِ وبالأصواتِ كانتْ لغةً مَنْطِقِيَّةً، أي ذاتَ صِلةٍ واحدةٍ واضحةٍ: كان لكلِّ قَصْدٍ حركةٌ خاصّةٌ به أو صوتٌ خاصّ به. ثمّ كانتِ الحركاتُ والأصواتُ هذه كلُّها طبيعيّةً: لم يكن هنالك حاجةٌ إلى تعلُّمِها، بل كان القَصْدُ هو الذي يُخْرِجُ الحركةَ المطلوبةِ أوِ الصوتَ المطلوبَ. إنّ الأصواتَ الدَّالَّة على التأوُّهِ والتوجُّعِ والتنهُّد والتعجّب والاستحسانِ والاستهزاء والرَّدْع أو الزَّجْر والحَثّ معروفةٌ ومرتبطةٌ بأفعالها ارتباطاً وَثيقاً طبيعياً، حتّى إنك لَتَجِدُ هذه «الأصواتُ» دالةَ على أفعالها عِندَنا (في اللغة العربية) وعند غيرِنا.

وحينما ننتقلُ من الأصوات وأسماءِ الأصوات[1] إلى الألفاظ نَجِدُ أن الأمرَ ما زال (في الألفاظ الأولى في اللغة) مَنْطِقيّاً طبيعيًّا كالقَهْقهة والزغردة والنُّواح والهَدير والحفيف والرنين والطنين والصفير والحَسيس (الصوت الخفيّ)، فإنّ كلّ لفظٍ من هذه الألفاظ يَحْمِلُ صوتَ الفِعْلِ الذي يدُلُّ ذلك اللفظُ عليه.

وهنالك ظاهرة تبدو غريبةً، وهي أنّ الألفاظَ الدالّةَ على مظاهر الطبيعةِ نَجِدُ فيها غالباً حرفَ الراء، نحو: رعد، برق، ريح، مطر، بَرَد (بفتح ففتح)، بَرْد (بفتح فسكون)، حرّ، أرض، تُراب، صخر، حَجَر، مَدَر (طين)، شجر، ورق، زهْر، ثمر، بِذر، بزر، إلخ. هذا ونحنُ الآنَ نستعرضُ الألفاظَ الموجودةَ في أيامنا. ولعلّنا لو رَجَعْنا إلى ماضي اللغة (إلى الألفاظِ التي خرَجَتْ من التداوُلِ بيْننا) وَجَدْنا أن هذه الألفاظَ

---

(١) اسم صوت مثل «صه»: اسكت (والعامّة يقولون: هص).

التي تدخلُ الراء في تَهْجِئَتِها أكثرُ عدداً. ثمّ إنك إذا أنتَ رَجَعْتَ إلى اللغات الأجنبية عن اللغة العربية وجدْتَ هذه الظاهرةَ في تلك اللغاتِ أيضاً[٢].

وأحسَبُ أنَّ «التاءَ» أقدمُ الألفاظ التي آحتاج إليها الإنسان فبدأ بالتلفُّظ بها.

وما كانَ الإنسانُ مُحتاجاً إلى الكلام قبلَ أن وَجَدَ أمامَه إنساناً مِثلَه يُريدُ مُخاطبتَه. والمخاطبة تحتاج إلى لفظ يدلُّ على الإشارة إلى المخاطب. من أجلِ ذلك كانت «التاءُ» أولَ ألفاظِ الإنسان، فيما أحسَبُ. وكانتِ التاءُ بعدَ صَوْتٍ آخَرَ هو «أَنْ»- والتاء هنا هِيَ المقصودةُ، أمّا «أَنْ» (صوتٌ مركَّبٌ مع فتح فسكون) فَهِيَ للتَّنْبيه.

وكانتْ هذه التاءُ دالّةً على معنًى ثانٍ يجمَعُ المخاطِبَ (بكسر الطاء) والمخاطَبَ (بفتح الطاء) وهُما آثنان. فدخلتِ التاءُ المهموسة في لفظِ الآثنينِ (وفي اللغة العامّيّة: نَلفِظها بالتاء المنقوطة بنُقْطَتَيْنِ من فوقُ لا بثلاثِ نُقاطٍ).

ثمّ اتّفق أن يُخاطِبَ الرجلُ أُنثاه، فكانتْ هذه التاء المهموسة داخلةً في لفظ «الأُنثى» (وعوامُّ الناسِ يَلْفِظون هذه الكَلِمة بالتاء ذات النُّقْطَتين فَحَسْبُ، لا بالثاء ذاتِ النُّقاطِ الثّلاثِ).

وهكذا كانتِ «التاء» في مطلَع عهدِ الإنسان باللُّغة دالةً على ثلاثةِ مدارِكَ مُرْتَبطٍ بعضُها ببعضٍ: أنتَ- آثنينِ- أُنثى.

وأغْرَبُ من هذا كلِّه أنّ هذه التاءَ موجودةٌ في المدارِكِ نفسِها في اللُّغات الأخرى (مَعَ شيء من التطوُّرِ في اللفظ أو التبدُّلِ أو من التشوُّه). ففي اللفظ «أنتَ» نَجِدُ التاءَ كما يلي:

تو (في الفرنسية وأخَواتها)، دو (في الألمانية وأخواتها)، ذَاوْ (في الإنكليزية). ولعلّك تستغربُ جِدًّا إذا قِيل لك إنّ «أنتَ» في اليابانيةِ هي «أناتا».

ونأتي إلى لفظِ اثنين، وفيها التاءُ والدال:

---

(٢) Erde, earth, terre, rain, storm, mer, pierre, rock, river, arbre, tree, fruchte, fruit, etc.



دو (في الفارسية والفرنسية)، تو (في الانكليزيّة)، الخ.

وقبل أن أُغادِر حرفَ التاء أَوَدُّ أن أُشيرَ إلى تقدُّمِ بعضِ اللُّغاتِ على بعضٍ (من دراسة الألفاظ).

- ومن لفظِ «أنت» التي هي موضوعُ كلامِنا هنا.

نحن نقول في اللغة العربية: أنتَ.

وكانوا يقولون في الآرامية: أنـت (بخطٍّ على النون دَلالةً على سُقوطِها في النُّطق).

أمّا اليهود فيقولون: أتْ.

إنّ الكَلِمةَ التامّةَ «انت» (في العربية) هي الأصلُ، يدلُّنا على ذلك أنّ الآراميّين كانوا يَلْفِظونها «أنت» كأسْلافِهِمُ العربِ، ثمّ تبدَّلَ نُطْقُهم فأخذوا يقولون: آتْ، ولكنّهم يتذكّرون أن الكَلِمة تضُمّ الحرفَ «نوناً»، فتركوا هذه النونَ في الكتابة وأشاروا إليها بخَطٍّ رَسَموه فوقَها دَلالةً على أنّها قد سقطتْ عندَهم في النُّطق. ثمّ جاء اليهود الذين لم يَعْرِفوا هذه النونَ في لُغَتِهِمُ البِنْتِ فأسْقطوا النونَ التي كانتْ في أُمِّها خطّاً ولفظاً (في العربية) ثم في أُخْتِها الكُبرى خطاً لا لفظاً (في اللغة الآرامية).

وظلّ هذا المَنْطِقُ في اللُّغة (أوِ آرتباطُ اللفظ بالمعنى آرتباطاً طبيعيًّا) مُدّةً من الزمن. من ذلك الطَّورِ المتقدّم (وإنْ لم يكُنِ الأوّلَ) حرفُ القافِ الذي يأتي حيناً في أوّل الكَلِمة وحيناً آخرَ في آخِرِها.

فمن الكَلِماتِ التي تبدأُ بحرفِ القاف (وَهِيَ مُتقارِبَةٌ في المعاني): قَتَّ، قَدّ، قَسَمَ، قَصَمَ، قطّ، قطع، قتل (والآشوريّون كانوا يقولون: قطل؛ ونحن أيضاً نقول في عاميّتنا: قطل). ومن الكَلِمات التي تَنْتهي بالقاف ومعانيها متقاربة: سَحَق، محق، نَفَق (مات)، دَقّ، شقّ.

* * *

لا أريد أنا هنا أن أسْتَوْفِيَ فِقْهَ اللغة، ولكنّني أُريدُ أن أُشيرَ إلى أن اللغة كائنٌ حيّ ينشأ وينمو ويتطوّر ويَشِيخ ويموت أيضاً.

ولكنّ هنالك مُلاحظتين:

- أولى تَيْنِكَ المُلاحظتين أن تطوّرَ اللغة يستنِدُ إلى قواعدَ تكادُ تُشبهُ القوانينَ الطبيعيّةِ. واللُّغات تتغيّرُ (تتطوّر) بِحَسْبِ الحاجات الداعية إلى ذلك التطوُّر فتَتَوسّعُ في الألفاظِ والتعابيرِ والمعاني (كما سيأتي بعدَ قليلٍ). ولكنّ اللغاتِ لا تتبدّلُ إذا كان من أهلها فردٌ جاهلٌ أو أفرادٌ جاهلون تصعُبُ عليهم ألفاظٌ أو يجهلون معانِيَ ألفاظٍ فيحتجّون بحُجَجٍ واهيةٍ ويطلُبون تغييرَ اللغة. فَمِنَ الأيسرِ على هؤلاء أن يتعلّموا اللغةَ، وذلك أهونُ من تبديلِها.

- وثاني تَيْنِكَ المُلاحظتين أن اللغةَ العربية ذاتُ طاقةٍ عظيمةٍ وقُدرة على الحياة. إنّ هذه اللغةَ التي تَرْجعُ في التاريخ أربعةَ آلافِ سَنَةٍ لا تزالُ قادرةً على التعبير عن كلّ شيء، ولا تزالُ (برُغم كلّ عداوةٍ لها وإساءة إليها) تَحْيا قويّةً زاهرة.

وأُحِبُّ أن أقولَ لهؤلاء الجُهّال الذين يزعُمون أنّ اللغةَ العربيةَ صعبةٌ ما يلي:

(١) في اللغة العربية أداةُ تعريفٍ واحدةٌ (وليس فيها أداة تنكير راتبة).

(٢) في اللغةِ الإنكليزيّة أداةُ تعريفٍ واحدةٌ ولكنْ تُلفَظُ على وجهين (على وجهٍ قبلَ الكَلِماتِ التي تبدأ بحرف صامتٍ ثمّ على وجهٍ آخَرَ قبلَ الكَلِماتِ التي تبدأ بحرفٍ صائت).

(٣) في الفرنسية ثلاثُ أدَواتٍ للتعريف راتبةٌ (واحدة للمذكّر وواحدة للمؤنّث وواحدة للجمع). ثمّ هنالك أداةٌ غيرُ راتبةٍ هي دو du (التي يُخْطىء في أوجهِ آستخدامِها كثيرٌ من الإفرنسيّين أنفسهم).

(٤) في اللغة الإيطاليّة أربعُ أدواتٍ راتبةٌ.....

(٥) وفي اللغة الألمانية أربعُ أدواتٍ راتبةٌ تختلفُ أيضاً باختلافِ حالاتِ الإعراب الأربع من رفع ونصب وجرّ وإضافة (وعلامةُ الجر وعلامة الإضافة في العربية واحدةٌ) والطِّفل الألمانيّ حينما يتعلّم أشكالَ لام التعريف عنده (وَهِيَ عَشَراتٌ) لا يقولُ عَن لُغته إنّها صعبة.

(٦) وفي اللغة الإيسلندية (الجزيرة القُصوى في شَمالِ غربّي أوروبّةَ) أشكالٌ أُخرى للام التعريف التي تختلف قبلَ الاسم منها قبل الصفة أيضاً.



وسَرعانَ ما تخرُجُ اللغةُ من طورها الطبيعيّ إلى طورها الاجتماعيّ. في هذا الطور الاجتماعيّ تَنْقَطِعُ الصِّلةُ بين اللفظ والنُّطق، إذ ينشأ المجازُ ويصبح لِلْكَلِمة الواحدة عددٌ من المعاني لٱختلاف الأحوالِ التي تُستخدَمُ فيها. فالشمسُ مثلاً تظلّ دالّةً على الجِرْم السماويّ المنير الذي يبدو فيجعلُ يومَنا نهاراً مضيئاً ثمّ يخفى (يغيب) فيجعلُ يومنا ليلاً مُظلِماً. ثمّ هو يدلّ عندنا نحن العربَ على المرأةِ الجميلة. وهنالك عند الفرنسيس «الملكُ الشمسُ» (لويسُ الرابعَ عشرَ) لأنّ بلاطَه كان يضيء البلادَ.

وتتداخل الصِّيَغ من الجذور التي تكون قد نُسِيَتْ أصولُها فينشأ في اللغة ألفاظٌ واحدةٌ تدلّ على معانٍ مختلفةٍ أو متناقضة. هنالك عندنا «قَدَرَ» بمعنى ٱستطاعَ ثمّ قَدَرَ بمعنى ضيّقَ. فهل جاءتْ هاتانِ اللفظتانِ «قدر» من جِذْرَيْنِ مختلفين تقارَبَ معَ الأيام لفظُها (وهذا ما أراه) أمّ أنّهما جاءتا من جِذْرٍ واحدٍ ثمّ جعَلَ لهما المتكلّمُ معنيَيْنِ مختلفين؟ (وهذا أيضاً ممكن).

في اللغة العربية كلمة «أَكْحلَ»، فهي تَعْني في دير الزور (بتفخيم الواو) وفي المغرب «الأسود»، بينما هي في الشام (على الشاطىء الشرقي من البحر الأبيض المتوسّط) تَعْني «المائل إلى الزّرقة» وتعني «الذي يضع في عينيه كُحلاً».

وعندنا في العربية أيضاً كلمة «آنسة». كان معناها في الجاهلية «المرأةَ التي يلهو مَعَها الرجل في كلّ شيء إلاّ الزّواجَ» ثمّ أصبحَ معناها عندنا اليومَ «الفتاةَ الصغيرة المهذّبة». ومن الاتّفاق أنّ كَلِمةَ «آنسة»[١] كانتْ في القرن السابعَ عشَرَ (عند الفرنسيين) تدُلّ على المرأة المتزوّجة ثمّ أصبحتِ اليومَ تدُلّ عندهم على ما تُدلُّ عليه عِندَنا الآنَ.

ومثل ذلك نجده في كثير من اللغات.

في اللّغة الالمانية كلمة «عام»[٢]، وهي تدل على الشيء المألوف الشائع. أمّا في

---

(١) Mademoiselle.

(٢) gemein.

الاستعمال الحديث فقدِ اكتسبتْ معنيَيْنِ جديدين مختلفين: في جَنوبِ ألمانية تَعْني « الرجل النافع في مجتمعه »، وفي شَمالِيّ ألمانيةَ تَعْني « السافل ».

* * *

ثمّ إنّ اللغة، بالإضافة إلى أنّها أداةٌ للتفاهُمِ، جامعةٌ لِثقافةِ الأمّة ومُعبِّرة عن عبقريّةِ الأمّة، ومُمثّلة لشخصيّة الأمّة. إنّ الرَّجُلَيْنِ العربيّينِ إذا هُما تكلّما بالفرنسية أو بالانكليزيّة لا يشعُرانِ بما يشعُرانِ به إذا هُما تكلّما لغتَهُما الواحدةَ. وحينما يقولُ لك رجُلٌ عربيٌّ إنّه يَنْظِمُ الشعرَ الفرنسيَّ، وأن الفرنسيّين يرَوْنَ أن شِعرَه يُشبِهُ شِعْرهم، فأفْهَمْ ذلك منه على وَجْهينِ:

- إمّا أن يكون أولئك الفرنسيّون يتألّفونَه بالقول.
- وإمّا أن يكونوا جاهلين بِلُغَتِهِمْ.

حينما كنتُ تلميذاً في ألمانيةَ كُنتُ أحاولُ أن أنْظِمَ شيئاً من الشعر بالألمانية. وكان في أيامي هنالك وفي صَداقتي طالبٌ ألمانيٌّ يُحْسِنُ نظمَ الشعر بلغته. وعرَضْتُ عليه يوماً شيئاً من شعري بالألمانية فقال لي:

- لم أجِدْ بعدُ شعراً فيه مثلُ هذا الجمال ثمّ فيه مثلُ تلك الأخطاء.

لقد أصابَ صاحبي. فأنا قد عرَفْتُ المقاييسَ الخارجيّة في نَظْمِ الشعرِ باللغة الألمانية، ولكنّني لم أحْذِقِ الرّوحَ الذي يَجْعَلُ من النظمِ بالألمانية شعراً ألمانيًّا. ولا شكَّ في أنّ صاحبي لمّا استعملَ التعبيرَ « مِثْلَ هذا الجمالِ » قد أرادَ أن يُخَفِّفَ وَقْعَ التعبيرِ التالي علَيَّ: « مثلَ هذه الأخطاء ». ولقد قالَ العرب من قبلُ: « ليستِ النائحةُ المُستأجَرَةُ (وهي تُبدي من التفجُّعِ على الميّتِ ما لا يَقْدِرُ عليه إلاّ أمثالُها) كالنائحة الثَّكْلى »[1]. وإنّ الرَّجُل إذا قضى كلّ عُمُرِه في بلدٍ آخَرَ (كأواسِطِ إفريقيَةَ مثلاً أو كشَمالِيّ أوروبّةَ) فإنه لا يدركُ الثقافةَ في أواسطِ إفريقيةَ أو في شَمالِيّ أوروبّةَ كما يُدْرِكُها المُواطنُ في ذَيْنِكَ المكانين. إنّ تعلُّمَ ثقافةٍ جديدةٍ لا يقومُ مقامَ وِراثةِ تلك

(١) الثكلى: الأمّ التي فقدت ولدها.

الثقافةِ أباً عن جدٍّ. من المُمْكِنِ أن أدرُسَ تاريخَ الشعرِ الإيطاليَ على مدًى أوسعَ وأعمقَ ممّا يَعْرِفُه رجُلٌ إيطاليٌّ، ولكنْ إذا أُنشِدَ أمامي شعرٌ إيطاليٌّ، فلا يمكنُ أن أُحِسَّ أنا بعِلْمي بالشعرِ الإيطاليّ تلك الهِزّةَ التي يَجِدُها الإيطاليُّ عِندَ سَماعِ شِعْرٍ يُنْشِدهُ إيطاليٌّ مِثْلُه باللغة الإيطالية.

واللغةُ كما قيل- وأحْسَبُ أن قائلَ ذلك فيكتورُ هيغو الفرنسيُّ-: عَمَلُ الحياة بِمَعْنَيَينِ (بمعنى أنّها تحتاجُ في إتقانها إلى عُمُرِ الفرد كلّهِ ثمّ بمعنى أنّها لا تَلينُ إلّا للذي يَحْيا في أهلِها: يُولَدُ فيهم ويذهَبُ مذهبَهم ويُحِسُّ إحساسَهم).

لقد نَقَلَ نَفَرٌ في الشرق وفي الغرب رُباعيّاتِ عُمَرَ الخَيّامِ إلى لُغاتِهم (وفي اللغةِ العربية عددٌ من النُّقول لتلك الرُّباعيّات). ولا شكّ في أن تلك النّقولَ تَتَفاضَلُ فيما بَيْنَها، فبعضُها أصحُّ في النقل من بعضٍ، وبعضُها أحسنُ في اللُّغة من بعض، وبعضُها أجمل في القول من بعض. ولكّن عُمَرَ الخيّامِ لا يبدو إلّا في رُباعيّاته التي نَظَمَها هو باللغة الفارسيّة. أمّا النُّقولُ فإنّها تُمثّل الذين نَقَلوها، ولا صِلةَ لها بعُمَرَ الخيّام إلّا في أنّ عدداً من معانِيها قد جاء في بعضِ شعرِ عُمَرَ الخيّام.

في الشعر خاصّةً، وفي الأدب عامّةً، عددٌ من المُقوِّمات: المعاني والتعبيرُ والبلاغةُ ثم الثقافةُ الموروثة. وناقلُ النُّصوص الأدبيةِ يستطيعُ أن يُدرِكَ المعانيَ الظاهرةَ وأن يأتِيَ بالتعبير الآلي، ولكنْ يَسْتعصي عليه الخَيالُ القائمُ على البلاغة ويستحيلُ عليه آستلهامُ الثقافةِ القوميّة.

نحن نتكلّمُ على القمر المنير، والإنكليز يتكلّمون على البدر الشاحبِ اللونِ. والقمر عندنا وعند الألمان مذكّر (والشمس عندنا وعندهم مؤنّثة). أمّا عند الفرنسيّين والإنكليز، فالقمر مؤنّث والشمسُ مذكّرة. لمّا قال محمّدُ إمامِ العبدِ (ت ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م) - وكان أسودَ اللونِ -:

أنا ليلٌ وكلُّ حسناءَ شمسٌ فآجتماعي بها مِنَ المستحيلِ،

كان قولُه هذا مفهوماً لَدَيْنا. ولكنّ الفرنسيَّ والإنكليزيَّ لا يفهمانِ من قولِهِ هذا سوى المعنى الفلكيّ (وذلك أن الشمس لا تُرى في الليل، أو لا يكونُ هنالك ليلٌ إلّا

إذا لم يكنْ هنالك شمسٌ)، وليس بإمكانِ الفرنسيِّ أو الإنكليزيِّ أن يفهَمَ المعنى الذي قَصَده مُحمّدُ إمامِ العبدِ، وهو أنّه يريدُ أن يتزوّجَ امرأةً حسناءَ كالشمسِ، وذلك مُستحيلٌ عليه لأنّه ليلٌ. إنّ مثل هذه التوريةِ[1] لا يمكن أن تخطُرَ للفرنسيّ أو للإنكليزيّ لأن الشمسَ عندهما مذكّرةٌ، ولا صِلةَ لها عندَهُما بالزّواج.

إنّ للكلِمات حياةً اجتماعيّةً مقطوعةً أحياناً من الصّلة اللغويّة. كان بَيْنَنا يوماً رجُلٌ أميركيٌّ قد تَعَلّم شيئاً من اللغة العربية. وأرادَ في يومٍ من أيامِ الشتاء أن ينقُلَ إلينا شُعورَه بالبرد (حقيقةً أو مجازاً) فقال:

– أنا بارد.

فَضَحِكْنا. وكان يجب أن يقولَ: «أنا بردانُ». ذلك لأنّ في صيغة فَعْلان من الفعل «برد» معنًى لُغويًّا، بينَما في صيغة فاعلٍ من الفعل نفسه معنًى اجتماعيٌّ. فإذا نحن انتقلْنا إلى الفعل «نعس» مثلاً، وَجَدْنا للصيغتين فاعلٍ وفعلانَ معنًى مختلفاً منهما في الفعلِ «برد». إنّك لو قُلْتَ: لِفلانةٍ طَرْفٌ (عين) ناعس لكان ذلك مدحاً لها. أمّا إذا قُلتَ: لها طرفٌ نعسانُ فإنّ ذلك لا يكونُ لها مدحاً.

والحِفاظُ على اللغة حفاظٌ على الصّلة بين حاضرِ الأمّة وماضيها، وذلك يدعو إلى حِفاظ الأمّة على مُسْتَقْبَلِها. وما دُمنا قد قُلْنا إنّ اللغة كائن حيٌّ يُولَدُ وينمو ثمّ يموتُ، فمَوْتَ اللغة موتٌ للأمّة نفسِها. إنّ النسل لا يَقِفُ، فالذين كانوا قبل عشرةِ آلافِ سنةٍ لا يزالُ نسلُهم يَتَوالى إلى اليوم، ولكنّ وُجودَهُمْ في أمّةٍ راهنةٍ رَهْنٌ بِبَقاء لُغَتِهم وحَضارتهم. بهذا المعنى يُفهَمُ بقاءُ الأممِ وانقراضُها.

---

(١) التورية كلمة لها معنيان: أحدهما قريب واضح والثاني منهما بعيد ملموح. والذي يأتي بالتورية يوهم القارىء أو السامع أنّه يريد المعنى القريب المشهور بينما هو يقصد المعنى البعيد المستور. قال الشاعر: «فإنّ غصون الروض تصلح للقصف». فالمعنى القريب أن أغصان الشجر في الجنينة يسهل أن تقطع من أشجارها ويظلّ لها نفع. أمّا قصد الشاعر فكان أن هذه الأغصان المورقة المزهرة تجعل الروض جميلًا فيصلح الروض حينئذ للتمتّع بعدد من اللذات فيه.

ومن العواملِ التي تَتْرُكُ أثراً في تطوّرِ اللُّغَةِ: الموسيقى (أوِ المَيْلُ إلى سُهولَةِ اللَّفظِ). إنّ للأحرفِ مخارجَ في الفَمِ (بينَ أقصى الحَلْق وظاهرِ الشَّفتَيْنِ). ويسهُلُ لَفْظُ الكَلِمَةِ إذا كانتْ أحْرُفُها مُفرَّقَةً بينَ تلك المخارجِ تفرُّقاً مُتقارباً. أمّا إذا تقاربتِ المخارجُ جدًّا (نحو: ضغطت) أو تباعدتْ جدًّا (نحو: فقدت) عسُرَ النُّطقَ بها، حتّى ذكَرَ علماءُ اللغةِ أنّ الكَلِمَةَ التي تجتمعُ فيها الحاء والعين أو القاف والجيم لا تكون مِنَ اللُّغة العربية[١].

وهذا العاملُ الموسيقي نَجِدُهُ عِندنا وعندَ غيرِنا:

ربّما لم تكُنِ الكَلِمَةُ عسيرةً في اللفظ، ولكنْ يَجِدُ الناسُ في تبديل حُروفِها يُسْراً جديداً، فيُدخلون عليها شيئاً من التبديل. وهذا نَجِدُه عندَنا وعندَ غيرِنا أيضاً.

في اللُّغةِ الفرنسيّة واللُّغة الإنكليزيّةِ لا يجد الناسُ حَرَجاً (ضيقاً) في لَفْظِ التاءِ بعدَ الكاف (في الكَلِمَةِ الواحدة): فِكْتوريا، بِكْتورَسْك، إلخ[٢]. وكَرِهَ الإيطاليون ذلك، فهُمْ يقولون: فِتّوريا، بِتّورسكو[٣]، إلخ. والإسبان يكرَهونَ التضعيفَ في الفاء وفي الپاء الفارسيّةِ (المنقوطةِ بثلاثِ نُقَطٍ من تَحْتها)، ولا يكْرَهونه في الراء.

والعرب أيضاً لا يُحِبّونَ التضعيفَ حُبًّا جمًّا، فنحنُ نستطيعُ أنْ نقولَ لم يَمُدَّ (بتضعيفِ الدال وفَتْحِها) ولكنَّ فَكَّ الإدغامَ (لم يَمْدُدْ - بضمّ الدال الأُولى وتسكينِ الدال الثانية) أجودُ. ودَحْرَجَ في الحقيقة تَرْجعُ إلى درَّج، فَكَرِهَ العربُ تشديدَ الراء هنا. ثمّ فَسْكَلَ (جُعِلَتْ فيها الكافُ مكانَ إحدى السِّينَيْنِ) من فَسَّلَ[٤].

ونحن نَعْرِفُ بابَ الإعلال والإبدال (جَعْلِ بعضِ الحروفِ مكانَ بعضِها الآخرِ). فهذا أيضاً بابٌ من الموسيقى (المَيْلِ إلى سُهولةِ اللّفْظِ في اللُّغةِ). إنّ «قال» أهونُ في النُّطْقِ من قَوَلَ (بفَتْحٍ فتح). وكذلك يَقُولُ (بفتح فضمّ) أيسرُ في النُّطق من يَقْوُلُ

---

(١) هنالك أحرف لا تتوالى على نسق مخصوص لتنافر حروفها. في القاموس (٣:٢١٧) مثلاً: «لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة إلّا (إذا كانت تلك الكلمة) معرّبة أو صوتاً».

(٢) Victoria, picturesque.

(٣) Vittoria, Pittoresco.

(٤) فسكل الفرس: جاء في السباق آخراً. وفسكل الرجل: جاء متأخراً تابعاً. فسّل الرجل الشيء: أرذله وزيّفه. وفسّل فلان فلاناً: فتّره وكسر نشاطه.

(بفتح فسكون فضمّ).

وإذا نحن جئْنا إلى صيغة « اَفْتَعَلَ » قُلنا مِنْ « سَمِعَ » اَسْتَمَعَ، ومن « دَرَجَ » اَسْتَدْرج (فتبْقى التاءُ هنا تاءً لاَعتدالِ البُعْدِ بين تاءِ « اَستفعل » والأحرف في « سَمِعَ » و « دَرَجَ »). أما إذا أَتَيْنا إلى الفعل « صَنَعَ » فنحن لا نقولُ فيه « اَصتنع » (لِبُعْدِ ما بينَ الصاد الأَصلية والتاء في المخرج)، بل نقولُ: اصْطَنَعَ (لأنّ الطاءَ أقربُ في التفخيم إلى الصاد)، إذ الموسيقى هنا تُفَضّل لفظَ الطاء بعدَ الصاد على لفظِ التاءِ بعدَ الصاد.

غيرَ أن هذه القاعدةَ الموسيقيّةَ يختلفُ عمَلُها بيْنَ أُمّةٍ وأُمّة، فإنّ الأحباشَ لا يَرَوْنَ بأساً في أنْ يقولوا: قَوَلَ (بفتح فتح) ورَمَيَ (بفتحٍ فتح ففتح)، ونحن نقول: قالَ ورَمَى.

وفي هذا المجالِ من الموسيقى تختلفُ الأُمَمُ. إنّ اللاتين لم يكونوا يَلْفِظونَ النون قبلَ الميم وقبلَ الباء، بل كانوا يُبْدِلونَها « ميماً ». ومثل ذلك يفعَلُ الفرنسيّون والإنكليزُ[1].

أمّا الإسبان فيَقْلِبون النونَ ميماً قبلَ صوتِ الباء (مِثْلَ الفَرَنسيّين والإنكليز) بينما هم يُبقونَ النونَ نوناً قبلَ الميم[2]:

والعَرَبُ يَتْرُكون النونَ نوناً قبل الميم (إذا توالتا في كَلِمَةٍ واحدةٍ، نحو « يَنْمو »). أمّا النونُ الساكنةُ فإنّها تُقْلَبُ أحياناً ميماً (قبل الكَلِمَةِ المبدُوءةِ بميم) أو ياءً (قبلَ الكَلِمَةِ المبدوءة بياء) في مِثْلِ « مِنْ مكانٍ » أو « مَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلاّ الله »، ونحو « مِمّا » (مِنْ ما)[1].

ويبدو أن الذال (المُعجَمة: المنقوطة) والثاءَ المُثلَّثة صوتانِ قديمانِ في اليونانية والعَرَبية وفي الإيسلنديّة والدانمركية وفي البَهْلوية (الفَهْلوية: الفارسيةِ القديمة). ومَعَ أنّ الثاءَ المثلّثة لا تزالُ في اليونانية والعَرَبية والدانمركيّة (مَعَ اَختلاف في القُوّة والضّعف)، فإنّ الذالَ المُعجمة لا تزال ظاهرةً في العَرَبيةِ والإيسلنديّة والإنكليزيّة.

---

(١) Immediat(e), important, imbecile.

(٢) Inmediato, Inmenso.

(١) هذا يقال له في التجويد (قراءة القرآن الكريم): ادغام بغنّة.

ولكنّ هذه الذالَ قد ٱنْقلَبَتْ الآنَ دالاً مُهْملَةً (بلا نُقطةٍ) في اليونانيّة والفارسيّة والنُّروجيّة والأُسوجية والألمانية وفي الفَرَنْسيةِ، ولكنّها مَلْموحةٌ في الإسبانية[٢].

كُلُّ هذا راجعٌ إلى الموسيقى (أو إلى ٱسْتِسْهالِ لَفْظِ صَوْتٍ دونَ صوتٍ آخَرَ في أُمَّةٍ دونَ أُمّة).

ويدعو إلى الدهشة أحياناً أن نَجِدَ ألفاظاً مُتقاربةً للمَدْرَكِ الواحد في اللُّغاتِ المختلفة. هنالك كلمة «شَمْس» العربيةُ، فإنّها في العِبريّة شمش (بإمالة حركة الميم)، وفي الآراميّة شمشا. ثمّ نَجِدُ في العوامّ عندَنا وفي الأطفال أيضاً من يقول: سمش وسمس. فمن أين يجيء هذا الآختلافُ إذا نحنُ أهمَلْنا عاملَ الموسيقى في كلام الناس؟

والموسيقى في اللغة ليستْ قاصرةً على الألفاظ المُفردة وحدَها، بل هي تتناولُ التركيبَ أحياناً إلى جانبِ الإعراب والمَنْطِق أيضاً.

حينما نقولُ في اللغة العربية: رأى عليٌّ سعيداً أو رأي سعيداً عليٌّ، فالإعراب هنا هو الذي يَدُلُّ على الفاعلِ ويَدُلُّ على المفعولِ به (سواءٌ أتقدّمَ الأوّلُ على الثاني أمْ تقدّمَ الثاني على الأوّل). وكذلك إذا نحن قُلنا أَكَلَتْ هندُ التُّفّاحةَ أو أكلتِ التفّاحةَ هندُ، فإنّ الأعرابَ والمَنْطِقَ يعمَلان هنا معاً في تمييزِ الفاعلِ من المفعول به. أمّا إذا قُلْنا: رأى عيسى موسى أو زارتْ سلمى ليلى، فالمَنْطِق يَقْضي هنا أنْ نجعَلَ الآسْمَ المُتقدّمَ فاعلاً.

ويتَنَدّرُ الناسُ بالتركيب التالي: أكَلَ الكوسى موسى، فالفاعلُ هنا موسى، سواءٌ أتأخرّ (كما في هذه الجُملةِ) أو تقدّمَ (كقَوْلنا: أكل موسى الكوسى). غيرَ أنّ النُّحاة يتَنَدّرون بجُملةٍ أشدَّ شُذوذاً ويُهْمِلون الإعرابَ في سبيلِ المَنْطِق ويقولون: خَرَقَ الثوبُ (بالضمّ) المِسمارَ (بالفتح). ومَعَ أنّ «الثوبَ» هو هنا (بحَسَبِ الإعراب) الفاعلُ، فإنّ

---

(٢) في الفارسية القديمة: باذ (ريح)، داذ (أعطى). والآن هما: باد، داد.
والمثل من الإسبانية: Nada، ولا تزال هذه الدال الإسبانية تلفظ في الجنوب وفي عدد من المناطق الأخرى «ذالاً» معجمة. وقد تسقط في اللفظ (إذا جاءت طرفاً أو قبل الطرف بحرف)، في عدد من الأماكن أيضاً.



المَنْطِقَ يَقْضي بأَنْ نجعَلَ الثوبُ مفعولاً به (برُغْمِ علامةِ الرفع التي لَحِقَتْه)، وأن يكونَ المِسمارَ هو الفاعلَ (برُغْمِ الفتحةِ على آخِرِه).

وهذا الذي نَجِدُه في اللُّغةِ العربيّةِ نَجِدُ مِثلَه أيضاً في اللُّغاتِ الأجنبيّة، وخصوصاً تلك اللُّغاتِ التي فيها إعرابُ (كاللاتينيةِ والألمانيّة).

يقولون في اللُّغةِ اللاتينية:

Inter filios agricolae semper discordia erat.

ومجرى هذه الجُملةِ في اللُّغةِ العربيّة كما يَلي:

بينَ أبناءِ الفلّاحين دائماً خِلافٌ كان.

وكذلك نَجِدُ في اللغة الفارسيّة هذا النَّسَقَ نفسَه:

دو زنْ براي طِفْلي دَعْوى ميكَرْدَنْدْ:

آثنتانِ نساء في شأنِ طِفْلٍ دَعْوى رَفَعْنَ[1].

هذا التركيبُ الغريبُ على القارىء العربيّ (وعلى النحو العربيّ أيضاً) هو التركيبُ المألوفُ في اللُّغَتَيْنِ اللاتينية والفارسية. وحُجّةُ اللاتين والفُرس أنّ الجُملةَ - وخصوصاً إذا هي طالتْ[2] - تَغيبُ ألفاظُها المتقدمةُ من الذِّهْنِ، فيجعلون الكَلِماتِ المُهِمَّةَ في آخرِ الجُملة حتّى يظَلَّ الذِّهْنُ واعياً حافظاً لها.

ورُبما آقتضَتِ البَلاغةُ العربيّةُ أن يكونَ، في الجُملة بعدَ الجُملة، شيءٌ من التَّقْديمِ والتأخيرِ، كما نَجِدُ في قولِهِ تعالى: ولا أنفسَهم ينصُرون (٧:١٩٢، سورة الأعراف) - منها خَلَقْناكم وفيها نُعيدُكم (٢٠: ٥٥، سورة طه) - ... ومَعارجَ عليها يظْهَرون (٤٣ :٣٣، سورة الزخرف). إنّ تقديمَ المَفعولِ به هنا وتقديمَ الجارِ والمجرورِ غايتُه التأكيدُ (وهو وَجْهٌ من البَلاغة). إنّ قولَه تعالى: ﴿منها خَلَقْناكم﴾ دَعَتْ إليه ضَرورةُ التأكيد على الجارِ والمجرور «منها» (مِنَ الأرض). أمّا «خَلَقْناكم» فلم يكُنْ

---

(١) كان في الفارسية القديمة مثنى، ثمّ فقد المثنى وحل محله الجمع.

(٢) والعرب يقولون أيضاً: إن الكلام إذا طال أنسى بعضه بعضاً.

هنالك (في هذه الجُملةِ) حاجةٌ لتأكيدها، لأنّ اللهَ خالقُ كُلِّ شيءٍ.

وجاءتِ الجملةُ في اللُّغة الألمانيةِ على نَوْعَيْنِ: جملةً أساسيّةً مُستقيمة النَّسَقِ ثمّ جملةً فرعيّةً مَقْلوبةَ النَّسَقِ:

Kluge Menschen sprechen wenig und können whol dass derjenige der viel spricht wenig versteht.

النّاسُ الأذكياءُ يتكلّمون قليلاً ويعلَمون جيّداً أن ذلك الذي كثيراً يتكلّمُ قليلاً يفهَمُ.

أمّا اللُّغةُ العربيّةُ فاتّبعتِ النَّسَقَ المُستقيمَ:

﴿إنّ اللهَ يأمرُكُمْ أنْ تُؤَدّوا الأماناتِ إلى أهْلِها، وإذا حَكَمْتُمْ بينَ النّاسِ أن تحكُموا بالعَدْلِ﴾(١).

وقلّما يلجأُ الكاتبُ بالعربيّةِ إلى النّسَقِ المقلوب إلّا إذا قَصَدَ وجْهاً من أوجهِ البلاغةِ يُؤكّدُ به أمراً يُخَيَّلُ إلى القارىء أو إلى السامعِ أن ذلك الأمرَ غيرُ مُهِمٍّ أوْ غيرُ مقصودٍ لذاتهِ في الجُملة.

واللُّغاتُ الحديثةُ مِنَ الدانمَرْكيّة والهولندية والإنكليزيّة والفرَنْسية والإسبانية والإيطالية وغيرِها تَجْري على النَّسقِ المُستقيم كاللُّغةِ العربية.

---

(١) القرآن الكريم ٤: ٥٨، سورة النساء.

القرن الخامس الهجري

(الحادي عشر للميلاد)

قبل الحروب الصليبية

(٤٠٠ – ٤٩٣ هـ = ١٠٠٩ – ١٠٩٦ م)

لمّا بدأتْ هذه الفترةُ كان الخليفةَ في بغدادَ أبو العبّاس أحمدُ بنُ اسحقَ ابنِ المقتدرِ، وهُوَ المعروف بلقب القادر بالله (٣٨١– ٤٢٢ هـ). كان القادرُ بالله رجلاً صالحاً تقيّاً عاش في الخلافة واحدةً وأربعين سَنَةً، ولكنّ شؤونَ الدولة كلّها كانت قد أصبحتْ في أيـدي البُويهيّين – وهمُ الذين كانوا يَتَوَلَّوْنَ مَنْصِبَ أمير الأمراء[1] – فلم يكن للقادرِ ولا للخلفاءِ الذين جاءوا بعدَه أثرٌ في الحُكْم ، حتّى إنّ الخلافة العبّاسيّة عاشتْ في ذلك الزمن نحو مائة سَنَةٍ لم يكنْ فيها وزراءُ على الحقيقةِ بل كُتّابٌ يديرون الشؤونَ الخاصّةَ بالخلفاء. أمّا شؤونُ الدولةِ الصحيحةُ فكان يُصَرِّفُها أميرُ الأمراء؛ وقد تَعاقَبَ على هذا المَنْصِبِ من البويهيّين ، في هذه الفترة ، ستّةٌ هم بَهـاءُ الدولة (٣٧٩ – ٤٠٣ هـ) ومُشَرِّفُ الدولة وجَلال الدولة (٤١٦ – ٤٣٥ هـ) وعِماد الدولة وخَسْرو فَيْروز الذي تولّى هذا المنصبَ سَنَةَ ٤٤٠هـ (١٠٤٨ م).

وزاد في تعقيدِ الحياةِ السياسية والاجتماعية في هذهِ الفترةِ رجلٌ يُعْرَفُ بالبَساسيري.

كان البَساسيريُّ ، واسمُه أبو الحارثِ أرْسَلانُ ، رَجُلاً فارسيّاً – وقيل : تُركيٌّ – نشيطاً في حَوْكِ المكائد ، وقد رأيناه منذ سَنَةِ ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) يتدخّلُ في شؤون الدُوَيْلاتِ يَنْصُرُ بعضَها على بعضٍ وينصر بعضَ أفرادِ الدويلةِ الواحدةِ على بعضِ أفرادِها الآخرينَ ، كما كان مُوقِداً للفِتَنِ بين السُنّةِ والشيعة

---

(١) الحاكم العسكري وقائد الجيوش . راجع الجزء الثاني ، ص ٤٠٠ .

في كلّ مكان ، وفي بَغدادَ خاصّة . وعَظُمَ نفوذُ البساسيري وتعاظم شَرّه لمّا أصبحَ وزيراً للملكِ الرحيمِ خسرو فيروزَ البويهيّ أميرِ الأمراء في بغداد (٤٤٠ – ٤٤٧ هـ) .

وفي سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) بدأتِ النُفرةُ بينَ الخليفةِ القائمِ بالله العبّاسيّ وبينَ خسرو فيروزَ ووزيرِه البساسيريّ لكَثْرة استبدادِهما بأمور الدولة ولكَثْرة الفِتَن التي كانت تثور على أيديهما بين السُنّة والشيعة . ثمّ تحدّثَ الناسُ بأن البساسيريّ يكاتبُ الخليفةَ المستنصرَ بالله الفاطميّ ليأتِيَ به من القاهرة الى بغدادَ ويُولّيَهُ مكانَ القائمِ العبّاسيّ فتنقلبَ الخلافةُ العبّاسيّةُ خلافةً فاطميةً .

في هذه الأثناء اتّفق أنّ السلاجقةَ – وهم عشائرُ تركيّةٌ من أواسطِ آسيةَ – كانوا قد أقاموا لأنفسهم مُلْكاً سَرعانَ ما امتدّ ، في أقلّ من قَرْنٍ (٣٥٠ – ٤٥٠ هـ) ، من حُدودِ الصين إلى العراق . وكان الخليفةُ العبّاسيّ عاجزاً عن كَبْحِ جِماح البويهيّين وجماح وزيرِهِمُ البساسيريّ فاستنجدَ بطُغْرُلَ بَكْ السُلْجوقي فانجدَه طُغْرُلُ بك ودخلَ بغدادَ وقتل خصومَ الخليفة القائمِ بالله العبّاسيّ وردّ إليه مكانتَه وللخلافــة العبّاسيّة والوزارةِ رونَقَهُما ، وذلك سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٦ م). ولكنّ البُوَيْهيّين والبساسيريَّ لم يتركوا إثارةَ الفِتَنِ وإيقادَ نارِ القتال ، وعاوَنَهُمْ في ذلك الفاطميّون ورؤساءُ عددٍ من الدُويلات .

انقراض البويهيين ومجيء السلاجقة

في هذه الفترة – بعد سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩ م) وقبل عُدْوانِ الإفرنجِ الصليبيّين على بــلادِ الشام سَنَةَ ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) – انقرضَ البيتُ البويهيّ وزالَ مَنْصِبُ أميرِ الأمراء معاً ، سَنَةَ ٤٤٧ هـ . وكذلك زالتْ دولةُ بني حَمْدانَ في المَوْصِلِ ودولتُهم في حَلَبَ (٤٠٦ هـ) وقام في حَلَبَ دويلــةٌ لبني مِرْداسٍ (٤١٥ – ٤٧٣ هـ) ، وهم بَدْوٌ من بني كِلابٍ اشتدّ ساعدُهم في أثناء النِزاع بين الحَمْدانيّين والفاطميّين على الشام . ثمّ اتّصلَ النِزاعُ على الشامِ بــين المِرْداسيّين والفاطميّين حتّى استولى السلاجقةُ على حَلَبٍ وما حولَها . وكذلك كانتْ قدْ نشأتْ ، في سَنَةِ ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، دُويلةٌ لبني عُقَيل في حَلَبَ وما حولها ، ودويلة لبني مَروانَ في مَيّافارقينَ وآمدَ وما حولَهما ، ودويلةٌ للنُميريّين في الرُها وحَرّانَ وسَروجَ والرَقّةِ ، فدخلتْ هذه الدويلاتُ كلُّها في مُلْكِ

السَلاجقةِ قبلَ عُدوانِ الإفرنجِ الصليبيين أو في مَطْلَعِ ذلك العُدوانِ ، بين سَنَةَ ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) وسنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) .

وانقرضَ من دُويلاتِ اليَمَنِ — في هذه الفترةِ نفسِها — دويلةُ بني زِيادٍ في زَبيدَ (٢٠٤ — ٤١٢ هـ) ودويلةُ الصُليحيِّين في زَبيدَ وصَنعاء (٤٢٩ — ٤٩٢ هـ) . وقد تداخلتْ فترتا هاتينِ الدويلتين ثمّ حلَّ مَحلَّهُما دولةٌ لبني نَجاحٍ ، وهم أحباشٌ[1] استَوْلَوْا على مُعْظَمِ المناطقِ التي كان يحكُمُها بنو زِيادٍ والصليحيّون .

واستطالَ مُلْكُ السلاجقةِ في فارسَ والعراقِ والشامِ وبلادِ الرومِ (آسيةَ الصُغرى) وانطوتْ مُعْظَمُ دويلاتِ تلكَ الأصقاعِ في دُوَلِهِمُ المتفرّقة . ومعَ أن السلاجقةَ قد استبدّوا في الحُكْمِ ، كما فعلَ البُوَيهيّون من قَبْلِهِمْ ، ومعَ أنّ المنازعاتِ كانتْ كثيرةً في أيّامِهِمْ أيضاً ، فإنّهم حافظوا على هَيْبَةِ الخلافةِ العبّاسيّة وحَفِظوا للخلفاء كرامتَهم وحرَصوا على خيرِ الإسلامِ وخيرِ البلاد .

الفاطميّون والنزاع المذهبي

ظلّ في العالمِ الإسلاميّ في المَشْرِقِ ، سوى المَغْرِبِ والأنْدَلُسِ ، دولتانِ كبيرتانِ الى جانبِ الدولةِ السُلجوقية : الدولةُ الغَزْنَوِيَّةَ في الأفْغانِ والهِنْدِ، وهي دَوْلةٌ مُحايدةٌ ولكن حريصةٌ على خَيْرِ الإسلام كَحِرْصِ السلاجقة ؛ ثمّ الخلافةُ الفاطميةُ في مِصْرَ وجَنوبيّ الشام (جَنوبيّ سوريةَ) ، وكانتْ مُعاديةً للخِلافة العبّاسية وللسَلاجقة ومُسالِمَةً للرومِ في كثيرٍ من الأحيان . والخطرُ الذي كان كامناً في الدولة الفاطمية أنّها كانتْ دولةً باطنيةً ، ومنها نشأتْ مُعْظَمُ الحَرَكاتِ الهدّامة في الإسلام . ثمّ انّ الدولةَ الفاطميةَ لم تكن دولةً مُوَحَّدَةَ الهَدَفِ موحّدةَ العَمَلِ ، فقد تفرّعتْ ، في هذا الدورِ نفسه ، فروعاً ثمّ انشقّ منها المَذْهَبُ الدُرْزيُّ (مذهبُ التوحيد) والمذهب النُصيريُّ العَلَويّ (مذهب التأليه) ومذهبُ الحشّاشين (مذهب العُنْفِ للوصول الى السيادة الدينية بالاغتيال السياسيّ) . وكانت هذه المذاهبُ التي تَرْجِــعُ الى مدركٍ فاطميٍّ واحدٍ مُتنافسةً متنازعــةً .

---

(١) كان نجاح عبداً حبشياً أسس دولة (٤١٢ — ٥٥٤ هـ) .

ومنذُ غُرّة القرنِ الخامس الهجري كانتْ قوّةُ الفاطميّين في ذِروتِهما ، فقد خُطِبَ لهم[1] (٤٠١ هـ) بالمَوْصِلِ والكوفة . فبدأ العبّاسيّون منذ ذلك الحين يقاومون الدعوة الفاطمية بكلّ سبيل وفي كلّ شكلٍ . ففي سنة ٤٠٢ هـ اجتمع في بغداد نفر من علماء السُنة كأبي حامدِ الإسفراييني ونفرٌ أكثرُ من علماء الشيعة منهم الشريفُ الرضيّ وأخوه الشريف المرتضى وأبو عبد الله بن النُعمان فقيهُ الشيعة وكتبوا مَحضراً يتضمّن القَدْحَ في نَسَبِ العلويّين (الفاطميّين) خلفاء مِصْرَ (ابن الأثير ، بيروت، ٩ : ٢٣٦) . وفي سنة ٤٠٣ هـ أصبحَ الشريف الرضيّ نقيباً للطالبيّين (مكان أبيه) ولبس السوادَ (شِعار العبّاسيّين) . وفي ٤٠٦ هـ مُنِـعَ أهلُ الكرخ (غربيّ بغداد) من النَوْحِ يومَ عاشوراء ومن نشر المُسوح (تعليق الثياب السود على بيوتهم) .

وكان القائمون بالدولة الفاطمية في مِصْرَ هم الذين يُسيّرون الدولةَ الفاطمية لا الخلفاءُ الفاطميّون ، وكان كثيرٌ من هؤلاء يهوداً ونَصارى ، كما كان سلوكُهُمُ الشخصيّ والسياسي — فيما يتعلّق بالدعوةِ الفاطمية وسياسةِ الدولة معاً — داعياً إلى الاستغراب ، كما سنرى في أثناء الحروب الصليبية . ولقد كان في مقتل الحاكم بأمرِ الله (٤١١ هـ) مجالٌ واسعٌ للتفكير والاعتبار .

يبدو أنّ الحاكمَ بأمرِ الله كـان مفكّراً كبيراً وحـازماً قديراً فأرادَ أن يَجْعَلَ الدولةَ الفاطميةَ فاطميّةً صحيحةً بأن يَرُدَّ أمرَها الى أيدي الفاطميّين فقامَ بِعَدَدٍ من وجوهِ الاصلاحِ الصحيح . غيرَ أنّ أخبارَ الحاكم بأمرِ الله مختلطٌ بعضُها ببعض منها الصحيحُ في الرواية ومنها غير ذلك[2] .

وكانت الدعوةُ قد بَقِيَتْ عامّةً حتّى جاء الحاكمُ بأمر الله فأوجد دعوةً جديدةً وأرسلَ إلى الشام داعيةً اسمه نَشتكينُ الدَرَزيّ (بفتح الدال والراء) . ومَعَ أنّ الدرزيّ قد خان الدعوة ، فقُتل من أجل ذلك (٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) ، فانّ الحركـة الجديدة تُسمّى المذهبَ الدرزيّ (بضمّ الدال وسكون الراء)

---

(١) إن الدعاء للخليفة في خطبة يوم الجمعة أمر ديني ومظهر من مظاهر السلطة السياسية .

(٢) إذا أتيح لأحد أن يدرس حياة الحاكم بأمر الله في كتب التاريخ وكتب الأدب فإنه يستطيع أن يجلو للحاكم صورة سياسية جميلة جداً . ولعل مثل هذه الدراسة تلقي ضوءاً جديداً على الخلافة الفاطمية في القاهرة فتدل على أن تلك الخلافة كانت خلافة فاطمية في الظاهر فقط (وعلى أن مقتل الحاكم كان لأنه أراد أن يعيد تلك الخلافة فاطمية صحيحة) .



وأتباعَ هذه الحركة يُسمَّوْنَ «الدروزَ» (بضمّ الدال)، معَ أنّهم يكرهون هذا الاسمَ ويُسمّون أنفسَهم «الموحّدين». والمشهورُ أنّ صاحبَ هذا المذهب هو الحاكمُ بأمر الله، ويقال إنّه هو الذي كتب كتاب «الحِكمة» (وهو كتاب جمع أُسُسَ المذهب على طريقة الرمز لا يَفْهَمُ ما فيه إلاّ من قرأه على شيوخهم). أمّا الجانبُ الفقهي والفلسفي من المذهب فمن وضع حمزةَ بنِ عليّ ابنِ أحمدَ. وقد كان حمزةُ هذا دائماً معَ الحاكم لم يفارقْه، ويبدو أنّه قتل قبله، ذلك لأنّ حمزة هذا كان كثيرَ التطرّف في الدعوة فقتله بعض المعتدلين.

وبعدَ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطمي جاء ابنُه أبو الحسن عليٌّ الظاهرُ لإعزازِ دين الله فافترقتِ الدعوة الفاطمية فرْقَينِ هما:

– فُرقةُ الإسماعيلية: أجازتْ خِلافةَ الظاهر لإعزازِ دين الله وقبلت أعماله. ثم تركت بابَ الدعوة (للدخول في المذهب الفاطمي) مفتوحاً.

– فرقة الموحّدين: لم يُجيزوا خلافة الظاهر (لأنّهم أنكروا بنوّته) ولا قبِلوا أعماله (لأنّها كانت مخالفة لأعمال الحاكم) ثم قالوا بأن باب الدعوة (للدخول في المذهب الفاطمي) قد أُغلق باحتجاب الحاكم.

وفي الوقتِ نفسه نبعت من المذهب الفاطمي فرقةٌ ثالثة هي الفرقة النُصيرية أتباع الداعية محمدِ بنِ نُصيرٍ. وقد كان انتشارُها في الشام أيضاً، وكانت شديدةَ العَداوة لمذهبِ الموحّدين (للمنافسة المحلّية في البلاد الشامية).

ولكنّ القائمين على استغلالِ الدعوة الفاطميّة لم يُلْقوا سلاحَهم، فقد وَجَدوا (سنة ٤٣٤ هـ) شَخْصاً في مِصْرَ يُشْبِهُ الحاكمَ بأمرِ الله فأبرزوه للناسِ وادّعَوْا أنّ الحاكم قد عاد الى الحياة، ولكن أُلْقِيَ القبضُ على هذا الرجلِ وعلى من كان مَعَه وقُتِلوا كلُّهم.

وفي سنة ٤٤٤ هـ عُمِلَ في بغداد محضرٌ يتضمّن القَدْحَ في نسبِ العلويّين أصحابِ مصر، وأنّهم كاذبون في ادّعائِهِمُ النَسَبَ إلى عليٍّ، عليه السلام، وَعَزَوْهُمْ (نَسَبَهم أصحاب المحضر) فيه إلى الديصانية من المجوس والقدّاحية من اليهود» (ابن الاثير ٩ : ٥٩١).

ثمّ عادتِ الدعوةُ الفاطميةُ الى القوّة فاستطاعَ القائمون بها أن يَحْمِلوا خطيبَ جامعِ المنصور في بَغْدادَ على أن يخطب (٤٥١ هـ) للمستنصر العلويّ (الفاطميّ).

واستطاع الفاطميّون أن يجعلوا الخُطبةَ في مكّةَ لهم مرّةً بعد مرّة . ولكنّ الخُطبة في مكّةَ عادت الى العبّاسيّين سنة ٤٦٨ هـ .

وبدا للعبّاسيّين أن الذين يقومون بهذه الأعمالِ المُغايرة للاسلام إنّما همُ الباطنيةُ المتستّرون بالدعوةِ العلوية رياءً وظُلْماً . « وهم الإسماعيلية وهمُ الذين كانوا قديماً يُسَمَّوْنَ قَرامطةً » (ابن الاثير ١٠ : ٣١٣) . ومعَ نُشوبِ الحروبِ الصليبية اتّضحتْ مخطّطاتُ الباطنية في مُمالئة الصليبيّين وعداءِ الإسلام واغتيال رجالِ العلمِ والسياسةِ من المسلمين ، فأدْركَ العبّاسيّون أنّ أمرَ هؤلاءِ الباطنيةِ لا يصلُحُ بالدعوةِ الصالحةِ فأخذوا بقِتالهم وقتْلهم .

ولم يكنِ التنازعُ دائراً بين المذاهبِ الفاطميّة وحدَها ، ولا بينَ الشيعةِ وأهل السنّةِ فحَسْبُ ؛ ولكنّ أتباعَ المذاهبِ السنّيّةِ أيضاً كانوا في نزاعٍ شديد جِدّاً الى حدّ الاقتتالِ في الشوارع : كان الحنابلةُ — أتباعُ المذهب الحنبليّ[1] — متشدّدين جِدّاً في مسائلِ العبادةِ وفي الأمرِ بالمعروف والنَهْيِ عن المُنْكَر . ثمّ كانوا لا يكتفون بظاهرِ أمرِ الناسِ بل يُحاولون النفوذَ الى حقيقةِ أمرِهم . من ذلك مثَلاً أنّهم كانوا يَطوفون الأحياء ويدخُلون الى الدكاكينِ والبيوت يَبحثون عن الخمر وآلاتِ الغناء واللّهْوِ فإذا وجدوا منها شيئاً أتْلفوه . وكذلك كانوا يعترضون السائرينَ في الطُرُقات ، فإذا رأوْا رجُلاً يسيرُ معَ امرأةٍ أو معَ صبيٍ تَصَدَّوْا له وسألوه عن صِلته بتلك المرأةِ أو بذلك الصبيّ[2] . ولم يكنِ الأحناف أو الحَنَفيّة — أتباعُ أبي حنيفةَ[3] — أقلّ تُقىً ولا أقلّ مُحافظةً على مكارمِ الأخلاقِ من الحنابلة ، ولكنّهم كانوا يرَوْنَ أنّ الإسلامَ لا يُجيزِ للمسلمِ

(١) أسس هذا المذهب أحمد بن حنبل (ت بغداد ٢٤٢ هـ = ٨٥٥ م) على الحديث (أقوال محمد رسول الله) والسنة (أعمال رسول الله) ، ولم يكن يقبل الرأي في أمور الفقه ، ولا لجأ إلى القياس إلا إذا اضطر إلى ذلك .

(٢) عن درجة القرابة التي تسمح له بمرافقتها . (لئلا تكون رفقته لأحدها مؤدية إلى ريبة). راجع ابن الأثير (دار بيروت — بيروت) ٨ : ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٣) المذهب الحنفي أسسه أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت بغداد ١٥٠ هـ = ٧٦٨ م) . وكان أبو حنيفة قليل الاعتماد على الحديث لا يأخذ إلا بما يثق هو به من الحديث . من أجل ذلك كان كثير الأخذ بالرأي (الاجتهاد الشخصي) في المعاملات (التجارة والزواج وسائر الأمور الاجتماعية) لا في العبادات (الصلاة والصوم ، الخ) . وكان يأخذ بالقياس (بحكم في أمر جديد ، لم يكن في أيام الرسول ، بحكم قريب من الحكم في أمر يشبهه في أيام الرسول) وبالاستحسان (قبول ما تواضع عليه الناس في معاملاتهم إذا لم يرد في الدين نص مخالف لذلك) .

أن يعترضَ المسلمَ في الأمور التي هي بَيْنَهُ وبينَ نفسه أو بينه وبينَ الله ، إذ كانوا يأخُذون بالقولِ المأثور : لنا الظاهرُ (من أعمالِ الناس) والله يتَوَلّى السَرائرَ . من أجلِ ذلك كان الحنابلةُ والحَنَفية يتنازعون عَلَناً ويقْتَتِلون .

واشتهرَ في هذا الدور من الأُسَرِ الحاكمةِ بنو عمّارٍ في طرابُلُسِ الشام – وكانوا شيعةً – وقد حكَموا طوالَ النصفِ الثاني من القرن الخامسِ الهجْريّ (النصف الثاني من القرن الميلادي الحادي عَشَرَ) . وامتدَّ حكمُ بني عمّارٍ على جانبٍ كبيرٍ من ساحلِ الشام وأقاموا للامارة أُبّهَةً وشجّعوا العلم والأدب . ومع أنَّ بني عمّارٍ لم يكونوا مُوالينَ للخلافة العبّاسيّة ، فانّهم قاتلوا الإفرَنْجَ (الصليبيّين) قتالاً شديداً صادقاً – بخلاف الفاطميّين عموماً والحشّاشين خصوصاً [1] – وانتصروا عليهم كثيراً : بالقوّةِ مرّةً وبالخديعة مرّة . في سَنَةِ ٤٩٥ هـ (عام ١١٠١ م) نَصَبَ القُومُسُ صِنْجيل (الكونت ريموند ده صان جيل) الحِصارَ على طرابُلُسَ . وبرُغمِ القَلْعَةِ التي أقامَها صنجيل على نهر أبي علي (نهر قاديشا) وبرُغْمِ الإمداداتِ التي كانت تَرِدُ عليه من نصارى الجبل [2] وراءَ طرابُلُسَ ، فانَّ صنجيل لم يستطعْ أن يَسْتَوْلِيَ على طرابُلُسَ الاّ في أواخرِ سَنَةِ ٥٠٢ هـ (صيف ١١٠٩ م) .

والذي يبدو – مَعَ الأسف – أنَّ تاريخ شِبْهِ جزيرةِ العرب ، في الحِجاز واليمنِ ، لم يتأثَّرْ بحروبِ الإفرَنجِ الصليبيين في الشام .

المعتزلة والأشعريّة والتصوّف

ولا بدَّ هنا من الإشارة الى عددٍ من الحركات التي ثارتْ في هذا الدَّوْرِ ثمَّ الى أثرِ تلك الحرَكات على الناسِ وعلى الأدب . لقد ثارَ النزاعُ بين الأشعرية والمعتزلة : كانَ المعتزلةُ (الذين يُفَسِّرون العقائدَ الإيمانيةَ بالعقل) ينضمّون الى

---

(١) الحشاشون فرقة متطرفة من الشيعة السبعية أسسها حسن الصباح (ت ٥١٨ هـ) . والحشاشون كانوا يلجأون إلى اغتيال خصومهم السياسيين (من أهل السنة خاصة) سعياً إلى بسط سلطتهم المذهبية اجتماعياً وسياسياً .

(٢) راجع تاريخ ابن الاثير (دار بيروت) ١٠ : ٣٤٤ ؛ تاريخ ابن خلدون ٥ : ١٨٦ . وانظر « تاريخ العرب » للدكتور فيليب حتّي ، الطبعة الرابعة من النسخة الانكليزية ٦٤١ ، والنسخة العربية (١٩٥١ م) ، ص ٧٥٩ .



الشيعة والبُوَيْهيّين في مُقاومةِ الأشعرية (أهلِ السنّة والجَماعة الذين يُقَدّمون نُصوصَ الدين في تفسير العقائد الإيمانية على أحكام العقل) وفي مقاومة الخلافة العبّاسيّة . ولمّا بَرَزَ السلاجقةُ على مسرحِ التاريخ والسياسةِ نَصَروا الأشعرية على خُصومهم . ولكنّ الإسماعيليّين (المتطرّفين من الشيعة الفاطميّة) الذين فقَدوا الآن مُعاضَدَةَ البويهيّين – بعدَ أن قَضَى السلاجقةُ على الحُكْمِ البويهيّ – سَلَكوا سبيلَ الاغتيالِ السياسيّ .

ولا بدّ هنا أيضاً من الإشارة الى الحركة الصوفية ، هذه الحركةِ التي يَزْعُمُ أتباعُها أنّها بـدأت في صدرِ الإسلامِ الأوّل ، ولكنّهـا – على كلّ حالٍ – بدأتْ زُهْداً في العصر الأُمويّ ثمّ اتّخذتْ شكلاً خاصّاً من المبالغة في التعبّد وفي تعليلِ مظاهرِ الحياة الطبيعيّة والإنسانية . ومَعَ الايّامِ انقسمتْ هذه الحرَكةُ مَسْلَكَيْنِ : مسلكاً معتدلاً أراد أصحابُه أن يَرَوْا كلّ شيء من خلال الحياةِ الدينية الإسلامية ، ثمّ مسلكاً متطرّفاً أرادَ أصحابُه أن يَفْرِضوا على الوُجودِ الطبيعيّ والوجودِ النفسي الإنسانيّ مظهراً من خَيالِهِمْ يَصِلونَ به الى القولِ بأنّ اللهَ والإنسانَ مَدْرَكانِ نِسْبِيّانِ ينتهيانِ الى حقيقةٍ واحدةٍ هي أن الانسانَ هو المظهرُ الوحيدُ لمعرفـةِ الله ، لأنّ جميعَ الموجوداتِ الأُخرى من الجَماد والنّبات والحَيَوان البَهيم لا تُدْرِكُ هذا الموجودَ المُطلَق . ثمّ انّ الدين والكُفْرَ والإيمان والخَيْرَ والشّرّ والطاعةَ والمَعْصية والبحرَ والجبَل والقُبْحَ والجَمال مظاهرُ لذلك الوجودِ العظيمِ الذي هو الألوهية .

ومَعَ أن التصوّفَ بمَسْلَكَيْه المعتدلِ والمتطرّف قد أعطانا أدباً جميلاً وأتاحَ لِنَفَرٍ كثيرين منّا تربيةً نفسيةً صحيحةً ، في بعضِ الأحيانِ ، فانّ موقفَ المتصوّفين كُلِّهِمْ من الكفاح في الحياة ، ومِنَ الدفاعِ عن الوطـنِ والحِفاظ على الوَحْدَةِ السياسية والقومية والدينية أيضاً ، كان موضعَ ريبةٍ ، إذا نحن نَظَرْنا الى موقفِهِمْ ذلك من خلال مقاييسنا الموروثة المألوفة . ولا ريبَ في أن التصوّف المتطرّفَ كان أشدّ خَطَراً . ولكن يجب ألاّ نَمْزُجَ بينَ المتصوّفةِ أصحابِ « الطرق الشكليّة في العبادة » وبين « المُرابطين » الذين كـانوا يَتَستّرون بالمَسْلَكِ الصوفيّ ، على أطرافِ بلادِ الدولة الإسلاميةِ ، ليقوموا بأعمالِ الجهاد في سبيلِ الاسلام والأُمّة والوطن ، أولئك الذين كانوا عُبّاداً في الليلِ فُرْساناً في النهار .

وكَثُرَ العيّارون[1] في العهد البُويهيّ وانتشروا وقوِيَ أمرُهم ، ولكن أخبارَهم تُطالعنا في الأكثر في بَغْدادَ . والذي يبدو أن العيّارين كانوا في الأصل نَفَراً من المُعْدِمين الكارهين للعمل وبَذْلِ الجُهْدِ المُنْتِج فآثروا أن يُحصّلوا مَعاشَهم بالتشرُّر وبالسلب والغصب. ولمّا كَثُروا وقَوُوا أصبحوا طَبَقةً اجتماعيةً مقسّمةً فرقاً لكلّ فرقةٍ رئيسُها . وكَثُرَ عَيْثُهم حتّى أصبحوا يَفْرِضون سُلْطتَهم على الأغنياء والتجّار ويقاومون رجالَ الشُرطة ويتغلّبون عليهم في بعض الأحيان .

ومَعَ أن العيّارين قد تَلَبّسوا أحياناً بمظاهرَ دينيةٍ أو سياسةٍ ، فإنّهم كانوا في الواقع جَماعاتٍ من المُفْسدين الذين ينتهزون ضَعْفَ الحُكّامِ وفَوْضى الأحكامِ فيَسْلُبون أو ينهَبون أو يقتُلون ، إذا احتاجوا الى القتل، في سبيلِ الحصول على أسبابِ المعاش .

الخصائص الأدبية

بلغ الشعرُ خاصّةً مُنتهى قوّتهِ قبلَ أن يُطِلَّ القرنُ الخامس للهِجْرة (الحادي عَشرَ للميلاد) . واذا نحن استَثْنَيْنا الشريفَ الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ) وأبا العَلاء المعرّيّ (ت ٤٤٩ هـ) —وهُما من نِتاجُ القرن الهجريّ الرابع (لأنّ ، الشريفَ الرضيَّ لم يُدْرِكْ من القرن الخامس سوى بِضْعِ سَنَوات ، ولأنّ أبا العلاء كان يطبَعُ شِعْره على غِرارِ المتنبّي)— لم نَجِدْ في القرون التالية للقرن الهِجْري الرابعِ من يبلُغُ في ابتكار الأغراض والمعاني وفي صحّة اللغة ومتانة الأُسلوب ولا في استشرافِ الآفاق الإنسانية والعقلية مَنْ نَقْرِنُهُ بالمتنبّي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) والبُحتري (٢٨٦ هـ) وابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) وأبي نُواسٍ (ت ١٩٩ هـ = ٨١٣ م) .

لقد كان في القرنِ الرابع الهجريّ شعراءُ مُكْثِرون ، ولكنّ الشعراءَ المكثِرين والشعراءَ المُقلّين على السواء قد اشتهروا بالقصيدةِ والقصدتين وبالمَقْطوعة والمقطوعتين، كأبي الفَتْحِ البُسْتيّ (ت ٤٠١ هـ) وابي الحَسَن التِهامي (ت ٤١٦ هـ) وابنِ زُرَيقِ البغداديّ (ت نحو ٤٢٠ هـ) —ان صَحّتْ قِصّته— ومِهيارِ الديلميّ (ت ٤٢٨ هـ) .

---

(١) العيار (القاموس ٢ : ٩٨) : الذكي الكثير التطواف .

ولا يبعُدُ مجرى النثر في هذه الحقبة كلِّها عن مجرى الشعر كثيراً ، إذا نَظَرنا الى النثر على أنّه براعة فَنِّيَّة . إنّ الأدبَ العربي أدبُ شعرٍ أكثرَ منه أدبَ نثرٍ ، والناثرون البارعون أقلُّ عدداً في اللغة العربية من الشعراء البارعين . ثمّ إذا نحنُ اعتمدنا النِسبةَ العَدَدية بينَ الشعراء والناثرين عموماً وجدْناها نِسبةً ضئيلةً جدّاً ووجَدْنا الفرقَ بينَ عددِ الناظمين وعددِ الناثرين كبيراً جدّاً .

والناثرون المنشئون ، من كُتّاب الرسائلِ ومن الطابعين نَثْرَهم على أُسلوب الرسائلِ ، كثيرو العدد في القرن الرابعِ الهِجْري وفي القرون التي تَلَتْه . ولكنّ هؤلاء كانوا يَجْرون على رواسِمَ[1] وَرِثوها من القرن الرابع ، وكانوا أكثرَ تَلاعُباً بالكَلِمات والتراكيبِ والجُمَلِ ــ ممّا يَدُور على اللفظِ (في التَوْريات ، مَثَلاً) ــ منهم براعةً في الكشفِ عن عبقريّة الألفاظ والتراكيب . ثمّ انّ نفراً كثيرين من أولئك الناثرين كانوا كُتّاباً (موظّفين) في دواوينِ الإنشاء ، ولعلّ نِتاجَهم لم يكنْ سوى استملاءٍ من رؤساء ديوانِ الإنشاء أو نَسْخٍ لرسائلِ رؤسائهم أو تقليدٍ لأساليبِ رؤسائهم. وبعدُ ، فإنّ رسائلَ هؤلاء كانتَ في أغراضها ومعانيها وأساليبها متقاربةً جِدّاً حتى ليَسْتَحيلُ على الدارسِ أن يستخرجَ منها خصائصَ هؤلاء الكُتّابِ واضحةً مستقلّة .

أمّا ذوو الاتّجاهِ العقليّ المنطقيّ ــ من الذين أرّخوا العِلْم والاجتماع وعانَوُا النقدَ الأدبي ــ كأبي بَكْرٍ الباقلانيّ (ت ٤٠٣ هـ) وأبي حَيّانَ التوحيديّ (ت ٤١٤ هـ) أو من الذين اتّكأوا على الصِناعة اتّكاءً كبيراً كالثعالبيّ فهم ، بعدُ ، من نِتاج القرن الرابع الهِجْري . إنّ التقسيمَ الصِناعي العَمَلي لتاريخ الأدب يَحْمِلُنا على أن نَجْعَلَهم في التأليف معَ أدباءِ القرنِ الرابع لأنّ عادةَ المؤرّخين أن يعتمدوا في التصنيفِ والترتيب والتَطْبيق[2] سَنَةَ الوفاةِ ؛ ولو أنّهم اعتمدوا في هذا المَجالِ سَنَةَ الوِلادةِ لانتقلَ عند التأليفِ ، نفرٌ كثيرون من كلِّ عَصْرٍ الى العصرِ الذي سَبَقه .

ــ في بغداد وفارس :

أمّا في الأدبِ الخالص ، وفي الشعر خاصّةً ، فقدِ اتّسعَ وصفُ الطبيعة لجَمال

---

(١) الروسم طابع يطبع به ، والعلامة ، وخشبة مكتوبة بالنقر يختم بها . يجرون على رواسم : يقلدون الخصائص الظاهرة (اللفظية) من الأساليب المشهورة .

(٢) التطبيق : جعل الأشياء طبقات (بعضها فوق بعض) في عدد من خصائصها .

الطبيعةِ في شرقيِّ الدولةِ الإسلامية ولأنَّ الدولةَ البويهيَّةَ كانتْ دولةَ حضارةٍ ونعيمٍ وترَفٍ. من أجل ذلك كَثُرَ وصفُ الربيعِ والنيروز (عيد الربيع) والرياضِ والأزهار والفواكه. ولقدْ كان ذلك كلُّه معروفاً منذ أيامِ البُحتريِّ وابن الروميِّ، بل منذُ أيامِ بَشّارٍ وأبي نُواسٍ؛ غيرَ أن هذا الفنَّ القديمَ قد اتّسع الآنَ اتّساعاً كبيراً لأنّ الدولة البهويهيّة لم يكنْ لها فتوحٌ كبيرةٌ تقتضي شعْرَ العَظَمة والحماسة مثلاً. حتّى إنّ المتنبّي ـ شاعرَ العظمة والمعارك ـ لمّا مَدَحَ البويهيّين اعتاضَ عنِ الحماسةِ ووصفِ المعارك اللذين مــلأا شعْرَه عند سيف الدولة بوصفِ الطبيعة. أمّا التنافسُ الداخليّ بين البويهيين أنفسِهم فما كان الشعراءُ يذكُرونه كثيراً ـ إذ لم يكونوا يجسُرون على أن يذكروه ولا كان في مَصْلَحَتِهِمْ في التكسّبِ أن يذكُروه ـ ولا كان هو نفسُه موضوعاً جليلاً في الشعر.

وكَثُرَ الكلامُ في الرسوم الفارسية من النعيمِ والأعياد (كالنيروز والمِهْرجان) وفي الفخر بتلك الأحوالِ وبماضي الحَضارة الفارسية في المُلكِ والنَسَبِ أيضاً.

وظهر أثر التشيّع في الأدب في عصرِ البويهيّينِ ظهوراً كبيراً، غيرَ أنّ مُعْظَمَ هذا الاثرِ كان تعْبيراً عن آلامِ الشيعة منذُ مأساةِ الحُسين، كما نرى عندَ الشريفِ الرضيّ مثلاً وابن أبي حصينة المعري (ت ٤٥٧ هـ).

وقد كَثُرَ أيضاً وُرودُ المُجون في الأدبِ كَثْرةً كبيرةً. وإذا نحنُ اكْتَفَيْنا بالإشارة إلى «محاضرات الأدباء» للراغبِ الأصفهاني (ت نحو ٥٠٢ هـ) ـ وهذا الكتابُ يمثّــل القرنَ الخامسَ الهجريَّ، لأنّ صاحبَه وضَعه في ذلك القرن ـ أدْرَكْنا أن المُجونَ في القول والعمل كان قد أصبحَ عادةً لا يُسْتَحْيَى منهــا كثيراً. وكان المُجونُ يُذْكَرُ في مجالس الادب والقضاء ذِكْراً عاديّاً كأنّه موضوعٌ لا يتّصل بجانبٍ هو جانبٌ مستورٌ في حياة الناس.

ولكن لا بدّ من إعادة القولِ هنا بأن هذه الخصائصَ كانت موجودةً في النصف الثاني من القرن الرابع الهِجْري ـ وقبلَ ذلك أيضاً ـ ثمّ اتّسعَ القولُ فيها في النِصْفِ الأول من القرن الخامس.

ـ في الشام ومصر:

لم يكن بينَ خصائصِ الأدبِ في الشام ومِصْرَ وبينَ خصائصهِ في العراقِ وفارسَ اختلافٌ كبير، فقد كان الإسلام يَعُمُّ هذه الأقطارَ كلَّها، كما كانتِ

الأحوال الاجتماعية والسياسية متقاربة. غير أن الفارق الذي يمكن أن يكون وحيداً بين شرق الدولة الإسلامية وغربها إنما كان غلبة المذهب الفاطمي على مصر وعلى الشام في بعض الأحيان، ثم العنصر القومي الذي كان يبتعد في المشرق عن العصبية العربية. ومع أن المشرق كان ممزقاً بالنزاع بين المعتزلة والأشعرية، فان النزاع نفسه كان ذا مظهرين متقاربين في بعض الأحيان للمذهب السني. لقد كان المعتزلة والأشعرية يريدون الدفاع عن الإسلام السني (لأن الاعتزال والمذهب الأشعري كانا يدوران حول العقائد الإيمانية كما وردت في القرآن الكريم، ولم يتطرفا في الاعتقاد ولا خالفا أصول الفقه الاسلامي).

ازدهر الشعر في العصر الفاطمي ازدهاراً كبيراً لكثرة الثراء وللسخاء على الشعراء في بلاط الفاطميين في مصر وفي البلاد التابعة لمصر ثم لكثرة الإمارات في الشام. وكذلك ازدهر النثر الذي كان في الأكثر ترسلاً لاتساع ديوان الإنشاء الفاطمي خاصة. وقد كان في العصر الفاطمي رسائل إخوانية أيضا.

ومع أن شيئاً كثيراً من الشعر الفاطمي خاصة قد ضاع، فإن الذي بقي لنا منه يدل على وفرته في ذلك الحين. ويبدو أن قول الشعر كاد في ذلك العصر أن يكون عاماً: قاله الخلفاء وأهل بيتهم، وقاله الوزراء والكتاب وكثير من الأدباء. ثم كان هنالك جماعة من عوام الناس يقولون الشعر المثقف حيناً والشعر السخيف الضعيف احياناً كثيرة فيزيدون الثروة الأدبية في المقدار وفي التنويع.

ولعل أبرز خصائص الادب الفاطمي في الشعر خاصة امتلاء جانب كبير منه بالألفاظ الفلسفية والمعاني الباطنية الدائرة على تأليه الائمة الفاطميين، فالفاطميون لم يكونوا يكتفون بالاعتقاد بأن إمامهم مظهر للعقل وبالتالي للألوهية، بل كانوا يعتقدون أن إمامهم هو العقل نفسه، وهو الله ذاته، وإذا كانوا لا يريدون أن يقولوا ذلك تصريحاً، فإنهم كانوا يعنونه على كل حال. قال أبو الحسن علي ابن محمد الأخفش يمدح الإمام الفاطمي الحافظ (٥٢٥ - ٥٤٤ هـ):

بشر في العين، إلا أنه	من طريق العقل نور وهدى.
جل أن تدركه أعيننا،	وتعالى أن نراه جسدا.
فهو في التسبيح زلفى راكع	سمع الله به من حمدا.
تدرك الأفكار فيه بانياً	كاد من إجلاله أن يعبدا.



وقال المؤيّدُ في الدينِ داعي الدعاةِ الفاطميُّ يُخاطِبُ الإمامَ المُستَنْصِرَ (ت ٤٨٧ هـ) :

لستَ دونَ المَسيحِ : سَمّاهُ رَبّاً أهلُ شِرْكٍ ، ولا نُسمّيكَ ربّاً !

وقال شاعرٌ آخرُ في الإمام الفاطمي :

هذا أميرُ المؤمنين بمَجْلِسٍ أبصَرْتُ فيه الوَحْيَ والتنزيلا .
وإذا تَمَثّلَ راكباً في مَوْكِبٍ عايَنْتُ تَحْتَ رِكابِهِ جبريلا .

ومَعَ أنّ الفاطميّين يتأوّلون هذه الألفاظَ ليقولوا إنّها رموزٌ عن مَعانٍ أُخَرَ ، فإنّ في هذه الألفاظِ اعتقاداً بالحلول (حلول الله في البشر) واضحاً .

ومن أقبحِ ما اتّسخَ بهِ الشعرُ في العصر الفاطميّ كَثْرةُ المُجونِ والإقذاع في المعنى واللفظ وتقديمُ أشياءَ من القَذَرِ والسُخْفِ في مطالع قصائدِ المَديح حتى في أئمّةِ الفاطميّين أنفسِهم .

وكان للكتّابِ في دواوينِ الإنشاء مكانةٌ ساميةٌ وأعْطياتٌ سَنِيّةٌ . وكان الكتّابُ في العصر الفاطميّ يُطيلون مَطالعَ (مقدّمات) الرسائلِ ، ولا يُخْلونَ رسالةً من رسائلِهِمْ من ذِكْرِ رسولِ الله وآلِ بيتِهِ ومن القولِ بأن رسولَ اللهِ جَدُّ الائمّةِ الفاطميّين . ثمّ تَجِدُ في هذه الرسائلِ كثيراً من آياتِ القرآنِ الكريم مُسْتَشْهَداً بها على مُقْتَضَى الباطنِ ، كما تَجِدُ كثيراً من ألفاظِ الرَمْزِ الفاطمي بالإضافة الى تَكَلّفٍ كثيرٍ للسجع والاستعاراتِ والجِناس والتَوْرِيات .

* * * *

أبن عُمَير اليمني

١ – هُوَ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحسينِ بنِ عُميرٍ اليَمَنيُّ المَغرِبيّ ، يبدو أنّه وُلِدَ في اليَمَن . ولقد رَحَلَ إلى الشامِ فالى المَغرِبِ ثم دَخَلَ مِصْرَ واستَوْطَنَها .

ويَرْوُونَ أنّ ابنَ عُميرٍ اليمنيَّ قد أخذ العِلْمَ عن أبي جَعْفَرٍ أحمدَ بنِ محمّد ابن سَلامانَ الطَحاويّ المِصْريّ المُتوفّى سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) وعن أبي القاسم جَعْفَرِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ النَحْوي ؛ ويبدو لي أن أخْذَهُ عن الطَحاويّ مستبعدٌ جِدّاً إلاّ أن تكونَ سِنّهُ قد جاوزتْ المائةَ بمدّةٍ .

اتّصلَ ابنُ عُميرٍ اليمني بالدولة الفاطمية القائمة ودَرّس في دارِ العِلْمِ في القاهرة

واعتنقَ العقائدُ الفاطمية . وكانتْ وفاتُه سنَةَ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ – ١٠١٠ م) .

٢ – كان ابنُ عميرِ اليمنيُّ نحويّاً وأديباً ينظمُ الشعرَ في الأغراضِ من الحكْمة والهجاء . غير أنّه اشتهر بالتصنيف ، فمن تصانيفه كتاب التنبيه على بلاغات القرآن – أخبار النُحاة وطبَقاتهم ، وهو كتاب على طوله قليلُ القيمة لأنّ ابنَ عميرُ ترْجَمَ فيه لنفرٍ قليلين ولكنْ أطالَ الكلام عليهم – كتاب مُضاهاة أمثال كليلةَ ودمْنةَ بما أشْبَهَهُ من أشعار العرب .

فرَغَ ابنْ عُميرِ اليمني من تصنيف كتاب المُضاهاة بُعَيْدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) ثمّ قدّمه الى المُعزّ الفاطمي في مدينة المنْصورة (القطر التونسي) قبلَ انتقال المُعزّ الى القاهرة . وكانت غايـةَ ابنِ عُميرِ اليمنيّ من تأليفِ هـذا الكتاب أن ينْقُضَ القولَ بـأن كتابَ كليلةَ ودمنةَ منقولٌ عن اللغـة الفارسية وأن يُثْبتَ أن ابنَ المقفّع ألّف هذا الكتابَ ابتداءً من عند نفسه ولكن جاءَ به منسوباً الى الفُرْسِ . أما سبيلُ ابنِ عُميرِ الى إقامة الدليلِ على رأيه فكـان في أنْ ابنَ عميرِ يأتيَ بالرأي الحكيم في كتابِ كليلة ودمنة ثمّ يُوردُ بيتاً أو أكثرَ من الشعْرِ القديمِ فيه هذا الرأيُ الحكيمُ نفسُه دَلالةً على أن ابن المقفّع جاء بهذا الرأيِ من الشعر العربي لا من أقوال حكماء الفرس .

وهنا موضعُ ملاحظتينِ أولاهما أنّ أبياتاً كثيرةً ممّا يُورده ابنُ عميرِ اليمنيّ دليلاً على إثبات رأيه غيرُ معروفةٍ في دواوينِ الشعراء الذين تُنْسَبُ اليهم . وثانية الملاحظتين إنّ كثيراً من النُصوص التي أوْردَها ابنُ عميرِ من كتابِ كليلةَ ودمنةِ تختلفُ كثيراً أو قليلاً من النصوص المألوفة في ما بين أيدينا من نسخ كتاب كليلة ودمنة .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة كتاب المضاهاة (*)

... ولمّا رأيتُ كَلَفَ أهلِ عصرِنا بكتابِ كليلةَ ودمْنةَ ومواظبتَهم على قراءته والاحتيالَ لأبنائهم على حفْظه ودَرْسه ، بما موّهوا من الصُّوَر وأجْرَوْهُ مَجْرى السَّمَر(١) ليَلْهُوَ به فتْيانُهم ويتَقبَّلَه صِبْيانُهم ، وصدوفَهم عن كلامِ العربِ وحِكَمِها وتَفْتيشَهم عن مِثْلِ ما أعْجبَهم من أمثال هذا الكتاب معَ ما ينْضاف

(*) المضاهاة : المشاكلة ، المشابهة (الإتيان بشيء مشابه لشيء آخر) .

(١) موه الرجل الحديد أو النحاس : طلاه بفضة أو بذهب . موهوا من الصور : جعلوا صوره كثيرة ملونة . أجروه مجرى السمر : جعلوه قصصاً وأحاديث يقصونها في الليالي .

إلى ذلك من سُرْعة قبول النَّفسِ لِلكَلِمِ الموزونِ إذ كان ذلك مُشاكلاً لِلطِّباعِ وداخلاً في الإيقاع[1] .....

هذا ، على أنّه قد بَلَغَني أنّ عبدَ الله بنَ المُقَفَّعِ المُدَّعِيَ نَقْلَ هذا الكتاب مِنَ اللُّغَة الفارسية هُوَ واضعُه وناسِبُه إلى عِناية الفُرْسِ تَشْييداً بذِكْرِها وتَنْويهاً بمآثِرِها[2] . فانْ كانَ ذلك كما ذَكَرَ فَلِقائِلٍ أن يَقولَ : عبدُ الله بنُ المقفّع أخَذَ مَعانِيَ أشْعارِ حُكَماءِ العَرَبِ فَنَثَرَها[3] وألّفَ عليها هذا الكتاب .....

وبعدُ ، فنَحْنُ نُسَلِّمُ لابن المقفّعِ صِدْقَ ما حَكاه ونُضاهي أمثالَ[4] هذا الكتاب بِما رَوَيْناهُ من أشعارِ بعضِ العرب تَصديقاً لما قدّمْناه ؛ فكتابُ كليلة ودِمْنَةَ أصغرُ وأحقرُ من أن يُضاهى بأمثالِ كتابِ الله عزّ وجلّ .

فَلِذلكَ أحبَبْتُ أن أُنبِّهَ ذَوِي الألبابِ بِمُضاهاة أمْثال هذا الكتاب بما ضُمِّنَتْ مِثْلَه أشعارُ المُتَقَدِّمينَ من الجاهليّين والمُخَضْرَمين الذينَ لَمْ يُعْنَ (!) لهم بنَقْلِ حِكَمِ الأوّلين ولا خَرَجوا عن بَرِيَّتِهِمْ إلى الحَضَر ولا قرأوا كُتُبَ السياسة والسِيَر[5] . فاستَخْرَجْتُ الأمثالَ التي في كتابِ كَليلةَ ودِمْنَةَ من بين حَشْوِ كلامه وأحاديثه الجارية مَجْرى الاختلاف فكان جميعُ ما فيه منها عَشْرَ أوْراق ، وكانَ ما سواها هُذاءً وكالزَبَدِ يَذْهَبُ جُفاءً[6] . وجَعَلْتُ بإزاء كلِّ مَثَلٍ مِثْلَهُ من مَنْظوم شعرٍ لِمُتَقَدِّمٍ جاهليٍّ وفصيحٍ عَرَبيٍّ وذَكَرْتُ اسْمَه ونَسَبَه لِئلاّ يَظُنَّ جاهِلٌ بالشِعْرِ والشُعراء أنّي نَحَلْتُ أحداً ما ليس لَهُ لِلتَّعَصّبِ واحتجاجاً بالتَكَذّب .....

– نموذج من المضاهاة (ص ١٧) :

---

(١) الصدوف العزوف ، الزهد في الاشياء وتركها والانصراف عنها . مشاكل (بضم الميم) : مشابه ، موافق . الايقاع : وضع الالحان وتبيينها ، تفصيل الانغام .

(٢) المآثر : الاعمال الحميدة .

(٣) نثر (الاشعار) : حلها ، قلبها من المنظوم الى المنثور .

(٤) الامثال (القصص ذات المغزى والعبر) ثم الاقوال الجامعة والحكم .

(٥) الجاهليون : الذين كانوا قبل الاسلام . المخضرمون : الذين شهدوا أواخر الجاهلية وأوائل العصر الاسلامي . لم يعن لهم بنقل حكم الاولين : لم يهتم أحد بأن ينقل لهم تلك الحكم الخ . البرية : البادية ، المكان البعيد عن العمران . الحضر : اجتماع الناس في المدن . السير جمع سيرة : تاريخ الفرد من عظماء الرجال .

(٦) الهذاء : الهذيان ، الكلام المختلط الذي لا يدل على معنى . الجفاء : البعد . يذهب جفاء : يذهب به بعيداً ، يذهب باطلا (بلا فائدة) . احتجاجاً : لئلا يظن أحد (اذا رويت الشعر من غير أن اثبت اسم قائله الخ) أني أكذب .

قال صاحبُ الكتاب[1] : : يُقال اذا لَقِيَ اللاقي عَدُوَّه في المواطنِ التي يَعْلَم أنّه غير ناجٍ منْهُ فيها كان حَقيقاً بالمُقاتلة كَرَماً وحِفاظاً[2] ؛

قال الاصمّ بُكَيْرٌ يومَ ذي قارٍ :

إذا كُنْتَ تَخْشى من عَدُوِّكَ صَوْلَةً ولم تَسْتَطِــعْ دَفْعاً له حينَ يُقْدِمُ ،[3]
فقاتِلْ حفاظاً أو فَمُتْ مَوْتَ فارسٍ ؛ ولَلْمَوْتُ في أمثالِ هاتيكَ أكرم[4] .

— ولابنِ عميرٍ اليمنيّ أربعةُ أبياتٍ زَعَمَ أنّه ليس لها بيتٌ خامسٌ على حَرْفِ رَوِيّها (الوافي بالوفيات ٢ : ٣٨٠) :

أسْقَمَني حُبّ مَنْ هَوِيتُ فقد صِرْتُ بِحُبِّه في الهوى آيَــهْ .
يا غايةً في الجَمالِ صوّرَهُ اللهُ ، أمــا لهذا الصُدودِ من غــايه[5] ؟
تَرَكْتَني لِلسَّـقامِ مُشْتَهِراً أشْهَرَ للعالَمِــينَ من رايــه .
أُحبّ جيرانَكُمْ من أجْلِكُمُ ، بحُجّةِ الطِفْلِ تَشْبَعُ الدايــه[6]

— لَعلّ البيتينِ اللذينِ رَواهما ابنُ خلّكان لأبي عبدِ الله الحسين بــنِ اليَمني الشاعرِ المَشْهور صاحبِ الرسالةِ المشهورة (وفيات الاعيان ٥٥٢ — ٥٦) هما لابنِ عُميرٍ اليمني هذا :

أُنْبِئْتُ أنّك قد أتَتْكَ قوارِصٌ عَنّي ثَنَتْكَ على الضمير الواجدِ[7] ؛
عَمِلَتْ رُقى الواشينَ فيك ، وإنّها عِنْدي لَتَضْرِبُ في حديدٍ باردِ ![8]

٤ — مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م .

** الوافي بالوفيات ٢ : ٣٧٩ — ٣٨٠ ؛ بغية الوعاة ٣٧ — ٣٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٠٢ ؛ زيدان ٣ : ٨٠ — ٨١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٢٩.

---

(١) أي عبد الله بن المقفع صاحب كتاب كليلة ودمنة .

(٢) الحفاظ : الدفاع عن النفس أو الشرف أو القبيل (قوم الرجل) .

(٣) الصولة : الهجمة ، الوثبة ، السطوة . يقدم : يهجم .

(٤) في أمثال هاتيك — في القتال للدفاع عن النفس …

(٥) غاية : نهاية .

(٦) الداية : المرضع الأجنبية ، الحاضنة (المعجم الوسيط ١ : ٣٠٥ ، السطر الأخير) . « بحجة » الطفل تشبع الداية » يبدو أنه مثل من أمثال العوام (تعطى المرضع الطعام الكافي حتى تتمكن من ارضاع الطفل ارضاعاً كافياً .

(٧) أتتك (بلغتك) قوارص (من الكلام : ما يسيء اليك ويؤلمك) عني (زعموا أنني أنــا قلتها) ثنتك (طوتك) على الضمير الواجد (الغضبان) = جعلتك تضمر لي حقداً .

(٨) الرقى جمع رقية (بضم الراء : كلام خرافي زعموه يؤثر في الانسان خيراً أو شراً) . الواشي : الذي ينقل =

أبو الفتح البستي

١ – هو أبو الفتح عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ يوسفَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ البُستيُّ ، نِسبةً الى بُست من بلادِ كابُل (الأفغان) بين هَراة وغَزْنه .

لعلَّ مولدَ أبي الفتحِ البُستيِّ كان في نحو سَنَةِ ٣٣٠هـ (٩٤١م). وقد قرأ الحديثَ على محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ حِبّانَ البُستيّ (ت٣٥٤ = ٩٦٥م) ثمَّ حَمَدِ بنِ محمَّدِ بنِ ابراهيمَ الخطّابيِّ البُستيِّ (ت نحو ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) – وكان مُحدِّثاً وشاعراً – وأصبح صديقاً له .

بدأ أبو الفتح البُستي حياته العَمَليّة مُعلِّماً للصبية في بُست، ثمَّ ما لَبِثَ أن أصبح كاتباً لدى بايتوز (والي بست) . فلمّا استولى سُبُكْتُكينُ على بست (سنة ٣٦٦ هـ) دخل البستي في خِدمتـه . وقد حَدَثَتْ وحشة بينَه وبينَ سُبُكْتُكينَ فنفاهُ سبكتكينُ الى منطقةِ روهَجَ أو رُخّاجَ (قربَ نَيْسابور) ، ثمّ رَضِيَ عنه فاستدعاه . وبَقِيَ البُستيُّ في خِدمة الدولة الى أيامِ محمودِ الغَزْنَويِّ بنِ سبكتكينَ . بعدئذٍ وقعتِ الوحشةُ بينَه وبينَ رجال الدولة من جديدٍ فآثرَ أن ينتقلَ الى بلادِ التُرك (وراءَ نهر جَيْحونَ) حيثُ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٠١هـ (١٠١٠ م) في مدينةِ بُخارى أو أوزجند .

٢ – البُستيُّ شاعرٌ بارعٌ وكاتبٌ مُجيدٌ صاحبُ الطريقةِ الأنيقة والتجنيسِ الأنيسِ البديعِ التأسيسِ ، وهو كثيرُ التجنيس والتسهيم (الموازنة في الجملة بين الكلمات وبين صِيَغِ تلك الكلمات أيضاً) في نثره وشعره . واشتهرَ البستي بقصيدتهِ « زِيادةُ المرء » في الحكمةِ ، وقد شَرَحَها نَفَرٌ من الأدباء .

٣ – مختارات من آثاره :

– من القصيدة النونية المشهورة :

زِيادةُ المرء في دنياه نُقصانُ ، وربحُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسرانُ.

ومنها :

أحْسِنْ الى الناس تستعبدْ قلوبَهُمُ ، فطالما استْعبدَ الإنسانَ إحسانُ .

= الكلام بين اثنين للايقاع بينهما (المبغض) . – عملت رقى الواشين فيك : أثرت (صدقت أنت ما قيل لك عني) . تضرب في حديد بارد = بلا فائدة .

وكنْ على الدهرِ مِعواناً لذي أمـلٍ ... يرجو نَداكَ ، فإنّ الحرّ مِعوان .

واشدُدْ يَدَيْكَ بحبلِ الله مُعتصماً ، ... فإنّه الركنُ إنْ خانَتْكَ أركان .

منْ جاد بالمالِ مالَ الناسُ قاطبـةً ... إليه ؛ والمـالُ للانسان فتّـان .

مَنْ يَزْرَعِ الشرَّ يَحْصُدْ في عواقبهِ ... ندامةً ؛ ولحَصْدِ الـزرع إبّان .

مَنِ استنام الى الأشرار نام وفي ... قميصهِ منهـم صِلٌ وثُعبـان .

أحْسِنْ اذا كان إمكانٌ ومَقْدِرةٌ ؛ ... فلنْ يدومَ على الإنسان[1] إمكان .

لاظِلَّ للمرء يَعرى من نُهىً وتُقىً ، ... وإنْ أظلّتْهُ أوراقٌ وأغصان .

فالناس أعوانُ من وَالَتْهُ دولتُه ؛ ... وهم عليه ، إذا عادَتْهُ ، أعوان .

لا تَحْسَبِ الناسَ طبعاً واحداً ، فلهمْ ... غرائـزٌ لست تَدْريهـا وأركان .

اذا نبا بكريمٍ موطنٌ فلَـهُ ... وراءه ، في بسيطِ الارض ، أوطان .

يا نائماً ، فَرِحاً بالعزّ ساعَدَهُ ؛ ... إن كنتَ في سِنَةٍ[2] فالدهر يقظان .

لا تَحْسَبَنّ سروراً دائماً أبداً ؛ ... من سرّه زمنٌ ساءتْه أزمـان .

إذا جفاك خليلٌ كنتَ تألَفُـهُ ... فاطْلُبْ سِواه ، فكلّ الناس إخوان .

وان نَبَتْ[3] بكَ أوطانٌ نشأتَ بها ... فارْحَلْ ، فكلّ بلاد الله أوطان .

— ومن مقطوعاته القصيرة البارعة معنى وتجنيسا :

وقد يَلْبَسُ المرءُ خزَّ الثيـابِ ... ومن دونهِ حالُه مُضْنِيَـهْ[4] .

كمَنْ يكتسـي خدُّه حُمْـرةً ... وعِلّته وَرَمٌ في الـرئَهْ[5] .

— اذا تحدّثتَ في قوم لتُؤْنِسَهُمْ ، ... بما تُحَدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ ،

فلا تَعُدْ لحديثٍ ؛ إنّ طبعَهُـمُ ... مُوكّل بِمُعاداة المُعادات[6] !

— قلْ للأمير ، أدام ربّي عِـزَّه ... وأنالَهُ من فَضله مَكْنونَهُ :

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : فلن يدوم على « الاحسان » إمكان .

(٢) السنة (بكسر السين وفتح النون) : النعاس ، أول النوم ، الاستغراق في النوم .

(٣) نبا جنبه عن الفراش : لم يطمئن فيه . نبا به المنزل (والوطن) : لم يوافقه .

(٤) الخز : الحرير . ومن دونه : تحت الثياب الحرير (الانسان نفسه) .

(٥) في مرض الرئة (السل) يظهر على الخد الشاحب جمرة متحلقة غير شائعة في الوجه كله .

(٦) المعادات (جمع معادة : قصة مروية مرة بعد أخرى) .

إنّي جنَيْتُ ، ولم يزَلْ أهلُ النُّهى يَهَبُونَ للخُدّام ما يَجْنُونه[1] .
ولقد جمعتُ من العيوبِ فنونَهـا ، فاجمعْ من العَفْوِ الكريم فنونه .
من كان يرجو عفوَ من هو فوقَــه عن ذنبِه ، فَلْيَعْفُ عن مَنْ دونه .
– ومن نثره البارع أيضاً :
من أصلح فاسدَهُ أرغم حاسده . من أطاعَ غضبَهُ أضاع أدبه . عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ . مِنْ سعادة جَدِّك[2] وقوفك عند حَدِّك . الرّشوةِ رِشاء[3] الحاجات . أجهلُ الناس من كان للإخوان مُذِلاً وعلى السلطان مُدِلاً[4] . الفهم شُعاع العقل . المَنيّةُ تَضحكُ من الأُمْنيّة[5] .

٤ – ** يتيمة الدهر ٤ : ٣٨٤ – ٤١١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٢ – ٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٩ – ١٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩١ – ٢٩٢ ، الملحق ١ : ٤٤٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٨٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٤ .

أبو بكر الباقـــلاني

١ – هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ الطيّبِ بنِ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ القاسمِ الباقِلاّنيُّ أو ابن الباقلاّنيّ ؛ كان مولـــده في البصرة ، بُعيد ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) في الاغلب[6] ونشأ في بغداد . تلقّى الباقلاّنيُّ العلمَ عـــلى أتباع أبي الحسنِ الاشعريّ كأبي الحسن الباهلي البصري (ت ٣٧٠ هـ) وأبي عبد الله الطائي ؛ وأخذ الحديثَ عن أبي بكرِ القَطيعي (ت ٣٦٨ هـ) وعلمَ الاصولِ عن أبي عبد الله الشيرازي (ت ٣٧١ هـ) والفِقهَ عن أبي بكرِ الأبهري شيخِ المالكية في عصره (ت ٣٧٥ هـ) .
استقدم عَضُدُ الدولة البويهيُّ ، نحو سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ – ٩٧١ م) ، أبا بكرٍ

---

(١) جنى : قطف الزهر أو التمر . جنى : أذنب . الخادم : الأجير . الخادم (الموظف ، الوزير في بعض الأحيان) . يهبون للخدام ما يجنونه (تورية) : يتنازلون لخدامهم عن نتاج أرضهم – يعفون عن ذنوبهم.
(٢) الجد : الحظ .
(٣) الرشاء : الحبل يستخدم في رفع الماء من البئر .
(٤) أدل : أظهر الطمع أو الدلع وكانت له جرأة على المحب أو على الصديق .
(٥) المنية : الموت . الأمنية : الأمل ، الرغبة .
(٦) لما رغب عضد الدولة في استدعاء الباقلاني الى شيراز كان الباقلاني شاباً ولكن مشهوراً بأنه من رجال علماء الاشعرية وفرسان علم الكلام . وجاء عضد الدولة الى الحكم سنة ٣٣٨ هـ ولكنه كان أولا تحت وصاية أبيه . ولعل بلاط عضد الدولة لم يبرز في عالم الفكر والادب الا بعد ٣٥٠ هـ . وقد زار المتنبي عضد الدولة سنة ٣٥٤ هـ .

الباقلانيّ من البصرة الى شيراز . ولمّا تغلّب الباقلانيّ في مجلس عَضُد الدولة على الذين ناظروه من أئمّة المعتزلة علتْ منزلته جدّاً، ثم لمّا دخل عضد الدولة بغدادَ وتولّى فيها مَنْصِبَ أمير الامراء (٣٦٧ هـ) كان الباقلانيّ في صحبته .

وسَفَرَ الباقلانيُّ لعَضُدِ الدولة الى باسيليوس الثاني مَلِكِ الروم ، نحو سنة ٣٧١هـ، للمفاوضة في سبيل سِلْمٍ أو تبادلِ أسرى؛ في هذه الأثناء ناظر علماء النصرانية، في بلاط القسطنطينية وبحضور الملك ، وتغلّب عليهم .

وفي العام التالي عاد الباقلانيُّ الى بغدادَ وتولّى القضاء في بلدة عُكْبُرةَ ؛ وكان أيضاً يتصدّرُ للتدريس .

وكانت وفاةُ أبي بكر الباقلانيّ في بغدادَ في ٢٣ من ذي الحجّة ٤٠٣ هـ (٥/٦/١٠١٣ م) في الأغلب .

٢ ـ كان القاضي أبو بكرٍ الباقلانيُّ فقيهاً كبيراً وأصولياً متعمّقاً ومن المتكلمين والنُظّار المعدودين انْتَهَتْ إليه رئاسةُ المذهب الأشعريّ في زمانه . وكان يُطيل في الجدال ويُجيد الاستنباطَ مَعَ الإسراع في الجواب . ثم هو من أعلام الأدب والبلاغة القادرينَ على المُوازنةِ بين الأساليب والتراكيب مَعَ نظر ثاقب في مواطن القوّة والضعف فيها . والباقلانيّ يرى أن اللُغَةَ العربيةَ فوقَ اللغاتِ الأعجمية ، وأنّ القرآنَ الكريم فوق جميع ما قاله العرب . ومَعَ أنّ القرآنَ ليس من جنسِ كلام العرب (ليس من نوع الكلام الذي يَنْظُمونه ويَنْثُرونه في العادة) فانّه ليس أعجمياً . وإعجاز القرآن قائمٌ ، في رأي الباقلانيّ ، على استواء التعبير في جميع الأغراض التي وردت في القرآن مَعَ جودةِ اللفظ وصفاء التركيب .

للباقلاني من الكتب : إعجاز القرآن ـ تمهيد الدلائل وتلخيص الأوائل ـ كتاب الانتصار لصحّة نقل القرآن والردّ على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان ـ كتاب الاستبصار في القرآن ـ كتاب الانصاف في مسائل الخلاف ، الخ[1] .

٣ ـ المختار من آثاره

ـ من كتاب إعجاز القرآن (القاهرة ، دار المعارف ، ٥٤ ـ ٥٦) :

.... انّ عَجيبَ نَظمهِ وبديعَ تأليفه لا يتَفاوتُ ولا يتَبايَنُ ، على ما يتَصَرّف

(١) راجع ثبتاً بمؤلفات القاضي الباقلاني في اعجاز القرآن (دار المعارف) ، ص ٤٢ ـ ٥٦ .



إليه مِنَ الوُجوه التي يتصَرّفُ فيهـا : من ذِكْرِ قِصَصٍ ومواعظَ واحتجاجٍ ، وحِكَمٍ ، وإعذارٍ وإنذار ، ووعدٍ ووعيد .... ونَجِدُ كلامَ البليغِ الكاملِ والشاعرِ المُفْلق والخطيب المِصْقَع يختلفُ على حَسْبِ هذه الأمور ؛ فمِنَ الشعراء من يُجَوِّد في المدحِ دونَ الهجاء ، ومنهم من يُبَرِّز في الهَجْو دون المديح .... ومنهم من يُغْرِبُ في وصف الإبل أو الخيل .... أو وصف الخَمْر أو الغَزَل ..... ومتى تأمّلتَ شعرَ الشاعرِ البليغ رأيتَ التفاوُتَ في شعرِهِ على حَسْبِ الأحوالِ التي يتصرّف فيها فيأتي بالغايةِ في البَراعة في مَعْنىً ؛ فإذا جاء الى غيرِهِ قَصَّر عنه وبانَ الاختلافُ على شعرِهِ ....

وقد تأمّلنا نَظْمَ القُرآنِ فوجدْنا جميعَ ما يتصرّف فيه من الوُجوه التي قدّمنا قد ذَكَرها على حَدٍّ واحدٍ في حُسْنِ النظم وبَديع التأليف والرَّصْف لا تَفاوتَ فيه ولاانحطاطَ عن المنزلة العُليا... وكذلك فد تأمّلنا ما يتصرّفُ اليه(من!) وجوه الخطاب، من الآياتِ الطويلةِ والقصيرةِ ، فرأينا الإعجاز في جميعِها على حدٍّ لا يختلفُ. وكذلك قد يتفاوتُ كلامُ الناسِ عند إعادة ذِكْرِ القِصة الواحدةِ تفاوُتاً بيّناً ويختلفُ اختلافاً كبيراً . ونظرنا في القرآنِ فيما يُعادُ ذِكْرُهُ من القِصةِ الواحدةِ فرأيناه غيرَ مختلفٍ ولا متفاوت ، بل هُوَ على نهايةِ البلاغة وغاية البراعة ، فعَلِمْنا بذلك أنه مما لا يَقْدِرُ عليه البشرُ ، لأنَّ الذي يَقْدِرون عليه قد بَيّنا فيه التفاوُتَ الكثيرَ عِنْدَ التكرارِ وعند تبايُنِ الوُجوهِ واختلافِ الأسبابِ التي يتضمّن .

٤ - اعجاز القرآن (على هامش الاتقان للسيوطي) ، القاهرة ١٣٤٩هـ ؛ القاهرة (عطا الله الجزّار) ١٣١٥ هـ ؛ (شرح وتعليق محمّد عبد المنعم خفاجيّ) ، القاهرة (مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح) ١٩٥١ م ؛ (تحقيق سيّد أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م.

الانصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (عني بنشره عزّة العطّار) ، القاهرة ١٩٥٠ ؛ (تحقيق محمّد زاهد الكوثري) ، القاهرة ١٣٦٩هـ(١٩٥٠ م) ، الطبعة الثانية القاهرة (موسّسة الخانجي) ١٩٦٣ م .

كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات (عني بنشره ريتشرد يوسف مكارثي) ، بغداد (منشورات جامعة الحكمة - سلسلة علم الكلام ، رقم ١) ؛ بيروت (المكتبة الشرقية)١٩٥٧ م ؛بيروت (المكتبة الشرقية) ١٩٥٨ م .

التمهيد في الردّ على الملحدة والمعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة (ضبطه محمود محمّد الخضيري ومحمّد عبد الهادي أبي ريدة) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

** تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ — ٣٨٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٨ — ٢٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٦٨ — ١٧٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢١١ ، الملحق ١ : ٣٤٩ ؛ زيدان ٢ : ٣٨٢ — ٣٨٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٥٨ — ٩٥٩ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٥٩ — ٨١ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٤٦ .

قابوس بن وشكمير

١ — هو الاميرُ شمسُ المعالي قابوسُ بنُ أبي طاهرٍ وَشْكَميرَ بنِ زِيارِ بن وَرْدانَ شاه الجيليّ الدَيْلميّ .

في المُحَرّم من سَنَةِ ٣٥٦ كان ظهيرُ الدولةُ أبو منصورٍ وشكميرُ بن زيار (أميرُ جُرجانَ وطَبَرستانَ وما حولهما) في الصيد فوقع عن فرسه فلاقى حَتْفَهُ، فخلفه ابنه بيستون . وفي شعبان من سنة ٣٦٦ (٩٧٧ م) توفّي بيستونُ، فأرادَ أنصارُه أن يُمَلّكوا بعدَه ابنَه، وكان طِفْلاً صغيراً، فاستطاع قابوسُ (ابنُ وشكميرَ وأخو بيستونَ) أن يَستَوْلِيَ على الإمارة بالقوة .

وكان بينَ البُوَيْهيّين وبينَ أمراء جُرجانَ نزاعٌ قديمٌ استمرّ الى أيام قابوسَ ثم استطاع فخرُ الدولة أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُويهِ (أميرُ الريّ وهَمَذانَ وإصْبَهان) أن يتغلّبَ على قابوسَ (٣٧١ هـ = ٩٨١ — ٩٨٢ م) وأن يُقْصيَهُ عن مُلْكه . ثم مات فخرُ الدولة (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) فاسترد قابوسُ ملكه في شهر شَعْبانَ من سنة ٣٨٨ (صيف ٩٩٨ م) .

ويذكر المؤرخون أن قابوسَ كانَ كثيرَ الاستبدادِ ظاهرَ القَسْوةِ فثار عليه جُنْده ثم خلَعوه ونَصبوا مكانَه ابنه مَنُوجِهْرَ، سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م)، ولكنّهم خافوا أن يعودَ فيستوليَ على الملك وينتقم منهم فقتلوه في شهر ربيعٍ الآخَر من سنة ٤٠٣ نفسها .

٢ — كان قابوسُ بنُ وَشْكَميرَ عالماً أديباً له مشاركةٌ في شيءٍ من علم الفلك، كما كان شاعراً ظريفاً مُقِلاً وكاتباً مُتَرسِّلاً ؛ والصناعة في شعرِه أقلّ من الصناعة في نثرِه . وهو يُغْرِبُ في الاستعاراتِ خاصّةً فيأتي بالبارع منها كثيراً وبغير البارع قليلاً . وله في نثرِه فصولٌ (أقوالٌ حكيمة موجزة) .

٣ — مختارات من آثاره

— من الأبياتِ المشهورةِ التي تُنْسَبُ الى قابوسَ بنِ وَشْكميرَ قولٌ يَصِفُ



تصرّفَ أحوالِ الدهر بالناس :

قُلْ للّذي بصروفِ الدهرِ عيّرنا : هل حاربَ الدهرُ إلاّ مَنْ له خطرُ؟
أما ترى البحرَ تعلو فوقَه جيَفٌ ، ويستقرّ بأقصى قعْـره الدُرَر ؟
فإنْ تكُنْ نشبتْ أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه الضرر ،
ففي السماء نجومٌ ما لها عددٌ ؛ وليس يُكسَفُ إلاّ الشمسُ والقمر !

– ومن الفصول البارعة لقابوسَ بنِ وَشْكميرَ :

• الكريمُ اذا وَعَدَ لم يُخْلِفْ ، واذا نهض لفضيلة لم يَقِفْ . اذا سمَحَ الدهرُ بالحِباء فأبشر بوشْك الانقضاء ، واذا أعارَ فاحسُبْهُ قَدْ أغار . كلّ غمٍّ إلى انحسارٍ ، وكلّ عالٍ الى انحدارٍ . غايةُ كلّ متحرّك سكونٌ ، ونهايةُ كلّ متكوّن ألاّ يكون ؛ وآخِرُ الأحياء فَناءٌ ، والجزَع على الأموات عَناء ؛ واذا كان ذلكَ كذلك ، فلِمَ التهالُكُ على هالك ؟

– من رسالة لقابوسَ بنِ وشكميرَ إلى بعض إخوانه :

• كتَبْتُ – أطالَ اللهُ بقاءَ مولايَ – وما في جِسْمي جارحةٌ الاّ وهيَ تَوَدُّ لو كانتْ يَداً تُكاتِبُه ولِساناً يُخاطبه وعَيْنا تُراقبه وقَريحةً تُعاقبه(١) ، بنَفْسٍ وَلْهى وبصيرةٍ وَرْهى وعَيْنٍ عَبْرى وكَبِدٍ حرّى(٢) ، مُنازعةً إلى ما يُقرّبُ منه ..... فلْيَرِقّ لِكَبِدٍ قذَفَها البِعادُ وعينٍ أرّقها السُهادُ وأحشاءٍ مُحرَقةٍ بنار الفِراق وأجفانٍ مقروحةٍ بدَمْعِها المُهَراق .....

٤ – كمال البلاغة (مجموع رسائله) (جمعها عبد الرحمن بن عليّ اليزدادي ونشرها نعمان الأعظمي ومحبّ الدين الخطيب) ، (على نفقة المكتبة العربية في بغداد) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤١ هـ .

كتاب النصيحة المعروف باسم قابوس نامه (تعريب محمّد صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٨ م .

** يتيمة الدهر ٤ : ٥٦ – ٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ – ٣٨٣ ؛ معجم الادباء ١٦ : ٢١٦ – ٢٣٣ ؛ ابن الاثير ٩ : ٢٣٨ – ٢٤٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٧٥ – ١٧٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٦٨ – ١٧٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٥٤ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٧٧ – ٢٨٩ ؛ م م ع ع ٣ : ٩ (أيلول – سبتمبر ١٩٢٣ م) ؛ ص ٢٧١ ثمّ ٣ : ١ (تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٢٣ م) ص ٢٣٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٥٨ – ٩٥٩ ؛ الأعلام الزركلي ٦ : ٣ .

---

(١) تسير على اعقابه (تتبع اعماله وأفكاره) .
(٢) ولهى : حزينة . ورهى : حمقاء . عبرى : دامعة . حرّى : يابسة من عطش أو حزن .

أبو الحسن البتي الكاتب

١ ــ هو أبو الحسن أحمدُ بنُ علي البَتّيّ ، من أهل العراق فيما يبدو . قرأ القرآنَ الكريم على شيوخ عصره ومنهم زيدُ بن أبي بلال وسَمِعَ الحديث، كما تلقّى كثيراً من فنون اللغة والعلم .

ولمّا هرَبَ أحمدُ بنُ اسحقَ بن المقتدر من الخليفة الطائع لله ، سَنَةَ ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) الى البطيحة (ما بين واسطَ والبصرة ، جنوبيّ العراق) واحتمى بها ، كان البتّي معَه يكتُبُ له. ثمّ تولّى أحمدُ بنُ اسحقَ الخلافةَ باسم القادر بالله ، سَنَة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) فجعل البتّيَّ صاحبَ الخبَر والبريد في ديوانه .

وكان بينَ البتّي وبينَ الوزراء والوجهاء مودّةٌ ومطارحاتٌ لحسن معاشرته وكثرة ما يُورده من النوادر حتّى توصّلَ الى منادمة فخر المُلْك أبي غالب محمّد بن عليّ (ت ٤٠٧هـ) وزير بهاء الدولة بن عَضُد الدولة البُويهيّ . ولمّا توفّي البتّيُّ رثاه الشريفُ الرّضيّ والشريف المرتضى .

وكانتْ وفاةُ البتّي في شعْبانَ من سَنَةِ ٤٠٥ (أوائل ١٠١٥ م) .

٢ ــ كان أبو الحسن أحمدُ بنُ عليٌّ البتّيّ حافظاً للقرآن حَسَنَ التلاوة مُلِمّاً بعدَد من فنون الأدب والعلم يكتُبُ خطّاً مليحاً ، كما كانت له معرفةٌ بالغناء وصنعته. ثمّ انّه كان يذهبُ في أصول الدين مذهبَ المُعتزلة ويذهب في فروع الفِقْه مذهبَ أبي حَنيفةَ . وكذلك كان حَسَنَ المذاكرة مُحيطاً بالأخبار والآداب ظريفاً .

وكان له نَظْمٌ وترَسُّلٌ، وشعرُه عاديّ أحياناً، متينٌ بارعٌ في بعض الأحيان. وكان يتعصّب للطائيّين ، ولكنْ يُفَضِّلُ البحتريَّ على أبي تمّام . وله تصانيفُ منها : القادري ــ العَميدي ــ الفَخْري .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ أمرَ فخرُ المُلك أبو غالب بإرسال مِائتَيْ دينار معَ رسالة غُفْلٍ الى البتّيّ ، فأخذ البتّيُّ المالَ وكتب على ظهر الرسالة :

« مالٌ لا أعرِفُ مُهديَهُ فأشكرَ له ما يُوليه ، إلاّ أنّه صادفَ إضاقةً دعَتْ الى أخذه والاستعانة به في بعض الأمور ، وقلْتُ :

ولم أدْرِ من ألْقى عليـه رِداءه ؛ سوى أنّه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْض

واذا سهّلَ اللهُ اتّساعاً رَدَدتُ النعوَضَ مَوْفوراً ، وكان المُبتدىءُ بالبِرِّ مشكوراً » .

– وقال في تعليلِ احمرارِ العينِ مِنْ أثرِ البُكاء أحياناً عند خَجَـلِ صاحبِها من أن يراها المحبوبُ تنظرُ الى وجه محبوبٍ آخرَ :

ما احمرّتِ العينُ من دَمْعٍ أضرَّ بها في عَرْصَتَيْ طَلَلٍ أو إثْرَ مُرْتَحِلِ ؛

لكنْ رآها الذي تَهْوى– وقد نَظَرَتْ في وجهِ آخرَ– فاحمرّتْ منَ الخَجَلِ !

– وللبتّي قصيدةٌ يمدح بها ابن صالحانَ منها :

سأسْتَعْتِبُ الدهرَ الخؤونَ بِسَيِّدٍ يَرُدُّ جِماحَ الدهرِ إذ هو قائدُهْ ؛

سواءٌ عليه طارفُ المـالِ في النَدى – إذا ما انتحاه السائلون – وتالده !

– وللبتّي أيضاً قصيدةٌ أخرى في صالحانَ منها :

مِنْ مَعْشَرٍ وَرِثوا المكارمَ والعُلا وتَقَسّموها كابـراً عن كابرِ .

قومٌ يقومُ حديثُهم بقديمِهم ، ويسيرُ أوّلُهم بمجـدِ الآخِرِ .

٤ ** تاريخ بغداد ٤ : ٣٢٠ ؛ معجم الادباء ٣ : ٢٥٤ – ٢٧٠ ؛ الوافي بالوفيات : ٧ : ٢٣١ – ٢٣٤ ؛ الأعلام الزركلي ١ : ١٦٥ ؛ ابن الأثير ٩ : ٣٥١ .

أبن نباتــة السعدي

١ – هو أبو نصرٍ عبدُ العزيزِ بن عُمَرَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نُباتةَ السَعديُّ ، كان مَوْلده في بغدادَ ، سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) . قال ابن خلّكان (١ : ٥٢٨) عن ابن نُباتة إنّه « طافَ البلادَ ومدح الملوكَ والوُزراء والرؤساء ، ولهُ في سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ غُرَرُ القصائدِ ونُخَبُ المدائح » ؛ ولكنّه لم يَشْهَدْ مِنْ حُكْمِ سيفِ الدولة نفسه سنينَ كثيرةً : لمّا ضَعُفَ البَلاطُ الحَمْدانيُّ بعدَ سيفِ الدولة غادره ابنُ نُباتَةَ الى المشرق فوصل الى الريّ ومدح فيها ابنَ العميدِ المشهورَ فمَطَلَه ابنُ العميد. ثم إن ابنَ نُباتةَ عَتَبَ على ابن العميد ولم يُفِدْهُ ذلك العتاب شيئاً (وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٤ – ٤٦٦).

* البيت لأبي خراج الهذلي ، راجع تاريخ الأدب العربي ١ : ٤٧١ .

وتُوُفِّيَ ابنُ نُباتةَ السَّعديُّ في بغدادَ في ٣ شوّال ٤٠٥ (١/ ٣/ ١٠١٥ م).

٢ ـ ابنُ نُباتةَ السَّعديُّ ناثرٌ صاحِبُ رسائلَ ومقاماتٍ وشاعرٌ مُكْثِرٌ؛ ومعظمُ شِعره جيّد يَجْمَعُ حُسْنَ السبكِ إلى جودة المعنى مع السّلاسة والرقّة. وله أبياتٌ سائرةٌ منها:

ومَنْ لم يَمُتْ بالسيفِ ماتَ بغيرهِ؛ تَنَوَّعَتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ!

وابن نباتة السّعديُّ مصنِّفٌ له كتاب المفاوضة.

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابن نُباتةَ السعديّ في الدنيا ولذّاتها:

ودارٍ يُغَرُّ بها أهلُها غرورَ المُحِبِّ بطيفِ الحُلُمْ.
تأمُّلُها يَقْظةٌ من كرًى، ولذّتُها راحةٌ من ألَمْ.
عَناءُ الحياةِ ورَوْح الوفا ةِ: تقاربَ وُجْدانُها والعدم.

ـ وقال في دلالة المظاهر على الحقائق:

وهل يَنْفَعُ الفِتْيانَ حُسْنُ وُجوهِهِمْ إذا كانت الأعراضُ غيرَ حِسانِ؟
فلا تَجْعَلِ الحُسنَ الدليلَ على الفتى؛ فما كلُّ مصقولِ الحديدِ يمانِ!

ـ وقال يَنْسِبُ بسُعْدى ويذكر نواحيَ الشام ثم يَعْطِفُ على وصف الخمر:

أشتاقُ غُوطةَ داريّا، ويُعْجِبُني ـ على افتقاريَ ـ أنْ تَغْنَى مَغانيها.
لَهْفي على شَرْبة من ماء جُوسيَةٍ، ونَظْرة يُدْرِكُ الجَوْلانَ رائيها[1]؛
ونَفْحة من صَبا لُبنانَ خالصة تُميت غُلّةَ نفسٍ أو تُداويها.
يا دَهْرُ، لا غَفَلاتُ العيشِ عائدةٌ ولا الشبابُ الذي أبْلَيْتُه فيها!
عسى السيوفُ تُقاضي ما مَطَلْتَ بها؛ فقد رَضِيتُ بما تقضي قواضيها.
إن كنتَ تَمْنَعُ سُعدى من مَطالبِها، فلستَ تمنع سُعدى من تَمَنّيها!
لله نَغْمةُ أوتارٍ ومُسْمِعَةٌ باتت تَدُلُّ على شوقي أغانيها،

---

(١) داريا: بلدة ذات أعناب وفاكهة جنوب دمشق. المغاني: الاماكن المسكونة. جوسية: قرية من قرى حمص. الجولان (بفتح الجيم): منطقة في حوران.

وقهوةٌ كشُعاعِ الشمسِ طالعةٌ أفنَيْتُ بالمَزْجِ فيهـا ريقَ ساقيها .
لو كنتُ أخْضَعُ في الدنيـا لنائبةٍ خَضَعْتُ من هَجْرِها أو من تَجَنّيها .
تَسْتَعذِبُ الدمعَ عيني في مَحبّتِها ؛ كأنّ ما تَمتريه العينُ من فيها[1] .

٤ - * يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٩ - ٣٦٤ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦٦-٤٦٧؛ ابن الأثير ٩ : ٢٥١ - ٢٥٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٢٨ - ٥٣٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٧٥ - ١٧٦؛ بروكلمان ١ : ٩٤ ، الملحق ١ : ١٥٢ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٤٨ .

الشريف الرضي

١ - هو أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسينِ بنُ موسى الكاظم من نَسْلِ الحُسينِ ابنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ . وقد كان أبوه نقيباً للطالبيينَ (رئيساً دينياً للعلَويين).

ولد الشريف الرضيّ في بغداد (٣٥٩ هـ = ٩٧٠ م) ونشأ فيها وبرع في علوم الفقه واللغة والادب ؛ وقال الشعر وعمره خَمْسَ عَشْرَةَ سنة. وفي ٣٨٨هـ(٩٩٨م) اعتزل أبوه نَقابة الطالبيين فخلفه هو فيها نائباً عنه . وفي ذي القَعْدة ٤٠١(١٠١١م) منحه الامير البويهي بهاء الدولة لقب الشريف . ثم انه عُين نقيباً أصيلاً يوم الجمعة في ١٦ المحرم ٤٠٢(آب ١٠١٢م). بعدئذ ضُمت اليه الاعمال التي كان يقوم بهـا أبوه وهي النظر في المظالم[2] والحج بالناس.

وكان الشريف الرضي أبياً عاليَ الهمة طَموحاً الى المعالي لم يقبل صِلَةً من أحد ولا جائزة . وقد رد جميع الصِلات التي كانت جاريةً عـلى أبيه من قبله ، فخافه الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) فاتهمه بالمَيْل الى العلويين والفاطميين[3] فصَرَفَه (عزله) عن المظالم والحج .

وتوفي الشريف الرضي في السادس من المحرم ٤٠٦ (٢٤ / ٦ / ١٠١٦ م) ودفن في بيته في محلة الأنباريين احدى ضواحي الكرخ (الكاظمية اليوم) .

٢ - كان الشريف الرضي شاعراً بارعـاً ، « وشعره يجمع الى السلاسةِ متانةً والى السهولةِ رَصانةً ، ويشتمل على معانٍ يَقْرُب جناها ويبعد مداها » . وشعره على

(١) امترى الماء : استحلبه ، استخرجه . من فيها : من فمها .

(٢) المظالم : الحكم بين العامة وبين من يتعدى عليهم من الأمراء وذوي الجاه .

(٣) العلويون والفاطميون نسل الأمام علي . والفاطميون خاصة المتطرفون (راجع فوق ، ص ٣٥).

الاسلوب القديم : جزالةٌ في اللفظ وفخامةٌ في المعنى . وقد غلَبت على شعره الحماسة والفخر وبرع في الرثاء والغزل العفيف، وفي شعرِه رمزٌ بارعٌ وغزل بالبِقاعِ الشريفة في الحجاز خاصةً . وتَغلِبُ على شعرِه النَفْحةُ الدينيةُ . ولشِعره عُذوبةٌ وطلاوة على كَثْرةِ تكَلُّفه .

والشريف الرَضيّ مُتَرَسِّلٌ ومُصَنِّفٌ، له كتاب معاني القرآن — كتاب مجاز القرآن — وقد جمع ما وصل اليه من خطب الامام علي وسمّاه « نهج البلاغة » .

٣ — مختارات من شعره

— قال الشريف الرضي يمدح الخليفة المقتدر بالله ويفتخر بنفسه :

لله يومٌ أطْلَعَتْكَ بـه العُلا عَلَماً يُزاوَلُ بالعيـون ويُرْشَقُ ،
لما سَمَتْ بـك عِزَّةٌ مَوْموقـةٌ كالشَمْسِ تَبْهَرُ بالضياء وتُومَـقُ[1]
وبرزتَ في بُرْدِ النبيِّ ، وللهُدى نورٌ على أسرارِ وَجْهِك مُشرِق[2] ،
في موقفٍ تُغْضي العُيونُ جـلالةً فيه ويَعْثُرُ بالكـلام المَنْطِق .
مالـوا إلَيْكَ محبّـةً فتجمعوا ، ورأَوْا عليك مَهابةً فتفرّقـوا .
مَهْلاً ، أمـيرَ المؤمنين ، فإنّنـا في دَوْحـةِ العَلْياء لا نتفـرق ،
ما بينَنـا يومَ الفَخارِ تَفـاوُتٌ أبداً ، كِلانا في المَعـالي مُعْرِق[3] ،
إلاّ الخِلافةَ مَيَّزَتْك فـإنني أنا عاطلٌ منهـا وأنت مُطوَّق[4] ،

— وقال يفتخر بعلوّ همته وشرف نفسه :

لغيرِ العُلا مني القِلى والتَجنُّبُ ولولا العُلا ما كنتُ في الحب أرغب[5] ،
ملكتُ بحلمـي فُرصةً ما استَفادَهـا من الدهر مَفْتولُ الذِراعينِ أغلَبُ.
وللحِلْمِ أوقـاتٌ وللجهلِ مثلُها ؛ ولكنّ أوقـاتي إلى الحِلم أقرب ،

---

(١) مومقة : محبوبة . تبهر بالضياء وتومق : تقصر العين بنورها الشديد ويحبها الناس في وقت واحد .
(٢) البرد : الثياب . كان الخلفاء يتوارثون بردة للرسول يلبسونها في أيام الجمع والاعياد وفي المناسبات الدينية (للمبايعة بالخلافة مثلا) .
(٣) معرق : أصيل ، قديم النسب .
(٤) عاطل: لا يلبس حلياً (لجماله فهو لا يحتاج إلى الحلى). المطوق: يلبس طوقاً (قلادة في العنق). - أنا مثلك، ولكنك أنت خليفة وأنا لست خليفة.
(٥) القل : البغض ، الكره .

يَصولُ عليّ الجاهلون فأعتلي ، ويُعْجِمُ في القائلون وأُعْرِب[1] ،
ولا أعْرِفُ الفحشاء إلاّ بوَصْفِها ، ولا أنْطِقُ العَوْراء والقلبُ مُغْضَبُ[2] .

— وله أبيات تجمع بين الحكمة كثيراً والفخر قليلاً :

وكم صاحبٍ كالرُمح زاغتْ كُعوبُه أبى بعدَ طول الغَمْز أن يتَقوّما ؛
تَقَبّلت منه ظاهراً مُتَبَلّجاً ، وأدْمَجَ دوني باطناً مُتَجَهّما .
ولَوْ أنني كَشَفْته عن ضَميره أقمنا على ما بينَنا اليومَ مأتما .
دَعِ المرء مَطْوِيّاً على ما ذَمَمْتَه ولا تَنْشُرِ الداء العُضالَ فتنْدَما .
إذا العضوُ لم يُؤلِمْكَ إلاّ قطعتَه على مَضَضٍ لم تُبْقِ لَحْماً ولا دما .
ومن لم يُوَطِّنْ للصغيرِ من الأذى تعرّض أن يَلْقى أجلّ وأعظما .

— ومن أجمل ما قيل في الشوق الى ديار الأحبّة قوله :

ولقد مَرَرْتُ على دِيارِهِمُ وطلولُها لِيَدِ البِلى نَهْبُ ؛
فوَقَفْتُ حتى لَجّ من لَغَبٍ نِضْوي ، ولَجّ بَعَذْلِيَ الرَّكْب[3] .
وتَلَفّتَتْ عيْني ، فمُذْ خَفِيَتْ عنّي الطُلولُ تَلَفّتَ القلب !

— وقال في التغزّل بالديار المقدّسة

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خمائله ، لِيُهْنِك اليومَ أن القلب مرعاكِ[4] .
الماء عندك مبذولٌ لشاربه ؛ وليس يُرويك إلاّ مَدْمَعُ الباكي !
هبّت لنا من رياح الغَوْر رائحة بعد الرُّقاد عَرَفْناها بريّاك[5] .
ثمّ انْثَنَيْنا اذا ما هزّنا طربٌ على الرحال تَعَلّلْنا بذِكراك .
سهمٌ أصاب — ورامِيه بذي سَلَمٍ — مَنْ بالعراق ؛ لقد أبعدتّ مرماك[6]

(١) أعجم : قال كلاماً لا يفهم (ذم) . أعرب : بين ، قال كلاماً مفهوماً (مدح).

(٢) الفحشاء : العمل القبيح . العوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) ... حتى تعبت ناقتي المنهوكة وأكثر رفاقي لومي .

(٤) البان : نوع من الشجر أملس أسمر مستقيم الغصون من نبات الحجاز يضرب به المثل في الجمال . ليهنك : ليهنئك . أنت تسكنين الحجاز ولكن لا ترعين (بفتح العين وسكون الياء وفتح النون) شجر البان ، ولكن تأكلين من القلوب (الذين يحبونك كثار) .

(٥) الغور : ساحل الحجاز .

(٦) ذو سلم في الحجاز (كناية عن البعد) .

وعدٌ لعينَيْكَ عندي ما وَفَيْتَ به؛ يا قُربَ ما كَذَبَتْ عينَيَّ عيْناكِ!
حكَتْ لِحاظُكِ ما في الريم من مُلَحٍ — يوم اللقاء — فكان الفضل للحاكي[1]
كأنَّ طَرْفَكِ يوم الجزع يُخبرنا بما طوى عنكِ من أسماء قتْلاكِ[2].
أنت النعيمُ لقلبي والعذاب لَهُ ؛ فما أمَرَّكِ في قلبي وأحلاكِ!
عندي رسائلُ شوقٍ لست أذكرُها ؛ لولا الرقيبُ إذَنْ بَلَّغتُها فاكِ[3].
سقى مِنَى وليالي الخَيْفِ ما شرِبَتْ من الغَمام وحَيَّاها وحيَّاكِ ؛
اذ يلتقي كلُّ ذي دِينٍ وماطِلَهُ منّا ، ويجتمع المَشْكُوُّ بالشاكي.
لمّا غدا السِّربُ يَعْطو بين أرْحُلِنا ما كان فيه غريمُ القلب إلّاكِ[4].
هامت بك العينُ لم تتبعْ سِواكِ هوًى ؛ من علّم العينَ أنّ القلبَ يهواكِ!
— وللشريف الرَّضيّ قصيدةٌ مقصورةٌ يَصِفُ فيها مقتلَ الحُسينِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهما في كَرْبلاء[5]:
كَرْبَلاءُ! لا زِلْتِ كَرْباً وبَلا ما لَقِيَ عِندَكِ آلُ المصطفى[6]!
كم على تُرْبِكِ لمّا صُرِعوا من دمٍ سالَ ومن دَمْعٍ جرى[7]!
وضُيوفٍ . لفَلاةٍ قَفْرَةٍ نَزَلوا فيها على غيرِ قِرىً[8] ؛
لم يَذوقوا الماءَ حتّى اجتَمعوا بحِدا السيف على وِرْدِ الرَّدى[9].

(1ج) الريم : الغزال الابيض . ملح : اشياء مليحة جميلة .
(2) الطرف : العين . الجزع : الوادي ؛ والجزع أيضاً بلدة عن يمين الطائف (شرق مكة) وبلدة عن شمالها .
(3) لا أحب أن أصف لك شوقي بلساني (لا فائدة من ذلك الكلام لي) ، ولولا أن ثمت رقيباً علينا لبلغت ذلك الشوق فاك (لقبلتك) .
(4) السرب جماعة الظباء (جماعة النساء الجميلات) . يعطو : يرفع عنقه (يتلفت) . الأرحل : سروج الخيل الخ .... يقصد : لما كثر النساء الجميلات حولنا وأمام عيوننا ، لم يحب القلب أحداً منهن سواك .
(5) كربلا موضع قرب الكوفة استشهد فيه الحسين بن علي يوم عاشوراء ، في العاشر من المحرم من سنة 61 (10—10—680 م) ، في أيام يزيد بن معاوية .
(6) لا زلت كربا وبلا = دومي أبداً كرباً (حزناً يتملك النفس فلا يتركها) وبلاء (غما يكاد يتلف الجسم) . ما (أشد) ما لقي (أصاب) عندك آل (أقارب ، أهل بيت) المصطفى (رسول الله) .
(7) تربك = ترابك = أرضك (أرض كربلاء) . صرعوا : طرحوا أرضاً (قتلوا) . كم من دم سال (كناية عن كثرة الذين قتلوا) ومن دمع جرى (كناية عن كثرة البكاء لشدة الحزن) .
(8) كان الحسين بن علي يسكن المدينة (في الحجاز) فدعاه أهل الكوفة مع أهل بيته ليبايعوه بالخلافة وليقاتلوا تحت لوائه بني أمية . فهو وآل بيته ، اذن ، ضيوف في العراق . الفلاة : الارض الواسعة . قفرة : لا عمران فيها (ولا ماء ولا طعام) . القرى : الضيافة (لم يعاملوا معاملة الضيوف) .
(9) الحدا = الحداء (بضم الحاء أو كسرها) : سوق الابل أو الغنم الخ بعضها ببعض . بحداء السيف : بقسوة =

أدْرَكَ الكُفْــرُ بِهِمْ ثاراتِــه ، وأُدِيــلَ الغَيُّ منهم فاشْتفى[1] .

يا قتيلاً قَــوَّضَ الدهرُ بــه عَمَدَ الدينِ وأعلامَ الهُدى.

قَتَلوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ أنه خامسُ أصحاب الكِسا[2] .

مَيِّتٌ تَبكـي له فاطمــةٌ وأبوها وعليٌّ ذو العُــلا[3] .

لو رسولُ الله يَحْيـا بَعْدَه قَعَدَ اليومَ عليه للعَــزا[4] .

جَعَلَ اللهُ الــذي نابَكُمُ سَبَبَ الوجدِ طويلاً والبُكا[5].

لا أرى حُــزْنَكُمُ يُنْسى ولا رُزْءَكُم يُسْلي – وإن طالَ المَدى[6] .

٤– ديوان الشريف الرضي ، بومباي (مطبعة نخبة الأخبار)١٣٠٦ هـ ؛ (مع تعليقات للشيخ أحمد عبّاس الازهري ومحمّد سليم اللبابيدي) ، بيروت (المطبعة الأدبية)١٣٠٧– ١٣١٠ هـ ؛ (أعيد طبعه)، بغداد (مطبعة البيان) بلا تاريخ ؛ (نشره كامل سليمان) ، بيروت (دارالفكر ومكتبة العرفان) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت)١٣٨٠ هـ = ١٩٦١م.

شرح ديوان الشريف الرضيّ (محمّد محيي الدين عبد الحميد)، مصر (دار احيــاء الكتب العربية) ١٩٤٩ م .

= وعنف . الورد (بكسر الواو) : الذهاب الى الماء للشرب. الردى : الموت. لم يشربوا ماء (لم ينالوا شيئاً من اكرام الضيف) فلما عطشوا وطلبوا ماء سقوهم الموت (قتلوهم) .

(١) كان الكفر (أعداء الاسلام من الروم والفرس) قد أراد قتل آل رسول الله (لأن الاسلام قضى على دولتي الروم والفرس) فلم يقدر فقتلهم بنو أمية المسلمون . الغي : الضلال . أديل (انتصر ، انتقم) – المعقول في الكفاح أن الحق يجب ان ينتصر على الباطل ، أما في كربلا فقد انتصر الباطل على الحق . قوض : هدم . عمد الدين : الدعامة التي تسند الدين. الاعلام جمع علم : العلامة العالية الظاهرة التي يهتدي الناس بها في أسفارهم .

(٢) قتلوه = قتلوا الحسين بن علي . – أصحاب الكساء (أو الرداء أو العباء) خمسة : محمد رسول الله وفاطمة بنت محمدوعلي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين ، اجتمع بهم رسول‌الله يوماً في بيته ثم ألقى على نفسه وعليهم كساءه (ثوبه) وتلا قوله تعالى في سورة الاحزاب : « ... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت، ويطهركم تطهيراً . (٣٣ : ٣٣).أهل البيت : يا أهل بيت رسول الله .

(٣) أبوها : أبو فاطمة (محمد رسول الله) .

(٤) – لو كان رسول الله حياً لقعد يتقبل التعزية بموت الحسين (لجلالة قدر الحسين) .

(٥) نابكم: أصابكم . الوجد: الحزن الشديد . – ان الله تعالى قد جعل المصيبة التي حلت بالمسلمين في كربلاء سبباً لحزن شديد ولبكاء دائم .

(٦) الرزء : المصيبة بانسان (موت انسان) لا يقوم مقامه أحد غيره. يسل: ينسى مع مرور الزمن . المدى: المدة ، الزمن .

رسائل الصابي والشريف الرضيّ (نشره محمّد يوسف نجم)، الكويت (مطبعة الحكومة الكويتية) ١٩٦٠ م

نهج البلاغة (بشرح الشيخ محمّد عبده)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية)؛ ثمّ طبعات عديدة.

نهج البلاغة ومعه شرح ابن أبي الحديد، القاهرة (البابي) ١٣٢٩ هـ؛ (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ. بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٣ — ١٩٦٥ م.

تلخيص البيان في مجازات القرآن، طهران (مجلس الشورى) ١٣٧٢ هـ؛ بغداد (المطبعة العلمية) ١٩٥٥ م.

** عبقرية الشريف الرضيّ، تأليف زكي مبارك، بغداد (مطبعة الجزيرة) ١٩٣٨هـ، ١٩٤٠ م.

الشريف الرضيّ، تأليف محمّد رضا آل كاشف الغطاء، بغداد (دار النشر والتأليف) ١٩٤١ م.

الشريف الرضيّ: بودلير العرب وواضع أسس الرمزية العالية في الشعر العربي، تأليف عبد المسيح محفوظ، بيروت (مكتبة بيروت) ١٩٤٤ م.

الشريف الرضيّ، تأليف احسان عبّاس، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٩ م.

ثلاثة من الأعلام: الشريف الرضي، دعبل الخزاعي، عكاشة العمّي، تأليف خليل رشيد، النجف (مطبعة الغرىّ الحديثة) ١٩٥٥ م.

الشعراء الثلاثة: أبو الطيّب المتنبّي، أبو العلاء المعرّيّ، الشريف الرضيّ، تأليف نور الدين يوسف نور الدين، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٥٦ م.

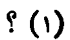
حياة الشريف الرضيّ، تأليف عبد الحسين الحلّيّ، (مطبعة الحرّية) ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

ترجمة الشريف الرضيّ لأحمد عارف الزين (العرفان — صيداء بلبنان، المجلّد ٣). الشريف الرضيّ لعبد الرحمن شكري (الرسالة — القاهرة، المجلّد ٧: عدد ٥).

تاريخ بغداد ٢: ٢٤٦ — ٢٤٧؛ يتيمة الدهر ٣: ١١٦ — ١٣٥؛ المحمدون من الشعراء ٢٤٣ — ٢٤٤؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣٧٤ — ٣٧٦؛ انباه الرواة ٣: ١١٤ — ١١٥؛ وفيات الاعيان ٢: ٣٦٣ — ٣٦٧؛ شذرات الذهب ٣: ١٨٢ — ١٨٤؛ زيدان ٢: ٢٩٩ — ٣٠١؛ بروكلمان ١: ٨١، الملحق ١: ١٣١ — ١٣٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩ — ٣٣٠.

عبد الصمد بن بابـك

١ — هو أبو القاسم عبدُ الصمدِ بنِ منصورِ بن الحسين بن بابَكَ من أهل غمى! (١) في اصفهانَ، ولعلّ مولده كان في حُدود ٢٤٠ هـ. وليس في ما بين أيدينا من المصادر إشارةٌ الى أحداث حياتهِ سوى أنه كان متّصلاً بالصاحبِ بن عبّادٍ (ت ٣٨٥ هـ)


(١) ؟

يألَفُهُ ويمدحُه ، فيَشْتي مَعَ الصاحب في ريف جُرجانَ ويَصيفُ في موطنه من أرضِ أصفهانَ . وفي سَنَة ٣٩٤ ﻫ (١٠٠٣ م) كان في الرَّي ؛ ولعلّه جاء إليها قبلَ ذلك أيضاً لمّا مَدَحَ أبا عليٍّ الحسنَ بن أحمد الضبيَّ الذي تقلّد الوَزارة لفخرِ الدولة سنة ٣٨٥ ﻫ[1] . أما وفاتُه فكانت ببَغْدادَ في حُدود سنة ٤١٠ ﻫ (١٠١٩ م) .

٢ — عبدُ الصمدِ بن بابَكَ شاعرٌ مُفْلِق مُجيدٌ (القاموس ٣ : ٢٩٣) مكثر . يجمَعُ الجَزالةَ والمتانةَ اللتين في الشعرِ القديمِ إلى السلاسةِ والحَلاوةِ اللتين في شعرِ المُحْدَثين المُوَلَّدين . وهو حَسَنُ السَّبْكِ جميلُ الرصفِ بارع الوصف حُلْوُ الألفاظِ سهل التراكيب . وفنونُه الوصفُ وهو أحسنُها ثم الخمرُ والأدب والمدح . وقد عَمِلَ مجموعاً مُختاراً من شعرِه كان قد طلبه منه أبو نصرٍ سهلُ بن المَرْزُبانِ من بغدادَ . ويبدو أن ديوان شعره قد وَصَلَ إلينا (بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٥) .

ولمّا قَدِمَ عبدُ الصَمَدِ بن بابَكَ على الصاحبِ بنِ عَبّادٍ (٢ : ٥٦١) قال له الصاحبُ : «أنتَ ابنُ بابَكَ ؟» فقالَ له : أنا ابنُ بابِكَ ! » فاستحسَنَ الصاحبُ منه هذا الردّ .

٣ — مختارات من شعره

— قال عبدُ الصمد بن بابَكَ في وصف الطبيعة وفي النسيب والخمر :

رُبَّ لَيْلٍ مَرَقْتُ مِنْ فَحْمَتَيْهِ ... أنا والعيسُ والقَنا والبُروقُ[2]

ورُقادٌ كخَفْقَةِ النَّبضِ يَغْشَى ... مُقلةً راعَها الخَيالُ الطَروقُ[3] .

واستهلّتْ لمَصْرَعِ اللَّيْلِ وُرْقٌ ... ثاكلاتٌ حِدادُها التطويقُ[4] .

---

(١) راجع يتيمة الدهر ٣ : ٣٤٩ ثم قارن ذلك بما في زامباور ٣٢٦ .

(٢) مرق : مر خلال الشيء ولم يتأثر به (يمرق السهم من الرمية — الحيوان — من غير أن يعلق به دم) . من فحمتيه (التثنية هنا للمبالغة في شدة سواد الليل) وكنت (وحدي) راكباً العيس (النياق) والقنا (الرماح ، استعداداً لقتال الاعداء واللصوص) والبروق (كثرة البرق والأمطار ، كناية عن هول الليل ومشقة السفر فيه) .

(٣) رقاد (اغفاء ، نوم) كخفقة النبض (خفيف جداً لا يكاد الانسان يشعر به ، كما لا نشعر بضرب النبض الا اذا أمسكنا بموضع أحد العروق الرئيسة في الجسم) ، يغشى (يأتي مرة بعد مرة وقليلا قليلا) مقلة (عيناً) راعها (أخافها) الخيال الطروق (الوهم ، التخيل بأن عدواً أو لصاً سيطرقها — سيأتي فجأة في ذلك الليل ، ولذلك تظل تلك المقلة يقظى إلا ما يغشاها من غفلة النعاس مرة بعد مرة) .

(٤) استهلت : بدأت بالصدح والتغني . لمصرع الليل : لانتهاء الليل ومجيء الصباح . ورق جمع ورقاء : حمامة . ثاكلات : مات أحد أهلها (حزينات على الليل !) . حدادها : ثيابها السود الدالة على الحزن. التطويق الطوق الموجود في عنقها (الطوق للحمامة : ريش حول العنق لماع كثير الألوان من الاخضر والازرق والبنفسجي خاصة . حتى الحمام الاسود يكون له طوق يختلف من سائر الريش باللمعان .

فتضاحكتْ شامتاً وكـأنّ الصُّبْـ ... حَ جَيْبٌ على الدُّجا مشقوق[1] .

سَبَكَ الشرقُ منـه تِبراً مُذابـاً ... لِفِرِنْدِ الشُّعاعِ منـه بَريقُ[2] .

وتمشّتْ على الريـاضِ النُّعامى ، ... وثَنى قَدَّهُ القَضيبُ الرّطيب[3] .

إنّما العيشُ رَنّـةٌ مِنْ حَمامٍ ... وسُلافٌ يَشُجُّه مَعشـوق[4] ،

ومَهَبٌّ مـن الشَّمال عليـلٌ ... ووِشاحٌ مـن الرياضِ أنيـق[5] ،

ومُلاءٌ من الشبابِ جـديدٌ ، ... ورِداء من النسيم رقيـق[6] .

لا تَرِدْ مَشرعَ الصَّبابة ، فاليـأ ... سُ رفيقٌ اذا استقلّ الفـريق[7] .

شافهِ الهَمَّ ، إن طَغى ، بحـريقٍ ... سَلَّه مـن زِنـادِهِ الـراوُوق[8]

صَفَّقَتْهُ يـدٌ كأنّ عليهـا ... صَدفاً فيـه لُؤلُؤٌ وعقيـق[9] .

---

(١) شامتا بذهاب (انهزام الليل أمام الصباح) . الصباح جيب على الدجا مشقوق : ظهور شعاع من النور لا يزال الظلام يحيط به من ثلاث جوانب .

(٢) سبك (صاغ ، صنع) الشرق تبراً مذاباً (ذهباً سائلا) . منه (أبرزه من نفسه عند الافق الشرقي) لفرند الشعاع (يشبه الشاعر ألواح الشعاع البارزة من الشرق قبيل طلوع الفجر بفرند أي بنصال سيوف محمرة أطرافها من النور الطالع قبيل الفجر) .

(٣) النعامى : ريح الجنوب ، أو ريح تهب بين الجنوب والشرق . وثنى قده القضيب الرطيب : الغصن الاخضر الناعم أخذ يتمايل مع هبوب النعامى .

(٤) رنة : صوت (غناء) . السلاف والسلافة (بضم السين فيهما) : الخمر . يشجه (يشجها) : يمزجها بالماء . معشوق : ساق جميل (يتعشقه الانسان لجماله) .

(٥) الشمال : ريح الشمال . عليل : بارد ولطيف . وشاح : قطعة من النسيج مزركشة تضعها المرأة حول كتفيها (كناية عن البستان نبتت فيه أزهار مختلفة تغطي منه بقعة واسعة) . أنيق : حسن (يعجب العين) .

(٦) الملاء في لأصل جمع ملاءة (بضم الميم) : الريطة (الثوب الواسع من الحرير). الملاءة الجديدة كناية عن عنفوان الشباب . رداء من النسيم رقيق (خفيف) ؛ هواء يهب برفق فينعش النفس من غير أن يسبب إزعاجاً.

(٧) الورود : الذهاب الى الماء للشرب . المشرع : مكان الشرب من النهر . الصبابة : الحب ، الميل الى اللهو والغزل . لا ترد مشرع الصبابة : لا تطلب الحب ... فانك اذا أحببت انساناً ثم فارقك استولى عليك اليأس (من الحياة كلها) . استقل : ذهب ، سافر ، ابتعد . الفريق : جماعة الناس (في هذا الشطر تكلف في الجمع بين « رفيق » « وفريق » — المقصود : اذا خالطت انساناً ثم رحل عنك رافقك اليأس في حياتك كلها بعد ذلك .

(٨) شافه الهم : اقترب من الهم (اذا نزل بك هم فلاقه) . وطغى : زاد وتعاظم . بحريق (بخمر لها لون الحريق أو النار — حمراء) . الراووق : إناء الخمر الذي تصب الخمر منه في الكؤوس . الزناد (بكسر الزاي) والزند (بفتح الزاي): حديدة تقدح بها النار من الحجر — سله من زناده الراووق : أبرزه الراووق سلا (يشبه الخمر بالسيف المسلول في الصفاء والبريق) وكأنه يقدح من حجر فيتطاير منه شرر أحمر (كما تتطاير فقاقيع ثاني أوكسيد الكربون مع الخمر وهي تصب في الكأس فينعكس عنها لون الخمر فتبدو تلك الفقاقيع حمراً كشرر النار) .

(٩) صفقه : مزجته بالماء . — يد كأن عليها صدفاً (بقع لامعة) فيه لؤلؤ (لون أبيض) وعقيق (لون أحمر) . = انعكاس النور عن سطح الخمر الى يد الساقي توهم أن على يد ذلك الساقي صدفاً يتموج باللونين الابيض الاحمر .

٤ — يتيمة الدهر ٣ : ٣٤٣ — ٣٥٠ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٣٢ — ٥٣٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩١ ؛ ابن الأثير ٩ : ٣١٣ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٥ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٣٤ .

ابراهيم بن سعيد النحوي

١ — هُوَ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدِ بنِ الطَّيِّبِ الرُّفاعي النحْويّ من بني عبد القيس من رَبيعةَ الفَرَسِ (إنباه الرواة ١ : ١٦٧) ، يبدو أن مَوْلِدَهُ كان قُبيلَ سَنَةِ ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) . وقد كان ضَريراً .

قَدِمَ ابراهيمُ بنُ سعيدِ النحويُّ إلى واسطَ صَبِيّاً ذا فاقة فدخل جامعها ولازمَ حَلْقَةَ عبدِ الغفّار الحُضَينيّ وتَلَقَّنَ عنهُ القُرآنَ الكريمَ . بعدَئذٍ انتقلَ إلى بَغْدادَ وصَحِبَ أبا سعيدِ السيرافيَّ (ت ٣٦٨ هـ) وقرأ عليه شَرْحَ كتابِ سِيبَوَيْهِ وسَمِعَ منه كُتُبَ اللغةِ ودواوين الشعر .

وفي سَنَةِ ٣٦٧ هـ (٩٧٧ — ٩٧٨ م) تُوُفِّيَ الحُضَينيُّ فعاد إبراهيمُ بنُ سعيدٍ إلى واسطَ وتَصَدَّرَ للإقراء (مكانَ الحُضَينيّ) .

كانت وفاةُ ابراهيمَ بنِ سعيدِ النحويِّ سَنَةَ ٤١١ هـ (١٠٢٠ — ١٠٢١ م) في الأغلب .

٢ — كان ابراهيمُ بنَ سعيدِ النحويُّ غايـةً في العِلم (في إقراء القرآن والنحو) شاعراً حَسَنَ الشِعْر .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابراهيمُ بن سعيدِ النَحْويُّ في سُلوانِ الأحبَّةِ على البُعْد :

وأَحِبَّةٍ ما كُنْتُ أَحْسَبُ أنَّني أُبْلى بِبَيْنِهِمُ ، فَبِنْتُ وبانوا[2] ؛
نأتِ المَسافةُ فالتَذكُّرُ حَظُّهُمْ مِنّي، وحَظّي مِنْهُمُ النِسْيانُ[3] !

٤ — معجم الادباء ١ : ١٥٤ — ١٥٧ ؛ نكت العميان ٨٨ — ٨٩ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٦٧ — ١٦٨ ؛ بغية الوعاة ١٨٠ — ١٨١ .

---

(١) ربيعة الفرس أو ربيعة الخيل ورث من أبيه الخيل (بينما أخوه مضر — بضم الميم وفتح الضاد — ورث الذهب فقيل له : مضر الحمراء) .

(٢) أبلى : أصاب (بضم الهمزة) البين : البعاد ، الفراق . بان : بعد ، ابتعد .

(٣) نأى : ابتعد . — أنا أتذكرهم ، وهم نسوني .

ابن القليـــوبي الكاتب

١ ـ هُوَ عَليُّ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ حبيبٍ القليوبيُّ ، أصلُه من قليوبَ في مِصْرَ السُفلى (الوجهِ البحري) ، كانَ يكتُبُ في ديوانِ الدولة الفاطمية ، أدْرَكَ العَزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ) وشَهِدَ أيامَ الحاكمِ ثمّ لَحِقَ مُدّةً يسيرةً من أيام الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ) . وتكسّبَ ابنُ القليوبيِّ بالشعرِ من الأئمّةِ الفاطميّين ومن رجالِ دَوْلَتِهِم . وكانت وَفاتُه في ٤١٢ هـ (١٠٢١ ـ ١٠٢٢ م) .

٢ ـ كان ابنُ القليوبيّ كاتباً مُتَرَسِّلاً يُجيد التَشْبيهاتِ ويَنْتَزِعُ صُوَرَهُ الشعريةَ من الطبيعة ومن النجوم خاصّةً ، تقليداً لعبدِ اللهِ بن المُعْتَزّ . ومِنْ أغراضِ شِعرِهِ الخمرُ والغزلُ والمُجون .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ القليوبيِّ الكاتبُ يَصِفُ الخَمْرَ ثمّ يَسْتَطْرِدُ الى وصف النجوم :

وصافيةٍ بات الغُلامُ يُديرُهـا ... على الشَرْبِ في جُنْحٍ من اللّيْلِ أدْعَجِ[1] ؛

كأنّ حَبابَ المـاء في وَجَناتِهـا ... فَرائدُ دُرٍّ في عَقيـقٍ مُدَرَّجِ[2] .

ولا ضوءَ إلاّ من هِـلالٍ كأنّمـا ... تَفرّقَ منه الغَيْمُ عَنْ نِصْفِ دُمْلَجِ[3] .

وقد حالَ دونَ المُشتري من شُعاعِهِ ... وميضٌ كمِثْلِ الزِئبَقِ المُتَرَجْرِجِ[4] .

كأنّ الثُريّـا في أواخرِ لَيْلِهـا ... تحيّةُ وردٍ فوق زَهْـرِ بَنَفْسَجِ[5] .

٤ ـ فوات الوفيات ٢ : ٨٧ ـ ٨٨ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٠ .

---

(١) الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . الجنح (بضم الجيم) : قسم من الليل . الدعج (بفتح ففتح) : سواد العين ؛ والدعجاء : أول ليلة المحاق (بالضم) : ليلة ٢٨ من الشهر القمري (حينما لا يبقى للقمر نور) .

(٢) حباب الماء : الفقاقيع الممتلئة هواء . في وجناتها : على وجه الخمر (في الكأس) . فرائد (جمع فريدة) الدر (اللؤلؤ ، اللآلي) اذا نظمت في سلك ثم أفردت (فصل بينها بشذرات ، أي بقطع صغيرة ، من الذهب) . العقيق : حجر كريم أحمر اللون (كناية عن الخمر) . مدرج (درّ مدرج) منسوق بحسب الحجم (المقصود : در مختلف الاحجام منسوق بحسب حجمه) .

(٤) المشتري : كوكب من الكواكب السيارة بعيد جداً وضئيل النور جداً . وميض كمثل الزئبق المترجرج (وميض مضطرب) . ـ لم تمكن رؤية المشتري جيداً لأن نوره الضئيل مضطرب .

(٥) الثريا : عنقود (مجموعة) نجوم . في أواخر ليلها (حينما تختفي أكثر النجوم وتظل هي وحدها ظاهرة . =

صريـــع الدلاء

١ ـ هو أبو الحسن محمّدُ بنُ عبدِ الواحدِ القصّار المعروفُ بصريعِ الدلاء[1] ، وُلِدَ في البصرة ونشأ فيها ثمّ صَعِدَ إلى بَغْدادَ . وقد اتّصلَ بفخرِ المُلك أبي محمّد غالبِ بنِ عليّ بنِ خلَفٍ (٣٥٤ ـ ٤٠٧ هـ) وزيرِ بهاء الدولة البُويهي فنال منه مِنَ المال ما أغناه . وفي وَفَيات الأعيان (٢ : ٥٦ ـ ٥٧) أنّ صريعَ الدلاء راسلَ أبا العلاء المَعرّي (ت ٤٤٩ هـ) يطلُبُ شيئاً من شَرابٍ وغيرِه فبَعَثَ إليه أبو العلاء قليلاً من المال واعتذر إليه بمقطوعةٍ مطلَعُها :

دُعيتَ بصارعٍ فتَداركَتْهُ مُبالغةٌ فصارَ الى فَعيلٍ (صريع) .

وفي سَنَةَ ٤١٢ هـ ذهب صريعُ الدلاء الى مِصْرَ ومدح الظاهرَ لإعزاز دين الله الفاطميّ ثمّ تُوُفّيَ فيها وشيكاً فجأةً من شَرْقَةٍ لَحِقَتْه ، في سابعِ رَجَبَ من سَنَةِ ٤١٢ (١٨/ ١٠/ ١٠٢١ م) .

٢ ـ صريعُ الدلاء شاعرٌ مشهورٌ كان ينحو مَنْحى الجِدّ ، ثمّ « لمّا رأى سُخْفَ زمانه نَزَعَ ثِيابَ الجِدّ (وَسَلَكَ سبيلَ السُخْف والمُجون) وتلقّب بصريعِ الدلاء ونَفَقَتْ سُوقُه » . وكان يُقَلِّدُ أبا الرَقَعْمَق (ت نحو ٣٩٩ هـ) وله في الجِـدّ المزوجِ بالهَزْل أرجوزةٌ مطلَعُها : « قَلْقَلَ أحْشائي تباريحُ الجَوى » عارض بها مقصورةَ ابن دريدٍ (ت ٣٢١ هـ) .

٣ ـ مختارات من أرجوزته

مَنْ لم يُرِدْ أنْ تَنتقب (!) نِعالُه يَحْمِلُها في كَفِّه اذا مشى ؛
ومن أرادَ أن يصونَ رِجْلَه فلُبْسُه خيرٌ له من الحَفا .
من صَفَعَ النـاسَ ولم يَدَعْهُمُ أن يَصْفَعوه فعَلَيْهِمُ اعتَدى .
من طَبَخَ الديـكَ ولا يَذْبَحُهُ طار مـن القِدرِ الى حيث يشا .

= تحية ورد = رفع اليد للتحية بباقة من الورد (كناية عن لمعان النجوم في عنقود الثريا). فوق زهر بنفسج = على سطح مظلم من السماء !

(١) وقيل : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي ، صريع الدلاء وصريع الغواني وقتيل الغواشي وذو الرقاعتين. ويقال له أيضاً صريع الغواشي، ويلقب أيضاً « القصار » =

من فاتَهُ العِلْمُ وأخطاه الغِنـى فذاك والكَلْبُ عـلى حَدٍّ سَوا !

٤ – وفيات الأعيان ٢ : ٥٦ – ٥٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٨ – ٢٦٩؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٠١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٣٣ .

محمد بن آدم الهروي

هُوَ أبو المُظَفَّرِ محمّدُ بنُ آدمَ بنِ كَمالٍ الهَرَوِيُّ النَّحْوِيّ ، تَتَلْمَذَ على أبي بَكْرٍ الخَوارِزْمِيِّ ؛ وقرأ النَّحْوَ على القاضي أبي الهَيْثَمِ ثمّ أعادَ قِراءته على أبي العَلاء صاعدٍ ؛ ودَرَسَ الحديثَ أيضاً .

تَصَدَّرَ محمّدُ بنُ آدمَ لإقراء النحوِ والصَّرْفِ وتَفْسيرِ الشِعْر . وتُوُفِّيَ بَغْتَةً (في بَغْدادَ) ، سَنَةَ ٤١٤ ﻫ (١٠٢٣ – ١٠٢٤ م) .

كان محمّدُ بنُ آدمَ الهرويّ إماماً في النحو والأدب وفي تفسير الشِعْر خاصّةً ، وكان له عِلْمٌ واسعٌ بأصول الدينِ ؛ ويُظَنُّ أنّه كان من أهلِ العَدْلِ (مِنَ المُعْتَزِلَة) ثمّ هُوَ مُصَنِّفٌ له شرح ديوان الحماسة – شرح ديوان المتنبّي – شرح الإصلاح (إصلاح المنطق ؟) – أمثال أبي عُبيد .

** معجم الادباء ١٧ : ١١٦ – ١١٧ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٣٣٣ (نقلاً عن السياق لعبد الغافر الفارسي) ؛ بغية الوعاة ١٤ . الاعلام للزركلي ٦ : ١٨٠ .

أبو حيان التوحيدي

١ – هو أبو حَيّانٍ عليُّ بنُ محمدِ بنِ العبّاسِ التَوْحيديُّ ، قِيلَ كان أبوه يَبيعُ نوعاً من التَمْرِ يُسمّى التوحيدَ ؛ أو لعلّ هذه النسبةَ جاءته من أنه كان من المُعْتَزِلة أهلِ العَدْلِ والتَوْحيد .

قضى التَوْحيديُّ مُعْظَمَ حَياتِه في بَغدادَ فتلقّى فيها علومَ زمانِه على الفَقيهِ

–(الذي يعمل في قصر النسيج : تبييضه) البصري (راجع وفيات الاعيان ٢ : ٥٦) ؛ وفي دمية القصر (ص ٧٧) بيتان لابي الحسن القصار ، وهو صريع الدلاء في الاغلب .

أبي حامد المَرْوَذيّ (ت ٣٦٢ هـ) ، والمَنْطِقيّ يَحْيى بن عَدِيٍّ (ت ٣٦٤ هـ) ، والفقيهِ أبي بكرٍ محمدٍ الشاشيّ (ت ٣٦٥ هـ)، والنحوي أبي سعيدٍ السيرافيّ (ت٣٦٧ هـ) واللّغوي عليّ بن عيسى الرُمّانيّ (ت ٣٨٤ هـ) ، والمنطقي أبي سُليمانَ السِجِستانيّ (ت ٣٩١ هـ) .

اتّصلَ التّوحيديُّ مدّةً يسيرةً بأبي الحسنِ المُهلّبيّ الذي وَزَرَ في بَغدادَ لأميرِ الأُمراءِ مُعِزِّ الدولة بنِ بُوَيْهِ منذُ ٣٣٩هـ . ولمّا تُوفّيَ مُعزّ الدولة (٣٥٢ هـ) رَحَلَ التوحيديُّ الى ابْنِ العميدِ في الريِّ ؛ وبعدَ بِضْعِ سَنَواتٍ ذهبَ إلى الريّ مرّةً أخرى إلى الصاحبِ بن عَبّادٍ ؛ غير أنه لم يَنَلْ عندَهما كِلَيْهما حَظْوَةً ما ، فعاد الى بغدادَ (٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) وبَقِيَ فيها إلى نحوِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ . ثم تَنَقّلَ فيما بعدُ في البلاد فأدْرَكَهُ الموتُ في شِيرازَ (٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م) .

٢ ـ أبو حيّانَ التّوحيديُّ أديبٌ مفكّرٌ ألمّ بعَدَدٍ من فُنونِ المعرفةِ ثمّ صَرَفَ جانباً كبيراً منها في كُتُبِهِ . وكان التوحيديُّ فقيهاً ومعتزلياً على مذهبِ الجاحظِ وذا مَيْلٍ إلى التصوّف ، وكان يُرْمى بالزندقة . وأسلوبُ التوحيديّ سهلٌ واضحٌ متينُ السبكِ يجري على السليقة خالياً مِنَ التكلّف . وكان للتوحيديّ عِنايةٌ بترتيبِ الأفكارِ وتخريجِ المعاني وعنايةٌ بالتراكيب مَعَ اهتمامٍ ظاهرٍ بالمناقشةِ المنطقية والجِدال الفلسفيّ والموازنة بين الآراء .

كُتُبُ أبي حيّانَ التوحيديّ كثيرةٌ أشهرها : المقابسات (وهي مذكّرات كان يَكْتُبُها بعدَ الجَلَسات التي كان يَعْقِدُها مَعَ الأدباء والمفكّرين والأعيان ، فهي من أجل ذلك مجموع من الموضوعات المختلفة في الأمور التي كان يهتمّ بها أهلُ عصره .) ـ الإمتاع والمُؤانسة (وهو أيضاً مجموعٌ من الموضوعات التي كان البحث فيها ثائراً في أيامه) ـ رسالةٌ في الصداقة والصديق ـ رسالة في علم الكِتابة ـ بصائر القدماء وسرائر الحكماء ـ الإشارات الالهية والأنفاس الروحانية ـ رسالة في أخبار الصوفية ـ رياض العارفين ـ رسالة الإمامة ـ الهوامل والشوامل ـ ثلب (أو مثالب ، ذم الخ) الوزيرين (الصاحبِ بن عبّاد وابن العميدِ) ـ تقريظُ الجاحظ ـ الحنين الى الاوطان ـ النوادر .

٣ ـ مختارات من نثره

ـ من مقدّمة المقابسات (ذمّ أهل الزمان) :

... فقد أصْبَحْنا في هذه الدارِ وكأنّما هِيَ قاعٌ أمْلَسُ أوْ أثَرٌ أخرسُ لم يَبْقَ

من يُرْضى هَدْيُه او يُقتبَس عِلْمه .... او يُعْرَفُ حَدُّه بأدبٍ من الآداب عليه او يُباش ً[1] بوَجْهٍ من الوُجوه إليه، وما ذلك إلا لِنَغَل القلوب ودَخَل الأعراق وخُلوقة الدِين وغَلَبة القِحَة وارْتفاع المُراقبة وسُقوط الهَيْبة ورَفْض السِياسة والتَبَجُّح بالفَحشاء والمُنْكر[2].

ولَعَمْري ، ما زالتِ الدُنيا على سَجيتِها المَعْروفةِ وعاداتها المألوفة ؛ ولكنِ اشْتَدَّتْ مؤونَتُها وتضاعفتْ زِينتُها اليومَ بفَقْدِ السائسِ الصارمِ وبِعَدَمِ العابدِ العالم وبانْقراض أهلِ الحياء والتَكَرُّم وبتصالح الناس على التعادي والتظالم . ولِلّهِ – جلَّ وَجهُهُ وتقدّس اسْمُهُ – في هذا الخَلْقِ غَيْبٌ لا يُعرف مآبُه ولا يُفْتَح بابُـــه[3] ، ولا يَقَعُ القياسُ عليه ولا يَهْتدي الإحساسُ إليـــه ؛ ومِنْ أجْلِه سقط الاعتراض ووَجَبَ التسليمُ[4] والانْقياد . وأَدَعُ هذا ، فهوسُلَّم طويل وفضاء عريضٌ .

– وصفُ الصاحبِ بن عبّاد :

قلتُ إن الرجلَ كثيرُ المحفوظ : قد نَتَفَ من كُلّ أدبٍ خَفيفٍ أشياء ، وأخذَ من كلّ فنّ أطرافاً . والغالبُ عليه كلامُ المتكلّمين المُعْتزِلَة ؛ وكِتاباتُه مُهَجَّنَةٌ بطرائِقِهِم ، ومناظرتُه مَشُوبةٌ بعبارةِ الكُتّاب . وهو شديدُ التعصّب على أهلِ الحِكْمة والناظرين في أجزائها كالهَنْدسة والطِب والتنجيم والمُوسيقى والمَنْطقِ والعَـــدد (الحساب) ، وليسَ عِنْدَه بالجُزْءِ الالهيِّ (علمِ ما وراء الطبيعة) خَبَرٌ، ولا له فيه عينٌ ولا أثَر . وهو حَسَنُ القِيام بالعَروض والقوافي ، ويقول الشعر وليسَ بذاك !

---

(١) هذه الدار : الحياة الدنيا . الهدى (بالفتح) = الهدى (بالضم) : السلوك القويم ، اتباع الحق . يباش (الصيغة غـير موجودة في القاموس) : يقبل أحدنا عليه فرحاً ضاحك الوجه .

(٢) نغل القلوب : فساد النية ، تغير المودة . دخل الأعراق : فسادها (فساد الطبيعة البشرية بحيث لم يبق جنس من البشر على طبيعته البريئة الخيرة) . الخلوقة : التّهرئ ، البلى من أثر القدم .. خلوقة الدين : ذهاب الدين من القلوب . ارتفاع المراقبة: فقدان الوازع الذي يمنع الناس عن اتيان الشر جهراً . سقوط الهيبة : قلة مبالاة الناس بأوامر الدولة (أو الدين) ونواهيها . رفض السياسية : ترك المداراة ، وحسن المعاملة . التبجح بالفحشاء والمنكر : التفاخر باتيان الافعال القبيحة .

(٣) اشتدت مؤونتها : أصبحت مطالب الحياة كثيرة وملحة . تضاعفت زينتها : ازداد جذبها لابصار الناس وعظم اقبال الناس على التمتع بأسباب الحياة الهينة فيها . تصالح الناس على التعادي والتظالم : ألف الناس اعتداء القوي منهم على الضعيف . لا يعرف مآبه : غبه ، نتيجته ، آخرته . لا يفتح بابه : لا تعرف الحكمة منه .

(٤) – سقط تساؤل المخلوق عن فعل الخالق في هذه الدنيا ووجب الرضا بما قدر الله .



ثم يَعْمَلُ في أوقات كالعيد والفصل [1] شِعرا ، ويَدْفعُه الى أبي عيسى المنجّم ويقول: قد نَحلْتُكَ هذه القصيدةَ امدَحْني بها في جُملة الشعراء ، وكن الثالثَ من الهَمَج المُنْشدين . فيفعلُ أبو عيسى ، وهو بَغداديٌّ مُحَكَّكٌ قد شاخ على الخِداع وتحكّك . وينشد (أبو عيسى) فيقولُ (الصاحبُ بن عبّاد) عند سَماعه شعرَه في نفسه .... : أعِدْ ، يا أبا عيسى ، فانّك والله مُجيدٌ . زهْ ! يا أبا عيسى ، والله ، قد صفا ذِهْنُك وزادَتْ قريحتُك وتنقّحت قوافيك ، (ولكن) ليس هذا من الطِراز الأوّل حينَ أنشدتَنا في العيد الماضي .... ثم لا يَصْرِفُه عن مَجْلسه الا بجائزة سَنيّة وعَطيّة هَنيّة ، ويُغيظ الجماعةَ من الشُعراء وغيرِهم أنّهم يَعْلَمون أنَّ أبا عيسى لا يَقْرِضُ مِصْراعاً ولا يَزِنْ بيتاً ولا يَذوقُ عَروضاً .

٤ — المقابسات ، بومباي ١٣٠٣ هـ ؛ شيراز ١٣٠٦ هـ ؛ (نشره حسن السندوبي) القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى)١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م؛ (حققه محمد توفيق حسين)، بغداد (مطبعة الارشاد)١٩٧٠ م .

الامتاع والمؤانسة (نشره أحمد أمين وأحمد الزين) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٩ — ١٩٤٠ م .

الهوامل والشوامل (للتوحيدي ومسكويه) (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥١ م .

ثلاث رسائل (الرسالة الثانية : في علم الكتابة للتوحيدي) (نشرها ابراهيم الكيلاني)، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٥١ م .

الاشارات الالهية والأنفاس الروحانيـة (نشره عبد الرحمن بدويّ)، القاهرة (جامعة فؤاد الأوّل) ١٩٥٠ م ؛

البصائر والذخائر (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٣ م؛ (نشره عبد الرزّاق محيي الدين)، بغداد (مطبعة النجاح) ١٩٥٤ م؛ (تحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء) ١٩٦٤ م .

رسالتان في الصداقة والصديق : في العلوم ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١هـ ؛ القاهرة ١٣٢٣ هـ ؛ (نشرهما ابراهيم الكيلاني)، دمشق ١٩٥١ م ؛ — رسالة الصداقة والصديق (عني بتحقيقها ابراهيم الكيلاني)، دمشق (دار الفكر) ١٩٦٤ م .

مثالب الوزيرين : الصاحب بن عبّاد وابن العميد (نشره ابراهيم الكيلاني) ، دمشق ١٩٦١ م

اخلاق الوزيرين : مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد (حقّقه محمّد ابن تاويت الطنجي)،

---

(١) مواسم الاعياد (الفطر ، الاضحى) والفصول (النيروز ، المهرجان) الخ .

ـ دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
** أبو حيّان التوحيدي : أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، تأليف ابراهيم زكريّا ــ أعلام العرب رقم ٣٥ ــ القاهرة (المؤسّسة المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٤ م .
أبو حيّان الوحيدي : سيرته وآثاره ، تأليف عبد الرزّاق محيي الدين ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٤٩ م .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف أحمد محمّد الحوفي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف احسان رشيد عبّاس ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٦م .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف ابراهيم الكيلاني ، بيروت دار المعارف ١٩٥٧ م .
معجم الادباء ١٥ : ٥ ــ ٥٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ (في آخر ترجمة ابن العميد) بغية الوعاة ٣٤٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٣ ، الملحق ١ : ٤٣٥ ــ ٤٣٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٦ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي (مقال لمحمّد كرد عليّ) آذار ــ مارس ١٩٢٨ م ؛ (مقال لأحمد الجندي) كانون الثاني ــ يناير ١٩٦٥ م ؛ « دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٢٦ ــ ١٢٧ ؛

Islamic Culture, Apr 1954.

النثر الفنّي لزكي مبارك ١ : ٢٨١ ــ ٥ ٢٨ ، ٢ : ١٣٣ ــ ١٤٤ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٤ .

ابن خلف النـــيرماني

١ ــ هو أبو سعد عليُّ بنُ محمّدِ بنِ خَلَفٍ الكاتبُ النيرمانيُّ ، نِسبَةً إلى نيرمانَ ــ قرية من قُرى الجَبَل قُرْبَ هَمَذانَ (بلادَ فارس) ــ كانَ يَخْدِمُ في ديوانِ الإنشاء في دولةِ بني بُوَيْه ، وقد حَظِيَ عند بهاء الدولة أبي نصرٍ فيروزَ فَنّا خَسْرو البوَيهيّ أميرِ الأمراء في بَغْدَاد (٣٧٩ ــ ٤٠٣ هـ) . وكانت وفاة ابنِ خَلَفِ النيرمانيّ سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) .

٢ ــ كان ابنُ خَلَفٍ النيرمانيُّ من جُمْلةِ الكُتّابِ الفُضلاء ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً صَنَّفَ لبهاء الدولة البُوَيهيّ كتابَ « المنثور البهائي » ــ وهو نَثْرٌ لكتابِ الحماسةِ (لأبي تمّام) ــ . ولابن خَلَفٍ النيرمانيّ شعرٌ عاديٌّ يَغْلِبُ عليه تقليدُ القُدماء منه قصيدةٌ على الأسلوب الأُمويّ في الغزَلِ العُذْريّ ، ولكنّ فيها عدداً من المعاني الجِيـادِ البارعةِ في إصابةِ الغرَضِ وجَمال التعبير .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ لابنِ خلفِ النيرمانيّ قصيدةٌ يَتَشَوَّقُ فيها إلى بَغدادَ ويُبَرِّرُ مُغادرتَه إياها :



خَليليّ في بَغْدادَ ، هل أنتما لِيـا على العَهْد مثلي أم غدا العَهْدُ باليا ؟
وهل أنا مذكـورٌ بخيرٍ لَدَيْكُمـا إذا ما جرى ذِكْرٌ لِمَنْ كان نائيا[1] ؟
كتابيَ عن شَوْقٍ شديدٍ إليكمـا كأنّ على الأحشـاء منه مَكاويـا .
فلا تيْأسا أن يَجْمَعَ اللهُ بيْنَنـا كأحسنِ مـا كُنّا عليهِ تصافيـا ؛
فقد يَجْمَعُ اللهُ الشَتيتَيْنِ بعدَ ما يَظُنّانِ كُلَّ الظنِّ أن لا تَلاقيا[2] !
وخَبَّرْتُماني أن تَيْماءَ مَنْـزِلٌ لِلَيْلى إذا ما الصيفُ ألقى المَراسيا[3] ؛
فهذي شُهورُ الصيفِ عَنّا قد انْقَضَتْ ؛ فما لِلنَّوَى تَرْمي بليلى المَراميـا[4] ؟
فِدًى لكِ ، يا بَغْدادُ ، كلُّ مدينـةٍ من الأرضِ حتّى خِطَّتَيَّ ودارِيا[5] .
فقد سِرْتُ في شرقِ البلادِ وغَرْبِهـا وطَوَّفْتُ خَيْلي بَيْنَها وركابيـا ،
فلم أرَ فيها مِثْلَ بَغدادَ مَنْزِلاً ، ولم أرَ فيها مثلَ دِجْلَةَ واديـا[6] ،
ولا مِثْلَ أهْليهـا أرَقَّ شَمائلاً وأعذبَ ألفاظاً وأحلى مَعانيا[7] .
وكم قائلٍ : «لو كانَ وُدُّكَ صـادقاً لِبَغْدادَ لم تَرْحَلْ» . وكان جَوابيا :
«يُقيمُ الرجالُ المُوسِرونَ بأرضِهِمْ ، وتَرْمي النَّوى بالمُقْتِرين المَراميا[8]» .

٤ ** فوات الوفيات ٢ : ٩١ – ٩٢ ؛ اعلام للزركلي ٥ : ١٤٥ .

أبو الحسن التهامي

١ – هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بن نَهْدٍ التِهاميُّ من مَكّةَ أو مِنْ جِوارِها ، كان في أوّلِ أمره من السُوقة ثم رَحَلَ إلى الشام واتّصل ببني الجَرّاح شُيوخِ بني طَيّ المُسْتَبِدّين بحكم الرَمْلة وعَسْقَلان (فِلَسْطين) فأخذَ يَمْدَحُهم وطالَ مُكْثُه عندهم.

(١) النائي : البعيد .
(٢) الشتيتان : المفترقان .
(٣) تيماء : واحة قرب المدينة ، وهي هنا رمز وليست للدلالة على بلد معين . ألقى المراسي : استقر ، ثبت (اشتد حره) .
(٤) النوى : البعاد . المرامي : الاماكن البعيدة .
(٥) الخطة (بكسر الخاء) : القطعة من الارض .
(٦) دجلة : نهر تقوم عليه بغداد . الوادي : النهر .
(٧) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين) : الخلق ، الخصلة ، العادة .
(٨) الموسر : الغني . النوى : البعاد . المقتر : الفقير .

يُخبِرُنا ابنُ خلكانَ (٢ : ٥٤ – ٥٥) أنّ التهامي «وَصَلَ الى الديارِ المِصْرية مُستَخفياً ومعَه كُتُبٌ (رسائلُ) كثيرةٌ من حَسّانِ بن مفرّج بن دغفلٍ البَدَويّ ، وهو متوجّهٌ بها إلى بني قُرّة . فظَفِرَ به (رجالُ الحاكمِ بأمر الله) فقال لهم : أنا من بني تميم . فلمّا انكشفتْ حالُه عُرِفَ أنه التِهاميُّ الشاعرُ فاعتُقِلَ في خزانة البُنود ، وهي سِجْنٌ بالقاهرة ، وذلك لأربعٍ بقِينَ من شهر ربيعٍ الآخرِ ٤١٦ (١٠٢٥ م) . وقد كان يَحْمِلُ رسائلَ الى بني قرّة البدوِ للثورة على الحُكْم الفاطمي في مصر[١] . وبعد نَحْوِ أسبوعين قُتِلَ التِهاميّ في سِجنه سِراً .

٢ – التِهاميُّ شاعرٌ مُقِلٌّ ، ولكنّه مُجيدٌ مُحْسِنٌ فصيحُ الكلامِ سهلُ التراكيب رقيقٌ ، غير أنّ له مبالغاتٍ . وله مديحٌ ورِثاء وغزَل ووصف وحكمة وذمّ للدنيا .

٣ – مختارات من شعره

– قال التهامي في الرحمة للحاسدين :

إنّي لأَرْحَمُ حاسِدِيَّ لِحَرِّ ما ... ضَمّتْ صُدورُهُمُ من الأَوْغارِ[٢] ؛
نظروا صنيعَ اللهِ بي ، فعُيونُهُمْ ... في جَنّةٍ وقلوبُهم في نار .
ومن الرجالِ معالمٌ ومجاهلٌ ؛ ... ومن النجوم غوامضٌ ودَرارِ[٣] .
والناسُ مُشْتَبِهون في إيرادِهم ؛ ... وتَبايُنُ الأقوام في الإصدار[٤] .
ذهب التكَرُّمُ والوفاءُ من الوَرى ... وتَصَرّما ، إلاّ من الأشعار !
وفَشَتْ خِياناتُ الثِقاةِ وغيرِهم ... حتى اتّهمنا رُؤيةَ الأبصار .

– وقال يرثي ابنه وقد مات صغيرا :

حُكْمُ المَنيةِ في البَرِيّةِ جارِ ؛ ... ما هذه الدنيا بدارِ قَرارِ .
بَيْنَا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتى يُرى خَبَراً من الأخبار !
طُبِعَتْ على كَدَرٍ ، وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأقذار والأكدار .

---

(١) راجع ترجمة الوزير أبي القاسم بن المغربي (ت ٤١٨ هـ) ، تحت ، ص ٧٨ .

(٢) الاوغار جمع وغر (بسكون الغين أو بفتحها) : الحقد ، الضغن ، التوقد من الغيظ .

(٣) معالم : مشهورون ، يهتدى بهم . مجاهل : مغمورون ، لا قيمة لهم . غوامض : خفيات ، لا ترى . دراري : لامعات .

(٤) مشتبهون : مستوون ، يشبه بعضهم بعضاً . ايرادهم : حضورهم ، مجيئهم الى الدنيا ، تكوينهم . – ولكن الناس يختلفون في إصدارهم (ما يصدر عنهم من السلوك والاعمال) .

ومُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها مُتَطَلِّبٌ في الماء جُذْوَةَ نـار !.
وإذا رَجَوْتَ المُسْتحيلَ فإنَّمـا تَبْني الرَّجاءَ على شفيرٍ هـارِ[1] ؛
فالعيشُ نَوْمٌ ، والمَنيَّةُ يَقْظَةٌ ، والمرءُ بينَهما خَيالٌ سـار .
والنفسُ ، إنْ رَضِيَتْ بذلك أو أبَتْ ، مُنقادةٌ بأزِمَّـةِ المِقْـدار[2] .
إنّي وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَـقٍ أعْدَدْتُه لِطِلابَةِ الأوتـار .
يا كوكباً ما كان أقصَرَ عُمْرَه ؛ وكذا تكونُ كواكبُ الأسـحار .
وَلَدُ المُعَزّى بَعْضُه ؛ فإذا انقضى بَعْضُ الفتى فالكُلُّ في الآثـار[3] .
جاوَرْتُ أعـدائي وجاوَرَ رَبَّـه ؛ شَتّانَ بينَ جِوارِه وجِواري !

– وقال في الغزل والنسيب :

إنّي لأعْجَبُ من جَبينِكَ كيف لا يُطْفي لَهيبَ الوَجْنَتَيْنِ بمـائِه :
ما أبْصَرَتْ عَيْنايَ شيئاً مُونِقـاً إلاّ ووَجْهُكَ قائمٌ بـإزائه .
حَرِّقْ سِوى قَلْبي ودَعْه ، فإنّني أخْشى عليكَ فأنتَ في سَوْدائه[4] .

– وله في الغـزل :

قُلتُ لِخِلّي – وثغـورُ الرُبـا مُبتسماتٌ وثغـورُ المِـلاحْ :
أيُّهما أحـلى ، تُرى ، مَنْظَراً؟ فقال : لا أعلمُ ، كلٌّ أقـاحْ !

٤ – ديوان التهاميّ ، الاسكندرية (مطبعة الاهرام) ١٨٩٣ ؛ دمشق الطبعة الثانية (المكتب الاسلامي) ١٩٦٤ م .

مرثية (التعليقة الشريفة على جملة من القصائد الحكمية – نشرها محمود الشريف – القاهرة ١٣١٠ هـ) .

** يتيمة الدهر .... دمية القصر ٤٤ – ٥٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٣ – ٥٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ بروكلمان ١ : ٨٦ ، الملحق ١ : ١٤٧ ؛ مجلّة الاقـلام (بغداد) ، أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥ م ، ص ١٥٨ وما بعد . الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٥ – ١٤٦ .

---

(١) الشفير : المنحدر الحاد . الهاري : الذي لا يثبت تحت الاقدام (لأنه من رمل) .
(٢) المقدار : القضاء والقدر .
(٣) في الآثار : تابع على الاثر .
(٤) سوداء القلب : وسطه (البطين الذي يلقى فيه الدم بعد الموت) .

الوزير المغربي

١ ـ هو أبو القاسم الحُسينُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ المعروفُ بالوزيرِ المَغْرِبيّ[١] .

كان أبو القاسم الحسينُ بن أبي الحُسين عليّ (جدُّ صاحبِ هذه الترجمة) كاتباً لسيف الدولة بن حَمدانَ . ثم كان أبو الحسن عليُّ بنُ المَغْرِبي (والدُ صاحبِ الترجمة) آخِرَ وزراءِ سيفِ الدولة ؛ ثمّ استوزره سعدُ الدولةِ أبو المعالي شريفُ بنُ حَمدانَ (ابنُ سيفِ الدولة وخَلَفُهُ في حُكْمِ حلب) ، غير أننا لا نعلم مــاذا اتّفق له بعد أن اضطربَ أمرُ أبي المعالي . ثـم نجده في سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) مع شَرَفِ الدولةِ البويهيّ صاحبِ المَوْصل (٣٧٦ ـ ٣٧٩ هـ) . ثم ان أبا الحسن علياً اختَلَفَ وَشيكاً مَعَ بَدْرِ الكُرْدِيّ(!) وغادر العراق الى مِصْرَ في أيام الحاكم بأمر الله الفاطميّ (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ) .

في هذه الفترة المضطربة من حياة هذه الأُسرة وُلِدَ أبو القاسمِ الحُسين بنُ عليّ (صاحب هذه الترجمة) ، في الثالثِ عَشَرَ من شهر ذي الحِجّة سنة ٣٧٠ هـ (٢٠/ ٦/ ٩٨١ م) . وقد حَفِظَ القرآنَ العزيزَ وعِدّةً من كُتُب اللغة والنحو ومن مجاميع الشعر القديم ، كما قرأ شيئاً من علم الحساب والجَبر والمُقابلة .

ثم أنّ الحاكم بأمر الله تغيّر على وزيره أبي الحسن فقَتَلَه وَقَتَلَ مَعَهُ ابْنَيْهِ المُحسِّن ومحمداً وأخاه أبا عبد الله، في الثالث من شهر ذي القَعْدة سنة ٤٠٠ (١٥/ ٦/ ١٠١٠ م) . وهرب أبو القاسم الحسين (صاحب هذه الترجمة) وجاء الى صاحب الرملةِ حَسّانِ بنِ الحسنِ بن مُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجرّاح الطائي واستجار به ومدحه ، فأجاره حسّان . وبعد مدّة استطاع أبو القاسم الحسين إفسادَ ما بين صاحبِ الرملة وبين الحاكم بأمر الله ؛ ثم انتقل الى مكّة وأطمع أميرها أبا الفتوح الحسن بن جعفر[٢] بالتّسمي

---

(١) يبدو أن أسرة الوزير المغربي كانت قد لفقت لنفسها نسباً يتصل بيزدجرد بن بهرام بن جور ملك فارس . ويميل ابن خلكان الى أن الوزير المغربي كان مغربي الأصل فعلا (وفيات الاعيان ١ : ٢٨٠ ، السطر الثاني من أسفل) ؛ وأرى أنه لقب (أو لقب أبوه) بذلك لأنه كان في مصر وزيراً للحاكم بأمر الله الفاطمي (والدولة الفاطمية في أصلها مغربية النشأة) .

(٢) في تاريخ الكامل (بيروت ٩ : ٣٣١) أن الوزير المغربي ولد في مصر سنة ٣٧٠ هـ .



بالخلافة وعاد فأقنع حسّانَ بن الحسن بن مفرّج بمبايعة أبي الفتوح[1] .

وأدرك الحاكم بأمر الله مَغَبّةَ هذه الحركة فاستمال إليه حساناً الطائيَّ بالمال الكثير فاضُطرّ أبو الفتوح الى أنْ يعودَ هارباً الى مكّةَ ، كما اضطرّ أبو القاسم الحسين أن يُغادِرَ الشامَ فجاء الى العراق حيث اتّصل بفخر الملك أبي غالب بن خلَف وكان وزيراً لسُلطان الدولة البويهيّ صاحب البصرة ونائباً له على واسط (٤٠١ – ٤٠٦ هـ) . ولكنّ الخليفةَ العبّاسيَّ القادرَ بالله ظنّ في أبي القاسم الحُسين أنه يُريدُ إفساد الدولة العبّاسية (وكانت الدعوة الفاطمية قد وَجدَتْ سبيلاً الى العراقِ وخُطِبَ للحاكم بأمرِ الله في المَوْصل والأنبار والكُوفة ، في سنة ٤٠١ هـ ، ثم قطعت الخطبة له وعادت للقادر بالله العبّاسي) .

ووزر أبو القاسم الحسينُ بنُ عليّ بعد ذلك لعدد من الأمراء في العراق – وهو يتنقّل من أمير الى أمير[2] – حتّى مات في ميافارقين في ١٣ رمضان ٤١٨ (١٠٢٧ م) .

٢ – كان الوزيرُ المغربيُّ أبو القاسم بن عليّ أديباً بارعاً ومترسّلاً وشاعراً مُحْسِناً . وفنونه المديحُ والرثاء والغزل والنسيب والأدب . وكذلك كان مصنّفاً له : كتاب سيرة النبيّ (موجز من سيرة ابن هشام) – كتاب أدب الخواصّ في المختار من بلاغة قبائل العربِ وأخبارها وأنسابها وأيّامها – كتاب الإيناس بعلم الانساب (مرتّب على حروف المعجم وفيه شواهد من الشعر وعدد من التعليقات التاريخية) – كتاب في السياسة – كتاب المأثور من ملح الخدور .

٣ – مختارات من شعره

– قال الوزيرُ المغربيُّ أبو القاسم الحسينُ بن عليّ[3] :

أقولَ لها ، والعِيسُ تُحْدَجُ للسُرى : أعِدّي لِفَقْدي ما استطعتِ من الصَبْرِ[4]

---

(١) أبو الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر من آل فليتة أشراف مكة تولى مكة مرتين (٣٨٤ – ٤٠١ و ٤٠٣ – ٤٣٠ هـ) ، وطالب بالخلافة سنة ٤٠٢ هـ . ويبدو أن أبا الحسن التّهامي الشاعر (راجع ، فوق ، ص ٧٦) بدأ يتردد على مصر لهذه المهمة منذ ذلك الحين .

(٢) راجع كثرة تنقله بين البلاطات في معجم الادباء (١٠ : ٨٠ – ٨٢) .

(٣) الابيات الثلاثة التالية رواها ياقوت (معجم الادباء ١٠ : ٨٨) للوزير المغربي، وهي تروى لغيره راجع ص ٩٨) .

(٤) العيس : النياق . تحدج (بالبناء للمجهول) : يشد عليها الحدج (بكسر الحاء : مركب للنساء يرفع على الابل) – كناية عن الاستعداد للسفر .

سأنفقُ رَيْعانَ الشبيبةِ آنِفاً ... على طَلَبِ العَلْياء أو طلب الأجرِ[1].
أليسَ من الخُسْرانِ أنّ لَيالِياً ... تَمرّ بلا نَفْعٍ وتُحْسَبُ من عُمْري !

— وله في الغزل :

حلَقوا رأسَه ليَكْسوهُ قُبْحاً ... غَيْرةً مِنهُمُ عَلَيهم وشُحّاً .
كان صُبْحاً عليه لَيْلٌ بَهيمٌ ، ... فمَحَوْا لَيْلَه وأبقَوْهُ صُبْحاً !.

— وممّا قاله في آخرِ أيامه وأوْصى أن يُكْتَبَ على قَبْرِه :

كُنْتُ في سَفْرةِ الغَوايةِ والجَهْ ... لِ مُقيماً ، فحانَ مِنّي قُدومُ[2].
تُبْتُ من كلّ مأثمٍ ، فعسى يُمْ ... حى بهذا الحديثِ ذاك القديمُ ؛
بعدَ خَمْسٍ وأربعينَ — لقد ما ... طَلْتُ ! — ألا إنّه الغَريمُ[3] الكريم .

٤ ** تتمة اليتيمة ١ : ٢٤ — ٢٥ ؛ دمية القصر ٤٠ — ٤٢ ؛ معجم الادباء ١٠ : ٧٩— ٩٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٧٧ — ٢٨١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢١٠ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣٤ ، الملحق ١ : ٦٠٠ — ٦٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٦ — ٢٦٧ .

عبد المحسن الصوري

١ — هو أبو محمّدٍ عبدُ المُحْسِنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بن غالبِ بنِ غَلْبونٍ من أهلِ صُور (في بلادِ الشام) ، كان مولدُه قُبيل سنة ٣٤٠ هـ[4] .

يذكر ابن خلّكان أنّ عبدَ المُحْسن الصوريَّ مدح عليَّ بنَ الحُسينِ والدَ الوزيرِ أبي القاسم بنِ المَغْربي[5] . فعلى هذا يَجِبُ أن يكونَ عبدُ المحسن قد ذَهَبَ الى مِصْرَ قبلَ سنة ٤٠٠ هـ ، وهي السنةُ التي قُتِلَ فيها علي بن الحُسين هذا .

ومات عبدُ المحسن الصوري في ٩ شوّال ٤١٩ هـ (٣٠/ ١٠/ ١٠٢٨ م) .

٢ — عبدُ المحسن الصوريُّ شاعرٌ مُجيد فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيبِ عذبُ الكلامِ قريبُ المعاني طيّبُ النفسِ فَكِهٌ ، وكان بعضُ شِعرِه يُغنّى . وأوسعُ فنونه الغزلُ ، وله مديحٌ ورثاء وهجاء وشيءٌ من الخمر .

(١) آنفاً : مستأنفاً : بادئاً من جديد ؛ أو قائماً بأعمال جديدة لم يلمم بها غيري من قبل .
(٢) ... قدوم = قدوم على الله (موت) .
(٣) الغريم : المطالب بالدين . — كناية عن ان الوزير المغربي يشعر بأنه أذنب الى الله وأن الله سيعفو عنه .
(٤) يذكر عبد المحسن أنه جاوز السبعين في بيت له (يتيمة الدهر ١ : ٢٦٩ ، السطر ١٤) .
(٥) راجع ترجمة الوزير المغربي (ص ٧٨) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال عبدُ المحسن الصوري في الغزل والنسيب :

بِالّذي أَلْهَمَ تعْـ ـذيبي ثَنَاياكِ العِذابا[1] ،
والذي أَلْبَسَ خَـدَّيْـ ـكِ من الوَرْدِ نِقابـا ،
والذي صَيَّـر حَظّـي منكِ هَجْراً واجْتِنـابا
ـ يا غزَالاً صـادَ بالـ لحْظِ فـؤادي فأصابا ـ
ما الذي قالَتْـهُ عَيْـ ناكَ لقَلْبـي فأجـابا ؟

ـ وقال يمدَحُ عليَّ بن الحسين المغربيَّ :

أتُرى بثـأرٍ أمْ بديْـنِ عَلِقَتْ مَحاسِنُها بعيْني ؟
في لَحْظِها وقَوامِهـا ما في المُهنّدِ والرُّديني[2] .
وبوجْهِها مـاءُ الشـبا بِ خليطَ نارِ الوَجْنَتين .....
هل بعدَ ذلكَ من يُعَـرُّ فُني النُّضار من اللُّجين[3] ؟
فلَقَدْ جَهِلْتُهما لبُعْد الـ عَهْدِ بيْنَهما وبَيْـني :
مُتَكَسِّباً بالشعْرِ ، يـا بِئْسَ الصِناعةُ في اليَدَين .
كانتْ كذلكَ قبـلَ أن يأتِي عليُّ بنُ الحُسينِ ! .....

ـ وقال يستنجزُ وعداً من بعضِ الممدوحين :

عِندي حدائقُ شِعرٍ غرْسُ جودِكُمُ قدْ مسّها عطشٌ ؛ فلْيَسْقِ من غرَسَا :
تداركوها وفي أغْصانِها رَمَقٌ[4] ، فلن يعودَ اخضرارُ العودِ إنْ يَبِسا ! .

٤ ●● يتمية الدهر ١ : ٢٥٧ ـ ٢٦٩ ؛ تتمة اليتمة ١ : ٣٥ ـ ٣٦ ؛ وفيات الإعيان ١ : ٥٥٢ ـ ٥٥٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢١١ ـ ٢١٢ ، مجلة العرفان ٣٢ : ١٥ وما بعد ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٩٥ .

---

(١) بالذي : أقسم عليك بالذي ... ألهم تعذيبي ثناياك : أشار على أسنانك (الجميلة) أن تعذبني . العذاب : جمع عذب (ذات الريق العذب ، أي الحلو) .
(٢) المهند : السيف . الرديني : الرمح .
(٣) النضار : الذهب . اللجين : الفضة .
(٤) أسرعوا الى إنقاذها ما دام فيها رمق (بقية من حياة) .

المنتجب العاني

١ ـ هو أبو الفضل محمّدُ بنُ الحسنِ الحَديجي المُضريّ المعروفُ بلقب المُنْتَجَب العانيّ ، وهو يَفْتَخِرُ في شعرهِ بأنّه من بني نُمير مِنْ مَضَرَ الحمراء من عرب الشّمال. وكذلك أبواه فانّنا لا نَعْرِفُ من أمرِهما شيئاً .

يَغْلِبُ على الظنّ أن المُنْتَجَبَ العانيَّ وُلِدَ في عانةَ على الفُرات الأعلى ونَشأ فيها وفي بغدادَ حيثُ استقرّ مُدّةً ؛ ثمّ انتقل الى حَلَبَ وسَكَنَها . ويبدو أن سُكْناه لم تَطُلْ في حلبَ فانتقل الى جِبال اللاذقيّةِ (غَربيّ الشام) . ثمّ انّ مَعْرِفتَنا بشيخه الحُسين بن حَمْدانَ الخَصيبي قليلةٌ جدّاً .

تلقّى المنتجبُ العانيّ العقيدةَ الباطنيةَ عن حسينِ بنِ حمدانَ الخصيبي (ت ربيع الأوّل ٣٥٨ = أوائل ٩٦٩ م) زعيمِ طائفة العلويّين النصيرية [١] ، أصلُه من مِصْرَ ثمّ انتقلَ الى جُنبلا (بضمّ الجيم) في العراق . بعدئذٍ جاء الى بغدادَ . ثمّ استقرّ في حَلَبَ الى حينِ وفاته . والخصيبيّ هذا تلقّى الدعوةَ الباطنيّة عن عبدِ الله بن محمّدِ الجنّان الجُنبلاني (من أهل جنبلا) الفارسيّ داعيةِ العلويّين وعالِمهم ورئيسهم في عصرِه ومؤسّسِ الطريقةِ الجنبلانية، تلك الطريقةِ التي أصبح اسمُ أتباعِها فيما بعدُ « العلويّين » (أهلَ منطقة اللاذقية في سورية) . وكانت وفاة الجُنبلاني في جنبلا ، سَنَةَ ٢٨٧ هـ (٨٠٠ م) [٢] .

فالمنتجبُ العانيّ ، إذَنْ ، ليسَ شاعراً فحَسْبُ ، بل هو من كبارِ الأشخاص في سلسلةِ الدُعاة العلويّين المنشقّين عن الدعوةِ الفاطميّة والمختلفين من أتباع مذهب التوحيد (الدروز) .

وكانت وفاةُ المُنتجب في عانةَ ، فيما يُظَنّ ، حوالي سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ ـ ١٠١٠ م) ، فيما ذَكَرَ بروكلمان (الملحق ١ : ٣٢٧) ، غيرَ أن خصائصَ شعرِه تَدُلّ على أنّه أكثرَ تأخّراً في الزّمن الى ٤٢٠ أو أبعدَ [٣] .

---

(١) راجع ص ٧.

(٢) راجع في هذا كله : تاريخ العلويين ١٩٥ وما بعد ؛ أعيان الشيعة ٥ : ٣٤٥ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٢٥٥ ، ٤ : ٢٦١ .

(٣) ولعل أحداث حياة المنتجب لا تتسق مع حياة الخصيبي اذا نحن أصررنا على سنتي وفاتيهما ثم لا تتفق اذا نحن باعدنا بين سنتي وفاتيهما ، كما يجب أن نفعل . ومن الخصيبي ، فيما يبدو ، تحدرت العقيدة الباطنية الى المنتجب ، غير مباشرة في الاغلب ؛ وبهذا يكون الخصيبي شيخاً للمنتخب .



٢ – المُنْتَجَبُ العانيُّ شاعرٌ وجدانيٌّ وصلَ إلينا من شعرِه اثْنَتا عَشْرَةَ قصيدةً طويلة تَعُدُّ أَلْفَيْ بيتٍ . وللمنتجب مَقْدِرَةٌ لُغَوِيَّةٌ ظاهرةٌ ، ولكنَّ في شعرِه أيضاً أشياءَ من الخطأ (رسالة فن المنتجب العاني ص ٥٨ ، ١٢١ ، ١٨٣ الخ) . وكذلك نَجِدُ له السبكَ المتينَ الى جانب التركيبِ الذي يَرِكُّ أحياناً . وهو غزيرُ المعاني ، ولكنّه أيضاً شديدُ التقليدِ لِنَفَرٍ من الشعراء كالمتنبّي (ت ٣٥٤ هـ) . والشريفِ الرضيِّ (و ٤٠٦ هـ) والمَعَرّي (ت ٤٤٩ هـ) كثيرُ الأخذِ منهم مِمّا يُوحي بتأخّره في الزمن.

والمنتجب العاني شاعرٌ باطنيٌّ متطرّفٌ عنيفٌ ، وفي شعرِه كثيرٌ من ألفاظ الباطنية ورُموزهم . أما فنونُه فهي مَدْحُ الرسولِ وآلِ البيت والفخرُ والرثاء والخمر والغزل . ويَغْلِبُ التصوّفُ على فنون شعره . فاذا لم نأخُذْ باتّجاهِه الصوفيّ فإنَّ مُعْظَمَ غزلِه يُصْبِحُ حينئذٍ مذكّراً .

٣ – مختارات من شعره

– قال المُنْتَجَبُ العاني في الغزل :

وربَّ أهْيَفَ ساجي الطَّرْفِ مُعْتَدِلٍ ... أغَنَّ أحْوى دقيقِ الخَصْرِ واهيهِ [١] ،

أعار أمَّ الطَّلا من غُنْجِ مُقْلَتِهِ ... وعلّم البان ضَرْباً من تَثَنّيهِ [٢] ؛

خلَوْت أجْلو دُجى لَيْلي بطَلْعَتِه ... حتّى الصباحِ وأجْني الراحَ مِنْ فيه [٣] .

تجمّعت فيه أوصاف مُفَرَّقَةٌ ... في الناس فازدادَ عُجْباً من تناهيه [٤] .

قضيب بانٍ على حِقْفٍ يلوح على ... عَلْيائهِ بَدْرُ تِمٍّ تحتَ داجيه [٥] ؛

فالنَّرْجِسُ الغَضُّ مِنْ عَيْنَيْهِ أنْهَبُهُ ، ... والورد بِاللَّحْظِ من خَدَّيْهِ أجْنيه .

---

(١) أهيف : دقيق الخصر ، نحيل . ساجي : هادئ ، مكسور . الطرف : العين ، الجفن . معتدل : مستقيم القامة . أغن : ذو غنة (نغمة حلوة) في صوته . أحوى : أسمر الشفة . واهية : واهي (ضعيف) الخصر .

(٢) أم الطلا : الغزالة . الغنج : الدلال والدلع . البان : شجر أغصانه مستقيمة ملساء سمراء . ضربا : نوعا . التثني : التمايل .

(٣) الدجى : سواد الليل . أجني : أقطف (أتناول) . الراح : الخمر .

(٤) العجب : الاعجاب بالنفس ، الكبرياء . التناهي : بلوغ النهاية أو الغاية في الأمر (هنا : في أوصاف الجمال) .

(٥) الحقف : الجانب العظيم المستدير من الرمل (يقصد : وسط جسمه) . بدر تم : البدر ليلة تمامه وامتلائه (يقصد : وجه المحبوب) . الداجي : (الليل) المظلم .

ذَلَلْتُ من بعدِ عِزّي في هــواهُ إلى أن صار يُسْخِطُني تِيهاً وأُرْضِيه[1].
ولي فُؤاد على التَعْذيب مُصْطَبِرٌ ؛ فها هُو الآن يُقْصِيني وأُدنيــه.
لا يَرْعَوي لِعِتابي في تَجنُّبِهِ ، ولا يَرِقُّ لحــالي في تَجنّيــه[2].
وكُلّما قُلْتُ يَثْنِيهِ الحيــاءُ إلى حُسْنِ الوفاء تَمادى في تَمــاديه[3] ؛
مَعْ عِلْمِهِ أن ذُلّي في تَعــزُّزِه ، وأن فَرْط تَــلافي في تَلافيه[4].
قالوا إلى كم تُلاطفه (!) فقلت لهم مِنه الــدلال ومنّي أن أُداريه[5].

. . . . . .

ما النفع بالطَلَلِ البالي وقد دَرَسَت أقمارُه ونــأت عنّي دراريــه[6] !
مَهْما نَسيت فلَن أنسى به زَمَناً صَفا فكَدَّرَتِ الأيــام صافيه.
يا مَرْبَعاً طالما غَنَّيْتُــه طَرَبــاً من السرورِ فعُدتُ اليَوْم أبْكيه[7].
ما بالُ مَغْناك لا يَرْثي لِذي شَجَنٍ ولا يُجيب أخــا شَجْوٍ يُناديه[8] ؟
تَهَضَّمَتْكَ يد البَلْوى وغَيَّرتِ الـ أتْراح ما كُنْتَ بالأفراحِ مُبْديه[9].
وأصبح الشَّمْل بعد الجَمْعِ مُفْترقاً مُذْ جارَ في الحُكْمِ والتَشْتيتِ قاضيه[10]
(ماضٍ مِنَ العيشِ لو يُفْدى بَذَلْتُ لَه) روحي ورَخَصْتُ في ما كُنْتُ أُغْليه[11]

---

(١) التيه : العجب (بضم العين) والكبرياء.

(٢) ارعوى : رجع أو عاد عن ذنبه . التجنب : البعاد ، الهجر . التجني : نسبة الذنب الى غير مذنب .

(٣) يثنيه : يرده (سيرده) . تمادى : استمر .

(٤) تلافي (الاولى) : هلاكي . تلافيه : تجنب الاجتماع بي (ابتعاده عني) .

(٥) « تلاطفه » ساكنة لضرورة الوزن وحقها الرفع بضمة على الفاء . وهذا من أخطاء الشاعر .

(٦) الاقمار والدراري (النجوم) كناية عن النساء الحسان . نأى : ابتعد .

(٧) المربع : المكان الخصب (الذي ينزل الناس فيه في الربيع) المسكون .

(٨) المغنى : المكان المسكون عامة . الشجن : الحزن . الشجو : الحزن (أيضاً) .

(٩) تهضمتك : نهكتك (أتعبتك) وهزلتك (أنحلتك) .

(١٠) في الاصل : بالحكم . جار قاضيه (قاضي المحبوب أو قاضي الغرام) في حكمه (ظلم) اذ حكم علي بالتشتيت (افتراق الشمل ، بالبعاد) .

(١١) الشطر الاول مضمن من شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) :

ماض من العيش لو يفدى بذلت له كرائم المال من خيل ومن نعم .

— وقال في ما بين الخمر والغزل :

وليلةٍ بتُ أجلوها بشمسِ ضُحىً ... صهباءَ تُخبرِ عن نوحٍ وعن هودِ [1]
مع كلِّ هيفاءَ مصقولٍ ترائبُها ... ماستْ بقدٍّ كغصنِ البانِ أملودِ [2] ؛
تخالُها إن شدتْ ، والكأسُ دائرةٌ ، ... قد أوتيتْ نغمةً من آلِ داوودِ [3] .
قد كان ذاك ووقتي يانعٌ نضرٌ ... والعيشُ غضٌّ وعصري ناعمُ العودِ [4] .
بانَ الشبابُ فبِنَّ الغانياتُ ؛ ومن ... يَشِبْ يجدْ طولَ همٍّ ثم تنكيدِ [5] .
لو كان يُرجى لماضي العيشِ مرتجعٌ ، ... لقلتُ : باللهِ ، يا أيامنا عودي !

. . . .

إلى عليِّ بنِ بدرانَ الجوادِ خُدي : ... ربِّ المكارمِ نجّازِ المواعيد [6] ؛
حلفِ السحائبِ فلاّلِ النوائبِ بذْ ... لِ الرغائبِ مأوى كلِّ مطرودِ .
فتىً جرى وسحابَ الجوِّ فانبجستْ ... كفّاهُ إذ ضنَّ صوبُ المزنِ بالجود [7] .

— وقال في معاني الصوفية :

فيا صاحبي — والصبُّ ما انفكَّ في الهوى ... يُناجي بشجوِ الحبِّ من باتَ يصحبُ ، —
أعِنّي على وجدي القديمِ بوقفةٍ ... على ملعبٍ لم يبقَ لي فيه ملعبُ [8] .

---

(١) ليلة بت أجلوها : قضيت الليل كله أفرق ظلامها (أضيئها) بشمس ضحى (خمر) صهباء (حمراء اللون) . تخبر عن نوح وعن هود (كناية عن قدمها) .

(٢) هيفاء ، بان (راجع ص ٨٣ الحاشية ٢) الترائب : أعلى الصدر . مصقول ترائبها : صدرها أملس (كناية عن الشباب) . ماس : تمايل . أملود : طري ، ناعم .

(٣) شدا : غنى . والكأس دائرة : وكأس الخمر تنتقل بين الشاربين . كان داوود معروفاً بجمال الصوت وحسن الغناء . تخالها : تظنها .

(٤) يانع : ناضج . النضر : الزاهي ، الريان ، الاخضر . غض : طري ، رغد ، ناعم . عصرى (؟) ربما : عمري (؟) .

(٥) بان : ذهب . بنّ الغانيات : الغانيات بن : ابتعدن عني (والتعبير الذي استعمله الشاعر — تقديم الفعل مع الضمير على الفاعل — يسمى « لغة أكلوني البراغيث » وهو من الخطأ .
يشب = يشيب : يدركه الشيب . في الاصل : تكيد . التنكيد : تنغيص العيش .

(٦) وخدت الناقة : أسرعت .

(٧) انبجست العين (وانبجس المطر) خرج منها الماء بكثرة . المزن : المطر . صوب المزن : المطر المنهمر .

(٨) على ملعب لم يبق لي فيه ملعب : في مجال اللهو لم يبق مجالا لي (لأنني تقدمت في السن كثيراً) .

هو الرَّبْعُ للجَرْعاءِ من أيْمَنِ الحِمى ، وهذا النَّقا البادي وذاكَ المُحَصَّبُ[1].
فعُجْ يَمْنَةً إنْ كُنْتَ لِلْخِلِّ مُسْعِداً وخَلِّ دُموعَ العينِ في الدارِ تُسْكَبُ[2]
لَعَلَّ مَسيلَ الدمعِ يُعْقِبُ راحةً فَيُطْلَقَ مِنْ أسْرِ الغَرامِ المُعَذَّبُ.

٤ ** فن المتنجب العاني وعرفانه ، تأليف الدكتور أسعد أحمد علي ، المجلد الأول ، بيروت (دار النعمان) ١٩٦٨ م = ١٣٨٨ هـ . (أصله رسالة دكتوراه ، دمشق ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م) .

المُسبحي

١ — هو الاميرُ المُخْتارُ عزُّ المُلْك مُحمّدُ بنُ أبي القاسم عبيدِ اللهِ (٣٠٧ — ٤٠٠ هـ) بنِ أحمدَ بنِ اسماعيلَ بنِ (عبد) العزيزِ المُسبِّحِيُّ، أصلُه من حَرّانَ (شَماليَّ الشامِ والعِراق) ومَوْلِدُه في الفُسطاط (مِصْر القديمة) في ١٠ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٣٦٦ (٤ /٣ / ٩٧٧ م) .

اتّصل المُسَبِّحِيّ في صِباه بالحاكِمِ بأمرِ الله الفاطميّ (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ودَخَلَ في زُمْرة الجند (٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ — ١٠٠٨) ثمّ ما زال يَرْقى حتى تولّى على إقليم القَيْس والبَهْنَسا (في صعيد مصر) ثمّ تولّى ديوان الترتيب . وقد نال حَظْوة عند الحاكم ، وكانتْ له مع الحاكم مَجالسُ ومحاضراتٌ (مباحث) .

وكانت وفاةُ المسبّحي في ربيعِ الثاني من سَنَة ٤٢٠ (ربيع عام ١٠٢٩ م) .

٢ — كان المسبّحيُّ بارعاً في التاريخ والأدب والحِساب والفلك ، كما كان له شعرٌ . وتصانيفُ المُسَبِّحي كثيرةٌ كبيرةُ الحجمِ تَبْلُغُ نحوَ ثلاثينَ كِتاباً منها : التاريخ الكبير (قال فيه المسبّحيّ نفسُه : هو « التاريخ الجليل قَدْرُه الذي يُسْتغنى بمضمونه عن غيره من الكُتُب الواردة في معانيه ؛ وهو أخبار مصر ومن حَلّها من الوُلاة والأمراء والأئمّة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ، وذِكْر

---

(١) الربيع ، الجرعاء ، أيمن الحمى ، المحصب (مكان في منى — بكسر الميم — في مكة) أماكن في الحجاز ترد في أشعار المتصوفة للتبرك والتغزل لا على التعيين .

(٢) عاج : مال ، اتجه الى . الخل : الصديق . مسعداً : مساعدا (للخل) على احتمال ما به من ألم الحب . والمسعد ايضاً : الذي يحزن لحزن الآخرين فيبكي لبكائهم .

نيلها ، وأحوال من حلّ بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة[1] ، وأشعارُ الشعراء وأخبار المغنّين ومجالس القُضاة والحكام والمُعدّلين[2] والادباء والمتغزّلين وغيرهم » ؛ وهو ثلاثةَ عشَرَ ألفَ ورقةٍ[3]) — كتاب التلويح والتصريح في معاني الشعْر وغيره (ألف ورقة) — كتاب الراح والارتياح (ألف وخمسمائة ورقةٍ) — كتاب الغَرَقَ والشَرَق في ذِكر من مات غَرَقا وشَرَقا (مائتا ورقةٍ) — كتاب الطعام والأدام[4] (ألف ورقة) — قِصَصُ الانبياء عليهم السلام وأحوالهم (ألف وخمسمائهِ ورقة) — كتاب المُفاتحة والمناكحة في أصناف الجِماع (ألف ومائتا ورقة) ، كتاب الأمثلة للدول المُقْبلةِ ويتعلّق بالنجومِ والحِساب (خمسمائة ورقة) — كتاب القضايا الصائبة في مَعاني أحكام النجوم (ثلاثةُ آلافِ ورقةٍ) — كتاب جُونَة الماشطة ، ويتضمّن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرّر مرورها على الاسماع وهو مجموع مختلف غير مؤتلف (ألف وخمسمائة ورقة) — كتاب الشّجَن والسَكَن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه (ألفان وخمسمائة ورقة) — كتاب السؤال والجواب (ثلاثمائة ورقة) — كتاب مختار الاغاني ومعانيها[9] .

---

(١) ضاع هذا الكتاب ، ولم يبق منه سوى نتف قليلة متفرقة وجزء صغير في مكتبة الاسكوريال في اسبانية (راجع زيدان ٢ : ٣٧٢ ؛ أدب مصر الفاطمية — مصر ، دار الاعتماد ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١١٠) ينتهي هـذا الكتاب بحوادث سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ — ١٠٢٤ م) . وقد ألف القاضي الفاضل تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن ميسر المتوفي في ١٨ من المحرم من سنة ٦٧٧ (١٢٧٨/٦/٥ م) كتاباً سماه « تاريخ مصر » وجعله ذيلا لكتاب المسبحي ووصل فيه الى سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) .

(٢) المعدلون ، لعلهم العدول (بضم العين) جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) : الرجل الامين الصادق الذي تقبل شهادته في الأمور العامة .

(٣) تكون الورقة خمسة وعشرين سطراً .

(٤) الأدم (بفتح الهمزة وسكون الدال) والإدام (بكسر الهمزة) : مرق أو نحوه فيه شيء من الدهن يؤتدم (بالبناء للمجهول) يلين به الخبز حتى يسوغ (أو يسيغ) الخبز في الحلق .

(٥) الراح : الخمر.

(٦) الشرق (بفتح الشين والراء) : تعذر سلوك الطعام والشراب في الحلق .

(٧) الجؤنة : السفط (الوعاء) المغلف بجلد . الماشطة : امرأة تحسن مشط الشعر (بفتح الشين) وتتخذ ذلك حرفة فتعتني بشعر النساء وبتزيينهن (ليلة العرس وما أشبه ذلك) .

(٨) الشجن : الهم والحزن . السكن : الاطمئنان (مع الزوجة خاصة) .

(٩) في أدب مصر الفاطمية ذكر لكتب أخرى للمسبحي ولكتب ذكرت بلفظ مقارب : « .... كتاب الراح والارتياح في وصف الشراب وآلاته والندام عليه واختيار أوقاته وذكر الزهور والرياض والثمار والاشجار — =

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال عزّ الملك المسبّحي يرثي أمّ ولد له [١] :

ألا في سبيلِ الله قَلْبٌ تَقَطّعـا ، وفادحةٌ لم تُبْقِ لِلعَيْنِ مَدْمَعا[٢].
أصَبْراً ، وقَدْ حَلّ الثّرى من أودّه ؛ فَلِلّهِ هَمٌّ مـا أشدّ وأوْجَعـا !
فيا لَيْتني لِلْمَوْتِ قُدِّمْتُ قَبْلَها ، وإلاّ فَلَيْتَ المَوْتَ أذْهَبَنا مَعـا !

ـ وكان المسبّحيُّ قد استزارَ أبا محمّدٍ عُبيدَ اللهِ بن أبي الجوع الأديبَ الورّاق الكاتب ، فزاره . فعَمِلَ المسبّحيُّ الابياتَ التاليةَ وأنشدَها على البديهة :

حَلَلْتَ فأحْلَلْتَ قَلْبي السُّرورا ، وكادَ لِفَرْحَتِه أن يَطيـرا .
وأمْطَـرَ عِلْمُـكَ سُحْبَ السماء ولوْلاكَ مـا كان يوماً مَطيـرا .
تَضَوّعَ نَشْرُك لَمّـا وَرَدْتَ ، وعادَ الظّلامُ ضِياءً مُنيرا[٣] .

٤ •• وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٢ ـ ٣٤٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٦٦ ـ ٢١٧ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٨ ، الملحق ١ : ٥٧١ ـ ٥٧٢ ؛ زيدان ٣٧١ ـ ٣٧٢ ؛ الاعلام الزركلي ٧ : ١٤٠ .

ابو الفرج بن هندو الكاتب

١ ـ هو الاستاذ أبو الفضل أبو الفَرَجِ عليُّ بنُ الحسينِ[٥] بنِ هندو ، كانَ من أسرةٍ عَريقة من أهلِ الريّ . ولعلّ الاسمَ هندو يُوحي بأنّ سَلَفاً قريباً له كانَ قد جاء حديثاً من الهند الى الريّ ثمّ اعتنق الاسلامَ ودخل في خِدمة الدولة .

قرأ ابنُ هندو علومَ الأوائلِ على أبي الحَسَن الوائلي في نيسابور ثمّ على أبي الخَيْر

ـ كتاب الطعام والادام في صفة ألوان الطعام وما يقدم على الخوان ـ كتاب درك البغية في وصف الاديان والعبادات وذكر الملك والانبياء والمتنبئين وذكر الفرائض والآداب ـ كتاب الجوعان والعريان ـ كتاب القران (بكسر القاف) والتّام » (ص ١١١)

(٢) اذا ولدت الجارية (الرقيقة) لسيدها صبياً أصبحت حرة ودعيت حينئذ « أم ولد » .

(٣) الفادحة : النازلة ، المصيبة التي تفدح (بفتح الدال) : تثقل على النفس ويصعب احتمالها .

(٤) تضوع المسك : فاح ريحه وانتشر . النشر : الرائحة الطيبة .

(٥) في يتيمة الدهر (٣ : ٣٦٢) : الحسين بن محمد .

ابن الحمّار[1] . وكان أحدَ كتّابِ الإنشاء في ديوانِ عَضُدِ الدولة (معجم الادباء ١٣ : ١٣٦) . ثمّ انه اتّصل بالصاحبِ بن عبّادٍ (ت ٣٨٥ هـ) وصَحِبَه مدّة . وكذلك جاء الى بغدادَ في أيامِ الوزير فخرِ الملك أبو غالبِ بن خلَفٍ[2] ومدحه .

ولمّا تولّى مَنُوجَهْرُ بنُ قابوسَ بنِ وَشْكميرَ المُلك في الريّ ، سَنَةَ ٤٠٣ هـ (١٠١٢ – ١٠١٣ م) ، مَدَحه ابن هندو . ولم يكن منوجهرُ ممّن يَهَشّ للأدب والشعرِ فلم يَفْهَمِ القصيدةَ ولا أثابَه عليها فقال ابنُ هندو أبياتاً في الشكوى يُلْمَحُ فيها تَعريضٌ بمنوجهرَ ، فهرب الى نيسابورَ . غيرَ أننا رأيناه ، سَنَةَ بِضْعٍ وأربعمِائَةٍ في جُرْجان ؛ ويبدو أنه بَقِيَ فيها حتّى تُوُفّي سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) .

٢ – أبو الفرج بنُ هِندو كاتبٌ منشىءٌ مترسّلٌ وأديبٌ شاعرٌ ومن المُهْتمين بعلوم الاوائل (الفلسفةِ وما كان يتّصل بها) . وشعرُ ابن هندو فصيحٌ سهل ووُجداني عَذْب أكثرُه في الوصف والغزل . وكذلك كان مؤلّفاً له : مفتاح الطبّ – الرسالة المشوّقة الى المُدْخِلِ الى علم الفلك – الكَلِمُ الروحانية في الحِكَمِ اليونانية – الأمثال المولّدة – الوساطة بين الزُناة واللاطة .

٣ – مختارات من شعره

– كان في ابن هندو ضرب من السُّويداء ، وكان لا يُقْبِلُ على الخمر فقال :

قدْ كَفاني مِنَ المُدامَ شَميمُ : صالحتْني النُهى وثابَ الغريمُ[3] .
هي جَهْدُ العقولِ سُمِّيَ راحاً ، مِثلَ ما قِيل لِلّديغِ سَليم[4] .
إن تكنْ جَنّةَ النعيمِ ففيها من أذى السُكرِ والخُمار جحيم[5] .

---

(١) في فوات الوفيات (٢ : ٥٧) : علي بن الحسن العامري وأبو الخير بن الحمار (لعل الاخيرة خطأ مطبعي) .

(٢) جاء في الفترة الغامضة من تاريخ الوزارة في الدولة العباسية .

(٣) النهى : العقل . ثاب : رجع ، عاد . الغريم (؟) – لعلها : العديم (المعدوم ، المفقود) الذي كان قد ذهب بشرب الخمر (أي عقلي) .

(٤) جهد = اجهاد : تعب . اللديغ : الذي لدغته حية أو عقرب ، وكان العرب يسمونه السليم تفاؤلا بأنه سيشفى ويسلم .

(٥) الخمار : أثر الخمر في الرؤوس .

— وقال في الغزل :

حللتُ وقاري في شادنٍ عيونُ الأنامِ به تُعْقَدُ .
غدا وجهُه كعْبةً للجما لِ ؛ ولي قلبُه الحجرُ الأسود !

— وقال في الشكوى والتجلّد ، وقد ظُنّ في قوله هذا تعريضٌ بمنوجهرَ لأن منوجهر كان يلقّبُ بفلكِ المعالي .

يا ويحَ فضلي ! أما في الناسِ من رَجُلٍ يَحْنو عليّ ؟ أما في الأرضِ من مَلِكِ ؟
لأُكْرِمَنّكَ ، يا فضْلي ، بتَرْكِهِمُ واستَهينَنّ بالأيّامِ والفلَكِ !

— وقال (من إفراد الظلال للبيروني)[1] :

لنا مَلِكٌ ما فيه للمُلْكِ آلةٌ سوى أنّه يومَ السلامِ مُتَوّجُ ؛
أُقيمَ لإصلاحِ الوَرى وهو فاسِدٌ ، وكيفَ استواءُ الظلِّ والعودُ أعْوَجُ !

٤ — الكلم الروحانية في الحكم اليونانية (نشرها مصطفى قبّاني) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣١٣ هـ (١٩٠٠ م) ثمّ القاهرة ١٣١٨ هـ .

* يتيمة الدهر ٣ : ٣٦٢ — ٣٦٤ ؛ تتمة اليتيمة ١ : ١٣٤ — ١٤٤ ؛ دمية القصر ١١٣ — ١١٤ ؛ معجم الادباء ١٣ : ١٣٦ — ١٤٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٥٧ — ٦٠ ؛ طبقات الأطبّاء ١ : ٣٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٧٧ ، الملحق ١ : ٤٢٤ — ٤٢٥ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٠٠ .

ابن زريق البغدادي

١ — قيلَ فيه : هو أبو عليٍّ الحسنُ بنُ زُريقٍ الكاتبُ الكوفيُّ[2] ، من ساكني الكَرْخِ (الجانبِ الغربيّ من بغدادَ) كان كاتباً (في ديوان الرسائل) . ويبدو أنّ حالَه رقّتْ فخطَرَ له أن يذهبَ الى الأندلُسِ متكسّباً بشعره . فاذا صحّ أنّ وفاتَه كانتْ نحو ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) وأنّه كان ميْتاً لمّا ألّفَ الثعالبيُّ (ت ٤٢٨ هـ) يتيمة الدهر (يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٦ — ٢٣٨) فيكونَ قد جاء إلى الاندلُسِ في أيّامِ الفتنة (٤٠٠ — ٤٢٢ هـ) واضطرابِ الأحوال وتنازُعِ الخلفاء والوُلاةِ والعرَبِ والبربر ، ولم يكنْ ذلك الحينُ موافقاً للتكسّبِ بالشعر . ويقال إنّ ابنَ زريقٍ مدَحَ مَلِكَ الأندلسِ ولا

(١) ؟

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٦ — ٣٤٧ ، أو لعل هذا غيره (راجع ٩١ ح ١) .

سبيلَ الى معرفة اسْمه (بقصيدة لم تَصِلْ إلينا) فأجازه بجائزة ضَئيلة . فعادَ ابنُ زريقٍ آسفاً الى الخان الذي كان يَنْزِلُ فيه ونظَمَ القصيدةَ العينيّة المشهورة . وقيلَ أيضاً : إنّ صاحبَ الاندلس كان قد أرادَ امتحانَ نفسِ ابن زريقٍ بالجائزة الضئيلة ، فطلب ابنَ زريقٍ – بعدُ بِضْعةِ أيامٍ – فوجَدَهُ في الخانِ مَيْتاً والقصيدة عند رأسه .

٢ – لابن زريق قصيدة عينية[1] أربعون بيتاً فصيحة الألفاظ سهلة التراكيب ولكنّ عليها شيئاً من الضَعْف وفيها ترديدٌ الى جانبِ عُذوبةٍ في السبك ولَفتَات بارعة في المعاني التي يتناولها الشاعرُ المطبوع عادةً من مُتَناوَلِ يَدِه . والعاطفةُ فيها جَيّاشةٌ . ويبرُزُ في هذه القصيدةِ غرَضانِ : النسيبُ والشكوىَ ، إلاّ أن الشاعرَ يستسلمُ أخيراً لمشيئةِ اللهِ في ما وَقعَ له من سوء تقديره هو .

وقد اهتمّ الادباء بهذه القصيدة اهتماماً كبيراً : عارضها أحمد بن جعفر الواسطي[2] ، وأبو بكر العيدي (ت ٥٨٠ هـ)[3] وخمّسها أحمد بن ناصر الباعوني (ت٨١٦ هـ)[4] ، وشرحها عليّ بن عبد الله العلويّ (ت ١١٩٩ هـ) ووليّ الدين يكن (ت ١٩٢٠ م)[5]

ولابن زُريقٍ أيضاً أرجوزةٌ في الأخلاقِ (بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٣) .

٣ – مختارات من القصيدة العينية لابن زريق البغدادي :

لا تَعْذِليه فإنّ العَذْلَ يُولِعُهُ ! قد قُلْتِ حقّاً ؛ ولكن ليس يَسْمَعَهُ .
جاوزْتِ في لَوْمِه حَدّاً أضرّ بهِ من حيثُ قدّرْتِ أن اللومَ يَنْفَعُه .
فاستعْمِلي الرِفْقَ في تأنيبه بَدَلاً من عَذْلِه ، فَهْوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوجَعه
يَكْفيهِ من لَوْعةِ التأنيب أنّ له مِنَ النَوى كلَّ يومٍ ما يُرَوّعه :
ما آبَ من سَفَرٍ الاّ وأزْعَجَهُ عزم إلى سَفَرٍ بالبَيْنِ يجمعه ؛
كأنّما هُوَ في حِلٍّ ومُرْتَحَلٍ مُوكّلٌ بفضاء الله يَذْرَعه !
وما مُجاهَدةُ الانسانِ واصلةً رِزْقاً ، ولا دَعَةُ الإنسان تَقْطَعُه ؛

---

(١) ذكر ابن خلكان (٣ : ٣٢ – ٣٣) أنْ جارية غنت الأمير تميم أبا المعز بن باديس من بني زيري أصحاب القيروان (القطر التونسي) ، وقد حكم من سنة ٤٥٣ – ٥٠١ هـ ، بيتاً هو : « استودع الله في بغداد لي قمراً .... » ثم قال ابن خلكان : وهذا البيت لمحمد بن رزق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة . وفي يتيمة الدهر (٢ : ٣٤٧) : يقول أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلا ، فحاولت شيئاً دونه اليأس !

(٢) الخريدة (الشام) ٣ : ١٨٥ ، الحاشية ١١ .

(٤–٥) راجع بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٣ .

قد وَزّعَ اللهُ بين الخلْقِ رِزْقَهمُ ؛ ... لم يَخْلُقِ اللهُ من خَلْقٍ يُضيّعه .

والحِرْصُ في الرزق –والأرزاقُ قد قُسِمَتْ– ... بَغْيٌ ، ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرعُه .

والدهرُ يُعْطي الفتى من حيثُ يَمْنَعُه ... عَفْواً ، ويمنعه مِنْ حيث يُطْمِعه .

أستَوْدِعُ اللهَ في بَغْدادَ لي قَمَراً ... بالكَرْخِ من فلك الأزْرارِ مَطْلَعه ؛

ودّعتُه ، وبِوُدّي لو يُوَدّعُني ... صَفْوُ الحياة وأنّي لا أُودّعه !

كم قد تَشَفّعَ بي ألاّ أفارِقَه ، ... ولِلضّروراتِ حالٌ لا تُشَفّعه .

وكم تَشَبّثَ بي ، خَوْفَ الفِراق ، ضُحىً ... وأدْمُعي مُسْتَهِلاّتٌ وأدْمعه .

لاأكْذِبُ اللهَ ؛ ثوبُ الصبرِ مُنْخَرِقٌ ... عنّي بفُرْقَتِه لكنْ أُرَقّعه .

أُعْطيتُ مُلْكاً فلم أُحْسِنْ سياسَتَه ؛ ... وكلُّ من لا يَسوسُ المُلْكَ يَخْلَعه !

ومَنْ غَدا لابساً ثوبَ النعيمِ بلا ... شُكْرٍ عليه فعنه اللهُ يَنْزِعه .

بِمَنْ –إذا هَجَعَ النُوّامُ– بِتُّ له ... بلَوْعةٍ منه لَيْلي لستُ أهْجَعه ،

لا يَطْمَئِنُّ لِجَنْبي مَضْجَعٌ ؛ وكذا ... لا يطمئنّ له –مُذْ بِنْتُ– مَضْجَعه .

ما كنتُ أحْسَبُ أن الدهرَ يَفْجَعُني ... بهِ ، ولا أنّ بي الأيّامُ تفجعه ،

حتّى جرى البَيْنُ ، فيما بَيْنَنا ، بِيَدِ ... عَسْراءَ تَمْنَعُني حَظّي وتمنعه .

باللهِ –يا مَنْزِلَ العيشِ الذي دَرَسَتْ ... آثارُه وعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أرْبُعُه–

هلِ الزمانُ مُعيدٌ فيك لَذّتَنا ... أمِ الليالي الّذي أمْضَتْهُ تَرْجِعُه ؟

في ذمّةِ اللهِ مَنْ أصبحتَ مَنْزِلَهُ ، ... وجادَ غيثٌ على مَغْناكَ يُمْرِعه:

مَنْ عِنْده لِيَ عَهْدٌ لا يُضيّعه ، ... كما له عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضيّعه ؛

ومن يُصَدّعُ قلبي ذِكْرُه ، وإذا ... جرى على قلبهِ ذِكْري يُصَدّعه .

لأصْبِرَنّ لِدَهْرٍ لا يُمَتّعُني ... بهِ ، ولا بِيَ في حالٍ يُمَتّعه ،

عِلْماً بأنّ اصْطِباري مُعْقِبٌ فَرَجاً ؛ ... فأضْيَقُ الأمرِ إنْ فكّرتَ أوْسَعُه .

عَلّ الليالي –التي أضْنَتْ بفُرْقَتِنا ... جِسْمي– سَتَجْمَعُني يوماً وتجمعه .

وأن تَغُلْ أحداً مِنّا مَنِيّتُه ، ... فما الذي بقَضاء اللهِ نَصْنَعه !

٤ — ** مجموع المزدوجات (جمعها محمود طاهر الجزائري) ، الاسكندرية ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٣ ، ١٢٩٩ هـ ؛ بشرح وليّ الدين يكن ، القاهرة ١٣١١ هـ . طبقات السبكيّ ١ : ١٦٣ مجلّة المعلّم العربي (دمشق) تشرين الثاني ١٩٦٤ م ، ص ٥٥ –٦١ ؛ بروكلمان

١ : ٨٢ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ ؛ مجلة مجمع العلمي العربي ٥ : ٢٧٥ ؛ الكشول ١ : ١١٨ – ١٢٠ ، مصارع العشاق ١٧ – ١٩ .

ابو علي المرزوقي

١ – هو الامامُ أبو عليٍّ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ المرزوقيُّ ، كان حائكاً من أهلِ أصْفهانَ . ويبدو أنه مال الى الأدَبِ باكراً فبرع فيه وأصبح مُعَلِّماً لأولادِ بني بُوَيْهِ في أصفهانَ (٣٦٦–٤١٢هـ) . والذي يبدو أن مكانتَه سَمَتْ في العلم والأدَب قبلَ ذلك بمُدَّةٍ ، إذْ يُقالُ إن الصاحبَ بنَ عبّادٍ دَخَلَ على المرزوقيِّ فلمْ يَقُمِ المرزوقيُّ له ، فلمّا وَلِيَ الصاحبُ بن عبّادٍ الوزارةَ (٣٦٠ – ٣٨٥ هـ) لبني بُوَيْهِ جَفا المرزوقيَّ وعاداه .

وقرأ المرزوقيّ كتابَ سيبويهِ على أبي عليٍّ الفارسيّ (ت ٣٧٧ هـ) وتتلمذَ له بعدَ أن أصبحَ رأساً بنفسهِ (معروفاً بالعلم مشهوراً) . وكانت وفاته في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٤٢١ (كانون الأوّل – ديسمبر ١٠٣٠ م) .

٢ – كان المرزوقيّ عالماً لُغويّاً على مذهبِ أهلِ البصرةِ وأديباً عارفاً بالشعرِ ومُصنّفاً له : شرح الحماسة (لأبي تمّام) – شرح المفضّليات (للمفضّل الضبّيّ) – شرح الفصيح (لثعلب !) – شرح الموجز – ألفاظُ الشمول والعموم – غريب القرآن – الأمالي – الأزمنة والأمكنة .

٣ – مختارات من كلامه

– النثرُ أشرفُ من النظم : (من مقدمة « شرح الحماسة »)

ومِمّا يَدُلّ على أنّ النثرَ أشرفُ من النظم أنّ الإعجاز من الله، تعالى جَدُّهُ ، والتحدّيَ من الرسول عليه السلام وَقَعا فيه دونَ النظم ؛ يَكْشِفُ ذلك أن مُعْجِزاتِ الأنبياء عَلَيْهِمُ السلامُ في أوقاتِهِمْ كانت من جِنسِ ما كانت أُمَمُهم يُولَعونَ بــه في حِينِهِمْ ويَغْلِبُ على طِباعِهم – وبأشرفِ ذلك الجنس ! على ذلك كانت مُعْجِزَةُ موسى عليه السلام ، لانّها ظَهَرَتْ عليه وزمنُه زَمَنُ السحرِ والسَحَرَةِ ، فصارت من ذلك الجِنس وبأشرفه . وكذلك كانتْ حالُ عيسى عليه السلام ، لأنّ زَمَنَهُ كان زَمَنَ الطِبّ ، فكانت مُعْجزته وهي إحياءُ المَوْتى من ذلك الجنس وبأشرفه . فلمّا كان

زَمَنُ النبي صلّى الله عليه وسلّم زَمَنَ الفَصاحة والبيَان جعل الله مُعْجزَته من جنس ماكانوا يُولَعون به وبأشرفه فتَحَدّاهم بالقُرآنِ كلاماً مَنْثوراً لا شِعْراً مَنْظوماً .

ــ عمود الشعر (راجع الجزء الاول ، ص ٥٠ ــ ٥٢) .

٤ ــ الازمنة والامكنة ، حيدر اباد ١٣٣٢ هـ .

شرح ديوان الحماسة (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون) ، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

رسائل في االغة (حرّرها ابراهيم السامرائي) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٤ م .

شرح المفضّليات (مخطوط مصوّر في جزأين ــ في مكتبة جامعة بيروت الأميركية) .

** دمية القصر ١٠٨ ؛ معجم الادباء ٥ : ٣٤ ــ ٣٥ ؛ بغية الوعاة ص ١٥٩ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٥٠٢ ؛ المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلّدات ٢٧ (ص ٥٧) ، ٢٩ (ص ٣٨٧ ، ٥٤٤) ، ٣٠ (ص ٧١ ، ٢٨١ ، ٥٧٢) ، ٣١ (ص ٥٥) ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٠٥ .

القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي

١ ــ هو أبو محمّدٍ عبدُ الوهّابِ بنُ أبي الحَسَنِ عليٍّ (ت ٣٩١ هـ) بنِ نَصْرِ ابنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ هَرونَ بن مالكِ بنِ طوقٍ التَغْلَبيُّ ، وُلِـدَ في بغدادَ في سابعِ شوّال ٣٦٢ (١٢/ ٧/ ٩٧٣ م) ؛ وتلقّى الحَديثَ والفِقْهَ على جماعةٍ منهم عُمَرَ بن محمّدِ بنِ سُنْبُلٍ وأبو عبدِ الله بنُ العَسكريّ وأبو حَفْصِ بنِ شاهينٍ وعليٌّ بنُ القصّارِ وابنُ الجَلاّب .

وتولّى القضاء في بادَرايا وباكَسايا (العراق) ولكن لم تُقْبِلْ عليه الدنيا . وفي آخرِ عُمُرِه هَجَرَ بَغْدادَ الى مِصْرَ . فمرّ بمَعَرّةِ النُعمانِ فَلَقِيَ أبا العَلاءِ فاحتفَلَ به أبو العَلاء وأكرمه وخَصّه بعَدَدٍ من أبياتٍ لزومياته . ولمّا نَزَلَ في مِصْرَ أقبلتْ عليه الدنيا ، ولكنّه تُوُفِّيَ فيها وَشيكاً ، في ١٤ من صَفَرَ ٤٢٢ (١١/ ٢/ ١٠٣١ م) :

٢ ــ كان القاضي عبدُ الوهّاب البغداديُّ فقيهــاً مالكيّاً ثِقَةً انتهتْ إليه رِئاسةُ المذهبِ المالكيّ في زمانه ، كماكان أديباً شاعراً عَذْبَ اللَفْظِ بارِعَ المعاني . وكانت له كتبٌ كثيرةٌ في عددٍ من الفنون . فمن كتبه : غُرَرُ المحاضرة ورؤوس مسائل المنــاظرة ــ شرح فصول الأحكام ــ اختصار عيون المجالس ــ التلقين (وهو على صغره جيّد) ــ النُصْرة لمذهب مالك ــ الأدلّة في مسائل الخلاف ــ شرح المدوّنة [1] .

(١) المدونة : مجموع مشهور في الفقه المالكي .

٣ ـــ مختارات من آثاره

ـ في شَذَرات الذهب (٣ : ٢٢٤) : قال القاضي عبد الوهّاب بن عليّ وهو يَموتُ (بعد أن أقبلت عليه الدنيا فيها) : «لا إلهَ إلاّ اللهُ ، إذ عشنا مِتْنا»[١] .

ـ وقال في الغزل (وفي قوله إشارة فِقْهيّة) :

ونائمةٍ قبّلْتُها فتنبّهتْ ، فقالتْ: «تعالَوْا فاطلُبوا اللِصَّ بالحَدِّ».
فقلتُ لها : «إنّي ـفَدَيْتُكِـ غاصِبٌ ، وما حكموا في غاصبٍ بسوى الرَدّ .
خُذيها وكُفّي عن أثيمِ ظُلامةٍ ، وإنْ أنتِ لم تَرْضَيْ فألْفاً على العَدّ»[٢].
فقالتْ : «قِصاصٌ يشهَدُ العقلُ أنّه على كَبِدِ الجاني ألَذُّ من الشَهْدِ».
فباتَتْ يَميني وهْيَ هِمْيانُ خَصْرِها ، وباتت يَساري وهي واسِطَةُ العِقْدِ[٣] .
فقالتْ : ألم تُخْبَرْ بأنّك زاهِدٌ ؟ » فقلتُ: بَلى! ما زِلْتُ أزهَدُ في الزُهد »!

ـ وقال يشكو سُوءَ حالِه في بَغْدادَ :

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طَيّبَةٌ ، وللمفاليسِ دارُ الضَنْك والضِيقِ[٤] .
ظَلِلْتُ حَيْرانَ أمشي في أزِقّتِها كأنّني مُصْحَفٌ في بيتِ زِنْديقِ[٥] !

٤ ـ وفيات الأعيان ١ : ٥٤٥ ـ ٥٤٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٧ ـ ٢٨ ؛ شذرات الذهب ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ؛ بروكلمان ؛ الملحق ١ : ٦٦٠ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٣٥.

العتبي المؤرخ

١ ـ هُوَ أبو النَصْرِ مُحمّدُ بنُ عبد الجبّارِ العُتْبيُّ مِنْ نَسْلِ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ باني البصرة ، كان مَوْلِدُه ومَنْشأه في الريّ . وفي مُقْتَبَلِ شَبابه قَدِمَ إلى

---

(١).. لما عشنا (أقبلت علينا الدنيا) متنا (كبرنا في السن وصعب علينا التمتع بلذات الدنيا ـأو متنا حقيقة).

(٢) الحد : القصاص الشرعي .

(٢) الظلامة : الظلم بلا حق . فألفا على العد : خذي مني بدل القبلة التي سرقتها منك ألف قبلة .

(٤) الهميان : كيس الدراهم . هميان خصرها = جميع خصرها كان مطوقاً بيدي اليمنى . وكانت يدي اليسرى في وسط جسمها (؟) .

(٥) الضنك : الشدة والضيق .

(٦) المصحف : الأوراق (الكتاب) الذي ينسخ فيه القرآن الكريم . الزنديق : المجوسي ؛ الذي يستهتر بالدين . مصحف في بيت زنديق : كناية عن الاهمال .

خُراسانَ ونَزَلَ فيها على خاله أبي نَصْرٍ العُتْبِيِّ[1] ـ وكان من وُجوهِ العُمّال[2] ـ

وتولّى أبو النصر العُتْبي الكِتابة للأمير أبي عليّ[3] ثمّ للأمير سُبُكْتُكِينَ (٣٦٧ ـ ٣٨٧هـ) مَعَ أبي الفَتْحِ البُسْتيِّ الشاعرِ، ثُمّ للسُلْطانِ مَحْمودِ بن سبكتكين (٣٨٩ ـ ٤٢١ هـ). وكذلك تولّى النِيابة في خُراسان لشَمْسِ المعالي[3]. أما آخر ولاية له فكانتْ على البريد في رُستاق الغَنْج.

وكانتْ وَفاةُ أبي النصر العُتْبي سَنَةَ ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م)[4].

٢ ـ اشتهرَ أبو النَصْرِ محمّدُ بنُ عبد الجبّارِ العُتْبِيُّ بأنّهُ مؤرِّخٌ ألّفَ «الكِتابَ اليمينيّ» وسَرَدَ فيه سِيرَةَ السُلطان يَمينِ الدولةِ محمود الغَزْنَويِّ (ت ٤٢١ هـ) مُنْشأةً بأسْلوبٍ أنيقٍ. فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بارعٌ ثمّ هُوَ شاعرٌ أيضاً، ولكنّ شِعْرَهُ عاديٌّ كثيرُ التكلّفِ قليلُ الرَوْنَقِ.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال أبو النصرِ محمّدُ بنُ عبدِ الجبّارِ العتبيُّ المؤرّخُ في التَورية بالخِلاف (الخلاف: تَضادُّ الآراء؛ والخِلاف أيضاً شَجَرٌ لا يُثْمِر):

أدّى الخِلافُ لك الخِلافَ تَشابُهـاً؛ وكِلاهما في الاختبـارِ ذَميمُ.
لو كانَ خيرٌ في الخِلافِ لَـزانَهُ ثَمَرٌ، ولكنّ الخِلافَ عَقـيمُ!

ـ وله قطعةُ استِزارةٍ (من كِتابٍ إلى صديقٍ له يَطْلُبُ منه المجيءَ إليه):

---

(١) في يتيمة الدهر (٤ : ٤٦٥) وفي وفيات الاعيان (٢ : ٥١٧) أبو النصر (بالتعريف). وفي يتيمة الدهر (٤ : ٤٦٥): «أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ... قدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم؛ فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق الى أن مضى أبو نصر الى سبيله» (مات).

(٢) العامل هو القيم على جمع الاموال (الضرائب) للدولة.

(٣) يبدو أن شمس المعالي هو قابوس بن وشكمير (٣٦١ ـ ٤٠٣ هـ)، ولعل صلة أبي النصر العتبي بشمس المعالي كانت قبل اتصاله بآل سبكتكين (راجع ترجمة قابوس، فوق، ص ٥٤).

(٤) ذكر بروكلمان في الملحق (١٩٣٧، ١ : ٥٤٧) أن وفاة أبي النصر العتبي كانت ٤١٣ هـ (ثم صحح ذلك في الجزء الأول من تاريخه المطبوع منقحاً عام ١٩٤٣ م (١ : ٣٨٢). ومرد الخطأ الى التوهم أن ترجمة «حفيد العتبي» (الوافي بالوفيات للصفدي ٢ : ٢١٥ ـ ٢١٦) واسمه أيضاً محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤١٣ هـ) هي ترجمة العتبي الجد. ووقع المستشرق ديدرينغ محرر الوافي بالوفيات في الخطأ نفسه، لما وصل الى ترجمة العتبي الحفيد فأحال القارئ على العتبي الجد في ملحق بروكلمان (١ : ٥٤٧).

هذا يَوْمٌ رَقّتْ غلائِلُ صَحْوِه ، وخَنَثَتْ شَمائِلُ جَوّه ، وضَحِكَتْ ثُغورُ رِياضِه ، واطَّرَدَ زَرَدُ الحُسْنِ فوق حِياضِه؛ وفاحتْ فيه مَجامِرُ الأزهارِ وانتثرت قلائدُ الاغصانِ عن فرائدِ الأنوارِ[1]. وقام خُطباءُ الأطيارِ فوق منابرِ الأشجارِ، ودارتْ أفلاكُ الأيْدي بشُموس الراحِ في بُروج الأقداح . وقد سَبَيْنا العَقْلَ في مَرْجِ المُجونِ وخَلَعْنا العِذارَ بأيدي الجُنون . فمَنْ طالَعَنا بَيْنَ هذه البَساتينِ وأنواعِ الرياحينِ طالَعَ فِتْياناً كالشَّياطينِ ونَصارى يوم الشَعانينِ . فَبِحَقّ الفُتُوّةِ التي زانَ اللهُ بها طَبْعَكَ والمُروءة التي قَصَرَ عليها أصْلَكَ وفَرْعَكَ إلاّ تَفَضَّلْتَ بالحُضورِ ونَظَمْتَ لنا به عِقْدَ السُرور .

٤ ـ الكتاب اليميني (نشره سبرنغر) دلهي ١٨٤٧ م ؛ القاهرة (الطبعة الوهبية) ١٢٨٦ هـ ؛ (على هامش الأجزاء العاشر والحادي عشر والثاني عشر من تاريخ الكامل لابن الأثير) ، بولاق ١٢٩٠ هـ ؛ لاهور ١٣٠٠ هـ = ١٨٨٣ م ؛ (على هامش الفتح الوهبي لأحمد المنيني) ، مصر (جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ.

* الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي لأحمد المنيني ، مصر (جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ .

يتيمة الدهر ٤ : ٣٦٥ ـ ٣٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، الملحق ٥٤٧ ـ ٥٤٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٦ .

رافع بن الحسين الاقطع

١ ـ هو أبو المُسَيَّب رافعُ بنُ الحُسينِ بنِ حمّاد (أو بن مَقْن) بن المسيّب الأقطعُ ، كانتْ يدُهُ قد قُطِعَت في حديثٍ طويل فعُمِلت له كفٌّ كان يُمسِكُ بها العِنان ويُقاتِلُ ، ولم يَمْنَعْه ذلك من القِتال وخوض المعارك .

كان رافعٌ أميراً من أُمراءِ العرب (البَدْو) بنواحي بَغدادَ ، ثمّ كان يَمْلِكُ قَلْعَةَ تكريتَ وقد بَقِيَتْ في يدِه الى أن تُوُفّيَ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٢٧ (حَزيران ـ يونيو ١٠٣٧ م) .

٢ ـ كان رافعُ بن الحسين الاقطعُ فارساً أديباً شاعراً . وفي شِعرِه رِقّةٌ ولَفْتَةٌ بارِعَةٌ .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال رافعُ بنُ الحسين الأقطعُ في الغزلِ والنسيب :

لها ريقةٌ ـ أستغفرُ اللهَ ـ إنّها ألذُّ وأشهى في النفوس من الخمرِ ،

---

(١) الأنوار (جمع نور ـ بفتح النون) : الأزهار .



وصارمُ سيفٍ لا يُزايلُ جَفْنَه ؛ ولم أرَ سيفاً قطُّ في جَفْنه يَفْري[1] .
فقلتُ لها ، والعِيسُ تُحْدَجُ بالضُحى : « أعِدّي لفَقْدي ما استطعتِ من الصبر[2] .
سأُنفِقُ رَيْعانَ الشَبيبةِ آنفاً على طَلَبِ العَلْياء أو طلب الأجرِ[3] .
أليسَ من الخُسْرانِ أن لَياليـاً تَمُرُّ بلانفعٍ وتُحْسَبُ منعُمري[4] ! »

٤ ــ ابن الأثير (بيروت) ٩ : ٤٥١ ــ ٤٥٢ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٠٦ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣٥ .

مهيار الديلمي

١ ــ هو أبو الحُسينِ مِهْيارُ بنُ مَرْزَوَيْهِ الكاتبُ الفارسيّ الدَيْلَمي الشاعرُ المشهور . كان مِهْيارُ مَجوسياً فأسْلَمَ ، سنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) على يَدِ الشَريف الرَضيّ في الأغلب ، ثم سكَنَ بَغدادَ وكان يَحضُرُ يومَ الجُمَعِ في جامع المَنْصور فيَقرأُ الناسُ عليه شِعْرَه .

وتُوُفّيَ مِهْيارُ لَيلةَ الأحدِ في خامسِ جُمادى الآخرَة ٤٢٨ (٢٧/ ٣/ ١٠٣٧م) .

٢ ــ تخرّجَ مِهيارُ في نَظْمِ الشعرِ على الشريف الرضيّ ، وكان يَقْتدي بـه في أبوابٍ كثيرةٍ من شِعْرِه . وهو شاعرٌ مكثرٌ جَزْلُ القولِ رقيقُ الحاشية طويلُ النفس شديدُ النزعة الوُجْدانية بارعٌ في الوَصْف والنسيب والمعاني الروحية .

٣ ــ مختارات من شعره

قال مِهيارُ الدَيْلَميّ في تَعاليهِ عن أحوال الدُنيا إذا كانت تَجْتَلبُ بذْلَ النفسِ :

متى ضَنّتِ الدُنيـا عليّ فأبْصَرَتْ لِسانيَ فيها بالسُؤال يَجودُ ؟
إذا كنتَ حُرّاً فاجْتَنِبْ شَهَواتِها ؛ فإنّ بَنيها للزمانِ عَبيـد .
إذا شئتَ أن تَلْقى الأنامَ مُعظّماً فلا تَلْقَهُمْ إلاّ وأنت سَعيد !

---

(١) صارم سيف = سيف قاطع . يزايل : يفارق . الجفن (بفتح الجيم) : الغمد (بكسر الغين) ، قراب السيف . يفرى : يقطع .

(٢) العيس : النياق . تحدج : تشد عليها الرحال (السروج) . الضحى : أول ارتفاع النهار . فقدي : موتي .

(٣) ريعان الشبيبة : أفضل أيامها وأحسن قوتها . آنفاً : آبياً ، لا أرضى بالذل . طلب العلياء : الوصول الى المجد . طلب الأجر ، الموت مجاهداً في سبيل الله .

(٤) راجع ، فوق ص ٧٩ .

قال يفتخر :

أعْجِبَتْ بي ، بينَ نادي قَوْمِها ، أمُّ سَعْدٍ[1] فمَضَتْ تَسْألُ بي .
سَرّها مـا عَلِمَتْ من خُلُقـي ، فأرادت عِلْمَهـا ما حَسَبي[2] .
لا تَخالي نَسَباً يَخْفِضُنـي ؛ أنا مَنْ يُرضيكِ عند النسب :
قَوْمِيَ اسْتَوْلَوْا على الدهـر فَتىً ومَشَوْا فوق رؤوس الحِقَب[3] ؛
وأبي كِسرى عـلا إيوانُـه ؛ أينَ في الناسِ أبٌ مِثلُ أبي[4] !
قد قَبَسْتُ المَجْدَ من خيرِ أبٍ ، وقَبَسْتُ الدينَ من خير نَبي ؛
وجَمَعْتُ المجدَ من أطْرافِه : سُؤدَدَ الفرسِ ودِيـنَ العَرَب !

وقال في النسيب[5] :

يا نسيمَ الصُبْحِ من كاظِمةٍ ، شَدَّ ما هِجْتَ الجَوى والبَرَحا[6] .
الصَبا – إن كان لا بُـدَّ – الصَبا ! إنها كانت لقلبي أرْوحـا[7] .
يا نَدامايَ بسَلْعٍ ، هـل أرى ذلك المَغْبَقَ والمُصْطَبحـا[8] .
فاذْكرونا ذِكْـرَنا عَهْدَكُمُ ؛ رُبَّ ذِكْرى قَرّبَتْ مَنْ نَزَحا[9] ؛
وارْحموا صَبّاً إذا غَنّـى بِكُمْ شَرِبَ الدَمْـعَ وعافَ القَدَحـا .
قد عَرَفْتُ الهَـمَّ من بَعْدِكُمُ فكأنّـي ما عَرَفْتُ الفَرَحـا !

---

(١) أم سعد (كناية عن العرب) . مضت (ذهبت) تسأل بي : جعلت تكثر من السؤال عني .

(٢) الحسب : العمل الحميد . والملموح أن مهيار يقصد النسب الشريف .

(٣) استولوا على الدهر فتى : ملكوا منذ زمن بعيد (منذ كان الدهر صغيراً) . الحقبة (بكسر الحاء) : المدة من الزمن . مشوا فوق رؤوس الحقب : اشتهروا كثيراً أو عزّوا (قووا).

(٤) علا : فعل ماض لازم . ايوانه (عرشه) فاعل (عظم ملكه) .

(٥) ينسب الباخرزي (دمية القصر ٧٧) هذه الابيات الى الحسن بن مهيار .

(٦) كاظمة : بلدة كانت جنوب البصرة (هي بلدة الجهرة شرق مدينة الكويت اليوم) . الجوى : شدة الحب . البرح : الشدة . ومهيار يستعمل كلمة كاظمة كناية عن مكان مقدس لا بالمعنى الجغرافي .

(٧) الصبا : الريح الهابة من الشرق (وتكون في نجد باردة لأنها تكون قد مرت فوق جبال ايران ثم تلطفت بمياه خليج البصرة) . أروح : أحسن ، أكثر راحة وأشد احداثاً للسرور في النفس .

(٨) سلع : الحجر . وسلع اسم لعدد من الأمكنة؛ المقصود هنا مكان في الحجاز – المغبق: اسم مكان تشرب فيه الخمر مساء . المصطبح : اسم مكان تشرب فيه الخمر صباحاً (هذه الابيات تغزل شبه صوفي بالاماكن المقدسة) .

(٩) نزحا : ابتعد .

٤ ــ ديوان مهيار الديلميّ ، استامبول ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (النصف الأوّل منه) ١٣١٤هـ(١)؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ م .

** مهيار الديلميّ ، تأليف اسماعيل حسين ، القاهرة ، بلا تاريخ .

مهيار الديلميّ وشعره ، تأليف علي علي الفلالّل ، القاهرة (دار الفكر العربي) بعد ١٩٤٧م .

تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦ ؛ دمية القصر ٧٦-٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٤٧ ــ ٥٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٨١ ــ ٨٢ ، الملحق ١ : ١٣٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٠١ ؛ ابن الأثير ٩ : ٤٥٦ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٢٦٤ .

الثعـــالبي

١ ــ هو الشيخُ أبو منصورٍ عبدُ المَلِكِ بنُ محمّدِ بنِ اسماعيلَ ، لُقِّبَ بالثعالبيّ لأنّه اشتغل بصِناعة الفِراء فكان يَخيطُ جُلودَ الثعالبِ ويَبيعُها .

وُلِدَ الثعالبيُّ في نيسابورَ ، سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، ولا نَكاد نَعْرِفُ شيئاً من أحداث حياته . وقد كانت وفاته في نيسابور أيضاً ، سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) .

٢ ــ الثعالبي أديبٌ ذَوّاقةٌ للشعْرخاصّةً ومنشِىءٌ مُتأنّقٌ ، ويَنْظِم الشعرأحياناً . ثم هو مصنّف مُكثِرٌ ، غيرَ أنه في تصانيفه جمّاعة يعتمدُ ذَوْقَه السليمَ أكثرَ من الرواية عن شيوخِ اللّغة والأدب ؛ ولم يكن ذلك في عصره مُستَحَبّاً ، ولكنّه فتح بذلك أمامَ المتأخرين طريقَ الخروجِ من الروايات المَجْموعة الى بابِ السَّرْد المُستوي في التأليف. إنّه يُورد الأخبار والأشعار بحَسَبِ ما يُحِبّ هو لا بِحَسَبِ ما جاءَ بها الرُواة .

والثعالبي في كُتُبه في الشعر يُورد الأشعار الجميلةَ الطريفةَ ، وقلّ أن حَفَلَ بصُنْعِ تَرْجَمَة للشاعر : انه (في يتيمة الدهر) يَفْتَتِحُ كلّ فصلٍ بعددٍ من الجُمَلِ الأنيقةِ الّتي يُطْري فيها الشاعرَ المُختارَ في ذلك الفصل من غيرِ أن يقولَ لنا شيئاً عن حياته ومن غير أن يذكرَ تاريخَ مولدِه أو وفاتِه أو حادثاً في حياته ، إلاّ في النَدْرِ الشاذّ . بعدئذ يُورد من شِعْرِ ذلك الشاعرِ مقاطعَ وأبياتاً وقصائدَ هي غُررُ شعرِه . والواقعُ أن الثعالبي يختارُ للشعراء في كتبه أحسنَ أشعارِهم من غير أن يُلْقِيَ بالاً الى أن تكونَ تلك المُختاراتُ مُمثِّلةً لجميعِ فنون الشاعرِ وخصائصه ثم هو لا يريدُ أن يأتِيَ في كتبه بما اشتهر وتَداوَلَتْه الألسنةُ . وكذلك الفصول عندَه غيرُ متكافئة لأنّه لم يُلْزِمْ نفسَه طريقةً مرسومةً : جاء في الصفحة ٨٥ من الجزء الاوّلِ فصل هو بتمامه :

(١) في معجم سركيس ١٨١٤ : الجزء الأول منه ، بيروت (المطبعة الانسية) ١٣١٤ هـ .

أبو القاسم الشيظمي : قال يصف نُمْرُقةً[1] رآها بجنبِ سيفِ الدولة :

نُمْرُقَةٌ مِنْها اسْتَعَا رَ الرَّوْضُ أصنافَ المُلَحْ .
فيها لِمَنْ يُبْصِرُ ، من ريشِ الطواويس ، مُلح[2] ؛
كأنما دارت على سمائِها قَوْسُ قُزَح !

لقد أعجبته هذه الابيات الثلاثةُ فأثبتَها بعد ذكرِ اسمِ صاحبِها من غير التفاتٍ إلى شيءٍ آخرَ من مِنْهاج التأليف .

ويأتي الثعالبي الى أبي الفرج الببّغاء فيُفْرِدُ له باباً خاصّاً به (١ : ٢٠٠ — ٢٣٤) ثم يُورِدُ له شيئاً من نثره المُرْسَلِ وشيئاً من ترسّله . بعدئذ يأتي إلى شعره فيجعلُ المختاراتِ منه فصولاً كلُّ فصلٍ يَضُمُّ أبياتاً من فنّ من فنون شعرِه بعينه . أما الواسانيّ مثلاً فيُقدّمه للقارىء بسطرينِ هما :

أُعْجوبةُ الزمان ونادرتُه ، وفريد عصره وباقعتَه[3] . وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهِجاء ، وكان في زمانه كابن الروميّ في أوانه . فمن شعره يهجو ابن أبي أسامة ...... ثم يورد له قصائدَ ومقطّعاتٍ في اثنتين وعِشرين صفحةً (١ : ٢٩٥ — ٣١٧) على غيرِ ترتيبٍ معيّن . فاذا انتهى من ذلك كلّه قال : « وإنِ اتّفق وجودُ المنثورِ ألحقْتُه ، بعَوْنِ الله وقُدرته » .

على أن الثعالبيَّ يقَسِمُ الشعراء في كتاب اليتيمة أقساماً بحَسْبِ بُلدانِهِمْ ، كما نرى في مقدّمة اليتيمة نفسها (راجع رقم ٣) .

ومؤلّفاتُ الثعالبي في مُعظمها في الشعر ، وله كتب في اللغة والنحو (راجع ٤) .

٣ — مختارات من نثره وشعره

— قال أبو منصورٍ الثعالبيُّ في النسيب (تأمّلْ تَكَلُّفَهُ في الصناعة : سائل ، السائل — حال ، الحائل — العاذل ، العادل) :

وسائلٍ عن دَمْعِيَ السائلِ وحالِ لَوْني الكاسِفِ الحائِلِ[4] .

---

(١) النمرقة : الوسادة الصغيرة . ويبدو أن هذه الوسادة كانت مزركشة بألوان مختلفة .

(٢) كذا في الاصل : ملح ؛ ولعلها لمح (بتقديم اللام على الميم) .

(٣) الباقعة : الرجل الداهية ، الذكي العارف لا يفوته شيء ولا يدهى (بضم الياء) : لا يخدع .

(٤) وسائل (: مستفهم) عن دمعي السائل (الجاري) . الحائل : المتغير (اللون الكاسف : السيء ، المتبدل عما يكون عليه في حال الصحة عادة) .

قلتُ له ، والارضُ في ناظري   أضيقُ منها كِفّةُ الحابلِ[١] :
بُليتُ ، والله ، بمملوكةٍ   في مُقلتيها مَلَكا بابلِ[٢] .
فإنْ لحاني عاذلٌ في الهوى   يوماً ، فما العاذلُ بالعادلِ[٣] !

— من مقدّمة يتيمة الدهر :

.... وقد سبقَ مؤلّفو الكُتُبِ الى ترتيب المتقدّمين من الشعراء والمتأخّرين ، وذِكْرِ طبقاتِهِمْ ، ودرجاتهم وتدوينِ كلماتهم والانتخابِ من قصائدهم ومقطوعاتهم . فكم من كتابٍ فاخرٍ عملوه ، وعقدٍ باهرٍ نظموه ، لا يشينُه الآنَ إلاّ نُبُوُّ العينِ عن إخلاقِ جدّته وبِلَى بُرْدته ومجّ السمعِ لمردّداته وملالةِ القلب من مكرّراته[٤] ، وبقيتْ محاسنُ أهلِ العصر التي معها رُواءُ الحداثة ولذّةُ الجدّة وحلاوة قُرْبِ العهْد وازدياد الجودة على كثْرة النقْد غيرَ محصورةٍ بكتاب يضمّ نشْرها[٥] ...... ولقد كنتُ تصدّيْتُ لعمَلِ ذلك في سنَةِ أربعٍ وثمانينَ وثلثمائة ، والعُمُرُ في إقباله والشباب بمائه ؛ فافتتحته باسمِ بعضِ الوزراء مُجْرِياً إياه مَجْرَى ما يتقرّبُ به أهلُ الأدبِ الى ذوي الأخطار والرُّتبْ ......

وحينَ أعرتُهُ على الأيام بصَري وأعدتُ فيه نظري تبيّنْتُ مصْداقَ ما قرأته في بعضِ الكُتُبِ : « إنّ أولَ ما يبدو من ضعْفِ ابنِ آدمَ أنّه لا يكتُبُ كتاباً فيبيتُ عندَه ليلةً إلاّ أحبّ في غدِها أنْ يزيدَ فيه أو أن ينقُصَ منه » — هذا في ليلة واحدة ، فكيف في سنينَ عدّةٍ ! .... فقلتُ ...... : لِمَ لا أبسُط فيه عنانَ الكلام وأرْمي في الإشباع والإتمام هدَفَ المَرام ؟ فجعلتُ أبنيه وأنقضُه ، وأزيدُه وأنقُصُهُ ، .... ، والأيامُ تحجِزُ ، وتَعِدُ ولا تُنجز ؛ إلى أن أدركتُ عصرالسنّ والحنكة .... فاختلَسْتُ لُمعَةً من ظُلْمةِ الدهر وانتهزت رقْدةً من عين الزمانِ .... وخِفّةً من زحْمةِ الشوائب واستمررْتُ في تقريرِ هذه النُسخةِ الأخيرة

---

(١) كفة (بكسر الكاف). الحابل: الصائد الذي يصيد الحيوان بالحبل. كفة حابل: حبل معقود ليشد على عنق الحيوان (ولذلك تصبح بعد الشد ضيقة جداً) .

(٢) بليت : أصبت ببلاء (مرض ، مصيبة ، ضيق) . مملوكة : جارية (جميلة) . ملكا بابل (من الملائكة) : هاروت وماروت اللذان علما الناس السحر (يقصد : في عينيها جميع قوى السحر) .

(٣) لحا : لام . العاذل : الذي يلوم المحب .

(٤) يشينه : يعيبه . نبو : نفور ، ابتعاد . اخلاق (بكسر الهمزة) : تهرؤ ، بلى . البرد : الثوب .

(٥) أهل العصر (الذي كان الثعالبي يعيش فيه) . رواء : جمال المنظر . حلاوة قرب العهد : حب الناس للاشياء التي ألفوها . ازدياد الجودة على كثرة النقد : مع كثرة ما انتقدها النقاد ظلت جيدة (لأنها جيدة فعلا) .

وتَحرِيرها من بين النسخ الكثيرةِ ، بعد أن غيّرت ترتيبَها وجدّدت تبويبَها .....

فهذه النُسخةُ الآنَ تَجْمَعُ ـ من بدائع أعيانِ القَضْلِ ونجوم الأرض من أهلِ العصرِ ومَنْ تقدّمَهُمْ قليلاً وسَبَقَهُمْ يسيراً ـ ما لم تأخُذِ الكتُبُ العتيقةُ غُرَرَه .... وتَشْتَمِلُ من نَسْجِ طِباعهم وسَبْك أذهانهم .... وتتضمّن من طَرْفِهم ومُلَحِهم .... ما لم تَتَضَمَّنْهُ النسخةُ السائرةُ الأولى .

والشرطُ في هذهِ (النسخة) الأخرى إيراد لُبِّ اللُّبّ وحَبّةِ القلب وناظرِ العين ونُكتة الكلمة .... معَ كلام في الإشارة الى النظائر والأحاسن والسَرقات وأخذ مِنْ طُريق الاختصارِ ونُبَذٍ من أخبارالمذكورين وغُرَرٍ من فُصوص فُصول المترسّلين يَميل الى جانب الاقتصار .....

ثم ان هذا الكتابَ المقرّرَ ينقسمُ الى أربعةِ أقسامٍ يشتمل كلُّ قِسْمٍ منها على أبواب وفصول :

القسم الاول : في محاسنِ أشعار آل حَمْدانَ وشُعَرائهم وغيرِهم من أهلِ الشام وما يُجاورها ومِصْرَ والمَوْصل والمغرب .

القسم الثاني : من محاسن أشعارِ أهلِ العراق ومن إنشاء الدولة الديلمية .

القسم الثالث : من محاسن أشعار أهل الجبال وفارسَ وجُرْجانَ وطَبَرَسْتان وأصفهان .

القسم الرابع : في محاسن أهل خُراسانَ وما وراء النهر من انشاء الدولة السامانية والغزْنية والطارئين على الحَضْرة ببُخارى من الآفاق .....

٤ ـ أحاسن كلام النبيّ والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتّاب والبلغاء والحكماء ، ليدن ١٨٤٤ م .

مكارم الاخلاق، بيروت ١٩٠٠ م .

كتاب غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (حرّره زوتنبرغ) ، باريس ١٩٠٠ م ؛ طهران (مكتبة الأسدي) ١٩٦٣ م .

نثر النظم او حلّ العقد، دمشق ١٣٠٠هـ ؛ (على هامش ثمار القلوب) القاهرة (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ هـ ؛ مصر ١٣٢٨ هـ .

الفرائد والقلائد (على هامش «نثر النظم») ، دمشق ١٣٠ هـ ؛ مصر ١٣٢٨ هـ ؛ = كتاب الأمثال المسمّى

بالفرائد والقلائد ، ويسمّى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس ، القاهرة (دار الكتب العربية الكبرى ١٣٢٧ هـ .
لطائف المعارف (تحرير دو يونغ) ، ليدن (بريل) ١٨٦٧ م ؛ مصر ١٢٧٥ هـ .
اللطائف والطرائف في الأضداد واليواقيت في بعض المواقيت ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٠ هـ ؛ مصر ١٣٠٧ هـ ؛ = يواقيت المواقيت في مدح الشيء وذمّة ، بغداد (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ بعنوان الجمع (؟) ما بين كتابي الثعالبي ، القاهرة ١٢٧٥ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٠ هـ .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (نشره محمّد أبو شادي) ، مصر (المطبعة الظاهرية) ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨ م ؛ بتحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٦٥ م . القاهرة ١٣١٧ هـ ؛
النهاية في التعريض والكناية ، مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠١ هـ ؛ = كتاب الكناية والتعريض (مطبوع مع « المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء » للجرجاني (عني بتصحيحه محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (محمّد أدهم) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .
الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة (مطبوع على هامش « النهاية في التعريض والكناية ») مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠١ هـ .
يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر ، دمشق (المطبعة الحنفية) ١٣٠٤ هـ ؛ (نشرها محمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م ؛ (نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .
فائدة العصر (فهرست ليتيمة الدهر ، طبع دمشق ١٣٠٤ هـ) للمولوي أبي محمّد أحمد الحق ، كلكتّا ١٩١٥ م .
تتمّة اليتيمة (أو ذيل اليتيمة) (عني بنشرها عبّاس اقبال) ، طهران (مطبعةفردين) ١٢٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .
من غاب عنه المطرب (مطبوع مع « التحفة البهيّة ») ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢هـ (نشره محمّد اللبابيدي) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٣٠٩ هـ .
خاصّ الخاصّ ، تونس ١٢٩٣ هـ ؛ (عني بتصحيحه محمّد السمكري) ، مصر (اسماعيل وخانجي) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ؛ (قدّم له حسن الأمين)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٦ م .
المنتحل (شرحه أحمد أبو علي) ، الاسكندرية (المطبعة التجارية) ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .
أحسن ما سمعت (نشره محمّد صادق عنبر) . القاهرة (خادم واسحاق) ١٣٢٤ هـ .
أربع رسائل منتخبة من مؤلّفات ... الثعالبي : منتخبات من الكتب التالية : التمثيل والمحاضرة — المبهج — سحر البلاغة وسرّ البراعة — النهاية في الكناية ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ هـ .
مجموعة خمس رسائل (فيها للثعالبي) : الايجاز والاعجاز — برد الأكباد في الأعداد ..... ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (اسكندر آصاف) ١٨٩٧ م .
رسالة في ما جرى بين المتنبّي وسيف الدولة ، ليبسك ١٨٤٧ م .
سر العربية (يطبع احياناً مع « فقه اللغة ») .

سرّ الأدب في مجاري لغة (كلام) العرب (مطبوع مع كتاب « السامي في الأسامي » للميداني) مصر (العجم) ١٢٩٤ هـ .

مرآة المروّات وأعمال الحسنات ، القاهرة ١٨٩٨ م ؛ ١٣١٨ هـ .

سحر البلاغة وسرّ البراعة (وقف على طبعه أحمد عبيد) ، دمشق (منشورات المكتبة العربية) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٥٠ هـ .

أبو الطيّب المتنبّي وما اليه ، القاهرة (محمّد عطية) ١٩١٥ م ؛ ١٩٢٤ .

المتشابه (بتحقيق ابراهيم السامرائيّ — منشورات مجلة الآداب ، بغداد ، العدد العاشر ١٩٦٧ م .

أبو فراس شاعر وبطل عربي : منتخبات شعرية من يتيمة الدهر ، الفصل الثالث (مع النص والترجمة الى اللغة الألمانية — نشره رودولف دفوراك) ، ليدن (بريل) ١٨٩٥ م .

أمل الآمل المنسوب للجاحظ (بتحقيق رمضان ششّن) ، لندن (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م .

فقه اللغة (نشره رشيد الدحداح) ، باريس ١٨٦١ م ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٤ ؛ (طبع بالحروف) ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ؛ (باعتناء لويس شيخو) ، بيروت (مطبعة الأبـــاء اليسوعيّين) ١٨٨٥ م ؛ مصر (على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه — بالمطبعة العمومية) ١٣١٨ هـ ؛ مصر (محمّد الزهرى) ١٣٢٥ هـ ؛ ١٣٤١ ، ١٣٤٥ هـ ؛ (نشره مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الصلاتي) ، القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م) .

* دمية القصر ١٨٣ — ١٨٥ ؛ (منقولة أيضاً في آخر اليتيمية) ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٢١ — ٥٢٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٧ — ٣٤٠ ، الملحق ١ : ٤٩٩ — ٥٠٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢٩ — ٣٣٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١٧٩ — ١٩٠ . دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٧٣٠ — ٧٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣١١ .

ابن دوست (١)

١ — هو أبو سعيدٍ عبدُ الرحمن بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ دُوْست بنُ عزيزِ بنِ يَزَنَ الحاكمِ ، قرأ اللغة على الجَوْهري (ت ٣٩٣هـ) صاحبِ الصِحاح. ثمّ إنه تصدّرَ لإقراء الادبِ والنحو في خُراسانَ . وقد كان أُطروشاً لا يسمع البتّةَ ، ومعَ ذلك فقد كان يقرأ مجالسَهَ (محاضراتِه) بنفسه . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٣١ هـ (١٠٣٩ — ١٠٤٠ م) .

٢ — كان ابنُ دوست من أعيانِ الأئمّةِ في خُراسانَ في علمِ العربية (النحو) ، وكانتْ له تصانيفُ مفيدةٌ . وله ردٌّ على الزّجّاجيّ (ت ٣٤٠ هـ) في ما استدركـــه

(١) دوست (بضم الدال واهمال الواو وسكون السين) من الفارسية : صديق ، محب . وقد ضبطها محمد محيي الدين عبد الحميد (فوات الوفيات ، طبعة بتحقيقه ، مطبعة السعادة بمصر) ١ : ٥٤٩ بضم الدال وفتح الواو . ويذكر الزركلي (الاعلام ٤ : ١٠٢ ، العمود الثاني ، الحاشية الاولى) أن الصواب ابن درست (بضم الدال والراء) .

الزّجّاجيُّ على ابنِ السكّيتِ في كتاب « إصلاح المنطق ». وكان له شعرٌ عاديٌّ ولكنّ فيه لَفَتاتٍ . وأكثرُ شِعْرِه الغزلُ والوصفُ والحِكمة مَعَ شَيْءٍ من الصِناعة فيه .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ دوست في الغزل :

وشـادنٍ قُلْتُ له : هل لـك في المُنـادمه ؟
فقال : كم من عاشقٍ سَفَكْتُ في المُنى دَمَهُ !

ــ وله في تفضيل حِفظِ العلم على جَمْعه في الكتب :

عليكَ بالحِفْظِ ، دونَ الجَمْعِ في كُتُبٍ ؛ فانّ للكُتْبِ آفاتٍ تُفرّقُهـا :
الماء يُغْرِقُهـا ، والنـار تَحْرِقُها ، والفار يَخْرِقهـا ، واللِص يَسْرِقها .

٤ ــ * فوات الوفيات ١ : ٣٣٦ ؛ بغية الوعاة ٣٠٢ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٠٢ .

ابن خيران الكاتب

١ ــ هُوَ وَلِيُّ الدولة أبو محمّد أحمدُ بنُ عليّ[١] بنِ خَيْرانَ المِصْرِيُّ تولّى ديوانَ الإنشاء لِمِصْرَ بَعْـدَ أبيه : تَولاّه للظّاهرِ (٤١١ ــ ٤٢٧ هـ) ثمّ للمُسْتَنْصِرْ (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ) ، » وكان رِزْقُهُ في كلِّ سَنَةٍ ثلاثةُ آلافِ دينارٍ ، وله على كلّ ما يكتبُهُ مِنَ السجلاّتِ والعُهودات وكُتُبِ التقْليـداتِ رسومٌ يَسْتَوْفيها مِن كلّ شيءٍ بِحَسَبِه » . وغَضِبَ عليه الظاهرُ مرّةً وَخَتَمَ على أمْواله ثمّ عادَ فرَضِيَ عنه (معجم الادباء ٤ : ١١) .

وكانتْ وفاةُ وَلِيِّ الدولة أبي مُحمّدِ بنِ خَيْرانَ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٣١ (١٠٤٠ م) .

٢ ــ كانُ وَليُّ الدولة بنُ خَيْرانَ كاتباً مُتَرَسّلاً بارعاً ؛ وكان يَنْظِمُ الشعْرَ . والمَلْموحُ من قولِ ياقوت الحَمَوِيّ أنّ شعرَ ابنِ خَيْرانَ كان كثيراً ولكنْ قليلُ الجَوْدةِ (معجم الادباء ٤ : ٥ ــ ٦) ؛ أما ابنُ خلّكان فذكَرَ (وفيات الاعيان ٢ : ٥٥) أن لِوَليِّ الدولة بنِ خَيْرانَ ديوانَ شعرٍ صغيراً بَعْضُهُ مَشْهور .

---

(١) كان علي بن خيران فاضلا بليغاً أعظم قدراً من ابنه وأكثر علماً ، وكان يتولى أيضاً ديوان الانشاء (معجم الادباء ٤ : ٥) .

ويبدو أنَّ شِعْره مُقَطّعاتٌ في أغراضٍ وُجْدانية كانت تَعْرِضُ له ، وأكثرها فخرٌ بنفسهِ وبشعرهِ . وله مجموع رسائل .

٣ — مختارات من آثاره

— ذَكَرَ ابنُ خلّكان ابنَ خَيْرانَ الكاتبَ فقال (٢ : ٥٥) : « ومِنْ شِعْرِهِ البيتانِ المشهوران » :

سَعَى إليْكَ بِيَ الواشي فَلَمْ تَرَني أهلاً لِتَكْذيبِ ما ألْقى مِنَ الخبَرِ [١] .
ولو سَعَى بِكَ عِنْدي في ألِذّ كَرًى طيفُ الخيالِ لَبِعْتُ النَّوْمَ بالسَّهَرِ [٢] !

— ومن شعرِ ابنِ خيْران (معجم الادباء ٤ : ٧٦) :

عَشِقَ الزّمانَ بنوه جَهْلاً مِنْهُمُ ، وعَلِمْتُ سوءَ صَنيعه فشَنَأْتُهُ [٣] :
نَظَروه نظْرةَ جاهلينَ فغَرّهُمْ ، ونَظَرْتُهُ نَظَرَ الخبيرِ فَخِفْتُه [٤] .
ولَقَدْ أتاني طائعاً فعَصَيْتُه ، وأباحَني أحْلى جَناه فعِفْتُه [٥] .

— وله أيضاً :

قَدْ عَلِمَ السَّيْفُ وحَدُّ القَنا أنّ لِساني مِنْهُما أقْطَعُ [٦] ؛
والقَلَمُ الأشرفُ لي شاهدٌ بأنّني فارِسُه المِصْقَعُ [٧] .

— وقال يفتخر بشعره ونثره :

ولقد سَمَوْتُ على الأنامِ بخاطرٍ ، الله أجْرى منه بَحْراً زاخرا :
فإذا نَظَمْتُ نظمتُ رَوْضاً حالياً ، واذا نَثَرْتُ نثرتُ دُرّاً فاخرا [٨] !

٤ — ** معجم الأدباء ٤ : ٥ — ١٣ [٩] ؛ الوافي بالوافيات ٧ : ٢٣٤ — ٢٣٦ ؛ وفيات الاعيان (في ترجمة ابن نوبخت آخر) ٢ : ٥٥ — ٥٦ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٦٥ — ١٦٦ .

---

(١) — نقل المبغض الي كلاماً مسيئاً عنك فما رأيتني أعتذر من هذا الكلام لأنك تعلم أنني لا أقوله .
(٢) — لو ان طيف الخيال جاءني في النوم بكلام عنك لهجرت النوم حتى لا أرى فيه طيفاً (مناماً) .
(٣) سوء صنيعه (فعله) . شنأته : أبغضه .
(٤) .. فخفت عواقبه (ما سيأتي به في المستقبل من الاساءة بعد أن جاءني باحسان كثير) .
(٥) الجنى : الثمر . عاف يعاف : هجر ، ترك . (٦) القنا : الرماح .
(٧) المصقع : البليغ ، العالي الصوت ، الذي لا يتعتع في كلامه (المصقع في الاصل صفة للخطيب) .
(٨) الحالي ، المزين بالحلي . لاحظ التورية بين نظمت الشعر ونظمت الروض بفواكهه ، ثم بين نثرت (كتبت كلاماً منثوراً) وبين نثرت (فرقت) دراً .
(٩) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن نوبخت ، كان شاعراً مجيداً إلا أنه كان قليل الحظ من الدنيا رقيق الحال ضعيف المقدرة ؛ توفي بمصر في شعبان سنة ٤١٦ (صيف عام ١٠٢٥ م) وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة .

العميـــدي [1]

١ ـ هو أبو سعد [2] محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدٍ العَميديُّ، سَكَنَ مِصْرَ ووَلِيَ فيها ديوانَ التَرتيب ثمّ عُزِلَ عنه سَنَةَ ٤١٣ هـ، في أيام الظاهر الفاطمي. وبعدَ أمدٍ تولّى ديوانَ الإنشاء في صَفَرَ من سَنَةِ ٤٣٢ (خريف ١٠٤٠ م). وكانتْ وفاتُه يومَ الجُمُعة فيخامسِ جُمادى الثانيةِ سَنَةَ ٤٣٣ (٢٩/ ١/ ١٠٤١ م).

٢ ـ كان أبو سعدٍ العَميديُّ أديباً فاضلاً عالماً باللغة والنحو وكان شاعراً كثيرَ المَيْلِ الى المُحَسِّناتِ اللفظية في شِعره وفي نثره، كما كان كاتباً مُتَرَسِّلاً ولكنْ لم يَصِلْ إلينا شيءٌ من رسائله. ثمّ هو مُصَنِّفٌ له: تنقيح البلاغة (في عشر مجلّدات) ـ انتزاعات القرآن ـ الإبانة عن سَرِقات المتنبّي لفظاً ومعــنى ـ الإرشاد الى حلّ المنظوم والهداية الى نظم المنثور [3] ـ العَروض ـ القوافي.

وكتابُ «الإبانة»، كما جاء في انباه الرواة (٣ : ٤٧)، كتاب «حَسَنٌ يدُلُّ على اطّلاعٍ كثير». والكتابُ في ثمانٍ وثمانينَ صفحةً فيه مقدّمةٌ في النقد وفي السبب الذي أُلِّفَ من أجله. ثمّ يأتي سَرْدٌ طويل لأبياتِ نفرٍ كثيرين من الشعراء أخَذَ المتنبّي منهم. وقد يُعلِّقُ العَميديُّ على مآخذِ المتنبّي من الشعراء ويبيّن ما فيها من الضَعْف، وربّما مَدَحَ قولَ المتنبّي برُغْمِ أنّه أخَذَ المعنى من غيره. فقد أوردَ العَميديُّ بيتينِ لبشّارِ بنِ بُرْدٍ ولأبي نُواسٍ هما على التوالي (ص ٤٩):

وظنّ، وهو مُجِدٌّ في هَزيمتهِ، ما لاح قُدّامَه شخصاً يُسابِقُهُ [4]

* فكلُّ كفٍّ رآها ظَنّها قَدَحاً، وكلُّ شيءٍ رآه ظنه الساقي.

---

(١) ذكر بروكلمان اثنين بلقب العميدي: ركن الدين أبا حامد محمد بن محمد السمرقندي العميدي (ت ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م)، وكان صوفياً (١ : ٥٦٨، الملحق ١ : ٧٨٥) ثم سيف الدين أبا الحسن علي بن أبي علي بن محمد الثعالبي العميدي (ت ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م) وكان فقيهاً (١ : ٤٩٤، الملحق ١ : ٦٧٨)..

(٢) في انباه الرواة (٣ : ٤٦): أبو سعيد.

(٣) في انباه الرواة (٣ : ٤٦) يرد هذا العنوان مقسوماً عنوانين كأنه اسم كتابين.

(٤) وظن... أن ما (الذي، كل شيء) قدامه شخص (عدو له) يسابقه (ليقطع عليه الطريق).

ثمّ أوردَ قولَ المتنبّي :

وضاقتِ الأرضُ حتّى كان هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّه رَجُلا !

فعلّق عليهِ بقوله : « وهذا المعنى هو السِحْرُ الحلال الذي رُزِقَه (المتنبّي) وحُرِمَه غيرُه » .

والعَميديُّ يذهبُ مذهب ابن سَلاّمٍ الجُمَحيّ ومذهبَ ابنِ قُتَيْبَةَ في جَيِّدِ الشِعر ورَديئهِ[1] (راجع النصّ النثري) .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة كتاب « الابانة » :

ومن لم يَتميّزْ من العلوم بمزيّةِ تقدُّمٍ وتخصّصٍ ساق المُحْسنين[2] بلسانِ ذم ونقصٍ .... وأكثرُ آفاتِ كُتّابِ زمانِنا وشُعَرائه أنّهم لا يهتدون لتعليل الكلام وتَشْقيقه[3] ، ويتّبعون الهَوى فيُضِلُّهم عن منهج الحقّ وطريقه . فإذا سَمِعوا فصلاً من كتابٍ أو بيتاً من شِعْرٍ ممّن لا يَكاد يَفْهَمُ ولا يُجيلُ في الأدب قِدْحاً[4] ، ولا يَعْرِفُ هجاءً ولا مدحاً ، فهو يحكُمُ على قائلهِ بالسَبْق والتفخيم والإجلال والتعظيم ... (فقد) اعتمد (هؤلاء في ذلك) الاعتقادَ دون الانتقادِ وقَبِلوه بالتقليد والاختيار وقابلوه بالامتثال دونَ الاعتبار .... وليست هذه الخِصْلةُ من خِصالِ الأدباء الذين هذّبتهمُ الآدابُ فصاروا قُدْوةً وأعلاماً ، ودرّبتهم العلومُ فأصبحوا بين الناس قُضاةً وحُكّاماً . إنّما يذهَبُ في مَدْحِ الشعراءِ والكتّابِ مذهبَ التقليدِ مَنْ يكون في علومهِ خفيفَ البِضاعة قليلَ الصِناعة ..... فأمّا من رُزِقَ من المعرفة ما يُميِّزُ (به) بينَ غَثِّ الكلام وسَمينه ويفرّق بين سَخيفه ومَتينه ، (ثمّ) أوتِيَ من

---

(١) راجع الجزء الثاني ، ص ٢٤٤ و ٣٢٩ .

(٢) ذم المحسنين في النثر والنظم (جهلا منه بقواعد النقد) .

(٣) تشقيق الكلام : اخراجه أحسن مخرج (القاموس ٣ : ٢٥١) ، اي تطلب أحسن ما يمكن أن ينطوي عليه من المعاني .

(٤) القدح (بالكسر) السهم ، أو السهم قبل أن يلصق بآخره ريش (ويستخدم حينئذ في الميسر = لعب القمار) : لا يجيل في الادب قدحاً : ليس له خبرة برواية الادب .

العقل ما يَحْسُنُ أن يَعْدِلَ به في القضيّة غيرَ عادلٍ [١] عن الإنصاف ويحكُمَ بالسَّويّةِ غير مائلٍ الى الإسراف والإجحاف [٢] ، فالأَوْلى به ألاّ ينظُرَ إلى أحدٍ إلاّ بعين الاستحقاق والاستيجاب [٣] ؛ ولا يُجِلَّ أحداً الاّ بقَدْرِ مَحلّهِ مـن الآداب فلا يُعَظِّمَ الجاهليّين [٤] إذا أخرّتْهم معايبُ أشْعارهم ، ولا يَسْتَحقر المُحْدَثين لتأخّرِهِمْ (في الزمن) إذا قدّمتْهُمْ محاسِنُ آثارِهم .....

وقد جرى يوماً حديثُ المتنبّي في بعض مجالس أحدِ الرؤساء فقالَ أحدُ حاملي عَرْشِه : « سُبحانَ من ختم بهذا الفاضل الفحولَ من الشعراء وأكْرَمَهُ وجعل له من المحاسن ما يعثره [٥] فيه كلّ من تقدّمه . ولو أُنْصِفَ لَعُلِّقَ شِعْرُه كالسَّبْعِ المُعَلّقات (على) الكَعْبة ، ولَقُدِّمَ على شعراء الجاهلية في الرُتبة .... (ولم يَقُلْ) شاعرٌ إسلاميٌّ ولا جاهليٌ مثلَ قولهِ في صِفَةِ الفَرَسِ :

رِجلاهُ في الرَّكَضِ رِجْلٌ واليدانِ يدٌ ، وفِعْلُه ما يُريكَ الكفُّ والقَدَمُ .

لقد أبْدَعَ المتنبّي ما شاء وأغْرب ، وأفْصَحَ عن الغَرَضِ وأعْرب » .

فقلت : للأُقَيْشِرِ ما يُقارِبُ هذا المعنى في نَعْتِ فرسه ، وهو قولُه : .....

رِجلاهُ رِجْلٌ واليدانِ يـدٌ إذا أحْضَرْتَهُ ، والمَتْنُ أذْلَقَ سالمُ [٦] !

فصاح وقال : « يا قومُ ، أهذا شِعْرُ إنسانٍ له مُسْكَةٌ من عَقْله بها [٧] من فضْله ؟ واللهِ ، إنّ للمتنبّي غِلماناً وأتْباعاً أجَلُّ من هذا البَليد المجهول . من أيّ قبيلةٍ هذا الساحر [٨] الذي تكلّم بمثل هذا الفُضول ؟ »

---

(١) عادل : مائل (جائر ، ظالم) .

(٢) الاسراف : التبذير (الانفاق في غير طاعة) : الحكم في الادب بالمبالغة من غير معرفة . أجحف به : ذهب به (نقصه شيئاً من حقه) .

(٣) الاستيجاب (؟) : الاستجابة (القبول لما يقضي به الحق) .

(٤) في الاصل : الجاهليه (بالهاء) .

(٥) كذا في الأصل . اقرأ : يعثر (؟) كل من تقدمه (يخطئ فيه أولئك الذين جاءوا قبل المتنبي) .

(٦) أحضرته : جعلته يسابق (الخيل) . المتن : الظهر . أذلق : له حد ، ظهره مستو (غير كثير الانخفاض) . وذلق (بتشديد اللام) الفرس : ضمره .

(٧) المسكة (بالضم) : العقل الوافر . مسكة من عقل : قليل من عقل . — من عقله به من فضله (كذا في الأصل) يبدو أنه ينقص كلمة أو أكثر من كلمة قبل « بها » : « يتعلق بها » .

(٨) الساحر (كذا) . الشاعر (؟) .

فقلت : عافاكَ اللهُ ! حديثُنا في الإبداع لا في الأتباع [١] ، وفي الآداب لا في الأنساب . ليس تُغْني المتنبّي جلالةُ نَسَبه مَعَ ضَعْفِ أدبه ، ولا يَضُرُّه خِلافُ دَهْرِه مَعَ اشتهارِ ذِكْرِه .

ولقد تأمّلتُ أشعارَه كُلَّها فوجدتُّ الأبياتَ التي يَفْتخر بها أصحابُه وتُعْتَبَر بها آدابُه من أشعارِ المتقدّمين منسوخةً ومن معانيهم المختَرَعَة مسلوخةً . وإنّي لأعْجَبُ ، واللهِ ، من جماعــةٍ يَغْلُونَ [٢] في ذِكْرِ المتنبّي وأمرِه ويَدّعون الإعجازَ في شعْره ويَزْعُمون أن الأبياتَ المعروفةَ له هو مُبْتَدِعُها ومخترعُهــا ومُحْدِثُها ومُقْتَرِعُها [٣] ، لم يَسْبِقْ الى معناها شاعرٌ ولم يَنْطِقْ بأمثالِها بادٍ ولا حاضر [٤] .....

ولستُ ـ يعلَمُ اللهُ ـ أجْحدُ فَضْلَ المتنبّي وجَوْدَةَ شِعرِه وصفاء طبعه وحلاوةَ كلامه وعذوبةَ ألفاظِه ورشاقةَ نَظْمه ، ولا أُنْكِرُ اهتداءه لاستكمالِ شُروطِ الأخذِ إذا لحَظَ المعنى البديعَ لَحْظاً و(لا)استيفاءه حُدودَ الحَذْفِ إذا سَلَخَ (المعنى) فكساه من عنده لَفْظاً . ولا أشُكُّ في حُسْنِ معرفتهِ بحِفْظِ التقسيم [٥] الذي يَعْلَقُ بالقلب مَوْقِعُه ، وإيرادِ التجنيس الذي يَملِكُ النفسَ مَسْمَعُه ... وغوصهِ في الفهم على ما يُسْتَصْفى ماؤه ورونقُه ، وسلامةِ كثيرٍ من أشعاره من الخطأ والخلَل والزَلَل والدَخَل [٦] .... وأشهدُ أنّه عن درجتهِ غيرُ نازلٍ ولا واقعٍ ، وأعرِفُ أنه بمليحُ الشعرِ غيرَ مُدافَعٍ . غير أنّي ـ مَعَ هذه الأوصافِ الجميلة ـ لا أبرِّئُه من سَرِقَةٍ ، ولاأرى أنْ أجْعَلَه وأبا تمّامٍ الذيكانَ ربَّ المعاني في طَبَقَةٍ [٧] ، ولا أُلْحِقُه في سهولةِ الألفاظِ وعذوبتهــا ورشاقةِ المعْرِض [٨] ومجانبةِ التصنّع

(١) الابداع (بكسر الهمزة) : الاحسان . الاتباع (بفتح الهمزة جمع تابع : خادم مقلد) .

(٢) غلا الرجل يغلو في أمر : بالغ ، جاوز الحد .

(٣) مقترعها : مختارها ، المختار لها ، الذي اختارها .

(٤) البادي : البدوي . الحاضر : الساكن في الحضر (المدن) . البادي والحاضر : جميع الناس .

(٥) التقسيم من وجوه البلاغة : التسهيم ، نحو : « بيض صنائعنا خضر مرابعنا ... » حفظ التقسيم (؟) .

(٦) الخطأ (الغلط ، مجانبة الصواب) والخلل (النقص ، للجهل بالموضوع) والزلل (الخطأ لقلة العلم) الدخل (الفساد في العقل أو الجسم) .

(٧) في طبقة = في طبقةاحدة (على مستوى واحد مع أبي تمام) .

(٨) رشاقة المعرض (؟) = العرض : التعبير (جمال التعبير) .

والتكلّف بالبُحتُريّ ، ولاأقيسُه في امتداد النفس وعلم اللغة والاقتدار على ضُروبِ الكلام وتصوّرِ المعاني العجيبةِ والتشبيهات الغريبة والحِكَمِ البارعة والآدابِ الواسعة بابن الروميّ[1] ، ولا أتهالَكُ في مَدْحه تهالكَ من يَتَعَصَّبُ له تقليداً ويَغْلو فلا يجعَلُ له بينَ هؤلاء وبينَه من الفضلاء أمَداً بعيداً . ولا أطعَنُ في دِينه ولا نَسَبِه ، ولا أذُمُّه لاعتقاده ومَذْهبه .....

—قال أبو سعدٍ العَميديُّ في الزُهد على التجنيس :

إذا ما ضاق صَدْري لم أجِدْ لي   مَقَرَّ عبادةٍ إلاّ القَرافَهْ .
إذا لم يَرْحَمِ المَوْلى اجتْهادي   وقِلّةَ ناصِري لم ألْقَ رافَهْ[2] .

٤ ـ الإبانة عن سرقات المتنبّي لفظاً ومعنى ، مصر (المطبعة العبّاسية) بلا تاريخ .

** معجم الادباء ١٧ : ٢١٢ ـ ٢١٣ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٧٥ ـ ٧٦ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٤٦ ـ ٤٧ ؛ بغية الوعاة ١٩ ؛ الأعلام للزركليّ ٦ : ٢٠٥ .

الشريف المرتضى

١ ـ هو أبو القاسم عَليُّ بنُ الحُسينِ بنِ موسى ، السيدُ والشريفُ المُرْتَضى ، وُلِدَ في الكَرْخِ ، في الجانبِ الغَرْبيّ من بَغدادَ ، في رَجَبَ ٣٥٥ (٩٦٦ م) .

تلقّى الشريفُ المُرْتَضى علومَ الشِعْرِ والأدَبَ على المَرْزُباني (ت ٣٨٤ هـ) والشاعرِ ابْنِ نُباتةَ السَعْدي (٤٠٥ هـ) ، وتَلَقّى الفِقْهَ والأُصولَ على الشيخ المُفيدِ (ت ٤١٣ هـ) ، وكانَ من شُيوخه أبو عبدِ الله الحسينُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنَ بابُوَيه .

كان الشريفُ المُرْتَضى مُتَعَصِّباً على المُتنبّي ، فلما جاء أبو العَلاء المَعَرّيُّ إلى بَغدادَ (٣٩٨ ـ ٤٠٠ هـ) وجرَتْ بينَهما مُفاوَضَةٌ في هذا الشأنِ لم يُسَرّ المُرْتضى بجوابِ المَعَرّي فأساء إليه .

ولمّا تُوُفّيَ الشريفُ الرَضيُّ خَلَفَه المُرْتضى في نِقابةِ الطالبِيّينَ ، غيرَ أنه كان كأخيهِ الشريفِ الرضيّ ، يَرى نفسَه أهلاً للخِلافة .

---

(١) يرى العميدي أن « المتنبي » أدنى مرتبة من أبي تمام والبحتري وابن الرومي كثيراً (أمداً بعيداً : مسافة طويلة) .

(٢) القرافة : مقبرة في مصر القديمة (بظاهر القاهرة) . رافه = رأفة .

وكانتْ وَفاةُ الشريفِ المُرْتَضى ، في ٢٥ رَبيعٍ الأوّلِ ٤٣٦ (٢٢/ ٩/ ١٠٤٤م) في بغداد .

٢ - كانَ الشريفُ المُرْتضى فقيهاً إمامياً ومن المُعْتَزِلة ؛ وكان شاعراً مُكْثِراً جَزْلَ الشِعْر فخمَ الألفاظِ غنيّ اللّغَة متينَ التركيبِ يُحْسِنُ القولَ في الشَّيْبِ والشَّباب ، « وإذا وَصَفَ الطَيْفَ أجادَ في وَصْفه ، وقد استَعْمَلَهُ في كثيرٍ من المواضع » من شعره (وفيات ٢ : ١٤) . وهو يُصَرِّفُ كثيراً من وُجوهِ المعرفة الأدبية والفَلْسفية في شِعْره .

مؤلّفات الشريفِ المُرتضى كثيرة ، ومُعْظَمُها في الفِقه الإمامي (الشيعي) ؛ فمن كتبه الأدبية : تفسير الخطبة الشقشقيّة (للامام عليّ) - تفسير قصيدة السيد الحِمْيَري (هلاّ وقفت على المكان المُعْشب !) - الشهاب في الشيب والشباب - طيف الخيال - غرر الفوائد ودرر القلائد (؟) ، .

٣ - مختارات من آثاره :

- قال الشريفُ المرتضى في النسيب :

يا خليليَّ من ذُؤابَةِ قيسٍ :	في التصابي رِياضةُ الأخلاقِ[١] !
عَلّلاني بذكرِهِمْ . تُطْرِباني	واسْقِياني دَمْعي بكأسٍ دِهاقِ[٢] ؛
وخذا النومَ من جُفوني فانّي	قد خلعتُ الكَرى على العشّاق !

- وقال في الطيف :

ما ضَرّ من زارَ ، وجُنحُ الدُجى	يُكْحَلُ منه الأُفُقُ بالإِثْمِدِ[٣] ،
لو زارني والصبحُ في شمسه	بلَوْنِها الفاقِعِ في مِجْسَدِ[٤] .
كيفَ اهْتَدى لي في قَميصِ الدُجى	من كان في الإصباح لا يَهْتدي !

---

(١) الذؤابة : الضفيرة ، طارف الشعر . قيس : عرب الشمال . من ذؤابة قيس : من أعلى العرب نسباً وشرفاً . في التصابي رياضة الأخلاق : الحب يهذب أخلاق المحب .

(٢) دهاق : مملوءة .

(٣) الاثمد : الكحل (ولونه أسود) . زارني والأفق لا يزال أسود (في نصف الليل) .

(٤) الفاقع : اللون الفاتح (وتقال في الأصفر عادة) الثوب المجسد (بضم الميم) : المصبوغ بالزعفران (اللون الأحمر) . والمجسد (بكسر الميم وفتح السين) : ثوب يلبس مما يلي البدن .

أخلفني وَعْدُك في زَوْرةٍ ، فكيف وافيْتَ بلا موْعِدِ؟

* ضنّ عنّي بالنزْرِ إذ أنا يقظا نُ وأعطى كثيرَهُ في المنامِ .
والتقيْنا كما اشتهيْنا ، ولا عيْـ ـبَ سوى أنْ ذاك في الأحلام .
وإذا كانتِ المُلاقاةُ ليلاً ، فالليالي خيرٌ من الأيّام !

ــ من مقدّمة « طيْف الخيال » :

.... ومن بعدُ ، فإنّني وَقفْتُ على ما ذكرتَه[1] ــ أمدّك اللهُ بتوفيقه وتسديده ــ من شغَفِك بما اطّلعتَ عليه من كتابي في الشيب[2] وإعجابه لك ! وإطرابه إيّاك ، وأنّك استغزَرْتَ فائدتَه[3] واستغربت طريقتَه ، ودعاكَ ما وَقفْتَ عليه منه إلى التِماس كتابٍ في أوصاف طيفِ الخيال[4] نَسْلُكُ فيه هذا المنهجَ ونُخرِجُه هذا المخرج ؛ فإنّه أيضاً بابٌ قائم بنفسه قد أطالَ فيه الشعراء وأقْصروا وأصابوا وأخطأوا وتصرّفوا وتفنّنوا .

وقد رأيتُ الإجابةَ إلى سؤالك على ضيقِ زماني وقلبي وكَلال[5] فِكري وكثرة هموم صدري ، وان أعتَمِدَ على إخراج ما في ديوان الطائيّين[6] ثمّ ما في ديوان شعري وشعر أخي[7] ــ نضر الله وجهَه وأحسنَ منقَلَبَه[8]ُ ــ فأنقلَهُ الى جهتِهِ من غير إخلال بشيء منه وأتكلّم على معانيهِ ومقاصدِه مُنَظّراً بين نظائره[9] كاشفاً عن دفائنهِ وسرائرهِ ، حَسْبَ ما فعلتُهُ في كتاب الشيب .

ولأبي تمّام في هذا المعنى التافهُ اليسيرُ[10] ، فإنّه ما عُنِيَ به و(لا) رُزِقَ منه ما رُزِقَ

---

(١) يخاطب الصديق الذي وضع هذا الكتاب من أجله .
(٢) كتاب الشهاب في الشيب والشباب .
(٣) وجدت فائدته غزيرة (كثيرة) .
(٤) طيف الخيال : شبح الحبيب الذي يتراءى للمحب في المنام .
(٥) الكلال : التعب .
(٦) الطائيان : أبو تمام والبحتري .
(٧) الشريف الرضي (ت ٤٠٦ ﻫ) . راجع ، فوق ، ص ٥٩ .
(٨) جعل الله وجهه في الدنيا ناضراً (أبيض منيراً) وأحسن منقلبه (موته) .
(٩) إخلال : ترك شيء مع الحاجة اليه . منظراً بين نظائره : مقارناً بين النظير (الشبيه) والنظير منه .
(١٠) التافه : القليل القيمة . اليسير : القليل المقدار .

البُحتري فإنّه كان مُغْرَماً مُتيّماً[1] بالطيف فأكثرَ فيه وأغزرَ معَ تجويدٍ وإحسانٍ وافتنان[2]، وتصرّفَ فيه تصرُّفَ المالكين وتمكّن منه تمكُّنَ القادرين. وسأُنبِّهُ على مواقعِ إحسانه ومواضع إغرابه[3] بإذن الله.

ومّما يُفيدُ تقديمُه[4] أن الطيفَ يُوصَفُ بالمدحِ تارةً وبالذمّ أُخرى. ولِمَدْحِه وجوهٌ مُتَشَعِّبَةٌ. فممّا يُمْدَحُ بهِ أنّه يُعَلِّلُ المشتاقَ المُغْرَمَ ويُمْسِكُ رَمَقَ المُعَنّى المُسْقَم[5]، ويكونُ الاستمتاعُ به والانتفاعُ به، وهو زورٌ وباطلٌ، كالانتفاعِ لو كان حقّاً ويقيناً. وهل فَرْقٌ بينَ لَذّةِ الخَيال في حال تَمَثُّلِها وتخيُّلها وبينَ لَذّةِ اللقاء الصحيحِ والوِصال الصريح؟ وبعدَ زَوالِ الأمرينِ ومفارقةِ الحالينِ ما أحدُهما — في فَقْدِ مُتْعَتِه وزوالِ منفعته — إلاّ كصاحبِه! ....

٤ — ديوان الشريف المرتضى (نشره رشيد الصفّار ومحمّد رضا الشبيبي ومصطفى جواد)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ — ١٩٥٩ م).

شرح القصيدة الذهبية (المذهبة) في مدح عليّ بن أبي طالب للسيّد الحميري مصر ١٣١٣ هـ (تحقيق محمّد الخطيب)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٧٠ م.

طيف الخيال (نشره محمّد سيّد كيلاني)، القاهرة (البابي) ١٩٥٥ م؛ (تحقيق حسن كامل الصيرفي ومراجعة ابراهيم الابياري)، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

الاشارات الى بيان أسماء المبهمات (اختصره من كتاب المبهمات ليحيى بن شرف النوويّ)، لاهور (المطبعة الدخانية) ١٣٣١ هـ.

الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي (أشرف على نشره محمّد حسن الجواهري)، النجف (مطبعة الآداب) بلا تاريخ.

تلخيص الشافي للطوسي (قدّم له حسين بحر العلوم)، الطبعة الثانية، النجف (مكتبة العلمين) ١٩٦٣ م.

الجوامع الفقهيّة (نشرها محمّد باقر خوانساري)، طهران ١٢٧٦ هـ (للشريف المرتضى فيها

---

(١) مغرماً متيماً: كثير الحب الى حد المرض.

(٢) الافتنان: التفنن، المجيء بأنواع مختلفة.

(٣) الإغراب: الإتيان بالغريب غير المألوف.

(٤) ومن الأمور التي يحسن أن تكون مقدمة لهذا البحث.

(٥) يعلل المشتاق المغرم: يؤمله بعطف المحبوب عليه. الرمق: بقية الروح في الجسد. المعنى: المعذب (في الحب). يمسك الرمق: يطيل الحياة قليلا.

رسالتان : الانتصار– المسائل الناصرية) .

الشهاب في الشيب والشباب ، الآستانة ١٣٠٢ هـ .

أمالي السيّد المرتضى : في التفسير والحديث والأدب (نشرها محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (جمالي وخانجي) ١٣٢٥هـ =١٩٠٧ م .

تنزيه الأنبياء ، النجف ١٣٥٢ هـ ؛ النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٠ م .

انقاذ البشر من القضاء والقدر (نشره عليّ الخاقاني) ، النجف (مطبعة الراعي) ١٩٣٥ م .

اعلام الهدى : نهج البلاغة ، بومباي ١٣٠٤ هـ .

الشافي في الامامة ، (ايران) ١٣٠١ هـ .

** أدب المرتضى ، تأليف عبد الرزّاق محيي الدين ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٧ م .

تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٢ وما بعدها ؛ تتمة اليتيمة ١ : ٥٣ – ٦٦ ؛ يتيمة الدهر (دمشق) ٢ : ٢٩٧ – ٣١٥ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ – ١٥٧ ؛ انباه الرواة ٢ : ٢٤٩–٢٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٤ – ١٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٥٦–٢٥٨ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م) ، ٤١ : ١٨٨ – ١٩٧ ؛ بروكلمان ١ : ٥١٠–٥١٢ ؛ الملحق ١ : ٧٠٤ – ٧٠٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٨٩ .

أبو الفضل الميـــكالي

١ – هو الأميرُ السيّدُ العالِمُ أبوالفضل عبيدُ الله بنُ أحمدَ الميكاليُّ من أهل الجاهِ والرئاسة في نيسابورَ ، سَمِعَ من الحاكِم أبي أحمدَ الحافظ وأبي عمرو بن حَمدانَ ثم انه كان يَعْقِدُ مجلساً يُملي فيه . وكان يُقرِّب العُلماءَ والأُدباء، اختَصَّ بهِ أبو منصورٍ يحيى بنُ يحيى الكاتبُ ؛ ومدحَهُ أبو عبدِ المجيد بن أفلحَ الغزنَوي (تتمّة اليتيمة ٢ : ١٤ ، ٨١) ، وكان الثعالبي وثيقَ الصلةِ به كثيرَ الإطراء له . رأيناهُ مرّةً في فيروزابادَ ومرّة اخرى (٣٩٠ هـ – ١٠٠٠ م) في بَغدادَ بعدَ أن كان في الحجّ (يتيمة الدهر ١ : ٢١٠) . وكانت وفاتُه يوم عيدِ الاضحى (١٠ من ذي الحجّة) ٤٣٦ (٢٨–٦–١٠٤٥ م) .

٢ – كان أبو الفضلِ الميكاليّ أديباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحسناً رقيقاً . وكان ممّن يلتزمون السَجْعَ والمُوازنةَ والصِناعةَ اللفظيةَ قلّما يفارقون ذلك ، إلاّ أنه كان في نَثْرِه أقلَّ تكلّفاً منه في شعره . وأكثرُ نثره فصولٌ جميلةٌ ورسائلُ إخوانيةٌ . أما فنونُ شعره فهي الغزل والوصف والرثاء والحِكَم والشكوى ؛ وله شيء من المُداعبات . وشعره ونثره عَذْبانِ رقيقانِ جِداً .

٣ – مختارات من آثاره

– قال في الليلِ والغزلِ (لاحظْ لزومَه ما لا يلزمُ في القافية : كَواكِبِه – كَواكِ بِه :

لقدْ راعَني بَدْرُ الدُجى بِصُدودِه ووَكّلَ أجفاني بِرَعْيِ كواكِبِهْ[1] .
فيا جَزَعي ، مَهلاً ! عساهُ يَعودُ لي ؛ ويا كَبِدي ، صبراً على ما كَواكِ بِهْ !

– وقال في تَرْكِ شُربِ الخمر :

عَيَّرَتْني تَرْكَ المُدامِ وقالتْ : هل جَفاها من الكِرام لَبيبُ !
هي تحتَ الظلامِ نورٌ ، وفي الأكْـ بادِ بَرْدٌ ، وفي الخُدود لَهيب .
قُلْتُ : يا هذهِ ، عَدَلْتِ عن النُصْـ حِ ، أما لِلرَّشادِ فيكِ نصيب[2] ؟
إنّها لِلسُّتورِ هَتْـكٌ ، وبالأَلْـ بابِ فَتْكٌ ، وفي المَعادِ ذُنوب[3] !

– وقال في السيف :

خَيْرُ ما اسْتَعْصَمَتْ به الكَفُّ يوماً في سَوادِ الخُطوبِ عَضْبٌ صَقيلُ[4] ؛
عَنْ سُؤالِ اللئيمِ مُغْنٍ ، وفي العَظْـ مِ مُغَنٍّ ، ولِلْمنايا رَسول[5] !.

– ولأبي الفضل الميكالي من الفصول المختارة :

أيامَ ظِلُّ العيشِ رَطْبٌ ، وكَنَفُ الهوى رَحْبٌ[6] وشُرْبُ الصبا عَذْبٌ ؛ وما لشرقِ الأُنسِ غَرْبٌ .

– أيّامي مَعَكَ بينَ غُرّة ولَمْعة ، وعيدٍ وجُمْعة – ما هو الاّ نجمٌ طَلَعَ من سَمائِكَ ، ومَعْنىً اشْتُقَ من أَسْمائِكَ .

– ولأبي الفضل الميكالي من رسائله الاخوانيّات :

---

(١) بدر الدجى : الحبيب الذي يشبه البدر في الليالي المظلمة . رعي الكواكب : مراقبتها (السهر من العذاب في الحب) .

(٢) عدل : مال ، انحرف .

(٣) الألباب (جمع لب) : العقول . المعاد : الآخرة ، يوم القيامة .

(٤) استعصمت به الكف : تحصنت به وحصنت صاحبها . الخطوب : المصائب ، الأزمنة الصعبة . العضب السيف .

(٥) مغن : يدفع الحاجة (الفقر) عن الانسان . مغن : له صوت (يكسر العظام) . المنايا جمع منية . الموت .

(٦) الكنف : الجانب . رحب : واسع .

وَصَلَ كِتابُ مَوْلايَ وسَيِّدي أبدعُ الكُتُبِ هَوادِيَ وأعجازاً[1] ، وأبرعُها بَلاغةً وإعجازاً ؛ فَحَسِبْتُ ألفاظَهُ دَرَّ السَحاب أو أصفى قَطْرَةً ودِيمةً[2] ، ومَعانِيَه دُرَّ السِّخاب[3] أو أوْفى قَدْراً وقِيمةً . وتأمّلت الأبياتَ فوجَدتُها فائقة النظمِ والرَصْف ، عَبِقَةَ النَسيمِ والعَرْف ....

٤ – ** يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٦ – ٣٥٠ ؛ دمية القصر ١٢٢ – ١٢٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٢ – ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٠ – ٣٤١ ، الملحق ١ : ٥٠٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٣١٩ – ٣٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٤٤ .

المنـــازي

١ – هو أبو نَصْرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ السُلَيكيُّ المَنازيُّ ، نِسبةً الى منازجردَ . وَزَرَ المَنازيُّ[4] لأبي نَصْرٍ أحمدَ بنِ مَرْوانَ الكُرْدِيُّ صاحبِ مَيّافارقينَ وديارِ بكْرٍ (٤٠١ – ٤٥٣ هـ) وذهبَ الى القسطنطينية مِراراً (في مُهِمّاتٍ سياسية في الراجح) ، وقد جَمَعَ في أثناء سَفَراته تلك عدداً كبيراً من الكتب . ويبدو أنّ المَنازيَّ مرَّ بالمعرةِ في إحدى سَفَراته إلى القسطنطينية واجتمع بأبي العَلاءِ المَعَرّيُّ ، فلم يكن المعرّيُ عظيمَ الاحترامِ له . وماتَ المنازيُّ سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ – ١٠٤٦ م) .

٢ – كان المَنازيّ كاتباً وشاعراً . وشِعرُه سَهْلٌ عَذْبٌ جميلٌ ، وفيه وصفٌ حِسِيٌّ بارعٌ وخَيال رحيبٌ .

٣ – مختارات من شعره

– مرّ المنازيُّ بوادي بُزاعا[5] (بزاعة) فأعْجَبَهُ حسنُه فقال :

---

(١) الهادي : العنق . العجز (بضم الجيم) : مؤخر الجسم . أبدع الكتب (الرسائل) هوادي (مقدمات) وأعجازاً (خواتم) .

(٢) الدر (بفتح الدال) : خروج اللبن من ضرع الناقة وسقوط المطر من السحاب . الديمة : الغيمة الممطرة .

(٣) الدر (بضم الدال) ، الجوهر ، اللؤلؤ . السخاب (بالخاء) : قلادة (عقد) تتخذ من السك (بضم السين : طيب يعجن ويعمل منه حبوب تجفف ثم تنظم عقوداً) والقرنفل (زهر طيب الرائحة) ؛ والسخاب هنا القلادة عامة . أوفى : أثقل ، أكثر ، أرجح . العرف : الرائحة الطيبة .

(٤) المنازي نسبة الى منازجرد (بكسر الجيم) ، وهي مدينة عند خرت برت (حصن زياد) ، لعلها شمال حماة قريبة من الفرات . وهي عند ابن خلكان غير منازكرد القلعة التي هي من أعمال خلاط (أرمينية) . على أن في التفصيل بين المدينتين خلاف وغموض (راجع خريدة القصر – قسم الشام ٢ : ٣٤٨ ، الحاشيتين ١ ، ٢ ثم ٢ : ٣٥٠ ، الحاشية ٥ . وفيات الأعيان ١ : ٧٨ ؛ في خريدة القصر : سنة ٤٨٠ (قسم الشام ٢ : ٣٤٨) ، والأغلب أنه وهم (راجع الخريدة – الشام ٢ : ٣٤٨ ، الحاشية ٦) .

(٥) وادي بزاعا بين منبج وحلب .

وَقانا لَفْحَةَ الرَّمْضاء وادٍ وَقاهُ مُضاعَفُ النبْتِ العَميمِ[1].
نَزَلْنا دَوْحَهُ فحنا علينا حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطيمِ[2]؛
وأرْشَفَنا على ظَمأٍ زُلالاً أَلَذَّ من المُدامةِ للنَديمِ[3].
يَصُدُّ الشَمْسَ أنّي عارَضَتْنا فيَحْجُبُها ويأذَنُ لِلنَّسيمِ[4].
يَروعُ حَصاهُ حالِيَةَ العَذارى فتَلْمِسُ جانِبَ العِقْدِ النَّظيمِ[5]!

— وقال المنازيُّ في النسيب :

لقد عَرَضَ الحَمامُ لنا بسَجْعٍ إذا أصغى له رَكْبٌ تَلاحى[6].
شَجَى قلبَ الخَلِيِّ فقيلَ : غَنّى ؛ وبرَّحَ بالشَجِيِّ فقيل : ناحا[7]!
وكم للشوقِ في أحشاء صَبٍّ إذا اندملتْ أجَدَّ لها جِراحا[8].
ضعيفُ الصبرِ عنك وإن تَقاوى ، وسكرانُ الفؤادِ وان تَصاحى[9].
كذاك بنو الهوى سَكْرى صُحاةٌ كأحداقِ المها مرضى صِحاحا[10]!

— وقال يهجو غُلاماً له بإشارات هندسية :

ولي غلام طال في دِقّة كخطّ إقليدس لا عرضَ له .

---

(١) الرمضاء (في الاصل) الرمل الحار . الوادي : منخفض بين جبلين (يجري فيه ماء) . وقاه (الثانية) : دعاء (بأن يحفظ الله خصبه) . العميم : الذي يعم ، يملأ .

(٢) الدوح جمع دوحة : الشجرة العظيمة .

(٣) أرشفنا : سقانا . زلال : ماء سائغ عذب .

(٤) عارضه : سار معه جنباً الى جنب ، اعترض طريقه .

(٥) — تكون الفتاة متزينة بعقد من اللؤلؤ ، ثم يتفق أن تتطلع الى ماء الوادي فترى الحصا (صغار الحجارة) فيه كأنها اللؤلؤ فتظن أن عقدها قد انقطع وسقطت حباته في الماء فتلمس عنقها لترى اذا كان عقدها لا يزال في موضعه !

(٦) السجع : صوت الحمام (لا يعلم أغناء هو أم بكاء) . تلاحى القوم : تسابوا ، تجادلوا .

(٧) شجاه الصوت (هنا) : أطربه . الخلي = الذي لم يعرف الحب بعد . برح : عذب . الشجي : الحزين (لمفارقة الحبيب) .

(٨) يكون المحب الذي هجره حبيبه قد بدأ ينسى الحب فيذكره هذا الصوت به .

(٩) تقاوى : تظاهر بالقوة . تصاحى : تظاهر بأنه صاح أو واع (تقاوى وتصاحى ليستا قاموسيتين) .

(١٠) المها جمع مهاة : بقرة الوحش (نوع من الغزلان) . — يبدو عليهم السكر (من الحب) وهم صاحون ، كما تكون عيون المها وعيون النساء الجميلات مرضى (ناعسات) وهي صحيحة (سليمة من المرض) .

وقد تناهى عقلُه خِفّـةً فصار كالنقطة لا جزءَ له[1] .

٤ ـ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٤٨ ، ٤٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٧٧ ـ ٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

أبو يعلى الصوفي المصري

١ ـ هو أبو يَعْلي محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ الفضلِ بن العبّاس المِصْريُّ وُلِدَ سَنَةَ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ ـ ٩٧٩ م) . وتلقّى ـ فيما تَلَقّى من العلوم ـ الحديثَ عن أبن بكرِ ابنِ أبي الحديدِ الدِمشقيّ . وتطوّف أبو يعلي في البلاد كثيراً يتكسّبُ بشعره في الأغلب : جاء الى نَيْسابورَ سَنَةَ ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ولَقِيَ الثعالبيَّ صاحبَ اليتيمة ؛ ثمّ جاء الى بغدادَ ، سَنَةَ ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) فحَدّثَ فيها عن شَيْخة أبي بكرٍ ؛ ومن بغدادَ تابعَ طريقَه الى الشام . ولم يُعْرَفْ بعد ذلك شيء من أخباره .

٢ ـ كان أبو يعلي ، إلى جانبِ معرفته بالحديث ، « من شيوخ الصوفية وظُرّاف الشعراء » . وشعرُه متينٌ سهلٌ جيّد . ومن أغراضه المديحُ والهجاء والوصف والشكوى .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال أبو يَعَلى الصوفيُّ المِصري يمدَحُ شخصاً اسمه أبو القاسم كان شاعراً أيضاً :

يا أبا القاسمِ الذي قَسَمَ الرحْـ ... ـمنُ من راحتَيْه رِزْقَ الأنـامِ ،
أنا في الشعر مثلُ مَوْلايَ في الجُو ... د حَليفَا مكارمٍ ونِظـام .
وإذا ما وَصَلْتَني فأميـرُ ال ... جودِ أعطى المُنـى أميرَ الكلام !

ـ وقال يذكر أياماً جميلةً قضاها في الشام :

إذا المجدُ وافـاني فليسَ بضائري ... نُفورُ العَذارى من بَياضِ عِذاري[1] .
عَفَوْتُ عن الليلِ الطويل بذي الغَضا ... لمَرِّ ليـالٍ بالشآمِ قِصار[2] !

٤ ـ ** المحمّدون من الشعراء ٢٣٦ ـ ٢٣٨ ، ٢٤٠ ـ ٢٤١ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٤٧ .

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة الشابة (لم تتزوج بعد) . العذار : الشعر النابت في الوجه . بياض العذار : الشيب .

(٢) ذو الغضا : موضع في بلاد العرب (ليس مقصوداً لذاته) . الليل الطويل (كناية عن السهر من العشق أو الألم أو الحزن) . الليل القصير (كناية عن نسيان الزمن في اللهو والسرور) .

الثمانيني النحوي

هُوَ أبو القاسم عُمَرُ بنُ ثابتٍ الثَّمانينيُّ، نِسْبَةً الى سوقِ ثمانينَ وهي بُلَيْدٌ صغيرٌ بأرضِ المَوْصِلِ من جزيرةِ ابنِ عُمَرَ.

أخَذَ الثَّمانينيُّ عن أبي الفتحِ بن جِنّيّ، ثمّ تَصَدَّرَ للإقراء في الكَرْخِ (بالجانبِ الغَرْبي من بَغْدَاد) فكانَ عوامُّ الناسِ يقرأونَ عليه، بينما كانَ خَواصُّهم يَقْرأونَ على أبي القاسمِ عبد الواحدِ بن بُرهانٍ الأسديّ[1]. وكان الثمانيني ضريراً. أما وفاته فكانت في ذي القعدة من سنة ٤٤٢ هـ (ربيع عام ١٠٥١ م).

كان الثمانينيُّ إماماً قَيِّماً بعلم النحو عارفاً بقوانينه، كما كان أديباً مُصنِّفاً له من الكُتُبِ: (معجم الأدباء ١٦ : ٥٨): شَرْحُ كتاب اللُّمع (لابن جنّي) — شرحُ التصريف الملوكي (لابن جنّي أيضاً) — المفيد[2].

** معجم الادباء ١٦ : ٥٧ — ٥٨ ؛ نكت الهميان ٢٢٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٩٣ ؛ بغية الوعاة ٣٦٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٦٩ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٠٠ .

أبو الحسن البصروي

١ — هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ البُصْرَوِيُّ نِسْبَةً الى بُصرى العراقِ وَهِيَ قريةٌ في مِنطقة دُجَيْلٍ قُرْبَ عُكْبَرا، كانت وفاتُه في بَغدادَ في شهرِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٤٣ (صيف ١٠٥١ م).

٢ — كان أبو الحسنِ البصرويُّ رجلاً فَصيحاً صاحبَ نوادرَ، وكان شاعراً وُجدانياً مطبوعاً تَغْلِبُ على شعرهِ السهولةُ ويسودُ شعرَهُ شيء من الزُهْدِ.

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو الحسن البصرويّ في القناعة:

ترى الدنيا وزينَتَها فتصبو ؛ وما يخلو من الشَّهَوات قَلْبُ ![3]

---

(١) معجم الادباء ١٦ : ٥٧ — ٥٨ ؛ راجع انباه الرواة (٢ : ٢١٣ — ٢١٥) : «عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم العكبري النحوي» (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) في وفيات الاعيان (٢ : ٩٣) : «شرح كتاب اللمع لابن جني أيضاً».

(٣) صبا : مال (الى شيء محبوب).

فُضُول العيشِ أكثرُه هُمومٌ ؛ وأكثرُ ما يَضُرُّكَ ما تُحِبّ[1].
فلا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ ما تراه وعيشٌ ليّنُ الأعطافِ رَطْبُ[2].
اذا ما بُلْغَةٌ جاءتك عَفْواً فخُذْها ، فالغِنى مرعىً وشِرْبُ[3] .
إذا حَصَلَ القليلُ وفيه سِلْمٌ ، فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حرب !

٤ - ** ابن الاثير ٩ : ٥٨٠ - ٥٨١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٩٤ - ١٩٥ .

الفضل بن محمد القصباني

١ - هُوَ أبو القاسمِ الفَضْلُ بنُ محمّدِ بنِ عليّ بن الفضل القَصْبانيّ (نِسْبةٌ الى بيع القَصَب) النَّحْويُّ من أهل البَصْرة والمقيمين فيها ، تَصَدّر للإقراء فأخذ عنه الحَريريُّ صاحبُ المقاماتِ كثيراً وأخذَ عنه الخطيب التِبْريزيُّ . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ - ١٠٥٣ م) .

٢ - الفضلُ بنُ محمّدٍ القَصْباني من أئمّةِ اللغة المشهورين واسعُ العِلمِ بالأدبِ له تصانيفُ منها : كتاب في النحو - كتاب في حواشي الصِحاح (للجوهري !) - كتاب الأمالي - الصَّفوة في أشعار العرب ومُختارها (وهو كتاب كبير) .

٣ - مختارات من شعره

- في الناسِ مَنْ لا يُرتَجى نَفْعُه إلاّ إذا مُسّ بإضرار :
كالعودِ لا يُطْمَعُ في ريحِهِ إلاّ إذا أُحرِقَ بالنار !

٤ - ** معجم الادباء ١٦ : ٢١٨ ؛ نكت الهميان ٢٢٧ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٩ ؛ بغية الوعاة ٣٧٣ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٣٥٨ .

أبو الحسن الفالي المؤدب

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بن سَلَّكٍ ، كان من بَلْدَة فالَةَ قُربَ

---

(١) فضول العيش : جمع فضل : ما لا فائدة منه (ما لا يحتاج اليه الانسان في المعاش الضروري) .
(٢) الزخرف : الذهب ، الزينة .
(٣) البلغة : ما يكفي لسد الحاجة .
(٤) العود : نوع من الطيب . الريح : الرائحة .

إيذَجَ. انتقل الفاليّ إلى البصرةِ وسَمِعَ فيها من عُمَرَ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشميّ وغيرِه، ثم قَدِمَ بَغدادَ واستَوْطنها. واشتَغَلَ الفاليُّ بالتعليمِ فلُقِّبَ «بالمُؤدِّب». ولم يكنْ رِزْقُه واسعاً، فقد كان يَمْلِكُ نُسْخَةً من كتابِ الجَمْهرة لابن دُرَيد فباعها بخَمْسَةِ دنانيرَ بعدَ أن رَكِبَتْه الديونُ ولم يَبْقَ مَعَهُ ما يُعيلُ به أولادَه الصِغارَ. وكانت وفاة أبي الحسن الفالي في بغداد سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ – ١٠٥٧ م).

٢ – كان الفاليُّ ذا مَعْرِفَةٍ بالقُرآنِ والحديثِ ثِقَةً، وذا مَعْرِفَةٍ بالأدب والشعر. وكان ايضاً شاعراً وراجزاً، وشعرُه القليلُ الذي وصل إلينا وُجداني سَهْل فيه نُكْتة. ومِنهُ شيء من الهِجاء والزَنْدقة أحياناً. وهو يُحْسِنُ التَضْمينَ من أشعارِ القدماء.

٣ – مختارات من شعره

– قال في التأفُّفِ من مِهْنَةِ التدريس:

تَصَدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهَوَّس بليدٍ يُسمّى بالفقيهِ المُدرِّس[1].
فَحُقَّ لأهلِ العِلْمِ أن يَتَمَثّلوا ببَيْتٍ قديمٍ شاع في كلّ مَجْلس:
(لقد هُزِلَتْ حتّى بدا من هُزالها كُلاها وحتّى سامَها كلُّ مُفْلس)[2]

– وله في الشكوى من الزمان وأهله:

لمّا تَبَدَّلَتِ المَنازِل أوْجُهاً غيرَ الذين عَهِدتُ من عُلَمائِها،
ورأيتُها مَحفوفةً بسِوى الأُلى كانوا وُلاةَ صُدورِها وفِنائِها[3]،
أنشدتُ بَيْتاً سائراً مُتَقَدِّماً والعينُ قد شَرِقَتْ بجاري مائِها:
(أما الخِيامُ فإنّها كخِيامِهِمْ، وأرى نِساءَ الحَيِّ غيرَ نِسائِها)[4].

٤ – ** معجم الادباء ١٢ : ٢٢٦ – ٢٣٠ ؛ ابن الأثير ٩ : ٦٣٢.

---

(١) المهوس من كان به طرف من الجنون (المقدم على الأمر لا يدرك نتيجته السيئة على نفسه).

(٢) هزلت (بالبناء للمجهول). الكلي جمع كلوة. والكلوة عادة لا تبرز من الظهر مهما هزل الانسان، ولكن الشاعر بالغ للتهويل.

(٣) صدر البيت: مكان الرئاسة فيه. الفناء (بكسر الفاء) الباحة الخالية أمام الدار. ولاة صدر البيت وفنائه: ذوو السلطان الصحيح على أمورهم.

(٤) وأرى النساء اللواتي هن في الخيام الآن غير النساء اللاتي كن من قبل فيها (في الجمال والأمانة).

أبو العلاء المعري

١ ــ وُلِدَ أبو العَلاءِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُليمانَ المعروفُ بالمعَرّيّ في مَعَرَّةِ النُّعمان سنة ٣٦٣ (٩٧٣ م) . ولما بلغَ الثالثةَ من عُمُرِه أصيبَ بالجُدَري فَفَقَدَ بَصَرَهُ . ونشأ المعري في بيتِ عِلمٍ ووَجاهةٍ فدَرَسَ عُلومَ اللغةِ والأدبِ والفقه على نَفَرٍ من اهله .

بدأ المعريّ حياتَه الأدبية شاعراً متكسباً على غرارِ المتنبي ، ثم سافر في سَنَةِ ٣٩٩هـ (١٠٠٩ م) الى بَغدادَ ، وكان قد تُوفيَ والدُه ، فلم يَلْقَ هنالك نجاحاً فعاد إلى المعرة غاضباً ناقماً . وقبل أن يَصِلَ إلى المعرة تُوُفِّيَتْ والدتُه فزادَ ذلك في سوء حاله وفي نِقْمته ، فاعتزل في بيتِه منقطعاً إلى الازْدِيادِ من العلم والى إلقاء العِلمِ على الذين يَقْصِدونه لذلك . وعاش المعريّ بَقيةَ حَياته زاهداً في الدنيا « نَباتياً » لا يأكلُ اللحمَ ولا المآكل المنتوجةَ من الحَيَوان كالسَمْن واللَبَن والبَيْض والعَسَل ، ولا يَلْبَس من الثيـاب إلاّ الخَشِنِ ولا يَخرُجُ من بيتـه حتى مـات (٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) .

٢ ــ المعريّ أديب نابغٌ واسعُ الاطلاع والمعرفةِ مُحيطٌ بعِلْمِ اللغة وتاريخِ الفكرِ وأحوالِ الاجْتماع إحاطةً تَعْيا أحياناً على المُبْصرين ، ثم هو يُجيد التهكّم ويُحسن النقد . وهو من الحكماء المَعْدودين .

وقد خلّف لنا المعريُّ أربعةَ كُتُبٍ قيمةً : سَقْطَ الزَنْد[١] وهو ديوان شِعْر في المدائح والمراثي وما يتصل بها من الفنون الوجدانية والوصفية ؛ ثم ضَوْءُ السَقْط[٢] وهو شرح لسقط الزند صَنَعه المعريّ بنفسه ؛ ثم رِسالة الغُفْران ؛ وللمعريّ ديوانه العظيم « لزوم ما لايلزم ». كَتَبَ المعريُّ « رِسالةَ الغُفْران » جَواباً على رسالةٍ وردته من صَديقٍ له ، هو أبو الحسن علي بن منصورٍ المعروفُ بابنِ القارح[٣] .

كتب أبو العَلاءِ هذه الرسالةَ على لسانِ ابنِ القارحِ لِيُبَيِّنَ للناسِ سَعَةَ عَفْوِ الله ، ولِيَدُلّهم على أن كثيرين من أهلِ الإسلام والجاهلية ــ ممن يَظُنُّ نفرٌ من الفقهاء ومن المُتَعَنّتين أنهم من أصحاب النار ــ يمكن أن يكونوا من أهلِ الجنة ، أو أن

---

(١) الزند قطعة من الفولاذ تقدح بها النار من الصوان ، والشرر المنتوج بينهما يسمى السقط .
(٢) النور الذي يحدث من الشرر المنتوج من قدح الزند على الصوانة .
(٣) كان ابن القـارح الحلبي (٣٥١ ــ ٤٢٣ هـ) مـن أئمـة اللغة والنحو والادب شاعراً . وكـان يتحامل عـلى نفر من الأدباء ويرى أنهم ببعض مـا فعلوا ــ من إهمال بعض فروض الـدين أو بشرب =



يكونوا قد نالوا النَّجاةَ من النار بإيمان بالله أو بعملٍ صالح أو بِنيّةٍ طيبة ، بقَطْعِ النظر عما اشْتهروا به في حياتهم أو عما رماهم به الناسُ من الكفر والزندقة . وفي أثناء « القِصّة » ينتقد المعريّ عدداً من آراء العلماء والأدباء والفُقهاء في الشعر والأدب وفي الأخبار الدينية . وهو يفعل ذلك بتهكّم مُرّ وبشيء من المرح والدُعابة .

أما ديوانُ المَعريّ لزومُ ما لا يَلْزَمُ أو اللزوميّاتُ فهو مجموعُ مقطّعاتٍ من الشعر تَقْصُرُ حتّى تكونَ بَيْتَيْنِ اثْنَيْنِ أو تطولُ حتّى تَبْلُغَ سِتّةً وتِسْعين بيتاً . وقدِ اتّخَذَ هذا الديوانُ اسْمَهُ مِنَ الْتِزامِ حَرْفَيْ رَوِيٍّ في القافية : على الشاعرِ أن يلتزم في قوافي كلّ قصيدةٍ حرفَ رويٍّ واحداً مثلِ الباء في قصيدةِ مِهْيارِ الدَيْلمي التي يقولُ فيها :

قد قَبَسْتُ المجدَ من خيرِ أبٍ   وقبستُ الدينَ من خيرِ نَبي ؛
وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافهِ :   سُؤددَ الفُرْسِ ودِينَ العَرَبِ !

غيرَ أن المعرّي التزم في قوافي القصائد في هذا الديوانِ أكثرَ من حَرْفِ رَوِيٍّ واحدٍ ، فقدِ الْتَزَمَ مثلاً اللام والسينَ في المقطوعة التالية :

أهْوى الحياةَ ، وحَسْبي من مَصائِبِها   أني أعيشُ بتَمْويهٍ وتَدْليسِ .
نطالبُ الدهرَ بالأحرارِ ، وهو لَنا   مُبينُ عُذْرَيْنِ : إفلاسٍ وتفليسِ .
فاكْتُمْ حَديثَكَ لا يَشْعُرْ بهِ أحدٌ   من رَهْطِ جِبْريلَ أو من رَهْطِ إبليسِ !

وأغراضُ اللزوميّاتِ كلّها في الحِكْمة وفي النَقْدِ الاجتماعي ، وفي اسْتِعْراض آراء رجال الفلسفة والدين واستعراض أحوالِ العلماء والحُكّام وتِبْيان ما فيها من تضارُبٍ وجَهْلٍ وبُعْدٍ عمّا يقتضيه العقلُ والخيرُ . غير أن نفراً من المتأدّبينَ زَعَموا أن في لزومياتِ المَعرّيّ تناقضاً في الرأي ، ولكنّهم واهمون . ان ما يبدو لهؤلاء تناقضاً إنّما يعودُ الى أمرين : إلى أنّ المعرّي يستعرض آراء رجال الفكر والدين والسياسة ليبيّن ما فيها من تضارب ؛ فهذا القسم من التناقض ليس من المعرّي ، بل من الذين استعزض المعرّي آراءهم . ثم هنالك الآراء المختلفة التي هي للمعرّي على الحَصْر ؛ انّ هذه الآراء قدِ اخْتَلَفَتْ في أثناء تطوّر الجانبِ الفكري عند المعرّي ، فقد كان المعرّي

= الخمر أو قول الغزل — أو ببعض ما قالوا ، صائرون الى جهنم (راجع معجم الادباء ١٥ : ٨٣—٨٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٨٤) .

يَعتقِدُ أشياء ثم بدّل رأيه في هذه الاشياء[1] .

وكُتُبُ المعرّي مملوءةٌ بالآراء المختلفةِ في ثقافةِ عصرِه . انه ينظر الى الدين على أنه إيمان وشَريعة . أما الإيمان فهو واحدٌ لجميع الناس ولكن لا يَعْرِفه الا المفكّرون ؛ وقليلٌ ما هم . وأما الشرائع فهي مختلفاتٌ وهي التي خلَقَتِ النِزاعَ بين البشر . ان المعري وطيدُ الإيمانِ باللهِ الواحدِ الخالقِ القادرِ ، وقلّ ما آمنَ بشيء بعدَ ذلك . وهو متشائم في رأيه الاجتماعي يرى أن الطبيعةَ البشرية فاسدةٌ في أصلها . غير أنه يؤمن بالقيمةِ الذاتية للأخلاقِ وبما يمكن أن تَفْعَلَهُ الاخلاقُ من الإصلاح (وهذا مخالفٌ لرأيه في الطبيعةِ البشرية وفي فساد المجتمع) . انه يرى أن الإنسان يجب أن يفعل الخيرَ لأنه خيرٌ من غير أن ينتظر مكافأة عليه ، ومعَ ذلك فإن عمل الخير لا يضيعُ عند اللهِ وعندَ الناسِ أيضاً .

والمعرّي من أتباع المذهبِ الشامي يُكْثِرُ من تصريفِ أوجهِ البلاغة في شعرِه ونثرِه . إنّه حَسَنُ التشابيهِ والاِسْتعاراتِ برُغْم عَمَاهُ الذي أصابه في الثالثةِ من عُمُرِه ؛ إنّه يَصِفُ البَرْقَ في الليلِ فيقولُ :

إذا ما هاجَ أحمَرَ مُسْتَطيلاً حَسِبْتَ الليلَ زَنْجِيّاً جَريحا !

ثم هو كثيرُ التكلّفِ للصناعةِ اللفظية في شعرِه ونثرِه ، إلاّ أنه مُجيدٌ فيها مُحْسِنٌ كقولهِ مثلاً (في اللزوميّات) : يا قوتُ ما أنت ياقوتٌ ولا ذَهَبٌ ؛ أيا ديكُ عُدّتْ من أياديكَ صيحةٌ .... ولزومُ ما لا يلزم وجه من أوجه ذلك التكلّف .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال أبو العلاء المعرّي يفتخر بنفسه :

ألا في سبيلِ المجد ما أنا فاعلُ : عَفافٌ وإقدام وحزم ونائلُ ![2]

أعندي ، وقد مارستُ كل خفيّةٍ ، يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيّبُ سائل ؟

---

(١) التناقض أن يعتقد الانسان رأيين مختلفين في وقت واحد ، أو أن يعتقد أمراً ثم يتركه ثم يعود اليه . والمعري لم يفعل شيئاً من ذلك (راجع « حكيم المعرة » للمؤلف ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ، ص ٥١ ؛ راجع أيضاً « في حكيم المعرة » محاولة ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً ، ٤٣ – ٥١) .

(٢) النائل : العطاء .

تُعَدّ ذُنوبي عند قوم كثيرةٌ ؛ ولا ذنبَ لي الا العُلا والفَواضل[1].
وقد سارَ ذِكري في البلاد ، فمَنْ لهم بإخفاء شمسٍ ضوءُها مُتَكامل .
وإني ـ وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ـ لآتٍ بما لم تَستطِعْه الأوائل !
ولمّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتّى ظُنّ أنّيَ جاهل .
فواعجبًا ! كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ ، وواأسفًا ! كم يُظْهِرُ النقصَ فاضل .
إذا وصَفَ الطائيَّ بالبخل مادرٌ ، وعيّرَ قَسّاً بالفَهاهة باقل[2] ؛
وقال السُهى للشمس : « أنتِ خفيّةٌ » ؛ وقال الدُجى : «يا صبحُ ، لونُكَ حائل» !
فيا موتُ ، زُرْ ؛ إن الحياةَ ذميمةٌ ؛ ويا نفسُ ، جِدّي ؛ إنّ دَهْرَكِ هازل[3] .

ـ وقال في الإيثار المُطْلَق :

ولو أني حُبيتُ الخُلْدَ فَرْداً لَما أحْبَبْتُ بالخُلد انْفِرادا .
فلا هَطَلَتْ عليّ ولا بأرضي سَحائبُ ليس تنتظمُ البلادا !
ولكنّ الشبابَ إذا تولّى فجهلٌ أن تَرومَ له ارتدادا .

ـ وقال يرثي فقيهاً حنفياً :

غيرُ مُجْدٍ ، في مِلّتي واعتقادي ، نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادي[4] .
وشَبيهٌ صوتُ النَعِيِّ إذا قِيـ ـسَ بصوتِ البشير في كل ناد[5] .
صاحِ ، هذي قُبُورُنا تملأ الرَحْـ ـبَ ؛ فأينَ القبورُ من عهد عاد ؟[6]

---

(١) الفواضل جمع فاضلة : الدرجة الرفيعة في الفضل .

(٢) مادر رجل لئيم سقى ابلا له من حوض ماء ، فبقي شيء من الماء في الحوض فسلح (تغوط) فيه لئلا ينتفع به غيره . الطائي : حاتم الطائي المشهور بالكرم . قس : قس بن ساعدة الايادي الخطيب الفصيح المفوه . باقل : رجل يضرب به المثل في العي (بكسر العين : العجز عن الابانة باللسان) . اشترى باقل ظبياً بأحد عشر درهماً وحمله فرآه رجل وسأله عن ثمن الظبي فنشر باقل أصابع كفيه ومد لسانه (اشارة الى ثمنه) فهرب منه الظبي . الفهاهة : العي .

(٣) السهى : نجم بعيد لايكاد يرى . حائل : متغير ، مائل الى الغبرة .

(٤) مجد : نافع ، مفيد . ملتي : شريعتي ، ديني (عادتي) . ناح الرجل : بكى واستبكى غيره . الترنم : تحسين الصوت (في الغناء) . شاد (الشادي) : مغن (المغني) .

(٥) النعي : الذي يحمل النعي (بفتح النون وسكون العين : خبر الموت) . البشير : الذي يحمل الخبر السار . النادي : مكان اجتماع الناس .

(٦) صاح = صاحب (بكسر الباء = يا صاحب ، يا صاحبي) ثم رخمت (حذفت الباء منها) . الرحب جمع رحبة (بفتح الحاء أو بسكونها) : المكان الواسع . من عهد عاد (من عهد بني عاد : منذ زمن قديم جداً) .

خَفّفِ الوطءَ ، ما أظُنّ أديمَ الـ … أرْض إلاّ من هذه الأجساد .[1]

سِرْ — إنِ اسْطَعْتَ — في الهواء رُويداً ، … لا اخْتيالاً على رُفاتِ العِباد[2] .

رُبّ لَحْدٍ قد صار لحداً مِراراً … ضاحِكٍ من تزاحمِ الأضداد[3] ؛

ودفينٍ على بقايا دَفينٍ … في طويلِ الأزمان والآباد !

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ ، فما أعْـ … جَبُ إلاّ من راغبٍ في ازدياد .

إنّ حُزناً في ساعةِ الموتِ أضْعا … فُ سُرورٍ في ساعة الميلاد .

ضَجْعةُ الموتِ رقدةٌ يَسْتريحُ الـ … جِسْمُ فيها ، والعيش مثلُ السُهاد .

قصد الدهرُ من أبي حَمْزَةَ الأوّ … ابِ مَولًى حِجىً وخِدْنَ اقْتِصاد[4] ،

وفقيهاً أفكارُه شِدْنَ للنُعـ … ـمان ما لم يَشِدْهُ شِعر زياد ....[5]

فالعراقيّ بَعْدَهُ للحِجازيْـ … ـي قليلُ الخِلافِ سَهْلُ القِياد[6] .

أنْفَقَ العُمْرَ ناسكاً يطلُبُ الـ … ـعلمَ بكَشْفٍ عن أصلِه وانتقاد ؛

ذا بَنانٍ لا تَلْمِس الذَهَبَ الأحـ … ـمرَ زُهْداً في العَسْجد المُسْتفاد[7] .

ودّعا ، أيُّها الحَفِيّانِ ، ذاك الشخْـ … ـصَ ؛ إنّ الوَداعَ أيْسرُ زاد[8] ؛

---

(١) أديم الارض : جلدها ، ظاهرها (التراب الذي عليها) . من هذه الأجساد : من أجساد الذين ماتوا منا فانحلت أجسامهم فأصبحت فتاتاً يشبه التراب .

(٢) اختيالا ، زهواً وتكبراً . الرفات : الحطام بضم الحاء : ما اندق وتكسر من بقايا الاشياء .

(٣) قد صار لحداً (قبراً) مراراً : دفن فيه أشخاص كثيرون . ضاحك يجوز فيها الرفع (خبر) ، والجر (نعت لحد — تابعة للفظه ، لأن « لحد » مجرورة برب لفظاً مرفوعة محلا على أنها مبتدأ) . والجر أفضل . ويجوز النصب (حال) . تزاحم الأضداد : دفن أشخاص مختلفي الأعمار والأحوال والأقدار في قبر واحد .

(٤) أبو حمزة : الفقيه الحنفي الذي يرثيه المعري . الأواب : الراجع الى الله (المستغفر من كل ذنب) . مولى (سيد) حجى (عقل) : يسلك بحسب ما يقضي العقل . خدن (صاحب ، صديق) اقتصاد (اعتدال) : غير متطرف في شيء .

(٥) شدن (بنين) للنعمان (لابي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي) . ما لم يشده شعر زياد (النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر) — إن أبا حمزة نفع (شهر ، نشر ، خدم) الدين بتقواه أكثر مما خدم النابغة الذبياني بشعره النعمان بن المنذر (المقابلة صناعة لفظية فقط في الربط بين أبي حنيفة النعمان وبين النعمان بن المنذر) .

(٦) العراقي : أبو حنيفة صاحب المذهب الحنفي القائم على القياس العقلي واستقراء أحوال المجتمع . الحجازي : مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي القائم على التقيد بما جاء في السنة (بما روي من أعمال رسول الله وأعمال الصحابة) .

(٧) البنان : رؤوس الاصابع (الاصابع ، اليد) .. العسجد : الذهب . — ان زهده في معدن (بكسر الدال) الذهب (في المال) تحمله على ألا يمس بيده الذهب (مح البيضة) الاحمر لشبهه بمعدن الذهب .

(٨) الحفي : المكرم المبالغ في الإكرام . الوداع والتوديع : أن تحضر بدء الانسان بالسفر وتتمنى له حسن الحال في المكان الذي سيذهب اليه . الزاد : المؤونة التي تعطى للمسافر (من طعام ومال ، الخ) . أيسر : أخف ، أقل .

واغسلاهُ بالدمعِ إنْ كان طُهْراً ، وادفناه بينَ الحشا والفؤاد ؛
واحبُوَاهُ الأكفانَ من وَرَقِ المُصْ حَف كِبْراً عن أنفسِ الأبراد[1] ؛
واتلُوَا النعْشَ بالقِراءةِ والتسْ بيحِ لا بالنحيبِ والتعداد[2] .
طالما أخرجَ الحزينَ جَوى الحزْ نِ إلى غيرِ لائقٍ بالسداد[3] .
قدْ أقرّ الطبيبُ عنك بعجزٍ ، وتقضّى تَرَدُّدُ العُوّاد[4] .
وانتهى اليأسُ منك ، واستَشْعَرَ الوَجْ دُ بأنْ لا مَعادَ حتى المَعاد[5]
هَجَدَ الساهرون حولَك للتمْ ريضِ؛ ويحٌ لأعيُنِ الهُجّاد[6]

. . . .

كُلّ بيتٍ للهدْمِ : ما تَبْتَني الوَرْ قاءُ والسيّدُ الرفيعُ العِماد[7] .
بانَ أمرُ الالهِ ، واختَلَفَ النا سُ ؛ فداعٍ إلى ضلالٍ وهاد .
والذي حارتِ البَرِيّةُ فيه حيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ من جَماد .
واللبيبُ اللبيبُ من ليس يَغْتَرْ رُ بكَوْنٍ مصيرُه للفَساد !

— من اللزوميّات :

قالوا : فُلانٌ جيّدٌ لصديقهِ . لا يَكْذِبوا ؛ ما في البَرِيَّة جيّدُ .
فأميرُهم نال الإمارةَ بالخنا ، وتَقِيُّهم بصَلاته مُتَصَيِّد .
كُنْ من تشاءُ : مُهَجَّناً أو خالِصاً ، فإذا رُزِقْتَ غِنىً فأنتَ السيّد !

---

(١) احبواه : اعطياه ، اجعلا له . المصحف : الكتاب الذي دونت فيه نسخة من القرآن الكريم . كبرا : رفعة ، تنزيهاً له . أنفس : أثمن ، أحسن . الابراد جمع برد (بضم الباء) : الثوب من الحرير (إن الاكفان المصنوعة من النسيج الحرير لا تني بقدر أبي حمزة الفقيه) .

(٢) واتلوا نعشه : اتبعا (اتبعوا) نعشه ، سيروا وراء نعشه ... بقراءة القرآن وبالتسبيح (ذكر الله) لابالنحيب (رفع الصوت بالبكاء) والتعداد (للصفات الحميدة التي كانت له في الحياة) .

(٣) جوى الحزن (فاعل «أخرج») : شدة الحزن . السداد : الصواب .

(٤) .... بعجز عن شفائك ؛ وبطلت زيارة العواد (العائد الذي يزور المريض) ، لأنك مت .

(٥) انتهى اليأس منك : في مرض موتك كان الناس يائسين من شفائك وارتداد الموت عنك ، وكان ذلك اليأس يعذبهم . أما الآن فقد هدأوا واطمأنوا أن لا معاد (لقياً واجتماع) الى المعاد (يوم القيامة) .

(٦) هجد : نام . الساهرون حولك للتمريض : الطبيب والممرضون ناموا في الوقت الذي كان يجب أن يكونوا فيه ساهرين للعناية بك ، لأنهم لا يشعرون نحوك بما نشعر به نحن الذين نعرف فضلك وحسن صحبتك .

(٧) الورقاء : الحمامة .

ـ أُولو الفَضْلِ في أوْطانِهم غُـرَباءُ   تَشُذُّ وتَنـأى عنهمُ القُرَبـاءُ .
فما سَبأوا الراحَ الكُميتَ لِلَذّةٍ ،   ولا كـان منهم للخِرادِ سِباء[1] .
وحَسْبُ الفَتى من ذِلّةِ العيشِ أنه   يَروحُ بأدنى القوتِ وهو حِباء[2] .
إذا ما خَبَتْ نـارُ الشبيبةِ ساءني ،   ولو نُصَّ لي بين النجوم خِبـاء .
وما بَعْدَ مرِّ الخَمْسَ عَشْرَةَ من صِباً ،   ولا بعدَ مـرِّ الأربعين صِباء[3] .
تواصلَ حبلُ النسلِ مـا بين آدمٍ   وبَيْني ، ولم يُوصَلْ بلاميَ باء[4] .
تثاءبَ عمـرٌو إذ تثـاءبَ خالدٌ   بعَدْوَى ، فما أعْدَتْنيَ الثُؤَباء[5] .
وزهّدَني في الخَلْقِ مَعْرِفتي بهـم   وعِلْمي بأنّ العالمين هَبـاء !
على الوُلْدِ يَجْني والدٌ ، ولَوَ انّهُمْ   وُلاةٌ على أمْصارِهم خُطَبـاء .
وزادَكَ بُعْداً من بَنيكَ وزادَهُمْ   عليك حُقوداً أنهم نُجَبـاء !

ـ من رِسالة الغُفْران : لغةُ آدمَ وقولُه الشِعْرَ :

(بعدَ أن يطوفَ ابنُ القارح في النار يسألُ نفراً من الشعراء عن أقوالٍ لَهُمُ اختَلَفَ الرُواةُ فيها يَمَلّ منهم فيعود الى الجنّة) .

فإذا رأى قِلّةَ الفوائدِ لَدَيْهِم تَرَكهم في الشقاء السَرْمَد[6] وعَمَدَ لمحلّه في الجِنان ، فيَلْقى آدَمَ عليه السلامُ في الطريقِ فيقول : يا أبانا ـ صلى اللهُ عليك ـ قد رُوِيَ لنا عنك شِعرٌ منه قولُك :

نحنُ بنـو الأرضِ وسُكّانُها ،   منها خُلِقْنا وإليهـا نَعودْ .
والسعدُ لا يبقـى لأصحابه ،   والنحس تمحوه ليـالي السُعود .

فيقولُ (آدمُ) : إنْ هذا القولَ حقّ ، وما نَطَقَهُ إلاّ بعضُ الحكماء . ولكنّي لم أسمعْ به حتى الساعةِ .

---

(١) سبأ الراح : اشترى الخمر . الخراد جمع خريدة : المرأة الجميلة . السباء : الأسر في الحروب للاستحلال.
(٢) [illegible]ح بأدنى القوت : يكفيه مقدار قليل جداً من القوت حتى يعيش . وهو حباء : ومع ذلك فهذا القدر القليل ممتنع عليه (راجع القاموس ٤ : ٣١٥ ، السطر ٤) .
(٣) بعد الخمس عشرة لا يبقى الانسان شاباً ، وبعد الاربعين لا يجوز له العشق .
(٤) لم يوجد منذ آدم الى يومي هذا انسان ذو « لب » (عقل) .
(٥) الناس [illegible]قلد بعضهم بعضاً في الزواج (كما ينتقل التثاؤب بالعدوى) ، أما أنا فلم تنتقل الي تلك العدوى ([illegible] أزوج) .
(٦) الدائم .

فيقول (ابن القارح) — وفّر اللهُ قِسْمَهُ من الثّواب — : فلعلّك، يا أبانا ، قُلْتَه ثم أُنسيتَه ، فقد علِمْتَ أنّ النسيان مُتَسَرّع اليك . وحَسْبُكَ شهيداً على ذلك الآيةُ المَتْلُوّةُ في فُرْقانِ محمد صلى الله عليه : « ولقد عَهِدْنا الى آدمَ فَنَسِيَ ، ولم نَجِدْ له عزماً » . وقد زَعَم بعضُ العلماء أنك إنما سُمِّيت إنساناً لنِسْيانك ، واحْتَجّ على ذلك بقولِهم في التصغير : أُنَيْسان ، وفي الجمع : أناسِيّ . وقد رُوِيَ أنّ الإنسانَ من النِسيان عن ابنِ عبّاسٍ . وقال الطائيّ[1] :

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهودَ ، فإنمـا سُمّيتَ إنساناً لأنك ناسِ .

وقرأ بعضهم : « ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناسِ »[2] ، بكسر السين ، يريد : الناسي ، فحذف الياء كما حُذِفت في قوله : « سواء العاكفُ فيه والبادِ »[3] . فأما البَصْريون فيعتقدون أن الإنسان من الأُنس، وأنّ قولَهم في التصغير « أُنيسان » شاذّة ، وقولُهم في الجمع : « أناسيّ » أصله « أناسين » ، فأُبْدِلَتِ الياء من النون . والقولُ الأول أحْسن .

فيقول آدم —صلى الله عليه—: أبَيْتُم إلاّ عقُوقاً وأذيّةً . إنما كُنْتُ أتكلّم بالعربية وأنا في الجنة ، فلمّا هَبَطْتُ إلى الأرض نُقِلَ لِساني الى السُريانية ، فلم أنْطِقْ بغيرها إلى أن هَلَكْتُ . فلما ردّني اللهُ — سبحانَه وتعالى — الى الجنة عادت إليّ العربية . فأيَّ حينٍ نظمتُ هذا الشعرَ : في العاجلةِ أمْ الآجلة ؟[4] والذي قال ذلك يَجِبُ أنْ يكونَ قاله وهو في الدارِ الماكرة[5] ، ألا ترى قوله « منها خُلِقنا وإليها نعود » ؟ فكيف أقولُ هذا المقالَ ولِساني سُرِيانيّ ؟ وأما الجنةُ قبل أنْ أخرج منها فلم أكن أدْري بالموت فيها ، وأنه مما حُكِمَ على العباد وصُيّر كأطواق حَمام[5] ،

(١) أبو تمام .

(٢) سورة البقرة (٢ : ١٩٩) . — الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه الى قريش وكنانة ، وكانت هاتان القبيلتان تذهبان مذهب الحمية وتعدان نفسهما فوق سائر العرب ، فكان القرشيون والكنانيون لا يشاركون الناس في المصير الى سهل عرفات ، بل يبقون في مزدلفة . فقال لهم الله « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (بضم السين) .

(٣) سورة الحج (٢٢ : ٢٥) . — المعنى : أن البيت الحرام (في مكة) مكان أمن وسلام لجميع الناس : للعاكف (الساكن المستقر) في مكة ، وللباد : البادي ، الساكن في البادية (الذي يأتي احياناً لزيارة البيت الحرام) .

(٤) و (٥) العاجلة والماكرة : الدنيا . الآجلة : الآخرة .

(٥) طوق الحمامة : ريش ملون حول عنق الحمامة يشبه العقد للمرأة . صير كأطواق حمام : لازماً ، لا يتبدل ولا يتغير (كتب الموت على جميع الناس) .

وما رُعِيَ لِأَحدٍ من ذمام. وأما بَعْدَ رُجوعي اليها فلا معنىً لقولي: «وإليهـا نعود»، لأنه كَذِبٌ لا مَحالة. ونحن معاشرَ أهلِ الجنة خالدون مُخَلَّدون[١].

فيقولُ (ابن القارح) –قُضِيَ له بالسعدِ المُؤرَّب[٢]–: إنَّ بعض أهل السِيَرِ يَزْعُمُ أن هذا الشعر وَجَدَهُ يَعْرُبُ في متقدّم الصُحُفِ السريانية فنقله إلى لِسانه. وهذا لا يمتنع أن يكونَ.

فيقول آدم –صلى الله عليه–: أعْزِزْ عليَّ بكم مَعْشَرَ أُبَيْنيَّ[٣]. إنكم في الضلالَ مُتَهَوِّكون[٤]! آليت[٥] ما نَطَقْتُ هذا النظيمَ، ولا نُطِقَ في عَصْري. وإنما نطقة بعضُ الفارغين[٦]. فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله. كَذَبْتُم على خالِقكم وربكم، ثم على آدمَ أبيكم، ثم على حَوّاء أُمِّكم؛ وكَذَبَ بَعْضُكم على بعضٍ، ومآلكم في ذلك إلى الأرض.

– من رسالة الغفران: ابن الروميّ:

وأما ابنُ الرومي فَهُوَ أحدُ من يُقال (فيه): إن أدَبه كان أكثَرَ من عقله، وكان يتعاطى علمَ الفلسفة. واسْتعار من أبي بكرِ بنِ السرّاج كتاباً فتقاضاه به أبو بكر، فقال: لو كان المشتري حَدَثاً لكان عَجولاً!

والبَغْداديون يَدّعون أنهُ مُتَشيّع، ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيمية[٧]. وما أراه إلاّ على مذهب غيره من الشعراء[٨].

وكان ابن الرومي مَعْروفاً بالتطيّر.

---

(١) مخلد: لا يشيب.

(٢) المؤرب: الموثق، المحكم، الثابت.

(٣) تصغير أبناء.

(٤) متهوكون: حائرون، مضطربون.

(٥) أقسمت.

(٦) الفارغ: الذي له وقت فراغ كبير، الذي لا عمل له.

(٧) أمامك، فانظر أي نهجيك تنهج؛ طريقان شتى: مستقيم أعوج.

وابن الرومي يأسى في هذه القصيدة لمصائب آل البيت ويعرض ببني العباس.

(٨) رسالة الغفران ٤٦٨ – ٤٦٩. هنالك نفر من الشعراء ليسوا من الشيعة ولكنهم كانوا يبدون عاطفة شيعية من هؤلاء ديك الجن الحمصي وابو تمام وابن الرومي ثم شوقي في العصر الحاضر، وغيرهم.

٤ - « مجموع رسائل » : رسالة الملائكة (تحقيق محمّد سليم الجندي) - رسالة الهناء (تحقيق كامل كيلاني) - رسائل أبي العلاء مع داعي الدعاة (تحقيق محبّ الدين الخطيب) - رسائل متفرّقة (تحقيق محمّد يوسف المدرك) ، بيروت (المكتب التجاري) ١٩٦٧ م .

« مجموع رسائل » : ملقى السبيل - بين المعرّي وداعي الدعاة - رسالة الملائكة - رسالة الشياطين - رسالة الأخرسين - رسالة المنيح - رسالة الإغريض (ملحقة برسالة الغفران ، نشرها كامل كيلاني - انظر تحت) .

رسائل أبي العلاء المعرّي وشعره (نشرها أفاضل من الأدباء) ، مصر (حسن حسنين) بلا تاريخ .

رسائل أبي العلاء المعرّيّ (نشرها شاهين عطيّة وأحمد عبّاس) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٩٤ م ؛ (نشرها مرغوليوث) ، أوكسفورد (مطبعة كلارندون) ١٨٩٨ م .

بين أبي العلاء وداعي الدعاة الفاطميّين : خمس رسائل بين المعرّي وأبي نصر بن أبي عمران داعي الدعاة الفاطميين (نشرها محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٩ ﻫ (١٩٢٩ م) .

رسالة في تعزية أبي عليّ بن أبي الرجال في ولده أبي الأزهر (نشرها احسان عبّاس) ، مصر (دار الفكر العربي) بعد ١٩٥٠ م .

رسالة الملائكة (نشرها محمّد سليم الجنديّ) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٤٤ م .

رسالة الهناء (نشرها كامل كيلاني) ، القاهرة (دار الكتب الأهلية) ١٩٤٤ م .

ملقى السبيل : رسالة في الوعظ والحكم (نشرها حسن حسني عبد الوهّاب) ، دمشق (مطبعة المقتبس) ١٣٢٩ ﻫ (١٩٠٩ م) .

الفصول والغايات (نشرها محمود حسن زناتي) ، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٦ ﻫ (١٩٣٨ م) .

رسالة الغفران (نشرها ابراهيم اليازجي وأحد علماء الأزهر) ، مصر (مكتبة أمين هندية) ١٣٢١ ﻫ = ١٩٠٣ م ؛ (نشرها كامل كيلاني) الطبعة الثالثة ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م ؛ (نشرتها بنت الشاطئ) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٠ ثمّ ١٩٥٤ ، (ومعها رسالة ابن القارح) ١٩٦٣ م ؛ (تجديد خليل هنداوي) ، بيروت (دار الآداب) ١٩٦٥ م .

سقط الزند بيروت ١٨٨٤ م ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣١٩ ﻫ ؛ بيروت (دار بيروت) ١٣٧٧ ﻫ = ١٩٥٧ م ؛ (الدار القومية للطباعة) ١٣٨٣ ﻫ = ١٩٦٤ م .

لزوم ما لا يلزم ، بومباى (المطبعة الحسينية) ١٣٠٣ ﻫ ؛ (نشرها كامل كيلاني) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٢٤ م ؛ (بتحقيق ابراهيم الأعرابي) ، بيروت (دار صادر) بلا تاريخ ؛ اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم (أشرف على اختياره عمر أبو النصر) ، بيروت (مكتب عمر أبي النصر للتأليف والترجمة والصحافة) ١٩٦٩ م .

رسالة الأخرسين (نشرها كامل كيلاني) ، مصر (دار المعارف) ١٩٤٢ م .

ديوان أبي العلاء المعرّي .... أو منتخبات اللزوميّات (لخالد خطّاب) ، الاسكندرية (خطّاب) بلا تاريخ .
عبث الوليد في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري الطائي (صحّح ألفاظه محمّد عبد الله المدني) ، الطبعة الثانية (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٧٠ م .
ديوان ابن أبي حصينة (بشرح المعرّي)(حقّقه محمّد أسعد طلس) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٥ – ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ – ١٩٥٧ م .
آثار أبي العلاء المعرّيّ (شروح على ديوانه سقط الزند) : للتبريزي – للبطليوسي – لأبي الفضل محمّد الخوارزمي (باشراف طه حسين – تحقيق مصطفى السقّا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون) ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) ؛ نسخة بالتصوير (أصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتّحدة)، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤ م .
رسالة الغفران (ايجاز وشرح كامل كيلاني) ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٢٣ م .
ضوء السقط ، مطبوع مع «سقط الزند» (باعتناء شاكر شقير) ، بيروت ١٨٨٤ م ؛ القاهرة (مطبعة هندية) ، ١٣١٩ هـ = ١٩٠٩ م .
** شرح التنوير على سقط الزند لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي ، القاهرة (مطبعة المعارف العلمية) ١٩٢٤ م ؛ (المطبعة التجارية الكبرى) ١٣٥٨ هـ .
عرف الندّ في شرح سقط الزند لعبد القادر الجنباز (مطبوع مع «شرح التنوير») .
شرح سقط الزند (لجنة احياء آثار أبي العلاء المعرّي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٥ – ١٩٤٨ م .
شرح لزوم ما لا يلزم (لطه حسين وابراهيم الابياري) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م .
تاريخ معرّة النعمان ، تأليف محمّد سليم الجندي (حقّقه عمر رضا كحّالة) (أصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي – مديرية التأليف والترجمة في الجمهورية العربية السورية) ، دمشق (مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٣٨٢–١٣٨٤ هـ = ١٩٦٣ – ١٩٦٥ م .
الجامع في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره ، تأليف محمّد سليم الجندي (علّق عليه وأشرف على طبعه عبد الهادي هاشم) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٨٢ – ١٣٨٤ هـ (١٩٦٢ – ١٩٦٤ م) .
تعريف القدماء بأخبار أبي العلاء (جمعه ونشره طه حسين وغيره) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٤ م .
أوج التحرّي عن حيثيّة المعرّيّ ، تأليف يوسف البديعي (نشره ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٤٤ م .
الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي ، تأليف ابن العديم (مطبوع في «تعريف القدماء بأبي العلاء») ؛ ثمّ (في أعلام النبلاء للطبّاخ ٤ : ٧٨ وما بعدها) .



معارضة ابن الأبّار لكتاب « ملقى السبيل » (نشرها صلاح الدين المنجّد) ، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م (مطبوع مع فتوى في القيام والألقاب لابن تيميّة) .

كتب في المعري عامة :

٣٥٠ مصدراً لدراسة أبي العلاء ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٤ م .

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي (المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

أبو العلاء المعري : نسبه وأخباره وشعره ومعتقده ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٠ م .

أبو العلاء وما اليه ، تأليف عبد العزيز الميمني ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) .

حياة المعرّي رضيّ الدين ، أورنبرغ ١٩٠٨ م .

أبو العلاء : آراؤه في لزومياته ، تأليف كمال يازجي ، الطبعة الأولى ، بيروت (لجنة التأليف المدرسي) ١٩٦٤ م .

حكيم المعرّة ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة الكشّاف) ١٢٦٣ هـ (١٩٤٤ م) ثم ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) ــ أبو العلاء المعرّي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .

أبو العلاء المعرّي الشاعر الحكيم (راجع حكيم المعرّة) .

عقيدة أبي العلاء ، تأليف فتوح حسين ، القاهرة (مكتبة هندية) ١٩١٠ م .

فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره ، تأليف حامد عبد القادر ، القاهرة (لجنة البيان) ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .

آراء أبي العلاء المعرّي ، تأليف معروف الرصافي ، (نشره عبد الحميد الرشودي) ، بغداد (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

أبو العلاء المعرّي ، تأليف بنت الشاطئ (في سلسلة أعلام العرب ، رقم ٣٨) ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر) ١٩٦٥ م .

الشعراء الثلاثة : أبو الطيّب المتنبّي ، أبو العلاء المعرّي ، الشريف الرضيّ ، تأليف نور الدين يوسف نرر الدين ، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٥٦ م .

كتب في جوانب مخصوصة :

الغفران لأبي العلاء المعرّي : تحقيق ودرس ، تأليف بنت الشاطئ ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م .

أبو العلاء في بغداد ، تأليف طه الراوي ، بغداد (مطبعة التفيّض) ١٩٤٤ م .

دار السلام في حياة أبي العلاء ، تأليف عائشة عبد الرحمن ، بغداد (وزارة الارشاد) ١٩٦٤ م .

الرحلة الدانتية في الممالك الالهية ، تأليف عبود ابي راشد ، طرابلس الغرب ١٩٢٩ م .



مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران ، تأليف محمّد صفة ، الاستانة (مطبعة العدل) ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .
فردوس المعرّي ، تأليف معروف الأرناؤوط ، دمشق ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) ؛ بيروت (المكتبة العصرية) ١٩١٥ م .
دانتي أليغييري ، تأليف فوزي طه (الاعتماد) ١٩٢٩ م .
على هامش الغفران ، تأليف كامل كيلانيّ ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٢٤ م .
النقد واللغة في رسالة الغفران ، تأليف أمجد الطرابلسي ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٥١م.
عبقريّة الخيال في رسالة الغفران ، تأليف عمر أنيس الطبّاع ، بيروت (دار النشر للجامعيّين) ١٩٥٣ م .
فلسفة الشكّ واللاأدرية لدى المعرّي والخيّام ، تأليف حامد عبد القادر ، القاهرة (جامعة القاهرة — كليّة الآداب) ١٩٦٨ م .
أبو العلاء المعرّي في لزوميّاته ، تأليف الأبّ يوحنّا قمير ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) الطبعة الثانية ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ م .

كتب يغلب عليها الاسلوب الشخصي :

ذكرى أبي العلاء لطه حسين ، القاهرة (عبد الحميد حمدي) ١٩١٥ م ؛ = تجديد ذكرى أبي العلاء ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٧ م .
مع أبي العلاء في سجنه ، له ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٩ م الخ .
صوت أبي العلاء ، له ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٤ م .
حديقة أبي العلاء ، تأليف كامل كيلاني ، القاهرة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .
رجعة أبي العلاء ، لعبّاس محمود العقّاد ، القاهرة (حجازي) ١٩٣٩ م ؛ ١٩٤٢ م .
على باب سجن أبي العلاء ، لمعروف عبد الغني الرصافي ، بغداد (الرشيد) ١٩٤٦ م.
أبو العلاء المعرّي في بغداد ، لطه الراوي ، بغداد (مطبعة التفيّض) ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .
الحياة الانسانية عند أبي العلاء ، لبنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٤ م .
المعرّيّ ذلك المجهول ، لعبد الله العلايلي ، بيروت ١٩٤٤ م .
لغز أبي العلاء ، لمحمّد يحيى الهاشمي ، حلب ١٩٤٤ م .
أبو العلاء المعرّيّ فيلسوف الشعراء ، لحنّا الفاخوري ، حريصاً بلبنان ١٩٤٤ م .
في تلك الأيام عاش المعري ، لعبيد الرحمن جبيري ، حلب ١٩٤٥ م.
زوبعة الدهور لمارون عبود ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٤٥ م .
رأى في أبي العلاء ، لأمين الخولي ، ١٣٦٣ هـ (١٩٤٥) م .
أبو العلاء ناقد المجتمع ، لزكي المحاسني ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٧ م .



صور من الشرق لعبد السميع المصري ، أسيوط ١٩٤٧ م .
أبو العلاء المعرّي : دفاع ابن العديم عنه ، لسامي الكيالي ، القاهرة (دار سعد) ١٩٤٥ .
الولاء في نقد ذكرى أبي العلاء لحسين حسني حسن .
أبعاد المعرّي : العقل والخير والعدل في ذات الله الأحد ، تأليف ثريّا ملحس ، بيروت (المؤسّسة الأهلية) بلا تاريخ .

أعداد خاصة بالمعري من :

مجلّة الهلال (القاهرة)يونيو – حزيران ١٩٣٨ م .
مجلّة الثقافة (القاهرة) العدد ٣٩ عام ١٩٣٩ م .
مجلّة الثريّا (تونس) ابريل – نيسان ١٩٤٤ .
مجلّة الاديب (بيروت) حزيران – يونيو ١٩٤٤ م .
مجلّة الطريق (بيروت) ٢٠–١٠–١٩٤٤ م .

* * *

المقارنة بين المعرّي والخيّام لأحمد حامد الصرّاف (مجلّة الحديث ، حلب ١٩٣٠ م .
أبو العلاء المعرّيّ شاعر العرب الحكيم لرضا توفيق (مجلّة الأمالي ، بيروت ٢٨–١٠–١٩٣٨ م).
أبو العلاء ودار العلم في بغداد ليوسف العش (مجلّة الثقافة ، القاهرة ، العدد ٤٥ ، عام ١٩٣٩ م) .
الوصف النفسي عند أبي العلاء ، لأبي مدين الشافعي ؛ درزيّة المعرّي لعارف أبي شقرا (مجلّة الأديب ، بيروت ، تموز – يوليو ١٩٤٤ م .
رباعيّات أبي العلاء ونقلها الى اللغات الأوروبيّة لبندلي صليبا جوزي (مجلّة المقتطف ، القاهرة ، ٢٩ : ١٦٥) ؟؟

ملحق : منتخبات من رسائله وشعره (باعتناء جورج سلمون) ، باريس ١٩٠٤ م .
رسالة الملائكة (شرحها أحمد فؤاد حسن) ، مصر .
لزوم ما لا يلزم ، مصر ١٣٠٦ هـ ؛ مصر (المطبعة المحروسة) ١٣٠٩ وما بعد (١٨٩١ – ١٨٩٥ م) ؛ (اعتنى بتصحيحه أمين عبد العزيز) مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٢ هـ – ١٩١٥ م .
منتخبات من لزوميّات أبي العلاء (باعتناء عبد الله المغيرة وأحمد نسيم) ، مصر (مطبعة الجمهور) ١٣٢٣ هـ .

تاريخ بغداد ٤ : ٢٤٠ – ٢٤١ ؛ معجم الادباء ٣ : ١٠٧ – ١١٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٨ – ٦٠ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٩٤ – ١١١ ؛ نكت الهميان ١٠١ – ١١٠ ؛ بغية الوعاة ١٣٦ – ١٣٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٨٠ – ٢٨٢ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٥ – ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٤٩ – ٤٥٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٢ – ٣٠٦ ؛ ابن الأثير ٩ : ٦٣٦ – ٦٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٥٠ – ١٥١ .

الشريف العقيلي

١ – هو أبو الحسنِ علي بن الحسينِ بن حَيْدرةَ بن محمدٍ العَقيليُّ منسوباً الى

عَقيلٍ أخي عليٍّ بنِ ابي طالبٍ .

عاش الشّريف العَقيلي في الفُسطاط حيثُ كانت له أراضٍ وبساتينُ ، وكان شريفاً غَنِياً من أهل الجاه والكَرَم . ويبدو أنه لم يُغادِرِ الفُسطاطَ إلاّ مُدّةً يسيرةً تَشوّق في أثنائها إلى بساتينه التي كانتْ بينَ النهرِ وجَبَلِ المُقطّمِ . ولعلّه عاشَ من أواخر القرنِ الرابعِ الهِجْريّ الى قريبٍ من مُنْتَصَفِ القرنِ الخامسِ (نحو ١٠٠٠ – ١٠٥٨ م) . على أنّ بروكلمان قد نَسَقه بعد ابن مطروح (ملحق ١ : ٤٦٥) في القرن السابع .

٢ – كان للشريفِ العَقيليّ علمٌ بالأنسابِ واهتمامٌ بأنساب الأشرافِ خاصّةً . وهو شاعرٌ حَسَنُ النظم كلّ شعرِه مُقَطّعاتٌ تَطولُ أحياناً فتَبْلُغُ أربعينَ بيتاً (ديوان ٢٩٨ – ٣٠٠) أو تَقْصُرُ فتكونُ بَيْتَيْنِ (ديوان ١٢٢) ؛ وقد تأتي الطِوالُ منها والقِصارُ مُصَرّعةً أو غير مُصرّعة . وله رَجَزٌ أيضاً . أما فنونُه فهي الفخرُ والعتاب والهجاء والزهد والوصف والخمر والغزَلان المؤنّث والمذكّر . وليس عنده مديحٌ للتكسّب ؛ وخمرياته تقليد لأبي نواسٍ ، وأوصافه الطبيعية تقليدٌ لابن المعتزّ . ومع ذلك فإنّ له أحياناً تكلّفاً في استعمال الالفاظ الغريبة (ديوان ١١٣) . أما فيما عدا ذلك فهو شاعرٌ أنيقٌ بارعٌ في الاستعارةِ ، على شيء من الضَعْف في التّركيب أحياناً .

٣ – مختارات من شعره

– في ما يلي مقطّعات قصار للشريف العقيلي في الخمر والروضيّات والغزل :

قُمْ فانْحَرِ الراحَ يومَ النَحْرِ بالراحِ ولا تُضَحِّ ضُحىً إلاّ بصَهْباء[1] .

أدْرِكْ حَجيجَ النَدامى قبلَ نَفْرِهِمُ ؛ إلى مِنَى قَصْفُهُمْ مَعْ كلِّ هيفاء[2] ؛

(١) يوم النحر ، يوم عيد الأضحى (صباح العاشر من شهر ذي الحجة) يضحي المسلمون القادرون نعماً (بفتح ففتح) ، أي غنماً وابلا . يقول الشاعر : انحر الراح (الخمر) : اثقب دنها (خابية الخمر) بالراح (براحك ، بكفك ، بيدك) ؛ اذ يسن أن يذبح كل بالغ عاقل قادر ذبيحته يوم النحر بيده . ولا تضح (لا تذبح) ضحى (في كل يوم باكراً) الا بصهباء (خمر) .

(٢) الحجيج : الحجاج (جمع حاج) . النفر : يوم النفر : يوم التفرق ؛ بعد أن ينزل الحجاج من جبل عرفات (٩ ذي الحجة) الى منى (١٠ الحجة) ويضحون (يذبحون) تكون مناسك الحج قد تمت فينفرون (يتفرقون ذاهبين الى بلادهم) . – يقول الشاعر : أسرع الى الندامى (الذين يشربون الخمر معاً) وقد جاءوا حجاجاً الى بيتك قبل أن ينفروا (أن يستبطئوك فيتفرقوا و يذهبوا الى بيوتهم) .

وعُجْ على مكّةَ الرَّوْحاء مُبْتكـراً فَطُفْ بها حَوْلَ رُكْنِ العودِ والنائي[1].

ـ صَدّ بعدَ الوِصالِ تيهاً وعُجْبـاً فأذابَ الفؤادَ هَما وكَرْبا[2].

رَشأٌ جِسمُهُ أرقُّ من المـا ءِ وأقسى مـن الحوادثِ قَلْبا[3].

ـ يا رُبَّ ظمآنِ الوشـاحِ يَفْتَرّ عن بَـرَدِ الأقاحي[4]

ما زِلْـتُ ألْثِمُ ثَغْـرَهُ مـا بين رَيْحـانٍ وراح[5]،

في لَيْـلةٍ لم تَتّسِـعْ لعناقِنـا مِنْهـا النواحـي[6]:

مـا لاحَ وجـهُ عِشائهـا حتّى بـدا وجـهُ الصباح[7]!

ـ الغيمُ مَمـدودُ السُرادِقْ والزهـر مفروشُ النمـارِقْ[8].

وَطَـنٌ يمـوتُ مخـافةً فيه الشقاءُ مـن الشقائق[9].

قـد غنّتِ الأطيـارُ في طُرُقاتِه كلَّ الطرائقْ[10].

فاعْتِـقْ فؤادَكَ مـن رقّ الخطوبِ بشُربِ عـاتقْ[11].

فالأُقْحوانُ غُصـونُه بيضُ النواصـي والمفارقْ[12]،

---

(١) عاج بـ مال الى المكان ، ذهب . الروحاء موضع على أربعين ميلا من المدينة (الحجاز) (؟).
مبتكراً : مبكراً ، باكراً .. في البيت الحرام (الكعبة) ركنان : الركن الشامي (الشمالي) الركن اليماني (الجنوبي) . والشاعر هنا يجعل للهو ركنين : العود والناي (الغناء) .

(٢) التيه : الخيلاء والتكبر على الآخرين . العجب : الادلال ، النظر الى النفس بالرضا ورفعها فوق أنفس الآخرين . الهم : ما يشغل النفس من القلق على المستقبل . الكرب : ما يثقل على النفس من الشدة الحاضرة .

(٣) الرشأ : الصغير من ولد الغزلان . الحوادث : النوائب ، المصائب .

(٤) ظمآن (عطشان) الوشاح (ما تجعله المرأة حول كتفيها) : كناية عن الجسم النحيف . برد الاقاحي (زهر الاقحوان) : كناية عن استواء الاسنان وبياضها .

(٥) الريحان : الزهر . الراح : الخمر .

(٦) ليلة لم تتسع نواحيها (أولها وآخرها) لعناقنا : كان عناقنا فيها قليلا لقصرها .

(٧) تفسير البيت الاول ، كناية عن قصر ما بين مبتدأها ومنتهاها .

(٨) ــ الغيم متصل في السماء كانه سرادق (خيمة منصوبة) . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وسادة صغيرة يتكئ عليها الجالسون . والزهر مفروش النمارق : كناية عن تنوع ألوان الزهر .

(٩) الشقائق جميلة تدخل السرور على القلب فيموت فيه الشقاء .

(١٠) طرقات الروض الكثيرة تكثر فيها الأطيار التي تغني على جميع طرائق (جمع طريقة : أسلوب ، نوع ، لحن) الغناء .

(١١) حرر قلبك من أسر المصائب بشرب عاتق (الخمر) .

(١٢) النواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس . المفارق جمع مفرق (بفتح الميم وكسر الراء) : الخط في وسط الرأس أو أحد جانبيه حيث يفرق الشعر فرقين . ان زهر الاقحوان يعم جميع نبتة الاقحوان (!!) .

ومَـــراوِدُ الأمطـــارِ قَــدْ كُحِلَتْ بهــا حَدَقُ الحدائق[1] !

٤ ـ ديوان الشريف العقيليّ (نشره زكي المحاسني) ، القاهرة (دار الكتب العربية) ١٩٥٨ م .

** الخريدة (مصر)٢ : ٦٢ ـ ٦٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٦٠ ـ ٦٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨٩ .

الماوردي البصري

١ ـ هو أبولحسن علي بنُ محمّدِ بنِ حبيبٍ البصريُّ المعروف بالماورديّ نِسبْةً الى بيعِ ماءِ الورد ؛ وُلِدَ سَنَةَ ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) في البَصْرة وتَفَقّه فيها على أبي القاسمِ الصَيْمَريّ ثمّ صَعِدَ إلى بغدادَ وسَمِـعَ من أبي حامدِ الإسفرايِيني ، كما حَدّث عن الحَسَن الجيلي .

وتولّى الماوردي القَضاء في عددٍ من البُلدانِ ثمّ استقرّ في بَغدادَ . وفي سَنَةِ ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) تَلَقّب بلقب أقْضى القُضاةِ (وكان هذا اللقبُ في اصطلاحِ الفُقهاء أدنى من لقب قاضي القضاة) .

ونال الماوردي حَظْوةً كبيرةً عند الخليفة المقتدرِ (٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ) وعندِ بني بُويهِ وكانوا يُرْسِلونه في التَوَسُّطاتِ بينهم وبين من يُناوِئُهم ويرتضون بوَساطته .

كانتْ وفاةُ الماورديِّ في بَغدادَ في آخرِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٥٠ (٢٧/٥/١٠٥٨ م) .

٢ ـ كان الماورديّ مُفكّراً عالماً أديباً مُعتَزلِيّاً في الأصول (يأخُذُ بما يُوجِبُ العقلُ في العقائد) شافعيّاً في الفروع (يَتّبع الجماعةَ في العِباداتِ والمُعاملات) . ويُنْسَبُ إليه شيءٌ من الشِعْر . وقد كان مُصَنِّفاً قديراً بارعاً تَدُلّ كُتُبُهُ المختلفة على مقدرةٍ في التفكيرِ وبراعةٍ في التعبير . من كتبه : كتابُ الحاوي (في الفِقه ، أربعةُ آلافِ وَرَقَةٍ) ـ الإقناعُ (اختصارُ الحاوي في أربعين وَرَقَةً) ـ تفسير القرآن ـ

---

(١) الحدق : العيون . يشبه الشاعر الحدائق (جمع حديقة : الجنينة التي يحدق أو يطوف حولها سور) بوجوه فيها عيون كثيرة (كناية عن الزهر المتفتح فيها) . المرود (بكسر الميم وفتح الواو) ميل يؤخذ به الكحل ويوضع على أجفان العين . الكناية غامضة علي .

ـ الأحكام السلطانية ـ أدب الدنيا والدين ـ كتاب في النحو ـ كتاب تعجيل النظر وتسهيل الظفر ـ قانون الوزارة وسياسة المُلْك ـ كتاب الأمثال والحكم ـ أعلام النبوّة ـ نصيحة الملوك ـ معرفة الفضائل .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ يُنْسب إلى الماورديّ شِعْرٌ منه :

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهله ، فأجسادُهم دون القبورِ قبورُ[١] .
وإنّ امْرَأً لم يَحْيَ بالعِلْمِ صدرُهُ فلَيْسَ له حتّى النشورَ نشورُ[٢] !

ـ وقال الماوردي في مقدّمة كتاب أدب الدنيا والدين :

أمّا بعدُ ، فانّ شَرَفَ المطلوبِ بِشَرَفِ نتائجه ، وعِظَمَ خَطَرِه بكَثْرةِ منافعه ؛ وبِحَسْبِ منافعه تَجِبُ العنايةُ به ، وعلى قدرِ العنايةِ به يكونُ اجتناءُ ثَمَرَتِه . واعظَمُ الأمورِ خَطَراً وقَدْراً وأعمُّها نَفْعاً ورِفْدا[٣] ما استقامَ به أمر الدينُ والدنيا وانتظمَ به صلاحُ الآخرةِ والأُولى ، لأنّ باستقامةِ الدينِ تَصِحُّ العِبادة وبصَلاحِ الدُنيا تَتِمُّ السعادةُ . وقد تَوَخَّيْتُ[٤] في هذا الكتابِ الأشارةَ الى آدابِهما وتفصيلِ ما أُجْمِلَ من أحوالِهما على أعدلِ الأمرينِ من إيجازٍ وبَسْطٍ أجْمَعُ فيه بينَ تحقيقِ الفقهاءِ وترقيقِ الأُدباء ، فلا يَنْبو عن فَهْمٍ ولا يَدِقّ[٥] عن وَهْمٍ ، مُسْتَشْهِداً من كتابِ الله ـ جلَّ اسْمُه ـ بما يَقْتَضيه ، ومن سُنَنِ[٦] رسولِ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه بما يُضاهيه مُتْبِعاً ذلك بأمثال الحكماء وآدابِ البُلغاء وأقوالِ الشعراء لأنّ القلوبَ ترتاحُ الى الفنونِ المختلفةِ وتَسْأَمُ الفنَّ الواحدَ .... وجَعَلْتُ ما تَضَمّنه هذا الكتابُ خمسةَ أبواب : البابَ الأوّلَ في فَضْلِ العَقْل وذمّ الهوى ـ البابَ الثانِيَ في أدبِ العلمِ ـ البابَ الثالثَ في أدبِ

(١) قبل أن يموتوا، أجسادهم قبور لعقولهم .
(٢) النشور : القيام من القبور ، يوم القيامة .
(٣) الخطر : الاهمية ، القيمة ، القدر . الرفد : العطاء ، العون ، المساعدة .
(٤) الاولى : الحياة الدنيا . توخى : طلب ، أراد .
(٥) أجمل النص : جمله مختصراً . نبا : ابتعد ، شذ . دق : ضؤل وضعف حتى كاد أن يخفى .
(٦) السنن جمع سنة : العمل المروي عن رسول الله .

الدين ــ الباب الرابع في أدب الدنيا ــ الباب الخامس في أدب النفس .....

٤ ــ الأحكام السلطانية (تحرير مقس أنقر)، بون (أدولفوم ماركوم) ١٨٥٣ م ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٨ هـ ؛ (عني بتصحيحه بدر الدين النعساني)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٠٩ م.

أدب الوزير، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٢٩ هـ.

أعلام النبوّة، بغداد (حمد العسّافي) ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٣٠ هـ.

كتاب البغية العليا في أدب الدين والدنيا(1)، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩، ١٣٠٩، ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة هندية) ١٣١٥، ١٣٢٧ ــ ١٣٢٨، ١٣٢٩ هـ ؛ (على هامش الكشكول) الهند ١٣١٥هـ ؛ (على هامش الكشكول)، القاهرة ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٤هـ ؛ مصر ١٣١٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة (البابي) الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م ؛ (على هامش الكشكول)، القاهرة (محمّد عبد الواحد الطوبي) ١٣١٦ هـ ؛ بولاق (على نفقة نظارة المعارف) ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م.

* تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٢ ؛ معجم الأدباء ١٥ : ٥٢ ــ ٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٨٦ ــ ٥٨٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٨٦ ــ ٢٨٧ ؛ بروكلمان ١ : ٤٨٣، الملحق ١ : ٦٦٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٨٤ ــ ٣٨٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٦ ــ ١٤٧.

---

(1) هكذا أورده بروكلمان (١ : ٤٨٣، الملحق ١ : ٦٦٨). وذكره ابن خلكان باسم أدب الدين والدنيا (بتقديم الدين). وهو يطبع باسم أدب الدنيا والدين.

العصر السلجوقي

قامتِ الدولةُ السَلجوقية في إصبهانَ بفارسَ سَنَةَ ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٨ م)، ولكنّ العصرَ السَلجوقيَّ الذي نَعْنيه في هذا الفصلِ لا يبدأ إلاّ في سَنَةِ ٤٤٧ ﻫ (١٠٥٥ م) حينما دخل طُغْرُلْبك السَلجوقيّ الى بَغدادَ وأزال السُلْطةَ البويهيّةَ من عاصمةِ الخلافة . ثمّ استمرّ هذا العصرُ إلى سَنَةَ ٦٣٩ ﻫ (١٢٢٠ م) حينما انقرضتْ جميعُ فروعِ الدولةِ السلجوقية .

في أثناء هــذا الدورِ نَشِبَتِ الحروبُ الصليبية ثمّ انقرضتِ الدولةُ الفاطمية (٥٦٧ ﻫ) وقامتْ على أنقاضِها الدولةُ الأيّوبية . ويحسُنُ أن نُلاحظَ أن الحكمَ السلجوقيَّ كان في قارةِ آسيةَ فقط ، أمّا الحكم الفاطميُّ والحكم الأيّوبيّ فقد كانا في قارّةِ آسيةَ وقارّةِ إفريقيةَ معاً .

في منتصفِ القرنِ الهجريِّ الرابعِ (منتصف القرنِ الميلاديّ العاشر) استطاع سَلجوقُ احد رؤساء الغُزّ (التُرك) أن يجمعَ عشائرَهُ وأن يَتَبَسّطَ بهم في الأرض . ثمّ انّه انتقلَ بهم من الحياة البَدْوية في باديةِ التركستان إلى حياة الاستقرار والتحضُّرِ في مِنطقة بُخارى ، وهنالك دخلتْ هذهِ العشائرُ الوثنيةُ في الإسلام وعَمِلَتْ بالمذهبِ السنّيِّ ، وهو المذهب السائد في جميعِ البلادِ شرقَ خُراسانَ .

ثمّ انّ السلاجقةَ أقاموا دولةً في إصبهان (فارسَ) ، سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٨ م) ومدّوا سُلطانَهم من حدودِ الصينِ إلى العراق . وفي سَنَةِ ٤٤٧ ﻫ (١٠٥٥ م) دخل طُغْرُلْ بك السَلجوقي الى بَغدادَ وقضى على الحكم البويهيّ فيها .

ولمّا أرادَ البساسيري (وكان من بقايا رِجال الحُكم البُويهيّ) أنَ يَخلَعَ الخليفةَ العبّاسيَّ عبدَ الله القائمَ بأمرِ الله ، سَنَةَ ٤٥٠ ﻫ ، كي يَنْصِبَ مكانَه المُستَنْصِرَ الفاطميَّ (حفيدَ الحاكمِ بأمرِ الله) مكانَه ، استنجدَ القائمُ بطُغْرُلْ بك ، فأنجدَه طغرل بك وأقرّه في الخِلافة وقَتَلَ نَفَراً من خُصومهِ (آخرَ سَنَةِ ٤٥١ ﻫ) .

وفي ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤٥٩ (خريف ١٠٦٨ م) أتمّ السلاجقةُ بناء المدرسةِ

النظامية في بغداد وجعلوها مركزاً للتعليم السُنّي ولنُصْرة المذهبِ الأشعري على حركةِ المُعتزلةِ التي كانت قويةً جداً في أيام البويهيّين .

وبعد أن ثبّت السلاجقة مُلْكَهم في العراق بسطوا نفوذَهم على بلاد الروم (آسية الصغرى) وعلى الشام خاصّة ، سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) ، وأخذوا يُدافعون الروم عن سواحل الشام ويُنازِعون الفاطميّين في الجنوب . غير أن الشام لم تكُنْ مُوَحّدةً في أيامهم ، بل كانت مُدُنُها موزّعةً بين أمرائهم .

وبينما كان السلاجقة يؤسّسون مُلْكَهم في الشام ثارت الحروب الصليبيّة .

الحروب الصليبية

« الحروب الصليبيّة » تَسْمِيَةٌ أجنبيّة . أما العرب فقد عرَفوا الصليبيّين باسم الإفرنج . وتمتدّ الحروب الصليبية مِائَتَيْ سَنَةٍ أو تزيدُ قليلاً ، من سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) إلى سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١ م) تلاحقَتْ فيها مَوْجات الإفرنج على الشام ومِصْرَ من إنكلترةَ وفرنسةَ وجِرْمانية وعَمِلَتْ في البلاد تقتيلاً وتدميراً .

في الدور الأوّل من هذه الحروب بدأ الافرنج الصليبيّون باجْتياحِ البلاد: فتَحوا أنْطاكِيةَ (٤٩١ هـ = ١٠٩٨ م) ومَعَرّة النُعْمان وحصن الاكراد وطَرْطوس . وفي رَجَبَ من سَنَةِ ٤٩٢ (حَزيران – يونيو ١٠٩٩ م) حاصروا مدينة القدس ثمّ اقتحموها في الشهر التالي . وأسّس الافرنج الصليبيّون في شرق البحر الابيض المتوسّط ثلاثَ ممالكَ ، هي :

– مملكةُ القدس : أكبرُ ممالكِ الإفرنج الصليبيين ، كانت تمتدُّ من خليج العَقَبة عند الطرَفِ الشَمالي للبحر الأحمر إلى شمال مدينة بيروت . ولم تمتدّ هذه المملكةُ الى ما وراءَ نهرِ الأُرْدنّ . وكان ملوكُ هذه المملكة قوامسةً من فرنسةَ أسماء مُعْظَمِهم بغدوينُ (بلدوين ، بودوان ، بردويل) .

– امارةُ طرابلسَ : وكانت تمتدُّ من شَمالِ بيروتَ إلى حُصن المَرْقَب (شَمال طرطوس) وتضمّ حصن الأكراد (في نحو منتصف الطريق بين حمص وطرطوس) أيضاً . وكان حُكّام هذه الإمارة من الإفرنسيّين أيضاً أوّلُهم رايموند سان جيل ، وكان العرب يدعونه صنجيلَ أو ابن صنجيل أو صنجيل الفرنجي .

– إمارة الرها (أورفا ، شمال سورية وراء الفرات) .

– امارة انطاكية .

وهنا موضع ملاحظتين :

(١) انّ حُكّامَ هذه الدُوَيلاتِ التي أقامَها الإفرنج الصليبيّون على الارض الإسلامية كانوا فرنسيّين .

(٢) انّ المُخَطَّطَ الصليبي كان يرمي الى إبعاد المسلمين عن الشواطىء : فقد كان الروم (اليونان) والأرمن والصليبيّون يحتلّون جميع شواطىء آسِيَةَ الصُغرى وجميع شواطىء سورية (وفِلَسْطين) ونِصْفَ شواطىء شبهِ جزيرةِ سيناء حتّى لم يَبْقَ للسلاجقة الأتراك ولا للعرب مكانٌ يُطِلّون منه على الجانبين الشماليّ والشرقيّ من الحَوْض الشرقيّ للبحر الابيض المتوسّط .

وقام الى غَرْبِ الخطّ المُمْتَدِّ بينَ حِمْصَ وحماةَ ، في سَلَمِيَةَ وَقَدْموسَ ، مَعْقِلٌ للحشّاشين (وكانوا فُرقةً من متطرّفي الإسماعيلية أشدَّ على المُسلمين من الإفرنج الصليبيّين) . هؤلاء الحشّاشون كانوا جانباً من الباطنيّة (الإسماعيلية المتطرّفين) الذين انتشروا في ذلك الحين في الشام والعِراق وفارسَ وجعلوا هَمَّهُمُ القضاء على رجال السياسة من أهل السنّة والجماعة . فقد قتلوا ملكشاه السلجوقي وقتلوا نظام المُلك أيْضاً . وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبيّ مرتين (كما قتلوا نفراً من الفرنجة) .

الدور الثاني من الحروب الصليبية :

في سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) أسّس عِمادُ الدين زنكي السلجوقي إمارةً في الموصل وبدأ بمحاربة الإفرنج الصليبيّين فأخذ المَدُّ الصليبيُّ بالتّراجعِ والانحسار . وفي سنة ٥٤١ هـ خَلَفَ المَلِكُ العادلُ نورُالدين محمودٌ أباه عِمادَ الدين في الشام وزادَ على أبيه في مُحاربة الإفرنج (الصليبيّين) وفي التغلّب عليهم .

في ذلك الحينِ كان أمر الدولة الفاطمية قد ضَعُفَ واستطاع الإفرنج الصليبيّون ان يَصِلوا الى القاهرة (٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م) ثمّ لم يرجِعوا عنها إلاّ بعد أن وعدهم شاوَرُ (وزيرُ العاضدِ لدين الله الفاطمي) بدفع مِلْيون دينار . واستغاث العاضد بنورالدين ، فأرسل نورُ الدين مُقَدَّمَ جيوشه (قائده الأكبرَ) أسَدَ الدين شيركوه الى مصر فاستطاع شيركوهُ أن يتولّى الوزارة للعاضد .

ثمّ ان شيركوه تُوُفِّيَ بعد شهرين فخَلَفَه ابنُ أخيه صلاحُ الدين .

وطّد صلاحُ الدين مركزه في مصر وحافظ على صِلاتِه الحسنةِ بنور الدين ؛ وفي

المُحرَّم من سَنَة ٥٦٧ (خريف ١١٧١ م) خلَعَ العاضدَ الفاطميَّ وقضى على الدولة الفاطمية . ولمّا توفّي نورُ الدين (٥٦٩ هـ) أعلن صلاحُ الدين استقلالَه في مصر .

وأرادَ صلاحُ الدين أنْ يستردّ البُلْدانَ الاسلامية من الافرنج الصليبيّين ، ولكنّه رأى الشام والعراق مُتَقسَّمَيْن بين أمراءَ ضعاف مُتنازعين فوحّدهما أولاً تحت سُلطانه في مَدى سنتين (٥٧٠ – ٥٧٢ هـ) ثمّ بدأ محاربة الصليبيين واستردادَ البلدان : فتح طَبَريّةَ في ٢٢ ربيع الآخر ٥٨٣ (١/ ٧/ ١١٨٧ م) ، وبعد يومين نازل الصليبيّين في سهل حِطّينَ وهزمهم هزيمةً شديدةً . ثمّ بدأ يستردّ المُدُنَ والبلدان بسرعة ويُسْر حتّى استردّ القدس في يوم الإسراء والمِعْراج (٢٧ رجب ٥٨٣ هـ = ٣/ ١٠/ ١١٨٧ م) .

على أن صلاحَ الدين تُوُفّي (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) قبل أن يتمّ استردادَ البلاد من أيدي الصليبيّين .

الدور الثالث : دور الانتكاس

بعد وَفاةِ صلاحِ الدين تَقَسّمتِ المملكةُ الأيّوبية سبعةَ أقسامٍ بين أبناء صلاح الدين وأخيه الملك العادل وسائرِ أقاربه . وبدأ الأيوبيّون يتنازعون فيما بينَهم فاستطاع الصليبيّونَ أن يستولوا مرّةً ثانيةً على بعضِ ماكان صلاحُ الدين قد استردّهُ ، فاحتلّوا عدداً من مُدُنِ الشام (كبيروتَ وصَفَدَ وطَبَريّةَ والقُدْس) ثمّ نزلوا في شَمالي مِصْرَ واحتلّوا دُمياطَ . ومعَ أنّ المَلِكَ العادِلَ أخرج الصليبيّين من دُمياطَ فإنّ الصليبيّين أعادوا الكرّةَ على مِصْرَ بحملة قام بها لويسُ التاسعُ ملكُ فرنسةَ المعروفُ باسم القِدّيسِ لويس واستَوْلَوْا على دُمياطَ مرّةً ثانيةً سَنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) بعدَ نحوِ خمسينَ عاماً من احتلالِهِمُ الأوّل لها . ولكنّ المصريّين استطاعوا في العامِ التالي أن يَقْضوا على حملةِ لويس التاسعِ وأن يأسروا لويسَ التاسعَ نفسَه في معركة المنصورة المشهورة .

الحياة الاجتماعية

لمّا بدأت الحروبُ الصليبيّة كان الغالبَ على أهلِ البلاد في الشام والعراق خاصّةً ، وفي مِصْرَ أيضاً ، أنّهم مزيجٌ من أجناسٍ مختلفة ومذاهبَ مُتباينة : كان فيهمُ العربُ والتُرْكُ والاكرادُ والروم والأرمن ، وكان العرب أقلَّ ذلكَ المزيجِ عدداً وأضيق أولئك الأجناس نفوذاً ؛ وكان النفوذ الاول في السياسة والحرب للأتراك والأكراد .

وكذلك كانت المذاهب الدينية كثيرة متباينة ، وكان الشيعة عُنْصُراً بارزاً جداً في الحياة الاجتماعية ، من أجل التشجيع الذي كان الشيعة قد لَقُوهُ منذ وصل البويهيّون الى الحكم ثمّ منذ قامت الدولة الفاطمية في مصر . وعَظُمَ العداء بين أتباع المذاهب للشيعية المتطرّفة كالفاطميّين والإسماعيلية والحشّاشين ، وبين أتباع المذاهب السنّيّة . فلمّا جاءت الحَمَلاتُ الصليبية على الشام انحاز أصحاب المذاهب الشيعيّة المتطرّفة الى الافرنج الصليبيين بعاطفتهم وبسلاحهم في بعض الاحيان ، إذ عَدّوا الدولةَ القائمة في العِراق والشام دولة سنّيّة . من أجل ذلك كانوا ميّالين الى مُظاهرةِ الافرنج الصليبيين على أهل السنّة .

على أن مثل هذا العداء لم يكن فقط بين الشيعة وبين السُّنّة ، بل كان في أحيانٍ معدودةٍ بين أهل السنّة أنفسِهم بعاملِ الضَعْفِ البشريّ . فاذا كان الحشّاشون من الاسماعيلية قد حاولوا اغتيال صلاح الدين ، واذا كان شاوَرُ وزيرُ العاضد الفاطميّ في مصر قد مالأ الصليبيّين على احتلال القاهرة طلباً لمساعدتهم على بسط النفوذ الفاطميّ في الشام ، فان أهلَ دِمَشْقَ قد فاوضوا بعض ملوك الافرنج الصليبيّين لمحاربة نور الدين . على أن مثل هذه الوقائعِ الكثيرة المؤلمة بابٌ من أبواب التاريخ ، ولَسْنا في هذا المقام في حاجةٍ الاّ الى هذه الاشارة العارضة .

ولمّا طالتِ الحربُ ملّ الناسُ وأخذوا يتقاعسون عن الجهاد . وكان كثير من الناس يَهْرُبونَ من القيام بالجهاد الى الاعتزال في المساجد والزوايا ورِباطات الصوفية ، وربّما غادر جماعاتٌ منهم البلاد الى مكّة ليجاوروا فيها بعيداً عن خوض الحرب وعن سَماع أخبارها .

ومما ساعد على هذا التقاعس بين عامّة الناس عن الجهاد انتشارُ التصوّف وكَثْرةُ الصوفيّين الذينَ كانوا يَعِظون ويَحُثّون الناس على الزهد وطلب الآخرة وعلى العبادة والذِكْر من غير أن يذكروا كلمة عن الجهاد أو حضّا على الدفاع عن الاسلام ؛ حتّى إن الإمام الغزّاليّ (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) رأى القدس تسقط في أيدي الصليبيّين ولم يذكر الجهاد بكلمة غير أن هذا لم يمنع الامامَ ابنَ تَيْمِيّةَ (ت ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ م) من أن يَحْمِل على الناسِ من أجلِ تقاعسِهم هذا .

ومعَ أن التجارة قد بارَتْ عموماً ، فان نَفَراً من التجّار قد اغْتَنَوْا وعاشوا عيشةَ رَفاهيَةٍ وترف بينما كانت جماهيرُ من الناس تعيش عيشةَ قِلّة وشَظَف . وراجت

تجارة الرقيق التي كان يقوم بها التجّار الايطاليّون خاصّة فيحملون من أقطار أوروبّة نساءً وفتَيات وغِلماناً الى الشرق للجنود الإفرنج الصليبيين أو للبيع للشرقيّين في أسواق النِخاسة .

وفي هذا العصر نَبَعَتِ الألقابُ من مِثْلِ : عِماد الدين ، نُور الدين ، صَلاح الدين ، شمس الدين ، الخ .

كان الناس في أيام الحرب والمعارك يتحاجزون ، أما في أيام الهدَن فكانوا يختلطون ويتعاملون . حتّى إن أقواماً من الافرنج الصليبيّين أنفسهم عزَفوا عن القتال وتبلّدوا (عاشوا كما كان يعيش أهل البلاد المسلمون فتركوا أكل الخِنزير وشُرْب الخمر) ثمّ أسْلم بعضهم أيضاً [1].

ولا ريب في أن أهل البلاد والإفرنج كانوا يَجْتمعون في ميادينِ اللّهْوِ أيضاً ، فانتقل بذلك عدد من الخصائص الجسمانية والاخلاقية والاجتماعية من الافرنج الى أهل البلاد ومن أهل البلاد الى الافرنج . وكذلك جاء إلينا مع الافرنج الصليبيّين عدد من الامراض . ولا ريب في أن المرضَ الجنسيّ (السفلس) قد جاء إلى بلاد العرب مع الصليبيّين ، أو أن انتشاره قد زاد كثيراً ، فان هذا المرض يُعْرَفُ عندنا باسم « الفرنجي » .

وزاد انتشار العلم في أيام الأيوبيّين ، فقد أنشأ الأيوبيّون عدداً كبيراً من المدارس للعلوم الدينيّة في الأكثر . وكذلك انصرف عدد من العلماء المسلمين الى دِراسة التوراةِ والإنجيل حتّى يردّوا على اليهود والنصارى . ووصل العلماء المسلمون من ذلك الى أن النصارى لا يسيرون على خُطا المسيح المرسومة في الانجيل من الزهد وحبّ الخير والدعوة الى السلم . وقد ظهر أثر ذلك في الادب . ولا ريب في أن عصر الحروب الصليبية – عصر السلاجقة والأيّوبيّين – كان عصراً زاهراً بالثقافة في المشرق والمغرب ؛ فمن مشاهير رجال الفكر في ذلك الحين في المشرق حجّة الاسلام الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) وأخوه أحمد (ت ٥١٧ هـ) ونجم الدين النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م) والمتصوّفان ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) وابن عربي (ت ٦٣٨) والاديب المفكّر عبداللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) وابن الاثير المؤرّخ (ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م)

---

(١) لا يزال في سورية ولبنان أسماء تدل على أن أصحابها من أصل صليبي ، بين النصارى خاصة وبين المسلمين أيضاً . وكنت أود أن أذكر عدداً من هذه الاسماء عند النصارى وعند المسلمين ، ولكني آثرت ترك ذلك هنا لئلا يتأول نفر من الناس ذكر هذه الاسماء هنا تأولا خارجاً عن حقيقته .



وأخوه الكاتب الناقد ضياء الدين (ت ٦٣٧ ﻫ) والفخر الرازي الفيلسوف (ت ٦٠٦ ﻫ) والقزويني العالم الطبيعي (ت ٦٨٢ ﻫ).

الخصائص الأدبية

كان للحروب الصليبيّة أثرٌ كبير على الأدب العربي في خصائص الشعر والنثر وفي أغراضهما . ومع أن هذا الاثر قد تبدّى في اتّساع الفنون والأغراض ، فانّ عدداً منها قد اتّسع اتّساعاً كبيراً حتّى كاد أن يُصْبِحَ فنّاً جديداً كالقَصَص والرُدود على أتباع الأديان غير المسلمين .

خصائصُ الأدب في هذا العصر نَبَعَتْ كُلّها من الفكرة الاسلامية .

عَظُمَتِ العاطفةُ الدينية في الشعر والنثر فبَرَزَ المديحُ بالدين وبخِدمة الإسلام واتّسع القولُ في الحث على الجهاد والتحريض على القتال وإطراء الفروسيّة والبطولة مَعَ الثِقة بالنصر في المعارك وبالأجْر في الآخرة . وكَثُرَ نَظْمُ البديعيّات (المدائح النبوية) كما كثر التأليف في المناقب (سِيَر عظماء المسلمين) وفي المثالب (عيوبِ الإفرنج الصليبيّين) ، كما نرى في كتاب « الاعتبار» لأُسامة بن منقذٍ مثلاً . ثمّ خرج ذلك الى الردّ على اليهود والنصارى عامّة .

واتّسع فنّ الخَطابة الدينية ، في خُطَب يوم الجُمُعة وفي المواعظ في المناسبات العامّة . وتنوّعتِ الآداب الدينيّة فحَدَثَ التفنّن في الأدعية (الابتهال الى الله تعالى لتقريب المُراد ودفع المكروه) والمواعظ (تهدئة النفوس بالتقليل من قيمة الشر الحاضر بالاضافة الى الخير المقبل ، وبالتأسّي بما أصاب الأبطال والأولياء في الماضي) والأذْكار (الأساليب المختلفة في ذِكْرِ الله في المناسبات العامّة وفي الحَلَقات التي يجتمع فيها الناس) والأوْراد (الأدعية والاذكار التي يُردّدها الفردُ بعد صَلَواته) ، كما اتّسع الادب الصوفي. والشعر التعليمي (نظم قواعد العلم كالنحو والفقه خاصة في شعر : أراجيز) .

وكذلك اتّسع فنّ الترسّل — في الرسائل الديوانية الرسمية (لكَثْرَةِ المناشير والمراسيم التي كانتِ الدولةُ تُصْدرها لطمأنة الناس أو تحميسهم وتحذيرهم ولإعلان النصر بعد المعارك ، وفي الرسائل الإخوانية . ومع أن الإغراق في تكلّف أوجه البلاغة كان الاتّجاه السائد ، كما نرى عند القاضي الفاضل مثلاً ، فانّ المترسّلين في مصر خاصّة كانوا مقتصدين في ذلك .

واتّسعت المناظرات وأشهرُها ما كان في تفضيل السيف على القلم أو تفضيل القلم على

السيف – ممّا اقتَضَاهُ الجهاد في ذلك الحين – ثم المفاضلة بين الورد والنرجس .

وكَثُرَ التأليفُ في هذا العصرِ في اللغة والنحْوِ وفي الجغرافية والرحْلات والتاريخ – وخصوصاً في فضائل البلاد الاسلامية والجهاد والفروسيّة ، وكَثُرَ في هذه كلّها الاستشهادُ بالقرآن الكريم والحديثِ الشريف والسيَرِ التاريخية (ممّا يحفَظُ حماسةَ الجهاد في النفوس ويحُضّ على بَذْل الأموال والنفوس في سبيل إنقاذ البلاد من أيدي الإفرنج الصليبيّين) .

وغلَبَ التكلّفُ في أوجه البلاغة (كما نراه في مقامات الحريريّ وفي الرسائل الاخوانية والديوانيّة) على جميع فنون الكتابة حتّى في التأليف وفي القصَص ، وفي صدور الكتب (الديباجات) خاصّة . وبرز فنّ الوصف في النثر مُثْقَلاً بالصناعة ، كقول العِمادِ الاصفهانيّ الكاتبِ (ت ٥٩٧ هـ) :

« وإنّ في الارض الهرَمَيْنِ كما أنّ في السّماء الفرْقدَيْنِ ، وهما كالطوْدين الراسخين وكالجبلين الشامخَيْن ، قد فَنِيَتِ الدهورُ وهما باقيانِ ، وتقاصرتِ القُصورُ وهما راقيـــان . وكأنّهما لأمّ الارضِ ثدْيانِ ، وعلى ترائبِ التُرابِ نَهْدان .... »

القصص خاصّة

في هذه الحِقبة اتّسع فنُّ القصَص خاصّة : بنقلِ القِصَص عن اللغة الفارسية (كقصَص ألف ليلة وليلة) ثمّ بتدوين القِصص العربية تدويناً فيه شيءٌ من العمل الفنّي المُسْتوحى من القِصص المنقولة (كسيرة عنترة) . ومعَ أنّ تلك القِصصَ ، في مُعظمها ، كانت معروفةً منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أو منذ القرون السابقة له ، فانّها دُوِّنتْ على الشكل الذي نَعرِفه الآنَ في حِقبة الحروب الصليبية فاكتسبتْ خصائِصَها الأدبيةَ من أحوالِ تلك الحقبة .

سيرةُ عنترةَ (أو قِصّة عنتر ، كما يقول العامّة) تُمثّل أتمّ ما وَصَلَ إليه الأدبُ الشعبي في شكله البطوليّ عند العرب ، ثمّ هِيَ أكملُ ما وصل إلينا من أمثلةِ هــذا القصَص . وهي قديمةُ الرواية تتناول حياةَ عنترةَ من مولده الى وفاته وتقومُ على عُنصرين أساسيّين : حُبُّ عنترةَ لعبْلةَ ، وجروبِ عنترةَ في سبيلِ رضا مالكٍ والد عبلةَ أملاً بأن يسمحَ مالكٌ بأن يتزوّجَ عنترةُ عبلةَ . وهذه القصة طويلةٌ وفيها ترديدٌ كثير من معاركَ متشابهةِ الحوادثِ ومن مغامراتٍ تخرُجُ عن طوْقِ البشر جُملةً

كما يُنْتَظَرُ في أمثالِ هذه القِصص . من ذلك مثلاً أن عنترةَ يَحْمِلُ رُمْحاً طولُه سبعون ذِراعاً ويهجم على جيشٍ فيَهْزِمُهُ أو يَضَعُ يدَه في فمِ الأسدِ فيشقُّه . ولا ريبَ في أنّ شخصيةَ عنترةَ في القصّةِ غيرُ شخصيّتِه في شعرِه الثابتِ . فمن أشهرِ الفروقِ في هذا المَجالِ أنّ عنترةَ في القِصّة يتزوّجُ عبلةَ . فقصّة عنترة اذن ملحمة يمتزج فيها التاريخ بالخرافة وتتّحد فيها الحقائق بالخيال . وقصّة عنترة ليست وحدة تأليفية : إنّ فكرتها الاساسية وإطارها العامّ قديمان جدّاً ، ثمّ تسرّبت اليها زيادات مختلفة في الأعصر المتعاقبة — في بغدادَ ومِصر ؛ وأثرُ العصر المصري فيها أبرز .

وأما « ألفُ ليلةٍ وليلة » فسلسلةٌ من الحكايات الطِوال في مَوْضوعات غريبة مَبْنيّة على الخُرافات والمبالغات . والكتاب يَرْجِـعُ إلى أصلٍ فارسي يُطْلَقُ عليه « هزار أفسانه » (من الفارسية : ألفُ حكايةٍ أو خُرافة) فسمّاه العرب « ألفَ ليلةٍ » ثمّ جعَلَ المتأخّرون اسْمَه « ألفَ ليلةٍ وليلةً » ، فجعلتْه هذه الزيادةُ أوقعَ في النفس وأجْرى على اللسان العربيّ .

وقِصّةُ ألف ليلةٍ وليلةٍ قديمةٌ ، وقد خَضَعَتْ — كقِصّة عنترةَ — لزيادات مختلفة في الأعصُرِ المتعاقبة ، وفي بغدادَ والقاهرة أيضاً ، فتَسرّبَ إليها في تلك الأثناء حكاياتٌ مختلفةٌ من ثقافات مختلفة هندية ويونانية وفِرعونية (مِصْرية قديمة) وعربية . وهذه الزياداتُ التي كانتْ كثيرةً جِداً — أكثرُ من أمثالها في قِصة عنترة — تَقِفُ قبلَ بدء القرن العاشر للهِجرة (أواخرِ القرن الخامسَ عشَرَ للميلاد) . غيرَ أن عُنْصُرَ القَصَصَ العربيّ ظلّ سائداً فيها . ففي « ألف ليلةٍ وليلة » ، من أجلِ ذلك ، أساليبُ عديدةٌ تختلف بين نَثْرٍ مُرْسَلٍ صحيحِ العبارةِ وبين نثرٍ مُتَكلّفٍ سقيمِ التركيب . وفي الزياداتِ المتأخّرة مداركُ جِنسيةٌ فاحشةٌ وألفاظٌ بذيئةٌ وقَدْرٌ بارزٌ من قِصَص الجنّ .

الشعر خاصّة

اهتمّ الحُكّام بالشعر وأجازوا عليه لأثَرِه في الناس ، وخُصوصاً حينما كان الشعراء يَمْدحون الأمراء والقُوّادَ ويحثّون على الجهاد . وكان الأسلوب القديمُ أغلبَ على الشعر لموافقة الأسلوب القديم للمديح والحَماسة وللجِدّ في القول . ففي هذا الباب من الشعر كان أثر المتنبّي شديدَ البروز ، اذ قلّده الشعراءُ في الأغراض وفي الأُسلوب ، مع شيء من الضعْف . ففي قصيدة طلائع بن رُزّيك :

ألا هكذا في اللهِ تمضي العــزائمُ، وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم .
وحَسْبُكَ أن لم يَبْقَ في القوم فارسٌ من الجيش إلاّ وهو للرمح حاطِم .
نُقَتّلهم بالرأي طَوْراً ، وتــارةً تَدوسُهُمُ مِنّا المَذاكي الصَّلادم[1] .

نَسْتَرْوِحُ نَفَسَ المتنبّي في قصيدته : « على قَدْرِ أهلِ العزم تأتي العزائم » ، كما نَلْمَحُ معنىً من مطلع قصيدةٍ للمتنبي ثانيةٍ : « الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُجعانِ » .

وكان الغالبَ على الشعر « المذهبُ الشاميّ »[2] من أثَرِ تقليدِ المتنبّي .

أما المدحُ والفخر فاستجدّ فيهما خاصّتان : إدخالُ العقائد الاسماعيلية في القصائد التي مُدِحِ فيها الخلفاء الفاطميّون ورجالُ الدولة الفاطميّة اعتقاداً أو تقرّباً وتكسّباً ؟ ثمّ صورةُ الحروب الصليبية في العِداء بين المسلمين والإفرنج ومديح القادة المسلمين من أهل السنّة بنُصْرة الاسلام . وجرَى الجديدُ في الرثاء في هذا العصر مَجْرى المديح .

أما الهِجاء فدخله شيء من السُخْرية الاجتماعية ، مَعَ الاشارة هنا وهنالك الى الدولة الفاطمية البائدة ، اذ تكسّب الشعراء عند الايّوبيين بهجائها كما كانوا من قبلُ قد تكسّبوا بمديحها . ولقد أكْسَبَ التأنّقُ البلاغيُّ هذا الهجاء شيئاً من الطَرافــة والعُذوبة مَعَ المَرَح . قال ابن مَطْروحٍ يهجو الوزيرَ هِبَةَ الله بنَ صاعدٍ :

لَعَنَ اللهُ صاعداً وأبــاه فَصاعدا
وبَنيــهِ فنــازلاً واحداً ثمّ واحدا !

واتّفق أنْ كانَ في زمنٍ ثلاثةُ قُضاةٍ يَتَلَقّبون شَمْسَ الدين (ويبدو أنّ العدل لم يكُ سائداً) فقال أحدُ الشعراء :

قُضاتُنا كلّهم شُموسٌ ، ونَحْن في أكْثَفِ الظلامِ .

وكان في هذا العصر وَصْف كثيرٌ للطبيعة وللخَمْر ، ولكنّ الجديدَ أنّ الشعراء أخذوا يَصِفون الحشيشةَ ثمّ يُفضّلونها على الخمر ، فقد قال فيها أحمد بن الصائغ :

عاطَيْتُ من أهوى ، وقَدْ زارني كالبدرِ وافى لَيْلَةَ البدرِ ،

(١) المذاكي : الخيل التي بلغت السنة السادسة أو السابعة. الصلادم (بكسر الصاد والدال) والصلادم (بضم الصاد وكسر الدال) : الأسد والصلب والفرس الشديد الحافر .
(٢) راجع ٢ : ٤١ .

خَضْراءَ كافوريَّةً رَنَّحَتْ أعْطافَه من شِدَّةِ السُّكر ؛
يَفْعل مِنها دِرْهَمٌ فوقَ ما تَفْعل أرْطالٌ مِنَ الخمر !

وكثُر الغزل بنَوْعيه المذكَّرِ والمؤنّثِ كما كَثُرَ المُجون في هذا العصر . والجديدُ في الغزل أن الشعراء تَغزّلوا بالفرَنْجيات اللواتي رافَقْنَ الحَمَلاتِ الصليبيةَ لأغراضٍ شتّى ، كما نَجِدُ في شعر ابن القَيْسراني (ت ٥٤٨ هـ) .

وعَصْرُ الحروب الصليبيــة كان عصرَ التصوّفِ المُتطرِّفِ ، كما نرى في شعر السُّهْروردي المقتول (ت ٥٨٧ هـ) وعمرَ بنِ الفارض (ت ٦٣٢ هـ) .

ولقد تعرّضَ جماعةٌ من الشعراء في هذا العصر للمُوَشَّحِ يقلّدون بهِ الاندلسيّين ؛ وأشهر المشارقة الذي نظموا الموشّحاتِ وكتبوا فيها ابنُ سَناء المُلْك (ت ٦٠٨ هـ) .

وأكثرَ الشعراءُ ، في مدحِ السلاطينِ والأمراءِ ، من ذكرِ الجِهاد في الإفرِنْجِ (الصليبيّين) ، وتعدّدتْ في ذلك الأغراضُ والمعاني وغلَتْ عواطفُ الشعراء في ذلك . وسأكتفي هنا بثلاثةِ نَماذجَ معتدلة : بنَموذجينِ أحدُهما شعْرٌ والآخرُ نثرٌ يتعلّقانِ بالجِهاد في الإفرَنْجِ الصليبيّين ، وبنَموذجٍ ثالثٍ من الشعر يتعلّقُ بالجِهاد في حرب التتارِ في أيامِ الحروب الصليبيّة أيضاً :

— في يوم الاسراء (٢٧ رجب) من سنة ٥٨٣ (٣ / ١٠ / ١١٨٧ م) فتح السلطان صلاح الدين الأيوبيّ القدس ، فمدحه ابن سناء الملك بقصيدة منها :

قَصَدَتْ نحوكَ الأعادي ، فردَّ الـ ـلهُ ما أمّلوه عَنْكَ وعنّا .
حَمَلوا كالجبال عِظْما ، ولكنْ جَعَلَتْهُمْ حَمَلاتُ خَيْلِكَ عِهْنا[1]
لم تُلاقِ الجُيوشَ منهم ، ولكنّـ ـكَ لاقَيْتَهُم بِلاداً ومُدْنا[2]
خانَهُمْ ذلك السِلاحُ : فلا الرُمْـ ـحُ تَثَنّى ولا المُهَنّدُ طنّا[3] .
واستحالتْ شِقاشِقُ القومِ صَمْتاً حينَ عادتْ تلك الشّجاعة جُبْنا[4] .
وتَصَيَّدْتَهُمْ بحَلْقَةِ صَيْدِ تجمعُ الليثَ والغزالَ الأغَنّا[5] .

---

(١) العهن : القطن .

(٢) — لم تلتق بهم وهم جماعات كالجيوش المألوفة ، بل بلاداً (شعوباً كبيرة) ومدنا (حصوناً) .

(٣) المهند : السيف . طن المهند ؟ (لم يعمل السلاح في أيديهم بما أظهرت أنت من الشجاعة !) .

(٤) الشقاشق (هذه الصيغة ليست في القاموس) ؛ أصوات كهدير الجمل (فيها ادعاء كثير وارتفاع) .

(٥) لم تحاربهم حرباً ، بل تصيدتهم (أسرتهم) . الليث : المحارب الشجاع . الظبي الأغن : المرأة الجميلة الشابة .

فجرَتْ فوقَها الجزائرُ سُفْنا[1] ؛ وجرتْ منهمُ الدماءُ بِحاراً ،
رَقَصَ المَشْرَفِيُّ فيها وغنّى[2] . صَنَعَتْ منهمُ وَليمةَ عُرْسٍ
هرَ يفنى ومُلْكُه ليس يفنى . وحوَى الأسرُ كلَّ مَلْكٍ يَظُنُّ الد
يَتَثنّى في الهَمِّ بل يتَعنّى[3] : والمليكُ العظيمُ فيهم أسيرٌ
خص طَيْفاً ويحسبُ الشمسَ دُجْنا[4] . يحسَبُ النومَ يَقْظَةً ويظنّ الش
دُ عليه ، فكلّما رقّ أنّا[5] . رقّ مِنْ رحمةٍ لهُ الغُلُّ والقَيْ

ـــ وصَفَت العاطفةُ في نَفَرٍ من المسلمين في أثناء الحروبِ الصليبية حتّى كانَ يتّفقُ أنّ بعضَهم كان يرجُمُ بشيءٍ ممّا يقَعُ وراءَ حجابِ النفسِ الإنسانية ، فيقَعُ أحياناً ما كان قد رَجَمَ به . ولعلّ هذهِ القوّةَ من الحَدْسِ قد جاءتْ من الاخلاص في الخوف على الإسلام ـــ من الفرَنْجة الصليبيّين ـــ ومن التَشوُّقِ إلى أملٍ وطيدٍ في مستقبلِ المسلمين في الأرض . قالَ ابنُ الأثير (طبعة بيروت ، ١١ : ٤٩٧) في أخبار سنة ٥٧٩ (١١٨٣ ـــ ١١٨٤ م) :

« .... وأخذَ صلاحُ الدينِ حَلَبَ ..... ومِنَ الاتّفاقاتِ العجيبةِ أنّ مُحْيِيَ الدينِ بنَ الزكّيِ قاضيَ دِمَشْقَ مَدَحَ صلاحَ الدينِ (الأيّوبي) بقصيدةٍ منها :

مُبَشِّرٌ بفُتوحِ القُدْسِ في رَجَبِ ! وفَتْحكُمْ حَلَبًا بالسيفِ في صَفَرٍ

فوافقَ قولَه هذا فتحُ القدسِ في رَجَبَ سَنَةَ ثلاثٍ وثمانينَ وخَمْسِمِائَةٍ » .

وكان مُحْيِي الدينِ بنُ الزكّي هذا شاعراً وخطيباً .

استردّ صلاحُ الدينِ القدسَ من الصليبيّين في يومِ جُمُعَةٍ ، ولكنّ المسلمين لم يستطيعوا أن يُصَلّوا في المسجدِ الأقصى في ذلك اليومِ لأنّ الإفْرنج الصليبيّين

(١) الجزائر جمع جزيرة = مجزورة : جثة متطعة . - كانت جثثهم (كالسفن) تعوم على دمائهم التي كانت كالبحار .

(٢) المشرفي : السيف .

(٣) المليك العظيم : باليان بن بيرزان (ابن الاثير ، بيروت ١١ : ٥٤٦) ، بودوان الخامس (١١٨٦ - ١١٩٢ م) كان ملك المملكة اللاتينية في القدس . يتعنى : يثقله الهم والتعب .

(٤) الطيف : الخيال . الدجن : الغيم (الظلام) .

(٥) الغل : طوق من حديد يوضع في العنق . القيد : رباط يوضع في اليدين أو الرجلين . رق(الثانية) : مشى بشيء من الصعوبة ! (راجع القاموس ٣ : ٢٣٧) . أن تأوه (من الألم) والألف في«أنا» للتثنية (أي أن الغل والقيد).

كانوا قد بنَوْا في المسجدِ الاقصى وفي مسجد الصَخْرة وفي الحَرَمِ الشريف كُلِّه مَرافقَ لهم ثمّ أدخلوا جانباً من الحَرَمِ في أبْنيَةٍ لسُكْناهم وملأوا أرضَ المسجد الاقصى ومسجدِ الصخرة بالأقذار والأنجاس (راجع ابن الاثير ١١ : ٥٥١) .

وفي الجُمُعةِ التالية توافَدَ المُسلمون من أقطارٍ كثيرة للصلاة في المسجدِ الاقصى حتّى امتَلأتْ رِحابُ الحَرَمِ الشريف كلّه بالخلائق . في ذلك اليوم طَمِعَ كثيرٌ من أكابرِ العُلماء في القيام بخُطْبةِ الجُمُعة . فلمّا حانَ وقتُ الخُطبة اختارَ السلطانُ صلاحُ الدينِ الأيوبيّ لهذهِ المُناسبة العظمى القاضيَ مُحْيِيَ الدينِ بنَ زَكيِّ الدينِ فألقى خُطْبةً قالَ فيها :

« الحمدُ لله مُعِزِّ الإسلام بنَصْره ومُذِلّ الشِرْكِ بقَهْره ومُصَرِّف الأمور بأمره ومُديمِ النِعَمِ بشُكْره ومُسْتَدْرِجِ الكافرين بمَكْره ؛ قدّرَ الأيّامَ دُوَلاً بعَدْله وجَعَلَ العاقبةَ للمتّقين بفضله وأفاءَ على عبادِه من ظلّه [١] وأظهر دينَهُ على الدينِ كلّه . (وهُوَ) القاهرُ فوقَ عبادِه فلا يُمانَعُ ، والظاهرُ [٢] على خليقته فلا يُنازع ، والآمرُ بما شاء فلا يُراجَعُ ، والحاكمُ بما يريدُ فلا يُدافَعُ . أحْمَدُهُ على إظفارِه وإظهارِه [٣] ، وإعزازه لأوليائه ونَصْره لأنصاره ، وتطهيرِ بيتهِ المُقدّس من أدناسِ الشِرْكِ وأوْضارِه [٤] ، حَمْدَ مَنِ استَشْعَرَ الحَمْدَ باطنَ سرّه وظاهرَ جِهارِه . وأشهدُ أنْ لا الهَ الاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له الأحدُ الصَمَدُ [٥] الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ ، شهادةَ من طَهَّرَ بالتوحيدِ قلبَه وأرضى به ربَّه . وأشهدُ أنّ محمّداً صلّى اللهُ عليه وسلّمَ عبدُه ورسولُه رافعُ الشكِّ وداحضُ الشِرْكِ وراحض الإفْك [٦] ، الذي أُسْرِيَ بهِ من المَسْجد الحرامِ الى المسجدِ الأقصى وعُرِجَ به من (الصَخْرةِ المباركة الى) السمواتِ العُلى [٧] ......

---

(١) قدر الايام دولا : جعل الحكم في الارض لأمة بعد أمة (كان للشرك فأصبح للمسلمين ثم عاد للمشركين ثم يرجع للمؤمنين) . العاقبة : النتيجة الأخيرة .

(٢) الظاهر : المقتدر الظافر .

(٣) على اظفاره واظهاره : على نصره (المسلمين) .

(٤) الوضر : الوسخ المتبقي في وعاء الزيت أو اللبن (ممزوجاً بشيء من الدسم) .

(٥) الصمد : المقصود (في كل حين) .

(٦) دحض الرجل الشيء : أبطله . رحض الافك : غسله ، أزاله .

(٧) حمل الرسول ليلا (في آخر الدور المكي– قبيل الهجرة) من المسجد الحرام (في مكة) الى المسجد الاقصى (في القدس) ثم رفع من الصخرة (في الحرم الشريف في القدس ، شمال المسجد الاقصى) ، الى السماء ثم أعيد الى مكة في ليلة واحدة .

« أيها الناسُ ، أبْشروا برِضْوانِ الله الذي هُوَ الغايةُ القُصْوى والدَرَجة العُلْيا ، لِما يَسَّرَهُ اللهُ على أيْديكُمْ مِنَ اسْتِرْداد هذه الضالّة من الأمّة الضالّة[1] ورَدّها إلى مَقَرِّها مِنَ الإسلام بعدَ ابتذالِها[2] في أيْدي المُشركينَ قريباً من مائة عامٍ ، فهو .... قِبْلَتُكُمُ الّتي كُنْتم تُصَلّون إليها في ابتداء الإسلام[3] .... وهو المسجدُ الذي صَلّى فيه رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسَلّم بالملائكة المُقَرَّبين[4] ، وهو أوّلُ القِبْلتين وثاني المَسْجدين وثالثُ الحَرَمَيْن[5] .... »

« الجهادَ الجهادَ ، فَهُوَ من أفضلِ عباداتِكُمْ وأشرفِ عاداتِكُم . انْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم ، واذْكروا أيامَ اللهِ يَذْكُرْكُمْ ، واشْكروا الله يَزِدْكُم ويَشْكُرْكم » جِدّوا في حَسْمِ الداءِ وقَطْعِ شأفة الأعداء[6] وتطهيرِ بَقيّةِ الأرضِ الّتي أغضبتِ اللهَ ورسولَه[7] واقْطَعوا فُروعَ الكُفْر واجْتَثّوا أُصولَه .. »

– وفي أيامِ السُلطانِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ (٦٥٨ – ٦٧٦ هـ) أعادَ التتارُ الكَرّةَ على الشام فحاربهمُ الظاهرُ بيبرسُ وطردَهم الى ما وراءَ نهر الفُراتِ ثمّ اقتحم الفراتَ بخيلهِ ولَحِقَ بهم فَهَزَمَهُمْ هزيمةً شديدةً وأبادَ كثيراً من جُموعِهِم وردَّ خَطَرَهم عنِ الشامِ مرّةً واحدةً فقالَ بدرُ الدينِ يوسفُ بن المَهْمَنْدارِ قصيدةً منهـا :

لو عايَنَتْ عَيْناكَ يومَ نِزالِنـا ، والخيلُ تطفو في العَجاجِ الأكْدَرِ[8] ؛
لَرَأيتَ سَدّاً مـن حديدٍ مائِـراً فوقَ الفُرات ، وفوقَه نار تَرِي[9]

---

(١) الضالة (الاولى) الشيء الضائع (المسجد الاقصى الذي كان الافرنج الصليبيون قد احتلوه) . والضالة (الثانية) نعت للأمة : التي هي على غير الهدى .

(٢) الابتذال : استخدام الاشياء الثمينة أو المحترمة في ما لا يليق .

(٣) في أول الاسلام كان المسلمون يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ؛ ثم أمر الله بأن يتجه المسلمون في الصلاة الى الكعبة .

(٤) في ليلة الاسراء لما حان وقت الصلاة صلى الرسول إماماً وصلى الملائكة خلفه .

(٥) المسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثانية القبلتين : الكعبة (في مكة) . وثالث الحرمين (بعد الحرم المكي ثم الحرم المدني = في المدينة) .

(٦) الحسم : القطع . الشأفة – في القاموس (٣ : ١٥٦) – : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو اذا قطعت مات صاحبها . والشأفة الأصل . واستأصل الله شأفته : أذهبه ...

(٧) التي أغضبت الله ورسوله بما كان عليها من الشرك والفساد ...

(٨) النزال : تضارب المتحاربين بالسيوف (وهم على الارض) . طفا : عام (على وجه الماء) . العجاج : غبار الحرب . العجاج الأكدر : المائل الى السواد (لكثافته أو لجعله الجو أكدر) .

(٩) مائر : مائج . ورت النار تري : اتقدت – (شبه الشاعر الدم الطافي على وجه النهر بالنار) ! .

ورأيتَ سَيْلَ الخيل قد بَلَغ الزُبـى ، ومِنَ الفوارسِ أبحُراً في أبْحر [1].
لم يفتحوا للرَمْيِ منهم أعيُنـاً حتّى كُحِلْنَ بكلِّ لَدْنٍ أسمر [2].
فتسابقوا هرباً ، ولكنْ ردَّهُـمْ دونَ الهزيمةِ رُمْحُ كلِّ غَضَنْفَرِ [3].
ما كان أجرى خَيْلَنا في إثْـرِهِمْ لو أنّهـا برؤوسِهِمْ لم تَعْثِرِ !
وجرتْ دِماؤهُمُ على وجهِ الثَـرى حتّى جرتْ منهـا مجاري الأنهر ؛
والظاهرُ السُلطانُ في آثارِهـم يُذْري الرؤوسَ بكلِّ عَضْبٍ أبْتَر [4].
ذهبَ الغُبارُ مَعَ النَجيعِ بصقْله فكأنّه في غِمْـدِهِ لم يُشْهَر [5].

أبو الحسين الخرقيّ

١ – هو أبوالحُسينِ محمّدُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ عبدِالله بن مظفّر بن نِحْرير، وُلِدَ سَنَةَ ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) ، أمّه من بني الحارث بن كَعْبٍ من بني تميمٍ ، وهو مَوْلى بني فَهْدٍ . ويبدو أنّه كان جامعاً لعددٍ من فنون الأدب حتّى رَوَى عنه كثيرون منهم الخطيبُ التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) . وكانت وفاته سَنَةَ ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) .

٢ – كان أبو الحسينِ الخَرَقي شاعراً رقيقاً متينَ السَبْكِ جيّدَ المعاني بديعَ النظم . وأكثرُ شِعْرِهِ الوصفُ والغزل . وفي شِعره ألفاظٌ من علم الكلام والمنطق .

---

(١) الزبية (بضم الزاي وسكون الباء):الرابية . بلغ الشيء الزبى : ارتفع حتى غمر التلال ، كثر ، اشتد (الأمر) .

(٢) اللدن : (الرمح) اللين الذي يتثنى . الاسمر (الرمح) الذابل الجاف (القاسي) الذي يتثني ولا ينكسر . – لم يكادوا يغمضون عيناً ويفتحون عيناً لتصويب نبالهم الينا (كناية عن بعدهم عنا، لأن التراشق بالنبال يكون إذا كان الجيشان بعيداً بعضهما عن بعض) حتى كحلن بكل لدن ... حتى أصابتهم رماحنا في أعينهم (كناية عن سرعة وصولنا اليهم، لأن الجيشين اذا تشابكا تضاربا بالسيوف أو تطاعنا بالرماح) .

(٣) رمح كل (بطل) غضنفر : أسد (كالاسد) ، قوي شجاع . – أراداوأن يهربوا ولكننا اعترضنا طريقهم بالرماح ومنعناهم أن يهربوا (لأننا قتلناهم) .

(٤) في آثارهم : يتبعهم (ويقتلهم) . أذرى : نثر ، أطار ، أذرى الفارس الرؤوس : فصلها عن أبدانها ورماها أرضاً . العضب : السيف . الأبتر : القاطع .

(٥) ان تراكم الغبار والدم على السيف (لكثرة القتال به ، لأن صاحبه لا يجد وقتاً لغسله وتنظيفه) ذهب بصقله (ملاسته ولمعانه) . الغمد : قراب السيف، بيته . شهر (بالبناء للمجهول) السيف: أخرج من قرابه للقتال به . ان هذا السيف لتراكم الغبار والدم عليه كانه موضوع في غمده .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو الحسين الحرَقِيُّ في الخمر والنسيب :

خَليليَّ ، ما أحلى صَبوحي بدِجلةٍ ! وأطيبُ منه بالصِراة غَبوقي[١] .
شَرِبْنا على المائين من ماء كَرْمَةٍ فكانا كدُرٍّ ذائبٍ وعقيقِ ،
على قَمَرَيْ أرضٍ وأُفقٍ تقابَلا ، فمن شائقٍ حُلْوِ الهوى ومَشُوق[٢] .
فما زِلْتُ أسقيهِ وأشرَبُ رِيقَهُ ، وما زال يَسْقيني ويشرَبُ ريقي .
وقُلْتُ لِبَدْرِ التِمِّ :تَعْرِفُ ذا الفتى ؟ فقال : نَعَمْ ، هذا أخي وشقيقي !

ــ وقال في النسيب :

أليسَ وَعَدتَّني ، يا قلبُ ، أنّي إذا ما تُبْتُ من لُبْنى تتوبُ ؟
فها أنا تائبٌ من حُبِّ لُبنى ؛ فما بالي أراك بها تَذوب !
أما نَظَرَتْ إليك بفِعْلِ غَدْرٍ وبيّنَ فِعلَها النَظَرُ المُريب ؟
فقال : بلى ! ولكنّي لِأَمْرٍ رَجَعْتُ فتُبْتُ عن قولي أتوب .
إذا جازَيْتُها غَدْراً بغَدْرٍ ، فمن منّا يكون هو الحبيبُ[٣] ؟

ــ وقال في الحماسة ، يُخاطب نفسَه ، فجمعَ بين صَوابِ الرأي وحُسْنِ الوَصْف :

ارْمِ بها في لَهَواتِ الوِهادْ وخُضْ بها لُجّةَ وادٍ فوادْ[٤] .
إنّ دُسوتَ المجد مضروبةٌ في صَهَواتِ الصافِناتِ الجِياد[٥] .
أقْبِحْ بذي اللُبِّ إذا لم يَنَلْ بأوّلِ الرأي أخيرَ المُراد[٦] .

---

(١) الصراة (نهر الصراة الصغير ونهر الصراة الكبير : قناتان شمال غرب بغداد) . الصبوح : شرب الخمر صباحاً . الغبوق : شرب الخمر مساء .

(٢) الشائق مثير الحب في المحبوب . المشوق : المحب .

(٣) الحبيب يجب أن تكون منصوبة لأنها خبر يكون . والضمير « هو » توكيد لاسم « يكون » (واسم يكون ضمير مستتر) .

(٤) ارم بها : ارم بنفسك (غامر) . اللهوة (بفتح اللام) : اللحمة المشرفة على الحلق (الحلق) الوهدة (بالفتح) : الارض المنخفضة . اللجة : معظم الماء . الوادي : النهر . والوادي : أرض منخفضة بين جبلين .

(٥) الدست : الاريكة ، (كرسي الوزارة) ، المنصب العالي. الصهوة : الظهر ، المتن . الصافنات الجياد : الخيل (كناية عن السفر والقتال) .

(٦) اللب : العقل . ــ اذا لم ينل « بأقل قدر من التفكير أعظم قدر من الأماني » .

ما العَزْمُ الاّ نَشطةٌ هكذا : إمّا إلى غَـيٍّ وإمّا رَشـادْ !
المرء مرهـونٌ على نَهْضَـةٍ تُقْعِده في نَطَعٍ أو وِساد[1] .
وصاحبٍ نبّهتني غالِطـاً والفَجْرُ لم يَبْدُ ولا قيل كاد ،
وجِلدةُ الليـلِ على صِبْغِهـا تُماطـل النُقصـان بالازديـاد .
غُمَّ عليه الجَـوُّ حتى رأى نجومَه كالجَمْر تحتَ الرَماد !

٤ ـ الوافي بالوفيات ٥ : ٣٦ ـ ٣٨ .

ابن أبي حَصِينة

١ ـ هو الاميرُ أبو الفتحِ الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ أبي حَصِينةَ السُّلَميُّ المَعَرّي ، وُلِدَ في المَعَرَّةِ في الأغلب قُبيلَ سَنَةِ ٣٩٠ ﻫ (١٠٠٠ م) ونشأ فيهـا وتلقّى علومَه الأُولى على عُلمائها كأبي العَلاء المَعَرّي وغيرِه . ثم إنه انتَقَلَ إلى حَلَبَ وسَكَنَها في أيامِ صالحِ بنِ مِرْداسٍ (٤١٥ ـ ٤٢٠ ﻫ) واتصل بالاميرِ ثِمالِ بنِ صالحِ بنِ مِرداسٍ ومَدَحَهُ .

تنازَعَ المِرْداسيون والفاطميون حَلَبَ بينَ سَنَةِ ٤٢٩ ﻫ وسنة ٤٥٢ ﻫ (١٠٣٨ ـ ـ ١٠٦٠ م) فظلّ ابنُ أبي حصينة يَمْدَحُ المرداسيين ، ولكنّه زارَ القاهرةَ ، سنة ٤٣٧ ومدح الخليفةَ المُستَنصِرَ الفاطميَّ . ثم مَدَحَهُ مرّةً ثانيةً في سنة ٤٥٠ ونال منة خِلْعَةَ الإمارةِ في السنة التالية . واستعادَ المرداسيون الحُكْمَ على حَلَبَ فوجدْنا ابنَ أبي حصينةَ في حَلَبَ يتناولُ ضَيْعَةً من محمودِ بنِ نَصْرِ بن صالحٍ ومَعَهـا لَقَباً بالإمارة أيضاً .

وكانتْ وَفاةُ ابن أبي حصينةَ في سَروجَ (شَماليَّ العراقِ) في ١٥ شَعبانَ ٤٥٧ (٢١/ ٧/ ١٠٦٥ م) .

٢ ـ ابنُ أبي حصينةَ شاعرٌ مُكثرٌ مُطيل فيّاضُ الشاعريةِ جيدُ الشعْر يَطْبَعُ شعْره على غِرار شعْرِ الفُحول كالبُحتُريّ والمُتنبي . وهُوَ يَتَخَيّرُ ألفاظَه عَذْبَةً ويُعْنَى بتَراكيبه فيَقِلُّ فيها الحَشْوُ ويتأنّقُ في ديباجتها ويُوغِلُ أحياناً في

---

(١) نطع : لباد (صوف مضغوط) يتخذ للجلوس وغيره (ويوضع النطع تحت الذي يراد قطع رأسه حتى لا تتلوث الأرض بالدم) . الوسادة : المخدة : نمرقة يتكأ عليها أو يجلس . ـ إما الى نطع (كناية عن الموت) وإما الى وساد (كناية عن المنصب العالي) .



الصناعة ؛ وأكثرُ شعرِه المديحُ مَدَحَ به آلَ مِرْداس ، وقد مدح الفاطميين بعدَ أن هجاهم . ورثاؤه قليل . وله وَصْفٌ للطبيعةِ وللحَرْبِ ، وله غزل وخمر .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن أبي حَصِينة يمدح ثمال بن صالح (سنة ٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م) بقصيدة عليها أثر من مبالغات المتنبّي :

جادت يداكَ الى أن هُجِّنَ المطـرُ ... وزان وجهُك حتّى قُبِّحَ القمرُ[1] .
أمست عقول البرايا فيك حائرةً ، ... فليس يُدرى : هلالٌ أنت أم بشر ؟
لو كنتَ في عصر قومٍ سار ذكرُهم ... في الجاهلية لم تُكْتَبْ لهم سِيَرُ .
ولو لَحِقْتَ زمـان الوحي ما نزلت ... الا بتفضيلك الآياتُ والسور !

– وجاء ابن أبي حَصِينة الى القاهرة ، سنة ٤٥١ هـ ، رسولاً من الامير تاج الدولة ابن مرداس فمدح الخليفة المستنصر ، لمّا لقّبه بالامارة ، فقال من قصيدة :

ظهر الهُـدى وتجمّل الاسلام ... وابنُ الرسول خليفـة وامامُ .
مستنصر بالله ليس يفوتـه ... طلبٌ ، ولا يَعتاص عنـه مَرام .
حاطَ البـلاد وبات تسهر عينُـه ، ... وعيون سكّان البلاد نِيـام .
قَصْرُ الامـام أبي تميم كعبـةٌ ، ... ويمينه رُكن لهـا ومَقام[2] .
لولا بنو الزهراء مـا عُرِف التقى ... فينا ، ولا تَبِـع الهدى الاقوام[3] !
يا آل أحمد ، ثُبِّتَتْ أقـدامُكم ، ... وتزلزلـت بعِـداكمُ الاقـدام .
لستم وغيرُكم سواءٌ ، أنـتم ... للدين أرواح وهم أجسـام .
يا آل طـه ، حبّكم وولاؤكـم ... فرض ؛ وان عـذل الوُشاة ولاموا .

٤ – ديوان ابن أبي حصينة بشرح ابي العلاء المعرّي (حقّقه محمّد أسعد طلس) . دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٥ – ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ – ١٩٥٧ م .

** معجم الادباء ١٠ : ٩٠–١١٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٦ – ١٥٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٨٦ – ٦٨٧ ؛ أعيان الشيعة (١٩٤٨ م) ٢٦ : ٢٧٣ – ٢٨٤ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢١٢ .

---

(١) الى أن هجن المطر : صار المطر هجيناً : قبيحاً (ناقصاً بالاضافة الى جودك وكرمك) . وزان وجهك : جمل (الله) وجهك زيناً (جميلا) ، أو وزان وجهك (الاشياء) حتى أصبح القمر (بالاضافة الى جمال وجهك أو بالاضافة الى نورك الذي يجمل الاشياء جميلة) قبيحاً (ناقص النور) .

(٢) يقبل الناس يدك كانها ركن الكعبة ويصلى الناس في قصرك كأنه مقام ابراهيم في الحرم الشريف قرب الكعبة .

(٣) الزهراء : فاطمة بنت محمد رسول الله .

أبو غالب بن بشران

١ - هُوَ أبو غالب أحمدُ بنُ سَهْلٍ ، يُعْرَفُ بابنِ بُشْران (وابنُ بشران جَدّه لأمه) وبابنِ الخالة ، أصلُه من إحدى قُرى نهرِ سابسَ (شَمالَ واسِط) . وكانَ مَوْلِدُه سنَةَ ٣٨٠ هـ (٩٩٠ - ٩٩١ م) .

انْتَقَلَ أبو غالبِ بنُ بُشْرانَ إلى واسِط وأخذَ فيهـا عن كثيرين : لازم حَلْقَةَ ابراهيمَ ابنِ سعيدِ النحويّ (ت ٤١١ هـ) وقرأ عليه عدداً كبيراً من دواوين الشعْر ؛ وقرأ ديوانَ الحماسة (لأبي تمّام) خاصّة على أبي الحُسين عليّ بنِ محمّدِ ابنِ عبد الرحيم ابن دينارٍ الكاتبِ وعلى أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن الوليد النحوي . وكذلك قرأ كتاب سيبَوَيْهِ على ابن كروان .

وعَظُمَتْ مكانَةُ أبي غالبِ بنِ بُشرانَ وأصبحَ شيخَ العراق في اللغة، ورَحَلَ إليه الناسُ لتلقّي العلْمِ عنه، ولكنّ حظّه من الدنيا كان قليلاً ، وكان للعامّة نُفْرَةٌ منه لأنّه كان مُعتَزِلِياً . وكانت وفاتُه في واسِط يومَ الخميسِ مُنْتَصَفَ رَجَبَ من سَنَةِ ٤٦١ (٢٩ - ٤ - ١٠٧٠ م) .

٢ - كان أبو غالبِ بنُ بُشرانَ أحدَ الأئمّةِ والعُلماء المشهورين الذين أحاطوا بعُلوم كثيرةٍ من الدين والحديث واللغة النَحْو والأدب ، وكان يجمَعُ بين الفَهْم والرِواية الموثوقة والدِراية . وكذلك كان شاعراً مُكْثِراً صحيحَ السَبْك متينَ الأُسلوب يتكلّف أحياناً شيئاً من الصناعة . وبعضُ شعرِه حَسَنٌ رَقيقٌ ، وأكثرُ ما وَصَلَ إلينا من شِعره في الشكوى والنَسيب .

٣ - مختارات من شعره

- لمّا بدا تَفْتُنُ الألبـابَ رؤيتُه ، أبْدَيْتُ من حبِّه ما كُنتُ أُخفيه ؛
وبانَ عُذْري لِعُـذّالي فكلُّهُمُ إليّ مُعْتَـذِرٌ عن عَذْلِهِ فيه[1] .
لكن سَكِرْتُ براحٍ من لَواحِظِهِ فما أفقْتُ بغيرِ الراحِ من فيه[2] !

- تَوَهّمْتُه قلبي فأوحَى ضَميرُه قَبولاً فأحْكَمْنا الهوى بالسّرائر[3] .

---

(١) بان : ظهر ، وضح . العذل : اللوم .

(٢) الراح : الخمر .

(٣) - تبادلنا النظر ففهم كل واحد منا أننا تحابينا من غير أن يدري أحد آخر بذلك .

فلمّا التقينا شبّت الحربَ بيننا — على السلمِ منّا — مقلتاه وناظري[1].
جرحتُ بلحظي وجنتيه فأقصدت لواحظُه قلبي بأسهمِ ثائرِ[2].

— لا تغترِرْ بهوى الملاحِ ، فربّما ظهرتْ خلائقُ للملاحِ قباحُ .
وكذا السيوفُ يروقُ حُسنُ صقالِها ، وبحدِّها تتخطّفُ الأرواح !

٤ — ** معجم الادباء ١٧ : ٢١٤ — ٢٢٤ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٨٢ ؛ بغية الوعاة ١١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١٠ ، الاعلام للزركلي ٦ : ٢٠٦ — ٢٠٧ .

الخطيب البغدادي

١ — هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ ثابتِ بنِ أحمدَ بن مهديٍّ بنِ ثابت ، وُلِدَ في غزيّة* من أعمال وادي الملك في الحجاز ، في ٢٣ جمادى الآخرة ٣٩٢ (١٠/ ٥/ ١٠٠٢ م) .

بدأ الخطيبُ البغداديُّ سماعَ الحديث ، سنة ٤٠٣ قبلَ أن يُدرِكَ ، على محمّد ابنِ زرقويه البزّازِ (ت ٤١٢ هـ) ، ثمّ عاد بعدَ مدّةٍ يسيرة فسَمِعَ من البزّاز أيضاً ومن أبي حامد الاسفرايني (ت ٤٠٦ هـ) . وفي سنة ٤١٢ ذهب الى البصرة وسَمِعَ الحديثَ فيها . في تلك السنةِ نفسِها توفّي والدُه .

جمعَ الخطيبُ البغدادي قدْراً صالحاً من الحديثِ والفقهِ والخلافِ ثمَّ رحلَ في طلبِ العلمِ الى نيسابور سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤م) وقرأ الحديث على الحافظ أبي نُعيم محدّثِ أصفهانَ ولقيَ هنالك نفراً من المشايخ .

وبعدَ أربعِ سنَوات عادَ الخطيبُ البغداديُّ الى بغدادَ وجلس فيها للتحديث والتعليم ، غيرَ أنه لم يتركْ السماعَ من المشاهيرِ حتّى بعدَ أن أصبح هو مشهوراً ، فما جاء عالمٌ مذكورٌ إلى بغدادَ ولا لقيَ هو في أثناء طوافه في البلاد عالماً مذكوراً إلاّ جلَسَ يقرأ عليه أو يسمَعُ منه .

وتمرّ بنا في حياةِ الخطيبِ البغداديّ فترةٌ غامضةٌ تبلُغُ نحو خمْسٍ وعشرينَ سنَةً لم نعرفْ شيئاً فيها عنه ، ولعلّه كان في أثناء ذلك يضع كتابه الكبير « تاريخ

---

(١) على السلم منا : مع وجود السلم بيننا (لأننا محبان) .

(٢) أقصدت : أصابت (مني) مقتلا . خجل من نظري اليه (فاحمرت وجنتاه) فجعلتني لواحظه (عيونه) متيماً بحبه . * في الوافي بالوفيات (٧/ ١٩١) : في هنيقيا (بكسر النون و القاف) .

بغداد » . وفي سنة ٤٤٤ هـ ذهب الخطيب البغداديّ الى الحج .

في ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ثارت فِتنةُ البساسيريّ في بَغدادَ وحركت السياسةُ بأصْبَعِها عواطفَ الشيعة عَلى عُلماء السنة ، وانتهزَ أعداءُ الخطيب البغداديّ الفُرصةَ فيه واتّهموه تُهَماً كثيرةً فنالهُ اضطهادٌ كبيرٌ فخرج من بَغدادَ قاصداً دِمَشْقَ ، مَعَ أنّ دِمَشْقَ كانتْ في ذلك الحينِ تَحْتَ الحُكْمِ الفاطمي الشيعي . وبقي الخطيبُ البغداديّ في دمشقَ بِضْعَ سَنَواتٍ منصرفاً الى التدريس ، ثم كثر أعداؤه في دمشق ايضاً واتّهموه بأنه يَتَعَصَّبُ على الإمامِ عليّ ، فاضطرّ ، في صَفَرَ ٤٥٩ (مطلع ١٠٦٧ م) ، الى أن يُغادِرَ دمشق ، فذهب الى مدينةِ صورٍ ومَكَثَ فيها ثلاثَ سنواتٍ تَرَدَّدَ في أثنائها على القُدْسِ مِراراً ثم غادَرَها الى مدينــة طَرَابُلُسَ فحَلَبَ في طريقهِ الى بغدادَ ، فوصل الى بَغدادَ في ذي الحِجّة من سنة ٤٦٢ . ثم انه لم يُعَمَّرْ بعدَ ذلك سوى عامٍ واحدٍ إذْ تُوُفِّيَ في ٧ من ذي الحِجّــة ٤٦٣ (٥/ ٩/ ١٠٧١ م) .

٢ ــ كان أبو بكر الخطيبُ البَغدادي حافظاً للحديث وفقيهاً عالماً ومؤرّخاً ، وقد غَلَبَ عليه التاريخُ والحديثُ ؛ ثم له شيءٌ من الشعْرِ الوُجْداني أكثرُه الغزل . وكان الخطيبُ البغداديّ مؤلّفاً مُكْثِراً حَسَنَ الصَنْعة والتهذيبِ لكُتُبِه ، والذي في كُتُبه أفضلُ من الذي كان يُلْقيه من حِفْظه . له من الكُتُب (معجم الادباء ٤ : ١٩ــ ٢١) : تاريخ بَغدادَ ، شَرَفُ أصحاب الحديث ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الكفاية في معرفة علم الرواية ، كتاب الفقيه والمتفقّه ، كتاب الاسماء المبهَمة في الأنباء المحكَمة ، كتاب المؤتنف في تكملة المختلف والمؤتلف ، كتاب الحيل ، رافع الارتياب في القلوب من الأسماء والألقاب ، كتاب التبيين لأسماء المدلّسين ، كتاب تمييز المزيد في مفصّل الأسانيد ، كتاب الرِحلة في طلب العلم ، كتاب الرواة عن مالك بن أنس ، كتاب الاحتجاج للشافعي في ما أُسْنِدَ اليه والردّ على الجاهلين بطعنهم عليه ، كتاب تقييد العلم ، كتاب القول في علم النجوم ، كتاب روايات الصحابة عن التابعين ، كتاب الإجازة للمعلوم والمجهول ، كتاب روايات (رواة ؟) السنة مــن التابعين ، كتاب البخلاء ، كتاب التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف .....

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابو بكر الخطيب البغدادي في الغزل والنسيب :

تَغَيَّبَ الخَلْقُ عن عَيْني سوى قَمَرٍ ؛ حَسْبي من الخَلْق طُرّاً ذلك القمرُ !
مَحَلُّهُ في فُؤادي قد تَمَلَّكَــه ، وحاز روحي ، ومــا لي عنه مُصْطَبَر .
فالشمسُ أقربُ منــه في تَناوُلِها ، وغايةُ الحَظ منها للورى النَّظَر .
أردت تقبيلَــه يوماً مُخالَســةً فصار من خاطري في خَــدِّهِ أَثَر !

— من مقدمة « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي :

.... هذا كتابُ تاريخِ مدينةِ السَّلام وخَبَرِ بِنائها وذِكْر كُبَراءِ نُزّالهــا وذكر وارِدِيها وتَسْمِيَةِ عُلمائها : ذَكَرْتُ من ذلك ما بلغني عِلْمُه ، وانْتَهَتْ إليَّ مَعْرِفَتُه ....

.... على أنَّ البَغداديين أرْغَبُ الناسِ في طَلَبِ الحديثِ وأشَدُّهم حِرْصاً عليه وأكثرهم كَتْباً له . وليس يَعيبُ طالبَ الحديثِ ان يكتب عــن الضعفاء والمَطْعُون فيهم ، فإنَّ الحُفّاظ ما زالوا يكتبون الرِواياتِ الضَّعيفةَ والأحاديث المَقْلوبة والأسانيد المُرَكَّبة لينقّروا[1] عن واضعيها ويُبَيِّنوا حالَ من أخْطأ فيها ....

وأهلُ بَغدادَ مَوْصوفون بحُسْنِ المعرفة والتَّثبّتِ في أخْذ الحديث وآدابه وشِدة الوَرَعِ في روايته ، اشْتَهَرَ ذلك عَنْهم وعُرِفوا به ...

لم يَكُنْ لِبَغدادَ في الدُنيا نظيرٌ في جَلالةِ قَدْرِها وفَخامة أمرها وكَثْرة عُلمائها وأعْلامها وتَميّز خَواصّها وعوامّها وعِظَم أقطارها وسَعَة أطْرارها[2] وكَثْرة دُورِها ومَنازلها ودُروبها وشُعوبها ومَحالّها وأسْواقِها وسِكَكِها وأزِقّتها[3] ومَساجدها وحمّاماتها وطرزها وخاناتها[4] وطيب هوائها وعُذوبة مائها وبَرْد ظِلالها وأفْيائها[5] واعتــدال صيفها وشِتائها وصِحّة رَبيعها وخريفها وزِيادة ما حُصِرَ من

---

(١) الكتب (بفتح الكاف وسكون التاء) : الكتابة ، التدوين . كتب الحديث عن فلان : سمعه من فلان ثم دونه كما سمعه منه .
النزال : الساكنون . الواردون : الآتون (الى البلد) .
الحديث الضعيف : ماكان راويه ضعيفاً (غير موثوق به ، ولا مشهور بالمعرفة بالحديث . المطعون فيهم (من رواة الحديث) : الذين يشك في أمانتهم في النقل . الاحاديث المقلوبة : الاسانيد المركبة : ينقر عنه : تحري الصحة بكثرة البحث والاستقصاء .
(٢) كذا في الاصل المطبوع : اطرار . ولعل الصواب : طرار (بكسر الطاء المهملة) أو طرر (بضم الطاء وفتح الراء) جمع طر (بضم) : جانب النهر .
(٣) السكة (بكسر السين) : الطريق المستوى . الشعب (بكسر الشين) ؛ الطريق الفرعي المسدود الزقاق (بضم الزاي) : الطريق المتعرج .
(٤) الطرز (بكسر الطاء وسكون الراء) : المكان الذي ينسج فيه الحرير . الخان : المكان الذي ينزل فيه التجار القادمون ببضائعهم الى بلد غير بلدهم .
(٥) الظل : احتجاب شعاع الشمس عن مكان قبل الظهر . الفيء : احتجاب أشعة الشمس عن مكان بعد الظهر .

عَدَدَ سُكّانها .....

.... وهذه تَسْمِيَةُ الخلفاءِ والأشْراف والكُبراء والقُضاة والفُقهاء والمُحدِّثين والقُرّاء والزُّهاد والصلحاء والمتأدّبين والشعراء من أهل مَدينةِ السّلام الّذين وُلِدوا بها او بِسواها من البُلْدان ونَزَلوها ، وذِكْر مَنِ انْتَقَلَ مِنْهم عنها وماتَ ببلدةٍ غَيْرِها ، ومن كانَ بالنواحي القريبةِ منها ، ومَنْ قَدِمَها من غيرِ أهْلها وما انتهى إليَّ من مَعْرِفةِ كُناهم وأنْسابِهم ومَشهور مآثرهم وأحسابهم ومُسْتَحْسَنِ أخبارِهم ومَبْلَغ أعْمارهم وتاريخ وَفاتِهم وبَيان حالاتِهم مَعَ ما حُفِظَ فيهم من الألفاظ عن أسْلاف أئِمَّتنا الحُفّاظ من ثَناءٍ ومَدْحٍ وذَمٍّ وقَدْحٍ وقَبول وطَرْحٍ وتَعْديلٍ وجَرْحٍ : جَمَعْتُ ذلك كلَّه وألّفته أبواباً مُرتبةً على نَسَقِ حُروف المُعْجَمِ من أوائل أسْمائهم ، وبدأتُ منهم بذكر مَنِ اسْمُه مُحَمَّدٌ تَبَرُّكاً برسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم . ثم أتْبَعْتُه بذِكْرِ مَنِ ابْتَدَأ اسْمُه بالألِفِ وثنّيتُ بحرف الباء ثم ما بعدَها من الحُروف إلى آخرها .....

ولم أذْكُرْ مِنْ مُحَدِّثي الغُرَباء الذين قَدِموا مَدينَةَ السلامِ ولم يَسْتَوْطنوها سوى مَنْ صَحَّ عِندي أنه رَوَى العِلْمَ فيها . فأمّا مَنْ وَرَدَها ولم يُحَدِّثْ بها فإنّي أطّرحْتُ ذِكْرَه وأهْمَلْتُ أمرَه لكَثْرةِ أسْمائهم وتَعَذُّرِ إحْصائهم ، غيرَ نَفَرٍ يسيرٍ عَدَدُهُمْ ، عظيم عند أهلِ العلمِ مَحَلُّهم ، ثَبَتَ عندي وُرُودُهم مَدينَتَنا ولم أتَحَقَّقْ تحديثهم بها ؛ فرأيتُ ألا أُخْلِيَ كِتابِيَ من ذِكْرِهم لرُفْعة أخْطارهم وعُلُوّ أقْدارهم ....

٤ - تاريخ بغداد ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م)*.

تاريخ بغداد، الجزء السادس (نشره كيلر)، ليبسك (طبع حجر) ١٩٠٨م (راجع معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ص٨٢٨ نقلاً عن مجلّة المقتطف - مصر - الجزء الواحد والخمسين لعام١٩١٧م، ص٣٢٩) .

مقدّمة تاريخ بغداد (نشرها سلمون) ، باريس (مطبعة أميل بوويون) ١٩٠٤ م .

كتاب التطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم (نشره حسام الدين القدسي) ، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٣٦هـ ؛ النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م .

تقييد العلم (حقّقه يوسف العشّ) ، دمشق (المعهد الفرنسي بدمشق) ١٩٤٩ م .

اقتضاء العلم والعمل (تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني) ، الطبعة الثالثة ، بيروت (المكتب الاسلامي) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

البخلاء (تحقيق أحمد مطلوب وأحمد ناجي) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ م .

الكفاية في علم الرواية ، حيدر اباد (جمعية ادارة المعارف العثمانية) ١٣٥٧ هـ .

موضح أوهام الجمع والتفريق ، حيدر اباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م .

** الاشارات الى بيان أسماء المبهمات (اختصره من كتاب «المبهمات» للخطيب البغدادي يحيى ابن شرف النووي) ، لاهور (المطبعة الدخانية) ١٣٤١هـ .
الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدّثها ، تأليف يوسف العشّ ، دمشق (المكتبة العربية) ١٩٤٥ م .
معجم الادباء ٤ : ١٣ — ٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ١٩٠ — ١٩٩ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٦ — ٤٧ ؛ طبقات الشافعية ٣ : ١٢ — ١٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١١ — ٣١٢ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٠ — ٤٠١ ، الملحق ١ : ٥٦٢ — ٥٦٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ٩٢٩ — ٩٣٠ ؛ زيدان ٢ : ٣٧٥ — ٣٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٦٦ .

صردر

١ — هو أبو منصور عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ صَرَّدُرٌّ ، وُلِدَ قَبْلَ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، وعاش حيناً في العراق .

لمّا تولّى فخرُ الدولة أبو نصرٍ محمّدُ بن جَهيرٍ الوَزارةَ للخليفةِ القائمِ ، سنَةَ ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) ، كانَ صَرَّدُرٌّ في مدينةِ واسطَ فأرسلَ إلى فخرِ الدولةَ قصيدةً يُهنّئه بها . ثم هنّأه بالوزارة لمّا عاد إليها في سنة ٤٦١ هـ .

كان صَرَّدُرٌّ في طريقــهِ من العراق إلى خُراسانَ فسقط في حُفْرة حُفِرتْ لاصْطياد الأسدِ فقُتِلَ (٤٦٥ هـ = ١٠٧٣ م) .

٢ — صَرَّدُرٌّ أحدُ نُجَباء الشُعَراء في عصرِه ومن الفُحول يَجْمَعُ جوْدَةَ السَبْك إلى حُسْنِ المعنى ، وعلى شعره طلاوةٌ رائقةٌ . وهو شاعرٌ غيرُ مُكْثِرٍ ولكنّه مُطيل ، وهو جيّدُ القول في القصائد الطِوال وفي المُقطّعات القِصار . وأكثرُ شعره المديحُ وفيه مُعْظَمُ أغراضِه ، وله أيضاً إخوانيّاتٌ وعِتابٌ وشكوى من الدهرِ ومن الناس ، كما أن له رثاءً وهجاءً وغزلاً وخمراً ووصفاً .

٣ — **مختارات من شعره**

— قال صرّدرّ يعزّي ابن فضلان بأخيه :

عزاءً ! فمــا يَصْنَعُ الجــازِعُ ،	ودَمْعُ الأسى أبــداً ضائعُ[1] .
بَكى الناسُ ، من قَبْلُ ، أحبابَهم ؛	فهلْ أحدٌ منْهُمُ راجــع ؟
عرَفْنا المصائبَ قبــلَ الوُقوعِ ؛	فما زادَنــا الحادثُ الواقــع ؟
ولكنّ مــا يَنْظُرُ الناظــرو	ن ليس كمــا يَسْمَعُ الســامع :

(١) الجزع : الخوف مع الحزن (حتى لا يعرف الحزين ما يفعل) . الأسى : الحزن .

يُدَلّي ابنُ عِشرينَ في لَحْدِهِ ؛ وتِسعونَ صاحبُها راتِع !
لِيَعْلَمَ مَنْ شكَّ أنّ المَنو نَ هَوْجاءُ ما عندها شافِع[1] .
ولو أنّ مِنْ حَدَثٍ سالماً ، لَما خُسِفَ القمرُ الطالعْ .
ومَنْ حَتْفُهُ بينَ أضْلاعِه ، أيَمْنَعُه أنه دارِع[2] ؟
وكُلّ أبيٍّ لِداعي الحِمامِ ، متى يَدْعُهُ ، سامعٌ طائع[3] :
يُسَلِّمُ مُهْجَتَه سامِحاً ، كما مَدَّ راحتَهَ البائع .

ـ وقال يهجو أهل زمانه :

إذا كانَ هذا الجهلُ قد شاعَ في الوَرى ، فذو العِلْمِ فيما بَيْنَهُم هو جاهلُ .
فان قالَ ما لم يَعْرِفوا قَدْرَ لَفْظِه ولا قيمةَ المَعْنى ، فما هُوَ قائل ؟
وإنْ هُوَ بالصَمْتِ اسْتجارَ لِسانُه ، ففي الصَمْتِ ذو نَقْصٍ سواءٌ وفاضل .
فليس له غيرُ التَجاهُلِ ملجأٌ ؛ وأصْعَبُ شيءٍ عالمٌ متجاهِلُ .
وكُنّا سَمِعْنا في الزمانِ بباقِلٍ ؛ وهذا زمانٌ كلٌّ أهْلِيهِ باقل[3] .

ـ وقال في الغزل والنسيب :

ومن شَرَفِ الحُبّ أنّ الرجا لَ تَشْري أذاهُ بألْبابِها[4] !
وما أنْصَفَتْ مُهْجَةٌ تَشْتكي هَواها إلى غيرِ أحبابِها .
وفي السِرْبِ مُثْرِيَةٌ بالجما لِ تُقَسّمه بينَ أترابِها[5] :
فللبدرِ ما فوق أزرارِها ، وللغُصْنِ ما تحتَ جِلبابِها[6] .

٤ ـ ديوان صرّ درّ ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

** وفيات الأعيان ٢ : ٥٧ ـ ٥٨ ؛ شذرات الذهب٣ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ؛ اعيان الشيعة =

---

(١) المنون : الموت .

(٢) حتفه بين أضلاعه : (انتهاء أجله) . دارع : لابس درعاً .

(٣) باقل : رجل كان عيي اللسان (لا يحسن النطق وكان أيضاً يكسل عن الكلام) .

(٤) اللب : العقل . الرجال يشترون أذى الحب بألبابهم (تدلهم عقولهم على ضرر الحب ، ومع ذلك فهم يحبون) .

(٥) السرب : جماعة الحيوانات السارحة (وجماعة النساء الجميلات) . مثْرية بالجمال : غنية بالجمال (جميلة جداً) . الاتراب هنا : اللدات (بكسر اللام : النساء اذا كن ذوات عمر واحد) . الاتراب تستعمل للذكور .

(٦) الأزرار : طرف الثوب عند العنق . ما فوق أزرارها : وجهها . الجلباب : الثوب . ما تحت جلبابها قامتها ، جسمها (تشبه البدر بوجهها ، وتشبه الغصن بقامتها) .

(١٩٦٠ م) ١ : ١١١ – ١١٢ ؛ بروكلمان١ : ٢٩٢ ، الملحق١ : ٤٤٥ – ٤٤٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨١ .

أبن سنان الخفاجي

١ – هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمد بن سعيدِ بنِ سِنانٍ الخَفاجيُّ ، كانَ تِلْميذاً لأبي العَلاء المَعَرّيّ .

كان لرشيدِ الدولة محمودٍ المِرْداسيّ صاحبِ حَلَبَ وزيرٌ اسمُه أبو نصرٍ محمدُ ابنُ الحسنِ النَّحاسِ فأشار أبو نصرٍ على رشيدِ الدولة أنْ يُوَلّيَ ابنَ سِنانٍ الخفاجيَّ على قلعةِ عَزاز. ثم إنّ الخَفاجيّ ثارَ على رشيدِ الدولة فدبّر رشيدُ الدولة مقتلَ الخفاجيّ بالسُّم سَنَةَ ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) ، في حديثٍ طويلٍ .

٢ – كان ابنُ سِنانٍ الخَفاجي أديباً بارعاً وشاعراً مُجيداً رقيقاً ، ومؤلّفاً له كتاب سِرّ الفَصاحة . قال ضِياء الدين بنُ الأثيرِ في دِيباجة كتابهِ المَثَلَ السائر : « ولم أجِدْ ما يُنْتَفَعُ به في ذلك (في علمِ البَيَان) إلاّ كِتابَ الموازنة للآمدي[1] وكِتابَ سِرّ الفَصاحة للخَفاجي .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ سِنانٍ الخَفاجيُّ يَصِفُ مَشيبَه :

إن راعني وَضَحُ المشيبِ فإنه ... بَرْقٌ تألّقَ بالخُطوب فأوْمَضا .
ولقدْ أضاءَ ، وأظلمتْ أيامُه ، ... حتّى عرَفْتُ به السوادَ الأبيضا !

– وقال يَصِفُ حَمامةً :

وهاتِفَةٍ في البانِ تُمْلي غَرامَها ... علَيْنا وتَتْلو من صَبابَتِها صُحُفا .
عَجِبْتُ لها تشكو الفِراقَ جَهالَةً ، ... وقد جاوَبَتْ من كُلّ ناحيةٍ إلْفا !
ويَشْجو قلوبَ العاشقين حَنينُها ، ... وما فَهِموا ممّا تَغَنَّتْ به حَرْفا .
ولو صَدَقَتْ في ما تقولُ من الأسى ... لما لَبِسَتْ طَوْقاً ولا صَبَغَتْ كَفّا[2] .

– وقال في النسيب :

يا عُيوناً بالحِمى راقِدةً ... حَرّمَ اللهُ علَيْكُنّ الكَرى[3] ،

---

(١) راجع ، فوق ، ص٢ : ٥٢٤ .
(٢) المعروف أن الحمام القاتم اللون (الاسود ، الازرق ، الاخضر ، البني) له شبه العقد حول عنقه ، وأن أرجل الحمام حمر . وهذان العقد والصباغ الاحمر في الرجل من اسباب الزينة والفرح .
(٣) الكرى : النوم .

لو عَدَلْتُنَّ تَساهَمْنا الهوى ، مِثْلَ ما كُنّا اشتركْنا نَظَرا :
نَظَرٌ مَوَّهَ دَمْعاً لم يزل يُفْصِح الوجد به حتى جرى .
ما على الغَيْرانِ من سُقْيا الحِمى ؟ أحرامٌ عنده أن يُمْطَرا !

— وقال في قلة المبالاة بالواشين :

ما على الواشينَ مِنْ حَرَجٍ ؛ مِثْلُ ما بي ليس يَنْكَتِمُ .
زَعَموا أني أُحِبُّكُمُ ؛ وغرامي فوقَ ما زعموا !

— من كتاب « سِرّ الفَصاحة » (ص ١٩٤ — ١٩٥) :

.... ومن شُروطِ الفَصاحةِ والبلاغةِ الإيجازُ والاختصارُ وحَذْفُ فُضولِ الكَلام حتّى يُعَبَّرَ عن المعاني الكثيرةِ بالألفاظِ القليلة . وهذا البابُ من أشهرِ دلائلِ الفصاحة وبلاغةِ الكلامِ عند أكثرِ الناسِ حتّى إنّهم إنّما يَسْتَحْسِنون من كتاب الله تعالى ما كانَ بهذهِ الصِفة . ومن الناسِ من يقولُ : إنّ من الكلام ما يَحْسُنُ فيه الاختصار والإيجاز كأكثَر المُكاتبات والمخاطباتِ والأشعار ، ومنه ما يَحْسُنُ فيه الإسهابُ والإطالة كالخُطَبِ والكتب التي تُحْتاجُ (إلى) أن يَفْهَمَها عَوامُّ الناسِ وأصحابُ الأذهانِ البَعيدة [1] ، فإنّ الألفاظَ إذا طالتْ فيها وتردّدتْ في إيضاح المعنى أثّر ذلك عندَهم ، ولوِ اقْتُصِرَ فيها على وَحْيِ الألفاظ ومُوجَزِ الكلام لم يَقَعْ لِأكثرِهم حتّى يُقالَ في ذِكْرِ السيف : الحُسام القاطع الجَزّار الباتر ، وفي وصف الشُجاع : البطلُ الفاتِكُ النجد [2] الباسل ، وما يجري هذا المجرى . وقالوا : « ربّما كان ذلك (في) الكِتاب بالفَتْح [3] أو (في) الخُطبة تُقْرأ في موقفٍ حافلٍ يَكْثُر فيه لَغَطُ الناسِ وصَخَبُهم فيُحْتاج إلى تَكرارِ الألفاظِ ليكونَ ما يَفوتُ سَماعَه قد اسْتُدْرِكَ (في) ما هو في معناه .

والذي عِندي في هذا الباب أنهم إن كانوا يُريدون بالإطالة تَكرارَ المَعاني والألفاظ [4] الدالّة عليها وخروجَها في معاريضَ مختلفةٍ ووجوهٍ مُتَبايِنةٍ — وإنْ كان الغرضُ في الأصلِ واحداً — فليسَ هذا ممّا نحن بسبيلِه لأنّه بمَنْزلةِ إعادةِ كلامٍ واحدٍ مِراراً

---

(١) لعلها : البليدة راجع ص ١٧٠ ، السطر الثالث .

(٢) النجد (بفتح النون وضم الجيم ، او بفتح النون وكسر الجيم ، او فتح النون وضم الجيم) : الشجاع.

(٣) الظفر في الحرب .

(٤) لعلها : بالألفاظ .

عِدَّةً ، فإنَّ تلك الإعادة لا تؤثّر فيه حُسْناً ولا قُبْحاً . وإن كانوا يريدون أنَّ المعنى الذي يمكن أن يُعَبَّرَ عنه بألفاظٍ يَسيرةٍ مُوجزةٍ قد يَحْسُنُ أن يُعبَّرَ عنه بألفاظٍ طويلةٍ ليكون ذلك داعياً الى فَهْمِ العاميّ والبليدِ له ، وتكون الإطالة في هذا الموضعِ خاصّةً أصحَّ وأحمدَ كما أن الوَحْيَ والإشارةَ في موضعِهما أوفقُ وأحسَنُ ، فإنّا لا نُسَلِّمُ ذلك لأنّا نذهبُ الى أن المحدودَ من الكلام ما دلَّ لفظُه على مَعْنــاه دَلالةً ظاهرةً ولم يكنْ خافياً ومُسْتَغْلَقاً ،..... فإن كان الكلام المُوجَزُ لا يدلُّ على مَعناه دَلالةً ظاهرةً فهو عندنا قبيحٌ مذمومٌ ، لا من حيثُ كانَ مُخْتَصراً بل من حيث كان المَعْنى فيه خافياً ....

وقد قَسموا دَلالةَ الألفاظِ على المعاني ثلاثةَ أقسامٍ : أحدُها المساواةُ وهو أن يكونَ اللفظُ مُساوياً للمعنى ، والثاني التذييلُ وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه ، والثالث الإشارة وهو أن يكونَ المعنى زائداً على اللفظِ ، أي أنه لفظٌ مُوجَزٌ يَدُلُّ على مَعْنىً طويلٍ على وجهِ الإشارة واللَّمْحة ....

٤ ــ ديوان ابن خفاجة ، بيروت ١٣١٦ هـ .

سرّ الفصاحة (تحقيق علي فوده) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .

الأصوات ومخارج الحروف العربيّة (تحقيق فؤاد حنّا ترزي) ، بيروت (مطبعة دار الكتب) ١٩٦٢ م .

** فوات الوفيات ١ : ٢٩٨ ــ ٣٠٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٥٤ ــ ٤٥٥ ؛ زيدان ٣ : ١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٦ .

البـــاخرزي

١ ــ هو الشيخُ أبو القاسمِ (وقال بعضهم : أبو الحسن) عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ ابن أبي الطيِّب الباخَرْزي، نِسبةً الى باخَرْزَ (وهي ناحيةٌ من نيسابور بخُراسانَ) ، السِنْخيّ نِسبةً إلى السِنخ إحدى قُرى خراسان .

دَرَسَ الباخرزي في أوّلِ أمرِهِ في بلدهِ ثمّ سَمِــعَ الحديثَ وقرأ الفِقْهَ في نيسابور وحَضَرَ عــلى عبدِ الله بنِ يوسفَ الجوينيِّ الفقيه (ت ٤٣٨ هـ) . بعدَئذ غلبتْ عليه محبّةُ الأدب والانشاء .

كان بينَ الباخرزيِّ وبينَ أبي نصرِ محمّدِ بنِ منصورِ الكُنْدُريّ معرفةٌ وزَمالةٌ في تلقّي العلم في نيسابور ــ وقدِ اتّفق للباخرزيّ أن هجا الكُندريّ ــ فلمّا وَزَرَ الكندريّ

للسلطان طُغْرُلُ بك السَّلْجوقي (٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) استدعى الباخرزيَّ الى بغدادَ وجَعَلَه يختلفُ الى ديوانِ الرسائل. ثمّ تقلّبَ الباخرزي في عددٍ من مناصبِ الدولة. ومدح الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧ هـ). وعاشَ حيناً في البصرة.

وأخيراً عاد الباخرزي الى باخَرْزَ حيثُ قُتِلَ في مجلسِ أُنْسٍ في ذي القَعْدة من سنَةِ ٤٦٧ (حزيران – يونيو ١٠٧٥ م) وذَهَبَ دمُهُ هَدْراً.

٢ – الباخرزيّ شاعرٌ مكثرٌ مطبوعٌ مُجيدٌ في المقطّعات أكثرَ من إجادته في القصائد، يَطْبَعُ شعرَه أحياناً على غِرارِ جَريرٍ. وفنونُه المدحُ والغزل وشيءٌ من المُجونَ والخمر. وللباخرزي كتابُ «دُمْيَةُ القَصْر وعُصْرة أهل العَصر»* (في شعراء القرن الهجريّ الخامس)، وهو تَتِمةٌ لكتابِ الثعالبي «يتيمة الدهر». ولعلّ مما حمله على تأليف هذا الكتاب أن أباه كان جاراً للثعالبي في نيسابور.

٣ – مختارات من آثاره

– قال الباخرزي يَصِفُ قَسوةَ الشتاء ويصف الماء يُقْذَفُ به في الجوّ الشديدِ البردِ عُلُوّاً فيَجْمُدُ حالاً ثم يَسْقُطُ على الأرضِ بَرَداً (العودانِ: عود الغناء وعود الطيب):

كم مؤمنٍ قَرَصَتْهُ أظفارُ الشتا ... فغدا لسُكّانِ الجحيمِ حَسودا.
وترى طيورَ الماء في وُكُناتِها ... تختارُ حرّ النار والسَفّودا[1].
واذا رَمَيْتَ بفضلِ كأسِكَ في الهوا ... عادتْ عليك من العَقيق عُقودا.
يا صاحبَ العُودينِ، لا تُهْمِلْهُما: ... حَرِّكْ لنا عوداً وحَرِّق عودا!

– وقال الباخرزيّ في الغزل:

ألا سُقِيَتْ أطلالُ لَيْلى، وإنْ عفَتْ ... مَغانيَ غَوانيها ووَلّى زمانُها[2].
تُوُفِّيَتِ اللذّاتُ في عَرَصاتها، ... لذاك بكت نَوّاحةٌ ورشانُها[3].

(*) سبعة أقسام: شعراء البدو والحجاز – شعراء الشام وديار بكر وآذربيجان والجزيرة وبلاد المغرب – فضلاء العراق – شعراء الرى و (منطقة) الجبال – فضلاء جرجان واستراباد ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر – شعراء خراسان وقهستان وسجستان وغزنة – طبقة من أئمة الادب لم يجر لهم في الشعر رسم.

(١) تجد الطيور ترتجف في وكناتها (جمع وكنة بضم فضم: عش الطائر في جدار) ترتجف من البرد وتتمنى أن لو تشك بالسفود وتشوى على النار.

(٢) مغاني غوانيها: مساكن نسائها الجميلات.

(٣) العرصة (بفتح ففتح): الباحة العراء (بغير بناء). – لما ذهبت الأيام التي كنا نألف فيها اللذات في =

وعَهْدي بها من قبلُ حُمْراً جِمالُها وخُضراً مراعيها وبِيضاً حِسانُها[1] ؛
فطَوْراً بلَثْمِ الناي يُغنّى زنامها ، وطوراً بضَرْبِ العود يُغْرى بَنانُها[2] .
وتحسو عصير السَيلِ أغصانُ دَوْحِها فتَهْتَزّ سُكراً والطيورُ قِيانُها[3] !

– من مقدّمة دُمْيَةِ القَصْر (طريقة تأليفها) :

.... ولهذا الشأنِ لا أزالُ أهُبّ على كلّ بُقعةٍ مذكورةٍ ، وأحُطّ رَحليَ من كُورةٍ الى كورة – وقد وَلّيتُ وَجْهِيَ شَطْرَ الفُضلاء الوجاه ، وبسطت حُجْرِيَ لالتقاط دُرّ الشفاه[4] ..... فلله سُلّمٌ فيه ارتقيتُ ، وأعيانٌ بِهِمُ التقيتُ ، ونجومٌ بأيِّهِمُ اقتديتُ اهتديتُ[5] ؛ وان لم يتيسّر الوصول اليها والفراغ منها إلاّ وقد وَخَطِ القَتير وطلع النّذير وانضمّ الخَيط الأبيض من الفجر الى الخيط الأسود من الشعر ؛ فخلّى الفَوْد مُشتعلاً والفؤاد مُشْتغلاً[6] وأضاف الذَوْدَ الى الذودَ فصارت إبِلاً[7] ،

= تلك الاماكن ، حزنت ورشانها (بكسر الواو ، وهي جمع ورشان بفتح ففتح : ساق حر : نوع من الحمام) .

(١) حمرا جمالها الخ (كناية عن الخصب والنعيم) .

(٢) زنام (بضم الزاي) زمار حاذق كان لهرون الرشيد . بنان أصابع – تصدح تلك الورشان (بكسر الواو) صوتاً يشبه تزمير زنام (تأمل الموازنة بين زنام الزمار وبين زنمتي الأذنين للمقابلة بين لثم الناي وبين تقريبه الناي من جانب الفم) . وبنان : مغن (غ ٩ : ٣٠٢ الخ) .

(٣) – تشرب دوحها (أشجارها الكبيرة) من صفوة ماء السيل (تشبيهاً له بالخمر) فتمايل أغصانها مع ريح الشتاء (كأنها سكرى) ، وتغني الاطيار على أغصانها (بعد انقضاء المطر) كأنها قيان (نساء حسان مغنيات في مجلس خمر) .

(٤) حط رحله : قطع سفره ، استقر في بلد بعد بلد في أثناء السفر . الوجاه ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الباخزري (راجع ٤ : ٢٩٥) . المقصود الوجوه أو الوجهاء . الحجر : الحضن (ما بين فخذي الانسان اذا جلس) .

(٥) بأيهم اقتديت اهتديت : كل (شاعر) استمليت بعض شعره هو مطلوبي (اقتباساً من حديث الرسول : أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

(٦) وخط (استوى) القتير (الغبار ، كناية عن الشيب) = أصبح الشعر الابيض في رأسي مساوياً للشعر الاسود في المقدار . النذير : (الشيب) ينذر (يهدد) بقرب الموت . انضم الخيط الابيض (الشعرة البيضاء) من الفجر الى الخيط الاسود من الشعر . الاستعارة بعيدة ، ولعل المقصود : زاد الشيب في رأسي . خلى (ترك ، جعل) الفود (الشعر في جانب الرأس ، وهو يتأخر في الشيب عادة . فاذا شاب الفود فمعنى ذلك أن جميع شعر الرأس قد شاب) . مشتعلا (ملتهباً كالنار) ، قد عمه الشيب . اشتغل الفؤاد : أخذته الهموم (لقرب الاجل وانقطاع عمل الحياة) .

(٧) الذود : بضعة جمال . وفي المثل : من الذود الى الذود إبل (= باضافة بضعة جمال الى بضعة جمال يصبح لك قطعان ابل كثيرة – يقصد أنه جمع كتابه « دمية القصر » قليلا قليلا حتى تم) .



وذلك في شهور سَنَةِ أربعٍ وستينَ وأربعمائةٍ ....

وهذا حينَ أسوقُ صدرَ الكتاب الى العَجُزِ ... وكنت على ألاّ أزاودَ الثعالبيَّ في يتميته ولا أزجّه في كريمته الاّ ما تجذّبتْ شؤونُ الأحاديث اليه فأُفرِغَ كلامي عليه .... فكرّرْتُ في كتابي هذا أسماء قومٍ من أعلامِ العلوم الذين هم أسْنِمةُ الأدبِ وغَواربه ، ومنهم مَشارقُ الشعْرِ وفيهم مَغاربه ممّن رأيتُه وكان لقاؤه لعيني كُحْلاً أو سمعتُ به فكانت أخباره لسمعي نحلا[1] (!) .... واذا أنا كنزتُ على شعراء العصرِ جَريدةً فريدة ثم انتهيت الى مكانهم منها فأسقطت شُذورَهم من النِظام ، وطَفَرْتُ الى من وَراءهم طَفْرةَ النّظام لم آمنْ أن يُقالَ هذا رجلٌ ضيّق العَطَنِ قصير الشطنِ[2] قليلُ الثباتِ كثيرُ الوثَبَاتِ يتخطّى رِقابَ الأحياء الى رُفاتِ الأموات.....

فإنِ اتّفق من هذا الجنس شيء فلا مشاركة الا في اثبات الاسم ، والشرط ألاّ أعيد الاشعار التي تجمّلوا بها في كتبهم . وان أعدتّ ذكر الشاعر الذي تكثّروا بــه في صحفهم[3] .....

ولا أُخلّي اسمَ كلِّ فاضلٍ من إشارة الى سببٍ من أسبابه ، وإيماء الى نسبٍ مــن أنسابه . أللهمّ الاّ أقواماً ما عثرتُ بأساميهم في الدفاتر فاشتبهتْ عليّ أغفالهم ولم تفتح

---

(١) صدر الكتاب (أوله) وعجزه (آخره) : أصبح الكتاب جاهزاً من أوله إلى آخره . وكنت على (قصدت) ألا أزاود الثعالبي في يتيمته (ألا أجعل كتابي أكبر من كتابه بأن أضم الشعراء الذين ضمهم هو ثم أضم اليهم جماعة آخرين) . لاأزجه (أطمنه) في كريمته (كتابه القيم) ، أي أسرق منه.... إلا ما جاء من ذلك عرضاً فاتفق أن ذكرت في كتابي مثل ما ذكر في كتابه . نحلا (؟) لعلها نحلا (بضم النون مجانسة كحلا) : عطية .

(٢) أسقطت شذورهم (الشذور قطع صغيرة من الذهب توضع واحدة منها بين كل حبة وحبة من حبات اللؤلؤ في العقد) : تركت الذين ليس لهم الا قليل من الشعر . النظام (الخيط الذي تجمع به حبات العقد) . طفرت : قفزت (تركت) . طفرة النظام : الطفرة قضية من قضايا الفلسفة الرياضية وردت عند زينون الايلي (ت ٤٣٠ ق.م) تقول : اذا كانت المسافة بين نقطتين تتألف من نقاط غير متناهية ، فكيف يمكننا أن نقطعها في زمن متناه ؟ والجواب : إننا حينما نسير لا نمس جميع النقاط التي يتألف منها الخط الذي نتبعه في سيرنا ، بل نطفر (نثب ، نقفز عن نقاط من غير أن نمسها) . وقد تكلم أبو اسحق ابراهيم النظام (ت ٢٣١ هـ) في هذه القضية حــتى أصبحت جزءاً من عقيدته الفلسفية . يقصد المؤلف : لم أضم في كتابي جميع الشعراء الذين في زماني ؛ ولكني جمعت عدداً من أشعار الاحياء ولم آخذ شيئاً لأحد من الأموات (الذين سبقوا زمني) . العطن : مبرك الابل . ضيق العطن : قليل المال (قليل المادة الأدبية) . قصير الشطن (الحبل) : لا يستطيع أن يستقي من الآبار (لم يستطع أن يملأ كتاباً بشعر للأحياء فأضاف اليه شعراً من دواوين الشعراء الذي ماتوا) .

(٣) – احيانــاً أذكر اسم شاعر ورد في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ولكن أذكر له أشعاراً جميلة لم تذكر في اليتيمة .



على يدي أقفالهم (١) . والعُذرُ فيه أن الحُداةَ لم تتغنَّ بأشعارهم والرياحَ لم تهبّ بأخبارِهم والليالي لم تَطِنّ بأسمارهم (٢) ... وقد فهرستُ أساميَ الفضلاء ، ثمّ فرّقت عليها نظري أرؤساً وأقلاماً (لعلّها : أقداما) وجعلتُ طبقاتها المُرتّبة أقساماً . ثمّ أخرجتُ أقسامَ طبقاتِ الاسماء على عدد طباقِ السماء (٣) ، فلكلّ مقام مقال ، ولكلّ طبقة رجال ، وهم أزواج ثلاثة : منهم السابقون الاولون ، ومنهم اللاحقون المخضرَمون ، ومنهم المحدّثون العصريون .....

وقد سمّيت الكتاب « دُميةَ القصرِ وعُصرةَ أهلِ العصر » ....

ــ أسلوبه في سياقة التراجم : (ص ٩١ ــ ٩٢) :

حمد بن فُورَجّه : هو في الصنعةِ من الفُحول ، والتنبيهُ على فضله طرَفٌ من الفُضول . وشعره فرْخ شعر الأعمى ، أعني شاعرَ معرّةِ النُعمان ، وإن كان هـذا الفاضل مُنزّهاً عن معرّة العُميان (٤) ..... ومن أبكار معانيه قوله :

ما شأني حبْسٌ ، ولا ضَرّني ما جرّ من حادثِ إقتاري (٥) :
جرّبني الدهرُ بأحداثه تجرِبةَ الياقوت بالنار (٦)

٤ ــ دمية القصر وعصرة أهل العصر (نشرها محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٣٤٩هـ (١٩٣٠ م) ؛ (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

ملتقطات (مقتطفات) من شعر الباخرزي (في ذيل الخريدة) .

** معجم الادباء ١٣ : ٣٣ ــ ٤٨ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٨ ــ ٥٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٢ ، الملحق ١ : ٤٤٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٦ ــ ٢٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٥٢ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨١ .

---

(١) ما عثرت بأساميهم في الدفاتر (في الكتب المؤلفة). اشتبهت علي أغفالهم (أسماؤهم المرموز بها اليهم ، نحو : أبو الفرج = أبو الفرج الأصفهاني ، أبو الفرج بن النديم ، ابو الفرج بن هندو الخ ؛ العسكري = الحسن العسكري ، أبو أحمد العسكري ، أو هلال العسكري).

(٢) الحداة (سائقو الابل) لم تتغن باشعارهم : لم تنتقل أشعارهم (من بلد الى بلد فتصل الي). الرياح لم تهب بأخبارهم ، الليالي لم تطن بأسماهم : لم يشتهروا .

(٣) طباق السماء سبعة . راجع أقسام الدمية السبعة ، ص ١٧١ ، الحاشية .

(٤) شاعر معرة النعمان : ابو العلاء المعري .المعرة : العيب .

(٥) الإقتار : الفقر .

(٦) الياقوت لا يحترق بالنار (!)



الواحدي

١ ـ هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه الواحدي ، من أهل نيسابور، تلقّى العلم على شيوخ عصره في بلده ثمّ كان كثير الرحلة في طلب العلم . وقد سمّى شيوخه في مقدّمة « البسيط » (في شرح القرآن) فنقل ياقوت بعض ذلك (معجم الادباء ١٢ : ٢٦٢ — ٢٧٠) . بعدئذ قعد سنين للتدريس والإملاء ونال حظوة عند نظام الملك . وتوفّي الواحدي بعد مرض ، في جمادى الثانية ٤٦٨ (أوائل ١٠٧٦ م) ، في نيسابور .

٢ ـ كان الواحدي من أئمّة التفسير واللغة والنحو والأدب ، وله شعر قليل من شعر العلماء . ومصنّفاته كثيرة أشهرها تفاسيره للقرآن المجيد : البسيط (شرح واف مفصّل) ـ الوسيط (شرح وسط مختار من البسيط) ـ الوجيز (مختصر جداً). وله أيضاً نفي التحريف عن القرآن الشريف ـ أسباب النزول ـ كتاب تفسير النبي صلّى الله عليه وسلّم . وكذلك له : التحبير في أسماء الله الحسنى ـ المغازي ـ الإغراب في الإعراب (نحو) ـ شرح ديوان المتنبّي .

٣ ـ مختارات من كلامه

ـ التوطئة لتفسير القرآن . قال الواحدي : (معجم الادباء ١٢ : ٢٦٤) :

.... وقرأت الكثير من الدواوين واللغة حتّى عابني شيخي[١] ـ رحمه الله ـ يوماً وقال : إنّك لم تبق ديواناً من الشعر إلّا قضيت حقّه ، أمّا لك أن تتفرّغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرأه على هذا الرجل الذي تأتيه البعداء من أقصى البلاد وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار ـ يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي[٢] ـ فقلت : « يا أبت ، إنّما أتدرّج بهذا إلى ذلك الذي تريد ؛ وإذا لم أحكم الأدب بجدّ وتعب لم أرم في غرض التفسير من كثب[٣] ». ثمّ لم أغب زيارته[٤] في يوم من الأيام حتّى حال بيننا قدر الحمام[٥].

---

(١) شيخي : والدي .

(٢) أحد علماء تفسير القرآن الكريم (ت ٤٢٧ هـ ـ ١٠٣٥ م) له كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن وغيره .

(٣) لم أصب التفسير .

(٤) أغب الزيارة : قام بها يوماً بعد يوم . لم أغب زيارته : لم أترك زيارته (زيارة الثعلبي) يوماً .

(٥) الحمام : الموت .



٤ ــ أسباب النزول، القاهرة (مطبعةهندية) ١٣١٥هـ ؛ مصر ١٣١٦ هـ (معجم سركيس ص ١٩٠٥) ؛ القاهرة (مؤسّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع) ١٩٦٨ م.
شرح ديوان المتنبّي (حرّره ديتريصي) ، برلين (ميتلر) ١٨٦١ م ؛ بومبيْ ١٢٧١ هـ .
الوجيز في تفسير القرآن العزيز (بهامش « التفسير المنير لمعالم التنزيل لمحمّد بن عمر النوويّ ، مصر ١٣٠٥ هـ).
** دمية القصر ٢٠٣ ــ ٢٠٤ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٥٧ ــ ٢٧٠ ؛ أنباه الرواة ٢ : ٢٢٣ وما بعد ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٨ ــ ٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣٠ ؛ بروكلمان ١ : ٥٢٤ ، الملحق ١ : ٧٣٠ ــ ٧٣١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٩ .

الشريف البياضي

١ ــ هو الشريفُ أبو جعْفرٍ مسعودُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ المحسنِ بنِ الحسن بن عبد الرزّاق، قيلَ هومن نسل عبدِ الله بن عبّاس بنِ عبد المُطّلِب بن هاشمٍ . ويَرْجِـع لَقَبُه « البياضيّ » الى أنّه كان كثيرَ لُبْسِ الثيابِ البِيض ، وقيلَ بل لأنّ أحدَ أجداده كان في مجلسِ بعضِ الخلفاء العبّاسيّين في جماعةٍ يلبَسُونَ السّوادَ وهو وحدَهُ في ثيابٍ بيضٍ ، فقال الخليفةُ : من هذا البياضيُّ ؟ فمنْ هنا جاء لقبه . وكان مولدُ الشريف البياضيّ في بغدادَ ، وفيها أيضاً كانت وفاتُه في سادسِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤٦٨ هـ (٢٢/ ٦/ ١٠٧٦ م) .

٢ ــ الشريفُ البياضيّ شاعرٌ مُقِلٌّ مطبوعٌ مُجيد ، في بعضِ شعرِه جمالٌ ورِقّة . وأغراضُه الوصفُ والغزل والنسيب وبعضُ المديح .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال الشريفُ البيَاضي في النسيب :

يا من لَبِسْتُ لِبُعْدِه ثوبَ الضّنى ... حتّى خَفِيتُ بــه عن العُوّادِ ؛
وأنِسْتُ بالسّهَرِ الطويل فأنْسِيَتْ ... أجفانُ عَيْني كيف كان رُقـادي .
إن كان يوسفُ بالجَمال مُقَطّــعَ الـ ... أيْدي ، فأنتَ مُفَتّتُ الأكبـاد !

ــ وقال أيضاً (أشني = أشنأ : أبغض ، اقبح):

يا ليلةً بــاتَ فيها البدرُ مُعْتَنِقــي ... الى الصّباحِ بلا خوفٍ ولا حَذَرِ .
كلامُه الدُرُّ يُغْـني عن كواكِبِها ؛ ... ووجهُه عِوَضٌ فيهــا عن القمر .
فبينَما أنا أرْعى في محــاسنه ... سَمْعي وطَرْفِي إذ أنْذِرْتُ بالسّحَر .
ولم يكن عَيْبُها إلاّ تقاصُرُهــا ؛ ... وأيّ عيبٍ لها أشْنى من القِصَر !

وَدِدتُ لـو أنّها طالت عليّ ولـو أمْدَدتُها بسَواد القلب والبصر .

— وله قصيدةٌ مشهورةٌ مطلعُها : ان غاضَ دمعُكَ والرِكابُ تُساق ، قال فيها :

شَنّوا الإغـارةَ في القلوب بأعيُنٍ لا يُرْتَجـى لأسيرِها إطلاقُ .

ونَمى الحديثُ بأنَّهم نَذَروا دمي ؛ أوَلِي دَمٌ يـومَ الفِراق يُراق !

٤ — ** وفيات الاعيان ٣ : ٥٢٩ — ٥٣١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣١ — ٣٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١١٣ ؛ ابن الاثير ١٠ : ١٠١ — ١٠٢ .

ابن بابشاذ المصري

هو أبو الحسنِ طاهرُ بنُ أحمدَ بنِ بابشاذَ — بن باب بن شاذ (بغية الوعاة ٢٧٢) — ابن داوودَ بن سُليمانَ بنِ ابراهيمَ ، أصلُه من العِراق ، من الدَيْلم ، جاء جَدّه أو أبوه تاجراً (قيل في الجوهر ، أي اللؤلؤ) الى مصر* .

وُلِـدَ ابنُ بابشاذَ في مِصْرَ وسَمِـعَ من يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ اسماعيلَ النَجيرَميِّ (ت ٤٢٣ هـ) .

وقد وُلّيَ ابنُ بابشاذَ « مُتأمِّلاً » في ديوان الإنشاء في القاهرة : يتأمّل ما يَصْدرُ من هذا الديوانِ من السِجِلاّتِ والرسائل فيُصْلِـحُ ما فيها من الخَطأ (معجم الادباء ١٢ : ١٨) ، وكانَ ينَال على ذلك رِزْقاً حَسَناً (راتباً كبيراً) . وكذلك كان يتناول رزقاً على الإقراء (إقراء النحو) في جامع عمرو (في الفسطاط) .

وتزهّد ابن بابشاذ في أواخرِ عُمُرِه واعتزل الناسَ وسكن غرفة على سَطْح جامع عمرو . واتّفق أن خَرَجَ ليلةً الى السطح فزلّت قدمُه فسقط فمات ، في الرابـع من رَجَبَ من سَنَةِ ٤٦٩ (٢/ ٢/ ١٠٧٧ م) .

ابن بابشاذ نَحْويٌّ مشهورٌ ومُصنّفٌ قديرٌ . وقد جَمَعَ تَعْليقةً — قواعِـدَ وملاحظات ، يسمّيها ابن خلّكانِ « شكّة » (١ : ٤١٩) — تبلغ خَمْسَ عَشْرةَ مجلّدةً سمّاها النُحاةُ فيما بعدُ « تعليقُ الغرفة » (١) . هذه التعليقة انتقلت بعد موت ابن بابشاذ الى تلميذِه أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ بَرَكاتِ السَعيديّ النَحْويّ اللُغَويّ المتصدّر بمَوْضِعِهِ في جامع عمرٍو للاقراء والمتولّي مكانَه للتحرير في ديوان الانشاء ؛

(*) في بغية الوعاة (ص ٢٧٢) : ورد العراق تاجراً في اللؤلؤ وأخذ عن علمائها ورجع الى مصر .

(١) في بغية الوعاة (ص ٢٧٢) : تعليق الفرقة .



ثمّ انتقلتْ من أبي البركات الى أبي محمّد عبد الله بن بَرّيّ النحْوي ثمّ بعد ابن برّي الى صاحبه الشيخ أبي الحُسين النحْوي المَنبوز بثَلْط الفيل[1] ، وكان هؤلاء كلّهم يتصدّرون لإقراء النحو في جامع عمرو مكانَ ابن بابشاذ ويتولّوْنَ فيما يَبْدو مكانه في ديوان الانشاء لتحرير الرسائل والسجلاّت (إصلاحها من الخطأ اللُّغوي والنَّحْوي) . ولمّا مات أبو الحسين النَّحْوي انتقلتْ هذه التعليقةُ الى الملكِ ناصرِ الدين محمّدِ بن محمّدِ بن أيوبَ (ت ٦٣٥ هـ) ، وكان مُحِبّاً للعلم وذا عِنايةٍ بالنحو .

ولابن بابشاذ ، خِلافَ التعليقة : المقدّمةُ الكافية المُحْسِبَة[2] في فنّ العربيـة (في النحو) — شَرْح المقدّمة المحسبة — شرح الأصول لابن السرّاج — شرح النُخبة — شرح الجُمَل (للزجّاجيّ) .

٤ — ** معجم الادباء ١٢ : ١٧ — ١٩ ؛ انباه الرواة ٢ : ٩٥ — ٩٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤١٩ — ٤٢٠ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ ؛ بغية الوعاة ٢٧٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٥ ، الملحق ١ : ٥٢٩ ؛ زيدان ٣ : ٥٥ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣١٨ .

المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي

١ — هو أبو نصرٍ هِبةُ الله بنُ الحسينِ (أو ابن موسى) بن عِمْرانَ بن عليّ (أو ابن داوودَ) السَلْماني (نِسبةً الى سلمانَ الفارسيّ) . والراجحُ أن يكونَ هذا النسبُ مصنوعاً ليجمعَ فيه صانعُهُ من الأسماء الحسينَ وعليّاً وموسى بن عِمرانَ وداوودَ وسَلمانَ الفارسيّ . والمؤيّدُ في الدين لَقَبٌ متأخّرٌ على كلّ حال ، وهو العَلَم الصحيح على هذا الرجل .

وُلِدَ المؤيّدُ في الدين في مدينة شيرازَ ، نحوَ سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) ووَرِثَ المذهبَ الفاطميَ والدعوةَ إليه من أبيه في بَلَدٍ كان لا يزالُ مَذْهَبُ الناسِ فيـه السنّةَ . ففي آخرِ رَمَضان من سنة ٤٢٩ احتفَل المؤيّد في نَفَرٍ من أتباعِهِ بعيدِ الفِطْرِ — لأنّ هذا العيدَ كان عندَ الفاطميّين قبلَ عيدِ أهلِ السُّنّة بيومٍ[3] —

---

(١) ثلط الفيل : سلح (بسكون اللام : روث ، قذر) .

(٢) يرى بروكلمان أن القراءة الصحيحة « المحسبة » وهو يورد قراءات أخر (الملحق ١ : ٥٢٩ ، الحاشية الثانية) . أما في بغية الوعاة (٢٧٢) ومعجم الادباء (١٢ : ١٩) وفي حاشية في إنباه الرواة (٢ : ٩٥) نقلا عن بغية الوعاة فقد ضبطت هذه الكلمة « المحتسب » .

(٣) نلاحظ في أيامنا أن مثل هذه المخالفة في تقديم عيد الفطر (أو تأخيره) تحدث حتى في البلاد التي يعيش فيها السنة والشيعة معاً احتجاجاً برؤية الهلال أو عدم رؤيته .



فكادت تحدث فتنة في البلد فاضطر المؤيد إلى التنقل بين شيراز وبسا[1] والأهواز متخفياً حيناً وغير متخف حيناً آخر.

وبعيد سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٦ م) انتقل المؤيد في الدين الى مصر مركز الدولة الفاطمية آنذاك. ولكن الوزير صدقة بن يوسف الفلاحي[2] وآخرين من رجال الدولة الفاطمية حالوا بينه وبين الاتصال بالخليفة المستنصر الفاطمي مدة لأنهم لم يريدوا أن يشركهم في الدولة منافس جديد (ولذلك كانوا قد حجبوا المستنصر واستبدوا بجميع أمور الدولة). غير أن المؤيد في الدين استطاع الاتصال بالمستنصر في آخر شعبان من سنة ٤٣٩ هـ (٢٠/٢/١٠٤٨ م) ثم أخذ نفوذه يعظم في الدولة الفاطمية وأخذت مكانته ترتفع.

ثم افتتح المؤيد في الدين عهداً من المراسلة بينه وبين شيعة العراق للقضاء على الخلافة العباسية السنية لأخذ البيعة للخليفة الفاطمي، وكان رأس هذه الحركة في العراق رجلاً يعرف بالبساسيري[3]. ومع أن البساسيري استطاع أن يبسط شيئاً من النفوذ على واسط والبصرة وعلى بغداد نفسها وإقامة الخطبة للفاطميين[4]، بينما كان المؤيد في الدين قد استمال نفراً من الولاة في شمالي الشام وعدداً من القبائل ثم دخلت جيوشه ودعاته الى الموصل وحلب، فإن مجيء السلاجقة بقيادة أرطغرل بك قد بدل الحال وقضى على الحركة الفاطمية في المشرق.

عاد المؤيد في الدين إلى مصر حيث خلع عليه لقب داعي الدعاة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م)[5]. غير أن حياته بعد ذلك اكتنفها الغموض الكامل. ولعل وفاته كانت سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو بعد ذلك بقليل.

---

(١) بسا أو فسا بلدة في ايران الى الجنوب الشرقي من شيراز.

(٢) كان الفلاحي يهودياً ثم أسلم وولي الوزارة، سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ - ١٠٤٩ م) وقتل في السنة نفسها

(٣) البساسيري أحد قواد الجند الديلم من مدينة بسا أو فسا. وكانت الدعوة الفاطمية منتشرة في الديلم منذ كان المؤيد في ايران قبل انتقاله الى مصر (راجع فوق ص ١٤٣).

(٤) الخطبة: خطبة الجمعة والعيدين، وفيها يذكر اسم الخليفة. فذكر اسم شخص في الخطبة معناه مبايعته بالخلافة.

(٥) داعي الدعاة كان في الدولة الفاطمية صاحب منصب سام فهو رئيس الدعاة. و الداعي هو الذي يأخذ العهد وينشر الدعوة بين المستجيبين، فنسبة داعي الدعاة الى الامام (الخليفة الفاطمي) كنسبة الوصي الى الناطق. والناطق (الذي يبلغ الوحي عن جبريل عن الله، كمحمد رسول الله مثلا). التنزيل: (قبول الوحي وإلقاؤه على من حوله). أما الوصي (الذي يوصي الرسول به للناس حتى يتبعوه، كعلي بن أبي طالب مثلا) فله التأويل =



٢ – كان المؤيّدُ في الدين عالماً من علماء المذهبِ الفاطمي جَمَعَ آراءه وجادَلَ عنها شعراً في ديوانٍ له ونثراً في ثلاثة كُتُبٍ هي المجالسُ المؤيّدية أوسعُ كتبه وأهمّها ثم سيرةُ المؤيّد في الدين التي ترجَمَ فيها لنفسه (كتبَ فيها تاريخَ حياته بقلمه) ثم رسائلُه إلى أبي العلاء المعرّي في شأنِ امتناعِ المعرّيّ عن أكل اللحم.

شعر المؤيّدِ في الدين مُتَفاوتٌ أقله سَهْلٌ على شيءٍ من الرونق وأكثرُه جافٍ مَعَ شيءٍ من الغُموض لأنّ المؤيّدَ أرادَ أن يَبْسُطَ مذهبَ الفاطميين ويجادِلَ عنه، وليسَ ذلك من طبيعةِ الشعر الوُجداني. ويبدو أن مُبالغةَ المؤيّدِ في ذلك هي التي حادَتْ بشعرِه عن مَجْرَى الوُجْدان؛ فلقد كان ابنُ هانئٍ الأندلسيُّ (ت ٣٦٢ هـ) وتميمُ بنُ المُعزِّ الفاطميّ (ت ٣٧٩ هـ) وتميمُ بنُ المعزِّ الصنهاجي (ت ٥٠١ – ومكانُ هؤلاء من هذا الكتابِ في الجزء المُتعلِّق بالمغرب والأندلس – يُشيرون الى العقائدِ الفاطمية ثمّ يَظَلّون على شيءٍ كثيرٍ أو قليلٍ من الوُجدان.

فلا ريبَ في أن شعرَ المؤيد قد خَضَعَ في هذا البابِ لقَدْرٍ كبيرٍ من التكلف، بالإضافة إلى التكلّف في الصِناعة المعنوية والصناعة اللفظية اللتين كانتا من خصائِص العصر.

ويميلُ المؤيّدُ في الدين الى أن يكونَ ذاتياً في شعرِه يُكْثِرُ التكلّمَ عن نفسه، وإلى أن ينتقدَ الناسَ الذين عاش بينهم لشدّةِ ما لَقِيَ منهم – غير أنه لم يَنْقُمْ عليهم وإن كانَ أحياناً كثيرةً يَزْهَدُ في الدنيا ويَفْرَحُ بأنه مُقْبِلٌ على الموتِ وشيكاً وبسُرعة. ويرى محمدُ كاملِ حسينٍ أنّ المؤيّدَ كان متأثراً في شعره بالثقافة الفارسية وبالفنّ الشعري الفارسي. أما في مِصْرَ فقد اكتسبَ شعرُ المؤيّد عدداً من الخصائص المحلّيّة.

٣ – مختارات من آثاره

– قال المؤيّدُ في الدين داعي الدُعاةِ الفاطميُّ قصيدةً (رقم ٥، ص ٢١٥ – ٢١٨) يُجْمِلُ فيها عدداً من أوجهِ المذهبِ الفاطميّ (وفيها جانب من الوُجْدانِ الشِعريّ والسَلاسة). من هذه القصيدة:

= (تفسير الرموز الواردة في الوحي. – والذي يلمح أن الفاطميين لم يكونوا يرون مقاماً كبيراً للناطقين (الرسل الذين نزل الوحي عليهم كموسى وعيسى ومحمد) لأن هؤلاء كان عملهم تبليغ ما نزل عليهم من الوحي كما نزل. أما الذين كانوا يتولون تفسير الوحي وتأويل رموزه وشرح غامضه فالأوصياء أو الأسس (جمع أساس) كهرون بالاضافة الى موسى وشمعون الصفا (بطرس) بالاضافة الى عيسى وعلي بن أبي طالب بالاضافة الى محمد رسول الله (راجع ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، مقدمة محمد كامل حسين، ص ٥٥ – ٥٦، ثم ٥٣ – ٥٥).



إنّ أمرَ المَعادِ أكبرُ هَمّي ، فاهتمامي بِما عَداهُ فُضولُ[1] .

كَثُرَ الخائضونَ بحرَ ظَلامٍ فيه ، والمُؤنِسُو الضياءِ قليلُ[2] .

قال قومٌ : قُصْرَى الجميعِ التلاشي ؛ فِئَةٌ مُنتَهاهمُ التعطيلُ[3] .

وادّعى الآخَرون نَسْخاً وفسخاً ، ولهم غيرُ ذاك حَشْوٌ يَطولُ[4] ؛

وأبَوْا بعدَ هذهِ الدارِ داراً نحوَها كلٌّ من يَـؤولُ يؤولُ[5] .

لم يَرَوْا بعدَها مَقامَ ثوابٍ وعقابٍ لهم إليه وُصولُ[6] :

فالمُثابونَ عِندَهم مُتْرَفوهم ، ولذي الفاقةِ العذابُ الوَبيلُ[7] .

قال قومٌ — وهم ذَوُو العَدَدِ الجَمْـ ـمِ — : لنا الزَنْجبيلُ والسَلْسبيلُ[8] ،

ولنا بعدَ هذه الدارِ دارٌ طاب فيها المشروب والمأكول .

ولكل من المقالاتِ سُوقٌ وإمام ورايةٌ ورَعيلُ[9] .

ما لهم في قَبيلِ عقلٍ كَلامٌ ، لا ولا في حِمى الرشادِ قَبول ،

أمّةٌ ضيّع الأمانةَ فيها شَيْخُها الحاملُ الظَلوم الجَهول[10] .

---

(١) المعاد في الاسلام : بعث النفوس في أجسادها يوم القيامة للحساب ثم الخلود في النعيم (في الجنة) أو في العذاب (في النار) . وفي المذهب الفاطمي يفهم المعاد على ما جاء عند اخوان الصفا : رجوع الأنفس الجزئية (أنفس الأفراد) الى النفس الكلية (الى الله) . فضول : امر غير ضروري ولا يفيد .

(٢) كثر كلام أصحاب المذاهب في ذلك ، والذين آنسوا الضياء (النور ، أي عرفوا الحقيقة) قليلون .

(٣ و ٤) قصرى : ما يبقى في المنخل بعد النخل (وهنا : النتيجة) . التلاشي : العدم ، الفناء . التعطيل : القول بأن الله ليس له صفات أزلية .

النسخ : انتقال النفس الانسانية الى حيوان بهيم .

الفسخ : انتقال النفس الانسانية الى جماد (حجر ، حديد ، الخ) .

(٥ و ٦) جميع الذين ذكروا في البيتين السابقين ينكرون أن يكون للبشر دار غير هذه الدار (الدنيا) يعود الناس (النفوس) اليها ، للحساب (ثم الثواب والعقاب) .

(٧) — هؤلاء يعتقدون أن المنعمون في هذه الدنيا هم في الجنة ، والاشقياء في هذه الدنيا هم في النار (أي أن الحساب ، والثواب والعقاب والجنة والنار كلها في هذه الدنيا التي نحن فيها الآن — وكذلك يقول اخوان الصفا) .

(٨) قال قوم (يقصد أهل السنة من المسلمين) . العدد الجم : الكثير ، الكثرة ، جمهور الأمة . الزنجبيل : الخمر أو نبات له رائحة طيبة . السلسبيل : الخمر أو عين ماء في الجنة (ان الشاعر يخطئ علماء السنة الذين يفسرون القرآن تفسيراً ظاهراً ويجعلون الخلود في الآخرة جسمانياً) .

(٩) المقالات جمع مقالة : رأي أهل المذهب . الرعيل : الجماعة من الناس أو غيرهم (الاتباع) .

(١٠) أمة : أهل السنة من المسلمين . الامانة : وصية رسول الله بالخلافة لعلي بن أبي طالب . شيخها الخ : أبو بكر الصديق (لأنه قبل أن يتولى الخلافة بعد الرسول وهي لعلي) .

بِئْسَ ذاكَ الإنسانُ في زُمرةِ الإنسِ وشَيْطانُه الخَدوعِ الخَذولُ[1] .

فهُمُ التائهونَ في الارضِ هَلْكى : عِقْدُ دينِ الهُدى بِهِمْ مَحْلولُ ؛

نَكَسوا — وَيْلَهُمْ ! — ببابِلَ جَهْراً جُمَلَ ذا وراءها تفصيلُ[2] .

مَنَعوا صَفْوَ شَرْبَةٍ مِن زُلالٍ لَيسَ إلاّ بذاكَ يُشفى الغَليلُ[3] .

مَلَّكوا الدينَ كلَّ أُنثى وخُنْثى وضعيفٍ بغيرِ بأسٍ يَصولُ[4] .

صَرَّفوا فيه مَنْ علا جيدَهُ الغلُّ ، وأنّى يُصَرِّفُ المغلولُ[5] .

لو أرادوا حقيقةَ الدينِ كانوا تَبَعاً للذي أرادَ الرسولُ[6] ،

وأتَتْ فيه آيةُ النصِّ : بَلِّغْ ، يَوْمَ خُمٍّ لَمّا أتى جِبْريلُ .

ذاكُمُ المُرتضى عَلِيٌّ بِحَقٍّ ؛ فَبِعَلْياه يَنْطِقُ التنزيلُ[7] .

ذاك بُرْهانُ ربِّهِ في البَرايا ؛ ذاك في الأرضِ سَيْفُه المَسْلولُ[8] .

---

(١) شيطانه = شيطان أبي بكر : عمر بن الخطاب (لأن أبا بكر لم يكن يريد أن يتولى الخلافة فما زال به عمر حتى أقنعه) .

(٢) البيت في الاصل غير مفهوم . فاذ قرأنا « جملا » مكان « جمل » اتضح المعنى . نكسوا جملا : فسروا جملا (آيات من القرآن الكريم) تفسيراً منكوساً (مقلوباً ، خاطئاً) . ان هذه الجمل كانت « مجملة » (موجزة) تحتاج الى تفصيل (شرح وتأويل هم لا يعرفونه) . بابل : أرض الكوفة (كربلاء) . أعلنوا يومذاك أن قتال الحسين واجب لأنه خرج (ثار) على الخليفة يزيد بن معاوية — مع أن الخليفة في رأي الفاطميين كان الحسين ، وكان يزيد غير خليفة .

(٣) — منعوا الحسين أن يشرب قبل أن يحاربوه ويقتلوه . (راجع قصة مأساة كربلاء واستشهاد الحسين رضي الله عنه) .

(٤) ملكوا الدين (والخلافة عند الفاطميين — بخلاف ما هي عند أهل السنة — من أمور الدين لا من أمور الدنيا) كل أنثى (لعله يشير الى أن جماعة من المسلمين ساروا في جيش عائشة بنت أبي بكر وحاربوا علياً في معركة الجمل . وربما قصد الشاعر قبول أهل السنة بالاحاديث المروية من طريق عائشة ، بينما الشيعة كلهم لا يقبلون هذه الأحاديث) . خنثى (!) . وضعيف (لعل الشاعر يقصد عثمان بن عفان الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين) .

(٥) يضبط محمد كامل حسين « الغل » بفتح الغين ، و« يصرف » بفتح الراء المشددة (ديوان المؤيد ٢١٦) . والمعنى الباطن غير واضح لي .

(٦) للذي أراد الرسول : لعلي بن أبي طالب .

(٧) آية النص : الآية التي تنص (في رأي الفاطميين) عن خلافة علي للرسول . وفي رواية : آية النصر . — الملموح أن هذه الآية هي (٥ : ٦٧ ، سورة المائدة) : « يا أيها الرسول : بلغ ما أنزل اليك من ربك ؛ فان لم تفعل فما بلغت رسالته ... » يوم خم = يوم غدير خم ، يرى الشيعة أن علياً كان مع الرسول في سفر ، فلما وصلا الى غدير خم نزلا (وكان مع علي فاطمة والحسن والحسين) ، وأن الرسول أوصى يومذاك بالخلافة لعلي وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه » .

(٨) التنزيل : الوحي (القرآن الكريم) .

فأطيعوا جُهداً أولي الأمـرِ منهُمْ ، فلَهَمُ في الخلائقِ التَفضيل[1] :
أهلُ بَيْتٍ عَلَيْهِمُ نَزَلَ الذكْـرُ وفيه التحريمُ والتحليل[2] .
هُمْ أمـانٌ من العَمى ، وصِراطٌ مستقيمٌ لنا ، وظِلٌّ ظَليل[3] .
هاكُمُ منهُمُ بمِصْرَ إمـاماً هو بالنَفْيِ للشُكوكِ كَفيل[4] ،
جَدُّه المُصْطفى ، أبـوه عليٌّ ، أمُّه صَفْوَةُ النِساءِ البَتـول[5] .
فعَلَيْهِ السـلامُ ما دام لـه من الناس التسبيحُ والتهليل[6]

٤ – ديوان المؤيّد في الدين (نشره محمّد كامل حسين) ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٩ م .

سيرة المؤيّد في الدين داعي الدعاة : ترجمة حياته بيده (نشرها محمّد كامل حسين) ، القاهرة (الكاتب المصري) ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .

المجالس المستنصرية ، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ .

** بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٦٤ – ٦٥ .

عبد القاهر الجرجاني

١ – هو أبو بكرٍ عبدُ القاهر بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدٍ الجُرجانيُّ ، كان فارسيَّ الأصلِ من أهلِ جُرجانَ ، وُلِدَ فيها وأخذ فيها العلمَ عن أبي الحسنِ محمّدِ بنِ الحسين بن محمّد بن الحسين بن عبدِ الوارث الفارسيِّ النَحْويِّ (ت ٤٢١ هـ) . وقيل أخذ أيضاً عن أبي الحسن عليٍّ بن عبد العزيز الجرجانيّ (ت ٣٩٢ هـ –١٠٠٢ م) . ولم يغادر عبد القاهر الجرجانيّ جُرجانَ قطّ .

تصدّر عبدُ القاهر الجرجاني في بلده للتدريس . ويبدو أنّه قد تكسَّبَ بالشعر ، فقد مَدَحَ نِظامَ المُلْكِ أبا الحسنِ عليَّ بنَ الحسنِ الطوسيَّ وزيرَ السلاجقة الذي اغتاله الباطنيةُ سَنَةَ ٤٨٥ هـ ؛ ولكنّه لم ينلْ حَظوةً عند الممدوحين . ولم تُقْبِلِ الدنيـا على عبدِ القاهرِ الجرجانيّ فكان كثيرَ السُخْط على أحوالها وأمورها .

---

(١) أولي الأمر منهم (من آل البيت ، من نسل علي من فاطمة) . جهداً : بكل طاقتكم .

(٢) عليهم = على أولهم (على محمد رسول الله) . الذكر : الوحي (القرآن الكريم) ، وفي القرآن الكريم نجد ما حلله وما حرمه الله (ما أمرنا به وما نهانا عنه) .

(٣) ونجاة يوم القيامة .

(٤) – ان وجود الامام (المستنصر) في مصر قائماً بالخلافة دليل على أن الخلافة للفاطميين .

(٥) أبوه : أحد آبائه (أجداده) . البتول (فاطمة بنت رسول الله وزوج علي) .

(٦) تبيان مقام الامام في العقيدة الفاطمية خارج عن تفسير هذه القصيدة في مقامنا هذا .

وكانت وفاةُ عبدِ القاهر الجرجاني في بلدهِ جُرجانَ سَنَةَ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) في الأغلب .

٢ ـ كان عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ من أئمّة اللغة والنحو والأدب عَزيزَ العلمِ ؛ قيل فيه : هو مؤسّسُ علمِ البَيانِ ، ولا ريب في أنه خَطا بعلمِ البيان والبَلاغة نحوَ شيء من التنظيم والتعليلِ المَنْطِقي ، فلقدكان أشْعَرِيَّ المذهبِ في علم الأصول (أي فَقيهاً مُتكلّماً) ، ويبدو أنّه طبّق شيئاً من أُصولِ علم الكلام على البلاغة .

وعبدُ القاهر الجرجانيُّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ له في النحو : المُغْني في ثلاثين مجلّداً ـ المقتصد (تلخيص للمغني) في ثلاثة مُجلّدات ، فَرَغَ من تأليفهِ سَنَةَ ٤٥٤ هـ ـ التكملة (لعلّه استدراك على كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ المتوفّى ٣٧٧ هـ) ـ الإيجاز (وهو اختصارٌ لكتابِ الايضاح المذكور) ـ العواملُ المائةُ (أو مائةُ عاملٍ) ـ الجُمَل (اختصار لكتاب العوامل المائة) ، ويُعْرَفُ أيضاً باسم الجُرجانية، وقد شَرَحَه علماءُ كثيرون ـ التلخيص (شرح لكتاب الجمل) ـ العمدة (في التصريف) .

ولعبد القاهر الجرجانيُّ أيضاً : كتاب في العَروض ـ المختار من دواوين المتنبّي والبُحْتري وأبي تَمّام ـ شرح (سورة) الفاتحة ـ المعتضد (شرحٌ على كتابه « إعجاز القرآن) ـ الرسالة الشافية في الإعجاز (في عَجزِ البشر عن مُعارضة القرآن الكريم في الإتيان بشيء من مثله) ـ المفتاح .

واشتهر عبدُ القاهر الجُرجاني بكتابينِ : « دلائلِ الإعجاز » و « أسرار البلاغة » :

أ ـ دلائلُ الإعجاز : هو كتاب في إعجاز القرآن ، أي أن القرآنَ الكريم في أعلى دَرَجات الفصاحة والبلاغة (من حيثُ التعبيرُ) حتّى أن العربَ قد عَجَزوا عن أن يُعارضوه (يُقلّدوه ، يأتوا بشيء من التعبير عن مقاصدِهم يُشْبِهُ ما جاء فيه) مَعَ أن العربَ يومَ نَزَلَ القرآنُ كانوا مَعْدِنَ الفَصاحة وأربابَ البلاغة . ولم يكن عَجْزُ العربِ عن الإتيان بشي من مِثْلِ ما جـاء في القرآن لأنّ القرآنَ في نفسهِ مُعْجِزٌ فقطْ ، بل لأنّ القرآن قد بَهَرَهُمْ أيضاً حتّى أقرّ في أنفسِهم أنهم عاجزونَ عن مِثْلِ ذلك . ويتكلّمُ عبدُ القاهر الجرجانيّ في هذا الكتاب على وجوهِ من النحو والبلاغة والشعر كلاماً يدلُّ كلّه على عَجْزِ البشر عن مُجاراةِ أسلوبِ القرآن (أو أساليبِ القرآن) في تصريفِ وجوهِ الفصاحة والبلاغة في مواضعها .

ب ـ أسرارُ البلاغة : في البيانِ خاصّةً وفي المعاني والبديع ، وكان بَحْثُهُ في هذهِ الأوجه من البلاغة أوسعَ في هذا الكتاب ممّـا جاء في كتاب « إعجاز القرآن » .

وفي هذا الكتاب أيضاً يَعْرِضُ عبدُ القاهر الجرجانيّ لرأيه في الإعجاز ، وذلك أن الألفاظَ لا تُوجِبُ حكماً ولا يبدو فيها جَمالٌ إلاّ إذا أُلِّفَتْ نوعاً من التأليف ثمّ انْطَوَتْ على مَعْنىً . وفي الكتابيْنِ (إعجازِ القرآنِ وأسرارِ البلاغة) وجوهٌ مِن الشَبَهِ في الموضوعاتِ المطروقة وفي الأمثلة المضروبة .

ولعبدِ القاهر الجرجانيّ شِعرٌ من شعر العلماء بعضُه في المديح وأكثرُه في الشكوى والأدب . ثمّ هو بلا ريبٍ ناقدٌ من الطَبَقة الرفيعة .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من فاتحة كتاب « أسرار البلاغة » :

اعلَمْ أنّ الكلامَ هو الذي يُعطي العلومَ منازلَها ويُبَيِّنُ مراتبَها ويَكْشِفُ عن صوَرِها ويَجْني صُنوفَ ثَمَرِها ويَدُلّ على سرائرِها ويُبْرِزُ مكنونَ ضمائرِها . وبه أبانَ اللهُ تعالى الإنسانَ من الحَيَوان [١] ونبّه فيه على عظيمِ الامتنان ، فقال ــ عزّ مِنْ قائلٍ ــ « الرحمنُ علّمَ القُرآنَ . خلَقَ الإنسانَ ، علّمه البيانَ »[٢] . فلولا (الكلامُ) لم تكُنْ لِتَتَعَدّى فوائدُ العلم عالِمَه ، ولا صحّ من العاقل أن يَفْتُقَ عن أزاهيرِ العقلِ كمائِمَه[٣] ، ولتَعَطّلَتْ قُوى الخواطرِ والأفكارِ مِن معانيها ......

وإذا كان هذا الوصفُ مُقَوِّمَ ذاتِه[٤] وأخصَّ صفاته ، كان أشرفَ أنواعه ما كان فيه أجْلى وأظْهرَ .... والألفاظُ لا تُفيدُ حتى تُؤَلَّفَ ضَرْباً خاصّاً من التأليف ويُعمَدَ بها إلى وَجْهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب .... وهذا الحُكْمُ ــ أعني الاختصاصَ في الترتيب ــ يَقَعُ في الألفاظِ مُرَتّباً على المعاني المرتّبةِ في النفسِ المنتَظِمَةِ فيها على قَضيّة العقل[٥] ....

وههنا أقسامٌ قد يُتَوَهَّمُ في بدءِ الفِكْرة ، وقبل تمامِ العِبْرة ، أنّ الحُسْنَ والقُبْحَ فيهما لا يَتَعدّى اللّفْظَ والجرْس[٦] الى ما يُناجي فيه[٧] العَقْلُ والنفس ......

---

(١) أبان الانسان من الحيوان : فرق أحدهما من الآخر (فضل الانسان) .
(٢) الكمائم = الاكمام : كأس الزهرة (الأوراق الخضر التي تضم الزهر قبل تفتحها) .
(٣) ذاته = ذات العلم ، جوهره وحقيقته .
(٤) المقصود = أن ترتيب الكلام تابع لترتيب المعاني في العقل .
(٥) الجرس (بفتح الجيم أو بكسرها): الصوت أو الصوت الخفي ، نغمة اللفظة .
(٦) ما يناجى به العقل والنفس : ما يتعلق بالفكر والعاطفة .
(٧) السماحة : الكرم . مذهب : طريقة ، مبدأ . مذهب : انصراف ، ابتعاد (عن أمر ما) .

(فمنَ ذلكَ) التجنيسُ والحَشْوُ .

أمّا التجنيسُ ، فانّكَ لا تستحسنُ تجانُسَ اللفظتينِ إلاّ إذا كان موقعُ مَعْنَيَيْهِما من العقل مَوْقِعاً حميداً ، ولم يكُنْ مَرْمى الجامعِ بَيْنَهما مرمىً بعيداً . أتراكَ استَضْعَفْتَ تجنيسَ أبي تمّامٍ في قولهِ :

ذَهَبَتْ بمَذْهَبِهِ السماحةُ فالْتَوَتْ فيه الظنونُ : أمَذْهَبٌ أم مَذْهَبُ ؟

واستَحْسَنْتَ تجنيسَ المُحْدَثِ[1] :

ناظِراهُ في ما جَنَى ناظِراه أوْ دَعاني أمُتْ بما أوْدَعاني !

لأمرٍ يَرْجِعُ إلى اللفظِ أم لأنكَ رأيتَ الفائدةَ ضَعُفَتْ (في) الأوّلِ وقَوِيَتْ في الثاني ؟ ..... فقد تبيَّنَ لكَ أنّ ما يُعْطي التجنيسَ من الفضيلةِ أمرٌ لا يَتِمُّ إلاّ بنُصْرةِ المعنى ؛ إذ لو كان باللفظِ وحدَهُ لما كان فيه مُسْتَحْسَنٌ ، ولَما وُجِدَ فيه إلاّ مَعيبٌ مُسْتَهْجَنٌ . ولذلكَ ذُمَّ الإكثارُ منه والوُلوعُ به .

وقد تَجِدُ في المتأخّرينَ الآنَ[2] كلاماً حَمَلَ صاحبَهُ فَرْطُ شَغَفِهِ بأمورٍ تَرْجِعُ إلى ما له اسْمٌ في البديعِ الى أن يَنْسى أنّه يَتَكَلَّمُ لِيُفْهِمَ ويقولُ لِيُبينَ[3] ، ويُخَيَّلُ إليه أنّه إذا جَمَعَ بين أقسامِ البديعِ في بيتٍ فلا ضَيْرَ[4] أن يَقَعَ ما عَناه في عَمْياءَ ، وأن يُوقِعَ السامعَ من طلبهِ في خَبْطِ عَشْواءَ[5] . وربّما طَمَسَ ــ بكَثْرَةِ ما يَتَكَلّفُهُ ــ على المعنى وأفسدَهُ ، كَمَنْ ثَقَّلَ العروسَ بأصنافِ الحُلِيِّ حتّى يَنالَها من ذلك مكروهٌ في نفسِها ....

واعلَمْ أنّ غَرَضي في هذا الكلامِ الذي ابتَدأتُه والأساسِ الذي وضعتُه أن أتوَصّلَ الى بَيانِ أمرِ المعاني كيفَ تتّفقُ وتختلفُ ، ومن أينَ تجتمعُ وتفترقُ ، وأفصّلَ أجناسَها وأنواعَها ، وأتَتَبّعَ خاصها ومَشاعَها ، وأُبَيِّنَ أحوالَها في كَرَمِ

---

(١) ناظراه : (فعل أمر للمثنى من ناظر : جادل) . ناظراه : عيناه. أو دعاني (لفظتان) ،دعاني : اتركاني . أودعاني (لفظة واحدة : فعل ماض للمثنى الغائب مع ضمير متصل هو فاعل ثم نون الوقاية ثم ضمير آخر متصل هو مفعول به) : ضما في .

(٢) في زمن عبد القاهر الجرجاني (القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي) .

(٣) يبين : يفصح ، يوضح .

(٤) لا ضير : لا ضرر .

(٥) أن يقع ما عناه في عمياء : أن يكون المعنى الذي قصده الكاتب غامضا على السامع . ان يوقع السامع من طلبه (طلب ما عناه الكاتب) في خبط عشواء (في تخيل عدد من المعاني من غير أن يهتدي الى المعنى المقصود) .

مَنْصِبِها * وتَمَكُّنَها في نِصابِهِ وقُرْبَ رَحِمِها [1] منه أو بُعْدَها حين تُنْسَبُ إليـه .

– ولعبدِ القاهرِ الجُرجانيُّ في الشكوى من الممدوحين البخلاء :

لا تأمنِ النَفْثَةَ من شاعرٍ ما دامَ حيّاً سالماً ناطقا[2] ،
فانَّ من يَمْدَحُكُمْ كاذباً يُحْسِنُ أن يَهْجُوَكم صادقا !

– وبالغَ في التشاؤمِ ولم يُصِبِ التعبيرَ الموفّق لما قال :

كَبِّرْ على العِلْمِ ولا تَرُمْهُ وَمِلْ الى الجهلِ مَيْلَ هائم[3] .
وعِشْ حماراً تَعِشْ سعيداً ، فالسعدُ في طالعِ البهائم[4] !

٤ – دلائل الاعجاز (تحقيق محمّد رشيد رضا) ، مصر (مطبعة الترقّي) ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ ؛ (صحح أصله الشيخ محمّد عبده والشيخ محمّد الشنقيطي) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٢١ هـ ، الطبعة الثانية ١٣٣١ هـ ؛ مصر (مطبعة الفتوح الأدبية) ١٣٣١ هـ ؛ (حقّقه محمّد بن تاويت) ، تطوان (المطبعة المهدية) بعيد ١٩٥٠ م .

أسرار البلاغة ، دمشق ١٣٠٩ ، ١٣١٩ ، ١٣٤٤ هـ ؛ (وقف على طبعه محمّد رشيد رضا) ، القاهرة (مطبعة الترقّي) ١٣٢٠ هـ ؛ مصر (مطبعة عيسى البابي الحلبي) الطبعة الثالثة ١٩٣٩ م ؛ (تحرير هـ. ريتّر) ، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٥٤ م .

العوامل المائة (تحرير أربينوس) ، ليدن ١٦١٧ م ؛ كلكتّا ١٨٠٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٨ ، ١٨٩٧ ؛ بولاق ١٢٤٧ هـ ؛ تبريز ١٢٩٢ هـ .

المختار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمّام (في « الطرائف » لعبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .

شعر الجرجانيّ (في « الطرائف » – راجع الكتاب السابق) .

(*) مكانتها وسمو قدرها في العقل .

(١) الرحم : القرابة . النصاب : الاصل والمرجع (بكسر الجيم) : النطاق أو الإطار الذي يكون فيه أمر من الأمور . ، المكان المخصوص بالشيء .

(٢) النفثة : النفخة اليسيرة يحاول أن يخفف بها الانسان بعض ما يشكو منه من الضيق .

(٣) كبر على العلم (أربع تكبيرات : صل عليه صلاة الجنازة) يقصد : أن العلم قد مات ، لم يبق منه فائدة . الهائم : المحب المدله بالحب . في طالع البهائم – تعبير معناه أن المولود يكون سعيداً أو شقياً في حياته بحسب النجم الذي يكون طالعاً في يوم مولده ، فجميع البهائم (الناس الجهلة) قد ولدوا في أيام كانت فيها كواكب السعود طالعة ، وجميع البشر (الناس العاقلون المتعلمون) قد ولدوا في الأيام التي كانت فيها كواكب النحس مشرقة (وفي بروج السماء التي تنزل فيها الكواكب اسماء حيوانات : برج الاسد – برج الحمل – برج المقرب) .

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّانيّ والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني (تحرير محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

الرسالة الشافية (طبعت مع « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ راجع الكتاب السابق) .

** عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، تأليف أحمد أحمد بدوي (أعلام العرب٨) الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٦٢ م .

دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير ، تأليف عبد الهادي العدل ، القاهرة (دار الفكر الحديث) ١٩٥٠ م .

عبد القاهر والبلاغة العربية ، تأليف محمّد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٩٥٢ م.

نظرية عبد القاهر في النظم ، تأليف الدكتور درويش الجندي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ م .

دمية القصر ١٠٨ ؛ طبقات السبكيّ ٣ : ٢٤٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٨٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٧٨ـ ٣٧٩ ؛ بغية الوعاة ٣١٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤١ـ ٣٤٢ ، الملحق ١ : ٥٠٣ ـ ٥٠٤ ؛ زيدان ٣ : ٤٦ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٧٤ .

ابن حيوس

هو[1] الأميرُ مُصطفى الدولةِ أبو الفتْيانِ محمدُ بنُ سُلطانِ بنِ حَيّوسٍ من قبيلة غَنِيٍّ بن أعْصُرٍ التي كانت في الجاهلية تَسكُنُ نجداً ثم نَزَحَتْ طوائفُ منها الى العِراقِ والجَزيرة والشامِ . ثم رأينا حَيّوساً من أهلِ دِمَشْقَ وعلى شيءٍ من الوجاهة والعلمِ .

وُلِدَ الشاعرُ ابنُ حيّوسٍ في دِمَشْقَ آخِرَ صَفَرَ من سَنَةِ ٣٩٤ هـ (٢٨/ ١٢/ ١٠٠٣ م) . وتلقّى طَرَفاً صالحاً من العِلم على والدِه وعلى خالهِ القاضي أبي نصرِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ هرونَ المعروفِ بابنِ الجُنْديّ الغَسّاني ثم على نَفَرٍ من العلماء والأدباء لا نَستطيعُ اليومَ أن نَقْطعَ بأسمائهم .

وفي ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) جاء أنُوشْتكين الدزبري أحدُ قُوّادِ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطمي إلى دِمَشْقَ فَلَقِيَه ابنُ حَيّوسٍ ؛ وكانَ لهذا اللقاء أثرُه في نفسِ الشاعر . ولما احتجب الحاكم (٤١١ هـ = ١٠٢٠ م) انتقض نَفَرٌ من أمراءِ البَدْوِ على الحُكْمِ الفاطميّ : استبدّ حَسّانُ بنُ المُفَرِّج الطائيُّ بجَنوبِ فِلَسْطين ، وسِنانُ بن عُلَيّانِ

(١) راجع مقدمة ديوان ابن حيوس لخليل مردم .



الكَلْبي بدِمَشْقَ ، وصالحُ بنُ مِرداسٍ الكِلابيّ بحَلَبَ ؛ ثم استتبَّ الأمرُ لهم بِضْعَ سَنَواتٍ . ولكنّ الدِّزْبَريَّ استطاعَ الاستيلاء على دِمَشْقَ سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ثم على حَلَبَ (٤٢٩ هـ) ، فانقطع إليه ابن حيّوس وأصبح شاعره .

ولما تُوُفِّيَ الدزبري (٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م) مدح ابنُ حيوس نَفَراً من وُلاةِ الفاطميين على دِمَشْقَ ، ولكنّ انقطاعَه كان إلى الوزيرِ أبي محمدٍ الحسنِ بن عليٍّ اليازوري* (٤٤٢ = ٤٥٠ هـ) . ثم زادَ اضطرابُ الدولةِ الفاطمية فثارَ أهلُ دِمَشْقَ (٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ م) بأميرِ الجيوشِ بدرٍ الجماليِّ والي الشام واضْطَروه إلى الخروجِ من قصرِ الإمارة ، فكانَ ذلك إيذاناً بزوالِ حُكْمِ الفاطميين . وغادرَ ابنُ حَيّوسٍ دِمَشْقَ الى طَرابُلُسَ (٤٦٤ هـ) لِيَمْدَحَ صاحبَها أمينَ الدولةِ ابنَ عمّارٍ . غيرَ أنّ أمينَ الدولة تُوُفِّيَ في رَجَبَ من سنة ٤٦٤ . وفي طَرابلُسَ لَقِيَ ابنُ حَيّوسٍ أسامةَ بنَ مُنْقِذٍ فنَصَحَهُ أُسامةُ بأنْ يَفِدَ على مَحْمودِ ابنِ نَصْرٍ المِرْداسيِّ صاحبِ حَلَبَ ؛ فأكرمَهُ محمودٌ وجعَلَ له ألفَ دينارٍ في كلِّ عام . ثم تُوفّي محمودٌ وَشيكاً (٤٦٧ هـ = ١٠٧٤ م) فخلَفَهُ ابنُه نَصْرٌ فاستمرَّ ابنُ حَيّوسٍ في مدحِ نصرٍ . وقُتِلَ نَصْرٌ يومَ عيدِ الفِطْرِ من سنة ٤٦٨ (١٠٧٦ م) فخلفه أخوه سابقٌ . وكانت حَظْوَةُ ابنِ حَيّوسٍ عند سابقٍ كحَظْوتِه عند أخيهِ وأبيهِ من قبلُ .

ثم انقضتْ دولةُ آل مِرداسٍ سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وخلفَتْها دولةُ بني عقيل التي كانت تَمْلِكُ المَوْصِلَ وما وراءها ؛ وحَكَمَ حَلَبَ منهم شَرَفُ الدولةِ أبوالمكارمِ مُسْلم بن عقيل . ومدح ابنُ حَيّوسٍ شَرَفَ الدولة فأجْزَلَ شرفُ الدولةِ عَطيّتَهُ . وكانت وفاةُ ابنِ حَيّوسٍ بعدَ ذلك بمدةٍ يَسيرةٍ في شَعبانَ من سنة ٤٧٣[1] ، في حَلَبَ .

٢ ــ ابنُ حَيّوسٍ شاعرٌ مُحْسِنٌ كان يُعارِضُ[2] أبا تمّامٍ ويذهب مذهبَه في الصنعةِ وفي الوَلَعِ بالجِناسِ ؛ كما كان يُحاول تقليدَ البُحْتُريّ في ديباجتِه . وابنُ حيوسٍ أفضلُ شعراءِ الشامِ بعدَ المَعَريّ ؛ ثم هو فَصيحُ الألفاظِ متينُ التركيب

(*) يازور قرية على بعد ميل من يافا (فلسطين) شمالا .
(١) يبدأ عام ١٠٨١ م في منتصف شعبان من سنة ٤٧٣ هـ .
(٢) عارضه : سار معه (قلده ونظم مثل شعره) .

طويلُ النَفَسِ غيرُ مُتفاوتِ الشِعْرِ ، وفي شعره أثرٌ لثقافتهِ الواسعة . على أنّ أحسنَ شعرِهِ ما قاله في أواخرِ حياته .

تناول ابنُ حيوسٍ في قصائده فنوناً كثيرة ؛ ولكنّ أوسعَ فنونهِ وأحسنَها المديحُ . وله شيء يسيرٌ من الوصف والغزَل والرثاء والتذكُّرِ للوطنِ بعدَ أن هَجَرَ دِمَشْقَ .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن حيّوس يمدح ناصر الدولة بن حمدان (وبنو حمدان من تَغْلِبَ) :

سأصْبِرُ صبرَ الضبِّ، والماءُ ذو قذًى ؛ وأمشي على السَّعدان، والذُّلّ مركبُ[١]،

وأقفو بعزمي أسرةً تغْلَبيّةً الى الموت – مما يُكْسِبُ العارَ – تَهْرُب.

ولست كمن أنحى عليه زمانُه فظلّ على أحداثه يَتَعَتَّبُ[٢] :

تَلَذّ له الشكوى – وان لم يُفِدْ بها صلاحاً – كما يَلْتَذّ بالحكّ أجرب .

رَغِبْتُ بنفسي أن أكون مُصاحباً أناساً اذا قِيدوا الى الذلّ أصحبوا[٣]،

فجاورت مَلْكاً تستهلّ يمينُه نَدًى حين يرضى أو ردى حين يغضب.

تدور كؤوس الحمد حيناً فينتشي ، وطورا تُصِلُ المُرْهَفات فيطرب[٤] .

خلائقُ كالماء الزلال ، وتحتها من العزم والإقدام نارٌ تَلَهَّبُ .

ثَبَتَّ ثباتاً لم يكن لابن مُسْلِمٍ ، وأوتيت صبراً لم يَنَلْهُ المُهَلَّب[٥] .

وكم زرتَ أحياء فلم يُغْنِ عنهمُ طِعانٌ ، ولا نجّاهمُ منك مهرب[٦] ؛

---

(١) الضب حيوان كالحرذون (عظاءة) يصبر على العطش . السعدان نبات ذو شوك . – اذا كان الماء ذا قذر وكدر فضلت أن أبقى بلا شرب ، واذا عرضوا علي مركباً ليناً يذل نفسي فضلت أن أمشي على الشوك . = أفضل كرامة نفسي على لين العيش .

(٢) أنحى عليه زمانه : أقبل عليه بالمصائب . يتعتب : يصف ما نزل به من المصائب ، يشكو ، يعجز عن التجلد .

(٣) اذا قيدوا الى الذل أصحبوا (تبعوا ، قبلوا) : اذا سيموا الذل رضوا به .

(٤) كؤوس الحمد : المديح ، ذكر الاعمال المجيدة . ينتشي : يثمل ، يسكر من الاغترار . تصل المرهفات : تحدث المرهفات (السيوف) صوتاً .

(٥) ابن مسلم = قتيبة بن مسلم . المهلب = المهلب بن أبي صفرة ، وهما من القادة العظام في أيام بني أمية .

(٦) أحياء : أحياء من الاعراب ، قبائل . – فكم من مرة جهزت حملات على القبائل الثائرة فلا هم استطاعوا أن يقابلوك بالحرب ولا أن يهربوا منك فهلكوا .

يَوَدّون مُذْ صار الصباحُ طليعــةً ... لجيشك أن الدهــر أجمعَ غَيْهَبُ[1] .

فهل لك في من لا يَشينك قربُه ، ... ويُعْرِبُ إن أثنى عليك ويُغْرِب[2] .

اذا صاغ مدحا خِلْتَه من مُــزَيْنَةٍ ، ... وتَحْسَبُه من عُذْرَةٍ حين يَنْسِب[3] .

قوافٍ هِيَ الخمر الحلال وكأسُهــا ... لساني ، ولكنْ بالمســامع تُشْرَب .

٤ – ديوان ابن حيّوس (خليل مردم) ، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

** الوافي بالوفيات ٣ : ١١٨ – ١٢١ ؛ المحمدون من الشعراء ٣٦٣ – ٣٦٤ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ٧٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٧٧ – ٣٨١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٣ – ٣٤٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٥٦ ؛ زيدان ٣ : ١٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٩٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٧–١٨.

ابن الشبل البغدادي

١ – هو أبو علي الحسينُ[4] بنُ عبدِ الله بنِ يوسفَ بنِ أحمدَ بن شبلٍ البَغْداديُّ ، ولِدَ في بغداد ونشأ فيها . وقد سَمِــعَ غريبَ الحديثِ من أحمدَ بنِ عليٍّ الباذي وأخذ عن أبي نَصْرٍ يحيى بن جريرٍ التكريتي . ويبدو أنه قد قضى حياتَه كلّها في بَغدادَ ، فقد رآه الباخرزي فيها سَنَةَ ٤٦٤ هـ أو بعدَ ذلك بقليلٍ[5] ، وكان آنذاك من ساداتِها الوُجهاء وشعرائها الكِبار وقُضاتِها (؟) .

وكانت وفاة ابن الشبل البغدادي في بغدادَ في المُحرّمِ من سنة ٤٧٤[6] .

٢ – كان ابنُ الشبلِ البغداديُّ متميّزاً بالحكمة والفلسفة خَبيراً بصناعة الطبّ وبالفلك ، وأديباً فاضلاً وشاعراً مُكْثِراً مُجيداً . وفنونُه الادبُ (الحكمة) والرِثاء والنسيب ، وله شيءٌ من الوصف والخمر . وعلى أُسلوبه نفحةٌ أُموية متينة حيناً ونفحةٌ مُحْدَثةٌ رقيقة حيناً آخرَ .

---

(١) تعودت أن تغزوهم في الصباح (حتى لا تباغتهم ليلا وهم على غير استعداد ، شهامة منك) فكانوا يودون أن لو كان الدهر كله غيهبا (ليلا) حتى يأمنوا غزواتك .

(٢) يشينك : يعيبك . أثنىٰ عليك : مدحك . أعرب : أبان (فضلك) . أغرب : ذكر فضائلك الغريبة (التي يعرفها قليل من الناس) .

(٣) – مديحه كمديح زهير بن أبي سلمى المزني ، ونسيبه (غزله) كنسيب جميل بن معمر العذري .

(٤) في الوافي بالوفيات (٣ : ١١) وفي فوات الوفيات (٢ : ٢٤٤) محمد بن الحسين ، والاغلب أنه خطأ .

(٥) دمية القصر ٨٣ ، راجع ٦ .

(٦) تبدأ السنة الهجرية ٤٧٤ في ١١ /٦ /١٠٨١ م .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ الشبلِ البغداديُّ قصيدةً رائيةً مشهورةً سارت بها الرُكبانُ وتَداولها الرُواةُ ؛ على أن فيها شبهاً بقصيدةٍ للبُحتريّ(١) . وفي هذه القصيدةِ إشاراتٌ الى عددٍ من آيِ القُرآنِ الكريم والى عددٍ من قضايا الفِقْه وقضايا الفلسفة ومن قضايا الفلك على الاخصّ . ولعلّ فيها أيضاً لَمَحاتٍ من التصوّف .

من هذهِ القصيدةِ الرائيةِ لابن شبل البغداديّ :

بربّكَ ، أيها الفَلَكُ ، المُدارُ : أقَصْدٌ ذا المسيرُ أمِ اضْطِرارُ(٢) ؟

مَدارُكَ – قُلْ لنا – في أيِّ شيءٍ ؟ ففي أفهامِنا منه انبهارُ(٣) !

وفيك نرى الفضاءَ ؛ وهل فضاءٌ سوى هذا الفضاءِ بهِ تُدارُ(٤) ؟

وعِندكَ تُرفَعُ الارواحُ ، أوْ هلْ مَعَ الأجسادِ يُدْرِكُها البَوارُ(٥) ؟

ومَوْجٌ ذي المَجَرّةُ أم فِرِنْدٌ على لُجَجِ الذِراعِ لها مَدارُ(٦) ؟

وطوقٌ للنجوم – إذا تَبَدّى – هِلالُكَ أمْ يَدٌ فيها سِوارُ(٧) ؟

وأفلاذٌ نُجُومُكَ أم حَبابٌ تُؤَلِّفُ بينهُ لُجَجٌ غِزارُ(٨) ؟

---

(١) راجع معجم الادباء ١٠ : ٢٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٣ .

(٢) الفلك في الاصل : المدار (بفتح الميم) الذي تسير فيه الكواكب . والشاعر يستعمل الفلك هنا بمعنى الكوكب الذي يدور في مجراه . – .... أأنت تقصد من مسيرك أمراً ما (تسير كما تريد) أم تسير سيراً أنت مجبر عليه لأنه مقدر لك ؟

(٣) مدارك : دورانك ، مسيرك . في أي شيء ؟ : ما غايته ؟ الانبهار : انقطاع النفس من الإعياء (التعب الذي يستنفد القوة) – كناية عن شدة التعجب والحيرة .

(٤) – نحن نراك (أيها الكوكب) تدور في هذا الفضاء الذي فوق رؤوسنا ، فهل هنالك فضاء آخر تدور فيه أيضاً ونحن لا نراه ؟

(٥) – وهل النفوس ترقى اليك (بعد موت الاجساد) أو أن النفوس تهلك (بكسر اللام) بهلاك الاجساد ؟

(٦) – وهذه المجرة (مجموع عظيم كثيف من النجوم يرى شبه النهر مستعرضاً في السماء) أهي موج (من البحر الواسع) أو فرند (نصل السيف) . الذراع : منزلة من منازل القمر . وفي رواية : الدروع . والمعنى غامض .

(٧) الطوق : حلية (بكسر الحاء) تلبس في العنق . السوار : حلية تلبس في المعصم (بكسر الميم) . أهذا الهلال في السماء للزينة ؟

(٨) وهذه النجوم (الظاهرة للعين) أفلاذ (جمع فلذ بفتح الفاء : قطعة من ذهب أو فضة) أم حباب (فقاقيع تطفو على سطح عدد من السوائل) – أهي شيء مادي ذو قيمة أم هي شيءٌ هبائي لا قيمة له ولا وجود الا في رأي العين ؟ بينها (بين هذه النجوم الظاهرة للعين) لجج (جمع لجة بضم اللام : موجة عظيمة ، جانب واسع من البحر) . غزار : كثيرة الماء (كناية عن كثرة النجوم التي تبدو للعين وكأنها متصل بعضها ببعض فتؤلف سطحاً واحداً يشبه الماء) .

وتُنْشَرُ في الفضا لَيلاً ، وتُطوى ... نهاراً مثلما يُطْوى الإزار[١] .
فكم بصِقالها صَدِئ البَرايا ؛ ... وما يَصْدا لها أبداً غِرار[٢] .
تُبادي ثم تَخْنِسُ راجعاتٍ ، ... وتَكْنِسُ مثلما كَنَسَ الصُّوار[٣] .
فبَيْنا الشرقُ يُقْدِمُها صُعوداً ... تَلَقّاها من الغربِ انحدار[٤] .
على ذا قد مضى — وعليه يَمْضي — ... طِوالُ مُنىً وآجالٌ قِصارُ[٥] !
ودهرٌ يَنْثُرُ الأعمارَ نثراً ... كما للوردِ في الروضِ انتثار[٦] ؛
ودُنْيا كلّما وَضَعَتْ جَنيناً ... غَذَتْهُ من نَوائبها ظُؤار[٧]
هي العَشْواء ما خَبَطَتْ هَشيمٌ ؛ ... هي العَجْماء ما جَرَحَتْ جُبار[٨] .
فمِنْ يومٍ بلا أمسٍ ، ويومٍ ... بغيرِ غدٍ اليه بنا يُسار[٩] .

---

(١) هذه المجرة تشبه الملاءة تنشر (تبدو ، تظهر) في الفضاء في الليل ثم تطوى (تختني) في النهار ، فكأنها إزار (ملحفة ، ثوب أبيض واسع) ...

(٢) صقالها = صقال المجرة : لمعانها (المقصود : دوام لمعانها وخلودها) . صدئ البرايا (الناس كلهم) أتى عليهم الهرم ثم الموت . الغرار : حد السيف أو الرمح أو السهم . ما صدئ للمجرة (على طول الزمن) غرار : ما علاه الصدأ (ما كل ولا ضعف ولا هرم ولا مات كما يتفق للبشر) لا تزال باقية كما كانت .

(٣) تبادى = (تبادئ : تبدأ قبل غيرها بالظهور) .. تخنس : تتأخر (في رأى العين عن غيرها) راجعات (كأنها تسير في السماء رجوعاً) . — يصف الشاعر هنا حال الكواكب المتحيرة كالزهرة (بضم الزاي وفتح الهاء) مثلا ، وهي كواكب تبدو للعين كأنها تسبق غيرها مرة ثم تتأخر عنها مرة . تكنس: تختني، تستتر (اذا طلع الصبح). مثل ما كنس الصوار (القطيع من الغنم أو الظباء ، الخ) : دخل الى الزريبة ، تختني كلها معاً .

(٤) — بينما نجد الشرق يدفع (الكواكب) صعوداً (نحو كبد السماء) اذا بالغرب يحدرها (يشدها هبوطاً الى أسفل) لتغيب وراء الافق في رأي العين .

(٥) — تلك هي حال حياة البشر (لهم آمال وأماني وأغراض يريدون تحقيقها) ولكن آجالهم (أعمارهم) قصيرة (لا تتسع للقيام بجميع الاعمال التي يريدون القيام بها) .

(٦) ينثر الاعمار : يفنيها ، يلقي بها واحداً بعد واحد .... كما يذوي الورد ثم تتساقط بتلاته (أوراقه الملونة) بلا تحقيق غاية ظاهرة وبلا اهتمام من الطبيعة .

(٧) — كلما ولد انسان في هذه الدنيا غذته (أرضعته) ظؤار (جمع ظئر بكسر الظاء) : التي ترضع الطفل وهي ليست والدته (المقصود : كلما جاء انسان الى الحياة حملته الحياة مصائب كثاراً) .

(٨) العشواء : الناقة التي لا تبصر في الليل (فتخبط في مشيها على غير هدى) . خبطت : ضربت ، أصابت بقوائمها فقتلت . هشيم : عشب يبس (ولا يمكن أن يعود ناضراً كما كان) . العجماء: البهيمة (الحيوان، اذ لا فكر ولا عقل له) . ما جرحت : ما صنعت ، ما آذت أو أفسدت . جبار : لا تبعة فيه . في فقه المعاملات : جناية العجماء جبار (اذا أفسدت البهيمة شيئاً فصاحب البهيمة لا يطالب بعطل وضرر عما جنته بهيمته) .

(٩) — تأتي بنا الحياة الى الدنيا بعد أن لم نكن فيها (يوم بلا أمس) ، ثم تذهب بنا بعد أن كنا (يوم بلا غد) . يسار بنا (لا ارادة لنا في مجيئنا الى الحياة ولا في ذهابنا منها) .

أهذا الداءُ ليس لــه دواءٌ؟ وهذا الكَسْرُ، ليس له انْجِبار[1]؟

— وقال في العفّة وعزّة النفس (وفي هذه القطعة نفحة من نَفَسِ ابي فراس الحمداني):

وفي اليأسِ إحْدىَ الراحتينِ من الهوى؛ على أن احدى الراحتين عَذابُ[2].

أعِفّ وبي وَجْدٌ، وأسلو وبي جوًى— ولو ذاب مني أعْظُمٌ وإهــاب[3].

وآنَفُ أن تصطادَ قلبيَ كاعِبٌ بلحظٍ وأن يَرْوي صَدايَ رُضــاب[4].

فلا تُنْكروا عِزّ الكريمِ على الأذى، فحينَ تجوعُ الضارياتُ تُهــاب[5]!

— وقال يُشبّه أوّلَ الشيبِ بالكافورِ (الابيض) الذي ذُرّ في المِسك (الاسود):

قالوا: المشيبُ! فقلــتُ: صُبْــ ــحٌ قــد تنفّس في غَيَاهِبْ[6].

إن كــان كافــورُ التَجــا ربِ ذُرّ في مِسكِ الذّوائب[7]،

فالليــلُ أحسنُ مــا يكــو نُ اذا ترصّــعَ بالكواكــبْ!

— وقال في محبوب له مات:

قالوا، وقد ماتَ محبوبٌ فُجِعْتُ به — وبالصِبا — وأرادوا عنه سُلواني[8]:

ثانيهِ في الحُسنِ موجودٌ! فقلتُ لهم: من أين لي في الهَوى الثاني صِباً ثانٍ؟

---

(١) الانجبار: شفاء الكسر في العظم وصلاحه. — ان شأن الحياة بنا لن يتبدل!

(٢) — اذا شاخ الانسان ارتاح الانسان من عذاب الهوى، الا أن الشيخوخة نفسها عذاب.

(٣) الوجد: نشوة الحب. الجوى: ألم الحب. ولو ذاب مني أعظم واهاب (جلد): لو نحل جسمي بالشيخوخة وفقدت القوة.

(٤) آنف: انزه نفسي. الكاعب: الفتاة أول بروز ثدييها. الرضاب الريق ما دام في الفم. — لا أدع مجالا لنفسي أن أقع في حب فتاة، ولا أتعلل بريق فتاة (لا أفعل ما يفعله الشبان الجاهلون).

(٥) — لا تستغربوا أن يكون الضعيف المظلوم (الذي وقع عليه الاذى فاحتمله مدة) عزيزاً (قوياً) فان الضواري (السباع، الحيوانات الآكلة للحم) لا يهابها (لا يخاف منها) أحد إذا كانت شبعى، بل اذا جاعت.

(٦) تنفس الصبح: بدأ يظهر شيئاً فشيئاً. الغياهب جمع غيهب: الظلمة (سواد الليل).

(٧) — يشبه تجارب الحياة بالمسير في الطريق، فان الانسان يثير بمشيه غباراً (أبيض) يقع على جسمه كله وعلى رأسه الشعر الاسود؛ وهذه هي حقيقة الشيب (وهي ملازمة لتقدم الانسان في الاختبار الذي لا يكون الا اذا تقدم في السن). — راجع، تحت، ص ٢٠٠.

(٨) السلوان: النسيان، التسلي عن الحب.

(٩) — قالوا لي: هنالك أشخاص كثيرون لهم حسن وجمال فأحبب واحداً منهم (بدلا من محبوبك الذي مات)، فقلت لهم: ومن أين آتي بشباب جديد أحب به المحبوب الجديد؟

٤ — ** معجم الادباء ١٠ : ٢٣ — ٤٥ ؛ المحمدون من الشعراء ٢٧٠ — ٢٩٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٤٤ — ٢٤٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١١ — ١٦ ؛ طبقات الاطبّاء ١ : ٢٤٧ — ٢٥٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٣٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٧ — ٩٣٨ .

أبو أسحق الشيرازي

١ — هو الشيخُ أبو اسحقَ ابراهيمُ بن عليٍّ الفَيْروزابادي الشيرازيُّ، وُلِدَ في فَيْروزاباد (مدينة جُور اليوم) سَنَة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م) ونشأ فيها ، ثم دَخَلَ شيرازَ (٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) وقرأ فيها الفقهَ على أبي عبد الله البيضاويّ وعلى أبي أحمدَ عبدِ الله بن رامين . وفي سنة ٤١٥ هـ دخل بَغداد وتفقّه على جَماعةٍ من أعْيانها وصَحِبَ القاضي أبا الطيّبِ طاهرَ بنَ عبدِ الله الطَبَريَّ (ت ٤٥٠ هـ) ونابَ عنه في مَجْلِسه ، ثمّ رتّبه الطبريُّ مُعيداً في حَلْقته . ولمّا بنى نظامُ الملك المدرسةَ النظاميةَ في بغدادَ (٤٥٩ هـ = ١٠٦٧ م) سألَ الشيرازيَّ أن يتولاّها فلم يَقْبَلْ ، فولّى نظامُ المُلْك عليها أبا نَصْرٍ عبدَ السيّدِ مُحمدَ بنَ الصبّاغ (٤٧٧ هـ) مدّةً يَسيرةً ، ثم تولاّها الشيرازيُّ الى أن تُوفّي .

وفي ذي الحِجّة من سنة ٤٧٥ (نيسان — ابريل ١٠٨٣ م) سَفَرَ الشيرازيّ للخليفةِ المُقتدي الى نيسابورَ فازدادتْ مكانتُه بهذهِ السَفارة رِفْعَةً . وبعدَ عودته الى بَغدادَ تُوُفّي في ٢١ جُمادى الثانية من سنة ٤٧٦ (٦/ ١١/ ١٠٨٣ م) .

٢ — كان الشيرازيّ فقيهاً عالماً بالفقه وبالخِلاف وبالأُصول . وكان له شعرٌ قليلٌ حسنٌ . وتآليفه في الفقه والأصول جِيادٌ ، منها : المهذّب في المذهب — التنبيه في الفقه — اللُمَع في أصول الفقه — النُكَت في الخِلاف — التلخيص في الجدل — رسالة في علم الأخلاق (ومعظم هذه الكتب مطبوع — راجع معجم المطبوعات العربية ١١٧١ — ١١٧٢).

٣ — مختارات من شعره

— لابي اسحق الشيرازي بيتانِ في الصديق مشهورانِ جِدّاً :

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وَفِيٍ ؛ فقالوا : ما إلى هـذا سَبيلُ ؛
تَمَسّكْ إن ظَفِرْتَ بذَيْلِ حُـرٍّ ، فإنّ الحُرَّ في الدُنيـا قليلُ !

٤ — ** طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٨٨ — ١١١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦ — ٨ ؛ بروكلمان ١ : ٤٨٤ — ٤٨٦ ، الملحق ١ : ٦٦٩ — ٦٧٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٤٠٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٩ — ٣٥١ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٤٤ — ٤٥ .

القاضي أبو العباس الجرجاني

١ ــ هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الجُرجانيُّ، قَدِمَ في شبابه الى بَغْدادَ وسَمِعَ فيها الحديثَ من نَفَرٍ منهم محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ غَيْلانَ[1] وعليُّ بنُ المُحْسنِ التنوخيُّ[2] وغيرُهما، كما سَمِعَ في واسطَ من القاضي أبي تمّامٍ عليِ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ (ت ٤٥٩ هـ).

وتولّى أبو العبّاس الجرجاني قضاء البَصْرة. ثمّ انه جاء الى بَغْدادَ بعدَ أنْ تقدّمتْ بهِ السن فَسَمِعَ منه الحديثَ جماعةٌ من أهلِها. ولمّا خرَجَ من بَغْدادَ يُريد البصرةَ مات في الطريق، سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م).

٢ ــ كان القاضي أبو العبّاسِ الجرجانيُّ كثيرَ الذكاء واسعَ الاطّلاعِ ذا لُطْفٍ وذَوْقٍ سليمٍ، وكان فقيهاً وحافظاً للحديث وأديباً حَسَنَ النظمِ والنثر، له شيءٌ من الشعر في المديح وفي الأدب. وبعضُ شعره جيّدٌ وبعضُه الآخرُ متوسّطٌ عاديّ. وكذلك كان مُصَنِّفاً له من الكتب: «كنايات الأدباء واشارات البُلغاء» (جمع فيه مادّةً كثيرةً تدُلُّ على ذكاء وسعَةِ اطّلاع وحُسْن تخيُّر) ــ وله كذلك: التحريرُ ــ البُلغة ــ الشافي ــ المُعاياة (كلّها في الفِقْه).

ــ قال القاضي أبو العبّاس الجرجانيُّ يُعَلِّلُ مُغادرتَه بَغدادَ على كُرْهٍ منه:

تَرَحّلتُ عن بَغْـدادَ أطيبَ منزلٍ	وأبهى بلادِ اللهِ مَرأًى ومَخْبَرا[3]،
وفارقتُ أقواماً إذا مـا ذكرتُهُمْ	تَرَقْرَقَ مـاءُ العين ثمّ تحـدّرا[4].
فكم من أديبٍ في مَعـانيه بارعٍ،	وأبلجَ في عـلمٍ الشريعة أزْهرا[5].
أروح على بَرْحِ الهُمومِ وأغتـدي	أكابِدُ أحزاناً تَضيق بها الثرى[6].

---

(١) أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزار (ت ٤٤٠ هـ).

(٢) أبو القاسم التنوخي (ت ٤٤٧ هـ).

(٣) أطيب (بالفتح: حال) وهي أطيب منزل: في أحسن أحوالها.

(٤) ترقرق ماء العين: جال قليل من الدمع في عيني. تحدر الدمع: انهمر، سال بكثرة.

(٥) أبلج: مشرق. أزهر: أبيض. أبلج في علم الشريعة أزهر: واسع العلم بالشريعة.

(٦) البرح: الألم. تضيق (كذا في الاصل). الثرى: التراب، الارض، الدنيا.

ولم أبْكِ رَبْعَ العامريّةِ باللِــوَى ، ولا رَسْمَ دارٍ بالثّنيـّةِ مُقْفِراً[1] ،
ولكنّني أبْكــي مُقامي ببَلْدةٍ أُؤمّلُ أن ألْقــى صديقاً فلا أرى !

٤ ــ المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء ، (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .

** الوافي بالوفيات ٧ : ٣٣١ ــ ٣٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٧ .

ابن الشخباء العسقلاني

١ ــ هو الشيخُ المَجيدُ ذو الفضيلتين أبو عليّ الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الصَمَدِ ابن الشَخْباء العَسقلانيّ ، أصلُه من عَسْقلانَ (قربَ حَيْفا في فِلَسْطين) . ولعلّ مَوْلِدَه كان في عسقلانَ ثمّ انتقل باكراً فيما يبدو الى مِصْرَ ودخل في خِدْمَــة الفاطميّين وكتب في ديوان الرسائل للمُسْتَنْصِرِ الفاطميّ (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ) . ومن رسائل ابنِ الشخباء رسائلُ موجّهةٌ الى البساسيري الذي ثار (٤٥٠ ــ ٤٥١ هـ) في بغدادَ على الخليفة القائم العبّاسي (٤٢٢ ــ ٤٦٧ هـ) في سبيل إزالة الخلافةِ العبّاسية وإقامة الإمامة الفاطمية في العراق . ويقول ابن خلّكان (١ : ٢٣٧) عن ابن الشخباء : « وذُكِرَ أنّه تُوُفّيَ مقتولاً بخزانةِ البنودِ ، وَهِيَ سِجنٌ بمدينة القاهرة المُعِزّيّة ، سَنَةَ ٤٨٤ »[2] (١٠٨٩ ــ ١٠٩٠ م) بتُهمةٍ لا نَعْرِفُ اليومَ ما هي .

٢ ــ ابنُ الشخباء العسقلانيّ خطيبٌ مشهورٌ ومترسّلٌ مُجيدٌ له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ إخوانية ، ورسائلُه الإخوانية أكثرُ . وكذلك كان شاعراً ، ولكنّ ديوانَه ضاعَ فيما يبدو[3] . وابن الشخباء ، كمـا يبدو من رسائله ، واسِــعُ العلمِ بفنون من الادب ومن العلم . وكان يُكْثِرُ مِنَ الاستشهاد بالشعرِ في ثنايا رسائلهِ كَثْرَةً ظاهرةً ، إلى جانبِ الإغراق في الصِناعة والتأنّق .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابنُ الشخباء العسقلانيّ في النسيب :

---

(١) الربع : المسكن . العامرية : ليلى العامرية محبوبه قيس (مجنون ليلى) ــ يقول : لا أبكي على مبارحة بغداد لأنني أحب فتاة فيها ، بل لأن فيها علماء يعز علي أن أفارقهم . اللوى : التلة المستديرة من الرمل (وسفح اللوى مسكن محبب لأنه يقي من حر الشمس وهبوب الرياح ويكون عنده ماء) . الرسم : الآثار الباقية بعد رحيل أهل الديار . الثنية : الممر في الجبل . لعله يشير الى مكان كانت تسكنه محبوبة لشاعر (عبلة !) .

(٢) في معجم الادباء (٩ : ١٥٢) نقلا عن الخريدة لابن بسام أن ابن الشخباء مات في خزانة البنود سنة ٤٣٢ هـ ، ولا وجه لذلك . وذكر ابن ميسر في تاريخ مصر (ص ٢٩) أن ابن الشخباء قتل سنة ٤٨٦ هـ (أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ٣٣٢) .

(٣) أدب مصر الفاطمية ١٣٨ .



أخَذَتْ لِحاظي من جَنا خَدَّيْكِ ... أرْشَ الذي لاقَيْتُ من عَيْنَيْكِ[1] .
هيهاتِ ، إنّي إن وَزَنْتُ بمُهْجَتي ... نَظَري إليكِ فقدْ رَبِحتُ عَلَيْكِ[2] .
غُضّي جُفونَكِ وانْظُري تأثيرَ ما ... صَنَعَتْ لِحاظُكِ في بَنانِ يَدَيْكِ[3] .
هو– وَيْكِ – نَضْحُ دَمي ؛ وعَزَّ عَلَيَّ أنْ ... ألْقاكِ ، في عُرْضِ الكلام ، بوَيْكِ[4] !
فَسَلَكْتُ في فَيْضِ الدموعِ مَسالكاً ... قَصُرَتْ بها يَدُ عامرٍ وسُلَيْكِ[5] .
صانوكِ بالسُمرِ اللِّدانِ ، وصِنْتِهِمْ ... بنواظرٍ ؛ فحَمَيْتِهِمْ وحَمَوْكِ[6] .
لو يَشْهَرونَ سُيوفَ لَحْظِكِ في الوَغى ... لاسْتَقْرأوا فيهـا قَنـا أبَوَيْكِ[7] .

– وكتب الى ابن المغربي يهنّئه بالفُتوح :

أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدِنا الوزيرِ الأجَلِّ ما سَطَعَ الصُبْحُ بعَمودِه[8] وطَلَعَتْ في الأُفُقِ أنْجُمُ سُعودِه .

نَعْتَدُّهُ ذُخْرَ العُلا وعَتـادَها ... ونراه من كَرَمِ الزمانِ وجودِه[9] :
الدهرُ يضحكُ من بشاشةِ بِشْرِه ، ... والعَيْشُ يَطْرَبُ من نَضارةِ عودِه[10] .

---

(١) الارش : الدية (بكسر الدال وفتح الياء بلا شدة) . نظرت (أيتها المحبوبة) الي بعينيك فاسقمتني (وقتلتني بالحب) فانتقمت منك بأن نظرت اليك فاحمر خداك من الخجل (كأني سفكت دمهما)!

(٢) هيهات : ما أبعد (هذه الموازنة) . اذا أنا قارنت ما صنعته عيناك في مهجتي (قلبي) بالذي صنعه نظري الى خديك كنت أنا قد ربحت عليك (عاقبتك بأشد مما عاقبتني به) !

(٣) غضي (اخفضي) . بنان جمع بنانة: طرف الاصبع (يكون عادة في صغار السن مائلا الى الحمرة) ؛ والفتيات يصبغن أطراف الأصابع باللون الحمر . – أنظري الأثر الذي تركته عيناك على أطراف أصابعك (كأنك قتلتني بيديك فبقي دمي على أصابعك) !

(٤) ويك : ويل لك . نضح : رش ، رشاش . عز علي = يعز علي : يصعب علي ، لا تطاوعني نفسي (أن أفعل ذلك) . عرض الكلام : أثناء الكلام (قلت ذلك لك وأنا لا أقصد قوله) .

(٥) – بكيت بكاء شديداً يثير الرحمة في نفوس الناس حتى أن من كان مثل عامر بن الطفيل والسليك بن السلكة (بضم السين وفتح اللام) ، وكانا جاهليين من الشجعان الجريئين على سفك الدماء ، كان يرحمني فلا يحاول أن يمسني بسوء !

(٦) صانوك (حموك ، حفظوك ، دافعوا عنك) بالسمر (بالرماح) اللدان (اللينة التي تنحني) . وصنتهم بنواظر (برد أعدائهم عنهم بسحر عينيك). فحميتهم وحموك : تساويتما في الدفاع (سحر عينيك مثل رماحهم) .

(٧) شهر السيف (بفتح الهاء في الماضي وفي المضارع) : أخرجه من غمده (بكسر الغين) : هجم به على الاعداء. القنا جمع قناة : القصبة الفارسية (الرمح) . – لو قاتلوا في الحروب بلحظك (بسحر عيونك) لفعل لحظك في « الاعداء» ما تفعله رماح أهلك الابطال .

(٨) عمود الصبح : أول ظهور الصبح (لأنه يظهر من وراء الافق الشرقي كأنه عمود) .

(٩) العتاد: العدة (بضم العين)، ما يستعد به الانسان للقاء المستقبل أو للقاء الاعداء (من المال والسلاح ، الخ).

(١٠) البشر : السرور (الظاهر على الوجه) . نضارة العود : اخضراره (كناية عن الشباب) .

فقد ألْبَسَ اللهُ الدهرَ من مناقبِ الحَضْرةِ الساميةِ ما أخْرَسَ اللائِمَةَ، وأفاض على الكافّةِ من آلائها ما تَمْلِكُ به رِقَّ المآثرِ[1]، ويَعْجِزُ عنه كلُّ ناظمٍ وناثر - يَقصُرُ عنهُ لِسانُ البليغ ويَفْضُلُ عن مُقْلَةِ الناظر[2] - فما يَنْفَكُّ، خلّدَ اللهُ أيّامَهُ، يَذودُ عن الدولةِ برأيٍ صائبٍ وحُسامٍ قاضبٍ[3] .....

٤ - ** معجم الادباء ٩ : ١٥٢ - ١٨٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ الخريدة (مصر) ٣ : ٦٧ - ٨٢ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢١٠ .

ابن ناقيا البغدادي

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ الله بنُ الحُسينِ بن ناقيا بن داوودَ .... المعروف بالبُندارِ الشاعرِ البغداديِّ، وُلِدَ في مُنْتَصَفِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤١٠ هـ (١٥/ ٣/ ١٠٢٠ م).

اخذَ ابنُ ناقيا البغداديُّ العِلمَ عن أبيهِ وعن جماعةٍ منهم أبو القاسمِ عليُّ بنُ محمّدٍ التنوخي وعبدُ الرحمنِ بنُ عُبيدِ الله المخرميّ وعبدُ الواحدِ بنُ محمّدٍ المُطرِّزُ وأبي الحسنِ محمّدُ بنُ محمّدٍ البصريّ. وكانتْ وفاةُ ابن ناقيا البغداديِّ في بغدادَ في رابعِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٤٨٥ هـ (١٥/ ٢/ ١٠٩٢ م).

٢ - كان ابنُ ناقيا البغداديُّ واسعَ الثقافة كثيرَ الاطّلاعِ على عددٍ من فنونِ المعرفة في الدينِ والفلسفةِ واللغةِ والأدب. وكان أديباً بارعاً وشاعراً مُجيداً ومترسّلاً ومُصَنِّفاً. شعرُهُ رائقٌ عَذْبٌ وأكثرُهُ في الفنونِ الوُجدانيةِ من الوصفِ والنسيبِ والغزَل والخمر والعِتاب والرثاء[4] والأدب (الحِكمة). وقد كان شاعراً مُكثِراً،

---

(١) مناقب : خصال كريمة جميلة . الحضرة : العاصمة ، البلد الذي يحضره (يسكنه) صاحب الدولة . أخرس اللائمة : أسكت الألسن التي تحب لوم الناس حقاً أو باطلا . الكافة : عامة الناس . آلاء جمع الى (بفتح الهمزة والـلام ، وبكسر الهمزة وسكون اللام ، وبكسر الهمزة وفتح اللام) : النعمة . المآثر جمع مأثرة (بفتح الثاء أو بضم الثاء) : المكرمة ، العمل المجيد الحميد .

(٢) يقصر عنه الخ = لا يستطيع الرجل البليغ أن يفيه حقه من الوصف ولا تستطيع العين أن تحيط بجميع جهاته وتستجلي جميع محاسنه . والألفاظ : « يقصر ...... الناظر » موزونة .

(٣) الحسام : السيف الذي يحسم (يقطع العضو الذي يصيبه) . القاضب : القاطع ، الباتر (الذي يفصل ما يصيبه قطعتين) .

(٤) راجع وفيات الاعيان ١ : ٧ ، ٤٧٦ .



ولكنّ أكثرَ شعره قد ضاع . ولابن ناقيا مقاماتٌ لا براعةَ فيها ولا رَوْنَقٌ . وله أيضاً رسائلُ . ومن تصانيفه : الجُمانُ في تَشبيهاتِ القُرآن — شرح كتاب الفصيح (لثعلب) — مُلَحُ المُمالحة — مُلَح الكُتّاب (أو مُلَح الكتابة في الرسائل) — أغاني المُحْدَثين (أو المُخْتَصَر في الأغاني) — مُخْتصر كتابِ الأغاني (لأبي الفرج الاصفهاني) .

٣ — مختارات من آثاره

— قال ابن ناقيا يصف الليل :

إن كان كافورُ التَجا رِبِ ذُرَّ في مسكِ الذَوائبْ[١] ،
فالليلُ أحْسَنُ ما يكونُ إذا تَبَرْقَعَ بالكواكبْ !

وقال في النسيب :

أترى حالَ ذلك الحُبُّ بُغْضَا وذَوى غُصْنُه وقد كان غَضّا[٢] ؟
أترى كان ذلك الوصلُ زُوراً فانتهى بي الى الصَدود وأفضى[٣] ؟
قل لِمَنْ ضَيَّعَ الودادَ وأغْرى بالتَجَنّي ورامَ للعَهْدِ نَقْضا[٤] .
قد جَعَلْنا السوادَ حَتْماً علينا ورأينا الوفاء بالعَهْد فَرْضاً[٥] !

— من مقدّمة كتاب الجُمان في تشبيهات القرآن :

..... التشبيهاتُ نوع مُسْتَحْسَنٌ من أنواع البلاغة ، وقد وَرَدَ منه في كتابِ الله تعالى ما نحن ذاكِروهُ في هذا الكتاب وذاهبونَ إلى إيضاحِ معانيه والتَنْبيه على مكانِ الفضيلةِ فيه . ونقولُ في كيفيّة التشبيه : إنّ الشيء يُشَبَّهُ بالشيء : تارةً في صورتِه وشَكْلِه ، وتارةً في حرَكته وفِعْلِه ، وتارة في لونه ونَجره ، وتارة في سُوسه وطبعه[٦] . وكلٌّ مُتَّحِدٌ بذاتِه واقع من بعض جِهاته . ولذلك يَصِحُّ

---

(١) الكافور أبيض ، والمسك أسود . النوائب جمع ذؤابة (بضم الذال) : طرف كل شيء وأعلاه ، (وهنا) جدائل الشعر . ذر : رش . التجارب (استعمالها هنا غامض) . — نثرت النجوم (البيض كالكافور) في السماء (السوداء كالمسك الذي يشبه شعر المحبوب) . راجع ، فوق ، ص ١٩٤ .

(٢) حال : تغير ، تبدل . ذوى : ذبل ، يبس . غض = غضيض : طري ، لين .

(٣) أفضى الى المكان : وصل اليه .

(٤) أغرى فلان فلاناً بأمر : حرضه على فعله وأطمعه به .

(٥) السواد : الحداد ، الحزن . حتماً : لازماً .

(٦) النجر : الاصل . السوس (بضم السين) : الطبيعة والأصل .

تشبيهُ الجسمِ بالجسمِ، والعَرَضِ بالجسمِ (1)، والجسمِ بالعرضِ، والعرضِ بالعرضِ .....

— من سورة البقرة (٢ : ٧٤) :

« ثمّ قسَتْ قلوبُكُمْ بَعْدَ ذلك فهْيَ كالحِجارةِ أو أشدُّ قَسْوَةً .....»

مَعْنى قَسَتْ، أي غَلُظَتْ ويَبِسَتْ وعَبَسَتْ. فكأنَّ القسوةَ في القلبِ ذَهابُ اللينِ منه والرحمةِ والخُشوعِ والرِقّةِ ..... وانّما شبَّه اللهُ عزَّ وجلَّ قلوبَهُم في القسوةِ بالحِجارة لأنَّ الحجارةَ هي غايةٌ في المِثْلِ (2). ولذلك قال الفَرَزْدَقُ (3) :

أمّا العدُوُّ فإنّا لا نَلينُ لــه   حتّى يلينَ لضِرْسِ الماضغِ الحَجَرُ!

..... فأمّا من قَصَدَ مَحْضَ التشبيهِ في هذا الباب — واعتمدَ في أخذه على لفظ القُرآن — فانّه وَقَفَ دون استيفاءِ المعنى بِمِثْلِ قولهِ تعالى: « أوْ أشَدُّ قَسْوةً » وما يَتْبَعُ هذا القولَ من الدّلالةِ عليه والحُجّة فيه والتعليل له (4). وكذلك كلُّ ما يَنْقُلُهُ الشعراءُ وغيرُهم من أرباب البلاغة الى كلامِهِمْ من معاني القرآنِ لا يَبْلُغون شأوَهُ ولا يُدْرِكون مَناله إعجازاً وإعوازاً وإباء وامتناعا (5).

و (قد) بيّن اللهُ جلَّ اسمُه كيفَ كانت قلوبُهمْ أشدَّ قَسْوةً من الحجارة فقال (6) : وإنَّ مِنَ الحِجارة لَما يَتَفَجَّرُ منه الأنهارُ وإنْ منها لَمَـا يَشَّقَّقُ فيَخْرُجُ منه الماءُ » .... ومَضى التنزيلُ بعدُ أتمَّ وأعمَّ وأوفى وأعلى بقولهِ تعالى: « وإنَّ منها لَما يَهْبِطُ من خَشْيَةِ اللهِ » (7) ......

٤ — مقامات (في مجموع مقامات : للحنفي) ، استانبول ١٣٣١ هـ.

الجمان في نشبيهات القرآن (تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثيّ)، منشورات « وزارة الثقافة والارشاد » — مديرية الثقافة العامّة » : سلسلة كتب التراث، رقم

---

(1) العرض (بفتح ففتح) : الصفة العارضة التي تحدث وتزول .

(2) غاية (نهاية) في المثل (بكسر الميم) : الشبيه . — الحجارة اقرب مثال الى القسوة .

(3) الفرزدق شاعر أموي برع في الفخر وله هجاء ومديح (ت ١١٤ هـ = ٧٣٢ م) .

(4) اذا قصد الانسان التشبيه فقط اكتفى بأركان التشبيه : قلوبكم كالحجارة أو أشد قسوة (في قساوتها). فاذا أراد تبيان وجه الشبه (الركن الرابع) جاء بما يوازن بينه وبين المشبه به : وان من الحجارة ما ينبع منه الماء (قلوبكم أشد قسوة من الحجارة) .

(5) الشأو : المدى ، الامد ، الغاية ، — لا يستطيع البليغ أن يصل الى بلاغة القرآن الكريم عجزاً من البليغ ونقصاً في استعداده وثقافته ثم لتبرك البليغ تقليد القرآن الكريم .

(٦ و ٧) تتمة الآية .

٧ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م ؛ (تحقيق عدنان محمد زرزور ومحمّد رضوان الداية) ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ احيـاء التراث الاسلاميّ . الكويت (المطبعة العصرية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

** خريدة القصر (العراق) ١ : ١٤٢ وما بعد ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٥٦ ـ ١٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٨٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٨٩ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٢١٨ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٧ .

الحسين بن أحمد الزوزني

١ ـ هو أبو عبدِ الله الحُسينُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسينِ الزَوْزَنيُّ نِسبةً الى زَوْزَنَ ، وهي بلدةٌ بين هَراةَ ونَيْسابورَ . لَسنا نعلمُ من تفاصيلِ حياةِ الزَوْزَنيِّ شيئاً يُذْكَرُ . أما وفاتُـه فكانت سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) .

٢ ـ يبدو أن الزَوْزَنيَّ هذا كان أديباً من أهلِ العِلمِ ، فقد كانتْ بلدتُه زوزنُ تُعْرَفُ بالبصرةِ الصغرى لكَثْرةِ ما خرج منها من رجال العلم ، كما كان عارفاً بالفقه واللُغَةِ والنحو . وقد كانت له تآليفُ بالعربية والفارسية ، منها : تَرْجُمانُ القرآن ـ كتاب المصادر ؛ غير أنه شُهِرَ بكتابهِ : شَرحِ المُعلّقاتِ السبعِ ، وهو شَرْحٌ جَيِّدٌ برُغْمِ أنه مختصرٌ جِداً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من شرح المعلّقات السبع :

قال القاضي الإمامُ أبو عبدِ اللهِ الحُسينُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسينِ الزوزنيُّ : هذا شرحُ القصائدِ السَبْعِ أمْلَيْتُهُ على حَدّ الإيجاز والاختِصار ، على حَسْبِ ما اقْتُرِحَ عَلَيّ ، مُستعيناً بالله على إتمامه .

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ .....

قيلَ : خاطبَ صاحِبَيْه ؛ وقيل : بل خاطبَ واحداً وأخْرَجَ الكلامَ مَخْرَجَ الخِطابِ مَعَ الاثنينِ ، لأنّ العَرَبَ من عادَتِهِم إجراءُ خِطابِ الاثْنينِ على الواحدِ والجمع .... وانّما فَعَلَتِ العربُ ذلك لأنّ الرَجُلَ يكونُ أدنى(أقلّ)أعوانه اثْنينِ : راعي إبِلِهِ وراعي غَنَمِهِ . وكذلك الرُفْقَةُ أدنى ما تكونُ ثلاثةٌ ، فجرَى خطابُ

خطابُ الاثنين على الواحدِ لمُرون[1] ألسِنَتِهِم عليه[2] ....

٤ — شرح المعلّقات السبع (تحرير صفيبوري — لمسدن)، كلكتا ١٨٢٣ م؛ (نشره يوحنا أسعد الصعبي)، بلبنان ١٨٥٣ م؛ (نشره نصر الهوريني)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ ﻫ؛ القاهرة ١٢٩٣، ١٣٠٤، ١٣٢٨ ﻫ؛ (حققه محمّد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة علي صبيح بلا تاريخ؛ (ضبطه... محمّد علي حمد الله)، دمشق (المكتبة الأموية) ١٣٨٣ ﻫ (١٩٦٣م).

نيل الارب في شرح معلّقات العرب، ويليه معلّقة للنابغة الذبياني ومعلقة للأعشي وقصيدتان للنابغة، مصر (مطبعة الأمّة) ١٣٢٨ ﻫ.

شرح معلّقة لبيد (في ذيل «كليلة ودمنة» — حرّره سلفستر دو ساسي)، باريس (دار الطباعة الملكيّة) ١٨١٦ م.

** انباه الرواة ١: ٣٢٠؛ بغية الوعاة ٢٣٢؛ بروكلمان ١: ٣٤٢—٣٤٣، الملحق ١: ٥٠٥؛ زيدان ٣: ٤٦—٤٧؛ راجع شرح المعلّقات السبع (ضبطه حمد الله)، ص ٥٧، ٥٨، ٦٠ — ٦١؛ الاعلام للزركلي ٢: ٢٤٩ — ٢٥٠.

أبو نصر الفارقي

١ — هو الشيخُ أبو نصرٍ الحسنُ بنُ أسد بنِ الحسنِ الفارقيُّ من أهل ميّافارقينَ في ديارِ بكرٍ، ولاّه أبو المُظفّرِ منصورٌ أحدُ بني مَروانَ وصاحبُ ميّافارقين على ديوان آمِدَ[3]، وذلك في أيامِ مَلكشاه (٤٦٥ — ٤٨٥ ﻫ) وأيام وزيره نظام الملك (قُتل سنة ٤٨٥ ﻫ = ١٠٩٢ م)، فاستبدّ في استيفاء أموالِها فقُبِضَ عليه ثمّ أُطلِقَ سَراحُه في حديثٍ طويل. ومعَ أن أبا نصرٍ الفارقيَّ قد نالَ حَظوةً عند ابنِ مروانَ يمدَحُهُ وينالُ عطاياه فانّه ثارَ على ابنِ مروانَ واستبدَّ بمدينةِ ميّافارقينَ ثلاثةَ أيام. ولكنّ ابنَ مروان استطاعَ — بمُساندةٍ من جيش بَعَثَ به إليه ملكشاه — أن يَستَوْلِيَ على المدينةِ عَنْوةً ويأسُرَ أبا نصر الفارقي. وصُلِبَ أبو نصرٍ (أو شُنِق)، سَنَةَ ٤٨٧ ﻫ (١٠٩٤ م). كان الفارقيُّ طولَ حياته عَزَباً.

٢ — كان أبو نصرٍ الفارقيُّ بارعاً في اللغةِ وإماماً في النحو أديباً ناثراً وشاعراً من

---

(١) المرون: التعود.

(٢) راجع طبعات شرح المعلقات السبع للزوزني (معلقة معلقة أو سبعا سبعا) في شرح المعلقات السبع (ضبط .... محمد علي حمد الله)، ص ٦٠ — ٦١.

(٣) بلدة من الثغور (على نحو مائتي ميل من الموصل، شمالا في شرق). الديوان هنا: ديوان الجباية (الضرائب).

فُحول الشعراء في زمانه رقيقَ حواشي الكلام مليحَ النظم مُتَمكِّناً من القافية يتعمَّدُ التجنيسَ في القوافي خاصّةً ثمّ يُكْثِرُ من التجنيس ، وكانَ قلَّ ما أخلى بيتاً من وجهٍ من أوجهِ الجناس . من أجلِ ذلك كانَ التكلُّفُ يظهرُ أحياناً على شعرِه . أمّا فنونُ شعرِه فكانت المديحَ والوصفَ والخمرياتِ والغزل والعتابَ والشكوى من الأيام . ثمّ إنّه كان مُصَنِّفاً ، له من الكتب : شرح اللُّمَع (لابنِ جنّي) - كتاب الحروف - كتاب الإفصاح في شرح أبياتٍ مُشكلةٍ في الصحاح (شرح أبياتٍ مشكلةِ الإعراب ؟) - الألغاز [1] .

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو نصرٍ الفارقيُّ يَصِفُ شَمعةً :

وندِيمةٍ لي في الظلامِ وحيدةٍ   مِثْلي ، مُجاهدةٌ كمِثْلِ جِهادي :
فاللونُ لوني ، والدُّموع مدامعي ،   والقلبُ قلبي ، والسُّهاد سُهادي [2] .
لا فرقَ فيما بَيْنَنا لو لم يكُنْ   لَهَبي خَفِيّاً وهْوَ منها بادِ !

- وقال في النسيب :

قد كان قلبي صَحيحاً كالحِمى زَمَنا ،   فمُذْ أباحَ الهوى منه الحِمى مَرِضا [3] .
فكم سَخِطْتُ على من كانَ شيمتُه ،   وقد أبَحْتُ له فيك الحِمامَ ، رِضا [4] .

- وقال في العِتاب [5] :

وإخوانٍ بواطِنُهم قِباحٌ ،   وإن كانتْ ظواهرُهم مِلاحا .
حَسِبْتُ مياهَ وُدِّهِمُ عِذاباً ،   فلمّا ذُقْتها كانتْ مِلاحا !

---

(١) راجع شذرات الذهب ٣ : ٣٨٠ .

(٢) فاللون (لون الشمعة مثل) لوني (أصفر) والدموع (نقط الشمع الذائب بفعل اشتعال فتيلة الشمعة) كأدمعي (كثيرة متتالية حارة) والقلب (كناية عن اللهيب الصاعد من الفتيلة) كقلبي (في الاضطراب والخفق - لأن لهيب الشمعة يتحرك كثيراً بأثر الهواء) والسهاد (قلة النوم ، لأن الشمعة تظل مضاءة طول الليل) مثل سهادي (دائم) . السهاد : الارق ، السهر .

(٣) الحمى : المكان المنيع المحمي الذي لا يجرؤ أحد على اقتحامه .

(٤) الشطر الأول غير واضح . الحمام : الموت .

(٥) ملاح : جمع مليحة (جميلة) . ملاح : جمع مالحة (مرة الطعم) . عذاب حلوة الطعم .

— في الغزل (لاحظ لزوم ما لا يلزم في كلّ بيتين متواليين) :

عاتبْتُه فغرَسْتُ في وَجَناتِه بالعتْبِ وَرْدا .
ظَبْيٌ لـه طَرْفٌ غـدا أسَداً على العُشّاقِ وردا[1] .
لمّا بـدا في تِيْهِه فَرْدَ الجمال يَهُزّ قَدّا[2] ،
قَدّ القلوبَ ، بسيفِ دَلّ يَنْهَبُ المُهجاتِ ، قدّا[3] .
ما كلّ قطُّ ، ولا فَلَلْنَ له صُروفُ الدهْرِ حَدّا[4] .
ولقدْ تَجاوزَ حُبُه عِندي جَميعَ الناسِ حَدّا[5] !

— في الشكوى :

تبّاً لِدَهْرٍ أنا في أمّةٍ منه كَثيري الغَدْرِ أوْغادِ[6] .
أزْهَدُهُمْ في غَيّه رائحٌ حِرْصاً على دُنْياه أو غادِ[7] !

— وأورد له ياقوتُ مقطوعةً خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً بقافيةٍ كُلّ بيتٍ فيها « عينا » :

بِنْتُمْ فما كَحَلَ الكَرى لي بعد وَشْكِ البَيْنِ عَيْنا[8] ..
ولقد غدا كَلَفي بِكُمْ أُذْناً عَلَيّ لَكُمْ وعينا[9]
فأسَلْتُ بَعدَ فِراقِكُمْ من ناظِري بالدّمْعِ عينا[10] .....

٤ — شرح الأبيات المشكلة الإعراب (حققه سعيد الأفغاني) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٥٨ م

** معجم الأدباء ٨ : ٥٤ — ٧٥ ؛ الخريدة (الشام) ٢ : ٤١٦ — ٤٣٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٩ — ١٥١ ؛ انباه الرواة ١ : ٢٩٤ — ٢٩٨ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٨٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٢ ، الملحق ١ : ١٩٤ — ١٩٥ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١٩٨ .

ظهير الدين الروذراوري

١ — هو ظهيرُ الدين أبو شجاعٍ محمّدُ بنُ الحسينِ بن محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ

---

(١) — خجل من عتابي له فاحمر خداه. الطرف: البصر (العين) . الاسد الورد (الأحمر) يكون شديد الضراوة . .

(٢و٣) التيه (بفتح التاء وكسرها) : الصلف والكبر (بكسر الكاف) ، والدلال بالغنج . فريد الجمال : وحيد في نوع جماله وحسنه . يهز قداً : يحرك قوامه ، يتثنى . قد : قطع ، شق . الدل : الدلال والغنج . قداً مصدر من قد يقد .

(٤و٥) كل : تعب . صروف الدهر : حدثانه ومصائبه . حد السيف : الجانب القاطع من متنه. فل (بضم الفاء بالبناء للمجهول) حـد السيف : تكسر ، تثلم (ذهب مضاؤه ، بطل عمله) — هذا المحبوب لا يزال جماله طاغياً يفعل فعله في نفوس محبيه . تجاوز الحد : زاد على المقدار المألوف .

(٦و٧) أوغاد جمع وغد : لئيم ، دنيء . الغي : الضلال . أزهدهم في غيه : أبعدهم في الضلال . رائح أو غاد (أو راجع) : دائم العمل (في سبيل دنياه) .

(٨ و ٩ و ١٠) كحل الكرى عينه : نام . العين : الرقيب . العين : الينبوع . العين : نبع الماء .

ابراهيمَ الروذراوَريُّ ، أصلُه من روذراورَ (قُرْبَ هَمَذانَ) ومولدُه في الأهوازِ ، سَنَة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ – ١٠٤٦ م) .

قرأ ظهيرُ الدين الروذراوَريُّ الفقهَ على أبي اسحقَ الشيرازيِّ ، وكذلك قرأ الأدبَ على نفَرٍ من العلماء . وقد تولّى الوزارةَ (٤٧٦–٤٨٤ هـ) للخليفةِ المُقتدي، وكانتْ أيامُه أيامَ أمنٍ ورَخاء . ثمّ عُزِلَ وأُجْبِرَ على الإقامةِ في بيته . بعدَئذ نُفِيَ الى روذراورَ فأقامَ فيها مُدّةً . ثمّ انه حجّ سَنَة ٤٨٧ هـ وجاورَ في المدينة بِضْعَةَ أشْهُرٍ تُوُفِّيَ على إثْرِها ، في نِصْفِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٤٨٨ (٢٢/ ٥/ ١٠٩٦ م) .

٢ – كان ظهيرُ الدين الروذراوَريُّ من العلماء ومن العارفينَ بفنونِ الأدبِ وشاعراً مُحْسِناً رقيقاً . وقد صنّف ذَيْلاً على كتاب « تجاربِ الأمم » في التاريخِ ، (لِمِسْكَوَيْهِ) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ظهير الدين الروزراوري في الشكوى :

ما كان بالإحسانِ أولاكُمُ ... لو زُرْتُمُ مَنْ كانَ يهواكُمُ .
أحبابَ قلبي ، ما لكُمْ والجفا ؛ ... ومَنْ بهذا الهَجْرِ أغراكُمُ[1] ؟
أنكرْتُمونا مُذْ عَهِدناكم ، ... وخُنْتُمونا مذْ حَفِظْناكم .
لا نَظرَتْ عيني سوى شَخْصِكُمْ ، ... ولا أطاعَ القلبُ إلاّكم .
ما كان أغناني عنِ المُشتكى ... إلى نُجومِ الليلِ لوْلاكُمُ[2] .
أو فاسألوا طَيْفَكُمُ هل رأى ... طَرْفي غفَا من بَعْدِ مَسْراكم[3] ؟
يا ظَبَياتِ الأُنسِ ، في ناظري ... ورُودُكم والقلْبُ مَرْعاكم[4] .
يا قومُ ، ما أخْوَنَكُمْ في الهوى ! ... وما على الهِجْرانِ أجْراكُمُ[5] !

---

(١) أغراكم على هجري (البعد عني) : حرضكم عليه ، دفعكم اليه .
(٢) المشتكى الى نجوم الليل : السهر طول الليل .
(٣) الطيف : الخيال يزور في المنام . الطرف : العين . المسرى : الانتقال ليلا .
(٤) الورود : الذهاب إلى الماء ، الشرب . المرعي : ما تأكله الانعام والحيوانات المجترة .
(٥) أجراكم – أجرأكم : ما أهون هجري والابتعاد عني عليكم .

– وقال يلوم عَيْنَه :

لأُعذبَنّ العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيها : بكَتْ بالدمعِ أو فاضتْ دَمَا ؛
ولأهْجُرَنّ من الرُقادِ لذيذَهُ حتّى يَعودَ على الجُفونِ مُحَرَّما .
هِيَ أوْقَعَتْني في حَبائِلِ فِتْنةٍ ؛ لولم تكنْ نَظَرَتْ لكُنْتُ مُسَلَّما[1] .
سَفَكَتْ دمي فلأسْفِكَنّ دُموعَها ؛ وَهْيَ التي بَدأتْ فكانتْ أظلما .

– وقال في التجلُّد :

وانّي لأُبدي في هواكَ تَجَلُّداً ، وفي القلب منّي لَوْعةٌ وغَليلُ[2] .
فلا تَحْسَبَنْ أنّي سَلَوْتُ ، فرُبّما ترى صِحّةً بالمرءِ وَهْوَ عَليلُ !

– وقال في العِتاب :

أيَذْهَبُ جُلُّ العُمْرِ بيْني وبينكم بغيرِ لِقاءٍ ؟ إنّ ذا لَشَديدُ .
فإنْ سَمَحَ الدهرُ الخَؤونُ بوَصْلِكُمْ – على فاقتي – إنّي إذاً لَسَعيدُ[3] !

٤ – ** الوافي بالوفيات ٣ : ٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٨٦ – ٤٨٨ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٣٢ – ٣٣٣ .

ابن همماه الرامشي

١ – هو أبو نَصْرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بن هِمَماهَ الرامشيّ النيسابوريّ ، وُلِدَ سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ – ١٠١٤ م) . ورحل في طَلَبِ الحديثِ وتخرّج به ، وأخذَ الأدَب عن أبي العلاء المعرّي ثم أملى في نيسابور . وكانت وفاتُه في جُمادى الاولى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٦ م) .

٢ – كان الرامشيُّ مُبرّزاً في القراءات وعلومِ الحديث وذا حظٍّ وافرٍ من العلوم العربية . وله شعر مَتينٌ بارعٌ لطيفٌ .

---

(١) فتنة (بالجمال) : من النظر الى الوجوه الجميلة .
(٢) اللوعة : ألم من حب أو هم او مرض . الغليل : الحرقة من الحب أو من العطش .
(٣) الفاقة : الفقر . على فاقتي : على شدة حاجتي الى لقائكم (واستغنائكم عن لقائي) .

٣ – مختارات من شعره

–ولما برزنا للرحيل وقُرِّبت كرامُ المطايا والركابُ تسيرُ[١] ،
وضعت على صدري يَدَيَّ مُبادراً، فقالوا : محبٌّ للعِناق يُشير[٢] .
فقلت: ومن لي بالعناق ! وانما تداركت قلبي حينَ كاد يطير .
–واذا لقيتَ صعوبةً في حاجة فاحملْ صعوبتَها على الدينار[٣] .
وابعثْهُ في ما تَشتهيه ، فإنه حَجَرٌ يُلَيِّنُ سائرَ الأحجار[٤] !

٤ – ** معجم الادباء ١٩ : ٤٥ .

ابن أبي الصقر الواسطي

١ – هوأبو الحسنِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عُمَرَ المعروفُ بابنِ أبي الصَقْرِ الواسطيّ ، من أهلِ واسطٍ ، وُلِدَ في ١٣ من ذي القَعْدة سَنَة ٤٠٩ (٢٣/ ٣/ ١٠١٩/٣ م) .

تفقّه ابنُ أبي الصقرِ على أبي اسحاقَ الشيرازيّ وسَمِعَ (الحديثَ) من أبي بكرٍ الخطيبِ وأبي سعيدِ المتولّي ، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدبُ والشِعْرُ . وكانت وفاتُه في ١٤ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٤٩٨ (١/ ٢/ ١١٠٥ م) .

٢–كان ابنُ أبي الصقرِ الواسطيُّ كاتباً وشاعراً مُجيداً له مُقَطّعاتٌ مليحةٌ وقصائدُ تُعْرَفُ بالشافعيّة لأنّه كان يَتَعَصّب فيها للمذهب الشافعيّ . ويَغْلِبُ على شعرهِ العُنْصُرُ الوُجداني من الشكوى خاصّة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ أبي الصقرِ الواسطيُّ في شَيْخوخته وضَعْفه :

كلُّ أمرٍ إذا تَفكّرتَ فيه وتأمّلتَه رأيتَ ظَريفاً :
كنت أمشي على اثْنَتَيْنِ قَوِيّاً ، صِرتُ أمشي على ثلاثٍ ضعيفا[٥] .

---

(١) المطايا جمع معطية (بفتح الميم وكسر الطاء) : البهيمية يركبها الانسان للسفر . كرام المطايا : الكريمة الأصل (الأصيلة) أو التي تحمل أناساً كراماً (المحبوبة) . الركاب جمع راحلة : الجمل الذي يركب عليه للسفر . (٢) مبادرا : مسرعاً (من تلقاء نفسي) .

(٣ و ٤) احمل صعوبتها على الدينار : تغلب على كل صعوبة بالدينار (بالمال) . فالمال حجر أقسى من سائر الحجارة : يتغلب على كل حجر آخر (على كل صعوبة ويقضي للانسان كل حاجة) .

(٥) على ثلاث : على رجلين وعصا .

– وقال في مِثْلِ ذلك :

يا سائلي عـن حالي ، خُذْ شَرْحَها مُلَخَّصا :
قد صِرْتُ بعـدَ قُوَّةٍ تنقُضُ أصلادَ الحَصـى[1]
أمشي عـلى ثـلاثةٍ أجودُ مـا فيهـا العصـا !

– وقال في إباء النفس ، مَعَ اعتذارهِ عمّا في قولهِ هذا من المعصية والزندقة :

كلُّ رِزْقٍ ترجوه من مخلوقٍ يَعْتَريهِ ضَرْبٌ من التَعْويقِ .
وأنا قائـلٌ – وأستغفرُ اللـهَ – مقالَ المَجـاز لا التحقيق :
لستُ أرضى من فِعْلِ إبليسَ شيئاً غيرَ تَرْكِ السُجودِ للمخلوق[2] !

٤ – ** معجم الادباء ١٨ : ٢٥٧ – ٢٦٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٤ – ٣٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٦٢ – ١٦٤ .

السراج القارىء

١ – هو أبو محمّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بن جعفرٍ السَرّاجُ ، وُلِدَ في الأغلب سَنَةَ ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) وبدأ بسَماع الحديثِ وَهُوَ صَغيرٌ جِدّاً : سَمِـعَ أبا عليٍّ بنِ شاذان وأبا القاسمِ بن شاهينٍ وأبا محمّدٍ الخلاّلِ ، وأبا الفتح ابن شيطا وأبا الحسين التوّزيَّ وأبا القاسم التنوخيَّ وغيرَهم . ثُمَّ جَعَلَ يُحَدِّثُ في المسجد المُعَلَّق في بغدادَ .

وكان السرّاجُ القارىءُ يَتَطَوَّفُ في البلاد : سافرَ الى مِصْرَ والشامِ ومكّةَ ، وتردّد مِراراً إلى مدينةِ صور (على ساحلِ الشام) وسكن فيها زماناً ثمّ عادَ الى بغدادَ حيث تُوُفِّيَ في ١١ من صَفَرَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١٣/ ١٠/ ١٢٠٦ م) في الاغلب .

٢ – كان السرّاج القارىء مُحِبّاً للعلم والأدب عارفاً بالقِراءة والحَديث والفِقْه

---

(١) تنقض (تهدم ، تحطم) أصلاد (جمع صلد : قاس) الحصى (جمع حصاة : الحجر الصغير القاسي) : – كانت لي قوة تفتت الحجارة .

(٢) – لما خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس فانه ابى أن يسجد لإنسان خلقه الله من طين ؛ بينما كان الله قد خلق الملائكة من نور وخلق ابليس من نار (والنار في رأي ابليس أفضل من التراب) . فغضب الله على ابليس وأهبطه من السماء الى الارض .

واللغة والنحْو والعَروض ، كما كان أديباً حسَنَ التحديث وشاعراً غزِلاً حسَنَ الشعْر . وكان للسرّاجِ القارىء تصانيفُ عدّةٌ منها : مصارع العشّاق – زهد السودان – أرجوزة في نَظائر القرآن – (وأرجوزتان): نظم التنبيه في الفقه– نظم المناسك (في الحجّ) . غيرَ أنّه قد شُهِرَ بكتاب مصارع العشّاق ، وهو مجموعُ رواياتٍ وحكاياتٍ وأشعارٍ تتعلّق بالعشاق مأخوذةٌ من الأدب القديم والأدب الاسلامي والادب المُحْدَث ولكنَّ فيها أشياءَ كثيرةٌ من عالم الخُرافة . والكتاب يقْصِدُ إلى الإطراف والعِبْرَة معاً . ولم يتّبعِ المؤلّف في إيراد القصص والاشعار نَسَقاً مُعيّناً ، فربّما جمَعَ القِصَصَ المختلفةَ في المكانِ الواحدِ أو فرّق القصصَ المتماثلةَ في أماكنَ مختلفة ، ثم هولم يَبْدأ كتابه بمقدّمةٍ على عادةِ المؤلّفين. وكان السرّاجُ قد أحبّ ثمّ فارقه محبوبُه فعَمِلَ هذا الكتابَ للتأسّي (كي ينسى ظلم الهوى اذا هو ذكر ما نزل بغيره من البلوى) .

ومن أبواب كتاب « مصارع العشّاق » :

باب أصل العشق وما ذكر فيه – بابٌ مفرد من مصارع العشّاق –باب من مصارع العشّاق – باب مصارع عُشّاق الطير –بابُ من حمله هواه على قتل من يهواه – باب خلَوات العشّاق – باب مصارع محبّي الله عزّ وجلّ – باب مصارع عشاق الحُور العين – بابٌ من عجائب محبّي الله وذكر كراماتهم – بابُ مَنْ صُعِقَ لوعظ معشوقه – باب الظافرين بأحبابهم مع العفاف بعد أن أشرفوا على الإتلاف .

٣ – مختارات من شعره

–كتب السراج القارىء على الجزء الأول من كتاب مصارع العشّاق (معجم الادباء ٧ : ١٥٩) :

هذا كتابُ مصارعِ العُشّاقِ صَرَعَتْهُمُ أيدي نوًى وفِراق[١] ،
تَصنيفُ من لَدَغَ الفِراقُ فؤادَه وتطلّب الراقي فعَزّ الراقي[٢] .

– وله (شهرزور في البيت الثاني اسم بلد في فارس) :

وَعَدتِ بأنْ تزوري بعدَ شهرٍ فزوري – قد تقضّى الشهرُ – زوري[٣]

(١) النوى : البعاد ، البعد (عن الحبيب) .
(٢) لدغ : عض (آذى) . الراقي : الذي يداوي من لدغ الحية والعقرب . عز : قل ، كان غير موجود .
(٣) تقضى : انتهى ، انصرم .

ومَوْعِد بَيْنَنا نَهْرُ المُعَلّى   الى البلد المُسمّى «شهرزور»[1].
فأشهُرُ صَدِّكِ المحتومِ حقٌّ،   ولكن شَهْرُ وَصْلِكِ شهرُ زور[2]!

— ومن شعره (فيه شيء من النفس الصوفي):

حبّذا طَيْفُ سُليمى إذ طَوى   — حَذَرَ الواشي — السُّرى من ذي طَوى[3]؛
وأتى الحيَّ طُروقاً وَهُمُ   بينَ أجزاعِ زَرودٍ فاللِّوى[4].
بِتُّ أشكو ما أُلاقيه، إلى   طَيْفِها الطارقِ، من مَسِّ الجَوى[5].
أشْكُرُ الأحلامَ لمّا جَمَعَتْ   بَيْنَنا وَهْناً على رُغْمِ النَّوى[6].
أيها العاذلُ، دَعْني والهوى؛   ليسَ مشغولٌ وخالٍ بالسوى[7]!

٤ — مصارع العشاق، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ هـ؛ مصر (مطبعة التقدّم) ١٣٢٤ هـ (١٩٠٧ م)؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ؛ (ضبطه أحمد يوسف نجاتي وأحمد مرسي مشالي)، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٥٨ م.

** معجم الادباء ٧ : ١٥٣ — ١٦٢؛ وفيات الأعيان ١ : ١٩٧ — ١٩٨؛ بغية الوعاة ٢١١؛ شذرات الذهب ٣ : ٤١١ — ٤١٢؛ بروكلمان ١ : ٤٣١، الملحق ١ : ٥٩٤ — ٥٩٥؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٣٩؛ زيدان ٣ : ٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١١٥.

ابن الخطيب التبريزي

١ — هو أبو زكريّا يحيى بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بن الحسن الخطيب التِبريزي الشَيْبانيّ،

---

(١) يقضي الوزن أن نقرأ: وموعد (بضمة واحدة على الدال). أما المعنى فيقتضي أن تكون القراءة: وموعد (بضمتين على الدال) بيننا (بفتح النون): الموعد بيننا، موعدنا، نهر المعلى: لقاؤنا عند نهر المعلى.

(٢) الصد: ميل المحبوب عن المحب. المحتوم: الواقع، الذي لا مفر منه. زور: باطل، زائف.

(٣) الطيف: الخيال (الذي يرى في النوم). طوى: قطع المسافة، سار. السرى: السفر ليلا. ذو طوى (بفتح الطاء وكسرها وضمها): مكان قرب مكة.

(٤) الحي: مكان نزول القوم (مسكنهم). طروقاً: في الليل. الاجزاع جمع جزع (بكسر الجيم، والاليق به أن يكون بفتح الجيم — راجع القاموس ٣ : ١٣): الممر بالوادي من مكان الى مكان. زرود: اسم موضع (كناية عن مسكن المحبوبة). اللوى: ما استدار من الرمل، اسم مكان.

(٥) الطارق: الآتي ليلا (في المنام). الجوى: ألم الحب.

(٦) وهنا: في منتصف الليل. النوى: البعد.

(٧) العاذل: اللائم (الذي يلوم المحب على أنه لحب). دعني والهوى (مع الهوى، دعني أبقى محباً). المشغول: الذي شغله الحب وملأ قلبه. الخالي: الذي لم يحب بعد. السوى (بكسر السين أو ضمها): السواء، التماثل.

ولِدَ في تِبريزَ سَنَةَ ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ونشأ فيها وفي بَغدادَ .

قرأ ابنُ الخطيبِ التبريزيُّ العلمَ على نَفَرٍ كثيرين، فقد سَمِعَ الحديثَ من القاضي أبي الطيّبِ طاهرِ بن عبد الله الطبري (ت ٤٥٠ هـ) وأبي القاسم عليّ بن المحسن التنوخيّ (ت ٤٤٧ هـ) والخطيبِ البَغْدادي (٤٦٣ هـ)، وسَمِعَ في مدينة صورَ (على الساحل الشاميّ) من الفقيه أبي الفتح سليمِ بنِ أيوبَ الساويِّ الرازي (ت ٤٤٧ هـ) . وقد قرأ اللغةَ والأدبَ أيضاً على كثيرين: قرأ كتابَ « تهذيب اللغة » لأبي منصورِ الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في مَعرّةِ النُعمانِ على أبي العلاء المعرّيّ . وقرأ كذلك على عُبيد اللهِ بن عليّ الرَّقّي (ت ٤٥٠هـ) وعلى عبدِ الواحد بن عليّ بن بُرهانٍ (ت ٤٥٦ هـ) وعلى عبد القاهرِ الجُرجانيّ وغيرِهم .

ودَخَلَ ابنُ الخطيب التبريزيُّ في شبابهِ الى مِصْرَ[1] ثمّ عادَ الى بغداد وتولّى تدريسَ الأدبِ في المدرسة النظامية وأشرف على خزانة الكتب التي كانت في النظامية. وكانت وفاتُه في بَغدادَ فجأةً ، في ثامنِ عِشْري جُمادى الأولى من سَنَةِ ٥٠٢ (٤/ ١/ ١١٠٩ م) .

٢ ـ كان ابنُ الخطيبِ التبريزيُّ أحدَ أئمّةِ اللغة والنحو والأدب حُجّةً صَدوقاً ثَبْتاً ثِقَةً في كلّ ما يَرْويه ويَنْقُله ، كما كان ناظماً للشعرِ . وكذلك كان مُصَنِّفاً للكُتُبِ له: شرحُ القصائد العشر ـ شرح السبع الطِوال ـ شرح المُفَضّليات للضبّي ـ ثلاثة شروح على ديوان الحماسة لأبي تمّام (كبير ووسط وصغير) ـ شرح شعر المتنبّي ـ شرح المقصورة الدُريديّة ـ شرح سَقْطِ الزَنْد للمعرّي ـ شرح اللُمَع لابن جنّيّ ـ تهذيب إصلاح المنطق لابن السكّيت . ثمّ له أيضاً : تفسير القرآن ـ إعراب القرآن ـ مقدّمة في النحو ـ الكافي في العَروض ـ مقاتل الفرسان .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابن الخطيب التبريزيّ في مقدّمة شرح ديوان أبي تمّام :

... وبعدُ ، فانّي نظرتُ في شعرِ أبي تمّامٍ حبيبِ بنِ أوسٍ الطائيِّ وفي ما ذُكِرَ

---

(١) في معجم الأدباء (٢٠ : ٢٦) وفي وفيات الأعيان (٣ : ٢٠٥): «دخل (ابن الخطيب التبريزي) مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره اللغة » (في نصين متقاربين جداً) . ولم يذكر ياقوت الحموي ولا ابن خلكان شيئاً من ذلك في ترجمة ابن بابشاذ معجم الأدباء (١٢ : ١٧ ـ ١٩ ووفيات الاعيان ١ : ٤١٩ ـ ٤٢٠) . وابن بابشاذ توفي سنة ٤٦٩ هـ.

فيه من التفاسير ، فرأيتُ بعضهم يُنْحي عليه ويُهجِّنُ معانيه ويُزيِّفُ استعاراته[1] ، وبعضهم يتعصّبُ له ويقولُ : من جهلَ شيئاً عابَهُ كما أنّ مَنْ اعتَسَفَ طريقاً ضلّ فيه[2] ..... وانّما حثّني على الاشتغال به وتمييزِ ما ذكرَهُ العلماءُ فيه من معنىً أو إعرابٍ واختلفوا فيه ميلُ المولى أبي نصرٍ محمّدِ بنِ عمادِ الدين ــ مولى أميرِ المؤمنين[3] ــ إلى شعرِه ورغبته فيه دونَ سائرِ دواوين المُحْدَثين . فلمّا رأيتُ كثرةَ ميْله اليه وصِدْقَ رَغْبته فيه استعنتُ اللهَ تعالى على شرحه وذِكْرِ الغريب[4] والمعاني والإعراب فيه وترجيحِ بعضِ أقوالِ العلماء فيه على بعضٍ ، لأنّ منهم من أنصفَهُ ومنهم من أنْحى عليه . وربّما احتملَ البيتُ معنَيَيْنِ ويكونُ أحدُ المعنيين أقوى من الآخر فلا يُميِّزُ بينهما إلاّ مَنْ حَسُنَ فَهْمه وصفا ذِهْنُه ، لأنّ نَقْدَ الشعرِ أصعبُ من نظمه . فأوْضَحْتُ ذلك بإيرادِ ما لا مَحيدَ عنه للقارىء منه[5] والناظر فيه بلفظٍ مُوجَزٍ قليلُهُ يَدُلُّ على الكثير وقصيرُه يُغني عن التطويل . فخيرُ الشروحِ ما قلّ ودلّ ولمْ يَطُلْ فيُمَلَّ .....

ــ ومن شعر ابن الخطيب التبريزيّ :

فمَنْ يسأمْ من الأسفارِ يوماً فانّي قد سَئِمْتُ من المُقامِ .
أقمْنا بالعراقِ على رجالٍ لِئامٍ يَنْتَمون إلى لِئامِ .

٤ ــ كنز الحفّاظ في كتاب تهذيب الألفاظ (لابن السكّيت) (وقف على طبعه لويس شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٥ م ، = مختصر له ١٩٨٧م .

تهذيب اصلاح المنطق لابن السكيت (عني بطبعه صالح علي) مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٥هـ .

شرح مقصورة ابن دريد ، دمشق (المكتب الاسلاميّ) ١٩٦١ م .

شرح القصائد العشر (اعتنى بطبعه كارلوس لايل) كلكتّه (مطبعة الارسالية المعمدانية) ١٨٩٤ م ؛ القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية) ١٣٥٢ هـ ؛ (حقّق أصوله محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (صبيح) ١٩٦٢ م .

شرح أشعار الحماسة التي اختارها من أشعار العرب أبو تمّام (تحرير فرايتاغ)، بوّن ١٨٣٨ــ ١٧٤٧ م ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٨٦ ــ ١٢٩٠ ، ١٢٩٦ ؛ القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٤١ هـ .

---

(١) أنحى عليه (من نحا ينحو) : أقبل عليه (بالضرب أو اللوم) ، مال عليه ، جار في الحكم عليه .

(٢) اعتسف الطريق : مال ، انحرف (سلك الطريق على غير معرفة) .

(٣) ؟

(٤) الغريب (من الألفاظ) : الكلمات القليلة الدوران في الاستعمال ، غير المألوفة .

(٥) ما لا بد للقارىء من معرفته (حاد : مال ، انصرف) ولعل «منه» هنا زائدة .

ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي (تحقيق محمّد عبده عزّام)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ - ١٩٥٧

شرح سقط الزند للمعرّي (مطبوع في «آثار أبي العلاء المعرّيّ». (راجع، فوق، ص ١٣٤).

شرح قصيدة كعب بن زهير (حقّقها كرنكو)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨١هـ = ١٩٧١م.

شرح اختيارات المفضّل بن محمّد الضّبيّ (تحقيق فخر الدين قباوة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧١ م.

** دمية القصر ٦٨ - ٧١؛ معجم الادباء ٢٠ : ٢٥ - ٢٨؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٧٣؛ وفيات الأعيان ٣ : ٢٠٤ - ٢٠٧؛ بغية الوعاة ٤١٣ - ٤١٤؛ شذرات الذهب ٤ : ٥ - ٦؛ بروكلمان ١ : ٣٣١، الملحق ١ : ٤٩٢؛ زيدان ٣ : ٣٩ - ٤٠؛ الاعلام للزركلي ٩: ١٩٧ هـ.

الراغب الأصفهاني

١ - هو أبو القاسم الحسينُ بنُ محمّدِ بنِ المُفضّلِ المشهور بالراغب الأصفهاني، لا نعْرِفُ من أحداثِ حياتهِ شيئاً. وقدِ اختلفَ المؤرّخون في سَنَة وفاتهِ، والأرجح أنْ تكونَ ٥٠٢ أو ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م).

٢ - الراغبُ الأصفهاني من أئمة السُنّة (بغية الوعاة ٣٩٦) وحكيم وأديبٌ واسعُ الاطّلاع حَسَنُ التصنيفِ تمتاز كُتبه بالجَمْعِ الواسعِ البارع وبحُسْنِ الاختيار والذوق، مَعَ دِقّة الملاحظةِ وحُضور النُكتة. ويبدو أنّ كُتُبَه كانت كثيرةً : تفسير القرآن - مقدّمة التفسير - مفردات ألفاظ القرآن - دُرّة التأويل - حلّ متشابهات القرآن - رسالة منبّهة على فضائل القرآن - الذريعة الى مكارم الشريعة - تفصيل النشأتين وتحصل السعادتين - كتاب الأخلاق - محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - تحقيق البيان - أدب الشِطْرنج. ثمّ انّ قولَ الراغب الاصفهاني في مقدّمة محاضرات الادباء: «... ممّا صنعت من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ومن غيرِها من الكتب ....» يَدُلُّ على أن «نُكَتِ الاخبار» و «عيون الاشعار» كتابان، كما يدل على كثْرة كتبه.

وأشهرُ كتبِ الراغب وأهمّها كتاب «محاضرات الأدباء» وهو مجموعٌ من الآيات والاحاديث والأقوال والأشعار والقصص والفكاهات في كلّ وجه من وجوه الحياة جِدّها وهَزْلِها ورَفيعِها ووضيعها: في العلم والسياسة والعدل والظُلم والصناعات والعطاء والاستعطاء والضيافة والشراب والغزل والشجاعة والمُجون وفي أخلاق الناس

والأثاث والديانات والمذاهب والموت ومظاهر الطبيعة والملائكة والجنّ وغير ذلك.
ويَلْفِتُ النظرَ في هذا الكتاب فصولٌ تتعلّق بالمُجون صريحةٌ جدّاً، مَعَ إشارات مماثلةٍ في ثنايا الكتاب كلّهِ. ولا ريبَ في أن ذلك يَكْشِفُ عن جانبٍ من البيئة التي عاشَ فيها الراغب الأصفهاني.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة محاضرات الادباء:

وبعدُ، فإنَّ سيّدَنا[1] عَمَّرَ اللهُ بمكانه مَرابعَ الكرمِ ومجامعَ النِعَم أحبَّ أن أختارَ له ممّا صَنّفتُ من نُكَتِ الأخبارِ ومن عيونِ الأشعارِ ومن غيرِهما من الكتب[2] فصولاً في مُحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء يَجْعَلُه صَيْقَلَ الفَهْم ومادّةَ العِلْم. ففَعَلْتُ ذلك إيجاباً له، إذ قد جعلَ مُراعاةَ الأدب شعارَه ودثارَه[3] ومُحاماةَ الفضلِ إيثارَه واختيارَه، وجعلَ زِمامَ حَسَبه بكفِّ أدبِه، وسَلَكَ في زماننا طريقاً قَلَّ سالكوه - طُرُقُ العَلاء قليلةُ الإيناسِ! -. وقدْ ضَمّنْتُ ذلك طَرَفاً من الأبيات الرائقةِ والأخبار الشائقة، وأوردتُّ فيه ما إذا قِيس بمعناه فانّه ظَرْفٌ مِلءِ ظَرْفاً[4] ووعاءٌ حُشِيَ جِدّاً وسُخْفاً: مَنْ شاء وجدَ منه ناسكاً يَعِظُه ويُبْكيه، ومن شاء صادف منه فاتكاً يُضْحِكه ويُلْهيه .....

وأعوذُ باللهِ أن أكونَ مِمّنْ مَدَحَ نفسَه وزكّاها فعابَها بذلك وهجاها، ومِمّنْ أزرى بعَقْله إعجابه بفِعْله؛ فقد قيل لا يزالُ المرءُ في فُسْحة من عقله ما لم يَقُلْ شِعْراً أو يُصَنِّفْ كِتاباً. وأوْلى من يَصْرِفُ هِمّته الى مُراعاةِ مثلِ هذا الكتابِ من تَحلّى بطَرَفٍ من الآداب فيصيرُ به طليقَ اللسان ذَليقَ البيان....
ومَنْ لا يَتَحلّى في مجلسِ اللّهْوِ الاّ بمعرفة اللُغة والنَحْو كان من الحَصَرِ صورةً مُمَثَّلَةً أو بَهيمةً مُهْمَلَةً. ومن لا يَتَتَبَّعُ طَرَفًا من الفضائلِ المُخَلَّدة على ألْسِنَةِ الأوائلِ كان ناقصَ العقل. فالعقلُ نوعانِ: مطبوعٌ ومسموعٌ؛ ولا يصلُحُ أحدُهما الاّ بالآخرِ.

---

(١)

(٢) - من كتب الراغب الاصفهاني.

(٣) الشعار: لباس يلبس على البدن مباشرة. الدثار: ما يتغطى به الانسان طلباً للدفء.

(٤) راجع وصف الكتاب للجاحظ (ديباجة كتاب الحيوان). الظرف: الوعاء. الظرف: الكياسة في مخاطبة الناس ومعاشرتهم. الحصر: صعوبة النطق بالكلام المنطوي على معنى.

وقد تحرّيتُ – مما أخرجتُه من كلّ باب – غايةَ الاختصار والاقتصار، وأعفيتُه من الإكثار والإهذار، لئلاّ تُعافَ ممارستُه ومدارسته. ولكنْ عَظُمَ هذا الكتابُ بعضَ العِظَم لكثرة فصوله وتحقيقِ تفاصيله. وقد جعلتُ ذلك حُدوداً وفُصولاً وأبواباً، وذكرتُ جُملةَ الحدود والفصول في أوّل الكتاب ليَسْهُلَ طَلَبُ كلّ معنىً في مكانه. ووضعتُ كلَّ نُكتةٍ في الباب الذي هو أليقُ بها، وان كان كثيرٌ من ذلك يصلُحُ استعمالُه في أمكنةٍ (متعدّدة).

٤ – [1] محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، القاهرة (جمعيّة المعارف المصرية) ١٢٨٧هـ؛ (هذبه واختصره ابراهيم زيدان)، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٠٢ م؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٦ هـ؛ بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ –

تنزيه القرآن عن المطاعن، القاهرة (المكتبة الازهرية) ١٣٢٩ هـ.

مقدّمة التفسير (مطبوع مع تنزيه القرآن).

الذريعة الى مكارم الشريعة، القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٤ هـ.

تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، القاهرة بلا تاريخ؛ (نشره محمّد طاهر الجزائري)، بيروت ١٣١٩، ١٣٢٣هـ؛ (نشره جواد شبر)، صيداء ١٣١٩ هـ، ١٩٥٦ م.

المفردات في غريب القرآن (نشره الزهري الغمراويّ)، القاهرة (البابيّ) ١٣٢٤ هـ؛ (على هامش «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، القاهرة ١٣٢٢ هـ)؛ (تحقيق محمّد سيد كيلاني)، القاهرة ١٩٦١ م.

•• بغية الوعاة ٢٩٦؛ روضات الجنّات ٢٤٩؛ أعيان الشيعة ٢٧: ٢٢٠ – ٢٢٨؛ بروكلمان ١: ٣٤٣، الملحق ١: ٥٠٥ – ٥٠٦؛ زيدان ٣: ٤٧؛ دائرة المعارف الاسلامية (ط ١) ٣؛ تاريخ حكماء الاسلام ١١٢ – ١١٣؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٧٩.

الأبيــــوردي

١ – هو أبو المُظَفَّر محمدُ بنُ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ محمّد الأبيوَرْديُّ، كان مَوْلده في قرية كُوفَن (وفيات ٢: ٣٨٤) وهي قريةٌ قُرْبَ أبيوردَ (أو أباوَرْد أو باورد).

جاء الأبيورديُّ إلى بغداد في مَطْلع حياته فكان فيها يُعلّم أولادَ زينِ المُلْكِ الأميرِ بُرْسُقَ الذي كان الشِحْنَةَ (نائبَ السُلْطان السلجوقي لدى الخليفة في بغدادَ) من سَنَةِ ٤٥١ الى ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م). ثم نجِدُهُ بعدَ مدّةٍ طويلةٍ (٤٨٦ هـ –

---

(١) راجع أيضاً معجم المطبوعات العربية ٩٢٢ – ٩٢٣.

١٠٩٣ م) في أصفهانَ ، في خدمة مؤيّد الدولة عُبيْد الله بن نظام المُلْك الذي تولّى الوزارة للسلطان محمود بن مَلَكْشاه السلجوقي بِضْعَةَ أشهر من تلك السَنَة ؛ أو لعلّ ذلك كان في وزارة مؤيّد الملك الثانية للسلطان بَرْقْيارُوق بن مَلَكْشاه في سنة ٤٨٧ ﻫ ، على الاغلب .

ونَشِبَتْ العداوةُ بين مؤيّد الدولة وبين عميد الدولة بن مَنُوجَهْرَ وزير الخليفة المُسْتَظْهِر بعدَ ٤٨٧ﻫ فأوْجبَ مؤيّد الدولة على الابيوردي أن يَهْجُوَ عميدَ الدولة. فنَقَلَ عميدُ الدولة إلى المستظهر أن الأبيوردي هَجاه ومَدَحَ صاحِبَ مِصْرَ (الامام الفاطمي المُسْتَنْصِرَ أو المُسْتَعْلِي) ، فخافَ الأبيورديُّ وهَرَبَ الى هَمَذانَ .

ويبدو أنَّ الأبيورديّ قَدِمَ ، بعدَ هذه الأحداث ، الى الحِلّة لِيَمْدَحَ صاحبَها أبا الحسنِ سَيْفَ الدولة بنَ صَدَقَةَ ، ولكنْ حَدَثَ بين الرجلين سوءُ تفاهم حمل الأبيورديّ على أن يُغادِرَ الحِلّة من غيرِ أن يَنال من سيف الدولة خَيْراً. ثم صفا الجَوّ للأبيورديّ في بَغدادَ حيناً فتولّى خزانةَ الكُتُبِ في المدرسة النظامية (في بَغدادَ) بعدَ وَفاةِ خازنِها السابقِ القاضي أبي يوسف يَعْقوبَ بنِ سليمانَ الأسفراييني [١]

وتولّى الأبيورديُّ في أواخر أيامه أشراف مملكة السلطان محمّد بن ملكشاه في أصفهان ، ولكنّه سُقِيَ السّمَّ لِسَبَبٍ لا نَعْرِفَهُ فتُوُفِّيَ في ٢٥ ربيعٍ الأوّلِ ٥٠٧ ﻫ (١١/ ٨/ ١١١٣ م) [٢] .

٢ ـ كان الأبيورديّ أحدَ القُرّاء في أبيوردَ ، وكانَ مُحيطاً بالعلوم العربية والأدبية وبعِلْم النَسَب . ثم هو من مشاهيرِ الادباء وشاعرٌ ظريفٌ فصيحٌ متينُ السبكِ رائق المعاني . أما فنونُ شعره فهي المديح والفخر والهجاء والعتاب والغزل والوصف والادب .

والأبيوردي مُصَنِّف بارعٌ حاذق له من الكتب : كتاب تاريخ أبيورد ونَسا ـ كتابٌ كبير في الأنساب ـ كتاب ما اختلف وائتلف من أنساب العرب ـ قَبْسَةُ العَجلان في نَسَبِ آل أبي سُفيانَ ـ كتاب المختلف والمؤتلف ـ كتاب نُهْزة الحافظ ـ كتاب المُجتبى من المُجتنى (في رجال كتاب أبي عبد الله النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبه) ـ كتاب طبقات العلم في كل فن ـ كتاب تَعِلّة المشتاق الى ساكني

---

(١) يذكر ياقوت (معجم الادباء ١٧ : ٣٧ أن وفاة الاسفراييني هذا كانت في رمضان ٤٩٨ . أما بروكلمان فيذكر أن وفاة الاسفراييني كانت في ٤٨٨ ﻫ = ١٠٩٥ م (بروكلمان ١ : ٤٣٠ ، الملحق ١ : ٤٩٤) .

(٢) في وفيات الاعيان (٢ : ٣٨٤) ٥٥٧ ﻫ ، وهو خطأ .



العراق ـ كتاب كوكب المتأمّل (في وصف الخيل) ـ كتاب تعلّة المقرور (في وصف البرد والنيران وهَمَذان) ـ كتاب الدرّة الثمينة ـ كتاب صهلة القارح (ردّ فيه على المعرّي في سقط الزند) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال الابيوردي يفتخر :

تنكّرَ لي دَهْري ولم يَدْرِ أنّني ... أعِزٌّ وأحْداثُ الزمانِ تَهونُ ؛
فباتَ يُريني الخَطْبَ كيفَ اعْتداؤه ، ... وبِتُّ أُريهِ الصبرَ كيفَ يكونُ !

ـ وقال يصف شعْره ويفتخر به :

كَلِماتي قلائدُ الأعناقِ ؛ ... سَوْفَ تَفْني الدهُور وَهْيَ بَواقِ .
فقَريضي يَراهُ من يَنْقُدُ الأشْ ... عارَ سَهْلَ المَرامِ صَعْبَ المَراقي[1] ؛
لم يَشِنْهُ المَعْنى العَويصُ ولا لَفْ ... ظٌ يَكِدُّ الأسماعَ ، مُرُّ المَذاق[2] .
وهْوَ في مَنْجَمِ الفَصاحة مِنْ فَرْ ... عَيْ نِزارٍ مُقابِلُ الأعراق[3] .
وإليه يَصْبو الرُواةُ ؛ وفيه ... مَعَ شَكْلِ الحِجاز ظَرْفُ العِراق[4] .

ـ وله في الغزل :

وعليلةِ الألحاظِ تَرْقُدُ عن ... صَبٍّ يُصافِحُ جَفْنَهُ الأرَقُ[5] ؛
وفُؤادُه كِسوارِها حَرِجٌ ، ... ووِسادُه كوِشاحِها قَلِقُ[6] .

---

(١) المرام : الغاية ، الوصول الى الشيء . المرقى : الطريق الصاعدة (في جبل أو نحوه) .
(٢) شان : عاب . الكلام العويص : الذي يصعب استخراج معناه . كد : أتعب .
(٣) المنجم : الاصل . من فرعي نزار : عربي من كل جانب (والتثنية للمبالغة) . الاعراق : أصول النسب . مقابل الأعراق : مكافىء ومطابق تمام المطابقة .
(٤) يصبو الرواة : يشتاق الرواة الى روايته وحمله في البلاد . الشكل (بفتح الشين وكسرها) : الغزل . شكل الحجاز : الغزل الحجازي في رقة من اللفظ ولطف من المعنى . الظرف : اللباقة في شيء من المرح ولا يكون ذلك الا للفتيان والفتيات (ولا يكون للمتقدمين في السن) ، الغنج .
(٥) ترقد عن صب : تتغافل عن محبها (وهو يتعذب في حبها) . يصافح جفنه الارق (كناية عن السهر وهرب النوم عنه ، لأنه محب) .
(٦) سوارها حرج (بفتح الراء أو كسرها) : ضيق (كناية عن سمن معصمها فلا يتحرك فيه السوار) . والفؤاد (القلب) الحرج الذي يضيق بكل أمر (لأنه مملوء بالحب) . وشاحها قلق : مضطرب يتحرك بسهولة على كتفيها (كناية عن انها نحيلة هيفاء) . وساده (مخدته ، فراشه) قلق (كناية عن النوم المتقطع) .

عانقتُها والشُهبُ ناعِسَـةٌ والأُفقُ بالظلْماء مُنْتَطِقٌ[1] ،
ولثمتُها والليلُ مِنْ قِصَرٍ قد كاد يَلْثِمُ فَجْرَه الشَفَقُ[2] ،
بمُعانِقٍ أَلِفَ العَفافَ بـهِ كَرَمٌ بأذْيالِ التُقى عَلِقُ[3] .
ثمّ افْتَرَقْنا حينَ فاجَأنا صُبْحٌ تَقاسَمَ ضوءَه الحَدَقُ[4] —
وبنَحْرِها مِنْ أدْمُعي بَلَلٌ ، وبراحتي مِنْ نَشْرِها عَبَقُ[5] !

— لمّا استولى الإفرنج (الصليبيّون) على بيت المقدس (٢٢ شعبان ٤٩٢ = ١٥/ ٧/ ١٠٩٩ م) قتلوا — فيما ذكر ابن الاثير (١٠ : ٢٨٣) — في المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفاً . وكان أمراء المسلمين في ذلك الحين مختلفين متنابذين ، فنظم الابيوردي في ذلك كلّه قصيدة منها :

وشر سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُه إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصوارمِ[6] .
فإيهاً ، بني الإسلامِ ، إنّ وراءكم وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُرى بالمناسمِ[7] .
أتَهْوِيمةٌ في ظِلّ أمْنٍ وغِبْطةٍ وعيشٍ كنُوّارِ الخَميلة ناعمِ[8] !
وكيف تنامُ العينُ مِلْءَ جفونِها على هَفَواتٍ أيْقظتْ كلّ نائمِ[9] ؟
واخوانُكم بالشامِ يُضحي مَقيلُهم ظهورَ المذاكي أو بُطونَ القشاعمِ[10] .

---

(١) الشهب (النجوم) ناعسة (لا تكاد تلمع لشدة الظلام). منتطق (يلبس نطاقاً أو منطقة ، بكسر الميم) : ملتف ، محاط .

(٢) الليل كاد يلثم فجره الشفق : قرب طلوع الفجر .

(٣) علق : متعلق ، متمسك (بالعفة) .

(٤) صبح تقاسم ضوءه الحدق (العيون) : انتبهنا كلانا لطلوع الصبح ؛ عيوننا تبرق بضوء الصبح .

(٥) النحر : أعلى الصدر . بنحرها من أدمعي بلل (لأنني كنت واضعاً وجهي علية وأنا أبكي كرهاً للفراق) . وبراحتي (كفي) من نشرها (رائحتها) عبق (رائحة زكية شديدة) لشدة امساكها بيدي كيلا أفارقها .

(٦) الصوارم جمع صارم : السيف القاطع .

(٧) ايها (بكسر الهمزة وتنوين الهاء : اسم فعل) : حسبكم =يكفيكم (تقاعساً وكسلا وخوفاً من القتال) . وقائع : معارك . يلحقن الذرى (الأعالي ، الرؤوس) بالمناسم (المنسم : خف البعير ، بكسر الخاء) يذللن الانسان : يجعلن رأسه منخفضاً في موضع قدمه .

(٨) تهويمة : سهوة ، نوم خفيف هادئ (استرخاء في النوم بلا مبالاة) . النوار : الزهر . الخميلة : الشجرة الصغيرة التي كثر ورقها وزهرها .

(٩) الهفوة : السقطة ، الزلة (الخطأ الفادح) .

(١٠) المقيل : النوم (والمكان والمستقر). المذاكي من الخيل : الكبيرة (التي تخوض المعارك) . — مكانهم ظهور الخيل (في الحرب) أو بطون القشاعم (جمع قشعم : النسر) ، اي قتلى أكلتهم الطيور الكواسر .

تَسومُهُمُ الـروم الهَوانَ ، وأنتم تَجرّونَ ذَيْلَ الخفْضِ فِعْلَ المُسالم[1]

وكم من دماءٍ قد أبيحت ، ومِنْ دُمىً تُواري حيـاءً حُسنَها بالمعاصم[2] ؛

بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُبى ، وسُمْرُ العَوالي داميات اللّهـاذمِ[3] .

وبينَ اختلاسِ الطَعْنِ والضربِ وَقْفَةٌ تَظَلُّ لها الوِلدانُ شيبَ القوادم[4] .

وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غِمارها —ليَسْلَمَ— يَقْرَعْ بعدَها سِنَّ نادم[5]

يَكادُ لَهنَّ المُسْتَجِنُّ بِطيبَـةٍ يُنادي بأعلى الصوتِ : يا آلَ هاشمِ[6] ،

أرى أمتي لا يُشْرِعون الى العِدى رِماحَهُمُ ، والدينَ واهي الدعائم[7] .

ويَجْتَنِبون النارَ خوفاً من الردى ، ولا يَحْسَبونَ العارَ ضربةَ لازم[8] .

أتَرْضى صَناديدُ الأعاريبِ بالأذى ، ويُغْضي على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجم[9] .

فَلَيْتَهُمُ —إذ لم يَذودوا حَميّةً عن الدينِ— ضَنّوا، غَيْرَةً، بالمَحارم[10] ؛

وإنْ زَهِدوا في الأجرِ—إذحَمِسَ الوَغى— فهلّا أتَـوْهُ رَغْبَةً في الغنائم[11] !

---

(١) الروم اسم يطلقه العرب عادة على النصارى ، سواء أكانوا روماً (يونانيين) أو فرنجة أو رومان ، الخ الخفض : العيش الناعم الهنيء . المسالم : الذي لا يحارب أو لا يريد أن يحارب .

(٢) الدمى جمع دمية : الصورة الجميلة أو التمثال (المرأة الحسناء) . توارى حياء حسنها بالمعاصم : تغطي وجهها بمعصميها (بكسر الميم) بيديها خجلا من أعمالكم (لأنكم لا تقاتلون الافرنج) .

(٣) الظبى : جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . العوالي جمع عاليه : صدر الرمح ، الرمح . اللهذم الحديدة في أعلى الرمح .

(٤) القوادم جمع قادم : رأس الانسان . اختلاس الطعن (بالرمح) والضرب (بالسيف) : تطاعن المسلمين والافرنج في حرب تطاعناً شديداً فيه اختلاس (انتهاز كل محارب غفلة خصمه ليقتله) .

(٥) الغمرة : معظم الماء (في البحر) ، وسط المعركة . يقرع سن نادم : يندم .

(٦) المستجن : المستتر . طيبة : المدينة (في الحجاز) . المستتر بطيبة : المدفون في المدينة المنورة (محمد رسول الله) .

(٧) أشرع المقاتل الرمح الى خصمه : سدده وصوبه ووجهه . واهي : ضعيف . الدعامة : عماد البيت الذي يقوم البيت عليه (العمود الاوسط في الخيمة) .

(٨) اجتنب : ابتعد عن . النار (نار الحرب) : الحرب . الردى : الموت . ولا يحسبون أن العار ضربة لازم : ينسون (بفتح السين) أن العار سيلزمهم بعد ذلك .

(٩) الصنديد : الشجاع . الكمي : الشجاع المقدام المتقلد سلاحه تاماً كاملا . أغضى (أغمض عينيه) على الذل : رضي بالذل .

(١٠) ذاد : دافع . حماسة : الأنفة (بفتح النون) ، الاباء ، الدفاع عن المحارم (النساء أو المقدسات التي يجب على الانسان أن يدافع عنها) . ضنوا بالمحارم : بخلوا أن تؤسر نساؤهم ، خافوا أن تؤسر نساؤهم .

(١١) الأجر : الثواب في الآخرة . حمس : اشتد . الوغى : الحرب .

— وقال يمدح بعضَ وُزراء العرب (وكان اسمه عمادُ الدين) :

مَنْ أغفلَ الحزمَ أدْمى كفَّه نَدَمَا ، واستَضْحَكَ النصْرَ من أبْكى السُيوفَ دَما[1] .

فالرأيُ يُدْرِكُ ما يَعْيا الحُسامُ بـه إذا الزمانُ بذَيْلِ الفِتنَةَ التثما[2] .

هاب العدا غَمَرَاتِ الموتِ اذ بَصُروا بالأُسْدِ تَنْزِلُ من سُمْرِ القَنا أجَما[3]

والخيلُ عابسـةٌ يَعْتادُها مَـرَحٌ اذا امتطاها عِمادُ الدين مُبْتَسما[4] .

وعُصْبَةٌ مُلِئَتْ غيظاً صدورُهُمْ من مُخْفِرٍ ذِمَّةً أو قاطعٍ رَحِما[5] .

والشعب إنْ دبَّ في تَفْريقه إحَـنٌ فلن يعودَ طَوالَ الدهرِ مُلْتَئِما[6] .

وأنتَ أبعدُ في فَضْلٍ ومَكْرُمَـةٍ شأواً ، وأثبتُ منهم في الوَغَى قَدَما[7] .

إذا أذابَ شِرارُ الحِقْدِ عاطفَـةً هززتَ للعَفْو عِطْفَيْ سُؤْدُدٍ كرما[8] .

فودَّ كلُّ بَريءٍ —مُذْ عَرَفْتَ بـه— دونَ البريّةِ ، أن يَلْقاكَ مُجْتَرِما[9] !.

٤ — ديوان الابيوري ، بعبدا بلبنان (المطبعة العثمانية) ١٣١٧ هـ ؛ بيروت ١٣٢٧ هـ (نشرت فيه قصائد للغزّيّ خطأ) .

مقطّعات الابيوردي ، القاهرة ١٢٧٧ هـ .

المختلف والمؤتلف (حقّقه مصطفى جواد) مطبوع مع المختلف والمؤتلف لابن الصابوني ، بغداد (المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٧ م .

---

(١) أدمى كفه ندماً (من كثرة عضها ندماً على تركه الحزم : ضبط الأمور مع الثقة بالنفس في البت فيها) .

(٢) التثم الزمان بذيل الفتنة : وضع ذيل الفتنة على وجهه (كثرت فيه الفتن) .

(٣) الغمرة : معظم ماء البحر . غمرات الموت : المعارك الشديدة . الاسد: الرجال الشجعان الاقوياء . تنزل من سمر القنا (الرماح) أجما (أجما مفعول به من الفعل « تنزل »): تخيم في مكان كثير السلاح .

(٤) الخيل عابسة (من شدة الحرب) يعتادها (يظهر عليها مرة بعد مرة) مرح (سرور مع نشاط) اذا امتطاها : ركبها (لحرب) عماد الدين مبتسماً .— تعبس الخيل اذا أعلنت الحرب ، فاذا علمت أن عماد الدين هو الذين سيذهب بها الى الحرب فرحت (لعلمها بأنه سينتصر).

(٥) وعصبة ... (من الثائرين) ! مخفر ذمة : خائن عهداً . قاطع رحماً :عاصياً أقاربه ، محارباً لقومه .

(٦) الإحن جمع إحنة : الحقد والغضب . ملتئم : مجتمع .

(٧) الشأو : الشوط ، المدى . أثبت في الوغى (الحرب) قدماً : أشجع.

(٨)— اذا أنساهم حقدهم ضرورة عطفهم عليك (لأنك قريب لهم) عفوت أنت عنهم عفو مترفع عن معاملتهم بمثل ما عاملوك به . العطف : الجانب الاعلى من الجسم ، الكتف.

(٩) —كل بريء يتمنى أن يكون مذنباً اليك — لا الى غيرك — ثم يجيء اليك لحسن ما تلقى به المذنبين من الكرم والصفح .

** الابيوردي ممثل القرن الخامس في تاريخ الفكر ، تأليف ممدوح حقّي ، دمشق (دار اليقظة العربية) بلا تاريخ .
معجم الأدباء ١٧ : ٢٣٤ — ٢٦٦ ؛ المحمدون ٤٧ — ٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١ — ٣٨٤ ؛ انباه الرواة ٣ : ٤٩ — ٥٢ ؛ بغية الوعاة ١٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٨ — ٢٠ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م) ٤١ : ٦٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٣—٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٧—٤٤٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٠٠ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٢٠٩ .

ابن الهبـــارية

١ — هو الشريفُ نِظامُ الدين أبو يَعْلى محمدُ بنُ محمدِ بنِ صالحِ بنِ حمزةَ الهاشمي البَغداديُّ العبّاسيّ ، كان من نَسْلِ عيسى بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ علي (كان عيسى ابن أخي أبي جَعْفرِ المنصورِ) .

وُلِدَ ابنُ الهبّارية في بَغدادَ ونشأ فيها وتلقّى العلمَ في المدرسة النِظامية في الغالب؛ ثم اتّصل بنظام المُلْك وزيرِ مَلِكْشاه السلجوقيّ وحَظِيَ عنده . ولكنّ خُبْثَ لِسانه ونَفْسه حَمَلَه على هِجاءِ نِظامِ المُلْكِ ، أغراه بذلك أبو الغَنائمِ بنُ دارستَ . وأغْضى نظامُ الملك على هذا الهجاء وزاد في أفْضاله على ابنِ الهبّارية . غيرَ أنّ ابنَ الهبارية ظلّ يُوجِسُ خِيفةً في نفسِه فغادر بَغدادَ ، في أواخرِ وزارةِ نظامِ الملك (٤٥٦ — ٤٨٥ هـ) في الاغلب ، الى إصبهان . ومع أن نِظامَ الملك قُتِلَ سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) ووَلِيَ الوزارةَ بعده أبو الغنائم (ت ٤٨٦ هـ) ، فانّ ابنَ الهبّارية لم يَعُدْ إلى بغداد فيما نَعْلَمُ . وبعدَ أن قَضى ابنُ الهبّارية مُدّةً في إصبهان رَحَلَ عنها إلى كَرْمان وبَقِيَ فيها إلى أن تُوُفِّيَ سنة ٥٠٩ هـ (١١٠٥ م) .

٢ — ابن الهبارية شاعر مجيد مقتدر مكثر ، ولكن غلب على شعره الهجاءُ والهزل والسخفُ والمجون أحياناً ، والنظيف من شعره في غايةِ الحُسْنِ . وشُهْرَةُ ابنِ الهبّارية إنما هي في الشعرِ القَصَصي الحِكْمي قصيداً ورَجَزاً . وقد نَظَمَ قِصَصَ كتابِ كليلةَ ودِمنةَ (لابن المُقَفَّع) شِعراً وسمّاه نَتائج الفِطْنة في نَظْمِ كليلةَ ودِمنة . ثمّ انّه وَضَعَ كِتاباً سمّاه « الصادحَ والباغم » [1] على أسْلوبِ كليلة ودِمنةَ وجعله شِعْراً في ألْفَيْ بيتٍ وقدّمه إلى أبي الحَسَنِ صَدَقَةَ بنِ منصورٍ صاحبِ الحِلّة (٤٧٩—٥٠١هـ). ولابن الهبّارية أيضاً أرْجوزة في الشِطْرنج وكِتاب فَلَكُ المعالي.

(١) الصادح من الطير والباغم من البهائم (كالغزال) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن الهبّاريّة يردّ على من يقول بأنّ الانسان اذا سافر حصل على رزق كثير :

قالوا : أقمتَ وما رُزقتَ ؛ وإنما بالسَيْرِ يَكْتَسِبُ اللبيبُ ويُرزقُ[1] !
فأجبْتُهم : ما كلُّ سيرٍ نافعاً ؛ الحظُّ ينفع لا الرحيلُ المُقْلِق[2] !
كم سفرةٍ نفعتْ ، وأخرى مثلُها ضرّتْ : ويكتسب الحليم ويُخْفِق[3] ؛
كالبدر يكتسب الكمالَ بسيره ، وبه – اذا حُرِم السعادةَ – يُمْحَق[4] .

– من نتائج الفطنة : باب الحمامة المطوقة[5] :

لمّا انقضى الكلامُ قال دَبْشَلَمْ لِبَيْدَبا : لقد أتيتَ بالحِكَمْ[6] .
وقد عَلِمْنا كيف قَطْعُ الخائنِ بين المُحبَّيْنِ بقولِ المائنِ[7] ،
فاذْكُرْ لنا أخلاقَ إخوان الصَفا وما سمعتَ عنهمُ مِنَ الوفا[8] ،
وكيف يَبْدا حُبُّهم ووُدّهم ، ثم يدومُ عَهْدُهم وعَقْدُهم .
فكان قولُ الفيلسوفِ بَيْدبا : خيرُ كنوزِ المرءِ إخوانُ الصفا .
لا تُخْدَعَنْ فإنّما الإخوانُ على الأمور كلّها أعوان ،
كَمَثَلِ الحمامةِ المُطَوَّقَةْ وقصدِها في كَرْبِها الأخَ الثِّقَهْ
الجُرَذَ الناصحَ للأصحابِ : السُلَحفا والظَبْيِ والغُرابِ .
قال : فحَدِّثْني بذاك أسْمَعِ ؛ ولا تُحَدِّثْ جاهلاً ليس يَعي[9] .
قال : نَعَمْ ، كانَ بأرضٍ صَيْدُ مرتَعُهُ دَشْتٌ عليه رَيْدُ[10] .

---

(١) اللبيب : العاقل .

(٢) المقلق : المزعج (الذي يحمل الانسان على أن ينتقل من مكان الى آخر) .

(٣) أخفق الرجل : خاب (طلب أمراً فلم يحصل عليه) .

(٤) يمحق (بالبناء للمجهول) القمر : يذهب نوره (في آخر الشهر) .

(٥) باب الحمامة المطوقة: باب (فصل) في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع يقوم على أن الصداقة ممكنة بين الأجناس المتنافرة في الطباع كالانسان والحمام والسلحفاة والغزال والجرذ والغراب الخ .

(٦) دبشليم ملك الهند وبيدبا الفيلسوف الهندي هما اللذان بنى ابن المقفع عليهما الحوار في كتاب كليلة ودمنة .

(٧) المائن : الكاذب . وقد علمنا كيف قطع الخائن .... : في باب الاسد والثور (قبل باب الحمامة المطوقة مباشرة) يقول دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : اضرب لي مثل المتحابين اللذين يقطع بينهما الكذوب المحتال .

(٨) اخوان الصفا : الأصدقاء الذين لا تبطل صداقتهم .

(٩) – حدثني أنا ولا تحدث بهذه الحكمة رجلا جاهلا لا يستوعب ما يسمع .

(١٠) الدشت : الصحراء . الريد : الحرف الناتئ من الجبل .

بَيْنا غُــرابٌ ساقطٌ في شَجَرَهْ إذ مــرّ صيّادٌ بـــهِ فأنْكَرَهْ[1]
وقال : ما أبــرحُ من مكانــي . حتّى أرى فِعال ذا الإنسانِ[2] ....

– الغُراب والعُقاب (من الصادح والباغم) :

.... وفعلُ ما يُفْعَل للصـــلاحِ ما فيه من عيبٍ ولا جَنــاحِ[3] .
فالشَهْمُ مــن أصْلحَ أمــرَ نفسهِ ولو بقتل وُلْده وعِرسه[4] !
أما سمعتَ خَبَرَ الغُرابِ ، إذْ خَشِيَ الشرَّ من العُقابَ[5] ؟
كان بـــه مستأنساً مُختَصَّـــا لا يَجِدُ العائــبُ فيه نَقْصَــا .
وصاحبُ النِعمةِ محسودٌ عــلى ما نالَه من العُلا إذا عَلا .
فطرَحوا في مَسْمَعِ العُقــابِ خيانةً عن وَلَدِ الغــراب ؛
فقيل : قدْ أفسد بَعْضَ الحُــرَمِ —ولم يكن في ذاك بالمُتّهــم[6] —
فخَشِيَ الغُــراب من نَكيره ، إذْ بالغ الحــاسد في تــزويره[7] .
وقال : لا يَحتملُ الســلطانُ ؛ ثلاثــةً يفعلهــا خــوّان :
إذاعةَ السر وإفساد الحُــرَمْ والقَدْحَ في المَلْكِ ؛ ومن يَفْعَلْ يَلَمْ !
وإنني أرهب مــن عِقــابهِ جائحةً تَغُمُّ من عذابه[8] .
فتذهبُ النفسُ وكلّ الأهْلِ ؛ والحزمُ أن أفْدِيَهُمْ بالشُكْلِ .
قد يُقْطع العضوُ ، إذا العُضْوُ فَسَدْ ؛ ويقْلع الضِرس لإصلاح الجسد .
حينَئذٍ قــام فَسمَّ وَلَــدَهْ ؛ كم رجــلٍ أصلحه ما أفْسَدَهْ !
وجاءه بــرأسهِ[9] وقــالا : « لستُ لِما تكرهُه حَمّــالا .

(١) أنكر : أنكر مجيء هذا الصياد الى هذه الصحراء التي ليس فيها طيور .
(٢) أبرح : أترك ، أذهب.
(٣) ما فيه : ليس فيه . جناح : ذنب . « ما » الأولى (اسم موصول)، والثانية (حرف نفي).
(٤) الولد (بضم الواو) : الاولاد . العرس : الزوجة .
(٥) العقاب (بالضم) : طائر من الجوارح.
(٦) الحرم : جمع حرمة (بضم الحاء) : ما يحرم على الآخرين ، المرأة . لم يكن في ذاك بالمتهم : كان أميناً لا يفعل مثل ذلك.
(٧) من نكيره=من نكير العقاب: من استنكاره= كثرة اللوم والتهويل بالذنب. التزوير: تحسين الكلام وتزويقه.
(٨) الجائحة : الشدة التي تذهب بالمال ، الاهلاك. تغم : تجلب الغم والحزن.
(٩) وجاءه برأسه : (قتل الغراب ابنه) وجاء برأسه الى العقاب .

من خـــانَ مولاه فـــذا جَزاؤُهُ ؛ وربّـمـــا داوى العليلَ داؤه
إني عدوٌ كلٍّ من عاداكـــا ، كذا وليٌّ كلٍّ مـــن والاكا » .
فجلّ في نفس العُقاب قَدْرُهُ ، وصانه مـــن العِقاب مكـــره .
وللرجالِ ــ فاعْلَمَنْ ــ مكائــدُ وخِدَعٌ مُنْكَـــرَةٌ شدائدُ !

٤ ــ الصادح والباغم ، لكنهو ١٨٤٧ م ؛ القاهرة ١٢٩٢ ، ١٢٩٤ هـ ؛ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٦ م ؛ بعبدا بلبنان ١٩١٠م؛ (نشره عزة العطار)، القاهرة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة (بعناية الشيخ نور الدين بن جيواخان ــ وبتصحيح غلام حسين بن الفسوح الماجد ملاّ عبد أبي القاسم) ، بمبيء ١٣٠٤ ؛ (باعتناء فيض الله البهائي وصالح محمد بن ملاّ حسين علي) بمبيء ١٣١٧ هـ ؛ (بتصحيح نعمة الله الأسمر) ، بعبدا في لبنان (المطبعة اللبنانية) ١٩٠٠ م .

** الوافي بالوفيات ١ : ١٣٠ ــ ١٣٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٦ ــ ٣٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤ ــ ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٣ ، الملحق ١ : ٤٤٦ ــ ٤٤٧ ؛ زيدان ٢ : ١٥٤ (في ترجمة ابن المقفّع) ، ٣ : ٢٧ ــ ٢٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٤ ــ ٧٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٤٨ .

يغمر بن عيسى

١ ــ هو الأميرُ يَغْمُرُ[١] بنُ عيسى : ابنُ العُكْبَرِيّ من مُولَّدي الأتراكِ في دِمَشْقَ ومن أمرائها المعروفين ، ماتَ في عُنفوانِ شَبابه سَنَةَ ٥٠٩ أو ٥٠٨ هـ .

٢ ــ كان يَغْمُر بنُ عيسى أميراً شُجاعاً وأديباً بارعاً في النثرِ والنَظْمِ مَعَ شيء من الضَّعف ومن التَكَلُّفِ لأوجهِ البلاغة . وهو مُصَنِّفٌ تَرَكَ لنا رسالةً جارى فيها أسْلوبَ المقاماتِ في مادّتها وسِياقها وفي أُسلوبها . وقد وَصَفَ عِمادُ الدين الأصفهانيّ هذهِ الرسالةَ فقال[٢] : « وَجدتُ رسالةً له بخطّه ذَكَر فيها ما يتضمّن مُعاشرةَ الإخوان وتَعَبَ الزمان والحَثَّ عـلى اغتنامِ الفُرَصِ ووَصْفَ الصيد والقَنْص وشُرْبَ المُدام وتقلّب الأيّام . و (قد) نَقَحْناها وصَحّحْناها ، وحذَفْنا منها وأوْضَحْناها ، وكَلّلناها ورَصّعْناها[٣] . (ثمّ) أوْرَدْنا منها ما وَقَعَ الاختيارُ عليه نَظماً ونثراً ، وأحْيَيْنا له بإيرادِها ذِكْراً » .

---

(١) يغمر من التركية (يغمور) : المطر . (٢) الخريدة (الشام) ١ : ٣٥٤ .

(٣) كللناها : جعلنا لها اكليلا (عصابة أو طوق يجعلان على الرأس). رصع الصائغ السوار : نزل فيه قطعاً من الجوهر والخرز ، الخ . ــ هذا يدل على أن العماد الاصفهاني قد صحح هذه الرسالة ونقحها بالزيادة والنقصان وبعض التبديل .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ أثبتَ العمادُ الأصفهانيُّ في الخريدة رسالةً ليغمرَ بنِ عيسى جاء فيهـا في وَصْفِ الدنيا وفي مُحاولةِ التغلّبِ على شِقائها بشُرْبِ الخمر :

دارُ سوءٍ فما تُقيم على حالٍ ولا تستقيمُ في الأفعـالِ .
طَبْعها اللؤْم والخلابـة والحِقْـد ونَقْضُ العهودِ والأحـوالِ [١] ،
وانتزاعُ الغِنى بنـازلة الفقْـر وحلْوِ النعمـا بمُرِّ السُؤال [٢]
فالأريب اللبيب يستنفـدُ الدُنْـيا وأعراضَها ببَذْل النّـوال [٣] .

فليس للمُقيمِ فيها مُقامٌ ، ولا للمنتقم من صَرْفِها انتقام [٤] ، إلاّ بمُداومـة الصَهْباء في الإصباح والإمساء ، لصَرْفِ الهَمِّ عن قلبه بصِرف الراح [٥] وجَعْلِ قَدَحهِ الكبيرِ مَعَ الأقداح ومُبادرةِ دَنّهِ وخَمّاره ومُراوحةِ عُودِه ومِزْماره [٦] .

ولقدِ استنفدتُ كلَّ المَجْهودِ في بلوغِ المقصودِ فرأيتُ تحصيلَ الجارِ قبلَ الدار والرفيقِ قبلَ الطريق، اذ لا سبيلَ الى جمعِ المَسرّةِ الاّ بالمُصافي من الإخوان [٧] ، ولا في دَفْع المَضَرّةِ الاّ بالكافي من الأعوان [٨] . وفَتَحَ الله لي بسادةٍ امراءَ وقادة كُبَراءَ يَجْزونَ عن الإساءةِ بالإحسان ويُقابلون الذَنْبَ بالغُفْران : إن قُطِعوا وَصَلوا ، وان خُزِنَ عنهم بَذَلوا ، وان فُوضِلوا فَضَلوا [٩] ....

---

(١) الخلابة : الخديعة برقيق الحديث . نقض الأحوال : تبديل الاحوال (الحسنة) .

(٢) كذا في الاصل . وفي القاموس : النعماء (بفتح النون) والنعمى (بضمها) : الخفض والدعة (العيش الناعم اللين) .

(٣) الاريب : العاقل . الأعراض : الاشياء المادية في الحياة . النوال : العطاء.

(٤) الصرف ، صرف الدنيا أو صرف الدهر : النوائب والمصائب .

(٥) الصهباء : الحمراء (الخمر) . في الاصباح والامساء (بكسر الهمزتين) : عند الدخول في الصباح والمساء ، و (بفتح) الهمزتين: جمع صباح ومساء – في كل صباح ومساء. صرف الهم : إزالة الهم . صرف الراح (بكسر الصاد) : الراح (الخمر) الصرف (الخالصة) ، غير الممزوجة بماء.

(٦) الدن : وعاء كبير للخمر . الخمار : بائع الخمر . مبادرة دنه وخماره : السبق والتبكير الى شرب الخمر . مراوحة العود والمزمار : سماع هذا مرة وذلك مرة.

(٧) المصافي من الاخوان : المخلص من الاصدقاء.

(٨) الكافي من الأعوان : الذي يعتمد عليه من الاتباع فيقوم بالأمر الموكول اليه قياماً تاماً.

(٩) ان فوضلوا فضلوا : اذا نافسهم أحد بالفضل (بالافضال على الناس– بالعطاء) فضلوه (زادوا عليه فكانوا أفضل منه).



ـ ومن هذه الرسالة نفسها في وصف الصيد :

فجرّ كلٌّ واحد منا كلباً وتفرّقنا كأنّنا نُحاول نَهْباً. فطَفِقَت الأرانبُ نافرات والكلابُ لهنّ كاسِرات[1] ، فحَصَلْنا منهنّ على الفُرجَ والنُزَه ونكبنا عنهنّ وتركنا إلحاح الشَرَه[2] .

واستَدْعَيْنا البُزاةَ والشواهينَ وعَرَضْناهنّ علينا أجْمعين[3].

فاستدعى النقيبُ بالكلاّب[4]، فجيء ببازٍ أصْفَرَ نَقيّ ، شاطرٍ ذكيٍّ ، طويلٍ عريض أزْرَى بلَوْنه على البِيض[5] ، نادرِ الأحداق طويلِ الساقِ قصير الجَناح يَسْبِقُ في الطَيَران عاصفَ الرياحِ ، صَحيحٍ سمينٍ، قويٍّ أمينٍ لا يَرْجِعُ عن كلّ ما يُرْسَلُ عليه ، ويَسْبِقُ حِمامه إليه[6] :

شَهْمٌ غدا يَزينُهُ اصْفرارُهُ محمودةٌ في صَيْده آثـارُهُ[7] ،
طائِرُهُ لم يُنْجِهِ فِـرارُهُ ولم يُوَقّ نفسَهُ قَرارُهُ[8]
ولم يَرُدَّ فَتْكَهُ حِذارُهُ[9] .

٤ ـ ** خريدة العصر (الشام) ١ : ٣٥٤ ـ ٣٩٠.

---

(١) طفقت الأرانب (بدأن) نافرات (تنفر ، تخرج من أجحارها أو أماكن خبائها مسرعة) . كاسرات : تكسر عظام (الارانب) . الكاسر في القاموس تستعمل للطيور الجوارح .

(٢) فحصلنا ... الشره : تفرجنا بهذا المنظر ونزهنا فيه أبصارنا (سررنا به) ثم اكتفينا بصيد قليل اذا نكبنا (ابتعدنا ، تركنا) إلحاح الشره : المبالغة ، الطمع في الرغبة في الصيد الكثير .

(٣) البزاة (جمع بازي) والشواهين (جمع شاهين) نوع من الصقور يصطاد بها (الملموح أنهم كانوا يصطادونه بالشاهين أيضاً) .

(٤) النقيب : الحاجب : المتولي المحافظة على الاشياء والرئاسة على الرجال . الكلاب : مروض الكلاب ، المتولي الصيد بالكلاب .

(٥) أزرى على فلان : عابه ، أظهره في حالة سيئة ناقصة . ـ الملموح أن البزاة البيض خير البزاة للصيد، وأن هذا البازي الأصفر أفضل من البزاة البيض عموماً .

(٦) لا يرجع عن كل ما يرسل عليه : يصطاد كل طير يرسل عليه . يسبق حمامه (موته) اليه : يصل اليه نذيراً بوصول الموت اليه .

(٧) الشهم في القاموس : الشجاع . يزينه اصفراره : لونه الاصفر يجعله جميلا جداً . محمودة في صيده آثاره : كثير الصيد .

(٨) الطائر ... قراره : اذا فر الطائر منه فانه لا ينجو (لأن هذا البازي سريع جداً) ، واذا قر هذا الطائر مختبئاً في مكانه ، فانه لا يخفى على هذا البازي (لأنه حاد البصر جداً) . وقاه : حفظه ، دفع عنه الأذى .

(٩) ولم يرد .... : حذر هذا الطائر واحتياله للنجاة من هذا البازي لاينفعه.

ابن مكنسة الاسكندراني

١ — هوَ القائدُ أبو طاهرٍ اسماعيلُ بنُ مُحمّدٍ المعروفُ بابنِ مكْنَسَةَ الإسكندرانيّ ، كان منقطعاً الى عاملٍ[1] من النصارى اسْمُهُ أبو مَليحٍ فمدَحه وأكثرَ وبالغَ . ولمّا تُوُفّيَ أبو مليحٍ رثاهُ ابنُ مكْنَسَةَ بقصيدةٍ منها :

طُوِيَتْ سماءُ المكرُمـا تِ ، وكُوِّرَتْ شَمْسُ المديـحِ[2] .
ماذا أُرَجّـي في حيـا تي بعدَ موتِ أبي مليـحِ ؛
ما كان بالنِكْسِ الدَنـيِّ مِنَ الرجالِ ولا الشحيحِ[3] .
كفَرَ النصـارى بعـدَ ما عقدوا بـه دِيـنَ المسيحِ[4] .

كانتْ هذه الحادثةُ في أيامِ وَزارةِ أميرِ الجيوشِ بدرٍ الجمَاليّ للمُستَنْصِرِ الفاطميّ ، أي بَيْنَ سَنَةِ ٤٦٦ وسنة ٤٨٧ هـ (١٠٧٣ — ١٠٩٤ م) . فلمّا جاء الأفضلُ بنُ بدرٍ الجمَاليّ إلى الوزارة ، بعدَ وفاة أبيه ، مدحه ابنُ مكنسة فلم يقبلِ الأفضلُ منه لمَا قد سبَقَ من مدائحه ومراثيه في أبي مَليح . غير أن الأفضَل لم يَعِشْ في الوزارة سوى بِضْعَةِ أشهرٍ من سَنَةِ ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) فكفلَهُ عِزُّ الدولةِ بن فائقٍ أحَدُ مَوالي الدولةِ الفاطمية ، إلى أن توفّي سَنَةَ ٥١٠ هـ (١١١٦ — ١١١٧ م) وقد أسنّ .

٢ — ابنُ مكْنَسَةَ الإسكندرانيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُحْسِنٌ كثيرُ التصرُّفِ في فنون الشعر قليلُ التكلُّفِ في إيراده ، يختلفُ شِعْرُه بينَ الجِدّ والهَزْل وبين الجزالة والرِقّة ؛ ومن فُنونهِ المدحُ والرثاء والهجاء والغزل والخمر .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ مكْنَسَةَ في الغزل والنسيب :

رقّتْ مَعاقِدُ خَصْرِه فكأنّها مُشْتَقّةٌ مِـنْ عقده وتَجلّدي[5] ؛
وتَجعّدَتْ أصْـداغَه فكأنّها مَسْروقَةٌ من خُلْقِهِ المُتَجعِّدِ[6] .

---

(١) العامل : موظف على جمع الضرائب .
(٢) كورت الشمس : طوى بعضها على بعض وذهب نورها .
(٣) النكس : الضعيف ، المقصر في النجدة والكرم . الدني (كذا في الاصل) = الدنيء .
(٤) .....
(٥) كأنها مشتقة من عقده (عقد خصره) : نحيلة .... وكذلك تجلدي قليل . (٦) .... بن خلقه المتجعد ....

ما بالُه يَجْفو ، وقد زَعَمَ الوَرَى — أنّ النَّدَى يَختَصُّ بالوجهِ النَّدِي[1] .
لا تَخْدَعَنَّكَ وَجنَةٌ مُحْمَرَّةٌ — رَقّتْ ، ففي الياقوتِ طَبْعُ الجَلْمَدِ[2] .
وزَعَمْتَ أنّي لستُ من أهْلِ الهَوى — صَبّاً ، فقلْ ما شِئْتَه وتَقَلَّدِ[3] .
واللهِ ، ما أبْصَرتُ يوماً أبْيَضاً — مُنْذُ ابْتُلِيتُ بحُبِّ طَرْفٍ أسْودِ ! [4]

— وله في مثل ذلك :

وعَسْكَرِيٌّ أبَداً ، حَيْثُما — تَلْقاهُ يَلْقاك بكُلِّ السِّلاحْ[5] :
حاجِبُهُ قَوْسٌ ، وأجْفانُه — نَبْلٌ ، وعِطْفاه تَثَنّي الرِماحْ[6] .
أغنُّ مَجْدولٌ هَضيمُ الحَشا — مُرْتَدِفُ الأرْدافِ نِضْوُ الوِشاحْ[7] .
في لحظِه راحٌ ، وفي خَدِّه — وردٌ ، وفي فيهِ أقاحٍ وراحْ[8] .
راحَ وفِعْلُ الراحِ فيهِ كما — يَفْعَلُ بالغُصْنِ نَسيمُ الرِياحْ[9] .
وكَيْفَ يُرجى لي صَلاحٌ وقد — بُلِيتُ ، يا صاحِ ، بحُبِّ المِلاحْ[10] !
شَقَقْتُ ثَوْبَ الصبرِ من بَعْدِه ، — فَلْيَعْذُلِ العاذِلُ ولْيَلْحَ لاح[11] .

٤ — ** خريدة القصر (مصر) ٢ : ٢٠٣ — ٢١٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٦ — ٢٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٣٢٢ .

---

(١) الندى : الكرم. الوجه الندي : البشوش (يتأثر بالمكارم). في الفلسفة القديمة أن حسن الاخلاق تابع لحسن الوجه.

(٢) في الياقوت (حجر كريم أحمر) طبع الجلمد (الصخر) . لون الياقوت أحمر (الحمرة لون للجمال) ولكن طبيعته قاسية كالصخر . وكذلك هذا المحبوب وجنته حمراء (جميلة) ولكن قلبه قاس .

(٣) الصب : المحب. تقلد القلادة (العقد) لبسها !

(٤) — لم أجد في حياتي يوماً أبيض (سروراً) منذ عشقت مليحاً (جميلا) ذا طرف أسود (له عيون سود) .

(٥) عسكري ابداً : هو دائماً يسلك سلوك الجندي (المقاتل) يحمل سلاحه دائماً.

(٦) النبل : السهام . العطف : جانب الجسم . تثني الرماح — يشبه الرماح اذا تثنت (تمايلت) .

(٧) أغن : في صوته غنة (نغم ، لحن جميل) . مجدول : متسق الجسم ، غير مترهل أو مسترخ . هضيم الحشا (البطن) : نحيف الخصر. مرتدف الارداف : كبير مؤخرة البدن . نضو (ضعيف ، نحيل) الوشاح (مكان وضع الوشاح (القسم الاعلى من البدن) ، يقصد الخصر .

(٨) في لحظة (عيونه) راح (خمر) يسكر المحب من النظر اليها . وفي فيه (فمه) أقاح (أقحوان ، أسنان نقية كبتلات زهرة الاقحوان) وراح (خمر). ريقه أيضاً يسكر.

(٩) راح (سار) وفعل الراح (الخمر) فيه (سكران ، يسير وهو يتثنى ويتمايل) .

(١٠) يا صاح = يا صاحبي .

(١١) شققت ثوب الصبر (فقدت صبري) من بعده (بعد فراقه) . عذل : لام . لحى ولحا : لام ، شتم لعن ، قبح .

المرتضى الشهرزوري

١ــ هو أبو محمد عبدُ الله بنِ القاسمِ بنِ المُظَفَّرِ بنِ عَلِي المُعروفُ بالمُرْتَضى الشَّهْرَزوريّ ، وُلِدَ في شَعْبان من سَنَةِ ٤٦٥ (ربيع ١٠٧٣ م) في المَوْصل. وقد أقامَ مُدّةً في بَغدادَ يَشْتَغِلُ بالحَديثِ والفِقْهِ. ثم رَجَعَ الى المَوْصِلِ وتَولّى فيها القضاءَ ورَوَى الحديثَ. وكانتْ وفاتُه بالمَوْصِلِ في ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٥١١ (تموز – يوليو ١١١٧ م) في الاغلب .

٢ــ كان المُرْتَضى الشَّهْرَزوريُّ مُحَدِّثاً وفَقيهاً مَليحَ الوَعْظِ مَعَ الرشَاقةِ في التَّعْبير ومع التَّجْنيسِ . وله شِعْرٌ رائقٌ على طريقةِ أهلِ التَّصَوُّف .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ للمرتضى الشهرزوريّ قصيدةٌ لاميّةٌ (اربعة واربعون بيتاً ــ الكشكول ١ : ٢٣٢ ــ ٢٣٤) مَشْهُورةٌ يُكَنّي فيها عن الوصولِ (الى الله) بالاصْطلاء بالنارِ لا بالحُبّ ولا بشُرْبِ الخَمْرِ . مطلع هذه القصيدة :

لَمَعَتْ نارُهُمُ وقَدْ عَسْعَسَ اللَيْـــ ... لُ وملّ الحادي وحارَ الدليلُ[(١)] ؛
فحَطَطْنا إلى مَنـــازلِ قَوْمٍ ... صَرَعَتْهُم قبلَ المَذاقِ الشَّمولُ[(٢)] ..
دَرَسَ الوَجْدُ منهم كـــلَّ رسمٍ ، ... فَهْوَ رَسْمٌ والقومُ فيه حُلولُ[(٣)] ..

(١) لمعت نارهم : بدا لنا من نارهم (من المعرفة الالهية عند الصوفية) شيء يسير (من لمعان النار التي تضيء في الأصل ما حولها) . عسعس الليل : أقبل ظلامه (اشتد جهل الناس) . مل الحادي (الذي يسوق الابل) قطع الأمل من الوصول الى مقصده . حار الدليل (العارف بالعلوم الكونية) ــ لما اشتد جهل الناس ولم يستطيعوا أن يصلوا بعلومهم ووسائلهم الدنيوية الى الحقيقة...

(٢) حططنا (انخنا رحالنا ، نزلنا = اتجهنا في طلب الهداية والمعرفة) الى منازل قوم (الى المتصوفة) . صرعتهم (قتلتهم = أدهشتهم) قبل المذاق الشمول (الخمر الباردة = المعرفة الآلهية) : (لم يطلعوا على المعرفة الآلهية ، ولكن قبل أن يذقوها ــ قبل أن يصلوا اليها ــ لما توهموها صرعتهم) . يقصد : ان القدر اليسير الذي توهم العارفون (المتصوفون الذين بلغوا قدماً ثابتة ، مرتبة سامية) أنهم لمحوه كان كافياً لأن يجعل كل ما في هذه الدنيا لا قيمة له في أعينهم .

** سأشرح الألفاظ اللغوية في الأبيات التالية ، وللقارئ أن يستخرج المقاصد الصوفية على غرار ما رأى في البيتين السابقين :

(٣) الوجد : الحب ، نشوة الحب (من تخيل الوصول الى المحبوب) . المادة الماثلة (على شكل جسد أو نحوه) . فهو (الوجد) رسم (جسدهم المعنوي) والقوم (الصوفيون) فيه حلول (حالون : أصبح وجودهم هم أيضاً معنوياً لما بطل شعورهم بحاجات أجسادهم المادية) .

ومن القومِ من يُشيرُ إلى وَجْـ ... ـدٍ تبقّى عليهِ منه القليلُ
ولكلٍّ منهم رأيتُ مقاماً ... شَرْحُه في الكتابِ مِمّا يَطول .
قُلْتُ: «أهلَ الهوى، سلامٌ عليكُمْ ! ... لي فؤادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغول .
جِئْتُ كَيْ أصْطَلِي ، فهلْ لي إلى نا ... رِكُمْ هذهِ ـ الغَـداةَ ـ سَبيل؟» .
فأجابَتْ شَواهِدُ الحالِ منهم : ... كلُّ حدٍّ من دُونِها مفْلول[1] .
كمْ أتاها قومٌ على غِرّ ... ةٍ منها وراموا أمراً فعزَّ الوُصول[2] .
وقَفُوا شاخصينَ حتّى إذا ما ... لاحَ للوَصْلِ غُرّةٌ وحُجول[3] ،
وبَدَتْ رايةُ الوفا بيدِ الوَجْـ ... ـدِ ، ونادى أهلُ الحقائقِ : جُولوا[4] !
بَذَلوا أنفُساً سَخَتْ حين شَحّتْ ... بوِصالٍ ، واستَصْغرَ المأمول[5]

يقول فيها :

ثمّ غابوا من بعدِ ما اقْتَحموها ... بينَ أمواجِها ، وجاءت سُيول[6] .
قَذَفَتْهُم الى الرّسولِ ، فكُلّ ... دَمُه في طُلولِها مَطْلول[7] .

---

(١) فأجابت شواهد الحال منهم : لم يتكلموا ولكن فهمنا من الحال التي كانوا فيها أنهم يريدون أن يقولوا ...)
الحد = حد السيف : الجانب القاطع من النصل (الجهد المبذول للوصول الى المعرفة الالهية) . مفلول : مفروض ، مفرض (مقطع الحد : خسر حدته وقدرته على القطع) . والمقصود هنا : كل جهد ضائع ، عاجز عن الوصول بصاحبه الى المعرفة الالهية .

(٢) على غرة منها (لعلها : على غرة منهم = جهلا منهم ، وقلة اختبار وادراك) .

(٣) شاخصين : متطلعين (منتظرين حائرين) . الغرة : البياض في جبهة الفرس . الحجول في القاموس تطلق على معان لا صلة لها بهذا النص ، والشاعر يقصد (التحجيل) (البياض في قائمة أو أكثر من قوائم الفرس) : وضحت الطريق وظهر التجلي الالهي .

(٤) أهل الحقائق : العارفون والراسخون في السلوك (في طريق التصوف) . جولوا = خوضوا (تقدموا في السبيل للفناء في الله) .

(٥) بذل (هؤلاء المتصوفون) بالوصال (بالاتحاد بها) نفسهم باستصغر المؤمول (وكان الذي حصل عليه يسيراً جداً (تحقق لهم شيء يسير مما كانوا قد توهموه، لا من الحقيقة الإلهية).

(٦) فلما اقتحموا السبيل للوصول الى العزة الالهية للفناء فيها) غابوا بين أمواجها (ضاعوا ، لم يصلوا) ...

(٧) قذفتهم الى الرسول (ردتهم الى أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيسيروا على سنته) .
فكل دمه في طلولها (الاماكن التي تتجلى فيها العزة الالهية : عالم الشهادة = الموجودات المادية) مطلول (ضائع هدراً) .

نارُنا هذهِ تُضيءُ لِمَنْ يَسْـ ـري بليلٍ لكنّها لا تُنيل[1].
مُنْتَهى الحَظِّ مــا تزوّد منها الحَـ ـظُّ ؛ والمُدْرِكون ذاكَ قليــل[2] » .

٤ ـ •• وفيات الأعيان ١ : ٤٥٣ ـ ٤٥٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ بروكلمان ١ : ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ، الملحق ١ : ٧٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٥٣ .

الطغــــرائي

١ ـ هو العميدُ فخرُ الكتّابِ الاستاذُ مؤيّدُ الدين ابو اسماعيلَ الحسينُ بنُ عليٍّ ابن عبدِ الصمدِ الأصفهاني المعروف بالطُغْرائيّ ، نسبةً الى الطُغْرة أي الطُرّةِ التي تُكْتَبُ في أعلى الرسائلِ على شكلٍ مخصوصٍ وبالقلمِ الغَليظِ ومَضمونُها نعتُ الملك الذي تَصْدُرُ عنه تلك الرسائلُ .

وُلِدَ الطُغْرائيُّ في أصفهانَ سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) ؛ ولمّا شبَّ بَرَعَ في الشعْرِ والنثرِ والخطِّ فتقلّبَ في المناصب المختلفةِ في الدولة السَلْجوقية : خَدَمَ الملكَ ألْبَ أرْسلانَ بنِ مَلِكِ شاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ) في أصفهان . ثم تولّى ديوانَ الإنشاء وديوانَ الطُرّة لمحمدِ بنِ ملك شاه مدّةَ ملكه كلّها . ولما تُوُفّيَ محمدٌ سنة ٥١١ هـ (١١١٨ م) خَلَفَه ابنُه محمودٌ ، وبَقِيَ ابنُه الآخرُ مَسعودٌ في المَوْصل ، وكان الطُغْرائيُّ مَعَ مسعودٍ . ثم نازع مسعودٌ أخاه محموداً في العرشِ وتحاربا قُرْبَ هَمَذانَ فقُتِلَ مسعودٌ وقُتِلَ الطُغْرائي مَعَه في المَعركة في الاغلب ، وذلك سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) .

٢ ـ كان الطُغْرائيّ أديباً بليغاً وشاعراً مُجيداً وناثراً مترسّلاً وعالماً بالعربيـةِ وبالعلوم الطبيعيّة خبيراً بصِناعة الكيمياء القديمة .

وشِعْرُ الطُغْرائي متين يَغْلِبُ عليه النَفَسُ القديم أحياناً ، ثم هو سَهْلٌ عَذْبٌ . أما فنونه البارزة فَهِيَ الحماسةُ والفخرِ والعِتاب والنسيب والغزل . وكان الطُغْرائي كثيرَ الشكوى في شعره حتّى قلّتْ مبالاتُه بالدهرِ وحَوادثه ، غيرَ أنه كان يَحُثُّ على مداراة الناس .

وللطُغرائي ديوانُ شعرٍ كبيرٌ فيه القصيدة اللامية التي تداولَها الرُواةُ وتناقلتْهــا

(١) ـ العزة الالهية تنير الطريق للسالكين (في طريق التصوف) ، ولكن لا يستطيع أحد أن يصل اليها هي .
(٢) ما تزود منها الحظ (اللحظ) ! : انها تلحظ فقط كالبرق الخاطف .

الألسنة ، وقد سمّاها لاميّة العَجَم معارضةً للامية العربِ للشنفرى، وقد عُني بها جماعة من الادباء فعارضوها وشرحوها وشطّروها وخمسوها .

وللطُغرائي عددٌ من الآثار في الكيمياء منها كتاب جامع الاسرار وتراكيب الانوار -كتاب مصابيح الحِكمة ومفاتيح الرحمة -كتاب حقائق الاستشهاد -كتاب المقاطع في الحِكمة الالهية -كتاب سر الحكمة -كتاب الجوهر النادر في صناعة الاكسير(؟) .

٣ - مختارات من شعره

- نظم الطُغرائي قصيدتَه المشهورة «لاميّةَ العَجَمِ» في بغداد، سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ - ١١١٢ م)، ويَظهَرُ منها أنه كان في عُسْرٍ ماديٍّ وفي ضيق نفسي . وقد جاء في مَطْلَع هذه القصيدة :

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ الفضل زانتني لدى العَطَل[1] .
مَجْدي أخيراً ومجدي أوّلاً شَرَعٌ ؛ ... والشمس رَأْدَ الضُحى كالشمس في الطَفَل[2]
فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ ؟ لا سَكَني ... بها؛ ولا ناقَتي فيها ولا جَمَلي[3] ؛
ناءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ مُنْفَرِدٌ ... كالسيفِ عُرِّيَ مَتْناهُ عن الخِلَلِ[4] :
فلا صديقٌ إليه مُشْتكى حَزَني ، ... ولا أنيسٌ إليه مُنتهى جَذَلي[5] .
أُريدُ بَسْطَةَ عيشٍ أستعينُ بها ... على قَضاءِ حُقوقٍ للعُلى قِبَلي[6] ،
والدهرُ يَعْكِسُ آمالي ويُقْنِعُني ... من الغَنيمة -بعدَ الجِدِّ- بالقَفَل[7] .

وبعدَ أنْ يَستَطرِدَ الطُغرائيُّ إلى شيءٍ من الغَزَلِ والنَسيبِ المَمزوجين بالفَخْر والحَماسَةِ يعودُ إلى الشكوى من حاله ومن أهلِ الزمانِ والى سَرْدِ عدد من الحِكَم

---

(١) (الخطل) : فساد الرأي . العطل : الخلاء من الشيء (وهنا : العري) .

(٢) - مجدي القديم ومجدي الحديث شرع (سواء) في الرفعة . الرأد: الاول (أول ارتفاع النهار) . الطفل : اصفرار الشمس (في رأى العين) قبل المغيب .

(٣) الزوراء : بغداد . السكن : المنزل ؛ الزوجة . لا ناقة لي ولا جمل فيها : ليس لي فيها سبب يربطني بها .

(٤) صفر الكف : خالي الكف (فقير) . الخلل (بكسر الخاء) جمع خلة (بكسر الخاء أيضاً) : بطانة مزركشة يلف بها جفن السيف حفظاً له وزينة (يقصد أنه وحيد مجرد من أسباب السرور والحياة) .

(٥) الجذل : السرور ، الفرح .

(٦) بسطة عيش : غنى . قضاء حقوق للعلى قبلي : القيام بواجب قبلي (عندي ، متحتم علي أنا) نحو المثل العليا .

(٧) القفل : الرجوع .

التي أصْبَح بَعْضُها أمثالاً مَضْروبة :

حُب السّلامة يَثْني هَمَّ صاحبِه عن المَعالي ويُغْري المرءَ بالكَسَل .
فان جَنَحْتَ إليـه فاتّخِذْ نَفَقاً في الأرْض أو سُلَّماً في الجوّ فاعْتَزِل[1] !
إنّ العُلى حَدّثَتْني ، وهْيَ صادقةٌ في ما تُحَدِّثُ ، أنّ العِزّ في النُقَل .
لو أنّ في شَرَفِ المأوى بُلوغَ مُنىً لم تَبْرَحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَل[2] .
أهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مُسْتَمِعاً ؛ والحَظّ عَنّيَ بالجُهّال في شُغُل[3] .
لعلّهُ إنْ بدا فَضْلي ونَقْصُهُمُ لعَيْنِه نامَ عنهم أو تَنَبّهَ لي .
أعَلّلُ النفسَ بالآمالِ أرْقُبُها ؛ ما أضْيَقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأمَل[4] !
غالَى بنفْسِيَ عِرْفاني بقيمتِها فصُنْتُها عَنْ رَخيصِ القَدْرِ مُبْتَذَل[5] .
ما كنتُ أُوثِرُ أنْ يَمْتَدّ بي زَمَني حتّى أرى دَوْلَةَ الأوْغادِ والسَفَل .
وإنْ عَلانِيَ مَنْ دوني فلا عَجَبٌ ؛ لي أسْوَةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَل[6] .
أعْدى عَدُوّكَ أدْنى مَنْ وَثِقْتَ به ، فحاذِرِ الناسَ واصْحَبْهُمُ على دَخَل[7] .
وإنّما رَجُلُ الدنيا وواحِدُها مَنْ لا يُعَوّلُ في الدنيا على رجل !

— ومن بارعِ غَزَلِهِ القَصَصي قولُه :

خبّروها أني مَرِضْتُ فقالتْ : أضَنىً طارفاً شكا أم تليدا ؟
وأشاروا بأنْ تَعودَ وِسادي[8] فأبَتْ ، وهيَ تَشْتهي أن تَعودا .
وأتَتْني في خِفْيَةٍ ، وهي تَشْكو رِقْبَةَ الحَيّ والمَزارَ البعيدا[9] .
ورأتْني كذا فلم تَتَمالك أن أمالت عليّ عِطفاً وجيدا[10] .

(١) اليه : الى حب السلامة (الى السلامة) . جنح : مال .
(٢) دارة : منزل ، منزلة . الحمل : اسم البرج الاول في السماء اذا وصلت اليه الشمس بدأ فصل الربيع .
(٣) لو لباني الحظ .
(٤) أرقبها : انتظرها ، انتظر أن تتحقق .
(٥) معرفتي بقدر نفسي جعلني أرفعها فوق نفوس الآخرين . المبتذل : المبذول لكل الناس ؛ ما كان الحصول عليه سهلا يسيراً .
(٦) زحل : كوكب فلكه (مداره) أعلى من فلك الشمس ، حسب ما تخيله القدماء .
(٧) الدخل : المكر والخديعة (الحذر) .
(٨) تعود وسادي : تزورني وأنا مريض نائماً على وسادي .
(٩) الرقبة : المراقبة .
(١٠) العطف : جانب الجسم .

ثم قالتْ لِتِربْها ، وهْيَ تبْكي : ويحَ هذا الشبابَ غضاً جديدا !
زَوْرَةٌ ما شفَتْ عليلاً ، ولكن زيّدَتْ جمْرةَ الفؤادِ وقودا .
وتولّتْ بحسْرَةِ البَيْنِ تُخفي زفراتِ أبيْنَ إلاّ صُعودا.

٤ – ديوان الطغرائي ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠هـ .

لاميّة العجم [1] (طبعت مراراً في أوروبة منذ١٦٢٩ م) ؛ تحفة الرائي : لاميّة الطغرائي (محمّد علي المنياوي) ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ؛ لأميّة الطغرائي (تحقيق علي جواد الطاهر) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٢ م .

الغيث المسجّم في شرح لاميّة العجم (للصفدي) ، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوطنية) ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ ؛

شرح لطيف علي لاميّة العجم (لمحمّد سند) ١٣٢٠ هـ .

اللاميّتان : لاميّة العرب ولاميّة العجم بشرح الزمخشري والصفدي (أعدّهما وعلّق عليهما عبد المعين الملوحيّ) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٦ م .

** الطغرائي : حياته ، شعره ، لاميته ، تأليف علي جواد الطاهر ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٣م .
معجم الادباء ١٠ : ٥٦ – ٧٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٨٤ – ٢٨٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٤١ – ٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٦ – ٢٧٧ ، الملحق ١ : ٤٣٩ – ٤٤٠ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٧ . زيدان ٣ : ٢٢ – ٢٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٨٢٦ – ٨٢٧ .

السنبسي

١ – هوَ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ خليفةَ بن حسين النُميريّ العراقيّ المعروفُ بالسِنبِسيّ نِسبةً إلى قبيلةِ من طيّءٍ أو إلى أمّه – وكان اسمَها سِنبِسةَ – وأصلُه من هيتَ .

أقامَ السِنبِسيُّ في الحِلّة عندَ سيفِ الدولةِ أبي الحَسَنِ صَدَقةَ بن مزْيَد صاحب الحِلّة (٤٧٩ – ٥٠١ هـ) ، وكانَ شاعرَه . فلمّا قُتِلَ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ وصارَ الأمرُ إلى ابنه دُبيسٍ مَدَحَهُ السنبسيُّ فلم يَنَلْ عندَه ما يرجو . ثمّ انّ السِنْبِسِيَّ صَعِدَ الى بَغْدادَ في أيامِ المُسترشدِ (٥١٢– ٥٢٩ هـ) ومَدَحَ جلالَ الدين الحسنَ بن علي بن صَدَقة ، في وِزارتِه الأولى (٥١٢ – ٥١٦ هـ) ، فأجْزَلَ عَطاءه .

---

(١) راجع أيضاً معجم المطبوعات العربية ١٢٤١.

وتُوُفِّيَ السنبسيُّ في بغدادَ سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ – ١١٢٢ م).

٢ – كان السِنْبِسيُّ جيِّدَ الشعرِ وقد تَتَّفِقُ له أبياتٌ نادرة. وفنونُه الوصف والخمر والنسيب.

٣ – مختارات من شعره

– قال السنبسيّ في الخمر:

وخمّـارةً من بنـاتِ المجو ... سِ لا تَطْعَمُ النومَ الاّ غِـرارا[1]

طرقتُ على عَجَـلٍ، والنجـو ... مُ في الجوّ مُعْتَرِضاتٌ حَيارى[2]:

وقد بَـرَدَ الليلُ فاستخرجَـتْ ... لنا في الظـلامِ من الدنِّ نارا[3].

– أنشدَ السِنبسيُّ عند سيفِ الدولةِ أبي الحسنِ بنِ صَدَقَةَ قصيدةً يقولُ فيها (في النسيب):

فوالله، ما أنْسى عَشِيَّةَ ودّعـوا ... ونحن عِجالٌ بين غـادٍ وراجعٍ[4]؛

وقد سَلّمتْ بالطَرْفِ منها فلم يـكن ... من النُطْقِ الاّ رَجْعُنا بالأصابع[5].

ورُحْنا وقـد روّى السلامُ قلوبَنـا ... ولم يَجْرِ منّا في خُرُوقِ المسامع[6].

ولم يَعْلَمِ الواشون ما كان بَيْنَنـا ... من السِرّ لولا ضَجْرَةٌ في المدامع[7]!

٤ – ** الخريدة (العراق) ٢: ٢٠٠ – ٢٠١؛ المحمّدون ٣٠٣ – ٣٠٩؛ الوافي بالوفيات ٣: ٤٨ – ٤٩؛ فوات الوفيات ٢: ٢٥٠ – ٢٥١؛ ابن الأثير ١٠: ١٧٥؛ الاعلام للزركلي ٦: ٣٤٩.

---

(١) خمارة (المرأة التي تبيع الخمر) و «خمارة» مفعول به مقدم للفعل «طرقت» في البيت التالي. غراراً: قليلا (الغرار: القليل من النوم).

(٢) طرقت: جئت ليلا. معترضات (بعضها يقطع طريق بعض) حيارى (لا تسير الى المغيب، ولا هي تريد أن تبقى).

(٣) الدن: خابية الخمر. ناراً (ما نتدفأ به) – كناية عن الخمر.

(٤) الغادي: الذاهب باكراً، المفارق بلده.

(٥) بالطرف: بعينيها.

(٦) سررنا كثيراً بهذا السلام بالاشارة مع أن بعضنا لم يسمع بعضاً يسلم عليه.

(٧) الواشي: الذي ينقل الكلام بين اثنين ليلقي بينهما العداوة. ضجرة في الدمع (من أن يبقى محزوناً في العيون). لما بكينا عرف الناس أننا محبان.

أبو الجوائز المطاميري

١ — هو أبو الجوائزِ مِقْدارُ بنُ محمّدٍ المَطاميريُّ ، نِسبةً الى مَطاميرَ وَهِيَ ضَيْعةٌ بحُلوانِ العراقِ ، كان شاعرَ الدولةِ في أيامِ المُسْتَظْهِرِ العبّاسيّ (٤٨٧ — ٥١٢ هـ) وأيّام المسترشدِ العبّاسيّ (٥١٢ — ٥٢٩ هـ) . وقد نال حظوةً عند جمال الدين إقبالِ الخادمِ المسترشديّ[١] فقالَ فيه مدائحَ كثيرةً . وكان أيضاً يمدحُ سيفَ الدولة أبا الحسنِ صَدَقةَ الاوّل صاحب الحلّة (٤٧٩ — ٥٠١ هـ) ، ولكنْ يبدو أنّه لم يكنْ شاعراً له .

ولعلّ وفاةَ أبي الجوائزِ المطاميريّ كانتْ في حُدودِ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

٣ — **مختارات من شعره**

— قال مِقدارٌ المطاميريُّ في النسيب :

ومَجْدولةٍ مِثْلَ جَدْلِ العِنانِ صَبَوْتُ إليهـا فأصْبَيْتُها[٢] .

إذا لام في حُبّهـا العـاذلا تُ أسْخَطتُهُنّ وأرْضَيْتُهـا .

كأنّي إذا مـا نَهَيْتُ الجُفـونَ عن الدمـعِ بالدمعِ أغْرَيْتُها .

فلو أنّـني أسْتَمِدُّ البحـورَ دُموعـاً لِعَيْنَـيَّ أفْنَيْتُهـا .

ولو كان للنفسِ غيـرُ السُلُوِّ (م) عنكَ دواءٌ لداوَيْتُهـا !

— وقال في امرأةٍ لها فَرْعٌ (شَعْر) طويلٌ :

وفَيْنانةِ الفَـرْعِ فتّـانةٍ تُطيلُ على الهَجْرِ إقْدامَها[٣] ،

تَعَجَّبَ من مَشْيِها شَعْرُهـا فقَبّل في المَشْيِ أقْدامَهـا .

— كان مِقْدارٌ المطاميريُّ عندَ سيفِ الدولةِ صَدَقةَ المَزْيَديّ ، وكانَ الشاعرُ السِنْبِسيُّ يُنْشِدُ قصيدته العينية : « فوالله، ما أنسى.... وراجع » (فوق، ص ٢٣٦) فَطَرِبَ سيفُ الدولة ؛ وبدا على مِقْدارِ المطاميريّ أنّ الأبياتَ لم تُعْجِبْهُ .

---

(١) راجع الخريدة (العراق) ١ : ٢٩٧ .

(٢) الجدل (بسكون الدال) : لف سيرين (أو عدد من السيور) بعضها على بعض في حبل واحد (وتكون المرأة مجدولة اذا كانت نحيلة قوية — ليس فيها ترهل : شحم يترجرج على جسمها) . العنان : الرسن (ويكون عادة سيراً من جلد) . صبا : مال . أصبى : أمال (استمال شخصاً آخر الى حبه) .

(٣) الفرع : الشعر . فينانة : وافرة الظل . — شعرها طويل وافر كثير .

ولَحَظَ سيفُ الدولةِ ذلك فالتفت إليه وقالَ : يا مُقَيْدِيرُ ، ما تقولُ (في هذا الشعرِ) ؟ قالَ مِقدارٌ : أنا أقولُ خيراً منه . فقال له سيفُ الدولة : اخرُجْ من عهدَةِ دَعواك (إيتِ بأبياتِ خيرٍ منها) . فقالَ مِقدارٌ المطاميريُّ في الحالِ على الارتجالِ – وكان سكْرانَ – هذه الابياتَ :

لمّا تَناجَوْا للفِـراقِ غُدَيَّةً	رَمَوْا كلَّ قَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ برائـعِ[1].
وَقَفْنا – ومِنّـا حَنّةٌ بعدَ أنّـةٍ	تُقَوِّمُ بالأنفاسِ عُوجَ الأضالعِ –[2]
مواقفَ تُدْمي كـلَّ عَشْواءَ ثَرّةٍ	صَدوفِ الكَرى إنسانُها غيرُ هاجعِ[3] .
أمِنّا بها الواشينَ أن يَلْهَجوا بنـا ،	فلم نَتَّهِمْ إلاّ وُشـاةَ المدامعِ[4].

٤ – ** الخريدة (العراق) ٢ : ١٩٥ – ٢١٨ .

الحريري

١ – الحَريريُّ – أو ابنُ الحريري ، على الاصحّ (معجم الادباء ١٦ : ٢٦١) – هو أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ عـليٍّ بنِ محمّدِ بنِ عثمانَ الحريريُّ البَصْريّ الحَراميّ ، عربيُّ الأصلِ والمنشأ . كان مَوْلدُه في حُدود سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) في سِكّة (حيّ) بني حَرام[5] في المشّان قُرْبَ البَصْرة.

نشأ الحريريّ في البصرة وقرأ فيها الأدب على أبي القاسم الفضلِ بنِ محمدٍ القَصْباني. وتنكشف مقاماته عن انه درس اللغةَ والنحوَ درساً واسعاً ودرس الفقه .

ويبدو أن الحريريّ كان من ذَوي اليَسار فقد كان يَمْلِكُ في البصرة ثمانيةَ عَشَرَ ألفَ نخلة . وكذلك كان من ذوي المرتبة إذْ كان «صاحبَ الخَبَرِ» في البصرة نفسها او في المشّان – وصاحبُ الخبر هو الذي يحمل إلى الخليفة أخبار الناس والجيش والإدارة

---

(١) تناجوا : تكلموا سراً . غدية (تصغير غدوة) : باكراً في الصباح . رائع : مفزع ، مخيف . رموا كل قلب مطمئن برائع : جعلوا جميع الناس (حتى الذين لا يعرفون الحب) خائفين عليهم (على المتناجين) .

(٢) الحنة : اصدار صوت من الصدر دلالة على الاشفاق والحزن . الأنة : ... من الألم . كان تنفسنا (من ألم الحب) شديداً وحاراً حتى أنه لين عظام ضلوعنا ثم جعلها مستقيمة .

(٣) عشواء : عين (مريضة) لا تبصر في الليل . ثرة : كثيرة سيلان (الدموع) . صدوف : مبتعدة . الكرى : النوم . انسانها : بؤبؤها . غير هاجع : غير نائم . – كانت حالة المحبين الذين يودع بعضهم بعضاً مثيرة للشفقة الى حد أن كل عين عشواء (مريضة يضرها البكاء) تبكي طويلا وتظل ساهرة اشفاقاً عليهم .

(٤) – نحن لم نتكلم فلم يعلم الوشاة ما نقول فينقلوا الكلام الى أعدائنا ، ولكن بكاءنا دل على ما نضمره (من الحب) .

(٥) بنو حرام قبيلة من العرب سكنوا هذه السكة فسميت باسمهم .

ولعله يشبه رئيسَ قلم الاستخبارات في هذه الأيام . ولقد بقي هذا المَنْصِب في عَقِبه الى أواخر ايام الخليفة المقتفي (ت ٥٠٥ هـ =١١١١ م) .

في إحدى زَوْرات الحريريّ لبَغْدادَ (٥٠٤ هـ) اتّهمه قومٌ بأنه سَرَقَ «المقامات» من أحَدِ المَغارِبة وادّعاها ، ثم تَحَدَّوْه بإنشاء مقامةٍ واحدةٍ مثلِها . فمكث الحريريُّ في بيته أربعينَ يوماً فلم يتَهَيّأ له تركيبُ كَلِمتين ولا الجَمْعُ بين لَفْظتين ، فعاد الى البصرة مُنْكسراً . غير أنه استطاع أنْ يُنْشِىء عَشْرَ مَقامات جديدةٍ فأصعَدَ بها الى بَغدادَ وعَرَضها على الذين كانوا قد تَحَدَّوْهُ فأقرّوا له عندئذٍ بالفضلِ (معجم الادباء ١٦ : ٢٦٤ — ٢٦٦) .

وكانت وفاةُ الحريري في البصرة في ٦ رجب ٥١٦ (١١/ ٩/ ١١٢٢ م) .

٢ — كان الحريريّ (معجم ١٦ : ٢٦٢) غايةً في الذكاء والفِطنة والفَصاحة والبلاغة . وكان صاحبَ ظَرْف وفُكاهة ودُعابة ، ولكنّه لم يكن صاحبَ بَديهةٍ . وله نثرٌ ونظمٌ ينكشفانِ عن مَقْدِرَة عظيمةٍ في اللغة وعن إحاطةٍ واسعةٍ بعلوم عصرهِ وخصوصاً بكلام العربِ وأخبارها ولُغاتها وأمثالها وأسرار كلامها (وَفيات الاعيان ٢ : ١٦٥) . ومعَ أنه لم يبتكر فنّ المقامات فانه بلغ فيه الغايةَ من التأنّقِ ومن التصرّف في تراكيبِ الكلام وفنون البلاغة .

وللحريري تآليفُ مشهورةٌ منها : دُرّة الغوّاص في أوْهام الخَواصّ (نبّه فيها على كَلِماتٍ يستعملها الكُتّابُ في غير مواضعها) — مُلْحة الإعراب (منظومة في النحو للمبتدئين) — شرح مُلحة الإعراب — مجموع شعر (غير الموجود له في المقامات) — مقاماتٌ — مجموعٌ من الرسائلِ الإخوانية .

وأشهرُ تآليف الحريري مقاماتُه :

بدأ الحريريُّ تأليفَ مقاماتِه سنة ٤٩٥ هـ ثم أتمّها خَمسينَ مقامةً في بِضْع سِنينَ . وقد قلّدَ الحريريُّ في المقاماتِ بديعَ الزمان الهمذانيَّ ، إلاّ أنه زاد عليه في التأنّق اللفظيّ وفي تكلّف أنواع البديع ثم أغْرَقَ في الموازنة والمقابلة وفي التضمين والاقتباس ثم تعمّد إبراز مقدرته اللُغوية والأدبية والتاريخية والفقهية . والحريريُّ هو الذي خلق من المقامات فنّاً مُسْتَكْمَلاً في الأدب العربي : ان جميعَ الذين أنشأوا مقامات قد قلّدوا الحَريريّ في الجانبِ اللفظيّ والتوسّعِ في الزُخْرُف لأنهم لم يَستطيعوا أن يَبْلُغوا الى بديعِ الزمانِ في الجانبِ المَعنوي مِنَ ابتكارِ المَوْضوعاتِ ومن الجَرْيِ على السَليقة

في معالجة تلك الموضوعات التي استعاروها من بديع الزمان والحريريّ.

وأما السببُ الذي دعا الحريريَّ إلى وضع المقامات فقصّة واقعة اتّفقت له. قال ابنٌ للحريريّ: كان أبي جالساً في مَسْجِدِ بني حَرام فدخل شيخٌ ذو طِمْرين عليه أهْبَة السفر رثُّ الحالِ فصيحُ الكلام حَسَنُ العبارة؛ فسألَتْه الجماعةُ: « مِنْ أينَ ؟» فقال: « من سَروجَ». فاستخبروه عن كُنيته فقال: ابو زيد... ثم ادّعى الفقرَ أمامَ الجماعة وقال إن الرومَ أغاروا على بَلدِه وسَبَوْا ابنَتَهُ وطردوه من بيته وأنه الآنَ يجمعُ بعض المال لافتداء ابنته. فتحركَتْ شَفَقَةُ الحريريّ والجماعةِ فَنَفَحُوه بشيءٍ من المال فَشَكَرَهُمْ وتَرَكَهُم.

وفي المساءِ قصّ الحريريُّ القِصّةَ على أصحابه فقالوا له: خَدَعَكُم، واللهِ؛ ليس الرجلُ فقيراً ولكن هذا دأبُهُ. وشَهِدَ قومٌ بأنه ادّعى هذه الدعوى وغيرها مِراراً. وقد بَنَى الحريريّ « المقامة الحَرَامية » (الثامنة والاربعين) على هذه القِصّة.

يُسْنِدُ الحريريُّ روايةَ مَقاماته الى « الحارثِ بن هَمّامِ البَصْريّ »، ويَعْني به نفسَه؛ أخذ ذلك من قول النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: كلّكم حارثٌ وكلّكم هَمّام؛ والحارثُ الكاسبُ (الساعي في الرزق)؛ والهمّام الكثيرُ الاهتمام. أمّا بطلُ المقامات (الشخصية التي تَدورُ عليها المقامات) ويسمّى أيضاً المُكْدي (الشحّاذ) فهو أبو زيدِ السَروجيّ[1].

في مَقاماتِ الحريري أنواعٌ من البديع لم يَطْرُقْها بديعُ الزمان الهَمَذاني؛ من هذه الأنواعِ الأحاجي أو الألغازُ كقول الحريريّ (في المقامة الطيبية):

ما تقولُ في من تَوَضّأ ولمس ظهرَ نَعْلِه؛ قال: انتقضُ وُضوءُه بفعله! (النعل: الزوجة). * قال: أيشتري المسلمُ سَلَبَ المُسْلمات؟ قال: نعمْ، ويُوَرّثُ عنه اذا مات! (سلب المسلمات: قِشْر نوع من الشجر) * قال: أيَحْجزُ الحاكمُ على صاحب الثور؟ قال: نعم ليأمن غائلة الجَوْر! (الثور: الجنون)...

ومثل قوله في المقامة الشتوية:

رأيتُ، يا قومُ، اقواماً غِذاؤهمُ (بول العجوز) وما أعني ابنة العنب[2]؛

---

(١) أبو زيد السروجي هو أبو المطهر بن سلار البصري اللغوي النحوي، تلميذ الحريري، كان فيه فضل وأدب وكانت له معرفة باللغة والنحو، توفي نحو سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ – ١١٤٦ م). وسروج بلدة قريبة من حران، من ديار مضر في شمالي العراق (انباه الرواة ٣ : ٢٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٥٩).

(٢) بول العجوز: اللبن.



و (قادرين)[1] متى ما ساء صُنْعُهمُ او قصّروا فيه قالوا : الذنبُ للحطب؛
و (كاتبين)[2] وما خطّت أنـاملُهم حرْفاً ولا قرأوا ما خُطَّ في الكتب .

ثم هنالك ما يُقرأ طرْداً وعكساً (المقامة المَغْربية) :

لُمْ أخا ملّ * كَبّر رجاء أجر ربك * لُذْ بكل مؤمّل اذا لَمّ وملَكَ بذلَ *
أسْ أرمـلاً اذا عـرا وارعَ إذا المـرءُ أساء

ثمّ هنالك ما هو مُهْمَلٌ بلا نُقَطٍ (في المقامة السَمَرْقنْدية) :

الحمدُ لله الممدوحِ الأسماء، المحمودِ الآلاء ، الواسعِ العطاء ... مالكِ الأُمم ... واهلِ السّماح والكرم ... وهو الله لا إله إلا هو الواحدُ الأحدُ ، العادلُ الصمَدُ ، لا ولَد له ولا والدٌ... ارْسَلَ مُحمداً للاسلامِ ممهداً ، وللملّة مُوَطّداً .

وهنالك أيضاً ما كان أحدُ الأحرفِ في كلّ كَلمةٍ من كَلماته مُهْمَلاً والتالي له منقوطاً على التوالي، نحو (المقامة الرقطاء) : « أخلاقُ سيّدنا تُحَبّ » ؛ وهنالك الجُمَل التي تكون كلمةٌ فيها مهملةً والتي تليها مُعْجَمَةً ، نحو (المقامة المَراغيّة): الكرمُ ثبّتَ اللهُ جيشَ سُعُودِك يَزِين ، الخ.

وفي رسائلِ الحريري الرسالة السينية (التي التزم الحريريّ حرف السين في كلّ كلمة من كلماتها نثراً ونظماً) والرسالة الشينية؛ فمن الرسالة الشينية مثلاً :

« ... شغَفَني بالشيخِ شمسِ الشعراء- رِيشَ مَعاشُه وفَشا رِياشه ، وأشرق شِهابه، واعْشَوْشبت شِعـابه - يُشاكلُ شَغَفَ المنتشي بالنَشْوة والمُرْتشي بالرَشْوة ...

فأشْعاره مشْهـورة ومَشـاعِرُهْ وعِشرته مشـكورة وعشـائرهْ.
شفا بالأناشيدِ النَشـاوى وشفّهم فمُشْفيه مُسْتشفٍ وشاكيهِ شاكره.
سأنْشِده شِعراً تُشرقُ شمسُـه وأشكره شُكراً تَشيع بشـائره .

مختارات من مقاماته :

أ) المقامة التاسعة والثلاثون : العُمانية :

حدّثَ الحارثُ بن همّام قال : لَهِجْتُ مُذ اخضَرّ إزاري ، وبَقَلَ عِذاري ، بأن أجوبَ البراري على ظهورِ المَهاري[3] : أنْجِدُ طَوراً ، وأسْلُكُ تارةً غَوْراً ؛

---

(١) قدر الطعام : طبخه في القدر (بكسر القاف) . (٢) كتب الجلد : خرزه بالمخرز (بكسر الميم) .
(٣) لهج : اشتد ولعه . الازار: موضع العفة . اخضر : اسود (بتشديد الدال)، نبت- بلغ الصبي مبلغ الرجال .
بقل: عذاري: شعر خدي. جاب: قطع. المهارى: نياق من المهرة (بفتح ففتح) في جنوب بلاد العرب.



حتى فَلَيْتُ المعالِمَ والمجاهلَ ، وبَلَوْتُ المنازل والمناهل ، وَأَدْمَيْتُ السَنابِكَ وَالمَناسِم ، وَأَنْضَيْتُ السوابِقَ وَالرَّواسم[1] . فلما مَلَلْتُ الإصحار وقد سَنَحَ لي أَرَبٌ بصُحار مِلْتُ إلى اجتياز التَيَّار ، وَاختيار الفُلْكِ السَيَّار[2] . فنقلتُ اليه أساوِدي ، وَاستَصْحَبْتُ زادي وَمَزاوِدي . ثم رَكِبْتُ فيه رُكوبَ حاذرٍ ناذر ، عاذلٍ لنفسه عاذر[3] . فلماَّ شَرَعْنا في القُلْعَة ، ورفعنا الشُّرُعَ للسُّرعة . سَمِعْنا من شاطىء المَرْسى ، حين دجا الليلُ وَأَغْسى[4] ، هاتفاً يقول : يا أهلَ ذا الفُلْكِ القويم ، المُزَجَّى في البحر العظيم ، بتقدير العزيز العليم : « هَلْ أَدُلُّكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أليم » ؟[5] فقلنا له : أَقْبِسْنا نارَكَ ، أَيُّها الدليلُ ، وأرشدنا كما يُرْشِدُ الخليلَ الخليلُ . فقال : أَتَسْتَصْحِبون ابْنَ سبيلٍ ، زادُه في زَبيلٍ ، وَظِلُّه غيرُ ثقيل ، وما يَبْغِي سوى مَقيل ؟ فأجمعنا على الجُنُوح اليه ، وَألاَّ نَبْخَلَ بالماعون عليه[6] .

فلما استوى على الفُلْكِ ، قال : أعوذ بمالِكِ المُلْكِ من مسالكِ الهُلْكِ[7] . ثم قال : إنا رَوَيْنا في الأخبار ، المنقولةِ عن الأَحبار ، أن اللهَ تعالى ما أخذ على الجُهَّال أن يَتَعَلَّموا حتى أخذ على العلماء أن يُعَلِّموا[8] . وَإن مَعِيَ لِعُوذَةً عن الأَنبياء مأخوذةً ، وعندي لكم نصيحةٌ براهينُها صحيحةٌ . وما وَسِعَني الكِتمان ،

---

(١) أنجد : قصد الاماكن العالية . فلى : قطع . المعالم : الارض الموطوءة ، المعروفة المسالك . المجاهل : الارض غير المعروفة المسالك . بلا يبلو : اختبر . المنازل : الاماكن الصالحة للتخييم . المناهل : مواضع الماء . السوابق : الخيل . الرواسم : الابل . انضى : أتعب . السنابك : حوافر الخيل . المناسم : أخفاف الابل .

(٢) الاصحار : السير في الصحراء . أرب : حاجة . صحار : بلد كبير في عمان (بضم العين وتخفيف الميم) في جنوبي شرقي بلاد العرب . التيار : موج البحر ، البحر . الفلك السيار : المركب الكثير السير .

(٣) الاساود : الامتعة . الزاد : المؤونة ، الطعام . المزاود جمع مزود : وعاء الزاد ؛ او مزادة : وعاء الماء . حاذر : خائف . ناذر : جاعل نذراً ان سلمه الله من اهوال البحر . عاذل : لائم . عاذر : ملتمس لنفسه عذراً (في اضطراره إلى السفر).

(٤) المزجى (بتشديد الجيم ثم ألف مقصورة): المسير . العزيز العليم: القوي المطلع (بتشديد الطاء) ، الله.

« هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » آية من سورة الصف (٦١ : ١٠) .

(٦) اقبسنا نارك : اخبرنا عن نفسك . ابن سبيل : المنقطع في السفر . زبيل وزنبيل : قفة ، وعاء من خوص النخل . – يحمل أمتعة قليلة يكفيها زنبيل توضع فيه . مقيل : مكان يكفي لجلوسه أو نومه . على الجنوح : على ان نميل اليه . الماعون : السفينة .

(٧) استوى على الفلك : استقر في المركب . اعوذ بمالك الملك : ألتجيء الى الله .

(٨) الاحبار جمع حبر (بالفتح) : العالم . « ان الله ما أخذ ... الى قوله : يعلموا » حديث .



ولا من خيبي الحرمانُ[1] . فتدبّروا القولَ وتفهّموا ، واعملوا بما تعلمون وعلّموا . ثم صاح صيحةَ المُباهي ، وقال: أتدْرون ما هي ؟ هيَ واللهِ حرزُ السَّفْرِ عند مسيرهم في البحْر ، والجُنّةُ من الغم إذا جاش موْجُ اليم"[2] . وبها استعْصمَ نوحٌ من الطوفان ، ونجا ومَنْ معه منَ الحيَوان ، على ما صدَعتْ به آيُ القرْآن . ثم قرأ بعضَ أساطيرَ تلاها ، وزَخارفَ جلاها ، وقال : « اركبوا فيها باسْمِ اللهِ مجْراها ومُرْساها »[3] . ثم تنفّسَ تنفّسَ المُغْرمين أو عبادِ اللهِ المُكْرَمين ، وقال: أمّا أنا فقد قمتُ فيكم مقامَ المُبلّغين . ونصحتُ لكم نُصْحَ المُبالغين ، وسَلكت بكم محجّةَ الراشدين ، فاشْهدِ اللّهمّ وأنتَ خيْرُ الشاهدين[4] .

قال الحارثُ بن همّام : فأعْجبَنا بيانُه البادي الطّلاوَةِ ، وعجّت له أصواتنا بالتلاوَةِ ؛ وآنس قلبي من جرْسِه ، معْرفةَ عينِ شمسه[5] . فقلت له : بالذي سخّر البحرَ اللُّجيّ ، ألسْتَ السَّروجيّ ؟ فقال لي : بلى، وهل يخفى ابْنُ جلا[6] . فأحْمدتُ حينئذ السَّفرَ ، وسَفرْتُ عن نفسي إذْ سفر[7] . ولم نزَلْ نسيرُ والبحر زَهْوٌ ، والجوُّ صحْوٌ ، والعيشُ صفْوٌ والزمانُ لهوٌ ، وأنا أجدُ لِلقْيانه ، وجْدَ المُثْري بعقْيانه ، وأفرح بمناجاته فرَحَ الغريقِ بمَنْجاته[8] ؛ إلى أن عصَفتِ الجنوبُ ، وعسَفتِ الجُنوبُ ، ونَسِيَ السَّفْرُ ما كان ، وجاءهُمُ الموجُ من كل مكان[9] ؛ فملْنا لهذا الحدَثِ الثائر إلى إحدى الجزائر ، لنُريحَ ونَستريح ،

---

(١) عوذة : تميمة ، حرز ، حجاب . الخيم : العادة .

(٢) السفر (بفتح فسكون) : المسافرون معاً ، الجنة : الوقاية . جاش اضطرب . اليم : البحر .

(٣) استعصم : احتمى . صدع : نطق ، صرح . اساطير : حكايات وخرافات واباطيل **Storia** . وزخارف : تمويهات . جلاها : عرضها عرضاً جميلا . « اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها » آية من سورة هود (١١ : ٤٥) .

(٤) المغرم : المحب ، المثقل بالدين . قام مقام المبلغين : اخذ على نفسه ان ينقل اليهم خبر ما فيه خيرهم . نصح المبالغين : الذين يبالغون (يكثرون) النصح . المحجة : الطريق الواضح .

(٥) البادي الطلاوة : الظاهر الحسن والجمال . عج : ارتفع . التلاوة : الدعاء . آنس : عرف ، أدرك . الجرس : الصوت الخفي . عين شمسه : حقيقته واصله . (٦) البحر اللجي : العظيم ، المضطرب . السروجي : ابو زيد مكدي الحريري . ابن جلا: الرجل الواضح النسب المشهور .

(٧) سفرت : كشفت عن سريرتي ، سررت . سفر : كشف عن حقيقة امره : اظهر امره .

(٨) زهو : هادئ . لقيانه : الاجتماع به ، لقاؤه . العقيان : الذهب . المناجاة : المحادثة سراً . المنجاة : النجاة .

(٩) عصفت الجنوب : هبت الريح الجنوبية . عسفت الجنوب : اضطربت جنوبنا قلقاً وخوفا . السفر : المسافرون معاً . « وجاءهم الموج من كل مكان » آية من سورة يونس (١٠ : ٢٢) .

ريثما تُؤاتي الريح . فتمادى اعتياص المسير حتى نَفِدَ الزاد غيرَ اليسيرِ ، فقال لي أبو زيد : إنّه لن يُحْرَزَ جنى العود بالقُعود ، فهل لك في استثارة السعود بالصعود [1] ؟ فقلت له : إني لأتْبَعُ لك من ظِلِّك وأَطْوَعُ من نَعْلِك . فنَهَدْنا إلى الجزيرة على ضَعْفٍ من المَريرة ، لنَرْكُضَ في امتراء الميرة . وكِلانا لا يَمْلِكُ فَتيلاً [2] ولا يهتدي فيها سبيلاً . فأقبلنا نَجوسُ خِلالَها ، ونَتَقَيَّأُ ظِلالَها ، حتى أفْضَينا إلى قصر مَشيد ، له بابٌ من حديد ، ودونَه زُمْرَةٌ من عبيد . فناسَمْناهم لِنَتَّخِذَهم سُلَّماً إلى الارتقاء ، وأَرْشِيَةً للاستقاء [3] . فألفَيْنا كُلاً منهم كَئيباً حسيراً ، حتى خِلْناه كَسيراً أو أسيراً . فقلنا : أيَّتُها الغِلْمَةُ ، ما هذه الغُمَّة [4] ؟ فلم يُجيبوا النداء ، ولا فاهوا ببيضاءَ ولا سوداء . فلما رأينا نارَهم نارَ الحُباحب ، وخُبْرَهم كسَراب السَّباسِب . قلنا : شاهت الوجوهُ ، وَقَبُحَ اللُّكَعُ ومَنْ يرجوه . فابتدر خادمٌ قد عَلَتْهُ كَبْرة ، وعَرَتْه عَبْرة [5] ، وقال : يا قومُ ، لا تُوسِعونا سَبّاً ولا تُوجِعونا عَتْباً ، فإنّا لَفي حُزْنٍ شامل وشُغل عن الحديث شاغل [6] . فقال له ابو زيد : نَفِّسْ خِناقَ البَثّ ، وانْفُثْ إنْ قَدَرْتَ على النَّفْث . فإنك ستجد مني عَرّافاً كافياً ووصّافاً شافياً [7] . فقال له : اعْلَمْ أن ربَّ هذا القصرِ هو قُطْبُ هذه البُقْعَة وشاهُ هذه الرُّقْعَة [8] ؛ إلاّ أنه لم يَخْلُ من كمد ، لِخُلُوِّهِ من ولد . ولم يَزَلْ يَسْتَكْرِم المغارسَ ،

---

(١) : تؤاتي : تأتي موافقة . تمادى : طال . الاعتياص : العسر ، الصعوبة . جنى العود : الثمر ، كناية عن بلوغ الامل . استثارة : استخراج . السعود : الحظوظ . الصعود : النزول على شاطئ الجزيرة .

(٢) نهدنا : نهضنا . المريرة : القوة . امتراء الميرة : طلب المؤونة والرزق . الفتيل : الخيط المفتول ؛ غشاء رقيق في شق بزرة التمر — لا يملك شيئاً .

(٣) جاس خلال الدور : جال بينها . مشيد : مبني بالآجر والحجارة . ناسمناهم : شممنا نسيمهم ، حادثناهم لنستقصي اخبارهم . الرشاء : حبل يُستقى به الماء من البئر .

(٤) الحسير : الحزين . الغلمة جمع غلام : العبد ، الخادم . الغمة : الغم والهم .

(٥) ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء : ... بكلمة طيبة ولا بكلمة رديئة ؛ لم يتكلموا قط . الحباحب : هوام تطير بالليل ويظهر منها نار (لأن في مؤخرة جسمها فوسفور) ولكن لا تحرق . الخبر (بضم الخاء) : ما انطوى عليه باطنهم . السباسب الصحارى . شاهت الوجوه : قبحت . اللكع : اللئيم ، الاحمق . ابتدر : تقدم . كبرة : تقدم في السن . عرته عبرة : نفر الدمع في عينه .

(٦) شاغل : صارف عن الاهتمام بالآخرين .

(٧) نفس خناق البث : هون حزنك . وانفث : تكلم . العراف : الذي يعرف الامراض ويداويها .

(٨) القطب : المعظم الذي تدور حوله الامور . شاه : ملك . شاه هذه الرقعة : الملك في لعبة الشطرنج وهو اهم الحجارة في تلك اللعبة — اعظم سكان هذا الحي .

وَيَتَخَيَّرُ من المفارشِ النفائسَ ، إلى أن بُشِّرَ بحَمْلِ عَقيلته ، وآذَنَتْ رَقْلَتُه بفَسيلته [1] . فَنُذِرَتْ له النُّذور ، وأُحْضِيَتْ الأيامُ والشهور . ولما حان النِّتاج وصيغَ الطَّوْقُ والتاج ، عَسُرَ مَخاضُ الوضع حتى خيفَ على الأصل والفرع [2] . فما فينا مَن يَعْرِفُ قراراً ، ولا يَطْعَمُ النومَ إلاّ غِراراً . ثم أَجْهَشَ بالبكاء وأعْوَل ، ورَدَّدَ الاسْتِرجاع وطوّل [3] . فقال له ابو زيد : اسْكُنْ يا هذا وَاسْتَبْشِرْ ، وابشِرْ بالفَرَج وبَشِّرْ . فعندي عَزيمةُ الطَّلْقِ التي انْتَشَرَ سَمْعُها في الحَلْق . فتبادرتِ الغِلْمَةُ إلى مَوْلاهم ، مُتَباشرين بانكشاف بَلْواهم . فلم يكن إلاكَلاَ ولا ، حتى برز من هَلُمَّمَ بنا اليه . فلما دخلنا عليه ، وَمَثَلْنا بين يديه [4] قال لأبي زيد : ليُهْنِكَ مَنالُكَ ، إن صدق مَقالُكَ ، وَلَم يَفِلْ فالك [5] . فاستَحْضَر قلماً مَبْرِيّاً وَزَبَداً بَحْرِيّاً ، وزَعْفراناً قد ديف في ماء ورد نظيف . فما ان رَجَعَ النَّفَس ، حتى أَحْضِرَ ما التمس [6] . فَسَجَدَ أبو زيد وَعَفَّر ، وَسَبَّح وَاستغفَر ، وابعد الحاضرين وَنَفَّر . ثم أخذ القلم وَاسْحَنْفر ، وكتب على الزَّبَد بالمُزَعْفر [7] .

أيهذا الجنينُ ، إني نصيحٌ لك ؛ والنُّصْح من شُروط الدين :
أنتَ مُسْتَعْصِمٌ بِكِنٍّ كنينٍ وقرارٍ من السكونِ مَكينٍ [8] .
ما ترى فيه ما يَروعُكَ من إلْفٍ مُداجٍ ولا عدوٍ مبينٍ .

---

(1) المفارس .... الخ : يتطلب كرام الفتيات زوجات له . الرقلة : النخلة الكبيرة (كناية عن الزوجة) . الفسيلة : الفرخ الذي ينبت بجانب النخلة (كناية عن ان زوجته حملت) .

(2) حان النتاج : قربت الولادة . الطوق : قلادة للعنق. التاج : عصابة للرأس. المخاض : الطلق، الولادة . الاصل والفرع : الام والطفل .

(3) غراراً : قليلا ، شيئاً بعد شيء . اجهش : بدأ البكاء . اعول : صوت بالبكاء . الاسترجاع : قولنا : انا لله وانا اليه راجعون .

(4) حجاب يسهل الولادة . تبادر : اسرع . البلوى : المصيبة . هلمم : قال لنا : هلموا ، دعانا . مثلنا : وقفنا .

(5) ليهنك : ليهنئك (وحذف الهمزة لهجة اهل الحجاز) . منالك : ما ستناله من العطاء . – اي سيكون كثيراً . لم يفل فالك : لم يخب تقديرك واملك .

(6) زبد بحري : نوع من السمن(؟) وفي شرح المقامات: حجر شديد البياض رخو رقيق(خفيف) يوجد على وجه البحر .... ذكر الحكماء انه اذا وضع على فخذ ما خض سهلت ولادتها . داف : مزج .

(7) عفر : مرغ وجهه في التراب . اسحنفر : في شرح المقامات : اسرع.... ولعلها : انحنى فوق الورق وهو يكتب.

(8) استعصم : تمسك . الكن : المستقر .

فمتى ما برزتَ منه تحوَّلْتَ الى منزل الأذى والهُون[1] .
وتراءى لك الشقاء الذي تلْقى فتبكي له بدمعٍ هتون[2] .
فاستَدِمْ عيشكَ الرغيدَ وحاذرْ انْ تبيعَ المحقوق بالمظنون[3] .
واحترِسْ من مُخادع لك يرْقيك ليُلْقيك في العذاب المُهين[4] .
ولَعَمْري لقد نصحْتُ ، ولكنْ كم نصيحٍ مشبَّه بظَنين[5] .

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ، وتفل عليه مائةَ تفلة ، وشد الزَّبَدَ في خرقة حرير ، بعدما ضمَّخها بعبير [6] . وأمر بتعليقها على فخذ الماخض ، وألاّ تعلّق بها يدُ حائض . فلم يكُنْ الا كذُواق شارب ، او فُواق حالب ، حتى اندلق شخص[7] الولد لخصّيصَى الزبد ؛ بقُدْرة الواحد الصَّمد. فامتلأ القصرُ حبُوراً واستُطير عميدُهُ وعبيده سُروراً [8] . وأحاطت الجماعة بأبي زيد تُثني عليه وتُقبّل يديه ، وتتبرّك بمساس طِمْرَيْه، حتى خُيّلَ إلي أنه القَرْنيُّ أُوَيْس أو الأسَديُّ دُبَيْس[9] . ثم انثال عليه من جوائز المُجازاة ووصائل الصِلات ، ما قيَّض له الغِنى ، وبيّض وجه المُنى[10] . ولم يزل ينْتابُه الدَّخْلُ مذ نُتِجَ السَّخْل إلى أن أعطى البحرُ الأمانَ وتسنّى الإتمامُ إلى عُمانَ . فاكتفي أبو زيد

---

(١) راعه : أخافه . إلف : صديق . مداج : مراء ، منافق . مبين : ظاهر . الهون : الذل .

(٢) هتون : كثير .

(٣) الرغيد : الكثير ، الواسع . المحقوق : الحاصل . المظنون : المشكوك فيه .

(٤) رقاه : قرأ له فصولا من الاوراد الدينية ؛ اثر فيه .

(٥) المتهم : المظنون فيه .

(٦) طمس الكتابة : شوهها . تفل : بصق . ضمخها : لطخها . عبير : طيب ، رائحة طيبة .

(٧) الماخض : التي اخذها المخاض ، التي دخلت في الولادة . تعلق بها : تمسها . الحائض المرأة في ميعاد حيضها . اندلق : خرج بسهولة . ذواق شارب : ريثما يذوق الشارب الشراب . فواق حالب : مقدار ما بين الحلبتين – المقصود : زمناً قصيراً .

(٨) خصيصي : خاصة ، فعل . الواحد الصمد : الله الواحدالمقصود . استطير سروراً : خف بالسرور ، سر كثيراً .

(٩) المساس : المس . الطمر : الثوب البالي . خيل الي : ظننت . اويس القرني : زاهد كان بالكوفة من كبار التابعين (الذين رأوا اصحاب رسول الله). دبيس الاسدي : الامير سيف الدولة بن يزيد الاسدي كان اميراً ببغداد ومعاصراً للحريري.

(١٠) انثال : تتابع ، انصب . الوصائل جمع وصيلة : ما يوصل به الانسان . الصلات جمع صلة : العطية . قيض : هيأ ، سهل . المنى جمع أمنية : ما يصبو اليه الانسان – بلغه آماله .

بالنِّحلة ، وتأهب للرحلة[1] . فلم يسمحِ الوالي بحركته ، بعد تجْرِبةِ بركته . بل أوْعزَ بضمِّه إلى حُزانته[2] ، وأن تُطْلَقَ يدُه في خزانته .

قال الحارثُ بنُ همَّام : فلما رأيتُه قد مال الى حيثُ يكتسبُ المال ، أنْحيْتُ عليه بالتعنيف ، وهجّنْتُ له مُفارقةَ المأْلف والأَليف[3] . فقال: إليك عنّي واسمع مني :

لا تصْبُوَنَّ إلى وطنْ فيه تُضامُ وتُمْتَهنْ[4] ؛
وارْحلْ عن الدارِ التي تُعلي الوِهادَ على القُنن[5] .
واهْرُبْ إلى كِنٍّ يقي ، ولو انه حِضْنا حَضَن[6] .
وارْبأْ بنفسك ان تُقيـ ـمَ بحيث يغْشاك الدَّرَن[7] .
وجُبِ[8] البلادَ ، فأيُّها أرضاك فأخترْه وطَنْ ،
ودعِ التذكُّرَ للمعاهـ ـدِ والحنينَ إلى السكَن[9] .
واعْلَمْ بأن الحُرَّ في أوطانه يلْقى الغَبَن[10] .
كالدُّرِّ في الأصدافِ يُسْـ ـتَزْرَى ويُبْخَسُ في الثمن[11] .

ثم قال حسْبُك ما استمعت . وحبّذا أنت لو اتّبعْتَ . فأوضحت له معاذيري ، وقلت له : كن عذيري ! فعَذَرَ واعتَذَرْ ، وزوّد حتى لم يذر[12] . ثم شيَّعني

---

(١) يتتابه الدخل : يأتيه الرزق . السخل : الشاة الصغيرة . نتج السخل : ولد (بالبناء للمجهول) المولود . اعطى البحر الأمان : هدأ واصبح السفر فيه مأموناً . تسنى : سهل ، أمكن . عمان : بلد كبير في جنوبي شرقي بلاد العرب . النحلة : العطاء . تأهب : استعد .

(٢) أوعز : أشار ، أمر . الحزانة : جماعة الرجل الذين يحزنون لمصابه إذ هو يحزن لمصائبهم (أقاربه وأتباعه) .

(٣) التعنيف : اللوم والتوبيخ . هجنت : قبحت . المألف : المسكن والموطن . الاليف : الصاحب .

(٤) صبا : اشتاق . امتهن : احتقر .

(٥) الوهدة : المكان المنخفض . القنة : رأس الجبل .

(٦) الكن : المكان الذي يحميك . يقي : يحفظ ، يحمي . الحضن : الجانب . حضن (بفتح ففتح) جبل في نجد .

(٧) أربأ بنفسك : ارفعها ، نزهها . يغشاك الدرن : يطرأ عليك القذر (الذل) .

(٨) جاب يجوب : قطع .

(٩) المعاهد : الاماكن التي يسكنها الناس . الحنين : شدة الشوق . السكن : اهل الانسان .

(١٠) الغبن : النسيان والاهمال .

(١١) يستزري : يحتقر . بخس ثمنه : دفع فيه أقل من قيمته (أساء معاملته) .

(١٢) المعاذير : الاعذار . العذير : العاذر . وذر يذر : ترك (زودني بكل شيء) .

تَشييعَ الأَقارب ، إلى أن رَكِبْتُ في القارب . فَوَدَّعتُه وأنا أشكو الفِراقَ وَأذُمُّهُ ، وَأَوَدُّ لو كان هَلَكَ الجنينُ وَأُمُّهُ .

– وفي المقامة الثالثة (الدينارية) يمدح الحريريّ الدينارَ (على لسان المُكْدي) مرّةً ثم يذمه مرّةً أخرى ، شعراً ؛ قال يمدح الدينار:

أَكْرِمْ به أَصْفَرَ راقت صُفْرَتُهْ جَوّابَ آفاقٍ ترامت سَفْرَتُهْ (١) .
مأثورةٌ سِمْعَتُهُ وَشُهْرَتُهْ ؛ قد أُودِعَتْ سِرَّ الغنى أَسِرَّتُهْ (٢) ،
وقارنت نُجْحَ المساعي خَطْرَتُهْ ، وَحُبِّبَتْ إلى الانام غُرَّتُهْ (٣) ،
كأنما مِنَ القلوب نُقْرَتُهْ ؛ به يصولُ مَنْ حوته صُرَّتُهْ ،
وان تفانَتْ أو تَوانَتْ عِتْرَتُهُ . يا حَبَّذا نُضارُه وَنُضْرَتُهْ (٤) ،
وحبذا مَغْناتُهُ وَنُصرتُه ! كم آمرٍ به استَتَبَّتْ إمْرَتُهْ (٥) ،
وَمُتْرَفٍ لولاه دامت حَسْرَته ؛ وجيشِ هَمٍّ هزمته كَرَّتُهْ (٦) ،
وَبَدْرٍ تِمَّ أنزلته بَدرتُه ، وَمُسْتَشيطٍ تَتَلظَّى جَمْرته (٧) ،
أَسَرَّ نَجْواه فلانت شِرَّتُهْ (٨) . وكم أسيرٍ أسلمتْه أُسْرَته ،
أَنْقذه حتى صَفَتْ مَسَرَّتُهْ . وحَقِّ مَوْلىً أَبْدعته فِطْرَتُهْ ،
لولا التُّقى لقلتُ جَلَّت قُدْرَتُهْ ؟

---

(١) بعدت في كل جهة .

(٢) الأسرة (بتشديد الراء) جمع لمفردات مختلفة : النقوش . ان نقش الدينار يدل على مقدار ما يمثل من المال (قيمته) .

(٣) الخطرة : المرة من الذهاب : اذا بذلت الدينار في امر حصلت عليه.

(٤) توانت : ابطأت (عن نصرته) . عترته ، اسرته ، قبيلته . النضار : الذهب الخالص . النضرة : البهجة والحسن .

(٥) المغناة : الكفاية ، ما يغني عن اشياء كثيرة . استتبت إمرته : دام حكمه واستقر.

(٦) ان الهجوم بالدينار على الهموم يفرقها ويذهب بها.

(٧) بدر تم : البدر ليلة تمامه (كناية عن المرأة الجميلة). البدرة : عشرة آلاف دينار – بالمال تحصل على اجمل النساء . المستشيط : الغضبان .

(٨) اسر نجواه : حصل عليه سراً . لانت شرته : هدأت حدته وغضبه – اذا غضب إنسان منك غضباً شديداً فدسست في يده شيئاً من المال سكت عنك غضبه .

ثم قال يذمّه :

تبّاً له من خادعٍ مُماذقٍ[1] أصفَرَ ذي وجهينِ كالمنافقِ .
يبدو بوصفين لعينِ الرامقِ : زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقٍ[2] .
وحبُّه عند ذوي الحقائق يدعو الى ارتكابِ سُخْطِ الخالق[3] ؛
لولاه لم تُقْطَعْ يمينُ سارقٍ ، ولا بدت مَظْلَمَةٌ من فاسقٍ[4] ،
ولا اشمأزَّ باخلٌ من طارقٍ ، ولا شكا المَمْطولُ مَطْلَ العائق[5] ،
ولا استُعيذَ من حسودٍ راشقٍ[6] . وشرُّ ما فيه من الخلائقِ
أنْ ليس يُغني عنك في المضايقِ إلا إذا فَرَّ فرارَ الآبِقِ .
واهاً لمن يَقْذِفُهُ من حالقِ ؛ ومن إذا ناجاه نَجْوى الوامق[7] ،
قال له قولَ المُحقِّ الصادقِ : لا رأيَ في وصلِكَ لي ففارقِ .

٤ (*)- مقامات الحريري (تحرير علاه ؟ داوود وجوان علي) ، كلكتا ١٨١٤ م ؛ (تحرير كوسان ده برسيفال) ، باريس ١٨١٩ ؛ (تحرير ده ساسي) ، باريس (دار الطباعة الملكيّة) ١٨٢٢ م ؛ لكنهو ١٢٦٣ ، ١٨٦٩ هـ ، ١٨٧٣ م ؛ بولاق ١٢٦٦ ، ١٢٧٢ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٧هـ ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ ، ١٢٧٩ ، ١٣١٣هـ ؛ تبريز ١٢٨٢هـ ؛ القاهرة ١٣٢٦ هـ ؛ بيروت (مطبعة المعارف) ١٢٩١ هـ = ١٨٧٤ م ؛ (تحرير ستاينغاس) ، لندن ١٨٩٦ - ١٨٩٧ م ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .

مقامات الحريري مع الرسالتين السينيّة والشينية ، (مطبعة عبدالسلام بن محمّد بن شقرون) ؟ ١٣٢٦ هـ .

المقامات الثلاث الاولى (تحرير شولتنس) ، فرانكفورت ١٧٣١ م ؛ المقامات الرابعة والخامسة والسادسة (تحرير شولتنس) ، ليدن ١٧٣١ - ١٧٤٠ م ؛ المقامات الثلاث الأخيرة (تحرير رو) ، باريس ١٩٠٩ م .

(*) راجع ايضاً معجم المطبوعات العربية ٧٤٨ - ٧٥٠ .

(١) تبا : هلاكاً . مماذق : غير مخلص ، يمزج صداقته بالرياء .

(٢) زينة معشوق : جميل ، براق . لون عاشق : اصفر (الاصفر لون النحول) .

(٣) ذوو الحقائق : اصحاب المعارف الصحيحة . - والناس يرتكبون ذنوباً كثاراً في سبيل الحصول على المال .

(٤) المظلمة : الاعتداء ، سلب الحقوق . الفاسق : مرتكب الآثام .

(٥) الباخل : البخيل . الطارق : الضيف الآتي ليلا . المطل : تأخير الدين . العائق : المتمنع عن أداء الدين .

(٦) الراشق : الذي يرمي النبال . و (هنا) يرمي الناس بالنظر الشزر بغضاً وحسداً . المال لا ينفع صاحبه ولا ينقذه من المواقف الحرجة الا اذا أبق (بكسر الباء : هرب) أي اذا انفقه صاحبه .

(٧) الحالق : المكان العالي . الوامق : المحب الصحيح .

مقامات الحريري بشرح الشريشي . بولاق ١٢٨٤ ، ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٦ ، ١٣١٢ ، ١٣١٤ هـ ؛ القاهرة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١ م ؛ بشرح الزمخشري ، بيروت (المطبعة الادبية) ١٩٠٣ م ؛ الايضاح (في شرح المقامات) لناصر الدين بن عبد السيّد المطرزي ، تبريز ١٣٧٢ هـ .

المقامات العشر لطلبة العصر (انتخبها ... محمّد المبارك الجزائري) ، بيروت ١٣٢١ هـ .

درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ (تحرير دو ساسي) ، باريس ١٨٢٨ - ١٨٢٩ م ؛ القاهرة (مطبعة الحجر الحميدة) ١٢٧٣ هـ ؛ القاهرة ١٢٧٩ هـ ؛ (تحرير توربكّه) ، ليبزغ ١٨٧١ م ؛ بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣٠٦ هـ .

شرح درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ للخفاجي ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ [١] .

ملحة الاعراب ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ (طبعها ملحم بن ابراهيم النجّار) ، دير القمر بلبنان ١٨٧١ م ؛ القاهرة ١٢٩٣ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٣ ، ١٣٤٥ هـ ؛ دلهي ١٣١٢ هـ ؛

الفرق بين الضاد والظاء (تحرير توربكه) ، ليبزغ ١٨٧١ م ؛ القاهرة ١٢٧٣ هـ .

•• ملحة الاعراب بشرح محمّد القاسم بن علي (تحرير بنتو) ؛ = تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في ملحة الأعراب لجمال الدين محمّد بن بحرق الحضرمي ، القاهرة ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٩ هـ ؛ كشف الطرّة عن الغرّة (شرح ملحة الاعراب) لمحمود الألوسي (تحرير عبد القادر نبهان) ، دمشق ١٣٠١ هـ .

رسالة الى البارون سلفستر دى ساسي .... في تدارك ما فرط منه في رواية المقامات الحريرية وتحرير شرحها، للشيخ ناصيف اليازجي (تحرير مهرن) ، ليبزغ (أنغلمان) ١٨٤٨ م .

كتاب الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن برّي للحريري ، استانبول ١٣٢٨ هـ .

أبو زيد السروجي الأديب المحتال ، تأليف ابراهيم جمعة ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٤٩ م .

ابن الحريري ومقاماته ، تأليف محمّد احمد الصّديقي ، الله آباد ١٩٥٥ !

معجم الادباء ١٦ : ٢٦١ - ٢٩٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٦٥ - ١٦٨ ؛ طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٥ - ٢٩٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٣ - ٢٧ ؛ بغية الوعاة ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٥٠ - ٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٢٥ - ٣٢٩ ، الملحق ٢ : ٤٨٦ ؛ زيدان ٣ : - ٤٨٩ ابن الأثير ١٠ : ٥٩٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٢ .

عمر الخيّام

١ - هو غياثُ الدين أبو الفتح عُمَرُ بنُ ابراهيمَ الخيّام [٢] ، كان مولدُه في نيسابورَ أو إحدى ضواحيها ، سَنَةَ ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) أو بُعَيدَ ذلك ؛ فقد جاء

---

(١) طبعة القسطنطينية (مطبعة الجوائب ١٢٩٩) تتضمن درة الغواص ثم شرحها للخفاجي في كتاب واحد .

(٢) في ابن الاثير (١٠ : ٩٨) وفي غيره أيضاً : الخيامي ، تأثراً باللفظ الفارسي عمر خيام (بامالة الميم نحو الكسر) . ولعل ابراهيم والد عمر كان خياماً (صانعاً للخيام) ، أو لعل أو أحد أسلافه كان خياماً .

في تاريخِ الكامل لابن الأثير (١٠ : ٩٨) أنّ السلطانَ ملكشاه جَمَعَ، سَنَةَ ٤٦٧ هـ (١٠٧٤–١٠٧٥ م)، جَماعة من أعيانِ المنجّمين (في أصفهانَ ؟) منهم عُمَرُ الخيّام وأبو المظفَر الأسفزاري ومَيْمون بن النجيب الواسطيّ لعمل جَدْوَلٍ بأرصادِ النجوم (تعيين مواقع النجوم وحركاتها). وقدِ استمرالعملُ في هذه الأرصاد حتّى موتِ ملكشاه[1].

وقدِ اختلف الرُواة في سَنَةَ وفاةِ عُمَرَ بن الخيّام. والغالبُ أنّه توفّي سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢ – كان عمرُ الخيّام عالماً كبيراً مشهوراً من علماء الرياضيات والفلك[2] وكان حكيماً شاعراً، صنّف الكتب ونظم الشعرَ باللغةِ العربية واللغة الفارسية. وتَرْجِعُ شُهْرةُ عُمَرَ الخيام، في الشرق والغرب، وفي الأكثرِ، الى «رُباعيّاته».

والرباعيّاتُ أو الفنّ الرُباعي نَوْعٌ من الشعر يُنْظَمُ على وَزْنٍ من أوزان بَحْرِ الهَزَج[3] بَيْتَيْنِ بيتين؛ من أجل ذلك سمّاه الفُرْسُ دوبيتَ[4]. ثمّ نَظَرَ إليه بعضُهم على أنّه أرْبَعَةُ أشطرٍ (باعتبارِ البيتِ الواحدِ شَطْرينِ) فسَمَّوْه «الرُباعيَّ» ومنه رُباعية وجمعُها رباعيّات.

يُنْسَبُ إلى عُمَرَ الخيّام نحوُ أربعمائةِ رُباعيّةٍ لعلّ مائةً منها فقط تَصِحُّ نِسْبَتُها إليه. فمن رباعيّاتِ الخيّام (من تعريب أحمد الصافي النَجَفي[6]، رقم ٦٢):

---

(١) توفي ملكشاه في ١٥ شوال ٤٨٥ (١٠٩٢ م).

(٢) راجع تاريخ العلوم عند العرب للدكتور عمر فروخ (الفهرس الهجائي).

(٣) راجع «تاريخ الادب في ايران» تأليف براون (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشواربي)، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م، ص ٤٨ وما بعد.
تفاعيل بحر الهزج: مفاعيلن مفاعيلن (مرتين)، نحو: هزجنا في بواديكم فأكثرتم عطايانا.
أو: صفحنا عن بني ذهل وقلنا: القوم اخوان!
وفي اشتقاق وزن الرباعيات الفارسي من بحر الهزج العربي خلاف لا مجال هنا للبحث فيه. راجع مثلا:
راجع مثلا: Omar Chajjâm und Seine Vierzeiler, Von Ch. H. Rempis, Tubingen 1935, SS. 33 ff.

(٤) دو (اثنان)؛ دو بيت (بيتان).

(٥) لا نعد الدوبيت (وحدة النظم المؤلفة من بيتين) من الشعر العربي الفصيح لأن بحره ليس من الابحر العربية ولأن ناظمه يتساهل أحياناً بالاعراب وبالألفاظ، كقول محمد بن محمد بن الدمرداش (ت ٧٢٣ هـ):

أخفيت هواك عن جميع البشر   ضنا بحديث سرك المستتر (بكسر الراء)

فانصان وكاد يخفي يا قمري   عن فرط ذكا منك لولا نظري

(٦) اهتم الأدباء، في كل لغة، برباعيات الخيام اهتماماً كبيراً فنقلوها الى لغتهم. وقد نقلت هذه الرباعيات الى اللغة العربية نقولا كثيرة. ولكن الكلام على رباعيات الخيام في أصلها الفارسي وفي نقولها العربية ليس من شرط هذا الكتاب ولا من نطاقه.

انّ بَدْري يلوحُ في كلّ شَكْلٍ: حَيَواناً طوراً ، وطوراً نبـاتا .
لا تَخَلْهُ يزولُ ، هيهاتِ فالمو صوفُ إنْ يَفْنَ وَصْفُه يَبْقَ ذاتا.

وبما أنّ مُعْظَمَ رباعيّاتِ الخيّام تدورُ على الحُبّ والخمر في سبيل التعبير عن مراميه وفي أسلوب رمزيّ ، وبما أنّ في رباعيّاته استخفافاً ظاهراً بالدنيا والآخرة وبالعقل والشريعة ، فقد عدّه نَفَرٌ من الدارسين صوفياً . غير أنّ له رُباعيّاتٍ ينحو فيها مَنْحى الجِدّ والتقوى .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــكتب القاضي أبو نصرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الرحيم النَسَويُّ رسالةً يسأل فيها عُمَرَ الخيّام عن حِكمة الخالق في خَلْقِ العالم وخلقِ الإنسان خصوصاً وتكليفِ الناسِ بالعبادات . فردّ عليه عمرُ الخيّام برسالةٍ منها :

إنّ عِلْمَكَ ، أيّها الأخُ الفاضلُ الرئيس الأوحد الكامل ــأطالَ اللهُ بَقاكَ ــ .... وفضلُكَ أغْزرُ من فضلِهِمْ ونفسُكَ أزكى من نفوسهم . فأنتَ أعرَفُ منهم بأنّ مسأَلَتَيِ الكَوْنِ والتكليفِ من المسائل المُعتاصة المُتَعَذّرِ حلُّها على أكثرِ الناظرين فيها والباحثين عنها ، وأنّ كلّ واحدةٍ منهما منقسمةٌ الى عِدّةِ ضروبٍ من المقاييس المُبْتَنِيَةِ على أصنافٍ من القضايا المختَلَفِ فيها بين أهلِ النَظَر ، وأنّ هاتين المسألتينِ من أواخر العِلم الأعلى والحكمة الأولى ، وأنّ آراء المتكلّمين فيها مُتَبايِنَةٌ جِدّاً . وإذا كان الأمرُ كذلك فبالحريّ أن يكونَ الكلامُ فيهما صَعْباً جدّاً .

إلاّ أنّك شَرّفتَني بالمُباحثةِ عنهما والمُحاورة فيهما. لذا لم أجِدْ بُدّاً من أن أسْلُكَ في تعديدِ أقسامهما واستيفاء أصنافهما وتَبْيينِ جُمَلِ براهينهما بحَسْبِ ما انتهى اليه بَحْثي وبحثُ من تقدّمني من مُعَلّمِيّ على سبيلِ الإيجازِ والاختصار لضيق الوقتِ وعَدَمِ احتمال البَسْطِ والتطويل والإطناب والتفصيل ، ولِمَعْرفتي بأن ذكاءَك وحَدْسَك ــحَرَسَ اللهُ مَجْدَكَــ يَكْتَفِيانِ من الكثيرِ بالقليلِ ، وبالإشارةِ عنِ العِبارة ، ويكونُ (حينئذٍ) كلامي فيهما كلامَ المستفيدِ لا المُفيد ، والمُتعلّمِ لا المُعَلّمِ ، استرواحاً إلى ما يَصْدُرُ عن جَنابكَ الشريف واعترافاً من

بَحرك الزاخر ــ أدام اللهُ فضلَكَ ولا أعدَمَنا ظِلَّكَ . وأعتَصِمَ بفَضْلِ التوفيقِ مِنَ اللهِ تعالى ؛ إنّه وليُّ التوفيقِ ومُفيضُ كلِّ عدلٍ .

ــ قال عمر الخيّام في التأمّل والزهد :

إذا رَضِيَتْ نفسي بمَيْسور بُلْغةٍ يُحَصِّلُها بالكدِّ كَفّي وساعدي [1] ،
أمِنْتُ تصاريفَ الحوادثِ كلِّها ؛ فكُنْ ، يا زماني ، مُوعِدي أو مُواعدي [2] !
ولي فوقُ هامَ النيِّرينِ منازلٌ ؛ وفوقَ مَناطِ الفَرْقَدَيْنِ مَصاعدي [3] .
متى ما دَنَتْ دُنْياكَ كانتْ بعيدةً ؛ فواعجبًا مِنْ ذا القريبِ المُباعد [4] !
اذا كان محصولُ الحياة مَنيّةً ، فسيّانِ حالاَ كلِّ ساعٍ وقاعد [5] .

ــ وقال في الدهر والاخوان :

زَجَّيْتُ دهراً طويلاً في التماسِ أخٍ يَرْعَى وِدادي إذا ذوخُلَّةٍ خانا [6] .
فكم أَلِفْتُ وكم آخَيْتُ غيرَ أخٍ ، وكم تَبَدَّلْتُ بالإخْوان إخوانا ؛
وقلت للنفس ، لمّا عزَّ مَطْلَبُها : باللهِ ، لا تألَفي ما عِشْتِ إنسانا !

٤ ــ الجبر والمقابلة (نشرها وبكه)، باريس ١٨٥١ م ؛ (نشرها غلام حسين محاسب)، تهران ؛
رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب أقليدس (نشره ت . ايراني) ، طهران (مطبعة سيروس) ؛ (نشره عبد الحميد صبرة) القاهرة ؟ ١٩٣٦ ، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦١ م .

رسائل الخيّام (روزنفلد وبوتكيفيتش) ، موسكو (دار النشر للآداب الشرقية) ١٩٦٢ م .

رسائل لعمر الخيّام : رسالة في الوجود بحسب رأي أرسطوطاليس وغيره ، مطبوعة في مجموع « جامع البدائع » (جمعها محيى الدين الكردي) ، القاهرة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٧ م .

رباعيّات عمر الخيّام (تعريب وديع البستاني) ، القاهرة ١٩٣٢ (دار المعارف) ١٩٥٣ ، ١٩٦٩ م . (نظمها بالعربية لأحمد زكي أبي شادي) ، القاهرة ١٩٣١ م ؛

---

(١) البلغة : أقل مقدار من الطعام يحفظ على الانسان حياته .

(٢) موعد : مهدد . مواعد : واعد ، مؤمل بالخير .

(٣) النيران : الشمس والقمر . الهام : الرأس . المناط : الموضع (العالي) تعلق فيه الاشياء . فوق مناط ... : عال جداً . المصاعد جمع مصعد : مرقي ، مكان أصعد فيه . و « مصاعد » هنا مبتدأ مؤخر .

(٤) ــ حينما يحصل الانسان على خير الدنيا يكون عمره قد تقدم جداً ، فلا يستفيد من هذا الخير !

(٥) منية : موت . فسيان (شبيهان) حال الساعي (المجد) وحال القاعد (الكسلان) .

(٦) زجيت : بعثت ، سقت أمامي (عشت زمناً طويلا) . الخلة : الصداقة .

(نثر وأنظماً لجميل صدقي الزهاوي) ؛ (تعريب محمّد السباعي) الطبعة الثالثة ، القاهرة (المكتبة التجارية) بعد ١٩٣٠ م ؛ (تعريب طالب الحيدري) ..... ١٩٥٠ م ؛ (ترجمة توفيق مفرّج) طبعة ثالثة ، القاهرة ١٩٥٠ م ، بيروت (عويدات) ١٩٦٨ م ؛ (ترجمة أحمد رامي) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ ؛ (ترجمة أحمد الصافي النجفي) الطبعة الثانية ، بيروت (مطابع صادر وريحاني) بلا تاريخ.

** عمر الخيّام : حياته وكتبه وفلسفته ورباعيّاته (بالانكليزية — مع عدد من رسائله بالعربية) ، طبعة جديدة ، بومباي ١٩٢٤ م .

عمر الخيّام ، تأليف أحمد حامد الصرّاف ، الطبعة الثانية ، بغداد (مطبعة الشعب) ١٩٤٩م .

عمر الخيّام : حياته وفلسفته ، تأليف أحمد الشنتناويّ ، القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦٢ م .

كشف اللثام عن رباعيّات الخيّام ، تأليف أبي النصر مبشّر الطرزي ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٧ م .

فلسفة الشكّ واللاأدرية لدى المعرّيّ والخيّام ، تأليف عبد القادر محمود ، القاهرة (جامعة القاهرة : كلّيّة الآداب) ١٩٦٨ م .

صور من الشرق (عمر الخيّام) ، تأليف عبد السميع المصري ، أسيوط ١٩٤٧ م .

ثورة الخيّام ، تأليف عبد الحقّ فاضل .

اخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٣ — ٢٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٣ : ١٠٦٤ — ١٠٦٨ ؛ سارطون ١ : ٧٥٩ — ٧٦١ ؛ بروكلمان ١ : ٦٢٠ — ٦٢١ ، الملحق ١ : ٨٥٥ — ٨٥٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٩٤ — ١٩٥ .

ابن الخيّاط

١ — هو أبو عبد اللهِ أحمدُ بنُ محمدِ التَغْلَبيّ ، كان والدُه محمدٌ خيّاطاً فعُرِفَ هو بابنِ الخيّاط . وُلِدَ ابنُ الخياطِ في دِمَشْقَ سنة ٤٥٠ هـ ، والشام في حُكْمِ الفاطميين . واتفق أن ثار الدِمَشْقيون ، في مطلع حياة ابن الخياط ، على الوالي الفاطميّ بَدْرٍ الجَمَالي الأرمني وأخرجوه من قَصر الامارة وأحْرقوا القصر ، فاحترق بذلك الجامعُ الأموي (٤٦١ هـ = ١٠٦٧) م .

وفي ذي القَعْدة من ٤٦٨ (١٠٧٦ م) استولى السلاجقةُ على دِمَشْقَ فانتشرَ فيها الخوفُ والجوع فهَجَرَها مُعْظَمُ أهلِها . وترك ابنُ الخياط دِمَشْقَ الى حَماةَ ومكث فيها بِضْعَ سنوات (٤٦٣ — ٤٦٩ هـ) اتصل في أثنائها بالأميرِ أبي الفوارس محمد بنِ مانك وكتب له ، فعرف بابنِ الخياط الكاتب . ثم انتقل الى حلب فلَقِيَ ابنَ حيّوسٍ الشاعرَ فعَرَضَ عليه شِعْرَه فنَصَحَه ابنُ حيّوس بأنْ يذهبَ الى طَرابُلُسَ ،

فتمهّل مُدّةً مدح في أثنائها الامير وَثّابَ بنَ محمودٍ في حماةَ (٤٧٤ هـ) والاميرَ سديدَ الملكِ بنَ مُنْقِذٍ صاحبَ شَيْزر (٤٧٦ هـ).

وفي السَنَة ٤٧٦ هـ نفسها قَصَدَ ابنُ الخياط طرابلسَ ومدح صاحبها جلالَ الدين بنَ عَمّارٍ وأخاه فخرَ المُلْكِ وسواهما ؛ ثم مكث فيها عَشْرَ سنينَ استكمل في أثنائها ثقافته على أحمدَ بن محمد الطُلَيْطُلي الأندلسي وعلى نفرٍ من أدبائها وتكسب بالشعر ؛ ولكنّ الدنيا لم تُقْبِلْ عليه. وقد زار ابن الخياط صورَ ومَدَحَ والِيَها منيرَ الدولة (٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م). ثم عاد الى طرابُلُسَ فإلى دِمَشْقَ.

كان في دِمَشْقَ، في ذلك الحين، الوزيرُ السَلْجوقيّ هِبَةُ اللهِ بن بديعٍ الاصفهانيّ فلَقِيَ ابنُ الخياط عنده حَظْوةً، ثم صَحِبَه الى الريّ ومدحه هنالك. ولكنه عاد وشيكاً الى دمشق (٤٨٧هـ=١٠٩٤م).

وكانت وفاة ابن الخياط في ١١ رمَضانَ من سَنَة ٥١٧ (٤/ ١١/ ١١٢٣).

٢ – ابنُ الخياط « شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ ؛ وهو أشْعَرُ الشاميين في عصرِه : كان مطبوعاً فصيحاً جَزْلَ الألفاظ واضحَ المعاني، وكان يقلّد الفُحول من المُخَضْرَمين والإسلاميين وخُصوصاً في التشابيه والاسْتِعارات. وقد يَتَكَلّفُ الصناعةَ في محاولته تقليدَ أبي تمّامٍ، كما كان يُقَلِّدُ ابنَ حيوسٍ عامة. وفي شعره هَناتٌ من كثْرة الزِحاف ومن التَساهُل في الصِيَغ. وفنونه المدح والرثاء والوصف والشكوى والغزل. وفي شعره تصوير للحياة الاجتماعية في أيامه ولمجالس اللهـو وللقصور والجنائن »[1].

٣ – مختارات من شعره

قال ابن الخياط يمدحُ القاضِيَ فخرَ الملك أبا عليٍّ عمّارَ بنَ محمدِ بنِ عَمّارٍ. في هذه القصيدة (ديوان ٦٤ – ٧٠، رقم ١٦) يفخر ابن الخياط بنفسه وشعرِه ويَصِفُ الحِصانَ وصفاً جميلاً.

أعطى الشـبابَ من الآراب ما طلبا ... وراح يختالُ في ثوبَيْ هوًى وصِـبا.
لم يُدركِ الشيبُ الا فضلَ صَبوته ... كما يغادِرُ فضلَ الكاس مَنْ شربا.
إنّي لأحسُدُ من طـاح الغرام به، ... وجاذبته حِبال الشوق فانجذبـا.

(١) راجع مقدمة الديوان (خليل مردم).

والعجزُ أن أتركَ الأوطارَ مقبلةً، حتّى اذا أدبرتْ حاولتُها طلبا.

أصبحت في قبضة الأيام مُرْتَهَناً نائي المَحَلّ طريداً عنه مُغترِبا،

كخائض الوحل – اذ طال العَناء به – فكلّما قلقلتْه نَهْضَةٌ رَسَبا!

عندي عزائمُ رأيٍ لو لَقِيت بها صَرْفَ الزمانِ لولّى مُمْعِناً هربا.

لا تَلْحُ في طلب العلياء ذا كَلَفٍ؛ فقلّما اعْتَب المشتاقَ مَنْ عتبا[1]!

هيَ القوافي، فان خَطْبٌ تمرّسَ بي فهنّ ما شاء عزمي من قَناً وظُبا[2]؛

تفيّأتْ ظلَّ فخرِ الملك واغتبطت، بحيثُ حَلّ عِقالُ المُزْن فانسكبا،

من مَعْشرٍ طالما شبّوا بكل وَغًى ناراً تظلّ أعاديهم لها حطبا.

إنِ الزمانَ بَرَتْ عُودي نوائبُه، فما أعُدّ به نَبْعاً ولا غَرَبا[3].

فما سخا العزمُ بي الا اليك، ولا وقفت الا عليك الظنّ مُحْتَسبا.

يا رُبّ أجردَ وَرْسِيٍّ سرابلُه تكاد تَقْبِسُ منه في الدُجى لَهَبا[4]،

اذا نضا الفجرُ عنه صِبْغَ فِضته أجرى الصباحُ على أعطافه ذهبا.

جمّ النشاط إذا ظُنّ الكَلالُ به رأيتَ من مَرَحٍ في جِدّه لَعِبا.

يرتاحُ للجَرْي في إمساكه قَلَقاً حتّى كأن له في راحةٍ تَعَبا.

يَطْغى مِراحاً فيَعْتَنّ الصَهيلُ له كالبحرِ جاشَ به الآذيُّ فاصْطخبا[5].

رِفقاً بنا، آلَ عمّارٍ، إذا طلعتْ خيلُ السَماح على سَرح الثنا سُرَبا[6].

لأشْكُرَنّ زَماناً كان حادِثُه وغُدْرُهُ بي إلى معروفِكُمْ سبَبَا!

– ولابن الخيّاط في النسيب :

---

(١) المحب (للعلياء) لا يرضى عمن يلومه (أو ينصحه في الاقلال من بذل الجهد).

(٢) القوافي: القصائد. القنا جمع قناة: الرمح. الظبا (بالضم) جمع ظبة (بضم ففتح): طرف السيف. – القصائد عدتي في الحياة والكفاح، هي لي كالرماح والسيوف للمحارب.

(٣) مصائب الدهر قطعت من عودي (عزيمتي) فأصبحت ضعيفاً عن احتمالها. النبع والغرب شجران تصنع من فروعهما الرماح لصلابتهما.

(٤) الاجرد: الحصان القليل الشعر (اشارة الى أصالته). ورسي: أحمر. سرابله: ثيابه (جلده).

(٥) المراح: النشاط الذي يبعث على الحركة. اعتن: علا صوته. جاش: اضطرب. الآذى: الموج. اصطخب: اشتد، تلاطم (الموج).

(٦) .... طلعت خيلكم سرباً (جماعات) على شجر مديحي (لم أكن أنتظر مثل هذه العطايا منكم كثرة وقيمة).

خُذا من صَبا نجدٍ أمـاناً لقلبهِ ... فقد كاد ريّـاها يَطير بلُبّـه[1]
وإيّاكما ذاكَ النسيمَ فـإنّـه ... متى هبّ كان الوجدُ أيسَرَ خَطْبه[2] .
خليليَّ ، لو أحبَبْتُما لَعَلِمتُمـا ... مَحلَّ الهوى من مُغرَمِ القلب صَبّه[3]
تذكَّرَ : والذِّكرى تَشوقُ ؛ وذو الهوى ... يتوقُ ؛ ومَنْ يَعلَقْ به الحُبُّ يُصْبِه[4].
غرامٌ على يأسِ الهوى ورجـائهِ ، ... وشوقٌ على بُعدِ المَزار وقـربه .
وفي الرَّكْبِ مَطْوِيُّ الضُّلوع على جوًى ... متى يَدْعُهُ داعي الغرامِ يُلَبِّه[5].

٤ — ديوان ابن الخيّاط (عني بتصحيحه محسن بن الشيخ صاحب الجواهري) . النجف (المطبعة العلويّة) ١٣٤٣ هـ ؛ (نشره خليل مردم) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) .

** وفيات الاعيان ١ : ٧٩ — ٨٠ ؛ الخريدة (شعراء دمشق) ٢٢٤ — ٢٢٦ ؛ العبر ٤ : ٧٩ — ٤٠ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٨ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٧ .

الميداني صاحب الامثال

١ — هو أبو الفضل أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيمَ الميدانيُّ ، نِسبةً الى مَيْدانِ زيادٍ (وهو محلّةٌ في نيسابور) .

لَزِمَ الميدانيُّ صُحبةَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ الواحديِّ (ت ٤٦٨ هـ) صاحب التفاسيرِ وقرأ عليه ؛ وقرأ على يعقوبَ بنِ أحمدَ النيسابوريِّ . وسَمِـعَ الحديثَ ورواه .

وكانت وفاةُ الميداني في خامسَ عشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥١٨ (٢٧/ ١٠/ ١١٢٤ م) أو في ٢٥ من رَمَضانَ .

٢ — كان الميدانيُّ أديباً عارفاً باللغةِ وبأمثالِ العربِ خاصّةً ، وله نَظْمٌ حَسَنٌ .

---

(١) الصبا : الريح الهابة من الشرق . الريا : الرائحة الزكية .
(٢) الوجد : شدة الحب . الخطب : الأمر العظيم . المصيبة .
(٣) الصب : المائل (الى المحبوب) ، المحب . صبا : مال .
(٤) تشوق : تجعل (الانسان) يشتاق . يتوق : يميل الى ، يتشوق ، يشتاق . أصبى : استمال ؛ جعله صبّاً (عاشقاً) .
(٥) الجوى : المرض (من شدة الحب أو الحزن) . لبى : أجاب .

وله كتبٌ منها : مجمع الأمثال (أو جامع الأمثال) – السامي في الأسامي – شرح المفضّليات – مُنْيَة الراضي برسائل القاضي (مختارات من رسائل القاضي أبي أحمد منصور بن محمّد الأزديّ الهرَويّ) قيد الأوابد من الفوائد . وله كتب في الصرف والنحو منها : النّموذج – الهادي للشادي – كتاب النحو – نُزهة الطَرْف في علم الصرف – رسالة في الجموع .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة مجمع الأمثال (هذه المقدّمة تكثُرُ فيها الألفاظ الغريبة والإستعارات والتوريات والإشارات التاريخية والبلاغية ، فاخترتُ منها ما يقرُبُ فَهمُه معَ الإحاطة بمقصود الميداني من تأليف الكتاب . ثمّ تركت هذه المختارات بلا شرح) :

..... وبعدُ فإنّ من المعلوم أنّ الأدبَ سُلّمٌ الى معرفةِ العلوم ، به يُتَوَصّلُ إلى الوقوفِ عليها ومنه يُتَوَقّعُ الوصولُ إليها ، غيرَ أن له مسالكَ ومدارجَ ولتحصيلهِ مَراقِيَ ومخارجَ... وإنّ أعلى تلك المَراقي وأقصاها وأوْعرَها تِلكَ المسالكُ ، وأعصاها هذه الأمثالُ التي هي لُماظاتُ حَرَشَةِ الضباب ونُفاثات حَلَبَةِ اللقاح وحَمَلَةِ العِلاب من كلّ مُرْتَضِعٍ دَرَّ الفصاحة يافعاً ووليداً .... فنطق بما يَسّرَ المَعْبرَ عنها حَبْواً في ارتقاء .... ولهذا السببِ خَفِيَ أثرُها وظَهَرَ أقلُّها وبَطَنَ أكثرُها ....

والناسُ اليومَ كالمُجْمِعين على تقاصُرِ رَغَباتِهم وتقاعُدِ هِمّاتِهم عمّا جاوَزَ حدَّ الإيجاز .... إلاّ ما نشاهده من رَغْبَةِ من عَمّرَ معالمَ العِلْم وأحياها ، وأوضحَ مناهِـــجَ الفَضْل وأبداها ، وهِمّةِ من تَجَمّعَ في فؤادِه هِمَمٌ ملءُ فُؤادِ الزمانِ إحداها ، وهو الشيخُ العميد الأجلّ السيد العالم ضياء الدولة مُنْتَخَبُ المُلْكِ شمس الحَضْرة صَفِيّ الملوك أبو عليٍّ محمّدُ بنُ أرْسَلانَ أدام الله عُلُوّهُ وكَبَتَ حاسدَه وعَدُوّه فانّه الذي جَذَبَ بضَبْـــعِ الأدب من عاثوره وغالى بقيمة منظومِـــهِ ومنثورِه .... فأبرزَ محاسنَ الآدابِ في أضفى ملابِسها وبوّأها من الصدور أعلى منازِلِها ومجالِسِها .....

هذا ولمّا تَقَدّرَ ارتحالي عن سُدّته – عَمّرها اللهُ بطُولى مُدّته – أشارَ بجمعِ كتابٍ في الأمثال مُبَرِّزٍ على ما له من الأمثال مُشْتَمِلٍ على غَثّها وسَمينها مُحتَوٍ على جاهِلِيّها وإسلاميّها .... فتصفّحتُ أكثرَ من خمسينَ كِتاباً وتَخَلّلْتُ ما فيها

فصلاً فصلاً وباباً باباً.... وجعلتُ الكتابَ على نظامِ حُروفِ المُعْجَمِ في أوائلها ليَسْهُلَ طريقُ الطَّلَبِ على متناولها ، وذكرتُ في كلِّ مَثَلٍ من اللغة والإعراب ما يَفْتَحُ الغَلَقَ ، ومن القصَصِ والأسبابِ ما يُوضِحُ الغَرَضَ ويُسيغ الشَّرَقَ ... وجعلتُ البابَ الثلاثين في نُبَذٍ من كلامِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم وكلام خلفائه الراشدين رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعينَ ممّا يَنْخرط في سِلْك المواعظ والحكم والآداب، وسمَّيتُ الكتابَ «مَجْمَعَ الأمْثال» لاحتوائه على عظيمِ ما وَرَدَ منها ، وهي ستةُ آلاف مَثَلٍ ونَيِّفٌ . واللهُ أعلمُ بما بَقِيَ منها فإنَّ أنفاسَ الناس لا يأتي عليها الحَصرُ ولا تَنْفَدُ حتّى ينفَدَ العَصْرُ.....

٤ – مجمع الأمثال (تحرير فرايتاخ) ، بونّ ١٨٣٨ – ١٨٤٣ م ؛ (باعتناء محمد الصباغ ومحمد قطة العدوي)بولاق ١٢٨٤هـ ؛ طهران (طبع حجر)١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية)١٣١٠ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢٥ هـ ؛ بيروت ١٣١٣ هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السنّة المحمّدية) ١٩٥٥ م .

مجمع الأمثال (أعاد ترتيبه الحسين بن علي بن أبي بكر المنجم الكرماني) ، طهران ١٢٩٠، ١٢٩٣ هـ .

نزهة الطرف في علم الصرف (مطبوع مع الانموذج للزمخشري – نشره يحيى النبهاني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ الاستانة ١٣١٢ هـ .

السامي في الأسامي ، طهران (؟) (طبع حجر) ١٢٧٤ هـ ؛ ١٢٩٤ هـ (راجع معجم المطبوعات العربية ص ١٨٢٥) . (نشره محمّد موسى الهنداوي) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٧ م .
مجموعة كتب تبحث في الأدب واللغة والأمثال للميداني وغيره ....

** فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ ابراهيم الأحدب ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٣١٢هـ.
معجم الادباء ٥ : ٤٥ – ٥١ ؛ انباه الرواة ١ : ١٢١ – ١٢٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٠ – ٨١ ؛ بغية الوعاة ١٥٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٥٨ – ٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٤ ، الملحق ١ : ٥٠٦ – ٥٠٧ ؛ زيدان ٣ : ٤٧ – ٤٨ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٠٨ .

الشريف هبة الله العلوي

١ – هو الشريفُ أبو جَعْفَرٍ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ هِبَةِ اللهِ العَلَوِيُّ الحُسَيني الأفْطَسيّ الإطْرابلسيّ ، أصلُه من طرابلسِ الشامِ . تكسَّبَ في أوّل أمره بالمديح من بني عَمّارٍ أصحابِ طرابُلُسَ (٤٨٧ – ٤٩٤ هـ) . ولعلّه في هذا الدَّوْرِ زارَ دِمَشْقَ (٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م) ، لَمّا اقْتَرَبَ خَطَرُ الإفرنجِ الصَّليبيّين من طرابُلُس.

رَحَلَ الشريفُ هِبَةُ اللهِ العَلَويُّ الى مِصْرَ ومدح أبا القاسم شاهِنْشاهَ المَلِكَ الأفضلَ الذي وَلِيَ الوزارة (٤٨٧ - ٥١٥ هـ) للمُسْتَنصر والمُسْتعلي الفاطميين وحَظِيَ عندهما. وعاشَ هِبَةُ الله بعدَ مقتلِ الملكِ الأفضلِ، في آخرِ رَمَضانَ من سنة ٥١٥ (١٢/١٢/ ١١٢١ م)؛ وكانتْ وفاتُه بعدَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) في الاغلب.

٢ - كان الشريفُ هِبَةُ اللهِ العَلَويّ من أهلِ الأدب عارفاً بأنسابِ قُرَيْش. وكان شاعراً مُكْثِراً صحيحَ اللغة مَتينَ السَبك يَغْلِبُ عليه نَفَسُ المتنبّي، ولكنّه كانَ قليلَ الابْتِكار يأخُذُ معانِيَهُ من القُدَماء. وكان شِعْرُه قليلَ الطَلاوة. وأشهرُ فنونِهِ المديحُ والغَزَل التقليديُّ في مطالعِ المدائح وشيءٌ من العِتاب.

٣ - مختارات من شعره

- قال الشريف هِبة اللهِ العَلَويُّ يتغزّلُ في مَطْلع قصيدةٍ مَدَحَ بِها المَلِكَ الأفضل:

ليتَ دارَ الحَيِّ، إذ شطّتْ بهـا،	حَمَلَتْ ريحَ الصَبا نَشْرَ ثَراها[1].
دارُهُمْ بالغَـوْرِ إذ هـم جيرةٌ	والنَوى ما صَدّعت شَمْلاً يَداها[2].
وسَميري في الدَيـاجي غادةٌ	فَخَرَ البدرُ بها لمّا حَكاها[3]:
خَلَواتٌ لم تكنْ في ريبة؛	أكْرَمُ الصَبْوةِ ما عَـفَّ هواها؛
سلْ عَفافي دونَهـا لو لم يَكُنْ	رِيقُها من خَمْرةٍ قَبّلتُ فـاها.
ليتَ شِعْري، ما الذي غَيّـرها	أو أراها حَسَـناً ألاّ أراهـا[4]؟

٤ - * الخريدة (مصر) ١: ١٢١ - ١٤٤؛ الاعلام للزركلي ٧: ٢٤٨ - ٢٤٩.

طلحة النعـمـاني

١ - هو أبو محمّدٍ طَلْحةُ بنُ أحمدَ بنِ طلحةَ بنِ الحُسينِ النعمانيُّ نِسْبَةً الى

(١) شطت: بعدت. ريح الصبا: ريح الشرق (وهي محمودة في بلاد العرب). نشر: رائحة. الثرى: التراب.

(٢) الغور: المكان المنخفض (يقصد غور الحجاز، ساحله - كناية عن شرف نسبها). النوى: البعاد، الفراق. يدا النوى لم تصدعا شملنا: حوادث الدهر لم تفرقنا.

(٣) حكاها: شابهها.

(٤) .... ما الذي جعلها تعتقد أن الابتعاد عني امر حسن.

النعْمانية – وهي بلدةٌ بين بَغدادَ وواسطَ في مُنتصفِ الطريق على دِجْلةَ – ويبدو أنّ مولدَه ومنشأه كانا بها .

تطوّفَ طلحةُ النعمانيّ كثيراً : جاء الى بغدادَ كما انحدرَ الى البصرةِ ولَقيَ الحريريَّ صاحبَ المقاماتِ (ت ٥١٦ هـ) فيها . وقد أقامَ في خُراسانَ مُدّةً وزار خَوارَزْمَ ، ووَرَدَ الى شيرازَ ومدح فيها قاضيَ القُضاةِ عِمادَ الدين أبا طاهرِ بن مُحمّدٍ الفَزاريَّ في عيدِ الأضحى من سَنَةِ ٥٠٩ (١١١٦ م) .

وكانت وَفاةُ طلحةَ النعمانيّ سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ – كان طلحةُ النعمانيُّ عارفاً باللغةِ والأدب ناثراً شاعراً له نثرٌ على نَمطِ مقامات الحريريّ . ثمّ هو شاعرٌ مُكثِرٌ مُطيلٌ جيّدُ الشعر رقيقُ الطبعِ سريعُ البديهة ؛ ولكنّ شعرَه يضعُفُ على المَدى (اذا أطالَ كثيراً) . وأكثرُ شِعرِه المديحُ وله شيءٌ من الغَزَلِ . ويظهَرُ على بعضِ شعرِه التقليدُ لِنَفَرٍ من فحول الشعراء كأبي تَمّامٍ والمتنبّي والمَعَرّيّ .

٣ – مختارات من آثاره

قالَ طَلْحةُ النعمانيّ يمدحُ عِمادَ الدين طاهرَ بنَ محمّدٍ الأصفهانيّ الفَزاريَّ (نثراً ونظماً) :

حَدّثني بعضُ الإخوانِ ، قال : نَشّتْ بي قرارات الكَرَمِ ببَغْدانَ(١) ، لتواتُرِ نُوَبِ الزمانِ واختلافِ أربابِ السُلطانِ ، وأنا يومَئِذٍ غُلٌّ قَمِلٌ ووِرْدٌ وَشِلٌ وقَلْبٌ وَجِلٌ(٢) وهَمٌّ مُتّصِلٌ . فشحَذْتُ غِرارَ العَزْمَةِ في رُكوبِ غاربِ الغُرْبة(٣) والأخذ في تَنْفيس الكُرْبة ..... هذا ، وصاحبي (في السفر) يُلهيني بمُفاكهَتِه ويَسُرّني بمُسايرَتِه ويقولُ : سيُسْفِرُ سَفَرُكَ عن أرَبٍ مَقْضيٍّ تُدْرِكُه(٣) .... وستواجهُ وجهَ الجودِ مُسْفِراً ، وتفتخِرُ بمواجهَتِه بين الوَرى ، وستَنْظُرُ في الحَضْرة العِمادية أوجهَ الأيّامِ مُسْفِرةً ... حتى خلّفْنا النُوبَنْدَجان

---

(١) نش الماء : جف . بغدان = بغداد .

(٢) غل قمل ، القاموس (٤ : ٤١) : وأصله أنهم كانوا يغلون (بضم الغين وتشديد اللام) الاسير (بغل) وعليه شعر فيقمل (بفتح الميم) . ورد وشل : ماء قليل . وجل : خائف .

(٣) فشحذت .... الغربة : عزمت على السفر (الغرار : حد السيف . الغارب : الكتف) .



ونَكَبْنا عن شِعْبِ بَوّانَ[1] وبَدَتْ لنا الأعلامُ الشيرازيةُ وتَلَقَّتْ آمالَنا العوارفَ[2] العِماديّةَ فأنشدتُه :

ولولا أيادي طاهـرِ بنِ مُحَمَّدٍ لما حلَمت بي قطُّ في النوم ِ شيرازُ ؛
ولا حثَّ بي لولاهُ في البَرِّ سابحٌ ، ولا رَنَّحتْني في قَرا الكُور أغراز[3] .
ولكن حدا بي نحوَها جُودُ كفِّه ؛ ففُزْتُ كما قبلي بـه معشرٌ فـازوا .
هو البحرُ لا يُفْني عطاياه ماتـحٌ لِسَجْلِ العطايا بالمدائح نَهّاز[4] .
له كلَّ يومٍ مِنَّةٌ وصنيعةٌ بحَمْدِ الوَرى والشُكر يَحْوي ويحتاز[5] .
سَبوقٌ إلى الغـاياتِ لا يَسْتَحِثُّه سوى مجدِه ؛ والطِرْفُ يُجْريه مِهْماز[6]
وشائجُ قُربى قـد رعاها بجـودهِ وحَمْدٍ تَلاه نازحُ الدارِ مُجتاز[7] ،
وقُربى أصول بينَنـا عَرَبيةٌ رعاها فَزاريٌّ الأُرومـةِ مُمتاز[8] .
هَنيٌّ النَدى لم يَذْمُم العيشَ جارُه ؛ له منهُ إكرامٌ يـدوم وإعـزاز* .
ففي كلِّ جِيدٍ مـن أياديه مِنّـةٌ يَطولُ بها بينَ الأنام ويَمْتاز[9] .

–ومن جَيِّدِ شِعرِه قصيدتُه التي مدحَ بها أبا شُجاعٍ فاتكَ بنَ جَيّاشِ ابنِ نجـاحٍ صاحبَ زَبيـدَ (اليمن) في صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٠٤ (صيف ١١١٠ م) قال فيها :

(١) أسفر : ظهر . الارب : الحاجة ، الرغبة . النوبندجان : مدينة في فارس . شعب بوان : ممر بين العراق وفارس . نكب : جانب ، حاد عن .

(٢) العوارف جمع عارفة : المعروف (عمل الخير ، العمل الطيب ، الكرم).

(٣) السابح : الفرس السريع . رنحته : جعلته يترنح (يتمايل) . القرا : الظهر . الكور : الرحل (سرج الدابة) . الأغراز جمع غرز : ركاب الرحل (علاقة من جلد يضع الراكب رجله فيها) . رنحتني ... الأغراز : لم أتعب في السفر مسافة طويلة .

(٤) الماتح : الذي يستقي الماء من البئر بدلو . السجل : الدلو العظيمة المملوءة بالماء . النهاز : الذي لا يسحب الدلو من البئر الا اذا امتلأت تماماً . –لا يفنى ماله ، ولا يتوقف عن العطاء مهما كثر الذين يعطيهم .

(٥) المنة ضد الاحسان . الصنيعة : عمل الخير ، الاحسان .

(٦) الطرف : الحصان الأصيل . يجريه مهماز : يحتاج الى وخز بالمهماز حتى يركض ويسبق (والممدوح لا يحتاج الى حافز أو مشجع لكي يحسن الى الناس).

(٧) الوشيجة : القرابة المشتبكة المتصلة . تلاه : تبعه ، قرأه (أنشده) – هو رعاني بكرمه وأنا شكرته بشعري.

(٨) الارومة : الاصل . فزاري : من بني فزارة (قبيلة الممدوح وقبيلة الشاعر). * هنيّ = هنيء .

(٩) الجيد : العنق . الايادي : النعم ، الاحسان . يطول بها : يسمو بها فوق غيره.

أقولُ لِسَعْدٍ والرِكابُ سوانحٌ ... وجيشُ الكَرى للمُقْلَتَيْنِ يَرودُ[1] :
تَرَفَّقْ وَقِفْ بي باللِوى عُمْرَ ساعةٍ ، ... فإنّكَ إن ساعدتَني لَسَعيدُ[2] ،
لأَنْشُدَ قَلْباً ضلَّ بالرملِ غُدوةً ... ولم تُرْعَ فيه ذِمّةٌ وعُهودُ[3] .
طوَتْ لَوْعَتي ثوبَ الصَبابةِ في الحشى ، ... فوَجْدي على مَرِّ الزمانِ يزيدُ[4]
أيا أيْكَتَيْ وادي الغَضا ، هل زمانُنا ... وعيشٌ مضى في ظِلِّكُنَّ يعودُ[5] ؟
أحِنُّ إليْكُمْ حَنّةَ النيبِ شاقَها ... الى مَوْرِدٍ جَمِّ النُقاخِ وُرودُ[6] .
وأصبو كما يصبو الى الجود فاتك ، ... وأزهى كأنّي دَسته وزَبيدُ[7] .
مَليكٌ عَطايا كَفّهِ تُبْدِىءُ النَدى ... لِمَنْ أمّهُ مُسْتَرْفِداً — وتُعيدُ[8] .
فَتىً مَهّدَ الأقطارَ وهْوَ بمَهْدِهِ . ... ودانتْ له الأقدارُ وهو وَليدُ[9] .
يُبَشِّرُ راجي عُرْفِهِ طيبُ عَرْفِهِ . ... ويُعطي ولو أنّ الأنامَ وُفودُ[10] .
له حَسَبٌ صافي الأديمِ من الخَنا ... حَمَتْ عنه آباءٌ له وجُدودُ[11] ؛
ومجدٌ تليد راسياتٌ أصولُه ... بناه طريفٌ من نَدًى وتَليدُ[12] .

---

(١) الركاب = المطي : الخيل التي يسافر عليها الناس. سوانح : (قريبة من ديار الحبيب) . الكرى: النوم . راد ، يرود : طلب ، يطلب .

(٢) اللوى : جانب مستدير من الرمل (كناية عن موطن الحبيب) . عمر ساعة : مقدار ساعة . ساعدتني : أجبت طلبي .

(٣) أنشد من نشد : طلب ، بحث عن .

(٤) — عذابي في الحب جعلني أكتم حبي (عن الناس) فكان وجدي (حبي) يزيد يوماً بعد يوم .

(٥) الايكة : الشجر الكثير الملتف (المجتمع ، الكثيف) . — قال : ظلكن (ويجب أن يقول : ظلكما) .

(٦) النيب : جمع ناب : الناقة المسنة . النقاخ : الماء العذب البارد الصافي . ورود : المجيء الى الماء للشرب — تحن (تطرب) كما تطرب الناقة العطشى وهي ذاهبة لتشرب من ماء نقاخ . ورودُ فاعل « شاقها » .

(٧) أصبو : أميل ، اشتاق . فاتك (اسم الممدوح) أزهى : افتخر ، أعجب بنفسي . الدست : كرسي الوزارة . زبيد : بلدة في اليمن (كان فيها فاتك) . — ان الوزارة ومدينة زبيد تفتخران لأن فاتكا يتولاهما .

(٨) أمه : قصده . مسترفداً : طالباً الرفد (العطاء) . الندى الكرم . تبدئ وتعيد : تعطي مرة بعد مرة .

(٩) مهد الاقطار : ضبط البلاد وثبت فيها حكمه . — في البيت مبالغتان احداهما مذمومة .

(١٠) العرف (بالضم) الكرم . العرف (بالفتح) : الرائحة الطيبة . — شهرة الممدوح بالكرم تبشر كل قادم عليه بعطاء كثير .

(١١) الخنا : القول القبيح أو العمل القبيح . حمت عنه = حامت عنه : دافعت عنه .

(١٢) تليد : قديم . طريف جديد . ندى : كرم .

يلوحُ لنا في مَطلَعِ الدَسْتِ وَجْهُــه ... كما لاح من ضوء الصَباح عَمــود[1] .

٤ – ** معجم الادباء ١٢ : ٢٦ – ٢٧ ؛ الخريدة (العراق) ٢ : ٣ – ٥١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٥٢ (في ترجمة طغردشاه) .

البديــع الدمشقي

١ – هو أبو فراس طِرَادُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ السُلَميُّ من أهلِ دِمَشْقَ ، كان يَعْمَلُ رائضاً للخيلِ ثم عاني الأدب فبَرَعَ فيه وتكَسّبَ بالشعرِ واشتغلَ بالكتابة . وقد مَدَحَ المَلِكَ تاجَ الدولة أبا سعد تُتُش بنَ ألْب أرْسَلان (ت ٤٨٨ هـ)

كان البديعُ الدِمَشْقِيُّ هَجّاءً فاحشَ اللِسان فسُجِنَ في دِمَشْقَ بسَبَبِ ذلكَ . ثم إنّه رَحَلَ إلى مِصْرَ وتولّى فيها بعضَ الأعمالِ . وكانتْ وفاتُه في مِصْرَ سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ، وعمره سبعون سنة .

٢ – كان البديعُ الدمشقي نَحْوِياً وأديباً ناثراً صاحبَ رسائلَ ومقاماتٍ . وكذلك كان شاعراً مُحْسِناً من فنونه المديحُ والهِجاء والأدب والغزل والنسيب ؛ وله وصفٌ جيّد؛ وكان يُغنّى بشعره .

٣ – مختارات من شعره

– قال البديعُ الدمشقيّ يتشوّق الى دِمَشْقَ :

يا نسيماً هبَّ مِسكاً عَبِقــاً : ... هذه أنفاسُ ريّا جِلّقــا[2] ؛
كُفَّ عنّي – والهوى[3] – ، ما زادني ... بَرْدُ أنفاسِك إلاّ حُرَقــا .
لَيْتَ شِعري ، (نَقَضَتْ) أحبابُنا ... – يا حبيبَ النفسِ – ذاك المَوْثِقا[4] ؟
يا رِياحَ الشَوْقِ ، سُوقِي نَحْوَهم ... عارضاً من سُحُبِ دَمْعي غَدَقا[5] ؛
وانثُري عِقْدَ دُموعٍ طــالما ... كان مَنْظوماً بأيّــامِ اللِقــا !

(١) الدست : صدر البيت ، الكرسي الذي يجلس عليه الوزير . عمود الصبح : نور الصبح حينما يشق ظلام الليل عند الفجر .
(٢) عبق : ذائع الرائحة . ريا : رائحة . جلق : بلد في حوران (المقصود هنا : دمشق) .
(٣) والهوى : أقسم (أحلف يمينا) بالهوى (بالحب) .
(٤) الموثق : العهد ، الوعد .
(٥) العارض : السحاب المعترض في الافق . الغدق : الكثير الماء .

ـ وقال ايضاً في مثل ذلك :

يا صاحِ ، آنسَني دَهـري وأوْحَشني منهم ؛ وأضحكني دَهري وأبكـاني .
قَدْ قُلْتُ: أرضٌ بأرضٍ بعدَ فُرْقتِهم ؛ فلا تَقُلْ لِيَ : جيرانٌ بجيرانِ !

٤ ـ •• معجم الادباء ١٢ : ١٩ ـ ٢٢ ؛ الخريدة (الشام) ١ : ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، الخريدة (مصر) ٢ : ١٠٥ ـ ١٠٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

الأديب الغزي

١ ـ هو أبو اسحقَ ابراهيمُ بنُ يحيى بنِ عثمانَ بنِ محمدٍ الكلْبي الأشْهبي ، وُلِدَ في مدينة غزّةَ (جنوبيَّ فلسْطين) سنَةَ ٤٤١ هـ (١٠٤٩ م) ، ودَرَس في صور ثم دخل دِمَشْقَ ودرس فيها على الفقيه أبي الفتح نصرِ بنِ ابراهيمَ بنِ نصرٍ المَقْدِسي (ت ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م) . بعدئذٍ ذهب إلى المدرسة النظامية في بَغدادَ .

ولمّا انتهى الغزّيُّ من طَلَبِ العلم ذهب الى خُراسان ومدح فيها السُلْطان مَلِكْشاه وابْنَه سَنْجَرَ ونفَراً من الأعْيان . وقد تُوُفّيَ ، سنَةَ ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ، وهو في الطريق من مَرْوَ إلى بَلْخَ فَحُمِلَ الى بلخ ودُفِنَ فيها .

٢ ـ الأديبُ الغزّيُّ شاعرٌ مُكثرٌ مُحسن مُجيد ، ولكنَّ جانباً من شِعره قد ضاع ؛ فلقد اختار هوشيئاً منه بنفسه ثم أحرق الباقيَ . وفي « مختارات البارودي » من شِعر الغزّي ١١٦٧ بيتاً . وقصائد الغزيّ الطِوالُ ومُقطّعاته القِصارُ كلُّها جيادٌ . وهو يَطْبَعُ شِعْرَه على المنوال القديم ؛ والإشاراتُ البارعة عنده أكثرُ من الفِكَر الناضجة القيِّمَة . وأكثرُ فنونِ شعرِه المديحُ ، وله وصفٌ وعِتاب وهجاء وغزل ومُجون وحِكَمٌ كثيرَةٌ حِسان .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابراهيمُ الغزّي في التأفّفِ من الدنيا والناس :

قالوا: « هَجَرْتَ الشِعْرَ ! » قلتُ : « ضَرورةً ! باب الدواعي والبواعث مُغْلَقُ :
خلَتِ الديارُ ، فلا كَريمٌ يُرتَجى منْهُ النَوالُ ولا مَليحٌ يُعْشَقُ .
ومن العجائبِ أنّــه لا يُشْتَرى[1] ، ويُخان فيه ـ معَ الكَساد ـ ويُسْرَق » .

---

(١) أنه (أي الشعر) لا يشترى: ليس له قيمة تجارية .

– وقال في تِبْيانِ قيمة الشعْر :

من أغفَلَ الشعْرَ لم تُعْرَفْ مَناقِبُهُ ؛ لا يُجْتَنى ثَمَرٌ من غيرِ أغصانِ .
لولا أبو الطيِّبِ الكِنْديُّ ما امتَلأتْ مَسامِعُ الناسِ من مَدْحِ ابنِ حَمْدانِ (١) .

– وقال في انتهاز الفُرَصِ :

إنّما هذه الحياةُ مَتاعٌ ، والسفيهُ الغَبِيُّ من يَصْطَفيها .
ما مضى فاتَ ، والمُؤمَّلُ غَيْبٌ ؛ ولَكَ الساعةُ التي أنتَ فيها !

– ومن شعره في مديح ابن مكرم :

إليكم تُضافُ المَكْرُماتُ ، ابنَ مُكْرِمٍ ، كأنّكُمُ الأفلاكُ وهي المَنازِلُ (٢) .
وما أنتَ إلّا النَصْلُ ، والدهرُ غِمْدُهُ ؛ وما قيمة الأغمادِ لولا المَناصِلُ !
هو السَمْحُ إلّا بالمعالي ، فإنه بها باخِلٌ ؛ والسَمْحُ بالمَجْدِ باخِلُ .
إذا زُرْتَهُ فاستَغْنِ عن بابِ غيرِه ؛ فساقِطَةٌ بالواجباتِ النوافلُ (٣) .
وقِفْ تحتَ رأيٍ منه أو تحتَ رايةٍ ، فلا الحدُّ مَفْلولٌ ولا الرأيُ فائِلُ (٤) .
إليه مَرَدّ الأمرِ والأمرُ مُشْكِلٌ ، وفيه مَجالُ الفِكْرِ والفِكْرُ ذاهِلُ .

٤ – ** الخريدة (الشام) ١ : ٣ – ٧٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤ – ٢٧ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٦٦٦ – ١٦٦٧ : شذرات الذهب ٤ : ٦٧ – ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٥٣ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٨ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٤٤ .

علي بن عياد الاسكندري

١ – هُوَ عَلِيُّ بنُ عَيّادِ بنِ القَيِّمِ الإسْكَنْدَرِيُّ ، كانَ أبوه قَيِّمَ جامعِ

(١) أبو الطيب : المتنبي . ابن حمدان : سيف الدولة أمير حلب .

(٢) الأفلاك : المدارات التي تدور فيها الكواكب حول الشمس (والشاعر يقصد الكواكب) . المنازل جمع منزلة وهي جزء من دائرة السماء (في علم الفلك القديم) . منازل السماء اثنتا عشرة ، كلما وصلت الشمس (أو القمر أو الكواكب) الى احداها تبدلت الفصول واختلفت أحوال العالم .

(٣) الواجبات جمع واجب : فرض (أمر من أمور الدين ملزم به كل فرد) . النافلة : أمر من أمور الدين يقوم به الفرد تطوعاً من عند نفسه . – ان النافلة تسقط عن الفرد اذا قام بالفرض ، ولكن الفرض لا يسقط عن الفرد اذا قام ذلك الفرد بالنافلة .

(٤) فقف تحت رأى منه (استشره) أو تحت راية (اذهب معه الى المعارك) . فلا الحد (حد سيفه) مفلول : مثلم ، مكسر حده (لا يقطع سيفه ، لا ينتصر هو في المعارك) . فائل : خائب ، عاجز (لا يصيب رأيه) .

الإسكندريّة ، وكان هوَ أحدَ الشعراء الكبارِ في أيّام الدولة الفاطميّة . غيرَ أنّنا لا نعلَمُ من أخباره شيئاً قبلَ أن اتّصل بالوزراء الفاطميّين يتكسّبُ منهم بشعرِه ، منذُ أيام الآمرِ الفاطميّ (٤٩٥ – ٥٢٥ هـ) . وفي المُحرَّم من سَنَة ٥٢٥ جاءَ الحافظُ (عمُّ الآمرِ) الى عرشِ الفاطميّين فاتّخذ أبا عليٍّ أحمدَ بنَ الأفضلِ بنِ بدرِ الجماليّ وزيراً ، فاتصل عليُّ بنُ عيّادٍ بأحمدَ بنِ الأفضلِ ولزِمَه وأصبحَ شاعرَه . إلاّ أنّ احمدَ بنَ الأفضلِ والشاعرَ لم يتَمتّعا بعدَئذٍ بالدنيا سوى سَنَة واحدة .

عَظُمَ أمرُ الوزيرِ أحمدَ بنِ الأفضلِ فأحبّ الاستبدادَ بالمُلك فحبَسَ الحافظَ ثمّ دعا لنفسه على المنابرِ فدَخلَ عليه الشُّعراءُ يمدَحونه، وألقى عليٌّ بنُ عيّادٍ بينَ يدَيْه قصيدةً قال فيها :

تبَسّمَ الدّهْرُ لكِنْ بعدَ تَعْبيسِ ، وقُوِّضَ الحُزْنُ لكنْ بعد تَعْريسِ[1]
إذا دَعَوْنا بأن نَبْـقى لأنفُسِنا دُعاءنا ، فابْقَ ، يا ابنَ السادة الشُّوسِ[2]
وقد أعـادَ إليه اللهُ خاتَمَهُ فاستَرْجِعِ المُلْكَ من صَخْرِ بنِ إبليسِ[3] .

واستطاعَ الحافظُ بعدَ ذلك أن يتَغلّبَ على أحمدَ بنِ الأفضلِ فقَتلَهُ في ميْدانِ القاهرَة ، في ١٦ من المُحرَّم من سَنَة ٥٢٦ (٨ – ١٢ – ١١٣١ م) ثمّ قَتَلَ جَميع أتباعه وفيهم الشاعرُ عليُّ بنُ عيّاد .

٢ – كان عليُّ بنُ عيّاد الإسكندريُّ شاعراً مُجيداً بَرَعَ في المدائح ونال عليها العَطايا النفيسةَ . وكان طريفَ الشِعْرِ ينْظِمُ أحياناً شِعْراً ذا أوزانٍ مُوَشَّحة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ عيّادٍ الإسكندريُّ يَمْدَحُ مُحَمّدَ بنَ أبي أُسامَةَ الكاتبَ (ت٥٢٢ هـ)[4] :

---

(١) قوض : هدم (بالبناء للمجهول) ، زال . التعريس : نزول القوافل ليلا ، التوقف عن السفر بعد تمريس : بعد مدة طويلة . (٢) الشوس جمع أشوس : الجريء ، الشجاع .

(٣) الخاتم كناية عن الإمرة والسلطان . استرجع : قال « إنا لله و إنا اليه راجعون » ، والشاعر يقصد بها : استرد ، استعاد (وهذا معنى غير فصيح) . صخر بن ابليس كناية عن الحافظ (وأسلافه) .

(٤) لم أشرح هذه القطعة لأن الالفاظ والمعاني الغريبة فيها قليلة جداً ولأنني أريد أن ألفت (بفتح الهمزة وكسر الفاء) النظر الى شكل الاشطر والى ترتيب القوافي. لاحظ أن في المقطع الأول (ويسمى في التوشيح « بيتاً ») ست قوافي مختلفة ، وأن الشاعر يلتزم في كل المقاطع الباقية « تلك القوافي نفسها في الاشطر المتقابلة » (وشذ مطلع المقطع الثالث) .

يا مَــنْ أَلوذُ بِظِلِّــهِ في كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ ؛
لا زِلْــتُ من أصحابــهِ مُتَمَسِّكاً بيــدِ السَّلامةِ
آمِنــاً مِنْ كُلِّ بــاسِ
في الحَــوادِثِ والصُّروفِ

• •

وأعُوذُ مِنْــهُ لِفَضْلِهِ في كُلِّ أمْــرٍ مُشْكِلِ
ما لاحَ فَجْرُ صَوابــهِ كالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الغَمامَةِ
لا تَميــلُ إلى شِماسِ
دُونَ مَوْضِعِها الشَّريفِ(١)

• • •

وأُعِدُّهُ لي مَعْقِــلاً أضْحَى عليه مُعَوَّلي
عِنْدَ المُثُولِ بِبابهِ لَمّا أمِنْتُ مِــن النَدامةِ
في السَّماعِ وفي القِياسِ
المَحْضِ والنَّظَرِ الشَّريفِ

• •

وأُجِلُّهُ عَنْ مِثْلِــهِ مِثْلَ الحُسامِ الفَيْصَلِ
ماضٍ بِحَدِّ ذُبابِــهِ في كُلِّ جُمْجُمَةٍ وهامةِ
ثابتٌ (!) صَعْــبُ المِراسِ
عَلَى مُباشَرةِ الحُتُــوفِ .

٤ــ** خريدة القصر (مصر) ٢ : ٤٣ــ٤٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ ، الاعــلام للزركلي ٥ : ١٣٣ .

ابن حكينا البغدادي

١ ــ هو أبو محمّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدٍ المعروفُ بابنِ حكّينا البغدادي

(١) لعلها : المنيف (العالي) .

الحَريمي[1] الملقّب بالبرغوث ، كانت وفاتُه سَنَةَ ٥٢٩ هـ وقيل ٥٢٨ (١١٣٤ م) ٥

٢ ــ كان ابن حكينا شاعراً مشهوراً لطيفَ الطبع بارعَ الشعرِ ظريفاً له غزلٌ وهجاء: هجا ابنَ الشجريّ (وفيات الاعيان ٣ : ١١٤) ، وقيل هجا الحَريريّ صاحب المقامات لمّا جاء الحَريريُّ الى بغدادَ (وفيات الاعيان ٢ : ١٦٦) . وأكثر شعره مُقَطّعاتٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابن حِكّينا في الغزل :

لافتضاحي في عوارضِه سببٌ ؛ والناسُ لُوّامُ[2].
كيف يَخْفى ما أُكابدُه ، والذي أهواه نَمّام[3] !

ــ وقال وقد لامه الناسَ لأنّه كَحّلَ عينيه يومَ عاشوراء :

ولائمٍ لامني في اكتحالي يومَ استباحوا دمَ الحُسينِ ٥
فقلت : دَعْني ؛ أحقُّ عضوٍ ألْبَسُ فيه السوادَ عَيْني !

ــ وقال يهجو ابنَ الشجري :

يا سيِّدي ؛ والذي يُعيذُك من نَظْمِ قَريضٍ يَصْدا به الفِكْرُ[4] ،
ما فيك من جَدِّكَ النبيِّ سوى أنّك لا يَنْبَغي لكَ الشِعْرُ[5] .

٤ ــ •• فوات الوفيات ١ : ١٤٨ ــ ١٤٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٨٨ ــ ٨٩ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ١٩٥ .

---

(١) الحريمي نسبة الى حريم وهي محلة في بغداد .

(٢) يذكر ظهور الشعر في وجه محبوبه . ــ الناس يلومون من غير أن يدركوا الأمور على حقائقها .

(٣) النمام نبت طيب الرائحة . ــ يقول الشاعر : الشعر الذي نبت في وجهه يشبه النمام (بشكله ورائحته) ؛ ثم يوري الشاعر بين النمام (الذي هو النبات المذكور) وبين النمام (الذي ينقل الأخبار بين الناس) .

(٤) والذي ــ أقسم بالذي يعينك ... (بالله) . يعينك : يحميك ، يمنعك من نظم شعر يصدأ به فكر الذي يقرأه .

(٥) كان ابن الشجري (راجع ، تحت ، ت ٥٤٢هـ) من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ، فهو اذن متصل بالرسول من جهة نسبه الى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . والشاعر يتهكم بالمهجو فيقول له : ما فيك من صفة حميدة (من صفات الرسول) إلا أنك لا تقول الشعر ولا يجوز أن تقول شعراً . وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة في حق الرسول : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (٣٦ : ٦٩ ، سورة يس) .

ظافر الحداد

١ - هو أبو المنصور ظافرُ بنُ القاسمِ بنِ منصورِ بنِ عبد الله بنِ خلَفِ بنِ عبدِ الغنيِّ الجُذاميُّ الإسكندريُّ المعروفُ بالحدّاد؛ كانَ حدّاداً بالإسكندريةِ، وكانَ يغلبُ عليه الأدبُ ونَظْمُ الشعْرِ فاتّصل بنَفَرٍ من الحُكّام والأعيان ومَدَحَهُم مَوَدّةً أو تكسّباً: من هؤلاء الأفضلُ بنُ بَدْرٍ الجماليّ وطلائعُ بنُ رُزّيك.

ولمّا كان أبو الصلْتِ أميّةُ بنُ عبدِ العزيزِ الأندلسيُّ في مِصْرَ لَقِيَ ظافراً الحدّادَ في الإسكندرية مُدّةً طويلةً نشأتْ بينهما في خِلالِها مَودّةٌ (طبقات الاطبّاء ٢ : ٥٤ - ٥٥).

وكانت وفاةُ ظافرٍ في القاهرةِ في المُحرّم سنة ٥٢٩ (تشرين الثاني - نوفمبر ١١٥٤).

٢ - كانَ ظافرٌ الحدّادُ فقيهاً وشاعراً حَسَنَ البديهةِ، في شِعْرِه شيءٌ من الجودة وشيء من التكلّفِ والصَنْعة وكثيرٌ من الضَعْف. ولظافرٍ ديوانٌ فيهِ مدائحُ ومراثٍ ومُقطّعاتٌ. وغزلُه ووَصْفُه للطبيعةِ جيّدانِ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ظافرٌ الحدّادُ يمدح بعضَ الأعيان بقصيدةٍ منها:

لو كانَ بالصَبْرِ الجميلِ مَلاذُهُ ، ما سَحَّ وابلُ دَمْعِهِ ورَذاذُهُ[١] .
ما زالَ جَيْشُ الحُبِّ يغزو قلبَه حتّى وَهى وتَقطّعت أفلاذُه[٢] .
من كانَ يَرْغَبُ في السلامة فَلْيَكُنْ أبداً من الحَدَقِ المِراضِ عِياذُهُ[٣] .
لا تَخْدَعَنْكَ بالفُتورِ فإنّها نَظَرٌ يَضُرّ بقلبِكَ استِلْذاذُه .
يا أيُّهاه الرشأُ الذي مِنْ طَرْفِهِ سَهْمٌ إلى حَبِّ القلوب نَفاذُه[٤] ،

(١) الملاذ: العياذ، الالتجاء، الاحتماء. سح: انسكب، هطل. الوابل: المطر الكثير. الرذاذ: المطر القليل (تساقط المطر نقطاً متفرقة).

(٢) وهى (قلبه) يهي: ضعف. تقطعت أفلاذه: تقسم قلبه قطعاً.

(٣) الحدق: العيون. المراض: الناعسة (كناية عن جمال صاحبها).

(٤) الرشأ: الغزال الصغير. طرفه: بصره، عينه.

هاروتُ يَعْجِزُ عن مواقِـعِ سِحْرِهِ   وهو الإمامُ ، فمَنْ ترَى أُستاذه؟[1]
تاللهِ ، ما عَلِقَتْ محاسِنُكَ امْـرأً   الاّ وعزّ على الورى اسْتِنْقاذه[2].
ما لي أتيْتُ الحَـظَّ من أبوابِـهِ   جُهْدي ، فدام نُفُـوره ولِواذه[3]؟
إيّاكَ مِنْ طَمَعِ المُنى ، فعزيـزُهُ   كذليلِهِ وغَنيّه شَحّاذه !

– كان في يد الامير السعيد ابن ظفر والي الاسكندرية خاتمٌ شَدّ على إصبعه كثيراً فاسْتَدْعى ظافراً الحدادَ فقَطَعَ ذلك الخاتَمَ ؛ فقال ظافر :

قصّرَ عن أوصافِكَ العـالَمُ   وكَثّرَ النـاثرُ والنـاظمُ[4].
من يَكُنِ البحـرُ له راحةً   يَضيقُ عن إصبَعِهِ الخـاتَمُ !

– وقال في الحماسة :

سأتبَعُ عزمي حيثُ عمّ* وأنتَحي   وُجوهَ المنايا في ظهورِ المَخاوفِ ؛
عسى عَزْمةٌ تُنْجي من الذُلّ ، أو غِنًى   من الفقرِ ، أو ألْقى الرّدى غيرَ آسِفِ !

ديوان ظافر الحداد ابن الاسكندرية (تأليف[5] دكتور نصار) ، القاهرة (مكتبة مصر) طبع في دار طباعة مصر ١٩٦٩ .

** معجم الادباء ١٢ : ٢٧ – ٣٢ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٣٢ – ٤٣٤ ؛ الخريدة (مصر) ٢ : ١ – ١٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٩١ – ٩٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٣ ، الملحق ١ : ٤٦١ ؛ الاعلام ٣ : ٣٤٠ .

البديع الأُسطرلابي

١ – هو بديعُ الزمانِ أبو القاسمِ هِبَةُ اللهِ بنُ الحُسينِ بنِ أحمدَ البَغْداديُّ ، كان مُتْقِناً لعِلمِ النُجوم والرَصْدِ بارعاً في عِلْمِ الاسطرلاب وعَمَله وحصّل من ذلك مالاً جَزيلاً ، وخُصوصاً في أيام الخليفة المُسْتَرْشِدِ (٥١٢ – ٥٢٩ هـ) .

---

(١) هاروت وماروت كانا ساحرين قديرين مشهورين في بابل . – هذا الغزال الصغير (المحبوب) يسحر العشاق سحراً كان يعجز عن مثله هاروت ، وهاروت امام صنعة السحر . فمن علم هذا المحبوب فنون السحر ؟

(٢) علقت محاسنه (فاعل) امرأ (مفعول به) : اذا سيطرت محاسنه على قلب انسان . الورى : الناس كلهم .

(٣) أنا تقربت من هذا المحبوب من أبوابه (بالطرق المألوفة) جهدي (بأكثر ما أستطيع من الطاقة والسعي) . نفوره (هرب المحبوب مني) ولواذه (احتماؤه مني واستتاره عني) .

(٤) كثّر الناثر والناظم : مدحك الأدباء (الناثرون والشعراء) كثيراً (فلم يحيطوا بجميع صفاتك) .

(٥) تأليف (كذا) حسين نصار ، مع ان حسين نصار يذكر انه اعتمد في تحقيق الديوان على ثلاث نسخ .... الصفحة : ط) . (*) عمّ (كذا في الأصل) ، لعلها همّ .

وكان البديعُ الإسطرلابيُّ صديقاً للطبيبِ أمينِ الدولة بنِ التِلميذِ وقد اجتمع بـه في أصْفهان سنة ٥١٠ هـ . وكذلك كان صديقاً للشاعر ابن القَيْسراني .

وتُوُفّيَ البديعُ الإسطرلابي بعلةِ الفالج في بَغدادَ سنة ٥٣٤هـ(١١٣٩م) .

٢ ــ كان البديعُ الاسطرلابي حكَيماً فاضلاً وأديباً نَبيلاً وطبيباً عالماً وفيلسوفاً متكلّماً . وهو أيضاً شاعرٌ مُكْثِرٌ مشهورٌ جيّدُ النَظْم حسَنُ المعاني . وأغراضه وُجْدانية تَكْثُرُ فيها الإشاراتُ الفَلَكية والهَنْدسية ؛ وله هِجاء وغزلٌ ومُجون كثير في اللفظ المُقْذع . وقد جمَعَ ديوانَه بنفسِهِ .

وللبديعِ الاسطرلابي مُصنّفاتٌ منها : اختصار ديوان أبي عبدالله الحسين بن الحجاج وقد سمّاه دُرة التاج من شعر ابن الحجاج ــ زيج (لحركات النجوم) اسمه « المعرب المَحْمودي » ألّفه للسلطان محمودِ أبي القاسمِ بن محمد (طبقات الأطباء ١ :٢٨٣) ــ رسالةٌ في الكُرة ذاتِ الكُرْسِيِّ ــ رسالة في الآلات الشاملة التي كمّلها[1] .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ أُهدي لمجلسكَ الشريفِ ، وإنما أُهْدي له ما حُزْتُ مِن نَعْمائه ؛
كالبحرِ يُمْطِرُهُ السّحابُ ، وما له مَنٌّ عليه لأنّــه من مائــه !

ــ وذو هَيْئةٍ يَزْهو بخالٍ مُهَنْدَسٍ أموتُ بــه في كل حين وأُبْعَثُ .
مُحيطٌ بأوصافِ المَلاحةِ وَجْهُــهُ كأنَّ بــه إقْليدِسٌ يتحدّث :
فعارِضُه خَطٌّ استواءٍ ، وخـالُه به نُقْطَةٌ ، والخَدّ شَكْلٌ مُثَلّث .

ــ وسَقَطَ ببَغدادَ في إحدى السَنَوات وفر (ثلج) كثير فقال البديع الاسطرلابي :

يا صدورَ الزمـانِ ، ليس بوَفْــرٍ ما رأينـاه في نواحـي العراق[2] .
إنّما عَـمّ ظُلْمُكم سـائرَ الار ضِ فشابت ذَوائبُ الآفاق[3] !

٤ ــ ** معجم الادباء ١٩ : ٢٧٣ ــ ٢٧٥ ؛ وفيات ٣ : ١١٤ ــ ١١٦ ؛ اخبار العلماء ٢٢٢ ؛ طبقات الاطبّاء ١ : ٢٨٠ ــ ٢٨٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٩٠ ــ ٣٩١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٠٣ ــ ١٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٥٨ .

---

(١) كان البديع الاسطرلابي قد نظر في عدد من الآلات الهندسية والفلكية وأصلحها ، فرسالته هذه في تلك الآلات .

(٢) ليس في القاموس « وفر » بمعنى الثلج ؛ فلعلها لغية محلية أو هي مستعملة صفة بمعنى « كثير » .

(٣) ذوائب : ضفائر (شعر الرأس) . الآفاق : البلاد .

البارع البغدادي

١ ـ هو أبو عليٍّ الحُسينُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الحُسينِ بنِ القاسم بنِ عبدِ الله بنِ سليمانَ بنِ وهبِ .... بنِ عمرٍو الدبّاسُ البَدْرِيُّ منسوباً الى صِناعة الدِبْسِ أو بَيْعه وإلى محلّة البَدْرِيّة التي كان يَسْكُنُها في بَغْدادَ؛ وُلِدَ في بَغْدادَ ، في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٤٤٣ (١٠٥١ م) . ومن الشُيوخِ الذين أخذَ البارعُ البَغْداديُّ عنهم القرآنَ الكريمَ والحديثَ : أبو عليٍّ بنِ البنّاء وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليِّ بن موسى الخيّاطُ والحسينُ بنُ الحسنِ الإسكافيُّ . وسَمِعَ الحديثَ من القاضي أبي يَعْلى المَوْصِليِّ وأبي جَعْفَرِ بنِ المسلمة. ثمّ انّه أفاد (علّم) خَلْقاً كثيرين بإقراء القرآنِ الكريمِ .

وعَمِيَ البارعُ البغداديُّ في آخرِ عُمُرِهِ . ثم كانتْ وَفاتُه في ٢٧ جُمادَى الثانيةِ في الأغلبِ مِنْ سَنَةِ ٥٣٤ (١١٣٠ م) .

٢ ـ كان البارعُ البغداديُّ مُقْرِئاً للقُرآنِ الكريم ، كما كان لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً وأديباً شاعراً . وفي شعره شيء من السُخْفِ والمُجون ومن الضَعْف . وكانتْ له مؤلّفاتٌ أيضاً .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ كانَ بَيْنَ البارعِ البغداديِّ وبينَ الشريف أبي يَعْلى بنِ الهَبّاريّة (ص ٢٢٢) صداقةٌ وصُحْبة ومُداعباتٌ . وحجّ البارعُ البغداديُّ ، فلمّا رَجَعَ ذَهَبَ إليه الشريفُ أبو يَعْلى مرّةً فلم يَجِدْهُ فكَتَبَ إليه بقصيدةٍ طويلةٍ يُعاتِبُه فيها مَطْلَعُها :

يا ابنَ وُدّي ، وابنَ منّي ابنُ وُدّي ؟ غَيَّرَتْ طَبْعَهُ السياسةُ بَعْدي .

وكان في هذه القصيدةِ دُعابةٌ وشيءٌ من السُخْفِ والمُجون . فردّ البارعُ البغداديُّ على أبي يَعْلي بقصيدةٍ من نوعِ قصيدتهِ فيها :

وَصَلَتْ رُقْعَةُ الشريفِ أبي يَعْـ ـلى فحلّتْ مَحَلَّ لُقْياهُ عِنْدي[1].
فتَلَقّيْتُها بأهلاً وسهْلاً ثمّ ألْصَقْتُها بعَيْني وخَدّي ؛

---

(١) قامت رقعته (رسالته التي فيها القصيدة) مقام لقائه (الاجتماع به) .

وفَضَضتُ الخِتامَ عنها ، فما ظَنُّكَ بالصابِ إذ يُشابُ بشهْد[1] :

بينَ حُلْوٍ من العِتابِ ومُرٍّ ، هُوَ أولى بهِ ، وهَزْلٍ وجِدّ[2] .

وتَجَنّى عَلَيَّ من غيرِ جُرْمٍ بمَلامٍ يكاد يَحْرِقُ جِلْدي[3] :

يَدَّعي أنّني احْتَجَبْتُ وقدْ زا رَ مِراراً ؛ حاشاهُ من قُبْحِ رَدّ[4] !

دَعْكَ من ذَمِّكَ الرئاسةَ والحَـ ـجَّ وقُلْ لي ، بغيرِ حَلٍّ وعَقْد[5] :

فبماذا عَلِمْتَ – باللهِ – أنّي قد تَنَكَّرْتُ أو تَغَيَّرَ عَهْدي[6] ؟

مَنْ تَراني ؟ أعامِلٌ أم وزيرٌ لأميرٍ أم قائدٌ جيشَ جُنْد ؟

أنا ذاك الخِلُّ الخَليعُ الذي تَعْـ ـرِفُ أرضى ولو بخُبزٍ وُدُردي[7] .

واذا صحَّ لي نديمٌ فذاكَ الـ ـيومُ عيدي ، وصاحبُ الدَّسْتِ عَبْدي[8] .

أتراني لو كُنْتُ في النارِ – مَعْ ها مانَ – أنساكَ ، أو بجنّةِ خُلْد[9] !

أنا أضْعافُ ما عَهِدتَ على العَهْـ ـدِ ، وإنْ كنتَ لا تُكافا بوُدّ[10] .

– وقال في ضَبْطِ النفس وكَبْحِها :

إذا المرءُ أعطى نفسَه كلَّ ما اشْتَهَتْ ولم يَنْهَها تاقتْ إلى كلِّ باطلِ[11] ،

وساقَتْ إليه الإثْمَ والعارَ بالذي دَعَتْهُ إليه من حَلاوةِ عاجلِ[12]

---

(١) الصاب جمع صابة : شجرة مرة الطعم . شاب يشوب : خلط ، مزج . الشهد (بفتح الشين أو كسرها أو ضمها) : العسل .

(٢) هو أولى به : الذي يعاتبني مخطئ ، والعتاب يجب أن يوجه اليه هو .

(٣) تجنى علي : نسب الي ذنوباً لم أرتكبها . جرم : ذنب .

(٤) حاشاه من قبح رد : هو أعلى مكانة عندي من أن أرفض استقباله .

(٥) قل لي بغير حل وعقد : بصراحة (؟) .

(٦) تنكر فلان لصديقه : عامله بالجفاء بعد الصداقة .

(٧) دردى الزيت : ثفله ، ما يرسب منه في انائه . – : أرضى بشيء قليل وبشيء رديء (أنا شديد القناعة) .

(٨) صاحب الدست = الوزير .

(٩) هامان كان وزير فرعون ، وقد أمره فرعون أن يبني له بناء عالياً حتى يصعد الى السماء ويرى الله . – أنا لا أنساك بحال من الأحوال .

(١٠) أنا أكثر ثباتاً على الصداقة مما تظن ، مهما كنت أنت عظيم الصداقة لي .

(١١) تاق : اشتاق .

(١٢) حملته على طلب اللذة العاجلة ولو لحقه منها الاثم (الذنب) والعار (العيب) .

— وقال في ازدياد الخطر من السقوط بازياد الارتفاع :

تُنازِعُني النفسُ أعلى مقامٍ ، ولَسْتُ من العَجْزِ لا أنْشَطُ[1] ؛
ولكنْ بِقَدْرِ علوِّ المكانِ يكونُ هُبوطُ الذي يسقُطُ !

— وله في النسيب :

ردّي عليّ الكرى ثمّ اهجري سكني فقد قنعت بطيفٍ منك في الوسَن[2] .
لا تحسبي النوم قد أوحشت أطلبه الاّ رجاءَ خيالٍ منك يؤنسني .
تركتِني والهوى فرداً أغالبه ، ونام ليلُكِ عن همٍّ يؤرّقني[3]

٤ — ** معجم الأدباء ١٠ : ١٤٧ — ١٥٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٨٢ — ٢٨٤ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٢٨—٣٢٩ ؛ ابن الأثير ١٠ : ٦٦٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٦٩ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٨٠ .

ابن أفلح العبسي

١ — هو جمالُ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ بنُ أفلحَ العبسيُّ أصلُه من الحِلّة (قُرْبَ الكوفة في العِراق) ، وهوَ من أهلِ بَغدادَ ، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) .

اتّصلَ ابنُ أفلحَ بالمُسْتَرشِدِ العبّاسيّ (٥١٢ — ٥٢٩ هـ) ونالَ عنده حَظوةً كبيرةً ونال منه الأراضيَ والأموالَ . ثم بلَغَ المسترشدَ أنّ ابنَ أفلحَ يكاتِبُ نورَ الدولةِ دُبيساً سِرّاً — وكان دبيسٌ أحدُ بني مَزْيَدٍ رؤساءِ الحِلّة ، وقد استولى على البَصْرةِ سَنَةَ ٥١٧ هـ — فغَضِبَ المسترشدُ وصادرَ أموالَه وأراضيَه ففر ابنُ أفلحَ إلى تكريتَ . ثمّ رَضِيَ عنه المسترشدُ . وقضى ابنُ أفلحَ جانباً كبيراً من عمره يَجوبُ البلادَ ويمدحُ الناسَ من الخُلفاء ومَنْ دونَهم .

وتُوُفّيَ ابنُ أفلحَ العبسيُّ في بَغدادَ ، سَنَةَ ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) في الأغلب .

٢ — ابنُ أفلحَ العبسيُّ شاعرٌ معروفٌ وكاتبٌ فصيحٌ حَسَنُ المديحِ كثيرُ الهجاء بذيءُ اللسانِ ، كان هجّاماً بالهجاء على جميعِ الناسِ حتّى على الذين كانوا يُحْسِنونَ

(١) لست من العجز لا أنشط : ليس ضعفي هو الذي لا يحملني على بذل الجهد ، ولكن خوفي من أن ترتفع مكانتي كثيراً ، فانني اذا سقطت حينئذ فان سقوطي سيكون خطراً جداً .

(٢) الكرى : النوم . الطيف : الشبح ، الخيال يزور في المنام . الوسن : أول النوم (أو شدة النوم) .

(٣) نام ليلك : غفل ليلك عني . أنت غفلت عني وتركتني مع همي وحيدين فجعل هذا الهم يؤرقني (يبعد النوم عني) .

إليه . وكان له ديوانٌ وَسَطٌ جَمَعَه بنفسه وجَعَلَ له مُقدّمةً (في الشعر والبلاغة ، كانتْ تُدَرَّسُ بعدَه زمناً طويلاً) . وقد رأى ابنُ خلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) هذا الديوان .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ أفلحَ العبسيُّ في الغزل :

ما بعدَ حُلوانَ للمشتاقِ سُلوانُ . عزَّ العَزاءُ ، وبانَ الصبرُ إذ بانوا[1] .
ذَرْني وتَسْكابَ دَمْعي من مَحاجرِه ، فللشؤونِ ولي من بَعْدِهم شان[2] .
هُمُ الحياةُ – وقد بانوا الغَداةَ – فهل يَصِحُّ بعدَ ذَهابِ الروحِ جِثْمان .
احبابَنا ، ما الديارُ اليومَ بعدَكُمُ تلك الديارُ ، ولا الأوطانُ أوطان .
ما العُمْرُ – مُذْ رَحلوا – مِمّا ألَذُّ به . أنّى يَلَذُّ بغيرِ النوم وَسْنان[3] !

– ومن سيّاراتِه (أبياته السائرةِ على الألسن) :

هذه الخَيْفَ ، وهاتيكَ مِنَى . فتَرَفّقْ ، أيّها الحادي ، بِنا[4] !

– ولابنِ أفلحَ هجاءٌ كثيرٌ منه :

سألتُكَ التوقيعَ في قِصّتي ، فاحتَطْتَ للآجلِ بالعاجل[5] ؛
وخِفْتُ أن تُجْرِيَ في قابلٍ . وَقِّعْ ، فما تَبْقى الى قابل[6] !

– وقال يهجو الوزيرَ أحمدَ بنَ نظامِ الملكِ السَلجوقي (ت ٥٤٤ هـ) ويَصِفُه بالبخلِ وإغلاقهِ بابَه في وَجْهِ الزائرينَ وتَشَدُّدَ حاجبهِ محمّدٍ في ذلك :

---

(١) سلوان : نسيان . عز : قل . العزاء : التسلي ، نسيان المصيبة . بان : بعد (أصبح بعيداً) .

(٢) ذرني : اتركني . ذرني وتسكاب دمعي : اتركني أسكب دمعي (أبكي بقدر ما أشاء) . المحجر (بفتح الميم وكسر الجيم) : التجويف الذي فيه العين . الشؤون جمع شأن : مجرى الدمع الى العين . والشأن : الأمر المهم . فللشؤون ولي من بعدهم شان (شأن) : أنا سأحزن كثيراً وسيسيل دمعي كثيراً أيضاً .

(٣) أنى : كيف ؟ الوسنان : النعسان .

(٤) الخيف ومنى موضعان في الحجاز (كناية عن المكان الذي يكون فيه المحبوب) . الحادي : الذي يسوق الابل (قد وصلنا الى مكان يسكن المحبوب فيه ، فلا تعجل أيها الحادي ، وتمهل حتى نستطيع أن نرى بلاد المحبوب جيداً) .

(٥) القصة : رسالة (معروض ، عرضحال) يطلب فيه الانسان من الحاكم شيئاً . التوقيع : الامضاء بقبول الطلب الذي في القصة . فاحتطت للآجل بالعاجل . اعتذرت عن رفض التوقيع الآن بالوعد بالتوقيع فيما بعد .

(٦) وكذلك خفت أن توقع في قابل (في العام المقبل) .

قَصَدتُ أرومُ لِقاءَ الوزيرِ وقد مَنَعَ الإذْنَ بالواحده(1) .
وكلٌّ على البابِ يبغي الدُّخولَ ، والبابُ كالصخرةِ الجامده .
ولم أعلمِ العُذْرَ في غَلْقِه ، فكنتُ أعود على قاعده(2) .
فصِحْتُ : محمّدُ ، ألاّ فتَنَحّتَ ! فقال : الوزيرُ على المائده(3) !
ومِنْ دونِ فتَنْحِيَ فتحُ الوجوهِ ؛ فعُدّ الرجوعَ مِن الفائده(4) .

٤ - * الخريدة (العراق) ٢ : ٥٢ - ٦٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٩ - ٦٠ ؛ ابن الاثير ١١ : ٨٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ شعراء الحلة ٤ : ٢٠٩ - ٢٢٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٧١ .

جار الله الزمخشري

١ - هو جارُ الله أبو القاسمِ محمودُ بنُ عُمَرَ بنِ محمّدِ بنِ عُمرَ الخَوارزميّ الزَمَخشَريّ ، وُلِدَ في زَمَخْشَرَ من أعمال خَوارزم في ٢٧ رَجَبَ ٤٦٧ (٢٨/ ٢/ ١٠٧٥ م) .

رَحَلَ الزمخشريُّ في طَلَبَ العلم ، وأخذ الأدبَ عن أبي مُضَرَ محمودِ بنِ جريرٍ الضَبّيّ الإصبهانيّ وأبي الحسنِ المظفّر النيسابوريّ . وفي رِحْلته الى بُخارى سَقَطَ عن دابّته فكُسِرَتْ رِجْلُهُ (وقيلَ بل آلمها البردُ في خوارزم ، وقيل بل ظهر فيها خُراجٌ) فاضْطُرّ الى قَطْعِها واتّخذ رِجلاً من خشب(5) .

ذَهَبَ الزمخشريّ في أواخرِ أيامهِ الى الحجّ بطريقِ بغدادَ فلَقِيَ في بَغدادَ الشريفَ أبا السعاداتِ هِبَةَ اللهِ بنُ الشَجَريّ ، وكانت قد عَظُمَتْ شُهْرَتُه ، فقرّظ كلّ واحدٍ منهما صاحبَه . وفي مَكّة جاوَرَ (سَكَنَ) الزمخشريُّ مُدّةً فاكْتَسَبَ لَقَبَهُ « جارُ الله » حتى أصبحَ ذلك اللقبُ عَلَماً عليه .

وكانت وفاةُ الزَمَخْشَري في قَصَبَة خوارزم (الجُرجانية) ليلةَ عَرَفَة (٩ ذي الحِجّة) من سَنَةِ ٥٣٨ (منتصف تموز - يوليو ١١٤٤ م) .

---

(١) قصدت (ذهبت) أروم (أريد) . بالواحدة : مرة واحدة .
(٢) لو كنت أعلم العذر (السبب) في منع الأذن بالدخول عليه الآن لرجعت الى بلدي ثم عدت فيما بعد (على بصيرة من أمري) .
(٣) محمد = يا محمد (يعني الحاجب) .
(٤) فتح الوجوه : شقها (بالسيف) . - في رجوعك فائدة لك (كيلا تموت) .
(٥) في وفيات الاعيان (٢ : ٥١٠ ، السطر ٤) : جارن خشب .

٢ ـ كان جارُ الله الزمخشري إماماً في التفسير واللُغة والنحو والأدب وخَطيباً ومترسّلاً وشاعراً ومُتَفنّناً في علوم كثيرة . أما نثرُه الفنيّ فكثيرُ الصَنْعة ، وأما شعره فيَغْلِبُ عليه جَفافُ العِلم وشيء من الصَنْعة .

والزمخشري مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، من تآليفه الكشّافُ: (في تفسير القرآن) ـ الفائق في غريبِ الحديث ـ أساس البلاغة (في اللغة) ـ المفصّل (في النحو) ـ المِنهاج في الاصول ـ أعْجَبُ العجب في شرح لاميّة العرب ـ كتاب الجبال والأمكنة ـ شقائق النُعمان في حقائق النعمان (في مناقب الامام أبي حَنيفةَ النعمان) ـ أطواق الذهب في المواعظ ـ شرح كتاب سِيبويه ـ ديوانُ خُطَبٍ ـ ديوان رَسائلَ ـ ديوان شعر .

ويعتمد الزمخشري في تفسير القرآن أصولَ مذهبِ الاعتزال والتذوّقَ البلاغيّ أكثرَ من اعتماده الرواياتِ المألوفةِ عن المُحَدّثينَ ، ولذلك لا يُحِبُّ الفقهاء آراءَ الزمخشريّ في التفسير .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة «أساس البلاغة» :

.... لمّا أنزلَ اللهُ كتابَه[١] مُخْتَصّاً من بين الكُتُب السماوية بصفةِ البلاغة التي تَقَطّعَتْ عليها أعناقُ العِتاقِ السُبّقِ ووَنَتْ عنها خُطا الجِيادِ القُرّحِ[٢] ، كان الموفّقَ من العلماء الأعلام ـ أنصارِ مِلّةِ الإسلامِ الذابّينَ عن بَيْضةِ الحَنيفيّةِ البيضاء المُبَرهنينَ على ما كان من العرب العَرْباء[٣] حين تَحَدّوا به مِنَ الإعراض عن المعارضة بأسَلاتِ ألْسِنَتِهِم والفزع الى المُقارعة بأسِنّةِ أسَلِهم[٤] ـ من كانت مطامحُ

---

(١) كتاب الله : القرآن الكريم .

(٢) تقطعت عليها (قصرت) العتاق (الجياد ، الخيل الأصيلة) السبق (التي لا يسبقها غيرها) ووَنت (ضعفت) القرح (جمع قارح : الحصان الذي بلغ أربع سنوات وأصبح في ذروة نشاطه) . ـ كل هذا كناية عن البلغاء من الناثرين والشعراء .

(٣) كان الموفق (خبر كان) واسمها «اسم الموصول :«من» في قوله (بعد اثنتين وثلاثين لفظة) «من كانت مطامح نظره ...» الموفق : البليغ الحقيقيّ . الذابين : المدافعين . البيضة : ما يملكه الانسان ثم تجب المدافعة عنه . الحنيفية : الاسلام . العرب العرباء : الأقحاح ، الخالصو النسب (الذين لم تخالط العجمة ألسنتهم ولا اختلطت أنسابهم بغيرهم) .

(٤) حين تحدوا به (طلب منهم أن يأتوا بكلام مثل كلامه) . الاعراض (الامتناع ، التقصير) . المعارضة : المسير جنباً الى جنب (المقدرة على الاتيان بمثل أسلوبه) . الأسلة : القصبة (الرمح) . أسلة لسانه (بلسانه المثقف البليغ) . الفزع (اللجوء) الى المقارعة (الحرب) بأسنة أسلهم (بأطراف رماحهم) ـ كل هذا كناية عن عجزهم عن مجاراة أسلوب القرآن الكريم .



نظرِه ومطارحُ فِكَرِه الجهاتِ التي تُوصِلُ الى تَبَيُّنِ مراسمِ البلغاء والعُثورَ على مناظم الفصحاء والمُخايَرَةَ بين مُتداوَلات ألفاظهم[1] .... والنظرَ في ما كان الناظرُ فيه على وجوه الإعجاز أوْقَفَ وبأسراره ولطائفه أعرفَ ..... وإلى هذا الصَّوْب[2] ذَهَبَ عبدُ الله الفقيرُ إليه محمودُ بنُ عُمَرَ الزمخشريُّ عفا اللهُ عنه في تصنيف كتاب « أساس البلاغة » .....

ومن خصائص هذا الكتاب تَخَيُّرُ ما وَقَعَ في عبارات المُبدعين ، وانطوى تحتَ استعمال المُفْلقين[3] ، أو ما جاز وقوعُه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيبِ التي تَملُحُ وتحسُنُ ولا تنقبض عنهـا الألسُنُ .... ومنها التوقُّفُ عـلى مناهجِ التركيب والتأليف وتعريفِ مدارجِ الترتيبِ والترصيف ..... ومنها تأسيسُ قوانينِ فصـلِ الخِطاب والكلامِ الفصيحِ بإفرادِ المجاز عن الحقيقة والكِناية عن التصريح .....

— من متن الكتاب (١ : ٢٤٤) :

خ ف ي — خَفَا البرقُ : لمع بضَعْفٍ خَفْواً وخُفُوّاً . وأخفَيتُ الشيء ، وخَفِيَ الشيءُ واختفى واستخفي وتَخَفّى : استتَرَ . وهو يُخفي صوتَه . وأمرٌ خافٍ وخَفِيّ . واللهُ عالمُ الخَفِيّاتِ والخَفايا . ولا يَخْفى عليه خافيةٌ . وبَرَحَ الخفاءُ : زالت الخِفْيَة فظهر الأمرُ . وفعل ذلك خِفْيَةً . وهو أخفُّ(!) من الخافية . وليس القوادِمُ كالخوافي[4] . وعَرَفَ ذلك البَشَرُ والخافي وهم الجِنّ . وأصابتْهُ ريحٌ من الخوافي . وهو من أُسُودِ خَفِيَّة[5] . واذا حسُنَ من المرأة خَفِيّاها حسُنَ سائرُها ، وهما صوتُها وأثَرُ وَطْئِها (سيرِها على الأرض) .....

٤ — الكشّاف عن حقائق التنزيل . وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تحرير ناساو ليس وخادم حسين وعبد الحيّ) ، كلكتا ١٨٥٦ م ؛ القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ هـ ؛ القاهرة ١٣٥٤ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٨١ هـ ؛

---

(١) المخايرة : التفضيل . متداولات ألفاظهم : الأقوال السائرة بين الأدباء والمشهور على الألسنة (كانوا يعرفون مراتب الكلام في الصحة والبلاغة ولو كان هذا الكلام مشهوراً معروفاً — لا يخدعون عن فصاحة الكلام برغم اشتهاره بين الناس) .

(٢) أوقف : أكثر وقوفاً (أكثر علماً) . الصوب : الناحية ، المقصد (والى هذا الصوب ذهب فلان : هذا ما قصده فلان) .

(٣) المفلق : الشاعر الذي يأتي بالأشياء العجيبة الغريبة الجميلة .

(٤) القوادم : الريش الكبيرة في جناح الطائر . الخوافي : الزغب (الريش الصغيرة) في باطن جناح الطائر .

(٥) خفية : الغيضة (مجتمع من الأشجار في منخفض من الارض وفيه ماء) .



الفائق في غريب الحديث (نشره علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م .

أطواق الذهب (نشره فون هامّر) فينّا (شتراوس) ١٨٣٥ م ؛ (نشره باربييه دى مينار) ، باريس ١٨٧٦ م ؛ القاهرة (عبد الحميد حنفي) ١٣٧٠ هـ ؛ (بشرح يوسف الأسير) ، بيروت (جمعية مطبعة الفنون) ١٢٩٣ م .

الأنموذج في النحو (مطبوع مع نزهة المشتاق للميداني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩هـ.

المفصّل في صنعة الاعراب (نشره بروخ) كريستانيا - أوسلو (ماليبغ) ١٨٥٩ ، ١٨٧٩ م ؛ الاسكندرية (مطبعة الكوكب الشرقي) ١٢٩١ هـ .

أساس البلاغة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (محمّد مصطفى) ١٣٢٧ هـ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٢ - ١٩٢٣ م؛ (نشره عبد الرحيم محمود) ، القاهرة (مطبعة أورقاند) ١٩٥٣ م ؛ بيروت ١٩٦٥ م .

مقامات الزمخشري ، القاهرة (المطبعة العباّسيّة) ١٣١٢ هـ .

شرح لاميّة العرب (في مجموع « أعجب العجب في شرح لاميّة العرب »)، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

اللاميّتان : لاميّة العرب للشنفري ولاميّة العجم للطغرائي من شروح الزمخشري والصفـدي (أعدّهما عبد المعين الملّوحي) : دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القوميّ - احياء التراث القديم ، رقم ١٣) ، دمشق (مطابع وزارة الارشاد) ١٩٦١ م .

نوابغ الكلم ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .

الجبال والأمكنة والمياه (نشره يونبول وماتيوز سلفاردا دو غراف) ، ليدن (بريل) ١٨٥٥ م ؛ - الأمكنة والجبال والمياه ، بغداد ١٩٣٨ م .

المفردات في غريب القرآن ، القاهرة (البابي) ١٣٢٤ هـ .

نزهة الطرف في علم الصرف ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ .

المستقصى من أمثال العرب (تحت مراقبة محمّد عبد المفيد خان) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٦٢ م .

كتاب خصائص العشرة كرام(؟) البررة (حقّقته بهجة باقر الحسني)، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام: مديرية الثقافة العامّة - سلسلة كتب التراث ، رقم ١٠) ١٩٦٨ م .

** شرح المفصّل لموفّق الدين يعيش بن عليّ ، القاهرة (ادارة الطباعة المنيرية) بلا تاريخ .

قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب (الميرزا يوسف خان بن اعتصام الملك) ، القاهرة (مطبعة التمدّن) ١٣٢١ هـ .

شرح عمدة السريّ على أنموذج الزمخشري ، تأليف ابراهيم سعيد الحصوصي ، بولاق (المطبعة الكبرى الأميرية) ١٣١٢ هـ .

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات (= شرح شواهد الكشاف للزمخشري) ، تأليف محب الدين الحمويّ ، القاهرة (بولاق) ١٢٨١ هـ .

الزمخشري ، تأليف أحمد محمّد الحوفي ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٦ م .

النظم القرآني في كشاف الزمخشري ، تأليف درويش الجندي ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ — ١٣٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٠٩ — ٥١٣ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ — ٢٧٢ ؛ ابن الأثير ١١ : ٩٧ ؛ بغية الوعاة ٣٨٨ — ٣٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١١٨—١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٤—٣٥٠ ؛ الملحق ٥٠٧ — ٥١٣ ؛ زيدان ٣ ٤٨—٥١ ؛ الأعلام للزركلي : ٨ : ٥٥ .

ابو منصور الجواليقي

١ — هو أبو منصورٍ موهوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الخَضِرِ بنِ الحسنِ بن محمّدٍ الجواليقيّ ، نِسبةً إلى الجواليق[1] ، وهوَ من أهل بغدادَ ؛ وُلِدَ في ذي الحِجّة من سنة ٤٦٦ (آب — أغسطس ١٠٧٤ م) ، ولمّا شبّ تلقّى علومَ الحديثِ واللغة والنحو والأدب على نفَرٍ من علماء عصرهِ منهم أبو الفوارسِ طِرادُ بنُ محمّدِ ابن عليٍ الزَّيْنبي (ت٤٩١هـ) نقيبُ النُّقباء في بغدادَ ، ومنهم أبو محمّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ ابنِ الحسين السرّاج (ت ٥٠٠ هـ) مؤلّفُ كتابِ مصارعِ العُشّاق ، ومنهم أبو زكريّا يحيى بن عليّ المعروفُ بابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) تلميذ أبي العلاء المعرّي وصاحبُ شرحِ ديوان الحماسة لأبي تمّامٍ .

تصدّرَ الجواليقيّ في بغدادَ للتدريس فكان يَجْلِسُ في أيام الجُمَعِ في جامع القَصْر فأخذَ عنه كثيرون مِمّن اشتهروا في فنونِ العلم منهم السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) صاحب كتاب الانساب ، ومنهم أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، وأبو الفرج ابن الجَوْزي (ت ٥٩٧ هـ) .

وكانت وفاةُ الجواليقي في ١٥ من المحرّم ٥٣٩ (١٨/ ٧/ ١١٤٤ م) .

٢ — أبو منصورٍ الجَواليقي لُغويّ أديبٌ وله علم بالنحو والحديث والفِقه . وهو ثَبْتٌ كثيرُ التحقيق يُكْثِرُ من قول « لا أدري » ثم يُجِدّ في التحصيل لما يَجْهله . غير أنه كان يذهب في تأويلِ مسائل النحو مذاهبَ غريبةً .

وللجواليقي عدد من الكتب أشهرُها كتاب المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف

[1] الجوالق والجواليق (بفتح الجيم فيها) جمع جوالق (بضم الجيم وبكسرها) : كيس كبير (يسميه العامة : شوال) .

المعجم جمع فيه الألفاظَ العربيةَ التي تَرْجِعُ ، في رأيه ، الى اللُغاتِ الاجنبية ثم يحاولُ أن يرى وجوهَ اشْتقاقها . وفي هذا الكتاب عَدَدٌ من الأخطاء يرجع الى أمورٍ : منها أن الجواليقي يهتمّ بلفظ الكلمة أكثرَ مِنَ اهْتمامها بمعناها ، ثم إنّه يحاولُ أن يَرُدَّ مُعْظَمَ الكَلِمات الأعجمية الى اللغة الفارسية . وربّما أرادَ أن يردّ الكلمةَ العربيةَ الصحيحةَ الى الفارسية ، كقوله في « البارِح » (الريحِ الحارّة الجَنوبية) : قال بعض أهلُ اللغة هو فارسيٌّ معرّب ... (ص ٦٥) أو كقوله وبيّان (ص ٧٢) كَلِمة ليست بعَرَبية مَحْضة (؟) . وربّما تشدّد فعَدّ الكلماتِ التي تنحدر من أصل ساميّ واحدٍ هي والكلماتُ السُريانية مثلاً غيرَ عربية .

ومن كتب الجواليقي : تَكْمِلَةُ إصلاحِ ما تَغْلَطُ فيه العامّة أو التكملة في ما يَلْحَن فيه العامّة (وهو تتمّة لدُرّة الغَوّاص في أوهام الخواص للحريري صاحب المقامات) — كتاب العَروض — شرح أدب الكُتّاب — شرح مقصورة ابن دريد .

٣ — مختارات من كلامه (من مقدّمة المعرّب) :

— هذا كتابٌ نَذْكُرُ فيه ما تكلّمتْ به العربُ من الكلام الأعجمي ونَطَقَ بـه القُرآنُ المَجيد ووَرَدَ في أخبارِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم والصحابةِ والتابعين ، رِضْوانُ اللهِ عليهم أجْمعينَ ، وذكرتْه العربُ في أشعارِها وأخبارها ليُعْرَفَ الدَخيل من الصَريحِ . ففي معرفةِ ذلك فائدةٌ جليلةٌ وهي أن يَحْتَرِسَ المُشْتَقّ فلا يَجْعَلُ شَيْئاً من لغة العربِ لشيء من لغةِ العجم .... فأمّا ما وَرَدَ منه في القُرآنِ ، فقدِ اختلفَ فيه أهلُ العلم ؛ قال بعضُهم : كتابُ الله تعالى ليس فيه شيءٌ من الغَريبِ .... ورُوِيَ .... في أحرفٍ (كلماتٍ) كثيرةٍ (أنها) من غيرِ لسانِ العربِ مثل المِشْكاة واليَمّ والطُور وأباريقَ واسْتَبْرق وغير ذلك . وكلاهما مُصيب — إن شاء الله — وذلك أن هذه الحروف بغيرِ لسانِ العرب في الاصلِ ، فقال أولئك على الأصل ؛ ثم لَفَظَتْ به العربُ بألْسِنتها فعرّبته ؛ فصار عَربيّاً بتَعْريبها إيّاه . فهي عربية في هذه الحالِ أعجميةُ الاصلِ . فهذا القول يُصَدِّقُ الفريقين جميعاً .

٤ — المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم (تحرير ادوارد سخاو) ، ليبزج (أنغلمان) ١٨٦٧ م ؛ (بتحقيق أحمد شاكر) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦١ هـ ؛ (أعيد طبعه بالتصوير) ، طهران ١٩٦٦ م .

شرح أدب الكاتب ، مصر (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ .

التكملة ، ليبسك ١٨٧٥ م = التكملة في ما يلحن فيه العامّة ، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٣٥٥ هـ



= تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامّة (بتحقيق عزّ الدين التنوخي)، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) بعد ١٩٣٠ م.

** معجم الادباء ١٩ : ٢٠٥ - ٢٠٧ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٣٥ - ٣٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٣٥-٣٣٧ ؛ بغية الوعاة ٤٠١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٧ - ١٢٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٢ ، الملحق ٤٩٢ ؛ زيدان ٣ : ٤١ - ٤٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٤٩٠ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٢٩٢.

ابن جارية القصار

١ - هو أبو عبد الله محمّدُ بنُ المُبارك بنِ أحمدَ بنِ عليّ بنِ قصّارٍ الوكيلُ (!) المعروفُ بابنِ جاريةِ القصّارِ ؛ كانت أُمُّهُ جاريةُ القصّارِ عوّادةً مُحْسِنةً حافظةً للأشعار بارعةً في صناعتها. ويبدو أنّها عاشتْ طويلاً بعدَ مولاها القصّارِ وتزوّجتْ رجلاً يُعْرَفُ بابن حريقا ثُمّ ماتتْ وَهِيَ عِندَهُ، في بغدادَ، سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٦ م).

سَمِعَ ابنُ جاريةِ القصّارِ الحديثَ وجَمَعَ بعضَ أدواتِ ذوي الآدابِ، ويبدو أنّه كان يَعْمَلُ وكيلاً على أبوابِ القُضاةِ (حاجباً؟). وتكسّبَ ابن جاريةِ القصّارِ بالمديحِ، ولكنْ ظلّ فقيراً.

ويبدو أنّ ابنَ جاريةِ القصّارِ قد عاشَ عليلاً وشابَ باكراً ثُمّ أُصيبَ بإسهالٍ شديدٍ طال أمَدُهُ، فيما يبدو، فماتَ منه في رَيْعان شَبابهِ، بُعيدَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م).

٢ - كان ابنُ جاريةِ القصّارِ شاعراً ظريفاً وكاتباً مطبوعاً. وله مديحٌ وهجاء ووصف ونسيب.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن جاريةِ القصّارِ أبياتاً يتمنّى فيها الشيبَ ولا يَحزَنُ لِذَهاب شَبابه :

مَنْ خافَ - إنْ شابَ - هِجْرانَ الحِسانِ وإصـ ... ـمارَ النعيمِ ورفضَ الكأسِ والنَغَمِ [1]

فلي إلى الشَيْبِ شَوْقٌ ما يُنَهْنِهُهُ ... سَعْيٌ لِلُقْياه من عُمْري على قَدَمِ [2].

---

(١) اصمار (؟) منع، فقدان.

(٢) لي شوق شديد الى أيام المشيب. هذا الشوق لا ينهنهه (لا يمنعه، لا يكفه، لا يؤخره) سعي القياه (سير عمري نحوه حثيثا) على قدم (بسرعة).

ما أرْغدَ الدهرُ عَيْشي في الشَّباب ولا أحْلى ! فابْكي شَبابي حالةَ الهَرَم[1] .

ـ كان لِلبُدَيْوِيِّ العوّادِ أخٌ اسمُه محمودٌ أرادَ أنْ يكونَ عوّاداً أيضاً ولكن لم يُصِبْ إحساناً ، فقال ابن جاريةِ القصّارِ يَهجوه :

يا بُدَيْويُّ ، قد نَشا لَكَ في العو دِ أخٌ يَستغيثُ منه العودُ .
أنتَ تدري أن الشتاءَ على الأشْ جارِ صَعْبٌ ـ اذا أطلَّ ـ شديدُ .
لو أرادَ الإلهُ بالأرضِ خِصْباً ما تغنّى من فَوْقِها محمود .
كلّما أنبَتَتْ يَسيراً من العُشْ بِ وغنّى غطّى عليهِ الجليد .

ـ وقال يشكو سوءَ حالهِ في التكسّب بالشعر ويَنْدُب حَظّه :

الى كم أُعَلِّلُ بالباطلِ ولا أستَقِرُّ على حاصلِ[2] ؟
وأُدْفَعُ من باخلٍ ـ لا يدينُ بدينِ السَماح ـ إلى باخلِ[3]
يَصونُ بعِرضٍ جبانِ الفؤادِ حِمَى العِرْضِ من بَطَلٍ باسل[4] ؟
أُحَلّيهِ بالدُرَرِ المُثْمِناتِ وأرجِعُ بالأملِ العاطل[5] .
إذا كان حظُّ الفتي صاعداً فلا بأسَ بالأدبِ النازل .
هما خِلْفانِ ، فهذا المُقيـ مُ يُعْقِبُ من ذلك الراحل[6] .
لقد ألْجأتْني صُروفُ الزمانِ لِحُكْمِ ضَرورتِها الحامل[7]
إلى مَعْشَرٍ قد أتَمّوا الرَضا عَ مِنْ ضَرْعِ لُؤْمِهِمُ الحافل[8] ؛
شُيوخُهُم بَعْدُ لم يُفْطَموا ، وعالِمُهُمْ ضِحْكَةُ الجاهل .

---

(١) ـ ان الدهر لم يجعل عمري في شبابي رغيداً (خصباً ، وافر النعمة) ولا حلوا (من التمتع بالملذات) حتى أبكي (آسف) على شبابي حينما أصل إلى أيام هرمي (شيخوختي) .

(٢) لا أستقر على حاصل : لا أصل الى نتيجة .

(٣) لا يدين بدين السماح : لا يعترف بوجود الكرم والكرماء .

(٤) .....

(٥) ـ أمدحه بقصائد جميلة فلا يثيبني عليها بشيء (العاطل في الأصل : المرأة التي لا تتزين بالحلي اكتفاء بجمالها الطبيعي) .

(٦) خلفان : يأتي أحدهما بعد الآخر . يعقب : يأتي بعده .

(٧) صروف الزمان : مصائبه . لحكم ضرورتها الحامل (التي تلد كل عجيبة !) .

(٨) ضرع : ثدي (مكان اللبن في الانثى من الناس والحيوان). الحافل المملوء (لقد رضعوا اللؤم حتى ارتووا ـ بفتح الواو الأولى ـ حتى تم اللؤم فيهم) .

صدورٌ ولكنّ أعجازَهم صدورٌ لِوَخْزِ القَنا الذابل[1] .
وقومٌ رأوْا أنّني شاعرٌ فلم يَرْفَعوني عنِ الخامل ،
ولم يَعْلموا ما رُواة القريـ ضِ عنديَ ومن آلة الكامل[2] .
وما غايةُ الفضلِ نظمُ القريض ، ولكنّه نَفْثةُ الفاضل ![3]

٤ – الخريدة (العراق) ٢ : ٢٥٠ – ٢٥٦ .

ابن قُسيم الحموي

١ – هو شَرَفُ الدينِ أبو المَجْد مُسْلِمُ بنُ الخَضِرِ بنِ قُسيمٍ التنوخيُّ الحَمَوي ، وُلِدَ في حَماةَ ، وفيها نشأ وتلقّى علومَه الأولى .

عَمِلَ ابنُ قُسيمٍ الحَمَويُّ في مَطْلَعِ حياته في أحَدِ مَساجدِ حَماةَ ، ثمّ نَبَغَ في الأدب فتعَرّضَ لنَفَرٍ من الملوكِ والأُمراء بالمديح . في سَنَةَ ٥٣١ هـ (١١٣٦ – ١١٣٧م) هاجَمَ مَلِكُ الروم يوحنّا الثاني مدينةَ شَيْزَرَ وحاصَرَ حُصْنَها فسارَ اليه عِمادُ الدينِ زَنْكي وردّه عنها فمدحه ابنُ قُسيمٍ . ولمّا تغلّب نورُ الدين ابنُ عمادِ الدين على فِتنة الرُها (٥٤٢ هـ !) مَدَحَهُ ابن قُسيمٍ .

وكانتْ بينَ ابنِ مُنيرِ الطَرابُلُسي وغيرِه من شُعَراء عَصْرِه وبينَ ابنِ قُسيمٍ الحَمَوي مطارحاتٌ وإخوانيّات . وكانتْ وفاةُ ابنِ قُسيمٍ الحَمَوي سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ – ١١٤٨ م) أو بعدَها بقليلٍ إثْرَ مَرَضٍ ، فيما يبدو ، غير مجاوزٍ خمسين سنة .

٢ – كان ابنُ قُسيمٍ الحَمَويّ شاعراً وُجْدانياً فَصيحَ الألفاظِ سَهْلَ التراكيب معَ شيءٍ من اللّينِ واللّحْنِ ، وكان قريبَ المعاني واضحَ الأغراضِ يَجْري في شعرِه على السليقة ، وربّما لَجأ إلى شيءٍ من الصناعة ولكن من غير تكلّف إلا نادراً . غير أنّه كثيرُ الأخذِ من معاني المتقدّمين . أمّا فنونُه فَهِيَ المدحُ ، وله شيء منه في آلِ البيت ، والوصفُ والإخوانياتُ والخمر والغزل والمجون .

---

(١) العجز (بفتح العين وضم الجيم) : مؤخرة الجسم . القناة : القصبة تعمل رمحاً . – في البيت كناية قبيحة .

(٢) لم يعلم هؤلاء الفرق بين الشعراء ولم يعلموا ما عندي من صفات الرجل الكامل (لم يعرفوا قدري ولا مقداري) .

(٣) – وليست غاية الانسان الفاضل (وليس أعلى درجات الفضل) أن ينظم الانسان الشعر (ليكتسب) ، ولكن الشعر شيء ينفث (يدفع) به الرجل الفاضل (ليروح عن نفسه) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ قُسيمٍ الحَمَويُّ في ذِكْرِ آلِ البَيْتِ :

ويدِ بآلِ مُحَمَّدٍ علقتْ مِنّي ، فلسْتُ بغَيْرِهِم أرضى .
جعَلَ الالهُ عَلَيَّ حُبَّهُمُ ، وعلى جميعِ عِبادِه ، فَرْضا .
فأثارَ ذلك مِنْ زَنادِقَةٍ حَسَداً ؛ فسمَّوْا حُبَّهُم رِفْضا !
وعَجِبْتُ ، هل يرجو الشفاعةَ من يَنْوي لآلِ مُحمّدٍ بُغْضا ؟

– وقال يمدح عِمادَ الدين زنكي لمّا ردّ الرومَ عَنْ شَيْزَرَ :

بِعزْمِكَ ، أيُّها المَلِكُ العظيمُ ، تَذِلُّ لكَ الصعابُ وتَستَقيمُ .
إذا خَطَرَتْ سُيوفُكَ في نُفوسٍ فأوّلُ ما يُفارِقُها الجُسومُ .
ولو أضْمَرْتَ لِلأنواءِ[1] حَرْباً لَمَا طَلَعَتْ – لِهَيْبَتِكَ – الغيومُ .
أيَلْتَمِسُ الفِرَنْجُ لَدَيْكَ حَرْباً وأنتَ بقَطْعِ دابِرِها زَعيمُ[2] !
فسَيْفُكَ من مَفارِقِهِمْ خَضيبٌ ، وذِكْرُكَ في مَواطِنِهِمْ عَظيمُ[3] .
رأيتُكَ والملوكُ لها ازْدِحامٌ ببابِكَ لا تَزولُ ولا تَريمُ[4] :
تُقَبِّلُ من رِكابِكَ ، كلَّ يَوْمٍ ، مَكاناً ليس تَبْلُغُهُ النجومُ :
تَوَدُّ الشمسُ لَوْ وَصَلَتْ إليهِ ؛ وأيْنَ مِنَ الغزالةِ[5] ما تَرومُ !
أردتَّ فَلَيْسَ في الدُّنيا مَنيعٌ ، وجُدْتَ فليس في الدنيا عَديمُ[6] .
وما أحْيَيْتَ فينا العَدْلَ حتّى أُميتَ بِسَيْفِكَ الزَّمَنُ الظَّلومُ .

وقال يَصِفُ ثَمَرَةَ الرُّمّانِ الناضجةَ إذا كُسِرَتْ :

ومُحْمَرَّةٍ من بَناتِ الغُصو نِ يَمْنَعُها ثِقْلُها أن تَميدا[7] ؛

---

(١) الأنواء : الآثار العلوية (بضم العين وسكون اللام) أي المظاهر الجوية (كالغيم والريح والمطر ، الخ) .
(٢) الدابر : الآخر . قطع الله دابرهم : أهلك الله آخر واحد منهم (استأصلهم) . الزعيم : الكفيل (الضامن) . وزعيم القوم : المتكلم باسمهم . دابرها (كذا في الأصل) : دابر الحرب (؟) لعلها : « دابرهم »
(٣) المفرق : منتصف الرأس . خضيب : مخضب (ملوث) بالدم (كناية عن القتل) .
(٤) زال : انصرف ، ذهب . رام يريم : تحرك (انتقل من مكان الى آخر) .
(٥) الغزالة : الشمس– الشمس لا يمكن أن تبلغ الى حيث هو (من الرفعة وعلو المنزلة).
(٦) منيع : محصن (مكان لا يمكن الوصول اليه) . عديم : فقير .
(٧) وثمرة حمراء من بنات الغصون (معلقة في غصن) يمنعها ثقلها أن تميد (لا يستطيع الهواء أن يحركها لثقلها وكبر حجمها) .

مُنَكَّسَةَ التاجِ في دَسْتِها [1] ... تَفوقُ الخُدودَ وتَحكي النُهودا .
تُفَضُّ فتَفْتَرُّ عن مَبْسِمٍ ... كأنَّ بهِ من عقيقٍ عُقودا [2] .
كأنَّ المُقابِلَ من حَبِّها ... ثُغورٌ تُقَبِّلُ فيها خُدودا [3] !

— ومن قصيدةٍ يمدحُ ابنُ قُسيمٍ الحَمَويُّ بِها مُعينَ الدين أُنُرَ ، في دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٥٤٢ هـ :

وكم لَيْلَةٍ عاطانِيَ الخمْرَ بَدْرُها ، ... ونادَمَني فيها الغَزالُ المُشَنَّفُ [4] .
ومُنْتَقِشٍ بالمِسْكِ وَشْيُ عِذارِه ... كماانْتَظَمَتْ في جانبِ الطِرْسِ أحْرُف [5]
وقد يَتَبادى لَفْظُه وَهْوَ أعْجَمٌ ، ... وقد يَتَقاوى خَصْرُه وَهْوَ مُخْطَفُ [6] .
أدقُّ مِنَ المَعْنى الغريبِ ، وفوقَه ... أرَقُّ من الماءِ المَعينِ وألْطَفُ [7] :
مَعانٍ مِنَ الحُسْنِ البَديعِ كأنّها ... خِلالُ مُعينِ الدينِ تُتْلى وتُوصفُ .
ومُسْتَصْغِرٍ لله كُلَّ عَظيمةٍ ، ... ولو أنّه مِنْها على الموت مُشْرِف .
كأنَّ المُلوكَ الغُرَّ حَوْلَ سَريرِهِ ... نُجومٌ على شَمْسِ الظَهيرةِ عُكَّف [7] .
فإن تَلْقَهُ تَلْقَ ابنَ هيجاءَ — دَهْرَهُ — ... يُريكَ عِنانَ الدَّهْرِ كيف يُصَرِّف [9] .

(١) الدست : المجلس في صدر البيت والكرسي الذي يجلس عليه صاحب المنصب . — تزيد على الخدود في احمرار اللون والجمال وتشبه النهود في الحجم والجمال . منكسة التاج ... = تكون ثمرة الرمان على الغصن وأعلاها إلى أدنى .

(٢) اذا فلقت الرمانة بدت كأنها فم فيه عقيق (حجارة كريمة حمراء — كناية عن الاسنان) .

(٣) .....

(٤) عاطاني الخمر : شرب معي (سقاني وسقيته) . بدرها = بدر الليلة (غلام جميل يشبه بدر السماء) . الغزال (المحبوب الجميل) المشنف : الذي يلبس شنوفاً (أقراطاً) في أذنيه (كناية عن صغر سنه) .

(٥) — بدأ الشعر ينبت في وجهه . المسك : مادة طيبة الرائحة سوداء اللون . الطرس : الورق (الابيض) . الوشي : التطريز ، التزيين . العذار : الشعر النابت في الوجه .

(٦) يتبادى لفظه (كلامه) : تظهر عليه فصاحة البادية . تقاوى (صيغة ليست في القاموس) : يظهر بمظهر القوي (يغلب العشاق ويستميلهم) . مخطف : ناحل ، رفيع (ضعيف) .

(٧) قسمات وجهه ذات جمال خفي كالكلمات الغريبة (القليلة الاستعمال) وفوقها جلد ناعم كالماء المعين (الصافي) .

(٨) الغر جمع أغر : أبيض (كريم الأصل ، عظيم) . سريره : عرشه . نجوم على شمس الظهيرة (وقت الظهر) عكف (واقفون حوله في دائرة) كناية عن ضئالة مقامهم بالنسبة اليه (نور النجوم لا يظهر في النهار لقوة نور الشمس) .

(٩) ابن هيجاء (محارب) — دهره (طول دهره) — . العنان : الزمام (بكسر الزاي) : الرسن .

سَخِيٌّ جريءٌ لَوْذَعِيّ كأنه إذا ما بدا غَيْثٌ ولَيْثٌ ومُرْهَفُ[1] .
وقد هتَفَ الداعي إلى الحَمْدِ باسمه ، وقام مُنادي النصرِ باسْمِكَ يَهْتِفُ .
تألّفَ شَمْلُ الدينِ عِنْدَكَ والعُلا ، وشَمْلُ العِدا والمالِ لا يَتألّفُ.

٤ - ** خريدة القصر (شعراء الشام) ١ : ٤٣٣ - ٤٨٠ ؛ الروضتين ١ : ٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١١٨ .

ابن الشجري

١ - هو أبو السعاداتِ هِبَةُ اللهِ بنُ عليّ بنِ محمّدِ بنِ حَمزةَ الحَسَنيُّ من نَسْلِ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالب ، ويُعْرَفُ بابنِ الشَجَريّ نِسبةً الى قريةٍ قُرْبَ المدينةِ اسْمُها الشجرةُ أو الى جَدٍّ من أجدادِه اسمه شَجَرَةُ (وفيات الأعيان ٣ : ١١٤) ؛ وفي معجم الأدباء أنّ أمَّه كانتْ من آلِ الشجري (١٩ : ٢٨٢) .

وُلِدَ ابنُ الشجريُّ في بَغْدادَ ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٤٥٠ (خريفَ ١١٥٨ م) وسَمِعَ الحديثَ من نَفَرٍ منهم أبو الحسنِ المباركُ بنِ عبدِ الجبّارِ الصَيْرفيّ وأبو علي محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ شِهابِ الكاتبُ وغيرُهما . أمّا الأدبُ فقرأه على أبي فضالِ المُجاشعي والخطيبِ التبريزيّ وأبي المَعْمَرِ بن طَباطبا العَلَويّ وغيرهم. ثم تَصدّرَ لإقراءِ النحوِ والأدبِ خاصّةً ، قيلَ أقرأ النحوَ سبعينَ سَنَةً .

وتولّى ابنُ الشجريّ نِقابةَ الطالبيّين نيابةً عن أبيهِ علي بن محمّدِ الطاهر ؛ وكانتْ وفاتُه في الكَرْخِ في ٢ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٢ (٩/ ٢/ ١١٤٨ م) .

٢ - كان ابنُ الشجريِّ فصيحاً حُلْوَ الكلامِ حَسَنَ البيانِ ، وهُوَ إمامٌ من أئمّةِ الأدب ؛ وله شِعْرٌ عاديٌّ من شعر العلماءِ قليلُ الرَّوْنَقِ . ولابنِ الشجريّ تصانيفُ منها: الأمالي (أكبرُ تآليفه، وهُوَ في فنونِ الأدبِ أملاه في أربعةٍ وثمانينَ مجلساً وختمه بمجلسٍ قَصَرَهُ على أشعارِ أبي الطيّبِ المتنبّي تكلّم فيه عليها وذَكَرَ ما قاله الشُرّاحُ فيها وزادَ من عندِه ما سَنَح له) - كتاب الانتصار (ردّ فيه على ابنِ الخشّابِ الذي كان قد انتقدَ كتابَ الأمالي) - كتاب الحماسة (ضاهى به حماسة أبي تمّام ، جمع فيه أشياء حسنة) - ديوانُ مختارِ شعراءِ العرب - ما اتّفقَ لفظُه واختلف معناه - شرح اللُمَعِ لابنِ جِنّيّ - شرح التصريف الملوكيّ .

---

(١) اللوذعي : الذكي الحاد الذهن الفصيح اللسان . كأنه غيث (مطر) في جوده وكرمه ، وليث (أسد) في شجاعته ، ومرهف (سيف قاطع) في الحزم وتصريف الأمور (؟) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من أمالي ابن الشجري (١ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨) :

الكلامُ ينقسم في المعاني ، عندَ بعض أصحابِ المعاني ، أربعةَ أقسام : خبَر واستخبار وطلب ودُعاء[1] . فالخبرُ أوسعُها ، وهو أن يُخبِرَ المتكلّمُ المُكَلَّمَ بما يُفيدُ معرِفتَه. والاستخبار أن يطلُبَ المستخبِرُ من المستخبَرِ (منه) بما ليس عنده. فأمّا الإخبار بلفظة «افعَلْ» ، فلا يخلو (من) أن يكونَ لِمَنْ دونَك أو لمن فوقَك أو لِنَظيرِك : فان كان لِمَنْ دونك سَمّيتَه أمراً ؛ وان كان لِنَظيرِك سمّيتَه مسألةً ؛ وان كان لمن هو أعلى منك سمّيتَه طَلَباً ؛ فإن كان لله سُبحانَه سمّيتَه سُؤالاً ودُعاء وطَلَباً . وإنّما اختلفتِ التَسْمِيَةُ لاختلافِ المُخاطَبِينَ بهذه اللفظةِ لأنّك تَستَقبِحُ أن تقولَ أمرتُ والدي كما تستقبحُ أن تقولَ سألتُ غلامي . والنَهْيُ بلفظة «لا تفعَلْ» هو عند قومٍ بمعنى الأمرِ ، لأنّك إذا قُلْتَ «نَهَيْتُهُ عن كذا» فقد أمرتَه بغيره . فإذا قُلتَ «لا ترحَلْ» فكأنّك قلت «أقِمْ» ، وإذا قلتَ «لا تَصُمْ» فكأنّك قلت «أفطِرْ» . وكذلك إذا أمرتَه بشيءٍ فكأنّك نَهَيْتَه عن نَقيضِه : فإذا قُلْتَ له «ارحَلْ» فكأنّك قلت «لا تُقِمْ» ، وإذا قلت «صُمْ» فكأنّك قلتَ «لا تُفطِرْ». وهما[2] عند آخَرِينَ مَعنَيانِ كلُّ واحدٍ منهما قائمٌ بنفسِه وانْ اشتركا في بعضِ المواضع .

٤ ـ ديوان الحماسة ـ كتاب حماسة ابن الشجري (حرّره فريتز كرنكو) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٥ هـ .

ديوان مختار شعراء العرب (حرّره محمود الزناتي) ، مصر (طبع حجر) ١٣٠٦هـ؛ مختارات ابن الشجري ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٢٥م .

الأمالي ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٩ هـ ؛ = الأمالي الشجرية ، القاهرة .

** معجم الادباء ١٩ : ٢٨٢ ـ ٢٨٤ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١١١ ـ ١١٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٨٧ ـ ٣٩٠ (منقول من وفيات الاعيان) ؛ بغية الوعاة ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٣٢ ـ ١٣٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٢ ، الملحق ١ : ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٤ ، الاعلام للزركلي ٩ : ٦٢.

---

(١) ينقسم أربعة أقسام : خبراً واستخباراً ، الخ (بدل من أربعة : مفعول فيه) ويجوز أن تكون أربعة أقسام : خبر واستخبار الخ (بالجر ، بدل أقسام التي هي مضاف اليه) .

(٢) أي الأمر والنهي .



الأرجاني

١ – هو القاضي ناصحُ الدينِ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بن الحسينِ الأرجاني ، نِسْبَةً الى أرجانَ (بتخفيف الراء وتشديدها) وَهِيَ بلدةٌ في خُوزستانَ . يَرْجِعُ أصلُ الأرجانيِّ الى الأنصارِ (أهلِ المدينة) . وقد كان مولدُه في شيرازَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م).

«كان الأرجانيُّ في عُنْفوان عُمُرِه بالمدرسةِ النظامية في إصبهانَ» (وفيات الاعيان ١ : ٨٣) . وقد تولّى القضاء في خوزستانَ : تارةً في تُسْتُرَ وتارةً في عسكر مُكْرَمٍ ، نابَ في القضاء عن ناصرِ الدين أبي محمّدٍ عبدِ القاهرِ بنِ محمّدٍ ثمّ عن عمادِ الدين أبي العَلاء رجاء.

ومات الارجانيّ في ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٤٤ (تموز – يوليو ١١٤٩ م) في تُسْتُرَ ، وقيل في عسكر مكرم .

٢ – الارجانيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ لم يَصِلْ إلينا من شعره الاّ نحوُ عُشْرِه . وشعرُه سهلٌ رائق رقيقُ النسجِ واضح المعاني . غيرَ أنّ أكثرَ شعرِه المديحُ والفخر ويَغْلِبُ عليهما المتانةُ والنَفَسُ العَرَبي القديم . وله أشياءُ من الحكم .

٣ – مختارات من شعره

– قال الأرجاني في المشورة :

شاوِرْ سِواكَ ، إذا نابَتْك نــائبةٌ   يوماً ؛ وإنْ كُنْتَ من أهل المَشوراتِ .
فالعينُ تُبْصِرُ منها ما دَنــا ونأى ؛   ولا تَــرى نَفْسَها إلاّ بمرآة !

– وقال في الشكوى من الدنيا ومن الناس :

لا عارَ ان عَطَلَتْ يَداي من الغنى ؛   كم سابقٍ في الخيل غيرُ مَحَجّلِ[1] !

---

(١) سابق : حصان يسبق الخيل (في يوم الرهان) . التحجيل بياض في قوائم الفرس ، فوق الحافر ، وفيه أحوال مختلفة أحسنها أن يكون الفرس محجل القائمتين الخلفيتين والقائمة الامامية اليسرى : محجل الثلاث مطلق اليمين . والتحجيل يدل على كرم أصل الفرس . – يقول الشاعر : قد يسبق الفرس ولو لم يكن محجلا . وكذلك قد يفضل الانسان غيره ولو لم يكن غنياً .

صانَ اللئيمُ – وصُنْتَ وجْهيَ – مالَه دوني ، فلم يَبْذُلْ ولم أتبَذّلِ[1].
ذَهَبَ الذين صَحبتُهم فوَجدتُهم سُحب المؤمّــل أنجم المتأمّــل[2].
وبُليتُ بعْدَهُمُ بــكلّ مُذَمّمٍ : لا مُجْمِلٍ طبْعاً ولا متَجَمّلِ[3].
فلقد دُفعْتُ إلى الهمومِ ، تَنوبُني منها ثلاثُ شَدائدٍ جُمّعْنَ لي :
أسَفٌ على ماضي الزمانِ ، وحيْرَةٌ في الحالِ منه ، وخَشية المُستَقْبل .
ما إنْ وَصَلْتُ الى زمان آخرٍ إلاّ بَكَيْتُ على الزمــان الاول !

٤ – ديوان الارجاني (تصحيح الشيخ أحمد عبّاس الازهري) ، بيروت ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ؛ (تصحيح الشيخ عبد الباسط الانسي) ، بيروت (مطبعة جريدة بيروت) ١٣٥٧ هـ .

** وفيات الأعيان ١ : ٨٣ – ٨٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٣٧ – ١٣٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٦٥٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٩ .

ابو علي بن الأخوة

١ – هو أبو عليٍ الفرَجِ بنُ محمّدِ بنِ الأُخُوَّةِ المؤدّبُ البَغْداديُّ ، يبدو أنّه اشتغلَ بالتأديبِ (التعليم) ثم حاولَ التكسُّبَ بشعرِه فلم ينَلْ به مَنالاً . وكانتْ وفاتُه في رابعَ عشَرَ جُمادى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٥٤٦ (٢٨/ ٩/ ١١٥١ م) .

٢– أبو عليٍّ بنِ الأخوّةِ شاعرٌ وناثرٌ رائقُ المَعاني سَلِسُ الأُسلوبِ شِعرُه يدور على المدح والهجاء والغزل والنسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال أبو عليٍّ بنُ الأُخُوَّةِ في الشَباب والشَيْب :

خُذْ من شَبابِكَ نوراً تَستضيءُ بهِ ؛ فالشَيْبُ إصْباحُه في اللهو إمســاءُ .
العُمْرُ عَينانِ : عينٌ منــه مُبْصِرَةٌ مَعَ الشبابِ ، وعينٌ منه عمياء[4].

(١) – هو لم يبذل (لم يعطني) ، وأنا لم أتبذل (لم أذل نفسي بسؤاله) .
(٢) سحب المؤمل : كرماء يعطون بلا سؤال . أنجم المتأمل : يهتدي بهم كل من اقتدى بهم .
(٣) مذمم : مذموم ، سيء . لا مجمل طبعاً ولا متجمل : ليس ذا خلق كريم ولا هو يتظاهر بالخلق الكريم .
(٤) عمياء في الشيخوخة .

وربَّ ليلٍ مريضٍ كنت صحبتَه عزّت أواسيه أو عزّتْهُ أدْواء[1] ؛
يسيرُ فيه وفي قلبي أذًى وضنًى ، كأنّني دَلَجٌ والسُوءُ إسراء[2] ،
والشُهْبُ ثغرٌ ، وآفاقُ الظلام فمٌ ، والقَذْفُ لَفْظٌ ، وضوء الماء سَحْناء[3]
حتّامَ عينُكَ لا تنفكُّ جاريةً ماءً ، ومُقلتُها بالبرق قَمْراء ؟
تَضَرَّمَ البرقُ فيها وَهْيَ باكيةٌ ، كأنّها قَبَسٌ من حَوْلِهِ ماء[4] !

— وله في النسيب والغزل :

نعَمْ ، هذهِ الدارُ والأنْعُمُ ؛ أتُنْجِدُ ، يا قلبُ ، أم تُتْهِمُ[5] ؟
وقدْ يستفيقُ هوىً لا يُفيقُ ؛ ويَشْقى الفتى مِثْلَما يَنْعَمُ .
وَقَفْنا وقدْ ضرعَتْ لِلنَّوى مدامعُ لو أنّها تُرْحَمُ[6] .
وفوقَ الرِكابِ غُلاميَّةٌ كما ذُعِرَ الشادِنُ المُرْجَمُ[7] .
تُصابِحُ رَوْضاً كأنَّ الحَبيـ ـرَ والوَشْيَ من حَوْكِهِ يُرْقَمُ[8] .
بَكَتْ لُؤلؤاً كاد — لو أنّه تَماسَكَ في جِيدِها — يُنْظَمُ[9] .

---

(١) ليل مريض : مظلم ؛ حزين . عزت (قلت) أواسيه (أطباؤه — القادرون على السهر فيه أو على المرح) أو عزته (غلبته — غلبتني فيه) أدواء (أمراض ، مصائب) .

(٢) فيه أذى لي وفي قلبي ضعف عن الاحتمال . الدلج : السير في أول الليل (والشاعر يقصد مدلج : سائر في الليل) . السوء : الشر . اسراء : سير في الليل (أقضي ليلي في ألم) .

(٣) الشهب : النجوم . القذف : الرجوم (الحجارة المتساقطة من جو السماء !) ...

(٤) ... — كأن عينك قبس (قطعة من نار — كناية عن احمرارها من الحزن والبكاء) . من حولها ماء (نار غارقة في الماء — وهذا عجيب) .

(٥) الأنعم : الانعام (الغنم والجمال) التي أعرفها في دار المحبوبة . اتنجد (أتصعد الى هضبة نجد) أم تتهم (تنزل الى ساحل تهامة) — كناية عن أن قلبه حائر مع أن المحبوبة معروفة .

(٦) ضرعت (بفتح الضاد والراء ، أو بفتح الضاد وكسر الراء) أدمع (ذلت) كثر سيلانها . للنوى : من البعاد والفراق .

(٧) وفوق الركاب : على الابل (مسافرة) غلامية (فتاة تشبه الغلام بصغر السن والنشاط) . ذعر : خاف وهرب . الشادن : الغزال الصغير . المرجم : الذي رمي بحجر .

(٨) تصابح روضا : تصل اليه في الصباح . الحبير : الثوب الناعم الذي فيه وشي (تزيين) . الحوك : الحياكة ، النسيج . ترقم : تجعل فيه علامات للزينة .

(٩) لؤلؤ (كناية عن الدمع) . الجيد : العنق .

وشتّانَ ما بَيْنَنا في البُكا : ودَمْعُكَ ماءٌ ودمعي دَمُ .
فقال الهوى لدواعي الغَرا مِ : إنّ بنا هَلَكَ المُغْرَمُ[1] .
من الرَكْبِ تَلْوي سِناتُ الكَرى رِقابَهُمُ كلّما هَوّموا[2] ؛
يُناجونَ بالمُقَلِ الفاترا تِ سَماءً مسامِعُها الأنجُمُ[3] .
يَقُصّونَ من لَفَظاتِ الجُفو نِ أحاديثَ لو أنّها تُفْهَمُ[4] !

٤ - * الخريدة (العراق) ٢ : ١٨٦ - ١٩٤ .

ابن منير الطرابلسي الرفاء

١ - هو عَيْنُ الزمانِ مُهذّب الدين أبو الحسين أحمدُ بنُ مُنيرِ بنِ مُفْلِحٍ الطَرَابُلُسي الرَفّاء[5] ؛ كان أبوه يُنْشِدُ الأشعارَ ويُغنّي في أسْواقِ طَرابُلُسِ الشامِ .

وُلِدَ أحمدُ في طرابُلُسَ ، سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) ونشأ فيها فَحَفِظَ القُرآنَ وتلقّى علومَ اللغة والادب وبرع في الشعر . ثم إنه انتقل إلى دِمَشْقَ ، ولعلّه فعل ذلك حينما حاصر الافرنج (الصليبيون) طرابلسَ ، سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) أو بعدَ أن سَقَطَتْ في أيديهم بعدَ سبعة أعوام . وكان ابن منير شيعياً غالياً فتعرض لشاعرِ الشام ابن القَيْسراني ولِنَفَرٍ من أعيانها بالهجاء المُرّ فَسَجَنَهُ تاجُ الملوك بُوري صاحب دِمشق ، سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٩ م) في الأغلب ، مدة ثم أبعده عن دمشق . فلمّا جاء إسماعيل بن بوري ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) سَمَحَ لـه بالعودة ثم عاد فغضب عليه . فاختفى ابن منير حيناً في شَيْزر وحَماة ، ثم أقام في حلب وتوفّي فيها في جُمادَى الآخرة ٥٤٨ هـ (أيلول - سبتمبر ١١٣٥) .

٢ - لابن منير نَثْرٌ مُعقّدٌ بالصناعة ، ثم هُوَ شاعر مُكْثِرٌ على شيء من الإجادة

---

(١) الداعية : السبب ، المثير . ان بنا (انه بنا) .

(٢) الركب : الجماعة في قافلة واحدة . تلوي : تميل ، تحني . السنة (بكسر السين وفتح النون) : الغفوة ، النعاس والنوم . الكرى النوم . هوم الرجل : مال رأسه من النعاس .

(٣) يناجون : يخاطبون بصوت منخفض . بالمقل (بالعيون) الفاترات (الناعسات) . - يخاطبون النجوم ويبثونها أسرارهم .

(٤) - ان جفونهم (عيونهم) تقص أحاديث تامة ولكن لا يفهمها كل انسان .

مَعَ تَكَلُّفِ الصَّنْعة وخُصوصاً فيما يتعلّق بالإشارات النَحْوية والفِقهية . وفي بعض شعره سُخْف وإقذاع . وأحسنُ فنونهِ وأوسَعُها الهِجاء والغَزَل. وله وصف واخوانيات وشيء من الحماسة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ منيرٍ الطرابلسيُّ في الغزل :

ويلي من المُعْرِضِ الغَضبانِ إذْ نقل الـ واشي اليه حديثـاً كلُّه زور .
مُقَصَّرُ الصُدْغِ مَسْبُولٌ ذُؤابتُه ؛ لي منه وَجْدانِ : مَمْدودٌ ومَقْصور[1].
سَلَّمتُ فازورَّ يَزْوي قَوْسَ حاجبِـه كأنني كأسُ خَمْرٍ وهْوَ مخمور[2] !

– وقال في هَجْر الموطن اذا خَمَلَ الانسانُ في موطنه :

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نَزيلَه في بلدةٍ ، فالحزم أن يَتَرَحّـلا .
ساهَمْتَ عِيسَك مُرَّ عَيْشِكِ قاعداً ، أفَلاَ فَلَيْتَ بِهِنَّ ناصيةَ الفَلا[3] ؟
لا تَرْضَ من دُنياكَ ما أدْناكَ مِـنْ طَمَعٍ ، وكُنْ طَيْفاً جَلا ثمّ انْجلى[4].
فارِقْ تَرُقْ ، كالسيفِ سُلَّ فبـانَ في مَتْنَيْه ما أخْفى القِرابُ وأخْملا[5] ،
وَصِلِ الهَجيرَ بهَجْـرِ قومٍ كلّما أمْطَرْتَهُم عَسَلاً جَنَوْا لك حَنْظلا[6]

٤ – ** الخريدة (الشام) ١ : ٧٧ – ٩٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٦ – ٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٤٦ – ١٤٧ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٣١ – ٢٣٧ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧، الملحق ١ : ٤٥٥ ؛ زيدان ٣ : ٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٤٥ .

---

(١) مقصر الصدغ (شعره من جانبي رأسه قصير) مسبول ذؤابته (له ضفيرة طويلة في قفا رأسه) .

(٢) الوجد : الحب . ممدود : طويل . مقصور : مقصور عليه وحده (لا أحب أحداً معه) .

(٣) – شاركت عيسك (نياقك ، ابلك) العيش المر (الفقر) وأنت قاعد في بلدك . هلا فليت (قطعت) بها (بعيسك) ناصية (جبهة ، ظهر) الفلا (جمع فلاة : الارض الواسعة) : هلا سافرت في طلب الرزق .

(٤) أدناك : قربك . الطمع هنا (البقاء طويلا على أمر واحد) . الطيف : الخيال ، المنام . جلا : ظهر . انجلى : انجاب ، ذهب ، اختفى .

(٥) فارق : اترك (أرضك وأهلك) ترق (تصبح رائقاً : جميلا) . سل السيف : جرده من قرابه (غمده) . بان : ظهر . متن السيف : ظهره (وهنا صفحتاه) .

(٦) – اترك الناس الذين يكرهونك ولو في الهجير (وقت الظهر – وهو وقت يكره فيه السفر لشدة الحر فيه) . جنوا لك : قطفوا لك (قدموا لك) . الحنظل : نبات مر.

ابن القيسراني الشاعر

١ – هو شَرَفُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ شاغربنداغرِ المشهورُ بابن القَيْسرانيِّ ، وُلِدَ في عكّا (فِلَسْطين) سَنَةَ ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م) ونشأ في قَيْسارية . ولمّا استولى الإفرنجُ (الصَّليبيون) على قَيْسارية (٤٩٤ هـ=١١٠١ م) هاجر آلُ القَيْسرانيّ إلى دِمَشْقَ . ثم قرأ الأدب على توفيق بنِ محمدِ الدمشقيّ وعلى ابنِ الخيّاطِ الشاعرِ ؛ وكان يتولّى إدارة الساعاتِ في دِمَشْقَ . ثم سَمِعَ (الحديث ؟) في حَلَبَ من الخطيبِ أبي طاهرٍ ومن هاشم بنِ أحمدَ الحلبيّ.

هجا ابن القيسراني تاج الدين بوري صاحبَ دِمَشْقَ ثم هَرَبَ الى حَلَبَ . وله مدح في نورِ الدين زَنْكي . وكذلك ذهب الى المَوْصِلِ ومَدَحَ صاحبها جَمال الدينَ محمّداً . ثم رأيناه (٥٤٠ هـ) في أنطاكيةَ . وكانتْ وفاتُه في دِمَشْق في ٢١ شَعبانَ ٥٤٨ (١٢/ ١١ / ١١٥٣ م) .

٢ – ابنُ القَيْسراني أديبٌ متفنّن وشاعرٌ مُجيدٌ ، وهو أرفع مقاماً من مُعاصِرِه ومنافِسِه ابنِ مُنيرِ الطَرَابُلُسيّ (وقد كان بَينهما من المُنافسة في التكسّبِ والمناقَضَة في الشعر مِثلُ ما كانَ بينَ جريرٍ والفَرَزْدقِ) . وديوانُه كبيرٌ ، وشِعْرُه سهلٌ رقيقٌ عليهِ نَفْحةٌ دينيةٌ برُغْم أنه مُشْبَعٌ بالصِناعة . وأكثرُ فنونِه المديح والوصف والغزل .

٣ – مختارات من شعره

–كان الافرنجُ (الصليبيّون) قد أقاموا إمارةَ الرُها فاصلاً بين العراق والشام (سورية) ، وكانت تلك الإمارة تُعَدّ الدعامةَ الاولى للاحتلال الفرنجيّ . وبدأ الملكُ العادلُ نورُ الدين محمودٌ يفتح بُلْدانَ تلك الامارة وحصونَها واحداً واحداً حتّى تمّ له الاستيلاء عليها كلّها سنة ٥٤٦هـ (١١٥١ م) وأخذ أميرَها جوسلين الثاني أسيراً مقيّداً بالسلاسل ؛ فمدح ابنُ القيسراني الملكَ العادلَ بقصيدةٍ طويلةٍ جاء فيها :

صَدَعْتَهُمُ صَدْعَ الزُجاجة لا يَدٌ ... لجابِرِها ؛ ما كُلّ كَسْرٍ له جَبْرُ[1] .

(١) صدعتهم : شققتهم ، قطعتهم (هزمت الافرنج الصليبيين) . لا يد لجابرها : لا يستطيع أحد أن يعيد الزجاج اذا تشقق الى حاله الاولى.



فلا يَنْتَحِلْ من بعدِها الفخرَ دائلٌ ؛ فمَن بارزَ الإبْرِنْزَ كان له الفخر[١] .
ومن بزّ أنطاكيّةً من مَليكِهـا أطاعتْه ألحاظ المُوَلّلَة الخُزْر[٢] .
أتى رأسه رَكضاً وغُـودِرَ شِلْوُه ، وليسَ سوى عافي النُسور له قبر[٣] ؛
كما أهْدَتِ الأقدارُ للقُمْصِ أسرَه ؛ وأسعدُ قِرْنٍ من حواه لك الأسر[٤].
وقد أصبح البيتُ المُقَدّسُ طاهراً ، وليس سوى جاري الدِماء له طُهْر[٥].
وقد أدّتِ البِيضُ الحِدادُ فروضَهـا ؛ فلا عُهْدَةٌ في عُنْقِ سيفٍ ولا نَذْر[٦].
وصلّتْ بمِعراج النبيّ صـوارمٌ مَساجِدُها شَفْعٌ وساجِدُها وَتْر[٧].
وان تَتَيَمّمْ ساحلَ البحرِ مالكاً ؛ فلاعَجَبٌ أنْ يَمْلِكَ الساحلَ البَحْرُ[٨].

— سمع ابن القيسراني يوماً مغنّياً محسناً في غنائه فقال :

واللهِ ، لو أنْصَفَ الفِتيـانُ أنْفُسَهم أعْطَوْكَ ما ادّخروا منها وما صانوا ؛
ما أنت ، حينَ تُغنّيهم وتُطْرِبُهُمْ ، الاّ نسيمُ الصَبا والقومُ أغصـانُ !

---

(١) الدائل : الذي يأخذ بثأره من خصمه . إنك قد حزت الفخر كله لما بارزت الابرنز (الامير = تعريب الكلمة الفرنجية اللاتينية Princeps : الرأس الاول) .

(٢) كان نور الدين قد استولى أيضاً على أجزاء من امارة أنطاكية . أطاعته ألحاظ المؤللة الخزر (؟)

(٣) أتى رأسه ركضاً : تدحرج رأسه (قتل في المعركة). غودر : ترك (بالبناء للمجهول) . الشلو : الجسد المقطوع ، قطعة الجسد الباقية على أرض المعركة . عافي النسور : النسر الذي يأتي اليك (أيها الملك العادل نور الدين) عافياً (طالباً عطاءك) .

(٤) القمص = الكونت (أمير الرها جوسلين الثاني) . القضاء والقدر : العناية الالهية أهدته اليه (أكرمته) ، جعلته أسيرك (والعادة أن خصومك يقتلون في المعركة).

(٥) انك طهرت البيت المقدس (القدس) بالدماء (باستمرار الحرب لاستردادها — وان لم تستردها الى الآن) .

(٦) السيوف قد قامت بواجبها ووفت بنذورها لأنها صدقت الحرب في سبيل استرداد القدس .

(٧) وصلت (كناية عن الجهاد الذي هو فرض في زمن الحرب كالصلاة) . معراج النبي (المكان الذي أسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم اليه : القدس) . مساجدها : أماكن الصلاة فيها (المعارك) . شفع : زوج (هنا المقصود : متعددة الأماكن) وساجدها وتر : واحد (إما أن يكون المقصود أن القائد البطل الذي يحارب في جميع هذه المعارك واحد هو أنت ، أو : ان جميع المحاربين في هذه المعارك مسلمون ايمانهم واحد) . — والكنايات في الابيات الثلاثة غامضة .

(٨) تيمم : تقصد . ساحل البحر : ساحل الشام ، الشاطئ الفلسطيني . مالكاً : في سبيل امتلاكه واسترداده من الافرنج الصليبيين . في « البحر » (في القافية) تورية : البحر هو المجتمع العظيم من الماء ، وهو طبعاً يسيطر على ساحله (ولولا البحر لما كان هنالك ساحل ؛ والبحر هو الرجل الكريم (يستطيع بماله وبذله أن يمتلك الساحل) .

– لمّا دخلَ ابن القيسرانيُّ أنطاكيةَ، وكانت بيدِ الإفرنجِ، أكثرَ من التشبيب بالفرنجيّات فقال في احداهنّ يُشبّه زُرْقَةَ عيونِها بِنَصْلِ الرمح :

لقد فَتَنَتْني فَرَنْجيَّةٌ نَسيمُ العَبيرُ بها يَعْبَقُ :
ففي ثوبِها غُصْنٌ ناعمٌ، وفي تاجِها قَمَرٌ مُشْرق.
وان تك في عَيْنِها زُرْقَة، فانّ سِنانَ القَنا أزْرقِ !

– وقال يمدح عماد الدين زنكي :

فيا ظَفَرًا عَمَّ البِلادَ صَلاحُهُ بمن كان قد عمّ البلادَ فسادُه[1] :
فما مُطْلَقٌ إلاّ وشُدّ وَثاقُه، ولا مُوثَق إلاّ وحُلّ صِفاده[2] ؛
ولا مِنبَرٌ الا تَرَنّح عُودُه، ولا مُصْحَف إلاّ أنار مِداده[3] .
الى أينَ، يا أسْرى الضَلالةِ بعدَها ؟ لقد ذلّ غاويكم وعزّ رَشاده[4] .
رويْدَكُمُ، لا مانعٌ من مُظَفَّرٍ يُعانِدُ أسبابَ القضاء عِنادُه[5] .
فقلْ لملوكِ الكُفْرِ تُسْلِمُ بعدَها ممالكَها ؛ إن البلادَ بِلاده !
فمن كان أملاكُ السموات جُنْدَه، فأيُّ بِلادٍ لم تَطَأها جِياده ؟
سَمَتْ قِبلةُ الإسلامِ فخراً بطَوْله، ولم يَكُ يسمو الدينُ لولا عِمادُه[6] !

٤ – صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ، تألـيف الدكتور محمود إبراهيم ، دمشق (المكتب الاسلامي) وعمّان (مكتبة الأقصى) ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م
الخريدة (الشام) ١ : ٩٦ – ١٦٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٦٤ – ٨١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٩ – ٣٩١ ؛ ابن الأثير ١١ : ١٤٤ – ١٤٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٥٠ – ١٥١ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٣٧ – ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٣٤٧ .

---

(١) ظفر الذي عم البلاد صلاحه (عماد الدين) بالذي كان قد عم البلاد فساده (بالصليبيين) – انتصر عليهم .
(٢) – فكل حر من الافرنج شد وثاقه (أصبح أسيراً) ، وكل موثق من المسلمين (مقيد ، أسير) حل صفاده (قيده) : أصبح حراً طليقاً .
(٣) المصحف : مجموع الاوراق المجلدة اذا كان مكتوباً فيها القرآن الكريم . المداد : الحبر .
(٤) عز : قل .
(٥) – تمهلوا. لا يحميكم من عماد الدين شيء . ان الذي يعاند عماد الدين زنكي فكأنما يعاند أسباب القضاء والقدر (لأن الله أراد انتصار عماد الدين عليكم) .
(٦) بطوله : باقتداره ، بفضله . ولم يك يسمو الدين لولا عماده (في هذا الشطر تورية : عماد الدين : العمود الذي نصب عليه الدين – كالعمود الذي تنصب عليه الخيمة ؛ عماد الدين : عماد الدين زنكي) .

ابو الفضل بن الإخوة

١ ــ هو أبو الفضل عبدُ الرحمن[١] بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الاخوة[٢] العطّار، سَمِعَ (الحديثَ) من أبي الفوارس طِرادِ الزَّينَبي وأبي الخطّاب نَصْرِ بنِ البطر وغيرِهما. ثمّ أنّه سافر الى خُراسان في طَلَب الحديث فسَمِعَ من جماعة في نَيْسابورَ والريِّ وطَبَرِسْتانِ وإصبهانَ، كما قرأ شيئاً كثيراً على نفسه. وكان يكتُبُ خطّاً جميلاً وينسَخُ الكُتُبَ.

وكانت وفاتُه في شيرازَ، سَنَةَ ٥٤٨ هـ (١١٥٣ ــ ١١٥٤ م).

٢ ــ أبو الفضلِ بنُ الأخوة مُحَدِّثٌ في الاصل ثمّ كانتْ له معرفةٌ بالأدب كما كان يَنْظِمُ شعراً يُسْتَغْرَبُ مثلُه من العُلماء، ومن المُحَدِّثين خاصةً، لما فيه من السليقةِ والرَّشاقةِ والسُّهولة والعُذوبة.

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو الفضلِ بن الاخوة في الناس:

ماالناسُ ناسٌ، فسَرِّحْ ان خلَوْتَ بهم؛	فأنت ــ ما حَضَروا ــ في خَلْوةٍ أبدا[٣].
ولا يَغُرَّنْكَ أثوابٌ لَهُمْ حَسُنَتْ،	فليس مَنْ تَحتَها في حُسْنه حُمِدا[٤].
القِردُ قردٌ ولو حَلّيْتَهُ ذَهَباً،	والكلبُ كلبٌ وإنْ سَمَّيْتَه أسدا[٥]!

ــ وقال في شبابه الماضي:

أنفقْتُ شَرْخَ شبابي في دِيارِكُمُ،	فما حَظِيتُ ولا أنقدت إنفاقي[٦].
وخيرُ عُمْري الذي وَلّى وقد وَلِعَتْ	بهِ الهُمومُ، فكيفَ الظنُّ بالباقي[٧]؟

---

(١) قال محمد محيى الدين عبد الحميد في طبعته من كتاب «فوات الوفيات» (١ : ٥٥٧، الحاشية): «وما أظن اسمه الا عبد الرحيم لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل (واحد) منهم عبد الرحيم.

(٢) ضبطها محمد محيى الدين عبد الحميد بكسر الهمزة. راجع أيضاً، فوق، ص ٢٩١.

(٣) سرح: اقض حاجتك (من بول و براز).

(٤) ــ ليس الذي يلبس هذه الثياب الحسنة محموداً (حسن الاخلاق).

(٥) حليته: جعلت له حلية (بكسر الحاء): زينة.

(٦) شرخ الشباب: عنفوانه، قوته، أحسنه. ولا أنقدت أنفاقي: ما تبصرت في طرق انفاق عمري (كنت مسرفاً في حياتي الجسدية).

(٧) ولعت به الهموم: أحبته ولزمته (كثرت همومي).

– وقال في النسيب :

ولمّا التَقَى للبَيْنِ خدّي وخدُّها تلاقى بَهارٌ ذابلٌ وجَنَى وردِ[1] ؛

ولَفّتْ يدُ التوديعِ عِطْفي بعِطْفِها كما لَفّتِ النّكباءُ مائِستَيْ رَنْدِ[2] .

وأجرى النَوى دَمْعي خِلالَ دُموعِها كما نُظِمَ الياقوتُ والدُرّ في عِقْدِ[3] .

وولّتْ وبي من لَوْعةِ الوَجْدِ ما بها ، كما عندَها من حُرْقَةِ البَيْنِ ما عندي !

٤ ـــ فوات الوفيات ١ : ٣٤١ ـ ٣٤٢ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٦٥ .

فضل الله الراوندي

١ ـ هو ضياءُ الدينِ أبو الرضا فضلُ اللهِ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الله الحَسَنيّ الراوندَيُّ القاسانيّ (القاشاني) ، أصلُه من راوَنْدَ ، قُرْبَ قاشان (كاشان) ، على ثلاثينَ فرسخاً من أصْفهانَ .

سكن فضلُ الله الراونديُّ قاشانَ وأنشأ فيها مدرسةً عظيمةً سمّاها المدرسةَ المَجْديّة وتَصَدّر للتدريس فيها (ص : كب) . غيرَ أنّ هذا لا يتّسِقُ وما جاء في ديوانه من المدائح ، وخصوصاً ما ذَكَرَ هو بخطِّه في ديوانه عن صِلته بالوزيرِ أنوشروانَ[4] : « أيِستُ من عائدة نفعه بعدَ أن لازمت بابه ثمانيةَ أشهُرٍ وخَبَطْتُ الثلوجَ المتراكمةَ في أصْفهانَ ـ وكانتْ سَنَةً ثَلِجَةً ـ . ومن أصعبِ ما شقّ عليّ في مُعاملته ما كنتُ أُدِلّ به وأمُدُّ عُنُقَ الرجاء ..... فلم أنصرفْ منه الاّ باليأس » .

---

(١) البين : الفراق ، البعاد ، التوديع . البهار : زهر أصفر . جنى ورد : ورد جني : ناضر ، رطب ، جديد .

(٢) العطف : الجانب الأعلى من الجسم ، الكتف . النكباء : الريح التي تهب من جهات متعددة في وقت واحد . الرند : شجر طيب الرائحة . المائسة : (الشجرة) التي تحركها الريح .

(٣) النوى : البَعد ، البعاد ، الفراق . خلال دموعها : ممتزجة بدموعها . ـ كما جمع الياقوت (الأحمر ، كناية عن دمعي الذي يشبه الدم) والدر : اللؤلؤ (الابيض ، كناية عن دمعها الصافي) .

(٤) ديوان .... فضل الله الراوندي . جاء فضل الله الراوندي ، سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) ومدح أنو شروان ابن خالد بن محمد الذي كان قد تولى الوزارة للسلاجقة وللعباسيين (٥٢١ – ٥٢٢ هـ) . ويبدو أنه عزل ثم أعيد (في أثناء ذلك أو بعد ذلك) . وكانت وفاته سنة ٥٣٢ هـ . وهنالك حاجة الى التوفيق بين وجود أنو شروان في أصفهان ، سنة ٥٢٢ هـ ، وبين توليه الوزارة للمسترشد العباسي ، في بغداد ، في رجب ٥٢٢ (تموز ـ يوليو ١١٢٨ م) . ثلجة : باردة كثيرة الثلج .

وكانت وفاةُ فضلِ الله الراونديّ نحوَ سَنَةِ ٥٥١ هـ (١١٦٥ م) .

٢ ـ كانَ فضلُ اللهِ الراوَنْديُّ بارعاً في الأُصول والفقْه ، وكانت له مشاركةٌ في العلوم العقْلية وفي الرياضيّاتِ : كانَ له ابنٌ اسمُه أحمدُ فقال مُلْغِزاً في اسمِه :

أقبلَ كالبدرِ في مَدارِعِـهِ ... يُشْرِقُ في السعدِ من مَطالعه[1] .
أوّلُه رُبْـعُ عُشْرِ ثـالثهِ ؛ ... ورُبْعُ ثـانيهِ جِذْرُ رابعـه[2] .

وكان شاعراً ناثراً مُتَرسِّلاً . وشعره مدحٌ في الأكثر ورثاءٌ ووصفٌ وغزَل ونسيب وأدَبٌ (حكمة) . ومَعَ أنّ شعرَه متينُ السبكِ صحيحُ الأسلوبِ كثيرُ المعاني ، فإنّ الرونقَ عليه قليلٌ لغَلَبَةِ التكلّفِ في تَطَلُّبِ المعاني والصناعة عليه . ومَعَ ذلك فإنّ له أشياء بارعةً .

ولفضل الله الراونديّ كُتُبٌ منها : الكافي في التفسير ـ تفسير كلام الله المجيد (لم يُتِمّهُ) ـ الطِراز المُذْهب في إبراز المَذْهب ـ مُقاربة الطيّة الى مقارنة النيّة ـ ضوء الشهاب في شرح الشهاب ـ الكافي في علم العَروض والقوافي ـ نظم العَروض ـ الطِبّ الرَضَويّ ـ غَمام الغموم ـ مُزْنُ الحُزْنُ ـ مجمع اللطائف ومنبع الظرائف ـ نثر اللآلي لفخر المعالي ـ غُنْية المغنّي ومُنْية المتمنّي ـ كتاب الحسيب النسيب للحسيب النسيب (وهو ألف بيت في الغزل والتشبيب) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال فَضْلُ اللهِ الراوَنْديُّ في مطلعِ قصيدةٍ يرثي بها ابنَه الوَصيَّ شهابَ الدين أبا الحسن محمّداً ، وفيها شيءٌ من التأمّل في الحياة :

رَقَدْتَ ، ودَهرُكَ لا يَـرقُدُ . ... وقد فاتَ من عُمْرِكَ الأرْغَدُ[3] .
عذيرُك مـن أملٍ كـاذبٍ ... مُحالٍ له الدهرُ مُستَعْبِدُ[4] .

---

(١) المدرعة (بكسر الميم) والدراعة (بضم الدال وتشديد الراء) ثوب من صوف (يلبسه العلماء) .

(٢) أحمد : أ ، ح ، م ، د يقابل في حساب الجمل (بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة) : ١ ، ٨ ، ٤٠ ، ٤ . أوله (أ = ١ » ربع عشر ثالثه (م = ٤٠) واحد من أربعين . وربع ثانية (ربع الحاء) = ٢ يساوي جذر رابعه (الجذر المربع للرقم د أو ٤) أي ٢ (لأن ٢ مضروبة في نفسها تساوي ٤) .

(٣) رقدت : نمت ، غفلت (بفتح الفاء) . الرغد : الخصيب ، السعيد . في البيت تجريد (الشاعر يخاطب نفسه) .

(٤) عذيرك : هات من يعذرك (لا أحد يعذرك) . الدهر مستعبد آمال الانسان : يخيبها متى شاء (بالموت) !

ألم تَـرَ أن المُنى ضِـلّةٌ يَعيشُ بها الحـامل المُرْمِدُ[1] ؟
تَنَبَّهْ لشأنِكَ واجْهَدْ لـه ، فانّ الخلاصَ لِمَنْ يَجْهَد .
تولّى الشبـابُ وجاء المشيـبُ وهَمَّ لِداتِكَ أن يَنْهَدوا[2] .
فان لم تُصَدِّقْ فهذا الشِهـابُ أبو الحسنِ الماجدُ الأمجـد
تَرَحَّلَ مُنْتَحِيـاً طِيَّـةً يُباعِـدها السَّـفَرُ الأبْعدُ[3] ؛
وكان شِهاباً لِديـنِ الالَـهِ من العلـم أنوارُه تُرْصَـدُ .
فهَبَّتْ له زَعْـزعٌ عاصفٌ فأخْمَدَهُ عَصْفُها الأنْكَدُ[4] .
فباللهِ ، كيـفَ خبا نـورُه ؟ الم تَكُنِ الشُهْبُ لا تَخْمَدُ[5] !

– ومن قصيدةٍ له يمدحُ بها الصاحبَ بهاءَ الدين القاشاني ويُهَنِّئُه بالنَيْروزِ (عيد الربيع) وفيها وصفٌ للطبيعة وللخمر :

وكأنّما قَـدَحُ النديمِ بهـا قِنْديلُ دَيْـرٍ حَشْوُهُ جَمْرُ .
لا يَشْغَلَنَّكَ عن تَجَرُّعِهـا بكلامِه زيـدٌ ولا عمـرو ؛
واشْرَبْ على النَيْروزِ مُبْتَكِـراً زهراءَ أذكـى نورَها الزَهْـرُ[6] .
واعلَمْ بأنّ الدهـرَ آونـةٌ ، وخِلالَهـا يَتَنـاثَرُ العُمْـرُ[7] .
طابَ الـزمانُ وطاب موْقِعُـه وافْتَرَّ منـه مباسِمُ غُـرٌّ[8] :
فعلى السفوحِ مَطارفٌ قُشْـبٌ ، وعلى التُلول مجاسِدٌ خُضْرُ[9] !

---

(١) المرمد : الفقير .
(٢) اللدات (تقال للاناث) : الاشخاص الذين لهم عمر واحد أو متقارب . أن ينهدوا : ينهضوا (يرحلوا ، يموتوا !) ، أو يلعبوا أو يصبحوا شباناً .
(٣) ترحل : ذهب (مات) . الطية : الغاية ، هدف . السفر الابعد : الموت .
(٤) الزعزع (بفتح الزائين) الريح العاصف ، العاصفة . أخمده : أطفأه ، أماته . النكد (بفتح فكسر) : الشحيح : البخيل .
(٥) المعروف أن النجوم لا تنطفىء (فكيف مات ابني محمد ؟)
(٦) زهراء : بيضاء . والشاعر يقصد حمراء (خمراً) . أذكى فلان النار : أوقدها . أذكى نورها الزهر (؟)
(٧) العمر آونة : مدة محدودة . (٨) افتر : ضحك . غر : بيض ، جميلة .
(٩) المطرف (بكسر الميم أو ضمها وبفتح الراء) : ثوب من حرير فيه رسوم . قشيب : جديد . المجسد (بكسر الميم وفتح السين : ثوب يلبس على البدن مباشرة .

والبرق يُعْشي كلَّ ذي بَصَرٍ ، والرَّعْد يُسمع من به وَقْر[1] ،
والنَّرْجِسُ المخمورُ في يده كاسٌ تَحَقَّقَ أنّها تِبْرُ[2] .
بِكْرُ الزمانِ ، فكلُّ مَكْرُمَةٍ يسعى لها ويرومُها بِكْرٌ[3] ؛
فاتَ المديحَ ، فليس يَلْحَقُهُ نظمٌ تُحَسِّنُه ولا نثر .
قل للذي غَدَرَ الزمانُ به ؛ وكذا الزمانُ طِباعُه الغدر :
رُدْ بَحْرَ نائله ، فانّ له بحراً تَضَحْضَحَ دونه البحر[4] ؛
ولِمَنْ تمنّى أن يُعارِضَه : هيهاتِ ، ذلك مرتقىً وَعْر[5] !

٤ — ديوان السيّد الامام ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الحسني الراوندي القاساني (عني بتصحيحه وطبعه السيد جلال الدين الارموي المشتهر بالمحدّث) ، الطبعة الاولى* (مطبعة المجلس) ١٣٧٤ هجري قمري = ١٣٣٤ هجري شمسي (آخر ١٩٥٤ م) .

ابن قادوس الدمياطي

١ — هو القاضي المُفَضَّلُ كافي الكُفاةِ ذو البلاغتينِ أبو الفتح محمودُ بنُ إسماعيلَ ابن حميد — أو ابن أحمد[6] — الدُمْياطيّ الفِهْري ، أصْلُه من دُمْياطَ ، ولا نَعْرِفُ عنه أكثر من أنّه كان كاتبَ الإنشاء في الدولة الفاطمية بمصر في الفترة الأخيرة من حياة تلك الدولة . وكانتْ وفاةُ ابن قادوسٍ في ٧ من المُحَرَّم سنة ٥٥١ ه (٣/٣/١١٥٦ م) .

٢ — كان ابن قادوسٍ الدمياطيّ مُنْشِئاً بارعاً في النثرِ والنظم متينَ الشِعْر . أمّا

---

(١) يعشي : يضعف (البصر) . الوقر : الثقل (في السمع) .

(٢) في يده (كذا في الاصل) اقرأ : في كفه .

(٣) بكر الزمان : أول أبناء الزمان : أشرفهم وأكبرهم . يروم : يطلب . بكر : وحيدة ، لم يفعلها أحد من قبل . والنرجس من أول نبات الربيع وزهره .

(٤) رد فعل أمر من راد : طلب ، ذهب ليشرب او يستقي . النائل: العطاء . بحر الاولى (الكرم ، إشارة إلى الممدوح) . البحر الثانية (البحر العادي) . بحر تضحضح دونه البحر : كرمه يزيد على البحر . الضحضاح : القريب القعر .

(٥) عارضه : سار معه يريد أن ينافسه . المرتقى : الطريق الصاعد في الجبل . الوعر : الصلب ، المخيف (الذي يصعب السير فيه) .

(*) لم يذكر على هذا الكتاب اسم البلد الذي طبع فيه ، ولكن ذكر « مطبعة المجلس » يدل على أن ذلك البلد طهران . (٦) ابن ميسر ٩٧ (مستشهداً به في « أدب مصر الفاطمية » ١٣٩) .

نثرُه فنثر ذلك العصرِ ، فيه تكلّفٌ واستكثارٌ من المدارك الفاطمية (الشيعية) . أما فنونُ شعْره فالمدحُ والرثاء والهجاء والوصف والغزل والنسيب والمُجون والخمر . وله مدائح في الامام عليّ وآله .

٣ – مختارات من آثاره

–كتب ابنُ قادوسٍ في أحدِ أيّام عيدِ النحْر (عيد الأضْحى) وقد ركِبَ الخليفةُ (خارجاً من قصرِه الى المسجد الجامع) :

أما بعدُ ، فالحمدُ للهِ ماحي دَنَسِ الآثامِ بالحجّ الى بيتِ الله الحرامِ ومُوجِبِ الفوزِ في المعاد[١] لمن عَمِلَ بمراشِدِ أئمّةِ الهُدى الكرام ..... وصلّى الله على جَدّنا مُحمّدٍ الذي لَبّى وأحْرَمَ ، وبيّن ما أحلّ اللهُ وحرّم ، وعلى أخيهِ أبينا أميرِ المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالبٍ الذي ضَرَبَ وكبّر[٢] ، وحقّر من طَغى وتجبّر ، وعلى الأئمة من ذُرِّيّتهما أعلامِ الدين .... وإنّ من الايّام التي كَمُلَتْ مَحاسنُها وتَمّتْ ، وكَثُرت فضائِلُها وجمّت[٣] .... يومَ عيد النحْرِ .... : وكان من قَصَصِهِ[٤] أن الفجرَ لَمّا سَلّ حُسامَه وأبْدى الصباحُ ابتسامه نَهَضَ عبيدُ الدولة في جُموعِ الأولياء والأنصار وأولي العزم والاستبصار ، مُيَمِّمينَ القصورَ الزاهرةَ متبرّكينَ بأفْنِيَتِها[٥] .... وتألّفوا صفوفاً تَبْهَرُ النواظرَ ... مُسْتَصْحِبين فُنوناً من الأزياء تَروقُ[٦] ومُسْتَتْبِعينَ أصنافاً من الأسلحةِ يغضّ لَمْعُها من لَمْعِ اللّهَبِ والبروق[٧] ، والأعلامُ خافقةٌ ، والرياح بألْسِنَةِ النصر على الإخلاص لإمام العصر متوافقة . فأقاموا على تَشَوُّفٍ لظهورِه[٨] ، والتَطَلّعِ * لِلتَبَرُّكِ بلامعِ نورِه . ولمّا بَزَغَتْ شَمْسُ سعادتهِ ، وجرَتِ الأمورُ على إيثارِه[٩] وإرادته ،

---

(١) المعاد (بفتح الميم) : الآخرة ، يوم القيامة .

(٢) ضرب وكبر : ضرب عنق خصمه ثم كبر الله شكراً لله على الفوز والانتصار .

(٣) جم الماء : كثر .

(٤) كان من قصصه (بفتح القاف والصاد) : من أمره ، من وصف حاله .

(٥) ميممين : متجهين ، متوجهين . الأفنية جمع فناء (بكسر الفاء) : الباحة الواسعة أمام المنزل .

(٦) راق الشيء العين : سرها .

(٧) غض البصر : خفضه . غض من الشيء : وضع (نقص ، قلل) من قدره .

(٨) تشوف : تطلع بشوق . لظهوره (لخروج الامام الفاطمي من القصر) .

(٩) جرت الامور على ايثاره (على ما يرغب ويفضل) . * وتطلع ؟

وبَدَتْ أنوارُ الإمامةِ الجَلِيَّةُ ، وظهرتْ طَلْعَتُها المُعَظَّمةُ البهيّة ، خرَّ الأنامُ سُجوداً بالدعاء والتمجيد والاعترافِ بأنّهم العبيدُ بنو العبيدِ واستقلَّ[1] رِكابُ أمير المؤمنين ووزيره السيّدِ الأجلِّ ....

– وقال ابن قادوس في الخمر :

قُمْ قبلَ تأذينِ النواقيسِ واجْلُ علينا بِنْتَ قِسّيسِ[2] :

عروسَ دَنٍّ لم يَدَعْ عِتْقُها إلاّ شُعاعاً غيرَ ملموس[3] .

تُجْلى علينا باسِماً ثَغْرُها ، فلا تُقابِلْها بتَعْبيس .

مُذْهَبَةُ اللَّوْنِ إذا صُفِّقَتْ مُذْهِبَةٌ لِلْهَمِّ والبُوس[4] .

نارٌ الى النارِ دعا شُرْبُها وشَرَّدتْ بالعقلِ والكِيس[5] .

لا غَرْوَ ما تأتيه من ريبةٍ لأنّها عُنْصُرُ إبليس[6] .

ليس لها عيبٌ سوى أنّها حَسْرَةُ أقوامٍ مَفاليس ؛

في روضةٍ كانتْ أزاهيرُها كأنّها ريشُ الطواويس .

فاغْتَنِمِ اللّذاتِ في دَوْلةٍ صافيةٍ من كلّ تَعْكيس .

بَقِيتَ في عُمْرٍ فسيحِ المَدى – من كلِّ ما تَحْذَرُ مَحْروسِ[7] .

– وقال أيضاً في النسيب والخمر :

وليلةٍ كاغتماضِ الطَّرْفِ قَصَّرها وَصْلُ الحبيبِ ، ولم نُقْصِرْ عن الأملِ[8]

---

(١) استقل الركب : تحرك وسار .

(٢) تأذين : أذان : المناداة الى الصلاة . جلا – يجلو : أظهر ، كشف ، أبرز الشيء في أحسن زينته . بنت قسيس (الخمر) .

(٣) دن (بفتح الدال) : وعاء كبير للخمر . العتق (بفتح العين أو كسرها) : القدم (بكسر القاف وفتح الدال) .

(٤) مذهبة (بفتح الهاء) : لها لون الذهب . مذهبة (بكسر الهاء) : مزيلة . البوس = البؤس : الشقاء .

(٥) – الخمر تشبه النار في لونها ، وشرب الخمر سبب لدخول شاربها الى النار (جهنم) . شردت بالعقل والكيس : تشرد العقل (من الرأس والمال من) الكيس .

(٦) – لا غرو (لا عجب) اذا حملت شاربها على أن يفعل أفعالا مريبة (فاسقة ، شريرة) لأنها (النار ثم الخمر التي تشبه النار) عنصر (أصل) ابليس .

(٧) تحذر : تخاف ، تخشى .

(٨) كاغتماض الطرف : قصيرة . قصرها وصل الحبيب : في اجتماعي بالحبيب بدا لي أن الليل يمر بسرعة . لم نقصر عن الأمل : لم نقصر ، لم نتهاون ، في البلوغ الى ما نشتهي . يجوز أن نقرأ : « ولم تقصر » (بضم الصاد) عن الامل – لم تكن تلك الليلة (في اتاحة اللذة لنا) أقل مما كنا نأمل .

بِتْنا نُجاذِبُ أهْدابَ الظلامِ بِهـا كَفَّ المَلامِ وذِكْرَ الصدِّ والمَلَلِ[1].
فكُلّما رامَ نُطْقـاً في مُعاتبـتي سَدَّدتُ فاهُ بطِيبِ اللَّثْمِ والقُبَلِ.
وباتَ بَدْرُ تَمامِ الحُسْنِ مُعْتَنِقـي والشَّمْسُ في فَلَكِ الكاساتِ لم تَغِلِ[2].
فبِت منها أرى النارَ- التي سَجَدَتْ لها المَجوسُ- مِن الإبْريقِ تَسْجُدُ لي[3]،
راحٌ إذا سَفَكَ النُدْمانُ من دَمِهـا ظلّتْ تُقَهقِهُ في الكاساتِ من جَذَلِ[4].
فقُلْ لِمَنْ لامَ فيها: إنّني كَلِفٌ مُغْرًى بِها مِثْلَما أغْرِيتَ بالعَذَلِ[5]!

- وله في هجاء الرشيدِ بن الزُبير وكان أسود:

يا شِبْهَ لُقْمانَ بلا حِكْمَةٍ وخاسراً في العلم لا راسِخا[6]،
سَلَخْتَ أشعارَ الوَرى كُلِّهِمْ فصِرْتَ تُدْعى الأسودَ السالخا[7].

- إنْ قُلْتَ من نارٍ خُلِقْـ ـتَ وفُقْتَ كُلَّ الناسِ فَهْمـا،
قُلْنا: صَدَقْتَ، فما الّذي أطْفاكَ حتّى صِرْتَ فَحْما!

٤ - ** خريدة القصر (مصر) ١ : ٢٢٦ - ٢٣٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ ، أعيان الشيعة (١٩٦٠ م) ٤٧ : ١٦٢ - ١٦٤ ؛ في أدب مصر الفاطمية لمحمّد كامل حسين ٣٣٨ - ٣٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٤١ .

---

(١) بتنا (قضينا الليل) كف الملام (لوم الناس لنا) أهداب (جمع هدبة بضم الهاء : طرف الثوب الذي لم ينسج نسجاً كاملا) . الصد : الالتفات عن الأمور ، النفور من الاشياء . - قضينا الليل كله نشرب الخمر بسرعة ونسابق الظلام (مرور الوقت في الليل) حتى نشرب أكثر ما نستطيع شربه قبل أن ينتهي الليل وقبل أن نترك متسعاً من الوقت يصد فيه عنا الحبيب أو يمل منا (أو نمل نحن منه) فينغص ذلك كله سرورنا .

(٢) بدر تمام الحسن : الحبيب الجميل (الذي يشبه البدر ليلة تمامه) . والشمس في فلك الكاسات: (الخمر) لم تغل (يقصد الشاعر : لم تأفل) : لم تغب . - كنا نشرب الخمر باستمرار .

(٣) لما شربت الخمر خيل (بالبناء للمجهول) إلي أن نفسي عظمت حتى لكأن الخمر التي تنصب من فم الابريق (ولونها أحمر كالنار) تنصب ساجدة لي ، مع أن النار في الأصل هي إله المجوس يسجدون لها .

(٤) اذا سفك الندمان (الذين يشربون الخمر معاً) دمها: اذا صبوها من الدن (خرجت حمراء فكأنهم يسفكون دم الدن) ، ثم أحدثت صوتاً وهي تنصب في الراووق أو القدح كالقهقهة (الضحك بصوت) من الجذل (السرور ، الفرح) .

(٥) الكلف : الذي هو شديد التعلق بما يحبه . مغرى بها (بشرب الخمر) : متعلق بها - أحبها ، كما أنت مغرى بعذلي (بلومي على شرب الخمر) .

(٦) لقمان الحكيم (كان أسود !) . الراسخ في العلم : المتمكن فيه ، الضليع من العلم (الكثير العلم) .

(٧) سلخ الاشعار : نقلها ، أخذها ، قلدها ، ادعاها لنفسه . الاسود السالخ : الثعبان الاسود اذا سلخ جلده (بدله في موسم تبديل الحيات لجلدها) ظهر أشد سواد .

يحيى بن سلامة الحصكفي

١ — هو أبو الفضل مُعينُ الدين يحيى بنُ سَلامةَ بنِ الحُسينِ الخطيبُ الحَصْكَفيُّ، وُلِدَ في طنزةَ، وهي بُليدةٌ صغيرةٌ في جزيرة ابن عُمَرَ (شَماليَّ الشام والعراق)، سَنَةَ ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) ونشأ في حُصْنِ كِيفا. ثم انه قَدِمَ الى بَغدادَ فدرس الأدبَ على الخطيب التبريزيِّ ودرس الفقه. بعدئذٍ بارحَ بغدادَ الى ميّافارقينَ فاستوْطنَها فأصبح خطيبها ومفتيَها. وكانتْ وفاتُه سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) أو ٥٥٣ هـ (ابن الاثير ١١ : ٢٣٩).

٢ — كان يحيى الحَصْكفي شاعراً وخطيباً ومُترسِّلاً. وهو عظيمُ البراعة في شعرِه ونثره مقتدرٌ في جميع أوْجُه الصِناعة المَعْنوية والصِناعة اللفظية له خطب مُهْمَلَة (غيرُ منقوطةٍ) مَعَ المُبالغة في التَرْصيع والتَجْنيس. وشِعْره كثيرُ الصِناعة كنَثْره. وهُوَ يُصَرِّفُ في شعرِه ونثره كثيراً من المعارفِ اللُغوية والفِقْهية والفَلَكية وسواها.. وله ديوانُ خُطَبٍ وديوان رسائلَ وديوانُ شعرٍ، وله كتاب المَترادفات في القرآن.

٣ — **مختارات من شعره**

—ليحيى الحصكفي خمسةُ أبياتٍ مشهورةٌ على أولها نفحةٌ من أبي نُواسٍ :

أشكو إلى اللهِ من نارين : واحــدةٍ ... في وَجْنَتَيْهِ ، وأخرى منه في كَبِدي ؛

ومن سَقامَيْنِ : سُقْمٍ قد أحَلَّ دمي ... من الجُفون ، وسُقْمٍ حَلَّ في جَسَدي ؛

ومن نَمومَيْنِ : دَمْعي حين أذْكُره ... يُذيعِ سرّي ، وواشٍ منه بالرَصَد[1] ؛

ومن ضَعيفينِ : صبري حينَ أنْدُبُهُ ، ... ووُدِّه — ويراه الناسُ طَوْعَ يَـدي .

مُهَفْهَفٌ رقَّ حتى قُلْتُ من عَجَبٍ ... أخَصْرُه خُنْصُري أم جِلْدُه جَلَدي[2] !

— ألَبَّ داعي الهوى وَهْناً فلبّـاها ... قَلْبٌ أتاها ؛ ولولا ذِكْرُها تـاها[3] .

---

(١) النمومان مثنى نموم (النمام) : الذي ينقل الاخبار من شخص الى الآخر أو يذيع ما يريد الناس عادة كتمانه (خصوصاً التأريث : ما يذكي العداوة بين الناس ، وإغراء بعض الناس ببعض).

(٢) الواشي : الذي ينقل الكلام والاخبار ويزيد فيها (بغية الاضرار بأصحاب تلك الأخبار). الرصد (بفتح فسكون أو بفتح ففتح) : المراقبة ، التربص ، انتظار الفرصة المؤاتية.

(٣) المهفهف : نحيف القوام . أخصره مثل خنصري في الدقة أم جلده مثل جلدي (بفتح ففتح : صبري) في الرقة والضعف ؟

تَلَتْ علينا ثناياها – سُطورَ هوًى لم نَنْسَها مُذْ وَعَيْناها – وعَيْناها[1] !

– سألته اللَّثْمَ يومَ البَيْنِ فالْتَثَما ، وصدَّه التِيهُ أن يَثْني إليَّ فَمـا[2]

فكيفَ أطْلُبُ حِفْظَ الوُدِّ من صَلِفٍ سألته قُبْلَةً يوم الوَداع فَما[3] .... !

– وله من خطبة مهملة (غير منقوطة الكلمات ، وتُستثنى التاء المربوطة لأن اصلها الهاء) :

.... وأعدَّ صلاة الاسحار لحصول صلة المحار ، وحاول دار السلام[4] ومحلَّ الاكرام : دار سرَّ أهلها ودام أكلها ، لا همَّ ولا هرم ، ولا علل ولا ألم .....

– وله رسالة فيها تجنيسٌ منكوس : يوازن بين الجُمَلِ (يَجْعَلُ كلَّ جُمْلة مُساوِيَةً للتي قَبْلَها في عدد الكلمات) ثم يجعل كل كلمة عكس التي تقابلها في ترتيب الحروفَ :

.... فالنفسُ بعُقودِ التـذرّع حاليةٌ ولقعود التعذّر حائلة (راجع عقود وقعود ، التذرّع والتعذّر ، حالية وحائلة) ، وفي رحاب الحمد راسية وفي بحار المدح سارية ....

٤ – • معجم الادباء ٢٠ : ١٨ – ١٩ ؛ الخريدة (الشام) ٢ : ٤٧٠ – ٥٤٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢١٣ – ٢١٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٦٨ – ١٦٩ ؛ ابن الأثير ١١ : ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٣٣؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٨٣ – ١٨٤ .

الوَأْواءُ الحَلَبيُّ

١ – هو أبو الفرجِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الله بنِ الحُسينِ المعروفُ بالوأواء الحَلَبيّ ، أصلُه من بُزاغة (بين مَنْبِـجَ وحَلَبَ) . نشأ في حلبَ وتأدّبَ فيها ، وكان يتردّدُ الى دِمَشْقَ يُقرِئ فيها النحوَ ويشرحُ ديوانَ المتنبّي . وكانت وفاتُه في حلبَ في آخرِ شوّالٍ من سَنَةَ ٥٥١ (١٥ – ١٢ – ١١٥٦ م) .

٢ – كان أبو الفرج الوأواءُ الحلبيُّ أديباً بارعاً في النحو وشاعراً مُحْسِناً ، له نسيبٌ ورثـاء .

---

(١) ألب بالمكان : أقام . – (تبدت العزة الالهية لقلبي) وهنا (بعد منتصف الليل) فلباها (استجاب لها ، أسرع اليها) . تاه : ضل ، حاد عن الطريق القويم . لولا ذكري الكثير لله لضل قلبي وما اهتدى الى الحق أبداً .

(٢) مذ وعيناها – مذ حفظناها . وعيناها (معطوفة على «ثناياها») : ثناياها (اسنانها الجميلة) وعيناها جذبتنا الى حبها .

(٣و ٤) « فما » في البيت الاول كلمة واحدة (منصوبة) : الفم . و «فما » في البيت الثاني كلمتين : الفاء حرف عطف ، ما حرف نفي (ما رد علي) .

٣ ــ مختارات من شعره

قال الوأواء الحلبيّ في النسيب :

أظنّوا أنّهم بانوا وهم في القلب سُكّانُ؟(١).
تولّى النّوْمُ إذ ولّوْا ؛ وكانوا العيشَ إذ كانوا .
أحبَّ البُعْدَ أحبابٌ ، وخان العهْدَ إخوان.
وقالوا : شفّكَ الدهرُ ؛ وهم للدهرِ أعوان(٢)!
ويَحْيا المرءُ إن راعتْهُ أسْيافٌ وخُرْصان(٣) ،
ولا يحيا إذا راعتْهُ أحْداق وأجْفان.

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ١٥٥ ــ ١٥٧ ؛ إنباه الرواة م : ١٨٦ ــ ١٨٧ ؛ بغية الوعاة ٣١٠ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٥٨ ؛ اعلام النبلاء ٤ : ٢٤٤ ــ ٢٤٧ ؛ ابن الاثير ١١ : ٢١٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٧٤ .

ابن منجب الصيرفيّ

١ ــ هو أبو القاسم عليُّ بن مُنْجِبِ بنِ سُليمانَ المعروفُ بابن الصَيْرفيّ لأن والدَه كان صَيْرَفياً ، وُلِدَ في مصْرَ في ٢٢ من شَعبانَ من سَنَةِ ٤٦٣ (٢٨/ ٥/ ١٠٧١ م) . اشتغل ابنُ الصيرفيّ في أولِ أمرِه بالكتابة في ديوان الجيش وديوان الخَراج ثم نُقِلَ إلى ديوان الرسائل (٤٩٥ هـ = ١١٠١ م) .

في أيام الآمرِ (٤٩٥ ــ ٥٢٤ هـ) والحافظ (٥٢٥ ــ ٥٤٤ هـ) الفاطِمِيَّيْن كان يتولى ديوانَ الإنشاء أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي أسامةَ الحلبيّ (ت ٥٢٢ هـ) ثم ابنُه أبو المكارم الحسنُ ، وكان يكتب بينَ يدَيْهما كلَيْهما ابنُ مُنجبِ الصيرفيّ واسعدُ ابن قادوسٍ وابنُ أبي الدَمِ اليهوديُّ . فلمّا توفّي أبو المكارمِ ، في أيامِ الحافظ (حسن المحاضرة ٢ : ١٤٦) ، تولّى ابنُ مُنْجِبٍ ديوانَ الإنشاء . ثم بَقِيَ فيه إلى أن تُوُفّيَ في العِشرين من صَفَرَ من سَنَةِ ٥٤٢ (٢٢/ ٧/ ١١٤٧ م) ؛ وذكر ياقوت

---

(١) بانوا : بعدوا ، رحلوا .

(٢) شفك الدهر : هزلك وانحلك (جعلك هزيلا نحيلا) .

(٣) الخرصان جمع خرص (بضم الخاء أو كسرها) : الرمح ؛ الدرع .

(معجم الادباء ١٥ : ٧٩) أن ابن منجب توفي بعد سنة ٥٥٠هـ في أيام طلائع بن رُزِّيك (ت ٥٥٦ هـ).

٢ - كان ابنُ منجبٍ الصيرفيّ كاتباً مترسِّلاً بارعاً ومصنِّفاً له: كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة (وهو تاريخ للوزراء في أيام الدولة الفاطمية) - فنون ديوان الرسائل [يستعرضُ فيه الصفاتِ التي يَجِبُ أن تتوفَّرَ في من يتولّى هذا المَنْصِبَ الهامَّ في حياة الدولة ثم هو يَضَعُ دُستوراً لصناعة الكتابة بعد أن تطوّر مَنْصِبُ رئيس ديوان الرسائل تطوّراً كبيراً خلال العصور، منذ أيام عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ، راجع ١ : ٧٢٣)] - إنباء الهصر بأبناء العصر. ثمّ له شيءٌ من النظم العاديّ.

٤ - قانون ديوان الرسائل (عني بنشره علي بهجت)، القاهرة (مطبعة الواعظ) ١٩٠٥ م.
الاشارة الى من نال الوزارة (عني بتحقيقه عبد الله مخلص)، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي) ١٩٢٣ م.
إنباء الهصر بأبناء العصر (تحقيق حسن حبشي)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٧٠ م.

** معجم الأدباء ١٥ : ٧٩ - ٨١؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٤٨٩ - ٤٩٠؛ زيدان ٣ : ٦٣؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٦.

طلائع بن رزّيك

١ - هو أبو الغارات الملكُ الصالحُ طلائعُ بن رُزِّيك، وُلِدَ سَنَةَ ٤٩٥ هـ (١١٠١ - ١١٠٢ م)؛ ثم إنه كان في مطلعِ حياته والياً على مُنْيَةِ أبي الخَصيب في صَعيدِ مِصْرَ.

في نِصف المُحرَّمِ من سَنَة ٥٤٩ هـ (١/ ٤/ ١١٥٤ م) دبّر الوزيرُ أبو الفتوح عبّاسٌ الصِنْهاجيُّ مقتلَ الظافرِ بأمرِ الله الفاطميّ ونَصَبَ مكانَه ابنَه الفائزَ، وكان طِفْلاً في الخامسة من عُمُرِه، ثم نَهَبَ أموالَ القَصْرِ واستبدّ بالأمور. واستَنْجَدَ أهلُ البَلاطِ بطلائعَ بن رزّيك، وكان رَجُلاً قَوِيّاً حازماً، فتغلّبَ على عباسٍ وصَلَبَهُ واستبد بالأمرِ مكانَه. ثم ساءت الصِلاتُ وَشيكاً بين طلائعَ وأهلِ البَلاطِ الفاطميّ، لأنّ طلائعَ كان شيعياً إمامياً ولم يَكُنْ فاطمياً. وتغلّبَ طلائعُ على جميعِ المؤامراتِ التي قُصِدَ بها ثم أقرّ الأمنَ في مِصْرَ كلِّها.

جَهِدَ طلائعُ في التقرّبِ من نور الدين مَحْمودٍ صاحبِ الشامِ فمدحه بالقصائدِ

وأرسلَ إليه الهَدايا والأموالَ ، ولكنّ نورَ الدين لم يَستَجِبْ لطلائعَ ، فإن صِلاتِ نورِ الدينِ بالفاطميين لم تكن حَسَنَةً ، ثم إن طلائعَ نفسَه لم يكن يَبْذُلُ كلَّ جُهودِهِ في قِتال الإفرنج الصليبيين .

وفي رجبِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) مات الفائزُ فاختارَ طلائعُ بنُ رُزّيك من البيتِ الفاطمي طِفلاً في التاسعةِ من عُمُرِهِ ونَصبَهُ خليفةً باسمِ العاضِد ؛ ثم استمر في الاستبدادِ بأمورِ الدولة . وتابع رجال البلاط الفاطميّ المؤامراتِ على حياةِ طلائع حتى قُتِلَ طلائعُ في ١٩ رمَضانَ ٥٥٦ هـ (١١/ ٩/ ١١٦١ م) .

٢ ـ كان طلائعُ بنُ رُزّيك أديباً شاعراً وعارفاً بفنونٍ من العلم، يَعْقِدُ في قصرِهِ المجالسَ للبحث والمُناظرة ويدوّن أهلُ العلم عنه شعرَه. وكان كريماً شُجاعاً مدَحه نفرٌ من الشعراء منهم عُمارةُ اليمني وأُسامة بن مُنْقذ .

وطلائعُ شاعرٌ مُكْثِرٌ ولكنّ مُعْظَمَ شِعره قد ضاع ، وشعره الباقي متوسّطُ الجَوْدَة يميلُ أحياناً الى الضَعْفِ ، هذا مَعَ التكلّف في تَطَلُّبِ وُجوهِ البلاغة . أما فنونُ شعرِه فهي المدح والفخر والحماسة والإخوانيات(وأكثرها إلى أُسامة بن منقذ) ، وله أيضاً غزلٌ عَذْبٌ وشيءٌ من الأدب والحِكمة .

وهو أيضاً مصنّف له كتاب الاعتماد في الردّ على أهل العناد (في امامة عليّ بن أبي طالب والاحاديث الواردة في ذلك) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال طلائعُ بنُ رُزّيك في الشَيْب :

مَشيبُكَ قد نَضا صِبْغَ الشَبـابِ ، وحَلّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ[1] .
تَنامُ ومُقْلَةُ الحَدَثانِ يَقْظى ، وما نابُ النوائـبِ عنك نابِ[2] .
وكيف بَقاءُ عُمْرِك ، وهو كَنْـزٌ ، وقد أنفَقْتَ منـه بِلا حِسـابِ !

(١) نضا : خلع . صبغ (لون) الشباب : سواد الشعر . حل الباز (طائر أشهب ، أبيض اللون) ، أي الشعر الابيض « الشيخوخة » في وكر الغراب (مكان اللون الأسود) مكان الشباب .

(٢) ناب : سن . النوائب : المصائب . ناب : بعيد .

—وقال في الغزل الممزوج بالحماسة والفخر :

ومُهفهفٍ ثَمِلِ القَوام سَرَتْ الى أعطافِهِ النَّشَوَاتُ من عَيْنَيْهِ[1].
ماضي اللِّحاظِ كأنّما سَلّت يَدي سَيْفي ، غَداةَ الرَّوْعِ ، من جفنيه.
قد قلت ، اذ خطّ العِذار بمِسْكةٍ في خدّه أَلِفَيْهِ لا لامَيْهِ[2] :
ما الشَّعَرُ دبّ بعارضيه ، وإنّما أصداغَهُ نَفَضَتْ على خدّيه[3].
الناسُ طوعُ يَدي ، وأمري نافذٌ فيهم ؛ وقلبي الآنَ طوعُ يديه.
فاعْجَبْ لسُلطانٍ يَعُمُّ بعَدْلِهِ ، ويَجُور سلطانُ الغرام عليه .
واللهِ ، لو لا اسْمُ الفِرارِ وأنه مُسْتَقْبَحٌ لَفَرَرْتُ منه إليه[4] !

٤ — ديوان الوزير المصري طلائع بن رزّيك (أحمد أحمد بدوي) ، القاهرة (١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م) ؛ (نشره محمد هادي الأميني) ، النجف (المطبعة الحيدرية ومكتبتها) ١٩٦٤م .

** الخريدة (مصر) ١ : ١٧٣ — ١٨٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٢٦ — ٤٢٩ ، شذرات الذهب ٤ : ١٧٧ ؛ ابن الأثير ١١ : ٣١٨ ، ٢٧٤ — ٢٧٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٦٣٥ — ٦٣٦ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣٢٩ — ٣٣٠ .

المؤيد الألوسي[5]

١— هو أبو سعيد المؤيَّدُ بنُ عطّافِ[6] بنِ محمّدِ بنِ عليّ بنِ محمّد ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٩٤هـ[7] في ألوسَ عندَ حديثة عانةَ على الفُرات ؛ ونشأ في دُجيل ثمّ دخلَ بغدادَ في صِباه وصار جاويشا[8] في أيامِ الخليفة المُسترشِدِ (٥١٢ — ٥٢٩ هـ) . ولقد بَقِيَ طولَ عُمْرِه بعدَ ذلك يتزيّا بزيِّ الأجنادِ .

---

(١) مهفهف : نحيف القوام . ثمل (نشوان ، سكران) القوام (يتمايل كثيراً تمايلا جميلا) . عيناه أسكرت أعطافه (العطف بكسر العين : جانب البدن) .

(٢) — لحيته في أول ظهورها . المسك أسود اللون . الشعر في وجهه لا يزال خطين مستقيمين (مثل ألفين) ولم يتصلا بعد في أسفل وجهه فيشكلا حرفي لام متقابلين .

(٣) — ليس هذا الذي ظهر في وجهه شعراً ، ولكن صدغيه (جانبي رأسه) نفضا (رشا شيئاً من سواد شعر رأسه الذي يشبه المسك — بسواده) على خديه .

(٤) لفررت منه اليه : لخضعت له واستسلمت في حبه .

(٥) الألوسي بهمزة قطع ، وقد تلفى بمدة : آلوسي . ويبدو أن المد هو الغالب في اللفظ المعاصر .

(٦) تختلف المصادر في سياقة اسمه.

(٧) تبدأ سنة ٤٩٤ هـ في ٦-١١-١١٠٠ م .

(٨) تذكر المصادر هذه الرتبة العسكرية بهذا اللفظ .

تكسّبَ المؤيّدُ الألوسيُّ بالشعر فمدَحَ جماعةً من الرؤساء في العراق واتّصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمّد السلجوقي في عشْرِي الخمْسمِائةِ[1] فعلا ذِكْرُه وتقدّم وأثْرى واقتنَى أمْلاكاً وعقاراً.

واتّفق ان أطالَ المؤيّدُ الألوسيُّ لِسانَه في الخليفةِ المُقتفي وأصحابه فسُجِنَ عَشْرَ سنينَ (٥٤٥ ــ ٥٥٥ هـ) أو تزيدُ ثمّ خرَجَ من السجنِ في أول خلافة المُستنجد بالله وقد غشِيَتْ بصَرَهُ ظُلْمَةٌ من أثرِ السِّجْنِ فغادَرَ بغدادَ إلى المَوْصِلِ فتُوُفِّيَ بها في ٢٤ من رمَضانَ من سَنَةِ ٥٥٧ هـ (٦/ ٩/ ١١٦٢ م)[2].

٢ ــ كان المؤيّدُ الألوسيُّ من أعيانِ شُعراء عَصْرِه تتفقُ له المعاني المبتكَرةُ أحياناً والأسلوبُ المُطْرِبُ. وفنونُه المديحُ والهجاء ــ وكان يُهاجي أبا الفضلِ الشاعرَ ابنَ القطّان[3] ــ والغزَلُ.

٣ ــ مختارات من شعره

ــ من قصيدةٍ للمؤيّدِ الألوسيّ في يمينِ الدينِ المَكينِ أبي عليٍّ الأصفهانيّ، وفيها غزَلٌ ومدحٌ ثمّ فخرٌ بشعره:

باحَ الغرامُ من النَجْوى بما كتَمَا ... ولَهانُ لو عَطَفَتْ سَلْمى لما سَلِما[4].
أسْتَوْدِعُ اللهَ في الأظعانِ ظالِمةً ... أُحبُّها؛ وألذُّ الحبِّ ما ظَلَما[5].
ضَنّتْ بوصلي وقالتْ: في الخَيالِ له ... غِنًى، وفي زَوْرةِ الأحْلام، لو علِما.
وكيفَ يطمعُ مَسلوبُ التصَبُّرِ ــ لم ... يَعْرِفْ لذيذَ الكرَى ــ أن يَعرِفَ الحُلُما[6]؟

ومنها في المديح:

سماحةٌ تَشْدَهُ الضِيفانَ ــ إنْ دَهمَتْ ... غُبْرُ السنينَ ــ وبأسٌ يُشْبِعُ الرَخَما[7].

---

(١) بين سنة ٥٢٠ وسنة ٥٢٩.

(٢) نسق العماد الحنبلي (شذرات الذهب ٤ : ١٨٥) وفاته في وفيات سنة ٥٥٨ هـ.

(٣) راجع ترجمته (ص ٣١٤).

(٤) النجوى: التحدث بصوت منخفض، تحديث الانسان نفسه. الولهان: الذي كاد يذهب عقله من الحزن (وشدة الحب). لو عطفت سلمى لما سلما: لو وافقته في الحب لزاد ولهه! ولهان فاعل «كتم».

(٥) الأظعان: الابل التي عليها هوادج النساء.

(٦) الكرى: النوم. الحلم: الرؤيا (المنام)

(٧) سماحة: كرم. تشده: تدهش. الضيفان: الضيوف. ان دهمت (جاءت فجأة) غبر السنين: =

اذا تقاصرتِ الآمـالُ مدّ لهـا يداً ببَذْلِ الأيادي تُخْجِل الديمَا[1]

لمّا رأى الدهرُ ما تَجْني نـوائبُهُ في الناسِ جاء به عُذْراً لما اجْتَرَما[2].

اسمعْ غرائب شِعْرٍ يَستقيدُ لهـا صَعْبُ المُعادينَ إذعاناً وان رُغِما[3]،

أثنى عليكَ به حتى تَوَدُّ ـ وقَدْ أنْشَدتُه ـ كُلُّ عينٍ أن تكونَ فَما[4].

وما فَضَلْتُ زُهيراً في قصـائدِهِ إلاّ لِفَضْلك في تَنْويله هَـرِما[5]!

ـ وله أبياتٌ سائرةٌ يُغنّى فيها، منها:

لِعُتْبَةَ من قلبي طريفٌ وتـالدُ، وعتبةُ لي حتّى المَماتِ حبيبُ[6].

تَعلّقْتُها طِفْلاً صغيراً، وناشئاً كبيراً، وهـا رأسي بها سَيَشيبُ[7].

وقد أخْلَقَتْ أيْدي الحوادثِ جِدّتي وثوبُ الهوى ضافي الدروعِ قَشيب[8].

ولَيْلَتُنا والغَـرْبُ مُلْقٍ جِرانَه وَعُودُ الهَوى داني القطوفِ رطيبُ[9].

ونحن كأمثالِ الثُريّا يَضُمُّنـا وِدادٌ ـ على ضيقِ الزمانِ ـ رَحيب[10].

ـ السنون الماحلة الغبراء (التي لا نبات على أرضها). وبأس: قوة، شدة (في الحرب). الرخم: الطيور ـ هو كريم جداً في السلم حتى ليستغرب ضيوفه هذا الكرم، وهو شديدالبأس في الحرب حتى لتشبع جميع الطيور من قتلاه.

(1) الديمة: الغيمة الممطرة.

(2) تجني: تذنب. نوائبه: مصائبه. اجترم: أجرم، أذنب. ـ لما رأى الدهر أنه أذنب كثيراً الى الناس جاء بأبي علي الاصفهاني ليكفر بكرم أبي علي الاصفهاني عن ذنوبه هو.

(3) استقاد: سلم قياده الى غيره، اذعن. وان رغما: وان كان ذلك الاذعان منها رغماً (ارغاماً، خضوع غصباً وقهراً).

(4) ـ كل الناس أرادوا أن يثنوا عليك بما أثنيت أنا عليك به.

(5) ـ لم تكن قصائدي في مدحك أفضل من قصائد زهير في مدح هرم بن سنان الا لأنك أعطيتني أكثر ما كان هرم بن سنان يعطي زهيراً. وكان هرم يعطي زهيراً كثيراً.

(6) طريف وتالد: (حب) جديد وقديم.

(7) تعلقتها: أحببتها.

(8) أخلقت (أبلت، مزقت) أيدي الحوادث (المصائب) جدتي (نضارتي، شبابي) بينما كنت لا أزال شاباً. قشيب: جديد.

(9) وليلتنا (التي قضيناها معاً) والغرب (الليل) ملق جرانه (يشبه الليل بالجمل البارك بكلكل جرانه أو صدره على الارض): موغل، شديد الظلام. عود الهوى (حبنا). داني (قريب) القطوف (الثمر): كثير الثمر ـ كان تمتعنا بالحب سهلا. رطيب: ناضر (لذيذ).

(10) الثريا: عنقود نجوم ملتفة (ترى في رأى العين قريباً بعضها من بعض جداً). رحيب: واسع.

وبِت أُديرُ الكأسَ حتّى لِثغرِها ... شبيهاتُ طعمٍ في المُدام وطِيبُ .
أُحبُّكِ حتّى يَبعَثَ اللهُ خلقَهُ ، ... ولي منكِ في يومِ الحِسابِ حَسيبُ[1] .

ـ وله في وصف القلم :

ومثقَّفٍ يُغني ويُفني دائماً ... في طَورَيِ الميعاد والإيعـاد[2] :
قلَمٌ يَفُلُّ الجيشَ وهـو عرَمْرَمٌ ... والبيضُ ما سُلَّتْ من الأغماد[3] .
وُهِبَتْ به الآجامُ حينَ نَشا بها ... كَرَمَ السيولِ وهَيْبةَ الآسادِ[4] .

٤ ـ ** خريدة القصر (العراق) ٢ : ١٧٢ ـ ١٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٣٨ ـ ٤٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٥ ـ ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٤ : ١٨٥ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٣١ .

ابن القطان البغدادي الشاعر

١ ـ هو أبو القاسم هِبَةُ اللهِ بنُ الفضلِ (٤١٨ ـ ٤٩٨ هـ) بنِ القطّانِ عبدِ العزيزِ بنِ محمّدِ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الفضلِ بنِ يعقوبَ بنِ يوسفَ ابن سالمٍ المَتوثيّ ، وُلِدَ سنة ٤٧٧ هـ ، وقيل في سابعِ ذي الحِجّة من سنة ٤٧٨ هـ .

سَمِعَ هبةُ الدينِ بنُ القطّانِ الحديثَ من أبيهِ ومن أبي الفضْلِ بنِ خَيْرونَ وأبي طاهرٍ محمّدِ بنِ الحسنِ الباقلاّويِّ (الباقلاني) وأبي عبدِ اللهِ الحُسينِ بنِ أحمدَ الكَرخيِّ . ولكنّه اكتفَى بالتكسُّبِ بالشعرِ وتَركَ كلَّ ما عدا ذلك . وكان أكثرُ اعتمادِه على الهجاء : هجا قاضي القضاةِ شرفَ الدين عليَّ بنَ طِرادٍ الزَّينبي بقصيدةٍ أوّلُها :

يا أخي ، الشَّرْطُ أَمْلَكْ ؛ ... لَسْتَ للثَّلْبِ سأتْرُكْ[5] ،

---

(١) حتى يبعث الله خلقه (يوم القيامة) : الى آخر الزمان . ولي منك في يوم الحساب (يوم القيامة) حسيب : محاسب ، منتقم .
(٢) مثقف : (قلم) مستقيم . الميعاد : الوعد . الايعاد : التهديد .
(٣) يفل : يهزم . عرمرم : كثير العدد . والبيض (السيوف) ما سلت من الاغماد (بغير حرب) .
(٤) ـ بما أن القلم يقطع من القصب الذي ينبت في الأجمة ، فان الأجمة كلها قد أصبحت كثيرة الكرم (كمياه السيل) وصار لها هيبة (رهبة) في النفوس كالرهبة من الأسود .
(٥) الثلب : الذم ، الشتم .

وهي طويلةٌ تبلغُ مائةً وثمانيةَ عشَرَ بيتاً تناقَلَها الرُواة ، فحَبَسَهُ الزينبيُّ عليها مُدّةً (وفيات الاعيان ٢ : ١١٦ ، راجع ٣ : ١١٩).

وكانتْ وَفاةُ ابنِ القطّانِ في الثامنِ والعشرينَ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٥٨ (٣٠/ ٨/ ١١٦٣ م) في الاغلبِ ، في بَغْدادَ .

٢ – كان ابنُ القطّانِ البغداديُّ عارفاً بالحديثِ وبالطب والكحالة (تطبيب العيون) ، وقيل بل كان طبيباً ؛ ولكنّه توفَّرَ على الشعر . وهو شاعرٌ مُجيدٌ مَليحُ الشعرِ رقيقُ الطبع غلَبَ عليه الهجاء وكثُرَ في شعرهِ المُزاح والمُجون ، وله في هذا البابِ حكاياتٌ كثيرةٌ أشهرُها مَعَ حَيْصَ بَيصَ الشاعرِ . وله : تعاليق طبّيّة – مسائل وأجوبتها (في الطب) – كتاب في العَروض (مختصر) . وهو أوّل مَن استخدم البحر « فعْلن مفاعلن فعولن » .

٣ – مختارات من شعره

– خرَجَ الشاعرُ حيص َبيصَ من دارِ الوزيرِ الزينبيِّ[١] ليلةً فنَبَحَ عليه جِرْوُ كلبٍ فوَكَزَهُ بسيفه[٢] فمات . وبلغتِ القصّةُ الى ابن القطّان فنظم أبياتاً وضمّنها بيتَيْنِ لبعضِ الأعرابِ قَتَلَ أخوه ابناً له خطأً . وكَتَبَ ابنُ القطّان الأبياتَ في ورقةٍ وعلّق الورقة في عُنُقِ كلبةٍ لها أجْرٍ ثمّ وكَلَ بها من يَطْرُدُها[٣] هي وأولادُها الى بابِ الوزيرِ الزينبيِّ . وعُرِضَتِ الورقةُ على الوزيرِ فإذا فيها :

يا أهلَ بَغْدادَ ، إنَّ الحيصَ بيصَ أتى ... بفِعْلةٍ أكْسَبَتْهُ الخِزْيَ في البلدِ .
هُوَ الجبانُ الذي أبْدى تَشاجُعَهُ ... على جُرَيٍّ ضعيفِ البَطْشِ والجَلَدِ[٤] .
وليس في يدهِ مالٌ يَديهِ بهِ ، ... ولم يَكُنْ بِبَواءٍ عنه في القَوَدِ[٥] .

---

(١) الشريف أبو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي كان قاضي القضاة ونقيب النقباء وولي الوزارة للخليفة المسترشد أشهراً من سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) .

(٢) الجرو ولد الكلب والاسد الخ ، وجمعه أجر (بفتح فسكون) وكسرتين لأنه منقوص ، واجراء وجراء وأجرية . وكزه : دفعه ، ضربه .

(٣) يطردها : يدفعها ، يسوقها .

(٤) الجري – تصغير جرو . الجلد : القدرة والاحتمال .

(٥) يديه مضارع « وداه » (ودى – يدي) : دفع ديته (بكسر وفتح بلا تشديد) أي ثمن دمه . البواء : الكفوء المساوى . القود : قتل القاتل .

فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت   دم الأبيلق عند الواحد الصمد[1] :

« (أقول للنفس تأساء وتعزية :   إحدى يديّ أصابتني ولم ترد[2] .

كلاهما خلف من فقد صاحبه ؛   هذا أخي حين أدعوه ، وذا ولدي !) »

ــ ويبدو أن ابن القطان قد ملّ في آخر عمره ذلك الهذر والمجون فأنشد الوزير ابن هبيرة جهم بن عمرو الشيباني الذي تولّى الوزارة للخليفة المستنجد ، في ربيع الأول من سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) قصيدة منها :

مولاي ، قد قصرت بي نهضتي كبراً ؛   فما عليّ بشكوى فاقة حرج[3] ؛

طيّب بليّة عمري بالتعهّد لي ،   يا من له طيب ذكر نشره أرج[4] .

يا من له حجة بالعز قائمة ،   ارحم ــ لك الخير ــ شيخاً ماله حجج[5] .

فإن من جاوز العمرين قد خربت   بالعجز منه أعالي القصر والأزج[6] .

ففيم تخدعني الدنيا بزينتها ،   والحين قد حان ، والأحباب قد درجوا[7] .

والرزق ــ ما دمت حياً ــ أبتغيه ، كما   يرومه يافع في حرصه لهج[8] .

وانت ــ والله ــ في علم وفي عمل   من يستقيم به في العالم العوج .

أولى بمجدك أن تحنو على يفن   مديحه بالذي أوليت مبتهج[9] .

٤ ــ ** خريدة القصر (العراق) ٢ : ٢٧٠ ــ ٢٨٨ ؛ طبقات الأطباء ١ : ٢٨٣ ــ ٢٩٠ : وفيات الأعيان ٣ : ١١٦ ــ ١٢١ ثم ٢ : ١١٦ (في ترجمة أبي الفرج العلاء بن عليّ المعروف بابن السوادي) ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٩٢ ــ ٣٩٥ (وهي الترجمة الموجودة في وفيات الأعيان) ؛ ابن الأثير ١١ : ٢٩٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٦٤ .

---

(١) جعدة يستعملها الشاعر علماً على الكلبة خطأ (لأنها علم على الذئب) . احتسب الرجل ولده : صبر على موته حباً بنيل الأجر من الله يوم القيامة . الابليق تصغير أبلق . والابلق من كان في جلده بياض (ويبدو أن الجرو كان أبلق) . الواحد الصمد (المقصود = الله) .

(٢) ــ يشبه الشاعر الأخ والولد باليدين (لتساويهما في القيمة عنده) .

(٣) ــ بدأت أعجز عن النهوض لكبر سني . فلا حرج (لوم ، ذنب) اذا شكوت لك فاقتي (فقري) .

(٤) بالتعهد لي : بالاهتمام بي ، بالعطف علي . النشر : الرائحة الطيبة . الارج : توهج (اشتداد ريح) الطيب .

(٥) حجج : دليل ، سلطة . قائمة : ظاهرة ، معترف بها .

(٦) العمران : عمر الشباب وعمر الكهولة (؟) . الازج أدنى البناء .

(٧) الحين : الموت . حان : قرب . درج الأحباب : ذهبوا (ماتوا) .

(٨) رومه : يطلبه ، يسعى اليه . اليافع : من قرب أن يبلغ مبلغ لرجال (الشاب) . الحرص : البخل بالشيء . اللهج : الولوع بالشيء والجد في طلبه .

(٩) اليفن : الشيخ الكبير الفاني . مبتهج : مسرور ، ممتلىء (؟) .

أمين الدولة بن التلميذ

١ — هو أمينُ الدولةِ أبو الحسنِ هِبَةُ اللهِ بن أبي العَلاء صاعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ التِلْميذ ، نِسبَةً إلى جَدِّه لأُمِّه .

وُلِدَ أمينُ الدولةِ بنُ التلميذ سَنَةَ ٤٦٦ ﻫ (١٠٧٤ م) في بَغدادَ . ولمّا شبّ دَرَسَ الطبَّ فبَرَعَ فيه ثم تَطوّف في بِلادِ العَجَم يُطبّبُ الأمراء سَنينَ كثيرةً إلى ما بَعدَ سنة ٥١٠ ﻫ (١١١٦ م) . ثم إنه عادَ إلى بَغدادَ فَعَلَتْ فيها منزلتُهُ حتّى أصبحَ ساعورَ البيمارِيستانِ العَضُدِيّ[1] ، كما أصبح أيضاً مقدّم النساطرة من النصارى وقِسيسهم . ثم فُوِّضت إليه رِئاسة الطبّ في بَغدادَ وامتحان الاطبّاء .

وكانت وفاة أمينِ الدولة بنِ التِلميذ في ٢٨ ربيعِ الأوّل من سنة ٥٦٠ ﻫ (أوائل ١١٦٥ م) .

٢ — كان أمينالدولة بن التِلْميذ بارعاً في الطِبّ محبّاً للموسيقى وأهلِها « عارفاً بالفارسية واليونانية والسُريانية متضلّعاً بالعربية » (معجم الادباء ١٩ : ٢٧٦) ، كما كان مُتفنّناً في علوم كثيرةٍ حكيماً أديباً وشاعراً ؛ ونثرُه أجودُ من شِعره . ومَعَ أنشِعْرَهُ قليلُ الرونقِ فإنهحَسَنُ المعاني يدورُ أكثرُه في البَيتَيْنِ والثلاثة علىنُكاتٍ من الكِنايات النَحْوية والطِبّيّة والفلكية والتاريخية . وله أيضاً وصف حسنٌ ورثاء .

ولأمين الدولة كتبٌ منها : الاقراباذين (أسماء الأدوية وخصائِصُها) — اختيار كتاب الحاوي للرازي — اختيار كتاب مسكويه للأشربة — اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط — شرح مسائل حُنَينِ بن اسحق على جِهة التعليق — شرح أحاديث نَبَوية تشتمل على طِب — كناش[2] مختصر الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا — الحواشي على كتاب المائة للمسيحي[3] — مقالة في الفَصْد .

٣ — مختارات من آثاره

— كان أوْحَدُ الزمانِ أبو البركاتِ هِبَةُ الله بن مَلْكا طبيباً يَهوديّاً ينافسُ ابنَ

---

(١) الساعور : مقدم النصارى في معرفة الطب . البيمارستان : المستشفى . العضدي : نسبة الى عضد الدولة ابن بويه ، وكان المستشفى العضدي كبيراً عظيماً راقياً .

(٢) الكناش : مجموع ، جزء من كتاب في الطب .

(٣) هو أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني (نحو ٣٦٠-٤٠١ ﻫ) طبيب بارع جيد التصنيف فصيح العبارة ، قيل كان معلماً لابن سينا (ت ٤٢٨ ﻫ). ولأبي سهل كتاب المائة في الطب وهو من أجود الكتب وأشهرها (طبقات الاطباء ١ : ٣٢٧ — ٣٢٨ ؛ الأعلام للزركلي [illegible] : ٢٩٧) .

التِلْميذ فلا يَصِلُ إليه ، فوَشَى أوْحَدُ الزمان بابنِ التلميذِ وِشاية ظَهَرَ أمْرُها ، (عُرِفت ، انكشفت) فأعْرَض ابنُ التِلْميذَ عنه ولكنْ قال فيه :

لنا صديقٌ يهوديّ حَمَاقتُهُ اذا تكلّم تَبْدو فيهِ من فيهِ[1] .
يَتيهِ ، والكلبُ أعلى منه مَنزلةً ، كأنه بَعْدُ لم يَخْرُجْ مِنَ التيه[2] !

— ولابن التلميذ شعر حسن في عدد من الأغراض الوجدانية والحكميّة ، :

حُبّي سَعيداً جوهرٌ ثابتٌ ، وحُبُّه لي عَرَضٌ زائلُ[3] .
بهِ جِهاتِي السِتُّ مَشْغولةٌ ، وهْوَ إلى غيري بها مائل .

— إذا وَجَدَ الشيخُ في نفسهِ نَشاطاً فذلِكَ موتٌ خفِي .
ألستَ تَرى أنّ ضوء السِراجِ له لَهَبٌ قبلَ أن يَنْطفي !

— قالوا : فلانٌ قد وَزَرْ ؛ فقلتُ : « كلاّ ، لا وَزَرْ[4] !
واللهِ ، لو حُكِّمْتُ فيه جَعَلْتُه يَرْعى البقر » .

— قدْ قُلْتُ للشيخ الجليلِ الأرْيَحيّ أبي الظَفَر :
« ذَكِّرْ ، فلانَ الدينِ بي » . قال : « المُؤنّثُ لا يُذَكَّرْ ! »[5]

— لا تَحْقُرَنّ عَدُوّاً لانَ جانبُه، ولو يكونُ قليلَ البطش والجَلَدِ .
فلِلذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمِدّ[6] يدٌ تَنالُ ما قَصّرت عنه يدُ الأسدِ .

— كُلُّ نارٍ للشَوْقِ تُضْرَمُ بِالهَجْرِ ، وناري تُشَبُّ عِنْدَ الوِصالِ .
فإذا الصَدّ راعَني سَكَنَ الوَجْدُ ، ولم يَخْطُرِ الغَرامُ ببالي .

---

(١) حماقته تبدو فيه (اذا تكلم) من فيه (من فمه) .
(٢) التيه : صحراء التيه (في شبه جزيرة سيناء) اشارة الى ان المهجو لا يزال من اليهود القدماء الذي كانوا مع موسى تائهين في شبه جزيرة سيناء .
(٣) الجوهر (حقيقة الاشياء) والعرض (صفاتها الظاهرة). المشغول لايشغل الخ من تعابير المتكلمين والفلاسفة.
(٤) وزر : أصبح وزيراً . «كلا ، لا وزر » (آية في سورة القيامة — ٧٥ : ١١) معناها : لا ملجأ يوم القيامة لأحد ، فكل انسان سيحاسبه الله على ما عمل في هذه الدنيا .
(٥) ذكر فلاناً بي : اذكرني عنده ، الفت نظره الي . المؤنث لا يذكر : لا يعامل معاملة الذكر .
(٦) الجرح الممد : الذي فيه مدة (بكسر الميم وفتح الدال المهملة — بلا تشديد) : قيح .

— كَتَبَ أمينُ الدولةِ بنُ التلميذ إلى ابنه رَضِيِّ الدولة أبي نَصْرٍ رِسالة منها:

الْفِتْ ذِهْنَكَ عن هذه التُّرَّهاتِ إلى تَحْصيل مَفْهومٍ تَتَمَيَّزُ به ، وخُذْ نَفْسَكَ من الطريقة بما كُنْتُ قَدْ كرّرتُ تَنْبيهكَ عَلَيْه وإرْشادَكَ إليه. واغْتَنِم الإمكانَ واعْرِفْ قيمتَه واشْتَغِلْ بشُكْرِ الله تَعالى عليه ، وفُزْ بحظٍّ نَفيسٍ من العلم تَثِقُ من نَفْسِك بأنّك عقَلْتَه ومَلَكْتَه لا قرأْتَه ورَوَيْتَه ..... وأعوذُ بالله أن تَرْضى لنفسِكَ إلاّ بما يَليق بمِثْلِكَ أن يَتَسامى إليه بعُلُوِّ هِمَّتِه .....

ومما قد كرّرْتُ عليكَ الوِصايةَ به : أن تَحْرِصَ على ألاّ تَقولَ شيئاً لا يكونُ مُهَذَّباً في لَفْظِه ومَعْناه ويَتَعَيَّنُ عليك إيراده ؛ وأن تَصْرِفَ مُعْظَمَ حِرْصِك إلى أنْ تَسْمَعَ ما يُفيدُكَ لا ما يُلْهيك مِمّا يَلَذّ للأغْمارِ وأهلِ الجَهالة .....

٤ — ** معجم الأدباء ١٩ : ٢٧٦ — ٢٨٢ ؛ ابن القفطي ٣٤٠ ؛ طبقات الأطبّاء ١ : ٢٥٩ — ٢٧٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٢٦ — ١٣١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩٠ — ١٩١ ؛ زيدان ٢ : ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٥٦ — ٩٥٧ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٥٩ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٣١٥ — ٣٣٤ .

القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن الزبير

١ — هو القاضي المُهَذَّبُ أبو مُحَمّدٍ الحسنُ بنُ عَلِيِّ بنِ إبراهيمَ بن الزُبَيْرِ المِصْريُّ، وُلِدَ في أُسْوانَ (في صَعيدِ مصر) في مَطْلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة . اتّصل ابن الزبير في أسْوانَ ببني الكَنْزِ ومدحهم ، ثمّ انتقل إلى القاهرةِ واختص بطلائعَ بنِ رُزِّيكٍ ونالَ منه مالاً جمّاً .

كانَ للقاضي المهذّبِ أخٌ اسمُه القاضي الرشيدُ أحمدُ ذَهَبَ إلى اليمنِ ؛ وقيلَ إنه ادّعى الخِلافةَ هناكَ فحَبَسَهُ الداعي الفاطميّ . واتّفق أيضاً أنّ القاضيَ المهذّبَ كان في اليمنِ فحُبِسَ أيضاً . ثم نجا الأخَوانِ من السِجْنِ ورَجَعَا إلى مِصْرَ ولكن لم يَنْجُوَا من الاضْطِهاد . ويبدو أن رجوعهما الى مصر كان بُعيد رجب من سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) بعد أن وزر شاور للعاضد الفاطمي مرة ثانية. اتّهم شاور الأخَوَيْن بالعداء للدولة وله وحبسهما . أما القاضي المهذّب فاستشفع بالملك الكامل بن شاور

وخرج من السجن ، ولكن لم يعش بعد ذلك طويلاً فقد توفي في ربيع الآخر من سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦ م) . وأما القاضي الرشيد فقتله شاور في المحرّم من سنة ٥٦٣ هـ (خريف ١١٦٧ م) .

٢ – كان القاضي المهذّب شاعراً مُكثراً رَصينَ اللَّفْظِ متينَ السَّبْكِ فصيحَ العِبارة مُحْكَمَ الشعر ؛ وكان كاتباً مَليحَ الخَطّ ومُصَنِّفاً للكُتُب ، له كتاب الأنساب ، وهو كبير شامل صحيح دقيق (فقد حصل المؤلّف على كتب في الانساب حينما كان في اليمن) . وكانت طريقة المؤلّف في هذا الكتاب أن يذكر الرجل في سياق نَسَبه ثم يورد شيئاً من خبره وشعره . وله مقامات .

مختارات من شعره

– لمّا سجن المهذّب في اليمن بعث الى الداعي الفاطمي قصيدة طويلة يمدحه فيها ويستعطفه ، فأطلق الداعي سراحه ، من هذه القصيدة :

يا ربعُ ، أين تَرى الأحبّةَ يَمّموا : هل أنْجدوا من بَعْدِنا أم أتْهموا[١] ؟
رَحَلوا وقد لاحَ الصَّباحُ ؛ وإنّما يَسري – إذا جَنّ الظلامُ – الأنجم[٢] !
إني لأذكُرُكُمْ إذا ما أشْرَقَتْ شمسُ الضُحى مِنْ نَحْوِكم فأُسلّم.
لا تبعثوا لي في النسيم تحيّةً ، اني أغارُ من النسيم عليكم .
إنّي امْرُؤٌ قد بِعْتُ حَظِّيَ راضياً من هذه الدُنيا بِحَظّي منكُمُ :
فَسَلَوْتُ إلاّ عنكُمُ ، وقَنِعْتُ إلْـ ... ـلا منكُمُ ، وزَهِدتُ إلاّ فيكم[٣] !
أُثني عليكَ بما مَنَنْتَ وأنتَ مِن أوْصافِ مَجْدِكَ ، يا مليكاً ، أعظم[٤] ؛
فاغْفِرْ لِيَ التقصيرَ فيه وعُدَّه مَعَ ما تجودُ به علَيّ وتُنْعم[٥] .

---

(١) يمم : قصد . أنجد : جاء إلى نجد (صعد أرضاً عالية) . أتهم : جاء إلى تهامة (نزل الى أرض منخفضة) . المقصود : الى أين ذهبوا ؟

(٢) يسرى : يسير ليلا . – هؤلاء المحبوبات هن نجوم (بجمالهن) . لقد رحلوا صباحاً مع أن من عادة النجوم أن تدور في السماء ليلا .

(٣) سلا : يسلى (عن الشيء : نسيه) .

(٤) بما مننت : بما أنعمت علي.

(٥) أنت تنعم علي بأشياء كثير ، فاجمل الصفح (العفو) عن تقصيري (في مدحك) من جملة أفضالك علي .

مَعَ أنني سَيّرتُ فيك شَوارداً كالدُّرّ بل أبْهى لدى مَنْ يَفْهَمُ[1]

وإذا المآثرُ عُدِّدَتْ في مَشْهَدٍ فبذِكْرِها يُبْدا المَقال ويُخْتَمُ[2] .

وإذا تَلا الراوُون مُحْكَمَ آيِهـا صلّى عليكَ السامعون وسلّموا[3] !

— وله في الغزل والخمر :

كأنّ قـدودَهم أنْبَتَـتْ على كُثُبِ الرمل قُضْبانَهـا[4] .

حَجَجْنا بها كَعْبَةً للسـرور ترانـا نُمَسِّح أركانهـا[5]

فطَوْراً أعانِـقُ أغصانَهـا وطوراً أنـادم غِزْلانَهـا[6] ،

على عاتـقٍ ان خبَتْ شمسُنـا فَضَضْنا عن الشمس أدنانَهـا[7] :

كُميتٍ من الراحِ ، لكنّمـا جَعَلْنا من الـراح فُرسانهـا[8] .

يَطوفُ بهـا بابليُّ الجفـو نِ يَفْضَحُ خَـدّاهُ ألوانَها[9] ؛

بكأسٍ اذا ما عـلاها المِزاجُ أحال إلى التِبْـرِ مَرجانَها[10] .

---

(١) الشاردة : القافية تنزل في آخر البيت نزولا موافقاً (الشوارد هنا : القصائد الجياد) . الدر : اللؤلؤ .

(٢) المأثرة (بضم الثاء) : العمل المجيد . في مشهد : في ملأ من الناس .

(٣) في هذا البيت مبالغة ممجوجة . يقول : اذا تلا (قرأ ، أنشد) الراوون (رواة الشعر وحفاظه) محكم آيها (آياتها : أبياتها الجميلة) ... (يشبه أبيات شعره بآيات القرآن ويشبه الممدوح بالرسول صلى الله عليه وسلم) .

(٤) قدودهم : قاماتهم . الكثيب : المستدير من الرمل . القضيب : القسم الأعلى من جسم المرأة (أجسامهن نحيلة ولكن أواسطهن ضخمة — وذلك مما كان يحبه أهل الجاهلية وأهل العصر الأموي في المرأة) .

(٥) كان الجاهليون اذا طافوا بالكعبة تمسحوا بأركانها (مسوا بأجسامهم جوانبها) . يشبه النساء هنا بالكعبة .

(٦) أغصانها : نساؤها ذوات القامات الممشوقة . غزلانها : نساؤها الجميلات الحسان .

(٧) عاتق (هنا) : خمر . خبت شمسنا : خفت حرارتها . فضضنا (أزلنا الغطاء) عن الشمس (الخمر) الدن : خابية الخمر .

(٨) كميت (حمراء اللون) من الراح (الخمر) . الراح جمع راحة : الكف — هي راح (خمر) تمسك بها راحاتنا .

(٩) بابلي الجفون (في عينيه سحر وفتنة — لأن بابل القديمة كانت مشهورة بالسحر وبالسحرة) يفضح خداه ألوانها (لون خديه أحسن احمراراً من لون الخمر) .

(١٠) المزاج (مزج الخمرة بالماء) أحال (بدل لونها) من المرجان (اللون الشديد الحمرة) الى التبر (الذهب القليل الحمر والكثير الاصفرار) .

٤ - ** الخريدة (مصر) ١ : ٢٠٤ - ٢٢٥ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٤٧ - ٥٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٩ - ١٦١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٩٧ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٢٠ .

القاضي الجليس

١ - هو الشيخُ أبو المعالي عبدُ العزيز بنُ الحسينِ بنِ الحَبّاب الأغلبي السَّعْديّ التميمي ، أصلُه من صِقِلِّيَةَ ، وهومن أهل مِصْرَ . وقد عُرِفَ بالقاضي الجليس لأنّه كان يُجالِسُ خلفاءَ مِصْرَ الفاطميّين . كان مَوْلِدُه نحو سَنَةِ ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) .

ولِيَ القاضي الجليسُ ديوانَ الإنشاء في مِصْرَ في أيام الفائزِ الفاطميّ (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ) مَعَ الموفّقِ بنِ الخلاّل . وقد ذهب إلى اليمنِ يَحْمِلُ رسالةً من الفاطميّين الى دُعاتِهم . وكان بينَه وبينَ الخطيبِ الشاعرِ أبي القاسم هِبَةِ الله بنِ البدر المعروف بابن الصيّاد عداوةٌ فقد هجاه ابنُ الصياد بألفِ مقطوعةٍ ، فيما قيل ، يَصِفُ فيها أنفَه ، فإنّ أنفَ القاضي الجليسِ كان ضخماً . وانتصر الشّاعرُ أبو الفتح بنُ قادوسٍ للقاضي الجليس وردّ على ابن الصيّاد ردّاً مُقْذِعاً .

وكانت وفاةُ القاضي الجليس في القاهرة سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٥ - ١١٦٦م) .

٢ - كان القاضي الجليسُ أديباً وناثراً ومترسِّلاً . وكان أيضاً شاعراً له شعرٌ مشهورٌ مأثورٌ متينُ البناء . ومَعَ أن القاضيَ الجليسَ كان جريئاً في مُخاطبة الملوك فإنّه كان مَرِحاً في كثير من وجوه حديثه وشعره . وأغراضُ شعرِه النسيبُ والغزَلُ والشكْوى والوصف والمديح والهجاء .

٣ - مختارات من آثاره

- قال القاضي الجليسُ :

ومن عَجَبٍ أنّ الصوارمَ والقَنا ... تَحيضُ بأيدي القومِ وهي ذُكورُ[1] ؛

وأعجبُ من ذا أنّها في أكُفِّهِمْ ... تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحورُ !

- وقال في النسيب والشكوى :

لا تَعْجبي من صدّهِ ونِفارهِ ؛ ... لولا المشيبُ لكنتَ من زُوّارهِ[2] .

(١) الصوارم (جمع صارم) : السيوف . القنا (جمع قناة) : الرماح . تحيض : ترى الدم (في أثناء المعركة) تشبيهاً لها بالنساء اللواتي يحضن (يرين العادة الشهرية) . ذكور جمع ذكر (فيه تورية) : الذكر من الرجال ثم الذكر من السيوف (الفولاذ) .

(٢) في أيام شبابه كان نشيطاً جداً !

لم تَتْرِكِ الستّونَ إذْ نَزَلَتْ بـــه ، من عَهْدِ صَبْوته سوى تَذْكارِه .

— وكَتَبَ القاضي الجليسُ ، وقد مَرِضَ مرّةً ، الى طلائعِ بن رُزِّيك [1] يشكو إليه طبيباً اسمه ابن السَّديد (ت ٥٩٢ هـ) وبعث اليه على سبيلِ المداعبة مقطوعةً منها :

وأصلُ بَليَّتي مَـــن قد غـــزاني من السُقْمِ المُلِـــحِّ بعَسْكَرينِ :
طبيبٌ طِبُّه كغُرابِ بَيْـــنٍ يُفَرِّقُ بـيـنَ عافيتي وبَيْني [2] .
أتى الحُمّى وقد شاختْ وباخـتْ فردَّ لهـا الشبابَ بنُسْختين [3] ،
ودبّـــرها بتدبيـــرٍ لطيـــفٍ حكاه عن سِنانٍ أو حُنينٍ [4] .
وكانت نـــوبةٌ في كلّ يـــومٍ فصيّرها بِحـــذْقٍ نَوْبَتَيْنِ [5] .

— ومن كلامه في خطبة ديوان الصالح بن رزّيك :

.... هو الوزيرُ الكافي والوزير الكافل ، والمَلِكُ الذي تُلْقَى بذكْره الكتائبُ [6] وتُهْزَمُ باسمهِ الجحافل ، ومن جَدّدَ رُسومَ المملكةِ وقد كاد يُخْفيها دُثُورها [7] ، وعاد به إليها ضِياؤها ونورُها :

(وقد خَفِيَتْ من قبلهِ مُعْجِزاتُهـــا فأظهَرها حتّى أقرَّ كَفُورها) [8] ....

فقد نَشَرَتْ أيّامُه مَطْويَّ الهِمَمِ وأنْشَرَتْ رُفاتَ الجودِ والكرم [9] ، ونَفَقَتْ بدَوْلته سوقُ الآدابِ بعد ما كَسَدَتْ ، وهَبّتْ ريحُ الفضل بعدمـــا رَكَدَتْ. إذا لَهَا الملوكُ بالقِيان والمعازِفِ ، كان لَهْوُهُ بالعلومِ والمَعارف [10] . وان عَمَروا أوقاتَهم بالخَمْرِ والقَمْرِ [11] ، كانت أوقاتُه معمورةً بالنَهْيِ والأمر :

(مليك — إذا ألْهى الملوكَ عن اللُّها خِمارٌ وخمرٌ — هاجر الدَّلَّ والدنّا) [12] ....

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٩٣٠ . (٢) غراب البين : نذير الشؤم (اذا رآه أليفان تفرقا) .

(٣) باخت : ضعف حرها (قاربت الذهاب) . النسخة : الوصفة التي يكتب الطبيب فيها العلاج .

(٤) سنان بن ثابت بن قرة وحنين بن اسحاق طبيبان مشهوران في الدولة العباسية .

(٥) النوبة : الدور ، الأزمة التي تنتاب المريض من اشتداد ألم المرض عليه مرة بعد مرة .

(٦) الكافي : الذي يستطيع تدبير الأمور بنفسه فيوفر على الآخرين بذل الجهد . الكافل : الذي يضمن تدبير أمور الدولة . تلقى بذكره الكتائب (جماعات الجنود) : تنهزم الجيوش عند ذكر اسمه .

(٧) الجحفل : الجيش الكبير . الدثور : الامحاء والزوال . (٨) الكفور : المنكر .

(٩) أنشرت : بعثت من الموت . الرفات : البقايا المفتتة من جثث الموتى .

(١٠) ركدت الريح : هدأت . القينة : المرأة الراقصة الجميلة . المعزف (بكسر الميم وفتح الزاي) : آلة من آلات الطرب . (١١) القمر : القمار .

(١٢) اللها جمع لهوة (بضم اللام) : العطية (الكرم) . الخمار : غطاء تضعه المرأة على رأسها . الدل : الغنج في المرأة . الدن خابية الخمر . — اذا التهى الملوك عادة عن تدبير الملك بالنساء والخمر ، فان هذا الممدوح (اذا نزل بالدولة حادث) هجر النساء والخمر اهتماماً بأمور الدولة .

٤ ـ ** خريدة القصر (مصر) ١ : ١٨٩ ـ ٢٠٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٥٤ ـ ٣٥٦ ؛ أعلام الزركلي ٤ : ١٤٠ .

نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المصري

١ ـ هو نَصرُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ اسماعيلَ بنِ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ زيادٍ... الفَزاريُّ الإسكندريّ من أهلِ الاسكندرية (مِصْرَ) ، زارَ بغدادَ في أواخرِ عُمرِه وسَمِعَ بها سَنَةَ ٥٦٠ هـ وجالسَ العلماءَ ثمّ ذَهَبَ الى أصفهانَ فتُوفّي فيها في الأغلب ، وذلك سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٥ ـ ١١٦٦ م) .

٢ ـ كان نصرُ الاسكندريُّ أديباً مُلِماً بعَدَدٍ من فنونِ الأدبِ وفَقيهاً ونَحْوِيّاً كما كان شاعراً حكيماً ومُصَنِّفاً للكُتُبِ ، فمن كُتُبه : كتابٌ في أسماء البلدان والأمكنة والجبال والمياه .

٣ ـ **مختارات من شعره**

كان لنصرِ بنِ عبدِ الرحمنِ الاسكندريِّ كُتُبٌ كثيرةٌ (من تصنيفه)، وكان مُغْرَماً بها يَخْشى أن تضيعَ بعدَ موتِه فقال :

أُقَلِّبُ كُتْباً طالما قد جَمَعْتُها ... وأفْنَيْتُ فيها العَيْنَ والعَيْنَ واليَدا[1] ؛
وأصْبَحْتُ ذا ضِنٍّ بها وتَمَسُّكٍ ... لِعِلْمي بما قد صُغْتُ فيها مُنَضَّدا[2] .
وأحذَرُ جُهدي أن تُنالَ بنائلٍ ... مُبيرٍ وأن يَغْتالَها غائلُ الرَّدى[3] .
وأعلَمُ حقّاً أنّني لستُ باقياً ؛ ... فيا ليتَ شِعْري من يُقَلِّبُها غَدا !

٤ ـ ** الخريدة (مصر) ٢ : ٢٢٥ ؛ بغية الوعاة ٤٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٣٤٣ .

ابن الكيزاني

١ ـ هوَ شَمْسُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ ابراهيمَ بنِ ثابتِ بنِ ابراهيمَ ابنِ فَرَجٍ الأنصاريُّ الكِناني المِصْري الحامِيّ المعروفُ بابنِ الكيزاني نِسبةً الى أحَدِ أجدادِه الذي كانَ يَعْمَلُ الكيزانَ (جَمْعُ كوزٍ : إناء صغير للشُّرْبِ) أو يَبيعُها.

---

(١) العين : المال (من الذهب والفضة) ، والعين : عضو البصر .
(٢) ضن : بخل . نضد الرجل الأشياء : رتبها وصففها .
(٣) أن تنال بنائل : أن تباع بمال كثير . مبير : مهلك . أن تنال بنائل مبير : أن يشتريها أحد بمال كثير فأفقدها أنا أو لا ينتفع بها المشتري ! يغتالها غائل الردى : تتلف (بالحرق أو الضياع ، الخ) .

يبدو أنَّ ابنَ الكيزاني قَدْ وُلِدَ في الفُسطاط ونَشَأ هُنالك؛ ولا نَعلم إلا أنه سَمِعَ الحديثَ من أبي الحَسَنِ عليِّ بنِ الحُسين بن عُمَرَ المَوْصِلِيِّ ومن أبي عليٍّ الحسنِ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ الجيليّ ، فلَعَلَّه ارْتَحَلَ عن مِصْرَ قبلَ أن يَشْتَهِرَ فيها .

كانَ ابنُ الكيزانيِّ واعظاً في القاهرة وعلى طريقة أهلِ التَصَوُّف أسّس فُرْقَةً تُعرَفُ بالكيزانية كان لها أتباعٌ كثيرون ، وخصوصاً في حُوف مِصْرَ (تجاه بُلْبَيْسَ) . وقد كان في الوقت نفسه مُعْتزلياً يرى أن أفعالَ العبادِ قديمةٌ، كما كانتْ آراءٌ له كثيرةٌ تَدُلُّ على أنه يأخُذُ برأي أهل السُّنَّة والجَماعةِ .

تُوُفِّيَ ابنُ الكيزانيِّ في مِصْرَ، في التاسع من رَبيعِ الأوّلِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٢ هـ (شتاء عامِ ١١٦٦ م) في الاغلب .

٢ ـ كان ابن الكيزاني مُقْرِئاً للقُرآنِ راوياً للحديث وعالماً بأصول الدين وفُروعه (الفِقه) يأخذ بالرِواية ويَلْجأ أيضاً الى النَظَرِ العقلي (البراهين) .

وكان أيضاً واعظاً حَسَنَ العبارة طَليَّ الكلام. ثم هو شاعرٌ مُكْثِرٌ كان مَشْهوراً في زمنه شُهْرة واسعةً . ولكنَّ شعْرَه عاديٌّ لا تَصَنُّع فيه ولا تأنُّق ؛ ومعانيه مألوفةٌ قَريبةٌ من أفهام العامة . وأكثرُ شِعْرِه الزهدُ ، وله شيء من الغَزَل على طريقة أهلِ التصوّف . وكانَ أيضاً مُصَنِّفاً له كتابانِ في الوَعْظ والإرشاد اسمُ أحدِهِما كتابُ الرقائق واسمُ الثاني مَليك (؟) الخُطَبِ .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابن الكيزانيّ في النسيبِ يُشير الى العزّة الالهية على طريقة المُتَصوِّفين :

وإنّي لأهْوى ذِكْرَكُمْ ، غير أنّني ... أغارُ عليكم من مسامعِ جُلاّسي .
عُرِفْتُ بِكُمْ دَهْراً ـ وللعبدِ حُرْمَةٌ ـ ... فلا تَتْرُكوني مُوحَشاً بعد إيناسي [1] !

ـ وقال في مثل ذلك :

تُريدُ الهوى صِرْفاً من الضُرّ والبَلْوى؛ ... لَعَمْرُكَ ، ما هذي قضيّةُ من يَهْوى [2] .

(١) موحشاً : بعيداً عنكم . بعد ايناسي : بعد أن قربتموني فأصبحت آنس بكم (أجد لذة بقربي منكم) .

(٢) صرفاً من الضر : خالياً من الضر (الضرر ، الأذى ، المرض الشديد الطويل الأمد) . البلوى : الابتلاء (الامتحان والاختبار بالشدة والغم اللذين يبليان الجسم : يجعلانه نحيلا مهزولا) .

إذا لم يَكُنْ طَرْفُ المُحِبِّ مُسَهَّداً وأدمُعُه تَجْرِي، فهذا هي الدَعْوى .

ولا حُبَّ إلاّ أن تَرى كُلْفَةَ الهَوى ألذَّ من المَنّ المُنَزَّلِ والسَلْوى[1] .

وحتّى تَرَى القلب القَرِيحَ من الهَوى يُمانعه الصَبْرُ الجَميلُ من السَلْوى[2]

رعى اللهُ من أعطى المَحَبَّةَ حقَّها وان لم يكن فيها من الأمرِ ما يَقْوى[3] .

– ولابن الكيزاني في الحكمة :

شَريفُنا يَمْضي ومَشْروفُنا ؛ وإنّما يُفْتَقَدُ الخَيِّـرُ[4] .

كالجَوِّ لا يُوجَدُ إظلامُـه إلاّ اذا ما عُدِمَ النَيِّـرُ[5] !

– وله في النسيب :

جُهْدُ عَيْنَي ألاّ تَذوقَ هُجوعاً، وجُفوني ألاّ تَكُفَّ دُموعا[6] ؛

ولِساني ألاّ يَزالَ مُقِـرّاً أنّني لَسْتُ للعُهودِ مُضيعـا ؛

وفُؤادي ألاّ يُلِـمَّ بهِ الصَبْرُ، وسُقْمي ألاّ يَرومَ نُزوعا[7] .

ولَقَدْ أوْدَعَ الغَـرامُ بِقَلْبي زَفَراتٍ أضْحى بها مَصْدوعا[8] .

وإذا أطْنَبَ العَذولُ فقد عـا هَدَتْ سَمْعي ألاّ يكونَ سَميعا[9] .

---

(١) المن والسلوى : مادة تسقط مع الندى وتنعقد (تجمد) على الأغصان عسلا . والسلوى أيضاً جمع سلواة : سماناة واحدة السماني : طائر طري اللحم يكثر في الربيع بين القمح ويقال له في العامية سمن (بضم السين وبضم الميم المشدودة ، والواحدة سمنة) . المن والسلوى : طعام حلو ولحم طير ، كان الله قد أنزلهما على بني اسرائيل في التيه (راجع القرآن الكريم ٢ : ٥٧ ، ٧ : ١٥٩ ، ٢٠ : ٨٠ في السور : البقرة، الاعراف، طه على التوالي) .

(٢) القريح : الذي به قرح (بضم القاف : جرح أو قطع تهرأ فلا يندمل) . السلوى : السلو ، التسلي ، النسيان .

(٣) الملموح : .... وان كان في المحبة (الانس بالله) ما لا يقوى (الصوفي) على احتماله .

(٤) يمضي – يموت . نفتقد الشيء : نحتاج اليه فنطلبه (نبحث عنه) فلا نجده .

(٥) النير : الشمس ، القمر .

(٦) الجهد (بضم الجيم) : الطاقة ، أقصى ما يستطيع الانسان أن يبذله من قوته . الجهد (بفتح الجيم) : التعب . الهجوع : الاغفاء ، النومة الخفيفة ، النوم ليلا . وجفوني – وجهد جفوني . ألا تكف دموعاً : ألا تمنع دموعي عن السقوط .

(٧) ألم به : نزل به (مدة يسيرة) زاره . يروم : يريد ، يطلب . النزوع (عن الشيء) : الانتهاء (لا أريد أن ينتهي سقمي – سقامي ، مرضي ، ألمي ، وجعي – اذا كان محبوبي سبباً له) .

(٨) الزفرة : المرة من التنفس (الحار) ، صوت النار . مصدوع : مشقوق .

(٩) – مهما أطنب (بالغ ، زاد) العذول (المبغض ، اللائم) في نصحي للابتعاد عنك، فلن أسمع منه .

وحرامٌ على التلهُّفِ أن يَبْـرَحَ أو يُحْرِقَ الحَشـا والضُلوعا[1].
وبَعيدٌ أنْ يَجْمَـعَ اللهُ شَمْلي بالمَسَرّاتِ أو نَعودَ جَميعا[2]!

٤ – ابنُ الكيزاني الشاعر الصوفي المصري : حياته وديوانه ، تأليف علي صافي حسين ، القاهرة (دار المعارف) بلا تاريخ (مكتبة الدراسات الادبية ٣٩).

** خريدة القصر (مصر) ٢ : ١٨ – ٤٠ ؛ المحمدون من الشعراء ١١١ – ١١٣ ؛ الـوافي بالوفيات ١ : ٣٤٧ – ٣٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٩١ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ١٨٦.

القاضي الرشيد الأُسواني

١ – هوَ القاضي الرشيدُ أبو الحسينِ أحمدُ بنُ القاضي الرشيدِ أبي الحسنِ عليٍّ ابنِ القاضي الرشيدِ أبي اسحقَ ابراهيمَ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ الزُبير الغَسّانيِّ الأُسوانيّ ، نِسبَةً إلى أُسْوانَ في صعيدِ مِصْرَ ؛ وكان أسودَ الجِلْدة قبيحَ المنظرِ ذا شَفَةٍ غليظةٍ وأنفٍ مَبْسوط . وهو أخو القاضي المُهذّبِ أبي محمّدٍ الحسنِ بنِ علي بن ابراهيمَ بن الزبير (ت ٥٦١ هـ – راجع ص ٣١٩).

وُلِدَ القاضي الرشيدُ الأُسواني في أُسْوانَ ونشأ فيها ثمّ انتَقَلَ إلى قُوصَ (دار إمارة الصعيد) في مَطْلَع صِباهُ وتولّى فيهـا المَطْبَخَ . ويبدو أنّه لم يَمْكُثْ في قوص إلاّ قليلاً فجاء الى القاهرة بعد مَقْتَل الظافِرِ الفاطِميّ، في ٣٠ من المُحرّمِ من سنة ٥٤٩ (١٦ – ٤ – ١١٥٤ م) . فلمّا بُويِـعَ بالإمامة للفائزِ الفاطمي، مُسْتَهَلَّ صَفَرَ، دَخَلَ الشعراء عليه يُهنّئونه فأنشدَ القاضي الرشيدُ قَصيدةً مطلعها : ما لِلرِّياضِ تَميلُ سُكْرا !

فكانت سَبَبَ حظْوته في البلاط الفاطمي .

ثمّ إنّ القـاضيَ الرشيدَ أُرْسِـلَ بِمُهِمّةٍ إلى اليمن ، فأقـامَ في اليمن مُدّةً وَوَلِيَ فيها القضاء ومَدَحَ نَفَراً من مُلوكها منهم عَليُّ بنُ حاتِم الهَمْدانيُّ مدحه بقصيدة يُعَرِّضُ فيها بمصرَ وبني قَيْسٍ (والأئمّة الفاطميونَ منهم) ويُسمّيهم زَعانِفَ خِنْدِفٍ ويمدح هَمْدانَ وقَحْطان من قبائل اليمن .

---

(١) التلهف : الحزن ، التحسر (الحزن على ما فات) . يبرح : يغادر ، يترك ، يزول . أو (حتى قبل أن) يحرق الحشى (باطن الجسد ، فيكون حينئذ قد أحرق كل شيء قبل ذلك) والضلوع (أضلاع الصدر ، وفيها القلب) .

(٢) – واذا لم اجتمع بمحبوبي فلن أعرف شيئاً من أنواع المسرات .

وكان ممّا قاله في ذلك :

لئِنْ أجْدَبَتْ أرضُ الصَعيدِ وأُقحِطوا ، فَلستُ أُبالي القَحْطَ في ارضِ قَحْطانِ [1] .
ومُذْ كُفِّلَتْ لي مأرِبٌ بِمَـآرِبي فلَسْتُ على أسْوانَ يوماً بأَسْوانِ [2] .
وإن جَهِلَتْ حقّي زَعانِفُ خِنْدِفٍ فقَدَ عرَفَتْ فضْلي غَطارِفُ هَمْدانَ [3] !

وغلا طُموحُ القاضي الرشيدِ في اليمن فتَمَرّدَ وتَسمّى بالخِلافةِ وضَرَبَ سِكّةً (عِمْلة) باسمهِ .

ولكنْ سَرْعانَ ما قُبِضَ عليه فأرْسِلَ مُكَبَّلاً الى قُوص ، وأميرُها يومَذاك طَرْخانُ سَليط (وكان بَيْنَهما عداوةٌ قديمةٌ) ، فَحَبَسَهُ طَرْخانُ في المَطْبخ الذي كان يتولاّه قديماً . ثمّ وَصَلَ خَبَرُهُ الى طَلائعِ بنِ رُزّيكَ ، وكانَ وَزيراً (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) للفائزِ الفاطمي فأرْسَلَ طلائعُ إلى طَرْخانَ يأمُرُه باطلاقِ سَراحِ القاضي الرشيدِ .

وفي سَنَةِ ٥٥٩هـ (١١٦٣ — ١١٦٤ م) أرْسِلَ القاضي الرشيدُ إلى الاسكندرية لِيَتَوَلّى فيها الدواوينَ السُلطانيةَ ، وكانَ لذلك كارهاً ، كما كان قَلْبُهُ قد تَغَيّر على الفاطميّين . فلمّا جاء شيركوهُ بن شادي الى مِصْرَ ، سَنَةَ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) كاتبَهُ القاضي الرشيدُ . وكان صلاحُ الدين الأيّوبي مَعَ عَمّهِ شيركوه ، وكانَ الصليبيّون قد نَزَلوا في الإسْكَنْدَرية فواطأهم شاوَرُ بنُ مُجيرٍ ، وزيرُ العاضِدِ الفاطميّ ،لا كُرْهاً بشيركوه وصلاحِ الدين فقط — وكانا يُحاربانِ الصليبيّين — بل تَوَجساً لِخيفةٍ مِنْهما على الدولة الفاطمية ايضاً . وانضمّ القاضي الرشيدُ إلى صلاح الدين في قِتالِ الصليبيّين ، فأحْنَقَ ذلك شاوَرَ . واتّفق أنْ قَبَضَ شاوَرُ على القاضي الرشيدِ في قِصّةٍ طويلةٍ فقتله ، في المُحَرّمِ من سَنَةِ ٥٦٤ (خريف عام ١١٦٧م) .

---

(١) أجدبت الأرض : قل نتاجها .. الصعيد : مصر العليا (الجنوبية) . قحط (بفتح القاف وكسر الحاء) القوم : أصابهم القحط . وقحطوا (بضم أوله ، بالبناء للمجهول) قليل ، نادر (بمعنى قحط) . لست أبالي: لا اهتم . قحطان (أرض اليمن) .

(٢) كفلت (بالبناء للمجهول) : جعلت كافلة . مأرب : بلد في اليمن . مآرب جمع مأرب (بفتح الراء) : حاجة ، غاية . أسوان (بضم الهمزة) : بلدة في الصعيد (ولد فيها الشاعر) ، أسوان(بفتح الهمزة) : حزين .

(٣) الزعانف (جمع زعنفة بفتح فسكون ففتح) : أجنحة السمك ، الاشياء الرديئة ، الاخلاط من الناس لا أصل واحداً لهم ولا قدر لهم . خندف : قبيلة من عرب الشمال (بفتح الشين) ، المقصود عرب الشمال كلهم (ومنهم الفاطميون) . الغطارف جمع غطريف (بكسر الغين) : السيد الشريف السخي . همدان : قبيلة من عرب الجنوب (في اليمن) .

٢ ــ كان القاضي الرشيدُ مُحيطاً بعددٍ من فُنونِ المَعْرفةِ عَدُّوا منها اللغةَ والنحوَ والعَروضَ والأدب والشعر، وعدّوا منها أيضاً التاريخَ والمَنْطِقَ والهندسة والفَلَكَ والموسيقى والطِبَّ. ولقد كان القاضي الرشيدُ كاتباً مُنْشِئاً ومُصنِّفاً وشاعراً مُجيداً لطيفَ المعاني غريبَ الأغراضِ قليلَ التكلّف، وأكثرُ شِعرِه في أغراضِ نفسِهِ الوُجْدانية. وقد ذكروا أنّ أخاه القاضيَ المُهذّبَ (ت ٥٦١ هـ) كان أشعرَ منه (معجم الادباء ٢ : ٤٧).

والقاضي الرشيدُ مَصَنِّفٌ له من الكتب: كتاب مُنْيَةُ الألمعي وبُلْغة المُدّعي (وهي رسالة تشتمل على علومٍ كثيرةٍ، ولعلها الرسالةَ التي أشار إليها العمادُ الأصفهاني في الخَريـدةِ (قسم مصر ١ : ٢٠١) وقال: «وله الرسالةُ التي أوْدَعها من كلّ عِلمٍ مُشْكِلَةَ ومن كلّ فنّ أفضَلَه». وله أيضاً جِنان الجَنان وروضة الأذهان (في أربعة مجلّدات، يشتمل على شعراء مصر ومن طرأ عليها من الشعراء) ــ كتاب المقامات ــ الهدايا والطرف ــ شِفاء الغُلّة في سَمْتِ القِبْلَة ــ كتاب رسائله (نحو خمسين ورقة) ــ ديوان شعره (نحو مائة ورقة).

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال القاضي الرشيدُ أبو الحَسَنِ أحمدُ بن عليّ بن الزبيرِ الأُسواني قصيدةً يَمْدَحُ بها طَلائِـعَ بنَ رُزَّيْكٍ (راجع فوق، ص ٣٠٩) جاء فيها :

ما لِلرّياضِ تَميل سُكْـرا؟ ... هَلْ سُقِيَتْ بِالمُزْنِ خَمْرا[1]؟
جاري المُلـوكَ الى العُـلا ... لكنّهُمْ نـاموا وأسْرى[2].
سائِلْ بهِ عُصَبَ النفـا ... قِ غَداةَ كان الأمْـرُ إمْرا[3] :
أيّامَ أضْحى النُكْـرُ مَعْـ ... روفاً، وأمْسى العُرْفُ نُكْـرا؛
أفَكَـرْبَـلاءٌ بالعـرا ... قِ وكَرْبَـلاءٌ بِمِصْرَ أُخْرى[4]!

(١) بالمزن ــ مع المزن (المطر).

(٢) جارى (طلائع بن رزيك) الملوك : ماشاهم، سايرهم (بدأ سيره معهم).... ثم ناموا هم (تركوا الاهتمام بطلب العلا) وأسرى هو (سار ليلا، ظل يهتم بأمر الملك).

(٣) العصب جمع عصبة (بضم العين) : العصابة (بكسر العين) الجماعة القليلة من الناس (تجتمع في الأكثر على الشر). الإمر (بكسر الهمزة) : الشيء العجيب المنكر (بضم الميم وفتح الكاف).

(٤) كربلاء : مكان في جنوب العراق استشهد (بالبناء للمجهول) فيه الحسين بن علي، رضي الله عنه؛ كناية عن المصيبة الكبرى.

قَسَماً بِمَنْ طافَ الحَجيـ ـجُ بِبَيْتِـه شُعْثاً وغُبْـرا[1]،
لولا طـلائعُ لَمْ تكُـنْ نرجو لِمَيْتِ الدينِ نَشْرا.

ـ قال القاضي الرشيدُ في كتابه جِنان الجَنان ورياض الأذهان في الشاعر رضيّ الدولة أبي سُليمانَ داوودَ بن مُقدامِ بن ظَفَرٍ المَحَلّيّ (خريدة القصر ـ شعراء مصر ـ ٢ : ٤٦) :

هُوَ من أبناء الجُنْد بأسفَلِ مِصْرَ، إلاّ أنّ هِمَّتَهُ سَمَتْ به من الأدب الى دَوْحَةٍ يَقْصُرُ عَنْها أمثالُـه، ولا يَطْمَعُ فيها أضرابُه وأشكالُه[2]؛ وعَضَدَهُ على ذلكَ جَوْدَةُ الطَبْعِ ونَفاذُ القَريحة[3] حتى أدْرَكَ بِعَفْوِ خاطِرِه وسُرْعَة بَديهته ما لم يَبْلُغْ إليه كَثْرَةٌ مِنْ أبناء عَصْرِه في الدَأْبِ[4] على اقْتِناء الأدب....

ـ لمّا ادّعى القاضي الرشيدُ الخِلافةَ في اليمن وقَبَضَ عليه الداعي (الفاطميُّ) كَتَبَ أخوه القاضي المهذّبُ إلى الداعي يَسْتَعْطِفُه بقَصيدةٍ مَطْلَعُها: «يا رَبْعُ، أين تَرى الأحِبّةَ يَمّموا؟» (معجم الادباء ٩ : ٥٠ ـ ٥٧، راجع ٤ : ٦٢). فنَظَمَ القاضي الرشيدُ قصيدةً بارعة يُعارِضُ بها قَصيدةَ أخيه (معجم الادباء ٤ : ٦٢ ـ ٦٦). فمن قصيدة القاضي الرشيد :

أحْبابَنا، ما كانَ أعظمَ هَجْرَكُمْ عِنْدي؛ ولكنّ التَفَرُّقَ أعْظَمُ[5].
غِبْتُمْ؛ فلا، واللهِ، ما طَرَقَ الكَرى جَفْني؛ ولكنْ سَحّ بَعْدَكُمُ الدَمُ[6].
وزَعَمْتُمُ أنّـي صَبورٌ بَعْدَكُم. هَيْهاتِ، لا لُقِّيتُمُ ما قُلْتُمُ[7].
واذا سُئِلْتُ: بِمَنْ أهيمُ صَبابَـةً؟ قلتُ: الذينَ هُمُ، الذين هُمُ هُمُ.

---

(١) الحجيج ـ الحجاج (بضم الجيم جمع حاج). ببيته ـ بكعبته. الاشعث: الملبد الشعر أو المتفرق الشعر (بلا تمشيط ولا عناية ولا نظافة). الأغبر: الذي علاه الغبار (من طول السفر).

(٢) الدوحة: الشجرة الكبيرة (هنا): مكانة. الأضراب جمع ضرب (بفتح الضاد) والشكل: المثل والصنف والشبيه. ـ لا يصل أمثاله من الناس الى ما وصل هو اليه.

(٣) عضده: ساعده. نفاذ القريحة: ثقوب الذهن، صحة النظر في الأمور.

(٤) الدأب: المثابرة.

(٥) التفرق: اختلاف الرأي. أعظم: أشد (خطراً ومصيبة).

(٦) ما طرق (جاء ليلا) الكرى (النوم). سح بعدكم الدم: بكيت دماً (بكاء شديداً).

(٧) هيهات: ما أبعد ذلك (عن الصواب). لا لقيتم ما قلتم: لا أصابكم ما أصابني (لا قدر الله لكم الابتعاد عن أحبابكم).

لا ذنبَ لي في البُعْدِ أعرفُه سوى ... أنّي حَفِظْتُ العَهْدَ لمّا خُنْتُم[١] ،
فأقَمْتُ حينَ ظَعَنْتُمُ ، وعَدَلْتُ لَمّا جُرْتُمُ ، وسَهِدتُ لَمّا نِمْتُمُ[٢] .
أحْبابَ قلبي ، أعْمِروه بذِكْرِكُمَ ؛ ... فلَطالَما حَفِظَ الوِدادَ المُسْلِمُ .
واستَخْبِروا رِيحَ الصَبا تُخْبِرْكُمُ ... عن بَعْضِ ما يَلْقى الفُؤادُ المُغْرَمُ[٣] .
كم تَظْلِمونا قادِرينَ ، وما لَنا ... جُرْمٌ ولا سَبَبٌ ! لِمَنْ نَتَظَلَّمُ[٤] ؟
جارَ الزمانُ عَلَيَّ لَمّا جُرْتُمُ ... ظُلْماً ، ومالَ الدهرُ لَمّا مِلْتُمُ[٥] .
وغَدَوْتُ بَعْدَ فِراقِكم وكأنّني ... هَدَفٌ تَمُرُّ بجانِبَيْهِ الأسْهُمُ[٦] .
ونَزَلْتُ مَقْهورَ الفُؤادِ بِبَلْدَةٍ ... قَلَّ الصديقُ بها وقَلَّ الدِرْهَمُ ،
في معشرٍ خُلقوا شخوصَ بهائمٍ ... يَصْدى بها فكرُ اللبيبِ ويُبْهَمُ[٧] .
إن كُورموا لم يَكرُموا ، أو عُلِّموا ... لم يَعْلَموا ، أو خُوطبوا لم يَفْهموا[٨] ؛
لا تَنْفُقُ الآدابُ عِنْدَهُمُ ، ولا الـ ... إحسانُ يُعْرَفُ في كَثيرٍ مِنْهُمُ ؛
صُمٌّ عنِ المَعْروفِ حتّى يَسْمَعوا ... هُجْرَ الكلامِ فيُقْدِموا ويُقَدَّموا[٩] .
فاللهُ يُغْني عَنْهُمُ ، ويَزيدُ في ... زُهْدي لَهُمْ ، ويَفُكُّ أسْري مِنْهُمُ .

٤ - ** خريدة القصر (مصر) ١ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ معجم الادباء ٤ : ٥١ - ٦٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٩ - ٩١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، راجع ١٩٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٦٨ .

---

(١) - أنا أشعر بالبعاد لأنني لا أزال أحفظ العهد ، أما أنتم فلا تشعرون بالبعاد لأنكم خنتم العهد (ونسيتم الصداقة والوداد) .

(٢) ظعن : سافر ، ترك الوطن ، جار : ظلم . سهد : سهر ، لم ينم في الليل من الغم والقلق .

(٣) عمر الرجل المكان وأعمره: جعله آهلا (جعل فيه سكاناً) . اعمروه بذكركم : أحسنوا أعمالكم حتى يظل قلبي مملوءاً بذكركم .

(٤) وما لنا جرم ولا سبب - ليس لي ذنب حتى تظلموني ، ولا لكم سبب (عذر) حتى تظلموني .

(٥) جار الزمان علي : ألح بظلمه علي . ومال (عني) لما ملتم (أنتم عني) .

(٦) الهدف : الغرض المنصوب نطلق عليه السهام (أو الرصاص) . تمر بجانبه الاسهم (تكثر حوله المصائب) .

(٧) يصدى - يصدا - يصدأ . يصدأ الفكر ويبهم : يكل (يضعف ويقف عن التفكير وعن فهم الأمور) .

(٨) إن كورموا لم يكرموا : اذا أكرمهم أحد لم يصبحوا كراماً (طباعهم رديئة حتى لا ينتفعوا بالاكرام ولا تقبله طباعهم) .

(٩) هجر الكلام : الكلام القبيح . فيقدموا (على سماعه ويسرون به) ويقدموا (قائله ويحترمونه) .

حميد بن مالك الكناني

١ ـ هو مكينُ الدولة أبو الغنائم حُميدُ بنُ مالكِ بن مُغيثٍ الكِناني ، من آل مُنْقِذ ، وُلِدَ في شَيْزَرَ تاسعَ جُمادى الثانية ٤٩١ (١٣/٤/١٠٩٨) ونشأ فيها . ثمّ انّهَ انتقل الى دِمَشْقَ وسَكَنَها ، وكان يكتُبُ في الجيش . وكانت وفاتُه في حلَبَ في نصفِ شعبانَ من سَنَةِ ٥٦٤ هـ (١٤/٥/١١٦٩ م) .

٢ ـ كان حُميدُ بنُ مالكٍ ذا عفافٍ وشجاعة ، وكان يحفَظُ القرآنَ . وهو أديبٌ شاعرٌ ، وشِعرُه وُجدانيٌّ سهلٌ رقيق .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال حُميدُ بن مالكٍ في الخمرِ :

وقهوةٍ كدموعِ الصبِّ صافيةٍ … تكاد في الكأس عند الشُرب تلتهبُ .
يَطفو الحَبابُ عليها ، وهي راسبةٌ ، … كأنّها فِضّة من تحتِها ذهب !

ـ وقال في دِمَشْقَ وأهلِها :

ما بعدَ جِلّقَ للمُرتادِ منزلةٌ ، … ولا كسُكّانها في الأرض سُكّانُ .
فكلُّها لمَجالِ الطَرْفِ مُنتزَهٌ ، … وكلّهم لصُروفِ الدهر أقرانُ .
وان هم بَعُدوا مِني بنِسبَتِهم ، … إذا بلَوْتَهُمُ بالوُدِّ إخوانُ !

٤ ـ ** معجم الادباء ١١ : ١٦ ـ ١٨ .

ابن الخلاّل

١ ـ هُوَ أبو الحجّاجِ مُوَفَّقُ الدينِ يوسفُ بنُ محمّدِ بنِ الحُسينِ المعروفُ بابنِ الخلاّل ، تولّى ديوانَ الإنشاء في مِصْرَ للفاطميّين في أواخرِ أيام الحافظِ (٥٢٥ ـ ٥٤٤ هـ) ثمّ استمرّ طَوالَ أيامِ الظافر (٥٤٤ ـ ٥٤٩ هـ) والفائز (٥٤٩ ـ ٥٥٥ هـ) إلى أواخر أيام العاضدِ (٥٥٥ ـ ٥٦٧ هـ) .

وضَعُفَ ابنُ الخلال في أواخرِ عُمُرِه فأشرِكَ معه في ديوان الانشاء جلالُ الدين محمودٌ الأنصاريُّ والقاضي الفاضل . ثمّ زادَ ضَعفه وعَميَ فلزِم بَيْتَهُ إلى أن تُوُفّيَ في ٢٣ من جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٥٦٦ هـ (٣٠/٣/١١٧٠ م) .

٢ ـ كان ابنُ الخلاّل كاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً له غزلٌ ووصفٌ ورثاء. على أنّ شُهْرَته إنّما هي في الكِتابة، فقد كانتْ له قواعدُ (شخصية) في التّرسّل يكتُبُ كما يشاء، كما كان كثيرَ الصِناعة ربّما استَغل عَدَداً مِنَ اصْطلاحاتِ العُلومِ ليُكْسِبَ صِناعتَه قوّةً وجِدّةً.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابن الخلاّل يصف شمعة:

وصَحيفةٍ بَيْضاءَ تَطْلُعُ في الدُجى ... صُبْحاً وتَشْفي الناظرينَ بدائِها؛
شابتْ ذوائبُها أوانَ شَبابِها، ... واسوَدّ مَفْرِقُها أوانَ فَنائِها[1]:
كالعينِ في طَبَقاتِها ودُموعِها ... وسوادِها وبياضِها وضيائِها!

ـ ومن غزله المملوء بالصناعة:

عَذُبَتْ لَيالٍ بالعُذَيبِ خَوالي، ... وحَلَتْ مواقِفُ بالوِصالِ حَوالي[2]؛
ومَضَتْ لَذاذاتٌ تَقَضّي ذِكْرُها ... تُصْبي الحَليمَ وتَسْتَهيمُ السالي[3]؛
وجَلَتْ مُورّدَةَ الخُدودِ فأوْثَقَتْ ... في الصَبْوة الخالي بِحُسْنِ الخالِ[4].
قالوا: سَراةُ بني هِلالٍ أصلُها؛ ... صدقوا! كذاك البدرُ فَرْعُ هِلالِ[5].

ـ كتب ابنُ الخَلاّلِ سِجِلاً[6] بولاية شاوَرَ الوزارةَ للمرّةَ الثانية (رَجَبَ ٥٦٠ هـ):

(١) ـ تكون الفتيلة التي في قلب الشمعة بيضاء (جديدة، شائبة) حينما تكون الشمعة جديدة (كبيرة، شابة)، ثم يسود مفرق الشمعة (تلك الفتيلة عند رأسها) حينما تحترق الفتيلة وتصغر الشمعة وتقارب أن تنتهي (تفنى).

(٢) عذبت: أصبحت عذبة (حلوة). العذيب: مكان في الحجاز (كناية عن بلد المحبوب، مكان الاجتماع به). خوال: ماضية. حلت: عذبت. بالوصال (بالاجتماع بالمحبوب). حوالي جمع حالية: مزينة.

(٣) تصبي: تدعو الى الصبا والحب. الحليم: العاقل. تستهيم: تحمل على الهيام (بضم الهاء: الجنون في الحب). السالي: الناسي، الغافل عن الحب (لاشتغاله بأمر مهم أو لصغر سنه، الخ).

(٤) جلت: أظهرت، أبرزت. أوثقت: قيدت (أسرت بحبها). في الصبوة: في الحب. الخالي (الذي لا حب في قلبه) و«الخالي» مفعول به من الفعل «أوثقت». الخال: النقطة السوداء في الخد.

(٥) قالوا: هي من سراة (وجهاء) بني هلال (قبيلة عربية)... البدر (القمر ليلة تمامه) أيضاً فرع من أصل هلال (القمر في أول ظهوره).

(٦) السجل: المنشور أو المرسوم بتولية وزير الخ.

..... وبعدُ : فالحمدُ لله مانحِ الرَّغائبِ ومُنيلِها ، وكاشفِ المَصاعب ومُزيلها ، ومُذِلِّ كلِّ عُصْبَةٍ كَلِفَتْ بالغَدْر والشِّقاق ومذيلها[1] !.... مُطْلِعِ الشمس بعدَ المغيب ، ومُتدارِكِ الخَطْبِ - اذا أَعْضَلَ[2] - بالفرج القريب ، مُبْدِعِ ما كان وما يكونُ ، ومُسَبِّبِ الحَرَكَةِ والسُّكون، مُحَسِّنِ التدبير ومُسهِّلِ التعْسير ؛ قُلِ : اللَّهُمَّ مالكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الخيرُ؛ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[3] .

(ثمَّ يتوجّه بالكلام إلى شاوَرَ) :

وراقِبِ اللهَ في ما أَلْقاهُ إليْكَ، فَقَدْ فَوَّضَ إليكَ مَقاليدَ البَسْطِ والقَبْضِ[4]، والرَّفْعِ والخَفْضِ ، والوَلايَةَ والعَزْلِ والقَطْعِ والوَصْلِ ، .... والإعزاز والإذلال والإساءة والإجمال[5] .... وكُلُّ ما تُحْدِثُه تصاريفُ الأيّامِ وتقتضيه مطالبُ الأنام فَهُوَ إليك مَردودٌ وفيما عَلِقَ بِنَظَرِكَ مَعْدودٌ[6].

وأما العَدْلُ ومَدُّ رِواقِه وإقامةُ مواسمِهِ وأَسْواقه[7] ..... وإظهارُ شِعارِ الدين في إنصاف المُتداعينَ إلى الشرع المُتَحاكمين ، والدعوةُ الهادية وفَتْحُ أبوابِها للمُسْتَجيبين[5] ، وإعزازُ مَنْ يَتمسَّكُ بها من كافّةِ المؤمنين .... فكلُّ ذلك

(١) مانح (معطي) الرغائب (جمع رغيبة : العطاء الكثير) ومنيلها (معطيها) عصبة : جماعة . كلفت : أصبحت مغرمة ، متعلقة ، محبة . مذيلها : مهينها .

(٢) أعضل الداء : صعب شفاؤه .

(٣) هذه آيه من سورة آ ل عمران (٣ : ٢٦) .

(٤) راقب الله (ليكن الله نصب عينيك، اتق الله وخفه في تصريف) ما ألقاه الله اليك (من المركز والأمر اللذين عهد بهما اليك) مقاليد (مفاتيح ، القدرة على) البسط والقبض (العطاء والمنع ، المنح والحرمان) .

(٥) الاجمال : فعل الجميل بالناس (الاحسان اليهم) .

(٦) تصاريف (تقلبات) الأيام وتقتضيه (تتطلبه) الأنام. (الناس ، مجموع البشر) . مردود اليك (يرجع الفصل والحكم فيه اليك) . علق بنظرك (اتصل بولايتك) (٤) الرواق : ممر مسقوف. مد رواق العدل: نشر العدل بين الناس. المواسم : الأعياد والمناسبات الكبرى. السوق: مكان البيع والشراء (المجال الذي يصرف فيه الناس حاجاتهم اليومية) . أقام السوق : جعلها رائجة كثيرة الحركة .

(٧) الشعار : العلامة . اظهار شعار الدين : العمل على أن يعز الدين ويقوى حتى يظهر فلا يكتم خوفاً من خصومه . المتداعون : المتقدمون الى صاحب الدولة بطلب الانصاف أو رفع الظلم عن أنفسهم . المتحاكون : الذين رضوا (بك) حكماً فيما بينهم . الدعوة الهادية : الدعوة الفاطمية ، المذهب الفاطمي . المستجيب : الذي قبل الدعوة وأراد أن يدخل فيها .

مُحَرَّرٌ في تَقْليدِ وَزارتكَ الأوّلِ[1] ......

٤ — ** خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١ : ٢٣٥ — ٢٣٧ ؛ نكت الهميان ٣١٤ — ٣١٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٥٣٠ — ٥٣٤ ؛ ابن الاثير ١١ : ٣٦٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، ٢ : ١٤٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٦ .

ابن الخشاب البغدادي

١ — هُوَ أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الله بن نصرِ بنِ الخشّابِ البغدادي ، وُلِدَ سنَةَ ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ — ١٠٩٩) . وابن خلّكانَ يَشُكُّ في هذا التاريخِ ويُقَدِّرُ أنّ ابنَ الخشّاب يَجِبُ أن يكونَ قد وُلِدَ قبلَ ذلك بزمنٍ (وفيات الاعيان ١ : ٤٧٨ — ٤٧٩) .

قرأ ابنُ الخشّاب البغداديُّ الادبَ واللغةَ على أبي منصورٍ الجَواليقيّ وأبي الحسن ابن عليّ المُحوَّليّ ، وأخذ النحو عن أبي بكرٍ بن جواد مردَ القطّان ثمّ عن أبي الحسن علي بن أبي زيدٍ الفَصيحي الأستراباذي ثمّ عن الشريف أبي السعاداتِ بن الشَّجَري — غير أنّه قاطعَ ابن الشَّجريّ وردّ عليه في أماليه — . وكذلك سَمِعَ ابنُ الخشاب البغداديُّ الحديثَ عن أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم بن الحُصين وأبي العزّ كادش وغيرهم .

ولمّا دخل أبو شجاعٍ عُمَرُ بنُ أبي الحسنِ البَسْطاميّ بغدادَ قرأ عليه ابنُ الخشّاب كتاب «غريب الحديث» لأبي محمّدٍ القتيبي .

ويبدو أن ابن الخشاب قد تصدّرَ في بغدادَ لتدريس مُعْظَمِ فنون المعرفة ، والحديثِ واللغة خاصّةً . وكانت وفــاةُ ابن الخشّاب البغداديّ في ثالثِ رَمَضانَ سَنَةَ ٥٦٧هـ (٣٠/ ٤/ ١١٧١ م) .

٢ — كان ابن الخشّابُ البَغداديُّ بارعاً في علومٍ كثيرةٍ من التفسير الحديث — وكان ثِقَةً في الحديث صَدوقاً — ومن اللغة والأدب ، والنحو ومن الحِساب والهندسة والمَنْطِقِ والفلسفة وغيرها . وكذلك كان شاعراً .

وصنّف ابنُ الخشّاب البَغداديُّ كُتُباً كثيرة ، ولكنّه كان ضَجِراً مَلولاً ما

(٦) من المؤمنين كافة (جميعاً) ، «كافة المؤمنين» خطأ في الاستعمال . محرر : مكتوب ، مذكور . التقليد : مرسوم أو منشور (أمر ملكي مفصل) يقرأ في الناس حينما يعين السلطان أو الملك وزيراً .

بدأ كتاباً فأتمّه . فمن كُتُبه : المرتَجَلُ في شرح الجُمَل (للجرجاني*) – شرح اللُّمَع (لابن جُنّي) – الردّ على ابن بابشاذ في شرح الجمل – الردّ على التبريزي في تهذيب الإصلاح (إصلاح المنطق لابن السكّيت !) – شرح مقدّمة الوزير ابن هُبيرة في النحو – الردّ على الحَريري في مقاماته – القصيدة البديعية الجامعة لشتّات الفضائل والرموز العلمية ، في أسئلة تتعلّق باسم الكتابة (الخطّ !) – أسئلة في البَلاغة وغريب اللغة – في علوم قواعد اللغة العربية – في عِلْمَي العَروض والقوافي – في القريض (!) من الهجاء والمدح – في القرآن وتقسّمه الى أجزاء وأحزاب وأرباع وأعشار وفي القراءات والخِلاف وفي من رَواها – في السيَر وأخبار الاوائل – لُمَعٌ في الكلام على لفظة « آمين » المستعملة في الدعاء وحُكْمها[1] .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو محمّدٍ عبدُ الله بن أحمدَ بن الخشاب في تبرير ابتعاده عن الناس :

لَذّ خُمولي وحلا مُرُّه إذ صانَني عن كُلّ مَخلوقِ .
نَفْسِيَ مَعْشوقي ، ولي غَيْرَةٌ تَمنَعُني من بَذْلِ مَعْشوقي[2] .

– وقال ملغزاً في « كتاب » :

وذي أوجُهٍ لكنّه غيرُ بائحٍ بسِرٍّ ؛ وذو وَجْهَيْنِ للسرّ مُظْهِرُ[3] .
تُناجيك بالأسْرارِ أسرارُ وَجْهِه فتَفْهَمُها ما دُمْتَ بالعينِ تَنْظُرُ[4] .

– وقال في شمعة :

صفراءُ لا من سَقَمٍ مَسَّها ؛ كيفَ ؟ وكانت أمُّها الشافِيَهْ[5] .
عُريانةٌ باطِنُها مُكْتَسٍ ؛ فاعْجَبْ لها كاسِيَةً عاريهْ[6] !

(*) في وفيات الاعيان (١: ٤٧٨) وإنباه الرواه (٢ : ١٠٠) لعبد القاهر الجرجاني؛ وفي بغية الوعاة (ص ٢٨٧) للجرجاني، وفي الأعلام للزركلي (٤ : ١٩١) للزجاجي .

(١) يكثر الاختلاف في عدد من عناوين كتب ابن الخشاب .

(٢) في « معشوقي» الثانية تورية : محبوبي ، ومعشوقي (نفسي) .

(٣) ذو أوجه : ذو صفحات . ذو الوجهين : النمام ، الذي ينقل الكلام بين الناس لإيقاع العداوة بينهم .

(٤) الاسرار (الاولى) : خفايا الأمور . الاسرار (الثانية) السطور ، الخطوط .

(٥) أمها : النحلة (لأن الشمع كان يصنع في الاصل من الشمع الذي تصنع منه النحلة القرص الذي تجعله مسدسات وتجعل فيه العسل . والعسل دواء) .

(٦) عريانة : لا ثياب عليها . باطنها مكتس : في باطنها خيط مفتول من قطن هو الذي يشتعل (والنسيج من القطن يجعل عادة على ظاهر البدن) .

– وقال في النصيحة (وفي قوله لفتة فلسفية) :

إذا عَنّ أمرٌ فاستَشِرْ فيه صاحِباً ... وان كُنْتَ ذا رأيٍ يُشيرُ على الصَّحْبِ ؛
فانّي رأيتُ العَيْنَ تَجْهَلُ نَفْسَها ... وتُدْرِكُ ماقدحلّ في مَوْضِعِ الشُّهْبِ[1].

٤ – الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن برّي ، استانبول ١٣٢٨ هـ ؛ مطبوعة مع مقامات الحريري ، القاهرة ١٣٢٩ هـ .

** معجم الادباء ١٢ : ٤٧ – ٥٣ ؛ انباه الرواة ٢ : ٩٩ – ١٠٣ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧٨ – ٤٧٩ ؛ بغية الوعاة ٢٧٦ – ٢٧٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٠ – ٢٢٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١٠ : ٤٩٣ – ٤٩٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٣٤ – ٨٣٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٩١ .

عرقلة الدمشقي

١ – هُوَ أبو النَّدَى حَسّانُ بنُ نُميرِ بن عِجْلٍ من بني وَبَرَةَ بن الحُلاج أحَدِ بطونِ بني كَلْبٍ ، ويُعْرَفُ بعرقلةَ الدِمَشْقِيّ وعرقلةَ الكلبي ، كما عُرِفَ فيما بعد بعرقلة الأعور .

وُلِدَ عَرْقَلَةُ في دِمَشْقَ قُبيل سَنَةِ ٤٨١ هـ (١٠٨٧ م) وقضى جانباً كبيراً من حياته الأُولى فيها مُتَنَقِّلاً بين مُتَنَزَّهاتِها ومُنْصَرِفاً إلى اللَّهْوِ والمُجون.

تَطَوَّفَ عرقلةُ في البلاد يَتَّصِلُ بأمرائها ووُلاتِها . ويبدو أنّه سار في مَطْلَعِ القرنِ السادس الى قَلْعة جَعْبَرَ لِيَمْدَحَ صاحِبَها سالمَ بنَ مالكِ بنِ بَدْران (٤٩٧ – ٥١٩ هـ) فلم يُوَفَّقْ . ولعلّه في أثناء هذه الرِحْلة مرّ بحَلَبَ فذهبتْ إحدى عَيْنَيْهِ . وكذلك مَدَحَ حُسام الدين بن تمرتاشَ والِيَ ماردينَ (٥١٦ – ٥٤٧ هـ) كما مَدَحَ – فيما قيل – بهاء الدين بن نَيْسان مُدَبِّرَ آمِدَ من قِبَلِ صلاحِ الدين الأيّوبيّ .

ومدح عرقلةُ أيضاً مُجيرَ الدين آبَقَ والِيَ دِمَشْقَ (٥٣٤ – ٥٤٩ هـ) ، كما

(١) يرى الفلاسفة أن كل حاسة متصلة بعضو ظاهر في البدن (البصر ، السمع ....) لا يمكن أن تشعر بنفسها إلا اذا كان أمامها جسم مائل ظاهر (بخلاف العقل الذي يدرك نفسه ويدرك أنه موجود ويفكر ، ولو كان مقطوعاً عن جميع المحسوسات) . الشهب جمع شهاب : النجم .



مدح طلائعَ بن رُزّيْكَ الذي وَزَرَ (٥٤٩ ــ ٥٥٨ هـ) للفاطميّين في مِصْرَ . ومدح ابنَ السديد محمّدَ بنَ محمّدِ بن عبد الكريم الأنباريَّ الذي كان كاتبَ الإنشاء (٥٥٨ ــ ٥٧٥ هـ) أيام الخلفاء العبّاسيّين المُسْتَنْجِدِ والمُسْتضيء والناصر ، في بَغْدادَ .

وكان عرقلةُ قد لازم الأيوبيّين في الشام مُدّةً واختُصَّ بصَلاحِ الدين . فلمّا سار صلاحُ الدين الى مِصْرَ ثمّ تولاّها (سَنَةَ ٥٦٤ هـ) كتب اليه عرقلة يَسْتَنْجِزُه ألفَ دينارٍ كان قد وَعَدَهُ بها إذا قُبِّضَ له أن يَتولّى مِصْرَ . وفي السَّنَةِ نَفْسِها سار عرقلةُ الى مصرَ ، ولكن يبدو أن مُكْثه فيها لم يَطُلْ فعاد إلى دِمَشْقَ حيثُ تُوُفّيَ سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٧١ ــ ١١٧٢ م) .

٢ ــ كان عرقلةُ الدِمَشْقِيُّ مَرِحاً حُلْوَ المنادمة ظريفاً وماجناً خليعاً في حياته الخاصّة ؛ ولكنّه كان محيطاً بفُنُونٍ من العِلْمِ والأدب يَنْكَشِفُ عنها شعرُه . وكذلك كان شاعراً مطبوعاً مُكْثِراً مُجيداً مُحْسناً يَجْري على السَّجِيّة ، فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيب متينَ السبك مقتصداً في الصناعة لا يظهر على القليل الذي نَجِدُه منها في شعرِه أثرٌ للتكلّف . وشعرُه قصائدُ قلَّ أن تُجاوزَ خَمْسةً وعِشْرينَ بيتاً ومُقَطّعاتٌ قلَّ أن جاوزَتْ عَشْرَةَ أبياتٍ ، كما كانت له رُباعيّات . أمّا فنونُه فهي المدحُ والرثاء والهجاء المُسْتَطْرَفُ ووَصْفُ الطبيعة في دِمَشْقَ خاصّةً والخمرُ والنسيبُ والغزل والمُجون .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال عرقلةُ الدِمَشْقِيُّ يمدحُ السُلطانَ الناصرَ صلاحَ الدينِ الأيّوبيَّ :

أصبحَ المُلْكُ بعدَ آلِ علِيٍّ مُشْرِقاً بالمُلوكِ من آلِ شاذي ؛
وغدا الشرقُ يَحْسُدُ الغربَ لِلْقَوْمِ . ومِصْرٌ تَزْهو على بَغْداد .
ما حَواها إلاّ بحَزْمٍ وعَزْمٍ من صَليل الفولاذِ في الفولاذِ[1] ،
لا كَفِرْعَوْنَ والعَزيزِ ومن كان بها كالخَصيب والأُستاذ[2] .

(١) صليل (صوت) الفولاذ (السيوف) في الفولاذ (الدروع) ، نال الملك بالحرب (بالقوة) .

(٢) فرعون : لقب لملوك مصر القدماء. العزيز : الملك ، ولقب لكل من ملك مصر (القاهرة) مع الاسكندرية ؛ والعزيز الذي يتولى أمراً للملك (كما كان يوسف بن يعقوب في مصر). الخصيب : عامل (جابي ضرائب) ولاه هرون الرشيد على مصر ومدحه أبو نواس . الاستاذ : كافور الاخشيدي (الذي مدحه المتنبي) .

—وقال عرقلةُ يَمْدَحُ الصالح بن رُزّيك ويذكرُ — في أثناء ذلك — مَذْهَبَهُ في التشيّع (قبل مدحه لصلاح الدين) وهجاءَ دِمَشقَ وأهلها :

قِفْ بجَيْرونَ أو ببابِ البريدِ وتأمَّلْ أعطافَ بانِ القُدودِ[1]

تَلْقَ سُمْراً كالسُمْرِ في اللَّوْنِ واللّيـ ـنِ وشِبْهَ الشُعورِ في التَجْعيد[2] ،

ومن البِيضِ كالمُهنَّدَةِ البيـ ـضِ وشِبْهَ الخُدود في التَوْريد[3] ،

مِنْ بني الصِيدِ للمُحبّين صادوا بعيُون الظِبا قُلوبَ الأُسود[4] .

يا نَديمَيَّ ، غَنِّياني بشِعْري واسْقِياني بُنَيَّةَ العُنْقود[5] .

عَرِجا بي ما بين سَطْرى ومَقْرى لا بأكنافِ عالجٍ وزَرود[6] .

سَقِّياني كأساً على نَهْرِ ثُورا وذراني أبولُها في يَزيد[7] .

أنا مِنْ شيعةِ الإمامِ حُسينٍ لَسْتُ مِنْ شيعة الإمام يَزيد[8] :

مَذْهبي مُذْهَبٌ ، ولكنّني في بَلْدةٍ زُخْرِفَتْ لِكلّ بليد[9] .

غيرَ أنّ الزمانَ فيها أنيقٌ تحتَ ظِلٍّ من الغصون مَديد[10]

---

(١) جيرون وباب البريد من ضواحي دمشق القديمة . العطف (بكسر العين) : جانب الجسد عند الكتف . البان : شجر أسمر ناحل جميل . القد : القوام . أعطاف بان القدود : النساء الجميلات .

(٢) سمر — جمع سمراء (المرأة السمراء الحسناء) . سمر جمع أسمر (رمح) . شبه الشعور في التجعيد : نبات كثير متشابك (!) .

(٣) البيض جمع بيضاء (المرأة الجميلة) . البيض جمع ابيض: سيف . شبه الخدود في التوريد : أثمار (كالتفاح) .

(٤) الصيد جمع أصيد (بفتح الهمزة والياء) : الكريم الأصل ، الملك. الظبا — الظباء : الغزلان (كناية عن النساء الجميلات) . الأسود (كناية عن الرجال الابطال) .

(٥) بنية تصغير ابنة : ابنة العنقود: الخمر .

(٦) عرجا بي — ميلا بي: اذهبا بي ، خذاني . سطرى ومقرى من قرى دمشق (كناية عن الخصب والتمتع باللهو) . الأكناف: الأطراف . عالج وزرود موضعان في بلاد العرب (كناية عن البادية والقحط).

(٧) ثورا ويزيد : نهران من أنهار دمشق . ذراني : اتركاني . أبولها في (نهر) يزيد (كناية عن كره هذا النهر لمناسبة اسمه لاسم يزيد بن معاوية) .

(٨) شيعة (أتباع) الحسين (بن علي بن أبي طالب) . الإمام (الخليفة ، الملك) يزيد (بن معاوية) الذي قتل في أيامه الحسين بن علي في كربلاء .

(٩) مذهبي (عقيدتي الدينية) مذهب (مثل الذهب ، جميل ، ثمين) . في بلدة (دمشق) زخرفت (زينت) فأحبها وسكنها كل بليد (بليد الفهم الذي لم يدرك حقيقة التشيع) .

(١٠) الأنيق : الذي يعجب العين .

ورياضٍ منَ البنَفْسَجِ والنسْـ ـرِجسِ قد عُطِّرَتْ بمِسْكٍ وعُودِ[1]

كَثَنا الصالحِ بن رُزِّيكَ في كُـ ـلِّ قريبٍ من الدُنى وبعيدِ[2] ؛

مَلِكٌ لم تَـزَلْ ثيابُ عِـداه من حِدادٍ ، وثوبُه من حَديدِ[3] !

ـ وقال يفتخر بشعرِه ويشكو دهرَه :

أيَجْمُلُ أن أُضام ، ودُرّ نَظْمي ـ أحبُّ مِنَ الغِنى عند الغِناء ـ[4]

أمالَ العُرْبَ عَنْ شِعْرِ التِهامـيّ وأغْنى العُجْم عن شِعر السَنائي[5] !

ـ وقال عرقلةُ الدِمَشْقيُّ يَصِفُ دِمَشْقَ :

أمّا دِمَشْقُ فجنّاتٌ مُعَجَّلَةٌ للطالبين ، بها الوُلْدانُ والحُورُ[6] .

ما صاحَ فيها على أوْتـارِهِ قَمَرٌ إلاّ وَغنّـاه قُمْريٌّ وشُحْرورُ[7] .

يا حَبّذا ـ ودُروعُ الماءِ تَنْسُجُها ـ أناملُ الريـحِ لولا أنّهـا زُورُ[8] !

ـ وقال يتغزّلُ بغُلامٍ اسمُه يعيشُ ويُحاجي باسمِه عن مَذْهبه (يعيش ، عكسه ـ شيعي) . :

بأبي قَـدُّ يَعيشٍ بـأبي ، حين يَهْتَزُّ اهتِزازَ القَصَـبِ ؛

رَشأٌ حاسِـدُهُ ضِدُّ اسمِه ، وإذا مـا عكَسوه مَذْهبي[9] .

---

(١) العود : نوع من الطيب .

(٢) الثنا ـ الثناء : المديح . الدنى جمع دنيا .

(٣) ثياب (أعدائه) لم تزل (منذ زمن طويل ، دائماً) من حداد (سوداء ، لكثرة ما قتل من رجالهم) وثوبه من حديد (دروع ، لكثرة ذهابه الى الحرب) .

(٤) يجمل : يحسن . أضام : أظلم ، يصيبني ضيق . در نظمي : شعري . أحب من الغنى عند الغناء : اذا غنى به المغنون احتقر الأغنياء أموالهم (أمدح بالشعر فيعطيني الممدوحون أموالا كثيرة) .

(٥) التهامي شاعر عربي (ت ٤١٦ هـ) ؛ راجع ، فوق ، ص ٧٥ والسنائي شاعر فارسي (ت ٥٢٦ هـ) .

(٦) جنات معجلة : جنات في هذه الدنيا مثل جنة الآخرة . الحور جمع حوراء : المرأة الجميلة .

(٧) ـ اذا غنت قمر (امرأة جميلة) غناها (أجابها ، قلدها في الغناء) قمري (نوع من الحمام البري) .

(٨) الريح تجعل سطح النهر مجعداً كالدرع ولكنه درع زور (ليس درعاً يقي من السلاح) .

(٩) الرشأ : الغزال الصغير . حاسده ضد اسمه (عكس اسمه : رشا ـ أشر : كذاب ؛ أو ضد اسمه يعيش : يموت) .

– وقال في الخمر (أعْتَقُ : أقْدم) :

وفي دَيْــرِ مُرّانَ خَمّــارةٌ من الرُوم في يَــوْمِ سَعْنينِها[1] ؛
سَقَتْني على وَجْهِها المُشْتَهى أرقَّ وأعْــتَقَ من دِينهـــا !

– وممّا يُغنّى من شعر عرقلة الشاميّ (وهو في النسيب) :

عِنْدي إلَيْكُم من الأشواقِ والبُرَحـا ما صَيَّرَ الجِسْمَ من فَرْطَ الضَّنا شَبَحا[2].
أحْبابَنا ، لا تَظُنّوني سَلَوْتُكُمُ ؛ الحالُ ما حالَ ، والتَبْريح ما بَرِحا[3] .
لو كان يَسْبَحُ صَبٌّ في مَدامعــهِ لَكُنْتُ أوّلَ مَنْ في دَمْعِه سَبَحا[4] ،
أو كُنْتُ أعْلَمُ أنّ البَيْنَ يَقْتُلُني ما بِنْتُ عَنْكم ؛ ولكن فاتَ ما ذُبِحا[5] .

– ومن شِعرِه المشهورِ في الهجاء البارعِ (وكان قد مَدَح بَعْضَهم فأعْطاه شيئاً من الشَعير) :

يَقولونَ : لِمْ أرْخَصْتَ شِعْرَكَ في الوَرى؟ فقُلْتُ لَهُمْ : إذ ماتَ أهْلُ المَكارمِ[6]
أجازى على الشِعرِ الشعيرَ ؛ وإنّــه كثيرٌ إذا اسْتَخْلَصْتُه من بَهائــم !

– وله رُباعيّاتٌ منها هذه (في الخمر والنسيب) :

لا راحةٌ لي بغَيْرِ شُرْبِ الــراحِ من ذي هَيَفٍ يُطوف بالأقْداح[7] ؛
تَبْدو كالصبحِ ، وهَوْ كالمِصْبــاح سَكرانُ الطرفِ ذو فـؤادٍ صاحِ .

٤ – ديوان عرقلة الكلبي (تعليق أحمد الجنديّ) ، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٠م .

---

(١) خمارة : امرأة تبيع الخمر . السعنين والشعنين والسعانين والشعانين : عيد للنصارى (في الربيع) .
(٢) البرح جمع برحة (بضم الباء) : الشدة والشر والداهية . فرط : كثرة ، زيادة . الضنا : السقم ، الضعف .
(٣) سلا : نسي . حال : تبدل ، تغير . التبريح : التعذيب . ما برحا : ما انتقل ، لم يتبدل (ما زال موجوداً) .
(٤) الصب : المحب .
(٥) البين : البعاد ، الفراق ، بان : ابتعد . فات ما ذبح : المذبوح لا يعود الى الحياة (بعادكم قتلني ، ولذلك لا استطيع أن أصل شيئاً) .
(٦) الورى : الناس ، البشر .
(٧) الراح : الخمر . الهيف : ضمور الخصر ، اعتدال القوام .

** الخريدة (الشام) ١ : ١٧٨ - ٢٢٩ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٤ - ١٤٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١٩١ .

ابن قلاقس الإسكندري

١ - هو القاضي الأعزّ أبو الفتوح نصرُ الله بنُ عبدِ الله بنِ مخلوفِ بنِ عبدالقوي ابن قَلاقسَ اللَّخميُّ الإسكندرانيُّ، وُلِدَ في الاسكندرية في رابع ربيعِ الأوّل ٥٣٢هـ (١٩/ ١٢/ ١١٣٧ م) ، وفيها نشأ وصَحِبَ الشيخَ الحافظَ أبا طاهرٍ أحمدَ بنَ محمّدٍ السِّلَفيّ (ت ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م) وأخذ عنه ومَدَحَه ، كما أخذَ عن نفرٍ آخرينَ . وقدِ اتّصلَ بالقاضي الفاضلِ ومدحه .

والملموحُ أن ابنَ قلاقسَ زار صقلِّيَةَ مَرَّةً وزارَ اليمنَ مرّتين[1] بين ٥٦٣ و ٥٦٥ هـ . غير أن المصادرَ والمراجعَ مضطربةٌ في ترتيب المرّاتِ الثلاثِ . والمُجْمَعُ عليه أن ابنَ قلاقسَ تُوُفِّيَ في عَيْذاب (أحدِ الموانىء الإفريقية قُبالَةَ جُدّةَ) ، في ثالثِ شوالٍ ٥٦٧ هـ[2] (٢٩/ ٥/ ١١٧٢ م) .

٢ - في شعرِ ابنِ قلاقسَ صِناعةٌ بارعةٌ أحياناً ، وهو ميّال إلى وصف الطبيعة لطبيعةِ نَشْأته في الاسكندرية ولكثْرة رُكوبه البَحْرَ في الذهاب الى المَمْدوحين . وأكثرُ شعرِه المَديحُ والوصف . وله نثرٌ رائق .

ولابن قلاقسَ كتاب الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم (القائد الصِقِلّيّ) - كتاب روضة الازهار في طبقات الشعراء .

٣ - مختارات من شعره

- لابن قَلاقسَ مِدْحَةٌ في القائد أبي القاسم بن الحجر الصقلّي يصف فيها سُرعةَ السفينة :

ما امْتَطَيْنا أُختَ السَحائبِ إلاّ ... لِتُوافي بِنا أخا الأمطار[3].

---

(١) راجع وفيات ٣ : ٦٢ ، ٦٣ ؛ معجم الأدباء ١٩ ؛ ٢٢٦ .

(٢) في الخريدة (مصر) ١ : ١٤٥ مات بعيذاب راجعاً من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة !

(٣) أخت السحائب كناية عن السفينة لأنها تجري مسرعة كالريح (لأنها تجري بالريح) وقد سماها أخت السحائب لأن السحائب تسير مثل السفينة بالرياح . أخو الأمطار : الممدوح (كنى بذلك عن الكرم) .

كل نـــونٍ من المراكبِ فيهـــا أَلِـف مستقيمة للصَّواري[1].
تَقْسِمُ المـاءَ والهـواءَ بساق وجَناح من عـائم طيـارِ[2].

– وقال يصف النيل :

ولِلنّيلِ تحت ثيـابِ الأصيلِ لُجَيْنٌ تَوَشَّـحَ بالعَسْجد[3]
يُحاكي ، إذا دَرَّجتْه الصَّبـا ، بُرادةَ تِبْـرٍ على مِبْرَد[4].

– وقال يصف جاريةً سوداءَ :

رُبَّ سوداءَ – وهْيَ بيضاءُ مَعْنًى – نافسَ المِسكَ عندَها الكافورُ[5]،
مِثْلَ حَبِّ العُيون يَحْسَبُه النـا سُ سَواداً ؛ وإنما هو نور[6]!

– وقال يصف السفينة :

إنّي لمّا تَسَنّمتُ الأمواجَ في ذاتِ الألواحِ وتنسّمت الإزعاجَ مـن ذات الارواح[7] قلت : السلامةُ ! إمّا مِيلادٌ ومَعادٌ أو يومُ مَعادِ . وعجبت من حالي في حِلّي وتَرْحالي ، فتشوّقتُ الوطنَ والوطرَ وكلّفت الخاطرَ وصفَ ذلك الخطر[8] ...

---

(١) النون : الحوت (كناية عن السفينة التي تسبح في البحر كالسمك. وكذلك للسفينة شكل حرف النون) .

(٢) ساق السفينة (هنا) حيزومها (مقدمها) . الجناح : الشراع . عائم طيار : السفينة تعوم في البحر (كالسمك) ولكنها تجري بسرعة الطير في السماء . ألف= حرف الألف (كناية عن سارية المركب) .

(٣) الأصيل: العصر (منتصف الوقت بين نصف النهار وغياب الشمس) يضعف فيه النور فيختلط بالظلال فيكون منه ألوان مختلفة على المياه والجبال والأشجار شبهها الشاعر بالثياب. هذه الثياب لجين (بيضاء) توشح : لبس (وقعت عليه خطوط وبقع من الانعكاسات) بلون العسجد (الذهب) مائلة الى الحمرة .

(٤) – اذا هبت ريح الصبا (ريح الشرق العليلة الباردة) على سطح نهر النيل جملته يتموج فيشبه سطح المبرد ، ثم تنعكس عنه أشعة الشمس فتظهر عليه التموجات المرتفعة كأنها برادة (بضم الباء) ذهب على مبرد .

(٥) نافس المسك عندها الكافور (يرى في ظاهر الأمر أن الكافور الأبيض أفضل من المسك الأسود – كناية عن لون الجارية الأسود .

(٦) بينما وجه الشبه في ذلك أن لون هذه الجارية كلون حدقة العين أسود ولولا سواد العين لما كنا نبصر بها – وأما بياض العين فليس هو محل (الرؤية) .

(٧) تسنمت الأمواج : علوتها (ركبت البحر) . ذات الألواح : السفينة . تنسمت الازعاج : شممت رائحته (بدأت اشعر بالإزعاج) . ذات الأرواح= الريح

(٨) إما ميلاد (جديد ، سيكون لي حياة جديدة بعد خروجي الى البر) ومعاد (رجوع بالسلامة الى البر) أو يوم معاد (موت ثم بعث يوم القيامة) . الحل: الاستقرار في الوطن. الترحال : كثرة التنقل في البلاد . –

٤ – ديوان ابن قلاقس (نشره خليل مطران) ، مصر ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) .
** الخريدة (مصر) ١ : ١٤٥ – ١٦٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٢٢٦ – ٢٢٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٦١ – ٦٤ ؛ الروضتين ١ : ٢٠٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٣ ، الملحق ١ : ٤٦١ ، زيدان ٣ : ١٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٤ – ٨١٥ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٤٤ – ٣٤٧ .

دلاّل الكتب الحظيري

١ – هُوَ أبو المَعالي سَعْدُ بنُ عليٍّ بنِ القاسمِ بنِ عليٍّ بنِ القاسمِ الأنصاريُّ الخزْرَجِيُّ الحَظيريّ البَغْداديّ المعروفُ بدلاّلِ الكُتُبِ ، يَبْدو أنّ أصلَهُ مِنَ المدينة ؛ وكان هُوَ من أهل الحَظيرة وَهِيَ بَلْدةٌ من أعْمالِ دُجيلٍ شمالَ بَغْدادَ .
وكانَ دلاّلُ الكتب يَعْمَلُ (في بَغْداد) بالوِراقةِ (نسخ الكتب وبيعها) ، وكانتْ وفاتُهُ في بَغْدادَ ، مُنْتَصَفَ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٦٨ هـ (٦/ ١٠/ ١١٧٢ م) ، وقيل في ٢٥ من صفر .

٢ – كان دلاّلُ الكتب أديباً واسع الإحاطة بعــدد من فنون المعرفة وكان شاعراً رقيقاً مَليحَ الشِعْرِ مَعَ جَوْدَةٍ في السَّبْكِ . وشِعْرُه وُجْدانيّ أكْثرُه مُقَطَّعاتٌ في الغَزَلِ والخمر وشيءٍ من المُجون.

ودَلاّلُ الكتب مُصَنِّفٌ له عددٌ من المجاميع ، منها : زينة الدهر وعُصْرة أهل العَصْر (ألّفه ذيلاً على « دُمْيَة القصر » للباخَرْزي ، وجمع فيه جَماعةً من أهل عصره ومن الذين تقدّموهم قليــلاً وذكر ألْطافَ شِعْرهم) – لُمَحُ المُلَحِ (رتّبه على الحروف الأبجدية ؛ وهذا الكتابُ يَدُلُّ على اطّلاعٍ واسعٍ) – الإعجاز في الأحاجي والألغاز – إعجاز المُحاجي في الألغاز والأحاجي (ألّفه سَنَةَ ٥٤٩ هـ برَسْم مُجاهد الدين قايماز المُتَوَفّى سَنَةَ ٥٩٥ هـ ، وقد صَدّره بمقدّمــة في فنون الألغاز وأقسامِها ، وجاء بالألغازِ مُرتَبَةً على الأبجدية حَسْبَ حُروفِ الرَوِيّ . وهو يذكر بعد كلّ لغز تفسيره وما ألغز به)[1] – صفوة المعارف (قصيدة في تاريخ الطبيعة) .

= الوطر : مطلب النفس من لهو شبابها. الخاطر : البال، الفكر ، القريحة . وصف ذلك الخطر (الماثل في ركوب البحر) .

(١) راجع زيدان ٣ : ٢٣ .

٣ – مختارات من شعره

– قال دلالُ الكُتُبِ في النسيب والغزل :

وَدِدتُ مِنَ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ أنّني أُعارُ جَناحَيْ طائِرٍ فأطيرُ[٢].
فما لِنَعيمٍ لَسْتَ فيه لَذاذةٌ، ولا لَسُرورٍ لستَ فيه سُرورُ !

ومُعَذَّرٍ في خَدِّهِ وَرْدٌ، وفي فَمِهِ مُدامُ[٣]؛
ما لانَ لي حتّى تَغَشّى صُبْحَ طَلْعَتِهِ ظَلامُ[٤]،
كالمُهْرِ يَجْمَحُ تحتَ راكِبِهِ ويَعْطِفُهُ اللِجامُ[٥] !

شَكَوْتُ هَوَى مَنْ شَفَّ قلبي بِعَدَهُ تَوَقُّدُ نارٍ ليس يُطْفَى سَعيرُها[٦]؛
فقالَ : بُعادي عَنْكَ أكثَرُ راحةً؛ ولولا بُعادُ الشمسِ أحرَقَ نورُها !

٤ –– معجم الادباء ١١ : ١٩٤ – ١٩٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٦٢ – ٣٦٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٨ ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ زيدان ٣ : ٢٣ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٣٦ .

عُمارة اليمني

١ – هو الفقيهَ نجمُ الدين أبو محمّد عُمارةُ بنُ أبي الحَسَنِ علي بنِ زَيْدانَ ابنِ أحمدَ الحَكَمِيّ اليَمَنِيّ، وُلِدَ (٥١٥ هـ = ١١٢١ م) في مدينة مرطان بوادي وساع من تِهامةِ ونشأ فيها إلى أن بَلَغَ الحُلُمَ (٥٢٩ هـ). ثمّ انه ارتحل إلى زَبيدَ (٥٣١ هـ) واشتغل بالفِقْه في إحدى مدارسها أربَعَ سَنَواتٍ.

ذهب عُمارةُ إلى الحجّ، سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٥ م). ويبدو أنه اتّصل في أثناء ذلك بشريفِ مكّةَ القاسمِ بنِ هاشمِ بن فليتةَ فأرسلهُ القاسمُ بمهمّة إلى مصرَ إلى الخليفةِ الفاطميّ الفائزِ بنِ الظافرِ والى وزيرِه الصالح بن رُزّيك. ودخل عُمارة مصرَ

(٢) المبرح : المتعب ، الشديد . « فأطير » حقها أن تكون منصوبة (بعد التمني وفاء السببية) .
(٣) المعذر : الذي نبت عذاره (بكسر العين : الشعر النابت على جانبي الوجه) . مدام : خمر .
(٤) تغشى : علا ، حجب .
(٥) المهر : الحصان الفتي . جمح الفرس : نفر وشرد واشتد جريه (كناية عن الشباب) . عطف اللجام الفرس : كبح جماحه (بفتح الجيم) ، رده ، جعله يبطىء في جريه (كناية عن الشيخوخة) .
(٦) شف الهم جسمه : أنحله ، جعله ناحلا أو نحيلا . السعير : شدة الحرارة .

في شَهْرِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةَ ٥٥٠ ومَدَحَ الفائزَ مَدْحاً يوافق هوى الفاطميين فَسُرَّ الفائزُ منه وأجزلَ صِلَته . وفي شهر شوّالٍ توجّه عُمارة من مِصرَ الى مكّة (وقابل القاسم بن هاشم طبعاً) ثم عاد الى زَبيدَ فوَصَلَ إليها في صَفَرَ سنة ٥٥١ هـ . وحجّ عُمارة في تلك السنة مرةً ثانيةً فكلّفه القاسم بن هاشم بمهمّة ثانية إلى الفائز . ولعلّه عادَ بعدَ مدةٍ يسيرةٍ جدّاً الى زَبيدَ . ثم استوطن مصر بعد ذلك .

ولمّا قضى صلاحُ الدين الأيّوبيُّ على الدولة الفاطمية مدح عُمارةُ صلاحَ الدين ونَفَراً من أهلِ بيتهِ تقرّباً إليه وتبريراً لحالهِ الأُولى مع الفاطميين . ثم ان عُمارة اشترك مَعَ ثمانيةٍ من أعيانِ القاهرة (الفاطميين أو الفاطميي الهوى) وكاتبوا الإفرنج (الصليبيين) واستَدْعَوْهم إلى مصر على أن يُساعدوهم في إعادة الحكم الى الفاطميين . وأمر صلاحُ الدين بصَلْبِ هؤلاء النَفَرِ ، بعدَ أنِ اعترفوا بما كان مِنْهم ، فصُلبوا يومَ السبت في الثاني من رمَضانَ من سنة ٥٦٩ هـ (٦/ ٤/ ١١٧٤ م) بعض القبض عليهم (الأحد في ٢٦ شعبان) بأسبوع واحد .

٢ ــ كان عُمارة اليمنيُّ فقيهاً شافعياً شديدَ التعصّب لأهلِ السنة ، ومع ذلك فقد عَمِلَ للفاطميين في حقل السياسة . وقد أحْسَنَ الفاطميون إليه إحساناً كبيراً .

وكذلك كان عُمارة أديباً بارعاً ومُحَدّثاً مُمْتِعاً ومُصنّفاً قديراً وشاعراً مقتدراً مُجيداً ومُصنّفاً ، له : تاريخ اليمن ــ المفيد في أخبار زَبيد ــ النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ أقام الفِرنجُ (الصليبيّون) لجيشٍ من المسلمين كميناً ، فعلم قائدُ الجيشِ شيركوهُ بذلك فعادَ عن ذلك الطريق ووَصَلَ الى الشامِ سالماً . فقال عُمارةُ اليَمنيُّ (مرّي الثانية اسم ملك الفرنجة : أموري Amaury I) :

أخذتُمْ على الإفرنجِ كلَّ ثَنيّةٍ[1] وقلتم لأيْدي الخيل : مُرّي على مُرّي.
لئن نَصَبوا في البرّ جِسْراً ، فانكم عبرتم ببحرٍ من حديدٍ على الجسر[2]

(١) الثنية: الطريق في الجبل (والطريق الفرعية) .

(٢) لعل « الجسر » الأولى جسر نصبه الافرنج بين شاطئي النيل. عبرتم (قطعتم ، مررتم) بجسر من حديد (بعدد كبير من الجند يلبسون دروعا من حديد ويحملون سلاحاً من حديد) .

– قال عُمارةُ اليمَنيّ يمدَحُ الإمامَ العاضِدَ الفاطميَّ[1] :

لَمّا برَزْتَ غَداةَ فِطْرِكَ خاشِعاً ... وشُعارُكَ التكبيرُ والتحميدُ ،
وَعَلَيْكَ من شِيَمِ النبيّ وحَيْدرٍ ... للناظرينَ أدِلّةٌ وشُهود[2] ،
شَخَصَتْ إليك نواظرُ الأُمَمِ التي ... مَلّكْتَهُمُ لكَ بَيْعَةٌ وعُهود[4] ،
حتّى صَعِدتَ على ذُؤابةِ مِنْبَرٍ ... لَوْ كان عُوداً ماسَ ذاك العود[5] .
بَشَّرْتَ ، بل أنْذَرْتَ ، بالحِكَمِ التي ... فيهنَّ وعدٌ صادقٌ ووَعيد .
لَيَّنْتَ قاسيةَ القُلوبِ بِخُطْبَةٍ ... أصْغى إليْها المَجْمَعُ المَحْشود .
لا مُنْكَرٌ أنْ تَسْتَكِينَ جوارحٌ ... لسَماعِها أو تَقْشَعِرَّ جُلود ،.
والوَحْيُ يَنْطِقُ عن لسانِكَ بالّذي ... مِنْ دُونهِ يتَصَدّعُ الجُلْمود .
يوم جَلَتْ فيه الخِلافةُ عِزَّها ، ... ولها المَلائكةُ الكِرام جُنود .

– وقال يمدَحُ أميرَ الجُيوش أبَا شجاعٍ شاوَرَ بْنَ مُجيرٍ السَعْدى، بعدَ رُجوعه من حُصْن بُلْبَيْس :

ضَجِرَ الحديدُ من الحديدِ ، وشاوَرٌ ... في نَصْرِ آل مُحَمّدٍ لم يَضْجَرِ[6] .
زَعَمَ الزمانُ لَيأتيَنَّ بمِثْلِه ... حَنِثَتْ يمينُكَ ، يا زمانُ، فكَفِّرِ[7] .
حَمِيَ الوطيسُ فخاضَه بعزائِمٍ ... عَلَّمْنَ حُسْنَ الصبرِ من لم يَصْبِرِ[7] .

---

(١) في هذه الابيات لمحات من مديح البحتري للمتوكل يوم عيد الفطر (راجع، فوق، ص٢ : ٣٦٣-٣٦٥) .
(٢) حيدر : علي بن أبي طالب .
(٣) البيعة : المبايعة بالخلافة (حلف اليمين بالطاعة) . عهود (أخذت لك بالامامة منذ أيام آدم ثم من الأئمة واحداً بعد واحد، منذ أيام علي بن أبي طالب) .
(٤) ذؤابة منبر : رأس منبر (المنبر الذي لا تصح عليه الخطبة الا للخليفة الامام في الاسلام : الخطبة في الجمعة والعيدين للخليفة أو لمن ينيبه الخليفة عنه . واذا شهد الخليفة صلاة أو خطبة في مكان فلا يتقدم عليه في ذلك المكان أحد) . لوكان عوداً (غصن شجرة) ماس : اهتز في الهواء (لأنه نضر طري لين) . – اهتز المنبر طرباً وافتخاراً بوقوف الإمام عليه .
(٥) ضجر الحديد (السيف) من الحديد (لكثرة حروبك وطولها وشدتها) .
(٦) كفر : أخرج فدية (صدقة) .اذا أقسم المسلم يميناً ثم لم يستطع أن يفي بها وجبت عليه كفارة (صيام ثلاثة أيام ، اطعام عدد من المساكين ، ذبح بهيمة من الانعام وتوزيع لحمها على الفقراء والمساكين ، الخ) .
(٧) الوطيس : قاع القدر العظيمة . حمي الوطيس (كناية عن اشتداد القتال في المعركة) .

تَلْقاهُ أوّلَ فارسٍ ان أقْدَمَــت خيلٌ، وأوّلَ راجلٍ في العَسْكر[1].

هانتْ عليه النَفْسُ حتى إنــه باعَ الحَياةَ فلم يَجِدْ من يَشْتَري[2].

يا فاتحاً شَرْقَ البِـلادِ وغَرْبَها ، يُهْنيكَ أنّكَ وارثُ الإسْكندر[3].

فَتْحٌ يُذَكِّرنا —وإنْ لم نَنْسَهَ— ما كان من فَتْحِ الوَصِيِّ لخَيْبَر[4].

٤ — تاريخ اليمن (تحرير هـ . كاسلس كاي) ، لندن ١٨٩٢ م .

النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (تحرير ديرنبرغ) ، شالون بفرنسة ١٨٩٧ م .

مختارات من ديوان عمارة (مطبوع مع « النكت العصرية » بتحرير ديرنبرغ) .

** وفيات الأعيان ٢ : ٨٦ — ٨٩ ؛ الخريدة (الشام) ٣ : ١٠١ — ١٤٣ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ؛ ابن الاثير ١١ : ٣٠١ ، ٤٠١ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٦ — ٤٠٧ ، الملحق ١ : ٥٧٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٩٣ .

ابن الدهان البغدادي

١ — هو الشيخ أبو محمّدٍ سعيدُ بنُ عليٍّ بنِ الدهّانِ ، وُلِدَ في نهر طابق (بغداد) في ١٦ من رَجَبٍ سَنَةَ ٤٩٤ هـ (١٨/ ٥/ ١١٠١ م) .

أخذَ ابنُ الدهّان عن الرُمّاني ثمّ رَحَلَ الى أصفهانَ وأخذ عن علمائها . وسَمِــعَ الحديثَ من أبي القاسم هبةِ الله بن الحُصين (ت ٥٢٦ هـ) وأبي غالبٍ أحمدَ بن البنّاء .

صَعِدَ ابنُ الدهّانِ الى المَوْصِلِ قاصداً وزيرَها جمالَ الدين الجواد[5] — بعدَ ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) ، لأنّ جمالَ الدين وَلِيَ الوزارةَ ليوسفِ الدين غازي بنِ مودودٍ الذي تولّى المَوْصِلَ من ٥٦٤ الى ٥٧٢ هـ — . في هذه الاثناء فاض نهرُ دِجْلَةَ في بغدادَ فَغَرِقَتْ دارُ ابنِ الدهّانِ وتَلِفَتْ كُتُبه .

---

(١) ... وأول المشاة في الجيش اقداماً وهجوماً .

(٢) باع حياته : نزل الى الميدان وقد عزم على الاستشهاد في سبيل الله فلم يجد من يشتري منه حياته (من يقاتله ، لأنه بطل شجاع يغلب كل من ينازله) .

(٣) وارث الاسكندر (المقدوني) في اتساع البلاد التي فتحها الاسكندر .

(٤) الوصي : علي بن أبي طالب . لما استعصى حصن خيبر على المسلمين ٧ هـ (٦٢٩ م) تقدم الامام علي وخلع باب الحصن فدخله المسلمون .

(٥) أبو جعفر محمد بن علي جمال الدين الاصفهاني الجواد (ت ٥٧٤ هـ) .

وعَمِي ابنُ الدهّان ثمّ تُوُفّيَ وشيكاً ، في المَوْصِلِ ، ليلةَ عيدِ الفِطْر (٣٠ من رَمَضَانَ) سنة ٥٦٩ (٦/ ٥/ ١١٧٤ م) .

٢ — ابنُ الدهّان البَغْداديُّ عالمٌ فاضل من علماء الحديثِ والنحوِ ، ثم هو شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد رقيقٌ لطيف . ولابن الدهّان كُتُبُ منها : تفسير القرآن — شرح الإيضاح لأبي عليّ الفارسي — الغُرّة في شرح كتاب اللمع (في العربية) لابن جنّي — كتاب الأضداد — إزالة المراء في الغين والراء — الدروس في النحو — الدروس في العروض — كتاب الرياضة — كتاب الغنية في الضاد والظاء — العقود في المقصور والممدود — المختصر في القوافي — شرح بيت من شعر الملك الصالح بن رزّيك (في عشرين كرّاسة) — النكت والاشارات على ألسنة الحيوانات . وله أيضاً ديوان شعر وديوان رسائل .

٣ — مختارات من آثاره

— لا تَحْسَبَنْ أنّ بالشعـر مِثْلَنـا ستصيرُ .
فَلِلدَّجـاجَةِ ريـشٌ لكنّهـا لا تطيـرُ .

— وأخٍ رَخُصْتُ عليه حتّى مَلّني ؛ والشيءُ مَمْلولٌ ، اذا ما يرخُصُ .
ما في زمانِكَ مَنْ يَعِـزُّ وجودُه — إنْ رُمتَه — إلاّ صديقٌ مخلص !

— لا تجعَلِ الهَزْلَ دأباً وهو مَنْقَصَةٌ ، والجِدُّ يعلو به بين الورى القِيَمُ .
ولا يَغُرَّنْكَ من مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ ؛ ما تَصْخَبُ السُحْبُ إلاّ حين تَبْتَسِمُ .

— أهوى الخُمولَ لكي أظَلَّ مُرَفَّهاً ممّا يُعانيه بنـو الأزمـانِ .
إنّ الرياحَ اذا عَصَفْنَ رأيتَهـا تُولي الأذيّةَ شامخَ الأغصان .

— بادِرْ إلى العَيْشِ والأيامُ راقدةٌ ، ولا تكنْ لصُروفِ الدهر تنتظـرُ .
فالعُمْرُ كالكأسِ يبـدو في أوائله صَفْوٌ ، وآخِرُه في قَعْرِه كَدَرُ .

٤ — كتاب الأضداد في اللغة (الرسالة الرابعة من المجموعة الأولى في « نفائس المخطوطات ») (بتحقيق محمّد حسن آل ياسين) ، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

—— معجم الأدباء ١١ : ٢١٩ — ٢٢٣ ؛ انباه الرواة ٢ : ٤٧ — ٥١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣٧٠ وما بعد ؛ نكت الهميان ١٥٨ — ١٦٠ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤١١ ؛ بغية الوعاة ٢٥٦ — ٢٥٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٣٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ، الملحق ١ : ٤٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٥٣ — ١٥٤ .

اعقاب الخلافة العباسية

١ ـ النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي)

الصورة السياسية العامة

شَهِدَ القرنُ الأخير من حياة الخلافة العبّاسية ـ من سَنَة ٥٥٥ الى سَنَة ٦٥٦ هـ (١١٦٠ ـ ١٢٥٨ م) ـ ستّةَ خُلفاء : المُستنجدَ والمُستضيء (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ) والناصرَ والظاهر (٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ) والمُستنصر (٦٢٣ ـ ٦٤٠ هـ) ثمّ المُستعصمَ الذي انقرضت الخلافةُ في أيامه . ومعَ أن ستّةَ خلفاء في قرن كامل أمرٌ يدُلّ على استتباب الأمور ، وخصوصاً إذا علمنا أن الناصرَ قد بَقِيَ على سدّة الخلافة سبْعاً وأربعينَ سَنَة ، فإنّ الخلافةَ لم تكن مستقرّةً إلاّ لأنّ الخلفاء كانوا ضعافاً لا يَقْوَوْنَ على مُقاومة الدويلاتِ التي أقامَها الأتراكُ السلاجقة على أرض الخلافة ثمّ امتدّ نفوذُ بعضِها الى العِراق والى بغدادَ نفسِها . انّ الخلافةَ العبّاسيّة كانت قد أصبحت في ذلك الحين رمزاً للحُكمَ الاسلاميّ لا قدرةَ له على الحُكم على شيء . وكان الإفرنجُ الصليبيّون لا يزالون على أرضِ الإسلام في الشام ومِصْرَ يَضْعُفون إذا قَوِيَتِ الدويلاتُ الإسلاميةُ ويَقْوَوْنَ إذا ضَعُفَتْ . وكانت الدولةُ الفاطميّة في الشام ومِصرَ قد أشرفتْ على الهَرَم وامتلأتْ مناصبُها بغيرِ المسلمين ثمّ أصبحت تُمالىء الصليبيّين ، ضَعْفاً منها حيناً أو خيانَةً من نَفَرٍ من رجالِها حيناً آخرَ.

في مَطْلَعِ هذه الفترة كان قد نشأ للأتابكة [1] الأتراكِ دولتان : دولةُ بني أُرتُقَ ودولةُ آل زنكي . وكلّ دولة من هاتين الدولتين كانت ذاتَ فُروع . أمّا بنو أرتُقَ فيهمّنا منهم هنا الفرعُ الّذي نشأ في العِراق : في حصن كيفا ، نحو سَنَة ٤٩٥ هـ (١١٠١ ـ ١١٠٢ م) ثمّ انتقل الى آمِدَ . وأمّا آل زنجي (زنكي) فقد نشأت دولتُهم في المَوْصِل (شماليّ العراق)، سَنَةَ ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) ، ثمّ كانت لهم فروعٌ في الشام : في دِمَشْقَ ثمّ في حَلَبَ ، منذ سَنَة ٥٤١ هـ (١١٤٦ ـ

(١) أتابكة جمع أتابك (أتا : أبو ؛ بك : أمير) : المربي ، المؤدب، المعلم . وقد كان هؤلاء الأتابكة مؤدبين لأبناء السلاجقة .



١١٤٧ م) ثمّ في سِنْجارَ (٥٦٦ هـ) والجزيرةِ (٥٧٦ هـ) من أعالي الشام والعراق . ولا ريبَ في أنّ أشهرَ هذه الفروعِ كان فرعَ دِمَشْقَ وحلبَ (٥٤١ — ٥٧٩ هـ) من الناحيتين السياسيّة والأدبية ، وخصوصاً في أيامِ مُنشىء هذا الفرعِ الملكِ العادلِ نورِ الدين محمودِ (٥٤١ — ٥٦٩ هـ) ، فهو الذي أبلى في قتال الصليبيّين البلاءَ الحَسَنَ قبلَ ظهورِ صلاحِ الدين الأيوبيّ .

وفي أوائلِ هذه الفترة أيضاً نشأ للباطنيّين (الإسماعيليين المتطرّفين) في الشام، في سَلَمِيَةَ وما حولَها (غربَ حِمْصَ وحَماة) دُوَيلةٌ صغيرةٌ جداً (٥٥٧ — ٦٧٠ هـ) ، ولكنّها كانت في مَعْقِلٍ من الجبال تُناجِزُ سُلطةَ أهلِ السُنّة والجماعة في كلّ مكانٍ تستطيعُ يدُها أن تَصِلَ إليه . وقد حاول هؤلاء الباطنيّون (الحَشّاشون) اغتيال صلاحَ الدين الأيّوبي مرّتين .

في هذه الاثناء لم تكنْ أعلامُ الإسلام مُظفّرةً في فِلَسْطينَ . ثمّ سَقَطَتْ مدينةُ عَسْقلانَ في أيدي الإفرنج الصليبيّين بعدَ أن كانتْ مَعْقِلاً ثَبَتَ في وَجْهِهِمْ نِصْفَ قرنٍ كاملٍ . ولمّا استولى بَغْدوين الثالثُ مَلِكُ المملكة اللاتينية في القدس على عَسْقلانَ انكشفتِ الطريقُ أمامَ النصارى (الصليبيّين) الى مِصْرَ.

زادَ الضَعْفُ في الدولة الفاطمية ، في أواخرِ أيّامها ، بالمنازعاتِ الداخلية . كان للعاضدِ لدين الله العَلَوِيّ — صاحبِ مِصْرَ وآخرِ خلفاءِ الفاطميّين فيها — وزيرٌ اسمه شاوَرُ بنُ مُجيرٍ السَعْدي ، فنازعه في الوزارة رجلٌ اسمه ضِرغامُ بن عامرٍ وتغلّبَ عليه ووَلِيَ الوزارةَ مكانَه . ونجا شاوَرُ هارباً الى الشام واتّصل بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وأطمعه بالاستيلاء على مِصْرَ . وأرسلَ نورُ الدين محمودٌ إلى مِصْرَ قائداً شُجاعاً حكيماً من قوّادِه هو أسدُ الدين شيركوه بن شاذي . واستطاع شيركوهُ بدهائه السياسيّ وبمقدرته العسكرية أن يتغلّبَ على ضِرغام وأن يُعيدَ شاوَرَ الى الوزارة. ثمّ أنّ شاوَرَ راسلَ أمَلْرِكْ(أموري) الأوّل مَلِكَ المملكة اللاتينية في القدس مُسْتنجداً بالإفرنج الصليبيّين على نور الدين. فاستأنفَ نورُ الدين حملةً جديدةً على مِصْرَ بقيادةِ أسد الدين شيركوه نفسه . واستطاع شيركوه أن يتغلّبَ على شاوَرَ وأن يعمل على قتله ثمّ استطاع أيضاً أن يتولّى الوزارة للعاضد . غير أنّ شيركوه توفّي

(*) راجع « تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي (بيروت ١٩٥١ ، دار الكشاف) ، ص ١ ٧٦٤ راجع أيضاً الطبعة الانكليزية (لندن ١٩٤٩) ، ص ٦٤٥ .

وشيكاً (٥٦٤ هـ = ١١٦٩ م) بعد تولّيه الوزارة، فخلفه في الوزارة ابن أخيه: صلاح الدين بن أيوب (صلاح الدين الأيوبيّ).

رأى صلاحُ الدين أن الخطَرَ الحقيقيَّ على البلاد والإسلام ليس من جانب الصليبيّين، فقد كان الصليبيّون أيضاً قد ضَعُفوا بالمنازعاتِ الداخليّة، ولكنّ ضَعْفَ المسلمين كان راجعاً الى تنازُعِ زُعمائهم. من أجلِ ذلك عَزَمَ صلاحُ الدين على أن يَقْضِيَ أولاً على أسبابِ هذا الضَعْفِ. قَضَى صلاحُ الدين على الدولة الفاطميّة وأقام على أنقاضها دولتَه الأيوبية. وزالَتْ بطبيعةِ الحال دولةُ الأتابكة في الشام فقد كان هو أقدرَ قُوّادِها ورجالها. ثمّ انّه قضى على الدويلات الصغيرة في العراق والشام ووحّد البلادَ وانطلق يستعيدُ المُدُنَ من أيدي الافرنج الصليبيّين بسُرْعة مُدْهشة.

الحياة الاجتماعية

انّ الاضطرابَ الذي سبق سُقوطَ الخلافة العبّاسية قد أدّى الى تطوّرٍ كبيرٍ في الحياة الاجتماعية. ومن أهمّ هذا التطوّرِ اتّساعُ الحروبِ الصليبية حتّى تناولَتْ مِصْرَ بعدَ أن كانتْ زَمَناً طويلاً قاصرةً على الشواطىء الشرقية من البحر الأبيض المتوسّط: لقد أرادتْ أوروبةُ الغربيةُ بالحروبِ الصليبية أن تُقيمَ الشاطىء الشرقيّ من البحر الأبيض المتوسّط سدّاً يَحْجِزُ وراءه المسلمين بعدَ أنْ أخذتِ الشعوبُ التركية تدخُلُ في الاسلام وبعدَ أن وَصَلَتْ تلك الشعوبُ الى آسيةَ الصغرى ووَقَفَتْ على تُخوم أوروبّة. وبعدَ تسعمائةِ عامٍ رأينا الاستعمار الغربيَّ نفسَه يُحاولُ أن يُقيمَ هذا السدَّ نفسَه على هذا الشاطىء نفسه، فإنّ الذي ينظُرُ إلى خارطة الممالكِ التي أقامَها الإفرنجُ الصليبيّون يَجِدُ أنّها الخارطةُ التي اغتصبها الاستعمارُ الغربي اليومَ على النِصف الجَنوبي من الشاطىء الشرقيّ للبحر الابيض المتوسّط. وإذا نحن تَفَطّنّا الى تهديدِ الاستعمار على لسانِ رِجال إسرائيلَ رأينا أن أطماعَ الاستعمارِ في توسيعِ رُقعةِ اسرائيلَ ترمي الى الاستيلاء على القسم الجَنوبي الباقي من ذلك الشاطىء لِحَجْزِ المسلمين وراءه حجزاً كاملاً. ثمّ اذا نحن تفطنّا أيضاً الى سياسةِ الاستعمار في بلادِ الخليج رأينا أمراً مُشابِهاً: إذا كان جميعُ أهلِ الخليج من العرب فلامانعَ من بقاء الحكم الاسمي هناك لهم على أن يكونَ الحُكْم الحقيقي للاستعمار. ويكون حينئذ بين العرب في شبه جزيرتهم وبين ساحل الخليج العربي والمحيطِ الهندي سدّ من الاستعمار.

في هذا المقطع استطرادٌ طويلٌ ، ولكنّه استطرادٌ نافع !

ولقد أدركَ المسلمون في العصور الوسطى هذا الخطرَ فكان أوّلَ تبدُّلٍ في حياتِهِمُ الاجتماعية أنّهم تركوا العصبيةَ القوميةَ التي سَيْطَرَتْ على عواطفهم وسياستهم منذ قيام الدولة الأموية ، سَنَةَ ٤٠ للهجْرة (٦٦٠ م) وتبدّلوا بها الشعورَ الإسلامي . إنّ العرب كانوا قد أصبحوا قلّةً بعدَ أن دَخَلَتْ أممٌ من أهل آسيةَ وإفريقيةَ واوروبة أيضاً في الإسلام أفواجاً . ثمّ انّ العرب الذين كانوا دائماً هم الطبقةَ الحاكمةَ قد جنى عليهمُ التَرَفُ . من أجل ذلك لا نستغربُ إذا علمنا أن الأكرادَ والأتراك هم الذين قاموا بالعِبءِ الأكبرِ من القتال في أثناء الحروب الصليبية . وإذا لم يكنْ ثَمّتَ شكٌ في أن الفِرنْجةَ الذين جاءوا في الحَمَلات المتابعة على الشرق انّما جاءوا بدافعٍ دينيّ عنيفٍ — وإنْ كانت أهدافُ الذين كانوا وراءهم أهدافاً سياسيةً واقتصادية في الأكثر — فإنّ من غيرِ المعقولِ أن يُهْمِلَ المسلمون العُنْصُرَ الدينيَّ في الدفاع عن بلادِهم وعن أنفسِهم .

وتطرّف الشُعورُ الدينيّ فرَسَخَتْ حركةُ التصوّف واتّسعت . ومَعَ أن المقصودَ الأوّلَ أن تكونَ حركةُ التصوّف اتّجاهاً نحوَ تَقيةٍ اجتماعية (أن يكونَ ظاهرُها العبادةَ وباطنُها الجهادَ) ، فإنّ جماعاتٍ وأفراداً كثيرينَ هربوا الى التصوف من خوفِ حَمْلِ التَبِعَةِ : إذا كان فردٌ لا يستطيعُ الحربَ أو لا يُريد الحربَ ثمّ كَرِهَ أن يعترفَ بالعَجْزِ الجَسَديّ أو النَفْسي فلا أهونَ عليه من أن يخترعَ فلسفةً يُجادِلُ بها عن ضَعْفِهِ ، كما فعل كثيرون من المتصوّفين .

هذا التطوّرُ الاجتماعيّ لم يتناولِ المسلمينَ فقط ، بل تناول الإفرَنْجَ الصليبيّين أيضاً . من أجل ذلك كثر اختلاطُ الأممِ والشعوبِ في أثناء الحروب الصليبية بالزَواج وبالاحتكاك المَعاشي . وفي أسماء العرب في الشرق الاوسط وفي أجسامهم سِماتٌ واضحةٌ ، كما أن في أسماء جماعاتٍ من الأوروبيّين وفي ملامحِ وُجوهِهِمْ إلى اليومِ سِماتٌ ، مَشْرقية أو عربيةٌ . ومِثْلُ ذلك نَجدُهُ في أنواعِ الطعام واللِباس والبناء : لقد أخذ الاوروبّيون كلّهم مِنّا الصُفّة والسُكّر والصِفْر والشَراب بأسمائها فقالوا :

—, Sofa, Sucre (Sugar, Zucker, etc.) , Cypher (Cifra, Ziffer, Chiffre), Sirop —

كما أخذنا نحن منهم في هذا القرن : التلفونَ والسنما والفِلْم والتلفزيون مَعَ أسمائها !

في هذه الفترة اتّسعتْ فنونُ الأدبِ واتّسع التأليفُ، ولا نستطيعُ أن نقولَ إنّ شيئاً جديداً قد نشأ في المشرق سوى المُوَشّحِ الذي جاء من الأندلس فنَظَمَ عليه ابنُ سَناءِ المُلْك (ت٦٠٨هـ) نظماً رائقاً ثم ألّفَ في أصوله وقواعده. وكذلك قلّ العَطاءُ على الشعر في هذه الفترة لأنّ الاضطرابَ السياسيَّ والحروبَ من شأنِها أن تَصْرِفَ النفوسَ عن هذا الترَفِ الذي يقتضي الاهتمامُ به استقراراً واطمئناناً.

وكَثُرَ إنشاء المدارس في هذا العصر وخصوصاً تلك المدارسِ التي تهتمّ بتعليم الدين وبالحديث خاصّةً. وكان لحفظِ القُرآن ودِراسَة الحديث رواتبُ تُعْطى للطلاّب تشجيعاً لهم على طلب علوم الدينِ.

وكذلك اتّسع التأليفُ في علوم اللغة والأدب، من الصرف والنحو والبلاغة ووَضْعِ القواميسِ المختلفة. واتّسع التأليفُ في التاريخ والتراجم والبُلدان (الجُغرافية) والرِحلات.

---

(١) كان الشعر الى هذا الحين الذي نتكلم عليه في هذا الفصل قصيداً ورجزاً. والقصد (بفتح القاف) والاقتصاد: مواصلة الشاعر عمل القصائد. والقصيد ما تم شطر أبياته ثلاثة أبيات فصاعداً أو ستة عشر بيتاً فصاعداً (القاموس ١ : ٣٢٧، ٣٢٨). والقصيدة أبيات متوالية من بحر واحد وعلى روي واحد. وبحور القصيد ستة عشر بحراً. ومثال القصيد من البحر الخفيف على روي النون المكسورة (بعد ألف التأسيس، وهي ضرورية في هذه القافية) قول المعري:

ليلتي هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان.
هرب النوم عن جفوني فيها ... هرب الأمن عن فؤاد الجبان.
وكأن الهلال يهوى الثريا، ... فهما للوداع معتنقان!

وأما الرجز (بفتح ففتح) فهو ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات ... وزعم الخليل (بن أحمد) أن (الرجز) ليس بشعر وانما هو أنصاف أبيات أو أثلاث. والارجوزة (بضم الهمزة) القصيدة منه (القاموس ٢ : ١٧٦). والرجز لا يكون الا من بحر واحد – من بحر الرجز –:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ... مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

وينبني الرجز على روي واحد في جميع أشطره (في صدر أبياته وعجزها – بفتح العين وضم الجيم) كقول أبي نواس (على اللام الساكنة):

لما بدا الثعلب في سفح الجبل ... صحت بكلبي: ها! فهاج كالبطل؛
كلب جريء القلب محمود العمل ... مؤدب كل (؟) الخصال قد كمل.

وربما بنيت الارجوزة على روي مستقل (في قافية مستقلة) في شطري كل بيت منها كقول أبي العتاهية:

إن الفساد ضده الصلاح، ... يا رب جد جره المزاح.
ما تطلع الشمس ولا تغيب ... الا لأمر شأنه عجيب.
كذا قضى الله فكيف أصنع ... والصمت ان ضاق الكلام أوسع.

وتوفّرَ نَفَرٌ كثيرون من الأدباء على الصناعة اللفظية وأغرقوا فيها في شعرهم ونثرهم ، كما ألّفوا فيها الكتب . ولقد خَرَجَ نَفَرٌ منهم ، كالقاضي الفاضل مَثَلاً (ت ٥٩٦ ﻫ)، على القَدْر المعقول الذي يجعَلُ من الصناعة حِلْيَةً للأدب ثم أغرقوا في تطلُّبِ أوجهِ البلاغة حتّى جاءوا بالمستحيل في العقل والممجوج أحياناً في الذوق . ومَعَ اتّساعِ الكلامِ في البلاغة يتّسعُ الكلامُ في النقدِ الأدبي بطبيعة الحال . وكذلك استقرّت قواعدُ الإنشاء الديوانيّ مع الإغراق في الصناعة أيضاً .

ابنُ عَساكر

١ ـ هُوَ الحافِظُ تَقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هِبَةِ الله ابنِ الحُسينِ المعروفُ بابنِ عَساكرَ الدمَشْقيِّ ، وُلِدَ في المُحرّم سَنَة ٤٩٩ (١١٠٥ م) .

في سنة ٥٢٠ ﻫ (١١٢٦ م) ذَهَبَ ابنُ عساكرَ إلى بَغدادَ وقرأ علومَ الحديث في المدرسة النظامية ثم حجّ (٥٢١ ﻫ) فسمع من العلماء في مكّةَ والمدينةِ والكوفةِ .

وفي سنة ٥٢٥ ﻫ عاد الى الشام ثم استأنف الرِحلةَ في طَلَبِ العلم إلى المشرق وسمع من العلماء في نَيْسابورَ وهَراة ومَروِ الشاهِجانِ وأبيوردَ وطُوسَ والرَيّ وسواها . وقد درّس الحديث أيضاً في بَغدادَ ومكّةَ ونَيْسابور وأصْفهان . ثم إنه عاد إلى دِمشقَ واستقرّ فيها وأصبحَ مُدرِّساً للحديث في المدرسة النورية إلى أن وافاه الأجلُ في حادي عَشَرَ رَجَبَ من سَنة ٥٧١ (٢٦/ ١/ ١١٧٦ م) .

٢ ـ كان تَقيَّ الدينِ بنُ عَساكرَ من أئِمّةِ الحديثِ في وقتهِ ، ولذلك كان يسمّى « الحافِظَ ابنَ عَساكرَ » . وهو مصنّفُ كُتبٍ كثيرةٍ أثبتها ياقوتٌ الحمويُّ (معجم الادباء ٣ : ٧٧ ـ ٨٣) مُطوّلاً . وأشهرُ هذه الكتبِ « تاريخ مدينةِ دِمَشْقَ وأخبارُها وأخبارُ من حلّها » ، على نَمَطِ ما كان الخطيبُ البَغْداديُّ قد فعل في « تاريخ بغداد » .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة التاريخ الكبير :

الحمدُ للهِ خالقِ الأرواحِ وبارىء الأجسام، وفالقِ الإصباح بالضياء بعد غَسَقِ

الظلام[1]، ورازقِ الطيورِ والإنسَ والجنّ والوحوش والأنعام، وفاتقِ الأرضِ والسماء عن قَطْرِ الغَمام، والحَبّ ذي العَصْف والنخل ذاتِ الأكمام[2]، تَبْصِرةً لذوي العقول وتَذْكِرةً لأُولي الأفهام ...... أمّا بعدُ، فانّي كُنتُ قد بدأتُ قديماً – لِسُؤال من قابلتُ سؤالَه بالامتثال والالتزام – على جَمْعِ تاريخٍ لمدينةِ دِمَشْقَ أمِّ الشامِ – حَمَى اللهُ رُبوعها من الدُثور والانفصام، وسلّم جرعها من كيد قاصديها بالاهتضام[3] – فيه ذِكْرُ من حلّها من الأماثلِ والأعلام[4]. فبدأتُ فيه عازماً على الإنجاز له والإتمام، فعاقتْ عن إنجازِه وإتمامه عوائقُ الأيّام من شَدوة الخاطرِ وكَلال الناظر[5] وتعاقُبِ الآلام ....

ورَقِيَ خبرُ جمعي إلى حضرةِ الملك القَمْقام الكاملِ العادلِ الزاهدِ المُجاهدِ المُرابط[6] الهُمام أبي القاسم محمود بنِ زَنْكي بنِ سَنْقَرَ الناصرِ الإمام[7] أدامَ اللهُ ظِلَّ دولته على كافّة الأنام وأبقاه مُسَلّماً من الأسْواء[8] منصورَ الأعلام..... وبَلَغَني تَشوُّقُهُ إلى الاستنجازِ له والاستتمام لِيُلِمَّ بمطالعةِ ما تَيَسَّرَ منه بعضَ الإلمام[9]، فراجعتُ العملَ فيه للظَفَرِ بالتمام شاكراً لما ظَهَرَ منه من حُسن الاهتمام

(١) بارىء : خالق . فالق الاصباح بالضياء : الذي شق الظلام عن نور الصباح . الغسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الأنعام : البهائم من الغنم والابل الخ . فاتق السماء عن قطر الغمام (عن المطر) وفاتق الارض عن الحب (كالقمح والشعير) ذى العصف (التبن) والنخل ذات الأكمام (أوعية الطلع بفتح الطاء : غلاف القرط الذي يكون فيه التمر) .

(٣) الربع: المكان المسكون. الدثور: الامحاء. الانفصام: الانفصال. الجرع (بفتح ففتح) جمع جرعة (بالفتح) : القطعة من الارض (من رمل أوغيره، ذات نبات أو غير ذات نبات). قاصديها: قاصدي دمشق (في الأصل : قاصديهم) . الاهتضام : سلب بعض الحقوق .

(٤) الأماثل جمع أمثل : أفضل (أفاضل القوم) . الأعلام جمع علم (بفتح ففتح) : المشهورون .

(٥) الشدو : القليل من كل شيء . والشذوة (بالذال أخت الدال) : بقية القوة . لعل ابن عساكر يقصد بكلمة «شدوة» تشتت (شدوة الخاطر : تشتت البال) . الكلال : الضعف . والشداه (بالضم) : الحيرة والدهشة .

(٦) القمقام : السيد الجامع للسيادة الواسع الخير . المرابط : الساكن على أطراف البلاد الاسلامية لصد المغيرين عليها تطوعاً من عند نفسه .

(٧) هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك الشام والجزيرة (أعلى العراق) ومصر ، ولد سنة ٥١١ هـ ، وجاء الحكم سنة ٥٤١ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) . كان من أعاظم ملوك المسلمين ومن أبطالهم في الحروب الصليبية .

(٨) الأنام : الناس. الأسواء جمع سوء .

(٩) ألم بالشيء : مر عليه مراً خفيفاً .

مُبادراً ما يحولُ دون المُراد من حُلول الحِمام[1] ، معَ كون الكِبَرِ مَطيِّةَ العَجزِ ومَظنّة الأسْقام وضَعْفِ البصر دون الإتقان له والإحكام[2] ؛ سُبحانَه وتعالى المُعينُ فيه بلطفه على بلوغ المَرام .

وهو كتابٌ مُشْتَمِلٌ على ذِكْرِ مَن حلّها من أماثلِ البريّة أو اجتاز بها أو بأعمالهــا من ذَوي الفضل والمزيد من أنبيائها وهُداتها[3] ، وخُلفائها ووُلاتها ، وفُقهائها وقُضاتها ، وعُلمائها ودُراتها[4] ، وقُرّائها ونُحاتها ، وشعرائها ورُواتها[4] — من أمنائها وأنبائها ! وضُعفائها وثُقاتها — وذِكْرِ ما لهم[5] من ثناء ومدح ، وإثبات ما فيه (فيهم !) من هِجاءٍ وقَدْح ، وإيراد ما ذكروه من تعديلٍ وجَرْح[6] ، وحكايةِ ما نُقِلَ عنهم من جِدّ ومَزْح ، وبعضِ ما وَقَعَ في رواياتِهم وتعريفِ ما عَرَفْتُ من مواليدهم ووفاتهم[7] ! ....

٤ — التاريخ الكبير (اعتنى بترتيبه عبد القادر بدران وسمّاه : تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، دمشق (مطبعة روضة دمشق) ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ ؛

تاريخ مدينة دمشق ... (تحقيق صلاح الدين المنجّد) ، (منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق) دمشق ( ) ١٩٥١ — ١٩٥٤ م .

ولاة دمشق في العهد السلجوقيّ (نشره صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقيّ) ١٩٤٩م .

تهذيب تاريخ دمشق (نصوص مستخرجة من « تاريخ دمشق الكبير » — حقّقها صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقيّ) ١٣٣٢ هـ .

(تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الأشعري (عني بنشره القدسيّ) ، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٤٧ هـ ؛ (نُبذٌ منه باعتنا ، مهرن) ، ليدن ١٨٧٨ م (راجع معجم سركيس ١٨٢) .

** معجم الادباء ١٣ : ٧٣ — ٧٨ ؛ طبقات الشافعية ٤ ٬ ٢٧٣ — ٢٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ :

---

(١) الحِمام (بكسر الحاء) : الموت .

(٢) مظنة : مكان ، موضع . الإحكام : الدقة في العمل .

(٣) الهداة جمع هاد (الهادي) : المصلح ، الدال على الخير .

(٤) الداري : العارف بالعلم الذي يمارسه ، وضدها الراوي : الذي ينقل عن غيره نقلا (من غير فهم ضرورة) . النحاة جمع نحوي (عالم بالنحو) .

(٥) أنبائها ! (كذا في الأصل) . الضعيف (في رواية علم الحديث خاصة) : القليل العلم والأمانة والتثبت مما يروى . الثقة ضد الضعيف . ما لهم من ثناء ... (في الأصل: ما لهن) .

(٦) القدح : الذم . التعديل : اقامة الدليل على عدل الرأي والأمانة . الجرح : اثبات ضعف في الراي (من ناحية العلم أو الأمانة) .

(٧) ووفاتهم (كذا في الاصل) والسياق يقتضي : ... ومواليدهم ووفياتهم .

١٢ – ١٣ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٣٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٣٩ – ٢٤٠؛ بروكلمان ١ : ٤٠٣ – ٤٠٤ ؛ الملحق ١ : ٥٦٦ – ٥٦٧ ؛ زيدان ٣ : ٧٩ – ٨٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧١٣ – ٧١٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨٢ .

كمالُ الدينِ الشَهرزوريُّ

١ – هوَ كَمالُ الدين أبو الفضلِ مُحمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ بن المظفّر ابن عليّ الشهرزوريُّ المَوْصِليّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سَنَةَ ٤٦٢ هـ (١٠٩٨–١٠٩٩م).

تَفَقّهَ كَمالُ الدين الشهرزوريُّ على أسعدَ المِيهَنِيّ وسَمِعَ الحديثَ من نورِ الهُدى أبي طالبِ الزَّيْنَبي ومُحَمّدِ بنِ محمّدِ بن خميسٍ المَوْصِليّ .

تولّى كمالُ الدينِ الشهرزوريُّ القضاءَ في المَوْصِل ، وكان أتابكُ المَوْصِلِ عمادُ الدين زَنْكي (٥١٦ – ٥٤١ هـ) يُرْسِلُهُ في فَتَرات مُختلفةٍ رسولاً الى بَغدادَ والى خُراسانَ . ولمّا تُوُفّيَ عِمادُ الدين خَلَفَهُ ابنُه سَيفُ الدينِ غازي على المَوْصِلِ ففوّضَ إلى كمالِ الدين الشهرزوري كلَّ الأُمور ، ولكنْ سَرْعانَ ما غَضِبَ عليه (٥٤٢ هـ) واعْتَقَلَه في قلعةِ المَوْصل؛ ثمّ رَضِيَ عنه وَشيكاً . وفي سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) دَخَلَ كَمالُ الدين الشهرزوريّ في خِدْمَةِ نورِ الدينِ محمود (٥٤١ – ٥٦٩ هـ) وأقامَ في دِمَشْقَ . وقد أكْرَمَه نور الدين إكراماً كبيراً ثمّ وَلاّه القضاءَ (٥٥٥ هـ) في بلادِ الشام كلِّها . وما زالَ كمالُ الدين يَتَرقّى في المناصبِ حتّى بَلَغَ دَرَجَةَ الوِزارة ولم يَبْقَ في الدولة أمرٌ خارجٌ عن نَظَرِه .

وكانت وَفاةُ كمال الدين الشهرزوريُّ في دِمَشْقَ ، في السادس من المُحَرَّم من سَنَةِ ٥٧٢ (١٥/٧/١١٧٦ م) .

٢ – كانَ كَمالُ الدين الشَهرزوريّ فقيهاً يَتكلّم في الأصول كلاماً حَسَناً ، كما كان أديباً وشاعراً ظريفاً يَنْظِمُ الشِعْرَ في الوصفِ والخَمْر والنسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال كمالُ الدينِ الشهرزوريُّ في السَفَر :

ولَقَدْ أتَيْتُكَ والنجـومُ رواصدٌ والفجر وَهْمٌ في ضَميرِ المَشْرِقِ[١] ؛

---

(١) النجوم رواصد (ترصدني ، تتطلع الي) ، كناية عن اشتداد ظلمة الليل . والفجر وهم في ضمير المشرق : لن يطلع قبل وقت طويل .

وركبتُ للأهوال كلَّ عظيمةٍ شوقاً إليك لعلّنا أنْ نلتقي !

— وقال في الخمر :

أنيخا جمالي بأبوابها وحُطّا بها بَيْنَ خُطّابِها[1] ،
وقُولا لِخَمّارِها : لا تَبِعْ سِوايَ فإنّيَ أوْلى بها[2] ،
وساوِمْ وخُذْ فَوْقَ ما تَشْتهي وبادِرْ إليّ بأكوابها[3] .
فإنّا أناسٌ تَسومُ المُدا مَ بأمْوالِها وبألْبابِها[4] .

— وكتب الى وَلَدِهِ مُحيي الدين (وهُوَ في حَلَبَ) :

عِنْدي كَتائبُ أشْواقٍ أُجَهِّزُها إلى جَنابِكَ إلاّ أنّها كُتُبُ ؛
ولي أحاديثُ من نَفْسي أُسَرُّ بِها — إذا ذَكَرْتُكَ — إلاّ أنّها كَذِبُ !

٤ — ** معجم الأدباء ١٩ : ٢١٧ — ٢١٨ ؛ خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٢٣ — ٣٢٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٣١ — ٣٣٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٦١ — ٢٦٣ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٤١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٣ ؛ زيدان ٣ : ٦٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٠٧ .

مجد العرب العامري

١ — هو الأميرُ مَجْدُ العَرَبِ مُصطفى الدولةِ أبو فراسٍ عليُّ بنُ محمّدِ بن غالب العامريُّ ، من أهلِ العِراق ، جالَ في البلاد تكسّباً بشعرِه : زارَ الشام فكان في شَيْزَرَ (قرب حَماة) سَنَةَ ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ومدحَ الأميرَ عِزَّ الدين سُلطانَ ابنَ علي من آلِ مُنْقِذ (ت ٥٤٣ هـ) ، وسَكَنَ أصفهانَ نحو عَشْرِ سَنَوات (٥٣٧ — ٥٤٨ هـ) تَصدَّرَ في أثنائها للتدريسِ وتكسّبَ بالشعرِ ولكنْ لم يَنَلْ فيها حظّاً فملَّ المُقامَ فيها وعادَ إلى العِراق وسكن المَوْصِلَ وغيَّرَ زيَّه ولَبِسَ لِبْسَ الأتراك . وقد كانتْ وَفاتُه بالمَوْصِلِ ، سَنَة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ — ١١٧٨ م) .

---

(١) خطابها : تطاب الخمر الراغبون فيها : في الوصول الى المعرفة الالهية .

(٢) — يحسن أن يفهم هذا البيت أيضاً فهماً صوفياً .

(٣) بادر : أسرع . الكوب : قدح بلا عروة (بضم العين : يد) . بأكوابها : بأنواع المعرفة المختلفة (المعرفة الإلهية) .

(٤) تسوم (تشتري ، تطلب الشراء) بأموالها (ببذل الثمن الغالي) وبألبابها (بعقولها ، بما هو أثمن من أموالها) .

٢ ـ مجدُ العربِ العامريُّ مِن كبارِ شعراء العراقِ في عصرِه ، شاميُّ المذهَبِ يَطْبَعُ شعرَه على شعرِ أبي تمّامٍ والمتنبّي وأبي فراسٍ . وهو شاعرٌ مُطيلٌ أملى ديوانَه (في أصفهانَ) على محمّدِ بنِ مسعودٍ القسّامِ الأصفهانيّ (ت ٥٧٢ هـ) ، فجَمَعَهُ القسّامُ ورتّبه . وقصائده التي قالَها وهو في الشامِ أجزَلُ وأحسَنُ من قصائدهِ التي قالَها وهو في العراق . ويُعلِّلُ العمادُ الأصفهانيّ ذلك بقولِه (خريدة العراق ٢ : ١٤٤) : « وقدْماً قيل : اللُّها تفتح اللَّها[1] ، والبِقاعُ تُغيِّرُ الطِباعَ » . ويحسُنُ أنْ نُلاحِظَ أن قصائدَ العِراقِ كانتْ من طَوْرِ الشَّبابِ وأن قصائدَ الشامِ كانت من دور النُّضج .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال مجدُ العربِ العامريُّ يمدحُ الأميرَ حُسامَ الدين أبا سعيدِ بنَ تمرتاشَ بنِ إيل غازي بنِ أُرتُقَ ويذكُرُ أعمالَ حسامِ الدينِ وقومِه في حربِ الفرنجِ (الصليبيّين) . وقد أنشَدَهُ هذهِ القصيدةَ في ميّافارقينَ ، في رَجَبٍ مِنَ سنةَ ٥٣٧ هـ (١١٣٣ م) ، قال فيها :

ما للأقاربِ من ذَويكَ تباعدوا … حَنَقاً كأنّهمو ذَوُو شَنَآنِ[2] .
عَرَبٌ أضاعوا فيكَ ذِمّةَ جارِهِمْ ؛ … والعُرْبُ تحفَظُ ذِمّةَ الجيرانِ .
خُذْ بالشهامةِ ـ لا الكرامةِ ـ أهلَها … تَرْدَعْ عِداكَ بها عنِ العُدوانِ[3] .
فالحَزْمُ أن تَضَعَ العِقابَ ـ إذا فشا … سِرُّ المَظالمِ ـ مَوْضِعَ الغُفْرانِ[4] .
من سؤدُدِ الرجلِ الكريمِ وفَضلِه … ما يَستَمِرُّ عليه من نُقصانِ[5] .
كم مَوْقِفٍ لك ، لو أراد تَوَقُّفاً … فيه الرَّدى زَلَّتْ به القَدَمانِ :
طأطأتَ فيه الكُفْرَ بعدَ بُزوغِهِ … ورفعتَ فيه دَعائمَ الإيمانِ .

---

(١) اللهوة (بالضم والفتح) واللهية (بالضم) : العطية ، المال . واللهاة (بالفتح) : اللحمة المشرفة على الحلق . « اللها تفتح اللها » : المال يشجع الناس على حسن الكلام (ويشجع الشاعر على قول الشعر ومدح الذين يعطون) .

(٢) الشنآن : البغضاء .

(٣) الشهامة : كرم الخلق والأصل ، و (الشهامة في القاموس : الشجاعة) . تردع : تمنع .

(٤) ـ اذا كانت الذنوب قليلة فالصفح مفيد ، أما إذا استهتر الناس وأظهروا الفساد فالحزم أن يقضي بمعاقبتهم

(٥) مما يدل على سؤدد (مجد) الرجل أنه يحتمل الخسارة الشخصية دائماً .

جَمعَتْ عليكَ به الفِرنجُ جُموعَها، وتفرّقتْ لمّـا الْتقَى الجمْعان[1] .
ظَنّوكَ ما لاقَوْا ، فأبْطَلَ ظَنَّهم طعْنٌ أحقّ مظنّةَ السِـرحان[2]
بذوابـلٍ أبْدَتْ أسِنّتُهُنَّ مـا أخفَتْ قلوبُهُمُ مِـنَ الأضغان[3] .
ومُدرَّبِينَ عـلى القِتال كأنّمـا شَربوه ولِدانـاً معَ الألبـان ،
من كلِّ مشبوحِ الذراعِ يَهُـزُّه قَرْعُ العَـوالي هِزّةَ النَشْوان[4] .
نَظَروا الى البِيضِ الخِفافِ كأنّهـا بأكُفِّهِم مَشبوبةُ النيران[5] ؛
والخَيْلُ قد عادتْ وِراداً شِبْهَهـا مِمّا لَبِسْنَ من النَجيـعِ القاني[6] ،
يَسْبَحْنَ طَوْراً في الدماء ، وتارةً يركُضْنَ فوقَ جَماجم الشُجْعان .
في مـأزِقٍ ضَنْكِ المَجال كـأنّه مَغْنَى المُبَخَّلِ أو فؤادُ العاني[7] ،
ستَرَ السماءَ عَجاجُه ؛ فسماؤه نَقْعٌ ، وأنجُمُه من الخُرْصـان[8] ؛
فالصُبْحُ ممّا سُلَّ فيه واحدٌ ، والليلُ ممّا ثـار فيه اثنـانِ[9] .

(١) التقى الجمعان : وقف الجيشان في ميدان المعركة وجهاً لوجه .

(٢) ظنوك ما لاقوا : اعتقدوا انك في الحرب متساهل بحقك مثلك في السلم . — اعتقدوا أنك مثل غيرك من الذين قاتلوهم وانتصروا عليهم . ولكن طعنه (قتاله أعداءه) حقق أمل السرحان (الذئب) اذ كثر القتلى من الأعداء حتى شبعت ذئاب الفلاة .

(٣) الذوابل : الرماح . السنان : الحديدة في رأس الرمح. الضغن (بكسر الضاد) : الحقد . — رماح الممدوح أخرجت أحقاد الأعداء من قلوبهم (قتلتهم) .

(٤) مشبوح : طويل . اذا كان المحارب أطول ذراعاً من خصمه استطاع أن يصل اليه بالرمح بسهولة . يهزه : يطربه ، يسره . قرع العوالي (الرماح) : قرع بعض الرماح على بعض في المعركة (كناية عن اشتداد القتال) . النشوان : السكران .

(٥) البيض الخفاف : السيوف . كأنها النار المشبوبة أو مشبوبة النيران : حمراء من الدم الذي عليها .

(٦) والخيل قد عادت (رجعت من المعركة) وراداً (حمراً) شبهها (شبه نفسها ، لأن الخيل الحمراء اللون محمودة) النجيع : الدم . القاني : الشديد الحمرة (قان ، خان من الفارسية : الدم) . — جميع الخيل (الحمر والبيض والسود) رجعت من المعركة حمراً لكثرة ما سال عليها من دم الأعداء .

(٧) المأزق : المكان الضيق . ضنك المجال : لا يستطيع الفارس أن يجول فيه . كأنه مغنى (بيت) المبخل (البخيل) ، كناية عن الضيق المادي في المساحة ، أو فؤاد العاني (الأسير) كناية عن الضيق النفسي .

(٨) العجاج : الغبار . النقع : غبار الحرب . الخرصان جمع خرص (بضم الخاء) : الحلقة أو حلقة القرط (الذي تزين به الأذن) .

(٩) فالصبح مما سل فيه (من السيوف البيض) واحد : كأن السيوف المسلولة لكثرتها وتقارب بعضها من بعض وشدة بياض لونها (كناية عن جودتها ومضائها) شيء واحد. والليل مما ثار فيه (من الغبار) اثنان (ظلام وغبار أسود) .

– وله من الأبيات السائرة في مدح السَفَر وتَهْوين فِراقِ الأحبّة :

فارقْ تَجِدْ عِوَضاً ممّن تُفارِقُهُ في الأرضِ ،وانْصَبْ تُلاقِ الرِّفْهَ في النَصَبِ[1].

فالأُسْدُ لولا فراقُ الخِيس ما فَرَسَتْ، والسَهْمُ لولا فراقُ القَوْسِ لم يُصِبِ[2].

٤ – ** الخريدة (العراق) ٢ : ١٤١ – ١٧١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٨ .

نشوان بن سعيد الحِمْيَري

١ – هو أبو سعيد نَشوانُ بنُ سعيدِ (بن نشوان) بنِ سعدِ بنِ أبي حِمْيَرَ ابنِ عُبيدِ الله بنِ القاسم بن عبدِ الرحمنِ من نسل ذي سَحَرَ ، وأمُّه عربيةٌ من وَلَدِ عشنَ من ملوك همْدان . أمّا بلاده فهي وادي صَبَر (بفتح الصاد والباء) في الشَّمال الغربيّ من صَعْدة؛ وليست صَبِر (بفتح الصاد وكسر الباء) الجبل المطلّ على تَعزّ . وكان أكثرُ مُقامه في حوث بين صَنعاء وصَعْدة .

وتولّى نشوانُ بنِ سعيد القضاء في بعض مخاليف[3] اليمن . ويبدو أنه طَمِعَ في أواخر عُمُرِه بالملك فتحيّل على حُصْنٍ وَمَلَكَه ، قيل هو حصن في جبال صَبِر (بفتح الصاد وكسر الباء) وتسمّى بالسلطان . وقيل بل لم ينجح في ذلك . وقيل بل جَمَعَ نحو تسعمائة رجل وسار بهم في الجَوْف[4] حتّى وصل الى بَيْحانَ من شرقيّ اليمن فلم يتِمّ له شيءٌ . ثمّ دخل حَضْرَمَوْتَ ، وكان مَلِكَها في ذلك الحين عبدُ الله بنُ راشد فأعطاه عبدُ الله مالاً جزيلاً . وعاد نشوانُ من طريق الجَوْف فسقطت عليه عِصابةٌ نهبت جميع ما كان معه ما عدا كُتُبَهُ . ثمّ عاد الى بلاده ووطنه خَوْلانِ صَعْدَةَ واستقرّ في حوث الى أن تُوُفّيَ في ٢٤ من ذي الحِجّة من سنة ٥٧٣ هـ (١٤/ ٦/ ١١٧٨ م) .

٢ – كان نشوان بن سعيد الحِمْيَريّ فقيهاً من فقهاء الزَيْدية ومُعْتَزِلياً وعالماً باللغة والنحو والأدب والتاريخ والأنساب وأديباً مُصَنِّفاً للكتب . وكان شاعراً يَنْظِمُ شعراً من جنس شعر العُلماء قليل الرونق . وآثارُ نشوانَ بن سعيد كثيرةٌ أشهرُها القصيدة الحِمْيَرِيّة (أو النَشْوانية) ، وَهِيَ مَلْحَمَةٌ (في أحْداثِ التاريخ)

---

(١) الرفه : سعة العيش . النصب : التعب .

(٢) الخيس والخيسة (بكسر الخاء فيهما) : موضع الأسد ، والشجر الكثير الملتف .

(٣) المخلاف (بكسر الميم) : المنطقة ، المقاطعة . (٤) الجوف : أواسط البلاد .

تبلغ مائةً وثلاثينَ بيتاً أراد نشوانُ بن سعيد أن يَقُصَّ فيها أمجادَ حِمْيَرَ كما كان الهَمْداني (ت ٣٣٤ هـ) قد فعل من قَبْلَ في كتاب «الإكليل في مفاخر قَحْطانَ وذِكْرِ اليَمَنِ» وفي «القَصيدةِ الدامغة في فَضْلِ قحطان». ولكنَّ نشوانَ قصَّر عن الهَمْدانيّ فأضاف الى قصيدته الحِمْيرية كثيراً من الخُرافات والمُبالغات والأقوال الطَنّانة الفارغة والأسماء الرنّانة المختلقة.

لنشوانَ بنِ سعيدِ الحِمْيَري من الكتب: شمس العلوم ودواء (شفاء) كَلام العرب من الكُلوم وصَحيح التأليف والأمان من التحريف (وهو معجمٌ كبيرٌ مرتّب على حروف الهجاء. ولا يكتفي المؤلّف فيه بتفسير اللفظة تفسيراً لغويّاً فحَسْبُ، بل يُورد في عدد كبير من الألفاظ خصائصَها الطبيعيةَ والعلمية والطبية، وربّما استطردَ الى التعليقاتِ التاريخيّة والأحكام الشرعية) — رسالة الحُور العِين[1] — شرح رسالة الحُور العين (شرح المؤلّف في هذا الكتاب ما كان قد أشار اليه في الرسالة المجرّدة «الحور العين» ممّا مرّ فيها من إشاراتِ اللغة والصرف والنحو والعَروض والقوافي ومن الإشارات التاريخية الى عَرَبِ الجاهلية والأمم القديمة ومن المذاهب والفِرَق الدينية المختلفة في الإسلام وغيرِ الإسلام ومن الآراء العلمية والفلسفية) — التِبْيان في تفسير القرآن — رسالة في التصريف — أحكام صنعاء وزَبيد — وصيّة (نشوان بن سعيد) لولدِه جعفرٍ — أرجوزة في الشهور الرومية.

٣ — مختارات من آثاره

— من القصيدة الحميرية:

الأمرُ جِدٌّ وهْـوَ غيرُ مُـزاحِ ؛ فاعملْ لنفسِكَ صالحاً، يا صاحِ[2].
كيفَ البقاءُ مَعَ اختـلافِ طبائعٍ وكرورِ ليـلٍ دائمٍ وصَباحِ؟
دهرُ أنصحُ ناصـحٍ يَعِظُ الفتى، ويَزيدُ فـوقَ نصيحةِ النُصّـاحِ.
يجري بِنا الدنيا على خَطَـرٍ، كما تجري عليه سفينةُ المَـلّاحِ[3].

(١) رسالة الحور العين وتنبيه السامعين: الحور (بضم الحاء) جمع حوراء (المرأة البيضاء الجميلة) والعين (بكسر العين) جمع عيناء (الظبية الواسعة العينين: المرأة الجميلة). ومعنى الحور في هذا الموضع «الكتب» (تفسير رسالة الحور، ص ٥). ويبدو أن المؤلف قد أراد بهذه الرسالة أن يجمع أكبر قدر ممكن من معارفه في أوراق يسيرة اعتقاداً منه أن هذا الاسلوب مفيد للناشئين حتى يحيطوا بأنواع العلوم.
(٢) الأمر = الأمر المهم (الموت). صاح = ترخيم صاحب.
(٣) كما تجري السفينة بين أخطار البحر، كذلك نحن نعيش في الدنيا بين أخطارها.

شَغَلَ البريّةَ عن عبادة ربِّهِمْ   فِتَنٌ -على دُنْياهُم- وتَلاحٍ[1]،
ومحبّةُ الدنيا التي سَلَكَتْ بِهِمْ   أبداً مَعَ الأرواحِ والأشباحِ[2].
كلُّ البَرِيَّةِ شاربٌ كأسَ الرَّدى   من حَتْفِ أنفٍ أو دمٍ سَفّاحِ[3].
لا تَبْتَئِسْ للحادثاتِ ولا تَكُنْ،   بِمَسَرَّةٍ في الدهرِ، بالمِفْراحِ!

بعدئذ يتساءلُ نَشْوانُ بن سعيد عن ملوكِ حِمْيَرَ وكيفَ ذَهبوا (ماتوا) بعدَ أن قاموا بأعمالٍ عظيمةٍ وأقاموا لأنفسِهِمْ أمجاداً في الشرق والغرب ثم يُحَشّي الأبياتَ بأخبارٍ منها المَوْثوقُ ومنها المرجوحُ. فمن قولهِ مثلاً:

أمْ أينَ شَمَّرَيُرْعِشُ المَلِكُ الذي   مَلَكَ الورى بالعُنفِ والإسْجاحِ[4]
قد كان يَرْعَشُ من رآه هَيْبَةً   ورنا إليه بطرفِهِ اللَّمّاحِ[5]
وبه سَمَرْقَنْدُ المشارقِ سُمِّيَتْ؛   للهِ مِن غازٍ ومن فَتّاحِ[6]!
وأتى بمالكِ فارسٍ كيقاوُسٍ   في القَيْدِ يَعْثُرُ مُثْخَناً بجِراحِ[7].
فأقامَ في بِئْرٍ بمأرِبَ بُرْهَةً   في السجن يَجْأرُ مُعْلِناً بصِياحِ[8]؛
فاسْتَوْهَبَتْ سُعْدى أباها ذَنْبَهُ   فعفا وسيّرهُ بِحُسْنِ سَراحِ[9].
والأقرنُ المَلِكُ المُتَوَّجُ تُبَّعٌ   عَرَكَ البلادَ بكَلْكَلٍ فَدّاحِ[10]،

---

(١) التلاحي: التساب والتشاتم ولوم بعض الناس بعضاً.

(٢) محبة الدنيا موجودة دائماً في البشر (ما دامت الا رواح في الاشباح = ما دام الناس أحياء!).

(٣) الردى: الموت. من حتف أنف: الموت الطبيعي في الفراش. أو من دم سفاح (مسفوح، مسفوك): قتلا.

(٤) ... بالعنف مرة وبالإسجاح (اللين والتساهل) مرة.

(٥) رعش الانسان يرعش (بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع): اهتز، اضطرب من الخوف أو البرد. هيبة = من الهيبة (الخوف). وكذلك يخافه من رنا (تطلع) اليه بطرفه (ببصره) اللماح (الذي يختلس النظر اختلاساً من غير تثبت).

(٦) سمرقند = مدينة كبيرة في التركستان (سمِّيت به = سميت باسمه: سمر ... شمر ...)
لله من غاز ومن فتاح: ما أعظمه غازياً للبلاد وفاتحاً!

(٧) أتى بمالك فارس (بملك فارس) كيقاوس في القيد (أسيراً). يعثر (بفتح الثاء أو كسرها أو ضمها): يتعثر، يجر (قيوده). مثخناً بجراح: كثير الجراح في بدنه.

(٨) حبس شمر يرعش أسيره كيقاوس (قابوس) في بئر، فكان قابوس يستجير بصوت مرتفع.

(٩) ... وما زالت سعدى بنت شمر يرعش تستعطف أباها على قابوس حتى عطف أبوها عليه وأطلق سراحه وأعطاه مالا وولاه على بلاد فارس على أن يدفع قابوس الخراج لشمر يرعش.

(١٠) عرك البلاد بكلكل (صدر) فداح (ثقيل) = أخضع البلاد اخضاعاً تاماً.

وغزا بلادَ الروم يبْغي واديَ الـ ياقوتِ صاحبَ عـزّةٍ وطـماح[1].
فقضى هنُالكَ نَحْبَهُ وأتى إلى أجَلٍ مُعَدٍ للحِمـامِ مُتاح[2].

ويختم نشوان بن سعيد القصيدة بتسعة أبيات في الاعتبار بالموت وبأنه يـأتي على جميع الناس ولا يستثني الملوك ولا الأقوياء ولا أصحاب الأمجاد :

أذواءُ حِمْيَرَ قد ثوَتْ ومُلوكُهـا في التُرْبِ مُلْكَ ضَرائحٍ وصِفاح[3]:
أضحَوْا تُراباً يُوطَئون كمثلِ ما وُطِئَتْ هوامدُ تُرْبَةٍ وبِطاح[4]؛
ذلّتْ لهم دُنياهُمُ ثمّ انْثَنَتْ تَرْميهِـمُ بالحـافِرِ الرَمّـاح[5].
مَطَرَتْ عليهم، بعدَ سُحْبِ سعودِ هِم، سُحْبُ النحوسِ بوابـلٍ سَحّاح.
ما هابَهم رَيْبُ المنونِ، ولا احتَمَوْا عنـهُ بأسيـافٍ ولا أرمـاح،
كـلاّ ولا بعساكـرٍ ودَساكـرٍ وجَحافـلٍ ومعاقـلٍ وسِلاح[6].
سكنوا الثّرى بعدَ القصورِ ولَهْوِهم بمطـاعمٍ ومشـاربٍ ونِكـاح[7].
أضحَتْ مُدَعْثَرَةً قُصورُهُمُ التي بُنِيَتْ بأعْمِـدَةٍ من الصُفّاح[8].
والدَهْرُ يَمْزِجُ بُؤْسَـه بنَعيمهِ ويُري بَنيـه الغَمَّ في الأفـراح!

– من مقدّمة كتاب «الحور العين»[9] :

.... السلام عليكِ أيّتها العَقوةُ التي لا تُلِمُّ بها الشقوةُ ، والربوةُ المُوقَّرةُ

(١) ... صاحب عزة وطماح : وهو معتز بنفسه لقوته وطامح الى أن يستولي على أوسع ما يمكن من الارض .
(٢) قضى نحبه : مات . الحمام : الموت . المتاح : المقدر .
(٣) أذواء (أصحاب) : ملوك، لأن اسماء ملوك اليمن هي هكذا : ذو يزن ، ذو رعين الخ . ثوت (مكثت) في التراب: ماتوا . ملك: رهن ، في قبضة (الموت) (لا يبرحون) . الضريح : القبر . الصفاح : قطع عريضة من الصخور (كناية عن أن الميت المقبور لا يستطيع أن يبرح قبره للصفاح الموجودة عليه) .
(٤) ... اذا مات الانسان أصبح الناس يطأون عليه (يسيرون بأقدامهم على بقايا جسمه) كما يطأون الأشياء الأخرى في الارض .
(٥) الحافر في الفرس يقابل القدم في الانسان . الرماح : الذي يرمح (يضرب بحافره) .
(٦) الدساكر : المزارع (كناية عن اتساع الملك) . الجحافل : الجيوش . المعاقل : الحصون .
(٧) سكنوا الثرى (التراب) : ماتوا بعد (سكناهم) في القصور و (بعد) لهوهم : بعد الانغماس في الطعام والشراب واللهو مع النساء .
(٨) مدعثرة : متهدمة . الصفاح : الصخر .
(٩) نشوان بن سعيد يغرق ، في هذه النصوص التالية ، في المجازات – وفي الاستعارات خاصة – وفي الاشارات التاريخية والفلسفية والدينية الى حد لا يكفي فيه تفسير الألفاظ ، فتركت شرح هذه القطعة .

عن الصَبْوة ، ذاتَ القرارِ المَعين* والمُستَقرُّ للحورِ العِـــين ، بعيدةً عن رَجْمِ الظنون كأمثالِ اللؤلؤ المَكْنون ، بيضَ الغُررِ والترائب مقرونةَ الحواجبِ مَوْشومةَ الرَواجب، تفترّ عن دُرَرِ الثُغورِ و (عن) دراريِّ طالعة لا تَغور ..... وحديقةُ** الأدب التي لا تَهيجُ وتربتُه التي أنْبَتَتْ من كلِّ زَوْجٍ بهيج ، وسيمةُ الأزهارِ جاريةُ الأنهارِ غصونُها دانيةٌ وعيونُها غيرُ آنيَة ؛ لا خَبَتَ أنوارُك ولا ذَبُلَ نُوّارك. لأنَتْ جنّةُ عَدْنِ الحقيقةُ بالسَدَنِ نُحيّيك من بُعْدٍ بالجَنان ونُشير إليك بأطرافِ البَنان ....

ــ من متن كتاب « الحور العين » (مجرّداً من الشرح) :

..... وما فعلُ أصحابِ التناسخِ في تَنَقُّلِ الأرواح في الأجسادِ وصلاحِها بعدَ الفساد ، ومَثوبةُ المُحسنين بالأبدانِ الإنسيّة والهياكل الحسيّة وعقوبةُ المُقْدِمين على الجرائم بأبدانِ أعْجَمِ البهائم ، ودوامُ الدُنيا على الأبدِ ــ وما للمُثْرِينَ من سَبَد ولا لُبَد ــ . وقيلَ هي مقالةُ بُزُرْجُمَهْرَ بنِ بَخْتَكانَ ، وكم انقاد للغيّ حكيمٌ واستكانَ ....

وما فعلُ الحَرّانيّين عَبَدَةِ النُجوم وأصحابِ الظنّ والهجوم ، في تدبيرِ البُروج والأملاكِ على قَدْرِ نزولِها في الأفلاك ، وقَضائِها في الخَيْراتِ والشُرور على التوالي والمُرور . وليس في التنجيم غيرُ تَرْجيم ، ولا عندَ الكَواكب نفعٌ لواكنٍ ولا واكبٍ[1] .....

وأما فِرَقُ هذه المِلّة [2] فَلِلتَقاطُعِ مُسْتَحِلّةٌ ، يُكَفِّرُ بعضُهم بعضاً ويرى عداوتَه فرضاً . وقد أَمسكَتْ كلُّ طائفةٍ برئيس وعَدّت حَسَناً منه كلَّ بئيس . ولكلٍّ محاسنُ ومساوٍ وقولٌ ليس بمتساوٍ ... ومن أَوْضَعَ في المذاهب وقع في الغياهب ، أو أغْرَقَ في البحثِ عن الفِرَقِ لم يرَ ناجياً من الغرق ، أو نظر في المِلَلِ عَثَرَ على الزَلَلِ وأشْرَفَ على اختلافٍ مُؤدٍّ الى إتلاف .... وإن صحّ ما رُوِيَ عن

(*) أيتها الربوة ذات القرار (الربوة منادى مبني على الضم ؛ ذات نعت « ربوة » منصوب لأنه مضاف إلى « القرار ») .

(**) يجوز في « حديقة » أن تكون منصوبة لأنها معطوفة على المقوة ثم هي مضافة . ولكني قطعتها إلى الرفع لبعد المسافة بينها وبين « المقوة » (خمسة عشر سطراً في الأصل) .

(١) الواكب الماشي في موكب (البشر) . الواكن : المختبئ في وكن (بفتح الواو) أو وكنة (بضم الواو) : الطائر .

(٢) هذه الملة : الاسلام .

المُقاتلية فقد عبَدَتْ صَنَماً كأصنام الجاهلية : زَعَمَتْ أنّ مَعْبودَها كالآدَمِيّ من لَحْمٍ ودَمٍ يَبْطُشُ بِيَدٍ ويمشي على قَدَمٍ ...... أو صحَّ قولُ الغُرابية في أبي تُرابٍ[1] أنّه أشْبَهُ بالنبيّ من الغُرابِ بالغراب وأنّ جبريلَ غلِطَ في تبليغ الرِسالة ، لقد نسبوا الغَلَطَ ـ جلّ عن ذلك ـ الى الواحدِ العَليّ .....

٤ ـ ملوك حمير وأقيال اليمن : قصيدة نشوان بن سعيد الحميري ... وشرحها المسمّى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (حقّقها وعلّق عليها السيّد علي بن اسماعيل المؤيّد واسماعيل بن أحمد الجرافي) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٧٨ هـ .

القصيدة الحميرية (تحرير فون كريمر) ، ليبسك ١٨٦٥ م ؛ (تحرير بريدو) ، لاهور ١٨٧٩م ؛ طبعة جديدة (رينه باسّه) ، الجزائر ١٩١٤ م .

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (عني بتحقيقه ستّرستين) ، ليدن (بريل)١٩١٦م ، ١٩٥١ م .

منتخبات من أخبار اليمن (من كتاب « شمس العلوم ») (اعتنى بنسخها عظيم الدين أحمد) ، ليدن (بريل) ١٩١٦ م (في سلسلة تذكار جب) .

الحور العين وتنبيه السامعين (حقّقه كمال مصطفى) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٤٨ م .

** معجم الأدباء ١٩ : ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ خريدة القصر (الشام) ٣ : ٢٦٨ وما بعد ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ؛ بغية الوعاة ٤٠٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٤ ، الملحق ١ : ٥٢٧ ـ ٥٢٨ ، زيدان ٣ : ٦٢ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٣٣٥ .

رشيد الدين الوطواط

١ ـ هو رشيدُ الدين محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الجليل بنِ عبدِ الملك بن محمّدِ ابن عبدِ الله العُمَريّ ، نِسبةً الى عُمَرَ بنِ الخطّاب ، المُشهورُ باسمِ رشيدِ الدين الوَطواط ، وُلِدَ في بَلْخٍ . وكانت وفاتُه في خوارزْمَ ، سَنَةَ ٥٧٣ هـ (١١٧٧ ـ ١١٧٨ م) .

٢ ـ كان رشيدُ الدين الوطواطُ أديباً كاتباً شاعراً عالماً باللغة والنحو والأدب يكتُبُ باللغة العربية واللغة الفارسية . وله شعرٌ ورسائلُ . ونثرُه أفضلُ من شعْرِه . ثمّ انّ رشيداً الوطواطَ مَصَنِّفٌ له باللغة للعربية : ديوان شعرٍ ـ ديوان رسائلَ ـ تُحفة الصديق من كلام أبي بكرٍ الصِدّيق ـ فصل الخطاب من كلام عمرَ بنِ الخطّاب ـ أنس اللَهفان من كلام عثمانَ بنِ عفّان ـ مطلوبُ كلِّ طالبٍ من كلام عليٍّ بنِ أبي طالبٍ .

---

(١) أبو تراب علي بن أبي طالب .

٣ — مختارات من آثاره

— كتبَ رشيدُ الدين الوطواطُ تقليدَ حِسْبَةٍ صدر عن ديوانِ خوارزمَ (مرسوماً صادراً عن ديوان دولة خوارزم لتعيينِ مُحْتَسِبٍ — موظّفٍ يتولّى النظر في الأسواق لمنع الغِشِّ وللمحافظة على الأخلاق والآداب العامّة) :

« انّ أولى الأمور بأن تُصْرَفَ أعِنَّةُ العِناية الى ترتيبِ نظامِه ، وتُقْصَرَ الهِمَمُ على مَهَمَّةِ إتمامِه ، أمرٌ يتعلّقُ به صلاحُ الدين ويتوقّفُ عليه صلاحِ المسلمينَ ، وهو أمر الاحتسابِ .....

(وقد عيّنّا فلاناً في هذا المَنْصِبِ) « وأمرناه أولاً : أنْ يجعَلَ التقوى شِعارَه والزُهدَ دِثاره[١] ، والعلم مَعْلَمَهُ والدينَ مَناره[٢] ؛ ثمّ يأمرَ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ ويُقيمَ حدودَ الشَرْعِ على وَفْقِ النُصوص والأخبار ومُقتضى السُنَنِ والآثار[٣] ..... وأمرناه أن يُبالِغَ في تعديلِ المكاييلِ والموازين على وَفْقِ أحكام الشرع والدين . فان وَجَدَ تفاوُتاً في شيءٍ منها سوّاه وعدّلَه وغيّره وبدّله وأدّبَ صاحبَه على رؤوس الأشهادِ لِيَنْزَجِرَ[٤] عن مثْلِه أهلُ الخيانة والفساد ..... وسبيلُ الأئمّةِ العلماء وكافةِ الرعايا — حاطَهَمُ اللهُ — أن يتوفّروا على تعظيم قدره وتَفْخيم أمرِه .... ولا يَعْتَرضوا عليه في شُغْلِ الاحتسابِ ، فإنّ ذلك أمانةٌ هو حامِلُها ووَديعةٌ هو ضامِنها ، والسلام » .

— وقال في أحوال الدنيا :

تروحُ لنا الدنيا بغيرِ الذي غَدَتْ ... وتحدُثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ .
وتجري الليالي باجتماعٍ وفُرْقَةٍ ... وتطلُعُ فيها أنجُمٌ وتغورُ .
فمن ظنّ أن الدهرَ باقٍ سرورُهُ ... فقد ظنّ عَجْزاً : لا يدومُ سرورُ !

٤ — مجموع رسائل ، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٥ هـ .
مطلوب كلّ طالب من كلام عليّ بن أبي طالب (عني بنشره فلايشر) ، ليبسك ١٨٣٧ م .
حدائق السحر في دقائق الشعر (نقله الى العربية عن أصله الفارسي ... ابراهيم الشواربي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ م .

---

(١) الشعار : ثوب يلبس مما يلي البدن . الدثار : رداء ضاف يلبس فوق الثياب . — أن يتقي الله في كل أمر .
(٢) المعلم : العلامة على الطريق يستدل بها المسافر على وجهة سفره . المنار : الضوء الذي يستنير به الانسان في سيره .
(٣) النصوص : نصوص الشرع (من القرآن والحديث والفقه) . الأخبار والسنن والآثار : الأحوال المروية في السلوك في الحياة وفي الأمور عن الرسول والصحابة .
(٤) على رؤوس الاشهاد : علناً . انزجر عن الأمر : ابتعد عنه ، اجتنبه .

رسالة في ما جرى بينه وبين الزمخشري؛ (في «رسائل البلغاء»، بعناية محمد كردعلي)، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م؛ (عني بنشرها احمد تيمور ..)

** معجم الادباء ١٩ : ٢٩ – ٣٦؛ بغية الوعاة ٩٧؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥١ – ٢٥٢.

حيص بيص

١ – هو الأميرُ شهابُ الدين أبوالفوارسِ سعدُ بنُ محمدِ بنِ سعد الصَيْفي التَميمي، قيل إنه من نسلِ أكثمَ بنِ صيفي التميمي حكيمِ العرب. وقد لُقّبَ حيص بيص[1] لأنه رأى الناسَ يوماً في حركةٍ مُزْعِجة وأمرٍ شديد فقال: ما للناس في حيصَ بيصَ، فبَقيَ عليه هذا اللقبُ.

تفقّه حيص بيص في الريّ على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزّان وسمع الحديث، ثم استقرّ في العراق. وكان له في مدينة الحِلّة حَوالة فذهب اليها لاستخلاص مبلغ الحوالة وكانت على ضامن الحِلْقة فوقَع سِباب بينَ غلامه وبين الضامن فغضب حيصَ بيصَ وتهدّدَ واليَ الحِلة ضياءَ الدين مُهَلْهِلَ بنَ أبي العسكر الجاواني (مع أنهما كانا صديقين). ولذلك وأمثاله يقال إنه كان به غَرابةُ أطوارٍ، فقد كان فيه تَعاظمٌ وتيْه، وكان لا يُخاطِبُ أحداً الا بالكلامِ الفَصيح، كما كان يَتَزيّا بِزِيّ البَدْوِ ويتقلّد سيفاً.

توفّي حيص بيص في بغداد، سادس شعبان ٥٧٤ (١١٧٩ م).

٢ – كانَ حيصَ بيصَ فقيهاً يَتكلّمُ في مسائلِ الخِلاف (اختلاف الآراء بين الفقهاء)، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدب فكان عارفاً بأخبارِ العربِ واختلاف لُغاتِهم. ثم كان شاعراً مُجيداً جَزْلَ الألفاظ متينَ التركيب عاليَ النفس يتكلّفُ الصنعةَ أحياناً، ولكنّه كانَ حسنَ الابتداءاتِ والتخلّصِ. وأكثرُ شعرِه المدحُ والفخر، وله رثاءٌ ولم يُرْوَ له هجاء. ثم له شيءٌ من الوصف والغزل والحكمة. وله ايضاً نثرٌ ورسائلُ فصيحةٌ بليغة.

٣ – مختارات من آثاره

– قال حيص بيص يُشيرُ الى قتل الأمويّين لآلِ أبي طالب:

---

(١) وفيات ١ : ٣٦١. والحيص بيص (بفتح الباءين أو كسرهما ثم بالبناء أو بالاعراب): الشدة والضيق واضطراب الأمور حتى لا يستطيع الانسان أن يتصرف (القاموس ٢ : ٢٩٦ – ٢٩٧).



مَلَكْنا فكان العَدْلُ مِنّا سَجِيَّةً، فلمّا مَلَكْتُمْ سال بالدم أبْطَحُ[1]؛
وحَلَّلْتم قتلَ الأسارى، وطالما غَدَوْنا عن الأسرى نَعِفُّ ونَصْفَح.
فحَسْبُكُمُ هذا التفاوُتُ بَيْننا؛ وكلّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ!

ـ وقال يمدح الخليفة المقتفي:

ماذا أقول إذا الرواةُ ترنّموا بفَصيح شعري في الإمامِ العادل،
وترنّحتْ أعْطافُهُم فكأنّما في كلّ قافية سُلافة بابل[2]؛
ثم انْثَنَوْا غِبّ القريضِ وصُنْعه يتساءلون عن النّدى والنائل[3]؟
هبْ، يا أميرَ المؤمنين، بأنّني قَسّ الفصاحةِ؛ ما جواب السائل[4]؟

ـ وقال يَصِف أبياتاً كُتِبَتْ اليه ثم يَسْتَطْرِدُ إلى ذِكْر ايام الصبا:

صادراتٌ ألفاظُهنّ عِذابٌ عن خِلال مُهَذّباتٍ عِذابِ[5]؛
كلّ رَوْعاء لو تَقَلّدَها الفا رِسُ أغْنَتْ عن صارمٍ قِرْضاب[6]؛
أذْكَرَتْني أيامَ عَهْدِ التصابي ومَراحي؛ وأين عَهْدُ التصابي،
حينَ لا آمرٌ يُطاعُ سِوى اللهْ وِ؛ ولا حاكمٌ سوى الأحباب!

ـ قال حيص بيص في خُطْبَةِ (مقدّمة) ديوانه في تفضيل الشعر على النثر:
.... وحَسْبُ الشعرِ فخراً أنّ الإنسانَ يَسْمَعُ المَعْنى فلا يَهُزّ له عِطْفاً ولا

---

(١) سجية: طبيعة. الابطح: الارض المستوية. سال بالدم أبطح (مسيل واسع): أكثرتم القتل ظلماً حتى سال الدم في الابطح.

(٢) ترنحت (تمايلت) أعطافهم (جمع عطف بكسر العين: جانب الجسم): اهتزت أجسامهم (من الطرب والسرور بشعري). قافية: قصيدة (أو بيت من الشعر). سلافة: خمر. بابل: أرض الكوفة (كانت مشهورة بالكروم التي تنتج ـ بالبناء للمجهول ـ منها الخمر، كما كانت مشهورة بالسحر).

(٣) انثنوا: عادوا، رجعوا (جعلوا). غب القريض: بعد أن سمعوا شعري (في مدحك). يتساءلون عن الندى (الكرم) والنائل (العطاء): يتحدثون عن كرمك وعن عظم العطية التي ستعطيني إياها على مدحي لك؛ ثم يقولون لي: كم أعطاك الخليفة على هذه المدحة؟

(٤) ـ لو كنت أنا، يا أمير المؤمنين، قس بن ساعدة في الفصاحة لما استطعت أن أجيب السائل بجواب معقول اذا قال لي: كم أعطاك الخليفة على هذه المدحة؟ (وكان عطاؤك لي قليلا).

(٥) ـ (هذه الابيات التي) صدرت منك عذبة (جميلة) لأن خلالك (أخلاقك) مهذبة (جميلة).

(٦) ـ كل (قصيدة، قافية، لفظة) روعاء (جميلة وتوحي الهيبة والرهبة في الوقت نفسه) لو تقلدها الفارس (تسلح بها وذهب الى الحرب) أغنته عن أن يحمل سيفاً قرضاباً (بكسر القاف: السيف القاطع).

يَهيجُ له طَرَباً ؛ فإذا حوَّلَ نَظْماً فَرّح الحزينَ وحرّكَ الرّزين وكرّم البخيل ووَقّر الإجْفيل[1] وقرّب الأمل البعيدَ وسنّ الغناء لغير الغرّيد ... وكَم استَلَّ سَخيمةً من ذي غِمْرٍ عَجزَ عن مداراته الحجا وضَعُفتْ عن استرجاع وُدّه الرُّقى . فما كان مُتَصَرِّفاً هذا التَصرّفَ في النفوسِ والأخلاق[2] فأكْبِرْ بشانه وأعْظِمْ بمُكْنَتِنهِ ! .... وقد علِمَ عصْري وبنوه وزماني وأهلوه أنّي ابتَدَرْتُ شعفاتِ الفَضْل غُلاماً يَفعَةً هاجراً اليه كلّ خَفْضٍ ودَعَةٍ[3] ...

٤ - ** معجم الادباء ١١ : ١٩٩ - ٢٠٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ طبقات الأطباء ١ : ٢٨٣ - ٢٨٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٥٤ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ١٣٨ .

كمال الدين ابن الانباري

١ - هو كمالُ الدينِ أبو البركاتِ عبدُ الرحمن بن محمّد بن عُبيدِ الله الأنباريُّ ، وُلِدَ في الأنبار على الفرات في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٥١٣ (تمّوز - يوليو ١١١٩ م) .

دَرَسَ كمالُ الدين بن الانباريّ على والده في الأنبارِ ثمّ انتقل إلى بَغْدادَ ودرس في المدرسة النظامية . وقد أخذَ اللغةَ عن الجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) وتَفَقّهَ على سعيدِ ابنِ الرزّاز (ت ٥٣٩ هـ) وصَحِبَ ابنَ الشَجَريّ (ت ٥٤٢ هـ) وأخذَ عنه النَحْوَ . ثمّ انّه أصبحَ مُعيداً في النظامية وتصدّرَ لإقراء الفِقْه والنحو فيها .

واعتزلَ كمالُ الدين بن الانباريّ في آخرِ عُمُرِه في بيته مُنْقطعاً إلى العِلْم والعبادة زاهداً في أحوالِ الدنيا حتّى تُوُفّيَ في تاسعِ شَعْبانَ مِن سَنَةِ ٥٧٧ (١٩-١٢-١١٨١ م) .

٢ - كان كمالُ الدينِ بن الأنباريّ إماماً في اللّغة والنحو غزيرَ العلم . وقد صنّف

---

(١) المراح : الاشر (نشاط الشباب) والاختيال (الاعتزاز بالنفس وقلة المبالاة بالأمور ، التكبر) . لا يهز له عطفاً : لا يسره . حرك الرزين (الوقور) : حمله على الخفة والمرح . وقر (ثبت) الإجفيل (الجبان) ، أي في المعركة .

(٢) استل سخيمة من ذي غمر : يستخرج الضغينة والحقد من صدر شاب ذي غمر (بفتح الغين وكسرها) الحقد الكامن . الحجا : العقل . الرقي جمع رقية (بضم القاف) : العزيمة (أقوال من السحر) . الاسترجاع (مستعملة خطأ) ، يقصد استرداد . التصرف : التأثير المتعدد الجوانب والاشكال .

(٣) بمكنته ، بمكتته (؟) . ابتدر فلان الأمر : عجل الى لقائه ومعالجته . الشعفة : أعلى الجبل . يفعة : صغير السن . الخفض والدعة : العيش الهنيء الهادىء .

كُتُباً كثيرةً جداً في موضوعات مختلفة . من هذه الكتب : أسرار العربية — مشكل القرآن (في كيف يغيّر الإعراب معنى الآيات) — نُزهة الالبّاء في طبقات الادباء (أي النُحاة) — الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين — الإغراب في جَدَل الإعراب — ميزان العربية — حِلْية العربية — مسألة دخول الشرط على الشرط — تصرّفات « لو » — الأضداد — النوادر — اللُباب — المختصر — عقود الإعراب — منثور الفوائد — كتاب « كِلا » و « كِلْتا » — كتاب كيف — كتاب الألف واللام — شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل — الوجيز في التصريف — البيان في جمع « أفعل » — المرتجل في إبطال تعريف الجُمَل — الزهرة في اللغة — حِلْية العقود في الفرق بين المقصور والممدود — ديوان اللغة — زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء — البُلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث — فعلت وأفعلت — قَبْسَة الأديب في أسماء الذيب — الفائق في أسماء المائق — الألفاظ الجارية على لسان الجارية .

وله أيضاً كتب تَغْلِبُ عليها الخصائص الأدبية منها : قبسة الطالب في شرح خُطْبة أدَبِ الكاتب (للهمذاني) — شرح السّبْعِ الطِوال (المعلّقات) — شرح المفضّليات — شرح ديوان الحَماسة — شرح مقصورة ابن دُرَيد — شرح ديوان المتنبّي — اللُمعة في صَنْعة الشِعْر — تفسير غريب المقامات الحريرية — الموجز في القوافي .

ثمّ له أيضاً عددٌ من الكتب في التفسير والفقه والتصوّف والتاريخ

وكذلك كانَ ابن الأنباري شاعراً مُكْثِراً ، ولكنّ شعرَه عاديّ .

٣ — مختارات من آثاره

— قال كمال الدين بن الانباري في مقدّمة كتاب « أسرارالعربية (النحو) » :

الحمدُ لله كاشفِ الغطاءِ ومانحِ العَطاء، ذي الجود والإيداء والإعادة والإبداء .... وبَعْدُ ، فقدَ ذكرتُ في هذا الكتابِ الموسوم بأسرار العربية كثيراً من مذاهبِ النحويّينَ المتقدّمين والمتأخرين ، من البَصْريّين والكوفيّين ، وصَحّحتُ ما ذهبتُ إليه (قصدته) منها بما يَحْصُلُ به شِفاءُ الغليلِ ، وأوضحت فسادَ ما عَداهُ بواضحِ التعليل ، ورَجَعْتُ في ذلك كلّه الى الدليل ، وأعْفَيْتُه من الإسهاب والتطويل . واللهُ تعالى يَنْفَعُ به ، وَهُوَ حَسْبي ونِعْمَ الوكيلُ .

— منْ مَطْلَعِ الفصلِ الاول من « أسرار العربية » :

إن قالَ قائلٌ[١] : ما الكَلِمُ ؟ قيل : الكَلِمُ اسمُ جِنْسٍ واحِدُه كَلِمَةُ ، كقولك : نَبِقَة ونَبِقَ ، ولَبِنة ولَبِن ، وثَفِنَة وثَفِن وما أشبهَ ذلكَ . فان قيل : ما الكلامُ ؟ قيل : ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنًى يَحْسُنُ السكوتُ عليه . فإن قيل : فما الفَرْقُ بين الكَلِمِ والكَلام ؟ قيل : الفرقُ بينَهما أن الكَلِمَ يَنْطَلِقُ على المُفيدِ وغيرِ المفيد[٢] ؛ وأما الكلام فلا يَنْطَلق إلاّ على المفيد خاصّةً ....

ــ ومن شعره (وفيه شيءٌ من التصوّف) :

إذا ذَكَرْتُكَ كادَ الشوقُ يقتُلُني   وأرّقتْنِيَ أحزانٌ وأوجاعُ ؛
وصارَ كُلّي قلوباً فيك دامِيةٌ   للسُقْمِ فيها ، وللآلام إسراعُ .
فان نَطَقْتُ فكُلّي فيك ألْسِنَةٌ   وان سَمِعْتُ فكلّي فيك أسماعُ .

٤ ــ أسرار العربية (تحرير سيبولد) ، ليدن (بريل) ١٨٨٦م ؛ (عني بتحقيقه محمّد بهجة البيطار) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧م) ؛ مصر ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) ؛

الانصاف في مسائل الخلاف (باعتناء جارونيه كوسوت) ، فينا ١٨٧٨ م ؛ (فايل) ، ليدن ١٩١٣ م ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م .

ألفاظ الاشباه والنظائر ، الاستانة ١٣٠٢ هـ .

الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الادلّة (قدّم لهما ... سعيد الافغاني) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٩٤ هـ ؛ (قام بتحقيقه ابراهيم السامرائي) بغداد ، الطبعة الثانية (مكتبة المعارف) ١٩٥٩ م ؛ بغداد ، الطبعة الثالثة (مكتبة الأندلسيّ) ١٩٧٠ م ؛ (تحقيق أبي الفضل ابراهيم) الطبعة الثانية ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٧ م .

البيان في غريب إعراب القرآن (تحقيق طه عبد الحميد) ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

---

(١) في كتاب أسرار العربية أربعة وستون فصلا في العربية (الصرف والنحو) كلها تبدأ كما بدأ الفصل الأول ، في الباب السادس عشر مثلا : باب عسى . ان قال قائل : ما عسى من الكلام ؟ قيل : فعل ماض من أفعال المقاربة لا يتصرف . وقد حكي عن ابن السراج أنه حرف ، وهو قول شاذ لا يعرج عليه . والصحيح أنه فعل ؛ والدليل على ذلك أنه يتصل به تاء الضمير وألفه وواوه ، نحو : عسيت وعسيا وعسوا ...

(٢) الكلام المفيد : التام المعنى .

** وفيات الاعيان ١ : ٤٩٩ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٦٩ وما بعد ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٣٥ ؛ بغية الوعاة ٣٠١ - ٣٠٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤٩ - ٢٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٤ ، الملحق ١ : ٤٩٤ - ٣٩٥ ؛ زيدان ٣ : ٤٣ - ٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٤٨٥ - ٤٨٦ ؛ ابن الاثير ١١ : ٤٧٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٠٤ .

الأبلـــه البغدادي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ بَخْتيارِ بن عبدِ اللهِ المولّدُ (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٤ ؛ تاريخ الكامل ١١ : ٢٠٤) البَغْداديّ المعروفُ بالأبله - إمّا لشيءٍ من البَلَهِ كان به (وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٣) أو لأنه كان غايةً في الذكاء - من باب تَسْمِيَةِ الشيء بضدّه (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٥ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٣) .

نشأ الأبلهُ البَغْداديّ شاباً ظريفاً يتَزَيّا بزيّ الأجنادِ ؛ وقيل كان يُعامِلُ بالربا . وقد مَدَح أبا المظفّر بن هبيرة[1] . وكانت بينه وبينَ سِبْطِ بنِ التعاويذيّ نُفْرَةٌ ، وقد هجاه ابنُ التعاويذيّ .

ماتَ الأبلهُ في بَغْدادَ ، في جُمادى الآخرة من سَنَة ٥٧٩ (١١٨٣ م) .

٢ - الأبلهُ البَغْداديّ شاعرٌ مجيدٌ رقيقٌ جَمَعَ بين الصناعة والرقّة وكان شِعْره موافقاً للغناء . وله قصائدُ طوالٌ ومقطّعاتٌ . وفنونُه المدح والغزل والنسيب ، وقد كان بارعاً جدّاً في التخلّص من الغزل الى المدح ، كقوله مثلاً :

فأُقسِمُ ، إنّي في الصَبابـةِ واحدٌ   وإنّ كَمالَ الدِّينِ في الجودُ واحدُ !

٣ - مختارات من شعره

- قال الأبلهُ البَغْداديّ يتغزّل في مَطْلَعِ قصيدةٍ له في المديح :

دَعْـني أُكابِـدُ لَوْعَتي وأُعاني ؛   أينَ الطليقُ مـن الأسير العاني ؟[2]

(١) عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة أصله من قرية بني أوقر (تعرف الآن باسم «دور» - بضم الدال) ، ولد سنة ٤٩٧ هـ ثم تفقه وتأدب ونال المناصب ببراعته ودهائه حتى وزر للخليفة المقتفي سنة ٥٤٤ هـ . ولما توفي المقتفي (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م) استمر في الوزارة للخليفة المستنجد . وقد كثرت مدائح الشعراء فيه . وكانت وفاته سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) (راجع تاريخ الكامل ١١ : ١٣٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩ - ٢٣٩ ؛ الفخري لابن الطقطقى ، مصر ١٣٤٠ هـ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٣٠ ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٦ م ، ص ٣١٢ - ٣١٦ .

(٢) كابد ، عانى : قاسى (تحمل الشدة والصعوبة) . اللوعة : الحرقة في القلب من مرض أو حزن أو هم .

آليتُ ، لا أدعُ الملامَ يغرّني ... من بعدِ ما أخذَ الغرامُ عناني[1].
ومُهفهفٍ ساجي اللحاظِ : حفظتُه ... فأضاعني ، وأطعتُه فعصاني[2].
يُصمي قلوبَ العاشقين بمُقلةٍ ... طرَفُ السنان وطرْفُها سيّان[3].
خنِثُ الدلالِ : بشَعْرِه وبثغْرِه ... – يومَ الوداعِ – أضلّني وهداني[4].
يا أهل نَعْمانٍ ، الى وجَناتكم ... تُعزى الشقائقُ لا إلى نُعمان[5].

– ومن أبياته السائرة ، قوله من قصيدة أنيقة :

لا يعرفُ الشوقَ إلاّ مَن يُكابدُه ... ولا الصبابةَ إلاّ من يُعانيها!

٤ – ** المحمدون من الشعراء ١٦٦ – ١٦٧ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٢ – ٣٩٣ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٤ – ٢٤٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ؛ ابن الاثير ١١ : ٥٠٣ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣٧٤ .

تقيــة الصورية

١ – هي ستّ النعَم أُم عليّ تقيّةُ بنتُ أبي الفرجِ غيْثِ (ت ٥٠٩ هـ) بن علي (ت ٤٧٨ هـ) بنِ عبدِ السلامِ بنِ محمّدِ بن جعفرٍ الأرْمنازيّ[6] الصُّوريّةُ ، وُلِدَتْ في مَطْلَعِ سنة ٥٠٥ هـ (ربيع عام ١١١١ م) – قيل في دِمَشْق .

جاءت تَقيّةُ الصوريّةُ في أوّلِ صِباها الى مِصْرَ ، قبلَ سنةِ ٥٦٩ هـ

---

(١) آلى : أقسم . لا أدع الملام يغرني : لا أغتر باللوم فأصغي الى اللائمين (وأترك ما أنا فيه من الغرام) . أخذ الغرام عناني (زمامي ، قيادي) : استولى الغرام علي .

(٢) مهفهف : نحيل الخصر . ساجي اللحاظ : هادىء الطرف ، فاتر الطرف (في عينيه فتور : دلال وغنج) .

(٣) أصمى : رمى (سهماً) فأصاب به مقتلا . طرف السنان (حد الرمح أو السهم) وطرفه (عيناه) سيان (متساويان في التأثير : القتل !) .

(٤) خنث الدلال : مكسر الدلال (فيه فتور يشبه غنج الاناث والذكران معاً) . بشعره (الأسود) ضللت (بكسر اللام الاولى وسكون الثانية) في ليل حبه (همت به) وبثغره (ذي الاسنان البيض) اهتديت (الى أن شفائي من حبه يكون بتقبيل فمه) .

(٥) نعمان (بفتح أوله) : واد قرب مكة . الى وجناتكم الحمر تنتسب شقائق النعمان لا الى نعمان (بضم أوله : النعمان بن المنذر) .

(٦) نسبة الى أرمناز التي هي قرب دمشق في الأغلب لا التي قرب أنطاكية وحلب .

(١١٧٣ م) ، وسكنت الاسكندريةَ وصَحِبَتْ فيها الحافظَ السِّلَفيّ[١] . وقد مَدَحَتِ المَلِكَ المُظَفَّر[٢] .

وتُوُفِّيَتْ تقيةُ الصورية في أوائلِ شوّالٍ من سَنَةَ ٥٧٩ (١١٨٣ م) ، وعمرُها اربعٌ وسبعون سنة .

٢ ــ كانت تقيّةُ الصوريةُ أديبةً فاضلةً ، وكان لها شِعْرٌ جيّدٌ قصائدَ ومقاطيعَ . وفنونُ شعرِها الفخر والحماسة والمديح والهجاء والخمر والأدب .

٣ ــ مختارات من شعرها

ــ كانت تقيّةُ الصورية قد قالتْ أبياتاً في الفخر بنفسها ، فكتب اليها بعضُ الأفاضل أبياتاً ، يلومُها فيها على ذلك ، مطلعُها :

وما شَرَفٌ أنْ يَمْدَحَ المرءُ نفسَه ولكنّ أعمالاً تَذُمّ وتَمْدَحُ[٣] !

فكتبتْ إليه تَرُدّ عليه وتُبَرِّرُ فَخْرَها بنفسِها :

تَعيبُ على الإنسانِ إظهارَ عِلْمِه، أبِالجِدّ هذا منك أم أنْتَ تَمْزَحُ ؟
فَدَتْكَ حَياتي ، قد تَقَدَّمَ قَبْلَنا إلى مَدْحِهِمْ قومٌ وقالوا فأفْصَحوا[٤].
وللمُتَنَبّي أحْرُفٌ في مَديحه على نفسِه بالحقّ ، والحقّ أوْضح[٥].
أروني فَتاةً في زَماني تَفُوقُني وتَعْلو على عِلْمي وتَهْجو وتمدح.

ــ وقالت في الشَّكْوى من تقلّب الإخوان :

خانَ أخِلاّئي ، وما خُنْتُهُمْ وأبْرزوا للشرّ وجْهاً صَفيقْ.

---

(١) هو أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الاصفهاني المعروف بالسلفي كان حافظاً للحديث وعارفاً بعلومه وله فيه تصانيف . كان مقيماً في الاسكندرية . توفي في نصف ربيع الآخر من سنة ٥٧٦ (١١٨٠ م) .

(٢) هو الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب ، أرسله عمه صلاح الدين الأيوبي نائباً عنه الى مصر في شعبان من سنة ٥٧٩ (أواخر ١١٨٣ م) . ثم استدعاه بعد ثلاث سنوات كاملة وولاه حماة فظل يتولاها الى أن مات في ١٩ من رمضان سنة ٥٨٧ (١١/١٠/١١٩١ م) . والغالب أن تقية مدحته حينما كان في مصر (٥٧٩ – ٥٨٢ هـ) ! !

(٣) .... ولكن أعمال الناس هي التي تمدح وتذم (بالبناء للمجهول) ، أو ان أعمال الناس هي التي تمدح الناس وتذمهم (تجعلهم أهلا للذم والمدح) .

(٤) ... الى مدحهم : الى مدح أنفسهم ، الافتخار بأنفسهم .

(٥) أحرف : ألفاظ ، أقوال (قصائد ، أبيات في قصائد) .

وكُــدّرَ الــوُدّ القــديمُ الــذي قد كان قِدْماً صافياً كالرّحيقْ[1].
وباعَــدوني بَعْــدَ قُرْبي لَهُــم وحَمّلوا قَلْبِيَ مــا لا أُطيقْ.

٤ — •• الخريدة (مصر) ٢ : ٢٢١— ٢٢٣ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧٠ — ١٧١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ الاعلام للزركلي ٢ ؛ ٩٨ .

ابو بكر العيدي

١ — هو الشيخُ الوزيرُ والأديب الفاضل أبو العتيقِ أبو بكرِ بنِ أحمدَ بنِ محمّد الأبيَنيّ العيديّ اليمَنيّ ، كان من بني عِيدِ الذين تُنْسَبُ إليهِم الإبِلُ العِيدية من بني الأعبود بن السَكْسَك ، وُلِدَ في مدينة أبْيَنَ (وهي موضع جبليّ قريب من عدَنَ) ، في مَطْلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة (الثاني عشر للميلاد) .

تلقّى أبو بكرِ العيديّ العلمَ على نَفَرٍ من عُلماء عدَنَ ومن العلماء الذين نزَلوا فيها ثم تثَقّف على نفسه حتّى بلَغَ مبلغاً عظيماً في العلم والادب . ثم انه أصبحَ صاحبَ ديوانِ الإنشاء ووزيراً للداعي الإسماعيلي عِمْران المُكرَّم بنِ مُحَمّد ابن سبَأ ابنِ أبي السُعود بن زُرَيْعٍ اليامي صاحبِ عدَنَ (٥٤٨ الى ٥٦٠هـ =١١٥٤— ١١٦٤ م) ، وأصبح ذا جاه وسؤدد في الدولة .

وأسنّ أبو بكرِ العِيديّ وعَمِيَ وكانت وفاتُه نَحْوَ سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) .

٢ — كان ابو بكرِ العِيديُّ أديباً فاضلاً يَعْطِفُ على الادباء . ثم كان كاتباً بليغاً واضحَ العِبارةِ عذبَ الكلام وشاعراً مُكثِراً مَجيداً يَنْظِمُ رَوِيّةً وبَديهة . ومُعْظَمُ شِعرِه في المدح، وقدِ استفرغَ مدحَه في عِمرانَ المُكرّمِ وآلِه . ثمّ له قصيدةٌ مطلَعُها : « لي بالحجازِ غرامٌ لست أدْفَعُهُ » تسعةٌ وأربعين بيتاً لَعلّه يُعارِضُ بها قصيدةَ ابنِ زريقٍ[2] (راجع الخريدة — الشام ٣ : ١٨٤ — ١٨٧ ، ثمّ ١٨٥ ، الحاشية[1]) . وله شيءٌ من الوصف .

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو بكرِ العِيديّ يمدح الداعيَ الاسماعيليَّ عِمرانَ المكرّم؛ والقصيدة تبدأ بوصف للطبيعة :

---

(١) الرحيق: السائل الحلو في قلب الزهرة (العسل ، شراب فيه حلاوة وطيب ، أي رائحة طيبة) .
(٢) راجع ، فوق ، ص ٩٠ .

حيّاكِ ، يــا عَدَنُ ، الحَيا حيّاكِ وجرى رُضابُ لَماه فوق لَماكِ[1].

وافتَرّ ثغْرُ الروضِ فيك مُضاحكاً بالبِشْرِ رَوْنقَ ثغرِك الضحّاكِ[2].

ووَشَتْ حَدائقُــه عليك مَطارفاً يَختــالُ في حِبَراتِها عِطْفاكِ[3].

أصبو إلى أنفاسِ طِيبِــك كلّما أسْرى بنَفْحَتِهـا نسيمُ صَباكِ[4].

وعلامَ أستسقي الحَيا لَكِ بعدَ مــا ضَمِنَ المُكَرَّمُ بالنَدى سُقْياكِ[5].

وحَباكِ بالإيثارِ عنه ، فجرّ عــن إيثــاره ذيلَ الثَراءِ ثــراكِ[6].

وتأرّجتْ رَيّــاكِ مِسكاً عندمــا عَبِقَتْ بريّــا ذِكْرِه رَيّاكِ[7].

قَرّتْ عيونُ الخَلقِ لاستِقْرارِه بكِ ، فلْتَقَرَّ بقُرْبِه عَيْنــاكِ[8].

فالمِسْكُ نَشْرُ تُرابِ أرْضِك ، مذ غدا بكِ قاطناً ، والدُرّ من حَصْباكِ[9].

مَلِكٌ لو انّ الغَيْثَ جادَ كجودِهِ لم يُلْفَ في أرضٍ لِفَقْرٍ شــاكِ[10].

لا قَــدْرَ للدنيــا لديهِ ، كأنّه في بَذْلِ زُخْرُفِها من النُسّاكِ[11].

فالجودُ مبتسِـمُ الثُغورِ لجــودِه أبداً ، وبيتُ المال[12] منــه باكِ.

---

(١) عدن : مدينة على ساحل اليمن . الحيا : المطر . الرضاب : الريق (ما دام في الفم) اللمى : اسمرار الشفة (كناية عن الارض ، التراب) .

(٢) افتر : ضحك . البشر : طلاقة الوجه ، الإيناس .

(٣) وشى الرجل الثوب : طرزه بالألوان المختلفة . المطرف (بضم الميم وفتح الراء) : رداء من حرير ذو أعلام (أشكال منقوشة عليه) . اختال : مشى مزهواً (مفتخراً ، متكبراً) . الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) ثوب من حرير صنع اليمن . العطف (بكسر العين) : جانبُ الجسد عند الكتف (القوام).

(٤) أصبو : أشتاق . أسرى : سرى ، سار ليلاً (انتشرت رائحته). (٥) الحيا : المطر . الندى: الكرم .

(٦) حبا : أعطى ، منح . الإيثار : أن يفضل الانسان الآخرين على نفسه . الثراء : الغنى. الثرى: التراب ، وجه الارض . — أنت ، يا أرض ، أصبحت خصيبة بفضل الممدوح لا بفضل المطر .

(٧) تأرج الطيب : توهج ، كثر انتشار الرائحة منه . الريا : الرائحة . — رائحتك الزكية أتت من طيب رائحته لا من المسك ...

(٨) قرت عين الانسان : اطمأن ، رضي ، أصبح مسروراً . لاستقراره بك : لنزوله أو لسكناه فيك .

(٩) النشر : الرائحة الطيبة . قاطناً : ساكناً . الدر : اللؤلؤ. حصباك = حصباؤك (حصاك : صغار الحصى أو الحجارة الصغيرة التي في أرضك).

(١٠) الغيث : المطر . الجود : الكرم . لم يلف : لم يوجد (لم يبق) .

(١١) لا قدر : لا قيمة ، لا أهمية . الزخرف : الذهب ، الزينة (الأشياء الثمينة) .

(١٢) بيت المال : خزنة الدولة (الصندوق الذي يجمع فيه المال) . — هذا الممدوح كريم جداً حتى أن صندوق ماله فارغ دائماً ، ولذلك ترى هذا الصندوق باكياً (يبكي) في كل حين .

سَلَّتْ يدا الإسْلامِ منه مُهَنّـداً مُتَحكِّمـاً في هامةِ الإشـراكِ .
وإذا سَما بالجيشِ آذَنَ كلَّ من نَهَضَتْ إليـهِ جُيُوشُـهُ بهَلاكِ[1] .

٤ ــ ** خريدة (الشام) ٣ : ١٤٥ ــ ٢٠١ .

ابن القم الزبيدي

١ ــ هو أبو عبدِ اللهِ الحُسينُ (وقيل : الحسن) بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ مَمَوَيْهِ القُمّيُّ من أعيانِ زَبيدَ (اليمن) ، سادَ أبوه في أيامِ الداعي عليِّ بنِ محمّدٍ الصُلَيْحيِّ (٤٢٩ ــ ٤٧٣ هـ) صاحبِ زَبيدَ إذ جعله عليُّ بن محمد الصليحي ، سنة ٥١٥ هـ ، وزيراً لأسْعَدَ بنِ شهابٍ الذي تولّى تِهامةَ .

وُلِد ابن القُمّ في زَبيد ، سَنَةَ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ــ١١٣٦ م) وتلقّى العلمَ على أبيه ــ وكان أبوه يَنْظِمُ الشعرَ أيضاً ــ وعلى نَفَرٍ من فضلاءِ زَبيدَ . ويبدو أن ابنَ القُمّ الزَبيديَّ قد نال ــ لمكانتِه الاجتماعية وبراعته الأدبية ــ حَظْوةً عند الحكّام . ثم إنّ وَحْشَةً وقَعَتْ بينَه وبين حكّامِ زَبيدَ ، سَنَةَ ٥٦٢ هـ (١١٦٦ ــ ١١٦٧ م) فغادَرَ زبيد أو غادَرَ اليمن كلّها (معجم الأدباء ١٠ : ١٣٢) حيناً .

وكانتْ وفاةُ ابنِ القمّ الزَبيدي في زبيدَ سَنَةَ ٥٨١ هـ (١١٨٥ ــ ١١٨٦ م) في الارجح .

٢ ــ ابنُ القُمّ الزبيديّ أديبٌ مترسّلٌ شاعرٌ ، في شِعْرِه شيءٌ من الصِناعة ؛ وهو في نثره أقلّ براعةً منه في شعره. ثم هو كثيرُ الاتكاء ، في نثره وشعره ، على الإشارات النَحْوِية مَعَ غَوْصِه أحياناً على المعاني. وابن القُمّ يعارِضُ نَفَراً من مشاهيرِ الشعراء فتُحِسّ في قصائده نَفَحاتٍ من أبي تمّامٍ وابنِ الروميّ والمتنبّي وغيرِهم . أمّا فنونُه فالمديحُ خاصّةً والرثاءُ والهجاء والعِتاب والغزَل والنَسيب والأدب ؛ وفي هجائهِ شيءٌ من المُجون . ثمّ هو مجيدٌ في المُقَطّعات وفي الطِوال .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابنُ القمّ الزَبيديّ يُفَضِّلُ توريثَ الأولادِ أدباً على توريثهم مالاً :

(١) آذنه بهلاك : أعلمه به (جعله يوقن أنه سيهلك) .

خيْرُ ما ورّثَ الرجـالُ بنيهِـمْ أدبٌ صـالحٌ وحُسْنُ ثنـاءِ.
ذاك خيرٌ مـن الدنانير والأوْ راقِ في يومِ شِـدّةٍ ورَخاءِ[1].
تلك تفنْى ، والدّين والأدب الصـ الـح لا يفنَيانِ حتّى اللقاء[2].

– وقال في النسيب :

تشكّى المُحبّونَ الصَبابةَ ، ليْتني تَحمّلْتُ ما يلقونَ من بيْنِهِم وحْدي.
فكانتْ لنفسي لـَـذّةُ الحُبّ كلّها فلم يدْرِها قبْلي مُحبٌ ولا بعْدي!

– لابنِ قُمٌ رسالةٌ كتَبَ بها الى أبي حِمْيَرَ سبأ بنِ أبي السعود أحمدَ بنِ المُظفّر بنِ عليّ الصُلَيْحيّ اليَماني[3] بعدَ انفصاله (رحيله) عن اليمن . وقد جاء فيها :

كتَبَ عبدُ حضْرةِ السُلطانِ الأجلّ مَوْلاي ربيعِ المُجْدبين وقَريع المتأدّبين[4] جَلْوَةِ المُلْتَبِسِ وجَذْوةِ المُقْتَبِسِ[5] ، شهابِ المَجْدِ الثاقبِ ونقيبِ ذوي الرُشْد والمناقب ... أطالَ الله بقاءه ... وجعَلَ رُتْبته في الأوّليّة عاليةَ المَقام كحرْفِ الاستفهام ، وكالمبتدأ إنْ تأخّر في البُنْيَةِ فانّه مُقدّمٌ في النيّة[6]. ولا زالتْ حضرتُه من الحادثات حِمًى وللوفود مُزْدَحَماً ومُلْتزَماً ...[7]

أيّها السيّدُ: أمِنَ العَدْلِ والإنصافِ ومحاسنِ الشِيَمِ والأوصاف إكرامُ المُهانِ وإذلالُ جوادِ الرهان .... أقولُ لنفسي الدّنيّةِ : هُبّي طال نوْمُك ،

---

(١) الاوراق جمع ورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة (على اعتبار أن الدنانير من ذهب) .

(٢) اللقاء : لقاء الناس ربهم يوم القيامة .

(٣) تختلف المصادر والمراجع في تواريخ هذه الحقبة اختلافاً كبيراً ، في معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي للمستشرق زامباور (ص ١٨٣ ، ١٨٨) أن سبأ ابن أحمد قد بدأ حكمه سنة ٤٨٤ هـ ، قبل المدة التي نعالجها بقرن كامل .

(٤) المجدبين : الذين قحطت بلادهم . القريع : السيد الكريم ، الزعيم ، الامام .

(٥) جلوة الملتبس : جلاء الشك عن المتحير في أمره . جذوة (بفتح الجيم وبكسرها وبضمها) المقتبس : قطعة النار التي يأخذها طالبها ليشعل بها ناره .

(٦) حرف الاستفهام يأتي دائماً في أول الكلام ، في رأس الجملة . المبتدأ قد يتأخر في نسق الجملة (في الترتيب) ، ولكنه يظل الأول المقدم في القصد والمقام .

(٧) الحضرة : المكان الذي يسكنه السلطان . لا زالت من الحادثات (النوائب ، المصائب) حمى (محمية) لا تجسر الحادثات على الوصول اليها ولا تستطيع . مزدحماً : مكان تزدحم (تكثر) فيه (الوفود) . ملتزماً : تبقى فيه (الوفود) ولا تفارقه .

واستَيْقِظِي لا عزَّ قومُكِ ، أرَضيتِ بالعطاء المَنْزُور[1] وقَنِعْتِ بالمواعيد الزور؟ يَقَظَةً ، فانَّ الجدَّ قد هَجَعَ[2] ؛ ونَجْعَةً[3] ، فمَنْ أجْدَبَ انْتَجَعَ[4]... بلْ أضَعُ نَفْسِيَ في أقلِّ المواضعِ وأقولُ لمَوْلايَ قولَ الخاضع :

فَأسْبِلْ عليها سِتْرَ معروفِكَ الذي سَتَرْتَ به قِدْماً مَخازِيَ عَوْراتي !

٤ - ** معجم الأدباء ١٠ : ١٣٠ - ١٤٧ ؛ خريدة القصر (الشام) ٣ : ٧٤ - ١٠٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٨١ - ١٨٥ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٨ .

المهذب ابو طالب الدمشقي

١ - هو المهذّبُ أبو طالبٍ محمّدُ بنُ حسّانَ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ الخَضِرِ اليمنيُّ الأصلِ الدِمَشْقيّ المولدِ ، لا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حياتِه الاّ جُمْلَةَ العمادِ الأصفهاني (خريدة القصر - دمشق ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦) : « وزارني في دِمَشْقَ في المدرسة التي كنتُ أدَرِّسُ فيها[5] ، لمودّةٍ يُصفيها ، في رابعِ عَشَرَ ربيعٍ الأوّلِ سَنَةَ إحدى وسَبعينَ وخَمْسِمائَة .

٢ - كان المهذّبُ الدِمشقيّ قليلَ الرَغْبَة في لِقاء الناس ، برُغْمِ ما انْطَوَتْ عليه نفسُه من المودّةِ الصحيحةِ الصادقة . وكان ناثراً أنيقَ الأسلوبِ جميلَ الخيالِ وشاعراً متينَ السَبْكِ جَيِّدَ المَعاني ولكنّ شعرَه قليلُ الرَوْنَقِ . وأغراضُ شعرِه الغَزَلُ والنسيبُ والوصف والشَكْوى والأدب .

٣ - مختارات من آثاره

- للمهذّبِ الدِمشقيّ رسالةٌ طويلة يمتزج فيها الشعرُ بالنثرِ عُنوانُها « النَسْر والبُلْبُل » اختصرها العماد الاصفهاني . وفي ما يلي نَموذجٌ منها (وأوّلها) :

طارَ طائرٌ عن بَعْضِ الشَجَرِ ، وقد هَبَّ نسيمُ السَحَرِ وانفلق عَمودُ الفَلَقِ

---

(١) المنزور : القليل .

(٢) الجد (بكسر الجيم) : الجهد ، السعي ، و (بالفتح) : الحظ . ومن الأصوب أن نقرأ « الجد » بفتح الجيم .

(٣) هجع : نام ليلا . (الجد قد هجع : قل حظي) .

(٤) النجعة : الذهاب الى مكان فيه خصب (بكسر الخاء) . أجدب : قل الخصب في أرضه . « من اجدب انتجع » مثل . انتجع : انتقل إلى مكان فيه خصب .

(٥) المدرسة العمادية .

وانخرق قميصُ الغَسَق[1] مشهورٌ بالقَسْرٌ موسوم بالنَّسْر ، والليلُ قد شابتْ ذُؤابتُه وابْيَضّت قمّتُه[2] ، وانهزم زَنْجُ الظلماء من صَوْلَـةِ رُوم الضياء ....

وعلا حتّى صارَ روحاً لأجسادِ السُحُبِ ونديماً لدراري الشُهُب وعديلاً للأفلاك ونزيلاً للأملاك[3] :

فكأنّــه للشمسِ جسمٌ والسُهى عينٌ ، وللمرِّيـخِ قلبٌ يخفُقُ[4] .

كأنّما أجْنِحتَهُ رُكّبتْ من العواصف واستُلبتْ من البروق الخواطف ، وأُخِذَتْ من رَمْزِ الألفاظ واستُعيرَتْ من غَمْزِ الألحاظ ... كأنّه سَهْمٌ رُشِقَ عن قَوْسِ القَضاء أو نَجْمٌ أشرق في أفُقِ السماء . والأرضُ تحتَه دُخانيّةُ اللونِ مائيّةُ الكَوْن[5] .... يَقْبِضُ أجْنِحتَهُ ويبسُط ويَصْعَدُ الى السماء تارةً ويَهْبِطُ ..... حتّى أشرف ... على رَوْضٍ أريض[6] وظِلٍّ عريض، وأنهارٍ متدفّقة وأشجار مُونِقة ، وطَلٍّ منثور ووَرْدٍ ومنثور[7] ، ومكان بَهِجٍ وزَهْرٍ أرِج[8] ، وحديقة نَدِيّة النباتِ وبُقْعة مِسكيّة النَفَحات : عَنْبريّة الأرجاء كافوريّة الهواء ...

كليـالي الوِصالِ بعدَ صُـدودٍ من حبيبٍ كالبدر ، بل هي أشهى .

ومن نَرْجِسٍ كأجفانِ المِلاح أو كاشراق تَبَلُّجِ الصباح ، مُنَكّسِ الأعراق مُطْرِق الأحداق قائمٍ على ساق خَضِرَة ألِفيّة نَضِرَة[9] ...

---

(١) ظهر نور الصباح (كأن النور حينما يشرق كالعمود يفلق سواد الليل) . الغسق : الظلام.

(٢) القسر : الإجبار ، أخذ الفريسة بالقدرة والعنف . قمة الليل : أعلاه (رأسه). الذؤابة :ضفيرة الشعر .

(٣) الزنج : السودان . الروم : اليونان (وهم شعب أبيض في مقابلة الزنج السود).

(٤) السها والسهى : كوكب خفي في بنات نعش.

(٥) مائية الكون : تتألف من الماء (الكون : الوجود – مصدر «كان»).

(٦) أريض: زكي (الرائحة) معجب للعين.

(٧) مونق :جميل يعجب العين . الطل : الندى الساقط في الليل . منثور متفرق . المنثور : نوع من الزهر يكون ألواناً مختلفة .

(٨) أرج : طيب الرائحة .

(٩) الاعراق جمع عرق: الساق الأخضر الذي ينتهي بزهرة . مطرق الأحداق (العيون) : زهرة النرجس ثقيلة بالنسبة الى الساق الذي تقوم عليه. من أجل ذلك تنحني الساق وتبدو الزهرة عليها كأنها عين مطرقة (تنظر إلى الارض) مفكرة أو خجلة . ألفيه : تشبه الحرف « ألف » (مستقيمة).

وكم في الروض من بِدَعٍ وصُنْعٍ   وآيـاتٍ تدُلّ عـلى القـديم[1]
وأسرارٍ يَحـارُ العقـلُ فيهـا   فليس تكونُ إلاّ من حكيم[2] !

ومِنْ غُصونٍ تجتمع وتفترق وتترنّح وتعتنق ، والنسائمُ تَحُلّ عقَدَ أزرارِ الزَهَر[3] ، والأهْوِيةُ تفتَحُ أقْفال أبواب الحَصَر[4] ، والشمس تُسْفِرُ وتنتقب ، وحاجب الغزالة[5] يبدو ويحتجب . والعِهاد يتعاهدُ بالقِطار أكنافَها[6] ، والسُحُبُ تطرّز بالبروق عَذَبَها وأطرافها[7] . وهي آيةٌ من آياتِ الربيع أظهرها للعيان ، ومُعجزةٌ من معجزات القدير أقامَها على الزمان[8] ...

فوقَفَ[9] في الهواء حين رآها وقال : هذه غايةُ النفس ومُناها ! .... أيْنَ المَذْهبُ[10] وقد حصل المطلب ؟ وأين الرَواحُ وقد أسفَرَ الصباح ؟ ومن بلغ غايةَ مُرادِهِ لم يلتفت الى حُسّاده ، ومن نال الأماني لم يُبالِ بالمباني ! ...

فبينَما هو صافٌّ الأجنحة[11] عليها ينظُرُ من الأفُق بعين التعجّب إليها ، إذْ سَمِعَ صوتاً من بُلْبُلٍ سَحَريّ على وَكْرٍ شَجَريّ يُناغي[12] النسائمَ بنغمة مِزْمارِهِ ورَنّة أوتارِهِ... يَنْثُرُ دُرّاً من عقود ألْحانه ، ولُؤلُؤاً من أصداف افْتِنانه بين أفْنانه ، ويُرَجّعُ[13] قِراءةَ مكتوبِ غرامهِ ويتلو آياتِ حُزنه في مُصْحَفِ آلامه ...

---

(١) آيات : علامات ، براهين . القديم : الله الذي كان موجوداً قبل كل شيء .

(٢) الحكيم : الله (الذي أوجد كل شيء على نظام معين ليؤدي عملا مخصوصاً) .

(٣) تحل عقد أزرار الزهر : تجعل براعم الزهر تتفتح (؟) .

(٤) الأهوية (جمع هواء) تفتح أقفال أبواب الحصر (السجن ، الحصن !) – المعنى غامض .

(٥) الغزالة : الشمس .

(٦) العهاد : المطر في أول موسم الشتاء . تعاهد (هنا) اعتني بالامر (توالي سقوط المطر) . القطار : المطر . أكنافها : أطرافها (جميع جهاتها) .   (٧) العذبة : طرف العمامة ، رؤوس الأغصان ، الخ .

(٨) القدير : الله .

(٩) فوقف النسر .

(١٠) المذهب : الذهاب .

(١١) صاف الأجنحة : جاعلا جناحيه هادئين وهو يحوم في طيرانه (؟) .

(١٢) يناغي : يلاطف ، يقارب ، يقابل .

(١٣) الافتنان : التفنن ، الإتيان بالاشياء متنوعة . الأفنان (جمع : فنن بفتح ففتح) : الاغصان . رجع (بتشديد الجيم) : ردد الصوت في حنجرته ، أجاد الغناء .

فقال : هذه غريبةٌ أخرى من غرائبِ القَدَر ، وعجيبةٌ ثانية لم ترَها العينُ ولا هَجَمَتْ[١] في الفكَر ، وكاساتُ خمْرٍ تُدار في الخَمَر[٢] ... ثمّ هوَى الى القرارِ[٣] لينظرَ مَنِ النافخُ في المزْمار . فرأى البُلْبُلَ ... فقال : السلامُ عليك من طائرٍ صغيرٍ حقيرٍ يظهرُ في صورةٍ كبيرٍ خطيرٍ ، وشاد[٤] ظريف طريف بلا أليفٍ ولا حليفٍ ، كأنّه سَوادُ خالٍ في بياض خدّ الحبيب أو ظُلْمَةُ حال المُحبّ شاهَدَ وجهَ الرقيب[٥] ... ويْحَكَ ! من أين لك هذه المُلَحُ المِسكيّةُ النَشْرِ والمِنَحُ[٦] العَنْبَريّةُ العِطْرِ ؟ ...

فقال له البلبلُ : يا مَنْ سبَحَ في بحر التخليط وعامَ ، وظنّ أن القَدَرَ يُعْطي ويمنَعُ بالأجسامِ فيُعْرِضُ عن الصِغار ويُقْبِلُ على العظام . أمّا صِغَري فلا أقْدِرُ على تَغْييره ، والأمرُ للصانعِ الحكيمِ في تدبيره[٧] . أما علِمْتَ أن الأرواحَ لطائفُ وهي أشرفُ من الأجسام ، والأجسام كثائف[٨] والمُعْتَبَرُ فيها جَوْدَةُ الأفهام . وإنسانُ العينِ صغيرٌ ويُدْرِكُ الأكوانَ والألوان ، والإنسانُ عظيمٌ والمعتبَرُ فيه الأصغران : القلبُ واللسان ..... وأمّا النَغْمة التي قرَعَ طَرْفَ سَمْعِكَ سَوْطُ لَذّتِها ، ورَشَقَ هدَفَ قَلْبِكَ نَبْلُ[٩] طيبَتِها ، فإنّني رَصّعْتُ شَذْرَها[١٠] في عِقْدِ ألْحاني على نَغَمِ بعض الأغاني . وذلك أنّ هذه الروضةَ فُجّرَتْ أنهارُها وغُرِسَتْ أشجارُها .... وهُيِّئَتْ على أمرٍ مُقَدّرٍ لبعضِ ملوكِ البشر ، فهو يأتيها كلّ ليلةٍ إذا ولّى النهارُ وأظْلَمَتِ الأقطار .... مَعَ مَنْ يختارُ

---

(١) هجس الأمر في باله : خطر له .

(٢) الخمر (بفتح ففتح) : الستر من الشجر وغيره .

(٣) هوى الى القرار : سقط ، نزل ، انخفض . القرار : المستقر من الارض .

(٤) الشادي : المغني .

(٥) الخال : نكتة سوداء مجسمة تكون في الوجه (وهي معدودة في سمات الحسن والجمال) . الرقيب : المراقب الذي يتتبع المحبين ليفسد عليهم خلواتهم .

(٦) الملح جمع ملحة (بالضم) : الكلمة المليحة الطريفة . المنحة (بالكسر) : العطية .

(٧) الصانع الحكيم : الله . تدبيره : ايجاد الاشياء على ما قضاه وأحكمه .

(٨) كثائف جمع كثيفة : مؤلفة من مادة ثقيلة .

(٩) النبل جمع نبلة (بفتح النون) : السهم .

(١٠) الشذرة (بالفتح) : القطعة الصغيرة من الذهب توضع بين حبات العقد (من اللؤلؤ أو أنواع الخرز) . رصع (هنا) : زين .



من أصفيائه ، وقد أشعلت له الشموعُ واتّقدت بأشعتها الربوعُ ونُصبت ستائرُ القيان[1] واصطفّت صفوفُ الحُور والولدان وأفرغت شُموس الخندريس في أفلاك الكؤوس ...[2]

وينقضي ليلُهم في لهو وطرب وجِدّ ولعب ، وهزج ورمل[3] واعتناق وقُبل ، وأحاديث كقطع الرياض ، ومحادثات كبلوغ الأغراض ، حتى يخرجَ الليلُ من إهابه ويُعرّج على ذهابه ويُسفِرَ الصباح[4] ....

فقال النسر : إنّك سقيتني بحديثك أسكر شراب وفتحت لي بأخبارك أغرب باب . كيف السبيلُ الى المبيت لتعلّم هذه النغم الشهية ؟.. فقال البلبلُ : بالجدّ والاجتهاد تُدركُ المُراد ... وما حصّلت الأماني بالتواني ، ولا ظفر بالأمل مَن استوطأ فراش الكسل[5] .... فاذا تقوّست قامةُ النهار وجُعلت رِجلُ الشمس في قيد الاصفرار[6] ، وولّت مواكبُ النور لقدوم سُلطان الديجور ، وأنارت[7] روضةُ السماء بزُهر الكواكب[8] وطلعت الشهُبُ من كلّ أفق وجانب ، فأت إلى هذا المكان عسى أن تُسعِدك بمطلوبك عنايةُ الزمان ، واختفِ عن رامق[9] يراك فانّه أعوَن على مبتغاك ...

فلمّا سمع النسرُ هذا المقال ودّعه وطار . وقال : لعلّ في الانتظار بلوغ الأوطار . وأثبت في نفسه الرجوع وقال[10] : أمنعُ عيني هذه الليلةَ لذة الهُجوع .... ثمّ سقط على بعض الأشجار متوخّياً بزعمه مُضيّ النهار . وأدركَه

---

(١) ستائر القيان : ستائر تنصب حتى يغني القيان من ورائها (حتى لا يشتغل النظر بما يفوّت على الأذن لذة السماع) .

(٢) الخندريس : الخمر . أفلاك الكؤوس : كؤوس الخمر التي تدور على الحاضرين كما تدور الكواكب في أفلاكها .

(٣) الهزج الرمل من أنواع الغناء .

(٤) الاهاب : الجلد : خرج الليل من اهابه : خلع عنه السواد (اقترب النهار) . أسفر الصباح : كشف عن جهه ، طلع .

(٥) استوطأ الفراش : وجده وطيأ (مريحاً) . استوطأ فراش الكسل : لذ له الكسل .

(٦) تقوست قامة النهار : انحنت قامته (كناية عن أن النهار أصبح شيخاً ، صار في آخره) .

(٧) الديجور : الظلام . نارت وأنارت ، ضاءت . زهر الكواكب : الشديدة اللمعان .

(٨) الرامق : الناظر .

(٩) أثبت في نفسه الرجوع : عزم على الرجوع .

الكَرى فنامَ وغَرِقَ في بحر الكَرى وعامَ . وكلّما حرّكتْ سواكِنَهُ داعياتُ الطَلَب ... قال : الليلُ بعدُ في إبّانِ شَبابهِ ، ولعلّه ما جاء المَلِكُ مَعَ أصحابه . وساعةٌ تكفي العاقلَ ، ولمحة تَشْفي الفاضل ... وكم نائمٍ حَصّلَ مُرادَه وساهرٍ أخطأه إسعادُه .

ولم يزَلْ في رُؤيا أحلامِ الأباطيلِ وإقامة المعاريض الفاسدةِ التأويلِ[1] حتّى وَضَحَ فلَقُ الصُبْحِ[2] من مَشْرِقه ... وبدا حاجبُ أمّ النُجومِ وامتدّتْ أشعّتُها على التُخوم[3] . فتَنَبّهَ من رَقْدَةِ غَفْلَتِه وطار من وَكْرِ جَهالته . وأمّ[4] روضةَ البُلبلِ طائراً ونزَلَ عليه دَهِشاً حائراً ، وقد تفرّقَ جَمْعُ المَلِكِ في السِكَكِ[5] تَفَرُّقَ الشُهُبِ في الفَلَك ، وغُلّقَتْ أبوابُها وتفرّقت أصحابُها .

فقال له البُلبل : يا هذا ، ما الذي شَغَلَك حتّى أشْغَلَك[6] ؟ وما الذي مَنّاكَ[7] حتّى عَدِمْتَ مُناك ؟ أما عَلِمْتَ أنّ مَنِ استَلَذّ المَنامَ واستطابَ الأحلامَ عَدِمَ المَرام ؟....

فلمّا أكثَرَ البُلبلُ على النَسْرِ العِتابَ وانْغَلَقَتَ (على النَسْرِ) أبوابُ الصواب ، وَدّعه (النسر) وطارَ وقد عَدِمَ الأوطارَ . وكذلك حالُ ذوي الأحوال ومن له دَعْوى الصدق في المقال . والعُقّال يؤاخَذون بخَطَراتهم ويُطالبون بعَثَراتهم ، ويُهْجَرون لأجلِ لَحْظة ويُقْطَعون بسبب لفظة ....

٤ ـ ** خريدة القصر (الشام) ١ : ٣٣٥ ـ ٣٥٣ ؛ المحمّدون من الشعراء ٢٢٨ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

ابن الدهان الموصلي الحمصي

١ ـ هو مهذّبُ الدين أبو الفرجِ عبدُ الله بنُ أسعدَ بنِ عليّ بنِ عيسى بنِ عليّ

---

(١) الاتيان باعتراضات قد يكون ظاهرها كأنه صحيح بينما تأويلها (باطنها ، حقيقتها) فاسد .

(٢) فلق الصبح : ظهور عمود النور في الصباح واضحاً .

(٣) أم النجوم : الشمس . التخوم : اطراف الأرض .

(٤) أم : قصد .

(٥) السكك جمع سكة (بكسر السين) : الطريق .

(٦) شغله : ألهاه . أشغله (ليست في القاموس) : ملأ وقته بالعمل وصرفه عن مقصده .

(٧) مناك : أطمعك بالحصول على ما هو فوق طاقتك .



ابن الدهّان المَوْصِلي الحِمْصي، وُلِدَ في المَوْصِلِ نحوَ سَنَةِ ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م).

ضاقتِ الحالُ بابنِ الدهّانِ منذُ مَطْلَعِ حياتهِ فهَجَرَ المَوْصِلَ وانتقلَ الى مِصْرَ فمدحَ طلائعَ بنَ رُزِّيْكِ الذي تولّى الوزارةَ للفائزِ وللعاضدِ الفاطميّين من سنة ٥٤٩ الى سنة ٥٥٨ هـ (١١٥٤ - ١١٦٢ م). ويبدو أن حالَه حَسُنَتْ فأقامَ في مِصْرَ مدّةً. ثمّ انّه انتقلَ إلى الشامِ وأقامَ في حِمْصَ وكان يزورُ دِمَشْقَ بينَ الحينِ والحينِ يَصْحَبُ نَفَراً من عُلمائِها ويأخُذُ عنهم. وكان في حِمْصَ يتصدّرُ للتدريس.

وكانت وفاةُ ابنِ الدهّانِ المَوْصِليّ في حِمْصَ في شَعبانَ من سَنَةِ ٥٨١ (خريف ١١٨٦ م).

٢ - كان ابنُ الدهّانِ الموصليّ مُلِمّاً بأشياءَ من الحديثِ والفقهِ ولكن غَلَبَ عليه الشعرُ واشتهرَ به. وهو شاعرٌ مُقِلٌ ولكنّ شعرَه بارعٌ مليحُ السَّبْكِ. وأكثرُ شعرِه المدحُ، وله أشياءُ من الغَزَلِ والوصف والرثاء.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ الدهّانِ المَوْصِلي يمدحَ السُلطانَ صلاحَ الدين الأيّوبيّ بقصيدةٍ منها :

هـل يَعْلَمُ المُتَحمّلون لِنَجعةٍ ... أنّ المنازلَ أخصبَتْ من أدمُعي (١)؟
أمروا الضُحى أن يستحيل لأنّهم ... قالوا لشمسِ خُدورِهم : لا تطلُعي (٢).
قُلْ للبخيلةِ بالسلامِ تورّعاً : ... كيفَ استبَحْتِ دَمي ولم تتورّعي (٣)؟
ما بالُ مُعْتَمِرٍ بربْعِكِ دائماً ... يَقضي زيارتَهُ بغير تمتّعِ (٤)؟

---

(١) المتحملون (الذين يستعدون للرحيل) لنجعة (لطلب أرض خصبة، كثيرة العشب والماء).

(٢) الضحى: أول النهار بعد ارتفاع الشمس. يستحيل: يتبدل لونه (يبقى الجو مظلماً). الخدر: خباء المرأة في البيت. شمس الخدر: المرأة الجميلة. - لما لم يسمحوا لفتاتهم الجميلة (التي أحبها أنا) أن تخرج الى الناس، ظل الجو مظلماً، فكأنهم بذلك قد أرادوا ألا يطلع النهار.

(٣) - اذا كنت تتورعين (تخافين وتتجنبين) رد السلام علي (كيلا تأثمي: ترتكبي ذنباً)، فكيف استحللت (أجزت لنفسك) دمي (سفك دمي، قتلي) ....

(٤) المعتمر: الذي يذهب الى مكة ويقوم بمناسك الحج في غير شهر ذي الحجة (زمن الحج المفروض). الربع: المسكن (بربعك: بمسكنك، في ديارك). يقضي زيارته (لبلادك) من غير تمتع (رؤية لك). التمتع في الفقه أن يجمع المسلم بين الحج (المفروض) وبين العمرة (المسنونة في غير وقت الحج) في وقت واحد. يحتمل هذا البيت تفسيراً آخر، ولكن يخرج بمعناه عن التقوى.

ما كانَ ضرّكِ لو غَمَزْتِ بحاجبٍ — عندَ التفرّقِ أو أشَرْتِ بإصْبَعِ؟

هل تسمحينَ ببَذْلِ أيْسرِ نائلٍ: — أن أشْتكي وَجْدي إليك وتَسْمعي[1].

فسقى الربيعُ الجَوْنُ رَبْعاً طالما — أبْصَرْتُ فيه البدرَ ليلةَ أرْبَعَ[2].

وعلامَ أسْتَسْقي لـه سَيْلَ الحَيا؟ — يَكْفيـه ما يسقيه فيضُ الأدمع[3]...

ولوِ استطعتُ سَقَيْتُه سَيْلَ الحَيـا — من كفِّ يوسفَ بالأدَرِّ الأنْفع[4]؛

بِنَدَى فتىً لـو أنَّ جُودَ بَنانه — للغَيْثِ لم يَكُ مُمْسكاً عن موْضِعِ[5].

صبٌّ بـأسباب المعـالي مُغْـرَمٌ — كَلِفٌ بأبكارِ المعـاني مُولَعِ[6].

ثَبْتُ الجَنانِ إذا القلوبُ تطايرتْ: — في الرَوْعِ يَعْدِلُ ألفَ ألفِ مُدَرَّعِ[7].

جَمَعَ الجُيوشَ فشتّتَ شَمْلَ عِداتِه، — ما فرّقَ الأعداءَ مثلُ تَجَمّعِ.

لم يَثْنِـهِ عـن نَصْرِه خلفاءَه — عِظَمُ العَدُوِّ ولا بَعادُ الموضعِ[8]—

بجَحافلٍ مثلِ السُيولِ تدافعتْ؛ — واذا السُيولُ تدافعتْ لم تُدْفَعِ[9].

كم وَقْفَةٍ لكَ في الوَغى محمودةٍ — أبداً، وكم جُودٍ حميدِ المَوْقعِ[10]!

٤ — ديوان ابن الدهّان (حقّقه عبد الله الجبوريّ)، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٦٨ م.

---

(١) النائل: العطاء (الوصال، الاجتماع بالمحبوب). الوجد: الحب وألم الحب.

(٢) الربيع (الغيم، السحاب، المطر) الجون (الداكن، الأسود، لكثرة ما فيه من الماء) ربعاً (مسكناً، داراً، مكاناً) أبصرت فيه البدر (المحبوب الجميل) ليلة أربع وعشر ...

(٣) أستسقي له: أطلب السقيا له (أن يسقيه) الحيا (المطر).

(٤) يوسف هو يوسف بن أيوب بن شاذي: صلاح الدين الأيوبي المشهور الذي يمدحه الشاعر. الأدر: الأكثر دراً (بفتح الدال): فيضاً وجوداً. الانفع (عطاء صلاح الدين أنفع من المطر).

(٥) البنان (جمع بنانة): الأصابع (اليد). لو أن السحاب كان كريماً كصلاح الدين لأمطر في جميع البلاد (بخلاف المطر الحقيقي الذي يمطر في أماكن دون أخرى).

(٦) الصب: المحب. المغرم والكلف والمولع (هنا) الشديد التعلق بأمر ما. أبكار المعاني: المعاني المبتكرة (الجديدة) — يصف صلاح الدين بأنه ذو معرفة وذوق بالأدب والشعر.

(٧) الجنان: القلب. الروع: الخوف (الحرب). المدرع: الذي يلبس درعاً (ثوباً منسوجاً من حديد لحماية بدنه في المعارك).

(٨) يثنيه: يرده، يعوقه. خلفاءه (الخلفاء العباسيين). مفعول به، كناية عن الاسلام. عظم العدو (فاعل): كثرة عدده وقوته — الافرنج الصليبيون. «بعاد» شكلها محرر تاج العروس (الكويت ٧: ٤٣٥) بكسر الباء: البعد. الموضع: المكان (كان صلاح الدين في مصر، وكان الخلفاء الذين نصرهم (قاتل أعداءهم) في العراق.

(٩) الجحفل: الجيش الكثير فيه خيل.

(١٠) الوغى: الحرب. حميد الموقع: في محله، نافع، صحيح.

الأضداد في اللغة (تحرير محمّد حسن آل ياسين)، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ — ١٩٥٥م.

** الخريدة (الشام) ٢ : ٢٧٩ — ٢٩١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٥٨ — ٤٦١ ؛ ابن الأثير ١١ : ٥٢٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٠ — ٢٧١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٩٨ .

ابن برّي النحوي

هو أبو محمّد عبدُ الله بن أبي الوحش برّيّ بن عبد الجبّار بن برّيّ المَقْدِسيّ المِصْريّ ، وَلِدَ في القاهرة في خامس رَجَبٍ من سَنَةِ ٤٩٩ (١٤-٣-١١٠٦م) .

أخذَ ابنُ برّيٍ العربيةَ عن أبي بكرٍ محمّد بن عبد الملك الشَنْتَرينيّ النَحْويّ وعن أبي طالب عبد الله بن محمّد بن عليّ المُعافريّ القُرْطُبي وسَمِعَ الحديثَ من أبي صادقٍ المَدينيّ ومن أبي عبد الله الرازيّ. ثمّ تَصَدَّرَ للتدريس في جامع عمرو بن العاص في الفُسطاط (مِصْرَ القديمة) . وكان إليه النظرُ في ديوان الإنشاء لا يَصْدُرُ كتابٌ عن الدولة الى مَلِكٍ من ملوك النواحي الاّ بعدَ أنْ يتَصَفّحَه ويُصْلِحَ ما لعلّه فيه من خَلَلٍ خَفِيٍّ .

وكانتْ وفاةُ ابنِ برّيّ في ٢٧ من شوّالٍ سَنَةَ ٥٨٢ (١١-١-١١٨٧ م) .

كان ابنُ برّيّ من أكابرِ علماء عَصْرِه في اللغة والنحو ، وكان له علمٌ بالفِقْه . وكذلك كانتْ له كُتُبٌ منها : حواشٍ على كتاب الصِحاح (للجوهريّ) — اللُباب في الردّ على أبي محمّد بن الخَشّاب (في ردّ ابن الخشّاب على الحريريّ في دُرّة الغوّاص ، وقد انتصرَ ابنُ برّيّ للحريري) — شرحُ شواهد الإيضاح — غَلَطُ الضُعفاء من أهل الفِقْه .

** وفيات الاعيان ١ : ٤٨١ — ٤٨٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ١١ — ١٨ ؛ بغية الوعاة ٢٧٨ — ٢٧٩ ؛ ابن الأثير ١١ : ٦٢٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٣ — ٢٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٤ ؛ الملحق ١ : ٥٢٩ — ٥٣٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٣٣ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٠٠ .

سبط ابن التعاويذي

١ — هو أبو الفتح محمدُ بنُ عُبيد الله بن عبد الله الكاتبُ ، كان أبوه مولىً تُرْكيّاً للمظفّر رئيس الرؤساء ، وكان اسْمُه نُشْتكين (وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٤ ، ٣٩٩) فغيّره هو وجَعَلَه عبيدَ الله . أما نِسْبَتُه « ابن التعاويذيّ » فقد جاءته من

جدّه لأمه أبي محمد المُبارك بن عليّ بن نصْر السرّاج (٤٩٦ – ٥٥٣ هـ) الجوهريّ الزاهد الصوفي المعروف بابن التعاويذي (ولعلّ المباركَ بنَ محمد كان يكتُبُ التعاويذَ، أي الرُقى والحُروز). ونشأ شاعرنا في كفالة جدّه لأمه فنُسبَ إليه وعُرِفَ باسم «سِبْط ابن التعاويذيّ».

ولد سبط ابن التعاويذي في بغداد (١٠ رجب سنة ٥١٩ = ١٣–٨–١١٢٤). ولمّا شبّ خدم في ديوان الإقطاعات. وله ثلاثُ قصائدَ في صلاح الدين الايوبي أرسلها اليه من بغداد. وفي سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) كُفّ بصرُه. ثم توفّي بعد بضع سنوات، في ٢ شوّال ٥٨٣ (٥–١٢–١١٨٧ م).

٢ – قال ابنُ خلكان (٢ : ٣٩٤): «كان أبُو الفتح شاعرَ وقته... جَمَعَ شعرُه بينَ جزالة الألفاظ وعُذوبتها و (بين) رقّة المعاني ودقّتها، وهو في غاية الحُسن والحلاوة». ورتّب محمودُ سامي البارودي ديوانَ سبطِ ابن التعاويذيّ على الحروف (١٢٩٩ هـ) وعَمِلَ له ديباجة قال فيها: «هو سريع البادرة مليحُ النادرة حذا في شعره حذْوَ ابن نُباته وتمسّك بأذيال الشريف الرضيّ ومشى على آثار مِهْيارَ الديلمي».

وكان سبط ابن التعاويذي قد جَمَعَ شعْره قبلَ عماه ورتّبه أربعَةَ فُصول: مَدْح الخلفاء الراشدين، مدحَ الامراء والاكابر والصدور وغيرهم، ضُروباً مختلفة من مراث وزهد وغزل وعتاب وهجاء. وأما القصائد التي نظَمها سِبْطُ ابنُ التعاويذي بعدَ عَماه فقد سمّاها الزياداتِ ثم ألحقها بديوانه.

ولسبطِ ابن التعاويذي نثرٌ أنيقٌ؛ وله كتاب الحجبة والحجاب نحو خمسَ عشْرةَ كرّاسة (وفيات ٢ : ٣٩٨).

٣ – مختارات من آثاره

– قال سِبْطُ ابنُ التعاويذي في الشِدّة والرخاء:

وقائلة: قُمْ واسْعَ في طَلَبِ الغِنى!	وكيفَ يقومُ المرءُ والحظّ قاعدُ؟
اذا لمْ يكُنْ وقتُ الرّخاءِ بدائمٍ،	فأحْرِ بها ألاّ تدومَ الشدائدُ!

وقال يمدح الخليفة المُستَضيء بقصيدة طويلة منها:

(١) جاءت ترجمة سبط ابن التعاويذي في شذرات الذهب (٤ : ٢٨١) في وفيات سنة ٥٨٤ هـ.

كيفَ تُلْوَى كَتيبةٌ لبني العبّـ ... ـاسِ آلُ النبيِّ فيها لِواءُ[1] !

أقْسَمَ النصرُ لا يُفارقُ جيشاً ... لَهُمُ فيه رايةٌ سَوْداء[2] !

ويَميناً ، لتَمْلِكُنَّ وَشيكاً ... ما أظلّتْه تحتَها الخضراء[3] ؛

ولتُوفي على أقاصي خُراسا ... نَ غداً مِنْكَ غارةٌ شَعْواء[4]

بجُيوشٍ تُصِمّ مَسْمَعَ أهلِ الصـ ... ـينِ منها كَتيبةٌ خَرساء[5] ،

رامياً في بلادِها التُركَ بالتُر ... كِ : فتغزو آباءَها الأبناء !

كلَّ يومٍ أنضاءُ ركبٍ على با ... بِكَ منهم رَكائبٌ أنضاء[6] ؛

ووفودٌ على وفودٍ أبادت ... عِيسَهُمْ في رجائك البَيْداء[7] .

رُسلاً للمُلوكِ ما مُلّكَتْ أم ... راً عليها من قَبْلِكَ الأمراء[8] ،

تَتَنافى اللّغاتُ والدينُ والأخْـ ... ـلاقُ منهم والزيّ والأسماء[9] ؛

ألّفَتْهم مَعَ التبايُنِ نُعْـ ... ـماكَ حتّى كأنّهم خُلَطاء[10] .

---

(١) لوى المدين الدائن بدينه : مطله ، أجله ، أخره – كيف تلوى كتيبة (جيش) كيف يتأخر عنها الظفر والنصر ولواؤها (قائدها) من بني العباس آ ل الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) راية سوداء: عباسية (السواد كان شعار بني العباس وشعار دولتهم) .

(٣) وشيكاً : عما قريب . الخضراء : السماء .

(٤) لتوفي على أقصى خراسان : ستشرف على أبعد مكان في خراسان (ستصل الى أقصى البلاد المعمورة) . غارة شعواء : متفرقة الاتجاهات (ستعم جميع الارض ولا تلزم مكاناً واحداً) .

(٥) تصم مسمع أهل الصين : عظيمة الجلبة (بفتح الجيم واللام: الصوت) لكثرة ما فيها من الرجال والسلاح حتى أن صوتها ليصل الى أبعد بلاد العالم . الكتيبة الخرساء : الكثيرة السلاح الثقيلة الحركة التي يكثر الوقار في رجالها فلا تعلو أصواتهم كيلا يدري بقدومهم أعداؤهم (يحسن ألا نحاسب الشاعر على تناقض قولين في هذا البيت ، فالمقصود عنده التأثير البلاغي لا التقرير العلمي) .

(٦) النضو (بكسر النون) : الذي أهزله وأنحله التعب. يأتي الى بابك كل يوم ركب (وفد) ناحلون، المشقة التي قاسوها (بفتح السين) في الوصول اليك من بلادهم البعيدة. وركائبهم (مطاياهم، الخيل التي يركبونها) أنضاء أيضاً (لطول المسافة ومشقة الطريق) .

(٧) أبادت (أهلكت) عيسهم (نياقهم) البيداء (الصحراء) في رجائك (طمعاً في الحصول منك على هبات وعطايا عظيمة حتى إنهم لم يبالوا ببعد المسافة ومشقة الطريق) .

(٨) –كانت تلك الوفود رسلا يحملون مراسم الطاعة واموال الخراج من ملوك ما بسط سلطانه (بفتح النون) عليهم أحد غيرك من قبل .

(٩و ١٠) لغاتهم وأديانهم وأخلاقهم ... مختلفة (أجنبيون ، لا صلة لبعضهم ببعض) ، ومع ذلك فان نعمتك عليهم (حكمك العادل في بلادهم) جمعت بينهم على تباين (اختلاف) أحوالهم، حتى ليظن الانسان أنهم خلطاء (جمع خليط : المشارك في حقوق الملك كالماء للشرب والطريق للمرور) : الذين تعودوا أن يعيشوا معاً .

نَزَلوا من جَنابِكَ الرَحْبَ * في جَنَّـ ... ـةِ عَـدْنٍ يُظِلُّهـا النَعْماءُ،
يَتَلاقَـوْنَ بالتَحيَّـةِ والإكـ ... ـرامِ : لا بِغضةٌ ولا شَحْناءُ[1] !
فإذا فـارقوا بِـلادَكَ ظَنّـوا ... أنَّهُـمْ في بِلادِهِـمْ غُرَباءُ .

وقال يصف البرق :

آهِ للـبرقِ أضـاءَ ... أيمَـنَ الغَوْرِ[2] عِشاءَ :
عَنَّ عُلْويـاً فلم يُهْـ ... ـدِ لنا الا العَنـاءَ[3] ،
واصِفـاً تلك الوجوهَ الـ ... ـعَرَبِيـاتِ الـوِضـاءَ[4] .
يـا له من ضاحكٍ علَّـ ... ـمَ عَيْنَـيَّ البُكـاءَ .
كان لي داءٌ ، وللأطـ ... ـلالِ أقْوَيْـنَ دَواءُ[5] .
مَـنْ رأى جَذْوةَ نارٍ ... قبلَـهُ تَحْمِـلُ ماءَ !

وقال في بطيخة[6] :

رُبَّ عـذراءَ أتَتْنـا ... وهْيَ في أحسنِ حُلَّهْ ،
تَعْتَريهـا صُفْـرَةٌ في ... لَوْنِهـا من غير عِلَّهْ[7]*.
حُلْـوةُ الريـقِ حَلالٌ ... دَمُهـا في كُلِّ مِلَّهْ .
نِصْفُهـا بَدْرٌ ؛ وإنْ قَـ ... ـسَّمْتَهـا فَهْـيَ أهِلَّهْ !

---

* الرحب (مفعولا فيه أو به) في المكان الرحب. ويجوز الرحب (بكسر الباء) نعتاً للكلمة «جنابك» .

(١) البغضة (بكسر الباء) : البغض والكره . الشحناء : العداوة .

(٢) الغور : الارض المنخفضة ، الوادي الواسع . والشاعر يعني المنطقة (بكسر الميم) الممتدة من ذات عرق (بكسر العين) وهي ميقات الحجيج العراقي (المكان الذي يحرم فيه الحجاج القادمون من العراق) خارج مكة شرقا الى البحر الاحمر .

(٣) عنّ : ظهر . علوياً : من جهة العالية (منطقة عند مكة ، وقرى بظاهر المدينة) . العناء : اشتغال القلب وتعب البال .

(٤) واصفاً : شبيهاً أو يوحي بشبه (لتلك الوجوه) العربيات (البدويات المجاورات للحجاز كأمثال ليل العامرية مثلا) . الوضاء جمع وضيء : حسن ، مليح ، جميل .

(٥) أقوى : أصبح خرباً ماحلا . كان للأطلال التي أقوت دواء (لأنه بشرها بقرب المطر) . كان لي داء (لأنه ذكرني بحب قديم لا سبيل اليه الآن) .

(٦) المفروض أنه يصف بطيخة حمراء الداخل خضراء الظاهر ؛ وهو الذي يسمى في العراق رقي وفي المغرب دلاع.

(٧) ان الجانب الذي يمس الارض من البطيخة (ولا تراه الشمس) يظل أبيض اللون ، فاذا نضجت البطيخة تماماً مال هذا الجانب الى الاصفرار . — والبيتان التاليان يجردان عادة (يذكران وحدهما) ويلقيان لغزاً .

وقال في الغزل والنسيب :

قُلْ لِمَنْ أصْلى هَوَاهـا كَبِدي ناراً تَلَظّى[1] :
يا قَضيبَ البانِ قَدّاً وغزالَ الرَمْلِ لَحْظا ،
أنتِ أحْلى من لذيذِ النّـوم في عيني وأحْظى[2] .
أنتِ من أعذبِ خَلْقِ اللـهِ أخلاقاً ولفْظاً .
فمتى أقْبَلُ نُصْحاً فيكِ أو أسْمَعُ وَعْظاً[3] .
قد بَذَلْتِ الوَصْلَ في الطَيْـفِ ، فلِمْ أعرَضْتِ يقْظى ؟
ما أرى لي – والمَوَدّا تُ حُظوظٌ – منكِ حظّا ،
بعدَ ما ضَيّعْتُ رَعْياً لكِ أيامي وحِفْظاً .
آهِ من رِقّةِ خدّ جعَلَتْ قَلْبَكَ فَظّاً !

٤ – ديوان سبط ابن التعاويذي (بعناية مرغوليوث) ، القاهرة (مطبعة المقتطف) ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) ؛ (نشره يوسف يعقوب مسكوني) ....

** سبط ابن التعاويذيّ من شعراء العراق الفحول في القرن السادس للهجرة ، تأليف يوسف يعقوب المسكونيّ ، (   ) ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .

معجم الادباء ١٨ : ٢٣٥ – ٢٤٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٩٤ – ٢٩٩ ؛ نكت الهميان ٢٥٩ – ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٨ – ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٥٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٤١ .

أسامة بن منقذ

١ – كان بنو نصرِ بن مُنْقِذٍ الكِنانيّ أصحابُ قَلْعةِ شَيْزَرَ (قُربَ حَماةَ في الشام) ذوي إمارة على تلك الناحية ، وكانوا فُرساناً عارفين بالحرب وشُجعاناً أبطالاً وأدباءَ شعراءَ .

وكانَ من أكابرِ آلِ مُنْقذ أسامةُ بنُ مُرْشِدِ بنِ عليِ بنِ مُقَلّدِ بنِ نصرِ ابنِ منقذٍ ، وكان يُكْنى أبا المُظَفّر وأبا شامة ويلقبُ مُؤيّد الدولة ومَجْدَ الدولة .

(١) أصلى : عرض للنار ، أحرق .
(٢) أحظى : أكثر حظوة (أحب الى نفسي) .
(٣) فمتى أقبل نصحاً ... : (للابتعاد عنك وترك حبك) .

وُلِدَ أسامةُ بنُ مُنْقِذٍ في شَيْزَرَ يوم الاحد في ٢٧ جُمادى الأُخرةِ سنة ٤٨٨ (٢٥–٦–١٠٩٥ م)، قَبْلَ حمْلَةِ الإفرنج (الصليبيين) الاولى على الشام بنحوِ عامٍ. ونشأ أسامةُ في شَيْزَرَ وشارك أهله في الدفاع عن حِصْنهم وفي قتالِ الإفرنجِ. وكان شُجاعاً بطلاً مُتهوّراً، وقد لامَهُ أهلُه برُغْمِ التوْفيقِ الذي كان يُصيبه في قتال الإفرنج.

ذهب أسامةُ إلى المَوْصل ودخل في جيش نور الدين زَنْكي (٥٢٣ هـ = ١١٢٩ م). ثم عاد الى شيزر بعد بضع سنين (٥٣٢ هـ) وكانت الامارة لعمّه عز الدين. ويبدو أنّ أُسامةَ ظلّ، برُغْم انقضاء سِنِي الشَّباب، على تَهوّره القديمِ فنفاه عمّه فجاء الى دِمَشْقَ وسكن الغُوطة ثم نال حَظْوَةً عند الأتابك شِهابِ الدين محمود ابنِ تاجِ المُلْك بُوري.

وفي سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) تعرّض «أسامة» في دمشقَ لعددٍ من المكائد فانتقل الى مِصْرَ وعاش في عُزْلَةٍ سوى أنه كان يذهب مرةً بعد مرّة الى الصَّيْد ليعتاضَ به عن خَوْضِ المَعارك. غير أن الفرصةَ عادت فَسَنَحَتْ له فاشترك في الحَمْلَة على عَسْقَلانَ (جنوبَ حيفا بفِلَسطين) سَنَة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ م). ثم عادَ وجهُ الحياة يَتَجَهَّم له في مِصْرَ فرَجَعَ الى دِمَشْقَ (٥٤٩ هـ)، وكانتِ الشامُ قد صارت في مُلْكِ نور الدين. وبُعيدَ عام ٥٥٠ هـ حدثت زَلزلةٌ شديدةٌ هَدَمَتْ شَيْزَرَ فأعاد نورُ الدين بناءها.

وفي ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ذهب أسامةُ الى الحج. وبعد عامين اشترك مَعَ نور الدين في الحملة التي استردّ فيها نورُ الدين مدينةَ حارِمَ (قرب حَلَبَ). ثم اتّفق له ما دعاه الى مُغادرة دِمَشْقَ فذهب إلى حصن كيفا (مدينة في شماليّ العراق) ونزل على صاحبها قره أرْسلان وبقي هنالك عَشْرَ سِنينَ عَظُمَ في أثنائها نَشاطُه الأدبيّ.

وفي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) دعاه صلاح الدين الأيوبي الى دِمَشْقَ ثم حدثت بَيْنَهما نُفْرَةٌ، فلمّا نَقَلَ صلاحُ الدين قاعدةَ مُلْكه الى مِصْرَ ظلّ أسامةُ في دِمَشْقَ حتّى تُوُفّي في ١٣ رَمَضانَ ٥٨٤ (٦–١١–١١٨٨ م) ودُفِن شرقَ جَبَلِ قاسْيون.

٢ – أسامةُ بنُ مُنْقِذٍ فارسٌ بطلٌ وشاعرٌ بارعٌ ومؤلّفٌ قَديرٌ ولاعبٌ

بالشِطْرَنْجِ ، يُضافُ الى ذلك كلّه ثقافةٌ واسعةٌ ومعرفةٌ بفنونِ الحرب وعِزّةُ نفسٍ وكَرَمٌ. وقد مدَحه الشُعراء. وله نثرٌ أنيقٌ في الترسّلِ متينٌ في التأليف. وشعرُه كثيرٌ مطبوعٌ جيّدٌ ؛ والذي وَصَلَ إلينا منهُ مختاراتٌ اختارَها أسامةُ بنفسِه. وشعرُه جزْلٌ فَخمٌ متينُ السبكِ قَليلُ التكلّفِ. أمّا أغراضُ شعرِه فهي الفخرُ والمدح والرثاء والعِتاب وفي عِتابه رقّةٌ ورِفْق ، وغزلُه عاديّ عامّ ولكنه عَذْب. وله وصفٌ وأدبٌ (حِكمة).

ولأسامةَ بنِ مُنْقذٍ من الكتب : كتاب الشيب والشباب – ذيل يتيمة الدهر (للثعالبي) – كتاب تاريخ أيامه – كتاب أخبار أهله – كتاب الاعتبار – كتاب البديع في البديع – كتاب العصا – كتاب المنازل والديار – كتاب القضاء – تلخيص مناقب العمرين[1] لابن الجوزي . وله مجموع اسمه لاميّة (لباب ؟) الأدب (فيه : كتاب الوصايا ، كتاب السياسة ، كتاب الكرم وإطعام الطعام ، كتاب الشجاعة ، كتاب الأدب ، كتاب البلاغة ،(كتاب ألفاظِ من الحكمة في معانٍ شتّى). وله مجموع من شعره اختاره بنفسه .

٣ – مختارات من آثاره

– لَقِيَ أسامةُ مَصائبَ كثيرةً ونزَلَتْ في قلبِه الهمومُ فقال :

قالوا نَهتْهُ الأربعونَ عـن الصِبا ، وأخو المشيبِ يَجُورُ ثُمّتَ يَهتدي.
كم جارَ في ليـلِ الشبابِ فدلّـه صُبْحُ المَشيب على الطريق الأقصد[2].
واذا عَدَدتَ سِنِيَّ ثمّ نَقَصْتُها زَمَنَ الهمومِ فتلك ساعةُ مَولِدي !

– وقال في تبرير تهوّره :

لأرمِيَـنّ بنفسي كُلَّ مَهلَكَةٍ مَخوفةٍ يَتَحاماهـا ذوُو البـاسِ
حتى أُصادِفَ حَتْفي ، فهو أجْمَلُ بي من الخُمولِ وأستغني عـن الناس .

– وقال يرثي ولده عتيقاً :

غالَبَتْني عليك أيـدي المَنايا ، ولهـا في النفوس أمرٌ مُطاعُ ؛
فتَخلّيتُ عنك عَجزاً ، ولو أغْـ ـنى دِفاعي لَطالَ عنك الدفاع .

(١) عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .

(٢) جار : مال عن الطريق السوي ، ضل . الاقصد : المعتدل : المستقيم .

وأرادتْ جميلَ صَبري فرامتْ مَطْلَباً في الخُطوبِ لا يُستطاع[1] .

ــ مَدَحَ أُسامةُ بنُ مُنقذٍ صَلاحَ الدين الأيوبيَّ بقصيدةٍ منها :

أنا جارُه ، ويَدُ الخُطوبِ قَصيرةٌ عن أن تنالَ مُجاوِرَ السُلطانِ .
خَضَعَتْ له صيدُ الملوكِ ، فمن بَرى أقلامِه غُرَرٌ على التيجان[2] .
يا ناصرَ الإسلامِ ــ حينَ تَخاذَلَتْ عنه الملوكُ ــ ومُظْهِرَ الإيمان ،
بِكَ قَدْ أعزَّ اللهُ حِزبَ جُنُودِه وأذلَّ حِزْبَ الكُفْرِ والطُغيان .
لمّا رأيتَ الناسَ قد أغواهُمُ الشَيْطانُ بالإلحادِ والعِصيان
جرّدتَ سَيْفَكَ في العِدى ، لا رغبةً في المُلْكِ بل في طاعةِ الرحمن ؛
فضَرَبْتَهُمْ ضَرْبَ الغرائبِ واضعاً بالسيف ما رَفَعوا من الصُلْبان[3] .
وغَضِبْتَ للهِ الذي أعطاكَ فَصْلَ الحُكْمِ غَضْبَةَ ثائرٍ حرّان[4] ؛
فقتَلْتَ مَن صَدَق الوغى[5] ، ووَسَمْتَ من نجّى الفِرارُ بذِلّةٍ وهوانِ .

ــ كتب القاضي الفاضل[6] الى أسامةَ بنِ منقذٍ رسالةً ، فردَّ عليه أسامةُ برسالةٍ طويلة جاء فيها :

« .... وما عسى أن يقولَ مُطريه ومادحُه ، والفضل نُغبة[7] من بَحْرِه الزاخرِ ، وقطرة من سحابه الماطر : تفرّد به فما له فيه من نظير ، وسَبَقَ مَنْ تقدّمه في زمانه الأخير . فتَقَ عن البلاغة أكماماً[8] تزيّنت الدنيا منها بالأعاجيب ، وأتى بآياتِ فصاحةٍ كادت أن تُتلى في المحاريب ؛ اذا استُنْطِقَتْ[9] ازْدَحَمَتْ

---

(١) أرادت جميل صبري : أرادت (المنايا) أن تسلبني صبري .

(٢) الصيد جمع أصيد : متكبر ، ملك قوي . برى أقلامه (؟) . برى (بفتح الباء) : التراب . لعله يقصد برى (بفتح الباء وسكون الراء وبالياء) ؛ ولكن المعنى يظل غامضاً . لعله يقصد من برى أقدامه : من تراب (غبار حوافر خيله في الحرب) .

(٣) الغرائب : الابل التي تشذ في المرعى عن القطيع تضرب بالحجارة (من بعيد) حتى تعود الى قطيعها في المرعى . وضع : هدم . رفع : بنى .

(٤) الحران : الشديد الحرارة (شديد الرغبة في الانتقام). (٥) من حارب بصدق وحماسة .

(٦) القاضي الفاضل كاتب منشىء بارع ، راجع ، تحت ، ص ٤١١ .

(٧) أطرى يطرى : مدح . النغبة (بضم النون) : الجرعة (من الماء أو اللبن) .

(٨) الأكمام جمع كم (هنا) : كأس الزهرة (الاوراق الخضر التي تغم الزهرة قبل تفتحها) .

(٩) كادت أن تتلى في المحاريب (كاد الناس أن يقرأوها في الصلاة ــ هذه مبالغة مذمومة) . استنطقت (بالبناء للمجهول) نطق بها .

عليها العقولُ والأسماعُ ، ووَقعَ على الإقرار بإعجازها الاتّفــاق والإجماع . فسُبْحانَ من فضّله بالبلاغة على الأنام ، وذلّل له بديعَ كلامٍ ما كأنه من الكلام : تَعْجِزُ عن سُلوك سبيله الأفهامُ وتَحار في إدراك لُطفِ معانيهِ الأوهام ؛ هو سِحْرٌ لكنّه حَلال ، ودُرّ إلا أنّ بحرَه حُلْوٌ سَلْسال ...[1] »

٤ – ديوان أسامة بن منقذ (حقّقه أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد) ، القاهرة (منشورات وزارة المعارف العامّة : الادارة العامّة للثقافة – ادارة نشر التراث العربي) ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٣ م .

كتاب الاعتبار (حرّره ديرنبرغ) ، باريس (مطبوعات معهد اللغات الشرقية الحيّة) ، باريس ١٨٨٦ م ؛ (حرّره فيليب حتّي) برنستون (مطبعة جامعة برنستون) ١٩٣٠ م .

البديع في نقد الشعر (بتحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ومراجعة ابراهيم مصطفى) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، القاهرة (البابي) ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠م) .

كتاب العصا (في نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) .

لباب الآداب (نشره أحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (لويس سركيس) ١٩٢٥ م ؛ ثمّ (المطبعة الرحمانية) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

كتاب المنازل والديارات (عني بنشره أنس خالدوف) ، موسكو (معهد الشعوب الآسيوية) ١٩٦١م .

* شخصيّات عربية ، تأليف نقولا عبدو زيادة ، يافا (شركة الطباعة اليافيّة) ١٩٤٥ م .

أسامة بن منقذ ، تأليف أحمد كمال زكي ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م (أعلام العرب ٧٩) .

أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، تأليف محمّد أحمد حسين ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٦ م .

وتجد نصوصاً لأسامة بن منقذ ونصوصاً تتعلّق به (باللغة العربية) في مجموعة عنوانها :

Anthologie des textes arabes inédits par Ousama, par H. Derenbourg, Paris 1893.

معجم الادباء ٥ : ١٨٨ – ٢٤٥ ؛ الخريدة (الشام) ١ : ٤٩٨ – ٥٥١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١١٠ – ١١٢ ؛ تاريخ دمشق ٢ : ٤٠٠ – ٤٠٤ ؛ ابن الأثير ٢١ : ٢١٩ – ٢٢١ ، ٢٨٥ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٩ – ٢٨٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٧٦ – ٢٨٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٩ – ٣٩١ ، الملحق ١ : ٥٥٢ – ٥٥٣ ؛ زيدان ٣ : ٦٦ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٨٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١٠٤٧ – ١٠٤٨ .

---

(١) السلسال (بفتح السين) : ماء عذب صاف يسهل مروره في الحلق . مع أن الدر (اللؤلؤ) يوجد في البحر (الماء المالح) .

موفق الدين محمد البحراني الإربلي

١ – كان ابو عبد الله محمدُ بنُ يوسفَ بن محمد بن قائد تاجراً من أهل إرْبِل (قُرْبَ المَوْصل في العراق) يتْجر باللؤلؤ يَحْمِلُهُ من البحرين إلى العراق، فوُلِدَ ابنُه محمدٌ صاحب هذه التَرْجَمة في البحرين وفيها نشأ وبَدأ ينْظِمُ الشِعْرَ.

رَحَلَ موفّق الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ يوسُفَ البَحْراني الإرْبِلِيّ إلى شَهْرَزورَ بفارس ومكث فيها مُدّةً ثم جاء إلى دِمَشْقَ ومَدَحَ السُلْطانَ صَلاحَ الدين الأيوبي. وكانت وفاته في إرْبِلَ في ٣ ربيعٍ الآخر سَنَةَ ٥٨٥ (٢٠–٥–١١٨٩م).

٢ – البَحْراني الإرْبِلي إمامٌ مقدّم في علوم العربية متفنّن في أنواعِ الشِعر عارفٌ بعلم العَروض والقافية حاذقٌ في نَقْدِ الشعر حَسَنُ الاخْتيار له. وشعره متينٌ عذبٌ. وكان قد اشْتغلَ بشيء من علوم الاوائل (الفلسفة) وحلّ كتاب إقْليدِس (في الهندسة). وله رسائل حسنة.

٣ – مختارات من شعره

– قال البحراني الأربلي في مطلع قصيدة طويلة يَمْدَحُ فيها زينَ الدين أبا المُظفر يوسفَ بنَ زينِ الدين صاحبَ إرْبِلَ:

رُبَّ دار بالغضا طال بَلاها … عكف الركْبُ عليها فبكاها[1].

دَرَسَتْ إلاّ بقايا أسْطُرٍ … سَمَحَ الدهرُ بها ثم مَحاها.

كان لي فيها زمانٌ وانقَضى؛ … فسقَى اللهُ زَماني وسَقاها!

وَقَفَتْ فيها الغَواني وَقْفَةً … ألْصَقَتْ حرّ حَشاها بثَراها،[2]

وبَكَتْ أطلالَها نائبَةً … عن جفوني؛ أحْسَنَ اللهُ جزَاها.

قُلْ لِجيرانٍ مواثيقُهُمُ … كُلّما أحكَمْتُها رَثّت قُواها:[3]

كُنْتُ مشغوفاً بكُمْ إذْ كُنْتُمُ … شَجَراً لا يَبْلُغ الطير ذُراها،

لا تَبيتُ الطيرُ الاّ حَولَها … حرَسٌ تَرْشَحُ بالموت ظُباها[4].

واذا مُدّت إلى أغْصانِها … كَفُ جانٍ قُطِعَتْ دونَ جَناها[5].

---

(١) الغضا: نوع من الشجر (غابة) في الحجاز. بلاها – بلاؤها (مصائبها). الركب: الجماعة المسافرون.

(٢) ألصقت حر حشاها بثراها (بترابها)! من شدة الحزن (!).

(٣) أحكمتها: شددتها، (أتقنت ربطها). رثت: تهرأت، ضعفت. القوى (جمع قوة): طاقات من الخيطان تفتل فتصبح حبلا.

(٤) الظبا: السيوف.

(٥) جان (الجاني): الذي يقطف الثمر – المذنب.

فتراخى الأمرُ حتى أصبحتْ هَمَلاً يَطْمَعُ فيها من يَراها.
تُخْصِبُ الارضُ ، فلا أقْرَبُها رائداً إلاّ إذا عَزّ حِماها.
لا يراني اللهُ أرْعى رَوْضةً سَهْلَةَ الأكْناف من شاء رَعاها !
واذا ما طَمَعٌ أغْرى بِكُمْ عَرَضَ اليأسُ لنَفْسي فثَناها.
فصَبابات الهوى أوّلُها طَمَعُ النفسِ ، وهذا مُنْتَهاها.
لا تَظنّوا لي إليْكم رَجْعَةً كَشَفَ التَجْريبُ عن عيني عَماها.
إنّ زينَ الدين أوْلاني يَداً لم تَدَعْ لي رَغْبَةً فيما سِواها.

٤ - ** وفيات الاعيان ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨٤ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٢٣ .

محي الدين الشهرزوري

١ - هوَ أقْضى القُضاة مُحْيِي الدين أبو حامد مُحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الله ابنِ القاسمِ بنِ المُظَفّرِ بن عليّ الشهرزوريّ ، وُلِدَ في المَوْصِل في سَنَة ٥١٠ هـ[1] .

سَمِعَ مُحْيِي الدين الشهرزوريّ مِنْ عَمّ أبيه أبي بكرِ بنِ القاسمِ ، ودَخَلَ بَغْدادَ فتَفَقّهَ على أبي منصورِ بنِ الرزّاز (٤٦٢ - ٥٣٩ هـ) تلميذِ الغزّالي (٥٠٥ هـ) وَتَولّى القضاءَ في الموصل . ثمّ إنّه انتقل إلى الشام وتولّى قضاءَ الشامِ نيابةً عن والدِه . وكذلك تولّى القضاءَ في حَلَبَ (رَمَضان ٥٥٥)[2] نيابةً عن والدِه أيضاً .

وبعدَ مَوْتِ والده علَتْ مَنْزِلَتُهُ وعَظُمَ نُفوذُه عِنْدَ المَلِكِ الصالح اسماعيلَ بنِ نورِ الدين صاحبِ حَلَبَ ففوّض اليه الملكُ الصالحُ تدبيرَ مملكةِ حَلَبَ ، في شَعْبانَ ٥٧٣ هـ (١١٧٨ م) . بعدَئِذ وُشِيَ به إلى الملكِ الصالح فلَزِمَ بَيْتَه ثمّ فارقَ حَلَبَ راجعاً الى المَوْصِلِ ؛ وفي المَوْصل تولّى القضاءَ ودرّسَ في المدرسة التي كانَ والدُه قد أنْشأها، وفي المدرسةِ النظامية أيضاً . ثم بَلَغَ مرتبةً ساميةً عند عزّ الدينِ مسعودِ بنِ قُطْبِ الدين مودودِ بنِ زنكي صاحبِ الموصل (٥٧٢ - ٥٨٩ هـ) ففوّض عزّ الدين اليه النظرَ في جميع الأمور .

---

(١) قيل سنة ٥١٩ هـ .

(٢) قيل في شعبان سنة ٥٥٦ .

وكانت وَفاةُ مُحْيِي الدين الشهرزوريّ في ١٤ جُمادى الأولى سَنَةَ ٥٨٦[1] (٢٠ - ٦ - ١١٩٠ م).

٢ - مُحْيِي الدين الشهرزوريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ بَعْضَ الإحسان، ويبدو أنّه شاعرٌ مُكْثِرٌ. أما فُنونُه فَهِيَ الوصفُ والزُهْدُ، وله شعرٌ في التَوْحيد (في الله) وفي مدح الصَحابة، وقد رَثَى أباه بقصيدةٍ طويلةٍ. وكذلك كان كاتباً مُتَرَسِّلاً مُجيداً.

٣ - مختارات من شعره

- سَقَطَ الثلجُ في بَغْدادَ يوماً (بِكَثْرةٍ) فقالَ مُحْيِي الدين الشهرزوري:

ولمّا شابَ رأسُ الدهرِ غَيْظاً ... لِما قاساه من فَقْدِ الكِرامِ،
أقامَ يُميطُ عنه الشَيْبَ عَمْداً ... ويَنْشُرُ ما أماطَ على الأنامِ[2]!

- وقال في الحِفاظ على الصديق:

إن تَبَدَّلْتَ بي سِوايَ فإنّي ... لَيْسَ لي ما حَيِيتُ[3] مِنكَ بَديلُ:
لِيَ أذْنٌ - حتّى أناجيكَ - صَمّا ... ءُ، وطَرْفٌ - حتّى يَراك - كَليلُ[4].

- وقال في الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم:

شُمُوسٌ إذا جَلَسوا في الدُسوتِ ... بُدورٌ إذا أظْلَمَ القَسْطَلُ[5]؛
غُيوثٌ إذا ضَنَّ قَطْرُ السماء ... لُيوثٌ إذا زَحَفَ الجَحْفَلُ[6].
فكُلُّهُمُ سادةٌ لِلأنامِ ... ولكِنْ أبو بكرٍ الأفضلُ.
وكُلُّهُمُ صَحِبَ المُصْطفى ... ولكِنْ أبو بكرٍ الأوّلُ[7].

---

(١) في الوافي بالوفيات (١ : ٢١٠) أن وفاته كانت في جمادى الآخرة من سنة ٥٨٤.

(٢) ماط وأماط: أبعد، نحى الأنام: الناس (صبغ الدهر شعره بالسواد حزناً على فقد الكرام، فألقى بياض شعره على الناس فغطى هذا البياض جميع الدنيا!).

(٣) ما حييت: مابقيت حياً.

(٤) أناجيك: أخاطبك (ولو سراً). طرف: عين، بصر. كليل: ضعيف، مريض (لا يرى).

(٥) الدست: مجلس ذوي المصائب (مجلس الوزير مثلا). القسطل: الغبار. (هم أهل لأن يملأوا المناصب العالية ثم هم ينقذون الناس من المناصب والشدائد - إذا أظلم القسطل).

(٦) غيوث: أمطار (كرماء). ضن: بخل. ليوث: أسود (شجعان). الجحفل: الجيش الكثير في الحرب.

(٧) المصطفى: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. أبو بكر الأول: أول الذين دخلوا في الاسلام ثم كان صديقاً للرسول قبل الاسلام.

٤ – ** خريدة (الشام) ٢ : ٣٢٩ – ٣٣٩ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٢١٠ – ٢١٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٦٣ – ٢٦٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٥٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨٧ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥٢ – ٢٥٣ .

السهروردي المقتول

١ – هو شهابُ الدينِ أبو الفتوحِ يَحيى بنُ حبَشِ بنِ أميرَك[1] المعروفُ بالشيخِ الحكيمِ المقتولِ ؛ وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

قرأ شهابُ الدينِ السُهْرَوردي الحِكمة وأصولَ الفِقْه على الشيخِ مَجْدِ الدين الجيلي بمدينة المَراغة (آذربيجان) . ثم انه تَطوّفَ في البلادِ وأقام مدةً في بَلاط قليج أرسلانَ الثاني (٥٥١ – ٥٨٨ هـ) في قُونيَةَ (بلادَ الرُوم : آسيةَ الصُغرى) ، وزارَ دِمَشْق وميّافارقين . ويبدو أن السُهرورديّ كان في المَشْرِق فأتي إلى بَغدادَ وأقامَ فيها مُدّةً صَحِبَ في أثنائها الشيخَ فخرَ الدين الماردينيَّ فأسَرَّ السهرورديّ إلى الشيخِ فخرِ الدين بأشياءَ كثيرةٍ منها أنه يُريدُ أن يَمْلِكَ العالَمَ ، فكانَ الشيخ فخرُ الدين يَتَخوّفُ عليه عواقبَ آرائه .

في سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) غادرَ السُهْرورديّ بَغدادَ الى حَلَبَ وأخذ بنَشْرِ مذهبِه فيها فثارَ عليه العلماءُ من أهلِ السُنّةِ وشكَوْهُ الى أميرِ المدينةِ المَلِكِ الظاهرِ بنِ صلاحِ الدينِ الأيوبيّ ؛ فجَمَعَ المَلِكُ الظاهرُ بينَ السُهرورديّ وبينَ أولئك العلماءِ في مَجْلِسٍ للمناظرةِ ؛ فيُقال إنّ السُهرورديّ تغلّب عليهم بالجدالِ . ثم صَدَرَتْ عنه أقوالٌ وأعمالٌ من الإلحادِ والمَخْرَقة فثارَ عليه الناسُ فرأتِ الدولةُ في أقوالِه وأعماله خطَراً كبيراً ؛ فأمرَ صلاحُ الدينِ ابنَه المَلِكَ الظاهرَ بقتلِ السُهرورديّ فقُتِلَ السُهرورديّ في قلعة حَلَبَ في ٥ رجب ٥٨٧ (٢٩–٧–١١٩١ م) .

٢ – كان السُهروردي المقتولُ في أولِ أمرِه فقيهاً شافعياً وأصولياً[2] ، كما كان مُلِماً بعَدَدٍ من عُلومِ الأوائل ، وخصوصاً في الفلسفةِ والكيمياء والسيمياء

---

(١) أميرك = أمير (بالتصغير : كلمة أمير العربية من علامة التصغير «ك» من الفارسية).

(٢) الفقه يبحث في فروع الدين (كالصوم والصلاة والبيع والارث) . علم الأصول علم يبحث في أسس الدين وعقائده (كالتوحيد ، والدليل على وجود الآخرة والرسالة وحقيقة النبوة وحكمة التشريع ، الخ) . علم الكلام علم غايته الدفاع عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية : مزج الدين بشيء من النظر الفلسفي .



فيما قيل. ثمّ إنه اتّخذَ مَذْهباً صُوفياً مُتطرّفاً[1] فارقَ به رأيَ أهلِ السُنّةِ والجَماعة في الدين. ومزج السّهرورديّ المقتولُ مذهبَه الصوفيَّ بشيء من فلسفةِ أرسْطو (الماديّةِ الواقعيةِ) وبشيءٍ من المذهبِ الاسكندرانيّ القائمِ على جوانبَ من آراءِ فيثاغوراس وأفْلاطونَ تَميلُ إلى تَفْسير الوجودِ الماديّ تفسيراً روحانياً؛ كما استَمَدّ عَدَداً من آرائه الطبيعية والماورائية، في الفَيْضِ خاصّةً، من إخوان الصَفا وابن سينا. أما عُمْدَةُ السّهرورديّ في تصوّفِه فكانتِ الإشراقَ أو حِكْمَةَ الإشراقِ، وذلك أنّ الوجودَ نفسَه من نورٍ، وانّ النورَ جوهرُ الوجودِ وحقيقته، وأنّ اللهَ نفسَه نورٌ، بل هو نورُ الأنوارِ؛ وأن معارفَنا تأتي إلينا، من طريــق الإشراقِ: من ذلك النور. ولكنْ كانَ يُلْمَحُ في أقواله اعتقاد بالهينِ اثنينِ: إلهِ النورِ وإلهِ الظُلْمة.

ولقد عبّر السُهرورديّ المقتولُ عن ذلك كلّه نَثْراً وشِعراً باللُغتين العربيةِ والفارسيةِ على طريقةِ أهلِ التصوّف. وله مُصَنّفاتٌ منها: التلويحات اللوحيةِ والعرشية — المقامات (وهو لواحق على التلويحات) — المشاريع والمطارحات — اللمحات — الالواح العمادية — رسالة في وصف العقول. وله في التصوّف والفلسفة: هياكل النور — حكمة الاشراق — مقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم — المناجــاة. — الأربعون اسماً الإدريسية — الغربة الغربية (على مثال رسالة الطــير وحيّ بن يقظان لابن سينا؛ أشار فيها الى حديث النفس) — بستان القلوب — كشف الغطاء لإخوان الصفاء — المعارج — الكلمات الذوقية والنكات الشوقية.

٣ — مختارات من شعره

— أجود شعر السهروردي المقتول قصيدته الحائية المشهورة، وفيها كثير من تعابير الصوفية (وسأشرح في الحاشية عدداً من الألفاظ التي لا بدّ من شرحها. أما شرح المدارك الصوفية فيها فأمر يطول، ثم هو قابل للأخذ والردّ).

أبَــداً تَحِنّ إليكُمُ الأرواحُ؛ ووِصالُكُــمْ رَيْحانُها والراحُ[2].

---

(١) التصوف اتجاه فكري غايته تفسير مظاهر العالم المادية تفسيراً روحياً. فلسفة أرسطو فلسفة مادية واقعية عملية تقوم على النظر الى العالم كما هو وعــلى تفسير مظاهره تفسيراً مربوطاً بالاسباب المادية التي ينتج (بالبناء للمجهول) منها نتائج مادية. المذهب الاسكندراني مذهب يستخدم الفلسفة لتفسير المدارك الدينيــة في المسيحية ويقوم على الفيض (أي صدور هذا العالم المادي عن الله الروحي تمهيداً لتفسير الرأي المسيحي القائل بأن عيسى بن مريم اله او ابن لله (تعالى الله).

(٢) الخطاب للعزة الالهية (لله). الريحان: نبات طيب الرائحة؛ الاطمئنان الروحي. الراح: الخمر؛ السرور.

وقلوبُ أهلِ وِدادِكم تَشْتاقُكُمْ ... وإلى لذيذِ لِقائكُمْ تَرْتاح

وارَحْمَتا للعاشقين ! تكلّفوا ... سَتْرَ المَحبّةِ ، والهَوى فضّاح

بالسرّ إنْ باحوا تُباح دِماؤهم ؛ ... وكذا دِماءُ البائحين تُباح(1) !

صافاهُمُ فصفَوْا له ، فقُلوبُهم ... في نورِها المِشكاةُ والمِصباح(2) .

فتَمتّعوا ، والوقتُ طابَ بقُرْبِهِم : ... راقَ الشرابُ ورقّتِ الأقداح .

لا ذَنْبَ للعُشّاقِ إنْ غَلَبَ الهَوى ... كِتْمانَهُمْ ، فنَمّا الغرامُ فباحوا .

سَمَحوا بأنْفُسِهِمْ وما بَخِلوا بها ... لمّا دَرَوْا أنّ السَّماحَ رَبَاح(3) .

ودَعاهُمُ داعي الحقائقِ دَعوةً ... فغَدَوْا بها ، مُستأنِسين، وراحوا(4) .

لا يَطْرَبونَ لغيرِ ذِكْرِ حَبيبِهم ... أبداً ، فكلّ زَمانِهِمْ أفراح(5) .

حَضَروا فغابوا عن شُهود ذَواتِهم ؛ ... وتَهتّكوا لمّا رأوْهُ وصاحوا(6) .

أفناهُمُ عَنْهُمْ – وقد كُشِفَتْ لَهُمْ ... حُجُبُ البقا – فتَلاشَتِ الأرواح(7) .

فتَشبّهوا إنْ لم تكونوا مِثْلَهم ؛ ... إن التَّشَبُّهَ بالكِرامِ فَلاحُ !

٤ – حكمة الاشراق مع تعليقات لصدر الدين الشيرازي ، شيراز ١٣١٣ – ١٣١٥ ﻫ .

هياكل النور ، القاهرة (صبري الكردي – مطبعة السعادة) ١٣٣٥ ﻫ .

حيّ بن يقظان (في مجموع ثلاث رسائل عنوانها حيّ بن يقظان – نشرها أحمد أمين) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م .

مجموعة في الحكمة الالهية (عني بتصحيحه كوربين) ، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ م .

---

(١) السر : حقيقة الالوهية .

(٢) المشكاة والمصباح : اشارة الى قوله تعالى (٢٤ : ٣٥ ، سورة النور) : « الله نور السموات والارض ؛ مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، الآية » (المصباح : السراج المنير . المشكاة : العمود ، الكوة يوضع فيها السراج) .

(٣) السماح : الكرم . رباح : ربح (حينما يسمح المخلوق بنفسه حتى تتصل نفسه بالخالق – وتفنى عن وجودها الدنيوي – يكون في ذلك ربح له !) .

(٤) داعي الحقائق : حب الحقيقة ؛ الله . دعوة= دعوة الى الاتصال به. غدا (ذهب في الصباح) وراح (رجع في المساء)= قضوا يومهم (أيامهم ، حياتهم).

(٥) الحبيب في اصطلاح الصوفية عامة هو رسول الله. هنا هو الله.

(٦) حضروا (في طور الولاية) : شهدوا (أدركوا ، بانت لهم) حقيقة الله . غابوا عن شهود ذواتهم : غفلوا عن وجودهم الانساني . تهتكوا : باحوا في أثناء نشوتهم الصوفية بما لا يجوز لهم أن يبوحوا به . صاحوا : أعلنوا ذلك على جميع الناس (مع أن هذا السر لا يطيقه الا خاصة الخاصة من الصوفية) .

(٧) افناهم عنهم : أنساهم الله وجودهم الانساني . كشفت لهم حجب البقاء : رفع لهم الستر الذي يحجب حقيقة الألوهية عن مدارك جمهور الناس . تلاشت الأرواح : فقد الجسم شعوره الدنيوي (لأن صاحبه قد اتصل بالله وأصبح مع الله واحداً بالعدد) .

** شواكل الحور في شرح شواهد النور (شرحها محمّد الدوّاني من أحياء القرن التاسع للهجرة — نشرها محمّد عبد الحق ومحمّد يوسف كوكن)، مدراس بالهند (مكتبة المخطوطات الشرقية) ١٩٥٣ م.
شخصيّات قلقة في الاسلام (فيها دراسة عن السهردوري المقتول)، تأليف لويس ماسينيون (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٦ م.
معجم الادباء ١٩ : ٣١٤ — ٣٢١؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٥٦ — ٢٦٠؛ طبقات الاطبّاء ٢ : ١٦٧ — ١٧١؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٩٠ — ٢٩٢؛ بروكلمان ١ : ٥٦٤ — ٥٦٦، الملحق ١ : ٧٨١ — ٧٨٣؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٦٩ — ١٧٠.

سراج الدين الأوشي

١ — هو سِراجُ الدين عليّ بنُ عثمانَ بنِ محمّد الشهيدي الأُوشيّ الفَرْغانيّ، وُلِدَ في أوش (بضمّة مختصرة)، وَهِيَ بَلَدٌ في فَرْغانَة (على الجانب الجنوبي من نهر سَيْحونَ أو سِير داريا)؛ ويُعْرفُ أيضاً بإمام الحَرَمين مِمّا يَدُلّ على أنّه زارَ الحِجازَ فسَمِعَ الناسُ هنالك منهُ شيئاً من فُروعِ العِلْم. وكانَتْ وفاتُهُ في أواخرِ القَرْنِ السادسِ أو أوائل القرن السابع للهجرة (١١٩٦ — ١٢٠٥ م).

٢ — تقومُ شُهْرَةُ سِراجِ الدين الأوشي على قصيدتهِ اللاميّة في التوحيد، والتي اشتهرت باسمِ «بَدْء الأمالي» (نسبة الى مطلعها)؛ وقد اشتهرتْ هذه القصيدةُ كثيراً فشَرَحها نَفَرٌ كثيرون، ونُقِلَتْ إلى الفارسية والتركية. وللأوشي مَنْظوماتٌ أخرى. وكذلك كان الأوشي فقيهاً أصولياً أشعريّاً على مذهب أهلِ السُنّة والجماعة مائلاً عن مذهبِ الاعتزال. وللأوشيّ مصنّفات منها : الفَتاوى السِراجية (انتهى من تأليفها سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م) — نور السراج — غرر الأخبار ودرر الأشعار (منه موجز : «نصاب الأخبار وتذكرة الأخيار» يتألف من ألف حديث قصار مبوّبة في مائة فصل) — مشارق الانوار في شرح نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار — شرح منظومة عمر النسفي في الخلاف (اختلاف الفقهاء) سمّاها مختلف الروايـة.

٢ — سراجُ الدين عليّ بنُ عُثمانَ الأوشيّ مُحَدّثٌ وفَقيهٌ حَنَفيّ، ولكنّ له قصيدةً لاميّة شَرَحَها نَفَرٌ كثيرون ونُقِلَتْ إلى اللغة الفارسية والتُركية، وقد بَلَغَ من شُهْرَتِها أنها صارت تُعْرَفُ بقصيدة «بدء الأمالي» كما تُعْرَفُ

قصيدةُ البُرْدَةِ لكعبِ بنِ زُهيرٍ بقصيدة « بانتْ سُعاد »[1] ، مع الفارق الكبيرِ في القيمة بينَ القصيدتين .

قصيدةُ « بدء الأمالي » ضعيفة اللغة وليس لها طلاوة . وقد جَمَعَ الأوشيّ في هذه القصيدة عدداً من آراء الأشعريةِ (آراء أهل السنّة والجماعة) ونَصَرَها وردّ على المعتزلة[2] .

٣ — مختارات من شعره

— من قصيدة « بدء الأمالي » للأوشي :

يقولُ العبدُ في بـدءِ الأمـالي لتَوْحيـدٍ بنظـمٍ كاللآلي :[3]
إلـه الخلقِ مولانـا قـديمٌ وموصوفٌ بأوصـافِ الكمال[4].
هو الحيّ المُدَبِّرُ كـلَّ أمرٍ ، هو الحقّ المُقَدّر ذو الجلال ؛
مُريـدُ الخيرِ والشرِ القبيح ، ولكنْ ليس يرضى بالمُحـال[5].
صفاتُ الله ليست عينَ ذات ولا غيراً سواه ذا انفصـال[6].
صفات الذاتِ والأفعـالِ طُرّاً قديمـاتٌ مصونـاتُ الـزوال.
وما القـرآنُ مخلوقـاً ، تعـالى كلامُ الربّ عن جِنْسِ المَقال[7].
وربُّ العرشِ فوقَ العرشِ ، لكن بلا وَصْفِ التَمَكّنِ واتّصال[8].

---

(١) راجع في الجزء الاول ، ص ٢٨٣ .

(٢) راجع الجزء الاول ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ؛ ثم راجع فوق ، ص ٢ : ٣٧ . وراجع المصادر والمراجع المتعلقة بعلم الكلام ؛ راجع مثلاً « تاريخ الفكر العربي » للمؤلف (الطبعة الثانية)، ص ٢١٦ وما بعد .

(٣) توحيد = توحيد الله .

(٤) قديم (عند الاشعرية) : سابق على كل شيء موجود وسابق على الزمان أيضاً . قديم (عند الفلاسفة والمعتزلة): لا سبب لوجوده .

(٥) هو = الله ، يريد من العبد (الانسان) أن يفعل الخير وأن يفعل الشر ، ولكنه لا يرضى بالمحال (الذي لا حكمة في فعله) .

(٦) صفات الله (قديم ، حكيم ، غفور ، رازق الخ) ليست هي هو ، بل هي زائدة على ذاته ولم تكن يوماً منفصلة عنه (هي قديمة كقدمه) .

(٧) القرآن غير مخلوق (غير حادث ، كما خلق الله الجبال والبشر مثلا) ، ومع ذلك فان الله لا يتكلم كلاماً يشبه كلام البشر .

(٨) التمكن = الوجود في المكان (على الشكل المألوف في قعودنا نحن) : الاتصال، المماسة (بين القاعد على العرش و بين العرش) .

ولا يَفْنى الجحيمُ ولا الجِنانُ ؛ ولا أهلوهما أهلُ انتقالِ[1].
يراه المؤمنون بغير كيفٍ وإدراكٍ وضَرْبٍ من مِثالِ ؛[2]
فيَنْسَوْنَ النعيمَ إذا رَأَوْهُ ؛ فيا خُسرانَ أهلِ الاعتزالِ !

٤ ــ مجموع مهمّات المتون ، القاهرة ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٥ هـ .
الفتاوي السراجية ، كلكتا (طبع حجر) ١٨٢٧ م ؛ لكنهو ١٢٩٣ ــ ١٢٩٥ هـ .
القصيدة اللامية : « يقول العبد في بدء الامالي » (مطبوعة مع مجموع مهمّات المتون وغيره من المجاميع) مصر ١٢٧٣ ، ١٢٧٦ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٤ ؛ ١٣٠٦ ، ١٣٢٣ هـ ؛ استانبول (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ جاوه (طبع حجر) ١٣١٨ هـ ؛ (تحرير بولون) ، رجّومونتي = كونيكسبرغ ١٨٢٥ م ؛ (تحرير نظير أحمد خان) ، دهلي ١٣١٧ هـ ؛ (مطبوعة مع « مجموعة قصائد »)، بيروت (المطبعة الادبية) ١٣٢٦ هـ .
** درج المعالي (شرح اللامية لابن جماعة المتوفّى سنة ٨١٩ هـ) ، دهلي ١٨٨٤ م ؛ بومباي ١٢٩٥هـ؛ الاستانة ١٣٢٣ هـ ؛ (مع ترجمة تركية لحسني أفندي) ، استانبول ١٣٠٤ هـ .
عقد اللآلي (شرح اللامية لرضيّ الدين أبي القاسم بن الحسين البكري) ، رامبور ١٣١٠ هـ .
تحفة الأعالي على شرح بدء الأمالي (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ .
القاموس ٢ : ٢٦١ ــ ٢٦٢ ؛ راجع تاج العروس ؛ بروكلمان ١ : ٥٥٢ ــ ٥٥٣ ، الملحق ١ : ٧٦٤ ــ ٧٦٥ ؛ معجم المؤلّفين لعمر كحّالة ٧ : ١٤٨ ــ ١٤٩ .

ابن المعلم الواسطي الهرثي

١ ــ هو نجمُ الدين أبو الغنائمِ مُحمّدُ بنُ عليِّ بنِ فارسٍ ، وُلِدَ في سابعَ عشَرَ جُمادَى الثانية ٥٠١ (أوائل ١١٠٨ م) في الهُرْث على مَقْرُبَةٍ من واسطٍ (العراق) ونشأ عَلَويَّ العاطفةِ صوفيَّ النزعة. زارَ بغدادَ ولَقِيَ فيها أبا الفرج ابنَ الجَوْزيِّ الواعظَ ، وزارَ المَوْصِلَ والبصرةَ ، غيرَ أنه قضى مُعْظَمَ أوقاته في الهُرْث ، وكان يُرْسِلُ منها مدائحَه الى الخليفة . وفي ترجمتِه أنه سُجِنَ مدّةً طويلة . مات[3] في رابعِ رجب ٥٩٢ (١١٩٦ م) في الهرث .

٢ ــ كان ابنُ المعلّمِ شاعراً مطبوعاً رقيقَ الشِّعْرِ سهلَ الألفاظِ صَحيحَ المعاني متين التّركيبِ يقولُ في المدح والهجاء والغزل ؛ غير أن أكثرَ شعرِه في النسيب ووصف الشوق وذِكْرِ الصَبابة؛ وكانتْ تَغْلِبُ عليه نفحةٌ صوفية. فرُزِقَ شعره بذلك كلّه سَيْرورةً على الألْسن. وكان بينَه وبينَ سبط ابنِ التعويذيّ تنافسٌ وهجاء.

(١) .... لا يدخل أصحاب الجحيم (الكفار) الى الجنة ، ولا يدخل أصحاب الجنة (المؤمنون) النار .
(٢) ... يرى المؤمنون الله يوم القيامة...
(٣) تاريخ الكامل ١٢ : ١٢٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٢.

٣ – مختارات من شعره

– لابن المعلم قصيدةٌ طويلةٌ يمتزجُ فيها التصوفُ بالحماسة ، منها :

رُدّوا عليَّ شَواردِ الأظعانِ ؛ ما الدارُ إنْ لم تَغْنَ من أوطانِ[١].

ولكم بذاكَ الجِزعِ من مُتَمنِّعٍ هزأتْ مَعاطِفُه بغُصْنِ البانِ[٢].

أبدى تَلَوُّنَه بأوَّلِ موْعِدٍ ؛ فمَنِ الوَفيُّ لنا بوعدٍ ثانِ ؟[٣].

فمتى اللقاءُ ، ودونَه من قومِهِ أبناءُ مَعْرَكَةٍ وأُسْدُ طِعانِ !

نقلوا الرِماحَ ، وما أظنُّ أكُفَّهُمْ خُلِقَتْ لغيرِ ذَوابلِ المُرّانِ[٤].

وتقلّدوا بِيضَ السيوفِ ، فما ترى في الحيِّ غيرَ مُهَنّدٍ وسِنانِ[٥].

ولئن صَدَدْتُ فمِنْ مُراقبةِ العِدى ؛ ما الصدُّ عن مَلَلٍ ولا سُلوانِ .[٦]

يا ساكني نَعْمانَ ، أينَ زمانُنا بطُوَيْلِعٍ ، يا ساكني نعمانِ[٧].

– وله في التصوف والنسيب :

قَسَماً بما ضَمّتْ عليه شِفاهُهم من قَرْقَفٍ في لؤلؤٍ مَكنونِ[٨].

إنْ شارفَ الحادي العُذيبَ لأقضِيَنْ نَحْبي ؛ ومَنْ لي أن تَبَرَّ يَميني[٩].

لو لم تكنْ آثارُ لَيْلى والهوى بتِلاعِه ما رُحْتُ كالمجنونِ[١٠].

---

(١) – أعيدوا أحبابي الذين ظعنوا : سافروا ، رحلوا (شاردين : الى مكان لا أعلمه) ، فان الدار اذا لم تغن (لم تكن مغنى : لم يكن فيها سكان) لا تسمى وطناً !

(٢) الجزع (بكسر الجيم وسكون الزاي أخت الراء) : الوادي ، مكان في الوادي ذو نبات ، مكان في الوادي يجزعه المارون (يقطعونه ، يمرون فيه) ، اسم لقريتين عند الطائف (كناية عن مكان مقدس) . متمنع : محبوب يأبى على محبيه الوصال . هزأت معاطفه بغصن البان : قوامه وتثنيه أجمل من استقامة غصن البان ومن تثنى غصن البان (تحركه في النسيم) .

(٣) – أخلف الوعد الأول فمن يضمن أن يفي بالوعد التالي .

(٤) نقلوا (حملوا) الرماح : هم شجعان . وذوابل المران (والرماح الذابلة : الجافة السمراء ، القاسية ، القوية) خلقت لهم : أكفهم خلقت للرماح (للحرب) .

(٥) القوم كلهم محاربون ، منهم من يحمل السيوف ومنهم من يحمل الرماح .

(٦) من مراقبة العدى : خوف أن يراني خصومي فيشوا بي أو يؤذوني . الملل : السأم ، الكره . السلوان : النسيان .

(٧) نعمان (بفتح النون) واد وراء جبل عرفات .. طويلع ... المقصود التغزل بمكان مقدس (كناية عن العزة الالهية) .

(٨) أقسم بما في أفواههم من قرقف (خمر باردة – كناية عن المعرفة الالهية) في لؤلؤ (أسنان بيض) مكنون (مضنون به على غير العارفين الصوفيين) – كناية عن وضوح الأمر الالهي للصوفي .

(٩) ان (اذا) شارف (قارب) الحادي (سائق الابل) العذيب (ماء في الحجاز) لأقضين نحبي (لاختارن الموت . ومن لي أن تبر يميني : ولكن كيف أستطيع الوصول الى ما أؤمل من الفناء في الله والاتحاد به) .

(١٠) لو لم تكن آثار ليلى (آثار العزة الالهية) بتلاعه (جمع تلعة : مسقط الماء من الجبل) ما رحت (أصبحت) كالمجنون (كمجنون ليلى لا أفكر الا في ليلى العامرية) .

٤ ــ ** وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٩ ــ ٤٠٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣١٠ ــ ٣١١ ؛ ابن الأثير ١٢ : ١٢٤ ، بروكلمان ١ : ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٤ ؛ الاعلام ٧ : ١٦٧ .

كامل بن الفتح

١ ــ هو ظهيرُ الدينِ أبو تمّامٍ كاملُ بنُ الفتحِ بنِ ثابتِ بنِ سابورَ الضريرُ من أهلِ بادرايا ، قَدِمَ الى بغدادَ وَسَكنها وأخذَ الأدبَ عن نَفَرٍ من عُلمائها وسَمِعَ (الحديثَ) من أبي الفتحِ عليِ بنِ رَهْمَوَيْهِ . وكانتْ وفاتُه في جُمادى الآخرة سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) .

٢ ــ كان كاملُ بنُ الفتحِ أديباً فاضلاً حافظاً لفنونٍ من العلم ولطائفةٍ من الأخبار والأشعار ولشيءٍ من علوم الأوائلِ (الفلسفة) ، كما كان عالماً بالنحو . وله ترسّلٌ وشعرٌ حَسَنٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال كاملُ بنُ الفتحِ النَحْويّ في النسيب :

وفي الأوانسِ من بَغْدادَ آنِسَةٌ ... لها من القلبِ ما تَهْوى وتختارُ .
ساوَمْتُها نَفْثَةً من ريقِها بدَمي ، ... وليس إلاّ خَفِيَّ الظرفِ سِمْسارُ .
عندَ العَذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ ، ... وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ !

٤ ــ ** معجم الادباء ١٧ : ١٩ ؛ انباه الرواة ٣ : ٤١ ؛ نكت الهميان ٢٣١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٧٢ ؛ بغية الوعاة ٣٨٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٦٩ .

سعادة الحمصي الاعمى

١ ــ هو سعيدُ بنُ عبدِ اللهِ الضريرُ المعروفُ بسعادةَ الحمصيُّ الأعمى ، كانَ مَملوكاً لبعضِ الدِمَشْقيّينَ ، وقد أضَرَّ (عَمِيَ) في شَبابِهِ .

كان سعادةُ الحمصيَّ يسكُنُ حِمْصَ ، ولكنّه ــ فيما يبدو ــ كان كثيرَ الأسفار للتكَسّبِ بالشعرِ : ذَهَبَ الى القاهرةِ ومَدَحَ صلاحَ الدينِ الأيّوبي (٥٦٤ ــ ٥٨٩ هـ) في مَطْلَعِ حُكْمه بقصيدةٍ طائيةٍ فأثابَهُ صلاحُ الدين عليها بألفِ دينارٍ . ويبدو أنّه مَدَحَ آخرين أيضاً ، فقد رَجَعَ من مِصْرَ بوفْرٍ كبيرٍ وغِنىً ظاهرٍ . ثمّ رأيناه في دِمَشْقَ في عاشرِ شعبانَ من سَنَةِ ٥٧١ (٢٦ــ٢ــ

١١٧٦ م) ، وفي حماةَ في ثامنِ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٧٢ (١٦–٨–١١٧٦ م) .

وكانتْ فاتَه في أواخرِ القرنِ السادسِ للهجْرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) .

٢ – كان سعادةُ الحِمْصيّ الأعمى ذكياً حادَّ الذهنِ وشاعراً مُكْثِراً كثيرَ المعاني متينَ السَبْكِ حَسَنَ الصِناعة . وأكثَرُ شِعْرِه المديحُ ، وله أوصافٌ بارعةٌ .

٣ – مختارات من شعره

– وَفَدَ سَعادةُ الحِمصيّ على صلاحِ الدين الأيوبيّ بقصيدةٍ منها :

وَقَفْتُ وأنضاءُ المَطيّ ضُحىً تَمْطو ... وقوفَ جوٍ أنحى على قُرْبِه الشَمْطُ[1] :
على دارساتٍ من رُسومٍ كأنّها ... صَحائفُ كُتْبٍ لا يَبينُ لها خَطّ ؛
أخاطِب منها صامتاً غير ناطقٍ ، ... ومن عَبَراتي في ترائبِها سِمْطُ[2] .
خليليّ ، هل من حاملٍ لي تَحيّةً ... إلى قَمَرٍ نجمُ الثُريّا له قِرْطُ .
نَشَدْتُكُما ، بالشامِ عُوجا وسَلِّما ... على ظَبَياتٍ أُسْدُ ألحاظِها تَسْطو :
على المائساتِ اللاءِ رنّحها الصبا ، ... على الآنساتِ اللاءِ نَفّرَها الوَخْطُ[3] .
بِنَفْسي وأهلي أنتِ من بابليّةٍ ... لها واليها الحَلّ في السِحْرِ والرَبْط .
فلا ولَماها العَذْبِ ، لا كنتُ ناقضاً ... عُهودَ هواها لا ولا سالياً قَطّ ؛
فكيف وعِنْدي من هواها صَبابةٌ ... تكاد بها منّي الجوانح تَنْقطّ[4] ،
ووجدٌ كوجدِ الناصرِ المَلْكِ بالعُلى ... وبالشرف السامي الذي ما له هَبْط .
فتىً مُهْتَدي الآراءِ في كلّ حادثٍ ... مُضِلٍ لآراء الملوكِ بها خَبْط[5] .
وما كُتْبُه – مُذْ كان – الّا كتائبٌ ... حروفُ ظُباها بالطُلى ما لها كَشْط[6] .
فتىً من بني أيوبَ، إنْ هَمَّ أو هَمَى: ... فما الغيثُ إذ يحْبو وما اللَيْثُ اذ يَسْطو .

– ومَدَحَ سعادةُ الأعمى صلاحَ الدين ، في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٧١ هـ بقصيدةٍ منها :

---

(١) أنضاء المطي (الدواب التعبة). تمطو : تسرع . جو : محب : انحى : مال . الشمط : بدء الشيب .
(٢) ومن عبراتي (دموعي) في ترائبها (جوانب صدرها) سمط (خيط تنظم فيه اللآلي) كناية عن كثرة بكائه .
(٣) رنحها : هزها ، جعلها تمايل . الصبا . الشباب . نفرها (أمالها عني) الوخط (كثرة الشيب) .
(٤) الجوانح : أضلاع الصدر . تنقط : تتقطع .
(٥) الخبط : السير على غير هدى . مضل نعت « حادث » .
(٦) الظبا : السيوف ـ الطلى : الأعناق . الكشط : المحو. الاقلام اذا كتبت في الورق يمحى ما تكتبه وما تكتبه السيوف في الطلى (الأعناق) لا يمحى .

ومَرابِــعٌ تَهْدي الى سُكّانِهـــا طِيباً إذا نَفَحَتْ على سُكّانِهـــا
أرجاً لدى الغَدَواتِ تَحْسَبُ أنّه مِسْكٌ إذا وافاكَ من أرْدانِهـــا .
فالنَّوْرُ تِيجـانٌ عـلى هاماتِها، والنُّور أثوابٌ عـلى أبْدانِهـا ،
والوُرْقُ قَيْناتٌ عـلى أوْراقِهـا تَفْتَنُّ بالألحـان في أفْنانِها[1].
وأبيتُ من وَلَهٍ وفَرْطِ صَبابَةٍ أبكي على ما فات من أزمانِهـا ،
أيّامَ كُنْتُ بها وكانت عِيشَتي كالرَّوْضَةِ المَيْثـاءِ في إبّانِهـا.
دارٌ هي الفِرْدَوْسُ الاّ أنها أشهى من الفِرْدَوْسِ عند عِيانِها.
سلطانُها المَلِكُ ابنُ أيوبَ الذي كَفّاه لا تَنْفَكّ عن هَطَلانِهـا
بمواهبٍ لـو لم أكنْ نوحاً لَمَا نُجّيتُ يومَ نَداهُ مـن طوفانِها.
تلك السيوفُ المُرْهَفاتُ بكَفّـه أمضى على الأيّام مـن حَدَثانِها.
واذا جَحافِلُـهُ أثَرْنَ سَحائباً لَمَعَتْ بروقُ النصر في أحضانِها.
كم قُدْتَهُنّ، أبا المُظَفّرِ، ظافراً والأُسْدُ صائلـةٌ عـلى عُقْبانِها
متواثِباتٍ للطِعـانِ ؛ فلا كَبَتْ تلك العِتاقُ الجُرْدُ يوم طِعانِهـا.
أقْسَمْتُ ، ما هَدّمْنَ أركانَ العِدى الاّ بما شَيّدْتَ من أركانِها !

– وقال في الشمعة (الصعدة : الرمح . اللهذم: سنان الرمح) :

وشـادنٍ نـادَمْتُـهُ تَحتَ رِواقِ الغَيْهَبِ ؛
بـدرُ دُجىً مُقْتَـرِنٌ من كأسـهِ بكَوْكَبِ .
يطعَــنُ أحشاءَ الدُجى عند الرِضـا والغضب
بصَعْـدةٍ مـن فضّـةٍ لَهْذَمُهـا مـن ذَهَبِ.

– وقال يصف النار :

يـا حسنَ نـارٍ أتَتْنا في حُنْدُسِ الظَلْمـاءِ ؛
وافتْ إلينـا تَهـادى في حُلّـةٍ حمـراءَ .
حتّى إذا مـا توارَتْ عـن ذلك الإيراءِ[2]
أبدتْ قُراضـةَ تبـرٍ في خُرْقَـةٍ دَكْناءَ[3] .

(١) ورق جمع ورقاء : حمامة . قينات : مغنيات . تفتنّ : تتفنن . أفنان : أغصان .
(٢) توارت (اختفت) الجمرات تحت الرماد . الايراء : شدة الاشتعال .
(٣) بقايا النار تشبه قطعاً صغيرة من تبر (ذهب) في خرقة دكناء (سمراء) من الرماد .

٤ — خريدة القصر (الشام) ١ : ٤٠٦ — ٤٣٢ ؛ نكت الهميان ١٥٧ — ١٥٨ .

القاضي الفاضل

١ — هو القاضي الفاضلُ أبو عليّ عبدُ الرحيم بنُ عليّ بن محمد اللّخميّ العسْقلانيّ البيْسانيّ ، وُلِدَ في عسقلانَ في نصف جُمادَى الثانية ٥٢٩ (٣-٤-١١٣٥ م)؛ ويُعْرَفُ بالبيسانيّ لأنّ والدَه كان قاضياً في بيسانَ (غَوْر الأردُنّ) .

لم تتّسع الحياةُ في عسقلانَ لعبدِ الرحيم فأرسلَه أبوه الى مِصْر ، سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ليَعْمَلَ في ديوان الإنشاء في القاهرة . ويبدو أن العبْءَ في القاهرة ، عاصمةِ الدولة الفاطمية ، كان ثقيلاً على الشابّ الناشىء فانتقلَ إلى الاسْكَنْدرية فكان كاتباً لقاضيها تَصْدُرُ الرسائلُ بإنشائه إلى القاهرة . ولَفَتَتْ هذه الرسائل نظرَ العادلِ بن رُزّيك ، فلما تولّى الوَزارة (رَجَبَ ٥٥٥هـ=١١٦٠ م) استدعى عبدَ الرحيم مِنَ الإسكندرية إلى القاهرة وجَعَلَه على ديوانِ انشاء الجيش .

ولمّا قضى صلاحُ الدين على الدولةِ الفاطميةِ (٥٦٧ هـ=١١٧١ م) انتقلَ القاضي الفاضل إلى خِدمته وأخْلَصَ له فنالَ عنده مَنْزِلةً سامية : كان وزيراً له (رئيساً لديوانِ الانشاء) يَستشيرُه ويعتمدُ عليه في أشياءَ كثيرة .

ولمّا تُوُفّيَ صلاحُ الدين (٥٨٩ هـ=١١٩٣ م) واقْتَتَلَ ابناه : المَلِكُ الافضلُ صاحبُ الشام والملكُ العزيز صاحبُ مِصْرَ ، وَقَفَ القاضي الفاضلُ بجانبِ الملك العزيز . ثم إنه سعى بين الأخَوَيْنِ (٥٩١ هـ) . بعْدَئذ اعتزلَ الحياة العامّةَ إلى أن تُوفّي في سابعِ ربيعٍ الثاني ٥٩٦ (٢٦ / ١ / ١٢٠٠ م) .

٢ — القاضي الفاضلُ مُكْثِرٌ من الشعْر والنثرِ وقد بلَغَ فيهما ذِرْوةَ التكلّف للصناعةِ المَعْنوية والصناعة اللفظية ثم صَرَفَ جميعَ اهتمامه إلى تحسينِ الأسلوب والتلاعب بالمعاني والألفاظ والاستِطْراد من مَعْنىً الى آخرَ من طريق التَعْبير البلاغي . أما شعره ، فيما عدا ذلك ، فهو فَصيحُ الألفاظِ سهلُ التركيب مَعَ المتانة واضحُ المعاني . وله مدحٌ جيّد وفخرٌ وغزل وإخوانيّات . وأما نثره فرسائلُ ديوانية رَسْمية وإخوانيّات شَخْصية . ومَعَ شِدّة تطلبّه لجميعِ أوجهِ البلاغةِ فانّهُ استطاع أنْ يُعبّر عن جميعِ المعاني التي أرادها .

واذا كنتَ أنتَ من الذين يُحبّون التلاعُبَ بالألفاظِ والتراكيب كان القاضي الفاضلُ عندك سيّدَ الناثرينَ والناظمينَ ؛ وأمّا إذا كنتَ من الذين يَقْدُرون قيمة

الفِكْرِ المُبْدِعِ في الأدب والتَعْبيرَ المَنْطِقي في الأسلوب كان أكثرُ ما أنتجه القاضي الفاضلُ من شِعْرٍ ونثر عندكَ لَغْواً أو قَريباً من اللغو .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ كتبَ القاضي الفاضلُ رسالةً يَصِفُ فيها حِصارَ صلاحِ الدينِ الأيّوبيّ للقدْسِ وفَتْحَها :

.... زاولَ المدينةَ من جانبٍ فإذا هيَ أوْدِيَةٌ عميقةٌ ولُجَجُ وَعْرٍ غريقةٌ وسورٌ قد انعطفَ عَطْفَ السِوارِ وبروجٌ قد نَزَلَتْ مكانَ الواسطةِ من عِقْدِ الدار[١] . وقدّمَ المِنْجَنيقاتِ التي تتولّى عِقابَ الحصونِ عِصيُّها وحبالُها[٢] ، وأوْتَرَ لَهُمْ قِسيَّها التي تَضْرِبُ ولا تُفارِقُ سِهامَها ولا سهامَها نِصالها[٣] !! فصافَحَتِ السُورَ فاذا سِهامُها في ثَنايا شُرُفاتِها سِواكٌ[٤] . وقدّمَ النَصْرُ بُشْرى من المِنْجَنيقِ تُخْلِدُ إخلادَه إلى الأرضِ وتعلو عُلوَّه الى السماء[٥] . فشَجَّ مرابعَ أبراجِها ، وأسْمَعَ صوتَ عَجيجِها ورَفَعَ مثارَ عَجاجِها[٦] . وأسْفَرَ النُقّابُ

(١) زاول الرجل الشيء: باشره ومارسه وشغل نفسه به. اللجة : القسم العظيم من الماء . البرج : بناء قوي عال أو شرفة محصنة في القلعة . الواسطة : اللؤلؤ الكبيرة في وسط اللآلىء المنظومة عقداً . ـ اذا كانت القلعة في مستوى من الارض (ليست على رأس جبل) جعلوا حولها خندقاً . ثم انهم يملأون هذا الخندق بالماء ـ اذا حوصرت القلعة ـ ليكون الوصول اليها أكثر صعوبة . يقول : الماء في هذا الخندق كان كثيراً حتى غمر الصخور الكبيرة التي حول القلعة . من عقد الدار ....

(٢) العصي والحبال التي تستخدم في رمي الحجارة تعاقب الحصون : المواضع المنيعة (في القلعة) كما تستخدم العصي والحبال عادة في عقاب المذنبين .

(٣) وأوتر لهم ... (هذه الجمل تبدو وصفاً للكبش وهو آلة حربية تنطح بها الأسوار ، ولكنها لا تتسق مع الوصف العام هنا) . النصل : الحديدة في رأس الرمح أو السهم .

(٤) الثنايا جمع ثنية : سن ، أو طية وانحناء. الشرفة: حجرة صغيرة بارزة من البناء. السواك : عود (أو فرشاة) تنظف به الاسنان (كناية عن كثرة سقوط السهام عليها) .

(٥) أخلد الى الارض : أحب البقاء فيها . ـ المنجنيق ثابت في الارض ، والحجارة التي يقذف بها تعلو حتى كأنها تصل الى السماء .

(٦) شج : شق ، فلق . العجيج : الصوت المرتفع . العجاج : الغبار . مثار العجاج (بفتح الميم) المكان الذي يثور فيه الغبار (جعل الغبار يثور في رؤوس الجبال ، وليس ذلك مألوفاً) . مثار العجاج (بضم الميم) : الغبار الثائر (كثر الغبار واشتد حتى ارتفع كثيراً في الجو) .



عن الخَرابِ النِقابَ[1] ، وأعادَ الحجرَ إلى خِلْقَتِهِ الأولى من التُراب[2] ، ومَضَغَ سَرْدَ حِجارتِه بأنيابِ معْوَلِه ، وأظهر من صِناعتِه الكثيفة ما يَدُلُّ على لَطافةِ أنمُلِهِ ، وأسمع الصَخْرَةَ الشريفةَ أنينَه حتى كادتْ تَرْثي لمَقْتَلِه[3] .

– انتقلَ القاضي الفاضلُ مَعَ صلاحِ الدين من مصْرَ الى العراق ، فقال :

بالله ، قُــلْ للنيــلِ عنّي إنّني ... لم أشْفِ من ماء الفُراتِ غَليلا[4] .
وسَلِ الفُؤادَ ، فانّــه ليَ شاهدٌ ، ... إنْ كان جَفْني بالدُموع بخيــلا .
يا قَلْبُ ، كَمْ خَلّفْتَ ثَمّ بُثَيْنَةً ! ... وأعيذُ صَبْرَكَ أن يكونَ جَميلا[5] .

– وقال في النسيب :

بتْنــا على حالٍ تَسُرّ الهــوى ؛ ... وربّمــا لا يُمْكنُ الشَــرْحُ .
بوّابُنــا الليلُ ؛ وقُلنا لــه : ... إنْ غبْتَ عنّا دَخَلَ الصُبْحُ .

– وقال يصف فيضان النيل :

.... وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الإصبع الى الذراع[6] ، وكأنّما غار على الارض فغطّاها ، وعار عليها فاستقعدها[7] وما تخطّاها. فما يوجد بِمِصْرَ قاطعُ

---

(١) أسفر : رفع ، أزال ، نزع (الغطاء) . النقاب (بضم النون وتشديد القاف) جمع ناقب : الذي ينقب (يخرق) الشيء . النقاب : اللثام ، غطاء الوجه .

(٢) وأعاد الحجر الى خلقته الاولى من التراب : فتت صخور القلعة حتى جعلها تراباً (كما كانت الحجارة في أول الخليقة) .

(٣) السرد : الدرع . شبه حجارة القلعة بدروع يلبسها الجنود المدافعون عن القلعة . وشبه المعاول التي تضرب بهــا القلعة بالاسنان . صناعته الكثيفــة (؟) . الانمل والانامل جمع أنملة : رأس الاصبع . لطافة الانامل : البراعة في الصناعة. الصخرة الشريفة: صخرة في القدس أقيم عليها مسجد الصخرة . – مع كره الصخرة المؤمنة للافرنج الذين كانوا يحتلون القدس ، فانها حزنت لما أصاب صخور القلعة (التي تدافع عن الافرنج) من كثرة ما أصابها من حجارة المنجنيق .

(٤) لم أشف من ماء (نهر) الفرات غليلا (عطشاً) . هنا تورية : لم أرتو من ماء الفرات (لأن ماء النيل هو الذي يروي العطاش) أو لم أرو غليلي (حقدي) من الفرات (لأنني تركت أرض النيل وأنا لا أحب أن أتركها) .

(٥) ثم (بفتح الثاء : هناك، في مصر) . بثينة بنت حبأ : فتاة أحبها جميل بن معمر . والمقصود هنا : محبوبة (تركت في مصر أصدقاء كثيرين) . وأعيذ صبرك أن يكون جميلا = لا أريد منك أن تصبر على فراق مصر ومن فيها . ثم جميل : جميل بن معمر .

(٦) انتقل من الاصبع الى الذراع : (كان بقدر الاصبع فصار بقدر الذراع !) ارتفع الماء في مجراه كثيراً .

(٧) غار على الارض : حرص عليها وأراد ان يحميها ، فغطاها (سترها ، كما تتستر المرأة عن أعين الرجال الأجانب . عار عليها ؛ تردد فيها ذهاباً وإياباً باحثاً عن شيء . استقعدها : طلب او اختار ان يقعد فيها. ما تخطاها : لم يرض أن يذهب الى غيرها .

طريق[1] سواه ، ولا مرغوبٌ مرهوب الا إيّاه .

٤ ـ ديوان القاضي الفاضل (تحرير أحمد أحمد بدويّ) ، القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦١ م .

** الخريدة (مصر)[2] ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٠٩ ـ ٥١٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٢٤ ـ ٣٢٧ ؛ ابن الأثير ١٢: ١٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٥ حاشية ، الملحق ١ : ٥٤٩ حاشية ؛ زيدان ٣ : ٣٦ ـ ٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٢١ .

ابن ناهوج الاسكافي

١ ـ هو أبو البدرِ الحسنُ بن أبي منصورٍ عليِّ بنِ أبي سالمٍ المُعَمَّر بنِ عبدِ الملك بن ناهوجٍ الإسكافي ، أصله من بَلدةِ إسكافَ من نَواحي النَهْروان قرب واسِط (العراق) .

ولد ابن ناهوج نحوَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) في محلّة باب الأزَجِ من شَرقيّ بَغدادَ ، وقرأ على أبي الحسن بن الخشّاب النحويّ (ت ٥٨٧ هـ) . ثمّ انه حجّ وجاور في مكّة سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ ـ ١١٧٨ م) .

تقلّب ابن ناهوج في الولايات حتّى عُيِّن مُشْرِفاً في ديوان الخليفة الناصر العبّاسي في رَمَضان ٥٨٦ هـ (١١٩١ م) . غير أنه عُزل بعد عامين . وفي سنة ٥٨٩ هـ حجّ مرّة ثانية وجاور ثم جـاء الى الشام وسكن حلب مدّة . بعدئذ انتقل الى مصر في جمادى الآخرة ٥٩٢ (١١٩٦ م) . وكانت بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات .

وكانت وفاة ابن ناهوج في مصر (رمضان ٥٩٦ = أواسط ١٢٠٠ م) .

٢ ـ كان ابنُ ناهوجٍ كاتباً مُتَرَسِّلاً ومن المُتَصرِّفين (ذوي المرتبة العالية وذوي النُفوذ) في ديوان الإنشاء ، كما كان عارفاً بالعربية حاذقاً في الأدب غَزيرَ العِلْم . ولابن ناهوجٍ شِعْر فيه غَزَل وتَشَوّق الى الديار المقدّسة وله أيضاً تَرسّل بارع . وكذلك كانت له تَصانيفُ حَسَنَةٌ في الأدب والنحو .

---

(١) قاطع طريق (تورية) : انتشار الماء حال بين الناس وبين أن يقطعوا الطريق من جانب الى جانب ؛ وقاطع الطريق : اللص الذي يتعرض للناس على الطرق البعيدة عن العمران .

(٢) ليس في الخريدة (مصر) ترجمة للقاضي الفاضل ، والترجمة المعنونة باسم القاضي الفاضل (١ : ٣٥ ـ ٥٤) مجموع نماذج من الشعر والنثر للعماد الاصفهاني مؤلف الخريدة يمدح فيها القاضي الفاضل .

٣ ـ مختارات من آثاره

قال ابن ناهوج يتشوّق إلى الحِجاز (فيذكر من مَعالمه خَيْفَ مِنَى والمُحَصَّبَ والمأزمين ووادي نَعمانَ) بعد أنْ كان قد جاور في مكّة سنة ٥٧٣ هـ :

خَليليَّ ، هل يَشْفي من الوَجْدِ وقْفَةٌ بخَيْفِ منًى والسامرون هُجوعُ ؟
وهل لِلُيَيْلاتِ المُحَصَّبِ عَوْدَةٌ ، وعيشٍ مضى بالمأزمِين رجوع ؟
وانّي متى أعْصِ التجلّدَ والأسى فلِلشّوْق منّي والغرام مُطيع .
فيا جيرتي إذ للزمان نَضارَةٌ وعُودي نُضارٌ والخيام جميع [١]
بنَعمان ، والأيّام فينا حميدة ووادي الهوى للنازلين مَريع [٢] :
كَفَى حزَناً أني أبيتُ وبَيْننا من البِيد مَعْدُوُّ الفِجاجِ وَسيع [٣].
أعالِجُ نفْساً قد تولّى بها الأسى وطَرْفاً يَجِفُ المُزْنُ وهو هَموع [٤].

ـ لمّا قدم ابن ناهوج من الحجاز الى مصر (٥٩٢ هـ) كتب إلى القاضي الفاضل :

لو كانت المَوَدّاتُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ المَجْلِسِ السامي في نِعمة خصيبةِ المَرْتَع وعيشةٍ عَذْبةِ المَنْبَع وأدام علاه في سعادة ـ لا تتطرّق إلى صَافي بُرْدِها السابغِ حَوادِثُ الأقدار ولا يتطرّق [٥] صافي وِرْدِها السائغُ بحوادث الإكدار ...

وإنّما للنفوس سرائرُ أهواءٍ تَحِنّ الى التداني ان تباعدتِ الشّعوب وتنازحت الديار ، كما لتبايُنِها أسبابٌ تتنافر من أجلها وان تقاربت الانساب وتناوحت المَقارّ . والفضائل الفاضلية [٦] القَريرة والمناقب [٧] الشهيرة التي قد سار ذكرها في الآفاق

---

(١) العود النضار : الغصن الذي يبقى طول العام أخضر ولا تسقط أوراقه ، كناية عن الشباب . والخيام جميع بنعمان : تجمعنا الخيام في نعمان (في وفاق) . (٢) مريع : مخصب .

(٣) البيد جمع بيداء: الصحراء. الفج: الطريق في الجبل. معدو الفجاج: الطرق التي يعدوها الناس (يتركونها ، يتجاوزونها) لا يمرون فيها لبعدها عن العمران وصعوبة السلوك فيها .

(٤) تولى بها الأسى : ذهب بها الحزن : أنحلها ، أضعفها . المزن : المطر . هموع : متساقط . ـ المطر يتوقف ودموعي لا تتوقف .

(٥) تطرق الأولى : وصل الى ، لوث . تطرق الثانية : تلوث (والصيغة مولدة) .

(٦) الشعوب : الطرق . الفاضلية نسبة الى القاضي الفاضل . تنازحت وتناوحت : ابتعدت ، تباعدت . المقار جمع مقر : المكان الذي يسكن فيه الناس . القريرة : الثابتة ، الراسخة .

(٧) تقتضي الموازنة أن يكون هنا كلمة على وزن « الفاضلية » .

سير القمر ، وعَطَلَتْ مزيّتُها مَرْوِيَّ السيَرِ وتُليَتْ مَحاسِنُها كما تُتْلى السُوَرُ[1] ...
فلا غَرْوَ أن تَحِنَّ النفوسُ إلى مَحِلِّ كمالها .

٤ ـ ** معجم الادباء ٩ : ٧٠ ـ ١١٧ ؛ بغية الوعاة ٢٢٥ .

العماد الاصفهاني

١ ـ هو أبو عبدِ الله محمدُ بنُ محمد بن حامد بنِ محمد بنِ عبدِ الله بنِ علي ابنِ معروف بنِ هِبَةِ الله المعروف بألُه[2] المُلقَّبُ عِمادَ الدّين الكاتبُ الاصفهانيّ والمشهورُ بالعِماد الأصفهاني ، وُلِدَ في أصفهانَ (٥١٩ هـ = ١١٢٥ م) . وجاء الى بَغدادَ وتفقه في المدرسة النِظامية على الشيخِ أبي منصورِ سعيد بنِ محمّدٍ الوزّان ، وسَمِعَ الحديثَ من أبي الحسنِ عليّ بنِ هِبَةِ الله بن عبدِ السلامِ ومن أبي منصورِ محمد بنِ عبدِ الملك بنِ جَيْرونَ ومن أبي المكارمِ المباركِ بنِ علي السَمَرْقَنْديّ ، ومن أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عليّ بنِ الأشقرِ حتّى أتقنَ الخِلافَ (اختلاف آراء العلماء في الفقه والاصول) وفنون الادب .

حَظِيَ العِمادُ الاصفهانيّ عندَ الوزيرِ عَوْنِ الدينِ أبي المُظَفّرِ يحيى بن هُبيرة في أيام الخليفة المُقتَفي، فولاّه عون الدين «النَظَرَ» (الحُكْمَ بين القوم) في البصرةِ ثم بواسطٍ . فلمّا توفي عونُ الدين (٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م) أقام العماد مُدّةً في بَغْدادَ في عيشٍ أنْكَدَ ثم انتقل الى دِمَشْقَ فوَصَلَ إليها في شَعْبانَ من سنة ٥٦٢ (١١٦٧ م) ، فأكرمه الملكُ العادلُ بنُ نورِ الدين وفوّضَ اليه (٥٦٧ هـ = ١١٧٢ م) التدريسَ في المدرسةِ العِمادية ، وكانتْ قد سُمِّيَتْ باسْمِه تَشريفاً له .

وتُوُفِّيَ الملكُ العادلُ (٥٦٩ هـ) فخلَفَه أخوه المَلِكُ الصالحُ ، وعُمْرُهُ عَشْرُ سنينَ ، فاستْولى عليه نَفَرٌ مُعادونَ للعِماد ، فأُقْصِيَ العِماد عَنِ البَلاطِ فسافر إلى المَوْصِلِ .

ولمّا خرج السلطانُ صَلاحُ الدين الأيوبيّ من مصرَ قاصداً فتحَ الشامِ خرج العِمادُ

(١) السِيَر جمع سيرة : قصة تروي تاريخ بطل من الابطال أو عظيم من العظماء . ـ ان تاريخ حياة القاضي الفاضل قد شغل الناس عن سماع تاريخ حياة الابطال والعظماء الذين ألف الناس سماع سيرهم إعجاباً بها من قبل أن يعرفوا سيرته . السور : سور القرآن الكريم .

(٢) أله (بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء) من اللغة الفارسية : العقاب (بضم العين) من جوارح الطير .

من المَوْصل ولَقِيَهُ في حِمْصَ (جُمادى الآخرة ٥٧٠) ثم دَخَلَ في خدمته وتولّى له ديوانَ الإنشاء، وكان يكتُبُ له بالعربيةِ والعجمية (الفارسية). ثمَّ تُوُفّي صلاحُ الدين (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) فلَزِمَ العِمادُ بيتَه يشتغلُ بالتأليفِ حتى مات في أول رَمَضانَ ٥٩٧ (٥-٦-١٢٠١ م).

٢ - العِمادُ الأصفهانيّ شاعرٌ طويلُ النفسِ في قصائده وكاتبٌ مترسّلٌ ومصنّفٌ له: البرق الشامي في سبع مجلّدات (وهو مجموع تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له في خدمة السلطان محمود وكيفية تعلّقه بخدمة السلطان صلاح الدين، وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام. وهو من الكتب الممتعة، وانما سمّاه البرق الشامي لأنه شبّه أوقاته في تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها) - الفتح القسّيّ في الفتح القدسيّ (يتضمّن كيفية فتح البيت المقدّس) - نُصرة الفِطرة وعُصرة القَطرة (في أخبار الدولة السلجوقية) - خريدة القصر وجريدة العصر (ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة ٥٧٢ للهجرة وجمع فيها شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحداً إلا النادر والخامل) - السيل على الذيل (جعله ذيلاً على كتاب خريدة القصر) - العُقبى والعُتبى (أرخ فيه الاحداث التي كانت بعد وفاة الساطان صلاح الدين الى سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٦ م) - خطفة البارق وعطفة الشارق (أرخ فيه الاحداث بعد ٥٩٢ هـ الى زمان وفاته) - ديوان رسائلَ - ديوان شعرٍ - وديوان دوبيت (نوع من الشعر على النسق الفارسي) صغير.

٣ - مختارات من شعره

قال العِمادُ الاصفهانيّ قصيدةً يمدَحُ بها صلاحَ الدين ويذْكُرُ انتصاراتِه المتواليةَ على الإفرنجِ (الصليبيّين)، جاء فيها:

رأيتُ صَلاحَ الدينِ أفضلَ من غدا ... وأشرفَ من أضحى وأكرَمَ من أمسى.
وقيلَ لنا في الأرضِ سَبْعةُ أبْحُـرٍ؛ ... ولسنا نَرى إلا أناملَه الخَمْسا.
جُنودُكَ أملاكُ السمـاءِ؛ وظَنُّهم ... أعاديكَ جِنّاً في المعارك لا[1] إنْسا.

---

(١) في الاصل أو؛ وما أثبت أدل على المعنى المقصود.

سَحَبْتَ على الأُرْدُنِّ رُدْناً من القَنا ... رُدَيْنِيَّةً مُلْداً وخَطِّيَّةً مُلْسا[1].

ونِعْمَ مَجالُ الخيلِ حِطّينُ لم تكُنْ ... مَعارِكُها للجُرْدِ ضَرْساً ولا دَهْسا[2].

أتَوْا شُكُسَ الأخلاقِ خُشْناً فلَيَّنَتْ ... حدودُ الرِقاقِ الخُشْنِ أخلاقَها الشُكْسا[3].

كَسَرْتَهُمُ إذ صَحّ عَزْمُكَ فيهِمُ ... ونَكَّسْتَهم ، من بعدِ أعلامهم ، نَكْسا

بواقِعَةٍ رُجَّتْ بها أرضُ جَيْشِهِم ... ومارَتْ ، كما بُسَّتْ جبالُهُمُ بَسّا[4].

بُطونُ ذِئابِ البرِّ صارتْ قبورَهُم ؛ ... ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكونَ لهم رَمْسا.

وقد خَشَعَتْ أصواتُ أبطالِهِمْ ، فما ... يَعِي السمعُ إلا من صَليلِ الظُبا هَمْسا[5].

شكا يَبَساً رأسُ البِرِنْسِ الذي بِهِ ، ... فنَدّى حُسامٌ حاسِمٌ ذلك اليَبْسا[6].

ومن قبلِ فَتْحِ القُدْسِ كُنْتَ مُقَدَّسا ، ... فلا عَدِمَتْ أخلاقُكَ الطُهْرَ والقُدْسا.

نَزَعْتَ لِباسَ الكُفْرِ عن طُهْرِ أرضِها ... وألْبَسْتَها الدينَ الذي كَشَفَ اللَّبْسا[7].

جَرى بالذي تَهْوى القضاءُ ، وظاهَرَتْ ... ملائِكَةُ الرحمنِ أجنادَكَ الحُمْسا[8].

وكم لبَني أيّوبَ عبدٌ كعَنْتَرٍ ... إذا ذُكِروا بالبأسِ لم يَذْكُروا عبسا.

- لما استردّ صلاحُ الدين بيتَ المقدسِ من يدِ الإفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) كَتَبَ العِمادُ الأصفهانيّ بذلك على لسانِ صلاحِ الدين إلى الخليفة الناصرِ مُبشّراً بالفتح :

« وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض

---

(١) الردن : طرف الثوب . القنا : الرماح . ردينية (صفة للرماح اللينة) . الاملد : (الغصن) اللين الذي يهتز ويتمايل. الخطية : رماح منسوبة الى الخط (الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب، كان يؤتى بها إليه من الهند) .

(٢) حطين : موضع قرب طبرية في فلسطين انتصر فيه صلاح الدين على الافرنج انتصاراً حاسماً . الجرد جمع أجرد : الحصان الاصيل قصير شعر البدن جداً . الضرس : (بالفتح) العض بالاضراس ، (بالكسر) : الاكة الصغيرة . الدهس : المكان السهل . – كان جنودك يحاربون وينتصرون . ولا يبالون بأرض المعركة جبلية كانت او غير جبلية .

(٣) أتوا ، أي الافرنج . شكس الاخلاق : هو الصعب في المعاملة العسير . الخشن : الجافي ، الجلف . الحدود جمع حد (حد السيف) – . الرقاق (السيوف) . الخشن (بفتح فكسر اذا كانت نعتاً للسيف) : الماضي ، القاطع .

(٤) مار : مال واضطرب . بست الجبال (بالبناء للمجهول) : فتتت.

(٥) الظبى جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : طرف السيف .

(٦) البرنس : قائد الفرنج . شكا رأسه اليبس : كان عنيداً . فأبطل السيف عناده .

(٧) اللبس : الشكوك والابهام .

(٨) الحمس : الابطال .

كما استَخْلَفَ الّذين من قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارْتَضَى وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ من بعدِ خَوْفِهِمْ أمْناً يَعْبُدونَني لا يُشْرِكونَ بي شَيْئاً ؛ ومن كَفَرَ بعدَ ذلكَ فأولئكَ هُمُ الفاسِقونَ »[1].

الحمدُ لله الذي أنْجزَ لِعبادِهِ الصالحينَ وَعْدَ الاستِخْلاف ، وقَهَرَ بأهلِ التوحيدِ أهلَ الشِّرْك والخلاف ، وخَصَّ سُلطانَ هذا الديوانِ العزيزِ بهـذه الخلافة ، ومَكَّنَ دِينه المُرْتَضى وبَدَّلَ الأمانَ بالمَخافة[2] . وذَخَرَ هذا الفتحَ الأسْنَى والنصرَ الأهْنَى للعَصْر الإمامي النَّبَوِيّ الناصِرِيّ على يَدِ الخادمِ أخلصِ أوليائه[3] .... فالحمدُ لله الذي أعادَ القُدْسَ إلى القُدْسِ وطَهَّرَه من الرِجْسِ وحَقَّق مِنْ فَتْحِه ما كان في النفس[4] .... وأتى بهذا النصرِ المفتوحِ الذي هو فَتْحُ الفتحِ ، وقد تَعالى أن يُحيطَ به وصفُ البليغِ نظماً ونثراً[5] ؛ وعُبِدَ اللهُ في البيت المُقَدَّسِ سِراً وجَهْراً ، ومُلِكَتْ بِلادُ الأرْدُنِّ وفِلَسْطينَ نَجْداً وغَوْراً وبَرّاً وبَحراً ....

– وقال العِماد الأصفهاني يَصِفُ شعور المؤلف بعدَ ان يَنْتهِيَ من تأليفِ كتاب :

إني رأيتُ أنه لا يكتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومِه إلاّ قال في غدِه : لو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسنَ ، ولو زِيدَ كذا لكان يُسْتَحْسَنُ ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ . وهذا من أعظمِ العِبَرِ ، وهو دليلٌ على اسْتيلاءِ النَقْص على جميعِ البَشَر . ه

٤ – خريدة القصر وجريدة العصر :

قسم شعراء الشام (الدكتور شكري فيصل) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٧٥ – ١٣٨٣ ﻫ (١٩٥٩ – ١٩٦٤ م) ، ثم أصدر الدكتور شكري فيصل جزءاً فيه بداية قسم شعراء الشام (شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيّوب) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٨ ﻫ = ١٩٦٨ م .

---

(١) القرآن الكريم ٢٤ : ٥٥ من سورة النور .

(٢) جعل مكان المخافة أماناً .

(٣) ذخر : ادخر ، خبأ له (النصر) حتى جاء ليكون الفخر له في ذلك . الخادم كلمة استعملت في أواسط العصر العباسي لتدل على على ذوي المناصب الكبيرة الذين يقومون بالحكم أو الوزارة أو الكتابة في الدولة .

(٤) القدس الاولى : الطهارة والزكاء . القدس الثانية : مدينة القدس (ويمكن العكس أيضاً) . الرجس : النجاسة .

(٥) هذه الجملة اقتباس من قول أبي تمام (راجع ، فوق ، ص ٢ : ٢٥٢) :

فتح الفتوح تعـالى أن يحيط بـه ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب .



قسم مصر (نشره أحمد أمين وشوقي ضيف واحسان عبّاس) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ - ١٩٥٢ م) .
قسم العراق (حقّقه وضبطه وشرحه وكتب مقدّمته محمد بهجة الأثري) ، بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي) ظهر منه الجزء الاول في قسمين ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م و ١٣٨٤ هـ=١٩٦٤م .
قسم المغرب (بتحقيق محمّد المرزوقيّ - محمّد العمروسيّ المطويّ - الجيلاني بن الحاج يحيى) ، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م .
قسم الاندلس (تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم) ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .
الفتح القسّي في الفتح القدسيّ (باعتناء لندبرج) ، ليدن ١٨٨٨ م ؛ مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ ؛ (تحقيق محمّد محمود صبيح) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٩٦٥ م .
نصرة الفطرة وعصرة القطرة ، القاهرة ١٣١٨ هـ .
** تواريخ آل سلجوق (اختصار الفتح بن عليّ البنداري) = زبدة النصرة ونخبة العصرة [١] (تحرير هوتسما) ، ليدن (بريل) ١٨٨٩ م ؛ = تاريخ آل سلجوق (اختصار البنداري) ، القاهرة (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م .
الوافي بالوفيات ١ : ١٣٢ - ١٤٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١١ - ٢٨ وفيات الاعيان٢ : ٤٩٥- ٤٩٩ ؛ ذيل الروضتين ٢٧ - ٢٨ ؛ العبر ٤ : ٢٩٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٢ - ٣٨٥ ، الملحق ١ : ٥٤٨ - ٥٤٩ ؛ زيدان ٣ : ٦٧ - ٦٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥٣ - ٢٥٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ١١٥٧ - ١١٥٨ ؛ ابن الأثير ١٢ : ١٧١

ابو الفتح البلطي

١ - هو تاجُ الدينِ أبو الفتحِ عُثمانُ بنُ عيسى بن منصورٍ (في فوات الوفيات : ابن هيجون) البَلَطيّ ، نِسبَةً الى بَلَط (وهي بُلَيْدَةٌ على نهر دِجْلَة قرب المَوْصِل) ، وُلِدَ في بَلَط ، في ٢٧ رَمَضان من سنة ٥٢٤ (٥-٩- ١١٣٠ م) . وتلقّى البَلَطيّ النحوَ على أبي محمّدٍ سعيدِ بنِ المباركِ بن الدهّان (ت ٥٦٩ هـ) ثم انتقل الى دِمَشْق وسكنها بُرْهَةً ، وكان يتردّدُ على الزَبَداني (مصيف إلى الشمال الغربي من دِمَشْق) للتعليم .

---

(١) مختصر من « نصرة الفطرة ونخبة العصرة » .

ولمّا استولى صلاحُ الدين على مِصْرَ (٥٦٧ هـ = ١١٧١ م) انتقل أبو الفتح البَلَطِيّ اليها فعيّنه صلاحُ الدين مُقْرِئاً للقرآنِ الكريمِ وللنحوِ في جامع الفُسْطاط وأجْرى له راتباً. ومات البلطيّ في ١٩ من صفر من سنة ٥٩٩ (٧-١١-١٢٠٢ م).

٢ - كان أبو الفتحِ البلطيّ أديباً مُلِمّاً بعددٍ من فنونِ الأدبِ من اللغةِ والنحو (وكان يَخْلِطُ بين المَذْهبين: البَصْري والكُوفي) والأخبار والتاريخ. وكانتْ له تصانيفُ منها: كتاب العَروض الكبير - كتاب العِظات الموقظات - كتاب النير في العربية - كتاب أخبار المتنبّي - كتاب المُستزاد على المُستجاد من فَعَلات الأجْواد (للتنوخي) - كتاب علم أشكال الخط - كتاب التصحيف والتحريف - كتاب تعليل العبادات.

وكان البلطيّ شاعراً مُولعاً بالتأنّق والصناعة: له مقطوعةٌ طويلة يجوز في قوافيها كلّها الرفعُ والجرُّ والنصبُ؛ وقد قلّد الحريريَّ صاحبَ المقاماتِ في الأبيات التي تُقرأ طَرْداً وعكساً. ثم له موشّحة سَلَكَ في قوافيها مَسْلكاً غريباً (راجع المختارات). وأكثرُ فنونهِ أغراضٌ وُجْدانية، وله شيء من الغَزَل والمدح.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الفتحِ البلطيّ مُوشّحَةٌ بنى مَطْلَعها على أربعة أحرفِ رَوِيّ مختلفة: غ، ض، ذ، ظ؛ ولكنّه التزم هذه الأحرفَ في جميعِ أقفالِ الأبيات:

وَيْــلاهُ مِــن رَوّاغْ بجَــوره يَقْضــي[1]:
ظَبْــيُ بَــني يَزْداذْ مِنــه الجَفا حَظّي!

* * *

قــد زاد وَسْواســي مُــذْ زاد في التيــهِ.
لم يُلْق، في[2] النــاسِ، مــا أنــا لاقيــه
مــن قَيّــمٍ قــاسٍ بــالهَجْـر يُغْــريــه.
أرومُ إينــاســي بــه ويَثْنيــه.

---

(١) الجور: الظلم.

(٢) في الأصل: من. - للمحبوب (ظبي بني يزداذ) قيم (مؤدب) يحثه على هجري والبعد عني.

إذا وِصالٌ ساغْ بقُرْبهِ يُرْضي ،
أبعدَه الأستاذْ — لا حيطَ بالحِفظِ .

— وله مقطوعةٌ (اثنان وعشرون بيتاً) يَحْسُنُ في قوافيها الرفعُ والنصبُ والخفض، منها :

لا استَلِذّ بقَيْنَةٍ تشدو لَدَيّ ولا غلام[1]
ذو الحزنِ ليسَ يَسرّه طيبُ الأغاني والمُدام .

— ثم له مقطوعةٌ عشرةُ أبياتٍ بني قوافيَها على الْتزامِ الواوِ الساكنةِ بعدَ فتْحٍ مَعَ النون[2] مطلعُها :

بأبي مَنْ تَهتكي فيه صَوْنْ ؛ رُبَّ وافٍ لغادرٍ فيهِ خَوْنْ !

— ومن أبياته التي تقرأ طَرْداً وعكساً (خمسة أبيات) :

اسمحْ بصدٍّ ناعمٍ مُعاندٍ صُبْحَ مسا !

٤ — ** الخريدة (الشام) ٢ : ٣٨٥ وما بعد ؛ معجم الادباء ١٢ : ١٤١ — ١٦٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٠ — ٤٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٤٤ وما بعد ؛ بغية الوعاة ٣٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٥ — ٣٦٦ ، الملحق ١ : ٥٣٠ ؛ زيدان ٣ : ٥٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٧٥ .

ضياء الدين الشهرزوري

١ — هو القاضي ضياءُ الدين أبو الفضائلِ القاسمُ بنُ يحيى بنِ عبدِ الله بن القاسمِ الشهرزوريُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ — ١١٤٠ م) في دِمَشْقَ (؟) .

تفقّه ضياءُ الدين الشهرزوريّ على يوسفَ الدمَشْقيّ في المدرسة النظامية في بَغْدادَ وسَمِعَ الحديثَ ثمّ عاد الى دِمَشْقَ . ولمّا تُوُفّيَ عمّه القاضي كمالُ الدين محمّدُ بن عبد الله بن القاسم ، سَنَةَ ٥٧٢ هـ (١١٧٦ — ١١٦٧ م) ، خلَفَه هو في مَنْصِبِ قاضي القضاة ، ولكنّه استقال وشيكاً فولاّه صلاحُ الدين الأيوبي السفارةَ بينَه (بين صلاح الدين) وبينَ الخليفة في بغدادَ ، ثم بَقِيَ في هذا المَنْصِب مُدّةً يسيرةً بعد صلاحِ الدين.

وفي سنة ٥٧٥ هـ عيّنَ ضياءُ الدين الشهرزوريَّ قاضيَ القضاة في بغدادَ فلم

---

(١) ... ولا يشدو غلام ، .... ولا استلذ بقينة ولا غلام .

(٢) مد اللين هو المد الناتج من مجيء الواو أو الياء بعد فتح ، نحو : صيف ، خوف .

يَطيبْ له ذلك فاستأذنَ الخليفةَ الناصرَ لدين الله في العودةِ الى الشام فأذِنَ له . فتوجّه الشهرزوريّ الى المَوْصِلِ ثم انتقل الى حَماةَ وتولّى فيها القضاء حيناً . وكانت وفاتُه في حَماةَ في رَجَبَ من سَنَة ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) فحُمِلَ الى دِمَشْقَ فدُفِنَ فيها .

٢ ــ كان لضياء الدين الشهرزوريّ علمٌ بالحديثِ والفِقْه ، كما كان من ذوي الاتّجاه الصوفيّ ، وعلى شِعْرِه شيءٌ من النَفْحة الصوفية .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال العمادُ الكاتبُ الاصفهانيّ : فممّا أنْشَدَنيه (ضياء الدين الشهرزوريّ) من شعرِه في ذي الحِجّة سَنَة ٥٧٠ بدِمَشْقَ :

في كلّ يومٍ تُرى للبَيْنِ آثارُ ... وما له في التِئام الشَمْلِ إيثار[1].
يَسْطو علينا بتَفْريقٍ ، فواعَجَباً! ... هل كان للبَيْنِ في ما بَيْنَنا ثارُ ؟ .
يَهُزّني أبداً من بَعْدِ بُعْدِهِمُ ... الى لِقائِهِمُ وَجْدٌ وتَذْكار[2].
ما ضَرّهم في الهوى لو واصلوا دَنِفاً ؟ ... وما عليهم من الأوْزارِ لو زاروا[3].
يا نازلينَ حِمى قلبي وإنّ بَعُدوا ... ومُنْصفين وإن صَدّوا وإنْ جاروا ،
ما في فؤادي سواكم فاعْطِفوا، وصِلُوا ... وما لكم فيه إلاّ حُبُّكم جارُ !

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٤٣ ــ ٣٤٤ ؛ ذيل للروضتين ٣٥ ــ ٣٦ ؛ العبر ٤ : ٣٠٨ ــ ٣٠٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٤٢ .

علم الدين الشاتاني

١ ــ هو علَمُ الدين أبو عليّ الحسنُ بنُ سعيدِ بنِ عبدِ الله بن بندارَ بنِ ابراهيمَ الشاتانيّ ، وُلِدَ في شاتانَ (من نواحي دِيار بكرٍ) سَنَة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) .

قَدِمَ الشاتانيّ في شبابه إلى بَغدادَ فسَمِعَ فيها الحديثَ ودرس الفِقْهَ والأدبَ . ثمّ إنّه عاد الى المَوْصِلِ ونال حَظوةً عند الوزيرِ جمالِ الدين أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليّ بنِ منصورٍ المعروفِ بالجواد الأصْفَهاني فتولّى فيها البيمارستانَ وما يتبعُه من الوقف . فلمّا نُكِبَ الوزيرُ ، سَنَة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) ، جاء الشاتانيّ الى الشام ومَدَحَ نورَ الدين زنكي ثمّ قَصَدَ صلاحَ الدين الأيوبي (٥٧٢ هـ) ومدحَهُ أيضاً .

---

(١) البين : البعد ، البعاد . ايثار : تفضيل .   (٢) الوجد : الشوق ، الرغبة ، الحب .
(٣) الدنف : الذي أشفى على الهلاك من الحب . الأوزار جمع وزر (بكسر الواو) : ذنب .

وكانت وفاة الشاتانيّ في المَوْصِلِ ، في شَعْبانَ من سَنَةِ ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) .

٢ ــ كان الشاتانيّ فقيهاً ولكن غَلَبَ عليه الشعرُ فتكسّبَ به . وليسَ في شعْرِ الشاتانيّ ابتكارٌ ، ولكنّ فيه سهولةً وشيئاً من العذوبة ، وَهُوَ يقلّدُ الأقدمين والمُحْدَثين في أساليبهم فيُجيد . وفنونُه المدحُ والهجاء والوصف والخمر والغزل والنسيب .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ للعمادِ الاصفهانيّ أبياتٌ مطلَعُها : «سلْ سَيْفَ ناظرِه لماذا سَلّهُ ؟» عارضَها الشاتانيّ بأبياتٍ أكثرَ سُهولةً وعذوبةً :

أهْدى إلى جَسَدي الضّنى فأعلّهُ ، وعَسى يَرِقّ لِعَبْدِه ولَعَلّهُ .
ما كنتُ أحسَبُ أن عقْدَ تجلّدي يَنْحَلّ بالهِجْرانِ حتّى حلّه .
يا ويحَ قلبي ! اينَ أطلُبُه وقد نادى به داعي الهوى فأضلّه ؟
إنْ لم يَجُدْ بالعَطْفِ منه على الذي قد ذابَ من برْحِ الغرامِ ، فمَنْ له ؟
فأشدّ ما يَلْقاه من ألمِ الهوى قولُ العواذلِ : إنّه قد مَلّه !

٤ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٦١ ــ ٣٨٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤٩ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٠٦ .

ابن النجار البغدادي

١ ــ هو أبو زكريّا يحيى بنُ طاهرِ بنِ محمّدٍ الواعظُ المعروفُ بابنِ النجّار البَغْداديّ، وُلِدَ يوم عرَفَةَ (تاسعِ ذي الحِجّة) من سَنَةِ ٥٢٢ (أواخر ١١٢٨م).

سَمِعَ ابنُ النجّارِ البغداديّ الحديثَ من الفضلِ الأرْمَويّ وطَبَقَتِه . ثمّ تَصَدّرَ للتدريس وتُوُفّيَ في بَغدادَ ، في ذي الحِجّة من سنة ٥٩٩ (صيف ١٢٠٣ م) .

٢ ــ يبدو أنّه كان لابنِ النجّارِ البَغْداديّ شِعْرٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ أنشدَ ابنُ النجّار البَغْداديّ في مجلسه يوماً .

عاشِرْ من الناسِ من تَبْقى مودّتُه ، فأكْثَرُ الناسِ جَمْعٌ غيرُ مؤتَلِفِ .
منهم صديقٌ بلا قافٍ ، ومَعْرِفَةٌ بغيرِ فاء[1] ، وإخوانُ بلا ألِفِ !

٤ ــ ** ذيل الروضتين ٣٦ ــ ٣٧ .

---

(١) في الاصل : بغير هاء ، وهو خطأ . معرفة بغير فاء : معرة : عيب .

اعقاب الخلافة العباسية (٢)

النصف الأول من القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلادي)

المغول (التتر) وسقوط بغداد

جاء الخليفةُ الناصرُ إلى الخلافة سنَةَ ٥٧٥ هـ (١١٨٠ م) وبَقِيَ فيها نحوَ سبْعٍ وأربعينَ سنَةً . ومعَ أنَّ الناصرَ كان حازماً شديدَ الرعايةِ لأمورِ رعيّته ، فإنَّ الأحوالَ لم تكنْ في أيامه مستقرّةً . وجاء بعدَ الخليفة الناصرِ ابنُه الظاهرُ (٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م) فمكثَ في الخلافة ثمانيةَ أشهرٍ ونصْفَ شهْرٍ ، ولكنّه لم يكن مثلَ أبيه في شيءٍ ولا جرَى في أيامه ما يستحقّ ذكراً . ثمّ جاء المستنصرُ بنُ الظاهر (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ) ، وكان خليفةً عُمرانياً مُصْلِحاً بنى المدرسةَ المُستنصرية في بَغْدادَ كما بني الجُسور والمَساجد ودُورَ الضيافة والرُبُط[1] ، وكانتْ أيامُه طيّبةً والدنيا في أيامه ساكنةً (قبلَ العاصفة) والخيراتُ دارّةً والأعمالُ عامرة .

ووَزَرَ للمستنصر وزيران : مؤيّدُ الدين القُمّيّ (٦٢٣ هـ) — وكان القمّيّ وزيراً لابيهِ ولجَدّه من قَبْلِه — ثمّ نصيرُ الدين أبو الأزهرِ أحمدُ الناقدُ . وقد كان هذانِ الوزيرانِ كلاهُما مِنَ الوزراء الحازمين المقتدرين .

وفي عاشرِ جمادى الثانيةِ من سنَةِ ٦٤٠ (٤ — ١ — ١٢٤٣ م) جـاء آخرُ الخلفاء العباسيين المستعصمُ باللهِ بنُ المستنصر الى الخلافة ، وكان ليّناً مُستَضْعَفاً قليلَ الخِبْرة بأمورِ الدولة قليلَ الاهتمامِ بمعالي الأمور ، وكان يَقْضي أكثرَ أيامه بسَماع الأغاني والتفرّجِ على المساخر .

ومعَ أنَّ مؤيّدَ الدين القُمّي كان وزيراً للمستعصم قديراً ، فانّه كان قليلَ الإخلاص كثيرَ المَكْرِ عظيمَ الحقد : وَقَعَتْ بينَ الوزيرِ مؤيّدِ الدينِ القمي وبينَ القائدِ مُجاهدِ الدين أيْبَكَ وحشةٌ لمّا علَتْ مكانةُ القائدِ على مكانةِ الوزيرِ وقَوِيَتْ

(١) الرباط (بكسر الراء) مكان تجمع فيه الخيل للغزو ؛ مكان يعيش فيه المتصوفون .

شوكةُ القائد بالتفاف حاشية الخليفة حوله ثم خسرَ الوزيرُ القميّ نفوذَه كلَّه حتّى قال — وكان يُجيدُ نظْمَ الشعر — عن نفسه :

وزيــرٌ له من بأسه وانتقامــه بطيٌّ رقاعٍ حشوُها النثْر والنظمُ
كما تَسْجعُ الورقاءُ — وهْيَ حمامةٌ — وليس لها نَهْيٌ يُطاع ولا أمــرُ !

ولقد بلَغَ من حقْد مؤيّد الدين القُمّيّ على القائد مجاهد بن أيبكَ أن كاتبَ هولاكو[1] يماليئُه ويُجرّوه على احتلال بَغْدادَ. ولكنّ القمّيّ لم يُمتّعْ بثمار خيانته قطّ، فإنّ التتارَ أتباعَ هولاكو — لمّا استوْلوْا على البلاد — جعَلوا يُعاملونه معاملةً مُهينة مُزْرِيةً حتّى ماتَ غمّاً وغيظاً في أوائل سنَة ٦٥٧ هـ (أوائل ١٢٥٩م).

في هذه الاثناء كانت المملكةُ السلجوقية في أصفهانَ والإماراتُ السلجوقية في الشام والعراق قد انقرضتْ قبلَ نحو قرن أو قرن ونصف قرن من الزمن. وكذلك كانتْ إماراتُ الأتابكة — خلفاء السلاجقة في العِراق والشام — قد انقرضوا في مَدى ستّينَ سنَةً، بينَ سنة ٥٧٩ وسنَة ٦٣٩ للهجرة (١١٨٣ — ١٢٤٢ م). وكذلك كان الأيوبيّون الذين خلَفوا الفاطميّين في مصْرَ والشام وخلَفوا الاتابكةَ (أتباعَ السلاجقة) في العراق والشام قد انقرضوا قبلَ سنَوات قليلة أو لم يبْقَ منهم إلاّ بقايا سيقْضي عليها الاجتياحُ التتري (المَغولي) المُطلِّ. وبما أن جحافلَ التتر لم تَصلْ الى آسية الصُغْرى ولا إلى مصْرَ، فانّ الأحوالَ في هذين القطْرين لم يؤثّرْ عليها الاجتياحُ التتريّ تأثيراً ظاهراً.

وأمّا الحجازُ واليمَنُ فقد كانا في هذه الفترة — كما كانا في الفتْرة السابقة — في معْزلٍ عن جميع الأحداثِ التي كانت تهزُّ العراقَ بالاجتياحِ التتري وتهزُّ الشامَ بالحروبِ الصليبية وبالاجتياح التتري معاً.

الحروب الصليبية والدولة الأيوبية

في هذه الأثناء (في النصْف الأوّل من القرن السابع للهجرة) كانتْ حَميّةُ الإفرنج الصليبيّين قدْ فترَتْ وكانتِ الأرضُ التي كانوا يُسيطرونَ عليها من ساحلِ الشام قد تقلّصتْ كثيراً. وزادَ التنازعُ بين الصليبيّين واشتدّتِ الاضغانُ حتّى كانَ بعضُ الصليبيّين أحياناً يَستنجدُ بالمُسلمين على بعضِ الصليبيّين الآخرينَ.

---

(١) راجع، تحت، ص ٤٢٧ — ٤٢٨.

أمّا المعركةُ الكبيرةُ الوحيدةُ التي خاضَها الصليبيّون فكانتْ معركَةَ المنصورة في مِصْرَ ، فقد نَزَلَ لويسُ التاسعُ (القدّيسُ لويس) مَلِكُ فرنسةَ على الساحلِ المِصْري ثمّ اتّجهَ نحوَ القاهرة . وفي المُحَرّمِ من سَنَةِ ٦٤٨ (نَيْسان – ابريل ١٢٥٠ م) نَشِبَتِ المعركَةُ الكُبرى وتقطّعَ جيشُ لويسَ التاسعِ ووَقَعَ هو نفسُهُ أسيراً في أيدي الجيش الأيوبي .

وجرَتْ سُنّةُ التاريخ على الأيّوبيّين فانقرضتْ دولتُهم ، سَنَةَ ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ، سوى بقيّةٍ في حَماةَ عاشتْ إلى سَنَةِ ٧٣٢ هـ ثم بقيّةٍ في حِصْنِ كيفا بَقِيَتْ الى سَنَةِ ٩٣٠ هـ .

الاجتياح التتري

التترُ (أو التتارُ أو المَغول) شَعبٌ أسْيويّ بَدْويّ كانتْ مساكنُه وراءَ نهرِ جَيْحونَ . وهم جيرانُ التُركِ وأقاربُهُم من الناحية العِرْقية . ويبدو أنّ النَصْرانية كانتْ قدِ انتشرتْ بينَهم انتشاراً واسعاً منذ القرنِ الثاني عَشَرَ للميلادِ (السادسِ للهِجْرة) ، كما كان كثيرٌ منهم قد تأثّروا بالحَضارة الصينيّة .

واستطاع التترُ في القرنِ السادسِ للهِجْرة أن يُشيّدوا إمْبرطوريةً مترامِيةَ الأطرافِ فقد توغّلَ جنكيزْخان في الصين واستولى على عاصمتها بَكّينَ ، سَنَةَ ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) . ثمّ اتّجه بجموعهِ غرباً فاستولى على خُراسانَ وآذربيجانَ وأفْغانستانَ وجَنوبيّ الروسيةِ . ولمّا ماتَ (٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م) تركَ بعدَه إمبرطوريةً واسعةً . وكان التترُ إذا دخلوا بلداً أعْملوا فيه النَهْبَ والقتل ؛ وقد كان البلاءُ بهم عامّاً في بلادِ آسيَةَ وخصوصاً في بلادِ المسلمين ، فإنّ كثيراً من البُلدانِ الاسلامية التي اجتاحَها التترُ قد خلَتْ كلُّها من أهلِها أو كادت .

احتياج بغداد وسقوط الخلافة العباسية

بدأ التترُ باجتياحِ البلادِ في المشرق منذُ مطلعِ القرن السابعِ للهِجْرة ، وقد كان هذا الاجتياحُ هائلاً مُفْجِعاً – وخصوصاً في بلادِ الإسلام – حتّى أنّ عزَّ الدين ابنَ الأثير بدأ أخبار سَنَةِ ٦١٧ هـ (١٢٢٠ – ١٢٢١ م) بقوله (١٢ : ٣٥٨ – ٤٠٠) : « لقد بَقِيتُ عِدّةَ سِنينَ مُعْرِضاً عن ذِكْرِ هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذِكْرِها ..... فمَن (ذا) الذي يَسْهُلُ عليه أن يَكْتُبَ نَعْيَ الإسلامِ

والمسلمين ؟ ... فيا ليتَ أمّي لم تَلِدْني ، ويا ليتني مِتّ قبلَ حُدوثها » . ثمّ لم يذكُرِ ابنُ الأثير في أخبارِ هذه السنَةِ ، وفي الصفَحات الثلاثِ والأربعينَ التي خصّ هذه السنةَ بها ، إلاّ أخبارَ التقتيل والتخريب اللذين قامتْ بهما جموعُ التتر في بلاد الاسلام .

كان التترُ مندفعينَ بقيادة هولاكو – حفيد جنكيزخان – نحوَ الغرْب يكسحُون البُلدان كَسْحاً ويمسحون أهلَها مسحاً لم يقِفْ في وجْهِهم جبلٌ شاهقٌ ولا حِصْنٌ منيعٌ فقدِ استولى هولاكو في زَحْفه هذا على حصن ألموتَ[1] وقتل رُكْنَ الدولة خورشاه رئيسَ الباطنية – وكانت شِرّةُ الباطنيّة قد فتَرَتْ وشَرُّهم قد خفّ كثيراً. ثمّ تابع التترُ سَيْرَهم حتّى اقتربوا من بغْدادَ . قال ابنُ الطِقْطِقى[2] :

« في يوم الخميس رابعِ مُحرّم[3] من سَنَةِ ستٍّ وخمسينَ وستّمائة ثارتْ غَبْرَةٌ عظيمةٌ شرْقَ بغدادَ على دربِ بَعْقوبا بحيثُ عمّتِ البلد . فانزعج الناسُ من ذلك وصَعِدوا الى أعالي السُطوح والمنائر يتَشوّفون[4] . فانكشفَ الغُبارُ عن عساكرِ السُلطانِ (هولاكو) ... وقد طبّقَ وجهَ الأرض وأحاط ببَغْدادَ من جميع جهاتها ... وشرَعَ العسكرُ الخليفيّ في المُدافعة والمقاومة إلى اليوم التاسع عشَرَ من مُحرّم ... وتقحّمَ العسكر السلطانيّ (عسكرُ هولاكو) هجوماً (على بغْدادَ) ودخولاً ، فجرى من القتلِ الذريع والنهب العظيم والتمثيلِ البليغ ما يَعْظُمُ سَماعُه جُملةً ، فما بالُكَ بتفاصيله ! ثمّ استُشْهِدَ المستعصمُ في رابعِ صفَرَ من سَنَةِ ستٍّ وخمسينَ وستّمائة[5] » . فانقرضتْ بذلك الخلافةُ العبّاسيّة .

الاجتماع والثقافة

رجَعَ الإسلام في هذه الفتْرةِ الى شيءٍ من الاستقرار بعدَ أن فتَرَتْ حَميّةُ الصليبيّين في قتال المسلمين وتحوّلَ الصليبيّون إلى قتال بَعْضِهم بعضاً في الشامِ أو الى قتالِ الروم في القُسطنطينيةِ وما حولَها . غيرَ أن الغاراتِ على البلادِ الاسلامية

---

(١) راجع في الباطنية والموت ، فوق ، ص

(٢) الفخري ، بيروت (دار بيروت للطباعة والنشر) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م ، ص ٣٣٦ .

(٣) ١١/١/١٢٥٨ م .

(٤) تشوف الرجل من السطح : تطاول وأشرف ونظر (القاموس ٣ : ١٦٠) .

(٥) ١٠/٢/١٢٥٨ م .

والمُنازعات بينَ الأمراء المسلمين لم تنقطع . غير أن العاطفةَ الإسلامية عادتْ إلى شيء من القوّة ثم عَمِلَ العُنْصُر الروحيّ في التاريخ عَمَلَهُ :

في سَنَةِ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) جلس سِبْطُ ابنِ الجَوْزيّ في جامعِ دِمَشْقَ وعِنْدَه مقاديرُ من شَعْرِ الناس — فقد كان الناسُ يتبرّعون بأشياءَ كثيرةٍ للمجاهدين ، ومن هذه الأشياءِ الشَعْرُ — ووَعَظَ الناسَ وحثّهم على الغزْوِ ، وكانوا خَلْقاً كثيراً يملأون ما بينَ بابِ الساعاتِ وبين مَشْهَدِ زينِ العابدين . ثم إنّه كرّر حكايةَ قُدامةَ الشاميّ معَ تلك المرأةِ التي قَطَعَتْ شَعْرَها وبَعَثَتْ به إليه وقالت : « اجْعَلْهُ قَيْداً لِفَرَسِكَ في سبيل الله . ثمّ إنّ (سِبْطَ ابن الجوزيّ) عَمِلَ من الشعورِ التي كانت عندَه مجتمعةً شُكُلاً[1] لخيلِ المجاهدين. ولمّا صَعِدَ المِنْبَرَ أمرَ باحضارِها فكانتْ ثلاثمائةَ شِكال . فلمّا رآها الناسُ صاحوا صيحةً واحدةً وقطعوا (من شعورهم مِقداراً) مِثْلَها . وكان والي دِمَشْقَ حاضراً والأعيانُ. فلمّا نزَلَ (سِبْطُ ابنِ الجوزيّ) عن المِنْبَرِ قام والي دِمَشْقَ فمشى معَه ، وركِبَ وركِبَ الناسُ وخَرَجوا الى باب المُصَلّى — وكانوا خلقاً لا يُحْصَوْنَ كَثْرةً — وساروا الى نابُلُسَ لِقتالِ الفِرَنْج فأسَروا وهزَموا وهدموا وقتلوا ورَجَعوا سالمينَ غانمين[2] .

وفي سَنَةِ ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) بدأ الأشرف[3] ببناءِ جامعٍ مكانَ خانِ الزنجاري بالعقيبة — وكان خاناً معروفاً بالفُجور والخَواطىء والخَمْر ، وسُمّيَ الجامعُ جامعَ التوبة[4] .

في هذه الفَترةِ نالَ العلماءُ حَظْوةً عند الحُكّام ثمّ أصبحَ لهم نفوذٌ كبيرٌ على الناس حتّى كانوا يعترضون الحكّام إذا خرج أولئك الحكّام في سياستهم أو في سُلوكهم عن مُقتضى الشرع. كان العزّ بنُ عبد السلام — واسمهُ الكامل: سُلطانُ العلمـاء عزّ الدين أبو محمّد عبدَ العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) — فقيهَ وقته والآمرَ بالمعروف والناهيَ عن المُنْكَرِ في زمانه جَريئاً في الحقّ على الحُكّام ذا كَلِمَةٍ مسموعةٍ في الناسِ خاصّتِهم وعامّتِهم. وكان إذا نَبّهَ الواليَ أو السُلطانَ إلى أمرٍ مُغايرٍ للشَرْعِ لم يَنْتَظِرْ حتّى يتحركَ الوالي أو السلطانُ إلى إصلاحِ

(١) الشكل (بضم الشين والكاف) جمع شكال (بكسر الشين) : حبل تربط به قوائم الابل (والخيل) .
(٢) راجع شذرات الذهب ٥ : ١٨ .
(٣) لعله الملك الأشرف موسى بن محمد الأيوبي (ت ٦٣٥ هـ) .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٤٨ .

الفساد ، بل كثيراً ما كان يتقدَّمُ هو فيُباشرُ تغييرَ ذلك الفسادِ بنفسه .

نشبَ بينَ الملكِ الصالحِ اسماعيلَ سُلطانِ دمشقَ وبين ابنِ أخيه الملكِ الصالحِ نجمِ الدين أيوبَ سُلطانِ مصرَ خلافٌ . وخافَ الملكُ الصالحُ اسماعيلَ على حكمه من الملك الصالحِ نجمِ الدينِ فحالفَ الإفرنجَ الصليبيّين وتنازلَ لهم عن قلعة صفدَ وقلعة الشقيف ثمّ أذنَ لهم بدخول دمشقَ لشراء الأسلحة . فأنكرَ المسلمون هذا العملَ واستفتَوُا العلماءَ فيه فأفتى العزّ بنُ عبدِ السلام بتحريمِ بيعِ السلاحِ للإفرنج ، ثمّ لمّا كان يومُ الجُمُعةِ التالي خطَبَ العزّ بنُ عبدِ السلام في جامعِ دمشقَ وذمّ السلطانَ على فعلته وتركَ ذكرَ اسمه عندَ الدعاءِ للمسلمين ولأُمراء المسلمين . وغضبَ الملكُ الصالحُ اسماعيلُ فعزلَ العزَّ بنَ عبد السلام من الخطابة وسجنَه . ولكنّ العلماءَ سخطوا على الملكِ الصالحِ اسماعيلَ وكلّموه في إطلاقِ سراحِ العزّ بن عبد السلام فأمرَ بإطلاقه خوفاً من نقمةِ العامّة .

وقدِ اتّسعتْ في هذه الفترةِ دراسةُ الفقه والحديث وخصوصاً بين النساء .

الصوفية والحشيش

وزادَ انتشارُ التصوّفِ في هذه الفترة ، فإنّ جماعاتٍ من الناس هالَهُمُ استمرارُ الحروبِ الصليبيّةِ مُدّةً طويلةً معَ ما رافقَ تلك الحروبَ من الكوارثِ والصعاب فجبُنُوا عن الكفاح وهربوا الى كسَلِ التصوّف . ومن الحقّ أن يُعَدَّ التصوّفُ المتطرّفُ من الحركات الهدّامة في الإسلام – مِثلَ الحركة الباطنية أو أشدَّ خطراً – لأنّ أتباعَه وقفوا ، في أثناء الحروبِ الصليبية ، موقفاً سلبياً من جميعِ أوجهِ الدفاع عنِ الاسلام حتى بالكلمةِ الصالحة . ثمّ إنّ التصوّفَ المعتدلَ أيضاً – كتصوّفِ الإمامِ الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) – لم يكنْ يخلو من المغامز ، إذا نحن نظرنا إلى موقفِ الإمامِ الغزّالي وإلى سُكوته المُحيّرِ وقدِ استولى الإفرنج الصليبيّون في أيامه على القدسِ وارتكبوا فيها من الفظائع بالتقتيل والتخريب وبتدنيسِ شعائرِ الإسلام ما لا تستطيع أن تصفه بلاغةٌ ولا أن يُحيطَ به بيان .

ولم يكتفِ المتصوّفةُ في تلك الفترةِ بإغماض أعيُنِهِمْ عنِ الأخطارِ التي كانتْ تُحيقُ بالمسلمين وبالإسلامِ نفسه ، بل أرادوا أن يُميتوا ضمائرهم فلا يشعُروا بعدَ ذلك بشيء – ولو مقدارَ وخزِ إبرةٍ – من كوارثِ تلك الحروبِ

الظالمة المُظْلمة ، فلجأوا الى تعاطي حشيشة الكَيْف ثمّ نَشَروا هذه المَفْسَدَةَ بينَ الناسِ لأنّهم أرادوا أن يَجْعَلوا سائرَ الناسِ مِثْلَهم ليَقِلّ انتقادُ الناسِ لهم على سُلوكِهِم الغريب .

وأدرك الحُكّام الواعونَ أخطارَ التصوّف المُتَطرّف خاصّةً وما يَخْلُقه من الفَساد وما كان له من الأثر السيّءِ على العامّة ومن الخَطَر على الدولة وعلى الدين ، فقد قاتلَ السُلطانُ لؤلؤٌ صاحبُ المَوْصِلِ (٦٣١ – ٦٥٧ هـ) أتباعَ الطائفةِ العَدَويّةِ (اليزيديّة) وقضى على كثيرينَ منهم . ولم يَنْجُ المتصوّفةُ في مِصْرَ من مثلِ هذه المعاملة . غيرَ أنّ عُمَرَ بنَ الفارضِ (ت ٦٣٢ هـ) في مِصْرَ ومُحْيِى الدينِ بنَ عربيّ في الشامِ قد نَجَوَا من الاضطهادِ الظاهر ، وإن كانا قد اتّهِما تُهَماً كثيرةً . ثمّ جرُؤ العامّةُ أنفسهُم فقتَلوا مُحْيِيَ الدينِ بنَ عربي ، سَنَةَ ٦٣٨ هـ ، بسبَبِ شَطْحِه[1] .

غير أنّ هذا الحُكْمَ لا يَنْطَبِقُ على المرابطين الذين كانوا يُقيمون في الرباطاتِ[2] زاهدينَ في متاعِ الدنيا ، على مَقْرُبَةٍ من الأعداء يُقاتلون كُلّما وَجَدوا الفرصةَ سانحةً للقتال من غيرِ أن يتركوا للاعداءِ سبيلاً إلى الاطّلاع على حقيقةِ أمرِهِم فلا يتَمكّنوا بعدَ ذلك من القتال للدفاعِ عن بلادِ الإسلام .

الخصائص الأدبية

غَلَبَ على الشعْر في هذهِ الفَتْرةِ شيءٌ كثيرٌ من السُهولة والرقّة ومن تناوُلِ الأغراضِ القريبةِ مِنَ النفسِ مَعَ شيءٍ كثيرٍ من الصناعة والتأنّق ومِنَ الاتّكاءِ على التَوْريات خاصّةً . فمن الذين مَثّلوا هذا الاتّجاهَ تمثيلاً واضحاً : الحاجريّ (ت ٦٣٢ هـ) وابنُ مطروحٍ (ت ٦٤٩ هـ) والبهاءُ زُهيرٌ (٦٥٦ هـ) . أمّا النثرُ فقد رَجَعَ عنْ كثيرٍ ممّا كان قد بَلَغَ إليه عِندَ القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) .

وبلغَ الأدبُ الصوفيّ في هذه الفترةِ ذِرْوَتَهُ العاليةَ في شِعْرِ عُمَرَ بنِ الفارضِ

---

(١) الشطح كلام على خلاف ظاهره مجانب للعرف الديني وللوازع الاجتماعي معاً في بعض الأحيان وخروج عن مقتضى الدين في بعض الأحيان الأخرى ، فقد كان محيى الدين بن عربي يقول ، مثلا : من قال « لا اله الا الله » فقد كفر ، لأن الواجب على المؤمن (في رأي محيي الدين بن عربي) أن يقول : لا موجود الا الله !

(٢) الرباط (بكسر الراء) بناء صغير ناء عن العمران يقيم فيه الفرد أو الجماعة للعبادة . ويكون القائمون في الرباط للعبادة – في الوقت نفسه – جنوداً من عند أنفسهم يقاتلون في سبيل الله (راجع أيضاً الحاشية ، ص٤٢٦) .



(ت ٦٣٢ هـ) وفي شعرِ مُحْيِي الدين بنِ عربيّ (ت ٦٣٨ هـ) ونثرِه. وكذلك اتّسعَ فنّ الوعْظ كما نرى عند سِبْطِ ابن الجوْزي (ت ٦٥٤ هـ).

وكثُرَ الاهتمامُ بالبلاغة وبالتأليف فيها، وأشهرُ من ألّف في فنونِ البلاغة ضياءُ الدين بنُ الأثير (ت ٦٣٧ هـ) في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» ثمّ ابنُ أبي الحديدِ (ت ٦٥٥هـ) في «شرح نهْجِ البلاغة» وفي كتابِ الفلَكِ الدائرِ على المثَلَ السائرِ (وقد خالفَ فيه ابنَ الأثيرِ في عددٍ من الآراء).

وإذا كان الشعرُ عامّةً قد ضَعُفَتْ مبانيه وتراكيبُه فانّه اكتسبَ سُهولةً ورِقّةً جاءتاه من الانحدار به الى الحياةِ العاديّةِ وتناوُلِ المعاني من مُتَناوَلِ اليد، كما نرى في شعر بهاء الدين زُهيرٍ (ت ٦٥٦ هـ) مثلاً. وبَرَزَ العنْصر الدينيّ في الشعر والنثر معاً من أثر الحروب الصليبية وقُدْرَةِ الشعور الديني على حفْظِ الحَمِيّةِ للجهاد. ومعَ بُروزِ هذا العنصرِ الدينيّ برز الأدبُ الصوفي في الشعر والنثر، وشَهِدَ الأدبُ العربي أعْظمَ شُعَراءِ الصوفية في العالم بعدَ جلالِ الدين الروميّ في عُمَرَ بنِ الفارض.

من الجهود الثقافية

ومن الذين توَفّروا في هذه الحِقْبة على النحْوِ والصرف أو اللغة في الأكثر وعلى البلاغة في الأقلّ السكّاكيّ (ت ٦٢٦ هـ) فقد هذّبَ مسائلَ علْمِ البيَانِ ورتّب أبوابَه وألّفَ في ذلك كتابَه المُسمّى بالمِفتاح في النحو والتصريف والبيان (مقدّمة ابن خلدون ١٠٦٧). ومِنهُم الصاغانيُ أو الصّغانيّ (ت ٦٥٠ هـ) في جُهوده في اللغة.

ومن مشاهير هذه الحِقْبة أبو عمروٍ بنُ الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) الذي لخّص طُرُقَ المَذْهَبِ المالكيّ في الفِقْه وعَدّدَ أقوالَ عُلمائه في كلّ مسألةٍ فجاء كتابه كالبَرْنامَجِ للمذهبِ كلّه. وفعَلَ ابنُ الحاجبِ في النحوِ ما فعَلَه في الفِقْه. وقد مرّ معنا ذِكْرُ مُحْيِي الدين بنِ عربيّ في التصوّف، ثمّ هو فَقيهٌ أيضاً. وبينما كان ابنُ عربي باطنيّ الرأي في الاعتقاد فانّه كان ظاهريّ الرأيِ في العبادات، فقد جمَعَ بينَ التفكيرِ الفلسفي (المتطرّف) وبين الأخذِ بعمَلِ السلف في وقت واحد؛ وهذا بابٌ من تطرّفه!

ومِنَ الذينَ اشتغلوا بعددٍ كبيرٍ من وُجوهِ العلم عبدُ اللطيف البَغْدادي (ت

٦٢٩ هـ) له كتبٌ في الطِبِّ والطبيعيّات والفلسفة والمَنْطِق واللغة والبلاغة والتاريخ والجغرافية .

ومن مشاهيرِ المؤرّخينَ والجُغرافيّين في هذهِ الحِقْبة ممّن صنّفوا الكُتُبَ الواسعةَ في موضوعها عزّ الدين بنُ الأثير (ت ٦٣٠ هـ) صاحبُ « تاريخِ الكاملِ » (في التاريخِ العامّ، وهو حَوْليّات على السّنينَ) وياقوتٌ الحَمَويّ (ت ٦٢٦ هـ) صاحبُ «مُعْجَمِ البُلدان» وعبدُ اللطيف البَغْداديّ (ت ٦٢٩ هـ) صاحبُ كتاب «الإفادةِ والاعتبار» والقِفْطيّ (ت ٦٤٦هـ) صاحب كتابِ «إخبارِ العُلماء بأخبار الحكماء» وكتاب « إنباه الرُّواة على أنباه النحاة » ثمّ ابنُ أبي أُصَيْبِعةَ صاحبُ «طبقاتِ الأطبّاء» . ومن الذين كتبوا في التاريخ القَصَصيّ (أو القَصَصَ التاريخيّ) بهاءُ الدين ابنُ شدّادٍ (ت ٦٣٢ هـ) .

ابن نفادة*

١ ـ هو الرئيسُ الأميرُ شمسُ الدين (بدر الدين) نَشْءُ الدولةِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عليّ بن المباركِ بنِ نَفــادةَ السُلَميّ الدِمَشْقيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) .

كان ابنُ نَفادةَ عندَ السُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبيّ في عِداد روساءِ الجُنْد الذين يُسَمَّوْنَ الأمراءَ ، وكان فيهم من أربابِ السيوف . وتكسّبَ ابنُ نفادة بالشِعر : مَدَحَ السلطانَ صلاحَ الدين وأولادَه وأخاه العادلَ ، ومدح الوزير صفيّ الدين بن القابض والقاضيَ الفاضلَ وغيرَهم .

وكانت وفاةُ ابن نَفادَةَ في دِمَشْقَ في المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٠١ (أيلول ـ سبتمبر ١٢٠٤ م) .

٢ ـ كان ابنُ نَفادةَ أديباً وشاعراً مُكْثِراً طويلَ النَفَس مُقْتدراً مشهوراً يُحْسِنُ نظمَ الشعر ، ولكن يأخذُ من معاني الآخرينَ، قيل أخَذَ من الأرّجانيّ . وأغراضُ شعرِه المديحُ والغزل والنسيب . وكان مُغْرَماً بالتلاعب بالقوافي يجعلُ للبيتِ الواحد قافيتينِ أو أربعَ قوافٍ ، كقولِه مثلاً :

(*) نفائة : أبو قوم (القاموس ١ : ١٧٥) من بني كنانة (تاج العروس - الكويت ٥ : ٣٧٤ ؛ راجع المحبر ٤٩٦ و ٤٩٧) . وفي فوات الوفيات (١ : ٦٠) : ابن نقادة . وفي الوافي بالوفيات (٧ : ٣٩) ابن نفادة (بالدال المهملة) . وفي خريدة القصر (قسم الشام) بنو نفاذة بالذال المعجمة (١ : ٣٢٩) ، وفي الحاشية الثانية من الصفحة نفسها نفائة بالثاء المثلثة (بالاستناد الى احدى المخطوطات) وبنو نفاية (٢ : ١٨٢).

وطرفُهـا مُسْكِرَةٌ خمـرُهُ   إذا أُدِيرَتْ وهْوَ، يا (صاحِ)، (صاحْ)[1].
أمُـدُّ قلبي نحـوَ كاساتِهـا   رَشْفاً، إذامُدَّتْ الى (الراحِ) (راحْ)[2]

وكقوله :

ودمعُ عيني (شاهدٌ) على (الهوى)   (مِدرارُهُ)، والوَجْدُ ما لا (يختفي)[3]
أسهَرُ وهْو (راقدٌ)، لمّا (جَنى)   (نِفـارُه) عرّضَني (للتلَـفِ)[4].

وهو كثيرُ التلاعبِ أيضاً بالجِناس خاصّةً، كقوله :

قد كنتُ معتمداً على صبري إذا   ما الخطبُ فاجاني، (وها) صبري (وَهَى)[5]،
يا مُطلعين لنـا بُـدوراً (أوْجُها)   فلَكُ الجُيوبِ فكيف تُسْمَى (أوْجُها)[6]
ومُلاحِظِـين بأعيُنٍ مِـن (أمّها)   لم يَدْرِ غِزْلاناً يُغازِلُ (أمْ مَها)[7].

٣ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ نفادة يَصِفُ ثَمَرَ المِشْمِشِ على أغصانه :

ناريّةُ اللون في الجِنان بَدَتْ ؛   يا عَجَباً للجِنانِ في اللهَبِ[8].
تلوحُ كالتِبْرِ في الزَبَرْجَـدِ مِن   فوق عُروقِ المَرجانِ في القُضُبِ[9].
فَهْيَ سماءٌ مـن الزُمُـرّدِ في   آفاقِهـا أنْجمٌ مـن الذهبِ[10].
حَجَّ لِميقاتِهـا البريّـةُ مِـن   مِصْرٍ إلى جِلّقٍ الى حلَبِ[11].

---

(١) صاح مرخمة (مقطوعة الآخر) من صاحب. يا صاح: يا صاحبي. صاح من الصحو: واع، غير غافل.
(٢) الرشف: تناول الماء قليلا قليلا بالشفتين. الراح: الخمر. والراح جمع راحة: باطن الكف.
(٣) النفار: الصد، الهرب.
(٤) المدرار: الذي ينسكب بكثرة. الوجد: الحب والشوق.
(٥) الخطب: الأمر العظيم الفادح (الثقيل على الانسان) فاجاني = فاجأني، فجأني: أتى علي فجأة أو بغتة (من غير أن انتظره أو أتوقعه). - وها (الواو للعطف). وهى: صار ضعيفاً.
(٦) بدور = وجوه حسان. أوجها (الأوج: أعلى ما يصل اليه الكوكب في فلكه - في ابتعاده عن الارض). الجيب: مدخل العنق في الثوب. تسمى = تسمى، تدعى. أوجه جمع وجه. - كيف يجوز أن نسمي هذه الوجوه الحسان وجوهاً فقط، وهي أحق أن تدعى بدوراً.
(٧) أم: قصد. مها جمع مهاة: بقر الوحش (نوع من الغزلان يمتاز بسعة العينين).
(٨) الجنات جمع جنة: البقعة المزروعة بالازهار (وتطلق على الجنينة في الدنيا وعلى الجنة في الآخرة).
(٩) التبر: الذهب الخالص. الزبرجد: حجر كريم أخضر. المرجان: حيوان بحري اذا مات تكلس هيكله وأصبح الحجر الأحمر المعروف بهذا الاسم.
(١٠) الزمرد: حجر كريم أخضر. الآفاق (جمع أفق): الأطراف.
(١١) - جميع الناس (البرية) يأتون في موسم (ميقات) المشمش (الى دمشق، حماة [illegible]) ليأكلوا من هذا المشمش. جلق (في القاموس): دمشق أو غوطتها؛ بلد جنوبي غربي الشام كان عاصمة للغساسنة.

يَرشِفُ رَيقَ النّدى مُقبّلُهـا فيَجتَنيهـا معسولةَ الشّنَبِ[١].
تذوبُ في فيـه مـن لَطافَتِهـا من غيرِ مَضْغٍ يُفْضي الى تعبِ[٢].

– وله قصيدةٌ عاديّةُ الغزَلِ والنسيبِ ولكنّها حُلْوةُ اللفظِ رشيقةُ التّركيب، منها :

دَعْهُ مِثْلي يَبْكي الصبا وزَمانَهْ ؛ إنّ ذِكْراه هَيّجتْ أحْزانَـهْ.
ناحَ شَجْواً على ليـالٍ وأيّـا مٍ تَقَضّتْ لم يَقْضِ منها لُبانه[٣].
كيف يرجو في الأربعين وَفـاءً من شبابٍ قبلَ الثلاثين خانَـه !
أو ينالُ اللذّاتِ في أُخْرَياتِ الـ عُمْرِ من لم يَفُزْ بهـا رَيْعانَه[٤].
وتَجافَ الجُفونَ واحذَرْ على قلـ بِك تلك اللّواحِـظَ الفتّانه[٥].
رامياتٍ؛ فكـلّ شعرةِ هَـدْبٍ ثَمّ سَهْمٌ، وكلّ جَفْنٍ كِنانه[٦].
وبِروحي هيفاءُ أعْطافُهـا نَشْـ وَى تَهادَى كأنّها خُوطُ بانه[٧].
فَهْيَ بدرٌ من تَحتِها غُصْنُ بانٍ، وكثيبٌ من فوقـهِ خَيْزُرانه[٨].
تَلْبَسُ الحُسْنَ فوقَ قُمصانِها ثَوْ باً، وتُكْساه حُلّـةً عُرْيانه[٩].
يَنْبُتُ الوردُ والشّقيقُ بخَدّيْـ ها لنا مـن قَوامِها رَيْحانـه[١٠].

---

(١) المقبل : الذائق ، الآكل . الشنب : بياض الاسنان ، وماء وبرد وعذوبة (ريق) . – الذي يأكلها يأكل شيئاً ليناً بارداً حلواً .

(٢) أفضى : أدّى ، أوصل . أفضى الى تعب : أتعب الناس .

(٣) الشجو : الحزن . اللبانة : الوطر ، الحاجة ، الغاية .

(٤) ريعانه (مفعول فيه) = في ريعانه ، في إبانه (في زمن شبابه) .

(٥) تجاف (فعل أمر من : تجافى) : ابتعد ! ابتعد عن .

(٦) الهدب : الشعرة في الجفن . ثم (بفتح الثاء) : هناك . كنانة : وعاء للسهام .

(٧) الهيفاء : الدقيقة الخصر . الأعطاف : جوانب الجسد . نشوى : سكرى . تهادى = تتهادى : تتمايل . الخوط : الغصن الطري . البانة : شجرة مستقيمة الاغصان .

(٨) الكثيب : الجانب المستدير من الرمل . – يقول : وجهها كالبدر على قامة كغصن البان ؛ أو هي كثيب (ضخمة وسط الجسم) فوقه خيزرانة (قامة نحيفة ممشوقة) .

(٩) – اذا كانت تلبس أثوابها أو اذا كانت عريانة فهي جميلة . (تكسى الحسن حلة جميلة ، اذا كانت عريانة) .

(١٠) الشقيق : شقائق النعمان (زهر بري أحمر) . (المعنى العام غامض) . ينبت (بضم الياء) ! والورد (بالنصب) !.

وتُرِينا باللحظِ نَرْجِسَةَ الأحـ ـداقِ والثغرَ باسماً أقحوانَـه[1].
فَبِلَثْمي والضَمِّ مِـن خدّها والنـ ـهْـدِ أجْني التفّـاح والرمّانه.

٤ ــ ** الوافي بالوفيات ٧ : ٣٩ ــ ٤٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٦٠؛ الخريدة (الشام) ١ : ٣٢٩ــ٣٣٤).

شُميم الحلي

١ ــ هو أبو الحسن عليّ بنُ الحَسَنِ بنِ عنترِ بنِ ثابتٍ من أهلِ الحِلّة ، قَدِمَ إلى بغدادَ وتأدّبَ فيها بابنِ الخشّابِ ثمّ انتَقَلَ إلى المَوْصِلِ واستَوْطَنَها . وتطوّفَ شُمَيْمٌ الحلّيّ بعدد من بُلْدانِ الشام وديارِ بكرٍ ، ولَقِيَه ياقوتٌ الحَمَويّ في آمِدَ سَنَةَ ٥٤٤ هـ[2] .

وكان شُمَيْمٌ مُتَكبّراً متعجرفاً مُدّعياً حتّى يبلُغَ في ذلك إلى السُخْفِ والكُفر أحياناً . وكان لا يرى فضلاً لِمُتَقَدّمٍ ولا لمتأخّرٍ الاّ للمتنبّي في مدائحه ولابنِ نُباتة (السعديّ) في خُطَبه وللحريريّ في مقاماته . وقد تكسّبَ بالمديح حيناً. ويبدو أنّه زَهِدَ في آخرِ أيامه وتصوّفَ ، قيلَ كان يخلو شَهْراً لا يأكُلُ ولا يشرب .

وتُوُفّيَ شُمَيْمٌ في المَوْصل في ٢٨ من ربيعٍ الآخِرِ سَنَةَ ٦٠١ (٢٤ــ١٢ــ١٢٠٤ م) .

٢ ــ كان شُمَيمٌ من أكابرِ فُقَهاءِ الشيعة في الحِلّة ، وكانَ شاعراً وناثراً ذا معرفة باللغة والنحو . ثم كانَ شديدَ التكلّفِ في تطلّبِ أوجهِ البلاغةِ في نثْرِه خاصّةً ، إذ كان يُوغل فيَسْخُفُ . وفنون شعرِه المَدْحُ والخمريّات (مَعَ أنّه لم يَشْرَبِ الخمر) والغزَلُ . ولشُميم تصانيفُ كثيرةٌ منها : النُكت المُعْجَمات في شرح المقامات ــ أرْيُ المُشْتار[3] في القريض المختار ــ الحماسة (من نظمه ، رتّبه على عَشْرةِ أبوابٍ وضاهى به كتابَ الحماسة لأبي تمّامٍ ــ نتائج الإخلاص

---

(١) أحداقها (عيناها) كزهر النرجس وثغرها (فمها ، أي أسنانها) ، اذا تبسمت ، فان أسنانها تشبه البتلات في زهرة الأقحوان (البتلات : الاوراق البيض المحيطة بقلب الاقحوانة الأصفر) .

(٢) معجم الادباء ١٣ : ٥١. وذكر بروكلمان (الملحق ١ : ٤٩٥) أن ذلك كان سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨) ، ولعله أرجح.

(٣) الأري : العسل . المشتار : المقطوف من خليته (حديثاً) .

(خُطَبٌ) ـ أُنْس الجليس في التجنيس ـ أنواع الرِقاع في الأسجاع ـ التعازي في المَرازي (المرازىء: المصائب النازلة بكرام الناس) ـ الأماني في التهاني، الخ.

٣ ـ مختارات من آثاره

قال شُمَيْم الحلّي في تسبيحِ الله والتقوى (لاحظ التكلفَ الشديد):

ـ الحمد لله فالقِ قِمَمِ الحَصيد بحُسام سحّ السُحُب، صابغ خدّ الارض بِقاني رشيق يانعِ العُشب .... عبادَ الله، من اختلفت عليه الآبادُ بادَ، ومن تمكّنت يد المنون من عنقهِ انقاد، ومن تزوّد التقوى استفاد خيرَ الزاد ....

ـ وقال في الخمر:

امزُجْ بمسبوكِ اللُجَيْن ذهباً حكته دموعُ عيني.
لمّا نعى ناعي الفِرا قِ بِبَيْنِ من أهوى وبَيْني
كانت ـ ولم يُقْدَرْ لشي ءٍ قبلَها إيجابُ كون ـ
وأحالها التحريم لَـ ـمّا شُبِّهت بدم الحُسين،
وبدت لنا شمسانِ من لألائها في الخافقين.

ـ وله من لزوم ما لا يلزم (الزوراء: بغداد):

ليت مَن طوّل بالشا م نواه و (ثوى بِهْ)
جعل العَوْد الى الزَوْ راء من بعض ثوابه.
أترى يُوطِئُني الدهـ رُ ثرى مِسكٍ (تُرابه)
وأرى، أي نورَ عيني، مَوْطئاً لي و(تُرى به)!

٤ ـ ** معجم الادباء ١٣: ٥٠ ـ ٧٣، ١٦: ٢٧ ـ ٢٩؛ انباه الرواة ٢٤٣ ـ ٢٤٦؛ وفيات الأعيان ٢: ٣٠؛ الغصون اليانعة ٥ ـ ١١؛ العبر ٥: ٢؛ شذرات الذهب ٥: ٤ ـ ٦؛ بروكلمان، الملحق ١: ٤٩٥؛ الاعلام للزركلي ٥: ٨٣.

ابن المُجاوِر

١ ـ هو نَجْمُ الدين أبو الفتحِ يوسفُ بنُ الحسينِ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ المجاوِر، نِسْبةً الى جَدّ له كان قد جاوَرَ في مَكّة.

نشأ نجمُ الدين في أُسْرةٍ وجيهةٍ تقيّة. واتّخذ مَكْتَباً لتعليمِ الصبيان على بابِ جامعِ دِمَشْقَ. ثمّ تَصَدَّرَ لإقراءِ النحوِ والأدب.

وعهد السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبيّ إلى ابنِ المجاور بتعليم ابنهِ عُثمانَ الذي عُرِفَ فيما بعدُ بلقبِ الملكِ العزيز (وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٧ هـ = ١٠٧٤ – ١٠٧٥ م). ولمّا نابَ الملكُ العزيزُ عن أبيه صلاحِ الدين في حُكْمِ مِصْرَ، سَنَةَ ٥٨٩ هـ، جعلَ ابنَ المجاور وزيراً له. ثمّ إنّه استبدّ بحكم مِصْرَ، سَنَةَ ٥٩١ هـ (بعد وفاة أبيه بنحو ثلاث سَنَوات) ففَوّضَ الى ابنِ المجاورِ جميعَ أمورِه. ويبدو أنّ ابنَ المجاور قد بَقِيَ في هذا المَنْصِبِ إلى أن تُوُفّيَ الملكُ العزيز (٥٩٥ هـ – ١١٩٨ م).

وكانتْ وفاةُ ابنِ المجاور سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ – ١٢٠٥ م).

٢ – كان ابنُ المجاورِ أديباً مُحيطاً بعدد من فنونِ المعرفة كريمَ الأخلاق حَسَنَ المُعاشرة مُعيناً لرجالِ العلم والأدب في طريق الحياة. ثمّ إنّه كان شاعراً مُبْدِعاً في الغَوْص على المعاني وفي الإتيان بالألفاظ الجميلة ممّا رَفَعَه في نظمِ الشعرِ فوق مُستوى العلماءِ والكُتّاب ممّن يأتي شِعْرُهم في العادةِ جافاً أو قليلَ الرَوْنق. وأكثرُ شعرِ ابنِ المجاور قائم – في ما وَصَلَ إلينا من شعره – على اللَفَتات البارعة في الغَزَل وفي الأدبِ، أي في الناحية الفكرية.

٣ – مختارات من شعره

– قالَ ابنُ المجاور في وَصْفِ الخَدّ بعدَ نَبْتِ العِذار (اوّل الشعر) فيه:

ولمّا تولّى الخدَّ والِي عِذارِه رَفَعْتُ إليه قِصّتي أتظَلّمُ[1].
فوقّعَ فيها خَطّه بصَبابتي وقال لي: السُلوانُ شيءٌ مُحَرّمُ[2].
أتَلْبَسُ ثوبَ الخدّ إذ كان ساذَجاً وتخلَعُهُ لمّا بدا وهو مُعْلَمُ[3]!

– وله بيتانِ مشهورانِ لما فيهما من المَرَحِ لا لما فيهما من الخُلُق الكريم:

---

(١) لما أصبح عذاره والياً على خده (منتشراً في خده عاماً)، رفعت اليه قصتي (قضيتي: كتبت اليه أشكو اليه حالي) أتظلم (أشكو أنني كنت أحبه، وها قد نبت الشعر في وجهه، فماذا أفعل؟).

(٢) – فوقع فيها خطه (كتب في ذيلها حكمه بخط يده) بصبابتي (بحبي، باستمراري في حبه). السلوان: النسيان (نسيان المحبوب).

(٣) – ثم قال معللا حكمه السابق: أتلبس ثوب الخد (ربما: ثوب الحسن)؟ ساذج (منغفل بضم الميم وسكون الغين وفتح الفاء: بسيط، موحد لا علامات فيه ولا نقوش). المعلم: المزين بالعلامات والنقوش.

صديقٌ قالَ لي ، لمّا رآني وقد صَلّيتُ زُهْداً ثمّ صُمْتُ :
على يدِ أيِّ شيخٍ تُبْتَ ؟ قُــلْ لي . فقُلْتُ : على يدِ الإفلاسِ تُبْتُ .

٤ ـ ** الغصون اليانعة ١٩ ـ ٢٥ ؛ أعلام الزركلي ٩ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

النفيس القطرسي

١ ـ هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الغَنيّ بنِ أحمدَ القُطْرُسيّ ـ نِسْبَةً إلى جَدّه قطرس ـ المعروفُ بالنفيس .

وُلِدَ النَفيسُ القُطْرُسِيّ نَحْوَ سَنَةِ ٥٣٣ هـ (١١٣٩ م) في مِصرَ (ببلدة قوص ؟) . ولمّا شَبَّ جَعَلَ يَطوفُ البلادَ مُتكسّباً بشعرِه . وكانت وفاتُه في ٢٤ من ربيعٍ الاوّلِ من سَنَةِ ٦٠٣ (٢٩ـ١٠ـ١٢٠٦ م) في قوص .

٢ ـ كان للنفيس القطرسيّ إلمامٌ بالفِقْه وبعلوم الأوائل (الفلسفة) ، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدبُ والشِعر . وفي شعرِه سُهولةٌ وعُذوبة . وفنُونُه المدحُ والغَزَل والحِكمة .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال النفيسُ القُطْرُسيّ في النسيب :

يا راحــلاً وجميلُ الصبرِ يَتْبَعُهُ هل من سَبيلٍ إلى لُقْياك يَتّفِــقُ ؟
ما أنْصَفَتْكَ جُفُوني وَهْيَ داميةٌ ، ولا وَفى لكَ قلبي وَهْوَ يحترقُ !

ـ ومدحَ الأميرَ شجاعَ الدين جَلْدَكَ التَقَوِيّ المعروفَ بوالي دِمْياطَ :

قُلْ للحبيبِ : أطَلْتَ صَدّكْ وجَعَلْتَ قتــلي فيك وُكْدَكْ .
وأنــا عليكَ كمــا عَهِد تَ وإنْ نقضــتَ عليَّ عَهْدَك .
أحرَقْتَ ، يــا ثَغْرَ الحبيــ بِ ، حَشايَ لمّا ذُقْتُ بَــرْدَك .
أتَظُنُّ غُصْــنَ البان يُغْــ جِبُني وقد عاينــتُ قَدّك ؟
أم يَخْــدَعُ التُفّاحُ ألْــ حاظي وقد شــاهدتُّ خَدّك ؟
لا ، والذي جعــلَ الهوى مولايَ حتّى صِرْتُ عبدك ،
أتَظُنُّني جَلْــدَ الهــوى أو أنّ لي عزَماتِ جَلْدك !

٤ ـ ** وفيات الأعيان ١ : ٩١ ـ ٩٣ ؛ الغصون اليانعة ١٩ ـ ٢٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٧٢ ـ ٧٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٧ .

ابن الساعاتي

١ – هو بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليّ بنُ رُسْتَمَ بنِ هردوزَ ، كان أبوه من خُراسان فجاء إلى الشامِ واشتهر فيها بعِلْم النجوم وصُنْع الساعات فعُرِفَ بالساعاتي. وفي دمشق وُلِدَ بهاء الدين علي سنة ٥٥٣ ﻫ (١١٥٩ م) وعرِفَ بابنِ الساعاتيّ .

تكسّبَ ابنُ الساعاتيّ بالمديحِ فقَصَدَ القاضيَ الفاضلَ في آمِدَ (على دِجْلَةَ) ومَدَحه (٥٧٩ﻫ=١١٨٣م) . واتفق في تلك السَنَةِ أنِ اتّجهَ صلاحُ الدين الأيّوبيّ من آمِدَ إلى حَلَبَ لإنقاذها من يد الإفرنجِ الصليبيين ، فلمّا وَصَلَ الى عينتابَ وافاه بها ابنُ الساعاتي ومَدَحَه .

ولم تَبْتَسِمِ الدُنيا في الشامِ لابنِ الساعاتيّ فرَحَلَ الى مِصْرَ يتكسّبُ بمديحِ رجالِ الدولةِ الأيوبية . فلمّا أصبحَ على شيءٍ من الغنى كان قد فُجِعَ بأبناءٍ له ثلاثةٍ قَبْلَ ٥٩٧ ﻫ ، فعاشَ بَقيّةَ عُمُرِه حزيناً كئيباً ثم تُوفّيَ في مِصْرَ سنة ٦٠٤ (١٢٠٩م) .

٢ – كان ابنُ الساعاتيّ مِنَ الظُرفاء يُحِبّ الطَرَبَ ومجالسَ اللَهْوِ ، وكان مُعْجَباً بنفسه ناقماً على حُسّاده ضيّقَ الصَدْرِ بمُنافسيه . وهُوَ شاعرٌ مكثرٌ متكلّفٌ مُغْرَمٌ بالصِناعة شديدُ الوَلَعِ بضُروبِ البديع لا يُجاريه في ذلك إلا ابنُ الفارض . وفنونُه المدحُ والفَخْرُ والرِثاء والهِجاء والوَصْفُ والغزَل والمُجون ؛ وأكثرُ شعره الغَزَلُ ووصفُ الطبيعةِ والقصور والرياض . وشعرُه كلّه موسومٌ بسَلاسةِ اللفظ ولَطافة التعبير . له ديوان شعر ثم مجموعٌ عنوانه « مقطعات النيل » .

٣ – مختارات من شعره

– لابن الساعاتي في ديوانه « مقطّعات النيل » قطعة يذكر فيها ليلة له في أسيوط . والقطعة مثقلة بالصناعة (وفيات الأعيان ٢ : ٦٣) :

للهِ يومٌ في سُيوطَ وليلةٌ ... صَرْفُ الزمان بأختِها لا يَغْلَطُ .

بِتْنا وعُمْرُ الليلِ في غُلَوائه ، ... وله بنور البدر فَرْعٌ أشمط[1].

---

(١) الغلواء : أول الشباب (في أشدسواده). غير أن البدر المضيء كان ينير منه جوانب (يختلط فيه السواد بالبياض) . الأشمط : الذي كثر شعره الابيض .



والطَّلُّ في سِلْك الغصون كلؤلـؤٍ رَطْبٍ يُصافِحهُ النسيمُ فَيَسْقُطُ[1].
والطيرُ يقرأ ، والغديـر صحيفة ، والريح تكتب ، والغَمام ينقّط .

– قال ابن الساعاتي يمدح الملك المعزّ فتح الدين اسحق بن الملك الناصر (وللقصيدة مقدّمة غزلية طويلة) :

فعسى نَفْحَةُ الصَّبـا تُذهِبُ السُّقْـ مَ ، وهل يُذْهِبُ السقيمُ السَّقاما ؟
يا ظِباء الصَّريمِ ، ما كنتُ بالحـا ثفِ من تِلْكُمُ العهودِ انصراما[2].
يقَظاتٌ كالحُلْم كانت ؛ وأحلى الـ عيش ما كان يُشْبِهُ الأحلاما .
لو علمنا بهنّ غدر الليالي لأخذنا مـن الليالي ذِمـاما[3] !
كلّ بَيْضاء حَجّبوها بسَمْرا ء ، فأدنـى مَزارِها لن يُراما[4].
تفضح البـدرَ والغَزال وخُوطَ الـ بان : وجهاً ومُقْلَةً وقواما[5].
وكأنّ الغمام نَقْـعٌ ، وقد جَـرَّ دَ فيه المَلْكُ المُعـزّ حُساما[6] ؛
الجوادَ الوهّابَ والمخبت الأوّا ب واللـوذعيّ الُهمـاما[7] ،
مُقْعِدٌ للعِدى مُقيم ، وأدهـى الـ خوفِ ما أقْعَـدَ العِدى وأقامـا .
مهّد الديـنَ سَعْيُه وحمى الـ دنيا وحاط البـلادَ والإسلاما .
من أناسٍ تسنّموا ذِروةَ السؤ دُدُ والمجدِ غارباً وسِناما[8] .

---

(١) الطل : الندى . – يجعل الندى الذي كان قد تجمع في الليل على الاغصان كأنه لؤلؤ منظوم في أسلاك (خيوط) . الرطب : الناعم ، واللؤلؤ الرطب الذي كان نضجه قد تم في المحار قبل أن يلتقط .

(٢) الصريم : مكان في بلاد العرب (لعله كان مشهوراً بالظباء) .

(٣) لو كنا نعلم أن الليالي ستغدر بتلك اليقظات (ستنهيها بالنوم) لأخذنا من الليالي ذماماً (عهداً) بألا تفعل .

(٤) البيضاء : المرأة البيضاء (الجميلة) . سمراء (رماح ؟) . أدنى مزارها : أقرب جانب من مزارها (زيارتها) .

(٥) خوط البان : غصن البان (وهو طويل مستقيم لين) . هي تفضح البدر (تظهر عيبه اذا قورن) بوجهها ، وتفضح الغزال بمقلتها (عينها) ، وخوط البان بقوامها .

(٦) النقع (بفتح النون) : غبار الحرب . يذكر الشاعر (في بيت سابق) أن البرق في الغيم كان كثيراً شديداً ، فكان الملك المعز يضرب بسيفه في غبار معركة من المعارك .

(٧) الجواد : الكريم . المخبت الأواب : التقي الذي يخاف الله و يذكره كثيراً . اللوذعي : الذكي ، الحديد الفؤاد اللسن الفصيح . وألفاظ البيت كلها منصوبة على الاختصاص (بالفعل : أخص ، أقصد) .

(٨) غارب البعير : عنقه . سنام البعير : الجزء المحدودب من ظهره تسنموا غارب المجد وسنامه : حازوا جميع المجد .

فهمُ أنجمُ السماءِ المنيرا تُ أوِ العِقدُ نِسبةً ونِظاما[1] .
هم بحارُ الجودِ الزواخرُ يُنجي مَوْجُها المُدقِعينَ والأيتاما[2] .
وجبالُ الحِلمِ الرواسخُ إنْ أفْـ ظعَ خطبٌ يُسفِّهُ الأحلاما[3] .
يُلبِسون الحياةَ بُرداً من العيـ بِ نقيّاً لا يحملُ الآثاما[4] .
فلقد كلّتِ الظُبى الضربَ والسُمْـ رُ من الطعنِ والجيادُ الصِداما[5] ؛
واستحال الهجيرُ ظِلاً ، ونارُ الـ كُفرِ صارت بَرْداً لنا وسَلاما[6] !

٤ – ديوان ابن الساعاتي (نشره أنيس المقدسي) ، بيروت (الجامعة الاميركية) ١٩٣٨ – ١٩٣٩ م .
** وفيات الاعيان ٢ : ٦٣ ؛ طبقات الاطبّاء ٢ : ١٨٤ (في ترجمة والده فخر الدين الساعاتي ٢ : ١٨٣ – ١٨٤) ؛ الغصون اليانعة ١١٨ – ١٣٠ ؛ العبر ٥ : ١١ شذرات الذهب ٤ : ١٣ – ١٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ، الملحق ١ : ٤٥٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٠ – ٢١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٠ .

الفخر الرازي

١ – هو فخر الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ الحسين الرازيّ المعروفُ بابنِ خطيبِ الريّ – لأنّ والدَه كان يخطُبُ في الريّ – وُلِدَ في ٢٥ رمَضانَ من سنَةِ ٥٤٤ (٧–١–١١٥٠ م) في الأغلب .

بدأ الفخرُ الرازيّ تلَقّي العلمِ على أبيهِ الى أن ماتَ أبوه ، ثمّ اشتغل على المجد الجيلي . ولمّا انتقل المجدُ الجيليّ إلى مَراغةَ انتقلَ الفخرُ الرازيّ معَه وقرأ عليه هنالك الحِكمة (الفلسفة) وعلم الكلام .

(١) فهم العقد نسبة ونظاماً : يكون العقد منسوباً (أكبر حباته في الوسط ، ثم تتوالى الحبات بعداً عن الوسط بحسب حجمها) النظام : الخيط الذي يجمع حبات العقد (لعله يريد أن يقول : انهم جامعو أمر الناس كما يجمع خيط العقد حباته) .

(٢) المدقع : الفقير الشديد الفقر .

(٣) – اذا نزل بالناس خطب فظيع (مصيبة عظيمة) تسفه الاحلام (تبطل عمل العقول) فانهم هم يظلون صابرين ويظل عقلهم راسخاً كالجبال .

(٤) يخلعون على الحياة برداً (ثوب حرير) نقياً (خالياً) من العيب . – يجعلون الحياة جميلة .

(٥) الظبى : جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . السمر جمع أسمر : الرمح . الجياد جمع جواد : الحصان .

(٦) الهجير : وسط النهار (عداوة الروم للمسلمين) .

وبعدَ أن مَهَرَ في العلوم تَطوّفَ في بلادَ المشرق يتَصدرُ فيها للتدريس ويعقدُ مجالسَ العلمِ ومجالسَ الوعظ : كانتْ له مدرسةٌ في خَوارزمَ يدرّسُ فيها ومجلسٌ للوعظ في هَراةَ .

وكانت وفاةُ الفخرِ الرازيّ في هَراةَ يومَ عيدِ الفِطْرِ (أولَ شوّالٍ) من سَنَةَ ٦٠٦ (٢٩-٣-١٢١٠ م) .

٢ - الفخرُ الرازيّ في الأصل مُفكّرٌ : فقيهٌ ، أُصوليّ (عالم في أصول الفِقْه) وعالم رياضيّ وطبيعيّ وفيلسوف . ولكنّ له معرفةً بالنحو والأدب ويَغْلِبُ عليه شيءٌ من الزُهْد والتصوُف : فقد كانت له في الوعظ اليدُ البيضاءُ يَعِظُ باللسانين العربيّ والعجميّ (الفارسي) ، وكان يلحَقُهُ الوَجْدُ في حال الوعظ ويُكثِرُ البكاء . وكان له شيء من النظم . وكُتُبُ الفخر الرازي كثيرة معظمها في التفسير والفلك ، فمن كتبه : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) - درّة التنزيل وغرّة التأويل - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - غريب القرآن - مناقب (فضائل) الإمام الشافعيّ - قلائد عقود العقيان في مناقب أبي نُعمان* - محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين - أسرار التنزيل (في التوحيد) - المباحث المشرقية (في الفلسفة والعلم) - أساس التقديس - المحصّل في علم الأصول - شرح المفصّل في النحو (للزمخشري) - شرح ديوان سقط الزند ، الخ الخ .

٣ - مختارات من آثاره

- قال الفخرُ الرازيّ في مُعاناة التفكير وفي القضاء والقَدَر :

نِهايةُ إقدامُ العُقولِ عِقالُ ، وأكثرُ سَعْيِ العالمين ضَلالُ[1] .
وأرواحُنا في وَحشةٍ من جُسومنا ، وحاصلُ دُنيانا أذًى ووَبال[2] .
ولم نَستَفِدْ من بَحثنا طولَ عُمْرِنا سوى أن جمَعْنا فيه قيلَ وقالوا .
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ، فبادوا جميعاً مُسْرِعينَ وزالوا .

(١) إقدام (جرأة) العقول (على البحث في ما وراء الأمور المحسوسة : الله ، الخ) عقال (رباط : مانع من وصول الى نتيجة عملية حاسمة) .

(٢) أرواحنا في وحشة من جسومنا : غاية أرواحنا (نفوسنا) من الوجود مختلفة من حاجات أجسادنا ولا يمكن التوفيق بينهما في غايته [illegible] احة . وبال : هلاك .

* كذا في بروكلمان : [illegible] النعمان (١ : ٦٦٧ ، السطر الثاني ، الملحق ١ : ٩٢١ ، السطر ١٣) ثم : النعمان (٣ : ١٠٣١ ، العمود الثاني ، السطر ٢٨ - فهرست الكتب) . اقرأ : أبو حنيفة النعمان .

وكم من جبالٍ قد علا شُرُفاتِهـا رِجالٌ ، فزالوا والجبالُ جبالُ[1] .

ــ وكتب في مرض موته وصيةً جاء فيها :

.... اعلَموا ، إخواني في الدين وأخْداني[2] في طَلَبِ اليقين ، أنّ الناس يقولون : الإنسانُ إذا مات انقطعَ تَعلّقُه عن الخلق . وهذا العامّ[3] مخصوصٌ من وَجْهَيْنِ : الأوّلُ إنْ بَقِيَ منه عملٌ صالح ، صار ذلك سبباً للدُعاء ، والدعاءُ له أثرٌ عندَ الله[4] . والثاني ما يتعلّق بمصالح الأطفال والأولاد والعَوْرات وأداء المظالم والجنايات . أمّا الأوّلُ فاعلَموا أنّي كُنْتُ رَجلاً مُحِباً للعلم ، فكُنْتُ أكتُبُ في كلّ شيء شيئاً، لا أقِفُ على كَمّيّة أو كيفيّة ، سواءٌ أكانَ ذلك حقّاً أو باطلاً أو غثّاً أو سَميناً . إلاّ أنّ الذي نَظَرْتُه في الكُتُبِ المُعْتَبَرةِ لي أنّ هذا العالم المحسوسَ تحتَ تدبيرِ مُدبّرٍ مُنَزّهٍ عن مماثلةِ المُتَحيِّزات والأعراض ومَوْصوف بكمال القُدرة والعِلم والرحمة[5] ....

٤ ــ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير[6]) ، بولاق ١٢٧٨ ، ١٢٨٩ ﻫ ؛ استانبول ١٢٩٤ ، ١٣٠٧ ﻫ (؟) ؛ القاهرة (المطبعة البهيّة المصرية) ١٩٣٨ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ ــ ١٣٠٩ ﻫ .

نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، القاهرة (مطبعة الآداب) ١٣١٧ ؛ القاهرة ١٣٢٧ ﻫ .

المباحث المشرقية في علم الآلهيّات والطبيعيّات ، حيدر آباد (مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٣ ﻫ .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (تحرير علي سامي النشّار) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٨ م .

مناقب الامام الشافعيّ ، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ ﻫ .

أساس التقديس ، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣١٨ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٢٨ .

محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين ، مصر ١٣٢١ ؛ مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ ﻫ .

لوامع (اللوامع) البيّنات في أسماء الله تعالى والصفات ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٣ ﻫ .

معالم أصول الدين (بهامش « محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين الخ) .

قلائد عقود العقيان .

---

(١) ــ علا رجال على شرفات الجبال (تغلبوا على مصاعب الحياة ، بلغوا مكانة سامية) .

(٢) الخدن (بكسر الخاء) : الصديق .

(٣) هذا الحكم العام .

(٤) في الحديث الشريف : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له .

(٥) الله تعالى منزه (لا يوصف بصفات خلقه) عن مماثلة (مشابهة) المتحيزات (الأجسام) .

(٦) في معجم المطبوعات العربية ، ص ٩١٧ : جزء ٦ (بولاق ١٢٧٩ ــ ١٢٨٩ ﻫ) ، جزء ٧ (١٣٢٤ﻫ) ، جزء ٨ (مصر ١٣٠٩ ﻫ ؛ المطبعة الحسينية ١٣٢٧ ــ ١٣٣٠ ﻫ) .

غريب القرآن .
الفراسة (انظر تحت) : الفراسة العربية وكتاب الفراسة ...
المسائل الخمسون في أصول الكلام في « مجموعة الرسائل » (بعناية محيي الدين الكردي) ، مصر (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ .
الاربعون في أصول الدين .
لباب الاشارات (بتصحيح بدر الدين النعساني) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .
شرح قسم الإلهيّات من اشارات ابن سينا ، آستانة ١٢٩٠ هـ؛
عصمت الأنبياء ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .
رسالة في علم الفراسة (نشرها محمد راغب الطباخ) ، حلب ١٣٤٧ هـ .
مناظرة جرت في بلاد ما وراء النهر في الحكمة والخلاف بين الامام الرازي وغيره ، حيدرآباد ١٣٥٥ هـ .
** الفراسة العربية وكتاب الفراسة (للفخر الرازي) (تحرير يوسف مراد) ، باريس (غونتر) ١٩٣٩ .
فخر الدين الرازي : تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته (في « كتاب » مقدّم لطه حسين) ، القاهرة ١٩٦٢ م (ص ١٩٣ — ٢٣٤) .
طبقات الأطبّاء ٢ : ٢٣ — ٣٠ ؛ ابن القفطي ١٩٠ — ١٩٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٥ — ٢٦٨ ؛ العبر ٥ : ١٨ — ١٩ ؛ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢١ — ٢٢ ؛ بروكلمان ١ : ٦٦٦ — ٦٦٩ ، الملحق ١ : ٩٢٠ — ٩٢٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٧٥١ — ٧٥٥ ، زيدان ٣ : ١٠٢ — ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٣ ؛ تاريخ الفكر العربي ، الطبعة الثانية ٥٤٢ — ٥٤٤ .
ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ .

اسعد بن مَمّـــاتي*

١ — هو القاضي الأسعدُ أبو المَكارم أسعدُ بنُ الخطيرِ[1] أبي سعيدٍ مُهَذّب ابن مينا بن زَكَريّا بن أبي قُدامة بن أبي مَليحٍ مَمّاتي[2] ، أصلُه من نصارى أسْيوط في صَعيدِ مِصْر ؛ ولِدَ نحو سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

انحدرَ أبو مَليحٍ مَمّاتي إلى القاهرة في أيامِ الفاطميين وأصبح كاتباً في الدولة في أيام بَدْرٍ الجَمَالي (٤٦٦—٤٨٧هـ) فعَلَتْ مَنْزِلَتُه وجَمَعَ من الخِدمة أموالاً طائلة : وظلّ آل مَمّاتي في خِدمة الدولة ، وهم نَصارى ، حتّى استولى الأيوبيّون

(*) وربما قيل اختصاراً : أسعد مماتي .
(١) كان الخطير (ت ٥٧٧ هـ) شاعراً (الخريدة — مصر ١ : ١١٣ — ١١٧) .
(٢) لقب بذلك « أبي مليح » لأنه كان يطعم الصغار في عام من المجاعة .

على مصر (٥٦٤ هـ =آذار – مارس ١١٦٩ م)، فاختَلَفَتْ سياسة الدولة عمّا كانت عليه أيام الفاطميين ونمّا حديث آلِ مَمّاتي بما كانوا قد تصرّفوا بأمورِ الدولةِ وجَمّعوا من الأموال. فجَمَعَ الخطير أبو سعيد مهذّبٌ أولادَه (وفيهم أسعدَ صاحب هذه الترجمةِ) ودخلَ بهم على شيركُوه[1] «وأسلموا على يده فقَبِلَهُمْ وأحْسَنَ إليْهم وزادَ في ولاياتهم؛ وجَبَّ الاسلامُ ما قبله»[2].

خَلَفَ أبو المكارم أسْعدُ أباهُ على ديوانِ الجيش ثم أُضيفَ اليه ديوانُ المالِ وعَدَدٌ آخرُ من الدواوين؛ ثم توثّقتِ الصُحْبَةُ بينَه وبينَ القاضي الفاضل.

في سنة ٥٩٦ هـ تولّى الملكُ العادلُ مصرَ بالاضافة إلى دمَشْقَ، وكان وزيرُه والمدبّرُ لدولته رجلاً اسمه الصفيّ عُبيدُ الله بن عليّ بنِ شُكْر. ويبدو أن ابن شكر انتقل إلى مصْرَ نحو سنَةَ ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) فأظهر المودّة لأسعدَ بن مَمّاتي في أوّلِ الأمرِ ثم انقلب عليه يُضايقه، فقد كانت بينَهما عَداوةٌ قديمةٌ، ثمّ نحّاه عن مناصبه وحَبَسه في مبالغَ من المال، في حديث طويل.

وفي سنة ٦٠٤ هـ استطاع أسعد بن مَمّاتي أن يهرب من مصر فجاء إلى حَلَب وعاش فيها الى أن تُوُفّيَ في ١٨ جُمادى الأولى من سنة ٦٠٦ (١٩–١١–١٢٠٩ م).

٢ – أسعدُ بن مَمّاتي أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ ومُصَنّفٌ، نَظَمَ سيرةَ صلاحِ الدين الأيّوبي، ونظم كِتابَ كَليلةَ ودمنةَ شِعْراً، وقد جَمَعَ ديوانَه بنفسه. وشِعرُه الذي بين أيدينا فيه شيءٌ من الإحسانِ وشيءٌ من التكلّف؛ وأغراضُه المَدْح والهجاء والغزل والنسيب والوصف: لمّا نزل في حلب بَهرَه تَساقطُ الثلج فيها في الشتاء فأكثرَ من وصفه. وأما تصانيفه فقد قال فيها ياقوتٌ الحمَويّ (معجم الادباء ٦ : ١١٧) إنّها كثيرة ولكن بلا قيمةٍ علميةٍ، إذ كان يَقْصِدُ فيها إلى ذكر الأمور التي تجري عادة بين جماهير الناسِ؛ فمن كتبه: كتاب سرّ الشعر، كتاب علم النثر – كتاب الشيء بالشيء يذكر – كتاب الفافوش في أحكام قراقوش – كتاب قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن الحجّاج[3] – كتاب لطائف الذخيرة لابن بسّام – كتاب

---

(١) عم صلاح الدين الأيوبي والوزير في مصر (٥٦٣ – ٥٦٤ هـ) في أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٥٥ – ٥٦٤ هـ).

(٢) «جب الاسلام ما قبله»: الدخول في الاسلام يمحو جميع السيئات والإساءات التي كانت من أصحابها في أيام الكفر.

(٣) ابن الحجاج أبو عبد الله الحسين بن حمد (ت ٣٩١) راجع ٢ : ٥٧٤.

سيرة صلاح الدين الأيوبي – كتاب كَرَمِ النِجار في حَفْظ الجار – كتاب قَرْص العِتاب، الخ .

٣ – مختارات من آثاره

– قال الاسعد مماتي يَصِفُ أولاداً صِغاراً يَسْبَحون في النيل :

خليجٌ كالحُسامِ له صِقالٌ ، ولكن فيه للرائي مسرّه[١] .
رأيت به المِلاحَ تُجيد عَوْماً ، كأنّهم نُجوم في مجرّه[٢] !

– وله في النسيب :

قد نَهانا عن الغَرامِ نُهانا إذ هَوانا ألاّ نذوقَ هَوانا[٣] ،
وهجرنا الحبيب خِيفةَ أنْ يَهْ جُرَ بدءاً فيَسْتَمِرَّ عَنانا[٤] .
أيُّ خيرٍ يكون في حبّ من فوّ قَ سهماً من لحظِه ورماتا[٥] .
نحن لو لم نكن هجرناه من قبـ لُ لأبْدَي صدودَه وجفانا .
شِيمة في المِلاح قد أحْسن الدهـ ر بإعلامِها بنا وأسانا[٦] .
ما مَشَيْنا إلى الصَبابة إلاّ وخُطانا مَعْدُودةٌ من خَطانا[٧] !

– وله في وصف الثلج :

نَثَرَ الثلْجُ علَيْنا ياسَميناً وفَراشا[٨] .

---

(١) الخليج : النهر .

(٢) المجرة : مجموع من النجوم بعيد عنا جداً فيرى كأنه طريق لاحب (عريض وطويل) مستعرض في السماء (يرى في الشام في أول الليل ممتداً من الشمال الى الجنوب . وهو يسمى النهر أيضاً ، قال ابن سناء الملك : « ولو كان لي نهر المجرة مورداً » .

(٣) نهانا (بفتح النون) : منعنا ، حجزنا عن . نهانا (بضم النون) : عقلنا . هوانا (الاولى) : حبنا ، رغبتنا . هوانا (الثانية) : الهوان ، الذل .

(٤) خيفة أن يهجر بدءاً : خوفاً من أن يكون الحبيب بادئاً بالهجران . عنانا = عناؤنا : تعبنا ، المشقة الواقعة علينا .

(٥) فوق السهم : وضع السهم في وتر القوس استعداداً لإطلاقه.

(٦) باعلامها بنا : باعلامنا بها . أسانا : واسانا ، سلانا (خفف من حزننا) وأساءنا (أساء إلينا) .

(٧) الصبابة : شدة المحبة والاندفاع في لهو الصبا . الخطا (بضم الخاء، ويجوز فتحها) = الخطوات (جمع خطوة : مقدار ما بين القدمين عند المشي) . الخطا = الخطأ .

(٨) فراش – في البيت الاول : (جمع فراشة) . في البيت الثاني : الفاء حرف عطف ، راش يريش (وضع على جانبي السهم ريشاً) . في البيت الثالث : فراش (بكسر الفاء : غطاء : ما ينام عليه الانسان) . الكافور أبيض اللون . العنبر أسمر (أسود اللون) .

ورأى أن يُرْسِلَ الأَسْـ هُـمَ بالبرد فرَاشا ،
فغدا الكافورُ في عَنْـ بَـرَةِ الأَرض فِراشا !

ـ حكاية من كتاب الفاشوش في حكم قراقوش[1] :

حُكِيَ أنَّ شَخصاً شكا إلى الأمير بهاءِ الدين قراقوشَ مُماطلةَ غَريمه . فذَهَبَ المَدينُ الى الأمير وقال له : يا مولانا ، أنا رجل فقير ، وكلّما حاولتُ أَنْ أحصُلَ للدائنِ على شيءٍ لم أجده[2] . فاذا صَرَفْتُ ذلك الشيءَ جاء الدائن وطَلَبني (طالبني) . فقال قراقوشُ : احبِسوا صاحبَ الحقِّ حتّى يَصيرَ المَديونُ اذا حَصَلَ على شيءٍ يَجِدُ لصاحبِ الحقِ موضعاً معلوماً يذهبُ إليه فيه ويدفَعُ الحق . فقال صاحب الحقّ : تركتُ (حقّي . و) أجري على الله . ومضى .

٤ ــ قوانين الدواوين ، القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (جمعه وحققه عزيز سوريال) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٤٣ م .

الفاشوش في أحكام قراقوش ، مصر (المطبعة الخصوصية) ١٣١١ ﻫ .

** الخريدة (مصر) ١ : ١٠٠ ــ ١١٣ ؛ معجم الادباء ٦ : ١٠٠ ــ ١٢٦ ؛ انباه الرواة ١ : ٢٣١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١١٩ ــ ١٢١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٣٢٣ ــ ٣٢٨ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٨ ــ ٤٠٩ ، الملحق ١ : ٥٧٢ ــ ٥٧٣ ؛ زيدان ٣ : ١١٩ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٩٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٦٣ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٣٥١ وما بعد .

مجد الدين بن الأثير

هُوَ مجدُ الدين أبو السعاداتِ المباركُ بن محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الكريم بن عبد الواحد بنِ الأثيرِ الشّيباني الجَزَري المَوْصِلّي ، وُلِدَ في جزيرة ابنِ عمرَ (مدينة شَمالَ المَوْصِلِ على نهر دِجْلَةَ) ، والجَزَريّ نسبة الى جزيرة ابن عمر[3] .

(١) قراقوش = قره (أسود) قوش (أذن) : تركيب معناه : ذو الأذن السوداء . ــ بهاء الدين قراقوش أمير شهد آخر العصر الفاطمي وأول العصر الأيوبي ، وكان رجلا شجاعاً حازماً عمرانياً بارعاً أشرف على انشاء عدد كبير من القلاع للدفاع عن القاهرة ضد الافرنج الصليبيين . على أن نفراً من الحاقدين أعداء النظام في الدول اختلقوا عليه حكايات غبية (أو نسبوا حكايات غبية قديمة اليه) حتى أصبحت كلمة « قراقوش » تدل على « الاستبداد مع الغباوة في تصريف أمور الدول والامم » .

(٢) اقرأ : وكلما حصلت على شيء من المال وحاولت أن أجده لأدفع اليه ذلك المال لم أجده .

(٣) مدينة بناها عبد العزيز بن عمر فنسبت اليه .

وُلِدَ مجدُ الدين بنُ الأثير في أحد الرَّبيعين من سَنَةِ ٥٤٤ هـ (صَيْفَ ١١٤٩ م) في جزيرة ابن عمرَ ونشأ فيها ثمَّ انتقل الى المَوْصل ، سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) وأخذ فيها الأدَبَ عن ناصحِ الدين أبي محمّدٍ سعيدِ بنِ الدهّان البغداديّ وأبي بكرٍ يحيى ابن سَعْدونِ المَغربيِّ القُرْطبي وأبي الحَزْم مَكّيّ بن الريّانِ بن شَبّةَ الماكسي النَّحْوي الضَّرير. وسَمِـعَ الحديثَ من خطيب الموصل أبي الفضلِ بنِ الطوسي وغيره.

ولمّا حجّ مجدُ الدين بنُ الأثيرِ مرّ ببَغْدادَ فسَمِـعَ (الحديث) من أبي القاسم صاحبِ أبي الخَلّ ومن عبد الوهّاب بن سُكَينة.

وتولّى مجدُ الدين بن الأثير الخزانة لسيفِ الدين الغازي بن مَوْدود بن زَنْكي (٥٦٤ - ٥٧٢ هـ) ، ثمّ ولاّهُ سيفُ الدين ديوانَ الجَزيرة وأعمالَها . ثمّ عاد مجدُ الدين الى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلالِ الدين أبي الحسنِ عليّ بنِ جَمالِ الدين بنِ محمّدِ بنِ منصورِ الإصْبهاني . بعدئذ اتّصل بمُجاهد الدين قايماز ونال عنده دَرَجَةً رفيعةً . فلمّا قُبِضَ على مجاهدِ الدين اتّصل ابنُ الأثير بخِدْمةِ أتابَكَ عزّ الدين مسعودِ بن مودودٍ (٥٧٢ - ٥٨٦ هـ) إلى أن توفّي مسعود (في شعبان ٥٨٦). فاتّصل ابنِ الاثير بخدمةِ وَلَدهِ نور الدين أرسلان شاه (٥٨٩ - ٦٠٧ هـ) وأصبح أكثرَ الناسِ نفوذاً في أمور الدولة . وفي نحو بدء القرن السابع ، فيما يبدو أقْعِدَ[1] مجدُ الدين بن الأثير ، وكان قد أصبحَ في أواخر عُمُرِه ، فلَزِمَ بيتَه فكان أرسلان شاه يَجيئه لاستشارته في بَعْضِ شؤون الدولة أو يُرْسل اليه بدْرَ الدين لؤلؤاً الذي أصبح ، فيما بعدُ (٦٣١هـ)، أتابك الموصل . وكانت وفاةُ مجدِ الدين بن الاثير في المَوْصل في ٣٠ من ذي الحِجّة من سنة ٦٠٦ (٢٦-٦-١٢١٠ م) .

كان مجدُ الدين بنُ الأثير يَجْمَعُ بين عِلْمِ العربية وعلم القرآن والنحو واللغة والحديث والفِقْه ، وكانت له معرفـةٌ بشُيوخ الحديث وبصحيحه وضعيفه . وكذلك اشتغل بالأدب . ثم له شيء من الشعر ولكن لم يكن له بـه عِناية تُوجِبُ له حُسْنَ النظم .

وهو مصنّفٌ له : جامع الأصولِ لأحاديث الرسول ، جمع فيه بين الأحاديث في صحيحَي البخاري ومُسْلِمٍ وفي المُوَطّأ لمالك بن أنَسٍ وفي سنن أبي داوود والنسائي والتِرْمذي ، وعَمِلَهُ مُرَتّباً على حروف المُعْجَم (معجم الادباء ١٧ : ٧٦) .

---

(١) أصابه عجز عن القيام والمسير .

وقد وَضَعَه على مِثال كتابِ رُزين بن مُعاوية الاندلسي ، إلاّ أنّ فيه زيادات كثيرةً (راجع وفيات الاعيان ۲ : ۲۰۳) – النهايـة في غريب الحَديث والأثر (وهو أيضاً على حرف المعجم) – تجريد أسماء الصحابة – المرصّع وهو كتاب البنين والبنات والآباء والأمهات والأذْواء والذَوات[1] – كتاب الشافي (شافي العِيّ) في شرح مُسْنَد الشافعيّ (ذكر أحكامَه ولغته ونحوه ومعانيَهُ) – كتاب الإنصاف في الجمع بين الكَشْف والكَشّاف في تفسير القرآن العظيم – أخذه من الثعلبي والزَمَخْشري[2] – المختار في مناقب الاخيار (الابرار) – المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار – كتاب البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهّان[3] – الباهر في الفروق (في النحو) . ثمّ له كتاب صَنْعة الكتابة – ديوان رسائل (مراسلات) ورسائـل في الحساب ومُجَدْوَلاتٌ (رسائل جُعلت موضوعاتها في جداول) .

٤ – النهاية في غريب الحديث والأثر ، طهران ١٢٦٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ ؛ (بتصحيح عبد العزيز ابن اسماعيل الانصاري الطهطاوي) القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ ؛ (تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمّد الطنّاحي) ، القاهرة ١٩٦٣ م .

جامع الأصول لأحاديث الرسول ، مروت بالهند ١٣٤٦ هـ ؛ كلكتّا ١٣٥٢ هـ ؛ = تيسير الوصول (اختصار عبد الرحمن بن أحمد بن الديبع الزيدي المتوفّى ٩٤٤ هـ) ، كلكتّا ١٣٥٢ هـ ؛ لكنهو ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ؛ كاونبور ١٨٩٧ م ؛ (نشره محيي الدين خان) ، لاهور ١٩٠٤ – ١٩٠٩ م ؛ (أشرف على طبعه عبد الحميد سليم وصحّحه حامد الفقي) ، القاهرة (مطبعة السنّة المحمّدية) ١٩٤٩ – ١٩٥٤ م ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ .

المرصّع (تحرير سيبولد) ، فايمار بألمانية (فلبر) ١٨٩٦ م ؛ استانبول ١٣٠٤ هـ .

** معجم الأدباء ١٧ : ٧١ – ٧٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٥٧ – ٢٦٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٣ – ٢٠٥ ؛ العبر ٥ : ١٩ ؛ بغية الوعاة ٣٨٥ – ٣٨٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٢ – ٢٣ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٣٨ – ٤٣٩ ، الملحق ١ : ٦٠٧ – ٦٠٩ ؛ زيدان ٣ : ١٠٩ – ١١٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٣ – ٧٢٤ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٥٢ .

---

(١) أي رواة الحديث الذين اشتهروا باسمائهم التي دخل فيها « ابن – بنت – أبو – أم – ذو – ذات » (نحو : ابن شهاب الزهري ، أبو هريرة ، أم سلمة ، الخ) .

(٢) كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) ؛ والكشاف للزمخشري (راجع ، فوق ، ص ٢٧٧)

(٣) راجع وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣ . ولسعيد بن المبارك بن الدهان هذا كتاب الفصول في النحو (معجم الادباء ١١ : ٢٢٢) ؛ وذكر له ابن خلكان (١ : ٣٧٢) : الفصول الكبرى والفصول الصغرى .

ابن سناء الملك

١ - هو القاضي السعيدُ عزّ الدين هبةُ الله بنِ القاضي الرشيدِ أبي الفضلِ جعفرَ بنِ المُعتمدِ سَناءِ المُلْكِ أبي عبدالله محمّدِ بنِ هبةِ الله بنِ محمّدٍ السَعْديّ المِصْريّ (وفيات ٣ : ١٢١) ، وُلِدَ في القاهرةِ سَنَةَ ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) في الأغلب ونشأ نشأةً هانئةً في أُسْرةٍ غنيّةٍ فاتّسعَ أمامَه مَجالُ التحصيلِ للعلمِ وللِقاء الأدباء والأعيانِ في مجالسَ كانتْ تُعقَدُ ويَجْري فيهـا مُفاكَهات ومُحاورات يَروقُ سَماعُها . وقد أخذَ الحديث عن أبي طاهرِ السِلَفي الأصْفهاني .

اتّصلَ ابنُ سَناء المُلْكِ بالقاضي الفاضلِ وحَظِيَ عِنْدَه وكان في خدمته لمّا ذهبَ الى الشام سَنَةَ ٥٧١ هـ . وكان القاضي الفاضلُ مُعْجَباً بابنِ سَناء المُلْك يَعتمدُ عليه في أمورٍ كثيرةٍ ويستخلفُه على عَمَله في مِصْرَ (في ديوان الانشاء) إذا هو سار عنها . وقد خدَمَ ابنُ سَناء المُلك الأيّوبيّين مُنْذُ أيامِ صلاحِ الدين .

وكانتْ وفاةُ ابنِ سَناء الملكِ في رابعِ رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٨ هـ (١٠/٢/١٢١٢ م) .

٢ - ابنُ سَناء المُلك ناثرٌ مُتَرَسِّلٌ وكاتبٌ مُصنّفٌ وشاعرٌ مُجيدٌ . كان في نثرِه يقلّدُ القاضيَ الفاضلَ ، ولكنّ شعْرَه أقربُ إلى عَمودِ الشعرِ العربيّ من شِعرِ القاضي الفاضل . وهو مُجيد في الفَخْرِ والوَصْف والغزَل ، وله مديحٌ حَسَنٌ - ثم هُوَ يُقَلِّدُ في ذلك كلّه فُحولَ الشُعراء وأبا تمّامٍ والمتنبّيَ منهم خاصّةً - . وفي شعرِه كلّه إغراقٌ في الصناعة ؛ ولكنّ صناعتَه في أكثرِ الأحيانِ بارعةٌ لطيفةٌ . على أنّ شُهْرَتَه إنّما هِيَ في المُوَشّحاتِ ، فهو أشْهَرُ من نَظَمَ فيها من المَشارقة وأكْثَرَ وأجادَ . وكان ابن سَناء المُلك واسعَ المعرفة بفنّ التَوْشيح ، وَهُوَ صاحبُ النظريّةِ الموسيقيةِ فيه .

ولابنِ سناء المُلك ديوانُ رسائلَ (جمع فيه شيئاً من الرسائل التي دارت بينه وبين القاضي الفاضل) ، وديوانُ شِعْرٍ ثمّ ديوان موشّحات سمّاه «دار الطِراز» (جَمَعَ فيه موشّحاتِه وتكلّم فيه على فنّ التوشيح وعلى قواعدِ نَظْمِ الموشّحات) . وله كتابُ رُوح الحيوان (اختصره من كتاب الحيوان للجاحظ) - فصوص الفصول وعقود العقول .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ لابن سناء الملك قصيدةٌ مشهورة في الفخر منها :

سِوايَ يَهابُ الدهرَ أو يَرْهَبُ الرّدى، وغَيْرِي يَهْوى أن يَعيشَ مُخَلَّدا[١] .

ولكنّني لا أرهبُ الدهرَ إنْ سطا ، ولا أحذرُ الموتَ الزُّؤام إذا عدا[٢] .

ولو مدّ نحوي حادثُ الدهر طَرْفَه لحدّثتُ نفسي أنْ أمُدَّ له يَدا[٣] .

وأظمأ إنْ أبدى لِيَ الماءُ مِنّةً ، ولو كان لي نهرُ المَجَرَّةِ مَوْرِدا[٤] .

وإنّك عبدي ، يا زمانُ ، وإنّني على الكُرْهِ مني أن أرى لك سيِّدا[٥] .

ولي قَلَمٌ في أنْمُلي لو هَزَزْتُه فما ضَرّني ألاّ أهُزَّ المُهَنّدا[٦] :

إذا جالَ فوقَ الطِرْسِ وَقْعُ صريرِه فإنّ صَليلَ المَشْرفيّ له صَدى[٧] !

ــ من الموشّحة التي اشتهرَ أنها لابنِ سناء المُلْك ، وهِيَ تُغنّى :

كَلّلي ، يا سحبُ ، تيجانَ الرُّبى بالحُلي

واجْعَلي سِوارَها مُنْعَطِفَ الجَدْوَلِ[٨] .

***

يا سَما ، فيكِ وفي الأرضِ نجومٌ وما ؛

كلّما أخفَيْتِ نَجْماً أظْهَرَتْ أنجُما[٩] ،

---

(١) يرهب : يخاف . الردى : الموت .

(٢) الزؤام : العاجل ، المفاجيء . عدا : أسرع (الى) ، ظلم .

(٣) الطرف : العين، البصر . ــ لو فكر ، الدهر أن ينظر الي (مفكراً في الاساءة بي) لعاجلته بمدّ يدي اليه (بالضرب ، بالقتل) .

(٤) أظمأ : احتمل العطش وأصبر عليه . منة : تفضل . المجرة : منطقة مستطيلة كثيرة النجوم ترى نجومها (لبعدها عنا) كأنها مجتمعة فتشبه نهراً . المورد : مكان وُرود الماء (الشرب) . ــ لو خطر للماء أن يمن علي لما شربته (مهما كان جيداً) .

(٥) ــ مع أنك ، أيها الدهر ، عبدي ؛ فانا لا أحب أن أسمي سيداً لك لأنك أدنى من أن تكون لي عبداً .

(٦) الانمل : أطراف الاصابع . المهند : السيف . ــ أنال بقلمي (بأدبي ، ببلاغتي) ما يحتاج الناس في نيله الى القتال والحرب .

(٧) الطرس : الورق . الصرير : الصوت . الصليل : صوت السلاح . ــ صوت قلمي على الورق يرعب أعدائي أكثر مما يرعبهم صوت السيوف .

(٨) ــ كوني ، أيتها السحب، تيجاناً على رؤوس الجبال؛ أو أمطري ، يا سحب ، على رؤوس الجبال حتى تكتسي رؤوس الجبال بالازهار . واملأي الجدول الذي يحيط بالجبال ماء حتى يكون لها (حتى يكون الماء حول الجبال) كالسوار في يدي المرأة الحسناء .

(٩) يا سماء ، فيك نجوم وماء وفي لارض أيضاً نجوم وماء . ــ كلما غاب نجم من نجومك (بابتعاد الليل واقتراب النهار) أبدت الارض عدداً من الازهار (كالنجوم) .

وهْيَ ما تَهْطِلُ إلاّ بالطِلا والدمى ؛
وانْقلي للدَنِّ طَعْمَ الشَهْدِ والفَوفل[1] .

***

من ظَلَمْ في دَوْلةِ العِشْقِ إذا ما حَكَمْ
فالألَمْ يجولُ في باطِنه والنَدم .
والقلم يكتُبُ ما سَطّر فوق القِمَمْ[2] :
مَنْ وَلِي في دَولةِ الُحسن ولم يَعْدِلِ
يُعْـزَلِ إلاّ لِحاظَ الرشأِ الأكْحل[3] !

– وقال في الغزل والنسيب :

لا الغُصْنُ يَحْكيكَ ولا الجُؤذَرُ ، حُسنُك مِمّا أكثروا أكثرُ ![4]
يا باسماً أبدى لنا ثغْرُهُ عِقْداً ولكنْ كلُّه جوهر .
قال لِيَ اللاحي : ألا تَستَمِعْ ؟ فقُلتُ : يا لاحِ ، ألا تُبْصِر ![5]

– النظريّة الموسيقية في نشأة الموشّح : التوشيح (دار الطراز ، ص٣٥ وما بعد) :

... ومن المُوشّحاتِ ما لا مَدْخَلَ له في شيء من أوزانِ العَرَبِ[6] ، وهو

---

(١) الطلاء (بكسر الطاء) : الخمر . الدمى جمع دمية : الصورة (الجميلة) ، المرأة الجميلة . فأمطري حتى تمتلِئْ عناقيد الكرم (شجر العنب) بالعصير الذي يصبح خمراً. الدن : وعاء الخمر . الشهد: العسل . الفوفل: شجر يشبه نخل النارجيل (راجع Dozy, Supplément aux Dict . arabes, 1967, V. 2. p. 289) ولا وجه لها ، مع انها أدخل في الوزن . وفي رواية : القرنفل .

(٢) القلم يكتب..... القمم : الرؤوس (كتب على البشر مصايرهم) .

(٣) من ولي : أصبح والياً ، سلطاناً ، مالكاً لقلوب المحبين . الرشأ : الغزال الصغير . – كل مالك ظالم يعاقب بالعزل إلا المحبوب الجميل فانه يطاع ولو كان ظالماً .

(٤) يحكي : يشبه . الجؤذر : الغزال الصغير . مما أكثروا : مما بالغوا في وصف حسنك .

(٥) اللاحي : اللائم . – قال لي : ألا تستمع الى النصح وترجع عن ضلالك في حب هذا الجؤذر . فقلت له : وأنت ألا تبصر جماله !

(٦) الاوزان الخمسة عشر التي استخرجها الخليل بن أحمد ثم المتدارك الذي زاده الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) .

الكثيرُ والجَمّ الغَفير والعدد الذي لا ينحصر . وأكثرُها مَبْنِيٌّ على تأليف الأُرغُن[1] . ومن الموشّحات قِسْمٌ أقفاله مُخالِفةٌ لأوزانِ أبياتِه مخالفةً تامّةً[2] . وهذا القِسم لا يَجْسُرُ على عمله إلاّ الراسخون في العلم من أهلِ هذه الصِناعة . فأمّا من كان طُفَيْلِيّاً على هذه المائدة فإنه إذا سَمِعَ هذا المُوَشّحَ ورأى مباينةَ أوزانِ أقفاله لأوزانِ أبياته ظنّ أنّ ذلك جائزٌ في كلّ مُوَشّحٍ ، فعَمِلَ ما لا يجوزُ عملُه وما لا يُمَشّيه التلحينُ له وتظهرُ فضيحتُه في وقتِ غنائه ، فان المُغَنّي ببعضِ الآلاتِ يحتاجُ الى أن يُغَيِّر شَدّ الأوتارِ عند خروجِه من القُفْلِ إلى البيت، و من البيت الى القفل .

٤ ــ دار الطراز في عمل الموشّحات (نشره جودت الركابي) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م ؛ (نشره محمّد عبد الحق) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٧٧ﻫ (١٩٥٨م).

ديوان ابن سناء الملك (اعتنى بتصحيحه محمّد عبد الحقّ) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٧٧ ﻫ (١٩٥٨ م) ؛ (تحقيق محمّد ابراهيم نصر) مطبوع مع كتاب : ابن سناء الملك : حياته وشعره)، القاهرة (وزارة الثقافة) ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٣٨٧ ــ ١٣٨٨ ﻫ = ١٩٦٧ ــ ١٩٦٩ م .

** ابن سناء الملك ومشكلة العقل والابتكار في الشعر ، تأليف الدكتور عبد العزيز الأهواني ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٢ م .

معجم الادباء ١٩ : ٢٦٥ ــ ٢٧١ ؛ الخريدة (مصر) ١ : ٦٤ ــ ١٠٠ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٣٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٢١ــ١٢٣ ؛ العبر ٥ : ٢٩ــ ٣٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٥ــ٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٤ ، الملحق ١ : ٤٦١ ؛ زيدان ٣ : ١٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢٩ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٥٧ .

المطرزي النحوي

١ ــ هُوَ أبو الفَتْحِ ناصرُ بنُ عبدِ السيّدِ بنِ عليٍّ المُطَرِّزيُّ النحويُّ الخَوارزمي مَنْسوباً الى تَطْريزِ الثيابِ ، فلَعلّه ، أو لَعَلّ أحداً من أسْلافِه ، كان يَعْمَلُ في ذلك .

---

(١) الارغن أو الارغل (الارغول) : مزمار ذو قصبتين مثقبتين احداهما أطول من الأخرى (المعجم الوسيط ١ : ١٤) .

(٢) تتألف الموشحة من أجزاء يسمى الجزء منها بيتاً (وهو متألف من أشطر متعددة . والبيت (في الموشحة) يتألف من بيت جزئي (له قواف خاصة به) ومن قفل (قوافيه كقوافي سائر الاقفال في الموشحة كلها) . وقد يكون بين القفل وبين سائر البيت اختلاف في الوزن ، وهو ما يقصده ابن سناء الملك .



وُلِدَ المُطرّزيُّ في خَوارزمَ ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٣٨ هـ (أوائل ١١٤٤ م) وبدأ المطرّزيُّ تَلَقّيَ العِلْمِ في بلدِهِ على أبيهِ وعلى الاديبِ الخَطيبِ أبي المُؤيَّدِ المُوفّقِ بنِ أحمدَ المكّيِّ ؛ وسَمِــعَ الحديثَ من أبي عبدِ اللهِ مُحمّدِ بنِ أبي سعيدٍ التاجرِ وغيرِهِ .

وفي سَنَةِ ٦٠١ هـ (١٢٠٣ – ١٢٠٤ م) دَخَلَ المطرّزيُّ بَغْدادَ – في طريقه إلى الحَجّ – وحَــدَّثَ فيها ببعضِ مُصَنَّفاته . وقــد كانَتْ وفاتُه في خَوارِزْمَ ، في ٢١ من جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٦١٠ هـ (٩ / ١٠ / ١٢١٣ م) .

٢ – كان لِلْمُطرِّزيِّ النّحْويِّ مَعْرِفَةٌ واسعةٌ باللغةِ والنحوِ والشِعْرِ وأنواع الأدب . وكان أيضاً شاعراً مُكْثِراً يَميلُ إلى التَجْنيس ويَغْلِبُ على شِعْرِهِ شيءٌ من الجَفاف . ولكنّ شُهْرَتَهُ راجعةٌ إلى كَثْرَةِ تصانيفه في فنونٍ عديدة ، له : رِسالةٌ في إعجاز القُرآن – المُعْرِب في غَريب ألفاظ الفقهاء – المُغْرِب في شرح المُعْرِب (.... في ترتيب المُعْرِب) – الإقناع في اللغة (الاقناع لِمَا حُوِيَ تحتَ القِناع : وهو شِبْهُ قاموسٍ للمَرادفات ، وربّما أُلْفِيَ باسمِ كشف القناع) – مختصر إصلاح المنطق – المصباح في النحو .

٣ – مختارات من آثاره

– وإنّي لأَسْتَحْيِي من المَجْدِ أنْ أُرى حَليفَ غَوانٍ أو أَليفَ أغاني[١] !
– تَعامى زَمــاني عن حُقوقي ، وإنّه قَبيحٌ على الزَرْقاءِ تُبْدي تَعامِيــا[٢] .
فان تُنْكِروا فضلي فإنّ رُغــاءه كَفى لِذوي الأسْماعِ مِنْكُمْ مُناديا[٣] .
– وزَنْدِ نَدًى فَواضِلُهُ وَرِيٌّ ، ورَنْدُ رُبــاً خَواضِلُه نَضيرُ[٤] ؛

---

(١) الغواني جمع غانية (المرأة المستغنية بجمالها عن الحلي) : الجميلة . حليف غوان : معــاشراً للنساء (المستهترات) . أليف أغاني : مكثر من التغني (منصرفاً الى الخيال) .

(٢) زرقاء اليمامة امرأة في الجاهلية زعموا أنها كانت تبصر من مسيرة أيام .

(٣) الرغاء : صوت الجمل . رغاء فضلي : صوته العالي (شهرته) .

(٤) الزند : حديدة تقدح بها النار من الصوانة : الندى : الكرم . الفواضل جمع فاضلة : اليد الجسيمة أو الجميلة (الصنع : الكريم الى الناس)، الغلة الكثيرة من المال (العقل ، الزرع الخ) . وريّ : كثير الاشتعال . الرند نوع من الشجر طيب الرائحة . والربى جمع ربوة : الرابيــة ، ما ارتفع من الارض . الخواضل جمــع خضيلة : الروضة الندية (الكثيرة الماء والنبات) . نضير : ريان ، أخضر .

وَدُرُّ خِلالِه أبَــداً ثمينٌ ، وَدَرّ نَوالِه أبَــداً غَزير[1] .

٤ – المصباح ، لكناو ١٢٦١ هـ .

المغرب في ترتيب المعرب ، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٢٨ هـ .

** معجم الادباء ١٩ : ٢١٢ – ٢١٣ ؛ انبـاه الرواة ٣ : ٣٣٩ – ٣٤٠ ؛ وفيات الاعيـان ٣ : ٥١ – ٥٢ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ ؛ بغية الوعاة ٤٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٣٥٠ – ٣٥٢ ، الملحق ١ : ٥١٤ – ٥١٥ ؛ زيدان ٣ : ٤٨ ؛ مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ : ٥٨ ، الأعلام للزركلي ٨ : ٣١١ .

الوجيه ابن الدهان الضرير الواسطي

١ – هو أبو بكرِ المباركُ بنُ المباركِ بنِ سعيدِ بنِ الدهّانِ النَحْوِيُّ الضريرُ المعروفُ بالوجيهِ الواسطيّ ، وُلِدَ في واسط سَنَةَ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) في الأغلب ونشأ فيها وحَفِظَ القرآنَ وبدأ بالاشتغالِ بالعلم . ثمّ إنّه قَدِمَ في صِباهُ مَعَ أبيه إلى بَغْدادَ واستوطَنَها وسَمِــعَ الحديثَ من أبي زُرْعَةَ وتَفَقّهَ وأخذَ عن ابنِ الخشّابِ وكمالِ الدينِ بنِ الأنباريّ .

وتصدّر ابنُ الدهّانِ الواسطيُّ للتدريسِ فأقرأ القرآنَ كثيراً ثمّ دَرَّسَ النحوَ في المدرسة النِظامية سِنينَ كثيرةً . وكانت وفاتُه في ١٦ شَعْبانَ ٦١٢ هـ (١٠/١/ ١٢١٦ م) ، وقيلَ في ٢٦ من شعبان .

٢ –كان ابنُ الدهّانِ الضريرُ الواسطيُّ عارفاً بالتفسير والفِقْه واللغة والنحو والعَروض والشِعر ، كما كان له إلمامٌ بالطِبّ والفلك والفلسفة . وكان مُدَرِّساً حَسَنَ التعليمِ كثيرَ الصبرِ على الطلاّب يُجيب على أسئِلَتِهِم بسَعَةِ صَدْرٍ . وقد زَعَموا أنّه كان يَعْرِفُ الفارسيةَ والتركية والحبشية والروميّة والأرمنية والزّنجية ، فكان إذا لم يفهَمْ عنه الطالبُ – وكان الطالبُ غيرَ عربيّ – فسّر له الكلامَ بلُغَتِه . وكان ابنُ الدهّانِ مُصَنّفاً للكُتُبِ ، له تصنيفٌ في النحو ، كما كان حَسَنَ النَثْرِ والشِعر مُولَعاً بالجِناس في القوافي خاصّةً .

---

(١) الدر (بضم الدال) : الجوهر = اللؤلؤ. الخلال جمع خلة (بفتح الخاء) : الخصلة (بفتح الخاء أيضاً) . الدر (بفتح الدال) : الحليب = ما تدره (بكسر الدال) البقرة أو الناقة من ضرعها (ثديها) . النوال : العطاء . غزير : كثير . نلاحظ أن في هذين البيتين صناعة كثيرة تخرج الى التكلف .

٣ – مختارات من آثاره

من شعرِ ابنِ الدهّانِ الواسطيّ في التجنيسات :

** ولو وقعَتْ في لُجّةِ البحرِ قطرةٌ من المُزْنِ يوماً ، ثمّ شاء لمازَها[١] .
ولو ملَكَ الدنيـا فأضحى مُلوكُها عبيداً له في الشرقِ والغرب ما زها !

** أطلتَ مَلامي في اجتنابي لمَعْشرٍ طَغامٍ لِئامٍ جودُهُمْ غيرُ مُرتجى[٢]
ترى بابَهُمْ – لا باركَ اللهُ فيهِمُ – على طالبِ المعروفِ إنْ جاء مُرْتَجا .
حمَوْا مالَهُم ، والدينُ والعِرْضُ مِنهُمُ مُباحٌ ؛ فلا يَخْشَوْن مِن هَجْوِ مَنْ هجا ؛
إذا شرَعَ الأجوادُ في الجودِ مَنْهجـاً لهم شرَعوا في البخل سَبعينَ مَنْهَجا .

– تطاولَ على ابنِ الدهّانِ الوجيهِ الواسطيّ سائلٌ حتّى خرَجَ على الأدب وعلى المألوف . وكان ابنُ الدهانِ لا يَغْضَبُ ، وقد أراد هذا السائلُ أن يُحرِجَهُ فيُخرِجَهُ عن طورِهِ الحليمِ الى الغَضَبِ . فلمّا أدركَ ابنُ الدهّان كلَّ ذلك قال لذلك السائلِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قد عرَفْتُ مُرادَكَ ووَقَفْتُ على مَقْصودِكَ ، وما أراكَ إلاّ قد غُلِبْتَ فأدِّ ما بايَعْتَ عليه[٣] ، فلستَ بالذي تُغْضِبُني أبداً . وبعدُ ، يا بُنَيَّ ، فقد قيل : إنّ بَقّةً[٤] جلَسَتْ على ظهر فيلٍ . فلمّا أرادَتْ أن تَطيرَ قالتْ له : استَمْسِكْ ، فانّي أريد الطيَرانَ . فقال لها الفيلُ : واللهِ ، يا هـذه ، ما أحْسَسْتُ بكِ لمّا جلَسْتِ ، فكيف أستَمْسِكُ إذا أنتِ طِرْتِ ؟ واللهِ ، يا ولَدي ، ما تُحْسِنُ أن تسألَ ولا (أنت) تفهَمُ الجوابَ ، فكَيْفَ أستفيدُ منك ؟

٤ – ** معجم الادباء ١٧ : ٥٨ – ٧١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ – ٢١١ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٥٤ – ٢٥٦ ؛ نكت الهميان ٢٣٣ – ٢٤٣ ؛ العبر ٥ : ٤٣ شذرات الذهب ٥ : ٥٣ ؛ بغية الوعاة ٣٨٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٣١٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٥٢ .

---

(١) المزن : المطر . مازها : عزلها (عن غيرها) ، استطاع أن يستخرج النقطة من ماء المطر (الحلو) من ماء البحر (المالح). ما زها: لم يفتخر، لم يتكبر.

(٢) الطغام : أوغاد الناس . غير مرتجى : لا يرجوه أحد ، لا يطمع به أحد . مرتج : مغلق .

(٣) غلبت : خسرت الرهان. ادّ ما بايعت عليه : ادفع (إلى الذين قلت لهم إنك ستغضبني) المبلغ الذي شرطته على نفسك . (٤) البقة : (هنا) البعوضة .

ابن ظافر الازدي

١ ـ هو جمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي منصورِ ظافرِ (ت ٥٩٧ هـ) بنِ حسينِ الأزديّ الخزرجيّ ، وُلِدَ في القاهرة سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) .

دَرَسَ ابنُ ظافرِ الفِقْهَ على والده ثمّ قرأ الأدبَ والشعر على نفرٍ منهم أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضّلِ اللّخْمي المَقْدِسي (ت ٦١١ هـ) وتاج الدين أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْدي (ت ٦١٣ هـ) وأبو القاسم عبد الصمد بنُ محمّدِ بنِ الحَرَسْتانيّ (ت ٦١٤ هـ) وأبو الخطّابِ عُمَرُ بن دِحْيَةَ الكلبي البَلَنسيّ (ت مصر ٦٣٠ هـ) وغيرُهم . ثمّ إنّ ابنَ ظافرٍ خَلَفَ أباه في تدريسِ الفِقه في المدرسة المالكيّة المعروفةِ بالمدرسة القمحيّة .

وطَمِحَ ابنُ ظافرِ الى الدنيا واتّصل بنفرٍ من رِجالِها ولَزِمَ القاضيَ الفاضلَ مدّةً طويلةً في مِصْرَ والشامِ . وانتقل ابنُ ظافرِ الى الشام ، سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٩١ م) ، ومدح السلطانَ صلاحَ الدين الأيّوبيّ . ولكنّ صلاحَ الدين كان في ذلك الحينِ مشغولاً بحربِ الإفرنج الصليبيّين وباستردادِ البُلدانِ في فِلَسْطينَ منهم ، فانصرفَ ابنُ ظافر الى الاتّصال بنفرٍ من أمراء الأيّوبيّين وملوكهم . فقدِ اتّصل بالمَلِكِ الأفضل نورِ الدين صاحبِ دِمَشْقَ (٥٨٢ ـ ٥٩٢ هـ) ووزَرَ للمَلِكِ الأشرفَ مظفّرِ الدين أبي الفتح موسى صاحب ميّافارقين (٦٠٧ ـ ٦١٧ هـ) وبغيرِهم ، وكان في هذه الأثناء كثيرَ التَرَدُّدِ بين مِصْرَ والشام .

وبعدَ أن صُرِفَ ابنُ ظافرٍ من الوَزارةِ عاد الى مِصْرَ ، سنة ٦١٢ هـ . وكانت وفاتُه في مُنْتَصَفِ شَعْبانَ من سَنَةِ ٦١٣ هـ (٢٧/ ١١/ ١٢١٦ م) في الأغلب .

٢ ـ كان ابنُ ظافرِ الأزديُّ طَموحاً مُحِبّاً للدنيا مُتَقَلّبَ الهوى بتَقَلُّبِ الأحوال ، وان كان يذْكُرُ الوفاءَ ويُحِبُّ الأوفياء . وكان مُلِمّاً بعددٍ من فنون العلم في الحديث والفِقْهِ واللُغة والأدب والتاريخ . غير أنّ براعتَه وشُهْرَته كانتا في الأدب وبجانبِ الصِناعة اللفظيّة والمعنوية منه خاصّةً ، كما كان شاعراً وناثراً وناقداً ومُصَنِّفاً .

أمّا في الشعر فابنُ ظافرٍ يهتمّ بالصناعة ويتصيّدُ التشبيهاتِ النادرةَ ، ولذلك قلّتْ في شعرِه المعاني وقلّ الرَوْنق . وأكثرُ شِعْرِه المديحُ والأوصافُ والشكْوى .

ونَثْرُ ابنِ ظافرٍ أحسنُ من شعرِه ، وهو أيضاً نَثْرٌ أنيقٌ قائمٌ على الصناعة من السَّجَع والموازنة والتشبيه والاستعارة والبديع . ويكاد يقتصرُ ابنُ ظافرٍ في النَّقْد على استحسان التشبيهاتِ القريبةِ المأخذِ (بأنْ يكونَ التشبيهُ فيها قريباً من الواقع المُشاهَدِ وبأن يتناولَه الشاعرُ أو الناثرُ من جانبٍ جديدٍ) .

وابنُ ظافرٍ مُصَنِّفٌ له كُتُبٌ في التاريخ والأدب والبلاغة والنَّقْد والاجتماع منها : الدول المنقطعة (في الدول العبّاسيّة والفاطمية والطولونية والحمدانية وغيرها) — أخبار الملوك السلجوقية — أخبار الشجعان (ولعلّهما مقتطعان من « الدول المنقطعة ») — مَن أصيب بمن[1] اسمُهُ عليٌّ (بدأه بعليِّ بنِ أبي طالب) — أخبار الدول الاسلامية — أساس السياسة — مَكْرُمات الكُتّاب — أساس البلاغة — نفائس الذخيرة — شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل — بدائعُ البَدائه — الذيل على بدائع البدائه — غرائبُ التنبيهات على عجائب التشبيهات .

اختار ابن ظافر في كتاب « بدائع البدائه » جُملةً صالحةً من الأشعار التي قالَها أصحابُها على البديهة ورتّب هذه المختاراتِ ترتيباً على العصور مُنْذُ الجاهلية الى أيّامه مَعَ التوسّع في الاستشهاد بما قالَهُ معاصِروه .

وأمّا « غرائبُ التنبيهات على عجائب التشبيهات »[2] فمجموع أبيات ومقطّعات تتضمّن تشبيهاتٍ بارعةً مُنْتَزَعَةً من عالَم الطبيعة (القمر والنجوم والأنهـار والأزهار والأثمار والحيوانات) ومن عالم الأشياء (الخمر والطعام والصنائع والأدوات المختلفة وأصحابها) ومن صفات الناس (الساقي والثغور والشوارب ولابس الدرع والقتيل في الحرب والشيب) . ومَعَ أنّ المشارقةَ والمغاربة قد سبقوا ابنَ ظافرٍ إلى التأليفِ في هذا الموضوع كابراهيمَ بنِ محمّدِ بنِ أبي عَوْنٍ (ت ٣٢٢ هـ) وحَمْزَةَ الأصفهانيِّ (ت ٣٦٠ هـ) ونصرِ بنِ يعقوبَ الدينَوَريِّ (ت ٤١٠ هـ) وابن ناقيـا البَغْداديِّ (ت ٤٨٥ هـ) من المشارقة ثمّ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ الكَتّانيِّ (ت ٤٢٠ هـ) وأبي الحُسينِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ أبي الحسينِ (ت نحو ٤٣٠ هـ) وأبي عامرٍ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عامرٍ السالمي (ت ٥٥٩ هـ) من الاندلسيّين ، فانّ لكتابِ ابنِ

---

(١) كذا في الأصول (بمن) ، والأصوب أن تكون « ممن » .

(٢) في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت نسخة من هذا الكتاب بتحقيق سميرة نعيم خوري (وهي رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب الى دائرة اللغة العربية — الجامعة الأميركية في بيروت — تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٨) .

ظافر قيمةً ظاهرةً . يبدو أن ابنَ ظافرٍ قد عرَفَ هذه الكُتُبَ ــ أو عرَفَ عدداً منها على الأقلِّ ــ معرفةً جيّدةً ، فانَّ مُعْظَمَ التشبيهاتِ التي اختارها لم تَرِدْ عند الذين سبقوه . ويترك ابن ظافرٍ الاختيارَ من الشعر الجاهليِّ ومن نَفَرٍ ممّن أكثرَ المصنّفون من الاختيار من أشعارِهم في هذا البابِ ، فهو مثَلاً لم يستشهدْ بأبيات لابن المُعْتَزِّ إلاّ مرّتينِ ــ برُغْمِ براعة ابنِ المعتزِّ في التشبيه والاستعارة ــ ، كما يُحاولُ أن يتخيَّر التشبيهاتِ البارعةَ وحدَها . من أجلِ ذلكَ لا يكونُ كتابُ ابن ظافرٍ نُسخةً ثانيةً للمُصنّفاتِ في هذا الموضوع ، بل تتمّةٌ لها واستيفاءٌ لهذا الموضوعِ نفسه .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابن ظافر الأزديّ في المقدّمة الثانية من كتاب التنبيهات :

« .... فانَّ الأرضَ لمّا أخذتْ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وظَهرَت علاماتُ سَعْدِ ها وتبَيَّنَتْ ، وتسلّمتْ من الخُطوبِ كتابَ أمانِها وعاد ربيعاً كلُّ زمانِها ، وتحلّتْ بعقودٍ من جواهرِ زَهْرِها النَضِرِ وطال عُمُرُ ربيعِها الخَضِر ..... وأعادتْ مَحَجَّتَها بيضاءَ من الحقِّ وكانت سوداءَ من الباطل ، وأوْفَتْ أهلَ الفضلِ ديونَهم ، وكم أوفتْ على الغريمِ المُماطل ، بما شمِلها من أيّامِ مولانا السلطانِ العادل المَلِك الناصرِ صلاحِ الدينِ والدنيا مُنْقِذِ بيتِ المَقْدِسِ من الكَفَرةِ المُشْرِكين أبي المُظفّرِ يوسفَ بنِ أيّوبَ مُحْيي دولةِ أميرِ المؤمنين مَلَكَها فما جارَ بل عدَلَ ، وسَلَكَها فما حادَ عن طريق الحقِّ ولا عدل (مالَ ، انحرف) .....

ولمّا كان المَمْلوكُ ممّن تشرّفَ بوَطْءِ البساط الكريم وتميّز بانتسابهِ الى المَقام العظيم ، تأكّد الوجوبُ عليه في تَوالي ما يَخْدِمُ به مَنْ خدَمه .... فنظَر في ما يَخْدِمُ به الجَنابَ الأسمى ــ زادَه اللهُ سُمُوّاً وعُلُوّاً ــ فوجد فنَّ التشبيه بينَ الأشعار عاليَ القَدْرِ نابِهَ الذِكْرِ لا يُمْكِنُ كلَّ الناسِ سلوكُ جادّتِه ولا يَقْدِرُ الاّ اليسيرُ منهم على إجادته حتّى استَهْوَلَهُ أكثرُ الشعراء واستصعبه ، وقالوا : إنْ قالَ الشاعرُ «كأنّ» ظهَرَ فَضْلُهُ أو جَهْلُه . ولم يَجِدْ[1] أحداً من المؤلّفين ولا مُصنّفاً من المصنّفين اشتغل بتَمْييز ذَهَبِه من مَدَرِه[2] ، ولا خاض في بحاره لاستخراج دُرَره ..... فاختارَ هذا المجموع ــ شَهِدَ اللهُ ــ من أكثرَ من خمسَ عَشْرَةَ ألفَ وَرَقةٍ ، وجَمَعَ فيه جُمَلاً من غرائبِ أبياتهِ ومُعْجِزاتِ آياتهِ ،

---

(١) يشير ابن ظافر هنا الى نفسه بضمير الغائب . (٢) المدر : الطين .

ليكونَ أنساً للمجلس الأسمى .... وأختصره غايةَ الاختصارِ واقتصر (فيه) على المحاسن أشدَّ الاقتصار .... »

— من مقدّمة كتاب « بدائع البدائه » :

.... وبعدُ ، فقد كُنْتُ في صَدْرِ عُمْري وبَدْءِ أمْري نَشِطْتُ لِجَمْعِ أخبار الشعراء في البَدائه والارتجال ، ومحاسنِ أشعارِهِمْ في مضايِقِ الإسراع والإعجال ، وسَجَعْتُ[(١)] منها حِكايات لم يرقُمْها في الطِرْسِ بَنانٌ ، ولم يَطْمِثْها قبلي إنسٌ ولا جانٌ[(٢)] . فأوْقَفْتُ عليها صَدْرَ ذلك الزمانِ وسيّدَ فُضلاءِ ذلك الأوان السيّدَ الأجلَّ الفاضلَ أبا علـيٍّ عبدَ الرحيم بنَ الحَسَنِ البيسانيَّ[(٣)] رَحِمَهُ اللهُ تعالى فحثّني على الازدياد منها والتَطَلُّب لها والبحثِ عنها . فاجتمعَ من ذلك جُزْءٌ أحْكَمْتُ ترتيبَهُ وهذّبتُ تبويبَهُ وسَمّيْتُهُ بدائعَ البَدائه . ورتّبتُ الأخبارَ في كلِّ بابٍ على ترتيبِ الأعصار.......

— من مطلع كتاب « بدائع البدائه » (الفصل الثاني) :

الارتجالُ هُوَ أن يَنْظِمَ الشاعرُ في أوْحى من خَطْفِ البارق[(٤)] واختطاف السارق ، وأسرعَ منَ التماحِ العاشقِ ونُفوذِ السَهْمِ المارق[(٥)] ، حتّى يُخالَ ما يُعْمَلُ محفوظاً أو مَرْئيّاً ملحوظاً ، من غيرِ حاجةٍ إلى كِتابةٍ أو تعلّـــلٍ بتقْفِيَة . وتَنْفَرِدُ عندَ ذلك قَضيّةُ الحال باختراعِ الوَزْنِ والقافية وهُمُ* الشهودُ العُدولُ الذين يَجِبُ الرجوعُ إليهم ولا يجوزُ عنهمُ العَدولُ[(٦)] بالشهادة على استطاعتهِ وأن ذلك المنظومَ ابنُ ساعته .

والبديهة أن يَنزِلَ (الشاعرُ) عن هذه الطَبَقة قليلاً ويُفكّرَ مُقَصِّراً لا مُطيلاً .

---

(١) وضعت عدداً من الحكايات مسجوعة (في جملها أسجاع) .

(٢) لم يرقمها (يكتبها) في الطرس (الورق) بنان (أصابع) : لم يكتب أحد مثلهـا . لم يطمثها (لم يتزوجها) . اقتباس من سورة الرحمن : (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (٥٥ : ٧٤) .

(٣) هو القاضي الفاضل (راجع ، فوق ، ٤١١) .

(٤) أوحى : أسرع . خطف البارق (ذهاب البرق بالبصر) : أقل مكثاً من البرق (مع تأثيره في البصر) .

(٥) التماح (صيغة غير موجودة في القاموس) لمح : اختلس النظر (نظر نظرة سريعة بطرف عينه) . نفوذ السهم المارق : مرور السهم في الشيء من جانب إلى جانب .

(٦) العدول جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) : صادق ، يقول الحق . العدول (مصدر) : الميل والانحراف . *كذا في الاصل : وهم .

فان أطالَ ذو البديهة الفكْرَةَ انعكَسَتِ القضيّةُ وخرجتْ من حدِّ البديهة الى حدِّ الرَويّة [1] . وعند ذلك تَقْصُرُ نهضةُ الاقتدارِ عن بلوغِ ذلك المِضْمارِ ، إذِ المرتجلُ والباده يُقْنَعُ منهما بالرديءِ اليسيرِ ، ولا يُقْنَعُ من المُرَوِّي الاّ بالجيّدِ الكثيرِ .....

٤ ـ الدول المنقطعة ، منه جزء في : « حكايات لقمان » (نشره فرايتاخ) ، بوّن ١٨٢٣ م .

بدائع البداثه ، بولاق ١٢٧٨ هـ ؛ (على هامش « معاهد التنصيص » لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العبّاسي) ، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٦ هـ .

غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات (تحقيق محمد زغلول سلاّم ــ مصطفى الصاوي الجوني) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧١ م .

** معجم الادباء ١٣ : ٢٦٤ ــ ٢٦٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٦٤ ــ ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩١ ، الملحق ١ : ٥٥٣ ــ ٥٥٤ ؛ زيدان ٣ : ٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٧٠ ــ ٩٧١ .

سليمان بن بنين الدقيقي

هو سُليمانُ بنُ بَنينَ بنِ خلَفِ بنِ عوَضٍ الدَقيقيِّ المِصْريّ تَلقّى النَحْو على ابنِ برّيّ ، وكانتْ وفاتُه في القاهرة ، سنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ ــ ١٢٧ م) .

كان سليمانُ بنُ بَنينَ الدقيقيُّ نحويّاً ، ولكنّه ألّفَ في فنون مختلفة ، في النحو والبلاغة والعَروض والأدب والشِعر وأحكام الخطّ والفقْه والأخلاق . فمن كُتُبه : اتّفاق المباني وافتراق المعاني (لغة) ــ لُباب الألباب في شرح الكتاب (كتاب سيبويه ، في النحو) ــ الإعجاز والإيجاز في المعاني ــ أخلاق الكرام وأخلاق اللئام ــ الدرّة الأدبية في نُصرة العربية ــ دلائل الأفكار في فضائل الأشعار ــ البَسْط في أحكام الخطّ ــ الروض الأريض في أوزان القريض ــ كمال المَزيّة في احتمال الرَزيّة ــ الوافي في علم القوافي ، الخ ، الخ .

٤ ــ ** معجم الأدباء ١١ : ٢٤٤ ــ ٢٤٦ ؛ بغية الوعاة ٢٦١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٦ ، الملحق ١ : ٥٣٠ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٨٣ .

فتيان الشاغوري

١ ــ هوَ أبو مُحمّدٍ الشِهاب (شهاب الدين) فِتْيانُ بنُ عليِّ بنِ فتيان بن

---

[1] الروية : إطالة الفكرة في الأمر .

ثمال (جمال الدين) الأسَدي الخُزيمي المعروفُ بالشاغوريّ المُعلّم ، من أهل دِمَشْقَ ، وُلِدَ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) في بانياس .

اتّصلَ فتيانُ الشاغوريّ بنَفَرٍ مِنَ الأمراء ومَدَحهم وكان يُعَلّم أولادَهم (مبادىء العلوم) والخطّ . ويبدو أن مِهنَتَه كانتْ تَعْليم الصِبْيانِ ، وكان أيضاً يُقْرِىءُ النَّحْوَ في جامعِ دِمَشْقَ . وقد خَدَمَ الأميرَ نورَ الدين مَوْدودَ بنَ المُبارك شِحْنَةَ دمشق .

ومن أحداثِ حياةِ فتيانِ الشاغوري أنّه أقام مُدّةً في الزّبَداني ، وأنّه كان بينه وبين الشاعر ابن عُنين (٥٤٩ — ٦٣٠ هـ) مكاتبات ومداعبات . وكانتْ وَفاةُ فتيان الشاغوري في دِمَشْقَ في ٢٢ من المُحَرّمِ من سَنَةِ ٦١٥ (٣١ — ٣ — ١٢١٨ م) .

٢ — كان فتيان الشاغوري فاضلاً عالماً بالنحو وشاعراً غَزيرَ المعاني متينَ السَّبْك مُجيداً بعضَ الإجادة مَعَ ولعٍ بالتجنيس . وشعره قصائدُ طوالٌ ومَقاطيعُ قِصارٌ حِسانٌ . وأكثرُ شِعْرِه المديحُ والرثاءُ والهجاء جِدّاً وهَزْلاً مَعَ شيءٍ من الغزل والخمر . وله وَصْفٌ للطبيعة وَقَفَ أكْثَرَهُ على وَصْفِ بلدةِ الزَبَداني ، وَهِيَ مَصيفُ دِمَشْقَ إلى الغَرْبِ الشّماليّ منها .

٣ — مختارات من شعره

— قال فتيان الشاغوري قصيدةً يَمْدَحُ فيها بَدْرَ الدين مَوْدودَ بنَ المُبارك — وقد سمّاه فخرَ الدين — ويَصِفُ دِمَشْقَ . من هذه القصيدة :

نَوْحُ الحَمامِ الوُرْقِ في أوْراقِها ... دَلَّ أخا الشَّوْقِ على أشْواقِها[1] ؛
فأظْهرَ الدَّمْعَ ، وأخْفى زَفْرَةً ... خافَ على البانات من إحْراقِها[2] .
لو بَكَتِ الوُرْقُ بِبَعْضِ دَمْعِهِ ... لامّحتِ الأطْواقِ من أعْناقِها[3] .

---

(١) نوح = ترجيع : شدو ، غناء ، صوت. الورق جمع ورقاء (الحمامة) في أوراقها (بين أوراق الشجر) كناية عن وجودها في الظل وفي الربيع وفي خضرة العيش . — بكاء الحمامة في مثل هذه الحال الحسنة يتعجب منه الناس ، ولكن أخا الشوق (المحب) يعرف لماذا تبكي الحمامة .

(٢) الزفرة : النفس (الحار) الذي يخرجه الانسان (والزفير في الاصل صوت اشتعال النار) . البانات جمع بانة شجر له أغصان ملساء لينة لا تعلق بها النار بسهولة .

(٣) طوق الحمامة : ريش ملون يحيط بعنقها . — كثرة دمعه يمكن أن تمحو ألوان طرق الحمامة (مع أن تلك الألوان طبيعية لا تمحى) .

دَعْ العُرَيْبَ والنَّقا وزَيْنَباً تَجْذِبُ لِلْبَيْنِ بُرى نِياقِها[1] ،
وعُجْ على دِمَشْقَ تُلْفِ بَلْدةً كأنّما الجنّاتُ من رُسْتاقِها[2] .
سَقَى دِمَشْقَ اللهُ غَيْثاً مُحْسِباً من مُسْتَهِلٍّ دِيمَةٍ دَفّاقِها[3] ؛
مدينةٌ ليس يُضاهَى حُسْنُها في سائرِ البُلْدانِ من آفاقِها[4] .
تَوَدُّ زَوْراءُ العراقِ أنّها مِنْها ولا تُعْزَى إلى عِراقِها[5] .
أهْدَتْ لها يَدُ الربيعِ حُلّةً بديعةَ التّفْويفِ من خَلّاقِها[6] ؛
بَنَفْسَجٌ مِثْلَ خُدودٍ أُدْمِيَتْ بالقَرْصِ والتَّجْميشِ مِنْ عُشّاقِها[7] .
ونَرْجِسٌ أحْداقُه رانيَةٌ عَنْ مُقَلِ الغِيدِ وعَنْ أحْداقِها[8] .
تَنَزَّلَ المَنْثورُ مِنْ رِياضِها تَنَزُّلَ الأعْلامِ من شِقاقِها[9] .
فأرْضُها مِثْلَ السماءِ بَهْجَةً ، وزَهْرُها كالزُّهْرِ في إشْراقِها[10].
مِياهُها تَجْري خِلالَ رَوْضِها جَرْيَ الثَّعابِينِ لَدى اسْتِباقِها[11].
نَسيمُ رَيّا رَوْضِها متى سَرَى فَكَّ أخا الهُمومِ من وِثاقِها[12].

---

(١) العريب (تصغير عرب) : البدو . النقا : الرمل الابيض (البادية والاطلال) . زينب (كناية عن فتاة خيالية يتغزل بها شاعر في مطلع قصيدته غزلا وجدانياً أو تقليدياً) . للبين : للسفر ، للانتقال من مكان في البادية الى آخر . برى جمع برة (بضم الباء وفتح الراء) : حلقة توضع في أنف الحيوان يجر بها . تجذب للبين برى نياقها : تجر (تسوق) نياقها للارتحال .

(٢) عاج : مال ، اتجه ، عطف . الرستاق : الارض المستغلة في الزراعة ، القرى . يقول : كأن الجنة من قرى دمشق .

(٣) الغيث : المطر (الكثير) الذي يغيث (ينقذ الناس من القحط) . المحسب : الذي يسقي الارض فيرويها ويشبعها . استهل المطر : سقط . الديمة : السحابة الممطرة . دفاق : كثير التدفق ، كثير الهطول . من مستهل ديمة دفاقها : غيمة يبدأ مطرها تدفقاً . .

(٤) ليس يضاهى حسنها من سائر البلدان ... : لا بلد في الدنيا يشبهها .

(٥) الزوراء (زوراء العراق) = بغداد . تعزى : تنسب .

(٦) التفويف التلوين (كناية عن الازهار المختلفة الالوان) . من خلاقها (من صنع الله لا من صنع الانسان)

(٧) التجميش : ملاعبة المتحابين ، المغازلة .

(٨) – والنرجس ينظر الينا بعيون تشبه عيون الحسان من النساء .

(٩) المنثور زهر يكون ألواناً مختلفة . الاعلام : الرسوم في النسيج . الشقاق (يقصد الشاعر : شقق–بضم الشين وفتح القاف الاولى) : جمع شقة (بضم الشين) : القطعة من النسيج (الحرير) . –جميع الزهر في هذه المدينة منمنم (صغير) الا المنثور فهو كبير ، فهو يظهر فيها كأنه أعلام (رسوم كبيرة) .

(١٠) الزهر (بضم الزاي) : النجوم .

(١١) – أنهار دمشق كثيرة تجري في جميع رياضها متعرجة مسرعة كأنها ثعابين تتسابق .

(١٢) الريا : الرائحة الطيبة . سرى : انتشر (ليلا) . الوثاق : الرباط .

لا تَسأمُ العيونُ والأنوفُ مِنْ رُؤيتِها يوماً ولا استِنْشاقِها .
بِعَدْلِ فخرِ الدين قرَّ أهْلُها عَيْناً ، وزادَ اللهُ في أرْزاقِها[1] ؛
زَوّجَها الأمنَ – وناهيكِ به بَعْلاً – فطيبُ العَيْشِ من صِداقِها[2] .
لَيْسَ لِفَخْرِ الدين نِدّاً في الوغى إذا الحُروبُ شَمّرت عن ساقِها[3] .
كأنَّما أعْداؤه أحِبّةٌ يَشْتاقُ في الحَرْبِ الى اعْتِناقِها .
عَلَيْهِ من حُسْنِ الثناء حُلَّةٌ قَشيبةٌ لم يَخْشَ من إخْلاقِها[4] .

– وقال يَصِفُ الشتاءَ في بَلْدَةَ الزَبَداني :

قدْ أجْمَدَ الخَمْرَ كانونٌ بِكُلِّ قَدَحْ وأخْمَدَ الجَمْرَ في الكانونِ حينَ قَدَحْ[5] .
يا جَنّةَ الزَبَداني ، أنتِ مُسْفِرَةٌ بِحُسْنِ وَجْهٍ إذا وَجْهُ الزمان كَلَحْ[6] .
فالثَّلْجُ قُطْنٌ عَلَيْكِ السُّحْبُ تَنْدِفُهُ والجَوُّ يَحْلِجُهُ والقَوْسُ قَوْسُ قُزَحْ[7] !

٤ – ديوان فتيان الشاغوري (تحقيق أحمد الجندي) (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

** خريدة القصر (الشام) ١ : ٢٤٧ – ٢٥٩ ، ٢٧٨ – ٢٨٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٤٣ – ١٤٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٦٣ – ٦٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٦٥٤ .

---

(١) قر أهلها عيناً : اطمأنوا ، أصبحوا مسرورين .

(٢) فخر الدين (بدر الدين ، الممدوح) زوّج دمشق للأمن – وما أحسن هذا البعل (الزوج) ثم أصدقها (جعل لها صداقاً ، مهراً) أشياء كثيرة ، من هذه الأشياء الكثيرة طيب العيش .

(٣) ند : مثيل ، شبيه . الوغى : الحرب . شمرت الحرب عن ساقها : بدأت ، تهيأ الناس لها (اشتدت) .

(٤) قشيبة : جديدة . لم يخش (يخف) من إخلاقها (تهرئها من القدم) لأن له أعمالا حسنة يتجدد ثناء (شكر) الناس له من أجلها دائماً .

(٥) كانون الاول اسم لشهرين من شهور السنة الميلادية : كانون الاول وكانون الثاني (الشهران الثاني عشر والاول: ديسمبر ويناير) . يستعمل الشاعر « أجمد الخمر » بمعنى جعلها جامدة (من شدة البرد) وليس الفعل « أجمد » في القاموس بهذا المعنى . القدح الاولى : الكأس (للخمر خاصة) . أخمد : أطفأ . الكانون : الموقد ، وعاء تجعل فيه النار . قدح الكانون = قدحت النار (النار – هنا – فاعل) اشتد اتقادها (وليس هذا المعنى في القاموس) .

(٦) مظفرة : ظاهرة ، بارزة (للناس) . كلح : عبس ، (قبح) .

(٧) ندفت السماء بالمطر وبالثلج : ألقته ورمت به . (ندف الرجل القطن : ضربه بوتر من حديد حتى يرققه ويجعله قطعاً صغيرة) . حلج السحاب : أمطر (حلج الرجل القطن : خلصه من بزره = الجو يلقي الثلج أبيض ناصعاً كأنه قطن بلا بزر – لأن بزر القطن أسود) . قوس قزح : قوس السماء . قوس قزح الذي يرى في الافق حين تتساقط الثلوج كقوس المنجد الذي يندف المنجد به القطن .

يحيى بن سعيد بن الدهان

١ ــ هو عز الدين أبو زكريّا يحيى بنُ سعيد بن المبارك بن عليّ المعروف بابن الدهّان البغداديّ ، وُلد في الموصل في أوائل سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) في الأغلب وأخذ النحوَ عن مكّي بن ريّان (ت ٦٠٣ هـ) . ثمّ اتّصل بخدمة الناصر صاحب الموصل . وكانت وفاته قريباً من سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) في الموصل .

٢ ــ كان ابنُ الدهّان أبو زكريّا يحيى بنُ سعيد بارعاً في اللغة والنحو أديباً شاعراً سهلَ الشعر واضحَ المعاني . ومن فنونه النسيب والشكوى .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ إن مدحتُ الخمولَ نبّهت أقوا مأً نياماً فسابقوني إليه .
هُوَ قد دلّني على لذّة العيـ ـش . فما لي أدُلُّ غيري عليه !

ــ وعهدي بالصبا زمناً وقدّي حكَى ألِفَ ابنِ مُقْلَةَ في الكتاب[1] .
فصرتُ الآنَ مُنْحنياً كأنّي أفتّشُ في التُراب على شبابي !

ــ وهُوَ صاحبُ القصيدة التي مطلعُها :

هلْ لغرامي منكَ من آخرٍ أم هل على صدّك من ناصرِ !

٤ ــ معجم الأدباء ٢٠ : ١٥ ــ ١٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣٧٣ ــ ٣٧٤ (في آخر ترجمة أبيه سعيد) ؛ بغية الوعاة ٤١٢ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٨٢ .

ابو البقاء العكبري

١ ــ هو مُحبُّ الدين أبو البقاء عبدُ الله بنُ الحسين بن عبد الله بن الحسين العُكْبَريُّ الأزَجيّ[2] البغداديُّ ، وُلد في أوائل سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) في بغداد . وأضرّ العُكبريُّ (عَمِيَ) في صباه بالجُدَري . وقد كانت زوجتُه تقرأ له الكُتُبَ . وكان إذا أرادَ أن يؤلّفَ كتاباً أحضرتْ له زوجتُه عدّةَ مُصنّفات في الفنّ الذي يُريد أن يؤلّفَ فيه وقرأتْ (له بعضَها وقرأ آخرون له بعضَها الآخرَ) . فإذا حصلتْ تلك القراءاتُ في خاطره أملى ما أرادَ إملاءه منها .

---

(١) قدي : قامتي . ألف : أول حروف الهجاء . ابن مقلة : خطاط مشهور بارع . الكتاب : الكتابة ، الخط .
(٢) عكبراء وعكبري بلدة صغيرة قرب بغداد . باب الازج (بفتح ففتح) محلة في بغداد .

وكانتْ وفاةُ العُكْبري في ثامنِ ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٦١٦ هـ (٢٤/ ٦/ ١٢١٩ م) .

سَمِعَ العُكبريُّ الحديثَ من أبي الفتحِ البطّيّ وأبي زُرْعة المَقْدسيّ وتَفَقَّهَ بالقاضي أبي يَعْلى الفَرّاء الصغير ولازمه وبَرَعَ في المذهب (الحَنْبلي) والخلافِ والأُصول . وقرأ العربيةَ (النحو) على ابنِ الخشّابِ (ت ٥٦٧ هـ) ويحيى بنِ نَجاح (ت ٥٦٩ هـ) . ثمّ إنه أقرأ النَحْوَ واللُغة والمَذْهب (الحنبلي) والخلاف والفرائضَ (تقسيمَ الإرْث) والحسابَ . وكان مُعيداً للشيخِ أبي الفرج بنِ الجَوْزى (ت ٥٩٧ هـ) .

٢ ــ كان أبو البقاء العُكبري فقيهاً حنبليّاً وحاسباً فَرَضيّاً (في تقسيم المواريث) وشاعراً، ولكنْ غلَبَ عليه العِلمُ بالنحو وتفسيرُ الشعر . وكُتُبه كثيرةٌ منها : التبيان في إعراب القرآن ــ عَدّ الآي (عدد الآيات في القرآن الكريم) ــ كتاب في القرآن وتقسيمه إلى أجزاءٍ وأحزابٍ وأعشارٍ ، وفي القراءات والخلاف ومن رواها[1] ــ لُمَع في الكلام على لفظة « آمين » المستعملة في الدعاء وحُكمها ــ كتاب في إعراب الحديث ــ البلاغة وغريب اللغة ــ في علوم قواعد اللغة العربية ــ اللُباب في علل البناء والإعراب ــ التلقين في النحو ــ في علمي العَروض والقوافي ــ في القريض من الهجاء والمديح ــ المُوجز في ايضاح الشعر المُلْغز ــ كتاب إعراب شعر الحماسة ــ شرح ديوان المتنبّي ــ شرح اللُمع لابن جِنّي ــ شرح الخطب النُباتية (لابن نُباتة الفارقيّ) ــ شرح المفصّل للزمخشري ــ شرح مقامات الحريري ــ ترتيب اصلاح المنطق (لابن السِكّيت) على حروف المعجم ــ الاستيعاب في الحساب .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « التبيان في شرح الديوان » (ديوان المتنبّي)

..... أمّا بعدُ فإنّي لمّا أتقنتُ الديوانَ الذي انتشرَ ذِكرُه في سائرِ البُلدان وقرأتُه قراءةَ فَهْم وضَبْطٍ على الشيخ الإمام أبي الحَرَمِ مَكّيّ بنِ رَيّانَ[2] بالمَوْصِلِ ،

(١) القرآن الكريم مقسوم ثلاثين جزءاً ، وكل جزء مقسوم أربعة أحزاب . والعشر : نحو عشر آيات في موضوع تام .

(٢) مكي بن ريان مقرىء نحوي ضرير من ماكسين في شمالي الشام على نهر الخابور ، انتقل الى الموصل ثم الى بغداد وأخذ عن أئمة الأدب ثم عاد الى الموصل وتصدر للاقراء والتدريس . توفي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ .

سَنَةَ تِسعٍ وتِسعينَ وخمسمائَة ، وقرأتُه بالديار المصرية على الشيخ أبي محمّد عبدِ المُنْعم بنِ صالحٍ التَيْميّ[1] النحْويّ ؛ ورأيتُ الناسَ قد أكثَروا من شرحِ الديوان واهْتمّوا بمعانيه فأعْربوا فيه بكلٍّ فَنٍّ وأغربوا[2] فمنهم من قصَدَ المعانيَ دونَ الغريبِ ، ومنهم من قصدَ الإعرابَ باللفظ القريب ، ومنهم من أطالَ فيه وأسْهبَ غاية التَسْهيب[3] ؛ ومنهم مَنْ قصَد التعصّبَ عليه ونَسبَهُ الى غيرِ ما كان قد قصد إليه ؛ وما فيهم من أتى فيه بشيءٍ شافٍ ولا بعِوَضٍ هو للطالب كاف . فاستَخَرْتُ اللهَ تعالى وجَمَعْتُ كتابيَ هذا من أقاويلِ شُرّاحه الأعلامِ مُعْتَمِداً على قولِ إمامِ القَوْلِ المُقدَّمِ فيه المُوضِحِ لمعانيه أبي الفتْحِ عثْمانَ[*] ؛ وقولِ امامِ الأدباء وقُدوةِ الشعراء أحمدَ بنِ سُليمانَ بنِ أبي العَلاء[4] ، وقولِ الفاضلِ اللبيب إمامِ كلِّ أديبٍ أبي زكريّا يَحْيى بن عليٍّ الخطيب ، وقولِ الإمام الأرْشَدِ ذي الرأي المُسَدَّدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ[5] ، وقولِ جماعةٍ كأبي عليٍّ بنِ فُورَجَّه وأبي الفضل العَروضيِّ وأبي بكرِ الخَوارزميِّ ومحمّدِ الحسنِ بنِ وكيعٍ وابن الافليليّ[6] وجماعة . وسمّيتُهُ : «التِبيانَ في شرح الديوانَ» وجعلتُ غرائبَ إعرابه أوّلاً وغرائبَ لُغاتِه ثانياً ومعانيَه ثالثاً . وليسَ غريبُ اللغةِ بغريبِ المعْنى . فاللهُ تعالى يَعْصِمُنا من ألْسُنِ الحُسّادِ ويُوقِعُ في قلبِ ناظره وسامعِه القَبول . إنّه كريمٌ جواد .

٤ ــ التبيان في اعراب القرآن (على هامش تفسير الجلالين) طهران ١٨٥٩ ــ ١٨٦٠ م ؛ (بذيل تفسير الجلالين) دهلي ١٨٩٩م ؛ إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن (بهامش الفتوحات الالهية للشيخ سليمان الجمل) .... (على هامش تفسير الجلالين)، القاهرة (المطبعة التجارية) ١٩٢٣م؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٣هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ ، ١٣٢١ هـ .

---

(١) عبد المنعم التيمي الاسكندري من علماء النحو والأدب ؛ استوطن مصر (القاهرة) ، توفي ٦٢٣ هـ .

(٢) أعرب : أوضح ، بين (كشف عن غامض المعنى) . أغرب : أتى بالغريب من أوجه المعاني التي تحتملها أبيات الشعر .

(٣) باللفظ القريب (الموجز الظاهر) . التسهيب (المقصود منه هنا : الإسهاب) : التفصيل في ايراد المعاني والشرح .

(*) توفي ابن جني سنة ٣٩٢ هـ . راجع ٢ : ٥٧٦ . (٤) المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، راجع ، فوق ، ١٢٤ .

(٥) الخطيب التبريزي (٥٠٢ هـ) ، راجع ص ٢١١ ؛ الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، راجع ص ١٧٥ .

(٦) أبو علي محمد بن حمد بن فورجه (٣٨٠ – نحو ٤٥٥ هـ) . أبو الفضل العروضي (؟) ؛ أبو بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) ، راجع ٢ : ٥٤٤ . ابن وكيع (ت ٣٩٣ هـ) ، راجع ٢ : ٥٨١ . ابن الافليلي (ت ٤٤١ هـ) .

التبيان في شرح الديوان — ديوان المتنبّي (بعناية بار علي بادرناوي) ، كلكتّا ١٢٦١ — ١٢٦٢ هـ
بولاق ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ ؛ (صحّحه مصطفى السقّا — ابراهيم الابياري — عبد الحفيظ شلبي)؛ مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٥هـ=١٩٣٦ م ؛
** هوامش من شرح العكبري على ديوان المتنبّي : « ديوان صاحب المعاني المخترعة ... »
(باعتناء عمر الرافعي) ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٣ ؛ مصر (مطبعة أبي زيد — طبع حجر) ١٣٠٢ هـ ؛ مصر ١٣١٥ هـ .

نكت الهميان ١٧٨ — ١٨٠ ؛ انباه الرواة ٢ : ١١٦ وما بعد ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛
شذرات الذهب ٥ : ٦٧ — ٦٨ ؛ بغية الوعاة ٢٨١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٥ ، الملحق ١ : ٤٩٥ — ٤٩٦ ؛ زيدان ٣ : ٤٤ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٣٥٧ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٠٨ — ٢٠٩ .

القاسم بن الحسين الخوارزمي

١ — هو مجدُ الدينِ صدرُ الأفاضلِ أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ الحسينِ بنِ محمّد الخوارزميُّ ، من أهلِ خوارزمَ ، وُلِدَ في تاسعِ شَعبانَ سَنَةَ ٥٥٥ هـ (١٤/٨/ ١١٦٠ م) . تلقّى القاسم بنُ الحُسين طرَفاً من العلم في بُخارى ، وقرأ ديوان المُطرِّزيّ . وسكَنَ سمرقند حيناً وفي سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) اجتاحَ التتارُ خُراسانَ وما وراء النهر وأكثروا القتل فيهما ، فقُتِلَ القاسمُ بن الحسين في تلك الفَتْرة ، في خوارزم في الأغلب .

٢ — كان القاسمُ بنُ الحسينِ الخوارزميّ فقيهاً أشعريّاً غيرَ معتزليٍّ ، وكان بارعاً في علم العربيــة (النحو) والبلاغة وله باعٌ طويلةٌ في علوم الأدب . وهو أديبٌ له خُطَبٌ ورسائلُ إخوانيةٌ ، وكان يَنْظِمُ الشعر . ومع كَثْرة شعره فانّه قليلُ الإجادة . وأكثرُ نظمه في الأغراض الوُجدانية الشخصية . ثمّ هو مُصنِّفٌ له كتبٌ منها : (في شرح المُفصّل للزمخشري) : المجمرة[1] (صغير) — السبيكة (وسط) — التجمير[1] (بسيط =كبير) . ثم له : ضِرام السَقْط (شرح سقط الزَند للمعريّ) — التوضيح (شرح المقامات ، للحريري ؟) — لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه — المفرد والمؤلّف — شرح الأُنموذج (للزمخشري في النحو) — شرح الأحاجي (للزمخشري) — خلوة الرياحين في المحاضرات — عجائب النحو — السرّ (في الاعراب) — شرح الأبنية

(١) في بروكلمان ، الملحق (١ : ٥١٠ ، السطر الأول) : كتاب التخمير (بالخاء المعجمة) في شرح المفصل .

ـ الزوايا والخبايا (في النحو) ـ المُحصّل للمُحصَّلة (في البيان) ـ عُجالة السفر (في الشعر) ـ بدائع المُلَح ـ شرح الكتاب اليَميني (للعتبي ، في التاريخ) .

ولمّا شرح القاسم بن الحسين ديوان المعرّيّ توسّع في المقارنة بين شعر المعرّي وشعر الأبيورديّ (ت ٥٥٧هـ ـ راجع، فوق ، ص٢١٦) وغاص على المعاني وأكثر من الاستناد الى الاشارات التاريخية والفقهيّة ، واهتمّ اهتماماً خاصّاً بأوجه البلاغة ولاسيّما الجناسُ والطباق.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال القاسم بن الحُسين الخوارزميّ يُثَبِّطُ الشعراء عن التكسّب بالشعر لذَهاب الكرماء :

يا زُمْرَةَ الشعراءِ ، دعوةُ ناصحٍ : لا تأملوا عندَ الكِرام سَماحَا[1] .
إنّ الكرامَ بأسْرِهم قد أغلقوا باب السَماحِ وضيّعوا المِفتاحا !

ـ ومن ترسّله :

إلى الدارِ العزيزةِ[2] ببغدادَ ـ حرسَها اللهُ تعالى ـ راياتُ مولانا الصوّامِ القوّام أميرِ المؤمنين وإمامِ المتّقين وخليفةِ ربّ العالمين : الإمامِ الذي ليس للتابعين غيرُه إمامٌ ولا دون عتَبَتِه مُتَمَسَّكٌ واعتصام .... مُنَى العبْد أن يَسْعى الى المواقف المُقدّسة مَسْعى القلم ، يَحبو[3] على رأسه لا على القَدَم ، ليَشَمّ بثَراها الثَريّ لَخْلَخَةَ المِسك الذكيّ[4] ويُعَفّرَ بها جبينَه ويُجيلَ في مسارح الحَمْد طرْفَه[5] .. لكنّ الحوادث قلّما توافقه ، والأيام تُماسكه في ذلك وتُضايقه[6] .... ولمّا وَرَدَ الرَسْمُ[7] ـ أعلى نورُ الله به مشارقَ الأرضِ ومغاربها ـ تلقّاه العبدُ بالتعظيمِ والإجلال ووضعه على قِمّة الامتثال ....

---

(١) السماح : الكرم .

(٢) قصر الخلافة (في بغداد) .

(٣) زحف على بطنه ، أو على يديه ورجليه . منى جمع منية : أمنية ، منتهى الأمل ، الغاية .

(٤) الثريّ : النديّ ، الرطب . الثرى : التراب. لخلخة (رائحة) المسك الذكي : الشديد الرائحة (الزكي: الطاهر ، الطيب الرائحة) .

(٥) عفر : وضع في التراب . الطرف : العين ، النظر.

(٦) تماسكه من « ماسك » ليست في القاموس (المقصود : تعيقه ، تمنعه من التصرف).

(٧) الرسم : الأمر الرسمي .

– من مقدمة ضِرام السقط (شرح ديوان المعريّ) :

... وبعدُ فإنّ طائفةً من أهلِ العلم قد قَرَعوا مَسْمَعي غيرَ مرّةٍ بالتِماسِهم إليّ أنْ أشْرَحَ لهم « سقط الزند » .... لأنّ ماء الفصاحة همى من مَبانيهِ ورَوْنقَ البلاغة مشى على معانيه وبهجةَ الصَّنْعة صافحتْ بعضَ قوافيه ، مَعَ انطوائه على كلّ نُكْتة من العلوم ولَمْعة هي كالسرّ المكتوم . فشرَحْتُ فيه من مُفردات اللغة والأبْنيَةِ والاشتقاق[1] ومسائل الإعراب والتصريف ؛ وأوْرَدتُ من التراكيبِ المستعملَةِ في كلامهم[2] و(من) محاسنِ عِلْمَيِ المعاني والبَيان وألقابِ العَروض والقوافي ونُتَفِ التواريخِ والحكايات وأنسابِ العرب والأنـواء[3] والرموز الحِكْميّة ، وشيءٍ قليلٍ من فِقْه الشافعيّ وأحاديثِ النبيّ وفوائد التفسير ما عسى يُشْكِلُ[4] عليهم ولم يُلْقَ حَلُّ معقودِه إليهم . ثُم تَوَخّيْتُ أنَ أتكلّمَ في كلّ مسألةٍ بأخْصَرِ كلامٍ وأشْكَلِه[5] بالتقريب والإفهام ، وأن أقتنع من كل حكاية طويلةٍ بالفِقرة الصائبة حدقةَ المقصود واللمحة الدالّة على المعنى المنشود[6] ، إلاّ في عِدّة مواضعَ لغَرَضٍ . فأقولُ ، وباللهِ التوفيقُ : أنشأتُ هذا الكتابَ وأنا اقْتَدِحُ زَنْداً غير شَحاح ووسمتُه[7] « بضِرام السَقْط في شرح السَقْط » . وقد هيّأ اللهُ الفَراغَ من تسويدِه ، بعدَ ما تَصرّمتُ صِبايَ في تفصيلِ فَريدِه[8] ، في أوائل المُحَرّم الواقعِ في سَنَةِ سَبْعٍ وثمانينَ وخَمْسِمِائةٍ .... وكان ذلك في سمرقند، أعادَنا اللهُ إليها .

٤ – ضرام السقط ، تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ ه ؛ القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ ه (١٩٤٥ م) ؛ القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) أصدرته وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العربية المتّحدة ١٣٨٣ ه (١٩٦٤ م) .

** معجم الأدباء ١٦ : ٢٣٨ – ٢٥٣ ؛ بغية الوعاة ٣٧٦ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٨ .

---

(١) الأبنية : الصيغ (فعل ، فاعل، فعال ، مفاعل ، الخ) . الاشتقاق: مجيء الابنية (الصيغ) من الجذور . (٢) في كلامهم (كلام العرب البدو أهل الفصاحة وصحة اللغة) .

(٣) العروض : أوزان الشعر . الأنواء (جمع نوء) أحوال الجو (من الريح والغيم الخ).

(٤) أشكل الأمر : التبس (غمض المقصود منه ، اختلط بعض وجوهه ببعض أو بوجوه أخرى).

(٥) توخى الأمر : قصده وتحرى (وجه الصواب فيه) . أشكله : أشبهه (بالصواب) . وأشكله (أيضاً) : أكثره غموضاً واختلافاً.

(٦) الحدقة : العين . حدقة المقصود : الأمر المطلوب . المنشود: المطلوب.

(٧) قدح الزند (ضرب بحديدة على حجر من الصوان ليخرج منها الشرر. شحاح : صلد (لا يقدح منه نار) ، بخيل . وسمته : علمته (جعلت فيه علامة) ، سميته . (٨) الفريد : اللؤلؤ.

قتاده بن ادريس

١ ــ هو أبو عزيزٍ قَتادةُ بنُ إدريسَ بن مُطاعنِ بنِ عبدِ الكريم ابن عيسى الحَسَني الزَيْديّ العلويُّ ، جَدُّ الأشرافِ (أمراء مكّة) بني قَتادةَ ، وُلِدَ نحوَ ٥١٩ هـ (١١١٥ م) في يَنْبُعَ (الحجاز) .

نشأ قتادةُ عاقلاً شُجاعاً ثم ساد عشيرتَه واستولى على يَنْبُعَ والصفراء . ولمّا كثُرت الفتَنُ في مكّةَ ، في أيام المنصورِ بنِ داوودَ بنِ عيسى آخرِ بني فَلِيتةَ أشرافِ مكّةَ ، قَصَدها واستولى عليها (٥٩٧ هـ) . ثمّ إنّه جاربَ سليمَ بنَ أبي فَلِيتةَ صاحبَ المدينة ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ ــ ١٢٠٥ م) . وقدِ اتّسعَ ملكُه الى المدينة واليمن .

وكان قَتادةُ في أوّلِ أمره حاكماً صالحاً مَهيباً حازماً ، استتبَّ الأمنُ في بلادِه فأصبح الحجّاجُ يتنقّلون فيها آمنينَ على أنفسِهم وأموالِهم . ولكنّه كان مُجانباً للعبّاسيين يعتقدُ أنّه أحقُّ بالخلافة . وكان العبّاسيّون يُدارونه ويرسلون إليه الهدايا ، وكــان هو لا يزورُهم ولا يزورُ أحداً غيرَهم من الملوك عِفّةً وتَكَبُّراً . ولكنّه بدّلَ فيما بعدُ وكَثُرَ ظُلمه للناس .

وكانتْ وفاةُ قَتادةَ في جُمادى الثانية من سَنَةَ ٦١٨ (أوائل صيف ١٢٢١ م) ، وقيل : بل قَتَلَهُ ابنه في حديثٍ طويلٍ .

٢ ــ كان قَتادةُ بنُ ادريسَ يقولُ الشعر .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قيل إنّ أميرَ الحاجِّ طَلَبَ من قَتادةَ أن يَحْضُرَ إليه (لاستقبال الحُجّاج) ، جَرْياً على العادة المُتّبعة فلم يَقْبَلْ ، فكتب اليه الخليفةُ من بغدادَ يُعاتبه في ذلك ؛ فأجاب قَتادةُ بأبياتٍ هي :

وليَ كفُّ ضِرغامٍ أُدِلُّ بِبَطْشِها ... وأشري بها بَينَ الورى وأبيعُ[1] .

تَظَلّ ملوكُ الأرض تَلْثِمُ ظهرَها ، ... وفي وَسْطِها للمُجْدِبِينَ ربيعُ[2] .

---

(١) أدل ببطشها : أثق بقوتها فاجترىء على الناس . أشرى (أشترى) وأبيع : أتصرف في أمور الناس . ضرغام : أسد .

(٢) في وسطها (باطنها) للمجدبين (الفقراء ، المحتاجين اذا قل خصب بلادهم) ربيع (خصب ، كناية عن كرمه) .



أأجعلُها تحتَ الرَّحا ثمَّ ابتغي خَلاصاً لها؟ إنّي، إذَنْ، لَرَقيع[1]!
وما أنا إلاّ المسكُ في كلِّ بلدةٍ يَضوعُ، وأمّا عندَكم فيَضيع[2].

٤ — ٥٥ ابن الأثير ١٢: ٤٠١—٤٠٤؛ ذيل الروضتين ١٢٣؛ العبر ٥: ٦٩؛ ابن الأثير ١٢: ٢٠٥؛ شذرات الذهب ٥: ٧٦؛ تاج العروس (الكويت) ٥: ٣١—٥٣؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٦.

ابن النبيه

١ — هو كمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ النبيهِ المِصريُّ، وُلِدَ في مِصْرَ نحو سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) ونشأ فيها. وأوّلُ ما نَعرفُ من حياتِه اتّصالُه بالقاضي الفاضلِ وبالمَلِكِ العادلِ الأيّوبيّ، نحو سَنَةِ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) أو بَعدَ ذلك بقليلٍ. وفي نحو ٦٠٠ هـ (١٢٠٤ م) اتّصل بالملك الأشرفِ مُظفّر الدين أبي الفتح موسى صاحبِ نَصيبينَ وأصبحَ كاتباً له. وكانتْ وفاة ابن النبيه في نَصيبينَ سَنَةَ ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م).

٢ — ابنُ النبيهِ شاعرٌ رقيقٌ مَرِحٌ متينُ السبكِ جَميلُ الديباجة حَسَنُ التَحكُّمِ في الوَزْنِ والقافيةِ لِملائَمةِ المَعْنى الذي يُريدُ التعبيرَ عنه. يبدأ ابنُ النبيهِ قصائدَه الطِوال بغَزَلٍ تقليديّ ولكنّه عذبٌ ثم يُحْسِنُ التَخلُّصَ الى المدحِ. وفنونُه المشهورةُ المدحُ (وهو أكثرُ شِعرِه) والرثاءُ (وهو يُحاول أن يُعلّلَ الموتَ تعليلاً يَغْلِبُ عليه التشاؤمُ بأنّه يأخذُ أفاضلَ الناسِ ويترُكُ غيرَهم). وله غزلٌ ونسيبٌ رقيقانِ وخمرٌ وعِتاب. ثمّ له موشَّحاتٌ. وديوانه ثلاثةُ أقسامٍ: الخليفيّاتُ وهي مدائحُه في الخليفة الناصرِ العبّاسي (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) — والعادليّات وهي مدائحُه في الملكِ العادلِ مُحمّدِ بنِ أيوب[3]، — والأشرفيات وهي مدائحه في موسى الأشرفِ بنِ الملكِ العادلِ محمّدٍ[4] (وهي أكبرُ أقسامِ الديوان).

---

(١) الرحى والرحا: حجر الطاحون. الرقيع: الأحمق، القليل العقل. — اذا زرت بغداد (بلد عدوي) بإرادتي، فهل أضمن أن أنجو من يد عدوي؟

(٢) ضاع يضوع: انتشر.

(٣) الملك العادل أخو صلاح الدين، ولد ٥٤٠ هـ، وتولى حلب سنة ٥٧٩ هـ واستقل بملك مصر ٥٩٦ هـ وأرمينية ٦٠٤ هـ واليمن ٦١٢ هـ. وكانت وفاته ٦١٥ هـ.

(٤) الملك الأشرف ولد سنة ٥٧٨ هـ. وقد بدأت سلطته تعظم بما تولى عليه من البلاد منذ سنة ٥٩٨ هـ. واستقر في الجزيرة (شمالي الشام والعراق) سنة ٦٠٩ هـ، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ.

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابن النبيه في الخمر :

باكِرْ صَبوحَكَ أهنا العَيشِ باكِرُهُ ... فقدْ ترنّمَ فوقَ الغُصْنِ طائرُهُ[1] ؛

والليلُ تَجْري الدّراري في مَجَرّتهِ ... كالرّوضِ تطفو على نَهْرٍ أزاهره[2] ،

وكوكَبُ الصبحِ نجّادٌ على يدهِ ... مُخَلّقٌ تملأ الدُنيا بشـائره[3] .

فانهَضْ إلى ذَوْبِ ياقوتٍ لهـا حَبَبٌ ... يَنوبُ عن ثغرٍ من تَهْوى جواهره[4] :

حمراءُ في وَجْنةِ الساقي لها شَبَهٌ ؛ ... فهل جَناها من العُنقود عاصره !

خُذْ من زَمانِكَ ما أعطاك مُغْتَنِماً ... وأنتَ ناهٍ لهذا الدهرِ آمره ؛

فالعُمْرِ كالكأسِ تُسْتَحْلى أوائلُه ، ... لكنّه ربّما مَـرّتْ أواخره !

ـ وقال في الغَزِل (في مطلع قصيدة يمدح فيها موسى الأشرف) :

أفْديهِ إنْ حَفِظَ الهوى أو ضَيّعا ؛ ... مَلَكَ الفُؤادَ فما عسى أنْ أصنعا .

من لم يَذُقْ ظُلْمَ الحبيبِ كظَلْمه ... حُلْواً فقد جَهِلَ المودّةَ وادّعـى[5] .

يا أيُّها الوجهُ الجميلُ ، تدارَكِ الصبـرَ الجميلَ فقد عَـفا وتضعضعا[6] .

هل في فُؤادِكَ رحمـةٌ لِمُتَيّمٍ ... ضَمّتْ جوانحُه فُؤاداً مُوجَعا[7] .

هل من سبيلٍ أنْ أبُثَّ صَبابـتي ... أو أشْتكي بَلْوايَ أو أتوَجّعا[8] .

ـ وله في الرثاء القولُ المشهور :

الناسُ للموتِ كخيلِ الطِـرادْ ... فالسابقُ السابقُ منها الجَوادْ .

واللهُ لا يدعـو الى دارِه ... إلاّ مَنِ استصلَحَ من ذي العِبادْ .

---

(١) الصبوح : شرب الخمر في الصباح . ترنم : تغنى .

(٢) الدراري : النجوم . المجرة : (راجع فوق ، ص٤٥٢ ، الحاشية ٤) .

(٣) كوكب الصبح : الزهرة (بضم الزاي وفتح الهاء) . نجاد : دليل ماهر (طليعة القوم ، رسول) . مخلق : كتاب (رسالة) مضمخ بالطيب (العطر) .

(٤) ذوب ياقوت : كناية عن الخمر . حبب فقاقيع تطفو على وجه عدد من السوائل التي تحتوي على ثاني أوكسيد الكربون .

(٥) الظلم (بفتح الظاء) : الريق .

(٦) عفا : محى (ذهب ، نفد ـ بفتح فكسر) .

(٧) الجوانح : جوانب الصدر التي تضم القلب .

(٧) بث : نفث ، شكا . الصبابة : لوعة الحب .

(٨) نقاد : ناقد ، بصير ، خبير (صيرفي) . الجياد جمع جيد (الدراهم الصحيحة الوازنة) .

والموتُ نَقّـادٌ ، على كفّـهِ جواهرٌ يختارُ منهـا الجيادْ !

— ولـه :

أماناً أيُّها القمَـرُ المُطِلُّ ، فمن جَفْنَيْكَ أسيافٌ تُسَلُّ .
يزيدُ جمالُ وَجْهِكَ كلَّ يـومٍ ؛ ولي جَسَدٌ يـذوبُ ويَضْمَحِلُّ !

٤ – ديوان ابن النبيه ، بيروت (مطبعة ثمرات الفنون) ١٢٩٩ هـ ؛ (اعتنى بحلّ ألفاظه اللغوية وتصحيحه عبد الله فكري) ، القاهرة (مطبعة عبد الغني فكري) ١٢٨٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ ؛ (تحقيق عمر محمّد الأسعد) ، بيروت (دار الفكر) ١٩٧٠م.

** فوات الوفيات ٢ : ٩١ – ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٨٥ – ٨٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٤ ، الملحق ١ : ٤٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١٥ – ١٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٩٤ – ٨٩٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٨٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٢ .

محمد بن قتلمش السمرقندي

١ – هو أبو منصورٍ محمّدُ بنُ سُليمانَ بنِ قُتْلُمش بن تركانشاه السَمَرقنديُّ الأصلِ البَغداديُّ ، وُلِدَ في بَغدادَ سَنَةَ ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) .

تولّى ابنُ قُتْلُمش حَجْبَةَ الباب للخليفةِ الناصرِ ، في ذي الحجّة من سَنَة ٥١٥ هـ (١٢١٩ م) . وكانت وفاتُه في ٢٦ من ربيعِ الآخرِ سَنَةَ ٦٢٠ هـ (٢٩/٥/ ١٢٣٣ م) .

٢ – كان ابن قُتْلُمش ، فيما قيل ، مُولَعاً بلعِبِ القمارِ وبالنَرْدِ[1] لا يكادُ يُفارِقُهما إلاّ إذا لم يَجِدْ مَن يُساعِدُه (يُلاعبه) . وكانت له معرفةٌ بالادب وبشيءٍ من العلومِ الرياضيّة . وكـان شاعراً مُولعاً بالتجنيس قال في الغزَل والنسيب والشكْوى وفي شيءٍ من المُجون ؛ ولعلّه قالَ في المديح . وهو مُصَنِّفٌ أيضاً له كتابٌ سمّاه «التِبر المسبوك والوشي المحبوك» (في الأدبِ) صَنَعَه للشريفِ أبي منصورٍ ، وهو ابنُ صديقٍ له اسمُه أبو غالبٍ عبدُ الواحدِ بن مسعود بنِ الحُصَين .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن قتلمش يشكو الشيخوخة :

سَئِمْتُ تكاليفَ هذي الحيـاةِ وكرَّ الصباحِ بهـا والمساء[2] .

(١) النرد : لعبة الطاولة (لعبة الزهر) . يساعده : يلاعبه .
(٢) تكاليف الحياة : ما تتطلبه الحياة من الواجبات . كر الصباح والمساء : تعاقبهما ، تكرارهما (طول العيش).

وقد صِرْتُ كالطِفْــل في عقله ... قليلَ الصوابِ كثيرَ الهَذاء[1] .
أنام إذا كُنْتُ في مجلسٍ ... وأسهر عند دُخول الفِنـاء[2] .
وقَصّرَ خَطْوِيَ قيدُ المَشيبِ ، ... وطال على ما عَنّاني عنـائي .
وما جَرّ ذلك غيـرُ البقاء ؛ ... فكيفَ ترى سُوءَ فعـلِ البقاء؟

— وقال في مثل ذلك :

يا قومُ ، ما بـي مرضٌ واحدٌ ؛ ... لكنّ بـي عدّةَ أمـراضٍ .
ولستُ أدري ، بعدَ ذا كلّه ، ... أساخطٌ مولايَ أمْ راض[3] .

— وقال في الغزل المذكّر والخمر :

ومُهَفْهَفٍ غَضّ الشَباب أنيقه ، ... كالبدرِ ، غُصْنيِّ الشبابِ وَريقِه[4] ؛
نازَعْتُــهُ مَشْمولَةً فأدارَهــا ... مِنْ وَجْنَتَيْه ومُقْلتَيْه وريقه[5] .

— وقال يُخاطِبُ امرأتَه ، وقد كان عازماً على السفر للتكسّب بسفره (فيما يبدو) :

تقولُ حَليلَتي ، لمّــا رأتْني ... وقد أزمَعْتُ عن وَطَني غُدُوّا[6] .
أقِمْ واطْلُبْ مَرامَك[7] من صَديقٍ ؛ ... فقُلْتُ لها : يصيرُ ، إذَنْ ، عَدُوّا !

٤ — ** فوات الوفيات ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٢٥—١٢٧ ؛ المحمدون من الشعراء ٣٥٦—٣٥٨ ؛ بغية الوعاة ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٩٣ — ٩٤؛ معجم الأدباء ١٠ : ١٢٦ (في ترجمة الحسين بن علي بن أحمد) .

---

(١) في المعجم الوسيط (٢ : ٩٨٩) : هذأ فلان الكلام : أكثر منه في خطأ . وفي القاموس المحيط (١ : ٣٣) هذأ فلاناً فلاناً : أسمعه ما يكره . والمصدر من هذأ (بفتح الذال) هذأ (بسكون الذال) . والأصح هنا « الهراء » (بضم الهاء) : الكلام الكثير الفاسد .

(٢) الفناء (بكسر الفاء) : فسحة أمام الدار . — يقصد الشاعر : أشعر بالنعاس اذا كنت في مجلس قوم ، فأستأذن لأذهب الى بيتي وأنام . فاذا صرت أمام بيتي طار نومي واعتراني الارق .

(٣) ان سكرى واندفاعي في الشهوات أورثني أمراضاً كثيرة . أترى مولاي (الله) لا يزال ساخطاً علي (للمعاصي التي ارتكبتها) أم أنه قد رضي الآن علي وعدّ هذه الأمراض عقاباً كافياً على تلك المعاصي ؟

(٤) المهفهف : الناحل الضامر الخصر . الغض : اللين الناعم. الأنيق : الذي يعجب العين . غصني الشباب : مستقيم القامة . نضير الوجه . الوريق : (الغصن) المكتسي بالورق (كناية عن الربيع وعن الشباب) .

(٥) نازعته الخمر : شربت الخمر معه من كأس واحدة . المشمولة : الخمر المبردة . من وجنتيه (حمراء كخديه) ومقلتيه (تسحر ، تثير الوجد كعينيه) وريقه (حلوة مثل ريقه) .

(٦) الحليلة : الزوج (الزوجه) . أزمع : نوى ، عزم على . الغدو : المسير (السفر) في الصباح .

(٧) مرامك : مقصدك (بكسر الصاد : الحصول على المال) .

ابن شمس الخلافة

١ – هو مجدُ المُلْكِ أبو الفضلِ جعفرُ بنُ شمسِ الخلافةِ أبي عبدِ الله محمّدِ ابنِ شمسِ الخلافةِ مُختارِ الأفضليّ ، نِسْبَةً إلى الأفضَلِ بنِ بَدْرٍ الجَمالي .

وُلِدَ ابنُ شَمْسِ الخلافة في المُحرَّمِ من سنة ٥٤٣ هـ (ربيع ١١٤٨ م) . وتوفي في مِصْرَ في ١٢ من المحرّم من سنة ٦٢٢ (٢٤/ ١/ ١٢٢٥ م) .

٢ – ابنُ شمسِ الخلافةِ أديبٌ وشاعرٌ طريقتُه في الشعرِ حَسَنَةٌ . وهو مُصَنِّفٌ له كتاب الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابنُ شمسٍ في الأدبِ ، وفي قوله شَكْوى وتَجَلُّد :

هي شِدّةٌ يأتي الرَخاءُ عَقيبَها ... وأسىً يُبَشِّرُ بالسرورِ العاجلِ .

واذا نظرتَ ، فإنّ بُؤساً زائلاً ... لِلْمَرْءِ خيرٌ من نعيمٍ زائلِ !

– وقال يهجو الصفيَّ أبا محمّدٍ عبدَ الله بنَ عليٍّ المعروفَ بابن شُكْر ، وكان وزيراً للملك العادلِ ولابنه الملك الكامل (وكان ابن شكر مُسْتبداً ، وكان الناس يُثْنون عليه خوفاً من بَطْشه) :

مَدَحَتْكَ ألْسِنَةُ الأنامِ مَخافةً ... وتشاهَدَتْ لَكَ بالثناءِ الأحْسَنِ .

أترى الزمانَ مُؤخِّراً في مُدّتي ... حتّى أعيشَ إلى انطِلاقِ الألْسُنِ !

– وقال ابنُ شمس الخِلافة في مقدّمة كتاب الآداب :

.... وبعدُ ، فانّ ألْطفَ الكلامِ مَوْقِعاً وأشْرَفَه مَوْضِعاً[1] كَلِمَةُ حِكْمَةٍ يَقْتَدي الإنسانُ بِسَناها فيَهْتَدي ويَتَّبِعُ هُداها فيَرْتَدِعُ[2] ، ومَثَلٌ سائرٌ يُغْني بإيرادِه[3] في المحافِلِ[4] عن ألفاظٍ يُؤلِّفُها ومَعانٍ يَتَكلَّفُها[5] ، ويُنْزِلُ

---

(١) ألطف موقعاً (أثراً في النفس) وأشرف موضعاً (أحسن ما يكون في المقام الذي يقال فيه) .

(٢) السنا : النور . ارتدع : ترك العمل (بالأمر السيء من تلقاء نفسه) .

(٣) بإيراده : بالمجيء به ، بالاستشهاد به .

(٤) المحفل (بفتح الميم وكسر الفاء) : المكان الذي يكثر فيه اجتماع الناس .

(٥) عن ألفاظ (كثيرة) يؤلفها (بنفسه) ومعان يتكلفها (يبحث عنها ويخترعها) .

صاحبُه من العلمِ فوقَ منزلتِه ويُرتّبُ من الأدبِ في أعلى مرتبتِهِ . وقد ماً قيل : يكفيكَ من الأدب أن ترويَ الشاهدَ والمثلَ[1] .

وقد جمعتُ في كتابي هذا ما يصقُلُ الخواطرَ الصدِئةَ ويحُدُّ القرائحَ الكالّةَ[2] ويبعثُ الأفهامَ اللاغبةَ ويقودُ القلوبَ الجامحة[3] . وصنّفتُه في خمسة أبواب : بابِ الحكمة منَ النثر – بابِ الفصول[4] القصار من الحكمة – باب الحكمة من الشعر – باب أبيات الأمثال المُفردَة – باب أعجاز الأبيات[5] ؛ وعنونتُه بكتاب الآداب وأرجو أن يسيرَ ذكرُه سيْرورةَ منْ ألِفَ برسْمه[6] وشُرِّفَ باسْمه : مُزيلِ نبواتِ الأيامِ ومُقيلِ عثَراتِ الكرامِ ، ومُوضحِ سُبُلِ المعروفِ ومُنجِحِ أملِ الملهوف[7] القاضي الأجلِّ عبدِ الرحيمِ بنِ عليٍّ[8] أبقاهُ اللهُ بقاءَ ذكرِه الجميلِ ، وذلك بقاءٌ ما معَه فوْتٌ؛ وأحياه حَياة نائله[9] الجزيـل ، وتلك حياةٌ لا يُعقبُها موت . ولا يزالُ يأمرُ الدهرَ بمنافعِ الناسِ فيأْتمِرُ ويزجرُهُ عن مضارِّهم فينزجِرُ . وهذا حينُ الابتداءِ ، واللهُ الموفّقُ للاهتداء .

٤ – الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد أمين الخانجي) ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) .

---

(١) الشاهد : الجزء الصغير من الجملة الطويلة ، الجزء المقصود من ايراد الجملة الطويلة . المثل : القول السائر المشهور الذي يعرفه معظم الناس .

(٢) المعدن (بكسر الدال) الصدئ : الذي تعلوه طبقة من ذرات الماء وتمتزج بذراته فيتفتت ظاهره . الخواطر الصدئة : العقول التي علاها شيء من الخمول أو التعب فحجب عنها المعرفة . حد الرجل السيف يحده (بضم الحاء) ويحد ه (بضم ياء المضارعة وكسر الحاء) : جعله حاداً ، قاطعاً . الكال : التعب (بفتح التاء وكسر العين) . كل السيف : ذهب مضاء حده . كل العقل : تعب وعجز (بفتح الجيم) عن الفهم بسهولة .

(٣) يبعث : ينشط . اللاغبة : التعبة (وفي الاصل بالياء ، وهو خطأ) . ويقود (يهدي) القلوب الجامحة (الضالة ، المنحرفة عن طريق الصواب) .

(٤) الفصول جمع فصل : الجملة الجامعة للمعنى الكثير في الالفاظ القليلة ، الحكم الفاصل .

(٥) العجز (بضم الجيم) في الاصل : مؤخرة الانسان ؛ النصف الثاني من بيت الشعر . المقصود أنصاف أبيات الشعر .

(٦) ألف برسمه : باقتراحه وارشاده ، الف حتى يقدم اليه .

(٧) نبوات الأيام : مصائب الدهر . مقيل عثرات الكرام : منهض كرام الناس (أشرافهم) من وقوعهم (في الفقر أو في الخطأ) . سبل المعروف : طرق الكرم . الملهوف : المظلوم الذي لا ناصر له ، المحتاج الذي لا معين له ، المستغيث والمستنجد بالناس .

(٨) القاضي الفاضل (راجع ص ٤١١) . (٩) في الاصل : نائلة .

** وفيات الاعيان ١ : ٢٠١ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٠٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١٦ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ١٢٤ .

البهـــاء السنجاري

١ – هُوَ البهاءُ (بهاء الدين) أبو السعادات أسعدُ بنُ يحيى بنِ موسى بنِ منصورِ ابنِ عبدِ العزيزِ بنِ وَهْبِ بن هبّانَ بن سوّارِ بنِ عبدِ الله بن رفيعِ بن ربيعةَ بن هبانَ السُلَمِيُّ السِنْجاريَّ نسبةً إلى سنجارَ ، وَهِيَ مقاطعة في شَماليّ العِراق (لواء المَوْصِل) وبلدٌ على ثلاثة أميال من الموصلِ .

وُلِدَ البهاءُ السنجاريُّ سَنَةَ ٥٣٣ هـ (١١٣٨ – ١١٣٩ م) ؛ ودرس في المَوْصِلِ وبَغْدادَ ثمّ طاف في البلاد وخَدَمَ الملوك ومدح الأكابِرَ ونالَ منهم جَوائزَ سَنِيَّةً : مَدَحَ القاضيَ كَمالَ الدين الشَهْرَزوريَّ في الموصل ، لَمّا تولّى القضاء في صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ هـ (أوائل ١١٦٦ م) لقُطْبِ الدين مَوْدودِ بنِ زَنْكي (٥٤٤ – ٥٦٤ هـ) ، أو بَعْدَ سنة ٥٥٥ هـ . وكذلك اتّصلَ بالملكِ الناصرِ صَلاحِ الدين الايّوبي ومَدَحَهُ في دمشق ، في العاشرِ من شَعْبانَ من سنة ٥٧١هـ (٢٥ – ١ – ١١٧٦ م) .

وكانتْ وفاةُ البهاء السنجاري في سنجارَ ، في أوائل ٦٢٢ هـ (أوائل ١٢٢٥ م) .

٢ – كان البهاءُ السنجاريُّ فقيهاً تَكلّم في الخِلافِ بين المذاهب ؛ ولكن غَلَبَ عليه الشِعْرُ ؛ وشِعْره كثيرٌ مشهورٌ ، يَجْري في قصائدَ وفي مُقَطَّعاتٍ . وأكثَرُ شِعْرِهِ المديحُ ، وله غَزَلٌ رقيقٌ حَسَنٌ وخمرٌ وأغراضٌ وجدانية أخرى .

٣ – مختارات من شعره

– قال البهاءُ السنجاري يمدح المَلِكَ الناصِرَ صلاحَ الدين الأيّوبيَّ ، سَنَةَ ٥٧١ هـ ، بقصيدةٍ منها :

جرَّدتِ مِنْ فَتَكاتِ لَحْظِكِ مُرْهَفا وهَزَزْتِ من لِينِ القَوام مُثقَّفا[1] ؛
وجَلَيْتِ من رَوْضِ الخُدودِ شَقائقاً وأدَرْتِ من خَمْرِ اللَّواحظِ قَرْقَفا[2] .

---

(١) المرهف : السيف القاطع . المثقف : الرمح .

(٢) شقائق النعمان (بضم النون) : نبت بري له زهر أحمر . القرقف : الخمر الباردة .

يا ظَبْيَةَ الحَرَمَيْنِ مِنْ مِصْرٍ، على الرَّ ... بْعِ السلامُ وإن تَقَوَّضَ أو عفا [1].
وجَرَى بِيَ الأملُ الطَموحُ فَأَمَّ بي ... سُلْطَانَ أرضِ اللهِ طُرّاً يوسُفا [2]:
الناهبَ الأرْواحَ في طَلَبِ العُلى ... والواهبَ الآجالَ في حُسْنِ الوفا [3].
مَوْلىً له، في كلِّ يَوْمٍ يُجْتَلى، ... مُلْكٌ يُجَدَّدُ أو مَليكٌ يُصْطَفى [4].
فخليفةُ اللهِ الإمامُ بفعْلِه ... في أرضِ مِصْرَ على سِواه تَشَرَّفا.
مَلِكٌ ملائكةُ السماءِ جُنُودُه، ... والسَّعْدُ عند رِكابِه قد أوْجَفا [5].
واللهُ ناصِرُه على أعْدائه؛ ... كَتَبَ القضاءُ له بذلكَ أحْرُفا!

— وقالَ في مَطْلَعِ قصيدةٍ يمدح بها القاضيَ كمالَ الدين الشَهْرَزوريَّ (ت ٥٧٢ هـ = ١١٧٦ م)، بُعَيْدَ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م):

وهَواكِ، ما خَطَرَ السُلُوُّ ببالِه؛ ... ولأنتِ أعْلَمُ في الغرام بحالِه [6].
ومتى وَشَى واشٍ إليكِ بأنّه ... سالٍ هواكِ، فذاكَ مِنْ عُذّالِه [7]!
أوَلَيْسَ للكَلِفِ المُعنّى شاهدٌ ... من حالِه يُغْنيكِ عن تَسْآلِه [8]؟
جَدَّدْتِ ثوبَ سَقامِه وهتَكْتِ سِتْـ ... رَ غرامِه وصَرَمْتِ حَبْلَ وِصالِه [9].
أفَزَلَّةٌ سَبَقَتْ لَه؟ أم خَلّةٌ ... مألوفةٌ من تيهِه ودَلالِه [10]؟
يا لَلْعَجائِبِ من أسيرٍ دأبُه ... يَفْدي الطليقَ بنفْسِه وبِمالِه.

---

(١) الربع: المسكن. تقوض: تهدم. عفت (آثار الدار): امحت (بتشديد الميم)، زالت.
(٢) أم: قصد: طراً: أجمع. يوسف = يوسف صلاح الدين (الأيوبي).
(٣) – يقتل الاعداء حتى يبلغ بأمته الى العلى والمجد، ويعفو عن المذنبين من قومه كرماً منه ووفاء.
(٤) مولى: سيد. يجتلي: يرى (في كل يوم جديد). ملك يجدد (مجده وقوته). مليك (ملك) يصطفى (يختار، يعين على أرض جديدة يأخذها من أعدائه).
(٥) الركاب (بكسر الراء): عقدة أو حلقة أو أداة تعلق بسرج الدابة ليضع الراكب رجله فيها (وللسرج ركابان). والسعد عن ركابه قد أوجفا (هجم على أرض واستولى عليها): حالما يضع (صلاح الدين الايوبي) رجله في الركاب (حينما يركب ليسير الى الحرب) يسبقه السعد (النصر) في الهجوم على الأعداء.
(٦) وهواك = أقسم بهواك! السلو: النسيان (نسيان المحبوب أو نسيان المصيبة).
(٧) السالي: الناسي. العذال جمع عاذل: لائم، حسود، عدو.
(٨) الكلف: الشديد الحب. المعنى: الذي أتعبه (الحب).
(٩) زدت في سقامه (مرضه في الحب)، وهتكت (شققت) ستر غرامه (فضحته بأنه يحب محبوبة لا تحبه)، وصرمت (قطعت) حبل وصاله (مواصلته بالحب) أي هجرته.
(١٠) أتلك زلة (خطيئة من المحب استحق المحب عليها هذا العقاب) أم خلة (خصلة عادة من المحبوب) أصبحت معروفة (يعامل بها محبيه) تكبراً عليهم ودلالا (غنجاً) اعتداداً بجماله (لأنه يعلم من نفسه أنه أجمل الناس).

بأبي وأمّي نابلٌ بلحاظه ... لا يُتّقى بالدرْع حدُّ نباله[1] ؛
ريّانُ من ماء الشّبيبة والصبا ، ... شَرِقَتْ مَعاطِفُه بطيبِ زُلاله[2] .
تَسْري النّواظرُ في مراكبِ حُسْنه ... فتكاد تغْرَقُ في بحار جَماله[3] .
فكفاه عيْنُ كمالِه في نفسِه ، ... وكفى كمالَ الدين عينُ كمالِه[4] .

– وله في النسيب :

هبّتْ نُسيماتُ الصّبا سَحْرَةً ... ففاحَ منها العنبرُ الأشهبُ[5] ؛
فقلْتُ ، إذ مرّتْ بوادي الغَضى : ... مِنْ أينَ هذا النّفَسُ الطيّب[6] ؟

– لِلّه أيامي على رامةٍ ... وطيبُ أوقاتي على حاجِرِ[7] ؛
تكادُ للسُرْعة في مَرّها ... أوّلُها يَعْثُرُ بالآخِرِ[8] .

٤ – ٥٥ خريدة العصر (الشام) ٢ : ٤٠١–٤٠٣ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢٢–١٢٤ ، شذرات الذهب ٥ : ١٠٤–١٠٥ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٩٥ ؛ معجم البلدان (آخر مادة « سنجار ») .

ياقوت بن عبد الله الشاعر

١ – هُوَ مُهذّبُ الدين أبو الدُرّ ياقوتُ بنُ عبدِ الله الروميّ مَوْلى أبي منصورٍ الجيليّ التاجرِ ، وقد سمّى نفسَه – فيما بعدُ ، بعدَ أن مَهَرَ في قول الشعر – عبدَ الرحمن .

---

(١) – (أفدى) بأبي وأمي نابلا بلحاظه (رامياً بالنبل أو السهام من عينيه ليجعل الناس من عشاقه) . ونباله تلك نافذة قوية لا تستطيع الدروع صدها أو ردها .

(٢) ريان : ناضر ، ممتلىء شباباً ونشاطاً . الصبا : زمن الشبيبة . الشرق (بفتح الشين والراء) : الغصص ، وقوف الماء في الحلق . المعاطف : أطراف (الجسم) . الزلال : الماء البارد . شرقت معاطفه بطيب زلاله : يتمايل دلالا إعجاباً بحسنه وجماله .

(٣) – اذا رأته العيون في جميع حالاته لا تستطيع أن تعرف أي أقسام جسمه (أو اي أحواله) أجمل .

(٤) – هو يكتفي بكمال نفسه (بما فيه هو من الكمال) عن كل كمال آخر (هو كامل في كل شيء وليس بحاجة الى مزيد من شيء) . وكذلك كمال الدين الشهرزوري (الذي يمدحه الشاعر) يكفيه كماله الذاتي عن تطلب المزيد من الكمال .

(٥) سحرة : باكراً . الصبا : الريح الشرقية . العنبر الاشهب = العنبر (مادة طيبة تستخرج من حوت يدعى العنبر) اذا كان مائلا الى البياض (لعله يكون أكثر طيباً) .

(٦) وادي الغضا = واد في مكة (وهو هنا رمز) . (٧) رامة وحاجر = اسمان لمكانين (يستعملان هنا رمزاً) .

(٨) مرها = مرورها ، تتابعها . أولها يعثر بالآخر (لسرعة تواليها ، لسرعة مجيء بعضها خلف بعض) .

نشأ ياقوتُ[1] بنُ عبدِ الله هذا في بَغْدادَ وحَفِظَ القُرآنَ ثمّ عُنِيَ بالتَحصيل في المدرسةِ النِظامية فقرأ فيها العلومَ العَربية والأدبية ؛ وقد كان حَسَنَ الخطّ .

وكانتْ وَفاةُ ياقوتِ بنِ عبدِ الله الشاعرِ في بَغْدادَ في ١٢ من جُمادى الاولى[2] . مِنْ سَنَةِ ٦٢٢ هـ (٢١ – ٤ – ١٢٢٥ م) ؛ ولَعَلّه كانَ قد قاربَ الستّين .

٢ – كانَ ياقوتُ بنُ عبدِ الله هذا شاعراً مُقِلّاً مُجيداً أكثرُ شعرِه في الغزَل والنسيب . وقد سارَ شعرُه على الألسنةِ وتَغَنّى به الناسُ وتَداوَلوهُ في العراقِ وبلادِ الشرقِ (شَرقِ العراقِ) والشام .

٣ – مختارات من شعره

– قال مُهذّبُ الدين ياقوتُ الروميُّ الشاعرُ في النسيب مُضَمِّناً أسماءَ عَدَدٍ من الجِبال :

لو كابدَ الصَخْرُ ما كابدتُ من كَمَدٍ ... فيكم لجادَ له « أُحُدٌ » و « لُبْنانُ »[3] ؛

وذابَ «يَذْبُلُ» من وَجْدي ورُضّ ! عُلا ... «رَضْوَى» ، ولانَ لِما أَلْقاه «ثَهْلان»[4]

يا مَنْ تَمَلّكَ رِقّي حُسْنُ بَهْجَتِه ، ... سُلطانُ حُسْنِكَ ما لي منه إحسان[5] .

كُنْ كيفَ شِئْتَ ، فمالي عنك من بَدَلٍ ؛ ... أنتَ الزُلالُ لِقَلْبي ، وَهْوَ ظَمْآن[6] .

---

(١) راجع أيضاً ترجمة ياقوت المستعصمي المتوفى ٦٩٨ هـ أو بعيد ٧٠٤ هـ (تحت ، في هـذا الجزء) ؛ وترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفي ٦٢٦ هـ (ص٤٨٩ من هذا الجزء) . وهنالك أيضاً أمين الدين ياقوت الكاتب الموصلي ، وكان يكتب خطاً على طريقة ابن البواب أيضاً ، وقد توفي سنة ٦١٨ هـ (ابن الاثير – بيروت ١٢ : ٤٠٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٣١٢ – ٣١٣ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٥٦ – ١٥٨) . وهنالك مجاهد الدين ياقوت أمير الحج ، وقد ورد ذكره في تاريخ ابن الاثير (١٢ : ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥) في أخبار سنة ٦٠٧ وسنة ٦٢٠ هـ . وهنالك ياقوت المدبر القائد الذي قتل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة (ابن الاثير : ٨ : ٣١٥) . وفي وفيات الاعيان (٣ : ١٥٨) . وفي شذرات الذهب (٥ : ١٠٥) : الحلبي ياقوت بن عبدالله الشاعر الحلبي لا الجيلي .

(٢) وقيل في ربيع الآخر .

(٣) كابد : قاسى (تحمل من المشقة والألم). الكمد : الحزن الشديد . أحد (بضم الهمزة والحاء ، وسكن الشاعر الحاء للضرورة) : جبل قرب المدينة . لبنان اسم يطلق على سلسلتي جبال متوازيتين في شرق البحر الابيض المتوسط . جاد له أحد ولبنان : كثر دمعها (بكاؤها وحزنها) عليه .

(٤) يذبل جبل . في الاصل : رض على = لعلها رضّ (بالبناء للمجهول) علا ([illegible] العين جمع عليا : رأس الجبل) = تكسرت أعالي رضوى (جبل قرب المدينة) . ثهلان : اسم جبل .

(٥) ما لي منه احسان = أليس لي نصيب من حسن معاملته ؟ (٦) الزلال : [illegible]اء الصافي البارد .

ـ واشتهرتْ له قصيدةٌ عند الفقهاء في الشام وفي بلاد الشرق (شرق العراق) لأنّه ضَمّنها أسماءَ عَدَدٍ من كُتُبِ الفقه (الوجيز، التهذيب، الشامل، المهذّب)

دَنِفٌ بِحُبِّكَ ما أبَلَّ؛ بَلَى، بَلِي[1] — جَسَدي لِبُعْدِكَ، يا مُثيرَ بَلابِلي،

أوْضَحْتُ عُذْري بالعِذارِ السائلِ. — يا مَنْ اذا ما لامَ فيه لَوائِمي،

أمْ حَلّ في «التهذيب» أم في «الشامل»[2]؟ — أأُجيزَ قَتْلي في «الوجيز» لِقاتلي

ذو مُقْلةٍ عَبْرى ودَمْعٍ هاطل[3]؟ — أمْ في «المُهَذَّبِ» أن يُعَذَّبَ عاشقٌ

تَلَفِ النفوس بِسِحْرِ طَرْفٍ بابِلي[4]؟ — أم طَرْفُكَ الفتّاكُ قد أفْتاكَ في

٤ ـ ** معجم الادباء ١٩ : ٣١١ ـ ٣١٢؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٥٨ ـ ١٦١؛ شذرات الذهب ٥ : ١٠٥ ـ ١٠٦؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٥٧.

مظفر بن ابراهيم الضرير المصري

• ـ هو مُوَفَّقُ الدينِ أبو العِزِّ مُظَفَّرُ بنُ إبراهيمَ بنِ جماعةَ العَيْلانيُّ، وُلِدَ في مِصْرَ، في ٢٥ من جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) وتُوُفِّي فيها في تاسعِ المُحَرَّمِ من ٦٢٣ هـ (٨/١/١٢٢٦ م) ودُفِنَ بسَفْحِ جبلِ المُقَطَّم. وكان أعْمى.

٢ ـ كان مظفّرُ بنُ ابراهيمَ أديباً وشاعراً عارفاً بفنون الأدبِ والشعر والعَروض، له في العَروضِ كتاب صَغيرٌ جيّد. وشعْرُه مَتِينٌ رائقٌ رَقيقٌ وفيه صَناعةٌ. وأكثر فنونهِ الوصفُ والغزلُ والعِتاب والهجاء.

٣ ـ مختارات من شعره

قال مُظَفَّرُ بنُ ابراهيمَ الضريرُ في الغزلْ :

طَبْياً كحيلَ الطَرْفِ ألْمى[6]؛ — قالوا : «عَشِقْتَ ـ وأنتَ أعْمَى ـ

فنَقولَ قد شَغَلَتْكَ وَهْما[7]؛ — وحُلاهُ ما عايَنْتَها

(١) البلابل جمع بلبال : شدة الهم والوسواس. الدنف : المريض اذا أشفى على (قرب من) الموت. ما أبل : ما شفي من مرضه. بلى : نعم. بلي يبلى : تلف، هلك.
(٢) العذار السائل : الشعر النابت (في أول الشباب) على جانبي الوجه.
(٣) عبرى : دامعة، باكية. هاطل : ساقط بكثرة.
(٤) نسبة الى مدينة بابل، وكانت مشهورة بالسحر. (٥) راجع، تحت. ٥٩٤.
(٦) كحيل الطرف (العين): أسود أطراف الجفون (لكثافة أهدابه : شعر جفونه). ألمى : ذو شفتين سمراوين. (٧) الحلى جمع حلية (بكسر الحاء) : صفة من صفات الحسن والجمال.

وخيالُه بِـكَ في المنـا مِ فما أطافَ وما ألَمّا[1] .
من أيـنَ أرسَلَ للـفؤا دِ ـ وأنتَ لم تَنظُرْهُ ـ سَهْما ؟
وبـأيِّ جارحــةٍ وَصَلْــتَ لوَصْفِه نثراً ونَظْما ؟[2] »
فأجبَتُ : « إنّــي مُوسَوِيُّ (م) العِشْقِ إنصاتــاً وفَهْما :
أهــوى بجارحةِ السَمــا عِ ولا أرى ذاك المُسَمّى ! »

ـ وقال يَصِفُ ثمرَ المِشْمِشِ على شَجَرِه ، وبجانبِه شجرةُ ياسَمينٍ مُزْهِرَةٌ تُشابِكُ أغصانُها أغصانَ شَجَرةِ المِشْمِش* :

كأنّمــا مِشْمِشُنا في الياسَمينِ اليَقَــقِ
جلاجِــلٌ من ذَهَبٍ في وَرَقٍ مِــن وَرِقٍ !

ـ وقال يصف مُغَنِّياً :

ومُطْرِبٍ لو صَدَقْنا في مَحبّتِــه لَهانَ منّا عليه المالُ والروحُ .
غَنّى فَمِلْنا على ألحانِه طَرَباً مثلَ الغُصونِ إذا هَبَّتْ بها الريحُ .

٤ ـ ** معجم الادباء ١٩ : ١٤٨ ـ ١٥١ ؛ نكت الهميان ٢٩٠ ـ ٢٩٣ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٣٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٤٠ـ٥٤٢ ؛ بغية الوعاة ٣٩٢ـ٣٩٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١١٠ ـ١١٢ .

السَّكّـــاكي

١ ـ هوَ سِراجُ الدين أبو بكرٍ (أبو يعقوبَ) يوسفُ بنُ أبي بكرِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ الخَوارزميّ المعروفُ بالسكّاكيّ[3] ، وُلِدَ في خَوارزمَ[4] في الثاني من جُمادى الأُولى من سنَةِ ٥٥٥ هـ (١٠ ـ ٥ ـ ١١٦٠ م) .

بدأ السكّاكيّ حياتَه العمليةَ سكّاكاً ثمّ مالتْ نفْسُه الى العلوم فتعلّم الفِقْهَ على سديدِ الخيّاطِ وعلى محمودِ بنِ سعيدِ بنِ محمودٍ الحارثيّ .

وكانتْ وَفاةُ السكّاكيّ سنَةَ ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) في قرية خوارزم[5] .

---

(١) أطاف : طاف ، أقام مدة . ألم : مر (مروراً عابراً ، زار زيارة قصيرة) .
(٢) الجارحة : العضو الذي فيه حاسة (كالعين والأذن) .
* اليقق : الابيض . الجلجل : الجرس . الورق (بكسر الراء) الفضة .
(٣) السكاكي = السكاك (الذي يسك المعادن المختلفة قوالب تصب فيها النقود والاوسمة الخ) ، والياء في السكاكي) زائدة من اللغة الفارسية ، كما نقول : الغزالي (وهي في الاصل: الغزال) ، ويقولون : عمر خيامي بالامالة) ونحن نقول عمر الخيام .
(٤) خوارزم على نهر جيحون (في التركستان) . (٥) بغية الوعاة ٤٢٥ .

٢ – كانَ السكّاكيُّ بارعاً في فُنونٍ شتّى من الفقه وعلم الكلام واللُّغة والنحْوِ والأدبِ والشعر، وفي المعاني والبيان خاصّةً. وكذلك كان مُصنِّفاً، له: مفتاح العلوم – مُصْحَف الزهرة (في السِحْر والتنجيم واستطلاع الغيب) – الرسالة الوالدية (رسالة الى تلميذه محمّدٍ ساشقالي زاده في علم المناظرة وقوانينها). وشُهْرَة السكّاكيّ قائمةٌ على كتابه مفتاح العلوم، وقد ذكر ابنُ خلْدون علمَ البيان فقال (المقدّمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٦١، ص ١٠٦٦ – ١٠٦٧): «ثمّ لم تزَلْ مسائلُ (هذا) الفنّ تكمُلُ شيئاً فشيئاً إلى أن مَخَضَ السكاكيّ زُبْدَتَه[1] وهَذّب مسائلَه ورتّب أبوابه، على نحوِ ما ذكرناه آنِفاً من الترتيب، وألّف كتابه المسمّى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعَل هذا الفنَّ من بعض أجزائه. وأخذَ المتأخّرون من كتابه ولخّصوا منه أمّهاتٍ هيَ المتداوَلةُ لهذا العهْدِ، كما فعلَه السكّاكيّ* في كتاب التبيان (البيان)، وابنُ مالكٍ في كتاب المصباح، وجلالُ الدين القزوينيّ في كتاب الإيضاح والتلخيص، وهو أصغرُ حجْماً من الإيضاح، والعنايةُ به لهذا العهدِ عند أهلِ المشْرِقِ في الشرح والتعليم منه أكثرُ من غيرِه (أكثر من العناية بغيره)».

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة مفتاح العلوم:

.... وبعدُ، فإنّ نوعَ الأدب نوعٌ يتفاوتُ كثْرَةَ شُعَبٍ[2] وقلّةً، وصعوبةَ فنونٍ وسُهولةً وتباعدَ طرَفَيْنِ وتدانياً بحَسْبِ حظّ متولّيه من سائرِ العلوم كمالاً ونقْصاً وكِفاء منزلَته هنالك ارتفاعاً وانحطاطاً وقدْرِ مَجاله فيها سَعَةً وضيقاً. ولذلك ترى المعتنينَ بشأنه على مراتبَ مختلفة: فمَنْ صاحب أدبٍ تراهُ يرْجِعُ[3] منه إلى نوْعٍ أو نوْعينِ لا يستطيعُ أنْ يتخطّى ذلك؛ ومِنْ آخرَ تراه يرْجِعُ الى ما شئْتَ من أنواعٍ مربوطةٍ في مِضْمارِ اختلافٍ:

(١) مخض زبدته: استخرج خلاصته النافعة.

* كذا في نسخ مقدمة ابن خلدون.

(٢) يتفاوت كثرة شعب (جمع شعبة بضم الشين: طريق) وقلة: بعضها أكثر تشعباً (تفرعاً) من بعض (أقسام بعضها أكثر من أقسام بعضها الآخر).

(٣) كفاء منزلة: تكافؤ، تماثل، تساو (في المنزلة والمرتبة والمقام). المجال: بقعة الارض التي يتجاول عليها المتبارزان في الحرب (النطاق، القدر الذي يسيطر عليه الانسان مادياً أو معنوياً). يرجع الى نوع أو نوعين: تقتصر براعته أو مقدرته على نوع أو نوعين.

فمنْ نوعٍ لَيِّنِ الشكيمة سَلِسِ المَقاد * يَكْفي في اقتيادِهِ بعضُ قُوّةٍ وأدنى تمييزٍ ، ومنْ آخرَ بعيدِ المأخذِ نائي المطْلَبِ رَهينِ الارتياد بمزيدِ ذكاءٍ وفضْلِ قُوّةِ طَبْعٍ [١] ، ومنْ آخرَ كالملزوزِ في قَرَنٍ [٢] ، ومن رابعٍ لا يُمْلَكُ إلاّ بعُدَدٍ متكاثرةٍ وأوهاقٍ متضافرةٍ [٣] مع فضْلٍ إلهيّ في ضمْنِ ممارساتٍ كثيرةٍ ومراجعاتٍ طويلةٍ لاشتماله على فنونٍ متنافيةِ الأصولِ متباينةِ الفروعِ متغايرةِ الجَنى [٤] ترى مَبْنى البَعْضِ [٥] على لطائفِ المناسباتِ المُستخرجةِ بقوّةِ القرائحِ والأذهانِ ، وترى مَبْنى البعضِ على التحقيقِ البحتِ وتحكيمِ العقْلِ الصِرْفِ والتحرُّزِ عن شوائبِ الاحتمالِ [٦] ، ومن آخرَ رَيِّضٍ لا يرتاضُ إلاّ بمشيئةِ خالقِ الخلْقِ [٧] ....

هذا ، واعْلَمْ أنّ الأدبَ متى كان الحاملَ على الخوضِ فيه مُجرّدُ الوقوفِ على بعْضِ الأوْضاعِ وشيءٌ من الاصطلاحاتِ فهُوَ لديْكَ على طَرَفِ الثُمام [٨] . أمّا اذا خُضْتَ فيه لِهِمّةٍ تبعثُكَ على الاحترازِ عن الخطأ في العربيةِ وسلوكِ جادّةِ الصوابِ فيها اعترضَ دُونكَ منه أنواعٌ تَلْقَى لأدناها عرَقَ القِرْبةِ [٩] ، لاسيّما إذا انضمّ الى همتِكَ الشغفُ بالتلقّي لِمُرادِ اللهِ تعالى من كلامِهِ الذي «لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديْهِ ولا من خلْفِهِ» [١٠] فهنالك يستقبلُكَ منها ما لا

---

*أنواع مربوطة في مضمار اختلاف : أنواع مختلفة مع أنها متصلة في نطاق واحد. لين الشكيمة (الحديدة التي تكون في طرف اللجام وتوضع في فم الحصان لكبح جماحه عند الحاجة) سلس (سهل) المقاد : معالجته سهلة على الانسان.

(١) نائي المطلب : بعيد المكان . رهين الارتياد (طلب الشيء في مكان بعيد) بمزيد ذكاء وفضل (زيادة) قوة طبع : مرتبط (مشروط) أو محتاج الى ذكاء عظيم .

(٢) ملزوز (مشدود ، ملصق، مربوط) في قرن (حبل): في متناول اليد (يسهل الحصول عليه في كل حين) !

(٣) العدد جمع عدة (بضم العين) : الاداة ، الآلة ، الوسيلة . الاوهاق جمع وهق (بسكون الهاء أو بفتحها) الحبل في طرفه أنشوطة (بضم الهمزة) : (وسيلة) . متضافرة : يعين بعضها بعضاً.

(٤) متنافية : متضادة . متباينة : متباعدة ، مختلفة . متغايرة : مختلفة الجنى : الثمر .

(٥) البعض خطأ ، صوابها : بعضها .

(٦) شوائب (جمع شائبة) : أخلاط ، عيوب . التحرز (التجنب ، الابتعاد عن) شوائب الاحتمال (عن أن يكون للقضية الواحدة وجوه كثيرة ممكنة حتى يضطرب فيها الباحث) .

(٧) الريض : الصعب الذي لم يذلل (يروض ، يهيأ على يد البشر) . لا يرتاض : لا يصبح مرتاضاً (سهلا) ، لا ينال . خالق الخلق (الله) .

(٨) على طرف الثمام (اسم نبات) : سهل ، يسير .

(٩) أدناها : أقلها . عرق القربة : صعوبة وشدة ومشقة .

(١٠) لمراد الله تعالى من كلامه : لتأويل القرآن الكريم (معرفة المقصود من المتشابه من الابيات) . « لا =



يَبْعُدَ أن يَرْجِعَكَ القَهْقَرى ، وكأنّي بِكَ ولَيْسَ مَعَكَ من هذا العِلْمِ إلاّ ذِكْرُ النَّحْوِ واللُّغة[1] ......

ورأيتُ أذْكياءَ أهلِ زماني الفاضلين الكاملي الفَضْلِ قد طالَ إلحاحُهم[2] عليّ في أن أصنّفَ لَهُمْ مُخْتَصَراً يُحْظيهم[4] بأوْفَرِ حَظٍّ منه وأنْ يكونَ أسلوبُه أقربَ أسلوبٍ مِنْ فَهْمِ كُلِّ ذَكيٍّ ، صَنّفْتُ هذا وضَمِنْتُ لِمَنْ أتقَنَه أن يَنْفَتِحَ عَلَيه جَميعُ المَطالبِ العِلْمِيّة وسَمَّيْتُه مِفْتاحَ العُلوم ؛ وجَعَلْتُ هذا الكتابَ ثلاثةَ أقسامٍ : القسمَ الأولَ في عِلْمِ الصَّرْفِ ، والقسمَ الثانِيَ في عِلْمِ النَّحْوِ ، والقسمَ الثالثَ في عِلْمَيِ المَعاني والبَيان ....

٤ ــ مفتاح العلوم ، الآستانة ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٨ هـ . ــ لكتاب «مفتاح العلوم» مختصرات كثيرة وشروح ثمّ له شروح على المختصرات وحواشي متداخلة. ثمّ انّ بعض هذه مطبوع مع بعض أو على هوامش بعض. وقد أطلت التفكير للخروج بقائمة مقسّمة تقسيماً منطقياً فلم يتيسّر لي . فاكتفيت بقائمة عمليّة . غير أن هذه القائمة ليست كاملة ، وأعتقد أن فيها أيضاً عدداً من الأخطاء في سنوات الطبع . انّ هذه القائمة تدلّ على العقلية التي كان النحو والبلاغة يدرسان بها .

** تلخيص المفتاح (لجلال الدين القزويني الخطيب) في البلاغة ، كلكتا ١٢٣١ هـ (١٨١٥ م) ؛ الاستانة ١٢٦٠ ، ١٢٧٥ ، ١٢٨٠ هـ ؛ بيروت ١٣٠٢ هـ ؛ دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ استانبول ؟ (المطبعة العامرة) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ هـ ؛ (نشره عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٣٢ هـ ؛ ١٩٣٢ م ؛ (نشر في «مجموعة») القاهرة ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ هـ .

الايضاح في علوم البلاغة (في المعاني والبيان) (للقزويني أيضاً) ، فاس بلا تاريخ ؛ (ضبطه عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) بلا تاريخ ؛ (شرح محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (محمّد علي صبيح) ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ م ؛ (على هامش مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح) ، بولاق ١٣١٧ هـ .

تهذيب الايضاح للقزويني (هذّبه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٦٧ ــ ١٣٦٩ هـ (١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ م) .

= يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» (القرآن الكريم ٤١ : ٤٢ ، حم السجدة) : لم ينزل من قبله ولا من بعده كتاب يخالفه (ليس في أحكامه وأخباره شك ولا خلاف) .

(١) لا يكون معك من العلم أو الأدب الا الجزء الصغير المتعلق باللغة والنحو .

(٢) الالحاح في السؤال : الاستمرار في الطلب .

(٣) يحظيهم (يتفضل عليهم ، يهبهم ، يقدم لهم) بأوفر (بأكبر) حظ (نصيب ، قدر) .

بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للقزويني ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة (مطبعة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .

ـ المطوّل (على التلخيص : شرح تلخيص المفتاح للقزويني) للتفتازاني ، الاستانة ١٢٦٠ ، ١٢٨٩ ، ١٣٠٤ هـ ؛ لكنهو ١٢٦٥ هـ ؛ لكنهو ١٨٧٨ ، ١٨٨٩ م ؛ بهوبال (الهند) ١٣١١ هـ ؛ طهران ١٢٧٠ هـ ؛ تبريز ١٢٧٢ ، ١٢٩٠ (؟) ، ١٣١٠ هـ؟ القاهرة ١٩١٠ م ؛ استانبول (دار الطباعة) ١٣٠٩ هـ .

تلخيص البيان في ايضاح المعاني ، للتفتازاني ، استانبول (مطبعة البوسنوي) ١٢٩٩ هـ (١٨٨١م) .

مختصر التفتازاني : مختصر المعاني (شرح تلخيص المفتاح) أو مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح ، كلكتّه ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م ؛ راجع شروح التلخص .

شروح التلخيص : مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني ـ مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ـ الايضاح للقزويني (بالهامش) ـ حاشية الدسوقي على شرح السيّد الجرجاني ـ (بالهامش) ، بولاق (المطبعة الأهلية) ١٣١٧ ـ ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٣٧ م .

ـ الأطول لابراهيم بن محمّد الاسفرايني (ت ٩٤٥ هـ) ، الاستانة ١٢٨٤ هـ .

ـ السيالكوتي على المطوّل (شرح المطوّل) ، لعبد الحكيم شمس الدين الهندي السيالكوتي (ت ١٠٦٠ هـ) ، الاستانة ١٢٢٧ ، ١٢٤١ ، ١٢٦٦ ، ١٢٩٠ هـ ؛ استانبول (شركة الصحافة العثمانية) ١٣١١ هـ ؛ بولاق ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٣ هـ .

معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العبّاسي (ت ٩٦٣ هـ) ، بولاق ١٢٧٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٦ هـ ؛ (نشره محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة المكتبة التجارية) ١٩٤٧ م .

فيض الفتّاح لعبد الرحمن الشربيني (ت بعد ١٣٢٠ هـ) ، القاهرة (مطبعة مدرسة عبّاس الأوّل) ١٣٢٣ هـ ـ ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٥ = ١٩٠٧ م .

التجريد على مختصر السعد (التفتازاني) على التلخيص لمصطفى بن محمّد البنّاني (ت بعد ١٢٣٧هـ) ، بولاق ١٢٨٥ ، ١٢٨٧ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ، ١٣١١ ، ١٣١٣هـ ؛ لكنهو ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة ، ١٣١٥ هـ . ـ شرح التجريد (للبنّاني) ، لمحمّد بن محمّد الانباني (ت ١٣١٣ هـ) القاهرة ١٣٣٠ هـ . (؟)

شرح لحسن بن محمّد الفناريّ (ت ٨٨٦ هـ) ، استانبول ١٢٧٠ هـ .

التجريد من شرح الفناري لمحمود بن السيّد أيوب (ألفه ١٢٩٢ هـ) ، استانبول ١٢٩٢ هـ .

شرح على تجريد (البنّاني) على مختصر السعد (للتفتازاني) على متن التلخيص في علم المعاني ، لمحمّد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٦ هـ) ، بولاق ١٢٩٧ هـ .

المصباح (على المفتاح) للشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، الاستانة ١٢٤١ هـ، ١٢٨٩، ١٣١٠ هـ؛ لكنهو ١٣١٢ هـ.

حاشية أبي القاسم بن بكر السمرقندي الليثي (القرن التاسع للهجرة) على المطوّل، الاستانة (طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.

الملخّص من تلخيص المفتاح لابي يحيى زكريا بن محمّد الانصاري (ت ٩٢٥ هـ)، بولاق ١٣٠٥هـ.

شرح ديباجة المختصر لأحمد بن عبد الفتّاح المجيري الملّوي (ت ١١٨١ هـ)، مطبوع في «مجموعة»، القاهرة (طبع حجر) ١٢٩٧ هـ.

شرح المختصر لأحمد بن يحيى حفيد التفتازاني الهروي (ت ٩١٦ هـ)، كلكتا ١٢٨٠ هـ

حاشية على شرح التفتازاني على تلخيص المفتاح لمحمّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ)، بولاق ١٢٧١، ١٢٨١، ١٢٩٠، ١٢٩٧، ١٣٠٥ هـ؛ استانبول ١٢٨٠، ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ.

عروس الافراح (شرح المختصر)، كلكتا ١٢٢٨ هـ؛ استانبول ١٢٩٠؛ ١٣٠١، ١٣١٣ هـ؛ لكنهو ١٩١٧ م؛ فاس بلا تاريخ؛ (مطبوعة مع مجموعة «شروح التلخيص»)، بولاق ١٢٨٢ هـ.

حاشية (على عروس الأفراح) لعثمان ملاّ زاده الخطائي (ت ٩٠١ هـ)، كلكتا ١٢٢٨ هـ؛ كلكتا (طبع حجر) ١٢٥٦ هـ؛ لكنهو ١٢٦٢ هـ؛ كاونبور ١٢٨٦ هـ؛ نوالكيشور ١٢٩٣ هـ؛ (مطبوعة مع «شروح التلخيص»)؛

عقود الجمان في علم المعاني والبيان (منظومة) للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، بولاق ١٢٩٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٣، ١٣٠٥ هـ؛ طهران (طبع حجر) ١٣١٩ هـ.

حلّ العقود (شرح لعقود الجمان للسيوطي)، للسيوطي نفسه، بولاق ١٢٩٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٢، ١٣٠٥ هـ.

شرح حلّ العقود (للسيوطي)، لعبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري (ت ١٠٣٧ هـ)، القاهرة ١٣١٢ هـ.

الأصوات ومخارج الحروف، تأليف فؤاد ترزي، بيروت (مطبعة دار الكتب) ١٩٦٢ م.

معجم الادباء ٢٠ : ٥٨ — ٥٩؛ بغية الوعاة ٤٢٥؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٢؛ بروكلمان ١ : ٣٥٢ — ٣٥٦، الملحق ١ : ٥١٥ — ٥١٩؛ زيدان ٣ : ٥٢؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٨٠؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٩٤.

ياقوت الرومي

١ — هو شِهابُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ ياقوتُ بنِ عبد الله[1] الحَمَوِيّ الروميّ،

---

(١) راجع، فوق، ص ٤٨٢، الحاشية الأولى.

كانتْ ولادتُه في بِلادِ الروم سنة ٥٧٤ هـ أو ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) . أُسِرَ ياقوتٌ صَغيراً في بلاد الرومِ فابتاعه تاجرٌ من حَماةَ بالشام اسمُه عَسْكَرُ بنُ أبي نصرٍ ابراهيمَ كانَ يسكُنُ بغداد.

عُنيَ عسكرٌ بتربيةِ ياقوتٍ وتعليمه ليَضْبِطَ له تجارتَه لأنَّ عسكراً كان أُميّاً لا يَخُطُّ ولا يقرأ الخطَّ. ولما كَبِرَ ياقوتٌ جَعَلَ مولاه يُرْسِلُهُ بتجارتهِ إلى كِيشٍ (جزيرةٍ في خليجِ البصرة) وعُمانَ والشامِ. ثم حدثتْ وَحْشَةٌ بين ياقوتٍ ومولاه فأبعدَه مولاه عنه، وذلك سَنَةَ ٥٩٦ هـ. فاشتغلَ ياقوتٌ عند ذلك بالنَسْخِ وجعل يدرُسُ. ثم عاد عسكرٌ فرَضِيَ عن ياقوتٍ وأرسلَه بتجارةٍ إلى كيشَ. وعاد ياقوتٌ من سفرته هذهِ فوجَدَ مولاه قد تُوُفِّيَ فأرضى زوجةَ مولاه وأولادَ مولاه بشيءٍ من المالِ وبَقِيَ في يدِه شيءٌ اشتغل به في التجارةِ وجعل بعضَ تجارتِه كُتُباً، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م).

واتّفقَ في سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) أنْ كانَ في دِمَشْقَ فَناظَرَ في أحدِ أسْواقها رجلاً بَغْداديّاً في عليِّ بنِ أبي طالبٍ — وكانَ ياقوتٌ منحرفاً عن الإمامِ علي ميّالاً الى رأي الخوارجِ — فثار بهِ الناسُ فهرَبَ الى حلَبَ فالمَوْصِلِ فإرْبِلَ فخُراسانَ (من غيرِ أن يُعرّجَ على بَغْدادَ خوفاً من أن تكونَ قِصةُ المناظرةِ قد وصلَتْ الى بغدادَ) ثم سكَنَ مَرْوَ واشتغل بالتجارة. وفي سَنَةِ ٦١٥ هـ كانَ في خوارزمَ في إحدى تَجَراته فعَلِمَ بخروجِ التَتَرِ واستيلائهم على بُخارى وسَمَرْقَنْدَ واجْتياحِهِمُ البلادَ فهرَبَ نحو الغرب حتّى وَصَلَ الى حلَبَ وبَقِيَ فيها الى أن تُوُفّيَ يومَ الأحدِ في العشرين من رَمَضانَ ٦٢٦ هـ (٢٠ / ٨ / ١٢٢٩ م).

٢ — ياقوتٌ الروميُّ الحمَويُّ يَنْظِمُ الشعرَ ويكتبُ نثراً بارعاً، ولكنَّ شُهْرتَه قامتْ على تصنيفِ الكُتُبِ التي دلّتْ على اتّساعِ علمهِ ودِقّةِ مُلاحظتهِ وأمانتهِ في ما يُؤدّي ودِرايته بما يُثْبِتُ في كتبه المختلفة.

من كُتُبهِ: معجم البلدان (وهو كتابُ جغرافية على حروفِ المُعْجَمِ تبدأ كلُّ مادّةٍ فيه بتفسيرِ اسْمِها لُغَويّاً، ثم تأتي المَعلوماتُ الجُغرافية مَعَ الاستطراد أحياناً كثيرةً إلى معارفَ في التاريخ والأدب مُفيدة جِدّاً) — مُعجَمُ الأدباء أو إرشادُ الأريب الى معرفة الأديب (راجع النصَّ المختار) — المشترك وضعاً والمختلف صِقْعاً — المقتضَبُ من جمهرة النسب (أو المقتضب في النسب: ذَكَرَ فيه أنسابَ العرب) — أخبارُ الشعراء (معجم الشعراء) — تاريخ المبدأ والمآل — تُحفة الالبّاء في أخبار

الادباء ـ الدول ـ مجموع كلام أبي عليّ الفارسي ـ عنوان كتاب الاغاني ـ أخبار المتنبي ـ أسرار الحكماء.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة معجم الادباء :

.... وجَمَعْتُ في هذا الكتابِ ما وقَعَ إليّ من إخبار النحْويين واللغَويين والنسّابين والقرّاء المشهورين والإخباريين والمؤرّخين والورّاقين المعروفين والكُتّاب المشهورين وأصحابِ الرسائل المُدَوَّنة وأربابِ الخُطوط المنسوبة والمُعَيّنة وكلٌ مَنْ صنّفَ في الأدب تصنيفاً أو جَمَعَ في فنّه تأليفاً ، مَعَ إيثار الاختصار والإعجاز في نِهاية الإيجاز . ولم آلُ جُهْداً في إثبات الوَفَياتِ وتَبْيين المواليدِ والأوقات وذِكْرِ تصانيف (المصنفين) ومستحسَنِ أخبارِهم والإخبار بأنسابهم وشيءٍ من أشعارهم .

فأمّا من لَقيتهُ منهم أو لَقيتُ من لَقيَه فأُوردُ لك من أخباره وحقائق أموره ما لا أترُكُ لكَ بعدَه تَشَوُّقاً إلى شيءٍ من خبره . وأما من تقدّم زمانُه وبَعُدَ أوانُه فأُوردُ من خبرِه ما أدّت الاستطاعةُ إليه ووَقَفَني النقلُ عليه ، في تَرْدادي إلى البلاد ومُخالطَتي للعِباد . وحَذَفْتُ الأسانيدَ إلا ما قلَّ رجالُه وقَرُبَ منالُه ، مَعَ الاستطاعة لأثباتها سَماعاً وإجازةً إلاّ أنني قَصَدتُ صِغَرَ الحَجْم وكِبَرَ النفع . وأثبتُّ مواضعَ نَقْلي ومواطِنَ أخْذي من كُتُبِ العلماء المُعَوَّلِ في هذا الشأنِ عليهم والمرجوعِ في صِحّة النقلِ إليهم .

... ولم أقْصِدْ أدباءَ قُطْرٍ ولا عُلماءَ عصرٍ ولا أقليمٍ مُعَيَّنٍ ولا بلدٍ مُبَيَّنٍ ، بل جَمَعْتُ للبَصْريين والكوفيين والبَغْداديين والخُراسانيين والحِجازيين واليَمَنيين والمِصْريين والشاميين وغيرِهم على اختلاف البُلْدانِ وتفاوُتِ الأزمانِ .

.... وبعدُ ، فهذه أخبارُ قومٍ عنهم أُخِذَ علمُ القرآنِ المَجيدِ والحديث المُفيد ، وبِصناعتِهم تُنالُ الإمارةُ ، وبعِلْمِهِمْ يَتِمُّ الإسلامُ ، وباسْتِنْباطِهِمْ يُعْرَفُ الحَلالُ من الحَرامِ ....

٤ ـ معجم البلدان (تحرير فستنفلد) ، ليبزغ (بروكهاوس) ١٨٦٦ ـ ١٨٧٣ م ؛ (بعناية أمين الخانجي) ، ومعه ذيل اسمه « منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان » ، مصر (مطبعة السعادة) ، ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٥ م وما بعد .

معجم الأدباء (تحرير مرغوليوث)، لندن وليدن[1]؛ (مطبوعات دار المأمون: أحمد فريد رفاعي)، مصر (مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٥٥ - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م.

المشترك لفظاً والمختلف صقعاً (فستنفلد)، غوتنجن ١٨٤٦ م؛ = (بالتصوير الفوتوغرافي)، بغداد (مكتبة المثنّى) والقاهرة (مكتبة الخانجي) ليس عليه تاريخ.

** مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع اختصره صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق[2] من «معجم البلدان» طبع (باعتناء يوينبول)، ليدن ١٨٥٠ - ١٨٦٤ م؛ طهران (طبع حجر) ١٣١٥ هـ.

ياقوت الحموي الجغرافي الرحّالة الأديب، تأليف أبي الفتوح التوانسيّ (أعلام العرب ٩٣)، القاهرة (الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنشر) ١٩٧١ م.

معجم الادباء ١: ٥ - ٤٤ (في المقدّمة ١٨ - ٤٤ ثمّ ٤٥ - ١٠٠)؛ وفيات الاعيان ٣: ١٦١ - ١٧٠؛ العبر ٥: ١٠٦ - ١٠٧ شذرات الذهب ٥: ١٢١ - ١٢٥؛ أعلام النبلاء ٤: ٣٦٩ - ٣٧٢؛ بروكلمان ١: ٦٣٠ - ٦٣٢، الملحق ١: ٨٨٠؛ زيدان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤: ١١٥٣ - ١١٥٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٥٧.

نجم الدين بن صابر البغدادي المنجنيقي

١ - هو نجمُ الدينِ أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ صابرِ بنِ بركاتٍ، أصلُه من حرّانَ ومولدُه في بَغدادَ في رابعِ المُحرّمِ من سَنَةِ ٥٥٤ هـ (٢٦/١/١١٥٩ م). سَمِعَ ابنُ صابرٍ الحديثَ من أبي المُظفّرِ بنِ السمرقنديّ وأبي منصورِ بنِ الشِطرنجيّ. وكان ابنُ صابرٍ جُنديّاً على المِنْجَنيقيّين (ومن هنا جاء لَقَبُهُ) في بَغدادَ.

مَدَحَ ابنُ صابرٍ الخلفاءَ وحَظِيَ عند الناصرِ لدينِ الله العبّاسي (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ). وكانت وفاتُه ليلةَ ٢٨ صَفَرَ (٢٧ صفر) ٦٢٧ هـ (٢٦/١/١٢٢٩ م) في بغداد.

٢ - كان ابنُ صابرٍ بارعاً في صناعة المِنْجنيق والعَمَلِ بهِ وشيخاً لطيفاً فكِهاً طيّبَ المُحاورة وشاعراً مُكثِراً في شعرِه براعةٌ ولطافةٌ ومَعانٍ رائقةٌ. وكان

---

(١) لندن وليدن مركزا الناشرين. والكتاب طبع في القاهرة (مطبعة هندية) ١٩٠٩ وما بعد.

(٢) هو أبو الفضائل صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب عبد الحق بن علي بن شمائل البغدادي (ت ٧٢٩ هـ) محدث وفقيه وعالم في الرياضيات.



مُصَنَّفاً ، له من الكتبِ عُمْدَةُ السالكِ في سياسة الممالك[1] ؛ وقد جمع من شعرِه كتاباً مختصراً سمّاه مَغانِيَ المعاني .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ كَلِفْتُ بعلم المَنْجنيق ورَمْيِهِ   لهدم الصياصي وأفتتـاح المرابطِ[2] ،
وعُدتُّ الى نـظم القريض لشقوتي ؛   فلم أخلُ في الحالين من قصد حائط !

ــ وجاريـةٍ من بنـات الحُبوش   ذات جفون صِحاحٍ مـراضْ .
تعشّقتهـا للتصـابي فشِبْـتُ   غراماً ولم أكُ بالشيب راضْ .
وكنت أُعيِّرُها بالسـوادِ   فصـارت تعيّـرني بالبياضْ .

ــ قالوا : بياضُ الشيب نورٌ ساطع   يكسو الوجوهَ مَهابةً وضيـاءْ .
حتّى سَرَتْ وَخَطاتُه في مَفْـرِقي   فوَدِدتُ ألاّ أفْقِدَ الظَلْماءْ .
وعَدَلْتُ أستبقي الشَبـابَ تَعَلُّلاً   بخضابِهـا فصبغتُهـا سوداءْ .
لو أن لِحيـةَ من يَشيبُ صَحيفةٌ   لِمَعادِهِ ما اختـارها بيضاء[3] .

٤ ــ ** وفيات ٣ : ٣٩٧ ــ ٤٠٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٦١ .

الفتح البنداري

١ ــ هو فخرُ الدين أبو ابراهيم الفتحُ بنُ محمّدِ بنِ الفتحِ قِوامُ الدين البُنْداريُّ الإصبهانيُّ ، وُلِدَ في إصبهانَ في أواخرِ القرنِ السادسِ للهجرة (أواخر القرن الثالث عَشَرَ للميلاد) ونشأ فيها وتلقّى العلم عن نفر من العلماء منهم تاجُ الدين محمودُ بنُ الطيّبِ الطَرفيّ . وقد قضى البُنداريُّ مُعظمَ حياتـه في العراق والشام . وحضر الى دِمَشْقَ بنُسْخةٍ من « الشاهنامه » للفِرْدَوْسي[4] وقدّمها الى الملكِ المعظّم

---

(١) راجع وصفاً تحليلياً موجزاً لهذا الكتاب في وفيات الاعيان ٣ : ٣٩٧ ــ ٣٩٨ .

(٢) الصياصي جمع صيصية وصيصة : الحصن . المرابط جمع مربط (ورباط) : مكان اجتماع المتطوعين للجهاد الدائم .

(٣) لمعاده : ليوم القيامة . صحيفة (يوم القيامة) بيضاء : مكتوب فيها حسنات وليس فيها سيئات .

(٤) أبو القاسم منصور بن أحمد بن فرّخ الفردوسي ، ولد في طوس نحو سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) . وخطر للفردوسي أن ينظم ملحمة في تاريخ الفرس القديم باللغة الفارسية ، ولكن لم تكن اللغة الفارسية في أيامه قادرة على الاضطلاع بذلك لكثرة ما كان قد نسي من ألفاظها التي حلت الألفاظ العربية محلها. من أجل ذلك طاف الفردوسي

عيسى[1] ابن الملك العادل أيوبَ أملاً بعطاءٍ جزيل. تقبّل الملك المعظّم عيسى الشاهنامه ثم رَغِبَ الى البُنْداريّ في نقلها الى اللغة العربية. وقام البنداري بالنقل في دمشق بين جُمادى الاولى من سنة ٦٢٠ هـ وبين شوّالٍ من السنة التالية (١٢٢٣ - ١٢٢٤ م). ثمّ لا نعلمُ شيئاً من أمر البُنْداري بعد ذلك؛ ولعلّه عاد، بعدَ وفاةِ الملك المعظّم عيسى (٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م) الى بلده[2].

٢ - الفتحُ البُنْداري أديبٌ واضحُ الاسلوبِ حسَنُ السَرْدِ متين التركيب بصير باستعمال الألفاظ، ولا تكاد تَلْمَحُ عنده شيئاً من الصناعة اللفظية، الاّ أنه يأتي بكثير من الاستعارات والكناية على المنهج العربي الأصيل مما يَنْطِقُ بمعرفةٍ صحيحة للغة العربية وأدبها وتُراثها. وكان للبنداري رغبةٌ في التاريخ؛ كما أنه كانَ يَنْظِمُ شعراً، غير أن شعره عاديّ لا يَنْطِقُ ببراعة.

والذي شَهَرَ البُنْداريَّ في تاريخ الأدب أنه نقل الشاهنامه من الشعر الفارسي الى اللغة العربية نَثْراً. وقد حرَصَ البنداريّ على أن يَحْفَظَ السلسلةَ القَصَصيّةَ من الشاهنامه فحَذَفَ عدداً من الفصول القِصار وحذف المقدّماتِ من عدد من الفصول الأساسية، تلك المقدّماتِ التي يتكلّم فيها الفردوسي عن نفسه أو يَقِفُ فيها واعظاً للبشر. وكذلك حذف عدداً من المقاطع وَرَدَ فيها مديح للسلطان محمود الغزنوي[3]، كما اختصر عدداً كثيراً من الأوصاف للأسفارِ والمعاركِ والوحوش وعدداً من الرسائل والخطب التي تتخلّل الشاهنامه. ثم انه كان يُبَدِّلُ عدداً من الجُمَلِ والكلماتِ التي

= زماناً طويلا في القرى الفارسية النائية يتسقط الألفاظ الفارسية من الفلاحين. ومع ذلك فقد بقي في ملحته نحو عشرة بالمائة من ألفاظها عربياً. ويبدو أن الفردوسي قد بدأ نظم ملحمته سنة ٣٦٥ هـ (بعد موت المتنبي) بتسع سنوات ثم أتمها سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) وسماها شاهنامه (كتاب الملوك) وأهداها الى السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٤٢١ هـ) ولكن لم ينل منه العطاء الذي كان ينتظره. ويقال ان محموداً عاد فأرسل الى الفردوسي مبلغاً عظيماً من المال، ولكن حينما كان الوفد الحامل للعطاء الجزيل داخلا من باب طوس (سنة ٤١١ هـ - ١٠٢٠ م) كانت جنازة الفردوسي خارجة منه.

(١) كان المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي واليا على دمشق (٥٩٧ - ٦١٥ هـ) ثم أميراً عليها (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) وكانت وفاته سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م).

(٢) في الأعلام للزركلي (٥ : ٣٣٢) ترجمة قصيرة للبنداري اعتمد الزركلي فيها مجلة «العرفان (صيداء - لبنان ٣٢ : ٥٠) وقال هو «الفتح بن علي بن محمد ....» وجعل مولده سنة ٥٨٦ ووفاته سنة ٦٤٣ هـ.

(٣) محمود بن سبكتكين (بضم السين والباء وسكون الكاف الاولى وكسر التاء والكاف الثانية) ولد سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) وتولى الملك في غزنة (أفغانستان) سنة ٣٨٩ هـ ثم وسع ملكه في خراسان وما وراء نهر جيحون. وأعظم خدماته للاسلام وللغة العربية فتح الهند ونشر الاسلام فيها. وكانت وفاته سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في غزنة.

تخالف العقيدة الإسلامية أو المدارك الاسلامية مما جاء مثلاً متعلقاً بالمجوسية أو بإبليس أو بالمسيح في عدد من المواقف.

وللبنداري ذيل على كتاب « تاريخ بغداد »، للخطيب البغدادي.

٣ – مختارات من الشاهنامه

– ذكر ظهور الضحّاك :

.... كان في ذلك الزمان أميرٌ كبير يسمّى بمرداس، وكان مَلِكَ العرب ويُوصَفُ بصَلاحِ السيرة وسَداد الطريقة. وكانت له أموالٌ كثيرة من الخيل العِراب ومن الإبلِ والبقر والغنم. وكان له ابنٌ يسمّى بيوراسب ويُلَقَّبُ بالضحّاك – وبيوَر في لغتهم معناه عشرة آلاف، وأسب هو الحصان –. وكان له من الخيل المُسْرَجة بسُروجِ الذَهَب والفضّة المُرصّعة بأنواع الجواهر الفاخرة ما لا يحيط به الحَصْرَ والعَدّ، وكان مشغوفاً باللهو والطَرَب والصيد والطَرْد (السباق).

فظهر له إبليس في زيّ شابٍّ صبيحٍ وعَرَضَ عليه نفسَه ليَخْدِمَه، فاتّصل به. وكان يُظْهِرُ كلَّ يومٍ في الخدمة آثاراً مَرْضيَّةً ويُبدي في المناصحة والمخالصة أفعالاً حميدةً، فكان (الضحّاك) يُوردُ عن رأيه ويَصْدُرُ عن أمره. فخلا (إبليس) به يوماً وقال له: إنّي ناصحٌ لك ومُشيرٌ عليك برأي ان قَبِلْتَه مَلَكْتَ رِقابَ العرب واسْتَتَبَّتْ لك أسبابُ الأمر والنَهْي وانتظمتْ لك أحوالُ المملكة. فقال الضحّاك: إنّا خَبَرْنا رأيَكَ وجرّبنا عَقْلَكَ فما رأيْناكَ إلاّ جارياً على سُنَنِ الصواب ..... فهاتِ ما في ضميرك. فقال (إبليس): لا يُمْكِنُ إفشاءُ هذا السرِ إلاّ بعدَ الاستظهار من الأمير بأيْمانٍ مُغَلَّظة ومواثيقَ مُبْرَمَة ... على أنّه إنْ لم يَقْبَلِ الرأيَ ولم يُصْغِ للنصيحة جعلها دَبْرَ أذُنِه ثم ... يَسْتُرها في أحشاء الكِتمان ويطويها في تضاعيف النسيان. فوافقه (الضحّاك) على ما أراد وأُخْلِي له المكان. وخلا به الناصحُ الفاضحُ وزخرفَ له أقاويلَه ومَوّهَ عليه أكاذيبَه ومهّد له مقدّمةً كانت نَتيجتَها أنْ يستبدَّ بالإمارة وتَوَلّي أمورِ الخاصّةِ والعامّةِ، وأن ذلك لا يُمْكِنُ إلاّ بقتلِ أبيه .... فلمّا سمع (الضحّاك) ذلك صَعُبَ عليه، وأكبرَ أن يجازيَ أباه ومن ربّاه بإراقة دَمِه وقطع رَحِمِه. فلم يزلِ الملعونُ يَفْتِلُ منه في الذَرْوَةِ والغاربِ حتّى لانتْ عريكتُه[1] وتمكّنت منه خديعته فقال: تدبّرْ

(١) ما يزال يفتل من فلان في الذروة والغارب، أي يدور من وراء خديعته (القاموس ٤ : ٢٨) : يحتال في التغرير به. العريكة: النفس (بسكون النون). لانت عريكته: سهل خلقه، انكسرت نخوته، قبل الانقياد.

(أنت) الأمرَ واحتَلْ في قتله .

وكان للملك بُستانٌ اتّخذه لخلَواته فيه حوْضٌ تَنْصَبُّ إليه الأمواه ، وكان كلَّ ليلة يَدْخُلُ البُستانَ ويَتَطَهَّرُ من ذلك الحوض ويَشْتَغِلُ طولَ الليل بعبادة الله . فحفَرَ الملعونُ في طريقه بِئراً وغطّاها بالحَشيش . فقام الملك في الليل ودَخَلَ البُستانَ على عادته المعهودة ، وتوجّه نحوَ الحوض على ذلك الطريق فتَردّى في قَعْرِ الحُفْرة . فلمّا رأى العدوُّ ذلك بادَرَ إليها وطمّها بالتُراب وسوّاها بالأرض . فاستولى الضحّاكُ على مُلْكِ العربِ وأطاعه جميعُ الأمراء .

ثم تبدّى له إبليسُ بعدَ ذلك في زيِّ شابٍّ رشيق ... وعرَضَ نفسَه عليه وقال : أنا صانعٌ حاذقٌ أطبُخُ ألوانَ الأطعِمَةِ وأُحْسِنُ خدمةَ الملوك . فقبِلَـــه (الضحّاك) وقلّده المَطْبَخَ الخاصَّ . فلم يزلْ يُبْدِع في ألوانِ الأطعمة[1] ويخترع كلَّ يوم شيئاً لا يُشْبِهُ الآخرَ – وكان أكلُهم في أولِ الأمر من نوعٍ واحدٍ – . فلمّا رأى الملكُ ذلك أعجَبَه ومالَ اليه كلَّ المَيْل .... فدخل عليه يوماً فقال له (الضحّاكُ) : اقترِحْ عليَّ حاجةً أقضيها لك ، فإنَّ من الواجب مُراعاةَ مِثْلِكَ والإحسانَ إليك. فأطلَقَ لسانَه بالدُعاء للملك وقال: مالي حاجةٌ غيرُ بقائك ودوام مُلْكِك وثبات دولتك ، فان كان لا بُدَّ من سؤالٍ فأرجو أن يُمكّنَني الملكُ حتّى أقبّلَ مَنْكِبَيْه وأتشرّفُ بذلك . فأذِنَ له فيه ، فتقدّم وقبّلَ مَنْكِبَيْه ثم ساخ في الارض واستتر عن العيون . فأخرج الله تعالى من كلِّ واحدٍ من مَنْكِبَيْه حيّةً سوداء ، فهالَهُ ذلك وأزعجه وأحضَرَ الأطباء فأمروه بقَطْعِهما . فلمّا قُطعتا نَبَتَتا في الحال مِثْلَ الأوّل . ففرّقَ أصحابَه في الأطرافِ في طَلَبِ الأطبّاءِ حتّى جمَعوا منهم خَلْقاً كثيراً فعَجَزوا عن مُعالجةِ ذلك الداء وحَسْمِ مادّته .

فجاء إبليسُ في زيِّ طبيب إلى باب الملك فأُدْخِلَ عليه فقال : هذا قضاءٌ أجراه اللهُ عليك ! لا بُدَّ من تَرْبِيَةِ كِلْتَي الحَيّتَينِ وإطعامهما حتّى يَستريحَ الملكُ ؛ ولا يَصْلُحُ طعامُهما إلاّ من أدْمِغة الناس . فإنّه ان فُعِلَ ذلك يَقِلُّ اضطرابُهما

(١) يقول الفردوسي في هذا الموضع :

زهـر كونه أز مرغ وأز چارپاي خرد كرد ويك يك بياور بجاى

(من كل نوع من الطير ومن ذوات الاربع – البهائم ، النعم – صنع أطعمة وكان يجيء بها واحداً واحداً الى المائدة) .

ولا تتأذّى بهما ـ وكان مُرادَ الملعونِ أن يَبْسُطَ الملكُ يدَه في قَتْلِ خَلْقِ الله تعالى وسَفْكِ دمائهم . ثم كان يُحَرِّضه على ذلك حتى قَبِلَ مَقالتَه واستباح دماء الخَلْقِ ....

٤ ـ الشاهنامه[١] (نشرها عبد الوهّاب عزّام)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م).

تواريخ آل سلجوق، القاهرة (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٥ هـ = ١٩٠٠ م.

** بروكلمان ١ : ٣٩١ ـ ٣٩٢، الملحق ١ : ٥٥٤؛ زيدان ٣ : ٧١؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٠٩؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٣٢.

القاسم بن القاسم الواسطي

١ ـ هو أبو محمّد القاسمُ بنُ القاسمِ بنِ عُمَرَ بنِ منصورٍ الواسطيُّ، وُلِدَ في واسِط في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٦ م). تلقّى عُلومَه في واسِطَ فقرأ النحو على مُصَدِّق بنِ شَبيبٍ واللغةَ على هِبةِ الله بن أيوبَ والقِراءاتِ على عليِّ بنِ هَيّابِ الجماجميِّ (معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٦). ويبدو أنّه اشتغل منذ أوّلِ أمرِه بالتدريس فانتقل بعِلْمه الى بَغْدادَ ثمّ جاء، سَنَةَ ٥٨٩هـ (١١٩٣م)، الى حَلَبَ فتصدر فيها لتدريسِ اللُّغة والنحو وفنون للعلم. وكانتْ وفاتُه في حَلَبَ في رابعِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٢٦ هـ (٣١/ ١/ ١٢٢٩ م) أو في الثامن منه.

٢ ـ كان القاسمُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً ومُصنِّفاً. وقد أُغْرِمَ بمقاماتِ الحريريِّ فشَرَحَها شُروحاً كثيرةً منها شرحٌ على حُروفِ المُعْجم[٢] ثمّ شَرْحٌ على تَرْتيبِها المألوفِ ثمّ شرحٌ على ترتيبِ العزيزيِّ ثمّ شروحٌ أخرى. وله شرحُ كتابِ اللُمَع ـ شرح التَصْريف المُلوكي (وكِلاهما لابن جِنّي) ـ كتابُ «فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ» بمعنى[٣] (مرتباً على حروف المعجم) ـ مجموعُ خُطَبٍ صغيرٌ ـ رِسالةٌ فيما أخَذَ على ابنِ النابلسي في قصيدةٍ نَظَمَها في الناصرِ لدين الله العبّاسيّ (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ).

وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً له قصائدُ وموشّحاتٌ. وكان ناقداً. وشِعْره قليلُ

---

(١) الشاهنامه، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي وترجمها نثراً الفتح بن علي البنداري وقارنها بالاصل الفارسي وأكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام.

(٢) ترتيب الكلمات (؟) المشروحة ترتيباً هجائياً. (٣) الافعال التي تأتي منها صيغة فعل وأفعل بمعنى واحد.

الرَّوْنق عليه أثرٌ من تقليدِ أبي تمّامٍ والمُتنبّي وفنونُه الغَزَلَ والنسيبُ والهِجاء والحِكمة.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال القاسمُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ يشكو اهلَ زمانهِ :

لا تُرِدْ من خيارِ دَهْرِكَ خيْراً ، فبَعيدٌ من السَّرابِ الشَّرابُ[1] .
رَوْنَقٌ كالحَبَـاب يَعْلو على الكأ سِ ولكنْ تحت الحَباب الحُبابُ[2] .
عَذُبَتْ في النِفـاق ألْسِنَةُ القَوْ مِ وفي الألْسُنِ العِذابِ العَذابُ[3] .

ـ وله من مُوشّحةٍ (في النسيب) :

ناهيكَ مـن حبيبِ نشـوانِ بالدَّلَّ وَهْـوَ صـاحِ .
إن قُلْتُ : والَهيبي حَيّـاني مـن ثَغْـرِه بـراحِ[4] .

*

كـم بِـتُّ والكؤوسُ تُجلى مـن الدنـانِ ،
كأنّهـا عـروسُ زُفّـت مِـنَ الجِنـانِ ؛
تبـدو لنـا الشُمـوسُ منهـا عـلى البَنـانِ[5] .
لم أخْشَ من رقيـبِ يَنْهاني ألْهـو إلى الصَبـاحْ
مَـعْ شادنٍ ربيـبِ فتّـانِ زَنْـدي لـه وِشـاحْ[6] .

ـ وله من الرسالة التي ألّفها في قصيدة ابن النابلسيّ (نقده وهجائه) :

الحمدُ للهِ على نِعَمِه المُتَظاهرةِ ، والصلاةُ على خيرِ خلقهِ وعِتْرته الطاهرة[7] .

---

(١) لا تنتظر الخير حتى من الرجال الاخيار . السراب : لمعان يبدو من بعيد كأنه ماء . الشراب : الماء الذي يروي .

(٢) الرونق : الجمال . الحباب (بالفتح) : الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر وغيرها (وهي جميلة لأنها تشبه اللؤلؤ). الحباب (بالضم): الحية .

(٣) الألسن العذاب (بكسر العين) : الألسنة ذات الكلام العذب (الحلو) .

(٤) ناهيك : يكفيك . نشوان : سكران . الدل : الدلال (طمع المحبوب بالمحب) . والهيبي : ما أشد حرارة قلبي . الراح : الخمر .

(٥) بات : قضى الليل . الكؤوس (كؤوس الخمر) تجلى (تخرجها الأيدي مملوءة) الدن : وعاء كبير للخمر . الشموس (كناية عن الكؤوس مملوءة خمراً) . على البنان (رؤوس الاصابع) : محمولة بالأيدي .

(٦) شادن : غزال صغير (كناية عن المحبوب الجميل) . ربيب : تربى مع الانسان (أليف) .

(٧) المتظاهرة : المتوالية (يتلو بعضها بعضاً) . العترة : الأسرة .

وبعدُ ، فإنّه لمّا أُخرِّت الفضائلُ عن الرذائلِ وقُدِّمت الأواخرُ على الأوائلِ ، ونُبِذَ عهْدُ القُدَماءِ وجُهِلَ قَدْرُ العُلماء ..... وظَهَرَ عظيمُ الإجلالِ بالأسماء لا بالأفعال .... أَخمَلْتُ عندَ ذلك ذِكْـري وقَدْري وأخفَيْتُ مِنْ نظمي ونثري ، ..... وقُلْتُ : أصْبِرُ على كَيْدِ الزمانِ وكَدِّه ، فعَسَى اللهُ أن يأتِيَ بالفَتْحِ أو أمرٍ من عِنْدِهِ [١] :

فلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاّ ذو مَحَلٍّ تعالى الجَيْشُ وانْحَطَّ القَتامِ [٢] .

إلى أن بَلَغَني مِمّنْ يُعَوَّلُ عليه ويُرْجَعُ في القول إليه أنّه أنْشَدَ عِنْدَه بيتَ الوَليد[٣] يَشْهَدُ له بالفصاحة والتَجْويد ، وهو قولُه :

إذا مَحاسِنِيَ اللائي أُدِلُّ بها صارتْ ذُنوبي ، فقُلْ لي كيفَ أعْتَذِرُ .

فقال (ابنُ النابلسي) مَقالَ المُفْتري : كم قد خَرِينا على البُحتري . فصَبَرْتُ قَلْبي على أذاته وأغْضَيْتُ جَفْني على قَذاته . حتّى ابْتَدَرَني بالبادِرَةِ التي يقصُرُ عنها لسانُ الحادِرة[٤] . فلو كان النابلسيُّ كابنِ هاني الأندلُسيّ « لَزَلْزَلَتِ الأرضُ زِلزالَها وأخرَجَتِ الأرضُ أثْقالَها »[٥] . فيا للهِ العجبُ : متى أشْرَقَتِ الظُلمةُ على الضياء أو علَتِ الأرضُ على السماء ؟......

وما ذلك التيه والصَلَفُ والتجاوُزُ للحَدِّ والسَرَف[٦] .... وكلّما أُعْظِمَ من غيرِ عِظَمٍ وأُكْرِمَ من غيرِ كَرَمٍ شَمَخَ بأنفهِ وطال ، وتطاوَلَ الى ما لن يَنالَ .... ولا ، واللهِ ، ليس الأمرُ كما زَعَمَ ولا الشعْرُ كما نَظَمَ ، ولكنّهـا المكارمُ السُلطانيّةُ المَلَكيّةُ الظاهريّة[٧] التي نَوَّهَتْ بذِكْرِه فستَرَها ، ورفَعَتْ من قَدْرِه فكَفَرَها ..... وقَصَدتُ قصيدةً من شِعرِه يَزْعُمُ أنّها من قَلائدِه قد

(١) كده : تعبه ، مصاعبه . « أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده » (من عند الله) تضمين من القرآن الكريم ، (كناية عن انتظار الفرج) .

(٢) البيت للمتنبي . القتام : الغبار (الذي يثورمن وقع أقدام الخيل في المعارك) .

(٣) ان الرجل الذي يعتمد عليه أنشد عند ابن النابلسي بيتاً للوليد بن عبادة البحتري .

(٤) ابتدرني : تلقاني ، جبهني . الحادرة والحويدرة لقبان لقطبة بن أوس بن محصن وهو شاعر جاهلي له شيء من الهجاء الأغاني (٣ : ٢٧٠ — ٢٧٥) .

(٥) اذا زلزلت الارض .. أثقالها (من القرآن الكريم ، السورة ٩٩ ، الزلزال) .

(٦) التيه (بفتح التاء وكسرها) والصلف : التكبر . السرف : الإسراف .

(٧) الظاهرية : نسبة الى الخليفة العباسي محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٢ — ٦٢٣ هـ) .



هَذّبها في مُدّةِ ست سِنينَ ومَدَحَ بها أميرَ المؤمنين وقال فيها : « فانْظُرْ لِنَفسكِ أيَّ دُرٍّ تَنْظِمُ ! » .....

وتَتبّعتُ ما فيها من غَلَطاته وأظْهَرْتُ ما خَفِيَ فيها من سَقَطاته ..... فوجدتُه قد أخطأ منها في واحدٍ وعشرينَ مكاناً عَدِمَ فيها تَمكيناً من العلم وإمكاناً...

٤ ــ معجم الادباء ١٦ : ٢٩٦ ــ ٣١٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٩ ــ ١٦٢ ؛ بغية الوعاة ٣٨٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٨ ــ ١٢٩ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٤ .

الشرف الحلي

١ ــ هو شَرَفُ الدينِ أبو الوفاء راجحُ بنُ اسماعيلَ بنِ أبي القاسمِ الأسَدَي الحلّي من أعيانِ قومه ، تَطَوّفَ في بُلدانِ الشامِ وبُلْدانِ جزيرةِ ابنِ عُمَرَ يَمْدَحُ المُلوكَ والأُمراء . وكانتْ وفاتُه في سابعِ عشري (يوم ٢٧) شعبانَ من سنَةِ ٦٢٧ هـ (٢٠/ ٧/ ١٢٣٠ م) .

٢ ــ كانَ الشَرَفُ الحلّي شاعراً مُكْثِراً مُطيلاً يُصَرِّفُ شِعْرَه في المديحِ والغزل والنسيب . وَهُوَ يُعارِضُ الشعراءَ وربّما أخَذَ من شعرهم أبياتاً فأدخلها في قصائده .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال الشَرَفُ الحلّي في النسيب :

أمُعنِّفَ العُشّاقِ ، وَهُوَ من الهوى ... خالي الحَشا ، لا مِتَّ حتّى تَعْشَقا .
إنّي لأَظْمأُ ما يكونُ إذا جرَى ... ماءُ الحياةِ بوَجْهه وتَـرَقْرَقا[1] .
قَمَرٌ سَقيمُ الطَرْفِ عَقْرَبُ صِدْغِه ... يَثْني عزائِمَنا ويَهْزأُ بالرُقى[2] .
يا مُثْرياً من حُسْنِه ، عَطْفاً على ... قَلْبٍ يَبيتُ من التَصَبُّر مُمْلِقا[3] .
ما باتَ قَلْبي للصبابَة مُمْسِكاً ... حتّى غَدا جَفْني لدَمْعي مُنْفِقا .

---

(١) ماء الحياة : النضارة والنشاط والشباب . ترقرق : جرى جرياً يسيراً ، تحرك ، لمع .

(٢) عقرب الصدغ : الشعر المعقود عن جانب الجبين . يثني (يلوي) عزائمنا : يجعلنا ضعفاء (أمام حسنه) . الرقى جمع رقية (بالضم) : صيغة من الكلام يقصد بها السحر .

(٣) المثرى : الغني . المملق : الفقير .

- في ثالثِ عشري جُمادَى الآخرةِ من سَنَةِ ٦١٣ هـ (٧/ ١٠/ ١٢١٦ م) تُوُفِّيَ أبو الفتحِ أبو منصورٍ غازي بنُ السُّلطانِ صَلاحِ الدين الأيّوبيِّ في حلَبَ فرثاه الشَرَفُ الحِلّيُّ بقصيدةٍ أدْخَلَ فيها تَهنئةَ ابْنَيْهِ الملكِ العَزيزِ غياثِ الدينِ أبي المُظفّرِ محمّدٍ والمَلِكِ الصّالحِ صلاحِ الدينِ أحمدَ. من هذه القصيدةِ:

سَلِ الخَطْبَ، إنْ أصغى إلى مَنْ يُخاطِبُهْ، ... بِمَنْ عَلِقَتْ أنيابُه ومَخالبُه[1]؟
لِيَ اللهُ، كم أرمي بطَرْفي ضَلالةً ... إلى أُفُقٍ مَجْدٍ قد تَهاوَتْ كواكِبُهْ[2].
فما لي أرى الشَهْباءَ قد حالَ صُبْحُها ... عَلَيَّ دُجىً لا تَسْتَنيرُ غَياهبه[3].
أحقّاً حِمَى الغازي الغياثِ بنِ يوسفٍ ... أبيحَ، وعادَتْ خائباتٍ كواكبه[4]؟
نَعَمْ! كُوِّرَتْ شمسُ المدائحِ، وانْطَوَتْ ... سَماءُ العُلا، والنُجْحُ ضاقتْ مذاهبه[5].
فمن مُخْبِري عن ذلكِ الطَوْدِ: هل وَهَتْ ... قواعِدُهُ أم لانَ للخَطْبِ جانبه[6]؟
أجَلْ! ضَعْضَعَتْ بَعْدَ الثَباتِ، وزُعْزِعَتْ ... بِريحِ المَنايا العاصفاتِ، مناكبُهْ[7].
فما بالُ إذْني قد تمادى، ولم يَكُنْ ... - إذا جِئْتُ - يَثْنيني عنِ البابِ حاجبُهْ[8].
فإن يَكُ نورٌ من شِهابِكَ قد خَبا؛ ... فيا طالما جَلّى دُجى الليلِ ثاقبُهْ[9]
فقد لاحَ بالمَلْكِ العزيزِ مُحمّدٍ ... صَباحُ هُدىً كنّا زماناً نُراقبه:
فتىً لم يَفُتْهُ من أبيهِ وجَدِّهِ ... إباءٌ وجَدٌّ غالباً من يُغالبُهْ[10]؛
وبالصالحِ اسْتَعْلَى صَلاحُ رَعيّةٍ ... لها مِنْهُ رَعْيٌ ليس يُقْلَعُ راتبُهْ[11].
فحَسْبُ الوَرَى - من أحمدٍ ومُحمّدٍ - ... مَليكانِ من عاداهما ذَلَّ جانبه.

(١) الخطب: المصيبة، الحادث العظيم. أصغى: مال (بأذنه)، استمع. علقت مخالب الحيوان أو نيابه بأحد: افترسته، قتلته.

(٢) أرمي بطرفي (بصري): أنظر بعيداً. ضلالة: من غير أن أهتدي الى معرفة ما أريد. تهاوت كواكبه (سقط منها واحد بعد واحد): تتابع أعيانها على الموت.

(٣) الشهباء: مدينة حلب. الغيهب: الظلام.

(٤) أبيح: أصبح بلا حام. خائبات (كذا في الاصل). اقرأ: خابيات: خامدات، منطفئات.

(٥) كورت الشمس، طويت، ذهب نورها، اضمحلت.

(٦) وهت: ضعفت. لان جانبه: ذل، ضعف.

(٧) المناكب: الجوانب، الاركان.

(٨) - كنت أستأذن عليه فأدخل حالا، والآن لا أستطيع الدخول عليه (لأنه مات).

(٩) خبا: خمد نوره. الثاقب: الشديد النور. جلى دجى الليل: كشف ظلام الليل.

(١٠) إباء: نفور (من الظلم). جد: حظ. غالباً من يغالبه: كانا يغلبان من يغالبه. (١١) يقلع راتبه.

هما أحرزا علياء غازي ويوسف   وما ضيّعا المجد الذي هو كاسبه*[1].

ستحمي، على رغم الليالي، حماهما   عوالي قناً تُردي الأسود ثعالبه*[2].

يُعلّق ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢ : ١٣٦) على هذه القصيدة بقوله: «وهذه القصيدة، مع جودتها، فيها مواضع مأخوذة من مرثية الفقيه عمارة اليمني في الصالح بن رزّيك، وبعضها مذكور في ترجمة الصالح[3]، وكأنّه نسج على منوالها، فانّها على وزنها وان كان حرف الروي مختلفاً فقد استعمل فيه الوصل[4] كما استعمله عمارة. والظاهر أنّه كان قد وقف عليها فقصد مضاهاتها[5]».

والأرجح أن يقال إنّ هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي تمام: أهنّ عوادي يوسف وصواحبه*! (٢ : ٢٥٥) فانّ الشرف الحلّي لم يقتصر على تقليد أبي تمام في البحر والرويّ والقافية، بل تأثّر بالنفس الشامي وقارب بعدد من معانيه وصوره وتعابيره معاني أبي تمام وصوره وتعابيره.

٤ — ** وفيات الأعيان ٢ : ١٣٤ — ١٣٦ (في ترجمة غازي بن صلاح الدين الأيوبي)؛ فوات الوفيات ١ : ٢٠٢ — ٢٠٣؛ العبر ٥ : ١٠٨؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٣؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣١؛ اعيان الشيعة ٣١ : ٧٥.

ابن الإردخل[6]

١ — هو مُهذّب الدين أبو المعالي أبو عبد الله مُحمّد بن أبي الحسين الحسن ابن يُمن بن علي بن أحمد بن مُحمّد بن عثمان بن عبد الحميد الموصلي

---

(١) يوسف: صلاح الدين الأيوبي جد المرثي.

(٢) القنا: الرماح. عوالي القنا: صدور الرماح (التي يطعن بها). تردي: تقتل. الثعالب جمع ثعلب وثعلبة (هنا): طرف الرمح الذي يوضع فيه السنان (الحديدة الجارحة).

(٣) في وفيات الأعيان (١ : ٤٢٧ — ٤٢٨): أأي أهل ذا النادي عليم أسائله (على روي اللام). ولا ريب في أن الشرف الحلي قد نظر الى قصيدة عمارة لما نظم قصيدته.

(٤) الوصل هنا (في القافية) حرف زائد بعد الروي (وهو هنا الهاء في: «كاسبه»). فالهاء هنا ليست رويا (أي أن الشاعر لا يستطيع ان يقول: كاسبه — عالمه — مانعه الخ). (٥) ضاهاه: شابهه.

(٦) الاردخل في القاموس (٣ : ٣٨٤) بكسر الهمزة وفتح الدال: التارّ (الممتلىء الجسم) السمين. وقال ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات) ٢ : ٢٣٣: «الاردخل هو المجيد في البناء»؛ فعلى هذا يكون والد ابن الاردخل بناء.

الأنصاري المَعْروف بابنِ الإردخل ، وُلِدَ في المَوْصل سَنَةَ ٥٧٧ هـ (١١٨١ م).

تَكَسَّب ابنُ الاردخلِ بمدحِ أُمراء المَوْصلِ ومَيّافارقينَ ، ومدحَ الأشرفَ مُوسى[١] . وكانت وَفاةُ ابن الإرْدخلِ فيما ذَكَرَ ابن خلّكان في مَيافارقينَ في رَمَضانَ من سنة ٦٢٨ هـ (تموز – يوليو ١٢٣٢ م) . أما ابن شاكرٍ الكُتُبي (فوات الوفيات ٢ : ٢٣٢) فجعَلَ وَفاته سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) وتَبِعَه في ذلك بُروكلمان (الملحق ١ : ٤٤٣) .

٢ – ابن الاردخل شاعرٌ مُحْسِن له مديحٌ ووصف وغزل وحِكمة وشيءٌ من المُجون .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن الإردخل في الشكوى :

ولَقَدْ رأيـتُ على الأراكِ حَمامَةً	تَبْكي فتُسْعِدُني على الأحْزان[٢] :
تبكي على غُصُنٍ ، وأبـكي قامةً ؛	فجميعُنا يبـكي على الأغصان[٣] .
صَرَعَ الزمـانُ وَحيدَها فتعَلّلَتْ	من بَعْدِهِ بالنَوْحِ والأحـزان[٤] .
يَخْشى من الأوتـارِ وهو مَرُوعةٌ	منها ، فكم غنّتْ على العِيدان[٥] .

– وقال في الشكوى وفي الحكمة :

أفي كل يومٍ لي مِنَ الدَهْرِ صاحبٌ	جديدٌ ، ولي حادٍ الى بلدٍ يحْدو[٦] .
أروحُ وأغدو للنَوى غير مُدْرِكٍ ؛	ويُدْرِكه من لا يَروحُ ولا يغدو[٧] !

---

(١) هو أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن يوسف الملقب الملك الاشرف مظفر الدين (٥٦٢ – ٦١٩ هـ) أمير ميافارقين (وفيات الاعيان ٣ : ٣١) .

(٢) تسعدني : تساعدني ، تعينني (تبكي معي فتواسيني وتخفف من حزني) .

(٣) تبكي على غصن (في شجرة) وأبكي قامة (محبوباً مستقيم القامة كالغصن مات) .

(٤) صرع (قتل) الزمان (الدهر) وحيدها (فرخها الوحيد) فتعللت (جعلت تتسلى وتأمل أن يرد البكاء ابنها عليها) . القافية هنا مكررة ، لعلها : الاشجان (بمعنى الاحزان) .

(٥) الاوتار فيها تورية : جمع وتر (بكسر الواو : ثأر) وجمع وتر (بفتح ففتح : أحد أوتار العود) . مروعة : خائفة . العيدان جمع عود : غصن الشجرة – آلة يعزف عليها .

(٦) الحادي : الذي يحدو (يطرب ، يغني) للإبل في الاسفار (حتى لا تمل الابل السير) . يحدو (يسوق ابلي من بلد الى بلد – كناية عن كثرة أسفاره) .

(٧) النوى : البعاد ، مفارقة الاليف وترك الوطن . غير مدرك (غير حاصل على ثروة) . – ويحصل على الثروة شخص لا يسافر في سبيل تحصيل رزقه .

٤ – ** المحمدون من الشعراء ١٢٢ – ١٢٥ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٣١ – ٣٢ (في ترجمة أبي الفتح موسى الملك الاشرف مظفّر الدين) ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٣ ، الاعلام للزركلي ٦ : ٣١٦ .

عبد اللطيف البغدادي

١ – هو الشيخُ مُوَفّقُ الدينِ أبو محمّدٍ عبدُ اللطيفِ بنُ يوسفَ بنِ عليّ بنِ الشيخِ أبي العزّ المَوْصِليُّ المعروف بابن اللبّادِ وبابنِ نُقْطَةَ .

وُلِدَ عبدُ اللطيفِ البغداديُّ في بَغْدادَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) وفيها نشأ وتلقّى العِلمَ : سَمِعَ من نفر كثيرين منهم ابنُ البَطّيُّ وأبو زُرْعَةَ المَقْدِسِيّ وتَفَقّه على أبي القاسم بن فضلانَ .

تَنَقّلَ عبدُ اللطيف البغداديُّ في البلادِ كثيراً : ذَهَبَ سَنَةَ ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) الى المَوْصِلِ ودرس آثارَ السُهرَوَرْديّ المقتولِ ، ثمّ انتقل إلى دِمَشْقَ (٥٨٦ هـ) ثمّ زار مُعَسْكَرَ صلاحِ الدين في ظاهرِ عكّاء (٥٨٧ هـ) ونال حَظْوَة عند القاضي الفاضل . وفي العام التالي لَقِيَ صلاحَ الدين في القُدْس . وقد زارَ القاهرةَ أيضاً مرّتين أو أكثرَ . وبعدَ أن طال تَرَدُّدُه في البلادِ عاد الى بَغْدادَ فتُوُفّيَ فيها في ثاني المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٢٩ هـ (٣٠/ ١٠/ ١٢٣١ م) .

٢ – كان عبدُ اللطيفِ البَغْداديُّ مُتَعَدِّدَ وُجوهِ الشخصية بارعاً في عددٍ من العلوم كثيرَ التصنيفِ في كثيرٍ من فنونِ المعرفة . أُعجِبَ في أوّلِ أمرِه بفلسفةِ ابنِ سينا وبالصَنْعه (الكيمياء القديمة : محاولة تحويل المعادن الخسيسةَ كالرَصاصِ والنحاس معادنَ شريفةً كالفضّة والذهب) . ثمّ انّه درس فلسفة الفارابي وشُروح الاسكندرِ الأفروديسي وثامِسْطيوس على كُتُبِ أرسطو فلَفَتَتْهُ عن ابنِ سينا والصَنْعة .

عدّ ابنُ أبي أُصَيْبعَةَ (طبقات الاطباء ٢ : ٢١١ – ٢١٣) لعبد اللطيف البغدادي مائةً وخمسينَ كتاباً في موضوعاتٍ وأحجامٍ مُتَفاوتة . ومُعْظَمُ هذه الكتب اختصاراتٌ لكتبِ جماعةٍ من المتقدّمين أو حواشٍ عليها أو مُعارضةٌ (تقليد) لها . والمُبْتَكَرُ في موضوعاتِ هذه الكتب قليلٌ . فمنَ الكتب الأصيلة له : مقالة في النهاية واللانهاية – كتاب الجليّ في الحساب الهندي (بالأرقام) – مقالة في العلوم الضارّة – مقالة في العادات – كتاب العُمْدة في أصول السياسة – مقالة في

تدبير الحرب سمّاها مقالة في السياسة العملية ـ مقالة في جواب مسألة سُئِلَ عنها في ذبح الحَيَوان وقتله وهل ذلك سائغٌ في الطبع والعقل كما هو سائغ (جائز) في الشرع ـ كتاب المَراقي الى الغاية الانسانية ـ كتاب المدهش في أخبار الحَيَوان ـ مقالة في الماء ـ مقالة في العطش ـ كتاب الكِفاية في التشريح ـ مقالة تشتمل على أحَدَ عَشَرَ باباً في حقيقة الدواء والغِذاء ومعرفة طَبَقاتِها وكيفيّة تركيبها ـ مقالة في التنفّس والصوت والكلام ـ مقالة في الرد على ابن الهَيْثم في المكان ـ كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي ـ رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء ـ مقالة في العلّة المَراقيّة ـ مقالة في السِرْسام ـ مقالة في اللغاتِ وكيفيّة تولّدها ـ مقالة في الشعر ـ كتاب قوانين البلاغة ـ مقالة في احصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضارّ ـ كتاب الانصاف بين ابن بَرّيّ وابن الخشّاب على المقامات للحريري وانتصار ابن برّيّ للحريري ـ كتاب أخبار مصر الكبير ـ كتاب أخبار مصر الصغير ، مقالتان وقد سمّاه « الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » (وهو يتضمّن سيرته ، وقد فَرَغَ من تأليفه سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٧ م) .

واختصر عبد اللطيف البغداديُّ عدداً من كتب المتقدّمين منها : كتاب الحَيَوان لأرسطوطاليس ـ كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث ـ كتاب الحيوان للجاحظ ـ كتاب النبات لأبي حنيفةَ الدِينَوَرِيّ ـ كتاب منافع الأعضاء لجالينوس ـ كتاب الأدوية المُفْرَدة لابن وافد ـ كتاب الصناعتين لابي هلالٍ العسكري ـ كتاب العُمدة لابن رشيق .

ولعبد اللطيف البغداديّ شروحٌ وحواشٍ ورُدودٌ وتصانيفُ هي بمَثابةِ شروحٍ وحواشٍ أو هي عَرْضٌ جديدٌ لموضوعات قديمة مألوفة منها كلّها : رسالة في الممكن ـ كتاب في القياس (خمسون كرّاساً) ثمّ أضيف اليه المدخل (الى علم المنطق) والمقولات والعبارة والبرهان فجاء في أربع مجلّدات (في المنطق) ـ الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهيّ (زُهاءَ عَشْرِ مُجَلَّدات) ـ حواشٍ على البرهان للفارابي ـ حواشٍ على كتاب الثمانية المنطقية للفارابي ـ مسألة في التنبيه على سبل السعادة ـ الواضحة في إعراب الفاتحة ـ الردّ على ابن خطيب الريّ (الفخر الرازي) في تفسير سورة الاخلاص ـ غريب الحديث ـ شرحُ سبعينَ حديثاً ـ شرحُ أربعينَ حديثاً طِبّيّاً ـ الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألْسُنِ المتكلّمين ـ

مقالة في الردّ على اليهود والنصارى ـ مقالتان في المدينة الفاضلة ـ حواشٍ على كتاب الخصائص لابن جنّي ـ كتاب ذيل كتاب الفصيح ـ اللمع الكامليّة المعروفة بشرح مقدّمة ابن بابشاذ ـ كتاب قيسة العجلان (في النحو) ـ انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش ـ شرح كتاب الفصول لأبقراط ـ مقالة في قسمة الحُمّيَّات وما يتقوّم به كلّ واحد (من الاقسام) منها وكيفيّة تولّدها ـ مقالة في ديابيطس* والأدوية النافعة منه ـ حلّ شيء من شكوك (ابي بكر) الرازي على كتب جالينوس ـ كتاب في الأدوية المفردة (كبير) ـ كتاب الترياق ـ شرح (قصيدة) بانت سعاد (لكعبِ بنِ زُهير) ـ شرح الخطب النباتية** :

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال في التعلّم والمطالعة (طبقات الاطبّاء ٢ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩) :

أُوصيكَ ألاّ تأخُذَ العلومَ من الكتب وإنْ وَثِقْتَ من نفسك بالفهم . وعليك بالأُستاذِينَ في كلّ علمٍ تطلُبُ اكتسابَه؛ وإن كان الاستاذُ ناقصاً فخُذْ عنه ما عندَه حتّى تَجِدَ أكملَ منه . وعليك بتعظيمه وترجيبه[1] ، وان قدرْتَ (على) أن تُفيدَه من دُنياك فافعَلْ ، وإلاّ فَبِلسانك وثنائك . وإذا قرأتَ كتاباً فاحْرِصْ كلَّ الحِرْصِ على أن تستَظْهِرَهُ وتَمَلَّكَ معناه ، وتَوَهَّمْ أن الكتابَ قد عُدِمَ وأنّك مُستغنٍ عنه ، ولا تحزَنْ لِفَقْدِه . وإذا كنت مُكِبّاً على دراسة كتاب فإيّاك أن تشتغلَ بآخرَ مَعَه (بلِ احْرِصْ على) صَرْفِ الزمانِ الذي تُريدُ صَرْفَه في غيرِه إليه . وإيّاك أن تشتغلَ بعِلْمينِ دُفعةً واحدةً ، وواظِبْ على العلمِ الواحدِ سَنَةً أو سنتين أو ما شاء اللهُ ، فإذا قَضَيْتَ منه وَطَرَكَ فانتقِلْ إلى علمٍ آخرَ . ولا تَظُنَّ أنّك إذا حَصَّلْتَ عِلْماً فقد اكتفيتَ ، بلْ تحتاجُ إلى مراعاتِه لِينمي[2] ولا يَنْقُصَ ؛ ومراعاتُه تكونُ بالمذاكرةِ والتفكّر واشتغال المُبْتدىء بالتحفّظ والتعلّم ومُباحثة الأقران وباشتغالِ العالمِ بالتعليم والتَصْنيف[3] ..... ومن لم يَعْرَقْ جبينُه إلى أبواب العلماء لم يَعْرِقْ في الفضيلة[4] ، ومن لم يُخْجِلوه لم

* مرض السكر .

** لابن نباته الفارقي المتوفى سنة ٣٧٤ هـ (٢ : ٥٢٧) .

(١) الترجيب : التعظيم .

(٢) نمى ينمي ونما ينمو : زاد .

(٣) التصنيف : التأليف .

(٤) من لم يخجل (في نفسه) من كثرة الذهاب الى العلماء طلباً للازدياد من العلم فانه لم يعرق (لم يصبح عريقاً : أصيلا ، ثابتاً) في الفضيلة (لم يصبح تام الفضيلة).

يُبَجِّلْهُ الناسُ ، ومن لم يُبَكِّتوه لم يُسَوَّدْ[1] ، ومن لم يحتملْ أَلَمَ التعليمِ لم يَذُقْ لَذَّةَ العِلْمِ .....

٤ — الافادة والاعتبار (ج . هوايت) ، أوكسفورد ١٧٨٨ م ؛ (مع مقدّمة بقلم هـ . باولوس) ، توبنجن ١٧٨٩ م ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٦ هـ ؛ — مختصر أخبار مصر ، أو : العبر والخبر في عجائب مصر (ت . هيد) أوكسفورد ١٧٠٢ م (معجم سركيس ص ١٢٩٣) ؛ (سلوستر دى ساسي) ، باريس ١٨١٠ م .

ذيل الفصيح (فصيح ثعلب) طبع مع كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي ، مصر ١٢٨٥ هـ ؛ طبع في مجموعة « الطرف الأدبية لطلاّب العلوم العربية » (بعناية محمّد أمين الخانجي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ .

قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم ، النجف (مطبعة الآداب) ١٩٧٠ م .

** إنباه الرواة ٢ : ١٩٣ — ١٩٦ ؛ طبقات الأطبّاء ٢ : ٢٠١ — ٢١٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٩ — ١١ ؛ العبر ٥ : ١١٥ — ١١٦ ؛ بغية الوعاة ٣١١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٣٢ ؛ بروكلمان ١ : ٦٣٢ — ٦٣٣ ، الملحق ١ : ٨٨٠ — ٨٨١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٤٧ ؛ زيدان ٣ : ٩٨ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٨٣ — ١٨٤ .

ابن المُقَرَّب

١ — هو جمالُ الدين أبو عبدِ الله عليُّ بنُ مُقَرَّبِ بنِ منصورِ بنِ مُقَرَّبِ ابنِ الحسنِ بن عزيز بن ضَبّارٍ الرَبْعيّ العُيوني البَحْراني ، نِسبة الى البحرين[2] والى بلدة العيون في الأحساء[3] ، ويُعْرَفُ أيضاً بالإبراهيمي[4] .

وُلِدَ عليّ بن مُقَرَّبٍ سَنَةَ ٥٧٢ هـ (١٢٧٣ — ١٢٧٤ م) في أسرة وجيهة تتَوَلّى إمارة الأحساء ، ونشأ نابِهاً مُستنيراً فحسده خُصومُهُ ووَشَوْا به إلى الامير أبي منصورٍ عليِّ بنِ عبد الله وقالوا إنّه يُريد انتزاعَ الحُكْم . صادرَ الاميرُ أبو منصورٍ أموالَ ابن المُقَرَّبِ وأملاكَه وزَجَّ به في السِجن ؛ ثم أُطْلِقَ سَراحُهُ بعدَ

---

(١) التبجيل : التعظيم . التبكيت : التقريع والتوبيخ . لم يسود : لم يقبل الناس أن يكون سيداً فيهم .

(٢) البحران أو البحرين هي المنطقة الواقعة على الشاطىء الشرقي من شبه جزيرة العرب بين البصرة وعمان . أما اطلاق « البحرين » على الجزيرتين اللتين في خليج قطر وما يتبعهما فتسمية جديدة . وتسمى تلك المنطقة (بكسر الميم) هجر أيضاً .

(٣) الاحساء اليوم مقاطعة في شرقي شبه جزيرة العرب عاصمتها القطيف .

(٤) بروكلمان ١ : ٣٠٢ ، نسبة الى جد له اسمه ابراهيم القليوني (صفحة العنوان في ديوانه طبع مكة — لعلها العيوني) .

مدة . ويبدو أن ذلك كلّه كان في مَطْلَعِ القرنِ السابع للهجْرة. ولمّا لم يَسْتَطِعِ ابنُ المقرّبِ أن يَبْقى في وَطَنه آمناً مُطْمئنّاً ذهب الى بغدادَ . ثم انه جَعَلَ يتردّد بين بغدادَ والمَوْصِلِ والبصرة والبَحْرينِ . وقد رأيناه سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) في البحرينِ يمدحُ أميرَها محمّدَ بنَ ماجد (ديوان ص ١٥) . وفي سنة ٦٠٦هـ كان منحدراً من بغدادَ الى البصرة يَحْمِلُ تجارةً من الحديد (ديوان ، ص ٢٤٠) . ثم رأيناه مراراً ، بين سَنَةَ ٦١٣ وسنة ٦١٦ هـ في بغدادَ . وفي سنة ٦١٧ هـ كان في المَوْصل (ديوان ٤٣٣، ٤٣٥) ومدح فيها الملكَ بَدْرَ الدين لُؤلؤاً؛ وفي تلك السنة لَقِيَهُ ياقوتٌ الحَمويّ صاحب معجم الادباء في الموصل . .

ثم عاد ابن المقرّب الى بغدادَ ومات فيها سنة ٦٢٩ هـ (١٢١٤ م) .

٢ - ابنُ المقرّب شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد فصيحُ الألفاظِ حتّى حينما تَكْثُرُ الكَلِمات الغَريبة أحياناً في بعضِ المقاطع من عَدَدٍ من قصائده . وعلى قصائده عُموماً أثرُ المتنبّي خاصةً وأثر أبي تمّام ، كما نرى عليها أيضاً أثرَ نفرٍ من الجاهليين منهم زهيرٌ والنابغةُ . وفُنون ابنِ المقرّبِ المدحُ والهجاء والرثاء والفخر وشيء من النسيب والوصف .

٣ - مختارات من شعره

- قال عليّ بن المقرّب قصيدة في مطلعها غزل منه :

بَعَثَتْ تُهدّدُ بالنَوى وتَوَعّدُ ؛ مَهْلاً ، فإنّ اليومَ يَتْبَعُهُ غَدُ[1] :

لا تَحْسَبي أنّ الشَبابَ وشَرْخَه يَبْقى ، ولا أن الجَمال يُخلّد[2] ؛

عَشْرٌ ويَخْلُقُ شَطْرُ حُسْنِكِ كلّه ويُذَمّ ما قد كان منه يُحْمَد[3] .

للهِ أيامُ الصِبا إذ دارُنا حَجْرُ القُرى، ولنا بأجْلَةَ مَعْهَدُ[4] .

---

(١) بعثت : أرسلت (المحبوبة) ... النوى : البعاد ، الفراق (تهددني بأنها ستبتعد عني) . توعد = تتوعد : تهدد . اليوم يتبعه غد : تتبدل الحال.

(٢) شرخ الشباب : أول الشباب.

(٣) -(بعد) عشر (سنوات) سيخلق (بضم اللام ، أو بضم الهمزة وبكسر اللام : يتغير ، يمّحي ، يزول) ....

(٤)... إذ (حينما كانت) دارنا (في) حجر (بفتح الحاء أو كسرها أو ضمها وبسكون الجيم) : عاصمة البحرين . حجر القرى : أكبر القرى (البلدان) التي حول حجر. أجلة (بفتح الهمزة أو كسرها مثل دجلة) موضع باليمامة (قا ٣ : ٣٢٧ ، راجع ٣٧٤ ، السطر ١٢) . - نشتوفي مكان ونصيف في مكان آخر .

إذ لِمَتي تحكي الغُدافَ ، وإنّما أشهى الشُعورِ الى العيونِ الأسودُ[1] ؛
والخدّ من ماء الشبابِ كأنّما فيه لأحداقِ الكواعبِ مَوْرِدُ[2] .
كم لَيْلةٍ طالت فقصّر طُولَها شَدْوُ المَزاهِرِ والغزالُ الأغْيَدُ ،
وتَرَنُّمُ الأوتارِ في يَدِ قَيْنَةٍ غَنِجٍ يَدينُ لها الغَريضُ ومَعْبَدُ[3] .
إن تُنْكِري شَيْبي ، أمَيْمَ ، فطالما كُنتُ الأودَّ وغَيْرِيَ المُتَوَدِّدُ[4] ؛
ولطالما أبْصَرْنَني –فَعَثَرْنَ في أذْيالِهِنَّ– الفاتناتُ النُهَّدُ[5] .
فاستَخْبِري فِتْيانَ قومِكِ أيُّهم يُغْني غَنائي أو يقومُ وأقْعُدُ[6] ؛
قد أحْمِلُ العِبْءَ الثَقيلَ ، وبعضُهم فيه يُصَوِّبُ طَرْفَه ويُصَعِّدُ[7] .
واذا تَشاجَرَتِ الخصومُ فإنّني سَيْفٌ على الخصمِ الألدِّ مُجرَّدُ[8] !

– وقال ابن المقرّب في عتاب قومه والفخر بنفسه :

.... أوَلَيْسَ جَهْلاً أنْ تُسيمَ بمَرْتَعٍ أكلتْ به المِعْزى لُحومَ رُعاتِها[9] ؟
أعْرَبْتُ حينَ دَعَوْتُ ، إلاّ أنّه لا يَبْلُغُ الأمواتَ صوتُ دُعاتِها[10] .

---

(١) اللمة (بكسر اللام) : الشعر في مقدم الرأس . الغداف : الغراب .

(٢) « فيه لأحداق الكواعب مورد » استعارة بارعة . الاحداق جمع حدقة (بفتح ففتح) : سواد العين (العين) . الكواعب جمع كاعب : الفتاة اذا كعب (بفتح ففتح ففتح) ثدياها (تدورا وبرزا) . المورد : المكان حيث يرد الناس للشرب وللاستقاء . – حينما كانت الفتيات الجميلات يكثرن من النظر الى خدي الممتلىء بماء الشباب وكأنهن يشربن منه (لحاجتهن اليه) .

(٣) غنج (بفتح فكسر) للمذكر وغنجة للمؤنث . والشاعر أضطر الى استعمال اللفظ المذكر مكان اللفظ المؤنث . أو لعله قصد غنج (بفتح ففتح . فيكون قد وصف المؤنث بالمصدر الذي يكون حينئذ نعتاً بلفظ واحد للمذكر والمؤنث . والغنج : الشكل (بكسر الشين) والدلال والتحبب الى الرجل بالغزل . يدين : يخضع ، يقر (بالفضل) . الغريض ومعبد : مغنيان بارعان كانا في العصر الأموي .

(٤) ان تنكري ، تكرهي . أميم = يا أميم (أميمة) . كنت الأود وغيري المتودد : كنت أحب الرجال الى النساء ، وكان كل الرجال غيري يتوددون الى النساء (فلا يأبه النساء لهم) .

(٥) عثرن في أذيالهن (بأذيالهن) من الدهشة (لجمالي وقوتي) .

(٦) يغني غنائي : يفيد ويدفع الحوادث مثلي . المشهد : حضور القتال وغيره . يقوم (ينجح بالعمل) وأقعد (أعجز عنه) .

(٧) يصوب فيه طرفه ويصعد : يتأمله من أعلى الى أدنى ومن أدنى الى أعلى متعجباً منه متهيبا لا يستطيع الإقدام عليه .

(٨) تشاجر الخصوم : اشتبك الأعداء (في الحرب أو الجدال) . الالد : الشديد العداوة .

(٩) أسام الغنم : أرسلها الى المرعى (يقصد : لا يريد أن يبقى في وطنه) . أكلت به المعزى لحوم رعاتها : كناية عن جحود قومه لحقه .

(١٠) أعرب الرجل : تكلم كلاماً واضحاً مفهوماً . – الموتى لا يستطيعون أن يسمعوا صوت الذي يدعوهم .

فارْغَبْ بنفسِكَ أن تُقيمَ ببلدةٍ عصفُورها يسطو بشُهْبِ بُزاتِها[1] .

إنْ يَرْضَ قَوْمي الهُونَ فيَّ ، فطالَما عَمْداً أهَنْتُ النفسَ في مَرْضاتِها[2] .

كم قدْ غَدَوْتُ ورُحْتُ غيرَ مُقَصِّرٍ في لَمِّ فُرْقَتِها وجَمْعِ شَتاتِها[3] .

ولقد عَصَيْتُ بها العَذولَ ، ولم أُذِعْ ما بانَ – للأعداء – من عَوْراتِها .

حامَيْتُ عن أعقابِها ، ورَمَيْتُ عن أحسابِها ، وسَهِرْتُ في نَوْباتِها[4] .

قومي سُراةُ رَبيعةٍ وملوكُها ؛ وإذا نُسِبْتُ وُجِدتُّ في سَرَواتِها .[5]

ولَرُبَّ لاحٍ قال لي ، وجفُونه شَكْرَى إلى الآماقِ من عَبَراتِها[6] :

« هَوِّنْ ؛ فقومُكَ – يا عليُّ – حَياتُها كمماتِها ومَماتُها كحياتِها .

لَوْ كانَ فيها من هُمامٍ ماجِدٍ ، لَمْ تُسْقَ مُرَّ الضَيْمِ من راحاتِها ! »

٤ – ديوان ... أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن المقرّب ... بن ابراهيم القليبونيّ الاحسائي ، مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠٧ هـ ؛ (عليه شرح مختصر) ، بومبي ١٣١١ هـ ؛ – ديوان عليّ بن المقرّب العيوني (مع شرحه للشيخ عبد العزيز أحمد العويصي) ، دمشق (منشورات المكتب الاسلاميّ) بلا تاريخ .

•• بروكلمان ١ : ٣٠٢ ، الملحق ١ : ٤٦٠ ؛ زيدان ٣ : ٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٧٥ – ١٧٦ .

عِزُّ الدين بنُ الاثير

١ – هو عِزّ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ مُحمّدِ بنِ عبدِ الكريمِ

---

(١) الباز الأشهب (الأبيض) نادر وقدير في الصيد . عصفورها يسطو على بزاتها : كناية عن تحكم الرعاع بأهل الرأي . (٢) الهون : الهوان : الذل . يعامل « قوم » معاملة المؤنث .

(٣) الغدو : الخروج باكراً في الصباح . الرواح : الرجوع في المساء الى المبيت . – قضيت أوقاتي كلها في جمع جهود قومي والعمل على رقيهم .

(٤) الأعقاب جمع عقب (بفتح العين وبسكون القاف أو كسرها) : الولد وولد الولد (حافظت على مستقبلها) رميت (السهام) : دافعت . الأحساب جمع حسب (بفتح ففتح) : العمل الحميد (الصيت الحسن) . النوبات جمع نوبة : (أيام المصائب) .

(٥) السراة جمع سريّ : الرجل الماجد الكريم الشريف الوجيه . السروات جمع سراة : ما ارتفع من الارض (كناية عن النسب الشريف وعلو المكانة) .

(٦) اللاحي : العاذل ، اللائم ، الشاتم . شكرى : ملأى ، مملوءة . المأق والمؤق : طرف العين . العبرات : الدموع .

ابن عبدِ الواحدِ الشَيْباني الجَزَرَي ، نِسْبَةً الى جَزيرةِ ابنِ عُمَرَ (في شَمالِيّ الشامِ والعِراق) حيثُ وُلِدَ في ٤ جُمادى الأُولى من سنة ٥٥٥ هـ (١٣/ ٥/١١٦٠ م). وفي سَنَةِ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) انتقل مَعَ أُسرته الى المَوْصِل وأتمّ تحصيلَ علمه فيها . وفي سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) كان يُقاتلُ الإفْرَنْجَ الصَليبيينَ في الشام . ثمّ إنّه تنقّل بين المَوْصل وبَغْدادَ والحِجازِ والشام مِراراً ، وكان أينما حلّ يَلْتَقي بالعُلماء ويَزْدادُ منهم علماً . وكانت وفاتُه في الموصل في شَعْبانَ ٦٣٠ (أيار — مايو ١٢٣٣ م).

٢ — كان عزّ الدين بنُ الأثير إماماً في الحديث والتاريخ عارفاً بأنْسابِ العرب وأيامهم ؛ له مؤلّفاتٌ يَهُمّنا منها :

(أ) تاريخُ الكاملِ بَدَأَهُ بآدمَ ووَقَفَ به في آخرِ سنة ٦٢٨ هـ . وقد اعتمد ابنُ الأثير في النصف الأوّل من كِتابِه كتابَ الطَبَرِيّ فجرّده من الأسانيد ونَسّق الأحداثَ ، مَعَ أنّه ظلّ يَتّبع التَرتيبَ الحَوْلي (على السنين) . وقد خالفَ الطبريّ في بعض الأمور ، فإنّ الطَبَرِيّ لم يَقْبَلْ من أيامِ العَرَبِ في الجاهلية مثلاً إلاّ يومَ ذِي قارٍ وَحْدَه ، بينما ابنُ الأثير قد سَرَدَ أخبارَ عدد كبير من تلك الأيّام . أما قيمة تاريخِ الكاملِ فهي في القِسْمِ الثاني منه ، وخصوصاً في أخبار حروبِ الإفرنجِ الصَليبيين التي كان في حياتهِ شاهِدَ عِيانٍ لها .

(ب) أُسْدُ الغابةِ في معرفةِ الصَحابةِ ، وهو كتابٌ في تَراجِمِ أصحابِ رسولِ الله مُرتّبٌ على الأحرفِ الهِجائية .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة الكامل في التاريخ :

.... أمّا بعدُ ، فانّي لم أزَلْ مُحِبّاً لمطالعةِ كُتُبِ التواريخ ومعرفة ما فيها ، مُؤْثِراً للاطّلاعِ على الجَلِيّ من حوادثها وخافيها ، مائلاً الى المعارف والتجاربِ المُودَعَةِ فيها . فلمّا تأمّلتُها رأيتُها متباينةً في تحصيلِ الغَرَض ..... فمن بَيْنِ مُطَوِّلٍ قد اسْتَقْصى الطُرُقَ والرواياتِ ، وبين مُخْتَصِرٍ قد أخَلّ بكثيرٍ ممّا هو آتٍ ..... والشرقيّ منهم قد أخلّ بذِكْرِ أخبارِ الغَرْبِ ، والغربيّ قد أهملَ أحوالَ الشرق .....

فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف كتاب جامع لأخبار ملوك الشرق .

والغربِ وما بَيْنَهما لِيكونَ تَذْكِرَةً لي أُراجعُه خوفَ النسيان ، وآتي فيه بالحوادثِ والكائناتِ من أولِ الزمان مُتَتابِعَةً يتلو بعضُها بعضاً الى وقتِنا هذا .....

فابتدأت بالتاريخِ الكبير الذي صنّفه الامامُ أبو جعفرٍ الطَبَرِيُّ ، إذ هُوَ الكتابُ المُعوَّلُ عند الكافّة عليه والمرجوعُ عند الاختلافِ إليه . فأخذتُ ما فيه من جَميعِ تراجِمِه لم أُخِلَّ بترجمةٍ واحدةٍ منها . وقد ذَكَرَ هو في أكثرِ الحوادث رواياتٍ ذَواتِ عددٍ كلٌّ روايةٌ منها مثلُ التي قَبْلَها أو أقلُّ منها ؛ وربّما زادَ الشيءَ اليسيرَ أو نَقَصَه . فقَصَدت أتمَّ الرواياتِ فنَقَلْتُها وأضَفْتُ إليها من غيرها ما ليس فيها وأوْدَعْتُ كلَّ شيءٍ مكانه ، فجاء جميعُ ما في تلك الحادثةِ على اختلافِ طُرُقِها سِياقاً واحداً .

فلمّا فَرَغْتُ منه أخذتُ غيرَه من التواريخ المشهورة فطالَعْتُها وأضَفْتُ منها الى ما نقلْتُه من تاريخ الطبريِّ ما ليس فيه ..... و (قد) ذكرتُ في كلِّ سَنَةٍ لكلِّ حادثة كبيرةٍ مشهورةٍ ترجَمَةً تَخُصُّها . فأمّا الحوادثُ الصِغارُ التي لا يَحْتَمِلُ منها كلٌّ شيءٍ ترجمةً فإنّني أفردتُ لجميعها ترجمةً واحدةً في آخرِ كلِّ سَنَةٍ ..... وذكرتُ في آخرِ كلِّ سَنَةٍ مَنْ تُوُفّيَ فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء .

ثمّ إنّ نَفَراً من إخواني وذَوي المعارِفِ والفضائل من خُلاّني .... رَغِبوا إليَّ في أن يَسْمَعوه مِنّي لِيَرْوُوهُ عنّي ، فاعتذرتُ بالإعراض عنه وعَدَمِ الفَراغ منه .... وطالتِ المراجعةُ مُدّةً ، وهم للطلب ملازمون وعنِ الإعراض مُعْرِضون. وشرَعوا في سماعه قبلَ إتمامه وإصلاحه .....

فبينما الأمرُ كذلك إذ برزَ أمرُ مَنْ طاعتُه فرضٌ واجبٌ واتّباعُ أمرِه حُكْمٌ لازبٌ[1] .... من أحيا المكارمَ وكانتْ أمواتاً ، وأعادَها خَلْقاً جديداً بعدَ أن كانت رُفاتاً[2] .... المَلِكُ الرحيمُ المُظَفَّرُ بدرُ الدين رُكْنُ الإسلامِ والمسلمين مُحْيي العدلِ في العالمين[3] . فحينَئِذٍ ..... جَعَلتُ الفَراغ (منه) أهمَّ مطلبٍ ؛ وإذا

---

(١) لازب : لاصق ، ثابت ، لازم .
(٢) الرفات : الحطام (كل شيء اذا تهرأ وتفتت) ، بقايا جثث الأموات :
(٣) هو أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الملقب بالملك الرحيم من بني زنكي ، ولد سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) . كان وزيراً للملك القاهر ناصر الدين محمود الذي تولى الموصل (٦١٦ — ٦٣١ هـ) ثم تولى الملك الرحيم نفسه حكم الموصل مدة طويلة من سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) الى سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) . ولا ريب في أن الملك الرحيم استعجل ابن الأثير في اتمام كتابه حينما كان الملك الرحيم وزيراً .

أرادَ اللهُ أمراً هيأ له السبَب. وشرَعتُ في إتمامه .... وقد سمَّيتُهُ اسماً يُناسب معناه ، وهو :الكامل في التاريخ.

ولقد رأيتُ جماعةً ممّنْ يدّعي المعرفةَ والدراية ويظُنُّ بنفسه التبحُّرَ في العلم والرواية يحتقرُ التواريخَ ويزْدَريها ويُعْرِضُ عنها ويُلْغيها، ظنّاً منه أنّ غايةَ فائدتِها انّما هو القِصَصُ والأخبار ، ونِهايةُ معرفتِها الأحاديثُ والأسمار[1] . وهذه حالُ مَنِ اقتصرَ على القِشْرِ دون اللُبِّ نَظَرُه، وأصبحَ مخشلباً[2] جَوْهرُه . و (لكنْ) مَنْ رَزَقَهُ اللهُ طبعاً سليماً وهداه صِراطاً مستقيماً عَلِمَ أن فوائدَها كثيرةٌ ومنافعُها الدُنيويّة والأُخروية جَمّة غزيرة ....

٤ – أسد الغابة في معرفة الصحابة (جمعيّة المعارف) ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٠ ه الى ١٢٨٦ ه (؟) .

اللباب في معرفة الانساب (فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٣٥ م ؛ = اللباب في تهذيب الانساب . القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٧ ه .

الكامل في التاريخ (تحرير تورنبرغ) ، ليدن (بريل) ١٨٥١– ١٨٧١ م[3]؛ بولاق١٢٩٠ه ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ ه ؛ القاهرة (مطبعة حلبي ومصطفى) ١٣٠٣ ه ؛ (صحّح أصوله عبد الوهّاب النجّار) ، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٤٨ – ١٣٥٧ ه ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٥ – ١٩٦٧ م .

الدولة الأتابكية (مسلولة من « الكامل في التاريخ » ، الموصل ؛ = التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (تحقيق عبد القادر أحمد طليمات) ، القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٩٦٣ م.

« الحروب الصليبية » (مسلولةمن « الكامل في التاريخ) (باعتناء ديفريمري) ، باريس ١٨٧٢م.

** ابن الأثير الجزريّ المؤرّخ ، تأليف عبد القادر أحمد طليمات (أعلام العرب ٨٣) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والنشر – فرع مصر ، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

طبقات الشافعيّة ٥ : ١٢٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ – ٣٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٩٣٧ ؛ العبر ٥ : ١٢٠ – ١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ ، الملحق ١ : ٥٨٧ – ٥٨٨؛ زيدان ٣ : ٨٧ – ٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٤ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٣ .

---

(١) الاسمار جمع سمر (بفتح ففتح) : الحديث في الليالي (للتسلي به) .

(٢) مشخلباً جوهره : مزيفاً لؤلؤه . والمشخلب كلمة عامية (من لهجة النبيط : الفلاحين الآراميين من أهل العراق) تطلق على نوع من الخرز يشبه اللؤلؤ.

(٣) أصدر تورنبرغ نفسه لهذه الطبعة فهرساً على الأحرف الهجائية في جزئين ، ليدن (ابريل) ١٨٧٤ – ١٨٧٦ م .

ابن عنين

١ ــ أصلُ قومهِ من الأنصار من أهلِ المدينة هاجروا الى الكوفة ثُم انتقلوا إلى حوران ثم نَزَحوا الى دِمَشْقَ .

وُلِدَ ابن عُنينٍ شَرَفُ الدين أبوالمحاسنِ محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ الحُسينِ بنِ محمد ابنِ عليٍ بنِ محمدِ بن غالبٍ في دِمَشْقَ في التاسعِ من شَعبانَ ٥٤٩ هـ (٢٠/ ١٠/ ١١٥٤ م) . وسَمِـعَ الأدبَ والنحو والفِقْه على نفرٍ منهم أبو الثناء الشَيْزريّ وابنُ عساكرَ وقطبُ الدين النيسابوريّ وكمال الدين الشَهْرَزوريّ .

وبدأ ابنُ عنينٍ قولَ الشعر باكراً (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) . في أيامِ الملكِ العادلِ نورِ الدين محمودِ بنِ زَنْكي ، ولم يكنِ الملكُ العادلُ يُقَرِّبُ الشعراء فانصرفَ ابنُ عنينٍ إلى الهِجاء المُرِّ والنَقْد المؤلم يتناولُ بهما جميعَ الناسِ وأهلَ الدولة. ثمّ استولى صلاحُ الدينِ على دِمَشْقَ (٥٧٠ هـ) ــ ولم يكنْ أيضاً فارغاً للشعراء ــ فاستمرّ ابنُ عنينٍ في الهجاء والنقد فضَجِرَ منه أهلُ الدولة وأقنعوا صلاحَ الدين بإبعادِه عن دِمَشْقَ .

تَطوَّفَ ابنُ عنينٍ في الشامِ والعراقِ والحِجاز واليمن والهند وما وراء النهر فلم يَلْقَ حَظْوةً عند أحد إلاّ في الريّ عند فخرِ الدين الرازيّ (٦٠٦ هـ) فغَرَفَ من عِلمهِ ومن عَطاياه . ثم انتقلَ ابنُ عُنين من الري وجَعَلَ يتردّدُ بين الحِجاز ومِصْرَ للتجارة .

وعَمَدَ ابنُ عنينٍ الى استرضاء الأيوبيّين فمَدَحَ الملك العادلَ (أخا صلاح الدين) . ثمّ دخل الشامَ وكان فيها الملكُ المعظّمُ عيسى بنُ الملكِ العادلِ فنالَ عندَه حَظوةً وأصبَحَ شاعراً ونديماً له ووزيراً . وبَقِيَ ابنُ عنين وزيراً للملكِ العادل ثمّ لابنه الناصرِ (٦٢٤ ــ ٦٢٦ هـ) . وأخيراً اعتزلَ في بيته ــ وكان قد بَلَغَ من الكِبَرِ عتِياً ــ حتى تُوُفِّيَ في العشرين من ربيعِ الأوّل سنة ٦٣٠ هـ (٤/ ١/ ١٢٣٣ م) في دِمَشْقَ .

٢ ــ ابنُ عنينٍ شاعرٌ مُقِلٌّ بالاضافة إلى طول عُمُرِه . ومَعَ أن شِعرَه متفاوتٌ في الجودة فإنّ جزالةَ الألفاظ ومتانةَ التركيب تَغلبانِ عليه ، ولكن بما استعمل في مواقف هَزْلِه شيئاً من ألفاظِ العامة وتراكيبهم .

وأكثرُ قولِ ابنِ عنينٍ في الهجاء ثم المديح ، ورثاؤه قليلٌ جداً . وهوَ فاحشُ الهجاء يتوثّبُ به على العامّة والخاصّة . وله أوصافٌ بارعةٌ وشيءٌ من الغزل والحكمة وكثيرٌ من الأغراض الوُجْدانية تَعرِضُ له فيقولُ فيها رَويّةً أو بديهةً . وله في الألغاز والأحاجي باعٌ طويلة . وله من الكتب : التاريخ العزيزي (ترجمة الملك العزيز *) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ عنينٍ يمدحُ الملكَ العادلَ ويستأذنه في العَوْدة الى دِمَشْقَ :

ماذا على طَيْفِ الأحبّةِ لو سَرَى ، وعلَيْهِم لو سامحوني بالكَرى[1] ؟

جَنَحوا الى قولِ الوُشاةِ وأعْرضوا ؛ واللهُ يعلَمُ أنّ ذلك مُفترى .

يا مُعْرِضاً عنّي بغيرِ جِنايةٍ ، إلاّ لِما رَقَشَ الحَسودُ وزَوّرا[2] ،

لا يُجْمَعَنّ عَلَيّ عَتْبُكَ والنّوى ؛ حسبُ المُحِبِّ عُقوبةً أن يُهْجَرا .

فسقَى دِمَشْقَ ووادِيَيْها والحِمى متواصلُ الإرعادِ مُنْفَصِمُ العُرى[3] .

ارضٌ إذا مَرّت بها ريحُ الصَّبا حَمَلَت عنِ الأغصانِ مِسْكاً اذْفَرا[4] ؛

فارقتُها لا عن رِضاً ، وهجرتُها لا عن قِلىً ، ورَحَلْتُ لا مُتَخَيِّرا[5] ،

أسعى لرزقٍ في البلادِ مُفرَّقٍ ، ومن البَليّةِ أن يكونَ مُقَتَّرا[6] .

ولقد قطعتُ الارضَ طَوراً سالكاً نَجْداً ، وآوِنَةً أجِدُّ مُغَوِّرا[7] ،

وأصونُ وجهَ مدائحي مُتَقَنِّعاً ، وأكُفُّ ذَيْلَ مطامعي مُتَسَتِّرا .

قالوا ، وقد خاطَ النُعاسُ جفونَهُم : «اينَ المُناخُ ؟» فقُلْتُ : «جِدّوا في السُرى» ؛[8]

لا تَسأموا الإدْلاجَ حتى تُدْرِكوا بِيضَ الأيادي والجَنابَ الأخْضرا[9]

في ظلِ ميمونِ النقيبةِ طاهرِ الـ أعْراقِ منصورِ اللواءِ مُظَفَّرا[10] :

---

* عماد الدين أبو الفتح عثمان (ابن صلاح الدين الأيوبي) سلطان مصر (٥٨٩ – ٥٩٥ هـ) .

(١) سرى : سار ليلا . طيف الكرى (النوم) : الخيال يرى في النوم .

(٢) رقش : نقش ، لون بألوان مختلفة (كذب في القول) .

(٣) متواصل الارعاد : غيم كثير الرعد . منفصم (محلول) العرى (الرباط) ، كناية عن كثرة المطر .

(٤) أذفر : شديد الرائحة (الطيبة أو المنتنة). المسك الاذفر : المسك الجيد جداً .

(٦) مقتر : قليل .

(٧) النجد : الارض المرتفعة. الغور : الارض المنخفضة . جد : أسرع في السير .

(٨ و ٩) المناخ : النزول ، انتهاء السفر . السرى والادلاج : السفر ليلا .

(١٠) ميمون (مبارك) النقيبة (النفس والعقل والطبيعة). الاعراق : الاصول . – كريم النفس وكريم الأصل .

العادلِ المَلِـكِ الذي أسمـاؤه   في كُلِّ ناحيةٍ تُشَرِّفُ مِنْبرا[1] .
بينَ الملوكِ الغـابرين وبينَـه ،   في الفضلِ ، ما بين الثُريّا والثَّرى[2] .
لا تَسْمَعَنَّ حديثَ مَلْكٍ غيرِه ،   يُرْوى؛ فكُلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفَرا[3] .
نَسَخَتْ خَلائِقُهُ الكريمةُ ما أتى   في الكُتْبِ عن كِسْرى الملوكِ وقيصرا[4] ؛
مَلِكٌ اذا خَفَّتْ حُلومُ ذوي النُهى   في الرَوْعِ ، زاد رَزانةً وتَوقُّرا[5] .
يعفو عن الذنبِ العظيمِ تَكَرُّمـاً ،   ويَصُدُّ عن قولِ الخَنـا متكبّرا.
ولـه البنونَ بكـلِّ أرضٍ منهم   مَلِكٌ يقودُ الى الأعادي عسكرا ،
من كلِّ وضّاحِ الجبينِ تَخالُـهُ   بَدْراً، فإن شَهِدَ الوَغى فغَضَنْفَرا! [6]

ـ سيطر الصليبيّون حيناً على شماليّ مصر ثمّ تصدّى لهم الملك الكامل (ابن الملك العادل أخي صلاح الدين) وهزمهم ، فقال ابن عنين قصيدة منها :

سَلُوا صَهَواتِ الخيلِ يومَ الوغى عنّا   ـ إذا جُهِلَتْ آياتُنا ـ والقَنا اللُدْنا[7] ،
غَداةَ لَقِينا دونَ دُمياطَ جَحْفَلاً   من الروم لا يُحْصى يَقيناً ولا ظَنّا[8] ؛
قد اتّفقوا رأيـاً وعَزْمـاً وهِمّةً   ودِيناً ، وانْ كانوا قد اختلفوا لِسْنا[9].
وأطْمَعَهُمْ فينا غُرورٌ فأرْقَلوا   إلينا سِراعاً بالجِياد وأرْقَلْنا[10] .

---

(١) أسماؤه في كل ناحية تشرف منبراً : تتلى على المنابر (يدعى له) في البلاد الكثيرة التي يحكمها .
(٢) الثريا : مجموع نجوم . الثرى : التراب ، الارض . ما بين الثريا والثرى : فرق عظيم .
(٣) الفرا : حمار الوحش . كل الصيد في جوف الفرا : مثل معناه حمار الوحش أفضل من كل طريدة يصيدها الانسان (لكبره وجودة لحمه) .
(٤) – كسرى : ملك الفرس . قيصر : ملك الروم . نسخت أخلاقه ما جاء عن ملوك الفرس والروم : أبطلته ، انست الناس الاعمال المجيدة التي قام بها ملوك الروم والفرس .
(٥) في الروع : يوم الخوف (الحرب) .
(٦) الوغى : الحرب . الغضنفر : الاسد .
(٧) اسألوا صهوات (ظهور) الخيل يوم الوغى (الحرب) عنا (عن شجاعتنا وانتصارنا) واسألوا أيضاً القنا (الرماح) اللدن (اللينة : التي تنحني ولا تنكسر ، كناية عن جودتها) اذا جهلتم آيـاتنا (أعمالنا المجيدة) .
(٨) الجحفل (الجيش العظم) من الروم (الافرنج الصليبيين – وكـان العرب في العصور الوسطى يطلقون لفظ الروم على النصارى عامة) . لا يحصى يقينا (بالتدقيق) ولا ظنا (بالتقدير والتخمين) ، أي بجيش كبير جداً .
(٩) اللسن (بكسر اللام وسكون السين) : اللغة .   (١٠) أرقل أسرع .

فما بَرِحَتْ سُمْرُ الرماحِ تَنُوشُهُم بأطرافِهـا حتّى استجاروا بِنا مِنّا[1].
سَقَيْناهُمُ كأساً نَفَتْ عنهمُ الكَرى؛ وكيفَ ينامُ الليلَ من فَقَدَ الأمنا![2]
لقد صَبروا صَبْراً جميلاً ودافعوا طويلاً؛ فما أجْدى دِفاعٌ ولا أغْنى[3].
لَقُوا الموتَ من زُرْقِ الأسِنّةِ أحمراً فألْقَوْا بأيْديهِمْ إلَيْنا فأحْسَنّا[4].
وما بَرِحَ الإحسانُ منّا سَجيّةً توارَثُها عن صِيدِ آبائِنا الأبنا[5].
مَنَحْنا بقاياهُمْ حياةً جديدةً فعاشوا بأعناقٍ مُقَلّدَةٍ مَنّا[6].
ولو مَلَكوا لم يأتَلوا في دِمائنا وُلوغاً، ولكنّا مَلَكْنا فأسْجَحْنا[7].
فكم من مليكٍ قد شَدَدْنا إسارَهُ، وكم من أسيرٍ من شقا الأسر أطْلَقْنا[8].
أسودُ وغىً، لولا قِراعُ سيوفِنا لما رَكِبوا قيداً ولا سَكنوا سِجْنا[9].

٤ – ديوان ابن عنين (نشره خليل مردم)، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٩٤٦ م.

** شاعر دمشق محمد ابن عنين، تأليف محمّد ياسين الحموي، دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٢ (؟) الوافي بالوفيات ٥ : ١٢٢ – ١٢٧؛ معجم الادباء ١٩ : ٨١ – ٩٢؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٥ – ٤٠٨؛ طبقات الاطباء ٢ : ٢٣ – ٢٥؛ العبر ٥ : ١٢٢–١٢٣؛ شذرات الذهب ٥ : ١٤٠ – ٩٤٣؛ بروكلمان ١ : ٣٨٧ – ٣٨٨ . الملحق ١ : ٥٥١؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٢؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٣٤٨.

---

(١) تنوشهم : تتناولهم وتأخذهم (تطعنهم).

(٢) سقيناهم كأساً (أنزلنا بهم الموت والقتل). نفت عنهم الكرى (أبعدت عنهم النوم، أطارت نومهم). (٣) أجدى : أغنى (فعل ماض) : نفع، أفاد.

(٤) لقوا منا الموت الأحمر (الشديد) من زرق الاسنة (السنان : الحديدة الجارحة في رأس الرمح، ولونها قريب من اللون الأزرق). فألقوا بأيديهم الينا. استأسروا لنا : استسلموا (قبلوا ان يكونوا أسرى في أيدينا) فأحسنا (معاملتهم).

(٥) ما برح (ما زال). سجية : طبيعة، عادة. الأصيد : الملك ذو القوة. الأبنا=الأبناء.

(٦) منحنا (أعطينا) بقاياهم (الذين لم يموتوا منهم في المعركة). فعاشوا بأعناق مقلدة (مطوقة، فيها قلادة أو طوق) منا (بفتح الميم) منة (بكسر الميم) فضلا او تفضلا. – عاشوا بقية حياتهم يعترفون بجميلنا وفضلنا عليهم.

(٧) لو ملكوا (لو ملكونا، لو انهم هم أسرونا أو حكموا فينا) لم يأتلوا (لم يقصروا) في دمائنا ولوغاً (ولغ الكلب في الدم : شرب منه) : لم يرحمونا فقتلونا قتلا شديداً مهيناً. «ملكنا فأسجحنا» مثل لفظه : «ملكت فأسجح» (بفتح الهمزة وكسر الجيم) .... عامل بالرفق والاحسان.

(٨) أسرنا منهم أسرى كثيرين وأنقذنا كثيرين منا كانوا أسرى في أيديهم.

(٩) هم أقوياء وشجعان، ولولا قراعنا نحن بالسيوف (لولا حسن قتالنا وشدته) لما استطاع أحد غيرنا أن يأسرهم أو يتغلب عليهم.

بهاء الدين بن شداد

١ – هو بهاءُ الدينِ أبو العزِّ يوسفُ بنُ رافعِ بنِ تميمِ بنِ عُتْبةَ بنِ محمّدِ بنِ عتّابٍ الأسديُّ المعروفُ بابنِ شدّاد . وكان بهاءُ الدين لا يزالُ صغيراً لمّا تُوُفّي أبوه فنشأ عند أخوالِه بني شدّادٍ فانتسَبَ إليهم فعُرِفَ بابنِ شدّاد . ثمّ انّه غيّرَ كُنْيَتَهُ أبا العزِّ فجعلَها أبا المحاسن .

وُلِدَ بهاءُ الدينِ بنُ شدّادٍ في المَوْصِلِ في عاشرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٣٩ (٦–٣–١١٤٥ م) .

في سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جاء الى المَوصِلِ أبو بكرٍ يحيى بن سَعْدون القُرْطبي (ت ٥٦٧ هـ) فلازمَهُ ابنُ شدّادٍ منذُ نزولِه في الموصلِ الى حينِ وفاتِه وقرأ عليه كثيراً من العلوم : قرأ عليه القرآنَ الكريمَ بالقراءات السَبْعِ وبالتفسيرِ وروى عنه مُعْظَمَ كُتُبِ الحديثِ ومعظم كتبِ الأدب وكثيراً من كتب اللغة ؛ وأخذ الفِقْهَ عن أبي البركات بن الشيرجي (ت ٥٧٤ هـ) والحديثَ عن مجدِ الدين الطوسي (ت ٥٧٨ هـ) والخلاف بين المذاهب الفِقْهيّة عن الضياء بن أبي حازم . وسمع الحديثَ أيضاً عن فخر الدينِ أبي الرضا سعيدِ بن عبدِ الله بن القاسم الشهرزوريّ . .

وبعد أن تأهّلَ ابنُ شدّادٍ للتدريس جاء الى بغدادَ (٥٦٥هـ) فرُتِّبَ مُعيداً في المدرسة النظامية . ولكن لمّا أنشأ القاضي كمالُ الدين أبو الفضل محمّدُ بنُ الشهرزوريّ مدرسةً في الموصل عادَ ابن شدّادٍ الى الموصل وتصدّر للتدريس فيها .

وفي سنة ٥٨٣هـ (١١٨٨ م) حجّ ابنُ شدّاد . ثم لمّا عاد من الحجّ اتّصل بالسلطان صلاحِ الدين الأيّوبيّ فعيّنه صلاحُ الدين قاضياً في عسكرِه وقاضياً في بيت المقدس . وقد ظلّتْ لابن شدّاد حَظوةٌ عند صلاح الدين وعند أولاده مدّة طويلة . وفي سنة ٥٩١ هـ استقدمَ الملكُ الظاهرُ ابنُ صلاحِ الدين بهاءَ الدينِ ابنَ شدّادٍ الى حَلَبَ وعيّنه قاضياً فيها . وكانت حَلَبُ في ذلك الحين قليلةَ المدارس ، كما كانَ العلماء فيها قليلين ، فأنشأ ابن شدّادٍ فيها مدرسةً وداراً للحديث فكثُرَ وُرودُ الفقهاء الى حلب.

وكانتْ وفاةُ بهاء الدينِ بن شدّادٍ في حَلَبَ في رابـــعِ عَشَرَ صَفَرَ سَنَةَ ٦٣٢ (٧–١١–١٢٣٤ م) .

٢ – برع بهاءُ الدين بنُ شدّادٍ في قراءاتِ القرآنِ الكريمِ وتفسيرِه وفي الحديثِ

والفقه خاصة وكان ثقة فيها . ولابن شداد تصانيف منها : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (في سيرة صلاح الدين الأيوبي ، اعتمد فيه في الاكثر على سيرة صلاح الدين ليحيى بن أبي طيء حميد بن ظاهر بن علي الحلبي الغساني المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) — سيرة الملك الظاهر بيبرس — تاريخ حلب — دلائل الأحكام — كتاب في الأقضية سماه : ملجأ الحكام عند التباس الأحكام — الموجز الباهر في الفقه — كتاب في الحديث — كتاب فضل الجهاد (جمعه للسلطان صلاح الدين الأيوبي) — كتاب العصا .

٣ — مختارات من آثاره

— من كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » .

ذكر شجاعته (شجاعة صلاح الدين الأيوبي) :

« وكان — رحمه الله — إذا اشتدت الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنيب[1] ويخرق العسكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الأطلاب[2] ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها. وكان يشارف العدو ويجاوره[3] ، رحمه الله . ولقد قرئ عليه جزءان من الحديث بين الصفين ، وذلك أني قلت له : قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة، ولم ينقل أنه سمع بين الصفين[4] . فإن رأى المولى أن يؤثر عنه ذلك كان حسناً . فأذن في ذلك ، فأحضر جزءه كما أحضر من له به سماع ، فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي تارة ونقف أخرى .

وما رأيته استكثر العدو أصلاً ولا استعظم أمرهم قط . وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير تذكر بين يديه الأقسام كلها ويرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه . ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف الأكبر بمرج عكا حتى القلب ورجاله ، ووقع الكوس والعلم[5] ، وهو — رضي الله عنه — ثابت القدم في نفر يسير حتى انحاز الى الجبل يجمع الناس ويردهم

---

(١) جنيب : يركب (الصبي) حصاناً الى جانبه . في طبعة محمد محمود صبح (ص ٤١) جنيب (مفسرة في الحاشية رقم ٣ : أي تمر) . وفي تاج العروس (١ : ١٩٢ ، السطر ٢٤) : تمر (ثمر النخل) جيد ز.

(٢) الطلب (بكسر الطاء) : الذي يطلب شيئاً ويرغب فيه ...

(٣) يشارف العدو (يقف على مرتفع ينظر اليه منه) ويجاوره (يتقدم سائراً في محاذاته) .

(٤) بين الصفين: بين الجيشين (في الحرب) .

(٥) المصاف : مكان الصف . المصاف الأكبر : ترتيب المعركة الكبرى . القلب : القسم الاوسط (والأكبر) من الجيش . الكوس (بضم الكاف) : الطبل . وكانت تلك الموقعة سنة ٥٨٥ هـ .

ويُخَجِّلهم حتّى يَرْجِعوا . ولم يَزَلْ كذلك حتّى نُصِرَ عسكَرُ المسلمين على العَدُوِّ في ذلك اليوم وقُتِلَ منهم زُهاءُ سبعة آلافٍ ما بين راجلٍ وفارسٍ . ولم يَزَلْ – رحمه الله – مُصابراً لهم وهم في العُدّةِ الوافرة الى أن ظَهَرَ له ضَعْفُ المسلمين فصالحَ وَهوَ مسئولٌ من جانبِهم[1] ، فانّ الضَعْفَ والهلاك كان فيهم (في الإفرنج) أكثرَ ، ولكنّهم كانوا يَتَوَقّعون النَجْدة ولا نَتَوَقّعها . وكانتِ المصْلَحةُ في الصُلْح ، وظَهَرَ ذلك لمّا أَبْدَتِ الأقضيةُ الالهية والأقدار ما في مَكْنوناتِها[2] .

وكان – رحمه الله – يمرَضُ ويَصِحّ وتَعْتَريه أحوالٌ مَهولةٌ ، وهو مُصابِرٌ ومرابطٌ ؛ وتتراءى النــاران[3] ونسمَعُ منهم صوتَ الناقوس ويسمعون منّا صوتَ الأذانِ إلى أنِ انقضتِ الوَقْعةُ على أحسنِ حالٍ وأيسرِه .

٤ – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (تحرير شولتنس) ، ليدن ١٨٣٢ ، ١٨٧٥ م ؛ = سيرة صلاح الدين الأيوبي (باعتناء شركة طبع الكتب العربية) مصر (مطبعة المؤيّد) ١٣١٧ هـ ؛ (تحرير جمال الدين الشيال) ، القاهرة (١٩٦٤ م) ؛ صححه وحقّقه محمّد محمود صبح) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ .

* وفيات الأعيان ٣ : ٤٢٨ – ٤٤١ ؛ العبر ٥ : ١٣٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٥٨ –١٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٦ ؛ الملحق ١ : ٥٤٩ – ٥٥٠ ؛ زيدان ٣ : ٦٨ – ٦٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٣ –٩٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٣٠٦ .

عُمَرُ بنُ الفارِض

١ – ولد عُمَرُ بنُ الفارضِ في القاهرة في رابع ذي القَعدة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) في أُسرة غير فقيرة . وبدأ حياتَه الصوفية بالاعتكاف والتعبّد في جبل المُقَطّم ، شَرْقَ القاهرة ؛ وكان كثيرَ العبادة يصوم الأيامَ الطوالَ . ثم اتفقَتْ له رِحْلةٌ إلى الحجاز حيث مكثَ نحو خمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً . فلما عادَ الى القاهرة ازدادَ مكانةً عند العامة والخاصة ، فكان إذا مشى في المدينة ازدحمَ الناسُ عليه يلتمسون منه البركة والدعاء .

---

(١) وهو مسؤول من جانبهم : مسؤول عنهم وعن سلامتهم .

(٢) أبدت الاقدار ما في مكنوناتها : ما هو محجوب عن علم البشر (ظهر صواب ما فعل صلاح الدين) .

(٣) صابر : حاول أن يصبر أكثر من خصمه . رابط : أقام في المكان الذي يخشى منه قدوم العدو . تتراءى الناران : تقترب نار الخصم من نار خصمه (في الحرب كان يشعل الجيش ناراً في مقدمة المعسكر) .

ومن صفاته انه كان معتدلَ القامة ، وَجْهُهُ جميلٌ حَسَنٌ مُشرَّب بحُمْرة ظاهرة . وكان اذا تَواجد وغلبتْ عليه الحالُ ازدادَ جمالاً ونوراً وتَحَدَّر العرَق من جسده . وتوفي ابن الفارض بالقاهرة في ثـاني جمادى الاولى من سنة ٦٣٢ هـ (٢٣ / ١٢ / ١٢٣٥ م) .

٢ ــ كان ابن الفارض في غالبِ أوقاتِه دَهِشاً شاخصَ البصر لا يسمَعُ من يكلِّمُه ولا يراه . وقد يكونُ ــ وهو على هذه الحالِ ــ واقفاً أو قاعداً او مضطجعاً او مستلقياً كالميْت لا يأكُلُ ولا يشرَبُ ولا يتكلّم ولاَ يتحرَّك . وربما مرَّ عليه في هذه الحال أيامٌ ، قيل كانتْ تبلُغُ اربعينَ يوماً احياناً . وبَقِيَ مرة واحدة خمسين يوماً صائماً .

اما الشعر فكان يَنْظِمُه في اثناء تلك الغَيْبات : يُفيق في اثناء غَيْبتِه مرةً بعدَ مرةٍ فيُملي ثلاثينَ بيتاً او اربعين او خمسين مرةً واحدة .

ديوانُ ابنِ الفارضِ صغيرُ الحجمِ ومقصورٌ على الشِعْر الصوفي : في الحبِّ والخمْرِ . وفيه مُعْظَمُ تعابيرِ الصوفيةِ ، وخصوصاً في التائيةِ الكُبْرى التي تبلُغُ سبْعَمائةٍ وستينَ بيتاً . وابن الفارض هو الشاعرُ الصوفي الثاني بعدَ جلالِ الدين الروميّ (ت ٦٧٢ هـ) .

ومَعَ أن شعرَ ابنِ الفارضِ ينوء بضَعْفٍ كثيرٍ من التكْرار والغُموض والتَخلْخُل ، ومن الإسرافِ في الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية ، فإنه شعرٌ عَذْبٌ أنيقٌ في أكثرِ الأحيان . والرَمْز فيه غايةٌ في البراعة وحُسْن الإشارة .

وتدورُ أغراضُ ابنِ الفارض على الحُبِّ الإلهي الذي يقوم على الاتّحاد ، أي الاعتقادِ بأنّ جميعَ مظاهرِ الوجودِ متساويةٌ في الشرفِ والقيمة لأنها في الحقيقة تمثِّلُ جوانبَ من الالوهية : إن البحرَ والجبلَ والإنسان والطير والمَسْجِدَ والكنيسة وبيتَ الأصنامِ والنارَ كلَّها تمثّلُ الالوهيةَ في جانبٍ دون جانبٍ . فشاربُ الخمرِ في الحانةِ والمتعبّد في بيت عبادته يفعلانِ فعلاً واحداً يمثّلُ حقيقةً واحدةً في مظهرينِ مختلفينِ .

واللهُ يتبدّى لكلِّ مُحِبٍّ في محبوبه: فان مجنونَ ليلى قد أحبَّ اللهَ في صورة ليلى ، كما أن ليلى قد أحبّتِ اللهَ في صورةِ قيسٍ . وبما أن قيساً لم يُحِبَّ الا اللهَ لمّا أحبَّ ليلى ، وكما أن ليلى لم تُحِبَّ إلاّ اللهَ لمّا أحبّتْ قيساً ، فإن قيساً قد أحبَّ في الحقيقة نفسَه .....

لديوان ابنِ الفارضِ شرحان مشهورانِ : شَرْحٌ لبدر الدينِ الحسنِ بنِ محمدِ الدِمَشْقِيِّ الصَفّوريِّ المشهورِ بالبُوريني (ت ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م) يقومُ على اللغة والنحو والبلاغة ، ثم يتخطّى إلى المعاني الصوفية . والبوريني لم يَشْرحِ التائية الكُبرى . وقد كان البوريني نفسُه صوفياً معتدلاً .

ثم هنالك شرحٌ للشيخ عبد الغنيِّ النابلسي (ت دمشق ١١٤٣ هـ) : علّق النابلسيّ على شرح البوريني ثم أكّدَ المعانيَ الصوفيةَ وأوْغَلَ في التفسيرِ والتأويلِ . ولا غروَ فلقد كان النابلسي متصوّفاً مستغرِقاً .

٣ — مختارات من شعره

— سائق الأظعان .... : قصيدة غزلية ذات معان صوفية معتدلة ، وهي مبنية على التغزّل بالحجاز وأهله ، منها :

سائقَ الاظعانِ — يَطوي البِيدَ طَيْ — مُنعِماً عَرّجْ علَى كُثبانِ طَيْ .
وَضَعَ الآسِي بصَدْري كَفَّه ، قال : ما لي حيلةٌ في ذا الهُوَيّ(١) !
أوْعِدوني ، أو عِدوني ، وامْطُلوا ؛ حُكْمُ دينِ الحبِّ دَيْنُ الحبِّ لَيْ(٢)
بل أسيئوا في الهوى أو أحسنوا ؛ كلّ شيءٍ حسنٌ منكم لَدَيّ .
لم يَرُقْ لي منزلٌ بعد النَقا ، لا ولا مستحسَنٌ مِنْ بعدِ مَيْ .
ما رأتْ مثلَكِ عيني حسناً ، وكمِثْلي بِكِ صَبّاً لم تَرَيْ .
نَسَبٌ اقربُ في شَرْعِ الهوى ، بيننا من نسبٍ من أبَوَيْ .
ليتَ شِعري هل كَفَى ما قد جَرى ، مُذْ جرى ما قد كَفى من مُقلَتَيّ ؟

— هو الحب .... : قصيدة غزلية فيها إيغال وشيء من الوصول ومبدأ الاتّحاد ، منها :

هو الحبّ ، فاسلَمْ بالحشا ، ما الهوى سَهْلُ فما اختارَه مُضْنىً بـه وله عَقْلُ(٣) ؛
وعِشْ خالياً ، فالحُبّ راحتُه عناً ، وأوّلُـه سُقـمٌ وآخِرُه قتـلُ .

---

(١) الآسي : الطبيب . الهوي : الحب الصغير .

(٢) اوعدوني : فعل امر من أوعد : هدد . عدوني : فعل امر من وعد . الدين : العادة . من عادة الحب ان يحكم بان ديون الحب تمطل ولا يوفى بها .

(٣) المضنى : المريض الذي ينتكس مرة بعد مرة.

نصحتُكَ علماً بالهوى ، والذي ارى ... مخالفتي ؛ فاخترْ لنفسِكَ ما يحلو[1] .
أحِبّايَ انتمْ ، أحسَنَ الدهرُ امْ اسا ، ... فكونوا كما شِئتُمْ انــا ذاكَ الخِلّ .
وتعذيبُكُم عذبٌ لــديّ وجَورُكم ... عليّ ، بما يقضي الهــوى لكمُ ، عدل .
اخذتم فؤادي وهو بَعْضي ،فما الذي ... يَضُرّكُمُ لو كان عندكُمُ الكُلّ ؟
اذا انْعَمَتْ نُعْمٌ عــليّ بنظــرةٍ ... فلا أسعدتْ سُعدي ولا اجملتْ جُمل[2] .

– الفائية : قلبي يحدثني : قصيدة غزلية ظاهرها بعيد جداً عن المعاني الصوفية قريب من الغزل المادي الصريح :

قلــبي يُحدّثني بــأنّك مُتلفي . ... روحي فِداكَ ، عرَفت ام لم تَعْرِفِ .
يا اهلَ وُدّي – انتمُ أمَلي ، ومَنْ ... ناداكُمُ : يا اهلَ وُدّي ، قد كُفي –
عودوا لمــا كُنْتم عليه من الوفــا ... قِدْماً ، فإني ذلك الخِــلّ الوفي .
وحياتِكم وحياتِكم قَسَماً ، وفي ... عُمري بغيرِ حياتِكم لم أحْلِفِ ،
لو أن روحي في يدي ووَهَبْتُها ... لِمُبشّري بقدومِكُمْ لم أُنْصِف .
لا تحسَبوني في الهوى مُتصنّعــاً ؛ ... كَلَفي بِكم خُلُقٌ بغير تكلّف[3] .
ولقد أقولُ لِمَنْ تحرّشَ بالهــوى: ... عرّضتَ نفسَكَ للبَلا فاستَهْدِف[4] ؛
انت القتيلُ بأيّ مــن احْبَبْتَه، ... فاخترْ لِنفسِكَ في الهوى مَنْ تصطفي[5] .
قل للعَذول : « أطلتَ لوميَ طامعاً؛ ... ليس المَلام عــنِ الهوى مستوقفي .
دَعْ عنكَ تعنيفي وذُقْ طعمَ الهــوى ، ... فإذا عَشِقْتَ فبعــدَ ذلك عَنّف » .
برِحَ الخَفاءُ بحبّ من لو في الدُجى ... سَفَرَ اللِثامَ لقُلْتُ: يا بدرُ ، اختف[6] !
وإنِ اكتفى غيري بطَيْفِ خيالــهِ ... فأنا الذي بوِصالــه لا أكتفــي .
وهواهُ – وهو أليّتي ، وكفى بــه ... قسماً أكادُ أُجِلّــه كالمُصْحَف[7] –

(١) نصحتك (بان تمتنع عن الحب) ، وارى لك (ان تحب) ، فاختر من هذين ما تشاء .
(٢) اذا اولتني نعم (كناية عن الالوهية) نظرة واحدة فلا ابالي بعدها بسعدى ولا بجمل (كناية عن النساء) ولا بغيرهما .
(٣) الكلف : الحب الشديد .
(٤) استهدف (فعل امر) : استعد بان تجعل نفسك هدفاً للبلاء .
(٥) ان كل من تحبه سيكون حبه سبباً في قتلك ، فاحبب من يستحق ان تكون قتيل حبه .
(٦) سفر : كشف .
(٧) الألية : اليمين ، القسم .

لو قال تيهاً : «قِفْ على جمر الغَضى » لوَقَفْتُ مُمْتَثلاً ولم أتَوَقّف[1] ،
او كان مَنْ يرضى بخدّيَ مَوْطِئاً لوضَعْتُه أرْضاً ولم اسْتَنْكِف .

ـ وأهمّ قصائد عمر بن الفارض وأشهرها عند الباحثين في التصوّف « التائية الكبرى »[2] ، وقد جمعت كثيراً من معاني التصوف وألفاظه حتّى قيل إنّ محيي الدين ابن عربي (انظر ، تحت ، ص ٥٤٢) كتب الى عمر بن الفارض يقول : « ابعث لي بشرح للتائية الكبرى » . فردّ عليه ابن الفارض قائلاً : « لقد شرحتها أنت في كتابك : الفتوحات المكيّة[3] » .

لقد تركتُ الأبيات المختارة من التائية الكبرى بلا شرح إلاّ قليلاً لأنّ الالفاظ اللغوية فيها فصيحة والتراكيبَ النحوية سهلة، ولكنّ المعاني الصوفية عميقة معقّدة ؛ وقلّما يفيد شرحُها اللغوي والبياني توضيحاً لمداركها الصوفية . من هذه القصيدة[4] :

سقتني حُميّا الحبّ راحةُ مُقلتي ، وكأسي مُحيّا من عن الحبّ جلّتِ[5] .
فأوهمت صَحبي أن شُرب شرابهم به سرّ سرّي في انتشائي بنظرة .
فلو قيل: من تهوى؟ وصرّحت باسمها ، لقالوا: « كنى أو مسّه طَيف جِنّة »[6] .
أغار عليها أن أهيم بحبّها ، وأعرِف مقداري فأنكر غَيرتي .
أمّت إمامي في الحقيقة ، فالورى ورائي ؛ وكانت حيث وجّهت وِجهتي .
ولا غروَ أن صلّى الامام إليّ أن ثوت في فؤادي وهي قِبلة قِبلتي[7] .
لها صلواتي في المقام أقيمها ، وأشهد فيها أنّها لِيَ صلّت[8] .

---

(١) الغضى : نوع من الشجر تكون ناره شديدة جداً .

(٢) تسمى هذه القصيدة أيضاً « نظم السلوك » (الطريق التي يسلكها الصوفي في حياته الروحية) : وسميت « التائية الكبرى » لأنها تتألف من سبعمائة وستين بيتاً ، تمييزاً لها من التائية الصغرى (وهي مائة وأربعة أبيات) .

(٣) الفتوحات المكية كتاب لمحيي الدين بن عربي في أربعة أجزاء جمع فيه ابن عربي علوم الصوفية ، أو علوم الدين كلها معالجة من ناحيتها الصوفية على الأصحّ ؛ وفيه شيء كثير من حوادث حياته .

(٤) يحسن أن نعلم أن ابن الفارض يقصد العزة الالهية (الله تعالى) اذا هو ذكر امرأة على جهة التغزل .
أما الكلام على الخمر فرمز عن المعرفة الالهية (الواقعة في قلب الانسان من غير طريق الحواس أو طريق العقل ، بل من طريق الإلهام) . وابن الفارض يرى أن جميع مظاهر الوجود جوانب من الألوهية .

(٥) الحميا : فعل الخمر في النفوس والابدان . محيا : وجه .

(٦) كنى يكني : عبر عن شيء بغير اسمه المألوف . الجنة (بكسر الجيم) : الجنون .

(٧) ثوى : استقر .

(٨) المقام : مقام ابراهيم بجانب الكعبة . فيها = في صلاتي .

كلانا مُصَلٍ واحدٌ ساجدٌ الى … حقيقته بالجمع في كلّ سجدة.
وما كان لي صلّى سواي ، ولم تكن … صلاتي لغيري في أدا كلّ رَكعة.
وانّي التي أحببتها لا مَحالة ، … وكانت لها نفسي عليّ مُحيلتي .
بها قيس لُبنى هام ، بل كلّ عاشق : … كمجنون ليلى أو كُثيّر عزّة
وما ذلك الا أن بدت بمظاهر ، … فظنّوا سواها وهي فيها تجلّت.
ففي مرّة لُبنى ، وأخرى بثينة ، … وآونة تدعى بعزّة عزّت !
كذاك بحكم الاتّحاد بحسنها ، … كمالي بدت في غيرها وتزيّت[1]،
بدوت لها في كلّ صبّ متيّم … بأيّ بديع حسنُه وبأيّة :
ففي مرّة قيساً ، وأخرى كثيّراً ، … وآونة أبدو جميل بثينة .
وما زِلت ايّاها ، وايّايَ لن لم تزل ؛ … ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحبّت .

٤ – ديوان ابن الفارض[2] (طبع حجر) : حلب ١٢٥٧ هـ ؛ بيروت (مطبعة ابراهيم النجار) ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) ؛ ١٨٨٢ ، ١٨٨٧ م؛ مصر (طبع حجر) ١٢٧٥ هـ؛ ثمّ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٩١ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٤ م ؛ القاهرة ١٢٨٠ ، ١٢٠٠ ، هـ ، القاهرة (مطبعة محمد ابي زيد) ١٣٠١ هـ؛ ١٣٠٣ هـ .

شروح لديوان عمر بن الفارض : ديوان (ابن) الفارض (لجامعه رُشيد غالب الدحداح من شرحي البوريني والنابلسي) ، مرسليا (مطبعة أرنود) ١٨٥٣ م ؛ = القاهرة (المطبعة المصرية) ١٢٨٩ ، ١٣٠٦ هـ ؛ (على نفقة محمّد السيوفي) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ ؛ ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٢٩ هـ ؛ (بشرح حسن البوريني) ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ ، ١٣١٣هـ ؛ بولاق ١٢٨٩ هـ ؛ جلاء = الغامض من شرح ديوان ابن الفارض (اختصر تفسيره أمين الخوري من شرح البوريني) ، بيروت (مكتبة الجامعة) الطبعة الاولى ١٨٨٦ ، الطبعة الثانية ١٨٨٨ م ؛ المدد الفائض في شرح ديوان الشاعر عمر بن الفارض (للحسن بن علي نور الدين بن الفارض) ، القاهرة ١٣١٩ هـ ؛ ايضاح الغامض في تفسير ديوان ابن الفارض (بقلم ابراهيم سليم صادر) ، بيروت (مطبعة صادر) ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ م .

التائية (تحرير والّي) ، هلسنكفورس ١٨٥٠ م ؛ التائية الكبرى (تحرير هامّر بورغستال) ، فينّا ١٨٥٤م؛ (على هامش شرح الدحداح) ، القاهرة ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ ؛ منتهى المدارك (وهو شرح القصيدة التائية لابن الفارض، ألّفه سعيد الدين بن عبد الله الفرغاني) ، مصر

(١) الاتحاد : انطباق الوجود الانساني على الوجود الالهي حتّى يصبحا وجوداً واحداً . تزيى : اتخذ زياً ، ليس ثوباً معيناً (غير لباسه المألوف في الأكثر) .

(٢) لديوان ابن الفارض خاصة ولشروحه طبعات كثيرة لا سبيل الى حصرها، راجع بروكلمان (المراجع تحت).

(مكتبة الصنايع) ١٢٩٣هـ؛ كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدر للكاشي (أو الكاشاني)، ١٣١٩-١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ هـ .

خمريّة لابن الفارض ، لندن ١٩٢٣ م .

** ابن الفارض والحب الالهيّ ، تأليف محمد مصطفى حلمي ، مصر (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ؛ القاهرة (دار المعارف) ١٩٧١ م .

ابن الفارض سلطان العاشقين ، تأليف محمّد مصطفى حلمي (أعلام العرب ١٥) ، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي) ١٩٦٣ م .

ابن الفارض ، تأليف يوحنّا قمير ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م .

عمر بن الفارض من خلال شعره ، تأليف ميشال فريد غريّب ، بيروت (منشورات دار الحياة) ، زحلة بلبنان (مطابع زحلة الفتاة) ١٩٦٥ م .

وفيات الاعيان ٢ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ العبر ٥ : ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٤٩ - ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٥ -٣٠٧ ، الملحق ١ : ٤٦٢ - ٤٦٥؛ زيدان ٣ : ١٦ - ١٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ :٧٦٣ - ٧٦٦؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢١٧ - ٢١٧ .

الحاجِري

١ - هو حُسامُ الدينِ أبو يَحْيى عيسى بنُ سَنْجَرَ بن بَهْرامَ بنِ جبريلَ بن خُمارتكينَ بن طاشْتِكينَ الحاجِريُّ [1] الإرْبِليّ ، وُلِدَ في إرْبِلَ نحو سَنَةِ ٥٨٢هـ (١١٨٦ م) .

كانَ الحاجريّ جُنديّاً من أولادِ الأجْنادِ الأتراكِ ، ولا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حَياتِه إلاّ أنه كان مُعْتَقَلاً في قَلْعَةِ خِفْتيدَ ثم نُقِلَ منها إلى قلعة إرْبِـــل؛ وفي رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٢٦ (١٢٢٩ م) كان لا يزال مُعْتَقَلاً فيها . ثم انه خَرَجَ مِنَ الاعْتقال واتّصل بخِدمةِ الملك المُعظّم مُظَفّرِ الدينِ أبي سعيد كُوكُبوري صاحبِ إرْبِلَ وغيّر لِباسه وتزيّى بزيّ الصوفيــة . فلمّا تُوُفّيَ مُظفّرُ الدين كوكبوري ، في رَمَضان ٦٣٠ (١٢٣٣ م) ، غادر الحاجريّ إرْبِلَ ثم عادَ اليهـا وأقام فيها مُدّةً ؛ وكان فيها من يَتَرَصّده فَوَثَبَ عليـه فقَتَلَهُ (ثاني شَوّالٍ ٦٣٢=٢٠-٦ - ١٢٣٥ م) .

٢ - الحاجريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ تَغْلِبُ على شعرِه الرِقّةُ . ألفاظُه فصيحةٌ وتراكيبه سَهْلَةٌ ، ولكنّ تعابيره يَظْهَرُ عليها أحياناً الاستعمالُ العاميّ أو تَخْرُج عن

---

(١) نسبة الى حاجر (بلد في الحجاز) ولم يكن منها ولكنه أكثر من ذكرها في شعره فنسبه الناس اليها .

الاستعمال الفصيح . والصناعة في شعره كثيرةٌ والتكلّف ظاهرٌ . وأكثرُ شعرِه مُقَطّعاتٌ يكثرُ فيها ورودُ أسماءِ الأماكنِ في الحجاز وورودُ المدارك الصوفية . وفنونُ شعره الغزل والنسيب في المقام الاول ثم له شيءٌ من المديح والحكمة والخمر والمُجون وقليلٌ من الهجاء . وله من التوشيح ومما يشبه التوشيح كقوله (ديوان ٥٨) :

الخدّ تُوْكِي ، والخال مِسْكِي ، والوجه يَحكي بَدْرَ السماءِ .
قد رام صَدّي ، واختار بُعْدي ، فالرأيُ عندي مَوْتي بدائي !

٣ مختارات من شعره

– قال الحاجريّ في النسيب والوصف والحكمة :

مُولَعٌ بالهوى وفَرْط التّصابي ... ليس يخلو من لَوْعة واكتئابِ[١] ؛
أنْفَدَ الدمعَ واستعار دمَ القلْـ ... ـبِ حَذاراً من فُرْقةِ الأحباب .
ولَعَمْري ، لقد يَهونُ عليه ... كلّ شيء إلاّ فِراقَ الشباب .
فاذا أمكَنَتْكَ فُرْصةُ لَهْوٍ ... فاقْتَدِح من زِنادِها بشِهاب[٢]
وتَغَنّم صَفْوَ الزّمانِ – فانّ الـ ... ـعُمْرَ إن طالَ لَمْعَةٌ من سَراب[٣] –
بينَ أرضٍ مبسوطةٍ من رياض ... وسماء مرفوعةٍ من سَحاب ،
وقِيانٍ من الحَمام تَغنّى ... باتّفاقٍ في لَحْنها واصطحاب[٤] ،
ونديمٍ صافٍ على كَدَرِ الدهـ ... ـرِ سليمٍ من شُبْهَةٍ وارْتياب ؛
لم تُعَنّفْه بالمَلامِ ، وشَرّ الـ ... ـوُدّ ودٌّ مُسْتَحْدَثٌ بعِتاب[٥] .

---

(١) مولع : مشغول ، متعلق ، مغرم . فرط التصابي : الافراط أو التهور في طلب اللهو الذي يحمل عليه نشاط الشباب . اللوعة : الحرقة في القلب والألم من حب أو مرض أو هم . الاكتئاب = الكآبة : الحزن مع الانطواء على النفس .

(٢) اقتدح من زنادها بشهاب : استفد منها بجد . (الزناد : حديدة تقدح بها النار من الحجر الصوان) . بشهاب : بقدر كبير من الشرر يكاد يضيء ما حوله كما يضيء الشهاب .

(٣) تغنم : عد زمان الشباب فرصة مواتية تصفو لاندفاعك في لهو الصبا (ما دمت خالياً من تكاليف الحياة وهموم التقدم في السن) . لمعة : بارقة (مدة يسيرة) . السراب : انعكاس صورة الماء على ارض بعيدة لا ماء فيها كلما تقدمت منه ابتعد عنك .

(٤) – وحمائم تشبه القيان (النساء الجميلات المغنيات) . الاتفاق والاصطحاب في اللحن : أن تكون الألحان على موافقة نظام خاص (في الغناء الجماعي – بفتح الجيم) .

(٥) ....ود (حب ، صداقة) تجدد بعد فترة من العداوة انتهت بشيء من العتاب .

جَرِّبِ الناسَ : فالصديقُ قليلٌ فيهِمُ ، والقلوبُ ذاتُ انقلابِ !

ـ وقال في النسيب الخالصِ العَذْب :

اذْكُرْ مَلاعِبَنا برَمْلةِ حاجِرٍ ، حُوشيتَ من شِيَمِ الخَوْونِ الغادرِ[1] ؛
وَاحفَظْ عُهوداً بالحِمى عاهَدْتَني أيامَ كنتَ مُنادِمي ومُسامِري .
آثارُ ذاك القُرْبِ بين جوانحي ، وخيالُ ذاك العيشِ بَعْدُ بناظري .
جُوزيتُ مِنْكَ على التصبّرِ في الهوى ما ليس يُعْهَدُ مِنْ جَزاء الصابر[2] .
خَطَرَتْ بقلبي منك كلُّ عجيبةٍ إلاّ فِراقَكَ لم يكنْ في خاطري !

ـ وقال يَهْجو طبيباً اسمه ابنُ شمعونَ :

طِبُّ ابنِ شَمعونٍ بلا ريبةٍ حُكْمٌ على هذا الورى يَقْضي[3] ؛
ما عادَ يوماً مَنْ بهِ عِلّةٌ وعادَ موجوداً على الأرض[4] .
يَمْشي وعِزرائيلُ من خَلْفِه مُشمِّرُ الأردانِ للقَبْضِ[5] .

٤ ـ بلبل الغرام ... (ديوان الحاجري) بلا اسم مكان الطبع ١٢٨٠ ﻫ .
ديوان ... حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الاربلي المعروف بالحاجري (جمعه عمر محمّد خوجا) ، مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٥ ﻫ .

** وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨ ـ ١٣٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٥٦ ـ ١٥٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٣ ؛ زيدان ٣ : ٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٧ .

الشَوّاء الحَلَبي

١ ـ هُوَ شِهابُ الدين أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ إسماعيلَ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيمَ المعروفُ بالشواء الحلبيّ ، أصلُه من الكوفة ، لكنّه وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦ م) في حَلَبَ ونشأ فيها .

---

(١) حوشيت = حاشاك : تنزهت . شيم جمع شيمة : خليقة ، خصلة (بفتح الخاء) .
(٢) .... ما لم تجر العادة به في مجازاة الذي يصبر على الزمن لنيل مطلوبه .
(٣) حكم : سلطان ، سلطة ، قدرة . يقضي : يهلك ، يقتل .
(٤) عاد : زار (للتطبيب)... وعاد : بقي (المريض الذي عاده الطبيب ابن شمعون) موجوداً على الارض (حياً).
(٥) مشمر الأردان (أطراف ثيابه ـ كناية عن الجد والاهتمام) . للقبض : لقبض أرواح الناس .

لازمَ الشوّاءُ الحلبيّ حَلْقَةَ تاجِ الدين أبي القاسمِ أحمدَ بنِ هِبَةِ اللهِ بنِ سَعْدِ ابنِ سعيدِ بنِ المُقلّدِ بنِ الجِبْرانيّ الحلبي (ت ٦٢٨ هـ)، وكذلك عاشَرَ تاجَ الدينِ أبا الفتحِ مسعودَ بنَ أبي الفضلِ النقّاشَ الشاعرَ المشهورَ وتخرّج عليه في عَمَلِ الشِعْر .

وكانتْ وفاتُه في حَلَبَ في ١٩ من المُحَرّم من سَنَةِ ٦٣٥ (١١-٩-١٢٣٧ م) .

٢ - كان الشوّاءُ الحلبيّ أديباً فاضلاً مُتْقِناً لعلم العَروض والقوافي ولعُلوم الأدب واللغة ، وكانَ عِلْمُ اللغة يَغْلِبُ عليه ، كما كانَ حَسَنَ المُحاورة . وكان شاعراً مُجيداً مُكثِراً ولكنّ ديوانَه ضائع . أما ما بَقِيَ لنا من شِعْرِه فالغالبُ عليه أنّه مُتَقَطّعاتٌ قِصارٌ . والشواء الحلبيّ كثيرُ الإجادة في البيتين والثلاثة ؛ وفنونُ شعرِه المديحُ والغزل والنسيب وما يَعْرِضُ في الحياة الجارية . ثمّ هُوَ مُغْرَمٌ بإدخال المدارِكِ النّحْويّة في شعره .

٣ - مختارات من شعره

- قال الشوّاءُ الحلبيّ في المديح :

فتىً فاقَ الورَى كَرَماً وبأساً ... عزيزُ الجارِ مُخْضَرُّ الجَنابِ ؛[1]
ترى في السِلْمِ منه غَيْثَ جُودٍ ... وفي يومِ الكَريهةِ لَيْثَ غابِ[2] .
إذا ما سَلّ صارِمَهُ لِحَرْبٍ ... أراكَ البرقَ في كفّ السّحابِ[3] .

- وقال في شخص لا يَكْتُمُ السِرّ :

لي صديقٌ غَدا - وإن كان لا يَنْـ ... ـطِقُ إلاّ بغِيبةٍ أو مُحالِ -[4]
أشبهُ الناسِ بالصّدى : إن تُحَدِّثْـ ... ـهُ حديثاً أعادَهُ في الحالِ .

---

(١) الفتى : الرجل الشجاع الكريم . البأس : القوة . الجار : جاره عزيز (مكرم) لأنه يدافع عنه . مخضر الجناب (المكان الذي يسكنه) كناية عن الخصب والكرم .

(٢) غيث : مطر . الكريهة : الحرب . ليث غاب : أسد يحمي الغاب (جمع غابة) حيث يكون .

(٣) الصارم : السيف . البرق : لمع البرق (كناية عن الضرب بالسيف وسرعة الضرب به) . في القاموس (٣ : ٢١١) : البارق والابريق : السيف . السحاب (كناية عن الرجل الكريم الجواد) ... البرق في كف السحاب (الشجاعة مع الكرم) !

(٤) الغيبة : الكلام على الناس أو عن الناس (في غيابهم) بما يسوءهم . المحال : المستحيل ، المخالف للواقع وللعادة (الذي يبدله ناقله ، يكذب فيه) .

ـ وقال في النسيب القريب من التصوّف (وفيه اشارة ممكنة الى النجو) :

هاتيكَ ، يا صاحِ ، رُبى لَعْلَعِ ؛ ناشَدتُكَ اللهَ ! فعَرِّجْ معي[1]

وانْزِلْ بِنا بين بُيوت النَّقا ، فقَدْ غدَتْ آهلةَ المَرْبَعِ[2]

حتّى نُطيلَ اليومَ وَقْفاً على السا كِنِ أو عَطْفاً على المَوْضعِ[3] .

ـ وقال في الغزل :

ومُهَفْهَفٍ عَفّى الزمانُ بخدّهِ فكَساهُ ثَوْبَيْ لَيْلِه ونهارِه[4] .

لا مَهْدَتٌ عُذري مَحاسِنُ خَدّهِ إن غَضَّ عِنْدي منه غَضُّ عِذارِه[5] .

ـ وقال في النسيب ، وقد استعار شيئاً من اللغة ومن النحو :

أرْسَلَ صِدغاً ولَوَى ـ قاتِلي ـ صِدْغاً فأعْيا بِهِما واصِفَهْ[6] .

فخِلْتُ ذا في خَدّهِ حَيّةً تَسْعى وذا (لي) عَقْرباً واقِفَهْ[7] :

ذا أَلِفٌ لَيْسَتْ لوَصْلٍ ، وذا واوٌ ولكنْ لَيْسَتِ العاطِفَهْ[8] .

---

(١) يا صاح = يا صاحبي . لعلع : اسم مكان (كناية عن مكان يحبه الانسان) . ناشدتك الله = أقسم عليك بالله . عرج معي : تعال معي اليه (عرج على المكان : مال بناقته اليه ، أقام فيه قليلا وهو راكب ناقته) .

(٢و٣) انزل بنا : دعنا ننزل عن المطايا (النياق) ونسكن بين بيوت النقا (الخيام المنصوبة عند تلال الرمل الابيض) . آهلة المربع : فيها سكان (لأنه نبت فيها العشب !) ـ على أن الغاية من البيتين التخلص الى البيت الثالث وفيه توريتان ؛ وقفاً على الساكن (نقف نتحدث الى الساكن في تلك البيوت ؛ أو الوقف ـ قطع النفس ـ على آخر الكلمة الساكنة في القراءة) أو عطفاً على الموضع (حنواً على الموضع اذا لم يكن فيه سكان ؛ أو عطفاً على الموضع في النحو : قال الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بأظلم .

... يد : مجرورة لفظاً مرفوعة محلا (لأنها مبتدأ) . أما « ظالم » فيجوز فيها الجر (لأنها معطوفة على اللفظ) ويجوز فيها الرفع (لانها معطوفة على موضع أو محل « يد ») .

(٤) المهفهف : الضامر البطن . عفا شعر البعير طال وكثر ... ، عفى الزمان خده : غطاه بالشعر . فكساه (الزمان) ليله (من الشعر الاسود) وثوب نهاره (من خده الابيض) .

(٥) ـ (نفسر هذا البيت عكساً ورجوعاً) : ان غض عذاره (شعره الجديد النابت في خديه) فإنه ما غض منه (ما قلل قيمته) عندي ، حتى أعتذر لاستمراري في حبه (بما كان له من جمال الوجه قبل نبات عذاره) .

(٦) قاتلي : محبوبي الذي تيمني حبه أرسل صدغاً (ترك الشعر على أحد جانبي رأسه مرسلا ، متدلياً) وعقد (ربط) الشعر على الصدغ الآخر . أعيا واصفه : أعجز الذي يريد وصف ذلك عن التعبير عن جمال ذلك .

(٧) ـ أما أنا فخيل الي أن شعره المرسل على أحد صدغيه يشبه حية تسعى (تجري) وأن الشعر المعقود على الصدغ الآخر يشبه عقرباً واقفة ورافعة ذنبها الذي تضرب به (لتضربني) .

(٨) ـ أن الشعر المرسل يشبه الالف في الكتابة ، ولكنها ليست ألف وصل (التورية : في الجملة : «فاح =

٤ – ** وفيات الاعيان ٣ : ٥٣٧ وما بعد ؛ العبر ٥ : ١٤٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٧٨ – ١٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ، الملحق ١ : ٤٥٧ ؛ زيدان ٣ : ٢١ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٣٩٧ ، ٥٣٣ ؛ ؛ أعيان الشيعة ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٨٨ .

ابن سيــــدك

١ – هو أبو عبدِ الله أحمدُ بنِ عليّ بن سيدك الأواني – ربّما نسبة الى أوان ، وهو مكانٌ قُرْبَ المدينة (القاموس ٤ : ١٩٩) – ، كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٣٥ ﻫ (١٢٣٧ – ١٢٣٨ م) .

٢ – كان ابنُ سيدك الأواني شاعراً مُجيداً رائقَ الشعرِ حَسَنَ الصِناعة .

٣ – مختارات من شعره

قال ابنُ سيدك في النسيب :

سَلوا مَنْ كسا جِسْمي نَحافةَ خَصْرِهِ ... وكَلّفني في الحبّ طاعةَ أمرِهِ ،[1].
يُبَدّلُ نُكْرَ الوصلِ منّي بعُرْفهِ ... لَدَيَّ، وعُرْفَ الهَجْرِ منّي بنُكْرِه[2] :
فما تُعْرَفُ الأرواحُ إلاّ بقُربـــه ، ... ولا تُصْرَفُ الأتراحُ الاّ بذِكْرِه ؛
ولا تَنْعَـــمُ الأوقاتُ الاّ بوَصْلِه ، ... ولا تَعْظُمُ الآفاتُ الاّ بهَجْرِه.
فأُقْسِمُ بالمُحْمَرِّ من وَرْدِ خدّه ... يَميناً ، وبالمُبيَضّ من دُرِّ ثَغْرِه ،
لقد كِدتّ – لولا ضوءُ صبحِ جبينِه – ... أتيهُ ضَلالاً في دُجى لَيْلِ شَعْرِه !

٤ – ** شذرات الذهب ٥ : ١٧٠ . الوافي بالوفيات ٧ : ٢٣٨ (؟)

ابن المستوفي الإربلي

١ – هُوَ شَرَفُ الدينِ أبو البَرَكاتِ المباركُ بنُ أحمدَ بنِ المباركِ بنِ موهوبِ بنِ

= العطر» الالف ألف وصل تسقط في الكلام وتتصل الكلمتان فنقول: «فاحلعطر»؛ أو ألف الوصال «الحرف الثالث في كلمة » وصال) ، التي تجعل من الوصل الدال على معنى مادي « وصالا » دالا على الوصل الروحي بين المحب ومحبوبه . أما الشعر المعقود على الصدغ الثاني فيشبه الحرف « و » (في الرسم) ، ولكنها ليست « واو العطف » التي تعطف كلمة على كلمة (في النحو) أو تعطف قلب المحبوب على محبه .

(١ و ٢) سلوه .... أن يبدل . النكر . المنكر : المجهول ، (المكروه ، القبيح) . العرف : المعروف ، المعلوم (الجميل ، المستحب) .

غَنَيْمَةَ بن غالبٍ اللَّخْميُّ ، المعروفُ بابنِ المُسْتَوْفي[1] الإرْبِليِّ ، وُلِدَ في قلعة إرْبِلَ ، في منتصفِ شوّالٍ من سَنَةِ ٥٦٤ (تموز - يوليو ١١٧٠ م) .

قرأ شَرَفُ الدين المباركُ القرآنَ الكريمَ والادبَ على محمّدِ بنِ يُوسُفَ البَحْراني وعليِّ بنِ ريّانَ وسَمِعَ الحديثَ من حَنْبلِ بنِ عبدِ الله (ت ٦٠٤ هـ) ومن ابن طَبَرْزَد ، ولا يُعْقَلُ أنْ يكونَ قد سمع من أبي ياسرِ عبدِ الوهّابِ بنِ هبةِ الله ابن أبي حبّةَ البغداديّ (ت ٥٧٢ هـ) ، كما جاء في شذرات الذهب (٥ : ١٨٧) .

بَدأ ابنُ المستوفي حياته بالإقراء فكان يُقْرِئُ كُتُبَهُ بنفسهِ ، وقد قرأ عليه خلقٌ كثيرون منهم نَفَرٌ من الغُرباء .

وفي سَنَةِ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) في الاغلبِ وَقَعَ على ابنِ المستوفي اعتداءٌ : كان خارجاً من مسجدٍ بقُرْبِ بيتهِ ليلاً فطَعَنَهُ شخصٌ بسِكّينٍ فتلقّاها ابنُ المستوفي بذراعهِ .

وفي سَنَةِ ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) أصبح ابنُ المستوفي مُسْتَوْفياً في الديوان . ثمّ تولّى الوِزارةَ لِلْمَلِكِ المُظَفَّرِ صاحبِ إرْبِلَ ، في سنة ٦٢٨ في الاغلب (وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٨ - ٢٠٩) . ولكنّ بقاءَهُ في الوزارة لم يَطُلْ كثيراً فقد تُوُفّيَ الملكُ المظفّرُ ، في ١٨ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (٢٨ - ٦ - ١٢٣٣ م) ؛ وبعدَ شَهْرٍ (في شوّالٍ) استولى الخليفةُ المستنصرُ على مدينةِ إرْبِلَ فاعتزل ابن المستوفي في بيته . ثمّ استولى التَتَرُ على المدينة في ١٧ من شوّالٍ سنة ٦٣٤ (١٢٣٧م) فاعتصم ابن المستوفي في القلعة مَعَ جماعةٍ من الجُنْد والناس . بعدَئذٍ انتقلَ الى المَوْصِلِ وبَقِيَ فيها إلى أنْ ماتَ في الخامِسِ من المُحَرَّمِ من سنة ٦٣٧ (٧-٨-١٢٣٩ م) . وقد رثاهُ الشاعرُ شيطانُ الشامِ ابنُ النفيسِ الاربلي[2] .

٢ - كان ابنُ المستوفي الإربليّ عارفاً بِعَدَدٍ من فنون المعرفة : عارفاً بالحديث وعلومهِ وأسماءِ رجالهِ ، بارعاً في اللغة والنحو والعَروض والقوافي والبَيان ، مُحيطاً

---

(١) المستوفي هو القائم بالاستيفاء ، والاستيفاء مرتبة رفيعة في ديوان الملك تلي الوزارة . وكان بيت ابن المستوفي في اربل بيتاً كبيراً فيه جماعة من الرؤساء والادباء : تولى الاستيفاء باربل والده من قبله ، وعمه صفي الدين أبو الحسن علي بن المبارك . وعمه هو الذي نقل كتاب « نصيحة الملوك » للامام الغزالي من اللغة الفارسة الى اللغة العربية (وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٩ - ٢١٠) .

(٢) هو شمس الدين أبو العز يوسف بن النفيس الاربلي المعروف بشيطان الشام ، ولد في اربل سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) وتوفي في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (٣١ - ٣ - ١٢٤١ م) (وفيات الاعيان ٢ : ٢١٠).



بأيّام العرب وأخبارها وأشعارِها وأمثالها ، بارعاً في علمِ الديوان (الإدارة المالية) وحسابهِ وضَبْطِ قوانينه على الأوضاع المُعْتَبرة (الأحوال الجارية في العُرْف) .
ثمّ انه كان مصنّفاً ، له من الكتب : نَباهة البلد الخامل لمن وَرَدَهُ من الأماثل (تاريخ اربل) أكْثَرَ فيه من ذِكْرِ الشعراء — كتاب إثبات المُحَصَّل في نِسْبَة أبيات المُفصّل (تكلّم فيه على الأبيات التي اسْتَشْهَدَ بها الزمَخْشري في كِتابه « المفصّل » — كتاب أبي قِماشٍ (جمع فيه أدباً كثيراً ونوادرَ وغيرَ ذلك) — النظام شرح ديوان المتنبّي وديوان أبي تمّام — سرّ الصنعة .

وكذلك كان ابن المستوفي ناثراً وشاعراً وجدانياً غَزِلاً .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ المستوفي الإربلي في تفضيل السيفِ على الرمح (البياض على السُمرة) :

لا تَخْدَعَنَّكَ سُمْرَةٌ غَرّارةٌ ؛	ما الحُسْنُ إلاّ للبَياضِ وجِنْسِه :
فالرمحُ يَقْتُلُ بَعْضُه من غَيْرِه ،	والسيف يَقْتُــلُ كُلُّه من نَفْسِه [١]

— ومن أبياته في النسيب مما يُغَنّى :

يا لَيْلَةً حتّى الصباحِ سَهِرْتُها	قابَلْتُ فيها بَدْرَها بأخيه [٢] .
سَمَحَ الزمانُ بِها فكانتْ لَيْلَـةً	عَذُبَ العِتابُ بها لمُجْتَذِبيه [٣] . ؛
أحْيَيْتُها وأمَتُّها عن حاسدٍ	ما هَمُّـه إلاّ الحديثُ يَشيه [٤] .
بمُعانقي حُلْوُ الشمائلِ أهيفٌ	جُمِعَتْ مَلاحَةُ كُلِّ شيءٍ فيه [٥] ؛

---

(١) — الرمح من خشب أو قصب ويكون طويلا جداً ، والذي يقتل منه هو النصل (الحديدة الصغيرة التي في رأس الرمح) والنصل ليس من جنس الرمح . والسيف كله من حديد (ما عدا المقبض — بكسر الباء — في بعض الاحيان) ، وكل مكان منه يقتل .

(٢) — قابلت (قارنت ، فضلت) فيها (في تلك الليلة) بدرها (قمر السماء) بأخيه (ببدر الارض ، بمحبوبي الذي كان معي) .

(٣) عذب : حلا . العتاب = المعاتبة : تبادل الحديث في الفرص التي أضاعها المحب ومحبوبه من قبل . لمجتذبيه : لمتجاذبيه : للذين يتبادلون الكلام (يتحدثون) ويعاتب بعضهم بعضاً .

(٤) — أحييتها (قضيتها مع محبوبي) وأمتها (كتمتها ، حجبت أخبارها) . ما همه : ما اهتمامه ، ما لذته ، ما مقصده . الحديث يشيه = يشي به : ينقله الى أعدائنا .

(٥) الشمائل : الخصال . أهيف : نحيل الخصر ، معتدل القد .

يَخْتال مُعْتَدِلاً ، فان عَبَثَ الصبا بقوامه — مُتَعَرِّضاً — يَثْنيه[1] .
نَشْوانُ تَهْجُمُ بي عليه صَبابَتي ، ويَرُدُّني وَرَعي فأَسْتَحْيِيه[2] .
عَلِقَتْ يَدي بِعِذارِه وبِخَدِّه : هذا أُقَبِّلُه وذا أَجْنيه[3] .
لَوْ لَمْ تُخالِطْ زَفْرَتي أنفاسَه كانَتْ تَنِمُّ بِنا الى واشيه[4] .
حَسَدَ الصباحُ اللَّيْلَ لمّا ضَمَّنا غَيْظاً فَفَرَّقَ بَيْنَنا داعيه[5] !

٤ — ** وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٦ — ٢١٠ ؛ العبر ٥ : ١٥٥ — ١٥٦ ؛ بغية الوعاة ٣٨٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٨٦ — ١٨٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٩٦ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٤٩ .

ابن الدُبيثي

١ — هو جمال الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ سعيدِ (٥٢٧ — ٥٨٥ هـ) بنِ يحيى ابن عليّ بنِ الحجّاجِ المعروفُ بابنِ الدُبيثيّ — نِسبةً الى دُبَيْثا وهي قريةٌ قُرْبَ واسِط — وُلِدَ في واسِطَ يومَ الاثنينِ في ٢٦ من رَجَبَ سَنَةَ ٥٥٨ (١—٧—١١٦٣ م) .

بدأ ابنُ الدُبيثيّ تَعَلّمَهُ في واسِطَ فسَمِعَ فيها الحديثَ وقرأ العربيةَ (النحو) ثمّ رَحَلَ الى بَغْدادَ نحو سَنَة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) وتطوّفَ في العِراق والحِجاز وسَمِعَ الحديث من أبي طالبَ الكِنانيّ وابنِ شاتيل والقزّاز وابي العلاء بن عَقيل وغيرِهم وتفقّه على أبي الحسنِ هبةِ الله البوقي . وقدكان في بغدادَ من أعيانِ المُعدّلين

(١) يختال : يسير معجباً (بضم الميم وفتح الجيم) بنفسه . معتدلا : مستقيماً (جانبه يقابل هبوب الريح). عبث (لعب) الصبا (بكسر الصاد : الشباب) بقوامه (بقده) ؛ وهذا معنى جائز ولكن لا يتفق مع « متعرضاً (متجهاً بصفحة جسمه كلها ، بعرض جسمه للريح) يثنيه (يميله) . فالأصح أن نقرأ : عبثت (لعبت) صبا (بفتح الصاد : ريح الشرق الخفيفة) .

(٢) نشوان (بالرفع ، بضم آخره : أنا نشوان) : سكران . تهجم بي عليه صبابتي (حبي ، فأميل الى وصاله) . ويردني (يمنعني من فعل ذلك) ورعي (تقواي ، خوفي من الله) فأستحييه = فأستحيي منه (من ورعي ، من الله) فاترك وصاله .

(٣) علقت يدي بعذاره (بالشعر النابت على وجنتيه ، بوجهه كله) وبخده = بورد خده ، باحمرار خده ؛ (ملكت يدي جميع أنواع التمتع به) .

(٤) — لو لم تختلط أنفاسه الباردة بأنفاسي الحارة لامتلأ الجو بحرارة أنفاسي ونمت أنفاسي بنا (حملت أخبارنا) الى واشيه (الى الذين يحبون أن يشوا به ، الى أعدائه) .

(٥) اغتاظ الصباح من الليل لأن الليل جمع بيننا (مع أن العادة أن الليل يحسد الصباح ، لأن الصباح أجمع) فطلع الصباح باكراً وقام داعيه (داعي الصباح = المؤذن) ففرق بيننا (تركنا الغزل وقمنا الى الصلاة) .

(الشاهدين في المحاكم بالعدل) ثم تولّى في بغدادَ مَنْصِباً يُشْبِهَ القضاءَ . وكانت وفاتُه في بغدادَ يومَ الاثنينِ في ثامنِ ربيعِ الآخرِ من سَنَةِ ٦٣٧ (٧–١١–١٢٣٩م).

٢ – كان ابنُ الدُبيثي مقْرِئاً للقرآنِ حافظاً للحديث فقيهاً مُؤرّخاً عارفاً بالأدبِ والشعرِ وشاعراً . ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : ذَيل على تاريخ السِمعاني (وتاريخ السمعاني ذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي) – تاريخ واسط .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن الدُبيثي في الشكوى من الناس :

خَبَرْتُ بني الأيامِ طُرّاً فلم أجِدْ ... صَديقاً صَدوقاً مُسْعِداً في النوائب ؛
وأصْفَيْتُهم مِنّي الوِدادَ فقابلوا ... صفاءَ وِدادي بالقَــذى والشوائب .
وما اخْتَرْتُ منهم صاحباً وارْتَضَيْتُهُ ... فأحْمَدْتُهُ في فِعله والعواقب .

٤ – وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ – ٣٥٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٠٢ – ١٠٤ ؛ العبر : ٥ – ١٥٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٨٥ – ١٨٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٥٦ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٢ – ٤٠٣ ، الملحق ١ : ٥٦٥ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١١.

ضياء الدين بن الاثير

١ – وُلِدَ ضياءُ الدين أبو الفتحِ محمّدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الكريم بنِ عبد الواحد الشَيْباني ، سنة ٥٥٨ ﻫ (١١٦٥ م) ، في جزيرةِ ابنِ عُمَرَ (شماليّ العراق) ، ولذا يُعْرَف باسمِ ابن الاثير الجَزَريّ ، ونشأ فيها . ثم إنه انتقل معَ والده الى المَوصل لتحصيل العِلم ، فحَفِظ كتابَ الله وكثيراً من الاحاديث النبوية وطَرَفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الاشعار . وكان جُلُّ اهتمامِه بأبي تمّـام والبُحتريّ والمتنبي .

واتصل ضياءُ الدين بنُ الأثير بصلاحِ الدين الايوبي ، ٥٨٧ ﻫ (١١٩١ م) ، على يدِ وزيرِه القاضي الفاضل ، وبَقِيَ في خدمته خمسةَ أشهرٍ انتقل بعدَها إلى خدمة الملك الأفضل نورِ الدين بن صلاح الدين . وكانت حياةُ ضياء الدين سِلسلةً مُتعانقة من التنقّل في البلاد ثم استقرّ في المَوصل وأصبح رئيسَ ديوانِ الانشاء لصاحبها السلطانِ ناصرِ الدين محمودِ بنِ الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلانَ شاه ، في

سَنَةِ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) . ووجّهه ناصرُ الدين رسولاً إلى بَغدادَ فتُوُفّيَ فيها في جُمادى (الأولى أو الثانية) من سَنَةِ ٦٣٧ (أواخرِ عام ١٢٣٩ أو أوائلِ ١٢٤٠م) .

٢ — كان ضياءُ الدين بارعاً في علوم اللغة والأدب مُعْجَباً بنفسه في ذلك ومُعْتَدّاً بعلمه ، حتى نَسَبَهُ قومٌ الى الغرور . وهو شاعرٌ ومُنشىءٌ ومؤلِّف ، ولكنه في ذلك كلّه حسنُ الجمع والتخريج والتعليلِ قليلُ الابتكار مُغْرِقٌ في الصناعة المعنوية وفي الصناعة اللفظية على الاخص . وكان شعرُه ، على رِقّتهِ وعُذوبته ، ظاهرَ التقليد :

بَيْنَ لِوَى الجِزْعِ ووادي العَقيقْ ... مَنْ لا الى السُلْوان عنه طريقْ[1] .

جانٍ جَنَى النحلةِ من ريقهِ ، ... حلوُ التَثنّي والثَنايا رقيقْ[2] .

لو لم تكنْ وَجنتُه جنّةً ... ما أنبتتْ ذاك العِذارَ الأنيق[3] !

ومِثْلُ ذلك تَرَسّلُه :

« ودولَتُه هي الضاحكةُ وإنْ كانتْ نسبتُها إلى العبّاس[4] . فَهيَ خيرُ دولة أُخْرِجَتْ للزمن ، كما أن رعاياها خيرُ أُمةٍ أُخرجتْ للناس[5] . ولم يُجْعَلْ شِعارُها من لون الشباب الا تَفاؤلاً بأنها لا تَهْرَمُ ، وأنها لا تزالُ مَحبُوّةً من أبكارِ السعادة بالحُبِّ الذي لا يُسْلى والوَصْلِ الذي لا يُصْرَم . وهذا معنىً اخترعَه الخادمُ[6] للدولةِ وشِعارِها ، وَهُوَ مما لم تَخُطّه الأقلامُ في صُحُفِها ولا أجالَتْه الخواطرُ في أفكارِها » .

وكُتُبُ ضياء الدين كثيرةٌ عَدّ منها ابنُ خَلّكانَ كتاب الوَشْيِ المرقوم في حَلّ المنظوم (وهو مَعَ وَجازته غايةٌ في الحسن والإفادة) — كتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء (وهو أيضاً نهاية في بابه) — مجموع اختار فيه شعرَ أبي تمامٍ والبحتري

---

(١) لوى الجزع (الرمل الملتوي قرب الجزع ، اي المكان الذي يقطع الناس الوادي منه) ووادي العقيق مكانان في مكة .

(٢) جان : معتد ، مجرم . وجان : قاطف ، الذي يجني (يقطف الثمر) . الجنى : الثمر ، النتاج : التثني : الميل : التمايل . الثنايا : الاسنان .

(٣) الوجنة : صفحة الخد ، أعلى الخد . الجنة : المكان المزروع بالأزهار والأثمار . العذار : الشعر النابت في صفحة الخد .

(٤) العباس : عم الرسول . العباس : العابس (ضد الضاحك) .

(٥) تضمين من سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون (بفتح الهاء) عن المنكر » (٤ : ١٠٩) .

(٦) الخادم : الموظف في خدمة الدولة ، في ديوان الانشاء . يقصد ضياء الدين نفسه .

وديك الجن[1] والمتنبي (وهو مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد) — ديوان ترسّل (مجموع رسائل) — مؤنس الوحدة — المفتاح المنشا في صناعة الانشا — المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، (وهو الذي خلق للضياء الدين ابن الأثير شهرته الطائرة) .

٣ — مختارات من كتاب المثل السائر

— سبب تأليف الكتاب (من ديباجة المقدمة) :

« وقد ألّف الناسُ فيه (في علم البيان) كتباً ، وجلبوا ذهباً وحطباً . وما من تأليف الا وقد تصفّحت شينَه وسينه[2] ، وعلِمتُ غثّه وسمينه . فلم أجدْ ما يُنْتَفَعُ به في ذلك إلاّ كتابَ المُوازنة للآمديّ وكتابَ سرّ الفَصاحة للخفَاجي[3] . على أن كلا الكتابين قد أهمَلا من هذا العلم أبواباً ، ولرُبّما ذكَرا في بعض المواضع قشوراً وترَكا لُباباً . وكنتُ عثرتُ على ضُروبٍ كثيرةٍ منه في غُضون القرآن الكريم ، ولم أجدْ أحداً ممّنْ تقدّمني تعرّضَ لذِكْرِ شيءٍ منها ... وقد أوْرَدتُها ههنا وشَفَعْتُها بضروبٍ أخرَ مُدوّنةٍ في الكتب المتقدمة ، بعدَ أن حذَفْتُ منها ما حذفتُ وأضفتُ إليها ما أضفت ...

واعلمْ ، أيّها الناظرُ في كتابي ، أن مَدارَ علمِ البيان على حاكمِ الذوْقِ السليم الذي هو أنفعُ من ذوق التعليم . وهذا الكتابُ وإنْ كان في ما يُلقيه إليكَ أُستاذاً ، وإن سألتَ عمّا يُنْتَفَعُ به في فنّه قيل لك : هذا ! فإنّ الدُربةَ والإدمانَ أجدى عليك نفعاً ، وأهْدى بصراً وسمعاً ... فخُذْ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستَنْبِطْ بإدمانك ما أخطاك . وما مثَلي ، في ما مهّدتُه لك من هذه الطريق ، الا كمن طبَعَ سيفاً ووَضعَه في يمينكَ لِتُقاتِلَ به . وليس عليه أن يخلُقَ لك قلباً ، فان حَمْلَ النِصالِ غيرُ مباشرة القتال .

— مقاييس الأدب الجيد :

واعلم أنّ جَماعةً من مُدّعي علم البيان ذهبوا إلى أن الكلام ينقسم قِسْمين : فمنه ما يَحْسُنُ فيه الإيجاز كالأشعار والمُكاتبات ، ومنه ما يحسُن فيه التطويلُ

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان الحمصي (٢ : ٢٧١) معاصر ابي نواس واستاذ ابي تمام .
(٢) سينه وحسنه (؟) (٣) الآمدي (٢ : ٥٢٤) الخفاجي (٣ : ١٦٨) .

كالخُطَب والتقليدات[1] وكتب الفُتوح التي تُقْرأ في مَلأٍ من عَوام الناس ، فان الكلامَ إذا طالَ في مثلِ ذلك أثّرَ عندَهم وأفهَمَهُمْ . ولو اقتُصِرَ منه على الإيجاز والإشارة لم يقعْ لأكثرِهم حتى يُقال في ذِكْر الحرب : « التَقَى الجَمْعانِ وتطاعن الفريقانِ ، واشتد القِتالُ وحَمِي النِضالُ » ، وما جرَى هذا المجرى .

والمذهَبُ عِندي ما أذكُرُهُ : وهو أن فَهْمَ العامّةِ ليسَ شرطاً مُعْتَبراً في اختيارِ الكلام ، لأنه لو كان شرطاً لوَجَبَ — على قياسه — أن يُسْتَعْمل في الكلامِ الألفاظُ العاميّة المُبْتَذَلَةُ عِندَهم ليكونَ أقربَ الى فَهْمِهم ... وهذا شيءٌ مدفوع . وأما الذي يَجِبُ تَوَخّيه واعتمادُه فَهُوَ أن يُسْلَكَ المذهبُ القويمُ في تركيبِ الألفاظ على المعاني ، بحيثُ لا تزيدُ (تلك) على هذه مَعَ الإيضاح والإبانة . وليس على مُسْتَعْمِلِ ذلك أن يَفْهَمَ العامّةُ كلامَه :

عَليّ نَحْتُ القوافي من مَعادِنِها ؛ وما عليّ اذا لم تَفْهَمِ البقرُ[2] !

— الفصاحة :

إن الفصاحةَ هي الظهورُ والبَيانُ في أصلِ الوضع اللُّغوي . يُقال : أفصحَ الصبحُ إذا ظهر ؛ ثم إنهم يَقِفون عند ذلك ولا يَكْشِفون السرَّ فيه . وبهذا القولِ لا تَتَبَيَّنُ حقيقةُ الفصاحة لانه يُعْتَرَضُ عليه بوجوه من الاعتراضات : أحدُها أنه إذا لم يكُنِ اللفظ ظاهراً بيّناً لم يكنْ فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبيّن صار فصيحاً . والوجه الآخرُ أنه إذا كان اللفظ الفصيحُ هو الظاهرَ البيّنَ ، فقد صار ذلك بالنسَبِ والإضافات إلى الأشخاص ، فإنّ اللفظَ قد يكون ظاهراً لزيدٍ ولا يكون ظاهراً لعمرٍو ، فهو إذَنْ فصيحٌ عند هذا وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليسَ (الأمرُ) كذلك ، بل الفصيحُ هو الفصيحُ عند الجميع لا خِلافَ فيه بحالٍ من الاحوال ... الوجه الآخَرُ أنه اذا جِيء بلفظٍ قبيحٍ يَنْبو عنه السمعُ وهُوَ مَعَ ذلك ظاهرٌ بيّن ينبغي أن يكونَ فصيحاً ، وليس كذلك لأن الفصاحة وَصْفُ حُسْنِ اللفظ لا وصفُ قبحٍ .

— البــلاغة :

وأما البلاغةُ فان أصلَها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء . يقال : بلغتُ المكانَ إذا انتهيتُ اليه . ومَبْلَغُ الشيءِ مُنتهاه . وسُمِّيَ الكلامُ بليغاً من ذلك، أي أنه

(١) التقليدات : الكتب (الرسائل) التي يوجهها الخليفة بتولية الولاء والقواد والقضاة وغيرهم .

(٢) البيت للبحتري .

بلغ الأوصافَ اللفظية والمعنوية . والبلاغة شاملةٌ للألفاظ والمعاني ، وَهِيَ أخص من الفصاحة ، كالإنسانِ من الحَيَوان : فكلُّ انسانٍ حيوانٌ ، وليس كلُّ حيوانٍ إنساناً . وكذلك يقال : كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ ، وليس كل كلامٍ فصيحٍ بليغاً . ويَفْرُقُ بينَها وبينَ الفصاحة من وجهٍ غيرِ الخاصِّ والعامِّ ، وَهِيَ أنها لا تكونُ إلا في اللفظ والمعنى بشرطِ التركيب ، فإنَّ اللفظةَ الواحدةَ لا يُطلَقُ عليها اسمُ البلاغة ويُطلَقُ عليها اسمُ الفصاحة وهو الحُسْنُ ؛ وأما وصفُ البلاغة فلا يُوجد فيها لخُلُوِّها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً .

ـ قوةُ اللفظِ تابعةٌ لقوة المعنى :

ان اللفظَ إذا كان على وزنٍ من الأوزان ثم نُقِلَ إلى وَزْنٍ آخرَ أكثرَ منه فلا بُدَّ من أن يتَضمّنَ من المعنى أكثرَ مما تضمنه أوّلاً ، لأن الالفاظَ أدِلّةٌ على المعاني وأمثلةٌ للإبانة عنها . فإذا زِيدَتِ الألفاظُ أوجبتِ القِسمةُ زيادةً في المعاني . فمِنْ ذلك قولُهم : خَشُنَ واخْشَوْشَنَ . فمعنى خشن دونَ اخشوشن لما في « اخشوشن » من تَكْرار العين[1] وزيادةُ الواو . وكذلك قولُهم : أعْشَبَ المكانُ ؛ فاذا رأَوْا زِيادَةَ العُشْبِ قالوا : اعشَوْشَبَ ... ثم إن « المقتدَر » أبلغُ من « القادر » في قولهِ تعالى : « فأخذْناهُمْ أخْذَ عزيزٍ مُقتدر » . وعلى ذلك قول أبي نُواسٍ : فعَفَوْتَ عني عَفْوَ مُقتدرٍ ... أي عفوتَ عني عفوَ قادرٍ مُتمكّنٍ من القُدرة لا يَرُدُّه شيءٌ عن إمضاء قُدرته .

ـ أبو تمّامٍ والبُحتريُّ والمتنبي :

ولقدْ وَقَفْتُ من الشعر على كل ديوانٍ ومجموع ، وأنفَدتُّ شطراً من العُمُرِ في المحفوظِ منه والمسموعِ ، فألْفَيْتُهُ بحراً لا يُوقف على ساحله ... فعند ذلك اقتصرتُ منه على ما تكثُرُ فوائدُه وتتشعّب مقاصده ... وقد اكْتَفَيْتُ من هذا بشعرِ أبي تمامٍ حبيبِ بنِ أوسٍ وأبي عُبادةَ الوليدِ وأبي الطَّيِّبِ المتنبي . وهؤلاءِ الثلاثةُ هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناتُه[2] الذين ظهرتُ عـلى أيديهم حَسَناتُه ومُستحسناته . وقد حوَتْ أشعارُهم غَرابةَ المُحْدَثين إلى فصاحة القُدماء ، وجمعتْ

(١) عين الفعل في خشن هي الشين (خشن ميزانها فـ ـ هـ ـ ل) .
(٢) اللات ومناة (بفتح الميم) والعزى (بضم العين وتشديد الزاي) أسماء كان الجاهليون يزعمون أنها تطلق على ثلاث بنات لله . ـ يقصد ابن الاثير أن أبا تمام والبحتري والمتنبي هم أرباب الشعر ، أي أعاظم الشعراء .

بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء. فأما أبو تمام فإنه ربّ معان وصيقل ألباب. فهو غيرُ مدافَع عن مقام الإغراب الذي برّز فيه على الأضراب[1]. وأما أبو عُبادة البُحتريّ فأنه أحسنَ في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعرُ فغنّى. ولقد حاز طرفَي الرقّة والجزالة على الإطلاق.. وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أرادَ أن يسلُكَ مسْلكَ أبي تمام فقصّرتْ به خُطاه... لكنه حظِيَ في شعره بالحكَم والأمثال واختُصّ في الإبداع في وصف القتال... وذاك أنه إذا خاض في وصْف معركَة كان لسانُه أمضى من نصالها وأشجعَ من أبطالها، وقامتْ أقوالُه للمسامع مقامَ أفعالها حتى تظُنّ الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا... ولا شكّ (في) أنه كان يشهدَ الحروبَ معَ سيفِ الدولة بن حمْدانَ فيَصِفُ لسانُه ما أدّى إليه عيانه.

ـ كتاب كتبه الى بعض الاخوان وضمّنه ذكر الشمعة:

كتَبَ الخادمُ[2] هذا الكتابَ ليلاً وخاطرُه يُغْنيه عن الاستضاءة بمصْباح، ويكادُ يُمثّلُ له سوادَ الظُلْمة ببياض الصباح. غيرَ أنه كان بينَ يديه شمعةٌ وُضعَتْ للعادة المعتادة لا للحاجة المُرادة. وسنذكُرُ من أوصاف صورتها ما للبَيان سبْحٌ[3] طويلٌ في ذكْره، ولرُبّما كان هنالك معْنىً غريبٌ فيُنبّهَ على فحْوى سرّه. وذلك أن لها قدّاً ألفيَّ القوام[4] مُشبّهاً في نُحوله واصفراره بحال المُستهام[5]، وهيَ والقلمُ سيّان في أنهما إذا قُطِعَ رأسُهما صَحّا بعدَ السَّقام[6]....

وكانت الريحُ تتلعّب بلهَبها لدَى الخادم فتُشكّلُهُ أشكالاً: فتارةً تُبْرزُه نَجْماً، وتارةً تبرزه هلالاً. ولربّما مثّلتْه طوراً بالجُلّنارة[7] في تضاعيف أوراقها، وطوراً بالأنامل في اجتماعها وافتراقها؛ وآونَةً تأخذُه فتَلُفُّه على رأسِها

---

(١) الاضراب جمع ضرب (بالفتح): المثل والند (بالكسر فيهما).

(٢) الخادم: (هنا) المعترف بالجميل؛ رجل في منصب في الدولة.

(٣) السبح: الفراغ (المعجم الوسيط ٤١٤)، المجال.

(٤) مستقيم مثل الالف (أول حروف الهجاء).

(٥) المستهام: المحب الذي بلغ به الحب حد الهيام (بضم الهاء: الجنون).

(٦) اذا احترق جزء كبير من فتيلة الشمعة بالاضاءة قطع فيزيد ضوء الشمعة (لأن القسم المحترق من الفتيل ييبس فلا يمر فيه الزيت بسهولة). وكذلك اذا تشعث القلم (المتخذ من القصب) بالكتابة قطع شيء من رأسه فاستقام وثبت فتتحسن به الكتابة.

(٧) الجلنارة: زهرة الرمان، وهي شديدة الحمرة.

شَبَيهاً بالقِناع ثم ترفعُه عنها حتى يكادُ يُزايلُها بذلك الارتفاع [1] . فلم يزَلِ الخادمُ ينظرُ منها الى مِثْلِ هذه الصُوَرِ ويَسْتَمْلي من بدائعها بدائعَ هذه الغُرَرِ [2] . وأحسنُ الحديثِ ما وافقتْ فيـه صورةُ العيانِ معنى الخَبَر . وكما كانت الريحُ تتلعّبُ بالشمعة فتنقلُها من مِثالٍ الى مِثالٍ ، فكذلك الشوقُ يتلعّبُ بالقلبِ فينقلُه من حالٍ الى حال .....

٤ ــ المثل السائر ، بولاق (المطبعة الأميرية ١٢٨٢ هـ ؛ بيروت ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣١٢هـ؛ (تحقيق محمّد محيى الدين عبد الحميد)،القاهرة (البابي) ١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٩ م ؛ (تحرير أحمد الحوفي وبدري طبانة) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٩ م .

المرصّع في الأدبيات ، الاستانة ١٣٠٤ هـ ؛ = المرصّع في الآباء والأمهات [3] ، ويمار (سيبولد) ١٨٩٦م [4].

الوشي المرقوم في حلّ المنظوم (نشره ابراهيم الأحدب) ، بيروت (مطبعة ثمرات الفنون) ١٢٩٨ هـ .

الاستدراك في الردّ على رسالة ابن الدهّان المسمّاة « المآخذ الكندية من المعاني الطائية » (نشره حفني محمّد شرف) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٨ م .

رسائل ابن الأثير (تحرير أنيس المقدسي) ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٩ م .

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور (نشره مصطفى جواد وجميل سعيد) ، بغداد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

** الفلك الدائر على المثل السائر ، تأليف ابن أبي الحديد ، بلا ذكر محلّ للطبع ١٣٠٩ هـ .

ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ، تأليف محمّد زغلول سلاّم ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

المثل السائر لابن الاثير ، تأليف أحمد محمّد الحوفيّ ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٩ م .

ابن الأثير ومقاييسه البلاغية ، تأليف محمّد عبد الرحمن شعيب ، ١٩٥٨ .

جولة مع ابن الأثير في كتابه المثل السائر ، تأليف أحمد مختار عنبر .

وفيات الاعيان ٣ : ٦٤ ــ ٧٠ ؛ العبر ٥ : ١٥٦ ؛ بغية الوعاة ٤٠٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٨٧ ــ ١٨٩ ؛ زيدان ٣ : ٥٣ ــ ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٥٧ ــ ٣٥٧ ، الملحق ١ : ٥٢١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٥٤ .

---

(١) ــ يرى أحياناً نور الشمعة وكأنه قد انقطع من الفتيلة وسبح فوقها .

(٢) الغرة : البياض في مقدمة رأس الفرس ، الاشياء الجميلة .

(٣) نشر منسوباً الى أبي السعادات محمد بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) .

(٤) في بروكلمان (الملحق : ١ ٥٢١) : القاهرة ١٢٩٨ هـ .

مُحْيي الدِّينِ بنُ عَرَبيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله الطائي الحاتِمِيّ المعروفُ بابنِ عرَبي (من غيرِ لامِ التعريف). كان مَوْلِدُه في مدينةِ مُرْسِيَةَ من جَنوبيِّ شَرقيِّ الأندلُسِ، سَنَةَ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) في بيتِ ثروةٍ وحَسَبٍ وتُقى. ولمّا بلغَ الثامنةَ من عُمُرِه انتقلَ أهلُه إلى إشْبيلِيَةَ فبدأ هو تعلُّمَه في إشبيليةَ. بعدئذٍ دَرَسَ علومَ القُرآنِ والحديثَ والفقهَ في قُرطُبَةَ على بعضِ أتباعِ ابنِ حَزْمٍ. ويبدو أنه في ذلك الحينِ مالَ الى المذهبِ الظاهري. وفي قرطبةَ أيضاً لَقِيَ ابنُ عربيٍّ (٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م) ابنَ رُشْدٍ قاضيَ قرطبةَ يومذاك.

ولما بَلَغَ ابنُ عربيّ الثلاثين من عُمُرِه كَثُرَ تَطْوافُه في الأندلس نفسِها ثم في المَغْرِب، ثم تردّدَ مِراراً بين الأندلسِ والمغرب، حتى غادر المغربَ (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) الى المشرقِ حيثُ تردّد بين الحجازِ واليمن وآسيةَ الصُغرى والشامِ والعراقِ. وفي سَنَةِ ٦٢٠ هـ (١١٢٣ م) جاءَ الى دِمَشْقَ واستقرَّ فيها الى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٣٨هـ (١٢٤٠ م).

٢ - ابنُ عربيٍّ متعدّدُ نواحي الشخصية، فهو شاعرٌ وصوفيّ وفيلسوفٌ. ثم هو ذو مَسْلَكَيْنِ في الحياة: رَصينٌ تَقِيٌّ أمامَ الناس، مَرِحٌ متساهلٌ أمامَ أنْدادِه. من أجل ذلك عدّه قومٌ في الأولياء وعدّه آخرونَ في المَلاحدةِ. وشطَحَ ابنُ عربي أمامَ العامةِ فقال: «أنتم وما تَعبدونَ تحتَ قدمي هذهِ!» وفَهِمَ العامةُ جملَتَهُ على ظاهرِها فقتلوه. وباطنُ الجملةِ أنَّ الناسَ يعبُدون المالَ.

بلَغَ ابنُ عربي بنَشْرِه خاصّةَ ذِرْوَةَ التفكيرِ الصوفيِّ، وهو أعْظَمُ متصوّفي الاسلام - في عُمْقِ الآراء الصوفية - بعد جلال الدين الرومي[1]. ومزج ابن عربي التصوّف بفلسفة المشّائين[2] والمذهب الاسكندراني وبالعلوم الباطنة ومذهب الإشراق. وكان له ولكتبه أثر بالغٌ جداً في العرب أنفسهم وفي الفرس وفي الافرنج. وخيَالاتُ ابنِ عربي (في الفتوحات المكيّة) كانتْ عُنْصُراً أساسياً في بناء الكوميديا الالهية لشاعرِ ايطالية العظيم دانتي.

---

(١) انظر تحت في هذا الجزء: جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ).
(٢) المشاءون: اتباع أرسطو.

ومن ألقابِ ابن عربي: الشيخ الأكبر والكِبْريت الأحمر وابنُ أفلاطونَ والبحر الزاخر في المعارف الالهية .

واسلوبُ ابنِ عربيٍّ في شعرهِ ونثرِه وُجْداني أنيقٌ خالٍ من الصِناعة المقصودة . وشعرُه أقلُّ قيمةً من نثرِه وأدنى مرتبةً من شِعْرِ عُمَرَ بنِ الفارض . وفي نثرِه غُموضٌ وتعقيدٌ وتعمية ورمزٌ كثير واستطراد .

ومن كتب محيي الدين بن عربي : الفتوحات المكّية — فصوص الحكم — ترجمان الاشواق (مجموع قصائد) — الذخائر والاعلاق (مجموع قصائد) — الديوان الاكبر (ديوان ابي عربي) .

٣ — مختارات من آثاره

— من الفتوحات المكّية[١] :

قُلْتُ[٢] : اعْلَمْ — يا فصيحاً لايتكلّم وسائلاً عمّا يَعْلَمُ — أنّي لِما وَصَلْت إليه من الإيمان ونَزَلْتُ عليه في حَضْرةِ الإحسان ، أنزَلَني في حَرَمِه وأطْلَعني على حُرَمِه ؛ وقال[٣] : إنّما أكْثَرْتُ المناسِكَ رَغْبَةً في التّماسِكَ . فان لم تَجِدْني هنا وجدتني هنا ، وانِ احْتَجَبْتَ عنك في جَمْعٍ تَجَلّيْتُ لكَ في مِنَى[٤] ، مَعَ أنّي قد أعلَمْتُكَ في غيرِ ما موقفٍ من مواقِفِكَ وأشَرْتُ به إليك في غيرِ مرّة[٥] في بعضِ لَطائفِكَ أنّي وانِ احْتَجَبْتُ فَهو تَجَلٍّ لا يَعْرِفُه كلُّ عارفٍ إلاّ مَنْ أحاطَ عِلْماً بما أحَطْتَ بهِ من المعارف . ألا تراني أتَجلّى لهم في القِيامة في غيرِ الصورةِ التي يَعْرِفونها والعلامة ، فيُنْكرون رُبوبِيّتي ومنها يَتَعَوّذون وبها يَعوذون ولكنْ لا يَشْعُرون ؛ ولكنّهم يَقولون لذلك المُتَجلّي : نعوذُ باللهِ منك ، وها نحن لربّنا منتظرون . فحينئذٍ أخرُجُ عليهم في الصورةِ التي لَدَيْهِمْ فيُقِرّون لي بالرُبوبيّة ..... فهم لعلامتهم عابدون وللصورة التي تَقَرَّرَتْ عندهم مشاهدون .....

---

(١) هذه القطعة مخاطبة يتخيلها ابن عربي بينه وبين الله . وسنكتفي بشرح عدد من ألفاظها غير متعرضين للكشف عن مقاصد ابن عربي فيها .

(٢) قلت = ابن عربي يقول .

(٣) قال = قال الله .

(٤) الالتماس : الطلب . جمع ومنى مكانان في مكة .

(٥) في غير ما موقف ، غير مرة (في استعمال أهل الأندلس) : أكثر من موقف وأكثر من مرة .

- قصيدة غزلية ظاهرها بعيد عن المعاني الصوفية :

مَرَضي مِنْ مريضةِ الأجفانِ ، عَلِّلاني بذِكْـرِها عَلِّلاني[1]
هَفَتِ الوُرق بالرياضِ وناحت ، شجوُ هذا الحَمامِ ممّا شجاني[2]
بأبي طفلةٌ لَعوبٌ تَهـادى من بناتِ الخدور بـين الغواني[3]
طلعتْ في العيان شمساً ، فلما أفلَتْ أشرَقَتْ بأفْـقِ جَناني[4]
يا طلالاً برامةٍ دارسـات -كم رأتْ من كواعبٍ وحِسان[5] -
بأبي ، ثم بـي ، غزالٌ ربيـبٌ يرتعي بـين أضلُعي في أمـان[6]
ما عليهـا من نارِها فهو نُـورٌ ؛ هكذا النـورُ مُخْمِدُ النيران !
يا خليـليَّ ، عَرِّجا بِعِنـاني لأرى رَسْمَ دارِهـا بعياني
فإذا ما بلغتُما الدارَ حُطّا ؛ وبهـا ، صاحبيَّ فلتبكيـاني
وَقِفا بي على الطُلـولِ قليلاً نَتباكى ، بـل أبْكِ مما دهـاني[7]
الهوى راشقي بغيـرِ سِهامٍ ، الهوى قـاتلي بغيـر سِنان[8]
عَرِّفاني إذا بَكَيْـتُ لديها تُسْعِداني على البُكا تسعداني[9]
واذْكرا لي حديثَ هندٍ ولُبنـى وسُليمى وزينـبٍ وعِنان[10]
ثم زيـدا عن حـاجرٍ وزَرودٍ خبراً عن مـراتعِ الغزلان[11]

---

(١) من أسباب الجمال في النساء ذبول العينين فكأنهما مريضتان . عللاني بذكرها : اذكروها أمامي مراراً (فيحدث لي أمل بأنني سألقاها) .

(٢) هفا الطائر : خفق بجانحيه . الورق جمع ورقاء : الحمامة . شجو هذا الحمام شجاني : ان ما أبكى حمام الروض هو بعض ما عندي ما الحزن .

(٣) الطفلة (بفتح الطاء) المرأة اللينة الناعمة . بأبي طفلة : أبي فداؤها .

(٤) الجنان (بفتح الجيم) : القلب .

(٥) الطلال : الاطلال (آثار البيوت بعد زوالها) . رامة : اسم مكان . دارس : عاف (ممحو الآثار) .

(٦) بأبي ثم بي غزال (امرأة جميلة) : أنا وأبي فداء لغزال . ربيب : مربوب (لا يزال في طور التربية والتنشئة) ، صغير .

(٧) بل ابك مما دهاني (أصابني من السوء والقسوة) : دعني أبكي أو ابك أنت حزناً علي .

(٨) السنان : حديدة في رأس السهم أو الرمح ، سلاح .

(٩) تسعداني ؟ : هل تساعداني في البكاء (هل تبكيان معي ، لأن بكاءكما معي يخفف بعض ما أشعر به من الحزن) .

(١٠ و ١١) هند ولبنى وزينب وعنان أسماء نساء (كناية عن الحب الالهي) . حاجر وزرود اسما مكانين ، كناية عن هذا العالم الذي تتجلى فيه عظمة الله ويتجلى فيه جمال الله .

واندُباني بشعرِ قيسٍ وليلى وبمَيٍّ والمبتلى غيْلان[1] .
طالَ شوقي لطَفْلةٍ ذاتِ نثرٍ ونِظام ومِنبرٍ وبيَان[2]
من بناتِ الملوكِ من دارِ فُرسٍ : من أجلِّ البلادِ من إصبهان ،
من بناتِ العراقِ : بنتِ إمامي ؛ وانا ضدها سَليلُ يمانِي[3] .
هل رأيتم ، يا سادتي ، او سَمِعتم ان ضِدَّيْنِ قَطُّ يجتمعان ؟
لو ترانا برامةٍ نتعاطى أكؤُساً للهوى بغير بَنانِ ،
والهوى بينَنا يسوق حديثاً طيّباً مُطْرِباً بغيرِ لسانِ ،
لرأيتم ما يذهَبُ العقلُ فيه : يمنٌ والعِراقُ معتنقان[4] !
كَذَبَ الشاعرُ الذي قال قبلي ، وبأحْجار عقله قد رماني : [5]
«أيُّها المُنْكِحُ الثريّا سُهيلاً ، عَمْرَكَ اللهَ ، كيف يلتقيان ؟[6] .
هِيَ شاميةٌ اذا ما استقلتْ ؛ وسُهَيْلٌ ، إذا استقلّ ، يَماني !) »[7]

٤ ـ[8] تفسير القرآن[9] ، القاهرة (بولاق)١٢٨٣ هـ ؛ لكنهو ١٣٠١ هـ ؛ نوالكشور ١٣١٠ هـ ؛ (على هامش « عرائس البيان ») ، الهند ١٣١٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ ؛ بيروت (دار اليقظة) ١٩٦٨ م .

مناجاة الرحمن بآيات القرآن ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

أحكام القرآن (نشره محمد علي البجاوي) ، القاهرة (دار عيسى البابي الحلبي ١٩٧١ (؟) .

ردّ معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المُحكَمات ، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٣٢٨ هـ ؛ بيروت ١٩٣٢ م .

الفتوحات المكّيّة ، بولاق ١٢٦٩ ـ ١٢٧٤ هـ ؛ الطبعة الثانية ، مصر (مطبعة بولاق) ١٢٩٣ هـ ؛ القاهرة ١٢٩٠ ، ١٢٩٤ ، ١٣٢٦ هـ ؛ مصر (دار الكتب العربية) ١٣٢٩ هـ .

---

(١) قيس بن الملوح مجنون ليلى (حبيب ليلى العامرية) ، وغيلان عاشق مية (كناية عن المحبين) .

(٢) طفلة (بفتح الطاء) : المرأة اللينة الناعمة . ذات نثر (بارعة في صوغ الكلام المنثور) ونظام (شعر) ومنبر (خطابة) وبيان مقدرة أدبية عامة .

(٣) امامي : استاذي . ـ ان ابن عربي تعرض فعلا لابنة استاذه وأخرج من أجل ذلك من مكة . هي فارسية ، وأنا ضدها سليل (من نسل) يماني (رجل من اليمن) : عربي . (٤) يمن والعراق : الجنوب والشمال .

(٥و ٦) هو عمر ابن أبي ربيعة ، قال هذين البيتين لما تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكان عمر يتغزل بها (غ ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٤) .

(٧) في هذا البيت تورية (اشارة الى ان النجم « سهيلا » مطلعه جنوبي وان عنقود النجوم « الثريا » مطلعه شمالي) .

(٨) يبدو أن عدداً من المؤلفات التالية منسوبة الى محيي الدين بن عربي وهي ليست له على القطع .

(٩) لعله للكاشاني (الكاشي السمرقندي) المتوفى ٧٣٠ هـ (راجع بروكلمان ١ : ٥٧١ ، الملحق ١ : ٧٩١ ؛ فهرست الكتبخانة المصرية ١ : ١٤٠ مستشهداً به في معجم المطبوعات العربية لسركيس ١٧٧) .

فصوص الحكم . (مع شرح باللغة التركية) ، الاستانة ١٢٥٢ هـ ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٣٠٩ ، ١٣٢١ هـ ؛ ١٣٢٩ هـ ؛ (عليه تعليقات بقلم أبي العلاء عفيفيّ) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٦ م ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٤ م .
محاضرات الابرار ومسامرات الأخيار (أو : مسامرات الأبرار ومحاضرات الأخيار) في الأدبيات والنوادر والأخبار ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٢ (؟)، ١٢٨٢ هـ ، بولاق ١٢٩٢ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٥ هـ ؛ ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ)؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ ــ ١٣٢٥ (١٩٠٦م)؛ بيروت (دار اليقظة العربية) (١٩٦٨) م ؛
ديوان ابن عربي (أو الديوان الأكبر) ، بولاق ١٢٧١ هـ ؛ ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ) ؛ الهند (طبع حجر) = (لعله : بومباي بدون تاريخ)؛ (حرّره نيكلسون)، لندن (الجمعية الملكيّة الآسيوية) ١٩١١ م ؛ (تحرير ج . س . ستار)، بيروت١٨٩٤ م ؛ بيروت ١٣٢٢ هـ ؛ ١٩١٢ م (١٣٢٧) ؛
بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م .
ترجمان الأشواق ، استانبول ١٣١٦ هـ .
ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق ، بيروت (المطبعة الأنسية) ١٣١٢ هـ .
مشكاة الانوار ، حلب ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م .
تنزّل الأملاك من عالم الارواح الى عالم الافلاك (حقّقه أحمد زكي عطيّة ــ طه عبد الباقي سرور) القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦١ م .
رسالة القدس (أو رسالة روح القدس) في محاسبة (مناصحة) النفس ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨١ هـ ؛ دمشق (موسّسة العلم للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م .
العواصم من القواصم ، قسطنطينة (في الجزائر) ١٣٤٦ هـ .
شجرة الوجود والبحر المورود ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ = شجرة الكون ، القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٠ هـ .
مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم (عني بتصحيحه بدر الدين النعسانيّ) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م .
الأمر المحكم المربوط في ما يلزم أهل الطريق من المشروط (مع شرح بقلم مصطفى شريف) ؛ بذيل ترجمان الأشواق ، استانبول ١٣١٦ هـ ؛ مطبوع مع التحفة البهيّة ، استانبول ١٣٠٢ هـ = الأمر المحكم المشروط ، بيروت ١٩١٢ م ؛ (مع ذخائر الاعلاق) .
القرعة المباركة الميمونة والدرّة الثيمنة المصونة ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ ؛ بومبيء ١٣٠٠ هـ .
قرعة الطيور لاستخراج الفأل والضمير ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨١ هـ .
انشاء الدوائر ، ويليه عقلة المستوفز ثمّ يليه التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية (تحرير نوبرغ) ، ليدن (بريل) ١٣٣٦ هـ = ١٩١٩ م .
الصلاة الأكبرية (مطبوع في « مجموع ») ، بولاق ١٣٠٣ هـ .
الاخلاق ، القاهرة بلا تاريخ .



لطائف الأسرار (حققه أحمد زكي وعبد الباقي سرور) ، القاهرة لجنة التراث الصوفي) ......
«مجموعة الرسائل» — عني بجمعها محيي الدين صبري الكردي)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ .
رسائل (ابن العربي !) ، حيدر اباد (مطبعة جمعية المعارف العثانية) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
مجموعة ساعة الخبر (رسائل) ، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٤٩م.
قصيدة المعشرات : منشدة في بيان أحوال المعاد (شرحها عثمان عبد المنّان) ، الاستانة ١٣٠٦ هـ .
كنه ما لا بدّ للمسترشد المريد منه (مطبوع مع الرسالة اللدُنّيّة للغزّالي) ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
مفاتيح الغيب ، مصر ....
رسالة الى الامام فخر الدين الرازي (في « ثلاث رسائل » — نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي) القاهرة ١٣٤٤ هـ .
الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسيّة ، مصر ......
الإسفار عن رسالة الانوار في ما يتجلّى لأهل الذكر من الانوار — الاسرار (مع شرح عبد الكريم الجيلي) ، دمشق (محمّد رجب) ١٩٢٩ م .
الأنوار في ما يمنح لصاحب (يفتح على صاحب) الخلوة من الأسرار ، مصر ١٣٣٢ هـ .
تجلّيات عرائس النصوص في منصّات حكم الفصوص (مع شروح باللغة التركية لعبد الله البوسنوي) بولاق ١٢٥٢ هـ .
تحفة السفَرة الى حضرة البررة ، الاستانة ١٣٠٠ هـ .
مجموع الرسائل الالهية (عني بتصحيحه م بدر الدين النعساني) ، مصر(مطبعة السعادة) ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م.
** — جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص لعبد الغني النابلسي ، استانبول ١٣٠٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة الزمان) ١٣٢٣ هـ ؛
شرح على فصوص الحكم لعبد الرزّاق القاشاني ، مصر (المطبعة البارونية — طبع حجر) ١٣٠٩ هـ؛ مصر (طبع حجر) ١٣٢١ هـ .
شرح ملاّ عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) على نصوص الحكم ، بومباي (حجر)١٣٠٧، ١٣٢٤ ، ١٣٢٦هـ؛ (بهامش جواهر النصوص للنابلسي)، القاهرة (مطبعة الزمان)١٣٢٣ هـ ؛
شرح فصوص الحكم لمصطفى بالي بن سليمان المشهور بلقب بالي زاده أو بالي أفندي (ت ١٠٦٩هـ)، استانة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٩ هـ .
شرح (على فصوص الحكم بالتركية بقلم عارف الله ، بولاق ١٢٥٢ هـ ؛ استانبول ٨٩٧ م .
شرح (على فصوص الحكم) بقلم بالي خليفة الصوفيائي [1] (ت ٩٥٩ هـ) استانبول ١٣٠٩ هـ .
مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم المعروف في معاني فصوص الحكم لداوود بن محمود القيصري (ت ٧٥١ هـ) ، بومباي١٣٠٠ هـ ؛ = شرح فصوص الحكم قيصري ، طهران ١٢٩٩ هـ .
شرح الإسفار عن رسالة الأنوار ... لعبد الكريم الجيلي (مطبوع مع الاسفار عن رسالة الانوار) ، دمشق (محمّد رجب) ١٩٢٩ م .
اصطلاحات (مختصر اصطلاحات) الصوفية الواردة في الفتوحات المكّية (مطبوع مع «التعريفات»

---

(١) من أهالي صوفيا عاصمة بلغاريا .

للجرجرني – تحرير فلوغل) ، ليبزغ (فوغل) ١٨٤٥ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ استانبول ١٣٠٧ هـ .
مناقب ابن عربي لأبي الحسن عليّ بن ابراهيم بن عبد الله (تحرير صلاح المنجّد) ، بيروت (مؤسّسة التراث العربي) ١٩٥٩ م .
ترجمة ابن عربي لمحمّد قطة العدوى (بآخر الجزء الرابع من « الفتوحات المكيّة) ، مصر ١٣٢٩هـ.
محيي الدين بن عربي ، تأليف طه عبد الباقي سرور ، مصر (مكتبة الخانجي) بلا تاريخ (الطبعة الثانية) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥ م .
البرهان الازهر في مناقب الشيخ الأكبر ، تأليف محمّد رجب حلمي ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
ابن عربي : حياته ومذهبه ، تأليف آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م .
الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي سلطان العارفين ، تأليف عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م .
الكتاب التذكاري : محيي الدين بن عربي في الذكرى المئويّة لميلاده ، القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .
الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي ، تأليف محمود قاسم ، القاهرة (جامعة الدول العربية – معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٦٩ م .
محيي الدين بن عربي : من شعره ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٠ م .
العبر ٥ : ١٥٨ – ١٥٩ فوات الوفيات ٢ : ٣٠٠ – ٣٠٤الوافي بالوفيات ٤ : ١٧٣ – ١٧٨ ؛ نفح الطيب (بيروت) ٢ : ٢٥ – ٤٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٩٠ – ٢٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧١ – ٥٨٢ ، الملحق ١ : ٧٩٠ – ٨٠٢ ؛ زيدان ٣ : ١٠٨ – ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٠٧ – ٧١١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٠ – ١٧١ .

المكزون السنجاريّ

١ – هو الأميرُ عزُّ الدين أبو محمّدٍ حسنُ المكزونُ بنُ يوسفَ بنِ مكزونَ ابن خَضِرِ بن عبدالله بن محمد السِنجاريُّ ، نِسْبَةً الى سِنجارِ العراقِ ، يرقى نَسَبُهُ الى المُهَلّبِ بن أبي صُفرةَ ، فيما يُقال . وُلِدَ في سِنجارَ سَنَةَ ٥٨٣ هـ (١٢٨٦ م) أو قبيلَ ذلك ونشأ فيها في رِعاية والدِه فحَفِظَ القرآنَ وقرأ دواوينَ نَفَرٍ من فُحولِ الشعراء كأبي نواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتريّ والمتنبّي والشريف الرَضيّ وغيرِهم وتبحّر في الأدب الصوفيّ خاصّةً ، كما أحاط بجانبٍ صالحٍ من ثقافةِ عصرِه في الفِقْهِ وعلم الكلام والفلسفة .

وفي سَنَةِ ٦٠٢ هـ خَلَفَ المكزونُ السِنجاريُّ أباه يوسفَ في إمارة سنجار (في



قولِ من يقول إن الأُسرة كانت ذاتَ إمارةٍ) . ولمّا اشتدّتْ وطأةُ الإفرنج الصليبيّين على العَلَويّين من أهلِ اللاذقية (الساحلِ الشامي) وزادَ عُدوانُ الإسماعيلية عليهم جاء المكزونُ السنجاريّ من العراق (٦١٧ هـ) بخمسة وعشرينَ ألفَ رجُلٍ للدفاع عن قومِه فصدّه الإسماعيليون فعاد الى سنجارَ . ثمّ إنّه رَجَعَ (٦٢٠ هـ) بخمسين ألفاً وقاتل الإسماعيليةَ وقضى علـى نفوذهم وحارَبَ حُلفاءهم من الأكراد . بعدَئذ نظّم أمورَ العلويّين . ويبدو أنّه تَصوّفَ بعد ذلك وانصرفَ إلى العبادة . ولعلّ من أسبابِ ذلك أنه أُصيبَ في تلك الفَتْرةِ بمرضٍ كان يَنْتَكِسُ منه مرّةً بعد مرّةٍ حتّى مات سَنَةَ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) في قريةِ كفرسوسة بقُربِ دِمَشْقَ ، وقَبْرُهُ معروفٌ فيها .

٢ — كان أبو محمّدٍ الحسنُ المكزونُ السنجاريُّ عَلَويَّ المذهبِ عالماً بالفِقْه مُطّلعاً اطّلاعاً واسعاً على الثقافات التي حَفَلَ بها عَصْرُهُ والتي تحدّرتْ إلى عصرِه . ففي شعرِه ونثرِه دلائلُ واضحةٌ من المعرفة بالمذاهبِ الإسلامية وغيرِ الاسلامية وبأشياء من الفلسفات — وأثرُ إخوانِ الصفا عنده بارزٌ واضح ، لاتّصال مُحْتَوَيَات رسائلِ إخوانِ الصفا بالمذهب الباطني عُموماً وخصوصاً — كما كان أديباً مُصَنّفاً وشاعراً وُجْدانياً على طريقِ أهلِ التصوّف . ونَثْرُه متينُ السبكِ أنيقٌ حَسَنُ الصناعة كثيرُ الرمز . وقد وَصَلَ إلينا رسالةٌ له في أصولِ الفِقه وفروعه (عند العلويّين النصيرية) اسمُها « تزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس » (النصيرية : راجع فوق ص ٧) .

٣ — مختارات من آثاره

— من رسالة « تزكية النفس » :

الحمدُ لله المُتجلّي لأبصارِ أهلِ البصائر ، الظاهرِ بحُلَلِ البهاء في المظاهر ، العالي عن شَبَهِ المخلوقين البريء من شُبَهِ المتخلّقين ، المعنى الحقّ والاله الصدْقِ ، ذي الأمرِ الأزليّ والخالق السرمدي ، الأحدِ القادر بذاته الغنيّ عن أسمائه وصفاته .... لا تُدْرِكُهُ البصائر ولا تَحْجُبُه الستائر ... وأشهدُ أنّهُ الأحدُ لا مِنْ عَدَدٍ الظاهرُ بذاته من غير جسد ، المُنَزّهُ عن الصاحبةِ والولد ....

أمّا بعدُ فانّي لمّا رَجَعْتُ الى مدينة سنجارَ بعد الهجْرة وقد أَوَيْتُ إلى ظلّ مَدْيَنَ ووَرَدْتُ ماءها وأجَرْتُ نَفْسِيَ وقَضَيْتُ الأجلَ وأكْمَلْتُ العدّةَ وخرجتُ مُستأنساً نارَ الهداية من وادي التجلّي في مفازة الحير وسَمِعْتَ النداءَ من الشّجَرة المُباركة العالية عن حدود الأيْنِ بواسطة الداعي ووَحْيَ العقل ، سألني

من وَجَبَ حقُّه عليَّ ..... أن أُبيِّنَ الظواهرَ الأصلية ومَجازَها وحقيقتها ، والاسلامَ الذي بُنِيَتْ ظواهرُ الخَمْسِ على ظاهرِه ، والايمانَ الذي لا تُعْرَفُ بواطِنُها (بواطن الظواهر الخمس) الاّ به وأقسامَها ، ومَجازَ الإسلام وحقيقتَه ومُستقرَّ الايمان ومُسْتَوْدَعه ..... ولم أجِدْ سبيلاً للاعتذار عن تَرْكِ إجابته بادرتُ الى تقرير قواعدِها وقوانينها وإيضاحِ دلائلها وبراهينها لاشتمالها على فُروعِ شَجَرةِ طُوبى العالية عن جِهات الحَيِّزِ الدانية بقُطوفها لأفهام المخلصين للحقِّ التي حرّمَ اللهُ الفِرْدَوْسَ على الجاهلين بثمارِها الآتية أكُلُها في كلّ حينٍ ، لأنّها باطنُ ما شُرِعَ من العبادات وحقيقةُ ما دَعَتْ اليهَ الدُعاةُ ، من الصلاة والصِيام والحجِّ والزكاة والجهاد وسائرِ الأوامرِ الشرعيّات ، وعلى مَعرفتِها والإقرار بها الثوابُ ، وعلى الجاهلِ بها والمُنْكِرِ لمعانيها العِقابُ . وقد سَمّيْتُها بتزكيةِ النفسِ في معرفة بواطنِ العبادات الخَمْسِ .....

اعلم ، أيّها الأخُ البَرُّ الرحيمُ ـ جعلَكَ اللهُ ممّن استقرّتْ عندهم معرفتُه وتمّت لديهم في المَلَكوت الأعلى نِعْمتُه ـ أنّه لمّا أوْجَبَ الله تعالى طلبَ العلم على كلّ عاقلٍ استلزم ذلك الوجوبُ وجوبَ بَذْله لأهلِ على كلّ عالمٍ ، لاستحالةِ حُصولِ ما وَقَعَ به التكليف بدون المتعلّم*، وذلك على اختلافِ مراتبِ العلوم حقيقةً ومجازاً ، خصوصاً في العلومِ الخَفِيّةِ فانّها بعيدةٌ عن كَسْبِ الخيال غامضةٌ عن بديهة الفِكر محجوبة عن تصوّرِ الوَهْمِ فلا تُعْرَفُ الاّ مِنْ مبادئها ولا توجَدُ أسرارها عندَ غيرِ أهلها . وكيف تُحَصَّلُ جواهرُها بعوارضِ الأعراض وتُدْرَكُ أشِعّةُ شُموسها بالأبصار المِراض ؟.......

ـ نماذج من شعره :

ـ أمرَتْني بستْر كَشْف غِطائـي	إذ أرتْني صَباحَها في مسائي .
ودّعَتْني وأوْدَعَتْنيَ سِرّاً	في سُراها عَدَتْ به أعدائي .
ونَهتْني ، إذ نَبّهتْنيَ ، عن بَثّ	هواها إلى ذوي الأهواء .
والى الفجر أوْعَدَتْني وفيه	وَعَدَتْني الإبلالَ من بَلْوائي .
وعلى الموت بايَعَتْني وقالتْ :	من وفى لي مَنَحتُه بوفائي.
وبها إذ قَضَيْتُ نَحْبي قَضَتْ لي	بمقام الأبرار والشُهداء
ومن المَسْجِدِ الحَرام الى الا	أقصى أرَتْني أسِرّةَ الإسْراء
وبألْطافِها إليها دَعَتْني	وأرَتْني نُزولَها في سمائي ،

(١) كذا في الاصل ، اقرأ : المعلم .

بِكِتابٍ فيه شفاءُ اكتئابي من وعيد القِلى بوَعْد اللقاء :
ناطقٍ صامتٍ مُبينٍ مُعمّىً ساترٍ كاشفٍ قريبٍ نـاء ،
ظاهرٍ باطنٍ أنيقٍ عميق شاهدٍ غائبٍ عن الأغبياء .
حبّذا ما به حبَتْني ، على الهجـ ـر ، جزاءً منها لِصدْق وَلائي .
فعلَيْها ما دلّ قلبي سِواها ، وإليها لم تـدّعِني بسوائي !
– لبّيْتُ لمّا دعتْني ربّةُ الحُجُب وغِبْتُ عنها بها من شِدّة الطرب .
وأحضَرتْنيَ من غَيْبي لِيَشْهدَني جمالُها في حِجابٍ غيرَ مُحتَجِب
مشهودةٌ لا يراها في الأنام بها خلْقٌ ، وقد شُوهِدَتْ بينَ الخلائق بي
موْصوفةٌ لم أصِفْ إلاّ وَصيفتَها ، وهي العليّةُ عن نَظْمي وعن خُطَبي .
تُركيّةٌ من بلاد الهند قد ظهرَتْ ووجهُها عن بلاد التُرك لم يَغِب .
أبدى الرضا حُسْنَها في الفُرسِ فابتهجوا بحُسْنها ، واختَفَتْ في ظُلمة الغضب ،
وألْوَتِ الحُسْنَ عن أبياتِ فارسِها إلى لُؤَيٍّ فصار الحُسْنُ في العرب .
– نِهايةُ الجهلِ اجتهادُ الفتى في كَسْبِ ما ينفقُه غيرُهُ .
وشرُّ حالِ الفتى نفسه أن يتعدّى نفسَه خيرُهُ !
– يا وليَّ الخيرِ ، لا تَبْـ خَلْ على الناسِ بخَيْرِكْ .
فالرّدى خوّلَكَ المـا لَ الذي كانَ لغيرك .
وهْوَ في استرجاعِ ما ولاّكَ سيّارٌ كسَيْرك .
– غِناك عن الشيء نفسُ الغنى ، وأمّا به فهو فقرٌ إليْه .
وليسَ مِنَ الزُهدِ في رُتْبةٍ أخو رَغْبَةٍ في ثناءٍ علَيْه .
– لُذْ بالثناء على الالـ ـهِ مِنَ الهِجاءِ لِخَلْقِه ،
واستَهْدِهِ لسَبيلِهِم واستَجْدِه من رزْقِه .
فعلَيْهِ حقُّكَ واجبٌ ، إنْ أنتَ قُمْتَ بحقِّه !

٤ – معرفة الله والمكزون السنجاري ، تحقيق ودراسة للدكتور أسعد أحمد علي ، بيروت (دار الرائد العربي) ١٣٩١ – ١٣٩٢ هـ = ١٩٧١ – ١٩٧٢ م .

** الأعلام للزركلي ٢ : ٢٣٤ – ٢٤٤ (راجع ٨ : ٢١٣) .

ابن الزاهد العلويّ

هو أبو محمّد الحسنُ بنُ الأكرمِ عُرِفَ بابنِ الزاهدِ العَلَويّ ، وكان أديباً . وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ – ١٢٤٣ م) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ الزاهدِ العَلَويّ يتغزّلُ بغُلامٍ تُركيّ (ومن خصائصِ التُركِ الطبيعيةِ أنّ عيونَهم ضيّقةٌ)، وقد استخدمَ الشاعرُ التوريةَ في «ضيّق العين»: من كانت عينه ضيّقةً معنوياً (بخيلاً):

صَدّ عنّي وجاء شيئاً فَرِيّاً ... فنبَذْتُ الكَرى مكاناً قَصيّاً[1].
ورَعَيْتُ النجومَ في الليلِ حتّى ... بات طَرْفي مُوَكَّلاً بالثُرَيّا[2]،
وبراني الأسى فقُلْتُ لِقلبي: ... «ذُقْ أليمَ الغرامِ ما دُمْتَ حيّاً[3]؛
كيف تَهْوى مَنْ لا يَرِقُّ لِصَبٍّ ... قد كَوَتْ قلبَه الصبابةُ كيّاً[4]».
يا طبيبَ القلوبِ، عالجْ مريضاً ... يشتكي من جَفاك داءً دَوِيّاً[5].
تَرَكَ الحَزْمَ مَنْ أحبّ كحُبّي ... مِنْ بني التُرْكِ ظالماً تركيّاً[6].
يا بخيلاً بوصلهِ؛ ولَعَمْري، ... ضيّقُ العينِ لا يكونُ سخيّاً!

٤ ** شذرات الذهب ٥ : ٢٠٧ – ٢٠٨ .

علم الدين السخاويّ

١ – هو عَلَمُ الدين أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الصمدِ بن عبد الأحد ابن عبد الغالب الهَمْدانيُّ المِصْري السَخاوي، وُلِدَ في سَخا (مصر) سَنَةَ ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م)؛ سَمِعَ في الاسكندرية من السِلَفي وابن عَوْفٍ، وفي القاهرة من البوصيري وابنِ ياسينَ. وسَكَنَ بمَسْجدٍ في القَرافة (المقبرة، جنوبي القاهرة) وأمّ الناسَ فيه مدّةً طويلة. ولمّا وصل أبو محمّدٍ القاسمُ بن فِيرُّه الشاطبيُّ إلى القاهرة (٥٢٧ هـ) لازمه عَلَمُ الدين السخاوي وتلقّى عليه القراءاتِ واللغةَ والنحو.

وكان علمُ الدين السخاويّ يؤدّبُ أولادَ الأميرِ ابن مُوسَكَ؛ فلمّا انتقل ابنُ موسكَ الى دِمَشْقَ انتقل علمُ الدين السخاويّ معَه. وانتهزَ علمُ الدين السخاوي الفُرصةَ فقرأ على نَفَرٍ من علماءِ دِمَشْقَ ثمّ تصدّر للإقراء في الجامع الأُمويّ.

---

(١) فريا: مختلقاً، مكذوباً. نبذ: رمى، ترك. الكرى: النوم. قصي: بعيد.

(٢) رعى النجوم: راقبها (كناية عن طول السهر). الثريا: عنقود نجوم. طرفي (بصري) موكل بالثريا: وكيل يراقب الثريا دائماً (فلا ينام). (٣) براني (انحلني) الاسى (الحزن). (٤) الصب: المحب.

(٥) الجفا: التجنب، الابتعاد، غلظ الخلق أو قساوة الطبع. الداء الدوي: المرض الشديد.

(٦) الحزم: ضبط الأمور على منهاج معين والبت فيها. ظالماً تركياً: شديد الظلم؟

فازدحمَ الطُلاّبُ عليه من كلّ جانبٍ وبدأ في التصنيف . وكانتْ وفاتُه في دِمَشْق في ١٢ جُمادى الثانية سَنَةَ ٦٤٢ هـ (٥/ ١١/ ١٢٤٣ م) .

٢ ـ كان علمُ الدين السَخاويُّ رجلاً حُلوَ المُحاضرة (المحادثة والمناقشة) حادَّ الذاكرة ، وكان عالماً بالقراءات والتفسير والأصول واللغة والنحو والأدب ، وإليه انتهتْ رِئاسةُ الإقراء في دِمَشْقَ . وكان أديباً له خُطَبٌ وأشعارٌ أكثرُها في الأحاجي والألغاز . ثمّ إنّه كان مُصنِّفاً ، له : هِداية المرتاب وغاية الحُفّاظ والطلاّب (أرجوزة) في معرفة متشابهات القرآن ـ عَمدة المفيد وعُدّة المجيد = عُمدة المجيد في النظم والتجويد (في التجويد) ـ جمال القرّاء وكمال الإقراء (في التجويد) ـ الكوكب الوقّاد في الاعتقاد (في أصول الدين) ـ سِفْر السعادة وسفير الافادة (في اللغة : شرح المفصّل) = شرح المفصّل للزمخشري (أربع مجلّدات) ـ ذات الحُلل ومَهاة الكُلل (قصيدة في المؤتلف والمختلف) ـ منظومة في متشابه القرآن (مرتّبة على حروف المعجم) ـ شرح حِزر الأماني (للشاطبي ، في القراءات) = شرح (القصيدة) الشاطبية = الوحيد في شرح القصيد (يريد : قصيدة الشاطبي) ـ أرجوزة في سيرة النبيّ ـ القصائد السبع (بديعيّات : في مدح الرسول) ـ كتاب تفسير القرآن ـ منظومة في أحزاب القرآن ـ تحفة الفَرّاض وطرفةِ المهذّب المرتاض (في الإرث) ـ شرح أحاجي الزمخشري النحوية (التزم أن يعقّب كل أُحْجِيَتَيْنِ للزمخشري بلُغْزين من نظمه) ـ إخوانيّات مع كمال الدين الشَريشي (شارح مقامات الحريري) . وله عدد من القصائد في موضوعات مماثلة .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ خَلِّكانَ (٢ : ٣١) : ولمّا حضرتِ الوفاةُ (عَلَمَ الدينِ السخاويَّ) أنشدَ لنفسِه :

قالوا : غداً نأتي دِيـارَ الحِمى ويَنْزِلُ الرَكْبُ بمَغْناهُمُ[1] ؛
وكلُّ مَنْ كان مُطيعـاً لهم أصْبَحَ مسروراً بلُقْيـاهُمُ .
قلتُ : فلي ذَنْبٌ ، فما حيلتي ؟ بـأيِّ وجـهٍ أتلقّـاهم !
قالوا : أليسَ العفوُ من شأنِهم ، لا سيّما عمّن ترجّـاهم !

ـ وله عددٌ من الألغاز في الفِقه والنَحو ، منها في النحو :

وما حـرفٌ يَليهِ الفِعْـلُ مجـزوماً ومـرفوعا ،

---

(١) الركب : الجماعة المسافرون معاً (يقصد : أنه سيموت) . المغنى : مسكن القوم . ديار الحمى : المكان الذي لا خطر ولا خوف فيه (عند الله) .

ويُنْصَبُ بعــدَه أيضــاً ؛ وكــل جــاء مسموعا[1] !

٤ ـ هداية المرتاب وغاية الحفّاظ والطلاّب ، مصر (طبع حجر) ، طبع مراراً ؛ استانبول ١٣٠٦هـ.

** معجم الأدباء ١٥ : ٦٥ ـ ٦٦ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣١١ ـ ٣١٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٠ ـ ٣١ ؛ بغية الوعاة ٣٤٩ ؛شذرات الذهب ٥ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ؛ ؛ بروكلمان ١ : ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، الملحق ١ : ٧٢٧ ـ ٧٢٨ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٤ .

عبد المحسن بن حمّود

١ ـ هو أبو الفضل وأبو القاسم أمينُ الدين عبدُ المُحْسن بن حَمّودِ (وقيل : محمود) بن عبد المحسن بن عليٍّ التَنوخيّ الحلبيّ ، وُلِدَ في حَلَبَ ، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) وبدأ درسه فيها . ثمّ انّه انتقل الى دِمَشْقَ طلباً لعلم الحديث وصَحِبَ فيها نفراً منهم أبو عبد الله عِمادُ الدين محمّد بن سالم بن صصرى التغلبي (ت ٦٧٠ هـ = ١٢٧٢ م) أحدَ المشتغلين بالحديث ؛ ومنهم ابن القَلانسي أسعد بن غالب التميمي (ت ٦٧٠ هـ) في الأرجح ، كما كان قد صَحِبَ فيها سِبْط ابن الجَوْزيّ (ت ٦٥٤ هـ = ١٢٥٧ م) .

ومن دمشق انتقل الى صَرْخَدَ (في حوران ، الى الجَنوب الشرقي من دمشق) وتقلّد فيها الوزارة لأبي المنصور عزّ الدين أَيْبَكَ المعظّمي صاحب صرخد ونائب دمشق (٦٢٤ ـ ٦٢٦ هـ) .

ثمّ انّه عاد الى دمشق ، وفيها توفّي في رَجَبَ من سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) .

٢ ـ كان عبدُ المحسنِ بنُ حمّودٍ كاتباً منشئاً وأديباً شاعراً ، وكان ذا فضل وَوَرَعٍ . سأله يوماً أبو المنصور عيسى اذا كان يشرب الخمر فأجاب نَفْياً ، فجعل أبو منصور عيسى يُعَرّض به من أجل ذلك . عندئذ وضع عبد المحسن ديواناً سَمّاه « مِفتاح الافراح في وصف الراح » وجعله « في وصف الشراب وتلاعب الحُميّا بالألباب وذكر ما يجري بين النَدامى في المُجون والآداب » ، مع أن ذلك مخالفٌ لمذهبه في الحياة ومناقض لفضله وورعه . ويبدو أن هذا « الديوان » كان كبيراً متعدّدَ

(١) الحرف « ان » : فاذا كانت « ان » (بكسر الهمزة وسكون النون) فهي حرف شرط يجزم بعدها الفعل المضارع ؛ وتأتي بفتح الهمزة وسكون النون فتكون زائدة قبل سين الاستقبال ، كقوله تعالى : « علم أن سيكون (بالرفع : بالضمة على النون في « يكون »)منكم مرضى ..... ثم « أن » أيضاً حرف نصب .

الأغراض ثمّ لم يَبْقَ منه إلاّ القِسْمُ المتعلّق بالخمر . وله أيضاً الأنوار المقتبسة من أوار النار .

ومع أن شعر عبد المحسن بن حَمّود صحيحَ النظم متين اللغة سَهْل الأُسلوب عَذْبٌ في بعض الاحيان يَغْلِبُ عليه الوصف ، فانّه شعر تقليديٌّ في الأكثر ليس فيه في وصف الخمر جديدٌ .

٣ – مختارات من آثاره

– قال عبدُ المحسن بن حمّود في مقدّمة ديوانه :

« .... حوى أكثرَ معاني الشعرِ من هَزْلٍ وجِدّ ورَغْبة وزُهْد ، ومدح وهجاء ، ونسيب ورثاء ، وتشبيه وافتخار . ومُجون واستغفار ، واستعطاف واعتذار ، ونَعْتِ الديارات والديار ، وجَوْب المَهامهِ والقِفار ، وخَوْض غِمار القَنا والشِفارَ [١] ، ووصف الرياحين والأزْهار ، وتَدَفّق الغُدْران والأنهار ، وتغريد الاطيار في الأسحار ، وتلاعب الرياح بالاشجار ، وذِكْرى الشيب والشباب ، وشكوى الشوق والاكتئاب ، وتذكُّر الليالي والايّام ، وتقلّب الدهر بالأنام ، وغير ذلك من معاني الشعر التي تطول الخُطْبة[٢] بذِكْرها ويسأم قارئها دون حَصْرها .....

« ووَجدتُ أبا نواس – يَرْحَمُه الله – في ذلك (في القول في الخمر) رئيسَ الجَماعة ونفيسَ البِضاعة وأستاذَ الصناعة ومَلاذَ البراعة ومالكَ زِمام الاستطاعة وعَلَمَ المُجون و الخَلاعة . فأحببْتُ أن أقْفُوَ فيها آثاره لا إيثاره ، وأتّبِعَ في وصفها ما استعاره لا ما أعاره وأحْتَذِيَ في الخَلاعة أشعاره لاشِعاره[٣] . ورَغِبْتُ (في) أن أقْتَدِيَ في الشراب بأمثاله لا أن أغْتَدِيَ في الشرب من أمثاله ، وأهْتَدِيَ بمقاله الجَزْلِ في الهزل لا بِفَعله الرَذْل[٤] » .

---

(١) الديارات : الاديرة (منازل الرهبان) . الديار : الاماكن العامرة بسكنى الناس . الجوب : التجول . المهمه : الارض الواسعة ، المفازة البعيدة والبلد المقفر . القفر : الارض لا شيء فيها (لا ناس ولا نبات) . القنا جمع قناة : الرمح . الشفار جمع شفرة : السيف (خوض القنا والشفار : خوض المعارك) .

(٢) الخطبة : ديباجة الكتاب .

(٣) قفا يقفو : اتبع . آثاره : خطواته (في نظم الشعر) . ايثاره : تفضيله ، العمل بعمله (شرب الخمر). استعاره : أخذه من غيره لمدة معينة . أعاره : أعطاه لغيره لمدة معينة (والشاعر يقصد : عابه ، كان عاراً عليه) . الشعار : العلامة الدالة على الشي (أن أحب نظم الشعر في الخمر مثله من غير أن أشربها) .

(٤) أمثاله : الاشكال البلاغية التي أورد فيها وصف الخمر ، الفاعلون مثله (في شرب الخمر) . الجزل : المتين ، الفخم . الفعال (بفتح الفاء) : العمل الكريم (ويكون أيضاً في الشر) . الرذل : المرذول ، السيء .



ـ وقال في وصف الخمر :

عَدِّ عَنْ زَيْنَبِ وعن أسْماءِ واسْقِني مِنْ سُلافة صَهْباء[١]
خَنْدريسٍ كالشمس قد نَثَرَ المَزْ جُ عليها كَواكِبَ الجَوْزاء[٢] .
نالَها الطَرْفُ في الزُجاجة لكن فاتَتِ الكفَّ ، فَهْيَ مثل الهَباء .
وكأنَّ المُدام ذَوْبُ عقيقٍ في كُؤوس تَجَمَّدت من هَواء .
وكأنَّ الحَباب حين عَلاها عَرَقٌ فوقَ وَجْنَةٍ حمراء .
بِنْتُ كَرْمٍ إذا اللئيمُ احْتَساها علّمتْه خَلائِقَ الكُرَماء .
إنّما لَذّةُ الحياةِ صِحابٌ وشَرابٌ على غِنىً وغِناء !

ـ وقال في العتاب والهجاء :

ظَنَنْتُ بهِ الجميلَ فجِئْت أرضى اليه بِهِمّتي طولاً وعَرْضا .
فلمّا جِئته ألفَيْتُ شخصاً حَمى عَرَضا له[٣] وأباح عِرْضا !

ـ وقال يتغزّل غزلاً مذكّراً :

قد قلتُ لمّا أن بَصُرْتُ بهِ في حُلّة صفراءَ كالوَرْسِ[٤] :
أوَما كَفاهُ أنّهُ قَمَرٌ حتّى تَدرّعَ حُلّةَ الشمسِ[٥] !

٤ ـ ** مجلّة كليّة الآداب (بغداد) ، العدد الثامن ١٩٦٥ م (مخطوطة ديوان الافراح في امتداح الراح بقلم محسن جمال الدين) ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢ ـ ١٤ ؛ العبر ٥ : ١٧٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٢٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، الملحق ١ : ٤٥٧ ؛ زيدان ٣ : ٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٩٥ .

---

(١) السلافة : الخمر . الصهباء : الحمراء اللون .

(٢) الخندريس : الخمر (لعلها رومية معربة). كواكب الجوزاء : كواكب صورة الجبار في السماء (المقصود : حباب أو فقاقيع كبار تطفو وتطوف على وجه الخمر بعد مزجها بالماء) .

(٣) العرض (بفتح العين ثم بسكون الراء أو بفتح الراء أيضاً) : المتاع ، المال ، ما يملكه الانسان . العرض (بكسر العين) : شرف الاسرة ، ما يجب على الانسان أن يدافع عنه .

(٤) الورس : نبت أصفر يصبغ به . الحلة (بضم الحاء) : الثوب الفاخر .

(٥) تدرع : لبس الدراعة (بضم الدال وتشديد الراء) : ثوب من صوف . تدرع حلة الشمس : اتخذ ثوبـاً مثل لون الشمس (أبيض الوجه أحمر الخدين) .

جمال الدين القفطيّ

١ – هُوَ القاضي الأكرمُ جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليٌّ بنِ القاضي الأشرفِ يوسفَ بنِ ابراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ (المعروف بالقفطيّ) بن مُوسى، أصْلُ أهلِه من الكوفة؛ وكانَ أبوه من وُجَهاء قِفْطَ في صَعيدِ مِصْرَ.

وُلِدَ أبو الحسنِ عليُّ بنِ يوسفَ في قِفْطَ في ربيعِ الأوّلِ أوِ الثاني من سنة ٥٦٨ هـ (خريف ١١٧٢ م). ثم إنه انتقلَ مَعَ أبيه إلى القاهرةِ ونَشأ فيها. ولمّا انتقل أبوه إلى القُدْسِ (٥٩١ هـ = ١١٩٥ م) لِيتَولّى النظرَ فيها ذَهَبَ مَعَهُ واتّصل بفارس الدين مَيْمونَ القَصْري والي القُدْسِ ونابُلُسَ وأصبح كاتباً له. ثم وَقَعَ النِزاعُ بينَ الملكِ العادلِ والملكِ الظاهرِ ابنَيْ صَلاحِ الدين فخرج فارسُ الدين ميمونُ مِن القدس (٦٠٨ هـ) لِيَلْتَحِقَ بالملكِ الظاهرِ في حَلَبَ فَصَحِبَهُ جمالُ الدين القِفْطي. ولمّا مات ميمونُ (٦١٠ هـ=١٢١٣ م) جعل الملكُ الظاهرُ على خِزانته جَمالَ الدين القفطي مكانَ مَيْمونَ. ثم لمّا تُوُفِّيَ الملكُ الظاهرُ (٦١٣ هـ) استقالَ القِفْطي من هذا المَنْصِبِ ولكن عاد إليه فيما يبدو وَبقيَ فيه إلى أن توفّي (في حَلَبَ) في ١٣ رَمَضانَ ٦٤٦ هـ (٣٠/ ١٢/ ١٢٤٨ م).

٢ – كان جمالُ الدين القِفْطي عارفاً بالقرآنِ والحديثِ والأصول والفقْه والنحوِ وبالمَنْطِقِ والنجوم والهندسة وبالتاريخ وغيرها؛ وكان ناظماً وناثراً ومُصَنِّفاً له كتبٌ كثيرةٌ بَقِيَ لنا منها: إنباهُ الرُواة على أنباهِ النُحاة – المُحَمَّدون من الشعراء (قطعه منه) – إخبار العلماء بأخبار الحكماء (أو تاريخ الحكماء، وقد اختصره محمّد ابن علي الزوزني[1] وسمّاه «المنتخبات المُلتقطات من تاريخ الحكماء»). غير أنّ كُتُبَه التي لم تَصِلْ إلينا كثيرةٌ منها: أخبار السلجوقية (تاريخ آل سلجوق) – أخبار مصر من ابتدائها الى أيام صلاح الدين – تاريخ بني بُوَيْه – الإيناس في أخبار آل مرداس – تاريخ اليمن – تاريخ المغرب ومن تولاه من أتباع ابن تومرت – تاريخ محمود بن سُبُكْتكين وبَنيه الى حين انفصال الأمرِ عنهم – أخبار المُتَيَّمين (الدُرّ الثمين في أخبار المتيّمين) – أخبار المصنّفين وما صنّفوه – أشعار اليَزيديين – الأنيق في أخبار ابن رشيق – من ألْوَتْ الأيام إليه فرفعته ثمّ ألوت عليه فوضعته – نُهزة الخاطر ونُزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب – إصلاح خلل

(١) محمد بن علي الزوزني

الصِحاح ـ كتاب الضاد والظاء ـ الذيل على أنساب البلاذري ، الخ .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة « إنباه الرواة » :

الحمدُ لله خالقِ الأُمَمِ وبارىءِ النَسَمِ ، علّمَ الإنسانَ ما لم يعلَم ، وألْهَمَهُ البيانَ فهو يُورِدُهُ تارةً باللسانِ ومرّةً بالقلم ..... أمّا بعدُ ، فقد كان بعضُ مُنْتَحلي صناعةِ التصنيف قد أجْرى ذِكْرَ أخبارِ النُحاةِ ورَغِبَ في جَمْعِها ـ وكان عادمَ الموادِّ ـ فسأل إعارتَه بعضَ ما أنْعَمَ اللهُ به من أوْعيَةِ العلوم . فأجبْتُهُ الى مُلْتَمَسِهِ ونبّهتُه على الترتيبِ والتبويب وأعَنْتُه غاية إمكاني . فلمّا فرَغَ منه أو كاد طَلَبَ وَرَقاً لِيُبَيِّضَ منه نُسخةً لأجلي ، فمكّنتُه من ذلك .

ثمّ بلَغَني أنّه أباعَ الوَرَقَ وتَعَلّلَ عن النَسْخِ لهذا المجموعِ وغيرِه .....

وقد شرَعْتُ ـ بتأييدِ اللهِ وتوفيقه ـ في جَمْعِ ما أمكنَ من ذلك واسْتِثارةِ كامنِهِ من مَكامنه ، واسْتِنْباط وارِدِهِ من مَوارِدِهِ ، والتَورُّدِ على مناهِلِهِ من مجاهلِهِ ..... بعدَ أن اسْتَوْعَبْتُ جُهْدَ الإمكان حَسْبَ ما وقع إليَّ من الموادّ على تطاوُلِ الزمان . و (قد) ذَكَرْتُ مشايخَ عِلمَيِ النَحْوِ واللُّغة مِمَّنْ تصدّرَ لإفادتِهما تصنيفاً وتدريساً وروايةً ، في أرضِ الحجازِ واليمن والبَحْرَينِ ..... والعِراق وأرض فارسَ وخُراسانَ وأرمينية والشام ومِصْرَ والمَغْرِب والأندلسِ وحزيرة صِقِلِّيَةَ .

وبالله أستَرشدُ ، ومنه أستمدُّ الإعانةَ والتوفيقَ . وقد جَعَلْتُهُ على حُروفِ المُعْجَم لِيَسْهُلَ تَناوُلُهُ .....

ـ وقال في الغزل :

تَبَدّتْ فهذا البـدرُ من كَلَفٍ بها ـ وحقّكَ ـ مِثْلي في دُجى الليلِ حائرُ ؛
وماسَتْ فشَقَّ الغُصْنُ غيظاً ثيابَه ، ألستَ ترى أوراقَـه تَتَناثر !

٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة (بتحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ ـ ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م .

تاريخ الحكماء (راجع ص ٥٥٤) ـ باختصار ـ الزوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء

بأخبار الحكماء (تحرير ليبرت)، ليبزيغ (ديتريخ) ١٩٠٣ م ؛ (أعيد طبعه في مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر) ؛ = إخبار العلماء بأخبار الحكماء (عني بتصحيحه أمين الخانجي)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .
المحمدون من الشعراء (نشره محمد عبد الستار خان)، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ؛ (حققه حسن معمري — راجعه وعارضه بنسخة المؤلف حمد الجاسر)، الرياض (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

** معجم الأدباء ١٥ : ١٧٥ — ٢٠٣ ؛ العبر ٥ : ١٩١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢١ ؛ الطالع السعيد ٤٣٦ — ٤٣٨ ؛ بغية الوعاة ٣٥٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٣٦ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤١٤ — ٤٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٦ — ٣٩٧ ، الملحق ٥٥٩ ؛ زيدان ٣ : ٧٦ — ٧٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٤٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٨٧ .

ابن الحاجب

هو جمال الدين أبو عمرو عثمانُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي بكرِ بن يونسَ ، يُعْرَفُ بابنِ الحاجب لأنَّ والدَهُ كان حاجباً للأميرِ عزِّ الدين موسكَ (موسى الصغير) الصلاحيِّ .

كان ابنُ الحاجب كرديَّ الاصلِ ، وُلِدَ في أسْنا من أعمالِ القوصية في صَعيد مِصْرَ ، في أواخر سَنَةِ ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م) . درس ابنُ الحاجب في القاهرة علومَ الادب والعربية (النحو) والفِقْه . وجاء الى دمشق فدرّس فيها مدّةً طويلة . ثم رجعَ الى مِصْرَ فدرّس في المدرسة الفاضلية . ثمّ انتقل الى الاسكندرية حيثُ توفّي وَشيكاً في ٢٦ من شوّال ٦٤٦ هـ (١١ — ٢ — ١٢٤٩ م) .

اشتغل ابنُ الحاجب بعلومٍ كثيرةٍ ، ولكنْ غَلَبَ عليه النحو ، كما برع في الفِقْه وفي أصول الفقه . ويبدو أنَّ قيمةَ ابنِ الحاجب وشهرتَه راجعتانِ الى أنّه كان حَسَنَ الاختصارِ لكتب المتقدّمين على زمانِه بارعَ التخريجِ للقواعد والأمثلة[1] . ولابن الحاجب كُتُبٌ كثيرة منها : الكافية (في النحو) وشرحها — الشافية (في التصريف) وشرحها — الوافية — المختصر في الأُصول — نِهاية السول في الاصول (منتهى السول والعمل في عِلْمَيِ الاصول والجدل) — المختصر في الفقه — مقاصد الجليل في علم الخليل (العَروض) — الأمالي (تفسير آيات من القرآن وأبيات من الشعر) .

— الكافية ، روما ١٥٩٢ م (١٠٠١ — ١٠٠٢ هـ) ؛ الاستانة ١٢٣٤ ، ١٢٤٩ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٦ ،

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١) ١٠٢٩ ، ١٠٥٨ .

١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٣٠٧هـ ؛ الاستانة (مطبعة عارف) ١٣١٥هـ؛ بولاق ١٢٤١ ، ١٢٤٧ ، ١٢٥٥ ، ١٢٦٦ هـ ؛ قازان ١٨٨٩ م (١٢٧٢ هـ) ؛ طشقند ١٣١١ ، ١٣١٢هـ ؛ ثمّ في الهند : دهلي ١٢٧٠ ، ١٢٧٩ ، ١٣٠٦ هـ ؛ كاونبور ١٨٥٠م (١٢٦٧ هـ) ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩١ ، ١٨٨٨م (١٣٠٦ هـ) ، ١٨٩١م (١٣٠٩ هـ) ؛ (نظامي) ١٢٩٠ هـ ؛ بومباي ١٣١١هـ؛ لكنهو ١٣١١ هـ ؛ (في مجموع بتحرير بايتي ، خمسة أجزاء – راجع الجزء الثالث) كلكتّا ١٨٠٥ م (١٢٢٠ هـ) ، ١٢٨٦ ، ١٢٩١ ، ١٨٨٩ م (١٢٠٧ هـ) ، ١٣٠٩ هـ ؛ (كتاب « جملة النحو » – مجموع فيه الكافية) بولاق ١٢٦٢ ، ١٢٧٩ هـ ؛ ثم في الاستانة ١٢٩٩ – ١٣٠٢ هـ .

شرح الكافية (لابن الحاجب نفسه) ، استانبول بلا تاريخ .

الشافية ، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ الاستانة ١٨٥٠م (١٢٦٧ هـ) ، ١٨٥٥ م (١٢٧٢ هـ) ؛ ثمّ في الهند : كلكتّا ١٨٠٥ م (١٢٢٠ هـ) ؛ كاونبور ١٨٥٠ م (١٢٦٧ هـ) ، ١٢٧٨هـ ؛ ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ) ، ١٣٠٢ هـ ، ١٨٩١ م (١٣٠٩) ؛ لكنهو ١٢٧٨ هـ ؛ دهلي ١٢٧٨ ، ١٢٩١ ، ١٣١٠ ، ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة ١٢٥٨هـ الخ ؛ ثم (في مجموعة في النحو) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ ؛ استانبول (المطبعة العامرة) ١٣١٠ ، ١٣١١ هـ ؛ (في مجموعة « متون الصرف » – بعناية حسن بن محمّد العطّار) ، بولاق ١٢٤٠ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩هـ ؛ (الشافية وعليها عدد من الشروح : للجاربردي – لابن جماعة – لحسن الرومي – لعبد الله نقره كار – لزكريا الانصاري – للكرماني) ، استانبول ١٣١٠هـ القاهرة (؟) ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٤ هـ .

منتهى السول ، استانبول ١٣٢٦ هـ .

مختصر منتهى السول (اختصره ابن الحاجب نفسه) ، بولاق ١٣١٦ – ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٦ هـ .

القصيدة الموشّحة (مطبوعة مع « السامي في الأسامي » للميداني) ، طهران ١٨٥٩ م (١٢٧٦هـ) ؛ (مطبوعة ذيلاً لألفية ابن عقيل) ، بيروت ١٨٧٢م (١٢٨٩ هـ) ؛ (مطبوعة مع الكافية) ١٨٨٦ م (١٣٠٥ هـ) ، ١٨٨٩ م ؛ (مطبوعة مع عشر مقالات فلسفية قديمة) ، بيروت ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ) .

** شروح مباشرة (على الكافية) :

« شرح الكافية » لرضيّ الدين محمّد بن حسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) مطبوع بلا ذكر لاسم مكان الطبع ولا لتاريخه ؛ ثمّ استانبول ١٢٧٥ ، ١٣٠٥ ، ١٣١٠ هـ ؛ « شرح مقدّمة ابن الحاجب » (الشرح الأكبر لركن الدين الحسن بن محمّد الاستراباذي المتوفى نحو ٧١٥ هـ) ، لكنهو ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) ؛ « الفوائد الضيائية » أو « الفوائد الوافية بحلّ مشكلات الكافية » لعبد الرحمن بن أحمد الجاميّ (ت ٨٩٨ هـ) ، كلكتّا ١٨١٨ م (١٢٣٥ هـ) ؛ دهلي ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ) ؛ ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ) ، ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) ؛ لكنهو



١٢٧١ ، ١٢٨٣ هـ ، ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ) ، ١٣٠١ ، ١٣١٣ هـ ؛ كاونبور ١٢٨٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٥ هـ ؛ بومباي ١٢٧٨ هـ ، ١٨٨٣ م (١٣٠١ هـ) ؛ طهران ١٨٧٩ م ؟ (١٢٩٨ هـ) ؛ قازان ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ)، ١٨٩٠ (١٣٠٨ هـ) ، ١٨٩٦م (١٣١٤هـ)؛ استانبول ١٢٣٥ ، ١٢٧٢ ؛ استانبول (مطبعة محرّم البوسنوي) ١٢٨٣ ، ١٢٨٧ هـ .
« شرح » لابراهيم بن محمّد بن عربشاه عصام الدين الاسفراييني (ت نحو ٩٤٥ هـ) ، الاستانة ١٢٥٦ هـ ؛ « غاية التحقيق » لصافي (؟) دهلي (طبع حجر) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) .
« معرب الكافية » للحسين بن زين زاده (ألّفه ١١٦٨) ، استانبول ١٢٠٠ ، ١٢٣٥ . ١٢٤١، ١٢٥١، ١٢٦٠ . ١٢٦٨هـ ؛ كاونبور ١٢٩٠–١٢٩١ هـ ؛ القـاهرة ١٣٠٢ هـ .
« تقريب الكافية » لمجهول . كلكتّا ١٢٦١ هـ . « شرح » لمحمّد سعيد خان . كاونبور ١٢٩٠ – ١٢٩١ هـ . « تحصيل الكافية » لمحمّد عبد الحقّ حيدر ابادي (أتمّه ١٢٨٦ هـ) ، الهند (طبع حجر) ١٢٩١ هـ ؛ لكنهو ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) . « شرح أبيات الكافيـة والجامي » لأحمد بن عثمان الآقشهري ، استانبول ١٢٧٨ هـ ؛ بولاق ١٢٩١ هـ .
– شروح مباشرة : شرح ، حاشية (على الشافية) ؛
« شرح شافية ابن الحاجب » لرضيّ الدين محمّد بن الحسن الاستراباذي (ت نحو ٧١٥ هـ) . لكنهو ١٢٦٢ هـ ؛ طهران ١٢٨٠ هـ ؛ دهلي ١٢٨٣ هـ ؛ الهند ١٢٩١ هـ ؛ لاهور ١٣١٥ هـ ؛ استانبول (شركة الصحافة العثمانية) بلا تاريخ ، ثمّ ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٤٥ هـ ؛ (حقّقها محمّد نور الحسن – محمّد الزفزاف – محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٨ هـ ؛ = شرح الشافية في التصريف ، استانبول (دار الطباعة العامرة) ١٣٠٦ هـ ؛ استانبول (مطبعة الحاج محرّم البوسنوي) ١٣٠٥هـ . « الفوائد الجليلة » لأحمد بن حسن الجاربردي (٧٤٦ هـ) ؛ لكنهو ١٢٦٢ هـ ؛ كلكتّا ١٢٦٢ هـ ؛ طهران (طبع حجر) ١٢٧١ هـ ؛ دهلي ١٢٧٠ هـ ؛ كاونبور ١٢٩١ هـ ؛ لاهور ١٣٠٤ هـ ؛ استانبول ١٣١٠ هـ .
« شرح » لعبد الله بن محمّد بن نقره كار (ت نحو ٧٧٦ هـ) . استانبول (طبع حجر) ١٢٧٦ هـ ؛ استانبول ١٣٠٦ . ١٣١٠ هـ ؛ استانبول ١٣١٩ ، ١٣٢٠ هـ . « شرح » ركن الدين الاستراباذي (٧١٣ هـ) ، على هامش شرح نقره كار ، استانبول ١٣٠٦ . ١٣١٠ هـ .
« المناهج الكافية » لزكريّا الانصاري (ت ٩٢٦ هـ) ، مطبوع . « كفاية المفرطين » لمحمّد طاهر بن علي المولوي نظام الدين بحر الكجراتي (القرن العاشر الهجري) . دهلي ١٢٨٣ هـ . « مفتاح الشافية » لشرح أحمدجي بن شاه قول ركنابادي ، ألّفه عرفان الدين السواتي (نشره محمّد سعيد داغباندى) ، دهلي ١٣١٢ هـ . « فوائد الشافية » لحسين بن أحمد زين زاده (نحو ١١٥٠ هـ) ، كاونبور ١٢٩١ هـ . « نزهة الألباب » (منظومة الشامية) لمصطفى بن محمّد بن ابراهيم بن زكرى الطرابلسيّ (ملحقة بديوانه) ، القاهرة ١٣١٠ هـ .
« فرائد الملك » (منظومة الشافية) لابراهيم بن حسام الدين الجرمياني شريفي (مطبوعة في مجموع) ، استانبول ١٣١٠ هـ (مطبوع مع « الفوائد الجليلة » للجاربردي) .



« شرح أمالي ابن الحاجب » ، استانبول ١٢٨٧ هـ .

« العضدية » أو شرح العضد الايجي (عبد الرحمن بن أحمد المتوفّى ٧٥٦ هـ) على مختصر السول (مختصر منتهى السول) ، الاستانة ١٣٠٧ هـ .

** لمعظم هذه الشروح على كتب ابن الحاجب (وخصوصاً على الكافية وعلى الشافية شروح) وحواش ، منها مثلاً « حاشية محرّم أفندي التكاني (ت هـ) على « شرح الجامي » على كافية ابن الحاجب ، (وصل فيها الى أثناء باب البدل ، ثمّ أتمّها الشيخ عبد الله بن صالح سنة ١٢٢٧ هـ) بولاق ١٢٥٦ هـ ؛ القاهرة ١٢٧٧ هـ ؛ استانبول ١٢٥٩ ، ١٢٨٧ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ هـ ؛ استانبول (المطبعة العثمانية) ١٣٠٩ هـ ؛ استانبول ١٣١٩ هـ ؛ استانبول (مطبعة أحمد احسان) ١٣٢٥ هـ ؛ الهند ١٢٨٥ هـ . « حاشية » لعبد الحكيم السيالكوتي ، بولاق ١٢٥٦ هـ ؛ لكنهو ١٣٠٣ هـ ؛ استانبول ١٢٨٧ هـ . حاشية التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) على العضدية على منتهى السول ، القاهرة ١٢١٧ هـ . الخ ، الخ .

وفيات الأعيان ١ : ٥٦٣ـ ٥٦٤ ؛ الديباج المذهب ١٢٩ ؛ العبر ٥ : ١٨٩ ــ ١٩٠ ؛ بغية الوعاة ٣٢٣؛ حسن المحاضرة ١ : ٢١٥؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٤ ــ ٢٣٥؛ الطالع السعيد ٣٥٢ ــ ٣٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٧ــ ٣٧٣ ، الملحق ١ : ٥٣١ ــ ٥٣٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٨١ ؛ زيدان ٣ : ٥٦ ــ ٥٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٧٤ .

جمال الدين بن مطروح

١ ــ هو جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ يحيى بنُ عيسى بنِ إبراهيمَ بنِ الحُسينِ بن عليِّ بنِ مطروحٍ ، وُلِدَ في ٨ رَجَبَ سَنَةَ ٥٩٢ هـ (٧/ ٧/ ١١٩٦ م) في أسيوطَ (في صعيدِ مِصْرَ) ونشأ فيها وفي قُوصَ واستوفى فيها تعلُّمَه وبدأ حياتَه بالتكسّب بالشعرِ فمَدَحَ حاكمَ قوصَ مجدَ الدين اللَّمْطيَّ .

وفي سَنَةِ ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) انتقلَ ابنُ مطروحٍ إلى القاهرة واتّصل بالمَلِك الصالحِ نجمِ الدين الذي كان نائباً في مِصْرَ عن أبيه الملكِ الكامل . ولمّا استولى الملكُ الكاملُ على شَماليِّ العراق وجّـهَ ابنَه الملكَ الصالحَ نائباً عليها فكان ابنُ مطروحٍ معَـه . ثم تُوُفِّيَ الملكُ الكامـلُ في ٢٢ رَجَبَ ٦٣٥ هـ (١٢٢٧ م) فاختلفَ إخوتُه وأولادُه فعادَ المَلِكُ الصالحُ الى مِصْرَ ومعَـهُ ابنُ مطروحٍ (٦٣٩ هـ) . ولما استولى الملكُ الصالحُ على دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) جعل ابنَ مطروحٍ وزيراً عليها فحَسُنَتْ حالُه فيها وعَلَتْ مكانتُه .

ولمّا هاجمَ الإفرنجُ الصليبيون مِصْرَ بقيادةِ لويسَ التاسعِ ملكِ فرنسةَ عادَ



ابنُ مطروحٍ إلى مصر في الحَمْلَة التي جاءتْ مَدَداً الى مِصْرَ ، سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . ومَلَكَ الإفرنجُ دُمياطَ في ٢٢ صَفَرَ ٦٤٧ هـ (حَزيران ١٢٤٩ م) . ثم إنّ المُسْلِمين هَزَموا لويسَ التاسعَ في العامِ التالي هزيمةً مُنْكَرَةً ذَهَبَ فيها مُعْظَمُ جيشِهِ وأُسِرَ هو ومَنْ بَقِيَ مَعَهُ وسُجِنَ في دارِ ابنِ لُقمانَ (دارِ الحكومة التي كان القاضي فخرُ الدين ابراهيمُ بنُ لُقمانَ كاتبُ الانشاء يَنْزِلُ فيها كلّما جاء الى المنصورة) أربعَ سنوات ووُكِّلَ بهِ الطُواشي جمالُ الدين صبيحُ المُعَظَّمِيُّ .

٢ – ابن مطروحٍ ناثرٌ مترسّلٌ وشاعرٌ رقيقٌ ، ولكنْ يَغْلِبُ على شعرِه خاصةً الضَعْفُ . وشعرُه قصائدُ طِوالٌ ومقطعاتٌ تدور على المدحِ والغزل والأدب والزهد .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ مطروحٍ يتغزّلُ في مطْلعِ قصيدةٍ :

هي رامةٌ ؛ فخُذوا يمينَ الوادي ... وذروا السُيوف تَقَرَّ في الأغمادِ .
وحَذارِ من لَحَظات أعيُنِ عِينِها[1] ... فلَكَمْ صَرَعْنَ بها من الآساد !
من كان منكم واثقاً بفؤاده . ... فهناك ما أنا واثقٌ بفؤادي .
سَلَبَتْه منّي – يومَ بانوا – مُقْلَةٌ ... مكحولةٌ أجفانُها بسَواد .

– أرادَ لويسُ التاسعُ أن يُعيدَ الكَرّةَ على دُمياطَ فقال ابنمطروحٍ يُشيرُ إلى هزيمةِ لويسَ وأسرِه مَعَ التعبيرِ عن الشُعورِ الدينيّ الذي كان مألوفاً في أيامِ الحروبِ الصليبية :

قل للفرَنْسيسِ ، إذا جئتَه . ... مقالَ صِدْقٍ من قَؤولٍ فَصيح[2] :
آجرَكَ اللهُ على ما جرى ... من قَتْلِ عُبّادِ يَسوعَ المسيحْ .
أتيت مصراً تبتغي مُلكَها ... تحسب أن الزمر ، يا طبلُ ، ريح.
فساقَكَ الحَيْنُ الى أدْهَمٍ ... ضاقَ به عن ناظرَيْكَ الفَسيح[3] .
وكلُّ أصحابِكَ أوْدَعْتَهُمْ ... بحُسْنِ تَدْبيرِكَ بَطْنَ الضريح .
وفَّقَكَ اللهُ لأمثالِها ... لعلَّ عيسى مِنْكُمُ يستريح.
إن كان باباكُمْ بذا راضياً ... فربَّ غِشٍّ قد أتى من نَصيح[4] .

---

(١) عين (بكسر العين) جمع عيناء : الواسعة العينين (المرأة الجميلة) .
(٢) الفرنسيس = الفرنسي : لويس التاسع .
(٣) الادهم : الاسود = الحديد (القيد). الفسيح : المجال الفسيح (الارض). فاعل «ضاق» . الحين : الموت.
(٤) باباكم : رئيسكم الديني (بابا رومية) .

وقُلْ لهم إن أظهروا عَوْدَةً ، لأخذِ ثأرٍ أو لعِقْدٍ صحيح :
دارُ ابنِ لُقمانٍ على حالِها ، والقَيْدُ باقٍ والطُواشي صَبيحْ !

٤ – ديوان ابن مطروح (في آخر ديوان العبّاس ابن الأحنف) ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .

** وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٩ – ٢٥٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٠٦ – ١٠٧ (في ترجمة البرنس الفرنسيس الافرنجي) ؛ العبر ٥ : ٢٠٤ ؛ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٤٧ – ٢٤٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٧ ، الملحق ٤٦٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٧٥ – ٨٧٦ ؛ زيأان ٣ : ١٧ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٠٣ .

نجم الدين القمراويّ

١ – هو أبو الفضائل نجم الدين موسى بن محمّد بن موسى بن أحمد بن عيسى الكِناني القمراويّ نسبة إلى قمراء (قرية من أعمال صرخد في حوران – سورية) ، ولد نحو سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) وكانت وفاته سنة ٦٦٠ هـ (١٢٥٢ م)* .

٢ – كان نجمُ الدين القَمراويُّ فقيهاً ، كما كان أديباً شاعراً تَدُلُّ أبياتُه الباقيةُ لنا على نَفَسٍ شِعريٍّ وسَلاسةٍ .

٣ – مختارات من شعره

– في شذرات الذهب (٥ : ٢٥٢) : ومن شعر (نجم الدين القمراويّ) قصيدةٌ وازَنَ بها قصيدةَ الحُصريّ القَيْروانيّ التي أوّلها « يا ليلُ الصبِّ متى غدُه » فقال :

قدْ مَلَّ مريضَكَ عُوّدُهُ ، ورثى لأسيرك حُسّدُه[1] .
لم يُبْقِ جَفاكَ سوى نَفَسٍ زَفَراتُ الشَوْقِ تُصعِّدُه[2] .
هاروتُ يُعَنْعِنُ فنَّ السِحـ ـرِ الى عَيْنَيْكَ ويُسْنِدُه[3] .

---

(١) العائد : الذي يزور المريض .

(٢) الجفا : البعاد ، الغلظة في الخلق . الزفرة : النفس الحار . تصعيد النفس : إخراجه قصداً (بمشقة) .

(٣) هاروت : ساحر قديم من أهل بابل . العنعنة (حدثنا فلان عن فلان عن فلان ...) والاسناد : الرواية عن الرجال الثقاة من اصطلاحات علم الحديث (في رواية أحاديث محمد رسول الله) .

* شذرات الذهب ، في أخبار سنة ٦٥٠ هـ (٥ : ٢٥٢) . وقال عيسى اسكندر المعلوف (معارضات قصيدة « يا ليل الصب ») ص ٩ في الحاشية : وتوفي في طريقه الى اليمن ، « سنة ٦٥١ هـ » ، ولا أعلم من أين جاء عيسى اسكندر المعلوف بذلك .

وإذا أغمدتَ اللحظَ فتكْتَ . فكيف وأنت تُجرِّده[1] ؟
كم سهّلَ خدُّكَ وجْهَ رضاً والحاجبُ منك يُعقّده .
ما أشركَ فيك القلبُ ، فلِمْ في نارِ الشوقِ تُخلّده ؟

٤ — ** وفيات الأعيان ٢ : ٢٦ (في ترجمة عليّ بن عبد الغني الحصري القيرواني) ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٢ ؛ معارضات قصيدة « يا ليل الصبّ » (جمعها عيسى اسكندر المعلوف — عني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر) ، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١م (ص ٩) ؛ ديوان « يا ليل الصبّ » ... (عني بجمعها محمّد علي حسن) ، بغداد (مطبعة الايمان) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م (ص ٢٦) .

علم الدين ايدمر المحيوي

١ — هو فخرُ التركِ علَمُ الدينِ أيْدَمَرُ المُحْيَوِيُّ كان مملوكاً فأعتقه مُحْيِي الدين محمدُ بنُ محمّدِ بنِ ندىً فنُسِبَ اليه ، ولا نعْلَمُ شيئاً آخرَ عن حياته إلا أنه كان من أحياءِ النصفِ الأولِ من القرنِ الهجْريّ السابعِ لأنه مدَحَ المَلِكَ الكاملَ (ت ٦٣٥ هـ) والمَلِكَ الصالحَ نجْمَ الدين (ت ٦٤٧ هـ) فلعلّه تُوُفّيَ نحوَ سنةِ ٦٥٠ هـ أو بعدَها بقليلٍ قبلَ أن يبْلُغَ الكُهولةَ[2] . وقد قضَى حياته في مِصْرَ .

٢ — أيْدَمَرُ تُرْكيٌّ ، ومعَ ذلك فانّ شعرَه متينُ التركيبِ عالي النفَسِ . ويبدو أنّه كان واسعَ المعرفةِ بعلومِ عصرِه ، ولكنْ لم يَصِلْنا من آثارِه إلاّ ديوانُ شعرِه . وفنونُه المدحُ والغزَلُ والوصفُ ؛ وله موشّحات .

٣ — مختارات من شعره

— قال علَمُ الدينِ ايْدَمَرُ يمدحُ المَلِكَ الكاملَ بعدَ معركة دُمياطَ :

أيامَ قالَ الشِرْكُ بَغْياً للهُدى : «دُمياطُ لي؟ ولكَ الغداةَ المَوْعدُ!»[3]
وأتى بما ملأَ البَسيطةَ كَثْرةً ؛ واللهُ ربُّكَ هادمٌ ما شيّدوا :

---

(١) يشبه الشاعر هنا اللحظ بالسيف .

(٢) راجع الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، تأليف الدكتور أحمد أحمد بدوي ، (بلا تاريخ) ، ص ٢١٢ — ٢٢١ . وفي نفح الطيب (بيروت) ٢ : ٢٧٢ ، أن ايدمر التركي كان في مصر مع البها زهير (ت ٦٥٦ هـ) وابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ) وابن يغمور . وجعل خير الدين الزركلي (الاعلام ١ : ٣٧٨) وفاة ايدمر المحيوي سنة ٦٧٤ هـ .

(٣) الغداة : في غد . الموعد (للمعركة) .

جيشٌ اذا مَسَحَتْ يداهُ بُقْعَةً جفَّ المِياهُ بها وذابَ الجَلْمَدُ[١]،
كالسيلِ إلاّ أنّه لا يَنْقضي، والليلِ إلاّ أنه يَتوقّد.
وأتى بِكَ الإسلامُ وَحْدَكَ مُوقِناً أنْ سوفَ تَهزِمُ جَمْعَهم وتُبَدِّد[٢]؛
فَرَدَدْتَ شَخْصَ الشِرْكِ وَهْوَ مُسَرْبَلٌ خِزْياً، ودِينَ اللهِ وهْوَ مُؤيَّدُ[٣].
حَكَّمْتَ بأسَكَ فِيهِمُ: فمُكَلَّمٌ ومُجَدَّلٌ ومُشَرَّدٌ ومُصَفَّدُ[٤]!

– وقال يصِفُ قِصَرَ الليلِ:

رعى اللهُ ليلاً ما تَبَدّى عِشاؤه لأعْيُنِنا حتّى تَطَلَّعَ صُبْحُهُ.
كأنّ تَغشّيهِ لنا وانفراجَه – لِقُرْبِهِما – إطباقُ جَفْنٍ وفَتْحُهُ[٥].

– ومن موشّحاته موشّحة مطلعها:

باتَ وسُمّارُهُ النجومُ ساهِرْ؛ فمَنْ تُرى عَلّمكِ السُهْدَ، يا جُفون[٦]!
صَبّاً إلى مذهبِ التصابي صابي لا يَعْدِلُ،
فجَنْبُه خافقُ الجَنابِ نابي مُبَلْبَلُ[٧]
والطَرْفُ من دائمِ السِكابِ كابي مُخَبَّلُ[٨]
لسانُهُ للهَوَى كَتومُ ساترْ لِما جَرى والشأنُ أن يَكْتُمَ الشؤون[٩].

٤ – مختار ديوان ايدمر المحيويّ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م.

** فوات الوفيات ١: ٩٦ – ٩٩؛ بروكلمان ١: ٢٨٩، الملحق ١: ٤٤٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٧٨.

---

(١) الجلمد: الصخر.

(٢) تبدد: تفرق.

(٣) مسربل: لابس. مؤيد: منصور.

(٤) مكلم: مجروح. مجدل: ملقى أرضاً (ميت). مصفد: مقيد (أسير).

(٥) تغشيه: إظلاله، مجيئه.

(٦) السمار: الساهرون في الليل. السهد: الارق (قلة القدرة على النوم).

(٧) صب: مائل (محب). صاب، صابي، صابىء: مائل. يعدل: يرجع، يتحول.

(٨) ناب: بعيد، نافر. الطرف: العين، البصر. السكاب: السكب (البكاء).

(٩) الشأن: الأمر. المهم من الأمور. الشؤون جمع شأن: المأق والموق: طرف العين، مكان مجرى الدمع. أن يكتم الشؤون = أن يخفي دموعه (بكاءه وألمه في الحب).

الصَغانيّ (أو الصاغانيّ)

١ — هو العلاّمةُ رَضِيُ الدينِ أبو الفضائلِ الحسنُ بن محمّد بن حسن بن حَيْدَرِ بنِ عليٍّ بنِ إسماعيلَ العُمَرِيُّ الهندي العَدَويُّ القُرَشيّ الحَنَفيّ ، أصلُه من صَغانيانَ ، « وهي كورةٌ عظيمة في ما وراء النهرِ ويُنْسَبُ إليها الإمامُ الحافظ في اللغة الحسنُ بنُ محمد بن الحسن ذو التصانيفِ . والنِسبةُ إليهـا صغانيّ وصاغانيّ » (القاموس ٤ : ٢٤١ — ٢٤٢) » .

وُلِدَ الصَغاني في لاهورَ (البِنْجابِ) — عاصمةِ باكستانَ اليومَ — في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٧٧ هـ (٢٥/٦/١١٨١ م) . وبعدَ أنْ تلقّى جانباً من العلم في وطنه ذهب الى غَزْنَةَ (الأفغان) واستكْمَلَ علمَه فيها .

وفي سَنَةِ ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) جاء الصاغانيُّ إلى عَدَنَ « ونَفَقَ له بها سوقٌ » (معجم الادباء ٩ : ١٨٩ — ١٩٠) ، ولكنّه غادَرَها الى مكّةَ (٦١٣ هـ) وجاورَ بها قليلاً ثم انتقل (٦١٥ هـ) الى بَغدادَ . ثم ما لَبِثَ إلاّ قليلاً حتّى أرْسَله الخليفة الناصرُ لدينِ الله العبّاسي في سِفارةٍ إلى الهند (٦١٧ هـ) — وسُلطان دَهْلِي حينذاك ايلتتمش شمس الدينِ القُطبي — في أمرٍ لا نَعْرِفه . غير أن الذي يَلْفِتُ نَظَرَنا أنّ الصاغانيَّ لم يَعُدْ إلى بغدادَ إلاّ سَنَةَ ٦٣٤ هـ ، بعدَ وفاةِ الخليفة الناصرِ باثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً .

وجَلَسَ الصاغانيّ للتدريسِ في رِباط المَرْزُبانية ثم تَخَلّى عن التدريس فيه لتحكّم الشافعية هنالك وانتقلَ إلى التدريس في المدرسة التُتُشيّة . ويبدو أنه كان حَنْبليّ المذهبِ لأنّه مذكور في طَبَقات الحنابلة .

وكانت وفاةُ الصَغانيّ في بَغْدادَ في تاسع عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٥٠ هـ (٢٦/ ٩/ ١٢٥٢ م) ، فدُفِنَ بها ثم نُقِلَ رُفاتُه الى مَكّةَ إذ كان قد أوصى بذلك وجعل لِمَنْ يَحْمِلُه إليها خمسينَ ديناراً .

٢ — كان الصَغانيُّ إماماً حافظاً للحديثِ صَدوقاً عارفاً باللغة والفِقْه ، وكان شاعراً . وتصانيفُه كثيرةٌ منها : كتابُ التكْمِلة والذيل والصلة (استدركَ فيه بعضَ ما أهمله الجوهريُّ في قاموسه « تاج اللغة وصحاح العربية » أو غَفَلَ عنه) — مجمع البحرين (استدرك فيه بعض ما كان قد فاته هو في استدراكه على صحاح الجوهريّ في كتاب

التكملة) ــ العُباب الزاخر واللُباب الفاخر (معجم أراد أن يجمع فيه ألفاظ اللغة من الكتب المشهورة وأن يصحّح الشواهدَ التي يُورِدها مؤلّفو كتبِ اللغة من الحديث والشعر) ــ مشارق الأنوار النبويّة من صِحاح الأخبار المُصْطَفَوِيّة ــ الاحاديث الموضوعة ــ كتــاب الاضدّاد ــ مختصر في العَروض ــ كتاب يفعول ــ رسالة في أسماء الأسد ــ رسالة في أسماء الذئب ــ الشوارد في اللغة ــ النوادر في اللغة (؟) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ مقدّمة كتاب « التكملة والذيل والصلة » :

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ على محمّدٍ وآلهِ أجمعينَ . قال المُلْتَجِىءُ الى حَرَمِ اللهِ تعالى[١] ، الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ الصَغانيّ أعاذَهُ اللهُ من أن يَهْوِيَ إلى هوى قلبهِ أو (أن) يَعْتَقِدَ مُنْعِماً سوى ربِّهِ : هذا كتابٌ جمعتُ فيه ما أهملَه أبو نصرٍ إسماعيلُ بنُ حَمّادٍ الجَوْهريّ[٢] رَحِمَهُ اللهُ في كتابهِ ، وذيّلتُ عليه وسَمّيته كتابَ « التَكْمِلة والذّيْل والصلة » غيرَ مُدّعٍ استيفاءَ ما أهمَله واستيعابَ ما أغفَلَه ؛ ولا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها[٣] ، وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عليم[٤] . وكم تَرَكَ الأوّلُ للآخِرِ[٥] :

ومَنْ ظنّ مِمّنْ يُلاقي الحُروبَ ... بألاّ يُصابَ فقد ظنّ عَجْزا[٦].

واللهُ تعالى المُوَفِّقُ لما صَمَدتُ[٧] له والمُيَسِّرُ ما صَعُبَ منه والعاصمُ من الزَلَلِ والخَلَلِ والخطأ والخطَل . وهو حَسْبي ونِعْمَ الوكيلُ[٨] .

ــ وقال في آخر كتاب التكملة والذيل والصلة :

.... هذا آخرُ ما أملاه الحِفْظُ وأمَلّه الخاطرُ من اللُّغات التي وَصَلَتْ إليّ وغرائبِ الألفاظِ التي انثالتْ عليّ[٩] . وهذا بعدَ أن عَلَتْني كَبْرةٌ وأحطتُ بمـا

---

(١) حرم الله : المسجد الحرام في مكة (يبدو أن الصغاني كتب مقدمة هذا الكتاب حينما كان مجاوراً في مكة).

(٢) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص ٦٠٥) .

(٣، ٤، ٨) أقسام من آيات من القرآن الكريم .

(٥) لأبي تمام عن قصائده : تقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر ! .

(٦) البيت للخنساء .

(٧) صمد : قصد .

(٩) أملى وأمل (بتشديد اللام في : أمل) : ألقى كلاماً على آخر حتى يدونه . انثالت الألفاظ علي : سقطت (تتابعت علي ، خطرت لي) بكثرة .

جُمِـعَ من كتب اللغة خُبْراً وخِبرة[1] . ولم آلُ جُهداً في التقريرِ والتحريـرِ والتحقيق[2] وإيرادِ ما هو حقيقٌ ، وإخراجِ ما لا تدعو الضَرورةُ إلى ذِكْرِه حَذَراً من إضجارِ مُتأمّليه وتخفيفاً على* قارئيه — وإن كان ما مَنَّ اللهُ تعالى به من التَوْسعةَ ومَنَحَهُ من الاقتدار على البَسْط وزيادة الشواهد من فصيح الأشعار وشوارد الألفاظ الى غيرِ ذلك ممّا أعْجزُ عن أداءِ شُكْرِه[3] — لِيكونَ لِلْمُتأدّبينَ مَعيناً** . ولهم على مَعْرِفة لُغاتِ الكلامِ الالهي واللفظ النَبَويّ مُعيناً[4] . فمن رابَهُ شيءٌ ممّا في هذا الكتاب فلا يَتَسارَعْ الى القَدْحِ والتَزْييف والنِسْبة الى التصحيف والتحريف[5] حتّى يُعاوِدَ الأصولَ التي استَخْرَجْتُ منها والمآخذَ التي أخذتُ على* تلك الأصول[6] ، وإنّها تُرْبى على ألفِ مصدرٍ من كُتُبِ غرائبِ الحديث .... ومن كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء وأراجيز الرجّاز وكتب الأبْنِيَة ... ومعاجم الشعراء ....

فان لم يَجِدِ (القارىء) لِما رابَه في هذه الكتب ما يُنادى بصحتّه[7] ، فَلْيُصْلِحْهُ (هو) — زكاةٌ لعِلْمه الذي هو خيرٌ من المال — يَرْبَحْ في الحالِ وفي المآل[8] . ومن الله أرجو حُسْنَ الثواب ....

٤ — رسالة في الأحاديث الموضوعة ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

كتاب الأضداد (نشره هافنر) . بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٣ م .

كتاب (رسالة) في أسامي الذئب (تحرير رشر) ، استانبول ١٩١٤ م ؛ القاهرة (؟) ١٣٢٠ هـ .

التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية (حققّه عبد العليم الطحاوي وراجعه عبد الحميد حسن — منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة) ، الجزء الأوّل ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٧٠ م .

---

* أخذت (بالبناء للمعلوم للمفرد المتكلم) ؟ عن (؟) .

(١) الكبرة : الشيخوخة . الخبر : المعرفة والعلم . الخبرة : الاختبار ، معاناة الأمور .

(٢) لم آل جهداً : لم أتوان ، لم أترك وجهاً من أوجه النشاط لم أبذله . التقرير : اثبات الحكم والقاعدة . التحرير : التصحيح . التحقيق : التثبت من أمر ما أو من أحد وجوهه .

(٣) — يقصد أن الله قد أنعم عليه بمعرفة أشياء كثيرة من اللغة . ** الماء الظاهر (نبع ، مصدر)

(٤) — كانت الغاية من كتب اللغة فهم القرآن الكريم والحديث الشريف في الدرجة الأولى .

(٥) فمن رابه شيء : من شك في شيء . القدح : الذم والسب . زيف الرجل قول خصمه : صغره وحقره وحاول أن يجد فيه شيئاً من الباطل . التحريف : تبديل معاني الكلام .

(٦) حتى يراجع كتب اللغة الأصلية ويطلع على آراء العلوم فيها (ولا يكتفي بالاطلاع العابر على كتاب اتفق أن وقع في يده) . (٧) ما ينادى بصحته : اشتهرت صحته وأثبته أنا خطأ (؟) .

(٨) صدقة عن علمه (بذل جهد قليل) . المآل : المصير ، المستقبل ، الآخرة.

مشارق الأنوار النبويّة من صحاح الأخبار المصطفويّة (مع ترجمة أرديّة) «تحفة الأخبار»، لكنهو ١٣١٩ هـ؛ (مع ترجمة هندستانية وتعليقات لمولانا خرّم علي)، كاونبور ١٢٨٢ هـ؛ لكنهو ١٢٨٦، ١٣٠١؛ بمبي ١٢٩٢ هـ.

كتاب يفعول (عني بنشره حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (مطبعة العرب) ١٣٤٣ هـ.

** مبارق الازهار في شرح مشارق الانوار (لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني بن ملكشاه بن فرشته الكتوفيّ - نحو ٨٠٠ هـ)، استانبول ١٣١١، ١٣١٥؛ استانبول (دار الطباعة العامرة) ١٣٢٨ هـ.

معجم الأدباء ٩ : ١٨٩ - ١٩١؛ فوات الوفيات ١ : ١٧٠؛ العبر ٥ : ٢٠٥ - ٢٠٦؛ بغية الوعاة ٢٢٧ - ٢٢٨؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٠؛ بروكلمان ١ : ٤٤٣ - ٤٤٤، الملحق ١ : ٦١٣ - ٦١٥؛ زيدان ٣ : ٥٢؛ مجلّة ثقافة الهند (يوليو - تموز ١٩٦٤) ص ٧٥ - ٨٥؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٣٢.

الزملكانيّ

١ - هو كمالُ الدين أبو المكارم عبدُ الواحد بنُ الخطيبِ عبد الكريم بنِ خلَف بن نَبْهانَ الانصاريُّ الدمَشْقي الزملكاني، نسبة الى زملكا[1] - قريةٍ في غُوطة دِمَشْقَ كان أبوه خطيباً فيها.

تلقّى الزملكانيُّ شيئاً من العلم على أبي عمرو بنِ الحاجب. وقد وَلِيَ القضاءَ في صَرْخَد، وتصدّر للتدريس مدّةً في بَعْلَبَكّ. وكانتْ وفاتُه في المُحَرّمِ من سَنَة ٦٥١ هـ (آذار - مارس ١٢٥٣ م).

٢ - كان الزملكاني كاتباً مُصَنِّفاً له مشاركةٌ في عَدَدٍ من فنونِ العلم، ولكنّ براعتَه كانتْ في النحو والبلاغة. وكان له شعرٌ عاديٌّ جدّاً بِرُغْمِ تكلّفه أوجهَ البلاغة فيه. وأما نَثْره فسهلٌ منطقيٌّ واضحٌ يَقْصِدُ الى المعاني مَعَ حُسْنِ التعبير؛ غير أنّه أحياناً يَلْجأ الى مُوالاةِ أوجهِ البلاغة من الصِناعية اللفظية خاصّة.

وللزملكاني عددٌ من الكتب منها «التِبْيان في علم البيان المُطْلِع على إعجاز القرآن» ألفه سنة ٦٣٧ هـ وبناه على كتاب «دلائل الاعجاز» لعبد القاهر الجرجاني مع شيء من حسن التبويب ومن الاختصار والتهذيب لِيَجْعَلَ تَناوُلَ علم البيان أكثرَ سُهولةً على المتعلّم. ومن خطّته في هذا الكتاب بعد عرض الوجه من أوجه

---

(١) زملكان (بكسر الزاي والميم وسكون اللام) قرية بضواحي دمشق (راجع القاموس ٣ : ٢٠٥)؛ ويبدو أنها تخفف على زملكا.



البلاغة أن يفصلَ بين العَرض وبين رأيهِ الشخصي ، فيُوردَ رأيَه وتعليلَه هو بعدَ فَصْلٍ يُعَنْوِنُهُ بكلمةِ : تنبيه ، اشارة ، وهم ، تنبيه ، دقيقة) .

ومن كتبه أيضاً : المفيد في إعراب القرآن المجيد (مختصر من « التبيان ») — البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن — المنهج المفيد في أحكام التوحيد — عُجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب — المفصّل على المفصّل .

٣ — مختارات من آثاره

— زيادة المعنى بزيادة حرف على الجملة .

قال الزملكاني في « التبيان » (ص ٧٠) :

قد يَظُنُّ ظانٌّ أنّ المعنى لا يتغيّرُ بالحرفِ الزائدِ على الجُمْلةِ نظراً الى أصل الحكم وإعراضاً عمّا هو كالمُكمِّلِ للمعنى والمُحقّق له حتّى يَقَعَ في ذلكَ اللَّوْذَعِيُّ[1] العارفُ. وقد سألَ الكِنديّ — وإخالُه يَحْيَي — أبا العبّاسِ المُبرِّدَ فقالَ له : « إنّي لأجِدُ في كلام النّاس حَشْوا » . فقالَ له أبو العبّاس : « في أيّ مَوْضعٍ من ذلك ؟ » فقال (الكِنديُّ) : « أجِدُ العربَ تقولُ : عبدُ الله قائمٌ ؛ ثمّ يقولون : إنّ عبدَ الله قائمٌ ؛ ثمّ يقولون : إنّ عبد الله لَقائِمٌ . فالألفاظُ (في هذه الجُمَلِ) مُتكرِّرةٌ والمعنى واحدٌ ! »

فقال أبو العبّاس : بلِ المعاني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظ . فقولُهم : « عبدُ الله قائمٌ » إخبار عن قيامه ؛ وقولُهم : « إنّ عبد الله قائم » جوابٌ عن سؤال ؛ وقولُهم : « إنّ عبد الله لقائم » جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامه . فتكرّرتِ الألفاظُ لتكرّر المعاني . قال (المبرّد) : فما أجابَ الكِنديّ بجواب[2] . فعلَيْكَ أن تَتَوخّى مواضِعَ الحُروف حَذَراً من أن يَقَعَ الحرفُ في غيرِ مَحلّهِ فيذهبَ عليك مَقْصودُكَ في التَغْيير[3].

— من شعر الزملكاني في الغزل والوصف :

أطَرْفُكَ أم هاروتُ يَعْقِدُ لي سِحْراً   وريقُكَ (أم طالوتُ) يَعْصُرُ لي خَمْرا[4]

---

(١) اللوذعي : الذكي القلب ...

(٢) لعله يعقوب الكندي الفيلوف (ت ٢٥٢) وأبو العباس المبرد محمد بن يزيد اللغوي النحوي(٢٨١هـ).

(٣) مقصودك في التغيير (كذا في الأصل) ، لعلها : في التعبير !

(٤) الطرف : النظر (العين) . هاروت كان ساحراً قديماً في بابل . طالوت (كذا قرأه ناشر كتاب التبيان للزملكاني) ملك من ملوك العبرانيين ، ولا وجه للاستعارة هنا (إذ لا صلة معروفة بين طالوت وبين الخمر) .

وما العيشُ إلاّ أن أرى لك عاشقاً ، وما الموتُ إلاّ أن تُعَذِّبَني هَجْرا .
وليس ببِدْعٍ أن تَصيدَ قلوبَنـا وأن تُكْثِرَ القَتْلى وأن تُرْخِصَ الأَسْرى[1] .
بنفْسِيَ أيامٌ مضَتْ لي بِجِلَّقٍ بأرض زِمِلْكا، يا أُخيَّ، وفي مقْرى[2] ؛
ورَبْوتُها تُرْبي السرورَ ، وتحتَهـا يَزيدُ يزيدُ الشوقَ فيه وفي الشقْرى[3] ؛
وفي بَرَدى سَلْسالُ ماءٍ مُصَفَّقٌ ، وثورى له ثَغْرٌ تَبَسَّمَ لي ثغـرا[4] .
ولا تَنْسَ دارَيّـا فانّ نَسيمَهـا يُضَوِّعُه مِسْكاً تحمّله عِطْـرا[5] .

٤ — التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

** العبر ٥ : ٢٠٨ — ٢٠٩ ؛ طبقات السبكي ٥ : ١٣٣ ؛ بغية الوعاة ٣١٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٥٢٨ ، الملحق ١ : ٧٣٦ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٢٥ .

جمال الدين بن النجّار المجود

١ — هو جمالُ الدينِ ابراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ حمزةَ بنِ خليفةَ ابنِ النجّارِ القُرَشيّ المجود الدمَشْقي ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سنَةَ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) .

سَمِعَ جمالُ الدين بنُ النجّارِ في دِمَشْقَ من التاجِ الكِنْديّ وأخذ عن الشاعر فتْيانِ الشاغوريّ وغيرهما ثمّ حدّث في دمشق . وفي مَطْلَع حياته انتقل إلى بَعْلَبَكَّ وكَتَبَ (في ديوانِ الانشاء) للملك الأمجد مَجْدِ الدين بَهْرامَ شاهِ ابن داوودَ (٥٧٨ — ٦٢٧ هـ) . وقد سافر إلى حَلَبَ وبَغْدادَ أيضاً . وسافرَ إلى

(١) في الاصل : أليس ببدع (وذلك لا يدل على المعنى المقصود) . البدع : العجيب ، المستبعد .

(٢) جلق يقصد بها الشاعر دمشق . زملكا ومقرا (مقرى) من قرى دمشق .

(٣) الربوة : متنزه عند المدخل الغربي لدمشق . تربي السرور : تزيد السرور ، تجعل السرور كثيراً . يزيد : نهر بضواحي دمشق . يزيد يزيد الشوق : إن جمال الطبيعة عند هذا النهر تزكي شوق المحب الى محبوبه (الطبيعة هنالك توحي الى الانسان بالهوى. شقرة (بكسر الشين أو بضم فضم) : موضع باليمن . وشقرا (بالفتح) ولعلها من شقرة أو شقراء مواضع في الشام (سورية) .

(٤) بردى وثورى أو ثوراء نهران بضاحية من دمشق . السلسال : العذب ، الحلو ؛ السهل الجريان في الحلق . ماء مصفق : تحركه الريح فيسمع لتلاطمه صوت . الثغر الذي هو الفم أو المكان الذي يخشى منه مجيء العدو لا يتسق ومعنى البيت . وثغر تبسم لي ثغراً لا يفهم على وجه من الوجوه . ولعل هذا الشطر : « وثورى له ثغر تبسم لي زهراً » ؛ فيكون الثغر هنا نبت من خيار أنواع النبات (راجع القاموس ١ : ٣٨٢) فتتم الاستعارة (نبات تبسم زهراً) .

(٥) داريا : بليدة قرب دمشق . « يضوعه » مسكاً تحمله عطراً » غير واضح الدلالة . ولعل الشطر : « يضوع بها مسكاً وتحمله عطراً) » ، يضوع : ينتشر ؛ تحمله : تملأه بكثرة !

الاسكندرية وتولّى نِقابةَ الأشراف فيها . وكانت وفاتُه في ربيعِ الاوّلِ من سَنَةِ ٦٥١ (أيار – مايو ١٢٥٣ م) في دِمَشْقَ .

٢ – كان جمالُ الدين بن النجّار أديباً مُتَرَسِّلاً شاعراً . ولم يكنْ شِعْرُه كثيرَ البَراعة ، ولكنْ كان له فيه عددٌ من اللَّفَتاتِ البارعةِ . ويكثُرُ في شِعْرِه الغَزَلُ المُجون والوَصْفُ والأدب (الحكمة) .

٣ – مختارات من شعره

– قال جمالُ الدينِ بنُ النجار يَصِفُ زَنْجِيّاً شائباً :

يا رُبَّ أسودَ شائبٍ أبصَرْتُهُ وكأنَّ عَيْنَيْهِ لَظىً وقّادُ ؛[1]
فَحَسِبْتُهُ فَحْماً : بَدَتْ في بَعْضِهِ نارٌ ، وباقيهِ عليه رَمادُ .

– وقال في الغزل والنسيب :

ما لِهذي العيونِ – قاتَلَها اللـ ـهُ – تُسمّى لواحظاً ، وهي نَبْلُ[2] ؛
ولهذا الذي يُسمّونه العِشْـ ـقَ مَجازاً ، وفي الحقيقةِ قَتْلُ ؛
ولقلبي يقولُ : « أسْلو ؟ » فإنْ قُلْتُ : « نَعَمْ ! » قال : « واللهِ أسلو ! »[3]

– وقال يَذُمُّ الحَشيشةَ ويُفَضِّلُ السُّلاف (الخمر) :

لحا اللهُ الحشيشَ وآكِليها . لقد خَبُثَتْ ، كما طابَ السُّلافُ[4] :
كما تُصْبي كذا تُضْني ، وتَشْفي كما تُشْقي ، وغايتُها الخرافُ[5] .
وأصغرُ دائها – والداءُ جَمٌّ – لغاءٌ أو جُنونٌ أو نشافُ[6] .

٤ – ** فوات الوفيات ١ : ٦ – ٨ ؛ العبر ٥ : ٢٠٧ ، الوافي بالوفيات ٥ : ٣٥٦ – ٣٥٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٣ .

---

(١) اللظى : لهب النار الخالص (لا دخان فيه) . وقاد : يتوقد ، شديد الاشتعال .

(٢) النبل (بفتح النون ، جمع لا واحد له . وقيل هو جمع نبلة بالفتح) : السهام .

(٣) أسلو : أنسى (حبي) . والله أسلو = والله ، لا أسلو (يكون الفعل المضارع في القسم منفياً فلا تدخل لا النافية عليه . (٤) – أنث الحشيش ، والمقصود الحشيشة .

(٥) أصبى : بعث الصبا (الشباب) والحب في الانسان . أضنى : أمرض ، أضعف . الخراف : (صيغة غير قاموسية في المعنى الذي قصده الشاعر – هو يقصد الخرف بفتح ففتح) فساد العقل في الشيخوخة .

(٦) والداء جم : الأدواء (الامراض) التي تتأتى من الحشيش كثيرة . لغاء (كذا في الاصل) ولعل الشاعر مد كلمة « لغا » فجعلها « لغاء » بمعنى الكلام الفاسد الساقط الذي لا قيمة له . والنشاف صيغة غير قاموسية ، والمقصود ضمور الجسم ونحوله .

ابراهيم بن اونبا

هو الأمير مجاهدُ الدينِ ابراهيمُ بنُ اونبا بن عبد الله الصوابي الذي بنى الخانقاه المُجاهدية في دِمَشْقَ، اصبح والِيَ دِمَشْقَ (٦٤٤ هـ) وكان عالماً فاضلاً. وقد كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) أو قبلها بسنة.

كان ابراهيمُ بنُ أونبا شاعراً رقيقاً يقول في الغزل والنسيب:

أشْبَهَكَ الغُصْنُ في خِصالٍ : القَدِّ واللِينِ والتَثَنّي.
لكنْ تَجَنّيكَ ما حَكاه ؛ ألغُصْنُ يُجنى وأنت تَجْني[1].

— وقال في مليحٍ اسمُه مالكٌ ولعلها لابن قزل المشد (راجع الوافي بالوفيات ٥ : ٣٢٩).

ومليحٍ قُلْتُ له : ما الاسـ ـمُ، حبيبي ، قالَ : مالِكْ !
قلتُ : صِفْ لي وَجْهَكَ الزا هِي وصِفْ حُسْنَ اعتدالِكْ ؛
قال : كالغُصْنِ وكالبَـدْ رِ. وما أشْبَهَ ذلِـكْ !

٤ ** الوافي بالوفيات ٥ : ٣٢٩ ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٩ — ٤٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٦٤ — ٢٦٥.

ابن أبي الإصبع المصري

١ — هو زكيُّ الدينِ أبو محمّدٍ عبدُ العظيمِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ ظافرِ بنِ عبد الله ابنِ محمّدٍ البَغْداديُّ[2] المِصريُّ العَدْواني[3] المعروف بابنِ أبي الإصبعِ ، وُلِدَ في مِصْرَ نحوَ سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) ثم تُوُفّيَ في مِصْرَ أيضاً في ٢٣ من شوّالٍ سَنَةَ ٦٥٤ هـ (١٠/١١/١٢٥٦ م).

٢ — كان ابنُ أبي الإصبعِ المِصْريُّ بارعاً في عددٍ من فنونِ العلم والأدب : في التفسيرِ والفِقْهِ والنحو والبلاغة. وكان شاعراً مُتَصَرِّفاً في فنونِ الشعر مِنَ المديحِ والهجاء والوصف والخمر والغزَلين والمُجون ، كثيرَ النظم في الزهد وفي البديعيّات (مدح الرسول) ، ولكنّ شِعْرَه قليلُ الرونقِ. وأكثر شعره مقطعاتٌ تقوم على

(١) — ان الغصن ما حكى (أشبه) تجنيك (تحاملك على محبك وظلمك له) : ان الغصن يجنى (يقطف منه ثمر طيب) وأنت تجني (تظلم).

(٢) في حسن المحاضرة (١ : ٢٧١) : البغدادي ثم المصري (مما يوحي بأن أسلافه من بغداد).

(٣) لا نعلم من أين جاءته هذه النسبة «العدواني».

تكلّفُ أنواع البديع . وكانتْ براعةُ ابنِ أبي الإصبعِ المصري في البلاغة والنَقْد خاصّةً . وقد كانتْ له في حياتِه مكانةٌ أدبيةٌ سامية . ثمّ هو مُصنّفٌ له : تحريرُ التحبير في علم البديع (انتهى من تأليفِه سنة ٦٤٠ هـ : وذكر فيه أن القرآنَ الكريمَ حوى خصائصَ الأدبِ الخالد وأحاط بالمُثُلِ الأخلاقية ثمّ جرى فيه التعبيرُ بالأساليبِ البسيطةِ حتّى أصبحَ مُعْجِزاً للبشر) ـ بديعُ القرآن (وهو مُوجَزٌ من « تحرير التحبير ») ـ الخواطر والسوانح في أسرار الفواتح (في سُوَرِ القرآن الكريم) ـ الكاملة في تأويل « تلك عَشْرَةٌ كامِلَة »[1] ـ بيان البرهان في إعجاز القرآن ـ الأمثال الواردة في القرآن الكريم وعندَ الشعراء وخصوصاً أبا تمّام والمتنبّي) ـ صِحاحُ المدائح (قصائدُ في مدح الرسول والخلفاء الراشدين ووَصْفِ عددٍ من سُوَرِ القرآن) ـ العُنوان في معرفة الأوزان ـ الشافية في علم القافية ـ الجوهرة الفريدة في قافية القصيدة ـ الميزان في الترجيح بين قُدامةَ وخصومهِ ـ وصيّة الى الكتّاب والشعراء .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابن أبي الاصبع المصري في النسيب :

فَدَيْتُ التي إذ وَدّعَتْني وأوْدَعت من اللفْظِ سَمْعي ساعةَ البَيْنِ جَوْهَرا.
فلمّا التَقَيْنا رَدَّ دَمْعي لِنَحْرِها ودِيعتَها ، فَهْيَ اللآلي التي تَرى.
بَكَتْ ودَنَتْ نَحْوي ، فجرَّدَ لَحْظُها من الجفْنِ سَيْفاً بالدُموع مُجَوْهَرا .

ـ وقال يلومُ الناسَ لأنّهم هُمُ الذين لم يَفْهَموا أحوالَ الدنيا فانقلبوا يَذُمّونها :

نَصَحَتْنا فلم نَرَ النُصْحَ نصحاً حين أبْدَتْ لأهلِها ما لَدَيْها :
كم أرَتْنا مَصارعَ الأهلِ والأحْـ بابِ ـ لو نَستفيقُ ـ بين يَدَيْها .
يومُ بؤسٍ لها ويومُ رَخاء ؛ فتَزَوّدْ ما شِئْتَ من يوميها .
دار زادٍ لِمَنْ تَزَوّدَ منها ، وغرورٍ لِمَنْ يميل إليها .

---

(١) في القرآن الكريم في سورة البقرة : « .... فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم (الى بلادكم) ، تلك عشرة كاملة .... (٢ : ١٩٦) فدية على من اضطر الى ترك ذبح أضحية (او اذا حلق شعر رأسه قبل ذبح الأضحية) .

رَغبْتُ ثمَّ رهبْتُ ليَرى كُلُّ لبيبٍ عُقباهُ[1] في حالتيهما .

ـ قال ابنُ أبي الإصبَعِ في مقدمة « تحرير التحبير » :

..... وبعدُ ، فانّي رأيتُ ألقابَ محاسنِ الكلام التي نُعتَتْ قد انتهتْ الى عدد منه أصول وفروعٍ ؛ فأصولُه ما أشار إليها ابنُ المعتزّ في « بَديعه[2] » وقُدامةُ في « نقدِهِ[3] » لأنّهما أوّلُ من عُنِيَ بتأليف ذلك ..... (وبعد أن يورد ابن أبي الاصبع عناوين عدد كبير من الكتب التي وضعت في فنّ البديع ويذكر بعضها بالمديح والثناء وبعضها الآخر بالتنقّص والذمّ يقول) : وإنْ كُنْتُ قلّما رأيتُ منها كتاباً خلا عن موضعِ نَقْدٍ بحَسْبِ منزلةِ واضعهِ من العلم والدراية ، فمن قليلٍ ومن كثيرٍ ؛ وكلُّ أحدٍ مأخوذٌ من قوله ومتروكٌ إلاّ من عَصَمَهُ اللهُ من أنبيائهِ صلواتُ اللهِ عليهِمْ وسلامُهُ . والسعيدُ من عُدَّتْ سَقَطاتُه ، ـ « وماأُبَرِّئُ نفسي[4] » ـ ولا أدّعي وَضْعي دون أبناء جنسي[5] . غيرَ أنّي توخّيتُ تحريرَ ما جمعتُه من هذه الكُتُبِ جُهْدي ودَقّقتُ النظرَ حَسْبَ طاقتي ، فتحرّسْتُ من التوارد وتَجَنّبْتُ التداخُلَ[6] ونَقّحْتُ ما يَجِبُ تنقيحُهُ وصحّحت ما قَدرْت على تصحيحه . وربّما أبْقَيْتُ اسمَ الباب وغيّرتُ مُسمّاهُ[7] إذا رأيتُ اسْمَهُ لايَدُلُّ على معناهُ إلى أن جَمَعْتُ جميعَ ما في هذه الكتبِ من الأبوابِ على ما قدّمْتُ من الشرائطِ فكان ما جمعتُهُ من ذلك ستّينَ باباً فروعاً بعدَ ما قدّمته من الأصول ..... وأضفتُ هذه الأبوابَ الفروعَ الى تلك الثلاثينَ الأصولِ فصارتْ الفَذْلَكَةُ تِسعينَ باباً . ورأيتُ الأجدابيَّ[8] قد ذَكَرَ من محاسنِ القافية أربعةَ أبواب منها بابانِ هما بابٌ واحدٌ سَمّاهما بتَسْمِيَتَيْنِ غيرِ مُطابِقتين لمعناهما فجعلتُهُما باباً واحداً على حُكْمِ ما أخذتُ به نفسي من حَذْفِ المتداخل وسمّيتُه « الالتزام ..... فسَلِمَتْ له (للأجدابي) ثلاثةُ أبوابٍ (فتمّ كتابي) ثلاثةٌ وتسعين باباً .

---

(١) العقبى : الآخرة ، النتيجة .

(٢) كتاب البديع لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ — راجع ٢ : ٣٧٧ — ٣٨١) .

(٣) كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت بعد ٣٢٠ هـ — راجع ٢ : ٤٣٤ — ٤٣٦) .

(٤) في سورة يوسف : « وما أبرىء نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء » (١٢ : ٥٣) : لا أدعي أني لا أخطىء . (٥) لا أستثني نفسي من أبناء جنسي (البشر) ، فالبشر كلهم يخطئون .

(٦) التداخل (هنا) : معالجة موضوع واحد في فصلين متواليين أو متباعدين .

(٧) ربما تركت اسم الفصل وبدلت البحث والأمثلة .

(٨) هو ابراهيم بن اسماعيل الأجدابي (أو ابن الاجدابي) لغوي من أهل أجدابيــة في طرابلس الغرب (ليبيا) له كتاب « كفاية المتحفظ » هو سبب شهرته . وكانت وفاته نحو سنة ٤٧٠ هـ (١٠٨٨ م) .

ولمّا أمرَني من لا مَحيصَ عن رَسْمه سيّدُ الفُضلاء وقُدوةُ البلغاء وملجأ الأدباء ومَحَطُّ رِحال الغرباء وإمامُ الكرماء القاضي الأجلُّ ..... ابنُ سَناء المُلْك (١) بجَمْعِ ما في كتبِ الناس على سبيلِ الاختصارِ من الشواهدِ وتجنُّبِ الإطالة بذِكْرِ كلِّ الاشتقاقِ إلاّ أيضاحَ مُشْكِلٍ أو كَشْفَ غامضٍ أو زِيادةَ بَسْطٍ في الكلام على أنّه من كتابِ الله تعالى أو في بيتٍ قد أُهْمِلَ تَقَصّي الكلامِ عليه بادَرْتُ الى امتثال أمرهِ .....

— من متن « تحرير التحبير » (ص ٩٩ — ١٠٠) :

ومن أمثِلَةِ الاستعارةِ في السُنّةِ النبَويّةِ قولُه عليه السلام : « ضُمّوا مواشيَكُمْ حتّى تذهبَ فحمةُ العِشاء »(٢) . فاستعار — صلّى اللهُ عليه وسلّمَ — للعشاء الفحمةَ لقَصْدِ حُسْنِ البيان ، لأنّ الفحمةَ هاهنا أظهرُ للحِسّ من الظُلمة ، فإنّ الظُلمةَ تُدْرَكُ بحاسّةِ البصر فقط والفحمةُ تدرَكُ بحاسّتَي البصرِ واللمس ، لأنّها جِسْمٌ والظُلمة عرَضٌ(٣) ؛ فكان ذِكْرُها — أعني الفحمةَ — أحسنَ بياناً من ذِكْرِ الظُلمة .

— من مقدّمة « بديع القرآن » :

.... كتاب « بديع القرآن » — الذي هو تَتِمّةُ « الإعجاز » المترجَم « ببيان البُرهان » — أفردتُه من كتابٍ هو وظيفةُ عُمُري(٤) وثَمَرةُ اشتغالي في إبّانِ شبيبتي ومباحثي في أوانِ(٥) شَيْخوختي مَعَ كلّ من لَقيتُه من عُقلاءِ العُلماء وأذكياء الفضلاء ونُبلاء البلغاء في عِلْم البيان ، و(مَعَ) كلٍّ من له عنايةٌ بتَدبُّرِ القرآن(٦) ونظرٌ ثاقبٌ في نقدِ جواهرِ الكلام ومَنْ له تَمْييزٌ بين الذَهَبَ والشَبَهِ(٧) من نُقودِ النثر والنِظام ، جمعتُه من ....(٨) .

---

(١) ابن سناء الملك (راجع ، فوق ، ص ٤٥١) .

(٢) العشاء (بكسر العين) : غياب الشفق (بعد غياب الشمس بنحو تسعين دقيقة) واشتداد ظلام الليل والمقصود بالقول : حتى تذهب فحمة العشاء (حتى يذهب الليل ويبدأ ضوء الصباح) .

(٣) العرض (بفتح ففتح) : الصفة العارضة (التي تأتي وتذهب) كالمرض بالاضافة الى الإنسان وكاللون بالاضافة الى الاشياء . (٤) وظيفة عمري : العمل الذي قضيت في إنجازه عمري كله .

(٥) أوان : زمن . (٦) تدبر القرآن : قراءته بتفكير وتفهم .

(٧) الشبه : النحاس الأصفر ، وهو في الحقيقة مزيج من النحاس (الأحمر) ومن القصدير (ويكون لونه أصفر كلون الذهب الخالص) .

(٨) هنا يأتي كلام هو الكلام الموجود في مقدمة « تحرير التحبير » أو قريباً جداً منه .



٤ — بديع القرآن (تحقيق حفني محمد شرف) ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .
تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن (تحقيق الدكتور حفني محمد شرف) ، القاهرة (الجمهورية العربية المتحدة : المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية — لجنة احياء التراث الاسلامي) ١٣٨٣ = ١٩٦٣ — ١٩٦٤ م .

** فوات الوفيات ١ : ٣٧٤ — ٣٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧٣ ، الملحق ١ : ٥٣٩ ؛ زيدان ٣ : ٦٤ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٥٦ .

سيف الدين المشدّ

١ — هو الأميرُ سيفُ الدين المشدّ أبو الحسن عليُّ بنُ عُمَرَ بنِ قِزِلَ بنِ جَلْدَكَ التركمانيُّ الياروقيُّ المِصْري ، وُلِدَ في مِصْرَ سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥—١٢٠٦ م).

تَقَلّبَ سيفُ الدينِ المشدُّ في دواوينِ الإنشاء وتولّى مشدّ[1] الديوانِ في دِمَشْقَ للناصرِ يوسفَ بنِ عبدِ العزيز (٦٢٤ — ٦٣٦ هـ) سُدّةً . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في تاسعِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٥٦ هـ (١٦/ ١/ ١٢٥٨ م) في دِمَشْقَ .

٢ — كان سيفُ الدينِ المشدُّ ظريفاً طيّبَ العُشْرةِ ، وكان مُتَرسّلاً وشاعراً مُكْثراً ، له ديوانُ شعرٍ . وشعرُه وُجدانيٌّ سهلٌ فيه شيءٌ من الضَعْفِ ، وفنونُه الغَزَلُ والنَسيب مَعَ شيءٍ من المُجون .

٣ — مختارات من شعره

قال سيفُ الدين المشدّ في النسيب :

غرامي بِكُمْ أجلى من الأمْنِ في القَلْبِ ، ووُدّي لكم أحلى من المَنْهَلِ العَذْبِ[2] ؛
وشوقي إليكم كلَّ يومٍ وليلةٍ يَزيدُ على حالِ التباعُدِ والقُرْبِ .
وانّي وإنْ شَطّتْ بِيَ الدارُ عنكمُ تُقَلّبُني الأشواقُ جَنْباً إلى جنب[3] .
أأَحْبابَنا ، إنْ قَرّبَ اللهُ دارَكُمْ نَذَرْتُ بأنّي لا أعودُ الى العَتْبِ[4] .

---

(١) المشد (بضم الميم وكسر الشين) : المراقب العام ؛ الذي يحث العمال على الاسراع بتنفيذ الأعمال؛ الذي يتولى نقل أوامر صاحب الدولة الى رؤساء القرى (راجع معجم دوزي ١ : ٧٣٦ — ٧٣٧) .

(٢) أجلى : أبرز ، أظهر (لعلها « أحلى » أيضاً) . المنهل : مكان يشرب الناس منه . العذب : الحلو .

(٣) شطت : بعدت . تقلبني الأشواق جنباً الى جنبي : تذهب عني النوم ، تجعلني قلقاً معذباً .

(٤) العتب : العتاب ، اللوم .

ذكرتُ زمـاناً كان يجمـعُ بينَنـا ... ففاضت دموعي واستفاض له قلْبي (١) .
فواهاً له لو عـادَ للوَصْلِ مـرّةً ... وأعْطِيه ما أبقى التفرُّقُ مِنْ لُبّي (٢) !

— وقال في النسيب والخمر مع التورية (راحتي : يدي ، وراحتي ضدّ تعبي) :

أقصى مُـرادي في الهـوى ... بـأن تحِلّـوا ساحتي (٣)
وراحَـتي في قَـدَحٍ (٤) ... أنظُـرُه في راحـتي .

٤ — ** فوات الوفيات ٢ : ٧٩ — ٨٣ ؛ العبر ٥ : ٢٣٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٠ بروكلمان ١ : ٣٠٧ ، الملحق ١ : ٤٦٥ ؛ زيدان ٣ : ١٨ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٣١ .

ابن أبي الحـديد

١ — هو عزُّ الدينِ أبو حامد عبدُ الحميدِ بنُ هِبَةِ الله بنِ محمّدِ بنِ الحسينِ ابن أبي الحديدِ المدائني ، وُلِدَ في أوّلِ ذي الحجّة من سَنَة ٥٨٦ هـ (٣٠/ ١٢/ ١١٩٠ م) في المدائنِ (شرْقَ بَغدادَ) ونشأ فيها ودَرَسَ علمَ الكلام ومال إلى الاعتزال (٥) .

انتقلَ ابنُ أبي الحديدِ إلى بَغدادَ ونالَ حَظوةً عند الخُلفاء وعند الوزيرِ ابنِ العلْقميّ . وقد عُيِّنَ كاتباً في دار التشريفات ثمّ في دارِ الخِلافة ثمّ ناظراً في المارستان . وعُيِّنَ أخيراً رئيساً على مكتباتِ بَغدادَ .

---

(١) فاض الدمع : كثر سيلانه . استفاض (امتلأ) به قلبي (كثر حزني) .

(٢) واها (كلمة للتعجب أو التلهف والتمني) ؛ واهاً له لو عاد : ما أحسن لو عاد (يا ليته يعود) . التفرق : الفراق . اللب : القلب (العقل) .

(٣) حل (نزل) ساحته (أرضه) : نزل به ضيفاً أو ساكناً .

(٤) قدح (من الخمر) .

(٥) كان ابن أبي الحديد متكلماً على رأي المعتزلة . وقد اشتهر بالتواتر أنه شيعي ، ولكن المصادر التي نلتقط منها أشياء نزرة (بسكون الزاي) مما يتعلق بحياته لا تذكر ذلك صراحة. والدلائل التي يمكن أن تشير الى تشيع ابن أبي الحديد أمور منها شرحه لنهج البلاغة شرحاً متطرفاً وصلته بالوزير مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد ابن العلقمي الذي جاء الى الوزارة سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ — ١٢٤٣ م) . وقد شرح ابن أبي الحديد كتاب نهج البلاغة ليقدم هذا الشرح الى ابن العلقمي . ثم إن ابن العلقمي كان شيعياً ، لا شك في ذلك ، غير أنه كان من الشيعة الغالية الباطنية ، ولم تكن صلته بالخلافة العباسية التي كان وزيراً فيها صلة واضحة ، ويقال إنه مالأ التتر على العباسيين ، يدل على ذلك أن التتر استبقوه (بفتح القاف) في منصب الوزارة بعد أن قضوا على الدولة العباسية وخربوا بغداد ، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . ودفع ابن العلقمي حياته ثمناً لسياسته الغامضة فقد أساء التتر معاملته إساءة شديدة فمات غيظاً وكمداً سنة ٦٥٧ هـ (راجع فوات الوفيات ٢ : ١٩٠) .

وكانتْ وفاةُ ابنِ أبي الحديدِ في بَغداد في أوائلِ سَنَةِ ٦٥٦ هـ (أوائل ١٢٥٨ م).

٢ - كان ابنُ أبي الحديدِ عالماً لُغَوِيّاً وأديباً شاعراً ومُصنّفاً ، فمن كتبه : شرح كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضيّ من كلام الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ، وقد قضى في عملِ هذا الشَرْحِ خَمْسَ سنَوَات (٦٤٤ - ٦٤٩ هـ) وقدّمه الى الوزير ابن العلقميّ . كان هذا الشرح في الحقيقة وسيلة الى التوسّع في عدد من فنون المعرفة التي كان ابن أبي الحديد يتقنها ، وقد أدخل فيه كثيراً من آراء المعتزلة[1] - الوشاح الذهبي في علم الأبي !! - الأخبار الحسان (مجموع في اللغة والتاريخ والأدب فيه شيء من شعره ونثره) - القصائد السبع العلويّات[2] - القصائد المستنصريّات - نظم كتاب الفصيح لثعلب - شرح منظومة في الطبّ لابن سينا - شرح الياقوت لابي اسحق ابراهيم بن نَوْبَخْتْ - شرحٌ على مشكلات الغرر (في الاصول) لابي الحسن البصري - شرح كتاب محصَّل أفكارِ المتقدّمين والمتأخّرين للفخر الرازي - شرح الآيات البيّنات للفخر الرازي - الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشيعة للشريف المرتضى - انتقاد المستصفى (في علم الأصول) للغزّاليّ - الحواشي على كتاب المفصّل (في النحو) للزمخشري - تعليقات على كتاب المحصول (في علم الفقه) للفخر الرازي - الفلك الدائر على المَثَلِ السائر (نقدٌ لكتاب المثل السائر لضياء الدين بن الأثير) .

٣ - مختارات من آثاره

- من القصائد السبع العلويّات :

عن ريقِهـــا يتحدّثُ المِسواكُ أرَجاً ، فهل شَجَرُ الكِباءِ أراكُ[3] ؟

ولطَرْفِها خَنَثُ الجَبانِ ، فإنْ رَنَتْ باللّحْظِ فَهْيَ الضَيْغَمُ الفتّاكُ[4] :

شَرَكُ القلوبِ ؛ ولم أخَلْ من قَبْلِها أن القلـــوبَ تَصيدها الأشْراكُ .

---

(١) راجع طريقة ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في مقدمته ، وبعضها مثبت في « مختارات من آثاره » .

(٢) القصائد السبع العلويات : فتح خيبر - فتح مكة - مدح الرسول (قصيدتان) - مقتل الحسين - موت الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٦٢٢هـ) ...

(٣) الارج : طيب الرائحة . الكباء : العود الذي له رائحة طيبة . الاراك : شجر تتخذ من أغصانه المساويك (التي تجلى بها الاسنان) .

(٤) الطرف : النظر ، العين . الخنث (بفتح ففتح) : التكسر والاسترخاء . رنا : تطلع بسكون العين (نظر نظراً يسيراً) . الضيغم : الاسد .

يا وَجْهَها المَسْفوكَ ماءُ شبابه ، ما الحتفُ لولا طرفُكَ الفتّاك[1] !
أمْ هلْ أتاكَ حديثُ وَقْفَتِنا ضُحىً ، وقلوبُنا بِشَبا الفِراق تُشاك[2] .
لا شيءَ أقطعُ من نوى الاحباب أو سيفِ الوصيِّ ، كلاهما فتّاك[3] ؛
ذو النّورِ ؛ ان نَسَجَ الضلالُ مِلاءةً دكْناءَ فهْوَ لسِجْفِها هتّاك[4] .
علاّمُ أسرارِ الغيوبِ ، ومن له خُلِقَ الزمانُ ودارتِ الأفلاك ؛
فكّاكُ أعناقِ الملوكِ ، فان يُرِدْ أسْراً لها لم يُقْضَ منه فِكاك[5] .
ما عُذْرُ من دانتْ لديه ملائكٌ ألاّ تَدينَ لعزّه الأملاك[6] !

ــ من مقدّمة « شرح نهج البلاغة »[7] :

الحمدُ للهِ الواحدِ العدْلِ الذي تفرّد بالكمال فكل كاملٍ سِواه منقوصٌ ، واستَوْعَبَ عُمومَ المحامدِ والممادح فكل ذي عمومٍ عَداه مخصوصٌ[8] .... قدّمَ المفْضول على الأفضل لِمَصْلحةٍ اقتضاها التكليفُ ، واختصّ الأفضل من جلائلِ المآثرِ ونفائسِ المفاخرِ بما يَعظُمُ عنِ التشبيه ويَجِلُّ عن التكْييف[9] ....

وبعدُ فان مراسيمَ[10] المَوْلى الوزيرِ الأعظمِ صاحبِ الصّدْرِ الكبيرِ المعظّمِ ، العالمِ العادلِ المظفّر المنصور المُجاهد المُرابط مؤيّدِ الدين عَضُد الاسلام سيّد وزراء

---

(١) المسفوك ماء شبابه : الذي يقطر ماء شبابه (كناية عن عنفوان الشباب) . الحتف : الهلاك ، الموت . ما الحتف لولا طرفك الفتاك : لولا طرفك (لحظك ، عيونك) التي تقتل الناس لما استطاع الحتف (الموت) أن يقتل أحداً . (٢) الشبا : حد السيف ، أو حد كل آلة قاطعة . شاك : شك ، وخز .

(٣) النوى البعاد . الوصي : الامام علي بن أبي طالب .

(٤) ذو النور : صاحب النور . الدكناء : القاتمة اللون . السجف (بفتح السين أو بكسر السين) والسجاف (بكسر السين) : الستر . هتك الشيء : شقه .

(٥) لم يقض منه فكاك : اذا وقع أحد في أسره لم يستطع أحد آخر أن ينقذه .

(٦) دانت : خضعت . الملائك : الملائكة . الاملاك : الملوك (من البشر) .

(٧) سأكتفي هنا بالشرح اللغوي والادبي لأن شرح المدارك الكلامية (مدارك علم الكلام وأصول الدين ، نحو : العدل ــ تقديم المفضول على الفاضل ــ التكييف الخ) متشعبة كثيرة وخارجة عن نطاق هذا الكتاب .

(٨) استوعب المحامد : تضمنها كلها ، احتوى عليها جميعاً . كل ذي عموم عداه (= ما عداه : ما عدا الله تعالى) مخصوص : كل ما يقال فيه إنه عام القدرة تقتصر قدرته على أمر معين .

(٩) قدم المفضول (أبا بكر وعمر وعثمان) على الافضل (علي بن أبي طالب) ... بما يعظم عن التشبيه (بما يحيل أن يكون للامام علي شبيه أو مثيل) ويجل عن التكييف (يمنع من أن نسأل : كيف ؟)

(١٠) مراسيم جمع مرسوم (ما رسمه السلطان للناس ، ما أمرهم به ، ما وضع خطته) .

الشرق والغرب ابي طالب محمد بن احمد بن محمد العلقمي نصير امير المؤمنين ، أسبغ الله عليه من مراقب السعادة[1] ومراتب السيادة أشرفها وأعلاها. لمّا شَرُفتُ ـ عَبْدَ دولته وربيبَ نعمته[2] ـ بالاهتمام بشرح نهج البلاغة على صاحبه افضلُ الصلوات ولذِكره أطيب التحيّات بادرَ إلى ذلك مبادرةَ مَنْ بعثه مِنْ قَبْلُ عَزْمٌ ثم حرّكه أمرٌ جَزْمٌ[3] وشَرَعَ فيه بادِيء الرأيِ[4] شُروعَ مختصر، وعلى ذكر الغريب والمعنى مقتصِر. ثم تعقّب الفكرَ فرأى ان النُّغْبَةَ لا تَشْفي أُواماً ولا تزيد الحائمَ إلاّ حِياماً[5] ، فتنكبّ ذلك المسلكَ ورفض ذلك المنهج وبسط القول في شرحه بسطاً اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشتبهُ ويُشْكِلُ[6] من الإعراب والتصريف، وأوردَ في كل موضوع ما يُطابِقُه من النظائر والأشباه[7] نظماً ونثراً وذكرما يتضمنه من السِيَرِ والاحداث فصلاً فصلاً . وأشار الى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل[8] إشارة خفيفة ولوّح[9] إلى ما يستدعي الشرحُ ذكرَه من الانساب والأمثال والنُكَت تلويحات لطيفة ورصّعه من المواعظ الزُّهدية والزواجر[10]

---

(١) المرقبة (بفتح الميم والقاف) : المكان العالي الذي يشرف الانسان منه على ما حوله .

(٢) التفات (ينتقل الكاتب الى الكلام عن نفسه). عبد دولته : اخص نفسي، انا عبد دولته .

(٣) بادر الخ : اسرع (الى شرح نهج البلاغة) إسراع من كان قد بعثه (دعاه الى ذلك : من قبل صدور الأمر اليه) عزم (عزم أو إرادة من عند نفسه) . جزم : (أمر) بات ، فاصل .

(٤) شرع (بدأ) فيه (بشرحه) بادىء الرأي (في أول الأمر) .

(٥) النغبة (جرعة الماء القليلة) لا تشفي أواما (لا تطفىء عطشاً) . الحائم : العطشان .

(٦) اشتبه الأمران وتشابها : تماثلا حتى يصعب التفريق بينهما . أشكل الأمر : صعب تبينه ومعرفة المقصود منه أو معرفة وجه الصواب فيه .

(٧) يطابقه : ينطبق عليه ، يماثله حتى كأنه هو . النظائر (جمع نظير) والأشباه (جمع شبه بكسر الشين) الأمور المتماثلة التي يشبه بعضها بعضاً .

(٨) علم العدل والتوحيد = علم أصول الدين على مذهب المعتزلة (الذين يفضلون ما يقضي به العقل في أمور العقائد الدينية على ما جاءت به الاخبار) في مقابل مذهب الاشعرية (الذين يرون أن العقل معزول عن أمور الدين جملة) . التوحيد (عند المعتزلة) : الاعتقاد بأن الله واحد بالعدد وأنه لا يشبه أحداً من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه . والعدل (عند المعتزلة أيضاً) : الاعتقاد بأن الله جعل الانسان مخيراً في جميع أعماله ثم يحاسبه يوم القيامة على جميع الأعمال التي عملها في الدنيا فيثيبه على أحسن ويعاقبه على ما أساء . ولو أن الله قدر جميع أعمال الانسان عليه ثم عاقبه على السيئات التي كان هو قد قضاها عليه (أمره بها) لما كان ذلك من الله عدلا ، كما يقول المعتزلة .

(٩) لوح بالشيء : أظهره قليلا وحركه تحريكاً خفيفاً . لوح اليه : أشار اليه (إشارة عارضة خفيفة) .

(١٠) رصعه : زينه (بحجارة كريمة) . الزواجر : النواهي ، الاقوال التي تزجر (تمنع) الانسان من عمل القبيح .

الدينية والحكم النفسية والآداب الخُلُقية المناسبة لِفِقَرِه والمشاكلة[1] لدُرَرِه والمُنتظمة معَ معانيه في سِمطٍ والمُتَّسقة مع جواهره في لَط[2] بما يهزأ بشنوف النضار ويُخجل قِطَعَ الروض غِبَّ القِطار[3]، وأوضح ما يومىء[4] إليه من المسائل الفقهية وبرهن على أن كثيراً من فصوله داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغَيْبية وخروجها عن وُسع[5] الطبيعة البشرية ....

وقد تعرضت في هذا الشرح لمناقضته في مواضعَ يسيرةٍ اقتضتِ الحالُ ذِكرَها وأعرضتُ عن كثير مما قاله لم أرَ في ذكره ونقضه كبيرَ فائدة .

.... اعلمْ أني لا أتعرض في هذا الشرح للكلام في ما فرَغَ أئمّة العربية (منه) ولا لتفسير ما هو ظاهر مكشوف .

٤ – القصائد السبع العلويّات (مطبوعة مع المعلّقات وشرح البردة) ، طهران (طبع حجر) ١٢٧٣ ، ١٣١٧هـ ؛ (شرحها محمّد صاحب المدارك) ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٤٠ ١٣٤٤ هـ ؛ بمبي ١٣٠٥ ، ١٣١٦ هـ ؛ القاهرة ١٣١٧هـ ؛ (شرح العاملي) ، فارس (طبع حجر) ١٢٨٢ ؛ ١٣١٧ هـ .

القصائد المستنصريات ، بغداد ١٣٣٨ هـ .

الفلك الدائر على المثل السائر ، لا ذكر لمحلّ الطبع ، ١٣٠٩هـ (؟) = المثل السائر المسمّى بالفلك الدائر ، بمبي ١٣٠٨ – ١٣٠٩هـ .

شرح نهج البلاغة ، تبريز ١٢٦٧ ، ١٢٨٥ هـ ؛ طهران ١٢٧٠ ، ١٢٨١ هـ ؛ بومبيء ١٣٠٤ هـ ؛ مشهد ١٣١٠هـ ؛ مصر ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ ؛ (مع حواش لمحمّد نائل المرصفي) ، القاهرة ١٣٢٨هـ القاهرة (البابي) ١٣٢٩ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٠ – ١٣٣١ هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ ؛ بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٣ – ١٩٦٥ م ؛ (نشره محمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة .

** تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تأليف محمود الملاّح ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٤م .

---

(١) المناسبة : المشابهة ، المماثلة . الفقرة (بكسر الفاء) القطعة . المشاكلة : المشابهة .

(٢) السمط : الخيط تجمع فيه الجواهر عقداً . المتسق : الجاري على خطة معينة . اللط : القلادة من حب الحنظل المصبغ .

(٣) الشنف (بفتح الشين) : القرط (بضم القاف) يعلق بالاذن . النضار : خالص الذهب . غب القطار : بعد المطر . قطع الروض بعد القطار تكثر فيها الازهار .

(٤) أومأ : أشار .

(٥) الوسع : الطاقة ، المقدرة .



وفيات الاعيان ٣ : ٦٦ (في ترجمة ضياء الدين بن الاثير) ؛ فوات الوفيات ١ : ٣١٧ — ٣١٩ ؛ العبر ٥ : ٢٣٤ ؛ روضات الجنّات ٤٢٢ ؛ البداية والنهاية ١٣ : ١٩٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٥ — ٣٣٦، الملحق ١ : ٤٩٧ ؛ زيدان ٣ : ٤٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٦٨٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٦٠ .

الصرصري

١ — هُوَ جمالُ الدينِ أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ يوسفَ بنِ يحيى بنِ منصورِ بنِ مَعْمَرِ بنِ عبدِ السلامِ الصَّرْصَرِيُّ البَغْدادِيُّ ، نِسْبَةً الى صَرْصَرَ وَهِيَ قريةٌ على فَرْسَخَين من بَغْداد .

وُلِدَ يحيى بنُ يوسفَ الصرصريُّ سَنَةَ ٥٨٨ هـ وقرأ القرآنَ على أصحابِ ابنِ عساكر البطائحي وسمع الحديثَ من الشيخِ عليِّ بنِ إدريسَ الزاهدِ وحَفِظَ الفِقْهَ واللغةَ . وكان يَسْلُكُ في طريق التصوّف .

وكان الصرصريُّ ضَريراً . ولمّا دخل التتار بَغْداد كان الصرصري فيها ، ويبدو أنّ نفراً منهم اتّفق أن دخلوا عليه فقاتلهم بعُكّازِه وقَتَلَ واحداً منهم — وفي شذرات الذهب (٥ : ٢٨٦) أنّه قتل منهم اثْنَيْ عَشَرَ — فقتلوه ، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، فحَمَلَه أصْحابُه الى صَرْصَرَ ودفنوه فيها .

٢ — كان الصرصريُّ فقيهاً ولُغَوِيّاً ونَحْوِيّاً وشاعراً ومتصوّفاً ، ولكنَّ جميعَ آثارِه التي بَقِيَتْ لنا في الشعر . وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ جدّاً ، وأكثرُ شِعْرِه بَديعيّاتٌ . وله مديحٌ مشهورٌ . وكذلك له قصائدُ كثارٌ في الفقه — في أصولِ الفقهِ وفي فروعِ الفقه — : «نَظَمَ في الفقه مُخْتَصَرَ الكافي وزوايدَ الكافي ، ونظم في العربية (النحو) و في فنون شتّى ...... وشعرُه مملوءٌ بذكرِ أصولِ السُنّة ومدح أهلها وذمّ مُخالفيها» . «وله قصائدُ التزم في كلّ حرف (كلمة) منها ظاءٌ ، وأخرى في كلّ كلمة منها ضادٌ ، وأخرى في كلّ كلمة منها زايٌ . وهكذا (الى أن يَسْتَوْفِيَ) الحروفَ الصعبة ؛ وأخرى في كل بيتٍ (منها جميعُ) حروفِ المُعْجَم . وهذا دليلُ القُدْرةِ والاطّلاعِ والتمكّن» (نكتُ الهميان ٣٠٨) .

٣ — مختارات من شعره

— قال يحيى بنُ يوسفَ الصرصريُّ من بديعيّة :

يا خاتَمَ الرُسْلِ الكرامِ وفاتحَ الـ ـخَيْراتِ ، يا مُتَواضِعاً شَمّاخا[1] ؛

(١) خاتم الرسل — محمد رسول الله . الشماخ : المترفع (عن الظلم وعما لا يجوز) .

يا مَنْ به الإسلامُ أصبح ظاهـراً ، وبقَهْره الكُفْرُ المُشَقْشِقُ داخا[1] ؛
يا مَنْ رَسَتْ وسَمَتْ قواعدُ دينه ، وبه هَـوَى أُسُّ الضلال وساخا[2] ؛
يا خيرَ مَنْ شَدَّ المَطِيَّ لقَصْدِه حادي المَطِيِّ وفي هـواه أناخا[3] ؛
عَطْفاً على عبدٍ تَعَلَّقَ حُبُّكم طِفْلاً وفي صِدْقِ المحبّةِ شاخا[4] ؛
واسألْ لِيَ اللهَ المُهَيْمِنَ عَزْمَ مَنْ في الدين أضْحى ثابتـاً رسّاخا ،
فلَعَلّني أُكْفَى غَوائلَ ناصبٍ شَرَكاً لنـا من كَيْده وفِخاخا[5] .
وأفوزُ بالبُشْرى إذا وَرَدَ الـوَرَى يومَ القيـامةِ جاحِماً طبّاخا[6] .

٤ - ** نكت الهميان ٣٠٨ - ٣٠٩ ؛ العبر ٥ : ٢٣٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٥ - ٢٨٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٠ ، الملحق ١ : ٤٤٣ ؛ زيدان ٣ : ٢٥ - ٢٦ ؛ مجلة العربي (الكويت) نيسان ١٩٧٠ ص ٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ابن الحلاوي

١ - هو شَرَفُ الدينِ أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أبي الوفاء بنِ الخطّاب ابن الهِزَبْرِ المَوْصِلِيُّ الرَّبَعِيّ ، نِسْبَةً إلى أمّ الرَّبيعين وهي المَوْصِلُ ، وُلِدَ في الموصل سَنَةَ ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) .

كان ابنُ الحَلاويّ يتكسّبُ بالشعرِ يَمْدَحُ الملوكَ والخُلفاء : مَدَحَ المَلِكَ الناصرَ داوودَ بنَ عيسى ثمّ انْقَطَعَ إلى السلطان بـدرِ الدين لُؤلؤٍ أتابِكِ المَوْصِلِ (٦٣١ - ٦٥٧ هـ) ؛ ولمّا تَوَجّه بدرُ الدين لؤلؤٌ للاجتماعِ بهولاكو ، قُبَيلَ الغزوِ التَتاريّ ، كانابنُ الحلاويّ معه . وقد مَرِضَ ابنُ الحلاوي في هذه الرحلة في قيزيَزْدَ ، وقيل في سَلَماسَ (آذَرْبَيْجان) ، فتُوفّي هنالك سَنَةَ ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

٢ - ابنُ الحلاويّ هو (فوات الوفيات ١ : ٨٧ - ٨٨) : « الأديبُ الكبيرُ الشاعرُ المَوْصلي ، قال الشعرَ الجيّدَ الفائقَ .... وكان من مِلاح المَوْصل ، وفيه

(١) ظاهر منتصر (منتشر) . الشقشقة : كثرة الكلام .
(٢) الاس : الاساس . ساخ : غار في الارض .
(٣) المطية : الحيوان الذي يركبه الانسان في سفره . شد المطي : سافر ، قصد . أناخ : حط الرحال ، استقر .
(٤) تعلق حبكم = تعلق بحبكم ، لزم حبكم لا يحول عنه .
(٥) الغائلة : الأمر الشديد المهلك . ناصب شركاً لنا : ابليس . (شركاً مفعول ، به من « ناصب ») .
(٦) الورى : الناس ، البشر . الجاحم : الشديد الحر . الطباخ : الذي يطبخ الاشياء بحرارته (الشديد الحرارة) .

لُطفٌ وظَرْفٌ وحُسْنُ عِشرةٍ وخِفةُ رُوح ؛ وله القصائدُ الطنّانة » ؛ يَنْظِمُ رَوِيّةً وبَديهةً . وشعرُه حَسَنٌ رائقٌ وفيه صِناعة وشيءٌ من المَرْحِ والهزْل . وفنونه المدح والغزل والنسيب .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ الحلاويّ في الغزل والنسيب :

حكاه من الغُصْنِ الرطيبِ وَرِيقُه ؛ وما الخَمْرُ إلاّ وَجْنتـاه وريقُهُ[١] .

وأسْمرَ يَحكي الأسْمَرَ اللَدْنَ قَدُّه غدا راشقاً قَلْبَ المُحِبِّ رَشيقُهُ[٢] .

على خَدِّه جَمْرٌ من الحُسْنِ مُضْرَمٌ يُشَبّ ــ ولكنْ في فُؤادي ــ حريقه .

بديعُ التثنّي : راح قلبي أسيرَه ، على أن دَمْعي في الغرام طَليقُهُ[٣] .

على سالِفَيْه للعِذارِ جَريرةٌ ، وفي شَفَتَيْه للسُلاف عَتيقُـه[٤] .

يهدّد منه الطَرْفُ من ليس خَصْمَهُ ، ويُسْكِر منهُ الريقُ مَنْ لا يَذوقه .

على مِثْله يَسْتَحْسِنُ الصَبُّ هَتْكَه ، وفي حبّه يجفو الصديقَ صديقُهُ[٥] .

له مَبْسِمُ يُنْشِي المُدامَ بِرِيقِـه ويُخْجِلُ نَوّارَ الأقاحي بَرِيقُهُ[٦] .

حكى وَجْهُهُ بَدْرَ السماء ، فلو بـدا مَعَ البدرِ قال الناس : هذا[٧] شَقيقه !

٤ ــ ** فوات الوفيات ١ : ٨٧ ــ ٩١ ؛ الوافي بالوفيات ٨ : ١٠٢ ــ ١٠٨ ؛ العبر ٥ : ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٥ . الاعلام للزركلي ١ : ٢١١ .

---

(١) الرطيب : الناضر ، الطري . الوريق . المكسو بالورق (في أيام الربيع) . والخمر (حمراء) تشبه خديه و (حلوة) تشبه ريقه .

(٢) وأسمر (محبوب أسمر : جميل) يحكي (يشبه) الاسمر (الرمح) اللدن (اللين : الذي ينحني ولا ينكسر) . قدة : قامته (كالرمح) : مستقيمة ، رشيقة . رشق : رمى (فلان خصمه) بالسهام . رشيقه : قامته الرشيقة (المستقيمة التي تشبه السهم) .

(٣) طليق : مطلق ، مفكوك . وطليق : حر ، غير مربوط . دمعي طليقه : (هو أطلق دمعي : جعله يسيل بكثرة) أنا كثير الحزن والبكاء لكثرة عذابي في حبه .

(٤) السالف : الشعر حيال الأذن . العذار : الشعر النابت في الخدين . جريرة : قطعة من الحبل ونحوه ، ما يجر ، نطاق ذو عرض معين . ثم الذنب والجريمة (في الكلمة تورية) . السلاف : الخمر . العتيق من الخمر : القديم (الجيد) . ــ نبات الشعر في خديه (شبابه) أوقعني في الحب (عذبني ، أمرضني) ، وفي شفتيه دواء لي وشفاء . (٥) الصب : المحب . المتك والهّتك : اظهار العشق . يجفو : يبتعد عن ، يعادي .

(٦) مبسم : فم صغير (دائم الابتسام) . ينشي (يسكر) المدام (الخمر) بريقه (بما فيه من الريق الحلو) ــ ريقه هو الشيء الذي يجعل الخمر مسكرة ! النوار : الزهر البريق : النضارة ، اللمعان (الجمال) .

(٧) هذا (أي محبوبي) .

بهاءُ الدين زهـــير*

١ – هو أبو الفضل زهيرُ بنُ محمدِ بنِ عليّ بنِ يحيى المُهلَّبيّ ، وُلِدَ في نَخْلةَ ، قُرْبَ مكّةَ في خامسِ ذي الحجّة ٥٨١ هـ (٢٦/ ٢/ ١١٨٦ م) ثم انتقلَ به أهلُه إلى قُوصَ (في صعيدِ مِصْرَ) حيثُ تلَقّى علومَ الحديثِ والفقْهَ والأدبَ . وفي قُوصَ بدأ البهاء زهيرٌ حياتَه الأدبيةَ والعلمية بالتكسُّبِ بشعره فمدح الاميرَ مجدَ الدين بنَ اسماعيلَ اللَّمْطيّ (اللمكي ؟) لما أصبحَ مجدَ الدين حاكمَ قوص (٧٠٧ هـ = ١٢١٠ – ١٢١١ م) .

ويبدو أن البها زهيراً اتّصلَ في هذه الأثناء بالمَلِك العادل وأنشدَهُ قصيدةً في قلْعةِ دِمَشْقَ (٦١٢هـ) ثم مدح المَلِكَ الكاملَ بعدَ انتصاره في معَركة دمياط (٦١٨هـ).

انتقلَ البها زهيرٌ إلى القاهرة سنَةَ ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) أو بعدَها بقليلٍ واتّصل بآلِ البيتِ الأيّوبيّ ووثّقَ صِلتَهُ بالملكِ الصالحِ نجمِ الدين . وبعد وفاة الملك الكاملِ (٦٣٥ هـ = ١٢٣٨ م) تنازَعَ إخوتُهُ وأبناؤه فتغلّبَ الملك الناصرُ صاحبُ الكَرَكِ على ابنِ أخيه الملك الصالحِ في نابُلُسَ واعتقلَهُ في قلعة الكرك . وقد بقِيَ البها زُهيرٌ في نابُلُسَ مقيماً على وَلاء الملك الصالح حتّى خرَجَ الملكُ الصالحُ مِنَ الاعتقال وعاد الى مِصْرَ في أواخرِ سنَةِ ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) فعادَ البها زهيرٌ إلى خِدمته فولاّه الملكُ الصالحُ ديوانَ الإنشاء وخلَعَ عليه لقب « الصاحب » .

وبعد وفاةِ الملكِ الصالحِ ، سنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، اضطربتْ أحوالُ البها زهيرٍ فاعتزلَ في داره . ولمّا حدَثَ المرضُ العظيمُ بمصر (٢٤ شوال ٦٥٦) ثم دام أمداً ، مَرِضَ بـه البها زهيرٌ ثمّ تُوُفّي في رابعِ ذي القعْدة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)

٢ – بهاءُ الدين زُهيرٌ ناثرٌ مترسّلٌ وخطّاطٌ بارعٌ وشاعرٌ رقيقٌ ظريفٌ في شعرِه شيءٌ من المُجون . وهو يَجْري في شعره على الفِطْرة والسّليقة والبَساطة بلا تكلُّفٍ حتّى قال ابنُ خَلّكانَ (وفيات ١ : ٢٤٦) « وشعرُه كلُّه لَطيفٌ ، وهو كما يقال السهلُ المُمْتَنِـعُ » . على أن شعرَه ينوءُ بالضَعْفِ كشعرِ أكثرِ المعاصرين له . وفنونُ شعرِه المديحُ والغزل والأدب . ومَعَ أن له قصائدَ طوالاً فان قيمتَه في المُقطّعات .

٣ – مختارات من شعره

– غرقت بالبها زهيرٍ سفينةٌ فنجا هو من الغرَق ولكن ذهبَ ما كان معَهُ فيها فقال :

لا تَعتِبِ الدهرَ في شيءٍ رَماكَ بـه ؛ إنِ استردَّ ، فقِدْماً طالما وَهَبـا[1] .
حاسبْ زَمـانَكَ في حالَيْ تَصَرُّفهِ تَجِدْهُ أعطاكَ أضعافَ الذي سَلَبا .
واللهُ قد جعلَ الأيـامَ دائرةً فلا تَرى راحةً تَبْقى ولا تَعَبا .
ورأسُ مالِكَ ـ وَهْيَ الروحُ ـ قد سَلِمتْ ؛ لا تأسَفَنَّ لشيءٍ بعدَها ذَهَبـا .
وربَّ مالٍ نما من بَعْدِ مَرْزِئَـةٍ ؛ أما ترى الشَمْعَ بعد القَطِّ مُلْتَهِبا[2] ؟

ـ وقال يرثي :

أراكَ هَجَرْتَني هجـراً طويلاً ، وما عوَّدتَني من قبـلُ ذاكـا .
عَهِدتُكَ لا تُطيقُ الصبرَ عنّـي وتَعْصي في وِدادي مَن نَهاكـا ؛
فكيف تَغَيَّرَتْ تلك السَجايا ، ومن هـذا الذي عنّي ثَنـاكا[3] ؟
فلا ، واللهِ ، ما حاولتَ غَـدْراً ؛ فكلُّ الناسِ يغـدُرُ ما خلاكا .
وما فـارَقْتَني طَوْعاً ، ولـكن دَهاكَ من المَنيّةِ مـا دهاكا .
فيا من غابَ عنّي وهْوَ رُوحـي ـ وكيفَ أُطيق عن روحي انفِكاكا ـ
لقد حَكَمَتْ بفُرقَتِنـا الليالي ، وليستْ عن رِضايَ ولا رِضاكا !

ـ وله في العتاب :

مِنَ اليـومِ تصـافَيْنا ونَطـوي ما مَضـى مِنّـا :
فلا كـانَ ولا صـارَ ، ولا قُلْتُـمْ ولا قُلْنـا .
وإن كان ، ولا بُـدَّ ، من العَتْبِ فبالحُسْنى ؛
فقد قيـلَ لنـا عنكم كـما قيـلَ لـكم عنّـا .
كفى مـا كان من هَجْـرٍ ، وقد ذُقْتُـمْ وقـد ذُقْنـا ؛
ومـا أحسنَ أنْ نَـرْ جِـعَ للوَصْـلِ كـما كُنّا !

ـ وقـال :

وثقيـلٍ مـا بَـرِحْنا نَتَمنّـى البُعْـدَ عَنْـهُ .

(١) عتب : (هنا) لام . فقدما طالما وهبا : لقد أعطاك كثيراً في ما مضى .
(٢) المرزئة : المصيبة الكبيرة (بالأنفس) . الشمع : الشمع الذي يستضاء به . القط : القطع (قطع رأس الفتيلة اذا كثر احتراقها ويبس أعلاها فقل مرور الزيت فيه ، فخف ضوءها ، حينئذ يقصون الجزء الأعلى اليابس من الفتيلة فيقوى ضوءها) .
(٣) السجايا : الخصال الحميدة . ثناك الأمر الفلاني عني : لفتك ، ردك .

غـابَ عنّـا ففرِحنـا ، جـاءنا أثقـلُ منـه .

— وقال بهاء الدين زهير في النسيب :

غيْـري على السُلوانِ قـادرْ ، وسِوايَ في العُشّاق غـادرْ[1] .
لي في الغـرامِ سَريرةٌ ، واللهُ أعلـمُ بالسرائر[2] .
ومُشبَّهٍ بالغُصْنِ — قلبـي لا يَـزال عليه طـائر —[3]
حُلْـوُ الحـديثِ ، وإنّهـا لحَـلاوةٌ شقّـتْ مـرائر[4] .
أشـكو وأشكُـرُ فِعْلَـه ، فاعجبْ لشـاكٍ منه شاكر .
لا تُنْكـروا خفَقـان قلـبي والحبيبُ لَدَيَّ حاضر ،
ما القلـبُ إلاّ دارُه ضُرِبَتْ له فيهـا البَشائـر[5] .
يـا تـاركي في حُبّـهِ مثَـلاً من الأمثـالِ سائر ،
أبـداً حديثـي ليس بالـ منْسوخِ إلاّ في الدفـاتر[6] .
يـا ليـلُ ، ما لكَ آخِـرٌ أبـداً ولا للشوْقِ آخر ؟
يا ليْلُ ، طُلْ ؛ يا شوقُ ، دُمْ ؛ انّـي على الحـالين صابِرْ !
لي فيك أجْـرُ مُجـاهدٍ انّ صحَّ أنَّ الليـلَ كافـر[7] .
طَرْفي وطَـرْفُ النجْـم ، فيـ ـك ، كِلاهمـا ساهٍ وسـاهر[8] .
يُهنيك : بَـدْرُكَ حاضـرٌ ؛ يا ليـتَ بدري كان حاضر[9]

(١) السلوان : التسلي عن المصيبة . النسيان .

(٢) السريرة : الأمر الذي يكتمه الانسان في نفسه .

(٣) — محبوبي يشبه الغصن ، و (قلبي يشبه الطائر) ولذلك يظل قلبي يطير (يحوم) حول محبوبي .

(٤) المرائر جمع مرارة (كيس لاصق بالكبد تختزن فيه العصارة الصفراء المساعدة على الهضم) وجمع مريرة (طاقة الحبل ، العزيمة ، عزة النفس) . شقت مرائر (جمع مرارة) كناية عن الحزن والغيظ .

(٥) البشائر جمع بشارة : الخبر السار يحمل الى من يهمه . والبشائر في المعجم الوسيط (١ : ٥٧) الدفوف ونحوها . وشاهدهم على ذلك بيت البهاء زهير هذا . ضربت البشائر : صدحت الموسيقى فرحاً .

(٦) المنسوخ في القرآن أو الحديث : ما أبطل حكمه أو ألغي نصه . والمنسوخ في الدفاتر ما قيد فيها ورسخ .

(٧) المجاهد : المحارب في سبيل الله . الكافر : الذي يكفر (يغطي كل شيء كالليل) ؛ والذي ينكر وجود الله .

(٨) طرفي (بصري ، عيني) ساهر (يقظان) لعذابي في حبه . وطرف الليل ساه (غافل) عن سهري (لذلك نجومه تلمع ثم تغيب كما تفعل دائماً) .

(٩) بدرك ، أيها الليل : القمر ليلة أربع عشرة . بدري (محبوبي) .

حتّى يَتَبيَّنَ لناظري مَنْ منهما زاهٍ وزاهر!
بدري أرقُّ محاسناً؛ والفرقُ مثلَ الصُبْحِ ظاهر!

٤ ــ ديوان بهاء الدين زهير (تحرير بالمر)، كمبردج (مطبعة المدرسة) ١٨٧٦ ــ ١٨٧٧ م؛ (تحرير سان غويار)، باريس ١٨٨٣ م؛ القاهرة بلا تاريخ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٩٧ ه؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٠ ه؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٥ ه؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣١١ ه؛ القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٢ ه؛ القاهرة ١٩٣٤م؛ بيروت (المطبعة العمومية) بلا تاريخ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت ؟) ١٩٦٤ م.

** بهاء الدين زهير، تأليف مصطفى عبد الرازق، القاهرة ١٩٢٨ م، ثم الطبعة الثانية، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٥ م.

البهاء زهير: تاريخه وملحه، تأليف أحمد صائب، الاسكندرية ١٩٢٩ م.

البهاء زهير، تأليف عبد الفتّاح شلبي، مصر (دار المعارف ــ نوابع الفكر العربي، رقم ٢٨) ١٩٦٠م.

ترجمة بهاء الدين زهير، تأليف مصطفى السقّا، القاهرة ١٣٤٧ ه = ١٩٢٩ م.

وفيات الأعيان ١: ٣٤٥ ــ ٣٤٨؛ العبر ٥: ٢٣٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٧٦ ــ ٢٧٧؛ بروكلمان ١: ٣٠٧ ــ ٣٠٨، الملحق ١: ٤٦٥ ــ ٤٦٦؛ زيدان ٣: ١٨؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢: ٩١٢ ــ ٩١٣؛ الأعلام للزركلي ٣: ٨٨.

الإسْعِرْديّ

١ ــ هو نورُ الدين ابو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عبد الصمد بن رُسْتَمَ الإسْعِرْدي[1]، وُلِدَ سنة ٦١٩ ه (١٢٢٢ م).

كان الإسْعِرْديُّ نديماً في بَلاطِ الملكِ الناصرِ الثاني صَلاحِ الدينِ يوسفَ صاحبِ حَلَبَ (٦٣٤ــ٦٥٦ ه) ــ أحدِ أحفادِ صلاحِ الدينِ الأيوبي الكبير وشاعراً ــ من كبار الشعراء في بلاطه. وقد عمي في آخر عمره. وكانت وفاته سنة ٦٥٦ ه (١٢٥٨ م) في الأرجح.

٢ ــ كان الإسعرديُّ شاعراً مقتدراً مُجيداً ظريفاً ولكنّه كان ماجناً خليعاً فغَلَبَ على شعرِه المُجونُ والخلاعة وشيءٌ من الزندقة. وفي شعرِه صِناعةٌ لطيفةٌ، وهو يُضَمِّنُ أحياناً بعضَ أقوالِ الشعراء (كالمتنبي) على سبيل الهَزْل. وشعرُه مديحٌ وهجاءٌ وغزلٌ ومُجونٌ وحِكمة. ولقدِ اختارَ جُمْلَةً من شعرِه في الهزْلِ وسمّاها

(١) اسعرد (بكسر الهمزة والعين) بلد في ديار بكر (شمالي العراق) قريباً من آسية الصغرى.

« سُلافة الزَّرَجونِ[1] في الخلاعة والمُجون » وضمَّ اليها أشياء من نظمِ غيرِه .

٣ – مختارات من شعره

– قال بعد أن عمي :

قد كُنتُ من قَبْلُ في أمنٍ وفي دَعةٍ   طَرْفي يَرودُ لقلبي رَوْضَةَ الإدبِ[2]،

حتّى تلقّبتُ نورَ الدين فانْعَمَشت   عيني ، وبُدّلَ ذاكَ النُور لِلَّقَبِ[3].

– وقال :

سألتُ اللهَ يختُـــمُ لي بخـيرٍ ؛   فعَجّلَ لي ولكنْ في عيوني[4] .

– للأسعردي قصيدتان من البحر الطويل على قافية الدال المكسورة يفضّل في احداهما الحشيشةَ على الخمرَ ، ومطلع هذه :

لكَ الخيرُ ، لا تسمعْ كلامَ المُفنّدِ ؛   ودونَكَ في فُتْياكَ غيرَ مُقَلّدِ[5].

أما الثانية فيفضّل فيها الخمرَ على الحشيشة :

فديتُكَ ؛ نورُ الحقِ قد لاحَ فاهتَدِ ،   نديمي ، وكُنْ في اللّهْوِ غيرَ مُقَلّدِ.

ومنهـــا :

مُدامٌ إذا ما لاحَ للركْبِ نورُها ،   وقد ضلّ ليلاً عادَ بالنور يهتدي[1].

حشيشتُهــم تكسو المَهيبَ مَهانــةً   فتلقاه مثــلَ القاتــلِ المُتَعَمّدِ ؛

وتُبْدي على خدّيهِ مثــلَ اخْضِـرارِها   فيُضْحى بوَجْهٍ مُظلمِ اللونِ مُرْبِدِ[6] ،

وتُفسِدُ من ذِهــنِ النديم خيالَـــه   فينظُرُ مُبْيَضَّ الصباحِ كأســود .

وخمرتُنا تكسو الذليــلَ مَهابــةً   وعِزّاً ، فتَلْقى دونه كلَّ سيّدِ[7] ؛

وتُجْلَى فتَجْلو هَمَّ كلِّ مُنادِمٍ ،   ويُرْوى بها مِنْ شُرْبِها قلبُهُ الصّدي[8] !

---

(١) الزرجون جمع زرجونة (قضيب الكرم : شجر العنب) ؛ الزرجون الخمر .

(٢) الدعة : الهدوء في العيش والاطمئنان . يرود : يطلب ، يدل على ، يقود الى .

(٣) – ذهب النور من عيني وأصبح في لقبي (اسمي) : نور الدين .

(٤) يختم لي بخير : يجعل خاتمة حياتي (موتي) وأنا سليم معافى وصالح تقي .

(٥) الفتيا : الفتوى ، الافتاء، الإجابة على الاسئلة الدينية (وغيرها) . المقلد : الذي يتبع غيره من غير تفكير .

(٦) مربد – يقصد مربد (بتشديد الدال) : اختلاط الحمرة بالسواد في الوجه عند الغضب .

(٧) فتلقى دونه كل سيد : تجد كل سيد في الناس أدنى منه .

(٨) تجلى : تبرز ، تدار على الشاربين . الصدي : العطشان .

٤ ـ ** الوافي بالوفيات ١ : ١٨٨ ـ ١٩٣ ؛ نكت الهميان ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٠ ـ ٢٠٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٠٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٩ ؛ زيدان ٣ : ٢٢ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥٧ .

صدر الدين البصريّ (١)

١ ـ هو صدرُ الدين عليُّ بن أبي الفرَجِ بنِ الحُسينِ البَصْريُّ ، لا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلاّ أنّه عاش مدّة في البَصْرةِ ودِمَشْقَ وعاش حيناً في حلَبَ في أيام الملكِ الناصرِ صلاحِ الدين والدنيا أبي المظفّر يوسفَ بنِ الملكِ العزيزِ بنِ الملك الظاهرِ الايّوبي (٦٣٤ ـ ٦٥٨ هـ) ثم عاش حيناً في مصْرَ في أيامِ الظاهر بيبرسَ البُنْدقداريّ (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ) ، كما كان قد عاش حيناً آخرَ في بَغْداد في أيام المُسْتَعْصم آخرِ الخلفاء العبّاسيّين .

وإذا نحن علَمنا أن صدرَ الدينِ البصريَّ قد صَحِبَ جماعةً منهُمُ الملكُ الناصر داوودُ بن عيسى بنِ أبي بكرِ بنِ أيّوب صاحبُ الكَرَكِ ، في شرقِ الأُردنّ اليوم (٦٢٤ ـ ٦٣٧ هـ) والوزيرُ مؤيّدُ الدين بنُ القِفْطي والمؤرّخُ كمالُ الدين ابنُ العديم (ت ٦٦٠ هـ) وكمال الدين بنُ طَلْحةَ وشهابُ الدين يحيي بن القَيْسراني وابنُ مالك النّحويُّ وابن عَمْرونٍ ، أدْرَكْنا أنه كان رَجُلاً ذا مكانةٍ اجتماعية مرموقة وأنّه تَطوّفَ في بُلدانٍ كثيرة . ومعَ ذلك فانّ جميعَ كُتُبِ التاريخ التي وَصلَتْ إلينا من عصر صدرِ الدينِ لم تذكُرْهُ بشيء ، مع أنّ نَفَراً من مؤلّفيها كانوا ذوي صِلَةٍ به .

ولعلّ صدرَ الدين البصريَّ قد قُتل ، سَنَة ٦٥٨هـ (١٢٨٣ م) ، لمّا هاجم هولاكو حلبَ ووضعَ السيفَ في أهلها ؛ ولعلّه ماتَ في السَنَة التالية ، في نحوِ السبعينَ من عُمُرِه .

٢ ـ كان صدر الدين البصريُّ أديباً مُثقّفاً ومُؤدِّباً أدّبَ نفراً من أبناء الأمراء والأعيان . له من الكتب : الحماسة البصرية ، وهي مجموعٌ من الشعر الجاهلي والشعر الاسلاميّ والشعر المُحْدَثِ ، جمَعَها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) للملك الناصر

---

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة الواسعة القيمة التي قدم بها الدكتور مختار الدين أحمد الطبعة الاولى من الحماسة البصرية (راجع رقم ٤) . غير أن عدداً من التواريخ ، وتاريخ وفاة صدر الدين البصري خاصة ، لا تزال بحاجة الى شيء من التثبت .

صلاح الدين والدنيا أبي المظفّر يوسف. ثمّ انّه أدخل عليها كثيراً من الزيادات والتصحيحات. والغالب أنّه جمعها، في الأكثر، من مجاميعَ معروفة كديوان الحماسة لأبي تمّام والأشباه والنظائر للخالديَّين ومن حماسة البحتري وابن الشجرى وسواها — المناقب العبّاسيّة والمفاخر المستنصرية (وهو تاريخ لفترة من العصر العبّاسي ألّفه للظاهر بيبرس) — المسائل البصرية.

٣ — مختارات من آثاره

— قال صدرُ الدين البَصْريّ في مقدّمة كتابه «الحماسة البصرية»:

... وبعدُ، فانّه لمّا كانت المجاميعُ الشعريةُ صِقالَ الأذهانِ ولأنواع المعاني كالتَرْجُمان، وكان مولانا الناصرُ صلاحُ الدنيا والدينَ ناصرُ الإسلام والمسلمين أبو المظفّر يوسفُ بنُ الملكِ العزيزِ بن الملك الظاهر — لا زالَ نافذَ الأمرِ في كلّ نجدٍ وغائرٍ — لَهِجاً بأشعارِ العربِ التي هي ديوانُ الأدب، تَوَخَّيْتُ في تحريرِ مجموعٍ مُحتَوٍ على قلائد أشعارِهم وغُرَرِ أخبارهم مُجْتَنِباً للإطالة والإطناب بما تضمّنته أبوابُ الكتّاب كأمالي العُلماء وحماساتِ الادباء ودواوين الشعراء من فُحولِ المُحْدَثين والقدماء ومختارات الفضلاء كأشباهِ الخالديَّيْنِ المحتويةِ على دُرَرِ النظام وجواهرِ الكلام، غيرَ أنّهما قد نَسَبا فيها أشياءَ الى غيرِ قائلِها ولم يُقَيِّدا الكتابَ بتَرْجَمةِ أبواب، فغَدَتْ فرائدُه مُتَبَدِّدةَ النظام مُسْتَصْعَبَةً على الحفظِ والأفهام فجاء (كتابي هذا) مشتملاً على غرائبِ البديع ومُلَحِ الترصيف والترصيع.

ثمّ انّ الشعرَ على اختلافِ معانيه وأصولِه ومبانيه ينقسمُ الى نعوتٍ وأوصاف: فما وُصِفَ به الإنسانُ من الشجاعة والشدّة في الحرب والصبر على مواطنها سُمِّيَ حماسةً وبَسالة، وما وُصِفَ به من حَسَبٍ وكرمٍ وطيبِ مَحْتِدٍ سمّي مدحاً وتقريظاً وفَخْراً، وما أُثْنِيَ عليه بشيءٍ من ذلك مَيْتاً سمّي رِثاءً وتأبيناً، وما وُصِفَتْ به أخلاقُه المحمودةُ من حَياءٍ وعِفّة وإغضاءٍ عن الفحشاء ومُسامحة عن زَلاّتِ الإخلاّءِ سُمِّيَ أدَباً، وما وُصِفَ به النساءُ من حُسْنٍ وجَمالٍ وغَرامٍ بِهِنَّ سُمِّيَ غزَلاً ونسيباً، وما وُصِفَ به من إيقاد النيران ونُباحِ الكلابِ سُمِّيَ قِرًى وضيافة. وما وُصِفَ به من بُخْلٍ وجُبْنٍ وسوءِ خُلْقٍ ونميمة سُمِّيَ هجاءً، وما وُصِفَتْ به الأشياءُ على اختلاف أجناسِها وأنواعِها (سُمِّيَ) نَعْتاً ووَصْفاً ومُلَحاً؛ وما ذُكِرَ بهِ الإنابةُ الى اللهِ تعالى ورَفْضُ الدنيا سُمِّيَ زُهْداً وعِظَةً. واللهُ أعلمُ.



٤ ــ الحماسة البصرية (اعتنى بتصحيحه مختار الدين أحمد) ، حيدر آباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

** بروكلمان ١ : ٢٩٩ ، الملحق ١ : ٤٥٧ ، راجع ٤١ .

الحسن الاربلي الضرير

١ ــ هُوَ عز الدين الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ نَجا الإربِلِيّ ، ولِدَ في نصيبينَ (شَماليَّ الشام) ، سَنَةَ ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) وسكن دِمَشْقَ . وكان ضريراً مُنْقطعاً في بيته بِدِمَشْقَ يُقْرِىءُ المسلمين وأهلَ الكِتاب والفلاسفَةَ . وكانتْ وفاتُه في دِمَشْقَ في رَبيعِ الآخرِ من سَنَةِ ٦٦٠ هـ (شباط ــ آذار = فبراير ــ مارس ١٢٦٢ م) .

٢ ــ كان الحسنُ الإرْبِلِيُّ الضريرُ بارِعاً في العلوم الأدبية وفي علوم الأوائل (الفلسفية) فاسد العقيدة مهملاً للفرائض ذَكِيّاً حَسَنَ المناظرةِ والجِدالِ . وكان شاعراً حَسَنَ الشِعْرِ خَبيثَ الهِجاء .

٣ مختارات من شعره

ــ قال الحسن الإرْبِلِيُّ الضريرُ في العِشْقِ والعَمى :

وكاعبٍ قالَتْ لأتْرابِها : « يا قومُ ، ما أعجبَ هذا الضريرْ ![1]

هل تَعْشَقُ العينُ ما لا ترى ؟ » فقُلْتُ ، والدَمْعُ بِعَيْنَيَّ غَزيرْ :

« إنْ كان طَرْفي لا يَرى شَخْصَها فانّها قد صُوِّرَتْ في الضَميرْ ».[2]

ــ وقال في مثل ذلك* :

قالوا : عَشِقْتَ وأنتَ أعْمَى ظَبْياً كحيلَ الطَرْفِ ألْمَى[3] ،

---

(١) الكاعب : الفتاة اذا كعب (استدار) ثدياها (في أول صباها) . الاتراب جمع ترب (بكسر التاء) : رفيقك (الرجل) في سنك . والشاعر يقصد لدة (بكسر اللام) : الفتاة التي تقرب في السن من فتاة أخرى .

(٢) الطرف : العين (البصر ، النظر) .

(*) يروي ابن خلكان هذه الابيات الميمية لأبي العز مظفر بن ابراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق العيلاني (نسبه الى قيس عيلان ــ بفتح العين) الضرير المصري ، ولد في ٢٥ من جمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١١٤٩ م) وتوفي في التاسع من المحرم من سنة ٦٢٣ (١٠/١/١٢٢٦ م) ، وكان أديباً وشاعراً ومصنفاً نظم في أغراض وجدانية : له وصف وغزل وشيء من المجون وهجاء فاحش (نكت المميان ٢٩٠ ــ ٢٩٣ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٤٠ ــ ٥٤٢) . راجع ، فوق ، ص ٤٨٣ ــ ٤٨٤ .

(٣) الظبي : الغزال الصغير . الكحيل : الذي في عينيه كحل (بفتح الكاف والحاء: تكحيل طبيعي) . الألمى : الذي في شفتيه سمرة (بضم السين) .

وحُلاهُ ما عايَنْتَها فتقولَ قد شَفَّتْكَ وَهْماً[1]،
وخَيالُه لك في المَنا مِ فما أطافَ ولا ألَمّا[2].
من أيْنَ أرْسَلَ لِلفُؤا دِ، ولا تراهُ العَيْنُ، سَهْماً؟
فأجبْتُ: إنّي مُوسَوِيّ العِشْ قِ إنْصاتاً وفَهْماً[3] —
أهْوى بجارِحَةِ السّما عِ ولا أرى ذاكَ المُسَمّى[4].

— وقال في الخمر:

قُمْ، يا نديمُ، إلى الإبريقِ والقَدَحِ: هاتِ الثّلاثَ وسَلْ ماشِئْتَ واقْتَرِحِ[5]،
وغَنِّ إنْ غادَرَتْني الكأسُ مُطَّرَحاً وأنتَ، يا صاحِ، صاحٍ غيرُ مُطّرَحِ[6].
علَيْكَ سُقْيُ ثَلاثٍ غيرَ ما زِجِها، وما عليكَ إذَنْ مِنّي ومِنْ قَدَحي[7].
إنّي لأفْهَمُ في الأوْتارِ تَرْجُمَةً ما لَيْسَ يَفْهَمُهُ النُّسّاكُ في السُّبَحِ[8]!

٤ — ** فوات الوفيات ١ : ١٧١ — ١٧٣ ؛ نكت الهميان ١٤٢ — ١٤٣ ؛ العبر ٥ : ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .

ابن زيلاق الشاعر

١ — هُوَ مُحيي الدين أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ يوسفَ بنِ سَلامةَ بنِ ابراهيمَ

---

(١) الحلى (بكسر الحاء وبضمها) جمع حلية (بكسر الحاء) : الخلقة (بكسر الخاء) والصورة والصفة . شفه المرض أو الحب أو الغم : هزله ، انحله (جعله هزيل الجسم نحيلا ضعيفاً) . قد شفتك وهماً : قد نحلت (بفتح الحاء أو كسرها أو ضمها) من توهم حسنه . أو قد شفتك ، وهماً ! (تقول قد شفتك ، وهذا وهم منك) .

(٢) الخيال : الطيف الذي يرى في المنام . أطاف : طاف ، تردد حول الشيء مراراً . ألم : عرض لماماً (بكسر اللام) قليلا ، مدة يسيرة .

(٣) موسوي العشق ....

(٤) الجارحة : العضو ، الحاسة .

(٥) هات (أعطني ، اسقني) الثلاث (ثلاث كؤوس) و (ثم اسألني بعد ذلك) ما شئت واقترح (تخير ما تشاء مني أعطك إياه) .

(٦) غادرتني (تركتني) الكأس مطرحاً (مطروحاً أرضاً بلا وعي من السكر) . يا صاح = يا صاحبي . صاح : واع ، غير سكران .

(٧) — اسقني أنت ثلاث كؤوس من الخمر غير ممزوجة بالماء ثم لا تهتم بي ولا بما يصيبني . ما عليك من قدحي ....

(٨) الأوتار (الغناء) توحي الي من الطرب ما لا توحيه السبح (جمع سبحة : مسبحة) من الخشوع (العبادة) الى الناسك .

ابنِ موسى الهاشميُّ العبّاسيَّ المَوْصِلي المعروفُ بابن زيلاقٍ ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٠٣هـ (١٢٠٦ ـ ١٢٠٧ م) ونشأ فيها ثمّ تولّى كتابةَ الإنشاء . وقد قَتَلَهُ التتارُ في المَوْصِلِ لمّا استَوْلَوْا عليها في أوائلِ رَمضانَ مِنْ سَنَةِ ٦٦٠ هـ (صيف ١٢٦٢ م) .

٢ ـ كان ابنُ زيلاقٍ مُنْشِئاً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُكْثِراً في شعرِه عددٌ من المعاني الحِسان . ووجوهٌ من الصناعة. وكانتْ له مُوشَّحاتٌ. غيرَ أنّ المقاطعَ الجِيادَ في شعرِه قليلةٌ . وأكثرُ شعرِه الوصفُ والغزلُ والخَمْر ، وله شيءٌ من الشكوى .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ زيلاقٍ في وَصْفِ الطبيعة :

ما وجهُ عُذْرِكَ والكؤوسُ تُدارُ ؟ ضاقتْ بمن جَهِلَ الصبا أعذارُ[١] !
سَفَرَتْ لك اللذّاتُ ، واتّسعتْ بها الـ أوقاتُ ، واجتمعت لك الأوطار[٢] .
أوَما ترى حُسْنَ الربيعِ وقد غَدا يختالُ في حِبَراتِه آذارُ[٣] :
ساقٍ يسوقُ إلى السرور ، ومُطْرِبٌ حَسَنُ الغِناءِ ؛ ورَوْضة وعُقار[٤] ،
وجداولٌ نشأتْ بهِنَّ حدائقٌ ضَحِكَتْ خِلالَ فُروعِها الأنوار[٥] .
وكأنّما أشجارُهُنَّ عرائسٌ تُجلى ، ومن دَرِّ السحابِ نِثار[٦] .
تشدو حمائمُها ، ويَرْقصُ دَوْحُها ـ غُبَّ الصَّبا ـ وتصفّق الأنهار[٧] !

ـ وقال في الغزل والنسيب :

ثَنى مِثْلَ قَدِّ السَّمْهَريِّ ولينِه وجرّدَ غُصناً مُرْهَفاً من جُفونِه .

---

(١) أعذار جمع عذر . ولعل من الأصح في المعنى أن نقول : الأعذار .

(٢) سفرت لك اللذات : كشفت عن وجهها ، دعتك الى نفسها.

(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : نوع من البرود (ثياب الحرير) من صنع اليمن. آذار (مارس) ثالث شهور السنة الشمسية في أيامنا وأول اشهر الربيع . يختال في حبراته آذار ـ كناية عن جمال الرياض في الربيع بأوراقها وأزهارها .

(٤) ساق (الساقي) : غلام يسقّي الخمر . عقار (بضم العين) : الخمر .

(٥) الانوار جمع نور (بفتح النون) : الزهر الأبيض .

(٦) الدوحة : الشجرة العظيمة . غب (بعد) الصبا (ريح الشرق) .

(٧) ـ تمايل كما يتمايل الرمح اللين (الذي يتثني ولا ينكسر). وجرد : شهر ، سحب ، أبرز. غصناً (كذا في الأصول)، والاصوب : وجرد سيفاً. مرهفاً : حاداً، قاطعاً .ويجوز «وجرد غصناً» (قامة كالسيف)على الاستعارة.

وباتَ يُرينا كيفَ يجتمعُ الـدُّجى ... معَ الصبح في أصْداغـهِ وجَبينه[1]،
وكيف قِرانُ الشمسِ والبدرِ كُلَّمـا ... غدا يَلْثِمُ الكأسَ التي في يَمينه[2].
وأرْخَصَ دَمْعَ العينِ وَجْداً بِمَبسِمٍ ... يُقابلُـه من دُرِّه بثَمينـه[3].
سُقِي ذلك الوادي، وإنْ فتَكَتْ بنا ... نُحورُ حَواريه وأعيُنُ عِينِه[4]!

٤ - ** فوات الوفيات ٢ : ٤٠١ - ٤٠٨ ؛ العبر ٥ : ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٤٢ .

ابنُ العَـديم

هو كمالُ الدين أبو القاسمِ عُمَرُ بنُ أحمدَ بنِ هِبَةِ الله بن أبي جَرادةَ العُقَيليّ الحلبيّ المعروفُ بابنِ العديمِ أصلُ أهلِه من البصرة، وقد وُلِدَ في ذي الحِجّة من سَنَة ٥٨٨ هـ (كانون الثاني - يناير ١١٩٣ م) في حَلَبَ.

تلقّى ابنُ العديمِ العلمَ على أبيه وعمّه أبي غانمٍ محمّدٍ وعلى الحافظ ابي حفصٍ عمرَ بنِ طَبَرْزَدٍ في دِمَشْقَ وعلى الكِنْدي في بغدادَ، وعلى نفرٍ آخرينَ في القُدْسِ والحِجاز والعراق. وقد تَصَدَّرَ للتدريس وللفُتْيا وتولّى القضاءَ في حَلَبَ ووَزَرَ لنفرٍ من الأمراء. ولمّا اجتاحَ التترُ حَلَبَ في ثامنِ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٦٥٨ هـ (٢٦/١/١٢٦٠ م) هربَ ابنُ العديم الى القاهرة، ولكنّه عادَ منها وَشيكاً إذ عيّنه هولاكو قاضياً في الشام.

وكانت وَفاةُ ابنِ العديمِ في التاسعِ والعشرينَ من جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٦٦٠ هـ (٢١/٤/١٢٦٢ م)، في القاهرة.

---

(١) الدجى: الليل، كناية عن شعر المحبوب. الأصداغ جمع صدغ (بكسر الصاد): الجانب الأعلى من الوجه.

(٢) القران: اجتماع كوكبين في خط واحد فيريان حينئذ واحداً (اذ يكسف بعضهما بعضاً). أما هذا المحبوب فيرينا البدر (جمال وجهه) والشمس (احمرار خديه من تناول الخمر أو من انعكاس لون الخمر من الكأس على وجنتيه) معاً في وقت واحد.

(٣) أرخص دمع العين: جعل دموعنا نحن رخيصة لكثرة ما نبكي. وجدا: شوقاً، حباً. المبسم: الثغر: الفم. -ان دموعنا تشبه الدر (اللؤلؤ)، ولكن دره هو (أسنانه) أثمن (أجمل) من دموعنا.

(٤) سقي بدل سقى (بضم السين وكسر القاف وفتح الياء) ذلك الوادي: سقى الله ذلك الوادي مطراً كثيراً (ما أحسن هذا الوادي - المكان الذي يسكن فيه المحبوب - وما أحبه الينا). النحر: أعلى الصدر. الأحور (الابيض) ومؤنثه حوراء وجمعهما حور (بضم الحاء). وليس في القاموس حوار (الحواري بتسهيل الياء) بهذا المعنى. العين (بكسر العين) جمع عيناء (بفتح العين): الواسعة العينين (بفتح العين)، المرأة الجميلة. والعين أيضاً بقر الوحش (نوع من الغزلان)، كناية عن النساء الجميلات.

كان كمالُ الدين بنُ العديمِ حافظاً ومُحدِّثاً وفقيهاً ومؤرِّخاً ومُنْشِئاً مُتَرَسِّلاً وكان يكتُبُ خطّاً جميلاً.

وله نَظْمٌ كثيرٌ عاديٌّ ثمّ كُتُبٌ منها: بُغية الطَّلَبَ في تاريخ حَلَب - زُبْدة الحَلَبِ في تاريخ حلب - الدَّراري في ذِكْر الذَّراري - الوسيلةُ الى الحبيبِ في ذِكْرِ الطيِّبات والطيب - بلوغ الآمال ممّا هوى (هَوِيَ!) الكمال (مختارات من القصائد والموشّحات) - الإنصاف والتَحَرّي في دفع الظُّلْم والتجرّي عن أبي العلاء المَعَرّي - الأخبارُ المستفادة في ذكر بني جَرادةَ - كتاب في الخطّ وعلومه وآدابه ووصف ضُروبه وأقلامه.

- زبدة الحلب في تاريخ حلب (فريتاغ)، باريس - بونّ ١٨١٩ - ١٨٢٠ م (معجم المطبوعات العربية ١٧١)؛ (عني بنشره سامي الدهّان)، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥١ - ١٩٦٨ م.

الدراري في ذكر الذراري (مطبوع مع «ثلاث رسائل» - رقم ٢)، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.

ولاية سعد الدولة لمدينة حلب (مستخلص من «زبدة الحلب») (في مجموع الحروب الصليبية) بون ١٨٢٠ م.

تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ولابن العديم، وترجمة الحسن الأعصم القرمطي (حقّقه سهيل زكّار)، بيروت (مؤسّسة الرسالة) ١٩٧١ م.

** معجم الأدباء ١٦ : ٥ - ٥٧؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢٦ - ١٢٨؛ العبر ٥ : ٢٦١ - ٢٦٢؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٣؛ أعلام النبلاء ٢ : ٣١٣، ٤ : ٤٦٤، وما بعد؛ بروكلمان ١ : ٤٠٤ - ٤٠٦، الملحق ١ : ٥٦٨ - ٥٦٩؛ زيدان ٣ : ١٨٥؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٥ - ٦٩٦؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٩٧.

عبد العزيز بنُ محمَّدٍ الأنصاري

١ - هُوَ شَرَفُ الدين أبو محمّد عبدُ العزيز بنُ محمّد بنِ منصورِ بنِ خَلَفٍ الدِمَشْقيّ المعروفُ بابنِ الرَفّاء، أصلُه مِن قَوْم يَنْتَسِبون الى بني الأوْسِ من الانصار (أهل المدينة) ويَسْكُنون كَفَرْطابَ بين المَعرّةِ وحَلَبَ (شَماليّ الشــام).

هاجَمَ الفرنجةُ (الصليبيّون) والرومُ كَفَرطابَ فانتقل محمّدُ بن عبد المُحْسِنِ بأهلِه الى دِمَشْقَ ثمّ جاء إلى حَماةَ واستقرّ فيها. وفي دِمَشْقَ وُلِدَ شَرَفُ الدين

عبدُ العزيز بن محمّد ، في ٢٢ من جُمادى الاولى[1] من سَنَةِ ٥٨٦ هـ (٢٧ — ٦ — ١١٩٠ م) ، ولكنّ نشأتَه فيما يبدو كانت في حَماةَ .

بدأ شرفُ الدين الانصاري تَلَقّيَ العِلْمِ على أبيه (فقد كان أبوه قاضيَ حَماةَ كما كان خَطيباً قديراً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مَطْبوعاً) . ثمّ اشتغل بالأدب على تاج الدين أبي اليُمْنِ زَيْدِ بنِ الحسن بن زيدٍ الكِنْديّ البَغْدادي المتوفّى سَنَةَ ٦١٣ هـ (وكان إماماً في الحديث واللغة والنحو وفي عدد من فنون المعرفة ، وقد كان انتقل من بَغْدادَ الى الشام وسكن دِمَشْقَ). وكذلك سمع شيئاً من الأديب الفيلسوف سيف الدين أبي الحسن عليّ الآمدي (٥٥١ — ٦٣١ هـ) . (وكان قد انتقلَ من بَغْدادَ إلى مِصْرَ ثمّ لَجَأَ إلى حَماةَ وتصدّر للتدريس حيناً في المدرسة العَزيزية في دِمَشْقَ) . ثمّ « رَحَلَ بهِ أبوه وأَسْمَعَهُ جُزْءَ ابنِ عَرَفَةَ من ابنِ كُلَيب وأَسْمَعَهُ المُسْنَدَ[2] كلّه من عُبَيد الله بن أبي المجد الحربيّ »(فوات الوفيات ١ : ٣٦٨).

وجَلَسَ شَرَفُ الدين الانصاري لإسماعِ الحديث في دِمَشْقَ وفي حَماةَ والقاهرة وبَعْلَبَكّ .

ووَلِيَ شرفُ الدين الوِزارةَ للمظفّر الثاني تَقِيّ الدين محمودٍ صاحبِ حَماةَ ، سَنَةَ ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م) . ولمّا تُوُفّيَ المظفّرُ الثانيُ ، سَنَةَ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ — ١٢٤٥ م) خَلَفَهُ الملكُ المنصورُ الثاني سيفُ الدين محمّدٌ فاسْتَبْقى شَرَفَ الدين في الوزارة . ولمّا اشتد خَطَرُ التَتَرِ في الشام سافر الملكُ المنصورُ الثاني إلى القاهرة (سَنَةَ ٦٥٧ هـ) فسافر شرفُ الدين معه . ثمّ انّهما عادا الى حَماة وبَقِيَ شرفُ الدين في الوزارة حتّى تُوُفّيَ في ٨ من رَمَضانَ من سنة ٦٦٢ هـ (٦ — ٨ — ١٢٦٤ م) .

٢ — عبد العزيزِ بنُ محمّدٍ الانصاريّ شاعرٌ مطبوع مُكْثِرٌ ، ولَقَدَ أسْقَطَ من ديوانه أشياءَ كثيرةً لم يكن راضياً عنها . وقد كانت له صَنْعَةٌ حَسَنَةٌ وخصوصاً في سُلوك سَبيل البديعِ ، وله أشياءُ كثيرةٌ من لُزومِ ما لا يَلْزَمُ[3] . وهُوَ مُغْرَمٌ بالتَوْريات خاصّةً يُكْثِرُ في شعرِه مِنَ اسْتِخْدامِ النُكَتِ البلاغية والنَحْوية والفِقْهية . وله ميلٌ الى البُحور المَجْزوءة وخصوصاً في الغزل .

---

(١) في بغية الوعاة (ص ٣٠٩) : في ثاني عشر .

(٢) المسند مجموع في الحديث لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .

(٣) راجع ، فوق ، ص ١٢٥ .

وفنونُه المديحُ والغزلَ والشعرُ الذي يُقال عادةً في المناسبات المختلفة . وفي مديحه بديعيّات ؛ ثمّ هو يُدْخِلُ في مديحه للملوك والامراء كثيراً من أحْداثِ التاريخ ، وخصوصاً ذِكْرَ انتصارِ المُسْلمين على التتَر ، فَهوَ بذلك يَعْرِضُ علينا جانباً من صورة العصر الذي شَهِدَه . ونَسيبُه وغَزَلُه رفيقان فَصيحان مُنْسجمان لا تَعقيدَ فيهما . وله مُطارَحات وألغازٌ مِمّا يَعْرِضُ عادةً في الحياة العامّة . وهو كثيرُ النظم في المُناسبات الجارية : في حُلولِ السَّنَة الهِجْريّة وحلولِ العِيدَين ورَمَضانَ وسوى ذلك .

وعبدُ العزيزِ بنُ محمّدٍ الانصاريُّ مُصَنِّفٌ أيضاً له كتابان : نَظْرَةُ المَعْشوق الى وجه المَشوق (ولعلّه : نظرة المشوق الى وجه المعشوق) ــ تَذْكار الواجد بأخبار الوالد (منظومة تكلّم فيها على والدِه وشيوخ والده ورِحْلته) .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال عبدُ العزيزِ بنِ محمّدٍ الانصاريُّ يهجو خُصومَهُ ويفتخر بنفسِه وبأبيه وبقومه الذين يَرْجِعون بِنَسَبِهِمْ الى الانصار الذين بايَعوا رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم تَحْتَ الشجرة (في مكّة) على أن يُؤْوُوهُ ويَنْصُروه ويقاتلوا مَعَه اذا هاجر الى بَلَدِهم (المدينة) :

نُفَّرٌ كالحُمُرِ المُسْتَنْفَرَهْ أجفَلَتْ هاربةً من قَسْوَرَهْ[1] .
طَلَبوا شَأْوي ولَمّا يَلْحَقوا بَعْدَ لأْيٍ من غُبارى أثَره[2] .
مَنْ يُسالِمْني أسالِمْهُ ، ومَنْ رامَ حَرْبي فإلَيْهِ المَعْذِره[3] .
وأبي مَنْ قد عَلِمْتُم قَدْرَهُ مُجْهَرٌ بالخُطْبَة المُسْحَنْفَره[4] ؛
مَنْ يُشاجِرْهُ يُصادِفْ قَوْمَه جُلَّ مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشَجَرة[5] .

---

(١) الحمر جمع حمار (حمار الوحش البري). نفر جمع نافر : هارب. مستنفرة : (شمت رائحة الاسد فنفرت منه) هاربة . القسورة : الاسد.

(٢) الشأو : السبق (بسكون الباء) . اللأي : الشدة (المشقة) .

(٣) ... فليعذرني إذا انا حاربته حرباً شديدة .

(٤) مجهر (بضم الميم وفتح الهاء) : عادته أن يرفع صوته . اسحنفر الخطيب : أطال الخطبة .والخطبة المسحنفرة (بفتح الفاء) : الطويلة .

(٥) من يشاجره (يخاصمه) يصادف (يجد) قومه (أهله وأتباعه) جل (الكثرة من) من بايع (رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحت الشجرة (يجدهم أشرافاً ويجدهم شجعاناً ــ مستعدين أن يقاتلوا معه كما قاتل الانصار مع رسول الله) .

– وله غزَلٌ بارعٌ مَرِحٌ في مَطْلَعِ قصيدةٍ في المديح :

لنا من ربّةِ الخاليَيْنِ جـارَهْ ... تُواصلُ تارةً وتَصُدُّ تـارَهْ ؛
تُؤانسني وتَنْفِرُ من قريبٍ ، ... وتُعْرِضُ ثمّ تُقْبِلُ في الحَراره .
وما لي في الغَرامِ بهـا شبيـهٌ ، ... وليس لها نظيرٌ في النّضـارهْ .
وفي الوَصْفَيْنِ من كَحَلٍ وكُحْلٍ ... حوَتْ حُسْنَ البَداوة والحَضاره[1] .
وقَتْلُ العَمْدِ قد قَتَلَتْهُ عِلْماً ... وما وَصَلَتْ إلى بابِ الإجـاره[2] .
وقالوا : قد خَسِرْتَ الروحَ فيها ؛ ... فقُلْتُ : الربحُ في تِلْكَ الخَساره .

– وله في تَوْرِيّاتٍ يَسوقُها مَساقَ الغزل ، منها :

سألْتُ سِوارَها المُثْري ؛ فَنادى ... فَقيرُ وِشاحِها : اللهُ يَفْتَـحْ[3] .
لَها طَرْفٌ يقولُ : الحَرْبُ أَوْلى ؛ ... ولي قلبٌ يقول : الصُلْحُ أصْلَح !

– وقال في لَوْمِ العُذّال :

إنّ قَوْماً يَلْحَوْنَ في حُبّ سُعْدى ... « لا يكادون يَفْقَهون حَديثا »[4] ؛
سَمِعوا وَصْفَها ولاموا عَلَيْها : ... أخذوا طَيّباً وأَعْطَوْا خَبيثا[5] .

٤ – ديوان الصاحب شرف الدين الانصاري (حققه عمر موسى باشا) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

** فوات الوفيات ١ : ٣٦٨–٣٧٤ ؛ بغية الوعاة ٣٠٩ ؛ العبر ٥ : ٢٦٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٥١ ؛ راجع أدب الدول المتتابعة (لعمر موسى باشا) ص ٣٧٣ – ٤٠٢ .

---

(١) الكحل (بفتح الحاء) : اسوداد أطراف جفون العينين (من تكاثف الاهداب : الرموش) ، ويكون طبيعياً . الكحل (بضم الكاف) = التكحل : وضع الاثمد في الجفنين ؛ التزين الصناعي (كما يفعل النساء في المدن) .

(٢) « قتل العمد » و « الاجارة » (كراء البيوت ، الحماية ، الدفاع عن المذنب المستجير) بابان من أبواب الفقه . يقول الشاعر (وفي قوله تورية) : هي درست باب « قتل العمد » وحفظت كل ما فيه (قتلتني بحبها) ولم تدرس « باب الاجارة » (هي لا تشفق علي فتجيرني من عذابي في حبها) .

(٣) السوار : حلقة من معدن تجعلها المرأة في معصمها (سوارها) ، المثري (الغني) كناية عن أن يدها ممتلئة (سمينة) . الوشاح : ثوب تلقيه المرأة على أعلى جسمها . وشاحها الفقير كناية عن أن خصرها نحيل . « الله يفتح » جملة يقولها الناس للمستعطي (الشحاذ) اذا أرادوا صرفه عنهم (من غير أن يعطوه شيئاً) .

(٤) لحى يلحى : لام يلوم (لحا يلحو : قبح : شتم) . « لا يكادون يفقهون حديثاً » اقتباس من القرآن الكريم (٤ : ٧٧ ، سورة النساء) = ليس لهم علم بشيء .

(٥) – أعجبهم جمالها (من وصفي لها) ثم لاموني (على حبها) = هم تلذذوا بوصفي لها ثم جعلوا يسيئون الي باللوم على حبها .

عصر المـــماليك

٦٤٨ – ٩٢٣ هـ = (١٢٥٠ – ١٥١٧ م)

قبلَ أنِ اجتاحَ التترُ (التتار ، المغول) بغدادَ وقَضَوْا على الخلافة العبّاسيّة فيها (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) ببِضْعِ سَنَواتٍ ، كان المماليكُ قد أقاموا دولةً لهم في مِصْرَ وبسطوا سيطرتَهم على الشام والحجاز .

ودولةُ المماليكِ فَرْعانِ قاما في مِصْرَ : فرعُ المماليك البحريةِ الذي امتدَّ حكمُه من سَنَةَ ٦٤٨ الى سَنَةَ ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) ثمّ فرعُ المماليكِ البُرجيّة الذي امتدَّ حكمُه من سَنَةِ ٧٨٤ الى سَنَةِ ٩٢٣ هـ (١٣٨٢ – ١٥١٧ م) .

أولاً – دولة المماليك البحريّة

٦٤٨ – ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م)

كان الأيّوبيّونَ في أواخرِ حُكْمِهم قدِ اتّخذوا مماليكَ من الأتراك . فلمّا جاء المَلِكُ الصالحُ أيوبُ ، ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م)، استكثَرَ مِنْهم حتّى كانوا مُعْظَمَ جُنْدِه وحرَسِه وخدَمِه ثمّ أسكنَهُمْ في رَوْضةِ (جزيرة) بحرِ (نهر) النيل . من أجلِ ذلك سمّوا « المماليكَ البحرية » .

وماتَ الملك الصالحُ فجأةً ، سَنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) فخلَفه ابنُه طورانُ شاه . ولكنّ طورانَ شاه أغضبَ المماليكَ فقتلوه في أوائلِ سَنَةِ ٦٤٨ هـ (ربيع ١٢٥٠ م) واتّفقوا على أن يُقيموا مكانَه أمّه شَجرَةَ الدرّ وعلى أن يكونَ أتابكَ العسكرِ (قائدَ الجيش) عزُّ الدين أيبَك . وبعدَ ثلاثةِ أشهرٍ بدا لهم أن المُلْكَ لا يَسْتقِرّ إذا تولّتْه امرأةٌ فبايعوا عزَّ الدين أيبك بالمُلْكِ فكانَ أوّلَ سلاطينِ المماليكِ البحرية .

وقد توالى على عرشِ المماليكِ البحرية ، في أثناء النصفِ الثاني من القرن السابعِ للهِجْرة ، وبعدَ عزّ الدين أيبك،عَشَرَةُ سلاطينَ أشهرُهم وأعظمُهم : الظاهرُ

بَيْبَرْس البُنْدُقْداري (٦٥٨ – ٦٧٦ ﻫ) والمنصورُ قَلاوُون (٦٧٨ – ٦٨٩ ﻫ) والأشرفُ خليلٌ (٦٨٩ – ٦٩٣ ﻫ) .

وفي سَنَةِ ٦٥٨ ﻫ استولى التَتَرُ على حَلَبَ ثمّ على دِمَشْقَ وأشاعوا فيهما القتلَ والخراب فتصدّى لَهمُ الظاهرُ بيبرسُ عند عينِ جالوتَ ، قُربَ الناصرة (فِلَسْطين) ثمّ عند حِمْصَ وردَّ خَطَرَهم عنِ الشام وعن العالم الاسلاميّ . ولم يكُنِ التَبَسّطُ التتريّ في العِراق والشام فتحاً منظّماً ، بل كان اجتياحاً فوضىً يَقْضي على المعالم التي تمرّ بها جَحافِلُه ، فإذا لم تَقَعْ بلدةٌ في طريق التتر فانّها كانتْ لا تشعُرُ بوجودهم .

أرادَ الظاهرُ بَيْبَرُسُ أن يُعيدَ الخلافة العبّاسيةَ في بَغدادَ ، ولكنّ الحاكمَ التَتَرِيَّ قتلَ الخليفةَ الذي اختارَه بيبرسُ وقتل الذين معَه ، سَنَةَ ٦٥٩ ﻫ ، فأقام بَيْبَرُسُ في القاهرةِ خليفــةً من نَسْلِ بني العبّاس . وقد عاشتِ الخلافة العبّاسية في القاهرة – ولكنْ بلا سُلْطةٍ فعليةٍ – حتّى جاء الفتحُ العثماني (٩٢٣ ﻫ=١٥١٧م).

ثمّ تصدّى الظاهرُ بَيْبَرْس للإفرنجِ الصليبيّين – وكانَ عددٌ من المدن لا يزالُ في أيدي بقايا الأيّوبيّين – فكان الظاهرُ بيبرسُ يستولي على تلك المدنِ من أيدي الأيّوبيّين في الوقتِ الذي يستردُّ فيه البلدانَ من الإفرنج الصليبيّين . وفي أيام الأشرفِ خليلٍ تطهّرتِ البلادُ من جميعِ جيوشِ الإفرنج وعادتِ الشامُ كلّها – ما عدا جزيرةَ أرْوادَ – إلى الحُكْمِ الإسلاميّ .

الأُسر المحليّة

وفي هذا الوقتِ كان أشرافُ مكّةَ من آل قَتادةَ يحكمون الحِجازَ حُكْماً محليّاً قاصراً . ومعَ أنّ حكم آلِ قَتادةَ قد طالَ جداً مُنذُ سَنَةِ ٥٩٧ (١٢٠٠ م) الى سَنَةِ ١٣٤٣ ﻫ (١٩٢٤ م) حينما نَفَى الانكليزُ شريفَ مكّةَ (المَلِكَ حسينَ بنَ عليّ) إلى قُبْرصَ واحتلّ عبدُ العزيز آلُ سُعود الحِجازَ ، فإنّ حكمَ آل قَتادةَ كان كثيرَ الاضطراب قلّ أنْ تولّى أحدٌ منهم الحُكْمَ ولم يُنازِعْهُ بِضْعَةُ نَفَرٍ من أهلهِ فيتعاقبَ المتنافسون على الحُكم مرّةً بعد مرّة .

وكان بنو مَهْنا (بسكون الهاء) من بني فَلَيتــة يحكُمون في المدينــة (٥٨٣ – ١١٠٠ ﻫ) حُكماً مُتَقَطّعاً ينافسون به آلَ قَتادةَ في مكّةَ ويتنافسون عليه فيما بينَهم .

أمّا اليمنُ فكانت مقسومةً بين بني الرسّيّ الأئمة الزيديّين في صَعْدَةَ وصنعاءَ (٢٤٦ — نحو ٧٠٠ هـ) وبين بني رسول في زَبيدَ وعَدَنَ وتَعِزَّ (٦٢٦ — ٨٥٨ هـ) وسواهم. ويبدو أنّ اليمنَ كانتْ مستقرّةً، ولكن لم يكنْ لها اتّصالٌ بأحداثِ بلادِ العرب، مَثَلُها في ذلك مثَلُ الحجاز تماماً (فلم نكنْ نسمعُ للحجازِ ولا لليمنِ صوتاً في المعاركِ التي كانت دائرةً في فِلَسْطينَ في وجهِ الإفرنج الصليبيّين).

في العراق وفي بلاد الروم (آسية الصغرى):

بعدَ سقوطِ بَغْدادَ أقام أبناءُ هولاكو وأبناء قومهِ خاناتٍ (ممالكَ، امارات) مُتفرّقةً شرقَ نهرِ الفُرات وما وراءه. ومعَ أنّ التترَ كانوا يُهاجمون الشامَ مرّةً بعدَ مرّةٍ، بعدَ ذلك، فإنّ هَجَماتِهِمْ هذه كانتْ قليلةَ الأثرِ.

وبينما كان الاجتياحُ التتريّ قد قضى على عددٍ كبيرٍ من المدن والبُلدان في المَشْرِق، فإنّ مُدُناً وبُلداناً أخرى كثيرةً لم تتأثّرْ بهذا الاجتياحِ. ثمّ إنّ جميعَ بلادِ الأفغانِ وجميعَ بلادِ الهِنْد ومُعْظَمَ البُلدانِ في بلادِ الروم (آسية الصغرى) لم تشعرْ بهذا الاجتياحِ.

كان في حصن كيفا وآمِدَ (من ديارِ بكرٍ، شَمالَ الشام، في جَنوبيّ شرقيّ آسيةَ الصُغرى اليومَ) بقايا من الأمراء الأيّوبيّين (٦٢٩ — ٩٣٠ هـ).

وكان الأُرتقيّون (من السلاجقة) يشاركون بقايا الأيوبيّين حكمَهم في منطقة ديار بكر، وقد عاش فرعهم في ماردينَ من سَنَةِ ٥٠٠ إلى ٨٠٩ هـ (١١٠٦ — ١٤٠٦ م).

وقامتِ الدولةُ الجَلائرية (وأصحابُها تَتَرٌ مَغولٌ من نَسْلِ هولاكو) في العراقِ سَنَةَ ٧٣٨ هـ حينما جاء الشيخُ حَسَنٌ الجلائريّ أحدُ أُمراءِ التَتَرِ وأميرُ (والي!) بلادِ الروم إلى العراق وأسّس فيه الدولة الجلائرية واتّخذ بغدادَ عاصمةً. وعاشتْ هذه الدولةُ الى سَنَةِ ٨١٤ هـ.

في هذا الحين كان العثمانيّون قد أقاموا دَولتَهم في بلاد الروم (آسية الصغرى) ثمّ توالى فيها، في هذه الحِقبة، ثلاثة من سلاطينهم: عُثمانُ بنُ أرْطُغْرُلَ (٦٩٩هـ) مؤسّسُ دولتهم ثمّ أورخانُ ثمّ مُرادٌ (٧٦١ — ٧٩٢ هـ). وقد كان للدولة العثمانيةِ منذ تأسيسها فتوحٌ مُظَفّرةٌ في بلادِ الروم في آسيةَ (آسيةَ الصغرى) وفي أوروبّةَ (في البَلْقان) فقدِ استولى الاتراكُ العثمانيّون في هذا القرن على مُعْظَمِ

شبه جزيرةِ البلقان : بلادِ اليونان وثراقيا وبُلغاريا وبلاد السِرْب والجبل الأسود (ما بين البحرِ الأسود والبحر الأدرياتيكي) . ومُنذُ أواخرِ القرن السابعِ للهجرة عاد الخوفُ من هجوم التتر على البلاد الاسلامية . وفي سنة ٧٠٢ هـ أغارَ غازانُ (قازان) التتريّ على الشام فالتقاه المسلمون على مرج الصفّة[1] فقُتِلَ من التتار خلقٌ عظيمٌ وأُسِرَ جماعة ، ولكنِ استُشْهِدَ من المسلمين جماعةٌ (شذرات الذهب ٦ : ٤) .

وكان الإفرنج (بقايا الصليبيّين) في قُبْرُسَ يُوالون الهَجَمات على السواحل الإسلامية ، فقد جاء يعقوب الأوّل في مطلع سَنَةِ ٧٦٧ هـ (مطلع الخريف من عام ١٣٦٥ م) إلى الإسكندرية في سَبْعينَ قِطعةً حربيةً فعاثوا ونَهَبوا وأفسدوا في البلاد وقتلوا . وبعدَ سَنَتَيْنِ تماماً هاجموا سواحلَ طرابلسَ في مائةٍ وثلاثينَ قِطعةً . وفي سَنَةِ ٧٧٠ هـ هلك يعقوب وخلفه ابنه جانوس (١٣٧٤ - ١٤٣٢ م) فطلب الهدنة من المسلمين وعقد معهم صلحاً ودفع جزية .

صورة المجتمع

إنّ عصرَ المماليك الذي امتدّ زماناً طويلاً تبدّلتْ فيه وجوهُ الحياة تبدّلاً كبيراً ، وخصوصاً بما لَحِقَ الحياةَ العربيةَ من الضَعْف مُنْذُ أيّام الحُروب الصليبيّة ، تلك الحروبِ التي استطاعَ المماليكُ أنفسُهم أن يَضَعوا لها حَدّاً وأن يَرُدّوا خطَرَها عن البلادِ الاسلامية .

- من مظاهر الطبيعة

كثُرَتِ الكوارثُ الطبيعيةُ كثرةً ظاهرةً مِنَ انقضاضِ الصواعق التي كانت تسبّب الحريق ومن الفيَضان ومن القَحْط والغلاء ومن الأمراض - فقد كثُرَ تردّدُ الطاعون الى حلَبَ خاصّة . ثم كان الطاعونُ العامّ (الأسودُ) ، سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٧م) ، فمات به ألوفٌ مؤلّفةٌ في الشرقِ ثمّ انتقل إلى أوروبّةَ وعمّ إيطاليةَ وألمانية وفرنسة وإنكلترة فقُدّرت ضحاياه في تلك المناطقِ ما بَيْنَ رَبَع السُكّان ونصفِ السكّان . فلا عَجَبَ إذَنْ ، إذا بَقِيَتِ المدنُ صغيرةً . من ذلك مثلاً أنّ جامعَ تنكز ، وقد شُرِعَ في بنائه في صفَرَ من سَنَةِ ٧١٧ (ربيعِ عامِ ١٣١٧ م) ، كان في ظاهرِ (خارج) مدينة دِمَشْق !

---

(١) الصفة (كذا) . الصفر ! (بضم الصاد وفتح الفاء المشددة) في ذيول العبر (ص ٢٩ - ٢٠) : كان المصاف على تل شقحف على مقربة من دمشق .

ومن الأمور التي لم يُسَجّلُ التاريخ كثيراً من أمثالها أنّه كان في ترابلس (طرابلس الشام) بِنْتٌ تُسمّى نُفَيْسَةَ زُوّجَتْ بثلاثة أزواج فلم تصلُحْ للزّواج ، فلمّا بلَغَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةَ (٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م) أصبحتْ رَجُلاً فعُمِلَ بذلك مَحْضَرٌ (شذرات الذهب ٦ : ١٧٥ – ١٧٦) .

– الإقطـاع

الإقطاعُ نِظامٌ اجتماعيّ سياسيّ يقومُ على استبدادِ نَفَرٍ من المُتنفّذين بحُكْمِ مساحاتٍ معيّنةٍ من الأرضِ حينما تضعُفُ الدولةُ عن بَسْطِ سُلْطتها على جميع رَعاياها. والإقطاعُ قديمٌ في التاريخ كان موجوداً في مِصْرَ القديمة قبلَ عامِ ٢٠٠٠ ق م. ويبدو أنّه كان موجوداً في أيامِ الرومان . وقد كان نِظاماً مألوفاً عند القبائل الجرمانية جاء به السكسون إلى بَريطانيةَ في عامِ ٦٠٠ م (قبل ظهورِ الاسلام بعَشْرِ سنين) . وفي القرنِ الحادي عَشَرَ للميلادِ (الخامسِ للهجْرة) كان الإقطاعُ نِظاماً شائعاً في أوروبّةَ . ولمّا نَشِبَتِ الحروبُ الصليبيةُ جاء الإفرَنْجُ الصليبيون بنظامِ الإقطاع هذا معَهم إلى الشام (فِلَسْطين ولُبْنانَ وسورية) ، في آخرِ القرنِ الحادي عَشَرَ للميلاد . وقد أخذَ الأيّوبيّون (٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م وما بعدُ) هذا النظامَ وأقطَعوا الأراضيَ للأمراء . غيرَ أن المَماليك كانوا طَبَقَةً عسكريةً قائمةً على الإقطاع . هذه الطبقة نفسُها كانت مُرَتّبَةً بَعْضُها فوق بعضٍ ، وكانتْ كلّ طبقة تَخْدُمُ الطبقةَ التي فَوْقَها وتَتَناوَلُ منها أرزاقَها العَيْنيّةَ (لحماً وخبزاً وحبُوباً وخُضاراً وتَوابِلَ) ونَقْدية (مبالغَ سَنَويةً من المال في السِلْمِ وفي الحرب) بالإضافةِ إلى إقطاعات من الأراضي تَضيقُ وتتّسعُ بحَسْبِ مراتبِ أصحاب هذه الطبَقاتِ في الجيش . وقدِ استخدمَ المماليكُ عدداً من القبائل المَحَلّيّة من التُرْكُمانِ الأكرادِ ومن البَدْوِ العَرَبِ (في الشامِ وصَعيدِ مِصْرَ) لحِمايةِ الطُرُقِ وللدِفاعِ عن السواحلِ (في وجهِ الإفرنج الصليبيّين) وأقطَعوهم الأراضيَ.

– العمران والفن

وامتاز عهدُ المماليكِ البحرية بالعُمران والفنّ والعِلم . غيرَ أنّ أكثرَ هذا الازدهارِ كانَ في خارجِ الشام ، وإذا اتّفقَ أن أنشأ أحدٌ مِنَ الحُكّام أوِ الأعيان أثراً عُمرانياً فإنّما كان يُنْشِئُه في الداخلِ لأنّ الساحلَ كانتْ معالمُهُ قد تقوّضتْ بتَوالي المعاركِ الصليبية عليه قرنَيْنِ كامليْنِ . ولقدْ خلّفَ المماليكُ في سُوريَةَ

مدارسَ ومساجدَ وخلّفوا البناءَ الأبْلَقَ ، أي بناءَ الجُدْرانِ الخارجيةِ صُفوفاً مُتعاقِبةً من الحَجَرِ الأبيض والحجر الأسود كما نرى في حِمْصَ وغيرِها إلى اليوم . وكذلك هُمُ الذينَ خلّفوا التزيينَ الفنّيّ بالخطّ الكوفي وبالمُربّعاتِ المتقاطعةِ على أشكالٍ مختلفة كما نرَى في بعضِ واجهاتِ البيوتِ ونوافذِها في نواحٍ كثيرةٍ من بلادِنا ، وخصوصاً في دِمَشْقَ وحماةَ وحلَبَ وحِمْصَ ؛ ونَجِدُ مثلَ ذلك أيضاً في بيروتَ . واتّسعتْ في عصرِ المماليكِ صِناعةُ الخشَبِ المنقور تُجْعَلُ منه المنابرُ والأبواب والنوافذُ والسقوف ، ورُبّما جُلِّلَتْ منه الشُرُفاتُ وجُدرانُ الغُرَفِ على نحو ما نرى في حلَبَ في الأكثرِ . وفي ذلك العصرِ كثُرَ الزُخْرُفُ بالشَبَهِ (النُحاس الأصفر) في أبوابِ المساجدِ وفي القَناديلِ وقوائمِ القناديلِ (الشمعدانات) .

واهتمّ المماليكُ بكِتابة القرآنِ الكريم فكتَبوه في ورَقٍ من القطعِ الكبيرِ جدّاً وبخَطٍّ كبيرٍ جميلٍ كما أضافوا الى صَفَحاته أشكالاً زُخْرُفيةً بالألوان . ومعَ أنّ نُسّاخَ المصاحفِ قد عنُوا عِنايةً خاصّةً بدَفّتَي المصاحفِ وبالصَفَحاتِ الأولى منها ، فإنّنا نرى أحياناً مثلَ هذهِ العِناية في فواصلِ الآياتِ وفي إطارِ الصفَحات . وكذلك عَظُمَتِ العِنايةُ بالخزائنِ والمَحامل ، وخصوصاً إذا كانت تُتّخذُ مَحلاً للمصاحفِ أو مَحْمَلاً لها عند القِراءة . وقد كانتْ هذهِ الأدواتُ تُصْنَعُ من الخشَبِ المنقور أو منَ النُحاس المُكفّتِ (المُطعّم بمَعْدِنٍ آخرَ) .

— الحياة الدينية

مهما قيلَ في أسبابِ الحروبِ الصليبيّةِ فانّ مَظْهرَها كان دينياً . وكذلك كانتِ الدوافعُ الآنيّةُ المباشِرَةُ لنُشوبِها دينيّةً . ثمّ انّ المَدْرَكَ الشعْبِيّ لها في الشرْقِ الاسلاميّ وفي الغَرْبِ المسيحيّ كان أيضاً دينياً. ولمّا استطاعَ المماليكُ البحريةُ أن يَضَعوا حدّاً لهذهِ الحروبِ الغاشِمَةِ وأن يُطَهّروا البلادَ العربيةَ من الإفرِنْجِ الصَليبيّين ثبَتَ هذا المظهرُ الدينيّ للنِزاعِ بينَ الشرقِ والغَرْبِ في نفوسِ الناس .

والحركةُ النَصْرانيةُ لم تكُنْ ناشِطَةً فقطْ في الحروبِ الصليبيّة ، بل كانتْ في الأندلس أيضاً قويّةً جدّاً (ممّا سيأتي الكلامُ عليه في مَوْضِعه وحينه) . وكان للنصارى جهودٌ بين التتَرِ (المغول) فانتشرتِ النصْرانيةُ بين التتَرِ انتشاراً قليلاً ؛ وكان لهولاكو نفسِه امرأةٌ نصْرانيةٌ . ولكنّ الاسلامَ أخذَ يَنْتَشِرُ بينَ التترِ من

قبلَ أنْ تسقُطَ بغدادُ . ثمّ قامتْ خاناتٌ (ممالكٌ وإماراتٌ) تتريّةٌ مسلمةٌ في أقطارِ المشرق . ولقد بَقِيَ جماعاتٌ من التتَرِ الى اليومِ على الوثنيّة .

ومعَ أنّ المماليكَ يَرْجِعون الى أصولٍ مختلفةٍ كلّها غيرُ مُسلمة ، فإنّهم كانوا كلُّهم شديدي الحِفاظ على مظاهرِ الحياةِ الإسلاميّة كما كان مُعْظَمُهُم مُتَدَيّناً تَدَيّناً صحيحاً . وبرُغْمِ ماكان يُقال فيهم من الجَهْل العامّ بالأمورِ وبالغَفْلة عن مقاصدِ الشريعةِ ، فإنّ نَفَراً كثيرين منهم كانوا يُدْرِكون القِيَمَ الدينيّة إدراكاً واضحاً .

وحَرَصَ المماليك كلّهم على الحِفاظِ على الأخلاقِ العامّةِ فكثيراً ما كانوا يُصْدِرونَ الأوامرَ بإبطال الملاهي وإغلاقِ أماكن الخَمْر وحَبْسِ الزواني ثمّ يُنَفّذون ذلك بشيءٍ من الشدّة أيضاً بينَ المُسلمين وبين النصارى على السواء .

في سَنَة ٧٠٢ « أبطَلَ الأميرُ رُكْن الدين بَيْبَرْسُ الجاشنكير[1] عيدَ الشهيدِ بمِصْرَ ، وذلك أنّ النصارى كان عندَهم تابوبٌ فيه إصْبَعٌ يَزْعُمون أنّها من أصابعِ بعضِ شُهدائهم ، وانّ النيلَ لا يَزيد مالم يُلْقَ فيه هذا التابوتُ . وكان يَجْتَمِعُ النصارى من سائرِ النواحي الى شُبْرا، ويَقَعُ هنالك أمورٌ فظيعةٌ من سُكْرٍ وغيره » (حسن المحاضرة ٢ : ١٧٩) . وفي سَنَة ٧٢٤ هـ أبْطَلَ السُلْطان بيبرسُ هذا الملاهيَ بالديارِ المِصْرية وحَبَسَ جماعةً من الزواني (حسن المحاضرة ١٨٠) .

وللمظاهرِ الدينيةِ أثرٌ في حياةِ الشُعوب ، ولا سيّما في جُمهور العامّة . وقد كان المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ البُنْدقداريّ أوّلَ من أقامَ معالِمَ خُروجِ المَحْمَلِ الى الحجّ . والمحمَلُ صُندوقٌ كبيرٌ يُحْمَلُ على جَمَلٍ ، وفي الصُندوقِ أشياءُ ثمينةٌ وأموال وكُسوةٌ منسوجةٌ مُطرّزَةٌ للكعبة المُشَرَّفَة تُرْسَلُ هَديّةً الى مَكّةَ وأهلِ مكّة . وبدأ بَيْبَرْسُ هذه العادةَ في مِصْرَ سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٧ م) . وقبلَ أن يُبارِحَ المحمَلُ الى الحِجاز كان يُطافُ به في القاهرة بالزينةِ والموسيقى ويُحْتَفَلُ به رَسْمياً وشَعبياً احتفالاً كبيراً.

— الخلافات المذهبية والحركات الهدامة :

وفي عَصْرِ المماليكِ كَثُرَتِ الخِلافاتُ المَذْهبيةُ والحَرَكات الهَدّامةُ وما

---

(١) بيبرس الجاشنكير مملوك برجي تولى الملك في دولة المماليك البحرية عاماً واحداً (٧٠٨ – ٧٠٩ هـ) . أما الظاهر بيبرس البندقداري فهو من المماليك البحرية تولى العرش من ٦٥٨ الى ٦٧٦ هـ .



يَتَبَعُ ذلك كلّه مِنَ انتشارِ الأوهامِ والبِدَعِ ومن نُشوبِ المُنازعات . فمن الخلافات المذهبية أنّ المالكيّةَ (أتباعَ مالكِ بنِ أنسٍ أحدِ أئمّةِ المذاهبِ الأربعةِ السُّنّيّة) كان لهم في جامعِ دِمَشْقَ مِحرابٌ خاصٌّ بهم[1] . وكان نَفَرٌ من رِجالِ الـدين يُنجَسّمون هذه الخلافاتِ بضروبٍ من الأوهامِ . وقد صَدّقَ نفرٌ من المؤرّخين ذلك . قال العِمادُ بنُ الحنبليّ (شذرات الذهب ٦ : ٦٦) : « في جُمادى الأولى من سَنَةِ ٧٢٥ (نَيْسان – ابريل ١٣٢٤ م) كان غَرَقُ بغدادَ المَهولُ ، وساوى الماءُ الأسوارَ وغَرِقَ أُمَمٌ لا تُحصى ودام خَمْسَ ليالٍ . وقيل تهدّمَ بالجانبِ الغربيّ نحوُ خمسةِ آلافِ بيتٍ . قال الذهبي[2] : ومِنَ الآياتِ أنّ مقبرةَ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ غَرِقَتْ سِوى البيتِ الذي ضريحُه فيه ، فإنّ الماء دخل في الدِهليز عُلُوَّ ذِراعٍ ووقف بإذْنِ الله تعالى وبَقِيَتِ البوّاري (الحُصُرُ المصنوعة من القشّ) عليها غبارٌ حول القبر . صحّ عندنا ذلك » .

وبينما كان أحمدُ بنُ عبدِ الحليم بن تَيْميّةَ الحَنْبليّ (ت ٧٢٨ هـ) المجتهدُ المُصْلِحُ يُضْطَهَدُ هو وأصحابُه في الشامِ ، كان المذهبُ الحَنبليّ نفسُه ينتشرُ في مِصْرَ ويكثُرُ فقهاؤه (شذرات الذهب ، راجع ٦ : ٢١٥) .

وفي هذا العصر تعرّض المذهبُ السُنّيّ لمكائدِ أصحابِ الحَرَكاتِ الهَدّامة تعرّضاً شديداً على يد المتطرّفين من الشيعة . وعلى يد المنافقين (الذين دَخَلوا في الاسلام رِئاءً) وعلى يد الرهبان . كان الغُلُوّ منتشراً الى حدّ جَعَلَ ابنَ العِمادِ الحَنبليّ يذكُرُ في أخبار سَنَةِ ٧٢١ هـ (شذرات الذهب ٦ : ٥٥) أنّ شيخ الشيعة وفاضلَهم محمّدَ بنَ أبي بكرٍ الهَمَذانيّ السكاكينيّ كان لا يغلو (لا يَنْسِبُ شيئاً من صفات الألوهيّة الى الأئمّة) ولا يَسُبّ (الصحابةَ كأبي بكرٍ وعُمَرَ وعائشةَ) ؛ ولكنّ ابنَه حَسَناً نشأ غالياً فثبَتَ عليه أنّه أكْفَرَ الشَيْخينِ (أبا بكرٍ وعُمَرَ) وقَذَفَ

(١) شذرات الذهب ٦ : ٥١ ، في أخبار سنة ٧١٨ هـ) . ومعنى هذا ، مع الأسف ، أن أتباع المذاهب السنية أنفسهم كانوا لا يصلي بعضهم خلف بعض !

(٢) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) راوية ومحدث ومؤرخ ألف « تاريخ الاسلام » في تراجم الرجال من الخلفاء والفقهاء والنحاة والشعراء الخ (في واحد وعشرين جزءاً) من أول الاسلام الى أول القرن الثامن للهجرة ثم اختصره في كتاب « العبر في خبر من غبر » . وله أيضاً : تذكرة الحفاظ – طبقات القراء – مناقب عثمان (بن عفان) – فتح الطالب في أخبار علي بن أبي طالب – ميزان الاعتدال في نقد الرجال – الطب النبوي (راجع فوات الوفيات ٢ : ٢٢٨ – ٢٢٩ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٦٣ – ١٦٨ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٤٢٦ – ٤٢٧ (رقم ٣٤١٣) ؛ بروكلمان ٢ : ٥٧–٦٠ الملحق ٢ : ٤٥) .

ابْنَتَيْهِما ونَسَبَ جبريلَ إلى الغَلَطِ في الرسالة (بأنّ جبريلَ غَلِطَ فأدّى الرِسالة الى محمّدٍ عليه الصلاةُ والسلام بَدَلاً من أن يُؤَدِّيَها الى عليّ كَرّمَ اللهُ وجهَه) إلى غيرِ ذلك . فحُكِمَ بزندقته وضُرِبتْ عُنُقُه ، سَنَةَ ٧٤٤ هـ (شذرات الذهب ٦ : ١٤٠). وفي سَنَةِ ٧٠١ هـ قُتِلَ أحمدُ بنُ الثَقَفي لأنه كان يَتَنَقَّصُ القُرآنَ الكريم والرسولَ ويَسْتَحِلّ المُحَرَّماتِ ويَستهينُ بالعقائد ؛ وكذلك قُتِلَ أحمدُ الرُويسُ الإقباعي في دِمَشْقَ، سنة ٧١٥ هـ ، للاسباب نفسِها (شذرات ٦ : ٣٥) .

الحياة الثقافية :

بعدَ سُقوطِ بَغْدادَ (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) انتقل العِلْمُ من العِراقِ الى مِصْرَ، وكَثُرَ العلَماءُ في كلّ فنّ والأدباءُ والشعراء خاصّةً في مِصْرَ والشام (سورية) .

ومَعَ أنّ المماليكَ لم يكونوا أهلَ حَضارةٍ في البيئاتِ التي جاءوا منها ، فلقد كان لهم عِنايةٌ بوُجوهِ الحضارة وبنشر العِلْم . أمّا هُمْ أنفُسهم فكانوا يَتَلَقَّوْنَ أشياءَ يسيرةً من القُرآنِ الكريم وشيئاً من الفِقْه ومن القِراءة والكتابة ، ذلك لأنّ العنايةَ بهم كانت قائمةً على تدريبِهِم العَسْكري للحرب. من أجلِ ذلك كان تعليمُهم يَكادُ يكونُ قاصراً على التمارين الرياضية وعلى الفُروسية وأساليبِ القتال . وكان تعليمُهم هذا يجري في أماكنَ خاصّةٍ بهم بعيدةٍ عنِ الاتّصالِ بطَبَقاتِ الناسِ من أهلِ البلاد .

وأنشأ المماليك عدداً كبيراً من المدارس في جميعِ أنحاءِ البلاد وفَتَحوا هذه المدارس أمامَ جميعِ الراغبين في الاستفادةِ يأتون إليها لِيَسْتمعوا إلى ما يُلقى في حَلَقاتِها على غيرِ نظامٍ مألوفٍ : كان في هذه المدارسِ – وفي الجوامعِ أيضاً – أساتذةٌ يُلْقونَ دُروساً في مَوضوعاتٍ مُعَيّنةٍ ، وكان الراغبُ في المَعْرفة يَجْلِسُ في الحَلْقة التي يَروقُ له موضوعُها بلا شروطٍ ولا قيودٍ ولا تسجيلٍ ولا امتحانات . لا شَكّ في أن هذهِ السياسةَ الفوضى في التعليمِ تُضَيِّعُ جانباً كبيراً من جُهودِ الدولة والأساتذة ومن جُهود الناس أيضاً ، ولكنّها في الوقتِ نفسه تجلو شَخْصيّاتِ أولئك الذين أُوتوا نَصيباً كبيراً من العَقْلِ والجِدّ والمثابرة . غيرَ أن هذه الطريقةَ تُبْرِزُ لنا أفراداً قليلين من كِبارِ العُلَماء ثمّ تَدَعُ السوادَ الأعظمَ من الناسِ في غَمْرةٍ من الجهل .

أمّا أكثرُ موضوعاتِ العِلْمِ رواجاً فكانَ الحديثَ ودراسةَ الفِقْه على المذاهبِ

الأربعة (المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي). وكان إلى جانب الحديث والفقه تفسيرُ القرآن الكريم وأصولُ الدين واللغة والأدبُ. ثمّ إنّ كثرةَ التأليفِ في العلوم الرياضية والطبيعية من الرياضيّات والفلَك والجُغرافية والهندسة والطبّ وما إليها يُوحي بأنّه كان لمِثْلِ هذه الموضوعاتِ مدارسُ خاصّةٌ أو حلَقاتٌ خاصّةٌ في المدارسِ العامّة. وكانت العلومُ الطبيعيّة (والطبّ خاصّة) تُعلَّم في المارستاناتِ (المُستشفيات) نَظَرياً وعمَلياً معاً، كما أنّ العلومَ الرياضيّةَ كانتْ تُعلَّمُ في المراصد.

وقد كثُرَ التصنيفُ في التفْسيرِ والحَديث والفقْه والخلاف (في المذاهب الفقْهية) والجَدَل، كما نَجدُ عند نصيرِ الدين الطّوسيّ (ت ٦٧٢ هـ) ومُحْيِي الدين يَحيي بن شرَفِ النَوَويّ (ت ٦٧٦ هـ) وبُرهانِ الدين محمّدِ بنِ محمّدٍ النسَفيّ (٦٨٤ هـ) وعبدِ الله بن عُمرَ البيْضاويّ (ت ٦٨٥ هـ).

واتّسعَ التأليفُ في التاريخ اتّساعاً كبيراً، وخصوصاً في الطبَقات والتراجم (تأريخ الأشخاصِ على ترتيبِ السنينَ أو بحسْبِ فُروعِ العلم) في الأكثر كما نَجدُ عند أبي شامةَ (ت ٦٦٥ هـ) وكمالِ الدين بن العَديم (ت ٦٦٠ هـ) وابن أبي أُصَيْبِعَةَ (ت ٦٦٨ هـ) في كتابه طبَقاتِ الأطبّاء وعند تاج الدين أبي طالبِ عليّ ابن الساعي البغْداديّ (ت ٦٧٤ هـ) وعند ابنِ خلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) في كتابه وَفَياتِ الأعيان وأنْباء أبناء الزمان. ولِمُحبّ الدين الطبَريّ المكّي (ت ٦٨٤هـ) كتابانِ في فَضائل الصحابةِ العشْرةِ المُبَشّرينَ بالجنّة وفي مَناقبِ ذوي القُرْبى من آلِ الرسول. ولأبي الفَرجِ غَريغوريوسَ بنِ أهرُنَ المعروفِ بابن العِبْريّ (ت ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ) كتابُ «تاريخِ مُختَصَرِ الدول» مزَجَ فيه التاريخَ السياسيّ بِلُمَعٍ من التاريخ الثقافيّ وتراجمِ أعلامِ الثقافة. ونَجِدُ في أعقابِ هذه الحِقبة شيئاً من التاريخ القَصَصيّ عندَ عبدِ الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) وجَمالِ الدين ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ). ثمّ انّ لابنِ الطِقْطقَى (ت ٧٠٩ هـ) في كتابه الوجيز «الفخْريّ في الآداب السُلطانية والدُوَل الإسلامية» نَظَرات تعليليةً في مُقدّمة هذا الكتابِ وفي ثَنايا فُصولِه يُمكِنُ أنْ تعَدَّ في بابِ فلْسفةِ التاريخ.

ومِنْ أوائلِ الذين يُشارُ إليهم في التأليف المُوسعيّ نصيرُ الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ = ١٢٧٤م) له تآليفُ مُستقلّةٌ في الفقْه وفي الفلسفة وفي الرياضيّات والفيزياء والفلَكَ والموسيقى وعِلْم المعادن والطبّ. وهنالك زكَريّا بنُ مُحمّدٍ القزْوينيّ

(ت ٦٨٢ هـ) صاحبُ كتاب « عجائبِ المخلوقات » وكتاب « آثـارِ البلاد » فيهما آراءٌ علميةٌ (رياضيةٌ وطبيعيّة) صائبة عبقريّة ، فقد تكلّم فيهما على الأرضِ وما عليها من جمادٍ ونباتٍ وحيَوانٍ وإنسانٍ وعلى ما فيها من بحارٍ وجبالٍ وجزائرَ وأنهارٍ ، كما تكلّم على تشكُّلِ الأنهارِ من تسرُّبِ مياهِ الأمطار إلى باطنِ الأرضِ ثمّ خروجِها جداولَ تلتقي فتكونُ منها الأنهارُ العظيمةُ ؛ وشَرْحُ ذلك كلّه مما يَضيقُ به كتابٌ في تاريخِ الأدب . ثمّ هنالك جمالُ الدينِ الوطواط (ت ٧١٨ هـ) صاحبُ « مباهج الفِكَر ومناهجِ العِبَر » ، وشمسُ الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الانصاريّ الدمَشْقيّ (ت ٧٢٧ هـ) صاحب كتاب « نُخْبةِ الدهْرِ وعجائب البر والبحر » وفي الكتابين نِطاقٌ واسعٌ من الفَلَك والجُغرافية والمعادن والنبات والحيَوان .

وفي هذا العصرِ – عصرِ المماليكِ البحرية – علماءُ في الرياضيّاتِ والفَلَك منهم سعيدُ بنُ محمّدِ بنِ مصدّق الصَفَديّ (ت ٧١٢ هـ) وأحمدُ بن أبي بكرٍ السرّاجُ (ت نحو ٧٢٦ هـ) وعبدُ الله بن محمّدِ بنِ خدّام البَغْداديّ (ت ٧٣٦ هـ) وعليّ ابنُ ابراهيمَ بنِ محمّدٍ الشاطرُ (ت ٧٧٧ هـ) المُوَقّتُ بالجامع الأمويّ وله كتبٌ كثيرةٌ . أمّا في الفيزياء فهنالك العالمانِ العظيمانِ قُطْبُ الدين الشيرازيّ (ت ٧١٠ هـ) وتِلْميذه كمالُ الدين الفارسيّ (ت ٧٢٠ هـ) وقد برَعا في علْمِ المناظر (البَصَريّات خاصّةً) وفاقا فيه مُعاصريهما وسابقيهما في الشرْق والغرْب معاً . واشتهرَ بالكيمياء في هذا العصر أيدَمُر الجِلْدَكيّ (ت ٧٤٣ هـ) .

ويلْمَعُ في سماء الطبّ اسمُ ابنِ النفيسِ (ت ٦٨٧ هـ) مُكتشفِ الدوْرة الدمَويّة الصُغْرى (الجزْئية) بينَ القلبِ والرئتَيْنِ . وكان في أيامه نفرٌ من كبارِ الأطبّاء .

ومعَ أن ابنَ منظورٍ (ت ٧١١ هـ) صاحبَ القاموسِ العظيم « لسان العرب » مشهورٌ بأنّه عالم باللغةِ فانّ له كتابَ « سرورِ النفسِ بمداركِ الحواسّ الخمس » طواه على أوصافٍ لمظاهرِ الطبيعةِ والحياةِ منها أشياءُ في وصف الشمس والخُسوف والفُصول الأربعة والرياح والأمطار من الناحيتين الأدبيةِ والطبيعية العِلمية معاً .

وأمّا إذا أتيْنا الى الكُتّاب المُوسعيّين الذين ألّفوا في العلومِ الإنسانية وحْدَها كاللغةِ والتاريخ والسياسة والأدب فيَحْسُن أن نُشير في هذا العصرِ إلى شهاب الدين النُوَيْري (ت ٧٣٢ هـ) وابنِ فَضْلِ اللهِ العُمَري (ت ٧٤٩ هـ) وصلاحِ الدين



الصَفَدِيّ (ت ٧٦٤ هـ) اكتفاءً بنَفَرٍ لا يَجوزُ لأحدٍ أن يَجْهَلَهُمْ أو يَجْهَلَ أسماءهم .

وعُنِيَ المؤلّفون بالفروسيةِ وآلاتِ القتال وأدواتِهِ فألّفوا فيها ، نذكر مِنْ هؤلاء بدرَ الدين بَكْتوتَ الرمّاح الخازنداريّ (ت ٧١١ هـ) والحُسينَ بنَ محمّدٍ الحسينيّ (ت ٧٢٧ هـ) ولاجينَ بنَ عبدِ اللهِ الذهبيَّ (ت ٧٣٨ هـ) .

الخصائص الأدبية :

إنّ الاجتياحَ التتَريَّ قد قضى على اللّغةِ العربية بين طبَقات الشعوبِ التي كانتْ تسكُنُ شرْقَ العِراق ، معَ العِلْم بأنّ حرَكةَ إحياء اللّغةِ الفارسية تعودُ الى أواسطِ القرنِ الرابعِ للهجرة . أمّا الحالُ في البلاد التي حكَمَها المماليكُ فكانتْ مُختَلفةً . إنّ المماليكَ لم يكونوا عرَباً ، ولكنّهم كانوا مُسْلِمينَ ، وقد حمَلَهُمْ اهتمامُهم بالدين على أن يُولُوا اللغةَ العربيةَ عِنايةً كبيرةً لأنّ اللغةَ العربيةَ لغةُ الإسلامِ .

وإذا لم يكنِ اهتمامُ المماليكِ ــ وهُمْ طبَقَةٌ حاكمةٌ ــ بالأدبِ الخالِصِ من نَثْرٍ وشِعْرٍ يُصَرِّفُهُ أصحابُه في مَدْحِ أهلِ الدولة ، فإنّ اهتمامَهم باللغة العربية على أنّها لغةُ السياسةِ والإدارة والعِلْم كان عظيماً جداً .

إنّ تخريبَ معالمِ الحضارةِ ، ذلكَ التخريبَ الذي رافقَ الاجتياحَ التتريَّ قد قضى على كثيرٍ من دُورِ العلمِ ودور الكُتُبِ وأفقدَ العربَ مِئاتِ الألوفِ من ذَخائرِ تُراثِهم . مِنْ أجلِ ذلك كان من المُنْتَظَرِ أن تَنْشَطَ حركةُ التأليفِ بعامِلَيْنِ أساسيّينِ : (أ) بعاملِ الحاجةِ الى كُتُبٍ تَسُدّ مكانَ الكتبِ التي تَلِفَتْ ، ثمّ (ب) بعاملٍ هو أنّ العِلْم كان لا يزالُ ــ برُغْمِ كثْرةِ الكتبِ التي أُلِّفَتْ في الأعصرِ السابقة ــ يقومُ على الرِواية . فأرادَ حُفّاظُ العِلم ، بعدَ الاستعانةِ بما كانت ذاكرتُهُمْ لا تزالُ تَعِي وبعدَ الاستعانةِ بالكُتُبِ التي نَجَتْ من الدّمار ، أن يَضَعوا كُتُباً في الموضوعاتِ المختلفة . من أجلِ ذلك لا يَعْجَبُ أحدُنا إذا رأى أنّ مُعْظَمَ هذه الكتبِ كان مجاميعَ كلٌّ مجموعٍ منها في عِدّةِ مُجلّداتٍ ، وخصوصاً في الحديثِ والفِقْه والجُغرافية والتاريخ والتراجم والسياسة والادارة وفي العلوم الرياضيّة والطبيعية . ولا ريبَ في أن عصر المماليكِ كلّه كان عصرَ المُوسِعات (بضمّ الميم وكسر السين) في التأليف ، إمّا عِلماً علماً أو علوماً مختلفة ــ مُتقاربةً أو مُتباعدة ــ في الكتابِ الواحد . ويحسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى أبي زكريّا النوَويّ (ت ٦٧٦ هـ)

صاحب « منهاج الطالبين » في الفقه الشافعي ، وفي هذا الباب يدخلُ شمسُ الدين الذهبيُّ المُتوفّى سَنَةَ ٧٤٨ هـ (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩ ، الحاشية ٢) له أربعونَ كتاباً أو تزيدُ مُعْظَمُها في عددٍ من الأجزاء ، ثمّ هي من أُمّهاتِ المصادر التي يعودُ الباحثون إليها لمعرفة تراجمِ الرجالِ في الحديثِ والفِقْه والتاريخ والأدب . وهنالك ابنُ تَيْمِيّةَ (ت ٧٢٨ هـ) وله « فتاوى ابن تيميّة » في الفصلِ في عددٍ من الأمور الدينية والشرعية ، ثمّ شهابُ الدين النُوَيْرِيّ (ت ٧٣٢هـ) « وله نهايةُ الأربِ في فنون العرب » حاولَ أن يجمعَ فيه جميعَ المعارفِ الإنسانية ، وقد طُبع منه إلى الآن ثمانيةَ عَشَرَ جزءاً . ثمّ هنالك ابنُ فضلِ الله العُمَرِيّ (ت ٧٤٨ هـ) ؛ ومعَ أنّ كتابه « مَسالك الأبصار في ممالكِ الامصار » في الجغرافية عموماً ، فانّه يَضُمّ معارفَ كثيرةً في النبات والحَيَوان والتاريخ والأدب والتراجم. ولابنِ فضلِ الله العُمَري أيضاً « التعريفُ بالمُصْطَلَح الشريف » في الجغرافية والأمور الديوانية (أساليبِ الوثائق الحكومية) ووسائلِ النقلِ والمُصْطَلَحات الفنّيّة . ثمّ هنالك شمسُ الدين الذهبيّ (ت٧٤٨ هـ) صاحبُ « تاريخ الإسلام» وطبقات مشاهير الأعلام » ، ثمّ تــاجُ الدين السُبْكي (ت ٧٧١هـ) صاحبُ « طبقاتِ الشافعية الكُبرى » في التراجم ، ثمّ ابنُ كثير (ت ٧٧٤ هـ) صاحب « البِداية والنهاية » في التاريخ و « كتابُ الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسُنَن » جمع فيه بين كتب الحديث العَشْرة لأصحابها : البُخاري ومُسلم والتِرْمِذي والنَّسائي وأبي داودَ وابنِ ماجةَ والامام أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ والبزّاز وأبي يَعْلى وابنِ أبي شَيْبة .

ويَجِبُ أنْ نُشيرَ هنا ثانيةً إلى صَلاحِ الدين خليل بن أيبكَ الصَفَديّ (ت ٧٦٤ هـ) صاحبِ كتاب « الوافي بالوَفَيات » أكبرِ كتبِ التَراجم قاطبةً .

من أبرزِ الخصائصِ الأدبيةِ العامّةِ في عصرِ المماليكِ البحريةِ وضوحُ الاتّجاهِ الدينيّ من الزُهْدِ والتصوّفُ والبديعيّاتِ (مدحِ الرسولِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم) وكَثْرة الاستشهاد بالقرآن الكريم وبالحديثِ الشريف . إلى جانبِ هذا كلّه كان ثمّتَ مظاهرُ من اللَهْو والمُجون والفِسْق والنَظْم في الخمر والحَشيشة . وكَثُرَتْ في النثر والشعر المُراسلاتُ الإخوانية والمُعارضات والمُناقضات والألغازُ والمُحاورات والإطنابُ في ألقاب المديح والإطالةُ في الرسائل والقصائد معَ بروزِ عُنْصُرِ الوصف بُروزاً شديداً . وكَثُرَتْ أيضاً السَرِقاتُ الشِعريةُ خاصّةً والاستهتارُ بها . وأمّا من الناحية اللَفْظية فإنّ الاسلوبَ قد ضَعُفَ كثيراً وركّ التركيبُ في بعضِ الأحيانِ ودَخَلَ فيه ألفاظٌ وتعابيرُ قريبةٌ من العاميّة ، وتَبِــعَ ذلك تَكَلّفُ أوجهِ البلاغةِ

ممّا كان يَحْسُنُ أحياناً ، وكان أكثرَ ما تعاطاه الأدباءُ في ذلك نثراً ونظماً وجوه التَوْرِيَةِ .

— الترسّل

في أيامِ المماليكِ تعدّدتْ دواوينُ الدولةِ (الدوائر الرسمية) فتعدّدتْ من أجلِ ذلك أنواعُ الرسائلِ الديوانية (الرسمية) فكانت هذه الرسائلُ صورةً للحياةِ الرسميّة. فمن تلك الرسائلِ الرسائلُ المُلوكيّةُ وهي المُكاتبات التي كانت تصدُرُ عن السلطان إلى الملوك والأمراءِ في القضايا الدَوْلية العامّة (في دولة المماليك) أو في العلاقات الخارجيةِ (بين سلاطينِ المماليكِ والملوكِ الأجانبِ) . ومنها التقاليدُ وهي الرسائلُ التي تُرْسَلُ إلى نَفَرٍ من كبارِ رجالِ الدولة عند تَعْيينِهم في مَنْصِبٍ من المناصب الرفيعة . ومنها أيضاً البِشاراتُ وهي رسائلُ تُوَجّهُ إلى وُلاةِ الأقطار لِتُقْرَأ على الناس (أو ليُبَلِّغَ فَحوْاها الى الناس) ، وهي تدور على ذَهابِ السُلطان الى الحرب ورُجوعه منها وعلى تَنَقّلِه في البلاد وعلى إنعامِه على الأفرادِ والجماعات بمناصبَ أو أموالٍ وعلى إعلانِ العُقوبة على عاصينَ أو تهديدِهم بعِقابٍ مُقْبِلٍ .

وهنالك الرسائلُ الإخوانيةُ التي اتّسع نِطاقُها والتي تدورُ بين الإخوان (الأصدقاء والأدباء) في أغراضٍ مختلفةٍ من الشُكْرِ على معروفٍ أو التَهْنِئَةِ بعيدٍ أو بمولودٍ أو عند تبادُلِ الآراءِ الأدبيةِ والاجتماعية . وكثيراً مّا كان المتراسلونَ يَطْوُونَ رسائِلَهم هذهِ علىشيءٍ منالنَقْدِ الاجتماعيوالنقد السياسيّ خاصةً تلميحاً وتصريحاً.

وغَلَبَ الترسّلُ (بخصائصه الأنيقةِ وتكلّفِ الصناعة فيه) على مُعْظَمِ أنواعِ النثر في مُقدّماتِ الكُتُبِ ومُتونها ، وخصوصاً في الدراسات الأدبية ، حتّى أنّ مُؤرِّخَ الأدبِ كانَ يكتُبُ في الأديبِ بِضْعةَ صَفَحاتٍ ليس فيها إلاّ عباراتٌ مُنَمّقَةٌ لا يستطيعُ الدارِسُ أن يَسْتَنْتِجَ منها شيئاً من أحداثِ حياةِ ذلك الأديبِ ولا من خصائصه الأدبية المميّزةِ . وقد أكثرَ الأدباءُ من أوصافِ الطبيعةِ (كوصفِ الأنهار والأزهار وغيرِها) لأنّ هذه الأوصافَ تتّسعُ للخيالِ وللبَراعة في التعبير الأنيق .

واتّسعتْ في هذا العصر المَفاخراتُ وهي مُناظراتٌ أو موازنات قائمةٌ على الحِوار بَيْنَ أمرينِ يُحاولُ كلّ أمرٍ أن يُفَضّلَ نفسَه على نَظيرِه أو مُفاخِرِه ؛ ومِنْ أشهر هذه المَفاخرات : مفاخرة السيف والقلم ، مفاخرة الورد والنرجِسِ .

وموضوع المُفاخرات قديمٌ فلقد رأينا منه شيئاً عند الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في

وَصْفِ الكتاب وفي المُوازنة بين الربيع والخريف وفي الموازنة بين الديك والكلب (في كتاب الحيوان) . غيرَ أنّ هذا الموضوعَ قد أصبحَ في هذا العصرِ فنّاً مُتميّزاً إذِ اتّسعَ نِطاقُه وكثُرَتْ أغراضُه وشاعَ عند الأدباء .

واتّسعَ في عصْرِ المماليك تقاريظُ الكتبِ . هذه التقاريظْ كان يكتبُها نفرٌ من الأدباء لأصدقائهم المؤلّفين ويطْوُونَها على « مَدْحٍ مُطْلَقٍ » في الكتابِ المُقرَّظ وصاحبه بأسلوبٍ أنيقٍ وتكلّفٍ بلاغيٍّ من البديع والتَوْرِيَةِ خاصّةً . وقلّ ما كان لهذه التقاريظِ صِلةٌ بقيمةِ الكتابِ أو بمادّته .

وكذلك كثُرَتِ الألغازُ . واللُغزُ رَمْزٌ عن شيءٍ يُنْتَظَرُ من القارىء أن يَعْرِفَه من الوَصْفِ الذي يَسوقُه الكاتبُ . ومعَ أنّ وَضْعَ الألغازِ الأدبيةِ يحتاجُ الى بَراعةٍ ومقدرة فإنّه ليسَ من الجانبِ الجِدّيّ في الأدب .

ولمّا قلّ الابتكارُ في الأدبِ في عَصْرِ المماليك كَثُرَ وَضْعُ الشُروحِ على الكُتُبِ والمَقالات والقصائد ، فعندَنا مثلاً : قَصيدةُ البُرْدة (بانتْ سُعادُ فقَلْبي اليومَ مَتْبولُ) لكَعْبِ بنِ زُهيرٍ شَرَحَها جمالُ الدين بنُ هشام المِصْريُّ ــ لاميّةُ العَجَم (أصالةُ الرأيِ صانَتْني على الخَطَلِ) للطُغْرائي شَرَحَها الصَلاح الصَفَدي في كتابه « الغَيْث الذي انْسَجَم في شرح لاميّة العجم » ــ البُرْأةُ ويُقال : البُرْدَةُ (أمِنْ تَذَكّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ) للبُوصيري شَرَحَها كثيرون . ولابنِ زَيْدون الاندلسيّ رسالةٌ جِدّيّة ورسالة هزلية شَرَحَ الأولى منهما الصلاحُ الصَفَدي وشَرَحَ الثانيةَ ابنُ نُباتَةَ المِصْري .

ونشأ في هذا العصرِ نوعٌ من الأدب التمثيليّ الهَزْليّ الشَعَبي ، كما نرى عند مُحمّدِ بنِ دانيالَ (ت ٧١٠ هـ) . ومَعَ أن كُتّابَ المَقاماتِ قد كَثُروا فانّه لم يكن في تاريخ الأدب كلّه من داني الحريريَّ (ت ٥١٦ هـ) في براعة الصناعة ولا من داني بديعَ الزمانِ (ت ٣٩٨ هـ) في ابتكارِ المَوْضوعات في هذا الفنّ .

وضَعُفَتِ الخَطابةُ فلم يَكُنْ في هذا العصرِ براعةٌ ظاهرةٌ ولا قُدْرة على الارتجال والابتكار ، بل غَلَبَ على الخُطباءِ تقليدُ السابقين لهم حتّى جرَتِ العادة بأن يُلقيَ الخطباءُ في المساجدِ (في أيامِ الجُمَعِ والأعياد) خُطَباً من إنشاء غيرِهم . وقد كانت الخُطَب دينيةً بَحْتاً تكثُرُ فيها الألفاظُ المكرورةُ والتعابيرُ المُعادة وتزدحم بالاستشهادِ من القرآن الكريم ومن الحديث ، ثمّ قلّ أن يطرُقَ الخطيبُ موضوعاً سياسيّاً خاصّاً أو اجتماعيّاً عامّاً . وفيما يلي نَموذجانِ لِسياقِ الخُطَبِ عُموماً :

أولاً ـ خطب الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ الله العبّاسي (ت ٧٠١ هـ) في مصر، وهو غيرُ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطميّ طبعاً، فقال:

« الحمدُ لله الذي أقامَ لبني العبّاس رُكناً وظهيراً، وجعلَ لهم من لدُنهُ سُلطاناً نصيراً. أحمَدُهُ على السرّاء والضرّاء، وأستعينُه على شُكْرِ ما أسبغَ من النعْماء، وأستنصِرُهُ على الأعداء. وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصَحْبه نجومِ الاهتداء وأئمّةِ الاقتداء الأربعة الخلفاء، وعلى العبّاس عمّه وكاشفِ غمّه، وعلى السادة الخُلفاءِ الراشدينَ والأئمّةِ المهْديّينَ وعلى بقيّةِ الصّحابة والتابعين لهُمْ بإحسانٍ الى يوم الدينِ.

أيّها الناسُ، اعلموا أن الإمامةَ فرضٌ من فُروضِ الإسلام، والجهادَ محتومٌ على جميعِ الأنام، ولايقومُ علَمُ الجهاد إلاّ باجتماعِ كلِمة العباد... فشمّروا(عن) ساق الاجتهاد في إحياء فرْضِ الجهاد، « واتّقوا اللهَ ما استطعْتُم، واسْمَعوا وأطيعوا، وأنْفِقوا خيْراً لأنفُسكم». « ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المُفْلحون » .... فبادروا، عبادَ الله، الى شُكْرِ النعْمة، وأخْلِصوا نيّاتكم تَظْفَروا .... جمَعَ اللهُ على التقوى أمْرَكُمْ وأعزّ بالإسلامِ نصْرَكُم. وأسْتغْفِرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولِسائرِ المُسلمين. فاستَغْفِروه إنّه هُوَ الغفورُ الرحيم.

ثانياً ـ لمّا عُيّنَ تقيّ الدينِ أبو الفتح محمّدُ بنُ عبدِ اللطيف السُبكيّ (ت ٧٤٤ هـ) مُدرّساً بالمدرسة الرُكْنيّة في مِصْرَ افتتحَ دُروسَه بخُطْبة (مُقدّمة) قالَ فيها:

الحمدُ لله ناصرِ المَلِك الناصرِ للدينِ الحَنيفيّ، ومُمْضي عزائمِهُ ومُشيّدِ أركانه بالقائمِ بالشرْعِ المُحمّديّ .... وأشْهدُ أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسولُ الله ...

أمّا بعدُ، فإنّ غريبَ الدارِ ـ ولو ناطَ الثريّا[1] ـ فيكْفي أن يُقال له: غريب؛ وبعيدَ المَزارِ ـ ولو تهيّأ له ما تهيّأ ـ فما له في الراحة من نصيب ...

---

(١) ناط: علق. يقصد السبكي: لو تعلق بالثريا، لو طالت يده الثريا (لو بلغ مبلغاً عظيماً من العلم).



القصص وخيال الظلّ

اتّسعَ فنّ القَصَص في عصر المماليك بعوامل منها اتّساعُ الحروبِ الصليبية وغزوةُ التتر ، فانّ الشعوبَ في مثلِ هذه الحال تحتاجُ الى شَحْذِ هِمَمِها للجهاد في سَبيل البقاء الى جانبِ أنّ الحروبَ نفسَها مناسباتٌ صالحةٌ لنشوء قِصَصِ البطولة ولِرِوايةِ أخبارِ المغامرات . وتَبَدّى هذا القَصَصُ في هذا العصرِ في المقاماتِ وفي الحكاياتِ وفي التمثيل البِدائي المُتبدّي في خَيالِ الظلّ[1] .

أمّا مُنْشِئو المقامات فكان منهم الشابّ الظريف (ت ٦٨٨ هـ) وعمرُ بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) وصفيّ الدين الحِلّيّ (ت ٧٥٠ هـ) والصلاحُ الصَفَديّ (ت ٧٦٤هـ) ، ومقاماتُهم تقليدٌ ظاهرٌ للحريريّ (ت ٥١٦ هـ) مَعَ تأخّرٍ عن رتبته في البراعةِ من حيثُ الموضوعاتُ ومن حيثُ الأسلوبُ .

وفي أصحابِ التَراجِمِ القَصَصيّة نَجِدُ ابنَ عبدِ الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) صاحبَ « الألطاف الخَفِيّة من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية » ، وهي تَقُصّ تاريخَ مِصْرَ في زمنِ السُلطان الملك الأشرف خَليلِ بن قَلاوونَ (ت ٦٩٣ هـ) ، ثمّ جمالَ الدين بنَ واصلٍ (ت ٦٩٧هـ) صاحبَ كتاب « مُفرّجِ الكُروب في أخبار بني أيّوب » .

وأمّا فنّ القَصَص على الحَصْر فتَبَدّى في تَطَوّرِ « التمثيل الهزلي » . وكان أبرزَ أعلامِ هذا الفن ابنُ دانيالَ المَوْصلي (ت ٧١٠ هـ) الذي وَضَعَ عدداً من القَصَص التي تصلُحُ للتمثيلِ وجَعَلَ ثلاثاً منها في كتاب عنوانه « طَيْفُ الخَيال » . وفي هذه القَصَص التمثيليةِ عناصرُ كثيرةٌ بارعةٌ لِتَسْلِيَةِ جَمهورِ الناسِ عامّتِهم وخاصّتِهم . ووَضَعَ صفيّ الدين الحِلّيّ (ت ٧٥٠هـ) رسالةً أشبهَ بالمقاماتِ عُنوانُها « رسالة الدار في محاورات الفار » فيها عناصرُ تمثيلية (راجع ترجمة صفي الدين الحلي — ت ٧٥٠هـ) .

— الشعر :

الشعرُ من عَصْرِ المماليكِ كثير جِداً ، مَعَ أن جانباً كبيراً منه يَجِبُ أن يكون قد ضاع . وإذا كان النثر قد سَلَكَ المسلَكَ المألوفَ ، مَعَ شيءٍ من الضَعْفِ ، فانّ الشُعراء قد وَلّدوا عَدَداً من المعاني (أو مِنَ الاستعاراتِ والتشابيهِ) مِنْ أشعارِ

---

(١) خيال الظل : تنصب ستارة ويوقد خلفها (على بعد معين) مصباح ثم يقف بين المصباح والستارة شخصان يقومان بحركات مضحكة (ويكون جانب القاعة الذي يجلس فيه النظارة مظلماً) فيظهر خيال الشخصين وما يقومان به أشباحاً تتحرك على الستارة .



القُدماء من غيرِ أن يَخرُجَ ذلك بهم الى ابتكارٍ . من ذلك مثلاً قولُ ابنِ مكانسَ (ت ٧٩٤ هـ) : يَصِفُ شجرةً إلى جانبِ نهرِ النيلِ مائلةٍ نحوَ شاطئِه :

مالتْ على النهر إذ جاشَ الحَريرُ بِه كأنّها أُذُنٌ مالتْ لإصغاءِ .

وكانتْ أقوالُ الشعراءِ في الخمر تقليداً للعباسيّين ولأبي نُواسٍ خاصّةً . ولكنَّ الشعراءَ الذين أدركوا عصرَ المماليكِ البحريةِ أو عاشوا في إبّانِ ذلك العصر نَظَموا في الحَشيشة أيضاً : يُفَضّلون هذه على تلك مرّةً ثمّ يُفَضّلون تلك على هذه مرّةً أخرى . ولمّا منَعَ الملكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ الخَمْرَ والحشيشةَ أخَذَ نَفَرٌ من الشعراء يتفكّهون في التَنَدّرِ على هذا المَنْعِ ، فقد قال ناصرُ الدين بنُ النقيب (٦٨٧ هـ) :

مَنَعَ الظاهرُ الحَشيشَ مَعَ الخَمْـ ـرِ فولّى إبليسُ من مِصْرَ يَسْعى .

قال : ما لي وللمُقامِ بأرضٍ لم أُمَتَّعْ فيها بماءٍ ومَرْعى[1] !

وكَثُرَت الفُكاهةُ في الشعر ، في هذا العصر ، كَثْرةً ظاهرةً ، كما نرى في شِعر أبي الحُسين الجزّار (ت ٦٧٩ هـ) وشِعر سِراجِ الدين الورّاق (ت ٦٩٥ هـ) .

واتّسعَ النظمُ في الألغاز اتّساعاً كبيراً . والألغازُ في الأصلِ بابٌ من أبوابِ الصِناعة المَعنَويّة (الاستعارة) والصِناعة اللَفظيّة (التورية) مَعَ شيءٍ من التَعْمِيَةِ في سِياقةِ المعنى . قال ابنُ عبدِ الظاهرِ (ت ٦٩٢ هـ) مُلْغِزاً في كُوزٍ (إناءٍ صغيرٍ له أُذُنٌ — أي عُرْوة — يُغْرَفُ به الماءُ) :

وذي أُذُنٍ بلا سَمْعٍ لَه قلبٌ بلا قلبِ .

إذا استَوْلى على حِبٍّ فقُلْ ما شِئْتَ في الصَبِّ .

(عروة الكوز تسمّى ، في اللغة العامّيّة ، اذناً ، واذن الكوز لا تسمع . والكوز واسعٌ ولكنّه فارغٌ ، فقَلْبُ الكوز أي وَسَطه لا قلبَ فيه ، أي لا عضوَ فيه كعُضْوِ الإنسان المُسمّى قلباً . والحُبّ بضمّ الحاء : المحبّة والجَرّة العظيمة. ثمّ الصَبّ هو المُحِبّ. والصَبّ هو مَصْدَر بمعنى دَفْق الماء) .

وأكثَرَ شعراءُ هذا العصرِ من نَظْمِ المُوشّحاتِ ولكن بلا إجادةٍ ، كما أن الناثرينَ قد أكثَروا من وَضْعِ المَقامات بلا براعة .

---

(١) الماء كناية عن الخمر (السائلة) والمرعى كناية عن « الحشيش » . وفي كلمة « الحشيش» تورية بين الحشيش الذي يتعاطاه الناس سكراً وبين الحشيش الذي تأكله البهائم .

وقد أطالَ الشعراءُ القصائدَ فكَثُرَتْ لهم القصائدُ التي تزيدُ على مائةِ بيتٍ كما نرى في البَديعيّات عادةً (كالبُرأة أو البُردة للبوصيري) وكعددٍ من قصائدِ صفيّ الدين الحِلّيّ خاصّةً وكالمنظومات التي تُسْرَدُ فيها فروعُ العلوم كالنحو والفقه. والى جانب هذه المُطوّلات نَجِد المُقَطّعات الوافرةَ التي كانتْ تُنْظَمُ ارتجالاً وتدورُ في الأكْثَرِ على النُكَتِ البَلاغيّة والتَوْرِيةِ على الأخصّ، وهُوَ كثيرٌ عند شعراءِ هذا الدَوْر.

بعد سُقوطِ بَغدادَ ومجيءِ المَماليكِ الى الحكم انحدرَ الشِعرُ عن مكانتِه السياسية بعواملَ كثيرةٍ منها:

أ) أنّ سقوطَ بَغدادَ وانقراضَ الخِلافة العبّاسية غَطّيا على الزَهْوِ السياسي الذي كان الإسلامُ يَتَمتّع به في مَدى ستّةِ قُرونٍ ونِصفِ قَرْنٍ.

ب) أنّ الاجتياحَ التريَّ ومَجيء المماليك قد أخْلَيا العالَمَ الإسلاميَّ في المشرق من كلّ أثرٍ للحُكْم العربيّ.

ج) أنّ قِيامَ الخاناتِ (الإمارات) التريّة في مَشْرقِ العالم الإسلامي ثم قيامَ المماليكُ في وَسَطِ العالمِ الإسلاميّ قد جاءا بإمارات عسكريةٍ وغيرِ عربية لا تَفْهَمُ الشعرَ العربيَ ثم لا تَهتَمّ به إذا هي فَهِمَتْه. وإذا لم يَجِدْ شعراءُ المديح أيْدِياً تدفعُ المالَ على المديحِ بسخاءٍ، فانّ ألْسِنَتَهُمْ لا تتحرّكُ بشيءٍ من الشعر، فضلاً عن أن يكونَ ذلك الشِعْرُ جيّداً.

هذه العواملُ قد خَلَقَتْ في الشعراء حالةً نفسيةً (إذا كان مدحُهُم في بعضِ الأحيان إعجاباً، كما كُنّا قد رأينا عند زهيرِ بنِ أبي سُلْمى وأبي تمّامٍ والمتنبّي) ويأساً اقتصادياً (إذا كان مدحُهُمْ للتكسّبِ فحَسْبُ، كما كان شأنُ النابغةِ والأخطلِ والبُحتُريّ) فانصرفَ جميعُ الشعراء عن مُعاناةِ الشِعر الرسمي إلى التعبير عن رَغَباتِ نفوسِهم من الغزَلِ والوصْفِ والأدب يَتّكِئونَ في أثناءِ ذلك كلّه على التلاعبِ بالألفاظِ وعلى تَكْرارِ التَراكيبِ المختلفةِ للتعبيرِ عن المعنى الواحدِ أو الشعورِ الواحدِ بِصُوَرٍ شعريةٍ مختلفة. ولعلّ التوريةَ كانتْ أبرزَ ما مالَ إليه شعراءُ هذا العصر. يقولُ يوسفُ بنُ لؤلؤ الذهبي[1] مُوازناً بينَ حُبّهِ وحُزْنهِ

(1) هو بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي الدمشقي، ولد قبيل سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م)، فكان من كبار شعراء وقته ومن الأدباء الظراف. وقد أغرم بالصناعة وبالتورية خاصة. ومعظم شعره المقطعات في وصف —



وبُكائه وبينَ ما يُنْسَبُ الى الحَمامةِ من مثلِ ذلك :

أنّى تُباريني جَوىً وصَبابةً وكآبةً وأسىً وفَيْضَ مآقِ (١)
وأنا الذي أمْلي الجَوى من خاطِري وَهْيَ التي تُملي مِنَ الأوراقِ !

والتوريةُ هنا في « الأوراق » تُمْلي من الأوراق (من وَرَقةٍ مكتوبةٍ — في مقابل « من خاطري ») ، وتملي من الاوراق (وهي موجودة بين أوراق الشجر) . وليوسفَ بن لؤلؤٍ أيضاً :

هَلُمَّ ، يا صاحِ ، الى رَوْضةٍ يَجْلو بها العاني صَدا هَمّه (٢) ؛
نسيمُها يعثُرُ في ذَيْله ، وزهرها يضحَكُ في كُمّه (٣) .

« زهرها يضحك في كمّه » : بدأ يتفتّحُ وَهْوَ لا يزالُ في غِلافه الأخضر ؛ و « ضَحِكَ الرجلُ في كُمّه » (والعامّة يقولون : ضَحِك بِعُبّه) — أي : جاءه مغنمٌ لم يَحْسُبْ له حسابا ، نال أكثرَ من حقّه . ومن قولِ يوسف بن لؤلؤ :

واكْتُمْ أحاديثَ الهَوى بَيْنَنا ففي خِلالِ الرَّوْض نَمّامُ !

والنمّام : الذي ينقُلُ الحديثَ إلى من لا يجوزُ نقلُ الحديثِ إليْهم ؛ ثمّ إنّ النمّامَ نوعٌ من الأزهار .

وله البيتانِ الجَميلانِ (تأمّلِ التوريةَ في كلمة « مَرّ ») :

يا عاذلي فيه ، قُلْ لي : عَنْ حُبّهِ كيف أسْلو ؟ (٤)
يَمُرّ بي كلّ حينٍ ؛ وكلّما مرَّ يَحْلو ! (٥)

= الطبيعة والغزل. وكانت وفاته في شعبان من سنة ٦٨٠ (أواخر ١٢٨١ م). راجع شذرات الذهب ٥ : ٣٦٩ ، الاعلام للزركلي ٩ : ٣٢٥ .

(١) تباريني : تنافسني . الجوى : ألم الحب . الصبابة : الميل والشوق والحب . الكآبة والاسى : الحزن . فيض المآقي : البكاء . المأق والموق (طرف العين) .

(٢) العاني : الاسير (المحب ، أسير الحب) . الصدا = الصدأ : طبقة تنشأ من اتحاد الاوكسجين بذرات الماء على سطح عدد من المعادن فيتفتت بها سطح تلك المعادن . صدأ النفس بالهم : قلة الانشراح ، زوال الفرح .

(٣) في قوله : « نسيمها يعثر (بكسر الثاء او ضمها) في ذيله » تورية : الأغصان في تلك الروضة طويلة ومكسوة بالأوراق . فالمفهوم : صفة مدح لكثرة اخضرار أغصان تلك الروضة ، ثم تعثر الأغصان في تلك الروضة بالاوراق التي تحملها (كما تتعثر الفتاة أحياناً بالثوب الطويل الذي تلبسه) ، فتتحرك هذه الأغصان حركات مختلفة على غير نسق منظور .

(٤) العاذل : اللائم . أسلو : أنسى ، أصبر (عن لقاء المحبوب) .

(٥) مر من المرور : سار على مقربة مني . ومر من المرارة (ضد الحلاوة) . وفي الكلمة تورية .

وبَلَغَتِ البديعياتُ (القصائدُ المَقُولَةُ في مَديح محمّدٍ رسولِ الله) ذِروةَ البَراعةِ في شِعر البُوصيري (ت ٦٩٥ هـ).

ولم يَبْتَعِدِ النثرُ في خصائصه العامّةِ، في هذا العصر، حتّى في التآليفِ التاريخية، عنِ الشعرِ بعداً كبيراً، كما نَرى عندَ ابنِ خَلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) وعندَ ابنِ عبدِ الظاهرِ (ت ٦٩٢ هـ).

وأمّا النقدُ فكانَ مِعْيارَه في هذا العصرِ «ما كان في القِطْعة المَنْقودة، نثراً كانتْ أو شعراً، من أوجهِ البلاغة اللفظيّة خاصّةً». وكلّما كَثُرَ الغُلُوُّ في الجِناس والطِباق وفي التورية خاصّةً في قطعةٍ من القِطعِ كانتْ تلك القطعةُ عندَ نُقّادِ ذلك العصرِ أعلى رُتْبَةً، ذلك لأنّ طريقةَ القاضي الفاضلِ (ت ٥٩٦ هـ) كانتْ غالبةً على جميعِ أدباء ذلك العصرِ كثيراً أو قليلاً.

الملمّع (الشعر الملمّع)

المُلَمَّعاتُ مقاطعُ من الشعر الفارسيّ (أو التركيّ، أو الأُرديّ[1] .....) يَرِدُ فيها شَطرٌ أو بيتٌ أو أكثرُ من الشعر العربيّ على نظامٍ مخصوص.

يكونُ البيتُ من الشعر الفارسيّ مثلاً كلُّه فارسيّاً، كقولِ الفِرْدوسي (ت بُعيد ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م):

زهر كونه أز مرغ وأز چارپــاي   خرد كرد ويك يك بياور بجاي[2]

غيرَ أنّ لغاتِ الشعوبِ الإسلامية من غيرِ العربِ قد تأثّرتْ كلُّها باللغةِ العربية كثيراً أو قليلاً، وخصوصاً بالمفردات. فالشاعرُ أبو الحسن علي فَرُّخي (ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) يقول:

---

(١) الاوردو أو اللغة الأوردية يتكلمها الكثرة من المسلمين في شبه القارة الهندية (في باكستان والهند). وقد نشأت هذه اللغة في بلاط السلاطين المغول (المغل) الذين أصبحوا أباطرة لما امتد سلطانهم على فارس والافغان والهند الى حدودها الشرقية. وترجع نشأة اللغة الأردية (من أردو بمعنى «جيش»: اللغة التي تكلمها الجنود أولاً لما فتحوا الهند) الى القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد). ان التركيب في الأردية فارسي، أما الكلمات فمزيج من التركية والفارسية والعربية والهندية.

(٢) المعنى: من كل صنف من (لحوم) الطير ومن (لحوم) ذوات الأربع (الانعام: الغنم) كان يصنع أطعمة ثم يجيء بها الى المائدة صنفاً صنفاً. الكاف في «كونه» فارسية قاسية (جيم قاهرية)، والجيم والباء في «جارباي» فارسيتان (بثلاث نقط تحتهما).



عاشقان بوس وكنار ونيكوان ناز وعِتابْ
مُطْرِبان رود وسرود خفتكان خابَ وُخمَار[1] .

فالكلماتُ « عاشق — عتاب — مطرب — خمار » عربيةٌ . وربّما كثُرت الكلماتُ العربيةُ في الشعر الفارسيّ مثلاً كثْرةً كبيرةً كما جاء في أبياتٍ من قصيدةٍ للشاعر أفضلِ الدين ابراهيمَ بنِ عليّ الشيروانيّ الذي اتّخذَ لقبَ « خاقاني » وشُهِرَ به . وكانت وفاتُه في تبريز سنة ٥٨٢هـ (١١٨٥ م) . قال خاقاني[2] :

آن جاحِظ وَقتْ را بدى خـواه وآن جاحِد دِين أباده ُ الله .
آن مُشْرِك واين معطّـل أز دل هم مُشْرِك بهتر أز مُعطّـل !

غير أنّ هذا كلّه ليسَ شعراً مُلَمَّعاً . أمّا إذا جاءت المقطوعةُ الفارسية مثلا وفيها بيتٌ أو بيتانِ أو أكثرُ، أو إذا جاءتْ مُشْطَرَةً بعضُ شُطورِها عربيٌ، على نظامٍ مخصوصٍ ، فانّها تكونُ حينئذٍ مُلَمَّعَةً ، كقولِ جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ)[3] :

راحٌ بفيها ، والروحُ فيهـا ؛ كي أشْتَهيها ، قُـم فاسْقِنِيها .
اين راز يارست ، اين ناز يارست ؛ أواز يارست ، قُم فاسْقِنِيها[4] !

أبو شامةَ

هو شِهابُ الدين أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ اسماعيلَ بنِ ابراهيمَ بنِ عُثمانَ المَقْدِسيُّ الأصلِ الدِمَشْقيُّ الدارِ المعروفُ بأبي شامةَ لشامةٍ كبيرةٍ كانت فوقَ حاجبهِ الأيسر .

(١) تاريخ الأدب في ايران ، تأليف براون (نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ١٤٧ — ومعناه : « والعشاق في تقبيل ومعانقة ، والحسان في دلال وعتاب ؛ والمطربون دائبون في العزف والغناء ، والنشاوي غارقون في غفلة الانتشاء » (ص ١٤٩) .

(٢) تاريخ الأدب في ايران ... ص ٤٩٨ . — هذا (الذي) يريد أن يكون جاحظ زمانه ، وهذا الجاحد للدين أباده (أهلكه) الله ... وهذا (هو) المشرك المعطل (الذي يهمل العمل بأمور الدين) في قرارة نفسه . والمشرك خير من المعطل .

(٣) جلال الدين الرومي في حياته وشعره لمحمد عبد السلام كفافي ، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٧١ م ، ص ٤٧٤ (رجع ٤٧٥).

(٤) ذاك سر حبيبي ، ذاك دل حبيبي ، انه صوت حبيبي ...

وُلِدَ أبو شامةَ في دِمَشْقَ في ٢٣ من ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٩٩ هـ (١٠/ ١/ ١٢٠٣ م) ؛ وقرأ القرآنَ الكريمَ بالقراءاتِ كلِّها، سَنَةَ ٦١٦ هـ، على علَمِ الدينِ السَّخاويِّ (ت ٦٤٣ هـ). وفي سَنَةِ ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) ذَهَبَ الى الحجِّ.

وفي سَنَةِ ٦٢٤ هـ ذهبَ أبو شامةَ الى القُدْس للدراسة. ثم انتقلَ سَنَةَ ٦٢٨ هـ الى مصر وسَمِعَ الحديثَ في الاسكندريةِ من أبي القاسمِ عيسى بنِ عبدِ العزيز. ثمّ أخذَ عن عزّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ وغيرِه. ولمّا رجَعَ الى دِمَشْقَ عُيِّنَ للتدريس في المدرسة الرُكْنيّة.

وفي سَنَةِ ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) تجدّدتْ لأبي شامةَ عِنايةٌ بالحديثِ فقرأ على نفسه[1]. وفي سَنَةِ ٦٦٢ هـ تولّى مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ في المدرسةِ الأشرفية؛ كما كان يتولّى مَشْيَخَةَ القُرّاء بالتُرْبة الأشرفية. وكان له اشتغالٌ بالفُتْيا.

وشابَ أبو شامةَ باكراً، في الخامسةِ والعشرينَ من عُمُرِه. وكانتْ وفاتُه في دِمَشْقَ، في ١٩ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦٦٥ هـ (١٣/ ٦/ ١٢٦٨ م)، دَخَلَ عليه رَجُلانِ جبَلِيّانِ وضرباه حتّى أتلفاه، قيل لوَلَعِهِ بهجاء الناسِ.

كان أبو شامةَ بارعاً في قِراءة القُرآنِ الكريم وإقرائه عالماً بالحديثِ والفِقْهِ ثِقَةً، كما كان عالماً بالنحوِ ومؤرّخاً مَشهوراً معدوداً. من كُتُبِه: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (وهو من أحسن المصادر لتاريخ الحروب الصليبية) — ذيل كتاب الروضتين (تتمة لكتاب الروضتين) — المُمْتع المقتضَب في سيرة خير العجم والعرب — مختصر تاريخ دمشق (لابن عساكر) — الضوء الساري الى معرفة رؤية الباري — المرشد الوجيز الى علومٍ تتعلّق بالكتاب العزيز — كتاب البسملة — مفردات القرّاء — الباعث على إنكار البِدَع والحوادث — مختصر كتاب المؤمَّل في الردّ الى الأمر الأوّل (نقد نشوء المذاهب والتقليد للبشر) — إبراز المعاني في شرح حرز الأماني (شرح الشاطبية) — السواك وما أشبهَ ذاك — المقاصد (المنائح) السنية في شرح القصيدة النبوية للشقراطيسيّ — شرح سبعِ قصائدَ (بديعيّات) للسخاوي (ت ٦٤٣ هـ) — شرح البردة (للبوصيري) — مقدّمة في النحو — نظم المفصّل (للزمخشري). (بغية الوعاة ٢٩٧) — شرح المفصل (للزمخشري) (شذرات الذهب ٥ : ٣١٨).

---

(١) كتب أبو شامة ترجمة لنفسه في «ذيل الروضتين» في أخبار سنة ٥٩٩ (ص ٣٧ — ٤٥).

ونثر أبي شامة عاديّ جداً، وهو يحاول أن يتأنّق أحياناً (في مقدّمات كتبه) ؛ وله شعرٌ من أشعارِ العلماء والفقهاء قليلُ الرونق. فمن أحسنِ شعرِه الذي ذكره لنفسه قولُه:

لِدِمَشْقَ – سقى الالهُ رُباها وحِماها – ذِكرى أُولي الألبابِ.
وعجيبٌ: أشجارُها حين تبدو مُزْهراتٍ تَشيبُ قبلَ الشبابِ!

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » المعروف بالذيل على كتاب « الروضتين »:

أمّا بعدُ فإنّ في مطالعة كُتُبِ التواريخ مُعْتَبَراً، وفي ذِكْرِها عن الغرورِ مُزْدَجَراً[١] – لا سيّما إذا ذُكِرَ بعضُ مَنْ مات في كلّ عامٍ من المَعارف والإخوان[٢] والأقاربِ والجيران وذَوِي الثروةِ والسُلْطان – فانّ ذلك ممّا يُزَهِّدُ ذَوِي البصائرِ في الدنيا ويُرَغِّبُهُمْ في العمل للحياة العُليا[٣] .....

وكان قد سهّل اللهُ تعالى عليّ وحبّب إليّ أن جمَعْتُ في كتاب « الروضتين » كثيراً من الحوادثِ الواقعةِ في زَمَنِ الدولتينِ النوريّةِ والصلاحية[٤] – سقى اللهُ عَهْدَهُما وأصلح ما بعدَهما – وانتهى ذلك إلى السَنَةِ التي تُوُفّيَ فيها صلاحُ الدين رَحِمَهُ اللهُ، وهِيَ سَنَةُ تِسعٍ وثمانينَ وخَمْسِمائَة، وذَكَرْتُ تَبَعاً لذلك أشياءَ مُفرّقةً فيما يتعلّقُ بأحوالِ أولادِه و (أحوال) مَنْ يتعلّق بهم.

ثمّ خَطَرَ لي أن أجمعَ كِتاباً يتضمّنُ كثيراً من الحوادث بعدَ ذلك إلى آخِرِ ما تُدْرِكُهُ حياتي – خَتَمَها اللهُ بالعمل الصالح والفعل الرابح – . وكان في ما حَمَلَني على ذلك كَثْرَةُ مَوْتِ المعارفِ فأرَدتُ إثباتَهم لَعَلّي بمُطالعَتِهم أجِدُ قلباً على الآخِرَةِ يُساعِفُ ..... فاستَخَرْتُ اللهَ وابتدأتُ من سَنَةِ تسعينَ التي تَتْلو وفاةَ صلاحِ الدِين، فذَكَرتُ فيها وفي ما بعدَها ما فاتَني ذِكْرُهُ في كتابِ الروضتين سَنَةً بعدَ سَنَةٍ .....

---

(١) مزدجر: ما يزجر (ينهي) عن أمر ما.
(٢) المعارف (استعمال عامي): الأشخاص الذين نعرفهم (بيننا وبينهم معرفة من صداقة أو صلة اجتماعية).
(٣) الحياة العليا (ضد الدنيا): الآخرة (بعد الموت).
(٤) في أيام نور الدين محمود بن زنكي وأيام صلاح الدين الأيوبي.

٤ – كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (بتصحيح أبي السعود) ، مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧ – ١٢٨٨ هـ ؛ مصر ١٢٩٢ ؛ (تحرير باربييه دى مينار) ، باريس ١٨٩٨ ، ١٩٠٦ م[1] ؛ (تحقيق محمّد حلمي محمّد أحمد) ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ م – .

ذيل الروضتين ، بيروت ١٩٠٨ م ؛ = تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين (عرّف الكتاب ... محمّد زاهد بن الحسن الكوثري – عني بنشره ... عزّت العطّار الحسيني – مكتب نشر الثقافة الاسلامية) (القاهرة) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

الباعث على انكار البدع والحوادث ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٠ هـ .

مختصر كتاب المؤمّل في الرد على الأمر الأوّل (مطبوع في « مجموعة رسائل » نشرها صبري الكرديّ) ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

** طبقات الشافعية ٥ : ٦١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ؛ بغية الوعاة ٢٩٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣١٨ – ٣١٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٦ – ٣٨٧ ، الملحق ٥٥٠ – ٥٥١ ؛ زيدان ٣ : ٦٩ – ٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٧٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٥٠ ؛ راجع ترجمته بنفسه في ذيل الروضتين (أخبار سنة ٥٩٩ هـ) ص ٣٧ – ٤٥ ؛ العبر ٥ : ٢٨٠ – ٢٨١ .

شرف الدين الرحـــبيّ

١ – هو شرفُ الدين أبو الحسنِ علي بنُ يوسُفَ بنِ حَيْدَرَةَ بنِ حَسَنٍ الرَحْبِيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

اشتغلَ شرفُ الدين الرحبيُّ بصناعة الطبّ على أبيه وقرأ فُنوناً جَمّةً من العلم على عبدِ اللطيف البَغْداديّ (ت ٦٢٩ هـ) ، كما اشتغل بالأدب على علَمِ الدين السَخاوي وغيرِه . وقد خدَمَ مُدّةً في البيمارستانِ الكبير الذي أنشأه الملكُ العادلُ نورُ الدين بنُ زَنكي . ثمّ إنّه أصبحَ مُدرِّسَ المدرسةِ التي وَقَفَها مُهذّبُ الدين عبدُ الرحيم بنُ عليٍّ الدَخوار (ت ٦٢٨ هـ) في دِمَشْقَ لتعليمِ صِناعة الطبّ .

وكانت وفاةُ شرفِ الدين الرحبيّ في دِمَشْقَ في حادي عَشَرَ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٦٧ هـ (٢٠/ ٩/ ١٢٦٨ م) .

٢ – كان شرفُ الدين الرحبيّ طبيباً ، وكان مُلِمّاً بعددٍ من فنون المعرفة وذا فِطْرةٍ جيّدة في قول الشعر . ومعَ أنّه ، فيما يبدو ، شاعرٌ مُكْثِرٌ ، فإنّ على شعرِه

(١) في معجم المطبوعات العربية (ص ٣١٧) : « وطبع منتخبات منه مع ترجمة فرنساوية باعتناء بربييه دى مينار في باريس ١٨٨٨ م » .



شيئاً من جَفافِ شعرِ العُلماء . ولشرفِ الدين الرحبي قصيدةٌ طويلةٌ مَطْلَعها : « سِهامُ المنايا في الورى ليس تُمْنَعُ » ، مملوءةٌ بالحِكَم ِ العاديّة منها :

فما العيشُ إلاّ مِثلَ لَمْحةِ بارقٍ ، وما الموتُ إلاّ مثلَ ما العينُ تُهْجَعُ .
وما الناسُ إلاّ كالنبـات : فيابِسٌ هَشِيمٌ ، وغَضٌّ – إثْرَ ما بادَ – يطلُعُ .

ثمّ هو مصنّف له من الكتب : كتاب في خلق الانسان وهيئة أعضائه ومنفعتها – حواشٍ على كتاب القانون (في الطبّ) لابن سينا – حواش على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين (بن اسحاق) .

٣ – مختارات من شعره

– قال شرفُ الدين الرحبيُّ في حال بني الدنيا :

يُساقُ بنو الدنيا الى الحَتْف عَنوةً ، ولا يشعرُ الباقي بحالةِ من يَمْضي[١] :
كأنّهُمُ الأنعامُ في جَهْلِ بَعْضِهِم بما تَمّ – من سَفْكِ الدماء – على بَعْض !

– وقال في حالِ الإنسان بعدَ الموت :

ليس يُجْدي ذِكْرُ الفتى بعدَ موتٍ ، فاطَّرِحْ ما يقولُه السُفَهـاءُ .
إنّما يُدْرِكُ التـألّمَ واللـذْ ذَةَ حيٌّ لا صَخْرةٌ صَمّـاء !

– وقال في الشَيْب والخِضاب (صبغ الشعر) :

سَتَرْتُ مَشيبي بالخِضاب لِأنّني تَيَقّنْتُ أنّ الشيبَ بالموت مُنْذِرُ[٢] ،
فوارَيْتُه كيـلا تَرى منه مُقْلتـي –صباحَ مساء– ما لِعَيْشِ يُكَدِّرُ[٣] :
فغَيْبَتُهُ ما يَشْنى عن العين مُوجِبٌ تَناسِيَ ما منه يُخاف ويُحْذَرُ[٤] ،
وإنْ كنتُ ذا علمٍ بأن ليس مُلْبِسي شَباباً ، ولا ردَّ المَنيّةِ يَقْدِرُ[٥] .

٤ – طبقات الاطبّاء ٢ : ١٩٥ – ٢٠١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٨ – ١٨٨ .

---

(١) الحتف : الهلاك (الموت) . عنوة : قدرة (بالقوة والغصب) .
(٢) منذر : نذير (منبىء بأخبار السوء) .
(٣) واريته : سترته ، خبأته .
(٤) يشنى : يشنا = يشنأ (يعيب) .
(٥) المنية : الموت .

ابن أبي أُصيبعة

١ – هو مُوَفَّقُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ أبي أُصَيْبِعَة السَّعْديّ الخَزْرَجيّ، وُلِدَ في دِمَشْقَ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) وفيها نشأ وقرأ شيئاً من الطِبِّ على أبيه القاسمِ (ت ٦٤٦هـ) وكان كَحّالاً (يداوي العيون)، وعلى رَضِيّ الدينِ يوسفَ بنِ حَيْدرةَ الرَّحْبيّ (ت ٦٣١ هـ). وكذلك قرأ على القاضي رفيعِ الدين أبي حامدٍ عبدِ العزيز بن عبدِ الواحد الجيلي (ت ٦٤١ هـ)، وكان الجيلي من الأكابر المتميّزين في العلوم الحِكْمية وأصولِ الدين والفِقْه والعلم الطبيعي والطِب (عيون الانباء ٢ : ١٧١). ولقد درسَ أيضاً فنوناً مِنْ علم التفسيرِ والحديث والأدب على نَفَرٍ من مشايخِ زَمانه. ثم انه تَمرّن في البيمارستان النُوريّ مُدّةً.

ويبدو أن ابنَ أبي أُصيبعةَ انتقلَ الى القاهرة للتوسّع في دِراسة الطِبّ، وكان مَعَهُ تِرْب له وصديقٌ هو ابنُ النفيس[1]، غيرَ أن ابنَ النفيس كان أذكى وابرعَ بلا ريبٍ فلقد اكتشف الدورةَ الصُغرى للدَمِ، بينما بَقيَ ابنُ أبي أُصيبعة كَحّالاً في البيمارستان الناصريّ. ولم تَرُقِ الحياةُ لابنِ أبي أُصيبعةَ في القاهرة فعاد وَشيكاً الى دِمَشْقَ (٦٣٢ هـ) وعَمِلَ في البيمارستان الكبير. وفي شهر ربيعٍ الأوّل من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٦م) انتقلَ الى صَرْخَدَ (حورانَ) ودَخَلَ في خِدْمة صاحبِها الأمير عزّ الدين أيْبَكَ المُعَظّمي وبَقيَ فيها الى أن تُوُفّيَ في جُمادى الأولى ٦٦٨ هـ (آخر ١٢٦٨ أو أوّل ١٢٧٠ م).

٢ – ابنُ أبي أُصيبعةَ ناثرٌ وناظمٌ. أما شعرُه فشعرُ العلماء فيه آراءٌ ولكن ليسَ له ديباجةٌ (راجع عيون الانباء ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠). وأما نثرُه فجيّدٌ مَتينٌ واضحٌ فيه شيءٌ من المَنْطِق في السَرْد. ولابنِ أبي أُصيبعةَ أربعةُ تصانيفَ: كتابُ إصاباتِ المنجّمين – كتاب التجارِب والفوائد – كتاب حكاياتِ الأَطِبّاء في مُداواة الأدواء – عُيونُ الانباء في طَبَقات الأَطِبّاء؛ ولم يَصِلْ إلينا من هذه الكتب إلا عُيونُ الأنباء. ومَعَ أن عيونَ الأنباء يؤرّخُ الطِبّ والأطبّاء، فإنّ فيه قَدْراً صالحاً مِنَ الأدب ومِنَ الشعر خاصّةً. إنه كثيراً ما يَسْتَطْرِدُ من الأخبارِ الطِبّية العِلمية إلى الرواياتِ الأدبية وإلى الاستشهادِ بالقصائدِ الطِوالِ والمُقطّعاتِ القِصار.

---

(١) علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي، ولد في دمشق وبرع في الطب وعلم التشريح. انتقل الى القاهرة وأصبح رئيس البيمارستان الناصري فيها. وله تآليف كثيرة (ت ٦٨٦ هـ).



٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة عيون الأنباء :

الحمدُ لله ناشرِ الأممِ ومُنْشِرِ الرِّمَمِ ، بارىءِ النَسَمِ ومُبْرِىءِ السَقَمِ العائدِ [١] من فضلِه بسوابغِ النِعَمِ ، المُوعِدِ مَن عَصاه بأليمِ العِقابِ والنِقَمِ ، مُخرجِ الخلائقِ بلُطفِ صُنْعِه الى الوجود من العَدَمِ ، مُقَدِّرِ الأدواء ومُنْزِلِ الدواءِ بأتمِّ الصُنعِ وأتقنِ الحِكَمِ .....

وبعدُ ، فإنه لمّا كانتْ صِناعةُ الطبِ من أشرفِ الصنائعِ وأربحِ البضائعِ ، وقد وَرَدَ تفضيلُها في الكُتُبِ الالهية والأوامرِ الشَرْعية حتّى جُعِلَ علمُ الأبدانِ قريناً لعلم الأديان .... فوَجَبَ — إذْ كانتْ صِناعةُ الطبِّ من الشرفِ بهذا المكانِ وعمومِ الحاجةِ إليها داعيةً في كلِّ وقتٍ وزمانٍ — أن يكونَ الاعتناءُ بها أشدَّ والرغبةُ في تحصيلِ قوانينها الكليّةِ والجزئيةِ آكدَ وأجدَّ ... و(لما) ... لم أجدْ لأحدٍ من أربابِها ولا مِمَّنْ أنعمَ الاعتناء (؟) بها كتاباً جامعاً في معرفة طَبَقاتِ الاطبّاء وفي ذكْرِ أحوالِهم على الوَلاء [٢] ، رأيتُ أن أذْكُرَ في هذا الكتاب نُكَتاً وعُيوناً في مَراتبِ المُتَميِّزينَ من الأطبّاء القدماء والمُحْدَثين ومعرفة طَبَقاتهم على توالي أزمِنَتِهِمْ وأوقاتِهِمْ وأنْ أودِعَهُ أيضاً نُبَذاً من أقوالِهم وحِكاياتهم ونَوادرهم ومُحاوراتهم وذِكْرِ شيءٍ من أسماء كُتُبِهِمْ ليُسْتَدَلَّ بذلك على ما خَصَّهُمُ اللهُ تعالى بهِ من العلم وحَباهُم من جودةِ القريحة والفَهْمِ ، فإنَّ كثيراً منهم — وإنْ قَدُمَتْ أزمانُهم وتفاوتَتْ أوقاتُهم — لهم علينا من النِعَمِ في ما صَنَّفوه و(من) المِنَنِ في ما جمعوه في كُتُبِهم ما هو تَفَضُّلُ المُعلّمِ على تلميذِه والمُحْسِنِ إلى من أحْسَنَ إليه . وقد أوْدَعْتُ هذا الكتابَ أيضاً ذِكْرَ جماعةٍ من الحُكماء والفلاسفة مِمَّنْ لهم نَظَرٌ وعِنايةٌ بصِناعةِ الطِبِّ وجُمَلاً من أحوالِهم ونَوادِرِهِمْ وأسماءِ كُتُبِهم .....

٤ — عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء (نشره مكس موللر) ، كونيكسبرغ ١٨٨٤ م ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ — ١٨٨٣م) .

كتاب عيون الأنباء ... (الباب الثالث عشر : في أطبّاء إفريقية والأندلس) (اعتنى بنشره نور

---

(١) بارىء (خالق) النسم (جمع نسمة بفتح النون والسين : الروح) ومبرىء (شافي) السقم (الضعف ، المرض) العائد : الراجع (المنعم ، المتفضل) .

(٢) على الولاء : على التوالي (بالترتيب الزمني) .



الدين عبد القادر وهنري جاهيه) ، الجزائر (مكتبة فراريس) ؟ ١٩٥٨ م (منشورات كليّة الطب والصيدلة بالجزائر ، الجزء الرابع) .

** أماكن متفرّقة في « عيون الأنباء » ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٢٧ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٢٩٥ ؛ علم الفلك : تاريخه عند العرب في العصور الوسطى ، تأليف كارل نلّينو (روما ١٩١١ م) ، ص ٦٤ – ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٧ – ٣٩٨ ، الملحق ١ : ٥٦٠ ؛ زيدان ٣ : ١٧١ – ١٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٣ – ٦٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٨٨ – ١٨٩ .

محيي الدين بن قرناص

١ – بنو قرناصٍ أسرةٌ قديمةٌ في حَماةَ كانت لهم أملاكٌ واسعة تُسمّى القرناصيّات ثمّ أصبحتْ لهم رئاسةُ البلدِ مُدّةً طويلة. كان في أفراد هذه الأسرةِ نَفَرٌ من القُضاة والعُلماء والأدباء. ومن الشعراءِ من آلِ قَرْناصٍ: عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الرحمن (ت ٦٥٤ هـ) واسماعيلُ بنُ عُمَرَ بنِ يوسفَ (ت ٦٥٩ هـ) وعليُّ بنُ ابراهيمَ بنِ عبدِ المُحْسن (ت ٧١٢ أو ٧١٤ هـ).

أمّا أشهَرُ شُعراءِ هذه الأُسرةِ فهو مُخَلِّصُ الدين أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ هِبَةِ الله بنِ أحمدَ المعروفُ باسم مُحْيِي الدين بن قرناصٍ الحَمَوِيّ الخُزاعي المتوفّى سنةَ ٦٧١ هـ (١٢٧٢ – ١٢٧٣ م).

٢ – محيي الدين بنُ قرناصٍ أديبٌ شاعرٌ له ديوانٌ ؛ ولكنّ أشعارَه المشهورةَ كلَّها في بَيْتَيْنِ بيتين تدورُ على الوَصْفِ والغَزَلِ مَعَ التأنّقِ في الصِناعة؛ وفي بعضِها عذوبةٌ ولَفَتاتٌ بارعةٌ في اقتناص الاستعارات.

٣ – مختارات من شعره

– لمحيي الدينِ بنِ قرناصٍ مقاطعُ قِصارٌ منها :

أراقَ دَمي بسيفِ اللَحْظ ظُلماً ... وها أثَرُ الدماء بوَجْنَتَيْه .
لمّا خافَ من طلبي لِثأري ... أدار عِذارَهُ زَرَداً عليه[1] !
وربّ نَهْرٍ لـه عيونٌ ... تَحار في حُسنهِ العُيونُ[2] .

(١) العذار : الشعر أول ما ينبت في الوجه. الزرد : الحلقات من الحديد (الدرع) .

(٢) عيون الأولى جمع عين : نبع. الرشف : أخذ الماء بالفم قليلا قليلا. السلك : الخيط ينظم فيه الدر اللؤلؤ) .

لمّا غـدا الريقُ منه عَـذْباً مالت الى رَشْفه الغصـون[1] .

* وحديقة غنّاء ينتظِمُ النّـدى بفُروعها كالدُرّ في الأسـلاك[2] ؛
والبدرُ يُشْرِقُ من خِلالِ غُصونِها مثلَ المليحِ يُطِلُّ من شُبّاك .

* قد أتينا الرياضَ حين تَجلّتْ وتحلّتْ مـن النّدى بجُمان[3] ،
ورأينا خواتِـمَ الزهْرِ لمّـا سَقطَتْ من أناملِ الأغصـان[4] !

٤ ــ ** تاريخ حماة ، تأليف احمد ابراهيم الصابوني ، (مكتبة عنوان النجاح لصاحبها محمد سعيد النعسان) ، حماة (مطبعة حماة) ١٣٣٢ هـ (ص ٤٩ ، ١٢١ ــ ١٢٢) ؛ المنهل الصافي ١٢٢ ــ ١٢٣ ؛ هدية العارفين ١ : ١٢ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٦٠ ؛ معجـم المصنفين ٤ : ٤١٧ . معجم المؤلفين ١ :

جلال الدين الرومي

١ ــ هوَ جَلالُ الدين محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الخطيبي البَلْخِيُّ القُونَوِيّ الروميُّ نِسبةً الى مدينة قُونِيَةَ في بلاد الروم (آسية الصغرى) ، يَرْفَعُ بعضُهم نَسَبَهُ الى أبي بكرٍ الصِدّيق . وبعدَ موتهِ بأمدٍ زِيدَ في ألقابه لَقَبُ « مَوْلَوي » (مَوْلانا) .

وُلِدَ جلالُ الدين الروميُّ في بَلْخَ (خُراسانَ) في سادسِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٠٤ (٢/ ١٠/ ١٢٠٧ م) . وفي سَنَةِ ٦١١ هـ حَدَثَتْ وَحْشَةٌ بينَ بهاء الدين ولد (والد جلال الدين الرومي) وبين السلطان خوارزمشاه فغادر بهاءُ الدين ولد بَلْخَ معَ أسْرته قاصداً الحجَّ . وقد عَرّجَ في طريقهِ على نَيْسابورَ فزارَهُ فريدُ الدين العطّارُ وأعطى جَلالَ الدين نُسخةً من كتابِهِ « أسرار نامه »[5] . ثمّ

---

(١) العذب : الحلو . الرشف : تناول الماء بالشفتين قليلا قليلا .

(٢) الندى : قطرات الماء المتجمعة في الليل من برودة الهواء . الفروع : الأغصان . الدر : اللؤلؤ . الاسلاك الخيوط التي يسلك (ينظم ، يجمع) بها اللؤلؤليكون عقداً .

(٣) تجلت : ظهرت واضحة بجميع زينتها (بنباتها وأزهارها) الجمانة : حبة اللؤلؤالكبيرة : تحلت (لبست حلياً) بالندى (الـذي يشبه اللؤلؤ) .

(٤) في هذا البيت لفتة بارعة جداً فيها تشبيه الأزهار اذا ذبلت (بتلاتها الملونة) ثم سقطت كؤوسها (الجزء الأخضر الذي يمسك البتلات) من الغصون (التي تشبه الأصابع) .

(٥) فريد الدين العطار شاعر فارسي صوفي اختلف مؤرخو الأدب في سنة موته اختلافاً كبيراً . ولعل وفاته كانت سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) . وأسرار نامه (كتاب الأسرار) .

تابعَ بهاءُ الدينِ طريقَه الى بَغْدادَ ولَقِيَ فيها المتصوف شِهابَ الدينِ أبا حَفْصٍ عُمَرَ السُهرُورديّ (ت ٦٣٢ هـ) . وبعد أن حَجَّ انتقلَ إلى قونية ، سَنَةَ ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) واستقرَّ فيها ونال حَظْوةً عند أهلِها وحُكّامها .

ويبدو أنّه ما كادَ بهاءُ الدين ولد يستقر في قونيةَ حتّى سافرَ جلالُ الدين إلى الشام في طَلَبِ العلم فمكثَ في دِمَشْقَ وحَلَبَ نحوَ سَبْعِ سَنَواتٍ لَقِيَ في أثنائها — في الأغلب — مُحْيِي الدينِ بنَ عَرَبِيٍّ (ت ٦٣٨ هـ) . ثمّ تُوُفِّيَ بهاءُ الدين ولد ، سَنَةَ ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ — ١٢٣١ م) فَخَلَفَه جلالُ الدين في مجالسِ التدريسِ والوعظ .

وفي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (مطلع عام ١٢٤٥ م) وصل الى قونيةَ متصوّفٌ كبيرٌ هو شَمْس تبريز أو شمسُ الدين التبريزيّ . ومَعَ أن شمس تبريز لم يمكُثْ في قونيةَ سوى عامينِ أو ثلاثةٍ ، ومَعَ أنّنا لا نعلَمُ متى التقى جلالُ الدين بشمس تبريز ولا كم طالَ لقاؤهما ، فإنّ أثرَ شمس تبريز في جلالِ الدين كان عظيماً حتّى أنّ جلالَ الدين تركَ علومَ الظاهر (الفِقْهَ والحديثَ والنحوَ) ومال الى التصوّفِ مَيلةً واحدةً متطرّفةً . ويبدو أنّ أهلَ قونيةَ لم يكونوا راضينَ عن هذا التبدّل في حياةِ جَلالِ الدين فازعجوا شمسَ الدين التبريزيَّ عن قونية ثمّ لا نعلَمُ ما انتهى إليه أمرُه . ولعلّ نَفَراً من أتباعِ جلالِ الدين قد قَتَلوا شمسَ الدين هذا (٦٤٥ هـ) .

وأنشأ جلالُ الدين طريقةً صوفية ، هي طريقةُ الدراويش « الدوّارين » (الذين يقومون بالرقص في أثناء الذِكْر) إحياءً لذكرى شَمْسِ الدين التبريزي عُرِفَتْ (فيما بعدُ) بالطريقةِ المَوْلويّة أو الطريقة الجَلالية . وقد كان جلالُ الدين شيخَ (رئيسَ) هذهالطريقةِ إلى وفاتهِ في قونيةَ ، في الخامسِ من جُمادى الثانيةِ سَنَةَ ٦٧٢ هـ (١٧/ ١٢/ ١٢٧٣ م) .

٢ — كان جلالُ الدين الروميَ فقيهاً حَنَفياً وحكيماً مُتَفَلْسِفاً ثمّ انقلبَ بعدَ لقائه شمسَ تبريز صوفياً منغمساً في الأحوال الصوفية ثمّ أسّسَ الطريقةَ المولوية الصوفية . وفي الثامنةِ والثلاثينَ من عُمُرِه بدأ فجأةً يقولُ الشعرَ الوجداني الصوفيَّ ارتجالاً . وكان جلالُ الدين شاعراً مُكثِراً زادتْ أشعارُه على أشعارِ نَفَرٍ من أفذاذِ شعراءِ الفُرسِ مُجتمعينَ (على أشعارِ الفِرْدوسي وسعْدي وحافظ مثلاً مجموعةً معاً) — مع أنّه كان يعيشُ في آسيةَ الصُغرى بعيداً عن موطنِ اللغةِ الفارسية .

وجلالُ الدين أكبرُ شعراء التصوّف قاطبةً . ثمّ له شعرٌ باللغة التركية وشعرٌ باللغة العربية خالصاً (باللغة العربية وحدَها) أو مُلمَّعاً (تمتزج فيه الأبيات الفارسية بالأبيات العربية أو الأشطرُ الفارسيةُ بالأشطرِ العربية) .

وأشهرُ آثارِ جلالِ الدين الروميّ وأهمُّها مثنوي (المزدوجُ : وهو شعْرٌ أبياتُه مُصرَّعةٌ على ما نعرفُ ، في العربية ، في بحرِ الرَّجزِ المفرد ، ولكنْ بيتينِ بيتين) ، نحوَ (مطلع كتاب مثنوي أو : مثنوى معنوى)[1] :

بشنو أز ني چون حكايت ميكنـــد وز جدائيها ني شكايت ميكند

كزنيستان تا مرا ببريده انـــد از نفيرم مرد وزن ناليده اند

ولجلالِ الدين الروميّ في ديوانه «مثنوي» آراءٌ حِكْمِيّةٌ عامّةٌ في الحياة والأخلاق والفلسفة ، ولكنّها كلَّها تجري على المنهج الصوفي المُوغِلِ إلى حَدٍّ الاتّحادِ والحُلول (الإيهام بأنّ الصلةَ بينَ الانسانِ وبين الله وثيقةٌ حتّى ليُظَنُّ أنّهما كائنٌ واحد) . ولقد استمدّ جلالُ الدين الروميّ آراءه ، في الأصل ، من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن أشعار العرب القدماء والمتأخّرين ومن الفلسفات القديمة وعلم الكلام والفقْه ومن القِصَص الفارسية والعربية . وقيمةُ هذه الآراء الرفيعة في ديوانٍ من الشعر أنّ جلال الدين الروميّ استطاع أن يُعالِجَها معالجةً واضحةً تُقرِّبُها من الأذهان ، حتّى من ذِهْنِ الرجلِ العاديّ أحياناً . ثمّ إنّ جلالَ الدين لا يعتمدُ — عند عرضِ هذه الآراء في شعره — أسلوبَ البراهينِ المنطقية ، بل يعتمدُ الذوقَ الصوفيّ والاقتناعَ الوُجْدانيّ .

ونثرُ جلالِ الدين (في اللغة العربية) أحسنُ من شِعرِه (باللغة العربية) من حيثُ التركيبُ ومن حيث صفاءُ الأسلوب ، ذلك لأنّه كان في نثرِه ذلك القليل أكثرَ اعتناءً وأكثرَ اقتباساً من التُراث اللغويّ والأدبي ، فكثيرٌ من جُمَلِه في نثرِه في الحقيقة تراكيبُ مجموعةٌ من الأدبِ العربيّ المرويّ الشائع . إنّ شِعْرَهُ العربيّ بسيطٌ سَهْلٌ تَغْلِبُ عليه الركاكةُ والتفكّك ، ذلك لأنّه كان يحاولُ أن يَضَعَ صُوَرَهُ الشِعريةَ الفارسيةَ في أوزانٍ فارسيةٍ أو شِبْهِ فارسيةٍ ولكن بلُغَةٍ عربية .

---

(١) راجع معنى البيتين بالعربية على الصفحة التالية (اسمع الناي .... قال إني ...) . ثم لاحظ أن القافية هي الكلمة التي قبل الكلمة الأخيرة في كل شطر : حكايت وشكايت — ببريدة وناليدة) . أما ميكند وميكند ثم اند وأند فتسمى الردف (التالية للقافية الحقيقية) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ جَعَلَ جلالُ الدين الروميُّ لديوانه « مثنوي » ديباجةً باللغة العربية جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابُ المَثْنوي ، وَهُوَ أصولُ أصولِ أصولِ الدينِ في كَشْفِ أسرارِ الوصولِ واليقين ، وهو فِقْهُ اللهِ الأكبرُ وشرعُ اللهِ الأزهرُ وبرهانُ اللهِ الأظهرُ ، «مَثَلُ نورِه كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباح»[١] يُشْرِقُ إشراقاً أنورَ من الإصباح . وهو جِنانُ الحَنانِ ذو العيونِ والأغصان منها عين تُسمّى عند أبناء هذا السبيلِ سَلْسبيلاً ، وعند أصحابِ المقاماتِ والكرامات خيرٌ مقاماً وأحسنُ مقيلاً .....

(وقد) اجتهدتُّ في تطويلِ المنظومِ المَثْنوي المشتملِ على الغرائب والنوادر ، وغُرَرِ المقالات ودُرَرِ الدّلالات ، وطريقةِ الزُّهّادِ وحديقة العُبّاد، (في أن تكون جمله) قصيرةَ المباني كثيرةَ المعاني .....

ـ يتكلّمُ جلالُ الدين الرومي في مَطْلَعِ ديوانِه « مثنوي » على الناي . وهذا المطلعُ مشهورٌ ، وقد نَقَلَهُ نَفَرٌ كثيرون الى اللغةِ العربيةِ نثراً وشعراً . وقد سَبَقَ لي (سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م) أن نقلتُهُ عن اللغة الفارسية شعراً كما يلي (والغايةُ من إثباتِ هذا النَقْلِ تبيانُ اتّجاهِ جلالِ الدين الرومي في شِعْرِه عامّةً وفي ديوانه « مَثْنوي » خاصّةً) :

اسْمَعِ النايَ ما يَقُصُّ ويَحْكي.	هو يَشْكو مِنَ الفِراق ويبكـي .
قال : إنّي قُطِعْتُ من قَصْبـاء	فبكى الناسُ كلُّهم مـن غِنائي[٢] .
هاتِ صَدْراً مُقطَّعاً بالفِراقِ	لِأَبُثَّ الآلامَ مـن أشْواقي[٣] .
كلُّ من غـابَ عن ذَوِيهِ وكِيدا	رامَ عَوْدَ الزمانِ حتّى يَعودا[٤] .
أنا في كُلِّ مَجْمَعٍ وَفَـوْقَ أهْلِهْ	في عسيرِ الزمـانِ أو في سَهْلِهْ .
إنّ سِرّي، يا صاحِ ، لَحْني يُذيعُهْ ،	غيرَ أنّ الآذانَ لا تستطيعُهْ .

(١) كشكاة فيها مصباح – عينا فيها تسمى سلسبيلا – خير مقاماً وأحسن مقيلا . هذه اقتباس أو تضمين من القرآن الكريم .

(٢) القصباء : النبمة من القصب ، مكان ينبت فيه القصب بكثرة .

(٣) الآلام من أشواقي : التي سببها أشواقي .

(٤) كيدا : فعل ماض مبني للمجهول من كاده (مكر به) .

صوتُ نايِي نارٌ ، وما هُوَ ريحُ . كلُّ خالٍ من نارِه فهو ريحُ[1] .
هِيَ نارُ الغرامِ في النايِ تُلْفَى ، وَهْيَ غَلْيُ الغرامِ في الخمرِ عُنْفَا .
إنّ ذا النايَ إنْ تَمادَى أنينُهْ كان خِدْناً لمن جفاه خَدينُه[2] .

— وقال جلال الدين الرومي في عقاب العين التي لا تبكي يومَ فِراقِ المحبوب (كلّيات شمس تبريز) باللغة العربية :

بَكَتْ عينٌ غَداةَ البَيْنِ دمعاً ، وأخرى بالبُكا بَخِلَتْ علَيْنا .
فعاقَبْتُ التي بخلتْ علينا بأنْ غَمَّضْتُها يومَ التَقَيْنا !

— وقال (كلّيات شمس تبريز ١ : ١١٢، رقم ٢٦٨ ، غزليّات) باللغة العربية :

فَدَيْتُكَ ، يا ذا الوَحْيِ ، آياتُه تَتْرى تُفَسِّرها سِرّا وتَكْني بها جَهْرا[3] ؛
وأنْشَرْتَ أمواتاً وأحْيَيْتَهم بها . فَدَيْتُكَ ، ما أدْراكَ بالأمرِ ما أدري[4] !
فعادوا سُكارى — في صِفاتِكَ — كلُّهم ؛ وما طَعِموا إثماً ولا شربوا خمرا[5] .
ولكنْ بريقُ القُرْبِ أفنى عقولَهم فسُبْحان من أرسى وسُبحان من أسْرى[6] .
سلامٌ على قومٍ تُنادي قلوبُهم بألسِنةِ الأسْرار : شُكْراً له شكرا !
فطوبى لِمَنْ أدنى من الجد (!) دَلْوَهُ ، وفي الدَلْوِ حُسْناً يوسفٌ ؛ قال : يا بُشْرى[7] .
يُطالِعُ في شَعْشاعِ وَجْنَةِ يوسفٍ حقائقَ أسرارٍ يُحيط بها خُبْرا .
تجلّى عليه الغَيْبُ وانْدَكَّ عقلُه ، كما انْدَكَّ ذاكَ الطُورُ واستَهْدَمَ الصخرا[8] .

---

(١) من ناره = من نار نايي . فهو ريح : لا شيء .

(٢) الخدن (بكسر الخاء) والخدين (القاموس ٤ : ٢١٨) : الصاحب في الظاهر والباطن .

(٣) يا ذا الوحي : يا الله ، يا رب . آياته (معجزاته ، مظاهر قدرته) تترى : تتوالى ، يتبع بعضها بعضاً (كثيرة) . تفسرها .. الخ : تشير بها الى عوامّ الناس اشارات عارضة ثم تفهم أسرارها الخاصة (المتصوفين) .

(٤) أنشر الله الموتى : بعثهم من القبور . ما أدراك بالأمر : ما أعظم علمك وما أقدرك !

(٥) طعم (أكل) اثماً (ذنباً) : ارتكب ذنباً ، خالف أمر الدين .

(٦) أفنى عقولهم (بالمعنى الصوفي) : أبطل عقلهم الانساني وجعل عقلهم جزءاً من الوجود الالهي . القرب (الاقتراب روحياً من الله) . من أرسى (من ثبت قلوبهم بكشف الحقائق لهم) ومن أسرى (من جاء بهم اليه : الى الله) .

(٧) من الجد (كذا في الاصل). اقرأ : من الجب (البئر) اشارة الى قصة يوسف لما ألقاه اخوته في الجب على طريق مصر ليتخلصوا منه . الجب (هنا) : مكان المعرفة (الله) . الدلو : وسيلة المعرفة (التصوف) . يوسف (كناية عن المعرفة الالهية نفسها) .

(٨) اندك عقله (سقط ، بطل تفكيره) كما هبط الطور (الجبل الذي وقف عليه موسى لما طلب موسى من الله أن يتجلى (يظهر) له .

فظلَّ غريقَ العِشْقِ رُوحاً مُجَسماً
ونوراً عظيماً لم يَدَرْ دونَــه سِتْرا[1] .

— ومن شعر جلال الدين باللغة العربية (من الرباعي) :

جاء الربيعُ والبَطَرْ ، زالَ الشتاء والمَطَرْ ،
من فضل ربٍّ عنده كلُّ الخطايا تُغْتَفَرْ .
أوحى إليكُم ربُّكم أنّا غَفَرنا ذنبَكم .
فارضَوْا بما يُقضى لكم ، إنَّ الرضا خيرُ السِيَرْ .
السِرُّ فيك ، يا فتى ، لا تَلْتَمِسْ مِمّا أتى .
من ليس سرٌّ عِندَهَ لم يَنْتَفِعْ مِمّا ظهر .

— ومن مقدّمة الكتاب الثالث من « المثنوي » (باللغة العربية) :

.. وإنّما يَفْهَمُ كلُّ قارئٍ على قَدْرِ نُهَيْبَتِه[2] ، ويَنْسُكُ الناسك على قَدْرِ قوّة اجتهاده ، ويُفتي المُفتي (بـ) مبلغ رأيه ، ويتصدّقُ المتصدّق بقَدْرِ قُدرته ..... ولكنّ مُفْتَقِدَ الماء في المَفازة[3] لا يُقصّر (ذلك) به عن طَلَبه معْرِفَتَهُ ما في البحارِ ، ويَجِدُّ في طلب ماء هذه الحياة قبلَ أن يقطعَهُ الاشتغالُ بالمَعاش عنها ، وتَعوقه العِلّة والحاجة ، وتَحُولُ الأغراضُ بينَه وبينَ ما يَتَسرّعُ إليه . ولن يُدْرِكَ العِلْمَ مُؤْثِرُ هَوًى ولا راكنٌ إلى دَعَة[4] ولا مُنْصرفٌ عن طلبه ولا خائفٌ على نفسه ولا مهتمٌّ لِمَعيشته ، إلاّ أنْ يَعوذَ بالله ويُؤْثِرَ آخرتَه على دُنياه ويأخُذَ من كَنْزِ الحِكمة الأموالَ العظيمةَ التي لا تَكْسَدُ ولا تُورِّثُ ميراثَ الأموال ....

٤ — أوراد كبير وصغير ، دار سعادت ١٣٠٣ هـ .

شرح أوراد (وهو المسمّى بحقائق أذكار مولانا) ، بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخ الطبع .

مثنوي

كلّيّات شمس تبريز — ديوان كبير — باتصحيحات وحواشي بديع الزمان فروزانفر ؛ تهران . (دانشكاه تهران) ١٣٣٩ — ١٣٤٢ .

---

(١) لم يذر : لم يدع (يترك) . فظل الخ ... : كشف الله للانسان (المتصوف العارف) جميع أسراره .
(٢) نهيته : عقله (!)
(٣) المفازة : الصحراء لا ماء فيها يهلك فيها الناس (سميت « مفازة » تفاؤلا) .
(٤) مؤثر (مفضل) هواه (حبه ورغبته الدنيئة) ولا راكن (ساكن ، مطمئن) الى دعة (عيشة هادئة هانئة) .

** شرح المثنوى المسمّى بالمنهج القويّ (بقلم يوسف بن أحمد المولويّ) ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٨٩ هـ .
جواهر الآثار في ترجمة مثنوي مولانا خداونكار شعرا (الترجمة والتحقيق والتلخيص للحواشي العربية والفارسية بقلم عبد العزيز صاحب الجواهر ، تهران (چاپخانة تهران) ١٣٣٦ .
مثنوي جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر (ترجمة وشرح ودراسة : محمّد عبد السلام كفافي) ، بيروت ــ صيداء (المكتبة العصرية) ١٩٦٦ م .
فصول من المثنوى ، ترجمها وقدّم لها عبد الوهّاب عزّام ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٦ م .
من روائع الشعر الفارسي لجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي ، (ترجمة محمّد الفراتي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) بلا تاريخ .
جلال الدين شاعر الصوفية الأكبر ، تأليف محمّد عبد السلام كفافي ، بيروت (جامعة بيروت العربية) ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ م .
جلال الدين الرومي في حياته وشعره ، تأليف محمّد عبد السلام كفافي ، بيروت (دار النهضة العربية) ١٩٧١ .
دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٣٩٣ ــ ٣٩٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠٦ ــ ٨٠٧ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥٨ ــ ٢٥٩ ؛ تاريخ الادب في ايران ، تأليف براون ، نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م (ص ٦٥٤ ــ ٦٦٠) ؛ الأدب الفارسي ، تأليف محمّد محمّدي ، بيروت (منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية) ١٩٦٧ م (ص ٢٦١ ــ ٢٧٨) .

نصر الله بن شقير

١ ــ هو شَرَفُ الدين أبو الفتحِ نصرُ الله بنُ عبدِ المُنْعِم بنِ نصرِ الله بن أحمدَ ابن حواري* التنوخيّ المعروفُ بابنِ شُقَيرٍ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ ــ ١٢٠٨ م) وسَمِعَ الحديثَ في دِمَشْقَ والقاهرةِ وبَغْدادَ . وكانت إقامتُه في دمشقَ في المدرسة العادلية الصُغرى ، وقد تولّى إدارة وَقْفِها . وفي آخرِ حياته بنى مسجداً في دمشقَ عند طواحينِ الاشنان وتأنّقَ في عِمارته . وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ ــ ١٢٧٥ م) .

٢ ــ كان ابنُ شقيرٍ عالماً بالحديث وبأصولِ الفِقْه أديباً شاعراً . وكان مُصَنِّفاً له من الكتب : إيقاظ الوَسْنان في تفضيل دِمَشْقَ على سائر البُلْدان .

---

* يمكن ضبط هذا الاسم بحاء مفتوحة وبراء بعدها ألف مقصورة ؛ أو بحاء مضمومة وبواو مشددة وبراء بعدها ياء مشددة (القاموس ٣ : ١٥) .

٣ — مختارات من شعره

— لمّا تولّى ابنُ خَلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) قضاءَ دِمَشْقَ طلب من أرباب الوظائف المالية حِساباً عمّا تَحْتَ أيديهم. وكان في مَنْ طَلَبَ منهم ذلك شرفُ الدين بنُ شقيرٍ. فعَمِلَ ابنُ شقيرٍ صورةً لحسابِ وَقْفِ المدرسة العادلية ورَفَعَه الى ابن خلّكانَ ومَعَهُ ورقةٌ فيها هذا البيت :

ولم أعْمَلْ لمخلوقٍ حِساباً ؛ وها أنا قد عَمِلْتُ لك الحِسابا[1] !

فقال له القاضي ابنُ خلّكان : خُذْ أوراقَك ولا تَعْمَلْ لنا حِساباً ولا نعمل لك (حسابا).

— ولابن شقيرٍ في الغزل :

ما كنتُ أوّلَ مُسْتَهامٍ مُدْنَفٍ كَلِفٍ بممْشوقِ القَوامِ مُهَفْهَفِ[2].
أنا والِهٌ دَنِفٌ بوردِ خُدودِه وبغَضّ نَرْجِسِ مُقْلَتَيْه المُضْعَفِ[3].
لا شيءَ أعذبُ من تَهتُّكِ عاشقٍ في عِشْقِ معسولِ المراشِفِ أهْيَفِ[4].
يا من يُعَنِّفُ في دِمَشْقَ ووَصْفِها ، لو كنتَ تَعْقِلُ كنتَ غيرَ مُعَنِّفِ .
هي جنّةُ المأوى ، ويكفي مِيزَةً وفضيلةً أوصافُها في المُصْحَفِ[5] !

٤ — ** شذرات الذهب ٥ : ٣٤١ — ٣٤٢ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٥٣.

التَلَعْفَري

١ — هو شهابُ الدين محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ مسعودٍ الشَيْباني التَلَعْفَرِيُّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سَنَةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٧ م).

---

(١) لم أعمل لمخلوق حساباً (فيها تورية : لم يكلفني أحد من قبل أداء حساب عما تحت يدي ، لأنني أمين — لا أهتم بأحد من الناس !).

(٢) المستهام : الذي اشتد حبه حتى كاد أن يذهب عقله به . الدنف : الذي أشرف من شدة حبه على الهلاك . المهفهف : الدقيق الخصر .

(٣) الواله : الذي كاد أن يذهب عقله . الغض : الريان ، الناضر . المضعف : نوع من النرجس ذو طبقات عديدة . والمضعف : الضعيف ، و (هنا) نرجس المقلتين المضعف : العينان الفاترتان (الناعستان)

(٤) المراشف : الشفاه . الاهيف : المهفهف (الدقيق الخصر) .

(٥) يرى بعض المفسرين أن الآية الكريمة في سورة المؤمنون : «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين» (٢٣ : ٥٠) تشير الى دمشق .

اتّصَلَ التلعفريُّ بالمَلِكِ الأشرفِ موسى صاحبِ العراق (٦٠٧ – ٦٢٦ هـ) وحَظِيَ عنده، ولكنّه كان مُولَعاً بالقِمار فَطَرَدَهُ الأشرفُ. فذهَبَ إلى الملكِ العزيزِ غياثِ الدين أبي المظفّر محمّدٍ صاحبِ حَلَبَ (٦١٣ – ٦٣٤ هـ). ثم خرج من حلب للعلّة نفسِها فجاء إلى دمشق. ويبدو أنه زارَ القاهرة في هذهِ الاثناء (فوات ٢ : ٣٥١، ٣٥٢) فلم يَحْمَدِ الإقامةَ فيها فعادَ الى دِمَشْقَ يستجدي ويقامِرُ. وفي آخرِ أيامه ذهبَ الى حَماةَ ونادَمَ صاحبَها الملكَ المنصورَ (الثانيَ) سيفَ الدين محمّداً الى أنْ تُوُفّيَ هناكَ سَنَةَ ٦٧٥ هـ (١٢٧٧ م).

٢ – التلعفريّ شاعرٌ رقيقٌ أكثرُ شعرِه الغَزَلُ والنسيبُ والخَمْرُ، وله مديحٌ ووصفٌ. وله أيضاً مُوشّحاتٌ.

٣ – مختارات من شعره

– قال التلعفري في الوصف وقد ضمّن ذلك اشارات نحويةً وفقهية :

واذا الثّنيّةُ أشرقت وشَمِمْتَ مِن ... أرجائها أرَجاً كنَشْرِ عَبيرِ *،
سلْ هَضْبَها المنصوبَ أين حديثُه الـ ... ـمرفوعُ عن ذيل الصبا المجرورِ[1].

– وقال في الغزل (راجع ص ٦٤٩):

أيُّ دمعٍ من الجفون أسالهْ ... إذ أتتْه معَ النسيم رساله.
حمّلته الرياضُ أسرارَ عَرْفٍ ... أوْدَعتْها السحائبَ الهطّالة[2].
يا خليليّ، وللخليلِ حقوقٌ ... واجباتُ الأحوالِ * في كلّ حاله،
سلْ عَقيقَ الحِمى وقلْ – إذ تراه ... خالياً من ظبائه المُخْتاله – :
أين تلك المراشفُ العسليّا ... تُ وتلك المعاطفُ العسّاله[3]؟
وليالٍ قضيتها كَلآلٍ ... بغزالٍ تَغارُ منه الغزاله[4].

---

* لعلها «أشرفت»: ارتفعت (ظهرت للرائي من بعيد).
الثنية : الطريق في الجبل، (العطفة التي يكون وراءها بلد المحبوب).

(١) الهضب الجبل. المنصوب : العالي. الحديث المرفوع : الحديث الذي كان قد سمعه صحابي من رسول الله ثم عاد فرفعه (عرضه على الرسول للتثبت منه). الصبا (بفتح الصاد). الريح الشرقية (الباردة). المجرور : المسحوب على الارض يحمل عن أزهارها الرائحة الطيبة. ذيل الصبا (بكسر الصاد) المجرور : أيام الشباب الاولى حينما يسير الشاب تياهاً بشبابه. وفي المنصوب والمرفوع والمجرور تورية بحالات الاعراب الثلاث (في النحو) أيضاً.

(٢) العرف : الرائحة الطيبة.

(٣) المعاطف : أطراف الجسد العليا (الاكتاف). العسالة : المتمايلة، المهتزة (بنشاط الشباب).

(٤) الغزالة : الشمس. والغزالة : الظبية.

* كذا ؛ لعلها : الأداء.

قلت لمّا لوَى دينَ وصالي ، وهو مُثْرٍ وقادرٌ لا مَحاله[1] :
بيننا الشرعُ ؛ قال : سِرْ بي فعندي من صِفاتي لكلّ دَعْوَى دَلاله ؛
وشهودي من خال خدّي ؛ ومن قَدّي شهودٌ معروفة بالعَدالة[2] .
أنا وكّلْتُ مقلتيّ في دِما الخلْق ، فقالت : قَبِلْتُ تلك الوكالة !

ــ وله من موشحة[3] :

ليس يَرْوي ما بقلبي مِنْ ظَمَا غيرُ برقٍ لائحٍ من إضَمِ .
ان تبدّى لك بانُ الأجرعِ وأثَيْلاتُ النقا مِنْ لَعْلَعِ[4] ،
يا خليلي ، قِفْ على الدار معي وتأمّلْ كم بها من مَصْرعِ !
واحْتَرِزْ واحْذَرْ فاحداقُ الدُمى كم أراقتْ في رُباها من دَمِ[5] .
حظّ قلبي في الغرام الوَلَهُ[6] فعذولي فيه ، ما لي ولَهُ ؟
حَسْبِيَ الليلُ ، فما أطوَلَهُ ؛ لم يَزَلْ آخِرُهُ أولَهُ !

٤ ــ ديوان التلعفرى ، دمشق ١٢٩٨ هـ ؛ (بتصحيح محمد الأُنسي) بيروت (المطبعة الادبية) ١٣١٠ هـ ، بيروت (مطبعة المعارف) ١٣٢١ هـ .

** فوات الوفيات ٢ : ٣٤٥ ــ ٣٥٢ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٢٥٥ ــ ٢٦٣ ؛ العبر ٤ : ٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٤٩ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٢٩ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥ .

مجد الدين الاربلي

١ ــ هو مجدُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ أبي شاكرٍ المعروفُ بابنِ الظهيرِ الحنفي الإرْبِلي ، وُلِدَ في إربلَ في الثاني من صَفَرَ من سَنَةِ ٦٠٢ هـ (١٨/ ٩/١٢٠٥ م) .

(١) لوى المدين الدين : مطله وأنكره .
(٢) العدالة : الصدق ، وأهل العدالة الذين تقبل شهاداتهم في المحاكم ويعمل بها . والعدالة : اعتدال قامة الانسان (استقامتها) .
(٣) في القطعة التالية معان قريبة من معاني الصوفيين . اضم والاجرع ولعلع : اسماء مواضع في الحجاز يكثر المتصوفون من ذكرها . (٤) الاثل : شجر . النقا : الرمل الابيض .
(٥) الدمى جمع دمية : المرأة الجميلة (تشبيهاً لها بالصورة أو التمثال) .
(٦) الوله : شدة العشق .

سَمِـعَ مجدُ الدين الاربليُّ الحديثَ في بَغدادَ ، وقد تقدّمتْ به السِنُّ ، من أبي بكرِ الخازنِ ومِـن الكاشغري ؛ وسَمِـعَ في دِمَشْقَ من عـلي السخاوي (ت٦٤٣هـ) ومن كريمةَ بنتِ عبدِ الوهّابِ وتاج الدين بن حَمَويّةَ وتاج الدين بن أبي جعفرٍ . بعدئذٍ درّس في المدرسة القايمازيّة ثمّ قَدِمَ الى مصرَ فحَدّثَ فيها .

وكانت وفاةُ مجدِ الدين الاربليّ في ١٢ من ربيعِ الاولِ مِـن سنة ٦٧٧ هـ (٣ / ٨/ ١٢٧٨ م) في الاغلب .

٢ ـ كان مجدُ الدين الإرْبِليُّ عارفاً بالحديثِ واللغة ومن أعيانِ شيوخ الأدب وفحول الشعراء في أيّامه ، وأكثرُ شعرِه في الغزَلِ والخمر . ثمّ انّه مُصَنّفٌ له : تذكرةُ الأريب وتبصرة الأديب ـ مختصر أمثال الشريف الرضيّ .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال مجد الدين الاربلي في الغزل :

أُواصِلُ فيه لَوْعتي وهو هاجِـر ،   ويُؤنِسُني تَذْكارُهُ وهو نافرُ ؛
ويُغري هواه ناظريَّ بأدْمُـعٍ   يُورِّدُها وَرْدٌ له وهـو ناضر[1] .
ويَفْتَنُّ في تيهِ المَلاحةِ خاطراً ؛   فكلّ خَليٍّ في هـواه مُخاطر[2] .
ويَزْوَرُّ سُخْطاً ثانيَ العِطْفِ مُعْرِضاً ،   فلا عَطْفُهُ يُرجى ولا الطَيْفُ زائر[3] .
مُحَيّاهُ زاهٍ بالملاحةِ زاهـرٌ ،   فقلبي وطَرْفي فيـه ساهٍ وساهر[4] .
اذا كان صبرٌ في الصبابةِ خاذلاً ،   فما لي سوى دَمْعي على الشوقِ ناصر .
على أن فَيْضَ الدمعِ لم يَرْوِ غُلّـةً   من الوَجْدِ أذْكَتْها العُيون الفواتر !

---

(١) يوردها : يورد دموعي (يجعلها حمراء) : يبكيني بكاء كثيراً شديداً (؟) .

(٢) يفتّن = يتفنن : يأتي بفنون (أنواع) مختلفة كثيرة . التيه : العجب (بضم العين) والدلال . خاطرا : يخطر = يسير وهو يرفع يده تارة ويخفضها أخرى . الخلي : الذي لم يعرف الحب بعد. مخاطر : متعرض للخطر (بأن يقع في هوى هذا الشخص) .

(٣) يزور : يميل (يبتعد) . العطف (بكسر العين) : جانب الجسم . ثاني العطف : مائلا بجسمه (مشيحاً بوجهه عني) . الطيف : الخيال الذي نراه في المنام .

(٤) المحيا : الوجه . زاه : ريان ، ناضر (بالشباب والصحة) . زاهر : مشرق ، أبيض . ساه : غافل ، ناس (يقصد : ساهم : مشتت الفكر ، غافل عما حوله) . ساهر : قليل النوم (من العذاب في الحب) .

(٥) الغلة : العطش . الوجد : الشوق ، الحب . أذكتها : أوقدتها (زادت في اشتعالها) .

ــ وقال في الخمر والنسيب :

أدارَ عقيقــاً في إنــاءٍ من الــدُرِّ ... فعايَنْتُ شَمْسَ الراحِ في راحةِ البَدْرِ[1].

وأبدَتْ سَماءُ الكأسِ زُهْرَ نُجومِها ، ... فيا حُسْنَ يومٍ حُفَّ بالأنْجُمِ الزُهْرِ[2] .

غزالٌ له من أختِــهِ البُعْدُ والسَنا ، ... وليس لها دُرُّ القــلائدِ والثَّغرِ[3] .

أغارتْ على أسرارِ أرواحِ شَرْبِهــا ... وأنقَذَتِ الأفراحَ من قَبْضةِ الأسرِ[4].

تَمَتَّعْ بأيّامِ الصبا واغْــدُ جامِعاً ... لشَمْلِ صِبا الأيّامِ واللّذّةِ البِكْرِ[5] .

فما العيشُ إلاّ وصلُ كأسٍ بأُخْتِها ... وجاريةٍ تَسْعى* وساقيةٍ تَجْري[6] .

وداوِ بِحُسْنِ الظنِّ باللهِ كُلَّمــا ... جَنَيْتَ، فعفوُ اللهِ يجلو دُجى الوِزْرِ[7] .

٤ ــ * فوات الوفيات ٢ : ٢١٩ ــ ٢٢٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٢٣ ــ ١٢٧ ؛ العبر ٥ : ٣١٦ ؛ بغية الوعاة ١٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩١ ، الملحق ١ : ٤٤٤ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٢١٨ .

محمد بن سوار

١ ــ هو نجمُ الدينِ أبو المعالي محمّدُ بنُ سَوّارِ بنِ إسرائيلَ بنِ الخَضِرِ بنِ الحَسَنِ بن عليِّ بنِ الحسينِ الشَيْبانيُّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٣هـ (١٢٠٦ م) . وكان ابنُ سَوّارٍ في صُحبة المتصوّفِ الشيخ أبي الحسنِ علي الحريريِّ (ت

(١) العقيق : حجر كريم أحمر اللون (يقصد : الخمر) . الدر : اللؤلؤ. الراح : الخمر . راحة البدر : كف الساقي الجميل (المحبوب) .

(٢) زهر (بضم الزاي) النجوم : حباب (بفتح الحاء : فقاقيع) الكأس (التي تطفو على سطح الخمر) . الانجم الزهر : كناية عن النساء الجميلات .

(٣) من أخته = من الغزالة. البعد (العيش في الفلوات بعيدة عن البشر). السنى، السنا : ضوء البرق (اللمعان ، الاشراق ، الجمال) . در القلائد (اللؤلؤ الذي في العقد) ودر الثغر (الفم) : الاسنان . ــ هذا المحبوب له جمال الغزالة ونفورها من الناس ؛ والغزالة ليس لها عقود اللؤلؤ التي يلبسها المحبوب ولا جمال أسنانه .

(٤) الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . ــ أغارت (الخمر) على أسرار شربها : جعلتهم يبوحون بأسرارهم (من الانبساط والسكر) . وأنقذت الافراح ... : طردت الحزن وجعلت الشاربين فرحين .

(٥) صبا الايام = شباب الأيام (ما دامت الايام مؤاتية لك في شبابك) .

(٦) جارية : امرأة شابة تسعى علينا وتسقينا الخمر (!) وساقية تجري: قناة ماء تسيل في بستان (!). ــ اشرب الخمر كثيراً مع ساقية جميلة على ساقية في بستان . * لعلها : تسقي ! .

(٧) ــ داو (امح) بحسن ظنك بالله ما تأتي به من الجناية (الذنوب) من شرب الخمر (بالاعتماد على عفو الله) . دجى (ظلام) الوزر (الذنب) = الذنب العظيم .

٦٤٥ هـ) من سَنَةِ ثماني عَشْرَةَ[1]، ثمّ لَبِسَ خِرْقَةَ التصوّف[2] على يَدِ الصوفيِّ المشهور شِهاب الدين السُّهْرَوَرْديّ. وقد طافَ في البلاد مُتَجَرِّداً (على طريقة أهلِ التصوّف من الانصراف عن الدنيا) وكان قد مَدَحَ، في أوّلِ الأمرِ، كثيراً من الملوك والرؤساء والقضاة.

وكانت وفاةُ مُحمّدِ بنِ سوّارٍ الشَّيبانيِّ في دِمَشْقَ، في رابعِ عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ٦٧٧ هـ (٤١/ ١٩/ ١٢٧٨ م).

٢ - محمّد بن سوّار الشيبانيّ متصوّف وشاعر مُكْثِرٌ. وقد كان جيّدَ الشعر، فلمّا جعل يُدْخِلُ معاني التصوّف المتطرّفِ في شِعْرِه ويُقلّدُ في ذلك عُمَرَ بنَ الفارضِ ساء شعرُه. وهو كثيرُ العِناية بالصِناعة.

٣ - مختارات من شعره

- قال محمّد بن سوّار الشيباني في النسيب:

في ذِمّة الله من أهْوى، وإن بـانا ... وإن أَسَرَّ لِيَ الغدرَ الذي بـانا[3]؛

وفي سبيلِ الهوى عَهْدٌ تَحَمّلَهُ ... قلبٌ يرى حِفْظَه الايمانَ إيمـانا[4].

يا ظاعناً لم أكُنْ من قبـلِ فُرْقَتِه ... أهوى رُبوعاً ولا أشتـاق أوطانا،

لم يُبْقِ بَيْنُكَ عندي، يا مُنى أملي، ... للشوق قلبـاً ولا للدمع أجفـانا.

- وقـال:

يا سيّدَ الحُكمـاء، هذى سُنّة ... مسنونةٌ في الطبّ أنتَ سَنَنْتَهـا[5]:

أوَ كُلّما كَلّتْ سيوفُ جفونِ مَن ... سَفَكَتْ لَواحِظُه الدماءَ سَنَنْتَها[6]!

---

(١) كذا في الأصل (هل المعنى: لما كان عمره ثماني عشرة سنة، ٦٢١ هـ، أو سنة ٦١٨ هـ؟)

(٢) إلباس الخرقة للمتصوف معناه أن هذا المتصوف قد أصبح مجازاً بالسلوك في الطريقة بنفسه.

(٣) بان يبين بيناً (بفتح الباء وسكون الياء): بعد. بان: ظهر.

(٤) حفظه الايمان (بفتح الهمزة!) جمع يمين (قسم) - الايمان التي أقسمها على ان يدوم على الحب.

(٥) السنة: الطريقة. مسنونة: واجبة، واضحة، معمول بها. سن الطريقة: وضع قواعدها وأوجب العمل بها.

(٦) كلّ: ضعف. كل السيف: ذهبت حدته فلم يقطع. الجفون جمع جفن: قراب السيف وأحد غطائي العين... سننتها: جعلتها حادة قاطعة.

ـ وقال مُلْغِزًا في مِرْوَحةٍ (الهوى المقصور : الحبّ . الهوا الممدود : الهواء) :

ومحبوبةٍ في القَيْظ لم تَخْلُ من يدٍ ؛ وفي القُرّ تجفوها أكُفُّ الحبائبِ[1] .
إذا ما الهوى المقصورُ هيّجَ عاشقاً أتت بالهوا الممدود من كلّ جانبِ !

٤ ـ ** الوافي بالوفيات ٣ : ١٤٣ ـ ١٤٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٦٩ ـ ٢٧٤ : العبر ٥ : ٣١٦ ـ ٣١٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٦٥ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٤ .

أبو الحسين الجزّار المصري

١ ـ هو جَمالُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ العظيمِ بنِ يحيى الجزّارُ الأنصاريُّ المِصْري ، وُلِدَ في صَفَرَ من سَنَةِ ٦٠١ هـ (تشرين الأوّل ـ أكتوبر ـ ١٢٠٤م) . وقد كان في أوّلِ أمرِه جزّاراً ثم تَرَكَ الجِزارةَ وجَعَلَ يتكسّبُ بالشعر فما نال بهِ حَظْوةً كبيرةً ، برُغْمِ اشتهارِ شعرِه وسيرورتِه على الألسُن . ومال حيناً الى احتراف الكتابة في الدواوين. وكانتْ وفاةُ أبي الحسينِ الجزّارِ في مِصْرَ في ١٢ شوّالٍ ٦٧٩ هـ (٥/ ٢/ ١٢٨١ م) .

٢ ـ أبو الحسينِ الجزارُ شاعرٌ كاتبٌ منشيءٌ . وشعرُه سَهْل فيه مَرَحٌ وتَهَكُّمٌ . وفنونُه الغَزَلُ والمُجونُ والهِجاء والعِتاب ، وله شيءٌ من الحِكمة . وله ديوان عنوانه « تقاطيفُ الجزّار » .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال أبو الحسينِ الجزّارُ المِصْريّ بعدَ أنِ انتقلَ من القِصابة (الجِزارة : بيعِ اللحم) الى التكسّبِ بالمديح فلم يَنَلْ فيه حظّاً :

لا تَعِبْني بصَنعةِ القَصّابِ ، فهي أزْكى من عَنْبَرِ الآدابِ[2] .
كان فَضْلي على الكلابِ ، فمُذْ صِرْ تُ أديباً رَجَوْتُ فضلَ الكلاب !

ـ ثمّ انّه عاد الى الجزارة وقال :

كيف لا أشكُرُ الجِزارةَ ـ ما عِشْ تُ ـ حفاظاً[3] وأرْفُضُ الآدابا ؟

(١) القيظ : شدة الحر . القر (بضم القاف) : البرد .
(٢) العنبر : مادة طيبة الرائحة. عنبر الآداب : القيمة المزعومة للاشتغال بالأدب .
(٣) محافظة : وفاء لصنعة الجزارة التي عشت فيها زمناً .

وبها صـارتِ الكـلابُ تُـرجّيـ ـني ، وبالشِعْرِ كنتُ أرجو الكلابا !

– تزوّج والد أبي الحسين الجزّار على كِبَرٍ زوجةً ثانيةً ، كانت عجوزاً قبيحةً طرشاء، فقال أبو الحُسينِ الجزّارُ :

تزوّجَ الشيخُ أبـي شَيْخةً ليس لها عَقْلٌ ولا ذِهْنْ .
لو برزتْ صورتُهـا في الدُجـى ما جَسَرَتْ تنظُـرُها الجِنّ .
كأنّهـا في فَرْشِهـا رَمْسَةٌ وشَعْرُها من حولِها قُطْنْ[1] .
وقائـلٍ قالَ : ومـا سِنُّها ؟ فقلتُ : مـا في فَمِهـا سِنّ !

– وقال يصف الدار التي كان يسكنها :

ودارٍ خَـرابٍ بها قد نزلتُ ، ولكنْ نزلـتُ الى السابعه[2] .
طريقٌ مـن الطُرْقِ مسلوكةٌ مَحَجّتُهـا للـورى شاسعه[3] .
فلا فَـرْقَ ما بـين أن أكـونَ بها أو أكـونَ على القارعه[4] .
تُساوِرُها هَفَـواتُ النسيمِ فتُصْغي بِـلا أُذُنٍ سامعه[5].
وأخشى بهـا أن أُقيـمَ الصلاةَ فتَسْجُدَ حيطانُهـا الراكعة.
إذا ما قرأتْ : « إذا زُلْزِلَـتْ » ، خَشيتُ بأنْ تَقـرأَ « الواقعه »[6] !

– وقال في الابتهالِ الى الله :

إذا كنتَ تَعْـلَمُ مـا في الصدو رِ وتعـلم خائنةَ الأعيُنِ[7] ،
وتعلَمُ صِحّةَ فَقْـري إليكَ ، فإنّيَ عَـنْ شرحِ حـالي غني .

---

(١) رمسة : ميتة (؟) – لعلها: رمّة (بكسر الراء وتشديد الميم): عظام بالية ! .

(٢) السابعة = الارض السابعة (كناية شدة الظلام في هذا المنزل أو عن قلة الحظ فيه ، أو عن حقارته وسوء حاله) .

(٣) المحجة : الطريق المستقيم (والمقصود هنا : زيارتها) .الورى : الناس . شاسع : بعيد(يقصد : هذه الدار بعيدة عن العمران ويصعب الوصول اليها) .

(٤) القارعة : ظهر الطريق .

(٥) تساورها : تدور حولها. هفوات النسيم : حركات الهواء الخفيفة . – تهتز بأقل حركات الهواء: تسمع أقل حركات الهواء (تشعر بها) مع أنها ليس لها أذن .

(٦) « إذا زلزلت » مطلع سورة الزلزال (السورة التاسعة والتسعين في المصحف) . الواقعة (السورة السادسة والخمسون في المصحف) أولها: « إذا وقعت الواقعة ». – أخشى اذا كنت أقرأ مرة سورة الزلزال أن تسمعني داري وتظن أن زلزالا حدث فعلا فتقع (تتهدم) .

(٧) خائنة الأعين : ما يسارق (الانسان) من النظر الى ما لا يحل أو أن ينظر نظرة مريبة (القاموس ٤ : ٢٢٠) . – والله « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » (٤٠ : ١٩ سورة المؤمن) .

آسي فتُحْسِنُ لي دائماً ؛ وهل للمُسيء سوى المُحْسِنِ[1] ؟
وحقّكَ ، ما لِيَ من قُدرةٍ على كَشْفِ ضرٍّ اذا مسّني .
فلا تُلْزِمَنّي بغيرِ الدُعاء ، فذلك ما ليس بالمُمْكِنِ[2] !

٤ ** فوات الوفيات ٢ : ٣٩٨ ــ ٤٠٠ ؛ العبر ٥ : ٣٢٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٦٤ ــ ٣٦٥ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٩ ، الملحق ١ : ٥٧٤ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٠ (والمراجع المذكورة فيه) .

ابن لولؤ الذهبي[3]

١ ــ هو بدرُ الدين يوسفُ بنُ لؤلؤِ بنِ عبدِ الله الذهبيُّ ، كان أبوه لؤلؤٌ مملوك أعتقه الأميرُ بدرُ الدين صاحبُ تلِ باشرٍ (شمال حلب) . وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) . ثمّ أصبحَ من كِبارِ شُعراء الدولة الناصريّة ــ دولة المَلِكِ الناصرِ الثاني صلاحِ الدينِ يوسف[4] (٦٤٨ ــ ٦٥٨ هـ) . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٨٠ هـ (خريف ١٢٨٠ م) .

٢ ــ كان ابنُ لؤلؤِ الذهبيُّ أديباً ظريفاً وشاعراً كثيرَ الصِناعة بارعاً في التَوْريات . وأكثرُ شعرِه النسيبُ والوصفُ .

٣ ــ **مختارات من شعره**

ــ قال ابنُ لؤلؤٍ في النَسيب مُوَرِّياً في « مرّ » (من المُرور ومن المَرارة) :

يا عاذلي فيه ، قُلْ لي : عن حُبّهِ كيفَ أسلو[5] ؟
يَمُرُّ بي كلَّ حينٍ ؛ وكلّما مَرَّ يَحْلو !

ــ وكتب الى ابنِ إسرائيلَ ، وكان يَهْوى غُلاماً اسمُه جارحٌ :

قَلْبُكَ اليومَ طائرٌ عنكَ أمْ في الجوانحِ[6] ؟
كيف يُرجى خلاصُه وهو في كفِّ جارحِ[7] !

٤ ــ ** العبر ٥ : ٣٣٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٦٩ ــ ٣٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٥ .

---

(١) آسي : كذا في الاصل ، ولا وجه لها . اقرأ : أسيء إذ تحسن ...
(٢) لا تلزمني بغير الدعاء (بالعبادة ، مثلا) . (٣) راجع أيضاً ، فوق ، ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ .
(٤) أمر هولاكو بقتل الملك الناصر سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) .
(٥) أسلو أنسى ، أصبر .
(٦) قلبه طائر : قلق ، كثير الفزع . قلبه في جوانحه (بين جنبيه) : مستقر ، آمن .
(٧) جارح : اسم المحبوب . والجارح : الطائر الكاسر (كالنسر) .

ابن خلّكان

١ ـ هو شمسُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ مُحمّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ خلّكانَ البَرْمَكيُّ الإربليّ ، وُلِدَ في اربلَ (شَرْقَ المَوْصِلِ) في ١١ ربيعِ الآخِرِ ٦٠٨ هـ (٢٢/ ٩/ ١٢١١ م) ونشأ يتيماً فقد تُوُفِّيَ والدُه سَنَةَ ٦١٠ هـ .

بدأ ابنُ خلّكانَ تَلَقّي العِلمِ في اربلَ فَسَمِعَ صحيحَ البُخاري من أبي حفص بنِ هِبَةِ اللهِ بنِ المُكَرَّمِ بنِ عبد الله الصوفيّ (ت ٦٢١ هـ) . وفي ٦٢٦ هـ انتقلَ إلى حَلَبَ ثمّ إلى دِمَشْقَ حيثُ دَرَسَ على ابنِ شدّاد . وفي سَنَة ٦٣٧ هـ كان مُسْتَقِراً في القاهرةِ مُتَّصلاً برجال الدولة فيها . فلمّا جاء الظاهرُ بَيْبَرْسُ إلى دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٦٥٩ هـ ، كانَ ابنُ خلّكانَ في صُحْبَتِه فولّاه بيبرسُ قضاءَ دِمَشْقَ . وبَعْدَ سبعِ سَنَواتٍ عُزِلَ ثمّ أُعيدَ ثمّ عُزِلَ . وفي ٦٦٩هـ عادَ ابنُ خلّكانَ الى القاهرةِ ، ولكنّه رَجَعَ أخيراً الى دِمَشْقَ حيثُ تُوُفّيَ في ٢٦ من رَجَبَ ٦٨١ هـ (٢/ ١١/ ١٢٨٢ م) .

٢ ـ ابن خلّكانَ من أئمّةِ العُلماء الذين بَرَعوا في الأدبِ والتاريخ والفِقْه والحديث وفي صِناعة النثر . ولَه شِعْرٌ عاديٌّ كشِعْرِ سائرِ العُلماء . أمّا شُهْرَتُه فراجعةٌ إلى كتابه الذي سمّاه « وَفَيات الأعيان وأنْباء أبْناء الزمان ممّا ثَبَتَ بالنَقْلِ والسّماع وأثْبَتَهُ العيان »[1] وقد ألّفَهُ بَيْنَ ٦٥٤ و٦٧٢هـ (١٢٥٦ ـ ١٢٧٤م) وجَمَعَ فيه ثمانمِائةٍ واثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ تَرْجَمَةً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مقطع من مقدّمة كتاب « وفيات الأعيان » :

..... هذا مختصرٌ في علمِ التاريخِ دَعاني الى جَمْعه أني كُنْتُ مُولَعاً بالاطّلاعِ على أخبارِ المُتَقَدّمينَ من أُولي النَباهة وتواريخِ وفاتِهم ومَوْلِدِهم ومَنْ جمع منهم كلُّ عَصْرٍ ؛ فَوَقَعَ لي منه شيءٌ حَمَلَني على الاسْتِزادةِ والتَتَبُّعِ ، فعَمَدْتُ

(١) لهذا الكتاب تكملة « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ ، انظر ، تحت) ؛ وله ذيل « درة الحجال في أسماء الرجال » ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (٩٦٠ ـ ١٠٢٥ هـ) (تحقيق محمد الأحمدي أبي النور) الجزء الأول (نشرته دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس) ، القاهرة (دار التراث للطبع والنشر) ١٩٧٠ م .



الى الكُتُبِ المَوْسومة بهذا الفنّ وأخذتُ من أفواهِ الأئمّةِ المُتقنينَ ما لم أجِدْهُ في كتابٍ. ولم أزَلْ على ذلك حتى حَصَلَ عِنْدي منه مُسَوَّداتٌ كثيرةٌ في سنينَ عديدةٍ، وعَلِقَ على خاطري بعضُه، فصِرْتُ إذا احتجتُ الى مَعاوَدَةِ شيءٍ منه لا أصِلُ إليه الاّ بعدَ التعَبِ في استخراجِه لِكَوْنِه غيرَ مُرَتَّبٍ، فاضْطُرِرْتُ إلى ترتيبه فرأيتهُ على حروفِ المُعْجَمِ أيسرَ منه على السنينَ.....

ولم أذكُرْ في هذا المُختصرِ أحداً من الصَحابة رِضْوانُ اللهِ تعالى عَلَيْهِمْ، ولا من التابعينَ[1]، رَضِيَ اللهُ عنهم، إلا جماعةً يسيرةً تدعو حاجةُ كثيرٍ من الناسِ الى معرفةِ أحوالِهم. وكذلك الخلفاء، لم أذكُرْ أحَداً مِنهُمْ اكتفاءً بالمُصنَّفاتِ الكثيرةِ في هذا الباب. لكنْ ذكَرْتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتُهم ونقَلْتُ عنهم، أو كانوا في زَمَني ولم أرَهُمْ، لِيَطَّلِعَ على حالِهم مَنْ يأتي بَعْدي. ولم أقْصُرْ هذا الكتابَ المختصرَ على طائفة مخصوصة مثلِ العلماء أوِ الملوك أو الأمراء أو الوزراء أوِ الشعراء؛ بلْ كُلُّ مَنْ له شُهرةٌ بينَ الناس ويَقَعُ السؤالُ عنه ذَكَرْتُهُ وأتَيْتُ مِنْ أحواله بما وَقَفْتُ عليه مَعَ الإيجاز كيلا يَطولَ الكتابُ، وأثبتُّ وفاتَه ومَوْلِدَه إنْ قَدَرْتُ عليه، ورَفَعْتُ نَسَبَه على ما ظَفِرْتُ بهِ، وقيّدتُ من الألفاظ ما لا يؤمَنُ تَصْحيفُهُ[2]. وذكرتُ من محاسنِ كُلِّ شخصٍ ما يَليقُ به من مَكْرُمَةٍ أو نادرةٍ أو شعرٍ أو رسالةٍ لِيَتَفكَّهَ به مُتأمّلُهُ ولاَ يراه مقصوراً على أسلوبٍ واحدٍ فَيَمَلُّهُ*، والدواعي إنّما تَنْبَعِثُ لِتَصَفُّحِ الكتاب إذا كان مُفَنَّناً.....

—وقال يَصِفُ صَبايا يَسْبَحْنَ في غديرِ ماءٍ ويُضَمِّنُ في أبياتِه آيةً من القرآن الكريم:

وسِرْبِ ظِباءٍ في غديــرٍ تَخالُهم ... بدوراً بأُفْقِ الماء تبــدو وتَغْرُبُ[3]

يقولُ عَذولي، والغَرامُ مُصاحبي: ... «أما لكَ عن هذي الصَبابةِ مَذْهَبُ[4]»،

---

(١) الصحابة هم الذين عاشوا في زمن محمد رسول الله وصحبوه. والتابعون هم الذين كانوا في عصر الصحابة ولم يروا الرسول.

(٢) رفعت نسبه على ما ظفرت به: ذكرت من أجداده أكبر عدد وجدته. قيدت الألفاظ: ضبطتها بالشكل. التصحيف: اختلاف النقاط في أحرف الكلمة أو الحركات أو الحروف.

(٣) تخالهم (كان يجب أن يقول: تخالهن): تحسبهم.

* كان يجب ان يقول: فيمله (بفتح اللام) بعد فاء السببية وبعد فعل منفي، ولكنه آثر السجع مع متأمله (فاعل يتفكه — وهو مرفوع). (٤) أما لك (أليس لك) عنه مذهب (منصرف): ألا تترك هذا الأمر؟

وفي دَمِكَ المَطلولِ خاضوا ، كما ترى؟» فقُلْتُ له : دَعْهُمْ يَخوضوا ويَلْعَبوا[1].

— وله من قصيدة في النسيب (راجع ص ٦٣٩) :

يا ديارَ الأحبابِ ، لا زالتِ الأدْ مُعُ في تُرْبِ ساحتَيْكِ مُسالَهْ[2] ،
وتَمَشّى النسيمُ ، وهو عليلٌ ، في مَغانيكِ ساحباً أذْيالَهْ .
أينَ عيشٌ مضى لنا فيكِ ؟ ما أسرعَ عنّا ذَهابَه وزَوالَه !
حيثُ وَجْهُ الشبابِ طَلْقٌ نَضيرٌ ، والتصابي غُصونُه ميّاله[3] ؛
ولنا فيك طيبُ أوقاتِ أُنْسٍ ليتَنا في المَنامِ نَلْقى مِثالَه .
ظَبْيَةٌ تَبْهَرُ العيونَ جَمالاً ، وغَزالٌ تَغارُ منه الغَزالَهْ .

٤ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحرير فستنفلد) غوطا (أورليخ) ١٨٣٥—١٨٤٣ ؛ (اعتنى بتصحيحه وطبعه ديسلان) الجزء الأول ، باريس (مطبعة فيرمان ديدوه)١٨٣٨ — ١٨٤٢م ؛ بولاق ١٢٧٥ ﻫ ؛ (بتصحيح عبد الرحمن بن قطة العدويّ ونصر الهوريـني) ، بولاق ١٢٩٩ﻫ ؛ (بعناية محمّد باقر عبد الحسين خان الصدر الاصفهاني)، طهران (طبع حجر) ١٢٨٢ ﻫ ؛ القاهرة ١٢٦٩ﻫ ؛ (؟ — بروكلمان، الملحق ١ : ٥٦١، السطر ٢١) ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٠ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٢٨ (١٩١٠م) ؛ (نشره محمّد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٣٦٩ — ١٣٧٠ﻫ (١٩٤٨ — ١٩٤٩ م) ؛ (نشره احسان عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٨ او ما بعد .

ذيل (فيه ثلاث عشرة ترجمة وجدت في مخطوطة مكتبة أمستردام بهولندة) (بعناية بينايل) ، امستردام ١٨٤٥ م.

** طبقات الشافعية ٥ : ١٤ وما بعدها ؛ فوات الوفيات ١ : ٧٠ — ٧٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٨ — ٣١٦ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٧٢ ؛ العبر ٥ : ٣٣٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ ذيل وفيات الاعيان ١ : ٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٧٠ — ٣٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٨، الملحق ١ : ٥٦١ ؛ زيدان ٣ : ١٧٢ — ١٧٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٣٢ — ٨٣٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٢ .

---

(١) الدم المطلول : المباح (الذي حكم القاضي بسفكه). خاضوا في دمك المطلول : تحدثوا بوجوب قتلك . « دعهم يخوضوا ويلعبوا » مقتبسة من قوله تعـالى : « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الذي يوعدون » (يوم القيامة حينما يرسلون الى جهنم) نزلت هذه الآية استهزاء بالكافرين (٤٣ : ٨٣ سورة الزخرف ، ثم ٧٠ : ٤٢ سورة المعارج) .

(٢) مسالة اسم مفعول من أسال (أجرى) . لا زال بكاؤنا في ساحتك كثيراً .

(٣) طلق : باسم ، مسرور .

ابن البارِزِيُّ الحَمَوِيّ

١ ـ هو نجمُ الدين عبدُ الرحيم[1] بنُ ابراهيمَ بنِ المسلمِ بنِ هبةِ اللهِ بن حسّانِ الحَمَويّ الجُهَنيّ ، وُلِدَ في حَماةَ سَنَةَ ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) ؛ سَمِعَ من موسى بنِ عبدِ القادر ومن القاسمِ بنِ رَواحةَ . تولّى القضاءَ في حماةَ بعدَ أبيه ولم يتناولْ على القضاء راتباً . وقد عُزِلَ من القضاء قبلَ مَوْتِه بأعوامٍ .

وكانتْ وفاةُ ابنِ البارزيِّ في تَبوكَ ، وَهُوَ في طريقه إلى الحجّ ، وذلك في ذي القَعْدَةِ من سَنَةِ ٦٨٣ هـ (كانون الثاني ـ شباط = يناير ـ فبراير ١٢٨٥ م) ، فحُمِلَ إلى المدينة ودُفِنَ فيها .

٢ ـ كان ابنُ البارزيّ الحَمَويّ بصيراً بالفِقْهِ والأُصولِ وعِلْمِ الكلامِ ، وكان شاعراً وُجْدانياً مُحْسِناً . ومن فنونِ شعرِه البديعيّاتُ والنسيبُ والملاحِمُ ، له أُرجوزة اسمُها « مُداولةُ الايّام ومُماثلة الأحكام » فيها : حياةُ رسولِ الله وتاريخُ دُوَلِ الاسلامِ في المَشْرق والمَغْرب مَعَ شيء من جغرافية البلادِ الاسلامية وتاريخ الدولِ غيرِ الإسلامية قبلَ الإسلام وبعدَه .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابنُ البارزِيّ الحَمَويّ في النسيب[2] أبياتاً تُشْبِهُ أن تكونَ غزلاً في الحجاز على الطريقة الصوفية :

إذا شِمْتُ من تِلْقاءِ أرضِكُمُ بَرْقا ، فلا أَضْلُعي تَهْدا ولا عَبْرتي تَرْقا[3] .

سَميرَيَّ من سَعْدٍ ، خُذا نحوَ أرضِهِمْ يَميناً ، ولا تَسْتَبْعِدا نَحْوَها الطُرْقا[4] ؛

---

(١) في فوات الوفيات (١ : ٣٤٠) : عبد الرحمن بن ابراهيم ...

(٢) راجع هذه الابيات في فوات الوفيات (١ : ٣٤١) وفي شذرات الذهب (٥ : ٣٨٢) فبين الروايتين شيء من الخلاف .

(٣) شام البرق (بفتح القاف) يشيمه : نظر اليه أين يظهر وأين يمطر . تهدا = تهدأ . فلا أضلعي (المقصود قلبي) يهدأ (من الخفقان) كناية عن الشوق الى اللقاء . ولا عبرتي = دمعي : دموعي . ترقأ : تجف (كناية عن الحزن على أنه بعيد عن أرض محبوبه وأن لا أمل له بالوصول اليها) .

(٤) سميري من سعد : يا سميري (رفيقي) من بني سعد . بنو سعد كانت منهم حليمة السعدية الي أرضعت محمداً رسول الله . والشعراء الصوفيون يذكرون قبيلة بني سعد في أشعارهم كثيراً للدلالة على الحجاز وعند التغزل به . خذا نحو أرضهم . اتجها نحو أرض بني سعد . لا تستبعدا الطرقا : لا تملا (بفتح الميم) مهما كانت الطريق طويلة .

وعُوجا على أُفْقٍ تَوَشَّحَ شِيحُــه ... بطيبِ الشَّذا المِسْكِيِّ ؛ أكْرِمْ به أُفْقا[1] !

فانَّ به المَغْنَى الذي نَزَلوا بــه ؛ ... ومِنْ ذِكْرِه يُشْفَى الفُؤاد ويُسْتَرْقى[2]

ومِنْ دونِهِم عُرْبٌ يَرَوْنَ نُفوسَ مَنْ ... يَلوذُ بمَغْناهُمْ حَلالاً لهم طَلْقا[3] ؛

بأيْديهِمُ بيضٌ بها الموتُ أحْمَرٌ ... وسُمْرٌ لَدى هَيْجائِهِم تَحْمِلُ الزُّرْقا[4]

وقولاَ : مُحِبٌّ حَلّ بالشام جِسْمُه ، ... ومِنْهُ فُؤادٌ بالحِجازِ غَدا مُلْقــى .

تَعَلَّقَكُمْ في عُنْفوانِ شَبابِــهِ ... ولم يَسْلُ عن ذاك الغرام وقد أنقــى[5] .

وكان يُمَنّي النفسَ بالقُرْبِ فاغْتَدى ... بِلا أمَلٍ إذ لا يُؤَمِّلُ أن يبقــى .

عليكُمْ سلامُ الله : أمّــا وِدادُكم ... فباقٍ ، وأما البُعْدُ عَنْكم فما أبقى[6] .

— وكتب ابن البارزيّ الحَمَوي إلى الملك المنصور صاحبِ[7] حماةَ لمّا عُزِلَ عن القَضاء :

خَدَمْتُكَ في الشباب ، وها مَشيبي ... أكادُ أحِلُّ منــه اليومَ رَمْســا .

فرَاعِ لِخِدْمَتي عَهْداً قديمــاً ؛ ... وما بالعَهْدِ من قِدَمٍ فيُنْسى[8] !

---

(١) عاج : مال الى ، اتجه نحو . عطــف ؛ رجع . الأفــق : الخط الذي تبــدو الارض (أو البحر) عنده تتصل بالسماء . الى أفــق : الى ناحية معينة (هنا : الحجاز) . الشيح : نبات زكي الرائحة يكثر في الحجاز . توشحت المرأة : ألقت على كتفيها وشاحاً . الشذا : الرائحة .

(٢) المغنى : المسكن . يشفي (بالبناء للمجهول) : يصح من مرضه . يسترقى (بالبناء للمجهول) : يطلب له رقية (بضم الراء) : حرز أو حجاب أو ألفاظ كان الناس يظنون أن المريض يشفى بها.

(٣) العرب (بضم العين) : العرب (بفتح العين والراء). والعرب (بضم العــين والراء) جمع عريب (بفتح العين) : المرأة المتحببة الى زوجهــا (وهنا : كناية عن النساء الجميلات) . لاذ بهم : التجأ اليهم. حلال (بفتح الحاء) : يحل للناس ، يسمح لهم به . طلق : مطلق ، غير مقيد . — المعنى المملوح : اذا التجأ أحد الى الحجاز فانه يعيش فيه حراً آمناً ، أو يقع في حب نسائه (أهله) .

(٤) البيض جمع أبيض : السيف . والسمر جمع أسمر : الرمح . الزرق جمع أزرق : النصل من الحديد في رأس الرمح .

(٥) تعلقكم = تعلق بحبكم ، اشتد حبه لكم . العنفوان : الإبّان ، الذروة ، وقت اشتداد الشباب . يسلو عن الشيء = يتسل عنه ، ينساه . نقى الجمل : سمن (المعنى هنا غامض . لعل قصد الشاعر : أشرف على الهلاك) .

(٦) ما أبقى : ما ترك (شيئاً من قوتي أو شبابي أو أملي ، الخ) . وفي الجملة تضمين من قوله تعالى : « وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى » (٥٣ : ٥٠ — ٥١ ، سورة النجم).

(٧) هو الملك المنصور الثاني سيف الدين بن محمد الأيوبي تولى حماة سنة ٦٤٢ هـ وتوفي سنة ٦٨٣ هـ (١٢٤٢ — ١٢٨٥ م) .

(٨) راعى الأمر أو الشيء أو الانسان : لاحظه واهتم به محسناً اليه وحفظه وحماه . العهد : الزمن . وما بالعهد (الوصية ، اليمين ، الذمة) من قدم فينسى : لم يمر عليه الزمن بعد ، حتى يمكن أن ينسى .

٤ ـ * * فوات الوفيات ١ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ؛ العبر ٥ : ٣٤٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٨١ ـ ٣٨٢ ؛ بروكلمان ١ : ٤٢٧ ، الملحق ١ : ٥٩١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١١٨ .

مجير الدين الإسعردي

١ ـ هو مُجيرُ الدينِ محمّدُ بنُ يَعقوبَ بنِ عليِّ بنِ تميمٍ الجُنْديُّ الحَمَويّ الدمَشْقي الإسعِرْديُّ ، سِبْطُ[1] الأميرِ ابن تميمٍ ؛ يبدو أن أصلَه من إسْعِرْدَ[2] سكَنَ دِمَشْقَ مُدَّةً واستوطن حَماةَ .

كان مُجيرُ الدينِ الإسعِرْديُّ جُنديّاً مُحْتَشِماً شُجاعاً كريمَ الأخلاقِ ، وقد خدَمَ المَلِكَ المنصورَ الثانيَ سيفَ الدين محمّداً الأيوبيَّ (٦٤٢ ـ ٦٨٣ هـ) . وكانتْ وَفاتُه في حَماةَ سنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) .

٢ ـ مُجيرُ الدينِ الإسعِرْديُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ إلاّ أنّ شِعْرَه مقطّعاتٌ قِصارٌ في البيتينِ والثلاثةِ والاربعة . وشِعْرُه رقيقٌ حَسَنٌ سَهْلٌ وفيه شيءٌ من المرح . وفنونُه الوَصْف والغَزَل والهجاء مَعَ شيءٍ من المُجون . وهو مُولَعٌ بمعاني الشعراء يُضَمِّنُها في شِعره أو يَحُلُّ المعنى ثمّ يُدْخِلُه في شِعره بلَفْظِه هو . ولذلك قال :

أطالِعُ كلَّ ديوانٍ أراه ، ولم أزْجُرْ عنِ التَّضْمينِ طَيْري[3] :
أُضَمِّنُ كلَّ بيتٍ فيه معنىً ؛ فشِعْري نِصْفُه من شِعْرِ غيري !

٣ ـ مختارات من شعره

ـ كان لمُجيرِ الدين الإسعِرْدي قَدَحٌ يَشْرَبُ فيه الخمرَ فانكسرَ ، فقالَ في ذلك :

أيا قَدَحاً قَدْ صَدَّعَ الدهرُ شَمْلَه فأصبحَ بعدَ الراحِ قد جاوَرَ التُّرْبا[4] ،
سأبكيكَ في وقتِ الصَّبوحِ ، وإنّني سأُكْثِرُ في وقتِ الغَبوقِ لك النَّدْبا[5] .

---

(١) السبط حفيد الرجل من بنته .

(٢) اسعرد (انظر ، فوق ، ص ٥٩٠) .

(٣) ديوان = ديوان شعر . زجر فلان الطير : أحب أن يستشير الطير في ما يفعل (يقصد الشاعر : لا أتردد في تضمين كل بيت استحسنه من شعر غيري في شعري) .

(٤) صدع الدهر شمله : فرق بيني وبينه . الراح جمع راحة : الكف ، اليد . ـ بعد أن كنت أحمله في راحتي (يدي) أصبح ملقى أرضاً .

(٥) الصبوح : شرب الخمر صباحاً . الغبوق : شرب الخمر مساء . الندب : البكاء على الميت .

وإنْ قَطَّبَتْ شمسُ المُدامِ فحقُّها (لأنَّكَ كنتَ الشرقَ للشمس والغَرْبا[1])!

— وأهْدى الى صديقٍ له قدحاً ثمّ قال في ذلك :

أَهْدَيْتُه قَدَحاً ، فلو أنْصَفْتُـــه أوْسَعْتُه لِجَماله تَقْبيـــلا[2] .
نَظَمَتْ بـــهِ الصَهباءُ دُرَّ حَبابِها (حتّى تصيرَ لرأســهِ إكليلا[3])

— وقال في بِرْكةٍ لها نافورةٌ :

لقد نَزَّهَتْ عيــني أنابيبُ بِرْكــةٍ تُقابِلُني أمْواجُهـــا بالعجائبِ :
أنابيبُ لَجَّتْ في عُلُوٍّ كأنّما (تُحاولُ ثأراً عند بعضِ الكواكب[4].)

— وقال أيضاً يَصِفُ بِرْكةً :

ألا ربَّ يومٍ قـــد تَقَضّى ببِرْكةٍ أقَمْتُ بـــهِ في ما جرى مُتَفَكِّرا :
بعَيْني رأيتُ الماءَ فيها وقد هَـــوَى على رأسه مـــن شاهقٍ فتَكَسَّرا .

— وقال يَصِفُ مليحاً ينظُرُ في مِرآةٍ :

طوبي لمرآةِ الحبيـــبِ فانّهـــا حُمِلَتْ براحةِ غُصْنِ بانٍ أيْنَعا[5]
(واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السَماء بوَجْهِها فأرَتْنِيَ القَمَرَينِ في وقتٍ مَعَـــا[6] !)

---

(١) قطب : عبس ، حزن . شمس المدام : الخمر . في هذا البيت تضمين من بيت المتنبي :

فديناك من ربع وان زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا .

بدّل مجير الدين الاسعردي المعنى الذي قصده المتنبي . الشمس هنا : الخمر . كانت الخمر تشرق من القدح وتغرب في أفواهنا ؛ أو كانت الخمر تغرب في القدح من الزق ثم تشرق منه لتغرب في أفواهنا .

(٢) — كنت أود أنا أن أقبل ثغره بدل القدح .

(٣) الصهباء (الحمراء) : الخمر . الدر : اللؤلؤ . الحباب : الفقاقيع التي تطفو على سطح عدد من السوائل . وفي هذا البيت تضمين من قول المتنبي يصف الاسد (العفرة : الشعر . اليافوخ : أعلى الرأس) :

ورد عفرتــه الى يافوخــه حتى تصير لرأسه اكليلا .

(٤) أنابيب هذه البركة تدفع المياه عالياً وتلج (تبالغ) . وفي البيت تضمين من قول أبي تمام :

فمال تمادت في العلو كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب .

(٥) حملت براحة : حملتها راحة (كف ، يد) غصن بان (البان شجر أغصانه مستقيمة ملساء) : مليح ، جميل ، معتدل القامة . أينع : حمل ثمراً (واستعمال الكلمة هنا غير صحيح) .

(٦) هذا البيت كله للمتنبي . يقصد المتنبي أنه رأى حبيبته ليلة البدر فرأى قمرين متشابهين . والاسعردي يعني : ان المحبوبة وجهت المرآة التي تحملها الى السماء فظهر فيها البدر ، فرأى هو القمرين (وجه حبيبته والبدر المعكوس في صفحة المرآة) في وقت واحد . أينع : نضج الثمر (الذي على هذا الغصن : كل جمال محبوبي) .

ـ وقال في غادة جاءتْ إليه ذاتَ ليْلةٍ :

يا ليلةً قصُرَتْ بـزوْرةِ غـادةٍ ‏ ‏ سفرَتْ فأغنى وجْهُها عن بدْرِها [1] ؛
حتّى إذا خافتْ هُجومَ صَباحِهـا ‏ ‏ نَشرَتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شعْرِها [2] !

ـ وقال في الخمر :

وليلةٍ بِـتُّ أسْقى في غَياهِبِهـا ‏ ‏ راحاً تَسُلُّ شَبابي من يَـدِ الهرَمِ [3] ؛
ما زِلْتُ أشرَبُها حتّى نَظَرْتُ إلى ‏ ‏ غزالةِ الصُّبْحِ تَرْعى نَرْجِسَ الظُّلَمِ [4] .

ـ وقال يهجو كحّالاً (طبيب عيون) جاهلاً :

دَعُوا الشمسَ من كُحْلِ العيونِ ، فكَفُّه ‏ ‏ تَسوقُ الى الطَّرْفِ الصحيحِ الدَّواهيا [6] ؛
فكم ذَهَبَتْ من ناظرٍ بسوادِهِ ‏ ‏ وألْقَتْ بياضـاً خلْفَها ومآقيا [5] .

ـ وقالَ في الضنِّ (البُخْل) بشِعْره على الناس :

لِمَنْ أبوحُ بشِعْري حينَ أنْظِمُهُ ‏ ‏ أمْ مَنْ أخُصُّ بما فيهِ مِنَ الزُّبَدِ [7] ؛
إمّا جَهولٌ فلا يَدْري مواقِعَه ، ‏ ‏ أو فاضلٌ فهو لا يَخْلو من الحَسَدِ !

٤ ـ ** فوات الوفيات ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ؛ العبر ٥ : ٣٥١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ١٨ .

---

(١) قصرت : ظهرت قصيرة (لأنه كان مسروراً في اجتماعه بمحبوبته) . سفرت : كشفت عن وجهها . أغنى : جعله يستغني ، أي لا يحتاج الى شيء . وجهها : وجه المحبوبة . بدرها : بدر تلك الليلة .

(٢) في البيت تضمين من بيت المتنبي :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ‏ ‏ في ليلة فأرت ليالي أربعا .

(٣) بت (قضيت الليل) أسقى (الخمر) . الغيهب : الظلام . تسل شبابي من يد الهرم (الشيخوخة) : تنقذ شبابي ، تحفظ علي شبابي .

(٤) ما زلت أشربها : ظللت أشرب الخمر حتى سكرت كثيراً . غزالة الصبح (الشمس) ترعى نرجس الظلم (تأكل نجوم الليل) : تخفيها (حتى طلع النهار) .

(٥) لا تتركوا هذا الكحال يداوي الشمس ، فان يده (لجهله بالطب) تأتي بالمصائب (بالعمى) الى الطرف (البصر ، العين) الصحيح السليم ؛ ولو داوى الشمس لعميت : انطفأ نورها .

(٦) طبه أتلف سواد عيون كثيرة (أعماها) . وفي البيت تضمين من قول المتنبي :

فجاءت بنا انسان عين زمانه ‏ ‏ وخلت بياضـاً خلفها ومآقيا .

البياض في العين والموق (طرف العين) لا يبصران .

(٧) الزبد (بضم الزاي وفتح الباء) جمع زبد وزبدة (بضم الزاي فيهما) : خلاصة الشيء .

ابنُ النَقيب

١ — هو ناصرُ الدينِ الحسنُ بنُ شاورَ بنِ طَرْخانَ بنِ الحسن بن النقيب الكِناني المعروف بالنَّفيسي ، يبدو أنّه وُلِدَ في القاهرة في أوائل القرن السابعِ للهجْرة (الثالثَ عَشَرَ للميلاد) . ولعلّه كان قريباً من بيتٍ فيه إمارة ! وكان بينَهُ وبينَ سِراج الدين الورّاق (ت ٦٦٥ هـ) مُراسلاتٌ . وكانتْ وفاتُه في القاهرة سَنَةَ ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) .

٢ — كانَ ناصرُ الدينِ بنُ النقيبِ شاعراً مُكثِراً شديدَ التطلّبِ للصناعة ، وللتَوْرِيَةِ والتضمين على الأخصّ . وشعره سَهْلٌ واضحٌ قريبٌ من أفهامِ الجُمْهور من الناس . وأشهرُ فنونه الغزلُ والنسيب والشكوى والهجاء ؛ وله أشياءُ من الهَزْل والسُخْف والمُجون . ولابن النقيب كتاب « منازل الاحباب ومنازه الألباب » .

٣ — مختارات من شعره

— قال ناصرُ الدين بنُ النقيبِ واستطردِ من الخمر الى الغزل :

يا مَن أدارَ بريقهِ مَشْمولةً ، وحَبابُها الثغرُ النقيّ الأشْنَبُ[١] :
تفّاحُ خدِّكَ بالعِذارِ مُمَسَّكٌ ، لكنّه بدمِ القلوبِ مُخضَّبُ[٢] .

— وله في الغزل تَوْريات مأخوذة من أسماء أصحاب المذاهب الفِقْهية (مالكِ بن أنَسٍ وأبي حَنيفةَ النُعْمانِ ومحمدِ بنِ ادريسَ الشافعيّ ومن الفقيه المتكلّم حُجّةِ الإسلام أبي حامدٍ الغزّاليّ) :

يا مالكي — ولَدَيْكَ ذُلّي شافعي — ما لي سألتُ فما أجبْتَ سُؤالي[٣] ؟
فوَخدِّكَ النُعْمانِ ، إنّ بَلِيّتي وشَكِيّتي من طَرْفِكِ الغزّالِ[٤] !

— وقال في كَسْبهِ المالَ وإنفاقه بسُرْعة :

وما بَيْنَ كَفّي والدراهمِ عامرٌ ؛ ولستُ بها دُونَ الوَرى ببَخيلِ[٥] .

---

(١) مشمولة : (خمر) باردة (هبت عليها ريح الشمال) . الحباب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر (كناية عن أسنان المحبوب الجميلة) . الشنب : بياض في الاسنان ، أو برد وعذوبة (حلاوة) في الريق.

(٢) العذار : الشعر النابت في الخد حديثاً . ممسك : فيه لون أسود كالمسك (تختلط حمرة خده بسواد شعره النابت حديثاً في خده) . مخضب : ملوث ، مصبوغ (احمرار خده من دم العشاق) .

(٣) يا مالكي : الذي ملك قلبي . تذللي لك يجب أن يشفع لي عندك فترضى علي .

(٤) — أقسم بخدك الأحمر كشقائق النعمان . شكيّتي : ما أشكو منه ، مرضي . طرفك : عينك . الغزال : الذي يكثر محادثتي أحاديث الهوى والغرام .

(٥) أنا أكسب أموالا كثيرة ، ولكنني لست بخيلا بها (أنفقها على الناس) .

وما استوطَنَنْهـا قَطُّ يوماً ، وإنّمـا تَمرّ عليهـا عابراتِ سَبيلِ[1] !

– وقال يذكر نَوْبَةَ الحُمّى (البُحْران ، حَرارة المرض) ونَوْبة العَزْف (والنَوْبةالجَماعةُ من الناس ، والاستعمال الشائع يُطْلِقُها على الجَوْقة من العازفين والمغنّين) ، أوبة : رجوع :

أقول لنوبةِ الحُمّــى : اتْرُكيني ؛ ولايكُ مِنْكِ لي ، ما عِشْتُ ، أوْبَهْ .
فقالت : كيفَ يُمْكِنُ تَـركُ هذا ؟ وهل يبقى الأميرُ بغيـرِ نَوْبه !

٤ – ٥٥ فوات الوفيات ١ : ١٥١ – ١٥٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٠٠ – ٤٠١ بروكلمان ١ : ٣٠٨ ، الملحق ١ : ٤٦٧ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٠٧ .

الشابّ الظريـــف

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ سليمانَ بنِ عليّ بنِ الشيخِ عفيفِ الدينِ التِلمسانيّ المعروفُ بالشابّ الظريف ، وُلِدَ في القاهرة في عاشرِ جُمادى الآخرة ٦٦١ هـ (٢١/٤/ ١٢٦٣ م) ونشأ في دِمَشْقَ حيثُ أصبحَ والدُه مُباشراً لاستيفاء أموالِ خزينةِ الدولة . وعاشَ الشابُّ الظريف نحوَ ثلاثينَ سَنَةً . وكانتْ وفاتُـه (قبلَ أبيه) في دِمَشْق ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٦٨٨ هـ (صيف ١٢٨٩ م) .

٢ – الشابُّ الظريفُ شاعرٌ رقيقٌ مُقَصِّدٌ ومُوَشِّـحٌ . وشعرُه رشيقُ الألفاظِ سهلٌ على الحُفّاظ ، وإنْ كان لا يخلو أحياناً من الكَلِماتِ العاميّة . وفي شعرِه كثيرٌ من أوجه الصناعة . وأكثرُ شعرِه النسيبُ والغزَل والأغراضُ الوجدانية العارضة (ومُعْظَمُه مُقطّعاتٌ قصيرة) . وله أيضاً مدحٌ وشيءٌ من الرثاء . وله شيء من البديعيّات في مدح الرسول . وله نثرٌ منه خطب ومقامات .

٣ – مختارات من شعره

– قال الشاب الظريف في النّسيب من قصيدة له مشهورة :

لا تُخْفِ ما فعلتْ بك الأشواقُ ، واشْرَحْ هواك فكلّنا عُشّاقُ !
قد كان يخفى الحبُّ لـولا دمعُك الـ جاري ولـولا قلبُك الخفّــاق .
فعسى يُعينُكَ من شَكَوْتَ له الهـوى في حمليِه ، فالعاشـقون رِفـاق .

(١) لم تستوطن الدراهم (لم تسكن) في كفي يوماً .

لا تَجزَعَنَّ فلستَ أوّلَ مُغْرَمٍ فتكَتْ بِه الوَجَناتُ والأحداق.
واصْبِرْ على هَجْرِ الحبيب فربّما عادَ الوِصال ، وللهوى أخلاق[1] .

— وله في الغزل أيضاً :

للعاشقين بأحكامِ القضاء رِضا ؛ فلا تكنْ ، يا فتىً ، بالعَذْلِ معترضا .
روحي الفِداءُ لأحبابي وان نَقَضوا عهدَ الوفيِّ الذي للعَهْد ما نقضا .
قِفْ واستمعْ سِيرةَ الصبِّ الذي قتلوا فماتَ في حُبِّهم لم يَبْلُغِ الغرضا :
رأى فحبَّ فرامَ الوصلَ فامتنعوا فسامَ صبراً فأعْيا نيلَه فقضى[2] .

— وله في التورية :

قامت حروبُ الزَّهْرِ ما بين الرياض السُّنْدُسيه ؛
وأتت جُيوش الآسِ تغـ زو روضة الورد الجَنيّه .
لكنّها كُسِرَتْ ، لأنَّ الوَرْدَ شَوْكتُه قويه[3] !

٤ — ديوان الشابّ الظريف ، بيروت[4] ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤هـ ؛ (بنفقة لطف الله الزهّار صاحب المكتبة الوطنية) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٥ م ؛ (تحرير محمّد سليم الانسي) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٣١٠ هـ ؛ (حقّقه شاكر هادي شاكر)، النجف (مطبعة النجف) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

مقامة (ملحقة بديوان التلعفري) ، بيروت ١٣١٠ ؛ دمشق ...

* الوافي بالوفيات ٣ : ١٢٩ — ١٣٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٩ ؛ العبر ٥ : ٣٥٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٠٥ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٠ ، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٢٩ — ١٣٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢١؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٧٦٦ . (الطبعة الثانية) ٣ : ٦٩٧

عفيف الدين التلمساني

١ — هو عفيفُ الدينِ سُليمانُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ عَليٍّ التِلِمْسانيُّ

(١) للهوى (العشق ؛ المقصود: للمشوقين) أخلاق (متقلبة : تغضب حيناً وترضى حيناً آخر ، أو ترفض مرة وتقبل مرة أخرى) . (٢) سام : طلب . قضى : مات .

(٣) الشوكة: نتوء حاد فيجوانب الاغصان(في بعض الشجر والنبات) ، والشوكة القوة والبأس، والشوكة السلاح

(٤) يبدو أنه طبع في بيروت بضع مرات : ١٢٧٢ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٥ هـ (لعل الاخيرة منها هي الموسومة : ديوان الشاب الظريف ، طبعة جديدة منقحة مصححة مضافاً اليها ما عثرنا عليه من نظمه المتفرق في دواوين الادب ، بعناية ونفقة المكتبة الاهلية — بيروت ، بلا تاريخ . غير أن اسم المكتبة مخطوط وتحته تاريخ خطه ١٣٢٤ هـ) .

الكُومي[1] ، وُلِدَ سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) في تِلِمْسانَ وفيها نشأ وتلقّى الطريقةَ الصوفيةَ .

طاف عفيفُ الدينِ التِلِمْسانيُّ في الأرضِ ثمّ جاء الى القاهرةِ (حيثُ وُلِد ابنُه الشابُّ الظريفُ، سَنَةَ ٦٦٠ هـ) . ثمّ إنّه زارَ بلادَ الروم (آسِيَةَ الصُغرى) وتلقّى الطريقةَ (المَوْلَوِيَّةَ ؟) على صَدرِ الدين أبي المعالي مُحمّدِ بنِ اسحاقَ القُونَوِيِّ (ت٦٧٢ هـ) . ثمّ انتقلَ إلى دِمَشْقَ ، ربّما سَنَةَ ٦٧٢ هـ أيضاً ، فعُيِّنَ فيها مُباشراً لاستيفاء أموالِ الخزينة .

وكانتْ وفاةُ عفيفِ الدينِ التِلِمْسانيّ في خامسِ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٠ هـ (٤/ ٧/ ١٢٩١ م)..

٢ـ كان عفيفُ الدينِ التِلِمسانيّ ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً . أما شعرُه فسَهلٌ ينوء أحياناً بالضَعْفِ الذي ينوءُ به الشعرُ الصوفيّ عموماً. وأغراضُ شِعرِه هي الأغْراضُ الصوفية. ثم إن له عدداً من المَقامات وعدداً من التصانيف منها : شَرحُ المواقف (في التصوّف) لمحمد بن عبد الجبار النِفَّريّ (ت نحو ٣٦٠ هـ) ـ شَرْح القصيدة النفسية (العينية) لابن سينا ـ شرحُ منازل السائرين (في التصوف) لابي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري الهرويّ (ت ٤٨١ هـ) ـ رسالة في شرح الأسماء الحسنى ـ رسالة في علم العَروض .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال عفيف الدين التلمساني في المعاني الصوفية :

وقفنا على المَغْنى قديمـاً فما أغنى ، ولا دلّتِ الألفاظُ منه على مَعنى .
وكم فيـه أمسَيْنا وبِتْنا بربْعـهِ حَيارى ، وأصبحنا حيارى كما بتنـا !
ونَلْثِمُ تُرْبَ الارض أنْ قد مَشَتْ به سُلَيْمى ولُبْنى ، لا سليمى ولالبنى[2] .
نناديِ مناديهـم ونُصغي الى الصَدى، فيسألنا عنهم بمثـل الذي قُلنـا !

ـ وله في مثل هذا المعنى :

لا تَلُمْ صَبوتي ، فمَنْ حَبّ يصبو ؛ انّما يَرْحَمُ المُحِبَّ المُحَـبُّ .

---

(١) كومية قبيلة ضعيفة من قبائل المغرب .

(٢) سليمى ولبنى المعبر باسم كل واحدة منها عن (بعض مظاهر) العزة الالهية ، لا سليمى ولبنى من النساء.

كيف لا يُوقِدُ النسيمُ غرامي ، وله في ديار ليلى مَهَبٌّ ؟
ما اعتذاري اذا خَبَتْ لِيَ نارٌ وحبيبي أنوارُه ليس تَخْبو !

٤ ـ ديوان[1] عفيف الدين التلمساني ، بيروت ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٦ م) ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤ ﻫ ؛ القاهرة ١٢٨٧ ﻫ ؛ مصر (المطبعة اليوسفية) بلا تاريخ : ١٢٨١ ﻫ (؟) ؛ بيروت ١٨٨٥ م، (١٣٠٤ ﻫ) ؛ ١٨٨٩ م (١٣٠٨ﻫ) ؛ مصر « ديوان اللوذعيّ..... » ١٢٨١ ، ١٣٠٨ﻫ ؛ بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٢٥ ﻫ .

مقامة العشّاق ، دمشق......

** فوات الوفيات ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ؛ العبر ٥ : ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤١٢ ـ ٤١٣؛ بروكلمان ١ : ٣٠٠ ، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٣٠ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٣ .

الموصليّ صاحب الموشّحات

١ ـ هو شِهابُ الدين أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ المَوْصليُّ ، يبدو أنّه عاش مُدّةً في الشامِ ومَدَحَ الملكَ المنصورَ ناصرَ الدين محمّدَ بنَ الملكِ المنصورِ محمودٍ (٦٣٢ ـ ٦٨٣ ﻫ) صاحب حماةَ .

٢ ـ كان شهابُ الدين الموصليُّ أديباً ناثراً شاعراً توفّر على نظم الموشّحاتِ . والذي يبدو أن مُعْظَمَ موشّحاتهِ تقليدٌ ، ولكنّ له ألفاظاً جميلةً وتراكيبَ سهلةً ومعانيَ قريبة .

٣ ـ مختارات من موشّحاته

ـ عارَضَ شُهابُ الدين الموصليُّ موشّحةَ الأعمي التُطيليّ الأندلسيّ :

ضاحكٌ عن جُمانْ سافرٌ عن دُرّْ[2] ،
ضاقَ عنه الزمانْ وحواه صدري .

---

(١) يبدو أن دواوين التلعفري (راجع ، فوق ، ص ٦٤٠) والشاب الظريف وعفيف الدين التلمساني كانت تطبع معاً . ومن هنا جاء الغموض في الاشارة الى طبعاتها .

(٢) الجمانة : الدرة (اللؤلؤة) الكبيرة . ضاحك عن جمان (أسنانه مثل اللؤلؤ) . سافر : كاشف (وجهه) عن در (عن لون أبيض كلون الدر ، أي اللؤلؤ) .

فقـــال :

باسمٌ عــن لآلْ ناسمٌ عن عِطْـرِ،
نافـرٌ كالغـزالْ ســافرٌ كالبـدرِ[1].

*

أيُّ بـدرٍ ربيبْ لِيَ فيـه أرَبْ،
ذو رُضابٍ ضَريبْ للطِـلا والضَـرَب.
يــا له من حبيــبْ ضاحكٌ عن حبَبْ[2].
باخـلٌ بالوِصــالْ ســامحٌ بالهَجْـرِ،
لِيَ أبقــى الخبــالْ حين أفنــى صبري[3].

*

أغيـدٌ إنْ رنــا سلّ بِيضَ الصِفاحْ،
واذا مــا انْثَنــى هزّ سُمْرَ الرِمــاحْ.
لِقتــالي دَنــا؛ ذا أميـرُ السِلاحْ[4].
ضــاربٌ بالنِصــالْ طــاعنٌ بالسُمْرِ،
راشــقٌ بالنبــالْ نافــثٌ للسِـحْرِ[5].

— وقال يُعارِضُ موشّحةَ ابنِ سناء المُلْك (راجع، فوق، ص ٤٥٢):

جَلّلي، يا راحُ، كأسي؛ ولها كَلّلي * بالحُلى سِوارَها ثمّ لهــا خلْخلي[6].

---

(١) لآل جمع لؤلؤة. ناسم: تصدر عنه نسمة (تحمل رائحة طيبة).

(٢) البدر (محبوب جميل) ربيب (صغير السن). أرب: حاجة (حب). الرضاب: الريق ما دام في الفم. ضريب: شبيه. الطلاء: الخمر. الضرب: العسل. الحبب: الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر. ضاحك عن حبب (أسنانه تشبه الحبب).

(٣) الخبال: فساد العقل، الجنون.

(٤) أغيد: جميل. رنا: نظر. سل بيض الصفاح (ظهرت خدوده كالصفاح: متون السيوف البيض). انثنى: تمايل. هز سمر الرماح (قامته طويلة رشيقة معتدلة كالرمح).

(٥) النصل: السيف. السمر: الرماح. نافث: نافخ.

(٦) جللي: غطي. الراح: الخمر. الكأس (كأس الخمر). كللي: اجعلي لها اكليلا. الحلى: أسباب الزينة كالعقود... خلخلي: اجعلي لها خلخالا. — املأي يا خمر كأسي ثم اجعلي لها من حبابك (فقاقيعك) ولونك اكليلا وسواراً وخلخالا.

من غُرَرْ   حَبابُكَ المنظوم مثل الدُرّْ ؛
بالخَمَرْ[1]   كأنّه الياقوت فوق الجَمْرِ ؛
والزَهَـرْ   في الروضِ أمثالُ النُجوم الزُهْرِ[2] .
فانقلي من دَنّكِ المختوم بالمَنْدَلِ * وأرسلي طيبَ النَدى معْ نَسْمَةِ الشَمْا[3] .
٤ ـ * * المنهل الصافي ١ : ٢٥١ ـ ٢٦٣ .

بهاء الدين الاربلـيّ

١ ـ هو بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الأميرِ فخرِ الدين عيسى (ت ٦٦٤ هـ) ابن أبي الفَتْحِ بن هِندي الشَيْباني الإرْبِلي الهكّاريّ ، نِسبةَ الى الهكّاريّة (موضعٍ شَمالَ المَوْصِلِ في جزيرةِ ابن عُمَرَ) ، وُلِدَ في إرْبِلَ ـ حيث كان أبوه والياً ـ بُعيدَ سَنَةَ ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلبِ ونشأ في إرْبِلَ أيضاً وتلقّى العلم على نَفَرٍ منهُم الحافظُ أبو عبد الله الكَنْجيّ (ت ٦٥٧ هـ) ورضيُّ الدين عليُّ بـنُ طاووسٍ (ت ٦٦٤ هـ) وتاج الدين أبو طالب عليُّ بنُ أنجبَ الشَهْرَياني البَغْداديُّ (ت ٦٧٤ هـ) وكمال الدين أبو الحسن عليُّ بنُ وضّاحٍ الحنبليّ (ت ٦٧٢ هـ) ورشيدُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ القاسمِ .

وبعدَ سَنَةَ ٦٥٧ هـ هاجرَ بهاءُ الدينِ الى بَغْدادَ وسَمِـعَ فيها نَفَراً من عُلمائها . ثمّ اتّصلَ بعَلاء الدين عطا مَلِكِ الجُوَيني[4] الذي تولّى ديوانَ الإنشاء في نحو ذلك الزمنِ فولاّه عطا مَلِكِ الكِتابةَ في الديوان . وفي سَنَةِ ٦٦١ هـ أصبحَ عطا ملكٍ والياً على بَغْداد ، ثمّ تولّى الوزارةَ في تلك السَنَةِ نفسِها . ويبدو أن الصِلة بينَ بهاء الدين وعطا ملك كانت قد فَتَرَتْ في نحو ذلك الزمن[5] ايضاً . ولعلّ

---

(١) الخمر (بفتح ففتح) : الشيء الذي يستر (يخفي) شيئاً آخر . (صلة « بالخمر » بما قبلها وبما بعدها غامضة) .

(٢) الغرر : جمع غرة : مقدم الشعر في الرأس ، مقدم الجبهة (كناية عن البياض). الخمر : ...؟ الياقوت أحمر . الزهر بفتح الهاء : الزهر (بسكون الهاء) . الزهر (بضم الزاي) : النجوم .

(٣) الدن : خابية الخمر . المندل : خشب طيب الرائحة . الشما = الشمأل : ريح الشمال .

(٤) كان علاء الدين عطا ملك مؤرخاً (توفي في رابع ذي الحجة من سنة ٦٨١ = ٢٨٣/٣/٤ م).

(٥) ذكر عبد الله الجبوري (رسالة الطيف ١٤ ـ ١٥) أن علاء الدين الجويـني تولى الوزارة ٦٨٧ هـ . وفي فوات الوفيات (٢ : ٨٣ ـ ٨٤) : « ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان . ثم انه فترت سوقه في دولة اليهود . ثم تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب » .

بهاء الدين الإرْبليّ قد تَرَكَ ديوانَ الإنشاء في زَمَنٍ باكرٍ ثمّ اعتزلَ في بيتِه الى حينِ وفاتِه في سَنَةِ ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م).

٢ — كان بهاءُ الدين الاربليُّ أديباً مُتَرَسِّلاً شاعراً ومُصَنِّفاً. وشعرُه مديحٌ ورثاء وغَزَل ووَصْف وخمر وشيءٌ من المُجون. وله مدائحُ في آلِ البيتِ. ومعَ تكلّفهِ فإنّ على شعرِه رونقاً ورقّةً وعُذوبة. ثمّ له من التآليف: رسالة الطَيْف — كَشف الغُمّة في معرفة الأئِمّة — التذكرة الفخرية — نُزهة الأخبار في ابتداء الدنيا وقدر القويّ الجبّار — مقامات — رسائل — جلوة العشاق وخَلْوة المشتاق.

قلّد الإربليّ في «رسالة الطيف» كتابَ الشريفِ المُرتضى «طيف الخيال» فوصف فيه أحوالَ العاشقين من السَهَر والاشتياق وقِصَرِ ليلِ الوِصال وحديثِ النساء ووصف الخال والرُسلِ بين المحبّين، ثمّ استشهد على ذلك كلّه بمختاراتٍ من النثر والشعر. ومع أن مُعْظَمَ الكِتاب مختاراتٍ من المقطّعات الشعريّة وأبياتَ الشعر فانّ المؤلّف قد رَبَطَ بين تلك المختارات بأسلوب مُثْقَلٍ بالصِناعة ولكنّه ينكشف أحياناً كثيرةً عن مقدرةٍ وجَمالٍ.

٣ — مختارات من آثاره

— قال بهاءُ الدينِ الاربليُّ في الراح (الخمر) والغزل والمُجون:

طافَ بها، والليلُ وَحْفُ الجَناحْ، بدرُ الدُجى يَحْمِلُ شمسَ الصباحْ[١].
وفـازَ بالـراحةِ عُشّـاقُه لمّا بدا في كَفّهِ كأسُ راحْ.
ظبيٌ من التُرْكِ لـه قامةٌ يُزْري تَثَنّيها بسُمْرِ الرِماح[٢]:
عارِضُه آسٌ، وفي خـدّهِ وردٌ نضيرٌ، والثنـايا أقاح[٣].
عاطَيْتُه صَهْبـاءَ مَشْمولةً تجلى سَنا الصُبْحِ إذا الصُبْحُ لاح[٤]؛
فسكّنت ثـورتَه، وانثنـى فظل طوعي بعد طول الجِمـاح[٥].

---

(١) طاف بها (بالخمر). وحف الجناح: (الليل) أسود الجوانب. شمس الصباح: الخمر.

(٢) أزرى شيء بشيء: عابه، نقص من قيمته. الرمح الاسمر: الذي جف واسمر وأصبح ينثني ولا ينكسر.

(٣) العارض: جانب الوجه. آس: كالاس أخضر (أسود، لأن العرب يقولون للأسود أخضر، كما يقولون للأخضر أسود). نضير: غض، طري (لم يجف). الثنايا: الاسنان. أقاح كالأقاح (بيضاء).

(٤) عاطيته: شربت الخمر معه. صبهاء: حمراء (خمر). مشمولة: مبردة. تجلى (كذا في الاصل)، اقرأ: تجلو سنا الصبح: يعلو ضوؤها على سنا (ضوء) الصبح.

(٥) الجماح: النفور، المقاومة.

فبِتُّ لا أعْرِفُ طِيبَ الكَـرى ، وبات لا يُنْكِر طيب المُزاحْ[1].
فهل عـلى من بـاتَ صَبّاً بـهِ ـوإنْ نَضا ثَوْبَ الوَقارِ ـ جُناحْ[2]!

ـ وله في رسالة الطيف (ص ٦٠ ـ ٦١) :

ولي طبيعةٌ تصبو إلى زمنِ الربيع وتَتَشوّفُ الى النبات المُريع[3] ، أجِدُ من نفسي نشاطاً في أيامِهِ ويَهيجُني نَشْرُ رَنْدِهِ وخزُامِهِ وابتهج ببانهِ وعَراره ، وأطرَبُ لدِرْهمه وديناره[4] ، وأسْتَنْشي رَيّاهُ ويَشُوقُني مُحَيّاه ، ويَروقُني منظرُهُ ومَخْبَرُهُ ، ويَرِقُّ لي أصيلُه وسَحَرُهُ[5] ـ ما تَفَتّحتْ أكْمامُهُ إلاّ تحرّكَ وَجْدُ القلبِ وغرامُه ، ولا فَتّحَ نَوّارَه الاّ أضْرمَ في الحشا نارُهُ[6] :

اتاكَ الربيعُ الطَلْقُ يختـالُ ضاحكاً من الحُسْنِ حتّى كـاد أنْ يتكلّما[7]

٤ ـ كشف الغمّة ، (بشرح محمّد علي الخوانساري)طهران١٢٩٤هـ ؛ (قدّم له جعفر السبحاني التبريزي ـ وعلّق عليه هاشم الرسولي المحلاّتيّ) ، قم ـ ايران (المطبعة العلمية)١٣٨١ هـ ؛ النجف (مطبعة النجف) ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥هـ.

حياة الامامين زين العابدين ومحمّد الباقر (مسلولة من كشف الغمّة) (في سلسلة كتاب الشهر) ، النجف ١٩٥١ م .

رسالة الطيف (تحقيق عبد الله الجبوري) وزارة الثقافة والاعلام ـ مديرية الثقافة العامّة : سلسلة كتب التراث ٩) ، بغداد (المؤسّسة العامّة للصحافة والطباعة) (دار الجمهورية) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

** فوات الوفيات ٢ : ٨٣ ـ ٨٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٣٥ .

---

(١) ـ قضيت الليل كله ساهراً ، ولم يرفض هو تحرشي به !
(٢) نضا : خلع . الوقار : الرصانة . جناح : اثم ، ذنب ، لوم .
(٣) تصبو : تميل ، تشتاق . تتشوف : تتطلع . المريع (من أراع من راع يريع) : (النبات) النامي ، الكثير .
(٤) هاجه يهيجه : حرك غرامه . النشر : الرائحة . الرند والبان شجران . والخزامى والعرار : نبتان طيبا الرائحة . الدرهم والدينار : الزهر الابيض والزهر الاصفر (الملون) .
(٥) استنشي : أحب أن أشم . ريا : رائحة . يشوقني ، شاقني : هاجني ، حركني ، جذبني . محياه : وجهه (وجه الربيع : وجه الارض المملوء بأنواع الزهر) . راقني : حسن في عيني . مخبره : اختباره (رائحة زهره وطيب نسيمه ، الخ) . رق أصيله (مساؤه قبل الغروب) وسحره (صباحه بعد الفجر) : طاب ، وافق نفسي .
(٦) تفتقت أكمامه : تفتحت أزهاره . الوجد : الحب ، الشوق . النوار : الزهر الابيض . الحشا : القلب .
(٧) البيت للبحتري ويتلوه في الأصل أبيات . الطلق : الضاحك .



ابن عبد الظاهر

١ — هو عبدُ الله بنُ عبدِ الظاهرِ بنِ نَشوانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بن نَجْدَةَ الجُذاميُّ المِصْريّ ، وُلِدَ في القاهرة في المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٢٠ هـ (شباط — فبراير ١٢٢٣ م) . وقد تَلقّى العِلْم على أبيه عبدِ الظاهر (ت ٦٤٦ هـ) — وكانَ مُقرِئاً ضريراً عالماً بالقراءاتِ بارعاً في علوم اللغة العربية — ثمّ سَمِعَ من جعفرٍ الهَمْدانيّ وعبدِ الله بنِ اسماعيلَ بنِ رَمَضانَ ويوسفَ بنِ المخيليّ . وتولّى ديوانَ الإنشاء في أيامِ الظاهر بَيْبَرْسَ . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م) .

٢ — كان ابنُ عبدِ الظاهرِ كاتباً مُتَرَسِّلاً بليغاً له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ إخوانيةٌ ، وكانَ يَسْلُكُ في رسائلهِ طريقةَ القاضي الفاضل . وقد وَضَعَ كثيراً مِنَ اصطلاحاتِ الإنشاء كما أشاعَ الروحَ الإسلاميةَ في رسائله ، وخصوصاً تلك التي تَتَعلّقُ بالمعارك والفُتوح . وفي شعرهِ خاصّةً معانٍ قليلةٌ وتكلُّفٌ في الصناعة كثيرٌ . وهو يُجيد المُقَطّعاتِ أكثرَ ممّا يُجيد القصائدَ الطوال . ثمّ هو مؤلّف له : الروضة البهيّة الزاهرة في خِطط المُعزّيّة[1] القاهرة — الألطاف الخفيّة في السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية (سيرة الملك الأشرف) — سيرة الملك الظاهر (شعر) — الدرّ النظيم من ترسّل عبد الرحيم (القاضي الفاضل) .

٣ — مختارات من آثاره

— لمّا هزَمَ الملكُ الظاهر بيبرس جموعَ التتار في الشام وطاردهم ثم عبر الفرات وراء فُلولهم قالَ ابنُ عبد الظاهرِ يَصِفُ ذلك :

تجمّعَ جيشُ الشِرْكِ من كلّ فِرْقَةٍ ... وظنّوا بأنّا لا نُطيقُ لهم غَلْبا .
وجاءوا الى شطّ الفُراتِ ، وما دَرَوْا ... بأنّ جِياد الخيلِ تَقْطَعُه وَثْبا .
وجاءتْ جنودُ اللهِ في العُدَدِ التي ... تَميس لها الأبطالُ يومَ الوغى عُجْبا[2] .
فعُمْنا ، بسَدّ من حديدٍ ، سِباحةً ... إليهم ؛ فما اسْطاع العَدُوُّ له نَقْبا[3] ؟

---

(١) الخطط (بكسر الخاء) جمع خطة (بكسر الخاء) : قطع الارض ، أقسام المدينة . المعزية : نسبة الى المعز لدين الله الفاطمي الذي فتحت مصر وبنيت القاهرة في أيامه .

(٢) العدد (بضم العين) جمع عدة (بضم العين) : السلاح . الوغى : الحرب .

(٣) عام : طفا على وجه الماء . بسد من حديد (بسلاح كثير) . فما استطاع العدو له نقبا : اقتباس من قول الله تعالى (١٨ : ٩٧) : عن السد الذي بناه ذو القرنين : « فما اسطاعوا أن يظهروه (بفتح الهاء: يتسلقوا عليه) وما استطاعوا له نقباً (سورة الكهف) . نقبا : خرقاً .

ــ وقال في الحمامة التي يزعم الناس أن غناءها بكاء ، معَ أنّ كلّ ما فيها دليل على الفرح :

نَسَبَ الناسُ للحَمامةِ حُزْناً ؛ وأراها في الحُزْنِ[1] ليستْ هُنالِكْ :
خَضَبَتْ كَفَّها وطَوّقَتِ الجيـ ـدَ * وغنّتْ ؛ وما الحَزينُ كذلك !

ــ وكتب الى ابنه فتح الدين[2] :

ان شِئْتَ تَنْظُرُني وتنظرُ حالَتي ، قابلْ اذا هَـبَّ النسيمُ قَبولا[3] ؛
تَلْقاهُ مثْـلي رِقّةً ولَطـافة ؛ ولأجلِ قَلْبِـك لا أقولُ عليلا .
فهو الرسولُ إليك منّـي ؛ لَيْتَني كُنتُ اتّخَذْتُ مَعَ الرسولِ سَبيلا[4] !

ــ وكتب الى بعض أصحابه يَسْتَدْعيه الى حَمّام :

هلْ لَكَ ــ أطالَ اللهُ بقاءك إطالةً تَكْرَعُ بها من مَنْهَلِ النعيم وتَتَملّى (منها) بالسعادة تَملّيَ الزَهْرِ بالوَسْميّ[5] والنظرِ بالحسنِ الوسيم ــ في المشاركةِ في حَمّام جَمَعَ بين جَنّة ونار ، وأنواء وأنوار وزُهر وأزهار[6] ، قد زال فيهِ الاحْتشام فكلٌّ عارٍ ولا عارَ . نجومُ جاماتِه لا يَعْتَريها أفولٌ ، وناجمُ رُخامه لا يُغيِّره ذُبول[7] ..... وذلك على يد قَيِّمٍ قَيّمٍ بحقوق الخدمة ، ماهرٍ في مـا يُعامِلُ به أهلَ النعيم من أسبابِ النعمة ، خفيفِ اليدِ مَعَ الأمانة ، موصوفٍ بالمَهابة عند أهل تلك المَهانة[8] . لَطُفَ أخلاقاً حتّى كأنّها عِتـابُ جَحْظَةَ

---

(١) في الاصل : في الحسن ! * قوائم الحمامة حمراء ويكون حول عنقها عادة ريش ملون كأنه عقد .

(٢) يبدو أن فتح الدين كان مريضاً . وعلى كل فقد توفي قبل والده (حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣) .

(٣) هب النسيم قبولا (من الجنوب) .

(٤) « ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا » تضمين من القرآن الكريم (راجع سورة الفرقان ، ٢٥ : ٢٧) .

(٥) الوسمي : المطر في أول الربيع .

(٦) جنة : نعيم . يقال:الحمام نعيم الدنيا . النار (هي النار التي توقد في الحمام) . النوء : الموج (كناية عن الماء الكثير) . الانوار (يكون الحمام مغلقاً وبلا نوافذ ولذلك تشعل فيه الانوار ليلا ونهاراً . الزهر (النجوم) : المصابيح المضاءة فيه ؛ والازهار كناية عن الملاح والحسان من الذين يأتون الى الحمام .

(٧) فكل (موجود في الحمام) عار (بلا ثياب) ولا عار (عيب في ذلك) . الجام (هنا) كيل صغير يغرف المغتسلون به الماء ليسكبوه على أجسامهم . لا يعتريها أفول (غروب) لا يبطل استعمالها . الناجم : النبت ليس له ساق . لا يعتريها ذبول : لا تذوى (تجف وتيبس) ــ لعله يشير الى أشكال من النبات والازهار مرسومة على رخـام (بلاط) الحمام .

(٨) قيم الحمام : المشرف عليه . قيم بحقوق الخدمة : خبير بها (يعتني بالذين يأتون الى حمامه) ، بارع . المهانة ــ امتهان مهنة . تلك المهانة : الإشراف على حمام (العمل في الحمام) .

والزمانِ ، وأحْسَنَ صَنيعَهُ فلا يُمْسِكُ إلاّ بمعروفٍ ولا يُسرِّحُ إلاّ بإحسان[1] ...

٤ – تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور (حقّقه مراد كامل) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦١ م .

نبذ من الجزء الثالث من الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية (نشره موبرغ – مع نقل الى اللغة السويدية) ، لو ند في أسوج ، ١٩٠٢ م .

* عصر المماليك : الترسّل وابن عبد الظاهر ، تأليف محمّد الحبيب بن الخوجه (منشورات كتاب البعث) ، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

فوات الوفيات ١ : ٢٧١ – ٢٨٠ ؛ العبر ٥ : ٣٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٢١ ؛ زيدان ٣ ـ ١٦٧ – ١٦٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٧٩ – ٦٨٠ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٨ – ٣٨٩ ، الملحق ١ : ٥٥١ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٣٢ – ٢٣٣ .

كمال الدين ابن الاعمى

١ – هو كمالُ الدين عليُّ بنُ محمّدِ بنِ المُبارك ، كان أبوه ظهيرُ الدين محمّدٌ الأعمى خطيبَ القُدْسِ . وُلِدَ عليٌّ صاحبُ هذه التَرْجمةِ في أوائلِ القرنِ السابع للهجرة (أوائل الثالث عَشَرَ للميلاد) . وكان مُقْرِئاً في التُربة الأشرفية . وقد عاش طويلاً ثمّ انقطع في آخرِ عُمُرِه الى القَليجية * . وكانت وفاتُه في المُحرَّم من سَنَةِ ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ – ١٢٩٣ م) .

٢ – بدأ كمالُ الدينِ بنُ الأعمى نظمَ الشِعر في أيامِ صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩ – ٥٨٩ هـ) ، وكان ذا اتّجاهٍ صوفيّ . وهو متينُ السبكِ سهلُ التركيبِ عَذْبُ الشِعر ، يَمْزِجُ الجِدَّ أحياناً بالهَزْل . واشتهر بأنه صاحب « المقامة » في صِفات البحرية (المماليك البحرية !) .

٣ – مختارات من شعره

– قال كمالُ الدين بنُ الأعمى يَصِفُ داراً كان يَسْكُنُها :

دارٌ سَكَنْتُ بِها أقلُّ صِفاتِها   أن تَكْثُرَ الحَشَراتُ في جَنَباتِها .

---

(١) جعفلة البرمكي (راجع ٢ : ٤٢٤) يمسك باحسان (يحسن الى الزبائن ما داموا في حمامه) ويسرح باحسان فيها تورية : يسرح لهم شعرهم (وذلك من توابع الاستحمام) ، يسرح : يترك (يودع الزبائن بعد أن يكونوا قد استوفوا جميع شروط الاستحمام) . والجملة مقتبسة من القرآن الكريم ، في سورة البقرة : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان (٢ : ٢٣١) .

الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ والشرُّ دانٍ من جميعِ جهاتِها .
من بعضِ ما فيها البعوضُ — عَدِمتُه — كم أعدَمَ الأجفانَ طيبَ سِناتِها[1] .
وبها ذُبابٌ كالضَّبابِ يسدّ عَيـ ـنَ الشمسِ ؛ ما طرَبي سوى غُنّاتِها[2] .
أين الصوارمُ والقَنا من فتكِها فينا ، وأينُ الأُسْدُ من وَثَباتِها[3] !
وبِها من الجُرْذانِ ما قد قَصَّرتْ عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتِها[4] .
وبها زنابيرٌ تُظَنُّ عقارِباً ، لا بُرْءَ للمَسْموم من لَدَغاتِها .
وبها عَقاربُ كالأقاربِ رُتَّعٌ فينا ، حَمانا اللهُ لَدْغَ حُماتِها[5] .
كيفَ السبيلُ الى النجاة ؟ ولا نجا ةَ ولا حَياةَ لِمَنْ رأى حيّاتِها :
السمّ في نَفَثاتِها ، والمكْرُ في فَلَتاتِها ، والموت في لَفَتاتِها[6] !

٤ — * فوات الوفيات ٢ : ١٠١ — ١٠٥ ؛ العبر ٤ : ٣٧٦ — ٣٧٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٢١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٥ .

سعدي الشيرازي

١ — هو الشيخ مشرّف الدين بن مُصْلِحِ الدين عبدِ الله الشيرازيُّ ، وُلِدَ في مدينة شِيرازَ (إيران) سَنَةَ ٦٠٦هـ (١٢٠٩—١٢١٠م) في الأرجح وفيها نشأ . وكان مُصْلِحُ الدين في خِدمة سَعدِ الأوّل ابنِ زنكي السَّلْغَرِيِّ الذي كان أتابكاً على فارسَ (٥٩٩ — ٦٢٨ هـ) فاتّخذ مشرفُ الدين لَقَباً من اسمِ سَعْدِ بنِ زنكي

(١) السنة (بكسر السين) : النفقوة ، أول النوم ، شدة النوم أيضاً .

(٢) الضباب : الغيم القريب من الأرض . الغنة : مرور الكلام في اللهاة (والأنف) . ما طربي سوى غناتها : ليس لي من وسائل الطرب بالغناء إلا هذا الصوت (المزعج) من الذباب .

(٣) الصوارم : السيوف . القنا : الرماح .

(٤) العتاق الجرد : الخيول الأصيلة (الاجرد : القليل الشعر — من صفات الخيل الاصيلة) . الحملات الهجمات .

(٥) رتع جمع راتع : الذي يأكل ويشرب ما يشاء في سعة من الخصب . وقوله كالأقارب : كناية عن الاطمئنان كأن لها حقاً في مشاركته في مسكنه . الحماة جمع حمة (بضم الحاء وفتح الميم المهملة بلا تشديد) الابرة التي تضرب العقرب (أو النحلة أو الزنبور الخ) بها .

(٦) النفث : النفخ (نفث الحية للسم بعد أن تعض) . الفلتات جمع فلتة : (الحركة) المفاجئة ، يقول : من مكر الحية (حيلتها) أنها تكون كامنة (هادئة) ثم تهجم على فريستها بغتة . والموت في لفتاتها (اذا تلفتت ورأت أحداً !) أو إذا انقلبت لتفرغ السم من انيابها بعد ان تعض .

وعرفَ في التاريخ باسم « سَعْدي » أو سعدي الشيرازي .

انتقل سعدي في مَطْلَعِ شبابه الى بَغدادَ ودخل المدرسة النظاميةَ ليتلقّى فيها العلمَ . ويبـدو أنّ ميْلَه كان ، في مطلع حيـاته ، الى الفقهِ والتصوّف فحضَر دُروسَ الشهاب السُهْرُوَرْديّ (ت ٦٣٢هـ) وسِبْطِ ابن الجَوْزيّ (ت ٦٥٤ هـ) وغيرِهما من رِجالِ التصوّف خاصّةً . ثمّ إنّه عاد الى شيراز فلم يَطِبِ المُقام له فيها لاستمرارِ الاضطراب السياسيّ فأخذَ يتطوّف في الارض : زارَ الهندَ والحِجاز وحجّ مِراراً ثمّ استقرّ حيناً في دمشق وزارَ بلادَ الروم (آسيةالصغرى). بعدَئذ عادَ الى شيرازَ حيثُ تُوُفّي سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ – سعدي الشيرازيّ من كِبارِ شعراء الفرسِ ، وُجْدانيُّ الأغراض حُلْوُ الألفاظ رقيقُ النظم يَجْري في شعرِه مَجْرى القَصَصِ . أمّا أغراضُه فهي الغَزَلُ خاصّةً والأدبُ (الأمثالُ والحِكَم) . وله نثرٌ في أعلى طَبَقاتِ الجَوْدة . وقد كَتَبَ سَعدي ونَظَمَ في اللغتين الفارسية والعَرَبية[1] . ويَغْلِبُ الاتّجاه الصوفيّ على جميعِ آثارِه ، وإنْ كنّا لا نَستطيعُ أن نُسَمّيَه مُتَصَوِّفاً .

ولسعدي الشيرازيّ ثلاثةُ مجاميعَ من الشعر : كُلستان (حديقة الورد : وفيه نثر وشعر باللغتين الفارسية والعربية) وبوستان (البستان : الحديقة) وكلّيّات . وفي « كلّيّاته » قصائدُ فارسيةٌ وقصائدُ عربيةٌ ومُلمّعاتٌ (راجع ، فوق ، ص٦٢٢) ورُباعيّاتٌ (راجع ، فوق ، ص ٢٥١) ومَراثٍ وغَزَليّاتٌ وهَزْليّات . وله أيضاً رسائلُ إخوانيةٌ وكتاب« بند نامه » (كتاب النصائح) .

٣ – مختارات من شعره

– قال سَعْدي الشيرازي في معنىً بينَ الغزل والتصوّف[2] بالعربية :

يا نديمي ، قُـمْ بِلَيْلٍ واسْقِني واسْقِ النَدامى[3] .
خلّني أسهَرُ لَيْلي ، ودَعِ الناسَ نِيـاما .
اسْقِيـاني ، وهديـرُ الر عدِ قد أبْكـى الغماما ،
في أوانِ كشف الـ وردُ عن الوجـه اللّثاما[4] .

---

(١) Huart, A Hist. of Arabic Lit. 111.

(٢) الكشكول (تحقيق طاهر أحمد الزاوي)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م) ، ١ : ٢٦٣ ، ٢ : ٢٨٧.

(٣) الندامى (جمع نديم) : الذين يشربون الخمر معاً .

(٤) أوان : زمان ، زمان الربيع . كشف الورد (بظهوره) عن وجه الارض (الذي كان مغطى بالثلج).

أيُّهـا المُصْغي إلى الـزُّ هـَّاد ، دَعْ عنك النيـاما[1] .
فُزْ بهـا من قبْـلِ أن يَجْعلكَ الدهرُ حُطاما[2] .
قلْ لمن عيَّر أهلَ الـ حُبِّ بالحـبِّ ولامـا :
لا عرَفْتَ الحُبَّ ـ هيهـا تِ ـ ولا ذُقْـتَ الغراما[3] !
لا تلُمْني في غُـلامٍ أوْدَعَ القلـبَ سَقاما[4] .
فبِداء الحُـبِّ كم مـن سيِّدٍ أضحـى غُلاما[5] .

ـ لسعدي شعرٌ فيه كثيرٌ من الحِكمة وقليلٌ من التصوّف ، منه[6] :

فاقَ طينُ الأوطـانِ عَرْشَ سُليما نَ وأشْواكُه على الرَّيْحانِ .
يوسفٌ ـ وهْوَ مَلْكُ مِصْرٍ ـ تمنّى أن يكـونَ الشحّاذَ في كَنْعـانِ .

ـ ولسعدي شِعْرٌ باللغة العربية منـه :

أشاهدُ مَـنْ أهوى بغيرِ وسـيلةٍ فيَلْحقُني شأنٌ أضلُّ طريقا ؛
يُؤَجِّـجُ ناراً ثمّ يُطْفـي برَشّةٍ ، لذاكَ تراني مُحْرَقـاً وغَريقا !
• يُهاجُ إلى صوتِ الأغـاني لطيبه ، وأنت مُغَنٍّ إنْ سكَتَّ تطيبُ !
• انّي لَمُسْتَتِرٌ عن عينِ جيراني ، واللهُ يعلَمُ إسراري وإعلاني .
• فقدتُ لذيذَ العيشِ . والمرء جاهـلٌ بِقَدْرِ لذيذِ العيشِ قبلَ المصائبِ !

ـ لمّا اجتاحَ التتارُ بَغدادَ سنَةَ ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، قال سَعْدي الشيرازيّ يرثي أميرَ المؤمنين المستعصم بالله العبّاسيّ ويأسى لخراب بغداد في قصيدة عربية منها :

حبَسْتُ بجفْنَيَّ المدامِـعَ لا تجري ، فلمّا طغى الماءُ استطالَ على السكْرِ[7] .

---

(١) النيام : النوم .
(٢) بها : بالخمر ! .... قبل أن تشيخ .
(٣) ما عرفت .... : أنت لم تعرف في حياتك الحب (الالهي) ؛ لا عرفت .... : أدعو عليك ألا تعرف هذا الحب العظيم اللذيذ . (٤) غلام : محبوب .
(٥) غلام : عبد .
(٦) هذان البيتان بالفارسية ، وقد نقلها المؤلف الى العربية .
(٧) طغى الماء : عظم وفاض وغطى كل شيء . استطال : قوي ، استولى ، استبد . السكر (بفتح السين وبكسرها أيضاً) السد على النهر (القاموس ٢ : ٥٠) .

نسيمُ صَبا بَغدادَ بعد خرابِهـا تمنّيت لو كانت تمرّ[1] على قبـري ،
لأنّ هلاكَ النفسِ عند أولي النُهى أحبُّ له من عيشِ مُنقبِضِ الصدر[2] .
زجرتُ طبيباً جسّ نَبْضي مُداوياً : إليك ، فما شكوايَ من مَرَضٍ تُبري[3] .
تُسائلُني عمّا جرى يوم حَصْرِهِم ، وذلك ممّا ليس يدخُلُ في الحَصْر[4] :
أُديرتْ كؤوسُ الموتِ حتّى كأنّما رؤوسُ الأسارى تَرْجَحِنُّ من السُكر[5] .
نوائبُ دهرٍ ليتَني مِتُّ قبلَهـا ولم أرَ عُدوانَ السَفيه على الحَبْر[6] .
أيا ناصِحي بالصبر ، دَعْني وزَفْرتي ؛ أموضعُ صبرٍ والكبودُ على الجمـر[7] !
وَقَفْتُ بعَبّـادانَ أرقُبُ دِجلةَ كمثلِ دمٍ قانٍ يسيلُ الى البحر[8] .
ولا تسألاني كيف قلبُك والنَـوى ؛ جَراحةُ صدري لا تُبيَّنُ بالسَبْر[9] .
وهَبْ أنّ دارَ المُلكِ تَرْجِـعُ عامراً ويُغْسَلُ وَجهُ العالمين من العَفْر[10] ،
فأينَ بنو العبّاسِ مفتخرو الوَرى : ذَوُو الخُلُقِ المَرْضيِّ والغُرَرِ الزُهْر[11] ؟
غدا سَمَراً بينَ الأنامِ حديثُهم ؛ وذا سَمَرٌ يُدمي المسامع كالسَمْر[12] .
وفي الخَبَرِ المَرْويِّ : دينُ محمّدٍ يعودُ غريباً مثلَ مبتدإ الأمر[13] .

---

(١) كانت (كذا في الأصل) ، ولو قال مكان ذلك «أن كان مر» لظل الوزن صحيحاً وكان أصح في المعنى .

(٢) أولي النهى : أصحاب العقول . أحب له (يجب أن تكون « أحب اليهم ») . من عيش (رجل) منقبض الصدر (حزين) .

(٣) اليك (عني) : ابتعد عني : تبرى = تبرىء (تستطيع أنت أن تشفيه) .

(٤) حصرهم = محاصرتهم . ليس يدخل في الحصر : لا يمكن إحصاؤه .

(٥) ارجحن : مال ، اهتز . (٦) الحبر (بفتح الحاء) : الرجل العالم .

(٧) الكبود والأكباد جمع كبد (بفتح فكسر). أموضع صبر : أهذا أمر يمكن الصبر فيه (المصيبة كبيرة جداً) .

(٨) عبادان جزيرة في خليج البصرة . قان وخان (في الفارسية) : دم . دم قان : دم شديد الحمرة .

(٩) النوى : البعاد . السبر : قياس عمق الجرح بالمسبار (آداة كالمسلة) يقيس الطبيب بها عمق الجرح. جراحة صدري : الجرح المعنوي (لا يعرفه الأطباء .)

(١٠) ترجع (شيئاً) عامراً : تعود عامرة . العفر (بفتح ففتح أو بفتح فسكون) : التراب . يغسل وجه العالمين من العفر (من الذل) .

(١١) الغرر جمع غرة : مقدم الرأس . الزهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء . ذوو غرر زهر : أصحاب جمال ومجد.

(١٢) السمر : حديث يتسلى به المجتمعون ليلا . السمر : شك العين بمسمار .

(١٣) الخبر المروى : حديث رسول الله . في الحديث : يعود هذا الدين (الاسلام) غريباً كما بدأ (يقل العارفون به حق معرفته) .

أأغربُ من هـذا يعودُ كما بـدا ؟ وسَبْيُ ديارِ السلم في بلدِ الكُفْر [1] !

لَعَمْرُكَ ، لو عايَنْتَ ليلةَ نَفْرِهِمْ كأنّ العَذارى في الدُّجى شُهُبٌ تَسْري [2] ؛

وإنّ صبـاحَ الأسْرِ يـومُ قيامةٍ على أُمَمٍ شُعْثٍ تُساق الى الحَشْر [3] .

ومُسْتَصْرِخٍ : يا لَلْمُروءةِ ، فانصُروا ! ومن يَنْصُرُ العُصفور بَيْنَ يَدَي النَسْر [4] ؟

إلامَ تصاريفُ الزمـانِ وجَوْرُه تُكَلِّفُنا ما لا نُطيق من الإصر [5] .

إذا شَمِتَ الواشي بمَوْتي، فقُـلْ له : رُوَيْدَك ، ما عاشَ أمرؤٌ أبَدَ الدهر .

إذا كان عند الموتِ لا فرقَ بينَنا ، فلا تَنْظُرَنّ الناسَ بالنَظَرِ الشَزْر [6] .

عفا الله عمّا (قد) مضى من جريمةٍ ومنَّ علينـا بالجميل من الصبر ؛

وصانَ بـلادَ المسلمين صِيانةً بدَوْلةِ سُلطانِ البـلادِ أبي بكر [7] ،

أحَدِّثُ أخباراً يَضيق بها صدري ؛ وأحْمِلُ آصاراً يَنوءُ بها ظهري [8] .

خليليَّ ، ما أحـلى الحياةَ حقيقـةً وأطيَبها ، لولا المَماتُ على الإثر !

٤ – كلّيّات شيخ سعدى... (تصحيح محمّد علي فروغي)، تهران (كتابفروشي محمّد حسن علي) ١٣١٩ .

* ترجمة كلستان ، تعريب جبرائيل بن يوسف (عني بنشره وطبعه ابراهيم مصطفى تاج) ، القاهرة (المطبعة الرحمانية ١٩٢١م ؛ روضة الورد ، ترجمة محمّد الفراتي (نشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي – مديرية التأليف والترجمة ، سلسلة روائع الأدب الشرقي ١) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .

البستان (ترجمه شعرا محمد الفراتي) ، دمشق (منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي) ١٩٦٨ م .

---

(١) ديار السلم : ديار الاسلام .

(٢) النفر : نزول الحجاج من عرفات الى منى (بكسر الميم) في الحج . والنفر أيضاً تفرق الحجاج لرجوعهم الى بلادهم . والمقصود (هنا) : محاولة هرب اهل بغداد من التتار . الشهاب : الكوكب ، الحجر الساقط في الفضاء فاذا دخل جو الارض احترق وأضاء ضياء شديداً . تسرى : تسير ليلا .

(٣) الاشعث : المشوش الشعر (كناية عن انصراف الانسان عن الاهتمام بهندامه اذا كثرت الأعمال عليه واذا نزلت به مصيبة الغ .) الحشر : يوم القيامة (كناية عما فيه من الأهوال) .

(٤) ومن ينصر ...(من يستطيع انقاذ العصفور من بين يدي النسر ؟) . في الأصل : ومن يصرخ .

(٥) إلام (الى أي مدى تستمر) تصاريف الزمان (مصائبه) وجوره (وظلمه) ؟ الأصر (بكسر الهمزة) : الثقل (الأحداث والمصائب) . (٦) النظر الشزر (من طرف العين) كناية عن الغضب أو الحقد .

(٧) أبو بكر هذا لعله أبو بكر قتلغ خان بن سعد (٦٢٨ – ٦٥٨ هـ) من بني سلغر أتابكة فارس ، وكان سعدى يستظل بحمايته (زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ٣٥٠) .

(٨) آصار جمع إصر : ثقل . ناء فلان بالحمل : أثقله ، نهض فلان بالحمل بجهد ومشقة .

روائع من الشعر الفارسي : جلال الدين الرومي – سعدى الشيرازي – حافظ الشيرازي ، ترجمة محمّد الفراتي، نشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي – مديرية التأليف والترجمة ، سلسلة روائع الأدب الشرقي ، رقم ٢) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) بلا تاريخ .
سعدى الشيرازي شاعر الانسانية ، تأليف ، تأليف محمّد موسى هنداوي، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥١ م .
دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٣٦ – ٣٩ .

تقيّ الدين السروجي

١ – هو تقيُّ الدين عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ مُنْجِد بنِ ناجدِ بنِ بركاتٍ، وُلِدَ في سَروجَ من جزيرة ابن عُمَرَ (شَماليَّ الشام والعراق) سَنَةَ ٦٢٧هـ (١٢٢٩ – ١٢٣٠ م) . تلقّى تقيُّ الدين السروجيُّ تِلاوةَ القرآنِ واللغةَ والنحوَ وطَرَفاً من فنون الأدب وأجادها ، ولكنْ غَلَبَ عليه السلوكُ الصوفيّ . وكانت وفاتُه في القاهرة في رابعِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٩٣ هـ (٢٩/ ٦/ ١٢٩٤ م) .

٢ – كان تقيُّ الدين السروجيُّ سالكاً في طريق التَصَوُّفِ مُتَقَلِّلاً من الدنيا يَغْلِبُ عليه حبُّ الجَمال مَعَ العِفّة . وكان شاعراً على المذهبِ الصوفيّ أيضاً مكثراً محسناً أحياناً حتّى كان يُغنّى في بعض شِعره . وكان يُلِمّ بمعاني ابنِ الفارض .

٣ – مختارات من شعره

– قال تقيُّ الدين السروجيّ يتشوّقُ الى محبوبهِ على مذهب القوم (الصوفية) :

أنْعِمْ بوصلِكَ لي ، فهذا وقتُـهُ ؛ ... يكفي من الهِجران ما قد ذُقْتُهُ .
أنفقتُ عُمْرِيَ في هواكَ ، ولَيْتَني ... أُعْطى وُصولاً بالـذي أنفقتـه[1] .
يا من شُغِلْتُ بحُبِّهِ عن غيـرهِ ... وسَلَوْتُ كلَّ الناس حين عَشِقته ،
كم جال في ميدانِ حُبِّك فارسٌ ، ... بالصِدق فيك الى رِضاك سَبَقْته[2] .
أنتَ الذي جمـع المحاسنَ وجهُهُ ، ... لكنْ عليك تَصَبُّـري فرّقته .
قال الوشاةُ : قدِ ادّعى بكَ نِسبةً . ... فسُرِرْتُ لمّا قلتَ : قد صَدّقْتُهُ[3] .

(١) وصول : بطاقة بتسلم المبالغ من الذين يدفعونها .
(٢) – أنا سبقت الى رضاك لأنني أحبك صادقاً مخلصاً (وهم يظنون أنهم يحبونك) .
(٣) سررت لما علمت أنك قلت لهم إنني لا أنتسب اليك (لأنني لا أريد أن يعرفوا ذلك لأنهم لا يفهمون معنى حب الانسان لله – او صدقت دعواه بأنه ينتسب اليّ) .

بالله ، ان سألوك عنّي قُـلْ لهم : عَبْدي ومُلْكُ يدي ، وما اعتَقْتُه[1] ؛
أو قيل : مشتاقٌ إليك ! فقُلْ لهم : أدري بذا ، وأنا الذي شَوّقتُه .
يا حُسْنَ طيفٍ من خيَالك زارني من عِظَمِ وَجْدي فيه ما حقّقته[2] .
فمضى وفي قلبي عليه حسرةٌ ، لو كان يُمْكِنني الرُقادَ لَحِقْتُه[3] !

— وله في التورية في « خالها » و « عمّها » :

بالجانبِ الأيمنِ من خدِّها نُقْطَةُ مِسْكٍ أشتهي شَمَّها[4] .
حَسِبْتُه لمّا بدا خالَها ، وجدتُه من حُسْنه عَمَّها[5] !

٤ — ** فوات الوفيات ١ : ٢٨٢ — ٢٨٩ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٤٣ .

البوصيري

١ — هو الإمامُ شَرَفُ الدين محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ حَمّادِ الصِنْهاجي البُوصيري الدِلاصيّ المِصريّ : نسبةً الى صِنْهاجةَ (إحدى القبائلِ العظيمة في المَغْرب — فلَعَلّ أحدَ أجداده كان منها) والى بُوصيرَ (أو بوصيرِ قوريدسَ أو بوصيرِ الملقِ بينَ الفيّوم وبني سُويفٍ في مِصْرَ — بلدةِ والدهِ) والى دِلاصَ (بلدةِ والدته) . وكذلك رُكّبت له نِسبةٌ من اسم البلدين (بوصير ودلاص) فقيل له الدِلاصِيريُ .

وُلِدَ البوصيريُّ في أول شَوّالٍ من سنَةَ ٦٠٨ هـ (٦/ ٣/ ١٢١٢ م) بناحيةِ دِلاص أو في بَهْشيمَ ، وكلتاهما منْ أعمال البَهْنَسا . ويبدو أنه اتّجهَ منذُ مطلَعِ حياتهِ نحو التصوّفِ فأخذَه عن أبي العبّاس المُرْسي (ت ٦٨٦ هـ) خليفة أبي الحسنِ الشاذِليّ (ت ٦٥٦ هـ) في طريقته . ولكنْ يبدو أن حياتَه في بيتهِ وبينَ الناسِ كانتْ بعيدةً جِدّاً عمّا يدعو اليه التصوّفُ الصحيحُ .

يذكُرُ بروكلمانُ (الملحق ١ : ٤٦٧) أن البوصيريَّ سَكَنَ القُدْسَ عَشْرَ

---

(١) « ما » حرف نفي . ما أعتقته : لم أعتقه . هو لا يزال عبدي .
(٢) — من كثرة حبي وسروري بطيفك (بخيالك في المنام) ما حققته : لم اثبت رؤيته (لم أره بوضوح) .
(٣) أحب أن أنام لأرى طيفك ثانية وأتمل برؤيته ، ولكني لا أستطيع الرقاد (النوم) لأن حبك يشغلني (بفتح الياء والغين) عن كل شيء حتى حرمني النوم أيضاً .
(٤) نقطة مسك : نقطة سوداء .
(٥) بدا : ظهر . خالها (أخو أمها ؛ نكتة سوداء « خال » في وجهها) . عمها : أخو أبيها ؛ من حسنه (بحسنه) عمها (كان عاماً فيها) : كل ما فيها حسن جميل .

سَنَواتٍ. بعدئذٍ انتقلَ الى المدينة ثم قَضَى ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً في مكّةَ يُعَلِّم القرآنَ. ولمّا عادَ إلى مِصْرَ دخَلَ في خِدمةِ الدولة فعُيِّن مباشِراً (كاتباً) في بَلْبَيْس الشرقية، نحو سَنَةَ ٦٥٩هـ، فبقي في خدمة الدولة نحو أربعِ سَنَواتٍ آثرَ بعدَها أن يُنْشِىءَ كُتّاباً لتعليمِ القرآنِ الكريم. ثم إنه جاء الى القاهرة وحاولَ أن يتكسّبَ بالشعرِ فلم يَتِمَّ له ذلك فافتتح كُتّاباً لتعليمِ القرآن. في هذهِ الاثناء كان يتردّدُ على الاسكندريةِ حيثُ كان الشيخ أبو العبّاسِ المُرْسيُّ قد استقرّ.

وأسنَّ البوصيريُّ ثم أدركَهُ الضَعْفَ وتوفّي في المُسْتشفى المنصوري في القاهرةِ، سَنَةَ ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢ ـ كان البوصيريُّ فقيهاً وكاتباً وحاسباً وشاعراً؛ ولكنَّ شهرتَه في الشعر، وفي مدح الرسولِ خاصّةً: له الهَمْزية (٤٥٨ بيتاً) في مدحِ الرسولِ واستعراضِ شيءٍ من تاريخ الدَعْوة الإسلامية الى آخر دولةِ الخلفاء الراشدين. وله البُرْأة أو البُرْدة (ميمية، ١٨٠ بيتاً) في مدح الرسول. قال البوصيريُّ (فوات ٢ : ٢٦٠): «اتّفق أنْ أصابني فالجٌ أبْطَلَ نِصْفِيَ ففكّرتُ في عَمَلِ قصيدتي هذه (البُرْدة) فعَمِلْتُها واستَشْفَعْتُ إلى اللهِ تعالى في أنْ يُعافِيَني، وكرّرتُ إنشادَها وبَكَيْتُ ودَعَوْتُ وتوسَّلْتُ ونِمْتُ. فرأيتُ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ (في المنام) فَمَسَحَ على وَجْعي بيدِه المُباركة وألقى عليّ بُرْدَةً (ثوباً واسعاً يُلْبَسُ فوق غيرِه). فانْتَبَهْتُ ووجدتُ فيَّ نَهضَةً وخرجتُ من بيتي».

وقد أكثَرَ البوصيريُّ من مطالعةِ التوراةِ والإنجيل وعددٍ من كُتُبِ الدين اليهودية والنَصْرانية وردّ على ما فيها مما يُخالِفُ الرأيَ الإسلامي. ونحنُ نَجِدُ ذلك في قصائدِه وفي تعاليقَ له على تلك القصائدِ.

والبوصيريّ ناثرٌ مُترسّلٌ، فقد كان بِضْعَ سنواتٍ في خدمةِ الدولة ثمّ كان أيضاً معلّماً. وللبوصيريِّ تعاليقُ على قصيدتِه اللامية «المخرج والمردود على النصارى واليهود» (الديوان ١٢٧ ـ ١٧١) تَجْري في أسلوبِ مُرْسَلٍ سَهْلٍ لا تكلّفَ فيــه ولكن لا براعةَ خاصّةً تُميّزه.



٣ – مختارات من آثاره

– من الهَمْزية النبويّة :

كيفَ تَـرْقى رُقيَّكَ الأنبيـاءُ ، يا سماءً ما طاولَتْهـا سماءُ[١] !
لم يُساووكَ في عُـلاكَ ، وقد حا لَ سَناً مِنْكَ دونَهـم وسَناء[٢]
انما مَثّلـوا صِفاتِك للنـا سِ كما مثّـلَ النجومَ الماءُ[٣] .
أنتَ مِصباحُ كلِّ فضـلٍ ، فما تَصْـ دُرُ إلا عن ضَوْئك الأضـواء .
لك ذاتُ العلـومُ من عالَمِ الغَيْـ بِ ، ومنهـا لآدمَ الأسماء[٤] .
ما مَضَـتْ فَتْرَةٌ من الرُسْلِ إلاّ بشّرتْ قومَهـا بِكَ الأنبيـاء[٥] ،
تتَباهى بِـكَ العصورُ وتسمـو بك عَليـاءُ بعدَهـا علياء[٦] .

*

ثم قـامَ النبيُّ يدعـو الى اللـ هِ ، وفي الكُفْر نَجْدةٌ وإبـاء[٧] :
أُمَماً أُشْرِبَتْ قلوبُهُمُ الكُفْـ رَ ، فَداءُ الضَلالِ فيهم عَيـاء[٨] .
فبما رحمـةٍ من الله لانـتْ صَخرةُ مـن إبائِهم صَمّاء[٩] ؛
واستجابتْ لـه بنَصْرٍ وفَتْحٍ بعدَ ذاك الخَضْراء والغبراء[١٠] .

(١) – كيف يستطيع الانبياء أن يرقوا (بفتح القاف) مثلك (في السماء – ليلة الاسراء والمعراج) ؟ طاولتها : بلغت مثل طولها ، استطاعت أن تجاريها .

(٢) السنا : النور ، الضوء . السناء : العلو ، الارتفاع .

(٣) – الانبياء فيهم من صفاتك خيالها (كما يظهر خيال النجوم في صفحة الماء) .

(٤) – ان الله أنزل عليك جميع العلوم بحقائقها ، بينما الله لم يعلم آدم (أبا الانبياء) الا اسماء تلك العلوم . – في سورة البقرة : « وعلم (الله تعالى) آدم الأسماء كلها ..... (راجع ٢ : ٣١ وما بعدما) .

(٥) – كلما جاءت فترة (مدة ضل فيها الناس عن الحق) أرسل الله نبياً يبشر قومه ويحثهم على أن يصبروا لأن الله سيبعث محمداً خاتماً للرسل حتى يهدي الناس جميعاً .

(٦) علياء : المكان المرتفع ، السماء ، الشرف . بعدها : فوقها .

(٧) نجدة : قوة وشجاعة . إباء : كره ومقاومة (للحق) .

(٨) أمماً مفعول به للفعل « يدعو » (في البيت السابق) . اشربت قلوبهم الكفر : امتلأت بالكفر . عياء : لا دواء له .

(٩) صماء : قاسية. فبما رحمة من الله لانت : اقتباس من قوله تعالى مخاطباً محمداً صلى الله عليه وسلم : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك » (٣ : ١٥٨ – آل عمران) .

(١٠) الخضراء : السماء . الغبراء : الارض . – تبعه أهل السماء (الملائكة) وأهل الأرض (الناس) ؛ أو : نزل عليه النصر من السماء وفتح بلاد الارض ونشر فيها الاسلام .

وأطاعتْ لأمرِهِ العَرَبُ العَرْ باءُ والجاهليةُ الجهلاءُ[1] ،

وتوالتْ للمُصْطفى الآيةُ الكُبْـ ـرى عليهم والغارةُ الشعواءُ[2] ؛

فاذا ما تلا كتاباً من اللـ ـه تَلَتْهُ كتيبةٌ خضراءُ[3] .

— من البرأة (البردة) :

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مزَجْتَ دَمْعاً جرى من مُقْلَةٍ بِدَمِ[4]

مَحَضْتَنِي النُصْحَ لكنْ لَسْتُ أسمعُهُ ، إنّ المُحِبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ[5] ؛

فإنّ أمّارتي بالسُوءِ ما اتّعظتْ من جهلِها بنذيرِ الشَيْبِ والهَرَمِ[6] .

مَنْ لي بردِّ جِماحٍ من غَوايتِها كما يُرَدُّ جِماحُ الخيلِ باللُجُمِ[7] ؟

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شَهوتِها ؛ إن الطَعامَ يُقَوّي شهوةَ النَهِمِ .

والنفسُ كالطفلِ : إنْ تُهْمِلْهُ شبَّ على حبّ الرَضاعِ ، وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ !

*

محمّدٌ سيّدُ الكَوْنينِ والثَقَلَيْـ ـنِ والفريقينِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ[8] ؛

فاقَ النَبِيّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ، ولم يُدانوه في علمٍ ولا كَرَمِ[9] .

دَعْ ما ادّعَتْهُ النَصارى في نَبِيِّهِمُ واحكُمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتَكِمِ[10] ،

فإنّ فَضْلَ رسولِ اللهِ ليسَ لَهُ حدٌّ فيُعْرِبَ عن ناطقٌ بفَمِ .

لم يَمْتَحِنّا بما تَعْيا العقولُ بهِ حِرْصاً علينا فلم نَرْتَبْ ولم نَهِمِ[11] .

---

(١) العرب العرباء : العرب الاقحاح (السالمو الفطرة) . الجاهلية الجهلاء : أهل الكفر .

(٢) المصطفى من أسماء محمد رسول الله . توالت : تتالت ، تلاحقت . الآية الكبرى ، المعجزة الكبرى) : نزول آيات القرآن الكريم . الغارة الشعواء (المتفرقة ، البعيدة ، الشديدة) : الحرب الشاملة .

(٣) كلما نزلت عليه آية (أمراً بالدعوة) تلته (تبعته) كتيبة خضراء (أرسل محمد رسول الله جيشاً كثيفاً كثير العدد) على العرب الوثنيين .

(٤) ذو سلم : مكان في الحجاز . جيران بذي سلم: أهل الحجاز الذين عرفهم البوصيري في أيام نزوله في الحجاز ؛ أو هم كناية عن العزة الالهية (في المدرك الصوفي) .

(٥) محضتني النصح : نصحتني مخلصاً . العذال : الذين يعذلون (يلومون) .

(٦) الأمارة بالسوء : النفس (لأنها تميل الى الشر ، فالشر هين إتيانه عليها) .

(٧) الجماح : الاندفاع والإفلات من القيود . الغواية : الضلال . (٨) الثقلين : عالم الانس وعالم الجن .

(٩) الخلق (بفتح الخاء) : الصفات الجسمانية . الخلق (بضم الخاء) : السلوك الحسن . يدانوه : يقاربوه .

(١٠) — اترك نسبة الألوهية الى محمد ثم امدحه بكل شيء تريد .

(١١)لم يمتحنا (يختبرنا ، يرهقنا ، يطلب منا ما لا وجه له) بما تعيا (تعجز) العقول به (لأنه لا حقيقة له)، حرصاً علينا (إشفاقاً علينا وبخلا بنا ان نضل). فلم نرتب (نشك،نكفر) ولم نهم (نتحير).

فمبلغُ العلمِ فيهِ أنه بَشَرٌ وأنه خيرُ خلقِ اللهِ كُلِّهِمِ .
دَعْنِي ووَصْفِيَ آياتٍ له ظهرتْ ظهورَ نارِ القرى ليلاً على عَلَمِ [1] ،
فالدُّرُّ يزدادُ حُسْناً وهو مُنْتَظِمٌ ، وليسَ ينقُصُ قدراً غيرَ منتظمِ .
لا تَعْجَبَنْ لحسودٍ راح يُنْكِرُها تَجاهلاً ، وهو عينُ الحاذقِ الفَهِمِ :
قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ، ويُنْكِرُ الفَمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ .
كفاكَ بالعلمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً في الجاهليةِ ، والتأديبِ في اليُتُمِ !

— ومن بعض تعاليقه على قصيدته اللاميّة (الديوان ١٤١) :

.... ومما يدلُّ أيضاً على ذلك ما أذكُرُهُ — وهو ما لا يُنْكِرُهُ أحدٌ من اليهود — وذلك أنّ التوراةَ التي بأيْديهِمُ الآنَ ليسَ فيها ذِكْرُ البعثِ والقيامة ولا الدارِ الآخرةِ ولا الجنّةِ ولا النارِ . وكلُّ ما ذُكِرَ من خيرٍ فيها إنّما هو مُعَجَّلٌ في الدنيا فيُجْزَوْنَ — كما زعموا — على الطاعة بنَصْرٍ على الأعداء وطول العُمُرِ وطيبِ العيشةِ وسَعَةِ الرزْقِ وطول المُكْثِ في الأرض المُقَدَّسَةِ ؛ ويُجْزَوْنَ على الكُفر والمعاصي بالموت ومَنْعِ قَطْرِ السماء ومنع الثَمَرة وظُهورِ [2] الأعداء عليهم..... وليس في كتابِهِمُ اليومَ ذمٌّ الدنيا ولا الزُهدُ فيها ولا وظيفةُ صلاةٍ معلومةٌ ، بل فيها الأمرُ بالبَطالةِ والأكل والشُرب والقَصْف [3] والغِناء واللهو ....

٤ — أولاً : ديوان البوصيري (تحقيق سيّد كيلاني) ، مصر (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

ثانياً : البرأة أو البردة [4] = الكواكب الدريّة في مدح خير البرية (تحرير ى . أورى) ، ليدن

(١) الآيات : المعجزات ، الأعمال الباهرة . نار القرى : نار الضيافة (لأن العرب كانوا لشدة كرمهم يوقدون ناراً معينة حتى يعرف المسافرون أن عندها مطعماً كريماً ومبيتاً) . العلم : الجبل .

(٢) ظهور الأعداء : انتصار الأعداء عليهم .

(٣) البطالة (بفتح الباء) : الهزل والمزاح (بضم الميم) . القصف : اللهو والانغماس في الطعام والشراب واللعب ؛ والكلمة « القصف » ليست عربية أصيلة (راجع القاموس ٣ : ١٨٥) .

(٤) تسمى البرأة (صيغة غير قاموسية ، اذا قصدنا بها الشفاء) لأن الشاعر شفي من فالج نزل به (راجع ص ٦٧٤) . وتسمى البردة تشبيهاً لها بقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » (راجع ١ : ٢٨٢ — ٢٨٥) ، وكان الرسول قد خلع على كعب بن زهير بردته بعد أن ألقى كعب القصيدة بين يديه .

للبردة والهمزية تشطير (زيادة شطر على كل شطر من شطورهما) وتخميس (زيادة ثلاثة أشطر على كل بيت من أبياتهما) وتسبيع وتتسيع ثم تضمين (ضم عدد من أبياتهما في قصائد لنفر من الشعراء على غير نظام مخصوص) وتصدير (زيادة أبيات في أولها) وتعجيز (زيادة أبيات في آخرها) . ونجد ذلك كثيراً مخطوطاً ومطبوعاً (ارجع في معرفة تفاصيل ذلك الى بركلمان) .

١٧٦١ ، ٧٧١ م؛ (تحرير روزنتسفايغ) فيناً ١٨٢٤ م؛ (تحرير رالفس) ،فيناً ١٨٦٠م ؛ استانبول ١٢٥١ هـ ؛ بولاق ١٢٥٦ ، ١٣٠٥ هـ ، الخ ؛ مصر (مطبعة السيد علي - طبع حجر) ١٢٩٨ هـ ؛ (طبع حجر) ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١٣ هـ ؛ الخ ؛ (تحرير ألبنغو) ، القدس ١٨٧٢ م ؛ (مطبوعة في ذيل «دلائل الخيرات وشوارد الأنوار في ذكرى الصلاة على النبيّ المختار» لأبي عبد الله محمّد بن سليمان الجزولي المتوفّي سنة ٨٧٠ هـ) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٣٧ م ؛ قازان ١٨٤٧ م ؛ كلكتا ١٩٢٥ م ؛ مدراس ١٨٤٥ م ؛ (نشرها الشيخ فضل الله بهاى) ، بمبيء ١٨٩٣م؛ (نشرها يوسف غابريلي)، فلورنسا ١٩٠١م ؛ (مطبوعة مع القصيدة الوترية [1] وقصيدة «بانت سعاد»)، بومبيء ١٨٥٧ ، ١٨٨٤ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤ هـ .

(**) شروح على البردة : لشمس الدين محمّد الفيّوميّ ، بولاق ١٢٨٧هـ؛ لخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) ، القاهرة ١٢٨٢ ، ١٢٨٦ هـ ؛ بولاق ١٢٩٧ هـ ؛ الاسكندرية ١٢٨٨ هـ ؛ (قدّم لها محمّد علي حسن) ، بغداد (مكتبة الاندلسي) ١٩٦٦ م ؛ لاحمد بن محمّد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) ، مصر ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢هـ ؛ (على هامش حاشية الباجوري على متن البردة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٠٨ ، ١٣١١ هـ [2]) ؛ (حاشية على متن البردة لابراهيم بن محمّد الباجوري المتوفّي سنة ١٢٧٧ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٣٤ هـ ؛ بولاق ١٣٠٢هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٠٨ ، ١٣١١هـ ؛ واتيكان (= الفاتيكان) (طبع حجر) ١٢٣٤ هـ ؛ = شفاء القلب الجريح لعبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري (ت ١٠٤٠ هـ) ، القاهرة ١٢٩٦ هـ ؛ = جامع الكنوز لمحمّد المصري (أتمّ شرحها ١٠٨٤ هـ) ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ ؛ لصدقة القاهري (ت ١١٠٥ هـ) (مطبوع مع القصيدة الوترية لمحمّد بن أبي بكر البغدادي) ، بومبيء ١٨٨٤ م ؛ = لوامع أنوار الكواكب لأبي عبد الله محمّد بن أحمد بن بنّيس (أتمّ شرحها ١٢٠٠ هـ) ، فاس ١٢٩٦ ، ١٣١٧ هـ ؛ (بهامش شرح شمائل الترمذي لقاسم الجسّوس) ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ = عصيدة الشهدة ... لعمر بن أحمد الخربوطي (شرحها ١٢٤١ هـ) ، استانبول ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٨ ، ١٣١٧ ، ١٣٢٠هـ ؛ بولاق ١٢٩١هـ ؛ = النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية للشيخ حسن العدوي (ت ١٣٠٣ هـ) ، القاهرة ١٢٩٧هـ ؛ لأحمد فتحي (في مجموع الشروح) ، القاهرة ١٣٤٠ هـ ؛ لعبّاس أفندي الداغستاني ، استانبول ١٣٠٠ هـ ؛ لعثمان أفندي توفيق

(١) القصيدة الوترية أو بستان العارفين في معرفة الدنيا والدين لمجد الدين (أو محيي الدين) محمد بن أبي بكر بن رشيد (بالتصغير) الواعظ البغدادي الوتري (ت ٦٦٢ هـ) . والقصيدة في مدح الرسول .

(٢) راجع طبعات الكتاب التالي «حاشية الباجوري نفسها» .

بك السلانيكي ، (مع تخميس) استانبول ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٣ هـ ؛ لمحمّد خيري الرسجوكي ، استانبول ١٢٩٩ هـ ؛ لمجهول ، القاهرة ١٣١١ هـ .

ثالثاً : الهمزيّة النبويّة[1] ، القاهرة ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٠ ، ١٣١٣ ، ١٣٢٣ — ١٣٢٤ هـ ؛ تونس ١٢٩٥ هـ ؛ بولاق ١٣٠٥ هـ .

(**) شروح على الهمزية : المنح المكيّة = أفضل القِرى لقراء أم القُرى لأحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) (طبع مع حاشية محمّد سليم الجفني) ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ ؛ مصر ١٣٢٢ هـ .

حاشية لمحمّد سليم الجفني (ت ١١٨١ هـ) على شرح ابن حجر الهيتمي ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ ؛ (بهامش « أفضل القرى ») ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ ؛ القاهرة ١٣٢٢ هـ .

لوامع أنوار الكواكب الدريّة لمحمّد بن أحمد بنّيس (ألّفها ١٢٠٠ هـ) ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ فاس ١٢٩٧ ، ١٣١٧ هـ ؛ (على هامش « شرح شمائل الترمذي » لمحمّد بن عمر الجسّوس) القاهرة ١٣٠٦ هـ .

الفتوحات الأحمدية لسليمان بن عمر الجمل العجيلي (ت ١٢٠٢ هـ) ، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ ؛ بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٧ هـ ؛ = موجز من هذا الشرح لمحمّد شلبي ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

شرح لعبد الباقي بن سليمان الفاروقي (ت ١٢٧٨ هـ) ، القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٦ هـ ؛ (طبعت مع « مجموع التخاميس » لمحمّد بن أبي الرضا النحوي) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ .

الارشادات الربّانيّة للفتوحات الالهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية التي تلقّاها الشيخ علي حرازم بن العربي الفاسي من شيخه أبي العبّاس التيجاني على متن الهمزية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

أنفس نفائس الدرر (حاشية لمحمّد الحنفي على « المنح المكيّة » لابن حجر الهيتمي) مطبوعة بهامش « المنح المكيّة » ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ .

رابعاً : قصائد أخرى وشروح عليها .

ذخر المعاد[2] ، تونس ١٣٠٥ هـ ؛ (طبعت في « مجموعة ») ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

القصيدة الخمرية [3] (طبعت مع البردة) ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

المخرج والمردود على النصارى واليهود[4] (تحرير محمّد طلعت المصري) ، بطرسبورج ١٩٠٧م القاهرة ١٣١٩ هـ .

---

(١) الديوان ١ — ٢٩ ؛ راجع أيضاً ، فوق ، ص ٦٧٤ ، ٦٧٥ ؛ وسماها البوصيري « أم القرى » .

(٢) ذخر المعاد في وزن « بانت سعاد » (الديوان ١٧٢ — ١٨٥) مائة وخمسة وتسعون بيتاً مطلعها : « الى متى أنت باللذات مشغول ؟ » ، وتعرف أيضاً باسم « الكلمة الطيبة والديمة الصيبة (الشديدة المطر) » ، وهي معارضة لقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » .

(٣) ؟ ، راجع بروكلمان ١ : ٣١٤ ، الملحق ١ : ٤٧٢ .

(٤) الديوان ١٢٧ — ١٨٥ ، ثلاثمائة وأربعون بيتاً ، مطلعها : « جاء المسيح من الاله رسولا » .

الهديّة الحميدية (تخميس « المخرج والمردود » لعثمان بن الحاجّ عبد الله الموصلي النولوي ، فرغ من تخميسها سنة ١٣١٢ هـ) ، القاهرة ١٣١٩ هـ .

القصيدة المضرية في مدح خير البريّة[1] ، (مطبوعة في « المجموعة الكبرى » — مع شرح تركي بين السطور) ، استانبول ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ؛ القاهرة (مطبعة حسن الرشيدي — طبع حجر) بلا تاريخ ؛ (مطبوعة في « مجموع لطيف ») ، القاهرة ١٢٨٢ هـ ؛ (مطبوعة مع « دلائل الخيرات » (للجزولي) ، تل شورى (؟) ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩م) ؛ (مطبوعة على هامش « النفحات الشاذلية » لحسن العدوي) ، القاهرة ١٢٩٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١٣ هـ .

شرح القصيدة المضرية لعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) (مطبوعة مع « النفحات الشاذلية » للحسن العدوي) ، القاهرة ١٢٩٣ هـ (١٨٨٠م) .

فوات الوفيات ٢ : ٢٥٦ — ٢٦١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٠٥ — ١١٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٨ — ٣١٤ ، الملحق ١ : ٤٦٧ — ٤٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ١ : ٨٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١ ؛ زيدان ٣ : ١٣٠ — ١٣١ .

عليّ بن عقبة

١ — هو عَلِيُّ بْنُ عُقْبَةَ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ الزياديُّ الخَوْلانيّ ، ولِدَ في مدينة الهجرين[2] ، سَنَةَ ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ — ١٢٣٨ م) ، ونشأ فيها .

وجرى على عليّ بنِ عُقْبَةَ — من آل جَعْفَرٍ الكنديّين أمراءِ الهجرين — ماحمله على مبارحةِ بلده هارباً ، سَنَةَ ٦٧٠ هـ (١٢٧١ — ١٢٧٢ م) فنزل في مدينة عَدَنَ . ومن هناك اتّصل بالملكِ المظفّر يوسفَ بنِ عُمَرَ بن رسولٍ ومدحه وكَثُرَ تَرْداده الى تَعِزَّ[3] . غير أنّ عليّ بن عقبة تعرّض لغضب الملك المظفّر فأُلْقِيَ في السجن بِضْعةَ أشهرٍ ، ثمّ إنّه تقرّب الى الملك بالاعتذار فأطلقَ الملكُ سَراحَه .

---

(١) القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية (الديوان ٢٢٤ — ٢٢٦) ، أربعون بيتاً مطلعها : « يا رب ، صل على المختار من مضر » .

(٢) في القاموس (٢ : ١٥٨ س) : الهجران (بفتح الهاء وفتح الجيم) قريتان متقابلتان في رأس جبل حصين قرب حضرموت يقال لاحداهما خيذون (بفتح الخاء) وللأخرى دمون .

(٣) الملك المظفر شمس الدين يوسف الاول بن عمر جاء الى الامارة في ذي القعدة من سنة ٦٤٧ (آذار — مارس ١٢٥٠ م) وبقي الى رمضان من سنة ٦٩٤ (١٢٩٥م) . وكانت قواعد بني رسول في اليمن : زبيد (بفتح الزاي) وعدن والمهجم وثبات وتعز .



وكانت وفاةُ عليّ بن عقبةَ في عَدَنَ سنة ٦٩٥ ﻫ (١٢٩٥ – ١٢٩٦ م).

٢ – كان عليّ بن عُقْبةَ شاعراً قديراً على شعره شيء من الجَوْدة وشيءٌ من الطَّلاوة. وشعره كثيرٌ ولكنْ ضاع مُعْظَمُه. وفي شعرِه فخرٌ وشكوى.

٣ – مختارات من شعره

– قال عليّ بنُ عُقبةَ في الفخر والشكوى:

ما هِمّتي إلاّ اقتناءُ مكارمٍ؛ قَصُرَ الزمانُ وهِمّتي لم تُقْصِرِ[1].
كرَماً تَدينُ لِيَ العُفاةُ؛ وحالةٌ ظَهْرَ الجَوادِ وحالةٌ للمِنْبَرَ[2].
إنّي من العرب الذين نِجارُهم من خالص العِقْيان: لُبٌّ الجوهر[3]؛
من شُمٌّ خَوْلانَ بنِ عمرٍو مَنْصِبي، وهُمُ قَبيلي في الأنام ومَعْشَري[4].
واذا اعْتَزَيْتُ فآلُ عُقْبةَ عِزْوتي، وبنو زِيادَ الغُرُّ مَنْبِتُ عُنْصُري[5].
وخَلَصْتُ في كَهْلانَ من بين الورى؛ لا جُرْهُمٌ قومي، ولا من حِمْيَرِ[6].
وتَخِذْتُ أصحاباً – إذا نادمتهم لم أخشَ منهم من يَنِمُّ ويفتري:
عِلمي وحِلمي والحِصانَ وصارمي ونَدَى يميني والعَفافَ ودَفْتري[7]!

وبعد أن يصف ناقته وصفاً مفصّلاً في أسلوب متين يلتفت الى آل جعفرٍ (وهم الذين اضطرّوه الى مبارحة بلده) مادحاً وشاكياً:

أهلُ المكارم والفضائل والعُلا ومَلاذُ كلّ مُطَرَّدٍ ومُنَفَّرِ[8]؛
وملوكُ كِنْدَةَ في القديم، وبعد ما جاء البَيانُ على لِسانِ المُنْذرِ[9].

---

(١) قصر (بفتح القاف وضم الصاد) وأقصر: عجز عن الأمر.

(٢) العفاة جمع عاف: طالب الرفد (بكسر الراء) أو العطاء. هؤلاء أقروا بكرمي. ثم لي فوق ذلك حالان: ظهر الجواد (الفروسية والشجاعة في خوض المعارك) والمنبر (البراعة في الخطابة).

(٣) النجار: الاصل. العقيق: حجر كريم أحمر اللون. الجوهر: اللؤلؤ.

(٤) الشم: المرتفعو قصبة الانف (كناية عن شرف الاصل).

(٥) اعتزى: انتسب.

(٦) من كهلان: من بني كهلان (في الاصل: كهلانيا، ولا تصح في وزن الشعر في هذا الموضع). خلص: صفا نسبه. زياد (بالفتح) منعت من الصرف لضرورة الشعر.

(٧) .... الحصان وصارمي وندى يميني ودفتري كناية عن الفروسية والشجاعة والكرم والاشتغال بالعلم.

(٨) ملاذ: ملجأ.

(٩) البيان = القرآن الكريم. المنذر = محمد رسول الله. – ... قبل الاسلام وفي الاسلام.

مَنْ تَلْقَ منهم تَلْقَ أرْوَعَ ماجداً جلّت مآثِرُه ولَمّا تُحْصَر[1] .
يتَبادَران —سِنانُه وبَيانُه— : ذا علْقَمٌ مُرٌّ ، وذا من سُكَّر[2] .
أعْدَدتكم عَوْناً لكلِّ مُكَسِّرٍ عِرْضي ، فكُنْتم عَوْنَ كلِّ مُكسِّر .
وتَخِذْتُكُمْ لي مَحْجِراً فكأنّما خَتَلَ العَدُوُّ مَخاتِلي من مَحْجِري[3] .
فلأَنْفُضَنَّ الكفَّ يأساً مِنْكُمُ نَفْضَ الأنامِلِ من تُرابِ المُقْبَرِ[4] .

٤ — ** تاريخ الشعراء الحضرميّين لعبد الله السقّاف القاهرة (مطبعة حجازي ١٣٥٣هـ) ص ٦٥–٦٩.

سراج الدين الورّاق المصري

١ — هو سِراجُ الدين أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ حسنٍ الورّاقُ المِصْري الفائزيّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٦١٥ هـ (١٢١٨م) . وكان سِراجُ الدين الورّاقُ كاتباً مُتَرَسِّلاً كما كان يُجيد الخَطَّ ، فكَتَبَ للأميرِ يوسفَ سيفِ الدين بنِ سَباسلارَ والي مِصْرَ . وكانتْ وفاتُه في القاهرةِ ، في جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٦٩٥ هـ (آذار — مارس ١٢٩٦ م) .

٢ — كان سِراجُ الدين الورّاقُ كاتباً وشاعراً مُكْثِراً جِداً صحيحَ المعاني حَسَنَ التخيّل عَذْبَ التركيب ؛ غيرَ أنه كان كثيرَ الصِناعة شديدَ التكلّف للتَوْرِيَة والاسْتِخْدام ؛ وكثيرٌ من مقطّعاته القِصار تدورُ حولَ التوريةِ باسْمِه : سِراج (بمعنى : مِصْباح ، قِنْديل) وورّاق (ناسخ للكتب ومجلّدها والمتاجر بها) . وفي شِعْره شيء من الهَزْل والمجون . وقدِ اختار خليلُ الصفديّ شيئاً من شِعْره وجعلَه مجموعاً سمّاه « لُمَع السراجِ » . ولسراج الدين الورّاق كتابُ « نظم دُرّة الغَوّاص » (للحريري) .

---

(١) أروع : شجاع . لما تحصر : لم يستطع أحد (الى الآن) حصرها (عدها) .
(٢) في الاصل بنانه (أصابعه) كناية عن الكرم ؛ ولا وجه لها هنا . بيانه (بالياء) : فصاحته (يدل على ذلك قوله : من سكر !) السنان : الرمح . يتبادران : يتناوبان الامر .
(٣) المحجر : المكان يحميه الانسان (فلا يدخل اليه أحد الا بإذنه) ، ختل : خدع ؛ ختل الرجل الصيد : أخذه (صاده) بالخديعة والمكر .
(٤) المقبر : الميت (بسكون الياء) ، الموضوع في القبر . بعد دفن الميت يأخذ الناس قبضة من تراب قبره ثم يحذفونها من أيديهم (كناية عن انقطاع الصلة بينهم وبينه) .

٣ – مختارات من شعره

– قال سراجُ الدين الورّاق في عِتاب النساء له :

وقالتْ : يا سِراجُ ، علاك شيبٌ ، فدعْ لجديدِه خَلْـعَ العِذارِ[١] .
فقلتُ لها : نهـارٌ بعدَ ليـلٍ ؛ فما يدعـوكِ أنتِ إلى النِفـارِ ؟
فقالت : قد صَدَقْتَ ، فما علِمْنا بأضْيَعَ من سراجٍ في نَهـارِ !

– وقال يُوَرّي بلَقَبه « الورّاق » (الذي ينسَخُ الكتب) مُشيراً الى أنّ كلّ إنسانٍ يتناول كتابَه يومَ القيامةِ ليقرأ فيه ما دُوِّنَ عليهِ من أعمالِه الصالحة والطالحة :

واخجلتي وصحائفي قـد سُوِّدَتْ ؛ وصحائفُ الأبـرارِ في إشراقِ[٢] ؛
وفَضيحتي لِمُعَنِّـفٍ لي قـائلٍ : أكذا تكـونُ صحائفُ الورّاقِ !

وقال مُوَرِّياً بلقبهِ « سِراجٍ » الدين :

كم قَطّـعَ الجودُ من لسـانٍ قلّـدَ من نظمه النُحـورا[٣] ؛
فهـا أنـا شـاعرٌ سِـراجٌ ، فاقطـعْ لِساني أَزِدْكَ نـورا[٤] !

– ومن تورياته العامّة البارعة :

وقفتُ بأطْـلالِ الأحبّة سائلاً ودَمْعِي يَسْقي ثَمّ عَهْداً ومَعْهدا[٥] .
ومِنْ عَجَبٍ أنّي أُرَوّي دِيـارَهم ، وحَظّيَ مِنْها حينَ أسألُها الصَدى[٦] !
• أصونُ أديمَ وَجْهِـي عن أناسٍ لِقاءُ المـوتِ عِنْدَهُمُ الأديبُ .
ورَبّ الشِعْرِ عِنْدَهُمُ بغيـضٌ ولو وافَى بهِ لَهُمُ حـبيبُ !

---

(١) لجديده : لجديد (الشباب) . خلع العذار (الرسن) : ترك الحياء واتباع اللهو .

(٢) صحائفي سودت (بكثرة ما فيها من الذنوب) . الابرار : الصالحون ، الاتقياء . في اشراق : بيضاء (بكثرة ما فيها من الحسنات) .

(٣) قطع اللسان : اسكاته باعطاء صاحبه جوائز وصلات (أموال) . لسان قلد من نظمه النحورا : لسان (شاعر) نظم قصائد بارعة (تصلح أن تكون معانيها لآلىء تجعل عقوداً في النحور (أعلى الصدور ، الأعناق) .

(٤) اقطع لساني أزدك نوراً (تورية) : اقطع رأس فتيلة السراج يزدد نور (ضوء السراج) – اقطع لساني (أعطني مالا) أزدك نوراً (أكثر فيك نظم الشعر) .

(٥) ثم : هناك . العهد : الزمن الذي قضيناه . المعهد : المكان الذي عشنا فيه .

(٦) الصدى : العطش ، والصدى : رجع الصوت (تورية) .

(٧) حبيب : محبوب ، حبيب : هو حبيب ابن أوس (أبو تمام) .

– وقال في الغزل والنسيب :

شِمْتُ برقاً من ثغرِها الوضّاحِ ... والدُجى سيرُه مَهيضُ الجَناحِ [1] .
فتمارى شكّي بهِ ويقيني : ... هل تَجلّى الصباحُ قبلَ الصباحِ [2] ؟
فأجابتْ : متى تبَسَّمَ صُبْحٌ ... عن حَبابٍ أو لؤلؤٍ أو أقاحِ [3] ؟
ومتى كانَ للصباحِ شَميمُ الـ ... ـمِسْكِ أو نَكْهةٌ كصِرْفِ الراحِ [4] ؟
سل رحيقي المسكوبَ تسألْ خبيراً ... باغْتباقٍ من خمرةٍ واصْطباحِ [5] .
قلتُ : ما لي وللسُكارى ؟ فقالتْ : ... أنتَ أيضاً من الهوى غيرُ صاحِ .
حُجّةٌ من مليحةٍ قطعَتْني ؛ ... هكذا ، كل حجّةٍ للمِلاحِ !
لا ، ولَحْظٍ كفَتْرةِ النَرْجِسِ الغَضْـ ... ـضِ وخَدٍّ كحُمْرةِ التُفّاحِ [6] ،
ما تيَقّنْتُ بل ظَنَنْتُ ؛ وما في الظَنْـ ... ـنِ ، يا هذهِ ، كبيرُ جَناحِ [7] .
وكثيراً شُبِّهْتِ بالبدرِ والشَمْـ ... ـسِ وسامحتِ ، فارْجِعي للسَماحِ [8] .

– وقال في المُجونِ ممّا يجوزُ إيرادُه :

طوَتِ الزيارةَ إذ رأتْ ... عصرَ المشيب طوى الزيارهْ [9] .
ثمّ انْثَنَتْ لمّا انْثَنَتْ ... بعدَ الصلابةِ كالحجارهْ [10] .

---

(١) شام يشيم الشيء : نظر اليه ليتحقق ما هو. الوضاح : الابيض ، الجميل . الدجى : الظلام ، الليل . مهيض (مكسور) الجناح : يسير ببطء (لا ينقضي بسرعة) .

(٢) تمارى : تجادل .

(٣) الحباب : الفقاقيع التي تطوف على سطح الخمر (كأنها فضة على ذهب) أقاح وأقاحيّ جمع أقحوان (بضم الهمزة والحاء) : البابونج ، صحون اللبن (زهر قلبه أصفر وحوله بتلات بيض تشبه الاسنان) .

(٤) شميم : رائحة . نكهة : رائحة الفم (الطيبة). صرف : خالص ، غير ممزوج (بالماء) . الراح : الخمر .

(٥) الرحيق : العسل ما دام في الزهر . الاغتباق = الغبوق : شرب الخمر صباحاً . الاصطباح = الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

(٦) ولحظ : الواو للقسم (أقسم بلحظها) . فترة النرجس : كناية عن العيون النواعس .

(٧) الجناح : الذنب .

(٨) – لقد شبهك الشعراء مراراً كثيرة بالبدر والشمس وكان من حقك أن تغضبي (لأنك أجمل من الشمس والبدر) فلم تغضبي . فارجعي الآن أيضاً الى عادتك في السماح (الكرم) وسامحيني اذا شبهت عينيك بالنرجس وخديك بالتفاح) .

(٩) – تركت زيارتي لما عجزت في عصر المشيب (الشيخوخة) عن زيارة النساء .

(١٠) – ثم انثنت (المرأة) : مالت عني ، ابتعدت . لما انثنت : انطوت.... بعد أن كانت صلبة كالحجارة.

وبَقيتُ أهـربُ ، وهي تَسـ أل جـارةً من بعدِ جـاره[1] .
وتقول : يا ستٌّ ، استَرَحْنـا ؛ لا سِراجَ ولا مَنـاره[2] !

٤ — * * فوات الوفيات ٢ : ١٣٥ — ١٣٩ ؛ (طبعة محمّد محيى الدين عبد الحميد) ٢ : ٢١٣ — ٢١٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٣١ — ٣٤٢ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٥ : ١٩٥ ؛ زيدان ٣ : ١٣١ ؛ بروكلمان ١ : ٣١٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٢٤ .

ابن واصل

١ — هو القاضي جمالُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سالمِ بنِ نصرِ الله بنِ سالمِ بنِ واصلٍ المازنيُّ الحَمَويُّ ، وُلِدَ في حماةَ ثانيَ شوّالٍ من سَنَةِ ٦٠٤ هـ (٢٢/ ٤/ ١٢٠٨ م) .

سَمِـعَ ابن واصلٍ الحَديث من زكيِّ الدين البرزالي في دِمَشْقَ وحماةَ وبرع في عددٍ من العلوم . ثمّ تصدّر للتدريس والإفتاء .

وفي سَنَةِ ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) استدعاه الظاهرُ بَيْبَرْسُ وأرسله سفيراً الى مانفريد مَلِكِ صِقِلِّيَةَ (١٢٥٨ — ١٢٦٦ م) فَبَقِيَ عنده فترةً غيرَ قصيرةٍ أجابَه في أثنائهـا على مسائـل في علم المناظرِ (البصريات) . وبعدَ رُجوعهِ من صِقِلِّيَةَ تولّى مَنْصِبَ قاضي القضاة في حماةَ والتدريسَ في مدرستها أيضاً .

وفي المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٩٠ هـ (شباط — فبراير ١٢٩١ م) قَدِمَ ابنُ واصلٍ بصُحْبَةِ المَلِكِ المُظَفَّرِ تقيِّ الدين محمودٍ الأيوبيِّ صاحبِ حماةَ إلى القاهرة وتصدّر فيها حيناً للتدريس . وقد عَمِيَ في أواخرِ أيامهِ ثمّ تُوُفِّيَ في حماةَ في ٢٢ شوّالٍ سنةَ ٦٩٧ هـ (٢/ ٨/ ١٢٩٨ م) .

٢ — كان ابنُ واصلٍ عالماً بالحديثِ والفِقْه وبعددٍ كبيرٍ من العلوم الشرعية والعقلية والرياضية كما كانت له معرفةٌ بالتاريخ ونظمٌ للشعر . وهو مُصَنِّفٌ من كُتُبه : الرسالة الانبروريّة[3] في المنطق وقد سمّاها « نخبة الفكر » (ألّفها بعد رجوعه من صقليّة) —

---

(١) — خجلت أنا من تلك الحال التي أصبحت فيها فصرت أهرب من لقائها. وكانت هي تسأل عني كثيراً .
(٢) لا سراج ولا منارة (فيها تورية) : لا نتعب في العناية بالسراج (القنديل) وبالمنارة (العمود الذي يرفع عليه القنديل) . ثم السراج (سراج الدين الوراق) غاب عنا . والمنارة ...
(٣) نسبة الى الانبرور (الا مبرطور) مانفريد ملك صقلية .

شرح الموجز (في المنطق) للأفضل الخونجي ـ شرح الجُمَل في المنطق للخونجي (شرح ما استغلق من ألفاظ الجمل) ـ كتاب هداية الألباب (في المنطق) ـ مختصر الاربعين (في الحديث ؟) ـ شرح المقصد الجليل لابن الحاجب ـ شرح قصيدة ابن الحاجب في العَروض والقوافي ـ مختصر كتاب الاغاني (= تجريد الأغاني) ـ كتاب التاريخ الصالح (= البارع الصالحي ؟) ـ كتاب مفرّج الكُروب في أخبار (دولة) بني أيوب ـ مختصر المِجِسْطي (لبَطْلَيْموس) ـ مختصر المفردات لابن البيطار (= مختصر الأدوية المفردة) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابنُ واصلٍ في الشماتة بمَليحٍ التحى :

وأغيدَ مصقولِ العِـذارِ صَحِبْتُهُ ... وربْعُ سُروري بالتأهُّلِ عامرُ[١] ؛
وفارَقْتُهُ حِينـاً فجاء بلِحْيَةٍ ... تروعُ ، وقد دارتْ عليه الدوائـرُ[٢] .
فكرّرتُ طَرْفي في رُسومِ جَمالهِ ... وأنشدتُ بيتـاً قالَه قبلُ شاعر[٣] :
(كأنْ لم يكُنْ بينَ الحَجونِ الى الصَفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمَكّةَ سامرُ)[٤].
فقالَ : عجيبٌ ، والفؤادُ كأنّمـا ... يُقَلْقِلُه بـينَ الجوانحِ طـائرُ :
(بلى ، نحنُ كُنّـا أهلَها فأبادَنـا ... صُروفُ الليالي والجدودُ العواثر)[٥] .

ـ من مقدّمة كتاب « مُفرِّج الكروب » :

.... وبعدُ ، فهذا كتابٌ أوردتُ فيه أخبارَ ملوكِ بني أيوبَ وجُملةً مـن مَحاسنِهِم ومناقبهم ، إذ كانوا أعظَمَ مِمّن تقدَّمَهُم من الملوك شأناً وأجلَّهم سُلطاناً : فَتَحَ اللهُ تعالى بِهِمُ القُدْسَ الشريفَ من أيْـدي الكافرين وأذلّ

(١) أغيد : جميل . العذار : الشعر النابت في جانبي الوجه . مصقول العذار : أملس ، لم ينبت في وجهه شعر بعد . وربع سروري بالتأهل (الاجتماع ، الزواج ، الصحبة) عامر : كنت مخالطاً له في العيش .

(٢) تروع : تخيف . دارت عليه الدوائر : قضت (على جماله) حوادث الأيام .

(٣) طرفي : عيني ، بصري . رسوم (خطوط ، علامات) جماله : بقايا جماله (الرسم هو الأثر الذي يبقى بعد زوال البناء) . شاعر : (شاعر مجهول ـ ينسب البيتان الرابع والسادس الى صوت سمع في مكة) !

(٤) الحجون والصفا : موضعان في مكة . السامر : الذي يسهر الليل في رواية الأحاديث وسماعها (ويقال السامر للمفرد وللجمع).

(٥) صروف الليالي : أحداث الدهر . الجد (بفتح الجيم) : الحظ . العاثر : غير المستقيم في مشيه (غير الموفق في أعماله) ، الحظ السيء .

بسيُوفهم أعناق المُلْحدين؛ وطَهّروا الديار المِصرية من بِدَع ِ الباطنية[١] وشَيّدوا بها أركانَ المِلّة الحنفية ![٢] ..... وخَدَمْتُ به خِزانة ... الاسْفَهْسِلاري .... مُقدَّم ِ الجُيوش مُبارِزِ الدين سيّدِ الغُزاة والمجاهدين الملكيّ المنصوري[٣] .... وسَمَّيْتُه « مُفرِّجَ الكروب في أخبار بني أيوب » ...

— من متن مفرّج الكروب : فتح حصن المنيطرة (١ : ١٤٨) :

وفي سَنَة ِ إحدى وستّين وخَمْسمِائَة ِ فَتَحَ المَلِكُ العادِلُ نورُ الدين بنُ زنكي —رَحِمَهُما الله— حُصْنَ المُنَيْطِرَة ِ ، وكـان بِيَـدِ الفرنج ، سارَ إليه جريدة[٤] وانتهز فيه الفُرصةَ وجدّ في قتاله عَنْوَةً وقَهْراً[٥] وقَتَلَ مَنْ بِهِ وسَبي وغَنِمَ غَنيمةً كَثيرةً .

— من متن مفرّج الكروب : واقعة البابين[٦] (١ : ١٥٠ وما بعد) :

وكان أسدُ الدين شِيرِكُوه[٧] قد سارَ بالعساكر في الصَعيد إلى أن بَلَغَ الى مكانٍ يُعْرَف بالبابَيْنِ . فسارتِ الفرنج والمِصْريّون[٨] خَلْفه فأدْركوه به في الخامس والعِشرين من جُمادى الآخرة من هذه السَنَة[٩] . وكانت جواسيسُه قد أخْبَروه بكَثْرة عَدَدِ الفرنج والمِصْريّين وقُوّتهم . فجَمَعَ أصحابَه واسْتَشَارَهم ،

---

(١) الباطنية فرقة من المسلمين يتطلبون لآ يات القرآن معاني باطنة من طريق الرمز . والمقصود بالباطنية هنا الفاطميون الذين كانوا يحكمون في مصر .

(٢) الحنفية أتباع أبي حنيفة . الحنيفية : المسلمة .

(٣) خدمت به (بهذا الكتاب) : قدمته . خزانة (الكتب) : مكتبة . الاسفهسلاري : مقدم الجيش ، رتبة عسكرية . المنصوري : الملك المنصور الثاني سيف الدين بن محمد صاحب حماة .

(٤) المنيطرة منطقة في الجبال الشمالية من لبنان اليوم . الفرنج والفرنجة تخفيف من الافرنج (بكسر الهمزة والراء) : جيل من البرابرة نزلوا شرق نهر الراين (في جنوب ألمانية اليوم) ثم انتقل معظمهم الى غرب الراين (فرنسة اليوم) . ومرزمن اطلق فيه اسم « الفرنجة والفرنج » على جميع الأوروبيين . كما يرد هذا الاسم في المصادر العربية للدلالة على الصليبيين . . الجريدة : القطعة من الجيش مؤلفة من فرسان فقط . — يجب أن تكون الجملة : سير اليه جريدة أو سار اليه في جريدة .

(٥) عنوة (قدرة ، بالقوة) وقهراً (بالتغلب عليه) .

(٦) البابان ، البابين : قرية في مصر كانت جنوب مدينة المنيا .

(٧) شيركوه أول وال للأيوبيين على مصر وعم صلاح الدين الأيوبي .

(٨) المصريون : أنصار الفاطميين من أهل مصر .

(٩) (٢٥ جماد الثاني ٥٦٢ = ١١٦٧/٤/١٧ م) .



فكُلُّهُمْ أشاروا عليه بعُبور بَحْرِ النيل الى الجانبِ الشرقيّ والعَوْدِ إلى الشام ، وقالوا : إنْ نحنُ انْهزمنا فإلى مَنْ نَلْتَجِئُ وبِمَنْ نحتمي ، وكُلُّ مَنْ في هذه الديارِ من جُنديٍّ وفَلاّحٍ عدوٌّ لنا ؟

فقام أميرٌ من مماليكِ نورِ الدين يُقال له شَرَفُ الدين بنُ برغش — صاحبُ الشقيف[1] — وقال : من(كان) يَخافُ القتلَ والأسرَ فلا يَخْدمِ الملوك[2] بل يكونُ في بيته مَعَ امرأته . واللهِ ، لئن عُدْنا الى نورِ الدين من غير غَلَبَةٍ وبلاءٍ[3] نُعْذَرُ فيه لَيأخُذُنَّ أموالَنا وما مَعَنا من الإقطاع والجامكيّة ولَيَعودُنَّ علينا بجميعِ ما أخَذْناه منه من يومِ خَدَمْناه[4] الى يومِنا هذا ويقولُ : تأخُذون أموالَ المُسلمينَ وتَفِرّون من عَدُوِّهم وتُسْلِمون مِصْرَ الى الكُفّار ؟

فقال أسدُ الدين : هذا الرأيُ ، وبه أعمَلُ ! وقال ابنُ أخيهِ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيّوبَ[5] مثلَه . وكَثُرَ الموافقون واجتمعت الكَلِمة ، وأقاموا بمكانِهِم[6] حتّى وَصَلَ الفرنجُ والمِصريون وهُمْ على تَعْبِئَتِهِم[7] . فجَعَلَ أسَدُ الدين الأثقالَ في القَلْب ، لا لِيتَكَثَّرَ بها (بل) لأنّه لا يُمكِنُه تركُها في مكانٍ آخرَ خوفاً من أن تُنْهَبَ ، وجَعَلَ صلاحَ الدينِ في القلب وقال له ولِمَنْ مَعَه : إنّ المِصريّين والفرنَج يجعَلون حَمْلَتَهم على القلب ، فإذا حَمَلوا عليكم فلا تَصْدِقوهم القتالَ ولا تُهلِكوا أنفُسَكم واندفعوا من بَيْنِ أيْديهم[8] . فإذا عادوا عنكم فارْجِعوا في أعقابِهم[9] . واختارَ هو من شُجْعانِ عسكرِه جَمْعاً

---

(١) الشقيف أو قلعة الشقيف (شقيف أرنون) قرب صيدا اشتهرت في أثناء الحروب الصليبية وانتقلت مراراً من أيدي المسلمين الى أيدي الصليبيين وبالعكس.

(٢) يخدم الملوك : يحارب في جيوشهم . من يخاف = إن الذي .... (تعبير ضعيف) .

(٣) البلاء : بذل الجهد في القتال .

(٤) الاقطاع نظام يتملك به الجندي أرضاً من الملك . والمقصود هنا القطائع جمع قطيعة وهي قطعة أرض كان يمنحها الملك لرؤساء الجند . الجامكية : الراتب . ليعودن علينا بجميع ما أخذناه : يسترد منا كل ما كان قد أعطانا اياه . من يوم خدمناه : منذ اليوم الذي دخلنا فيه في جيشه .

(٥) صلاح الدين الأيوبي . (٦) يقصد جيش شيركوه .

(٧) وهم على تعبئتهم : وجيش شيركوه مستعد للحرب .

(٨) القلب : القسم الاوسط (والاكبر) من الجيش . حملوا : هجموا . لا تصدقوهم القتال : لا تحاربوا حرباً شديدة ، تظاهروا أنكم تحاربون . اندفعوا من بين أيديهم ، تظاهروا بالهزيمة .

(٩) فاذا عادوا : فاذا ظن الافرنج والمصريون أنكم انهزمتم ورجعوا عنكم فعودوا على أعقابهم (في أثرهم ، اتبعوهم وقاتلوهم) .



يَثِقُ بهم ويَعْرِفُ صَبْرَهم في الحرب ووَقَفَ بهم في المَيْمَنة. فلمّا اصْطفّوا للحرب حَمَلَ الفرنجةُ على القلب، فقاتلهم مَنْ به قِتالاً يَسيراً ثمّ انهزموا مِنْ بَيْنِ أيْديهم غيرَ متفرّقين فتَبِعَهُمُ الفرنجُ. حينئذٍ حَمَلَ أسدُ الدين بِمَنْ مَعَه على مَنْ تخلّف مِنَ الذين حَمَلوا من المسلمين والفرنج[1] — الفارس والراجل — فهَزَمَهُمْ ووَضَعَ السيفَ فيهم وأثْخَنَ[2] وأكثَرَ من القَتْل والأسْر. فلمّا عادَ الفرنج مِنْ أثَرِ المهزومين ورأوْا عسكرهم مهزوماً والأرضَ منهم قَفْراً انهزموا أيضاً ونَصَرَ اللهُ المسلمين.

ثمّ سارَ أسدُ الدين — رَحِمَه الله — الى ثَغْرِ الإسكندريةِ وجَبَى ما في طريقه من القُرى[3]، ووَصَلَ إلى الاسكندرية فسلّمها أهلُها إليْهِ لِمَيْلِهِمْ إلى مذهبِ السُنّة وكَراهَتِهم لرأي المِصريّين. فاسْتَناب بالإسكندريةِ ابنَ أخيه صلاحَ الدين يوسفَ بنِ أيوبَ وعادَ (هو) الى الصَعيد فمَلَكَهُ وجبا أموالَه وأقام به حتّى صامَ شَهْرَ رَمَضانَ.

وعادَ الفرنجُ والمِصْريّون بعدَ الوَقْعة الى القاهرةِ وأصْلحوا عساكِرَهُمْ وجَمَعوا[4] ثمّ ساروا إلى الإسكندريةِ وحَصَروا صلاحَ الدين. واشْتَدّ الحِصارُ وقلّ الطعامُ بها، فصَبَرَ أهلُها على ذلك. ولمّا بَلَغَ ذلك أسدَ الدين سارَ مِنَ الصَعيدِ إلَيْهِم، وكان شاوَرُ قد أفْسَدَ بعضَ من كان مَعَه[5] من التركمان.

ثمّ راسلَ المِصريّونَ والفرنجُ أسدَ الدين يطلُبون الصُلْحَ وبذَلوا له خَمْسينَ ألفَ دينارٍ، فأجابهم إلى ذلك بشَرْطِ أنّ الفرنجَ لا يُقيمون في البِلاد ولا يَتَمَلّكون منها قريةً واحدةً. فأجابوا إلى ذلك واصطلحوا[6]. وعادَ (هو) الى الشام.

٤ — مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب (نشره لأوّل مرّة ... جمال الدين الشيّال)، القاهرة (وزارة المعارف المصرية: ادارة الثقافة العامّة)، القاهرة (مطبعة جامعة فؤاد الأوّل) ١٩٥٣ — ١٩٥٧ م.

تجريد الأغاني (تحرير طه حسين وابراهيم الإبياري)، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٥٥—١٩٥٧م.

---

(١) على مؤخرة الفرنج والمسلمين (من الفاطميين حلفاء الصليبيين الافرنج).

(٢) أثخن في العدو: أكثر القتل في جيش العدو.

(٣) أخذ منها الجبايات (الضرائب).

(٤) وجمعوا جيوشاً جديدة.

(٥) شاور وزير عند الخليفة العاضد الفاطمي في مصر كان يمالئ الافرنج الصليبيين على الأيوبيين المسلمين. من كان معه (مع شيركوه).

(٦) اصطلحوا: اصطلح الفريقان (الأيوبيون والفاطميون).



* نكت الهميان ٢٥٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٨٥ — ٨٦ ؛ بغية الوعاة ٤٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٣٨ — ٤٣٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٣ ، الملحق ١ : ٥٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٧ ؛ زيدان ٣ : ١٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣ — ٤ .

ياقوتُ المُسْتَعْصِمِيُّ الكاتب*

١ — هو جَمالُ الدين أبو المجد[١] يا قوتُ بنُ عبدِ الله[٢] جِيءَ بهِ في الأغلب صَغيراً من أماسِيَةَ في بلاد الروم (آسِيَةَ الصُغرى) فأصبحَ من مَماليك المُسْتَعْصِمِ آخرِ خُلفاءِ بني العبّاسِ في بغدادَ فربّاه وعلّمه .

يبدو أنّ ياقوتاً المُستعصيَّ بدأ حياتَه العِلْمِيّةَ بأنْ أنشأ كُتّاباً لتعليم الصِبْيان . ثُمَّ إنّه بَرَعَ في الخطّ حتّى انتهتْ إليه رئاسةُ الخطّ المَنْسوب[٣] على طريقةِ ابنِ البوّاب . وفي سَنَةِ ٦٨٢ هـ جاء الوزيرُ شرفُ الدينِ هرونُ الجُوَينيّ إلى بَغدادَ فاتّصلَ به ياقوتٌ المستعصمي ومَدَحَه (الحوادث الجامعة لابن الفوطي ٤٢٨—٤٢٩).

وكانتْ وفاةُ ياقوتِ المستعصمي في بَغْدادَ سنة ٦٩٨[٤] هـ (١٢٩٨ م) وعُمْرُهُ نحوُ ثمانينَ سَنَةً .

٢ — كان ياقوتٌ المستعصميّ أديباً له نثرٌ وشعرٌ ، كما كان حَسَنَ الخطّ ومُصَنِّفاً ذَكَرَ له بروكلمان من التصانيفِ : أخبار وأشعار ومُلَح وفِقَر وحِكَم ووَصايا*

---

* هنالك نفر من الاشخاص اشتهروا باسم ياقوت ، وربما اشتبهت أحوالهم وأزمانهم . من أجل ذلك سأورد الاسماء التالية مأخوذة من شذرات الذهب : ٤ : ١٣٦ أبو الدر ياقوت الرومي المحدث (ت ٥٤٣ هـ) ؛ ٥ : ٨٣ أبو الدر ياقوت المستعصمي الخطاط (ت ٦١٨ هـ) ؛ ٥ : ١٠٥ أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الشاعر (ت ٦٢٢ هـ) ؛ ٥ : ١٢١ أبو الدر ياقوت الرومي الحموي صاحب معجم البلدان معجم الادباء (ت ٦٢٦ هـ) ؛ ٥ : ٨٣ جمال الدين ياقوت المستعصمي البغدادي الاديب الخطاط (٦٩٨ هـ) ؛ ياقوت الحبشي الشاذلي الصوفي (ت ٧٣٢ هـ) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١١٥٤ ؛ في بروكلمان : أبو الدر .

(٢) الواضح أن « ياقوت بن عبد الله » ليس الاسم من النسب ، ولكنه اسم أطلقه عليه سيده لما تملكه ، كما هي حال أصحاب هذا الاسم غير ياقوت المستعصمي .

(٣) خط منسوب : ذو قاعدة (المعجم الوسيط ، ص ٩٢٤) .

(٤) يرى بروكلمان (الملحق ١ : ٥٩٨) أن وفاة ياقوت المستعصمي تأخرت الى سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ — ١٣٠٥ م) أو الى ما بعد ذلك بقليل ، فان في كتبخانه (مكتبة) رضوى في مدينة مشهد (ايران) مصحفاً بخط ياقوت المستعصمي مؤرخاً في سنة ٧٠٤ هـ .



مُنْتَخَبَة[1] ، أسرار الحكماء (مجموع أقوال) ، فِقَرٌ التُقِطَتْ وجُمِعت عن أفلاطون في تكوين السياسة الملوكية والاخلاق الاختيارية(!) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ياقوتٌ بنُ عبدِ اللهِ المُستعصميُّ (شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣) :

رعى اللهُ أياماً تَقَضّتْ بقُرْبِكُمْ ... قِصاراً ، وحَيّاها الحيَا وسَقاها[2] .

فما قُلتُ : « إيهٍ » بعدَها لمُسـامرٍ ... من الناسِ ، إلاّ قالَ قلبي : « آها » !

٤ ـ رسالة آداب وحكم وأخبار وآثار وفقر وأشعار منتخبة (مطبوعة في « ثلاث رسائل ») ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .

أسرار الحكماء (مطبوع مع « امثال العرب » للضبي) الاستانة ١٣٠٠ هـ .

* العبر ٥ : ٣٩٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، الملحق ١ : ٥٩٨ ؛ زيدان ٣ : ١٤٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ١١٥٤ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٥٧ ـ ١٥٨ .

القاسم بن علي هُتَيْمِلٍ

١ ـ هو القاسم بن عليّ بن هُتَيْمِلٍ الخزاعي الضمَديّ، وُلِدَ ونشأ في بلدةٍ تُدعى نَجْران[3] من وادي ضمد في اليمن ، في أوائل القرْن السابعِ للهجرة (أوائلَ القرن الثالثَ عَشَرَ للميلاد) . وفي زمنٍ باكرٍ جدّاً من حياته بدأ يَتطوّف بشعرِه يتكسّبُ به في اليَمَنِ[4] والحِجاز ويمدح الأُسَرَ الحاكمةَ والأمراء المُخْتلفي الآراءِ السياسيةِ .

وقد ألحّ الدهرُ على ابن هُتَيْمِلٍ : تُوُفِّيَتْ زوجتُه فاطمةُ كما توفّي له أخٌ واختٌ في أسبوعٍ واحدٍ ، وهما بعدُ في أول العمر ؛ وتوفّي ابن له اسمُه سُلطانٌ . ويبدو أن ابنَ هُتَيْمِلٍ عُمِّرَ طويلاً ، ولكنّه تُوُفّيَ قُبيلَ سَنَةِ ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) .

---

(١) هذه الرسالة تتألف من أقوال مجموعة ، وهي بخط مؤلفها ومؤرخة في العشرين من رمضان من سنة ٦٨٩ .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) نجران هذه بلدة غير نجران المشهورة .

(٤) يطلق اسم اليمن على جميع القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب ـ من عدن الى عمان (بضم العين) .

٢ – ابن هُتَيْمِل شاعرٌ مُطيل مُحْسِنٌ فصيحُ الألفاظِ متينُ التركيب ، ولكنّ تركيبَه يَضْعُفُ أحياناً . وشِعرُه سهلٌ عَذْبٌ في أكثره . وأوسعُ فنونِ شِعرِه المديحُ ، وله رثاءٌ وَجْداني في أهله ، ثم له أشياءُ جيّدةٌ من الأدب (الحكمة والغزل والخمر . وله بَديعيّةٌ في مديحِ الرسولِ (ديوان ٦٢ – ٧٤) .

٣ – مختارات من شعره

– قال القاسم بن عليّ بن هتيمل يمدح أحمد المتوكّل الثاني (٦٣٠ – ٦٤٩ هـ) ابن أحمد المتوكّل الأوّل صاحب ظَفارَ من بني سليمان العلويّين :

أنا مِنْ ناظري عليكَ أغارُ ... وارِ عني ما حال عنه الخِمار[1] .

يا قَضيباً من فِضّةٍ يُقْطَفُ النَّرْ ... جِسُ من وَجْنَتَيْهِ والجُلَّنار[2] .

قَمَرٌ طَوْقُه الهِلالُ ، ومن شَمْ ... س الدياجي في ساعِدَيْهِ سِوار[3] .

صُنْ مُحَيّاكَ بالنِقابِ وإلاّ ... نَهَبَتْهُ القلوبُ والأبصار ؛

فَمِنَ الغُبْنِ أن يُماطَ لِثامٌ ... عن ثَناياك ، أو يُحَلَّ إزار[4]

عَجَباً مِنكَ : تَحْتَ بُرْقُعِكَ النا ... رُ ، وفيه الجَنّاتُ والأنهار[5] .

مَنْ مُعيري قلباً صحيحاً ولو طَرْ ... فَةَ عَيْنٍ ، إنْ كان قلباً يُعار !

لا الزمانُ الزمانُ – فيما عَهِدْنا ... هُ قديماً – ولا الديار دِيار[6] .

---

(١) وارِ (فعل أمر من وارى) : استر ، خبىء . ما حال (ما تزحزح عنه ، ما كشف عنه) الخمار : غطاء تستر به المرأة رأسها ونحرها (أعلى صدرها) . وار عني ما حال عنه الخمار : استر عني بالخمار وجهك أيضاً (لأن الحجاب الشرعي في الاسلام لا يوجب ستر الوجه والكفين والقدمين) حتى لا تفتنني .

(٢) القضيب كناية عن الفتاة الجميلة (التي لا تزال فتية منتصبة القامة ناضرة طرية الجسم تتثنى كالقضيب) . قضيب من فضة (كناية عن أن جسمها كله أبيض اللون) . وفي وجنتيه (أعلى الخدين) بياض كبياض بتلات النرجس (قلب النرجسة أصفر والبتلات التي تحيط بقلبها بيض) والحمرة (كحمرة الجلنار : زهر الرمان) .

(٣) الطوق : حلية تلبس في العنق . السوار : حلية تلبس في المعصم (بين الكف والساعد) .

(٤) الغبن : الخداع وقلة الانصاف وسلب الحق . يماط : يكشف . عن ثناياك : عن أسنانك (عن وجهك) . أو يحل (يفك ، يكشف ، يخلع) أزار (ثوب يغطي الجسد) : لا يجوز أن تكشف شيئاً من محاسن جسمك .

(٥) تحت برقعك (لثامك ، غطاء الوجه) النار (الحمرة في خديك) وفيه الجنات (وجهك الذي فيه مثل الورد في خدك ومثل النرجس في خدك أيضاً أو في عيونك) وفيه أيضاً الانهار (الريق العذب البارد في فمك) .

(٦) لا الزمان باق (الآن) كما كنا عرفناه في أيام الشباب ....

بَعْضُ هذا يُبْلي الحَديدَ ويُفْني الـ ... مرءَ لو أنّ عُمْرَهُ أعمارُ [1].
والليالي الطِوالُ تَنْحَتُ من جَنْـ ... بَيّ ما أبْقَتِ الليالي القِصارُ [2].
انّما العَيْشُ والهوى قبلَ أن يَنْـ ... جُمَ ثَدْيٌ أو أن يَدِبَّ عِذارُ [3]؛
وعُرام الشبابِ أشْهى الى النفـ ... سِ، وان كان في المَشيب الوَقارُ [4].
لا يَصُدُّ المِلاحَ عن خُلّةِ العُشّاق إلاّ القَتيرُ والإقتارُ [5].
حَفِظَ اللهُ أحمداً حيثُما كا ... ن وجادَتْه دِيمةٌ مِدْرارُ [6].
الشريفُ الشريفُ والجَوْهرُ الجو ... هرُ والخالص النُّضار النضارُ [7].
وعليٌّ الرضا أبوه، وعَمّاهُ ... عَقيلٌ وجَعْفَرُ الطيارُ [8].
باعثُ الخَيْلِ والكتائبِ مِلْ ... ءَ الأرضِ لا يَشْغَلُ المَغارَ المَغارُ [9].

٤ – ديوان الشاعر القاسم بن عليّ بن هتيمل (دراسة وتحليل لمحمد بن أحمد عيسى العقيلي)، الطبعة الاولى، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.

---

(١) بعض هذا (الزمان أو الجمال !) يبلي (يفني، يأكل من) الحديد ... ولو عمره أعمار: لو كان له مع عمره أعمار أخرى (لو طال عمره أضعافاً).

(٢) الليالي الطوال (ليالي الأرق والهموم): المصائب. الليالي القصار (ليالي اللهو والسرور) – افنيت صدر عمري باندفاعي في اللهو ثم جاءت المصائب تقضي على ما بقي منه.

(٣) الحياة الجميلة الصحيحة والحب اللذيذ الصحيح يكونان في الشباب الأول (قبل أن ينجم أو يظهر ثدي الفتاة وقبل أن تبدو لحية الفتى – تلك مبالغة طبعاً !)

(٤) عرام، اشتداد، فورة. الوقار: الاحترام عند الناس والرصانة في السلوك.

(٥) الخلة (بكسر الخاء، ويجوز فيها الضم): المحبة والمصادقة (في الديوان: ضلة بالضاد، وهو خطأ). القتير: الغبار (المقصود: الشيب). الاقتار: الفقر.

(٦) الديمة: السحابة فيها مطر. مدرار: كثيرة الهطول (فيها ماء كثير). جادته ديمة: نزل في أرضه المطر بكثرة (بارك الله في صحته وماله ...)

(٧) الشريف الثانية والجوهر الثانية والنضار الثانية (اسم بمثابة الصفة توكيد للاسم السابق). الشريف: الكريم النسب والحسب (العمل). الجوهر: المعدن الثمين (كناية عن كرم الخلق). الخالص: الصافي، المبرأ من العيوب. النضار: الذهب الخالص؛ الشجر الذي لا يسقط ورقه في الشتاء.

(٨) علي الرضا: علي بن أبي طالب. عقيل وجعفر أخوا علي (جعفر يجب أن تكون بضمتين، ولكن الشاعر أجاز لنفسه حذف احدى الضمتين. يسمى جعفر (بضمتين) الطيار (بفتح الراء) لأنه كان في غزوة مؤته يحمل الراية بيده اليمنى فقطعت يده اليمنى، فأخذ الراية بيده اليسرى فقطعت يده اليسرى، فاحتضن الراية وظل ثابتاً في المعركة حتى قتل شهيداً، ولذلك سيتبدل بيديه يوم القيامة جناحين يطير بهما في الجنة.

(٩) المغار: الغارة، المعركة. لا يمنعه من أن يرسل الخيل والرجال الى معركة ثم يرسل في الوقت نفسه رجالا وخيلا الى معركة أو معارك أخرى (لكثرة ما عنده من الرجال والخيل).

ابن جلنك الشاعر

١ – هو الشيخُ شهابُ الدين (؟) أحمدُ بن أبي بكرِ الحلبيُّ، يبدو أنّه تطوّف بالبلاد: زارَ المَوْصِلَ ومَدَحَ شَمْسَ الدين بنَ خلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) في إحدى فَتْرَتَيْ تولّيهِ القضاءَ في دِمَشْقَ. ثمّ عادَ الى حلبَ واشترك في قِتالِ التَتَرِ فأسره التترُ وقتلوه سَنَةَ ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ – ١٣٠١ م).

٢ – كان ابن جلنك أديباً ظريفاً مَرِحاً معروفاً بالخلاعة وشاعراً ماهراً أكثرُ شعرِه الذي وصلَ إلينا مُقطّعاتٌ وُجدانيةٌ في النسيبِ والوصف قائمةٌ على تكلّفِ الصِناعة.

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ جلنك في النسيب والشكوى:

ماذا على غُصْنِهِ الميّالِ لو عَطَفا ... ومال عن طُرُقِ الهِجران وانْحرَفا [(١)]،
وعادَ لي عائدٌ منهم إلى صِلةٍ؛ ... حَسْبي مِنَ الشوق ما لاقَيْتُهُ وكفى [(٢)].
صفا له القلبُ حتّى لا يُمازجَه ... شيءٌ سِواه، وأمّا قلبه فصَفا [(٣)].
وزارَني طَيْفُه وَهْناً ليُؤْنِسَني ... فاستَصْحَبَ النوم منْ جَفْنَيَّ وانْصَرفا [(٤)].
ورُمْتُ من خَصْرِه بُرءاً فزُدتُّ ضنىً، ... وطالبُ البُرءِ والمطلوبُ قد ضَعُفا [(٥)].
حكى الدُجى شعرَه طولاً فخاصَمني، ... فضاعَ بينَهما عُمْري وما انْتَصفا [(٦)].

---

(١) غصنه الميال: قوامه، قامته الجميلة التي تميل (من الشباب والغنج). عطف: حنّ.

(٢) وعاد لي عائد منه الى صلة (فيها تورية): رجع الى صلته القديمة بي – والعائد هو الضمير الذي يعود (يرجع) الى اسم الموصول. والصلة هي الجملة التي تأتي بعد اسم الموصول.

(٣) صفا الأولى (فعل): راق، أصبح صافياً. صفا الثانية (اسم): صخر.

(٤) الطيف: الخيال يأتي في المنام. وهنا: بعد منتصف الليل. استصحب النوم: أخذ نومي مني وانصرف (ذهب وتركني).

(٥) رمت (أردت) من خصره (وسط جسمه، وصاله، التمتع به) برءاً (شفاء). ضنى: ضعف ونحول. طالب البرء (أنا، المحب) والمطلوب (خصره) قد ضعفا (كلاهما ضعيف).

(٦) الدجى: الليل. – ليلي أصبح طويلا (أشكو من الحب من غير فائدة) مثل شعره. فخاصمني (عاداني)، جعلني أجادل: أشعره أطول (أهو أجمل) أم الليل أطول (هجره لي أطول). انتصفا إما أن تكون «انتصف» (والألف للاطلاق في القافية): أي عمري لم يستفد من هذا الجدال – أو الليل وشعره لم ينتصفا (بالتثنية) لم يجدا إنصافاً عندي (لم أستطع أن أقول أيهما أطول).

ــ وقال في وصفِ اللونِ الأحمرِ على قوائمِ الحَمام :

لا تَحْسَبَنَّ خِضابَها النامي على الـ قَدَمَيْنِ بالمُتَكَلَّفِ المصنوعِ ؛
لكنّها بالهَجْــرِ خاضَتْ في دَمــي فتَسَرْبَلَتْ أقدامُهــا بنَجيعٍ[1] .

٤ ــ ٥ * فوات الوفيات ١ : ٤١ ــ ٤٣ ؛ المنهل الصافي ١ : ٢٠٦ ــ ٢٠٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٥٦ .

ابن دقيق العيـــد *

١ ــ هو تقي الدين أبو الفتح محمّدُ بنُ عليِّ بنِ وهبِ[2] بنِ مُطيعِ بن أبي الطاعة القُشيري المَنْفَلوطيّ القُوصي ، وُلِدَ في ٢٥ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٢٥ (٣١/ ٧/ ١٢٢٨ م) في مركبٍ كان أبواه متوجّهين فيه الى الحجّ .

نشأ ابنُ دقيقِ العيدِ في مدينة قُوص في صعيدِ مِصْرَ وبدأ تلقّي العلمِ على والده . ثمّ انه جاء الى القاهرة فتابع تلقّي العلم ؛ وفي سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) ذهب الى دِمَشْقَ وسَمِــعَ من علمائها . ولمّا عاد الى قوص جعل يدرّس في المدرسة النَجيبية ثم تولّى في قوص القضاء على المذهب المالكيّ .

وقُبيلَ ٦٦٥ هـ جاء ابن دقيق العيد إلى القاهرة يُنْفِقُ أكثرَ أوقاتِه في التقوى والمطالعة والتدريس . ثم انتقل الى المَذْهب الشافعي. وفي ١٨ جُمادى الأُولى من سنة ٦٩٥ هـ (٢٥/ ٣/ ١٢٩٦ م) تولّى مَنْصِبَ قاضي القضاة بالديارِ المِصرية وبَقِيَ فيه حتّى وافاه الأجلُ في ١١ صَفَرَ من سنة ٧٠٢ هـ (٤/ ٩/ ١٣٠٢ م) .

٢ ــ كانَ ابنُ دقيقِ العيدِ من الحُفّاظ للحديثِ بارعاً في علومهِ عارفاً بالفِقْه وبعلوم اللغة العربية . وكذلك كان خَطيباً بليغاً مُحْسِناً وأديباً شاعراً ؛ غير أنّ شِعْره ينوء بالجَفاف الذي ينوء به شِعْرُ العلماء عادةً كما هو مُثْقَلٌ أحياناً بالصِناعة والتكلّف . أما فنونُه فهي البديعيّات وشيءٌ من الأغراض الصوفية ومن الأدب (الحكمة) والنَسيب .

---

(١) بالهجر : بالهجران (البعاد والقطيعة) أو بالكلام القبيح . خاضت في دمي : عذبتني . تسربل : لبس ثوباً طويلا . نجيع : دم .

(٢) وهب هو أبو العطايا دقيق العيد .

٣ – مختارات من شعره

– من بديعيّة (مِدْحة في محمّدٍ رسولِ اللهِ) لابنِ دقيقِ العيدِ :

بَعثُهُ بَعْثُ كلِّ خيرٍ ، وميلا دُ الهُدى والتقى مَعاً ميلادُهْ .
فالمَعالي لِذاتِه ، وعلومُ الغَيْـ ـبِ لَذّاتُه ومنها مِداده[١] .
ولَه في صِفاتِه ومزايا هُ كَمالٌ تَشْجَى بِه حُسّاده[٢] .
وبهِ قد تَدارَكَ اللهُ أهلَ الـ أرضِ لمّا طغى عليها عِباده ،
وغدا فِيهِمُ لإبليسَ سوقٌ قائمٌ بينَهم بَعيدٌ كَسادُهْ[٣] ،
فأتاهُمْ نورٌ مبينٌ ودينٌ واضحٌ حقّه جَليٌّ سَداده[٤] !

– وله في الشَيْب والشَباب :

تمنّيتُ أنّ الشيب عاجَلَ لِمّتي وقَرّب منّي في صِبايَ مَزارَهُ[٥] :
لآخُذَ من عَصْرِ الشبابِ نَشاطَهُ ، وآخذَ من عصرِ المَشيب وَقاره !

– وقال في حالهِ الاولى قبلَ أن تُقْبِلَ عليه الدنيا :

لَعَمْري ، لقد قاسَيْتُ بالفَقْرِ شِدّةً وَقَعْتُ بها في حَيْرة وشَتات[٦] :
فإن بُحْتُ بالشكوى هتَكْتُ مُروءتي ، وان لَمْ أبُحْ –بالصبرِ– خِفْتُ مَماتي .
فأعْظِمْ بهِ من نازلٍ بمُلِمّةٍ يُزيل حَيائي أو يُزيل حَياتي[٧] !

٤ – إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، القاهرة (مطبعة السنّة المحمديّة) ١٣٧٢ هـ .
الالمام بأحاديث الأحكام (راجعه محمّد سعيد المولوي) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦٣ م .
المنتقى من إحكام الأحكام شرح عمدة الاحكام ، بغداد (دار النذير للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م .

---

(١) لذاته : له وحده اذ هو المخصوص بها . علوم الغيب لذاته : فيها اهتمامه ورغبته (لنفع أمته) . مداده = (مدد له) : ما يستمد منه العلم والقوة والعون (من الله) .
(٢) تشجى : تحزن ، تستاء .
(٣) سوق قائم = قائمة : نافقة ، رائجة (أصبح أتباع ابليس كثيرين) . بعيد كساده : لا ينتظر أن يكسد ، أن يبور (أن يترك الناس اتباع ابليس) .
(٤) جلي سداده (صوابه) : وجه الحق فيه ظاهر .
(٥) اللمة : الشعر في مقدم الرأس .
(٦) الشتات : تفرق البال (اضطراب النفس) .
(٧) نازل بمنمة : مصيبة شديدة .

* ابن دقيق العيد : حياته وديوانه ، بحث تقدّم به علي صافي حسين ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٠ م .

فوات الوفيات ٢ : ٣٠٥ – ٣١٠ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٢١٠ – ٢١٤ (رقم ٤١٢٠) ؛ من ذيول العبر ٢١–٢٢ ؛ طبقات الشافعية ٤ : ٢٠ – ٢٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٥ – ٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٢٩ – ٢٣٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٧٥ ، الملحق ٢ : ٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٣ – ١٧٤ .

ابن الطقطقى

١ – هو صَفيّ الدينُ محمّدُ بن عليّ بنِ طَباطبا بن الطِقْطِقَى العَلَويُّ ، وُلِدَ نحو سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) . ثم انه خلَفَ أباه في نِقابة العَلَويّين (في الفُرات الأوسط) ، لمّا اغتيل أبوه (٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م) .

وفي سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) سافر إلى المَوْصل فحَجزَهُ الثلجُ الكثيفُ مدّة ألّف في أثنائها كتاب « الفَخْري في الآداب السلطانية والممالك الاسلامية » لفخر الدين عيسى بن ابراهيم والي الموصل من قِبَل السُلْطان غازان المغولي[1] .

ولعلّ وفاةَ ابنِ الطِقْطِقَى كانتْ سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ – ١٣١٠ م) .

٢ – كان ابن الطِقْطِقى أديباً بارعاً ومؤرّخاً فَهِماً . وكتابه « الفَخْري » على صِغَرِ حَجْمِه دليلٌ واضحٌ على ذلك : يَصِفُ المؤلّف في مُقدمة « الفخري » مكانةَ الكُتُب في حياةِ الإنسان وقيمةَ العقلِ ويَسْتَشْهِدُ على ذلك كلّه بأقوالِ الحكماء وأشعارِ الشعراء ، يَفْعَلُ ذلك بأسلوبٍ سَهْلٍ واضحٍ عَذْبٍ . وابن الطقطقى مُعْجَبٌ بكتابه ؛ وأرى أنه غيرُ مخطىء ولا مُبالغٍ .

وكتاب « الفخري » فَصلان (قِسمان) . فالفصل الأول : « في الأمور السلطانية والسياسات الملكيّة » . أشار ابنُ الطِقْطِقى في مطلعه الى حقيقةِ الملك وأقسامه وإلى آراء العلماء في ما يوافق الشرع من المُلْكِ وما لا يوافقه . ثمّ تبسّط في السياسات والآداب التي يُنْتَفَعُ بها في الحوادث الواقعة في سياسة الرعية : حقوقِ الرعيّة على الملك وحقوق الملك على الرعيّة . وكان ابنُ الطِقْطِقى في عددٍ من المدارك والمعاني الاجتماعية سابقاً على ابنِ خلْدون ؛ إلاّ أنّ ابنَ الطقطقى أوردَ هذه المدارك والمعاني إيراداً أدبياً خفيفاً على النفس بينما نَظَم ابنُ خلدونٍ هذه المدارك والمعاني وقسّمها

(١) عيسى بن ابراهيم – انظر الفخري (بيروت) ص ٨ . غازان : غازان محمود ، ايلخان (سلطان) فارس (٦٩٤ – ٧٠٣ هـ) .



فصولاً وقعّد لها القواعدَ ونتّج لها النتائج .

وفي الفصل الثاني يتناول ابنُ الطقطقى « الكلامَ على دَولةٍ دولةٍ » : « دولةِ الأربعةِ (الخلفاء الراشدين) ثم الدولة الأُموية ثم الدولة العبّاسية وما نبع في أثناء الدولة العبّاسية من الدويلات كالدولة الفاطمية والدولة البويهية والدولة السلجوقية وسواها . وهو يتخيّر الأحداث الدالّةَ ثم يستطرد استطرادات مُفيدةً الى أوجه الحياةِ الاجتماعية . وكثيراً ما يقرّب ما يريد من الأذهان بإيراد حكّايةٍ أو بالاستشهادِ بشعرٍ ممّا يُسْبِــغ على الكتاب كلّهِ رونقاً أدبياً مُحبّباً من غير مفارقةٍ لِصحةِ السَّرْدِ وتحرّي الحق .

وابن الطقطقى مُنْصفٌ جدّاً في تدوين التاريخ وتَعْليله . كان ابن الطقطقى شيعيّاً ونقيباً للعلويّين ، ومع ذلك فهو يقول في مُعاويـَة (في مَعْرِضِ الإشارة الى حَقيقة الملك والسياسة) : « وأما مُعاويةُ ، رَضِيَ الله عنه ، فكان عاقلاً في دُنياه ، حليماً مَلِكاً قَوِيّاً جيّدَ السياسة .... وبِمِثْلِ هذه السيرة صارَ خليفةَ العالم وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من كان يَعتقدُ أنه أولى منه بالخلافة » .

٣ ــ مختارات من مقدّمة كتاب الفخري

.... وبعدُ ، فإنّ أفضلَ ما نَظَرَ فيه خواصُّ الملوكِ وسلَكوا اليه أفضلَ السُلوك ، بعدَ نَظَرِهم في أمرِ الأُمّة وقيامهِم فيما استُودِعوا بالحجّة ، هو النظرُ في العلومِ والإقبال على الكتب التي صدرتْ عن شرائفِ الفهوم . فأمّا فضيلةُ العلم فظاهرةٌ ظهورَ الشمسِ عَرِيَّةٌ عن الشكّ واللَّبْس[1] ....

وهذا كتابٌ تكلّمتُ فيه على أحوالِ الدُوَلِ وأمورِ المُلْكِ وذكَرْتُ فيه ما استَظْرَفْتُه من أحوال المُلوك الفضلاء واستَقْرَيْتُه من سِيَرِ الخلفاء والوزراء ......

وهذا كتابٌ يَحتاجُ إليه مَنْ يَسوسُ الجُمهورَ ويُدَبِّرُ الأمورَ ، وإنْ أنْصفَ الناسُ أخذوا أولادَهم بتَحَفُّظه وتَدَبُّرِ معانيه بعدَ أن يتَدَبّروه هم : فما الصغيرُ بأحوجَ إليه من الكبير ، ولا المَلِكُ العامُّ الطاعةِ بأحوجَ اليه من ملكِ مدينةٍ ؛ ولا ذَوُو المُلكِ أحوجُ إليه من ذوي الأدب ، فانّ من يَنْصِبُ نفسَه لمفاوضةِ الملوك ومجالستهم ومذاكَرَتِهِمْ يَحتاجُ إلى أكثَرَ ممّا في هذا الكتابِ ، فعلى أقلِّ الأقسامِ[2] لا يَسَعُهُ تَرْكُه .

---

(١) اللبس : اختلاط الظلام ، الغموض .

(٢) أقل الاقسام : أقل هذه الأمور أهمية .

وهذا الكتابُ إنّ نُظِرَ (اليه) بعينِ الإنصاف رُئِيَ أنفعَ مِنَ الحماسة التي لَهِجَ[1] الناسُ بها وأخذوا أولادَهم بحِفْظِها. فإنّ الحماسةَ لا يُستفادُ منها أكثَرَ من الترغيبِ في الشجاعة والضيافة وشيءٍ يسيرٍ من الاخلاق في الباب المسمّى بابِ الأدب، والتأنُّسِ بالمذاهبِ الشعرية. وهذا الكتابُ يُستفادُ منه في الخصال المذكورةِ ويُستفادُ منه في قواعدِ السياسةِ وأدَوَاتِ الرئاسة. فهذا فيه ما في الحماسة، وليس في الحماسة ما فيه. وإنّه ليُفيدُ العقلَ قوّةً والذهْنَ حِدّةً والبصيرةَ نوراً؛ وهو للخاطر الذكيّ بمَنْزِلَةِ المِسَنّ الجيّدِ للفولاذ. وهو أيضاً أنفعُ من المَقامات[2] التي الناسُ بها معتقدون وفي تَحَفُّظِها راغبون، إذ المقاماتُ لا يُستفادُ منها سوى التمرُّنِ على الإنشاء والوقوفِ على مذاهبِ النظم والنثْر. نَعَمْ، وفيها حِكَمٌ وحِيَلٌ وتَجاربُ، إلاّ أنّ ذلك ممّا يُصَغِّرُ الهِمّةَ اذ هو مَبْنِيٌ على السؤالِ والاستِجْداء والتَحَيُّلِ القبيحِ على تحصيل النَزْرِ الطَّفيف؛ فإنْ نَفَعَتْ من جانبٍ ضَرّتْ من جانب. وبعضُ الناس تَنَبّهوا على هذا مِنَ المقاماتِ الحَريريّة والبَديعيّة[3]، فعَدَلَ ناسٌ الى نهجِ البلاغةِ من كلامِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلامُ، فإنّه الكتابُ الذي يُتَعَلَّمُ منه الحِكَمُ والمواعظُ والخُطَبُ والتوحيدُ والشجاعة والزُهْد وعُلُوُّ الهِمّة ....

ولعلّ قائلاً أن يقولَ: لقد بالغَ في وَصْفِ كتابه وحشا ما شاء في جِرابه[4]، والمرءُ مفتونٌ بابنهِ وشعره. فإن اعتراهُ رَيْبٌ فَلْيَتَأمَّلِ الكُتُبَ المصنّفةَ في هذا الفنّ، فلَعَلّه لا يرى فيها كتاباً أجمعَ للمَعْنى الذي قُصِدَ بهِ من هذا الكتاب ...

٤ ــ الفخري (تحرير آلوارت)، غوتنجن (برتيس) ١٨٦٠ م؛ (تحرير ديرنبرغ)، باريس (بوييون) ١٨٩٥ م، ١٩٠٥ م؛ مصر (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة (مكتبة العرب) ١٣٣٩ هـ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٠ هـ؛ مصر ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)؛ بيروت (دار بيروت للطباعة والنشر) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

* بروكلمان ٢: ٢٠٧، الملحق ٢: ٢٠١ ــ ٢٠٢؛ زيدان ٣: ٢١٥ ــ ٢١٦؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٩٥٦؛ الاعلام للزركلي ٧: ١٧٤.

---

(١) كتاب الحماسة أو ديوان الحماسة لأبي تمام (راجع، فوق، ص٢: ٢٥٣). لهج بالشيء: أولع (بالبناء للمجهول) به وأكثر من ذكره.

(٢) المقامات (راجع، فوق، ٢: ٤١٢ وما بعد، ٥٩٥ وما بعد؛ ثم ٣: ٢٣٨).

(٣) المنسوبة الى بديع الزمان والى الحريري (راجع الحاشية السابقة).



ابن عطـــاء السكندري

١ ــ هو تاجُ الدينِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الكريم بن عَطاءِ الله السكَندريّ (الإسكندري) سَمِــعَ من الأبْرقوهي (ت ٧٠١ هـ) ، وتلقّى عدداً من العلوم ، وصَحِبَ المتصوّفَ أبا العبّاسِ المُرْسِيَّ (ت ٦٨٦ هـ) ثمّ تصدّرَ للتدريسِ والوَعْظ في الجامعِ الأزهر . وكانت وفاتُه في القاهرةِ في سادسِ عَشَرَ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٧٠٩ هـ (٢١/ ١١/ ١٣٠٩ م) .

٢ ــ كان ابنُ عطاءِ السكَندري من كِبارِ المتصوّفةِ في زمانِه حَسَنَ الوعظ لَيِّنَ الكلامِ عارفاً كثيرَ التأثيرِ في السامعين . وكان من الذين حملوا على تَقِيِّ الدين ابنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) . ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : رسالةٌ (في الخوف من الله) ــ رسالةُ القَصْد (العِقد) المجرد في معرفة اسم الله المفرد ــ مِفتاح الفَلاح ومِصباح الأرواح ــ التنوير في إسقاط التدبير ــ الطريق الجادّة في نيل السعادة ــ الحِكَم العطائية ــ تاج العروس وقمع النفوس ــ التحفة في التصوّف ــ لطائف المِنَن في مناقب الشيخ أبي العبّاس (المُرسي) وشيخِه أبي الحسن (الشاذلي) ــ أنس العروس ــ وصيّة شُبْهة السَماع (وعليها « كشف القناع » وهو شرح لها) . وله أيضاً رسائلُ قِصارٌ وقصائدُ ومواعظُ مختلفةٌ .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابنُ عطاءِ السكَندري (في تاج العروس) :

أيها العبدُ ، اطلُبِ التوبةَ مِنَ اللهِ في كلِّ وقتٍ ، فانّ اللهَ تعالى قد نَدَبَكَ[(١)] إليها فقال تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً ، أيُّها المؤمنون ، لَعَلّكم تُفْلحون »[(٢)] .... فإن أردتَّ التوبةَ فيَنْبغي لك أن (لا) تَخْلُوَ من التفكير طول عُمُرِك فتفكّرَ في ماصنعت في نَهارك : فإنْ وجَدتَّ طاعةً فاشكرِ اللهَ عليها ، وان وجدتَّ مَعْصِيَةً فَوَبِّــخْ نفسَكَ على ذلك وتُبْ إلى الله .... واعلَمْ أن المعصيةَ تتضمّنُ نَقْضَ العَهد وتحليلَ عِقْدِ الوُدِّ والإيثار على المَوْلى والطاعةَ للهَوى وخلعَ جِلْباب الحياء والمُبادرة لله

(١) ندبك الله : دعاك ، طلب منك .
(٢) القرآن الكريم ، سورة النور (٢٤ : ٣١) .

بما لا يَرْضى[1] ....

ما أحسنَ العيشَ إذا أطعتَ اللهَ بذِكْرِ اللهِ تعالى والصلاةِ على رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلَّم. يُرْوى أنّه ما مِنْ صَيْـد يُصادُ ولا شَجَرَة تُقْطَعُ إلاّ بغَفْلَتِهما عن ذكرِ اللهِ تعالى، لأنّ السارقَ لا يَسْرِقُ بيتاً وأهلُه أيْقاظٌ، بل على غَفْلةٍ ونَوْمٍ .....

٤ – تاج العروس وقمع النفوس (طبع مراراً).

منهاج الفلاح (على هامش «لطائف المنن» للشعراني)، القاهرة ١٣٢١ هـ.

لطائف المنن، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ هـ؛ تونس ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (على هامش لطائف المنن للشعرانيّ)، ١٣٢٢ هـ.

القصد المجرد، القاهرة ١٩٣٠ م.

التنوير في اسقاط التدبير، القاهرة ١٢٨١، ١٢٩٠، ١٣٠٠، ١٣١٣، ١٣٢١ هـ؛ (على هامش «النظم المحتاج» لابن بنّيس) فاس ١٣١٢ هـ.

الحكم العطائية، بولاق ١٢٨٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٣، ١٣١٦ هـ؛ (على هامش سعادة الدارين) ١٣١٨ هـ.

– للحكم العطائية شروح:

غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائية لمحمّد بن ابراهيم بن عبّاد النِفَّريّ (ت ٧٩٢ هـ) مصر ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٣ هـ.

إيقاظ النيام (شرح الحكم العطائية) لأحمد بن محمّد بن عجيبة الحسيني المغربي (ت ١٢٢٤ هـ)، مطبوع في «مجموع»، القاهرة ١٣٢٤ هـ.

تنبيه ذَوِي الهِمَم لأحمد بن أحمد بن محمّد بن زرّوق (ت ٨٩٩ هـ)، القاهرة ١٢٨٨–١٢٨٩هـ.

– ونُظم بعض كتب ابن عطاء شعراً:

النظم المحتاج لعبد الكريم بن محمّد عربي بن بنيّس، فاس ١٣١٢ هـ.

تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس وقمع النفوس، القاهرة ١٣٢٢، ١٣٢٦، ١٣٢٧ هـ.

* * طبقات الشافعية للسبكي ٧ : ١٧٦؛ طبقات الشعراني ٢ : ١٨؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٩١–٢٩٣ (رقم ٧٠٠)؛ من ذيول العبر ٤٨؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٠؛ شذرات الذهب ٦ : ١٩ – ٢٠؛ بروكلمان ٢ : ١٤٣ – ١٤٤، الملحق ٢ : ١٤٥ – ١٤٧؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٢ – ٧٢٣؛ زيدان ٣ : ٢٦٧؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٣.

---

(١) ان الله قد أخذ على الناس عهداً بأن يعبدوه ويطيعوه. تحليل عقد الود: التحلل من عقد الود (الوداد، الصداقة والمحبة): نقض للاتفاق في تبادل المودة. الايثار: التفضيل. المولى: الله. الجلباب: اللباس. المبادرة لله بما لا يرضى؛ تبدأ بمعصية الله (مع احسان الله اليك دائماً).



شهاب الدين العزازي

١ ــ هو أبو العبّاس شهابُ الدين أحمَدُ بنُ عبدِ المَلِكِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ العَزازيُّ، وُلِدَ في قَلْعةِ أعزاز (شَمالَ حَلَبَ) سَنَةَ ٦٢٣ هـ (١٢٣٥ م) أو سنة ٦٢٧ هـ.

انْتَقَلَ العَزازيُّ الى مِصْرَ فكانَ تاجراً بزّازاً في قيساريّةِ جَرْكَسَ[1] في القاهرة. وقد تُوُفّيَ في القاهرة في ٢٩ من المُحَرَّم من سنة ٧١٠ [2] (٢٨ ــ ٤ ــ ١٣١٠ م).

٢ ــ كان شهابُ الدين العَزازيُّ رَجُلاً كَيّساً ظَريفاً وكان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً يتعاطى النظم للفُكاهة والمُذاكرة[3]، ويُجيدُ التوشيح على الأوزان الغريبة من المُخمّسات والمُوَشّحات المختلفةِ الانواعِ. وفنونُ شعره البديعياتُ والمدح والهجاء والمُلَح والألغاز والمُذاكرات التي كانت بَيْنَه وبين الادباء والشعراء في عصره؛ وكان كثير المعارضة لاحمد بن حسن الموصلي عارض له قصائد وموشحات.

٣ ــ **مختارات من شعره**

ــ لشهابِ الدين العَزازيّ بَديعيّةٌ يُعارض فيها البُرْدَةَ لكَعْبِ بنِ زُهير[4]، مَطْلَعها:

دمي بأطْلالِ ذاتِ الخـالِ مَطْلولُ، وجيشُ صَبْرِيَ مهـزومٌ ومَفْلولُ[5].

وبعد أبياتٍ من الغَزَل يقول العَزازيّ:

ويا نَسيمَ الصَبا كَـرِّرْ على أُذُني حَديثَهُنَّ، فما التَكْرارُ مَمْلولُ[6].

---

(١) البزاز = الخزاز: الذي يصنع النسيج من الحرير أو يبيعه. قيسارية (بفتح القاف وتخفيف الياء = بلا شدة) في الاصل: اسم لعدد من المدن منسوبة لقيصر (ملك الروم). وكانت «القيسارية» (حتى القرن الماضي) كلمة مألوفة للدلالة على المكان الذي ينسج فيه الحرير.

(٢) في حسن المحاضرة (١ : ٢٧٣): مات بمصر سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

(٣) المذاكرة = مذاكرة الأنفاس: مباراة الادباء في استذكار الاشعار.

(٤) راجع الجزء الأول، ص ٢٨٣.

(٥) دم مطلول: ذهب هدراً (لم يؤخذ بثأر صاحبه ولا أخذت ديته ــ بلا شدة على الياء). مفلول: مقطع، متفرق (بعد الهزيمة).

(٦) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد باردة منعشة لانها تمر فوق جبال ايران ثم تأخذ شيئاً من الرطوبة من خليج البصرة).

ويا حُداةَ المَطايا دونَ ذي سَلَمٍ ، عُوجوا وشَرقيَّ باناتِ اللِوى قِيلوا[1].

منازلٌ لأكُفِّ الغَيْثِ تَوْشِيَـــةٌ بها ، وللنَّوْرِ تَوْشيعٌ وتَكْليل[2] ؛

كأنّما طِيـبُ ريّاها ونَفْحَتُهـــا بطِيبِ تُرْبِ رسولِ اللهِ مجبـول :

أوْفى النَبيّينَ بُرْهـــاناً ومُعْجِزَةً ، وخيرُ من جـاءه بالوَحْيِ جِبْريل .

له يـدٌ وله بـاعٌ يُزَيِّنُهـــا في السِلْمِ طَوْلٌ وفي يوم الوَغى طُول[3].

سَلَّ الإلهُ به سَيْفــاً لِمِلّتِه ؛ وذلك السيفُ حتّى الحَشْرِ مَسْلول[4] .

نَمَتْهُ من هاشمٍ أُسْدٌ ضَراغِمَةٌ لها السيوفُ بيوتٌ والقَنا غِيل[5] .

اذا تَفاخَرَ أرْبابُ العُلى فهُمُ الـ غُرُّ المَغاويرُ والصِيد البَهاليل[6] .

لهم على العَرَبِ العَــرْباء قاطِبَةً بهِ افْتخارٌ وترجيــحٌ وتفْضيل .

قومٌ عَمائِمُهُمْ ذَلّت لِعِزَّتِهـــا الـ قَعْساء تيجانُ كِسْرى والأكاليل[7] !

– ولشهاب الدين العزازي أبياتٌ رقيقة في الغزل ، قيل ادّعاها سبعون شاعراً ؛ منهـــا :

(١) يا أيها الحداة (جمع حاد : سائق) المطايا (جمع مطية = ركوبة : حيوان يمتطيه الناس للانتقال عليه) دون (قبل أن تصلوا الى) ذى سلم (مكان في الحجاز) ، عوجوا (ميلوا ، اعطفوا نحو) شرقي بانات (جمع بانة : نوع من الشجر) اللوى (المنحنى من الرمل الابيض) ثم قيلوا (ناموا بعد الظهر : اقضوا وقتاً ما) . – أيها الذاهبون الى الحجاز ، اسكنوا فيه .

(٢) توشية : تطريز ، ترقيش بالالوان . النور (بفتح النون) : الزهر الابيض . توشيع الثوب : إعلامه (تطريزه بصور مختلفة) . والوشوع : النبات المتفرق في الجبل ، الخ . التكليل : صنع الأكاليل .

(٣) الطول (بفتح الطاء) : الفضل ، الكرم . الطول (بضم الطاء) : الامتداد (كناية عن وصول اليد بالسيف الى العدو) .

(٤) وذلك السيف حتى الحشر (يوم القيامة) مسلول : سيبقى (الاسلام) منتصراً الى الابد .

(٥) نمته : رفعته (في النسب وفي التربية) من (بني) هاشم أسد ضراغمة (جمع ضرغامة : الشجاع والفحل والرجل الشديد) . القنا : الرماح . الغيل (بكسر الغين) : الشجر الكثير الملتف . – السيوف بيوت لهم (هم شجعان يحمون أنفسهم بالسيوف – بالحرب ، بالقوة) ورماحهم كثيرة (كأشجار الغابة) كناية عن كثرة الرجال القادرين على حمل السلاح منهم .

(٦) الغر جمع أغر : أبيض (ذو مكانة وجاه ومجد وعفاف) – المغاوير جمع مغوار : الكثير الغارات (الشجاع الجريء على العدو) . الصيد جمع أصيد : المائل العنق (كناية عن الاعجاب بالنفس مع الثقة بالقدرة على الأمور) . البهاليل جمع بهلول (بضم الباء) : السيد الجامع لكل خير .

(٧) العمائم جمع عمامة (بكسر العين) : نسيج يلف على الرأس (كناية عن البداوة وقلة الوسائل المادية) غلبت ملوك الفرس (ذوي التيجان) وملوك اليمن (ذوي الأكاليل) .

صاحَ في العاشقين : يا لَكِنانَهْ ! — رشأٌ في الجفونِ منه كِنانَهْ[1] ؛

بَدويٌّ بَدَتْ طلائعُ لَحْـ — ظَيْهِ فكانتْ فَتّاكةً فَتّانَهْ[2] .

ردَّ مِنّا القُلوبَ مُنْكَسِراتٍ — عِنْدما راحَ كاسِراً أجفانَه .

وغَزانا بقامةٍ وبِعَيْنٍ ، — تلكَ سَيّافةٌ وذي طَعّانَه[3] ؛

وأرانا –وقَدْ تَبَسَّمَ– بَرْقاً ، — فأرَيْناهُ دِيمةً هَتّانَه[4] .

فَهْوَ يَقْضي على النُفوسِ ولم تَقْـ — ضِ مِنَ الوَصْلِ في هَواهُ لُبانَه[5] .

سافِرُ الوَجْهِ عَنْ مَحاسِنِ بَدْرٍ ، — مائسُ القَدِّ عن مَعاطِفِ بانَه[6] .

لَسْتُ أدْري : أراكَةٌ هَزَّ من أعْـ — طافِه الهِيفِ أمْ لَوَى خَيْزُرانَه[7] !

خَطَراتُ النَسيمِ تَجْرَحُ خَدَّيْـ — هِ ، ولَمْسُ الحريرِ يُدمي بَنانَه !

قالَ لي ، والدَّلالُ يَعْطِفُ مِنْهُ — قامةً كالقضيبِ ذاتَ لِيانَه[8] :

هَلْ عَرَفْتَ الهَوى ؟ فقُلْتُ : وهل أُنْكِرُ دَعْواه ؟ قالَ : فاحْمِلْ هَوانَه !

---

(١) كنانة : قبيلة عربية ؛ جعبة (بفتح العين : وعاء) صغيرة توضع فيها السهام . يا لكنانة : يا بني كنانة (أدركوني وخلصوني من هوى هذا المحبوب) . في الجفون منه كنانة : كان عينيه قوسان ترميان العشاق بسهام كثيرة .

(٢) بدوي وبدوي (بسكون الدال) : نسبة الى البداوة (ضد الحضر) ؛ وبدوي (بفتح الدال) نادرة في الاستعمال (أقل فصاحة) . الطلائع جمع طليعة : أول الجيش . – يشبه عيون المحبوب وكأنها جيش (يفتك بالعشاق) .

(٣) القامة : القد . تلك (القامة) سيافة (تضرب بالسيف – لشبه القامة في استقامتها وتمايلها بالسيف) وذي = هذي = هذه (العين) طعانه (برمح – كأن في عينيه رمحين يطعنان العشاق) .

(٤) – لما ابتسم لمعت أسنانه كأنها برق ، فجرت دموعنا كأنها ديمة (سحابة ممطرة) هتانة (كثيرة هطول المطر) ... حزنا حزناً شديداً إذ لم نتمكن من وصاله .

(٥) يقضي على النفس : يقتل النفوس (نفوس العاشقين) . لم تقض (لم تنل) في هواه (في حبه) لبانة (حاجة) = لم تنل رغبتها منه .

(٦) سافر الوجه (كاشف الوجه ، يظهر بوجه) ... مائس القد ، متأود ، متمايل . القد : القامة . معاطف = أطراف = أغصان . بانة شجرة البان (شجر أغصانه مستقيمة لينة تتثنى وتتمايل بسهولة في الريح) .

(٧) الاراكة شجرة حجازية تتخذ منها المساويك ... الهيف جمع أهيف (دقيق ، نحيف ، نحيل) . الخيزرانة : نوع من القصب الاصم (الصامد ، المملوء القلب) ينحني بسهولة ولا ينكسر .

(٨) الليان (بفتح اللام) : لين العيش ورخاؤه . وليانة صيغة ليست في القاموس ، والشاعر يقصد بها اللين ، التثني .

– وللعزازي مُوشَّحَةٌ يعارض بها موشّحة احمدبن حسن الموصلي (راجع، فوق ، ص ٦٥٩) منها :

يا ليلةَ الوصلِ وكأسِ العُقارْ دونَ استتارْ عَلّمتُماني كيفَ خَلْعُ العِذارْ[1] .

اغتَنِم اللذّاتِ قبلَ الذهابْ،
وجُرَّ أذيالَ الصبا والشبابْ،
واشرَبْ ؛ فقدْ طابتْ كؤوسُ الشرابْ

على خدودٍ تُنْبِتُ الجُلّنارْ ذاتِ احمرارْ طرّزَها الحُسْنُ بآسِ العِذارْ[2] .

الراحُ ، لا شكَّ ، حياةُ النفوسْ ؛
فَحَلِّ منها عاطِلاتِ الكُؤوسْ ،
واستَجْلِها بين النَدامى عَروسْ

تُجْلَى على خُطّابِها في إزارْ من النُضارْ حَبابُها قامَ مَقامَ النِثارْ[3] .

اجْنِ مِنَ الوَصْلِ ثِمارَ المُنى ،
وواصِلِ الكأسَ بما أمْكَنا
مَعْ طَيِّبِ الريقةِ حُلْوِ الجَنى،

بمقْلةٍ أفتكَ من ذي الفَقارْ ذاتِ احْورارْ مَنْصورةِ الأجْفانِ بالانْكسارْ[4].

٤ – * فوات الوفيات ١ : ٦١ – ٦٩ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٠٥ – ٢٠٦ (رقم ٤٩٧) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٤٠ – ٣٥٢ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١ – ٢٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٨ ، الملحق ٢ : ١ ؛ زيدان ٣ : ١٣١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ .

---

(١) العقار : الخمر .

(٢) العذار : جلدتا اللجام الى جانبي رأس الفرس . خلع العذار : قلة المبالاة والانفلات من قواعد السلوك .

(٢) الجلنار : زهر الرمان . خدود تنبت الجلنار : خدود تتلون بالحمرة (كناية عن الشبيبة والجمال) . العذار : الشعر النابت على جانبي الوجه (في أول أمره) .

(٣) حلى يحلي : زين . استجلى الرجل الشيء : استخرجه من ستره ، نظر اليه بعد أن لم يكن يراه . النضار : الذهب . النثار : ما ينثر في العرس على العروس أو على الحاضرين (كأن الحباب على وجه الخمر الحمراء نثار من الفضة البيضاء) .

(٤) اجن : اقطف . المنى جمع منية (بضم الميم) : ما يرغب الانسان في الحصول عليه . ذو الفقار : سيف الامام علي (كناية عن شدة الفتك والتأثير). الاحورار : اشتداد البياض في بياض العين واشتداد السواد في سوادها. بالانكسار = بانكسار الأجفان (كناية عن ذبول العينين من الدلال والغنج).



محمد بن دانيال

١ ـ هو شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ دانيـالَ بنِ يوسُفَ المَوْصِليُّ الخُزاعيّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سَنَةَ ٦٤٦ هـ (١٢٣٨ م) . وفي الموصل بدأ محمّدُ ابنُ دانيالَ بتَلَقّي العلم ، ويبدو أنّه حَفِظَ شيئاً من القرآن وقرأ شيئاً من الحديث ومن الأدب .

ثمّ نَجِدُ محمّدَ بنَ دانيالَ يُهاجِرُ الى مِصْرَ ، سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ ـ ١٢٦٧ م) ، وكان السلطانُ الظاهر بَيْبَرْسُ قَد مَنَعَ الخمر (٦٦٤ هـ) ثمّ عادَ فمنع جميعَ الملاهي الشائنة (٦٦٥ هـ) . ويبدو أن هذه الحالَ من الصّلاح لم تُوافق مَيْلَ ابنِ دانيالَ الى المُجون فرأينا له شيئاً من النقد اللاذِع ، فيما يتعلّق بذلك ، في شِعْره ونَثْره .

وعلى كلٍّ فقدْ حاولَ محمّدُ بنُ دانيالَ أن يُكْمِلَ تحصيلَ العلم في القاهرة فقرأ شيئاً من الادب على الشيخ مُعين الدولة الفِهْريّ (ت ٦٨٥ هـ) ثمّ تلقّى شيئاً من التكحيل (مُداواة العيون) واتّخذ دُكّاناً في محلّة « باب الفتوح » يُكَحِّلُ المَرْضى ، ولذلك كان يسمّى « الحكيم » . ويبدو أن كَسْبه من التكحيل كان قليلاً فعاشَ في عُسْرٍ ، ثمّ رأينا حياته الزوجية أيضاً غيرَ مطمئِنّةٍ .

وكان ابنُ دانيالَ يَعْمَلُ ، الى جانبِ عمله في التكحيل ، في التمثيل (بخَيال الظلِّ)[1] . ثمّ شاعَ أمرُه في الدُعابة والهَزْل فمال اليه نَفَرٌ من الحُكّام والوجهاء فحَسُنَتْ حالُه ، ولكنّه كان قد أصبح في السنوات الأخيرة من حياته .

وكانت وفاةُ محمّدِ بنِ دانيالَ في ١٢ من جُمادى الثانية من سنةِ ٧١٠ هـ (٧/ ١١/ ١٣١٠ م) .

٢ ـ تقومُ شُهرةُ محمّدِ بنِ دانيالَ على ثَلاثِ باباتٍ[2] (تمثيليّات) وَصَلَتْ إلينا منه ، هِيَ : بابةُ طَيْفِ الخَيال ، بابةُ عجيبٍ وغريبٍ ، بابة المُتَيَّم والضائع اليتيم . ولقد وَسّع محمد بن دانيال باباتِه في « خيال الظلّ » حتّى أصبحتْ تَمْثيليّاتٍ ـ ولا بأسَ في أن نُسَمِّيَها « مسرحيّاتٍ » ـ لأنّها وُضِعتْ للمسرح وللتمثيل الفعلي .

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٦١٢ (خصائص العصر) .

(٢) البابة (بتاء ملحقة بكلمة باب : نوع) : تمثيلية ظلية (تمثيلية من تمثيليات خيال الظل) . وكان يرافق التشبيح (التمثيل من وراء ستار) حوار .



« باباتُ خيَال الظلِّ » مسرحياتٌ هزْلية سُوقيّة فيها فنٌ يَضيع في السَفاسف وفي المُجون الذي يَبْلُغُ الى الإباحة المُطْلَقَة في اللفظِ الداعرِ أحياناً . على أن فيها أحياناً أخرى لَفَتات بارعةٌ من النقد الاجتماعيّ . ومَعَ أن مُتونَ البابات باللغة الفُصْحى نثراً ونظماً ، فقد تَمرُّ بينَ الحين والحين بالكلمة العاميّة والتركيب الركيك ممّا يألفه العامّة وبالمدارك السُوقية ثم بكثيرٍ من الالفاظ الجِنْسية والصُوَر الخلاعية ، ممّا يصور جانباً من البيئة في ذلك العصر وجانباً من النفس الإنسانية في كلّ عصر . وكان ابن دانيال يضع القصة وينظم الأصواتَ (الأغاني) ويلحنها ويفصل الأزياء للشخصيات .

ولمحمّد بن دانيال أُرْجوزةٌ سمّاها « عقود النظام في من وَلِيَ مِصْرَ من الحُكّام » ، وربّما كانت له قصائدُ أخرى مُسْتَقلّة ؛ ولكنّ مُعْظَمَ أشعارِ ابن دانيالَ — سواءٌ أكانت مقاطِعَ أو قصائدَ طِوالاً — مذكورةٌ في باباته الثلاث . ولكن بما أن هذه البابات لم تُدَوَّنْ إلاّ بعدَ أمَدٍ طويلٍ من موت ابن دانيالَ ، فالغالبُ على الظنّ أنّه قد دخل عليها تصحيفٌ وتبديلٌ وزيادة ونقصان (في نثرها وشعرها) .

مُلَخّصُ بابة « طيف الخيال » :

يَمَلُّ الأميرُ وِصالٌ حياةَ العَبَثِ والفِسْق ويُجْمِعُ أمرَه على الزّواج فيستدعي الخاطبةَ أمَّ رشيدٍ ويَطْلُبُ منها أن تَدُلّه على عَروسٍ تكون فيها جميعُ الصفات الحَميدة في كلِ شيء : في جَسَدِها ونفسها وبيئتها . فتذكرُ له أمّ رشيد فتاةً وتَصِفُها بجميعِ تلك الصفاتِ وبأكثرَ منها . ثمّ تطلُبُ منه نَفَقات باهظةً في كلّ شيء ، ولكن لا تَسْمَحُ له بأن يرى الفتاةَ لأنّ ذلك مُخالِفٌ للعاداتِ الجارية المألوفة . وفي يوم الزفافِ يَجِدُ الاميرُ وِصالٌ أنّ العروسَ قبيحةٌ شَوْهاءُ مُخيفةُ النَظَرِ وأنّ لها ابْناً أيضاً فيكادُ يُغْمى عليه من هَوْل الصَدْمة . ثمّ يَستفيقُ من ذُهوله فيَعْزِمُ على الانتقام منْ أمّ رشيدٍ ، ولكنّ زوجَها يُخْبِرُه بأنّها قد تُوُفِّيَتْ منذُ ساعات . ويتجسّم للأميرِ وِصالٍ سوءُ ماكان فيه من الجُرْأة على الفِسْق والفُجور فيستغفرُ اللهَ من ذلك ويتهيأُ للذَهاب الى الحجّ لِيُكَفِّرَ عن ذُنوبه الماضيَة .

ملخّص بابة « عجيب وغريب » :

هيَ مجموعٌ من مناظرَ حقيقية مُضحكة لا يَجْمَعُ بينَها سِوى أنّها مشاهدُ مألوفةٌ ومستغربة معاً في حياة النّاس العاديّين . من هذه المشاهد : الحاوي الذي يُلاعب الأفاعيَ ثمّ يُعْلِنُ عن دواءٍ معَه يشفي من لَدْغ الافاعي لِيَبيعَه للنَظّارة

– هِلالُ المنجّمُ الذي يُخْبِرُ الناس بوجوبِ معرفة طوالِعِهِم حتّى يَعْرِفوا الأحداثَ في مستقبل حياتِهم ثمّ يَعْرِضُ على النظّارة أن يَسْتَخْبِرَ لهم المستقبلَ لِقاءَ دَراهِمَ كثيرةٍ أو قليلة – القرّاد الذي يُلاعب قِرْدَه – الذي يلاعب دُبّاً – أبو الوُحوشِ الذي يُرَوِّضُ الوحوشَ الضارية أمامَ جُمْهور من الناس – الخ ، كلّ ذلك في سبيلِ التكسّب من الناس .

٣ – مختارات من آثاره

– من بابة طيف الخيال .

(يظهر طيف الخيال ، وهو شخصٌ أحدبُ ، ويقول) :

.... السلامُ عليكم ، أيُّها السادة ، ودُمْتم في نِعْمة وسعادة . اعلموا أنّ لكلّ شخصٍ مِثالاً(١) ، وقد جاء في الامثال أنّه يوجَدُ في الأسقاط ما لا يُوجَدُ في الأسفاط(٢) . على أن لكل أسلوبٍ طريقةً وتحت كلّ خَيالٍ حقيقة . وفي الهَزْل راحةٌ من كَلال الجِدّ(٣) ، والنحس يُظْهِرُه السعد . وقد يُمَلُّ المليحُ ويُحَبّ القبيحُ .... وفي القهوة سلوةُ الأحزان لولا خِفّةُ الميزان(٤) ومُطاوعةُ الشيطان وعِصيان السُلطان وحِدّة الحُدود والأخذ من النصارى واليهود(٥) . من أجل ذلك عدَلَ السودانُ الى أسكِرَةِ الذُرَة وأكثروا الدخول الى المَعْصَرة وأغلقوا هذا البابَ وفتحوا أبوابَ ألوانٍ شَتّى من المزور والطبطاب ، واستَغْنَوْا بالفأر المطجّن عن الفَرْخ المسمّن(٦) ، وشاركوا الخمّارين على المرة وقنعوا بالفتيتة عن

---

(١) في الاصل « مثال » حتى تتفق في السجع مع « أمثال » .

(٢) الاسقاط : جمع سقط (بفتح السين : من لا يعد في خيار الفتيان) = الشيء الرديء . الاسفاط جمع سفط (بفتح السين والفاء) : وعاء كالجولق (الكيس الكبير) والحقيبة توضع فيه الاشياء (الثمينة) .

(٣) الكلال : التعب . الجد : الرصانة ، الوقار .

(٤) القهوة : الخمر . لولا خفة الميزان= لولا أن البائعين يطففون الميزان عند بيع الخمر (يعطون الزبون أقل مما يستحق بالثمن الذي دفعه) .

(٥) السلطان : الحاكم . حدة : شدة . الحدود جمع حد : العقاب . الأخذ من النصارى واليهود : تقليدهم (الخمر غير محرمة في النصرانية) .

(٦) عدل = مال : فضّل . السودان = أهل السودان . الاسكرة جمع سكر (بفتح السين والكاف) : المشروب الذي يسكر . أسكرة الذرة : المستخرجة من الذرة . أكثروا الدخول الى المعصرة (!) المزور (بتشديد الواو) : شراب مسكر حلو (خفيف)، راجع قاموس دوزي ١ : ٦١٣. الطبطاب : نوع من أنواع اللعب بالكرة(دوزي ٢ : ٢١). الفأر المطجن المطبوخ في طاجن. استغنوا بالفأر المطجن عن الفرخ المسمن (كناية عن الفقر). المرة والفتيتة (؟)



الحُماسية والجرّة ، ولا كصَفاعنَةِ الحَرافيش[1] الذين عرفوا سرّ الحشيش لأنّهم ذاقوا بها لَذّةَ الكسل وهربوا من نَصَبِ العمل وزعموا أنّها * تفعل في مَعدَةِ المَمْعود فعل القَرْض في الجُلود فاستَغْنَوْا بذلك عن العقار وعن معاقرة العقار[2] فأكلوها في الاسواق والمشاهد وهاموا في طَلَبِ الرقص والمشاهد[3] . إلاّ أنّني من حين توبتي من هذه الخِصال وتوديعي لأخي وِصال ورُجوعي من المَوْصِلِ الحَدْباء الى الديار المِصْرية في الدولة الظاهرية[4] — سقى الله عَهْدها وأعذب في الجنان وِرْدَها[5] — وجدتُ تلك الرسومَ دارسةً ومواطن أُنْسِها غيرَ آنِسَة ، عافيةَ الآثارِ ساقطةَ الجَدّ بالعِثار[6] ، وقد هَزَمَ أمرُ السلطانِ جيشَ الشيطان فانكفَتْ أَلْسِنَةُ البَواطي وتابت البَغايا والخواطي[7] ، وتأذّى الفلاّح غاية الأذيّة ، وصُلِبَ نَبّاذ وفي عُنُقه نَبّاذيّة ؛ وأنشَدَ الشاعرُ في الحال ، وقال مَنْ قال :

لقد كان حدُّ السُكْرِ من قبلِ صلبهِ ... خفيفَ الأذى اذ كان في شَرْعنا جَلْدا[8] .
فلمّا بدا المصلوبُ قُلْتُ لصاحبي : ... ألاَ تُبْ ، فإنّ الحَدّ قدجاوز الحَدّا[9] !

وشاعت الأخبار ، وقَوِيَ الإنكار ، وانكسر الخَمّار ، وانْطَحن المَزّار[10] ،

---

(١) شاركوا الخمارين (بائعي الخمر أو صانعيها) على المرة (!) . قنعوا بالفتيتة (وعاء صغير !) عن الحماسية والجرة (وعاءان كبيران للخمر !) . الصفاعنة (الذين يصفع بعضهم بعضاً !) المخرفش (في القاموس) : المختلط . الحرافيش : أخلاط الناس (من الذين لا وزن لهم ولا مكانة !) * يقصد الحشيشة .

(٢) النصب : التعب . الممعود : الذي به مرض في المعدة . القرض : القطع بالمقراض (المقص) . العقار (بفتح العين أو ضمها) : الدواء ، الخمر . معاقرة العقار : الإدمان على شرب الخمر .

(٣) المشاهد جمع مشهد : اجتماع الناس في مكان يزدحمون فيه . والمشهد أيضاً : قصة يجري تمثيلها أو قطعة من تمثيلية .

(٤) أيام حكم الظاهر بيبرس في مصر (٦٥٨ — ٦٧٨ هـ) .

(٥) أعذب : حلى ، جعل الشيء حلواً . الورد (بكسر الواو) : الشرب من ماء النهر .

(٦) الرسوم : الأبنية والأمكنة العامرة . دارسة : ممحوة ، خربة . آنسة : يسكنها الناس أو يترددون اليها . عافية : ممحوة . الجد : الحظ . العثار : الزلل ، وقوع الانسان أرضاً . — ساقطة الجد بالعثار = سيئة الحظ .

(٧) انكفت (سكتت ، انقطعت عن الكلام) الباطية : وعاء توضع فيه الخمر . انكفت ألسنة البواطي = توقفت أفواه البواطي عن صب الخمر (بطل شرب الخمر) . البغي : المرأة الفاجرة (التي تبيح نفسها بأجر) . الخاطئة : المرأة التي أباحت نفسها خطأ منها (أو مرات قليلة) . نباذية : وعاء يوضع فيه النبيذ .

(٨) حد : عقاب . من قبل صلبه = قبل أن لجأ الظاهر بيبرس الى الأمر بصلب الذين يشربون الخمر . في شرعنا : في الاسلام . الجلد : الضرب بسير من جلد أو بالعصا .

(٩) الحد (العقاب) قد جاوز (تخطى ، زاد على) الحد (المقدار المعقول) .

(١٠) المزار : الذي يصنع الخمر المسماة المزور .



وانزوى المسطول في القرنة الغبراء ، وصارت كل يابسة في كفه خضراء[1].... فدعاني بعض الأخلاء[2] الى محله وأنزلني بين قومه وأهله ، واعتذر إلي عن تقصيره في إكرامي لاختصاره في الضيافة إذ لم يأت بمرامي[3]. وقال غلب على ظني أن أبا مرة قد مات وعد من جملة الرفات[4]. قم بنا نبكيه ونصف الحالة هذه ونرثيه ، فابتديت وقلت بيتاً بيت[5] (نشيد) :

مات ، يا قوم ، شيخنا إبليس ، وخلا منه ربعنا المأنوس !

....

(ينادي رسيل الخيال) :

يا أمير وصال ، يا كامل الخصال .

(يخرج جندي بسربوش — طربوش — وسباله ، أي شاربه ، منفوش ، ويقول) :

سلام على من حضر مقامي وسمع كلامي . من عرفني فقد تمتع بأنسي ، ومن جهلني فأنا أعرفه بنفسي : أنا أبو الخصال المعروف بأمير وصال ، صاحب الدبوس والناموس ، والكابوس والسالوس . أنا ملاكم الحيطان ، أنا محبط[6] الشيطان ، أنا أنهش من ثعبان وأحمل من قبان[7] ، وأنا أنطح من كبش وأنتن من وحش ، أنا أشرف من نعاس وألوط من أبي نواس ..... أحل العقد ولو كانت من مسد وأسامر وأقامر ، فأنا طفاز همّاز ، همزة لمزة[8] ، عيّاب

---

(١) انزوى . ابتعد عن الناس ، لزم مكاناً بعيداً . المسطول : السكران ونحوه (المعجم الوسيط). صارت كل يابسة في كفه خضراء (!) .

(٢) الاخلاء جمع خليل : الصديق الخالص ، الناصح .

(٣) مرامي : مقصودي ، ما أريده (هنا : الخمر) .

(٤) أبو مرة : إبليس . الرفات : الاشياء المفتتة (بقايا الميت المستحيلة شبه التراب) .

(٥) وقلت بيتاً بيت = بيتاً بيتاً (!) ابتديت = ابتدأت .

(٦) الدبوس : عصا لها رأس شبه الكره مدبب يضرب بها . الناموس : القانون . الكابوس : أضغاث أحلام متعبة للذي يحلم بها . السالوس : الخمار . — لعل ابن دانيال جاء بهذه الكلمات للنسق الصوتي من غير أن يقصد بها التعبير عما تدل عليه في القاموس (أو لعل لها معاني متعارفة في اللغة العامية) . وبذكر ابراهيم حمادة مؤلف كتاب « خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال » أن السالوس جمع سالوسة وهو اللابس الشعر المستعار ... (ص ١٥٤ ، الحاشية ٣) .

(٧) القبان : ميزان يزنون به الاشياء الثقيلة .

(٨) مسد : ليف. أسامر : أسهر الليل (أسلي الساهرين). الطفار : القوّاد (الذي يجمع بين الرجال والنساء في الحرام). الطفاز (بالزاي) ؟ الهماز والهمزة : الذي يعيب الناس بالغيب (في غيابهم). اللمزة : الذي يعيب الناس في حضورهم.



دَبّاب *، مُعَرْبد مُهَدّد، ناسِك فاتِك، ... فلا تَجْهَلوا مِقْداري وقد كَشَفْتُ لكم عن أسْراري.

(فيقول طيف الخيال):

أنتَ جمالُ المَقاماتِ، ومن خلّفَ مِثْلَك ما مات.

(فيقول الامير وصال):

أينَ تلك الأيّامُ التي كانت مَواهِبَ، وكانت بإشرقِ الأحِبّةِ حَبايبَ، وأين أوقاتُ المَعْشوق والاجتماع بباب اللّوقِ، وأين قَصْفُنا في بسْتان الحشّاب وشرِبْنا في عَرْصة أمّ شِهاب[1] ....؟

— وقال محمّدُ بنُ دانيالَ يَصِفُ بِرْذَوْنَهُ — البغلَ الذي يَرْكَبُه — (وجميعُ هذه الاشعارِ موجودةٌ في باباته الثلاث):

قد كَمّلَ اللهُ بِرْذَوْنـي لِمَنْقَصَةٍ ... وشانَه — بعدَ ما أعْمـاهُ — بالعَرَجِ[2]:

أسيرُ مِثْلَ أسيرٍ، وهو يَعْـرَجُ بي؛ ... كأنّه ماشِياً يَنْحَـطّ من دَرَجِ[3].

فإنْ رَماني على ما فيه من عَـرَجٍ، ... فما عليه، إذا ما مِتُّ، من حَرَجِ[4].

— وقال في الكلام على قِلّة رِزْقِه:

قد عَقَلْنـا؛ والعقلُ أيُّ وِثـاقِ! ... وصَبَرْنا؛ والصَبْـرُ مُرّ المَذاقِ[5].

كلُّ مَنْ كان فاضلاً كان مِثْلي ... فاضلاً عند قِسْـمة الأرزاق[6].

— وقال في تَكَسُّبِه بالتكحيل (مُداواة العيون):

يا سائلي عن حِرْفَـتي في الوَرى ... وصَنْعَتي فيهِـمْ وإفْلاسي[7]،

---

* دباب: الذي يدب (ليلا وسراً) للاعتداء على الاعراض(!).

(١) باب اللوق: محلة في وسط القاهرة (مركز أعمال). القصف: اللهو. العرصة: (في الاصل) الارض الخلاء امام البيت.

(٢) شانه: عابه (جعل فيه عيباً).

(٣) أسير (أمشي) مثل أسير (مثل المأسور، المقيد): بضعف وعجز. انحط: نزل (وهو يتقلب)

(٤) فان رماني: اذا رماني (أوقعني عن ظهره). «ما عليه من حرج»: لا ذنب له، لا يعاقب على ما فعل (والجملة تضمين لقوله تعالى: «ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج» — ٢٤: ٦١، سورة النور).

(٥) الوثاق (بفتح الواو وبكسرها): الرباط.

(٦) «فاضلا» الاولى: صاحب فضل ومكانة سامية. «فاضلا» الثانية: باقياً، زائداً (أخذ الجميع نصيبهم من الرزق وبقي هو بلا نصيب من الرزق).

(٧) الحرفة: العمل الذي يكسب الانسان به معاشه. الورى: الناس.

ا حالُ مَنْ دِرْهَمُ إنفاقِهِ يأخُذُهُ من أعيُنِ الناس[1]!

— من موشّحة لابنِ دانيالَ :

غُصْنٌ مِنَ البانِ مُثْمِرٌ قَمَرا يكادُ من لِينِه إذا خَطَرا يُعْقَدْ[2].

أسمَرُ مِثْلَ القَناةِ مُعْتَدِلُ ،
ولَحْظُهُ كالسِنانِ مُنْصَقِلُ ،
نَشوانُ من خَمْرةِ الصِبا ثَمِلُ ،

عَرْبَدَ سُكْراً عَليَّ إذ خَطَرا ؛ كَذاكَ في الناسِ كلٌّ من سَكِرا عَرْبَدْ[3].

٤ — خيال الظلّ وتمثيليّات ابن دانيال (دراسة وتحقيق ابراهيم حمّادة) ، (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .
ثلاث تمثيليات (.... تقي الدين الهلالي) بغداد ١٩٤٨ م .
مسطرة من مخطوطة الاسكوريال (لابن دانيال) ، (تحرير جورج يعقوب) ، ارلنغن (منكه) ١٩٠٢ م .

* فوات الوفيات ٢ :٢٣٧ — ٢٤١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٥١ — ٥٧ ؛ شذرات الذهب٦ : ٢٧ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٧١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٤٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٨ — ٩ ، ٣ : ١٣١ — ١٣٢ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٣ : ٣٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٥٤ — ٣٥٥ ؛ مجلة الكتاب ١٠ : ٦١١ — ٦١٧ (كانون الثاني — يناير ١٩٥١) .

ابن مَنْظورٍ صاحبُ لسان العرب

١ — هو القاضي جمالُ الدين أبو الفضل محمّدُ بن المُكَرَّم بنِ عليِّ بنِ أحمدَ ابن أبي القاسمِ بن حبقة (بغية الوعاة ١٠٦) بن منظور الرُوَيْفِعيُّ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ[4] المِصْري

(١) « يأخذه من أعين الناس » (فيها تورية) : يأخذه أجراً على مداواة عيونهم — يأخذه من عيونهم (بلا رضا منهم) .

(٢) — هذا المحبوب مثل قضيب البان (شجر له أغصان سمر مستقيمة) مثمر قمراً ، « قمر » مفعول به (يحمل قمراً : عليه وجه جميل يشبه القمر) . خطر : سار (بدلال) يرفع يده ويخفضها . يكاد يعقد : ينطوي ويلتف بعضه على بعض (للينه ، من الشباب والنضارة) .

(٣) القناة : القصبة الفارسية ، الرمح . معتدل : مستقيم . السنان : النصل الذي في رأس الرمح . منصقل : براق ، أبيض (كناية عن الجمال) . نشوان : سكران .

(٤) لاتصال نسبه برويفع بن ثابت الأنصاري (الخزرجي) أحد أصحاب رسول الله من أهل المدينة .

الإفْريقيّ ؛ وُلِدَ في مِصْرَ في المُحَرَّمِ من سَنَة ٦٣٠[1] وسَمِعَ مِنِ ابنِ المُغيرةِ ومُرْتضى بن حاتمٍ وعبدِ الرحيمِ بن الطُفيل ويوسُفَ بن المخيليّ وغيرِهم .

خَدَمَ ابنُ منظورٍ في ديوان الإنشاء في القاهرة وتولّى القضاءَ في طَرابُلُسِ الغَرْبِ (من هنا جاء لَقَبُه « الإفريقيُّ ») . وكانت وَفاتُه في القاهرة في شَعبانَ من سَنَة ٧١١ ه (كانون الاول — ديسمبر ١٣١١ م) .

٢ — كان جمالُ الدين بنُ منظورٍ أديباً شاعراً وناثراً مليحَ الإنشاءِ ؛ وكان عارفاً باللغة والأدب والنحو والتاريخ والكِتابة مُغْرًى باختصارِ الكُتُبِ المُطَوَّلَة : اختصر كتابَ الاغاني والعِقْد (الفريد) والذخيرةَ ونِشْوار المُحاضرة ومفردات ابن البيطار وغيرَها. وكان مُصَنِّفاً له القاموسُ العظيم « لسانُ العربِ » جمع مادّتَه من عَدَدٍ كبيرٍ من أُمّهاتِ كُتُبِ اللغة ، فكان فيه نحوَ ثمانينَ ألفَ مادّة[2] . وقد ضمّ ابن منظورٍ في « لسان العربَ » طائفةً كبيرةً من أعلام البُلدانِ وأعلامِ الأشخاصِ ، كما نَجِدُ فيه عَدَداً منحَقائق العِلْمِ والتاريخِ والأدب ممّا يَخْرُجُ عادةً عن نِطاق كُتُبِ اللغة . وله أيضاً نِثارُ الأزهارِ في الليل والنهار وأطايبِ أوقاتِ الأصائل والأسحار وسائرِ ما يَشْتَمِلُ عليه من كواكبه الفلكُ الدوّار — اخبار ابي نواس — سرور النفس بمدارك الحواسّ الخمس ؛ وغيرها .

ولابن منظورٍ شعرٌ حَسَنُ الاستعارةِ والكِناية عليه شيءٌ من الرَوْنق .

٣ — مختارات من آثاره

— من أشعار ابنِ منظور في النسيب :

ضَعْ كتابي ، إذا أتاكَ ، إلى الأرْ ... ضِ ثمّ قَلِّبْهُ في يدَيْك لِماما[3] .

فعلى ختْمِه وفي جانِبَيْه ... قُبَلٌ قد وَضَعْتُهُنّ تُؤاما[4] .

كان قَصْدي بها مُباشَرةَ الأرْ ... ضِ وكَفَّيْكَ بالتثامي، إذا ما[5] ....

---

(١) يبدأ المحرم من سنة ٦٣٠ للهجرة في ١٨ تشرين الاول (أكتوبر) ١٢٣٢ م .

(٢) الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور العطار ، مصر (دار الكتاب العربي) (١٣٧٥ ه = ١٩٥٦ م) ، ص ٢٠٠ .

(٣) لماما : غبا (بكسر الغين وتشديد الباء : مرة بعد مرة) .

(٤) قبل جمع قبلة (بضم القاف) . تؤاما : زوجاً زوجاً .

(٥) اذا ما (فيها اكتفاء : ذكر كلمة أو أكثر مقتطعة من جملة فيعرف القارىء أو السامع باقي الجملة) : اذا ما استطعت أنا أن آتي اليك .

– وقال يحثّ محبوبته على ما يظنّ الناس فيهما أنهما فعلاه وهما لم يفعلاه :

الناسُ قد أثِمـوا فينا بظَنِّهِـمُ — وصدّقوا بالذي أدري وتَدْرينا[1]....
ماذا يَضُرُّكِ في تصديقِ قَوْلِهِمُ — بأن نُحَقِّقَ ما فينا يَظُنّونا[2]!
حَمْلي وحَمْلُكِ ذَنْباً واحداً ، ثِقَةً — بالعَفْوِ ، أجملُ من إثْمِ الورى فينا[3].

– وله كِنايةٌ بارعةٌ في قولِهِ :

باللهِ ، ان جُزْتَ بـوادي الأراكْ — وقَبّلَتْ أغصانُه الخُضْرُ فاكْ –[4]
ابْعَثْ إلى المَمْلوكِ من بَعْضِـه ؛ — فإنّني ، واللهِ ، ما لي سِواكْ !

– من مقدمة « لسان العرب » لابن منظور :

.... فاستَخَرتُ اللهَ في جَمْعِ هذا الكتابِ الذي لا يُساهَمُ في سَعَةِ فضلهِ ولا يُشارَكُ ؛ ولم أخرُجْ فيه عمّا في الأُصول ، ورتّبْتُه ترتيبَ الصِحاح في الأبواب والفصول[5] . وقصدتُ تَوْشيحَه بجليلِ الأخبار وجَميلِ الآثار[6] مُضافاً إلى ما فيه من آياتِ القرآنِ الكريمِ ليَتَحلّى بتَرْصيع دُرَرِها عِقْدُه ويكونَ على مَدار الآياتِ والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حَلّه وعَقْده... فوضعتُ كُلاً منها في مَكانه وأظهرتُه مَعَ بُرْهانه . فجاء هذا الكتابُ ، بحمد اللهِ ، واضحَ المَنْهَجِ سهلَ السُلوك[7] ... عَظُمَ نَفْعُه بما اشتملَ من العُلوم عليـه... وجَمَعَ من اللُغاتِ[8] والشواهـدِ ما لم يَجْمَعْ مِثْلُه مِثْلَه ، لأن

(١) أثموا : أذنبوا . بالذي أدرى وتدرين : بالحب الذي بيننا .

(٢) ... ما يظنون من أننا نتواصل.

(٣) اذا نحن تواصلنا فإننا نرتكب ذنباً واحداً يكون مقسوماً بيننا (خفيفاً) ثم نحن نثق بأن الله سيعفو عنا (لأننا مخلصان في حبنا) . وهذا خير من أن يكون جميع الناس آثمين لأنهم يظنون فينا أمراً لم نفعله (يكذبون في ظنهم فيأثمون كلهم) . – انظره ، تحت ، ص.....

(٤) – ان مررت بوادي الاراك (قرب مكة) وقبلت أغصانه الخضر فاك (قطعت من أغصان شجر الأراك مساويك تنظف بها أسنانك) ... المملوك : العبد (الذي هزلك في الحب) . ما لي سواك (فيها تورية : ليس عندي سواك ، إي مسواك ، مسواك أنظف به أسناني ؛ ما لي سواك : ليس لي إلاك ، ليس لي حبيب غيرك!)

(٥) يكون البحث في القاموس (بالترتيب القديم) : سبح (باب الحاء، فصل السين) – أخذ (باب الذال ، فصل الهمزة) وتأتي سبح قبل أخذ .

(٦) الآثار : أحاديث رسول الله .

(٧) سهل السلوك: يسهل الاهتداء فيه الى مواضع الكلمات المرادة.

(٨) اللغات : الألفاظ التي تختلف فيها قبائل العرب (نحو مديــة بضم الميم في لغة عرب الجنوب وسكين في لغة عرب الشمال للدلالة على الآلة القاطعة المعروفة) .

كلّ واحدٍ من هؤلاء العلماء انْفَرَدَ بروايةٍ رَواها ، وبكَلِمَةٍ سَمِعَها من العرب شِفاهاً[1] ، ولم يأتِ في كتابه بكلّ ما في كتابِ أخيه .... فجمَعْتُ منها في هذا الكتاب ما تَفَرَّقَ ... فانتظم شَمْلُ تلك الأُصولِ كلِّها في هذا المجموع .... فمن وَقَفَ فيه على صواب او زَلَلٍ اوْ صِحّةٍ او خَلَلٍ فعهْدَتُه على المُصَنِّفِ الأوّلِ ... لأنني نَقَلْتُ من كُلِّ أصلٍ مضمونَه ولم أُبَدِّلْ منه شيئاً .

... فإنني لم أقصِدْ سِوى أصولِ هذه اللغةِ النَبَوِيَّةِ وضَبْطِ فَضْلِها ، إذ عليها مَدارُ أحكامِ الكتابِ العَزيزِ والسُّنَّة النَبَوِيَّةِ ... وذلك لِمَا رأيتُه قد غَلَبَ في هذا الأوان مِنَ اخْتلافِ الألْسِنَةِ والألْوان ؛ حتّى اصبح اللحن في الكَلامِ يُعَدُّ لَحْناً[2] مَرْدوداً ، وصارَ النُطقُ بالعربية من المعايبِ مَعْدوداً ؛ وتنافَسَ الناس في تصانيفِ التَرْجُمانات في اللُّغَةِ الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية . فجمعتُ هذا الكتابَ في زمنٍ أهلُهُ بغير لُغَتِه يفخرون .... وسمّيْتُه لِسانَ العَرَبِ .

٤ — لسان العرب ، مصر (المطبعة الكبرى الميرية) ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ ؛ ثمّ ١٣٤٨ هـ — ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٥ — ١٩٥٦ م ؛ (أعيد تربيته على الحرف الأول — ليوسف خيّاط ونديم مرعشلي) ، بيروت (دار لسان العرب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

نثار الازهار في الليل والنهار ، قسطنطينيّة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .

مختار الأغاني في الاخبار والتهاني (حقّقه ابراهيم الابياريّ) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والانباء والنشر) ١٩٦٥ م.

مختصر الأغاني في الاخبار والتهاني ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .

أخبار أبي نواس ، الجزء الأوّل ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٢٤ م .

أخبار أبي نواس ، الجزء الأوّل (حقّقه محمّد عبد الرسول ابراهيم) بغداد ١٩٢٤ م ؛ الجزء الثاني (حقّقه شكري محمود أحمد) ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٢ م .

أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه (قدّم له عمر أبو النصر) ، بيروت (مكتب عمر أبي النصر للتأليف والترجمة والصحافة) ١٩٦٩ م .

---

(١) العرب : البدو . شفاها : نقلا بالكلام .

(٢) اللحن في الكلام الخطأ . لحناً مردوداً : نغماً يردده الناس طرباً به.

* تصحيح لسان العرب لأحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤ هـ، ثمّ ١٣٤٣ هـ.

شواهد لسان العرب مرتّبة على حروف المعجم لعبد الفتّاح قتلان، القاهرة (مطبعة النهضة) ١٩١٧ م.

فهرست لسان العرب لأسماء الشعراء، لعبد القوّام محمّد، لاهور ١٩٣٨ م.

فوات الوفيات ٢ : ٣٣١ – ٣٣٢؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣١ – ٣٣ (رقم ٤٥٨٨)؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٥٤ – ٥٦؛ نكت الهميان ٢٧٥ – ٢٧٦؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٥؛ من ذيول العبر ٦٢؛ بغية الوعاة ١٠٦ – ١٠٧؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦ – ٢٧؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٦٤؛ بروكلمان ٢ : ٢٥، الملحق ٢ : ١٤ – ١٥؛ زيدان ٣ : ١٥٣؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ٢٤ – ٣٥؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٢٩ – ٣٣٠.

عمر بن مسعود

١ – هو سِراجُ الدين عُمَرُ بنُ مسعودِ بنِ عُمَرَ الكِنانيُّ الحلبيُّ المعروف بالمَجّان[1] كان يسكُنُ حَماةَ، وقد مَدَحَ صاحبَها المنصورَ وابنه الأفضلَ[2]. ثم كانت وفاتُه في دِمَشْقَ سَنَةَ ٧١١ أو ٧١٢ هـ (١٣١١ م).

٢ – كان سِراجُ الدين عُمَرُ بنُ مسعودٍ أديباً حكيماً شاعراً حَسَنَ الشِعْرِ وصاحبَ مُوشّحاتٍ. وأكثرُ شِعْرِه الوصف والغزل. وكانت له مدائحُ.

٣ – مختارات من شعره

– قال سِراجُ الدينِ عُمَرُ بنُ مسعودٍ المجّانُ يَصِفُ قِنْديلاً في ليلةٍ مُظْلِمَةٍ:

يا حُسْنَ بَهْجةِ قِنديلٍ خَلَوْتُ بهِ ... والليلُ قد أُسْبِلَتْ منّا سَتائِرُهُ؛[3]

أضاء كالكوكبِ الدُرّيِّ مُتَّقِداً، ... فراقَ باطنُه نوراً وظاهره[4].

تَزيدُهُ ظُلْمَةُ الليلِ البَهيمِ سَناً ... كأنّما الليلُ طَرْفٌ وَهْوَ باصِرُه[5]!

---

(١) بروكلمان: المحار (بتشديد الحاء وبالراء) وفي الدرر الكامنة: المحار ايضاً ولكن غير مشكولة.

(٢) في الدرر الكامنة: وله مدائح في الملك المنصور صاحب حماة وابنه الافضل علي؛ وهذا لا يتسق مع ما جاء عند زامباور (ص ١٥٣ – ١٥٤).

(٣) – يقصد أن سواد الليل قد اشتد.

(٤) – كأن الليل كله عين، وكأن هذا القنديل بؤبؤ هذه العين (شديد الاضاءة في بقعة مظلمة)!

– وقال من مُوَشّحة :

أما[1] ، وحَلْيِ جيدِهِ ورَنّةِ الخلاخلِ
والضَمِّ من بُرودِهِ قدَّ قضيبٍ مائلِ
والوردِ من خُدودِهِ إذ نمّ في الغلائل ،
لا كنتُ من صدودِهِ مُسْتَمِعاً لعاذل .
نارَ[2] الهوى ، لا تَخْمَدي واسْتعِري؛ وكَذّبي سُلواني ؛
وانْسَكِبي وأطّردي وانْهَمِري، كالسُحُبِ ، أجْفاني !

*

مولايَ[3] ، جَفْني ساهرُ مُؤرّقٌ كما ترى ،
فلا خيالٌ زائرُ يَطْرُقُني ولا كَرى .
إنّي عليك صابرُ ؛ فما جَزا من صَبَرا ؟
إن[4] سَحّ دمعي الهامرُ فلا تَلُمْهُ إن جرى .
جالَ الهوى في جَلَدي ومُضْمَري المُعَذّبِ كِتماني .
مؤنّبي ، اتّئدِ ؛ لا تَضْربِ ، جَنّبِ عن عِناني .

٤ – * فوات الوفيات ٢ : ١٣٩ – ١٤٤ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٢٧٠ – ٢٧١ (رقم ٣٠٩٠) ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ١ .

---

(١) أما : حرف للاستهلال (البدء). وحلي جيده : الواو للقسم : أقسم بحلي (بجمال) جيده (عنقه) . وما تضم بروده (ثيابه الحريرية الرقيقة) من قد (قامة) قضيب (قوام معتدل رشيق) مائل (يتمايل دلالا) . نم الورد : في الغلائل : انعكس لون خدوده الحمر على غلائله (ثيابه). الغلالة : الثوب الرقيق تلبسه المرأة على جسمها مباشرة) . العاذل : اللائم .

(٢) نار الهوى : يا نار الهوى . استعرت النار : اتقدت (اشتد لهيبها) . كذبي سلواني (نسياني) : دلي على أنني ما سلوت (ما نسيت) حب محبوبي ، مع أنني أتظاهر بذلك . اطردي : تتابعي . أجفاني (منادى) يا أجفاني .

(٣) مؤرق : أصابه الأرق (لا يستطيع النوم). خيال زائر : طيف ، منام . يطرقني : يأتي الي ليلا (في المنام) . الكرى : النوم . أنا أسهر أملا في أن يزورني ، فلا يزورني فأحرم زيارته وأحرم النوم .

(٤) الجلد : التصبر . جال الهوى في جلدي (حبي الشديد جعل صبري عن محبوبي مستحيلا) . مضمري : ضميري (؟). – كتمان حبه (والتظاهر أمام الناس بأني لا أحبه) يزيد في عذاب نفسي ! فيا مؤنبي (مقرعي ، موبخي) اتئد : اصبر علي ، تمهل . جنب : كف ، ابتعد . العنان : الرسن الذي يقاد به الحيوان . جنب عن عناني (لا تقس علي ، لا تجبرني على الابتعاد عن حبيبي !)

نصير الدين الحمّـــاميّ

١ ـ هو نصيرُ الدينِ الحمّاميُّ المِصريُّ ، كان يَكْتري الحمّاماتِ ثمّ يستقبلُ الناسَ فيها ليَكْسِبَ رِزْقَه . ومن هنا جاء لَقَبُه : الحَمّاميُّ . ثمّ انّه أسنّ وضَعُفَ عن ذلك فجعل يستجدي بالشعر فعاش فقيراً . من أجل ذلك كثُرَتِ الشكْوى في شِعره . وكانت وفاةُ نصيرِ الدينِ الحمّاميِّ في سَنَةِ ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) في الأرجح .

٢ ـ كان نصيرُ الدينِ الحمّاميُّ من شعراءِ العامّة الذين لم ينالوا قِسْطاً من التثقيف فتسرّب الى شِعْرِهم ألفاظٌ عاميّة . وكان الحمّاميّ يبحث عن المعاني ويتطلّبُ البديعَ ، وقد أجادَ التوريةَ . وله موشّحاتٌ . وفي «المنتخب من أدب العرب»[١] أبياتٌ بارعةٌ قدْ لا تتّفقُ واتّجاهَه العامَّ في قولِ الشعر .

٣ ـ **مختارات من شعره**

ـ لنصيرِ الدين الحمّاميِّ أبياتٌ من اطارِ البيئةِ العاميّة ، منها[٢] :

رأيتُ شخصاً آكـلاً كِرْشَةً ... وهْو أخو ذَوْقٍ ، وفيه فِطَنْ .
وقال : ما زِلْتُ مُحِبّـاً لها . ... قلتُ : من الإيمان حُبّ الوطن .

ـ وممّا أورده له أصحابُ « المنتخب في أدب العرب » :

• جُـودوا لِنَسْجَعَ بالمديـ ... ـحِ على عُلاكم سَرْمَدا[٣] ؛
فالطيرُ أحسنُ مـا يُغَـرْ ... رِدُ عندما يَقَـعَ النَدى[٤] .

(١) جمعه وشرحه طه حسين وأحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف ، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م ، ٢ : ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٢) الكرشة (في عامية أهل مصر) : هي الكرش (بكسر الكاف أو بفتح الكاف وكسر الراء ، مؤنثة) : وهي في الحيوانات المجترة . تقابل المعدة في الانسان (القاموس ٢ : ٢٨٦) . والكرش تتخذ طعاماً تحشى باللحم والارز وتسلق أو تؤكل مسلوقة فقط أو ثريداً (مع الخبز واللبن) . « حب الوطن من الايمان » حديث .

(٣) سجع (الحمام) : غنى . سرمدا : دائماً ، الى الابد .

(٤) في « الندى » تورية . الكرم . والندى : مطر خفيف يسقط في أواخر الليل من تجمع بخار الماء في الهواء ويرى نقطاً على الأشجار والأشياء . عندما يقع الندى : حينما تجودون علينا بالمال أو في آخر الليل (حينما يسقط الندى) .

* أبيـاتُ شِعْرِكَ كالقصـو ر ، ولا قُصورَ بهـا يَعوقُ[1].
ومن العجـائب : لَفْظُهـا حُرٌّ ومعنـاها رقيـق[2] !

ــ وله موشّحةٌ منها :

يا مُنتهى آمـالي * أما لي ** في الحُـبِّ من مُجيرْ ؟
ارثي لجسمي البـالي * يا بالي ** وارحـمْ في أسير[3].
فقد بذلتُ الغـالي * يا غـالي ** في القـدْر ، يا أميـر .
وفيك قد ألقى لي * يا قالي * لِهَجْرِكَ الضَرَرْ
وقطّعتَ أوصالي * يا صالي * تُقيلني سَقَر[4] .

*****

إن جُزْتَ بينَ السِرْبِ ** فسِرْ بـي * عن حَيِّهِم قليل[5]
ومِـلْ بهم وعُجْ بي ** فعُجْبي * قلبي بهم بخيل[6] .
وقِفْ بهم ، يا صَحْبي ** وصِـحْ بي : * ابكوا على القتيل.
وان يُقْضَ نَحْبي * فنُحْ بي * في السَهْلِ والوَعِرْ
وانزِلْ بهم والطُفْ بي * وطِف بي * في البدو والحَضَر[7] .

٤ ــ ** فوات الوفيات ٢ : ٣٨٤ ــ ٣٨٦ .

---

(١) القصور الاولى جمع قصر (البيت العظيم الفخم الجميل) . القصور الثانية (مصدر) : التقصير (عجز الانسان عن اتقان الاعمال) . عاق : يعوق : أخر ، منع .

(٢) حر : صاف ، خالص ، منتقى ؛ والحر : خير كل شيء (أحسن ما في كل شيء) . والحر : الرجل الذي يملك أمر نفسه وحريته (خلاف العبد المستعبد) . رقيق : غير الغليظ ، اللين ، السلس . والرقيق العبد .

(٣) يا بالي : أيها الموجود في بالي (فكري) يشغلني .

(٤) القالي : المبغض . يا صالي : يا محرقي بالنار (من الفعل : صلى) . تقيلني سقر : تجعلني أقيل (بفتح الهمزة : أنام ، أسكن) سقر (جهنم) : في جهنم .

(٥) السرب : جماعة الحيوانات أو البهائم السائرة معاً (هنا : النساء الجميلات) . سر بي عن حيهم قليلا : ابتعد بي عنهم ، أبعدني عنهم . (لئلا أقع في حبهم ولا أستطيع الوصول إليهم فيشتد عذابي)

(٦) مل بي وعج بي بمعنى واحد : انصرف بي عن مساكنهن . فعجبي (أن) قلبي بهم بخيل : أتعجب من نفسي : أطلب الابتعاد عنهن وأنا لا أريد أن أفارقهن .

(٧) قضى الرجل نحبه : مات . الوعر (بسكون العين أو بفتح الواو وكسر العين) : الارض القاسية التي يصعب المسير فيها .

سلطان ولد

١ – هو بهاءُ الدين سُلطان وَلَد بنُ جلالِ الدين الروميّ[1]، وُلِدَ في لارَنْدة (اسمُها اليومَ : قَرَمان) في آسيةَ الصُغرى، قبلَ أن تستقرَّ أُسرتُه في قُونيةَ، وسُمّي باسمِ جَدّه بهاءِ الدين وَلَد المُلقّبِ «سُلطانَ العُلماء»، وذلك سَنَةَ ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م).

نشأ سُلطان وَلَد في بِيئة صوفية – في رِعايةِ أبيه وفي اتّصاله الوثيقِ بشمسِ الدين التبريزي[2] –. ولكنّ لمّا تُوُفّيَ جلالُ الدين (٦٧٢ هـ) لم يَخْلُفْهُ ابنُه سُلطان وَلَد في رِئاسةِ الطريقة الصوفية (المَوْلَويّة)، بل تُرِكَتْ الطريقةُ في عِهدةِ جلَبي حُسام الدين الذي كان وكيلَ جلالِ الدين – في حياةِ جلال الدينِ – في إدارتها. ثمّ لمّا تُوُفّيَ جلَبي حُسام الدين (٦٨٣ هـ) تولّى سُلطان وَلَد رئاسةَ الطريقةَ حتّى وفاتِه في عاشرِ رَجَبَ مِن سَنَةِ ٧١٢ هـ (١١ – ١١ – ١٣١٢م)، في قونية.

٢ – لم تكن لسلطان ولد شخصيةُ أبيهِ جلالِ الدين، ولكنّ الطريقةَ الصوفية اتّسعتْ بفضله اتّساعاً كبيراً لأنّه شَرَحَ كثيراً من وُجوهِها في أشعاره التركية ففَهِمَها أهلُ موطنه عنه. ويبدو أنّ الطريقــةَ التي عُرِفَتْ منذ أيامِ أبيهِ بالطريقةِ المَوْلَويّة (نِسْبَةً الى «مَوْلانا جلال الدين») قد اكتسبتْ عدداً من خصائصها من سلطان ولد، من ذلك مَثَلاً «الرقص» أو «الذِكْر الدوّار» فقد سُمّيَ باسمه «سلطان ولد دوري (دَفْري)».

وكان سلطان ولد شاعراً نظم في الفارسية والتركية والعربية. وفي آثارِه الشعرية أبياتٌ يونانيةٌ أيضاً. ولسلطان ولد ديوانٌ مشهورٌ هو «مثنوي ولـــد» باللغة الفارسية يتألّفُ من ثلاثةِ أقسام : ابتدا نامه (كتاب الابتداء)، انتهانامه، رباب نامه[3]. وفي هذا «المثنوى» تواريخُ كثيرة وشروحٌ حتّى لَيُظَنّ أنّ سلطان قد نظم ديوانه

---

(١) راجع، فوق، ص ٦٣١. (٢) راجع، فوق، ص ٢٣٢.

(٣) «رباب نامه» (قصيدة مزدوجة : مصرّعة (في الصدر والعجز) تتألف من ١٤٦ بيتاً (تاريخ الأدب في ايران، تأليف أدوارد براون، نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي، ص ٦٥٥). وفي كتاب «في الأدب العربي والتركي»، تأليف حسين مجيب المصري : «والمنظومة من بحر الرمل كالمثنوى لجلال الدين الرومي، وربابنامه لسلطان ولد، وقد فرغ من نظمها عام ٧٣٠ هـ (ص ٢٩٢)؛ «وربابنامه من عشرة أبواب ويحوي كل باب ألف بيت» (ص ٢٩٣، السطر الأول).



« ولد نامه » ليَشْرَحَ ديوانَ والده « مَثْنوي مَعْنوي » . ثمّ له ديوانٌ كبيرٌ اسمه « غـَزَليّات » وكتابُ نثرٍ اسمه « معارف نامه » .

وقيمة سلطان ولد انّ أشعارَه التركية هي النصوصُ الأدبيةُ الأولى للغة التُركية المكتوبة والتي كانت دائرةً في آسيةَ الصُغرى ، فهي لُغَةُ الأتراك السلاجقة ، لغةُ الغـُزّ (أمُّ اللغاتِ التركية والتركمانية) . إن تلك اللغة التي كـَتَبَ بها سلطان ولد خـَضَعَتْ لجانبٍ كبيرٍ من التأثُرِ باللغة الفارسية .

وشعرُ سلطان ولد في اللغة العربية شعرٌ صوفيُّ النزعة ضعيفُ التركيب . أمّا قيمتُه الحقيقيةُ فهو أنّ اللغـةَ العربيةَ كانت لا تزال دائرَةً في الآداب الإسلامية غيرِ العربية الى القرنِ الثامنِ للهِجْرة (الرابعِ عـَشَرَ للميلاد) .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال سلطان ولد على سبيلِ الرمز من المعاني الصوفية :

يا حبيبَ القلـوبِ والأرواحِ ، أسْقِنا بالكُؤوسِ والأقـداحِ .
حزْنُنا صـار في الهوى فـرحا ! ليْلُنا من لقـاك صار صَباحي
زال منك الهمومُ والأحـزانُ وامتلا منك في الهـوى أفراحُ !
إنّما الهـَجْـرُ مجمعُ الأحـزانِ ، انّما الوصـلُ نِعْمةٌ وفـلاحُ .

ــ وقال في مثل ذلك :

سِرّي هواكُمْ ، عيشي لِقـاكم ، ديني مُنـاكم ؛ روحي فـداكم .
القلب جـَمْري ، والعـين نَهْـري يَغْلي ويَجْري ؛ روحي فداكم .
دينُ المبـاحِ ، حُبّ المـلاحِ ، تَرْكُ الصـلاحِ ؛ روحي فداكم .
عندي المَلامهْ عـينُ الكرامَهْ ، ارمِ العِمـامهْ ؛ روحي فداكم .

٤ ــ ديوان سلطان ولد (مقدّمة استاد سعيد نفيسي) ، طهران (كتاب فروشي رودكي) ١٣٣٨ . ولد نامه (مقدمة وتصحيح جلال همائي) طهران (إقبال) ١٣٢٥ (١٩٣٦ م) . (وفي الكتابين أشعار عربية .

٥ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٥٤٧ .

شرف الدين القدسيّ الكاتب

١ - هو شرفُ الدينِ محمّدُ بنُ موسى بنِ محمّدِ بنِ خليلٍ القُدسي المعروفُ بالمُوقِّـع[1] وبالكاتبِ - كاتبِ أميرِ السلاح - كَتَبَ الإنشاء بقلعةِ الجبلِ في (القاهرة) عند الشجاعي[2] . وكانتْ وفاتُه في شَعْبانَ من سَنَةِ ٧١٢ هـ (كانون الاول - ديسمبر ١٣١٢ م) .

٢ - كان شرفُ الدينِ القُدسي الكاتبُ أديباً له نظمٌ كثيرٌ ونثرٌ . وشِعرُه كثيرُ الصِناعةِ والتَوْرِيَةِ منها خاصّةً . وفنونُه الغزلُ والوصفُ والمديح .

٣ - مختارات من شعره

- قال شَرَفُ الدين محمّدُ بنُ موسى القُدْسيُّ في الخمر :

اليومُ يومُ سُرورٍ لا شُرورَ بـه ، فزَوِّجِ ابنَ سحابٍ بابْنَةِ العِنَبِ[3] .
ما أنْصَفَ الكأسَ مَنْ أبْدى القُطوبَ لها وثَغْرُها باسمٌ عن لُؤلؤٍ رَطِبِ[4] .

- وقال يتغزّل بمحبوبٍ له اسمُه سالمٌ ويُوَرّي باسمِه :

وأهيفَ تَهْوي نحو بـانةِ قَدِّهِ قلوبٌ تَبُثُّ الشَجْوَ فهي حَمائمُ[5]
عَجِبْتُ له إذ دامَ توريدُ خَدِّهِ ، وما الوردُ في حالٍ على الغُصْنِ دائمُ .
وأعجبُ من ذا أن حَيَّـةَ شَعْرِه تجولُ على أعطـافِهِ وهو سالمُ[6] !

- ولِشَرفِ الدين القَدسيّ قصيدةٌ جَمَعَ فيها عدداً كبيراً من التَوْرياتِ بأسماء العلماء وبأسماء الكُتُب . ومَعَ أنّ بعضَهم قد ذَكَرَ أن هذه القصيدةَ لِمُحيي الدين

---

(١) المقدسي (بالميم) الموقع (الدرر الكامنة ٥ : ٣٩) .

(٢) في حاشية (الوافي بالوفيات ٥ : ٩٤) الشجاعي : لعله الأمير علم الدين سنجر الدواداري المتوفى سنة ٦٩٩ (راجع في علم الدين سنجر شذرات الذهب ٥ : ٤٤٩ ؛ العبر ٥ : ٣٩٩) .

(٣) ابن سحاب : الماء . ابنة العنب : الخمر . - امزج الخمر بماء (اشرب الخمر) .

(٤) القطوب : العبوس . لؤلؤ رطب : الفقاقيع التي تطفو (تعوم) على وجه الخمر في الكأس . في القاموس : رطب (بفتح الراء و سكون الطاء) و رطيب . وحرك الشاعر الطاء لضرورة الشعر .

(٥) بانة : شجرة ذات أغصان مستقيمة ملساء سمراء جميلة . الشجو : الحزن . فهي حمائم : دائمة الحزن (لأن الحمامة لا تبطل اخراج صوت يدل ظاهره على الحزن) .

(٦) حية شعره : شعره الطويل المجدول ضفائر يشبه الحيات . سالم : معافى (لم تلدغه الحية فيموت) .

ابنِ عبدِ الظاهر ، فإنّ الكثْرةَ مِنْ مؤرّخي الأدبِ تُثْبِتُها لشرفِ الدين القُدسي .
من هذه القصيدة :

ما مِلْتُ عنكَ لِجَفْوَةٍ ومَـلالِ ... يوماً، ولا خطـر السُلُوُّ ببـالي[1] .
يا مانحاً جسمي السَـقامَ ومانِعاً ... جَفْني المنـامَ وتاركي كالآلِ[2] ،
عَمّنْ أخذتَ جوازَ مَنْعي ريقَكَ الـ ... معسولَ ، يا ذا المِعطف العَسّـال[3] !
من شَعْرِكَ الفحّامِ أم عَنْ ثغرِكَ النَظْـ ... ظَامِ أو عن طَرْفِكَ الغزّالي[4] ؟
فأجابني : أنا مالكٌ أهلَ الهـوى ، ... والحُسْنُ أضحى شافِعي وجَمالي[5] .
وشَقائقُ النُعمـانِ أضحى نابتـاً ... في وَجْنَتَيَّ حَماهُ رَشْقُ نِبـالي[6] .
والصبرُ أحمدُ للمُحِبِّ إذا ابْتُلي ... في الحبِّ من مِحَنِ الهَوى بسُؤال[7] .
والجَوْهريُّ غدا بشَعْري ساكناً ... يَحْمي الصِحاحَ أجزْتُه بوصال[8] .
وعلى مقاماتِ الغَرام شواهدٌ : ... جِسمي الحَريري والبديعُ مِثـالي[9] .
ولِحُسْنِيَ الكشّافُ في جُمَلِ الضيا ... لُمَعاً لإيضـاحِ الفَصيح مقالي[10] .

---

(١) الملال : الملل . السلو : النسيان .

(٢) يا تاركي كالآل (كالسراب) أبدو للعين موجوداً ، ولكنني ميت في حبك . هذا البيت تقليد بيت ابن الفارض في قصيدته الفائية « يا مانعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام .... المتلف » .

(٣) العسال : المتأود ، المتمايل (من الغنج والدلال). المعطف (في القاموس) : الرداء . والشاعر يقصد به العطف بكسر العين : الجانب الأعلى من الجسم (القامة ، القوام) .

(٤) الفحام أو ابن الفحام (أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلي القرشي قارىء للقرآن الكريم من أهل الاسكندرية له كتاب التجريد في القراءات – قراءات القرآن – كانت وفاته سنة ٥١٦ هـ) والنظام (فيلسوف ومتكلم وعالم طبيعي توفي ٢٣١ هـ) والغزال حجة الاسلام الغزالي (توفي ٥٠٥ هـ) .

(٥–٦) مالك والشافعي وأبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل الذي تعرض للمحنة في أيام المأمون لأنه لم يرد أن يقول بخلق القرآن ، هم أصحاب المذاهب الاربعة عند أهل السنة والجماعة .

(٧) المحن جمع محنة : الاختبار القاسي ، التعذيب .

(٨) الجوهري من علماء اللغة (ت ٣٩٨ هـ) له كتاب « تاج اللغة وصحاح العربية » .

(٩ المقامات للحريري . البديع عنوان عدد من الكتب أحدها « البديع » في نقد الشعر لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)

(١٠) الكشاف (في تفسير القرآن) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ). اللمع عنوان لكتب كثيرة منها « اللمع في أصول الفقه لأبي اسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) . الايضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني (ت ٧٤٩ هـ) . كتاب الفصيح لثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

ومَصارِعُ العُشّــاق بينَ خِيامِنا ، ومقاتلُ الفُرســان يومَ نِزالي[1]...

٤ ـ * * الوافي بالوفيات ٥ : ٩٣ ـ ٩٨ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣٩ (رقم ٤٦٠٨) .

صدر الدين بن المرحّل (ابن الوكيل)

١ ـ هو صدرُ الدينِ أبو عبد الله محمّدُ بن عُمَرَ بن مكّيّ بن عبد الصمد .... المعروفُ في مِصْرَ بابنِ المُرَحِّلِ وفي الشام بابنِ الوكيلِ ، وُلِدَ في دُمْياطَ في شوّالِ سَنَةَ ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) ونشأ في دِمَشْقَ .

تَفَقّهَ صدرُ الدين بنُ المُرَحِّلِ على أبيه وعلى الشيخ شَرَفِ الدين المَقْدِسيّ وسَمِعَ من القاسم الإربلي (٥٩٩-٦٧٩هـ) والمُسلم بن عَلاّنٍ (ت ٦٨٠هـ) وأخذَ الأصولَ عن صَفيّ الدين الهِنديّ (ت ٧١٥ هـ) والنحوَ عن بدرِ الدينِ بن مالكٍ .

وقَدْ وَلِيَ مَشْيَخَةَ دارِ الحَديث في دِمَشْقَ سَبْعَ سَنَواتٍ ثمّ انتقلَ الى حَلَبَ ودرّسَ فيها مُدّةً . بعدَئذ انتقلَ إلى القاهرةِ ودرّس في المَشْهد الحُسَيْنِي وأقامَ فيها إلى سنة ٧٠٩ هـ ثمّ غادَرَها في حديثٍ طويلٍ راجعاً الى الشامِ فاستقرّ مُدّةً في دِمَشْقَ ثمّ انتقلَ الى حَلَبَ .

وكانتْ وفاةُ صدرِ الدين بنِ المرحّلِ في ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٧١٦ (ربيع ١٣١٧ م) .

٢ ـ كان صدرُ الدين بنُ المرحّلِ بارعاً في العلوم العَقْلية وفي الأصولِ والفِقْهِ وكان على علمٍ يسيرٍ بالطبّ . وكذلك كان أديباً شاعراً مليحَ النَظْمِ في القَصيد والمُوَشّحِ مليحَ الصِناعةِ . وأكثرُ شِعرِه الغزل والخمر . وهو أيضاً مُصَنّفٌ له : الأشباهُ والنظائرُ (مجموع في الأدب ؟) ـ مُجَلّدةٌ في السؤال الذي حَضَرَ من عندِ استدمرَ[2] نائبِ طرابلسَ في الفَرْقِ بين المَلَكِ والنبيّ والشَهيد والوَلِيّ والعالم .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال صدرُ الدينِ بنُ المُرَحِّلِ في الخمر :

لِيَذْهَبوا في مَلامي أيّةً ذهبوا ؛ فالخمرُ لا فِضّةٌ تُبْقي ولا ذَهَبُ .

(١) مصارع العشاق للسراج القارى (ت ٥٠٠ هـ) . ومقاتل الفرسان لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٣ هـ) .

(٢) الأمير سيف الدين استدمر (ت ٧١١ هـ) .

لا تأسَفَنَّ علـى مالٍ تُمَزِّقُـه … أيْدي سُقاةِ الطِلى والخُرَّدُ العُرُبُ[1]؛

فما كَسَوْا راحتي مِنْ راحِها حُلَلاً … إلاّ وعَرّوا فؤادي الهَمَّ واسْتَلبوا[2]:

ما الكأسُ عِندي بأطرافِ الأناملِ — بل … بالخَمْسِ — تُقْبَضُ لا يَحْلو لها الهَرَب.

وما تركتُ بها الخَمْسَ التي وَجَبَتْ، … وإن رأَوا تركَها من بَعْضِ ما يَجِبُ[3].

عاطَيْتُها من بَناتِ التُرْكِ عاطيةً … ألحاظُها للأُسودِ الغُلْبِ قد غَلَبوا[4]،

هَيْفاءَ جاريةً للراحِ ساقيةً … من فوق ساقيةٍ تَجْري وتنسكب[5].

مِنْ وَجْهِها وتَثَنّيها وقامَتِها … تُخْشى الأهلّةُ والقُضْبانُ القُضُبُ[6]

تُريكَ وَجْنَتُها ما في زُجاجَتِها، … لكِنْ مَذاقَتُه للريق تَنْتَسِبُ.

تَحْكي الثَنايا الذي أبْدَتْهُ من حَبَبٍ؛ … لقد حَكَيْتِ، ولكن فاتَكِ الشَنَبُ[7]!

— وقال في الغزل:

تلْكَ المَعاطفُ أم غصونُ البانِ … لَعِبَتْ ذوائبُها على الكُثْبانِ[8]؛

وتَضَرَّجَتْ تلك الخُدودُ، فوَرْدُها … قد شَقَّ قلبَ شَقائقِ النُعْمانِ[9].

---

(١) الطلاء والطلى (بكسر الطاء فيهما) الخمر. الخرد (جمع خريدة : المرأة الجميلة) العرب (جمع عروب بفتح العين) : المرأة المحبة لزوجها .

(٢) — ما كسا سقاة الخمر راحتي (كفي) حللا (ثياباً) من الخمر ... عروا (خلعوا) عن فؤادي (قلبي) الهم واستلبوا : أخذوا الهم من قلبي . يقصد : حينما أشرب الخمر أنسى همومي !

(٣) الخمس التي وجبت : الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في كل يوم وليلة . — مع شربي الخمر لم أترك الصلاة ، مع أن الذين يشربون الخمر لا يصلون عادة .

(٤) عاطيت (شربت الخمر مع) فتاة تركية . عاطية : طويلة العنق (طول العنق من صفات الجمال) . الأسود الغلب (جمع أغلب : ذو عنق غليظة ، كناية عن قوته وشدته) .

(٥) هيفاء : نحيلة الخصر ، رشيقة القوام . جارية : صغيرة السن . للراح ساقية : تسقي الخمر (من عينيها) وتسقي الخمر الحقيقية أيضاً . الساقية (الثانية) مجرى الماء .

(٦) وجهها يشبه الهلال (القمر) بجمالها ، وتثنيها (تمايلها من الغنج والدلال) يشبه تمايل القضيب (الغصن) ، وقامتهاتشبه القضب (جمع قضيب : سيف) . — الذي يراها (في جمالها ودلالها ورشاقتها يخاف على نفسه من الموت في حبها ، حتى أنه يصبح يخشى أن ينظر الى القمر والى الأغصان والى السيوف لئلا يذكرها هي (السيف لا يقتل ، ولكن قامتها التي تشبه السيف تميت الناس بالحب) .

(٧) تحكي (تشبه) الثنايا (أسنانها) ما أبدته من حبب (ما أظهرته الخمر من فقاقيع الماء التي تشبه اللؤلؤ) . فيا حباب الخمر ، لقد أشبهت أسنانها ، ولكن ليس فيك البياض والحلاوة التي في أسنانها (ريق فمها) .

(٨) المعاطف جمع معطف : (طرف الجسم ، القامة) . البان شجر له أغصان طويلة مستقيمة . الذؤابة : الضفيرة . الكثيب : الجانب المستدير من الرمل. — يقول : يتموج شعر هذه المرأة الحسناء على جسمها العظيم في وسطه .

(٩) تضرج : اصطبغ بلون أحمر . — لون خدودها الجميل شق قلب شقائق النعمان (زهر بري أحمر جميل) لغيظه من لون خدودها (لأن حمرة خدودها أجمل من حمرة شقائق النعمان) .

ما يفعلُ الموتُ المُبَرِّحُ في الورى   ما تَفْعَلُ الأحداقُ في الأبدان[1] .

— وله موشّحة في الخمر :

صاحِ ، صاحَ الهَزارْ ، قُمْ نَحُثُّ الكؤوسْ

* قد تَجَلّى النهارْ ، فاجْلُ بنتَ القُسوسْ[2] .

ما علينا جَناحْ ؛ إنّ فصلَ المَصيفْ

قد تَولّى وراحْ ، وتَولّى الخريفْ .

قُمْ ، فذاتُ الجَناحْ ذاتُ رَمْزٍ لَطيفْ

في اقتلاعِ الوَقارْ ، من تُروس الضُروسْ   وانتهابِ العُقارْ وسُرورِ النفوس[3] .

— —

زَوِّجِ الما بِراحْ ، يا شَبيهَ القَمَرْ ؛

والشُهودُ المِلاحْ ، والوَليُّ المَطَر .

والمَغاني الفِصاحْ ساكناتُ الشَجَرْ .

وهْيَ بِكْرٌ تُدارْ ، والسُقاةُ الشُموسْ * والحَبابُ النِثارْ فوقَ وَجْهِ العَروس[4] .

— —

---

(١) ما يفعل : لا يفعل . المبرح : المؤلم ، الشديد . — ان الموت لم يقتل من البشر عدداً كبيراً كالعدد الذي قتلته الأحداق (العيون) بالحب .

(٢) صاح ، يا صاح (يا صاحبي ، نديمي) . الهزار : طائر حسن الصوت . نحث الكؤوس : نوالي أو نتابع كؤوس الخمر (نشرب كثيراً من الخمر) . تجلى النهار : بدأ ظهوره . بنت القسوس (جمع قس : رجل الدين عند النصارى) : الخمر .

(٣) جناح : ذنب . ذات الجناح : الحمامة التي تبدأ الصباح بغنائها وتدعو الناس الى شرب الخمر (؟) . الترس (بالضم) : أداة يحملها المحارب لرد السيوف والرماح عن بدنه في الحرب . الضرس (بالكسر) الاسنان القصوى في الفم . اقتلاع الوقار من تروس الضروس : الخمر تجعل الرجل الهادىء الرصين فرحاً مرحاً حسن المعاشرة . العقار (بالضم) : الخمر. انتهاب العقار : شرب الخمر بكثرة .— ذات الجناح (الحمامة) رمز لدعوة الانسان الى شرب الخمر والى السرور . — يكون للناعورة دولاب مضرّس(مسنن) فإذا أريد وقف دوران الناعورة وضعوا ترساً (خشبة تسند الدولاب) ، ومن ذلك المثل : مثل الترس في الضرس (كناية عن الثبات) .

(٤) زوج الما (الماء)براح (امزج الخمر بماء). فهذا البيت (المقطع) صورة رمزية لعرس الخمر : الخمر هي العروس والماء زوجها . والساعي في الزواج هو الشبيه بالقمر (الساقي الجميل) . والشهود على الزواج هم النساء الجميلات المغنيات والراقصات الخ . والولي (الرجل الذي يكون وكيلا لأحد الزوجين اذا كان قاصراً ، أي صغير السن) هو المطر (لأن اليوم الممطر لا يكون فيه عمل فينصرف الانسان فيه الى اللهو). والمغاني (المغنيات) الفصاح (الفصيحات، المجيدات في الغناء) هن ساكنات الشجر (الطيور). وهي (الخمر) =

إنّ عيشي الرّغيدْ حينَ ألْقى الصديقْ
وعـداد جـديدٌ وسُـلافٌ عتيـقْ ،[1]
ثمّ ألْقى[1] شهيدْ بسُيوف الرحيقْ[2].

كم كذا ذا الفشارْ ، وخيوطُ الرؤوسْ * * طاحَ عُمْري وطارْ في سَماع الدُروس[3]

٤ ــ * * فوات الوفيات ٢ : ٣١٥ ــ ٣٢٤ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٢٦٤ ــ ٢٨٤ ؛ الدرر الكامنة الكامنة ٤ : ٢٣٤ ــ ٢٤١ (رقم ٤١٨٢) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٣٤ ــ ٢٣٦ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٤٠ ــ ٤٢ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

أحمد الطيبيّ الطرابلسيّ

هو شِهابُ الدين أحمدُ بنُ أبي المَحاسنِ الطِيبي الطَرابُلُسي ، تُوفّي في طرابلُسَ سَنَةَ ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) . ويبدو أنّه كان شاعراً مُحْسِناً قريبَ المعاني سهلَ التركيب صادقَ الحِس . من شعره (الأودّاء : المحبّون) :

ما مسّني الضَيْمُ إلاّ من أحِبّـائي ؛ فلَيْتَني كُنتُ قد صاحبتُ أعدائي .
ظَنَنْتُهُمْ لي دواءَ الهمّ ، فانقَلَبوا داءً يَزيدُ بهم هَمّي وأدْوائي[4] .
من كان يَشْكو من الأعداء جَفْوَتَهُمْ فإنّني أنا شـاكٍ من أوِدّائي[5] .

ــ * * شذرات الذهب ٦ : ٤٣ .

ــ بكر (من دن ــ وعاء الخمر ــ لم يفتح قبل الآن : لم يشرب أحد منه قبلنا) . والسقاة (الذين يدورون بالخمر على الشاربين) هم شموس (فتيات وغلمان حسان الوجوه) . والحباب (الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر) النثار (ما يلقى عادة من الأشياء على رأس العروس تبركاً : لتكون أيامها مع زوجها سعيدة ، كالدراهم والملبس والارز الخ) .

(١) العداد : عد السنوات . عداد جديد : عمر جديد ، فيه نشاط ونسيان للهموم . السلاف (الخمر) عتيق (خمر قديمة جيدة) .

(٢) ثم انطرح أرضاً كالقتيل (الشهيد) بسيوف الرحيق (الخمر) من كثرة شرب الخمر التي أغيب بها عن الوعي .

(٣) الفشار (كلمة غير موجودة في القاموس) : الكذب . خيوط (؟) الرؤوس . لعل المقصود « خبوط » (بفتح الخاء) : الفرس الذي يضرب الأرض برجليه (أوهام الرؤوس ، الأماني الفارغة ، الهموم) .

(٤) الأدواء جمع داء : مرض .

(٥) الأوداء جمع ود (بفتح الواو وبكسرها وبضمها) وودود الخ : الصديق ، المحب .

جمال الدين الوطواط

١ - هُوَ جَمالُ الدين محمّدُ بنُ ابراهيمَ بنِ يحيى بنِ عليٍّ الأنصاريُّ الورّاقُ الكُتُبيّ المعروفُ بالوَطْواط ، وُلِدَ في ذي الحِجّة من سَنَة ٦٣٢ (آب - أغسطس ١٢٣٥ م) ، ولقَبُه يَدُلّ على أنّه كان يَعْمَل في الوِراقة (نَسْخ الكتب وتجليدها وبيعها) . وقد كانت وَفاتُه في القاهرة في رَمَضانَ من سَنَة ٧١٨ هـ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٣١٨ م) .

٢ - كان جمالُ الدينِ الوطواطُ أديباً واسِعَ الاطّلاعِ حَسَنَ الذوق ومُصَنِّفاً له من الكُتُب : غُرَرُ الخصائص الواضحة وعُرر[1] النقائص الفاضحة - مناهج الفِكَر ومباهج العِبَر (في عدد من فنون المعرفة الطبيعية : الفلك والجغرافية والنبات والحيوان والطبيعيات والكيمياء ، يمتزج في فصوله العلم بالادب) - مجموعه رسائل .

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة غرر الخصائص :

..... وبعدُ ، فانّي لمّا رأيتُ تَغايُرَ معاني الأخلاق دالاّ على تبايُنِ مباني الأعراق[2] و (رأيت) النفوسَ تَتَفاوتُ في مَيلها الى اغراضها على حَسْب اختلاف جواهرها وأعْراضها[3] ، حَداني غَرَضٌ اخْتَلَجَ في سِرّي وأملٌ اعتلجَ في صدري[4] على أن أجمعَ كلاماً في المحامد والمَذامّ المُتَخَلِّقَة[5] في نفوس الخَواصّ والعَوامّ ، وأجعلَه كِتاباً يُغْني عن الخليلِ والنديم ويُخَبِّرُ بالحديث والقديم . فشَمّرتُ عن ساق الجِدّ وحَسَرْتُ عن ساعد الكَدّ[6] وعَمَدتُ الى حِسانِ الكُتُبِ المجموعة في ضُروبِ الأدب فتَصَفَّحْتُ مضمونَها وتَلَمَّحْتُ

---

(١) الغرة : مقدمة شعر رأس الحصان ، البياض في أعلى رأس الحصان (البياض ، الجمال) . العرة : الجرب ، قروح مرضية في عنق البعير وسائر بدنه ، العيب .

(٢) العرق : الاصل (الطبيعة) - تغير (اختلاف) معاني الاخلاق (قواعد الاخلاق ، وجهات النظر فيها) دالا على تباين (تباعد ، اختلاف) مباني الاعراق (مزاج الاصول والطبائع) = تختلف اخلاق البشر باختلاف أحوال أبدانهم .

(٣) تتفاوت : تختلف . الجوهر : الطبع الثابت في الاشياء . الأعراض (جمع عرض بفتح ففتح) : الصفات التي تتبدل .

(٤) حداني : ساقني ، دفعني . اختلج : تحرك بعنف . اعتلج : اضطرب ، تحرك بعنف .

(٥) تخلق الشيء : تطور من حال الى حال في مراتب متتالية .

(٦) شمرت (كشفت) عن ساق الجد وحسرت عن ساعد الكد : تهيأت للأمر واستعددت له .



فُنونَها[١] واستَفْتَحْتُ عُيونَها واستَبْحْتُ أبكارها وعُونَها[٢] وجمعتُ في هذا الكتاب من زَواهرِ أسْدافها وجَواهر أصْدافها مُلَحَ فُكاهاتٍ جَلَتْ عرائسَ المعاني في حُلَلٍ مُوَشّاة[٣] ..... وكَسَوْتُه مِنَ الأخبارِ بِزّةً[٤] رفيعةً وأبْدَعْتُ في ما أوْدَعْتُ فيه مِنَ الفُكاهاتِ الرائقة البديعة من نوادرَ مُطْرِباتٍ وأبيات مُهَذَّبات ..... وجَنَّبْتُه خُرافات الأخبار ومُطَوَّلاتِ الأسمار[٥] لِئَلّا تَسْأَمَهُ عِنْدَ المُطالَعَةِ النُفوسُ ولئلا يَكونَ ذِكْرُها وَضَحاً في غُرر الطروس[٦].
وجعلته سِتَّةَ عَشَرَ باباً ، وَسَمْتُه بغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ....

٤ ــ غرر الخصائص وعرر النقائص الفاضحة ، بولاق ١٢٨٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٩هـ القاهرة (المطبعة الأدبية المصرية) ١٣١٨ هـ .

* الوافي بالوفيات ٢ : ١٦ ــ ١٨ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٥ ــ ٣٨٦ (رقم ٣٣١٨) ؛ بروكلمان ٢ : ٧٦ ، الملحق ٢ : ٥٣ ــ ٥٤ ؛ زيدان ٣ : ١٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٨٧ ــ ١٨٨ .

محمّد بن علي المازني الدهّان

١ ــ هو الشيخُ شمسُ الدين محمّدُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ المازنيُّ الدهّانُ الدِمَشْقيُّ ، كان يعملُ في صَنعة الدهان (الزخرفة) بنى منزلاً في الرَبْوة (عند مدخل دِمَشْقَ الغربيّ) وزَخْرَفَهُ فكان يجتمع عنده الظرفاء ويأخذُ عنه أهلُ الملاهي والألحان . وكانت وفاتُه في رَجَبَ من سَنَةِ ٧٢١ هـ (صيفَ ١٣٢١ م) .

٢ ــ كانَ شمسُ الدينِ المازنيُّ الدهّانُ موسيقياً بارعاً يَضَعُ الألحانَ ويَضْرِبُ

---

(١) تصفح الشيء : نقل نظره في ظاهر الاشياء ، ولكن بادامة نظر . تلمح (ليست في القاموس) ، لمح اختلس النظر الى الاشياء .

(٢) استفتحت : استنصرت ، استنجدت . عيونها (عيون الاشياء : خيارها) . استبحت : ابحت لنفسي ، استوليت ، اخترت . الابكار (من النساء والاخبار والاشياء) : ما لم يعرفه الناس من قبل . العون (ضد الابكار) .

(٣) الاسداف جمع سدف (بفتح ففتح) : ضوء الصبح . الاصداف (جمع صدف) ، والصدفة طبقتان قرنيتان في قلبها جوهرة (لؤلؤة) . زواهر جمع زاهرة : اللامعة ، النور الذي يلمع .

(٤) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الثمين . الموشى : المزركش ، المزين . البزة : الثوب الكامل .

(٥) السمر (بفتح ففتح) : حديث الليل .

(٦) الوضح : البرص (داء تتقرح منه مواضع في الجسد) . الغرة (راجع فوق ، حاشية ١) . الطرس : (بكسر الطاء) : الورقة (الكتاب) .



على القانون . ويبدو أن أكثرَ ألحانه كانتْ أقربَ الى الحُزن ، ذلك لأنّه كان قد اتّخذَ مملوكاً فربّاهُ وهذّبه (وعلّمه الموسيقى ؟) فماتَ وشيكاً فحَزِنَ عليه ورثاه بشِعْرٍ كثيرٍ ولحّن (في بعض ذلك الشعر ؟) ألحاناً . وكذلك كان أديباً شاعراً ووشّاحاً . ومن فنونه الغزلُ والرثاء والوصف ؛ وفي شعر شيء من اللحن .

٣ — مختارات من شعره

— لمحمّدِ بنِ عليٍّ بنِ عمرَ المازنيِّ الدهانِ من مُوَشّحةٍ :

بأبي غُصْنُ بانةٍ حَمَلاَ * بدرَ دُجًى بالجمال قد كَمَلا * أهْيَفْ[1] .

* *

فريدُ حُسْنٍ ما ماسَ أو سَفَرا

إلاّ أغارَ القضيبَ والقمرا .

يُبدي لنا بابتسامه دُرَرا

في شَهْدٍ لذّ طَعْمه وحلا * كأنّ أنفاسَه نسيمُ طِلى * قَرْقَفْ[2] .

* *

ظَبْيٌ من التُرْك يَقْنِصُ الأسدا

مُقَرْقَطٌ قد أذابني كَمَدا ،

حاز بديعَ الجمال فانفردا .

واهاً له لو جارَ أو عَدَلا * لمُسْتهامٍ بهَجْره نَحَلا * مُدْنَفْ[3] .

* *

لله يومٌ به الزمانٌ وفى ،

إذْ مَنّ بالوصل بعد طُول جَفا .

---

(١) غصن بانة : (مستقيم القامة رشيق) . أهيف : نحيل الخصر .

(٢) ماس : تمايل . سفر : كشف وجهه . أغار القضيب (باعتدال قوامه ورشاقته) والقمر (بجمال وجهه) : جعل القضيب (الغصن) و القمر يغاران منه . اذا ابتسم ظهرت أسنانه كأنها درر (لؤلؤ). الشهد : العسل . الطلاء : الخمر . القرقف : الخمر الباردة . اقرأ : في الشهد .

(٣) ظبي (غلام جميل) يقنص (يأسر) بحسنه الاسد (الرجل الشجاع القوي والذي لا يهتم أيضاً بالحب والجمال) . مقرقط : يلبس في أذنيه أقراطاً . كمد : حزن . جار : ظلم . نحل : رق جسمه وأصبح هزيلا . المدنف : الذي قرب من الموت لشدة المرض . — المستهام : الذي كاد الحب أن يذهب عقله — . اذا جار (ظلم) ابتعد عني أو عدل (أحسن الي) اقترب مني ورضي عني (فانني أكون معذباً بحبه) .

حتّى إذا ما اطمأنّ وانْعَطَفا
أسْفَرَ عنه الظلامَ ثمّ جَلا * وَرْداً بغير اللحاظ منه فلا * يُقْطَفْ[1].

٤ - * * فوات الوفيات ٢ : ٣١٠ - ٣١٢ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٢٠٩ - ٢١٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ١٩٦ - ١٩٨ (رقم ٤٠٨٣) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٥٧ - ٥٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٥.

ابن دمرتـــاش

١ - هو شِهابُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ محمودِ بنِ مكّيٍّ بن دَمِرْتاشَ (دمرداش) الدِمَشْقِيُّ الشاهِدُ ، وُلِـدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ - ١٢٤١ م) .

كان ابنُ دَمِرْتاشَ في أوّلِ أمرِه جُنديّاً خَدَمَ في حَماةَ وصَحِبَ الملكَ المنصورَ الأوّلَ ناصرَ الدين أبا المعالي مُحمّداً (٥٨٧ - ٦١٧ هـ) . ثمّ لمّا شاخ تَرَكَ ذلك ولَبِسَ زِيَّ العُدول وارْتَزَقَ بالشهادة[2] . ويَبْدو أنّه اشتغلَ بالتطبيبِ أيضاً . وكانتْ وفاتُه في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٢٣ (شباط - فبراير ١٣٢٣ م) .

٢ - ابنُ دَمِرْتاش شاعرٌ مُكْثِرٌ لطيفُ القولِ شديدُ المَيْلِ الى الصناعة ، ولا سيّما التَوْرِيَةُ . وشعرُهُ رائقٌ يَجْري في مُقَطَّعات قِصارٍ وأكثرُه في النسيبِ والغزل والوصف حتّى لُقِّبَ بالبُحْتري . وقد أكثرَ القولَ في السِواك .

٣ - مختارات من شعره

- من أقواله في المسواك (والمسواك قطعة من غصن شجر الأراك يُزال اللحاء أو القشرة عن مقدار معيّن من أحد طرفيها ثمّ تفرّق الخيوط الليفية في ذلك المقدار - ويتّخذ المسواك لتنظيف الاسنان وجلائها) . وشجر الأراك موطنه الحجاز :

أقولُ لِمِسْواك الحبيب : لَكَ الهَنـا بِلَثْمِ فَمٍ ما نـاله ثَغْرُ عاشق .
فقالَ ، وفي أحْشائه حُرْقَةُ الجَوى ، مَقالةَ صَبٍّ للدِّيار مُفـارق[3] :

---

(١) أسفر عنه الظلام (الشعر) : أزاح شعره عن وجهه . جلا : أظهر . وردا : (خدا) احمر . بغير اللحاظ ورده لا يقطف (يسمح بالنظر الى وجهه ولا يسمح بتقبيل وجهه) .

(٢) العدول (جمع عدل بفتح العين وسكون الدال) أشخاص من ذوي النزاهة والأمانة يتقدمون بالشهادة أمام القضاة في الدعاوى (التي يكونون على معرفة بأصحابها) .

(٣) المنا صيغة غير قاموسية وصوابة الهناءة ، والهناءة أن يأتيك أمر بسهولة وأن يحدث لك سروراً . الجوى : شدة الحب . الصب : العاشق .

تذكّرتَ أوْطاني فقَلْبي كما تـرى — أُعَلِّلُه بين العُذَيْب وبـارق[1] !
—يا قَمَري ، إنْ جئْتَ وادي الأراكْ — وقَبَّلَتْ أغْصانُه الخُضْرُ فـاكْ ؛
فأرْسِلْ الى عَبْدكَ من بَعْضها ، — فإنّني —والله— ما لي سواكْ[2] !

— وقال في النسيب ولَوْن الخمر :

ومُهَفْهَف الأعْطاف مَعْسُولُ اللَّمى — كالغُصْن يَعْطِفُهُ النَسيمُ إذا سَرى[3]
قالَ : « اسْقني ! » فأتَيْتُه بزُجاجة — مُلِئَتْ قَراحاً ، وهْوَ لاه لا يَرى[4]
وتأرَّجَتْ بِرُضابه ، وأمَـدَّها — من نار وَجْنَتِه شُعاعاً أحْمَرا[5] .
ثُمّ انثَنى ثَمِلاً ، وقد أسْكَرْتُهُ — برُضابِه وبِوَجْنَتَيْـه وما دَرى .

— وقال في الخمر وفي وصف الطبيعة :

حتّام لا تَصِلُ المُدامَ ، و قد أتَتْ — لَكَ في النسيم منَ الحَبيب وُعُودُ[6] ؛
والنَّهْرُ منْ طَرَب يُصَفِّقُ فَرْحَةً ، — والغُصْنُ يَرْقُصُ والرياضُ تَميدُ[7] .

— وقال في طول اللّيْل :

إن طال لَيْلي بَعْدَكُمَ فَلطوله — عُذْرٌ ، وذاك لِما أُقاسي منكُم .
لم تَسْرِ فيـه نُجومُه لكنّهـا — وَقَفَتْ لتَسْمَعَ ما أُحَدِّثُ عَنْكُمُ[8]

٤ — * الوافي بالوفيات ١ : ٢٣٢ — ٢٣٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٤ — ٢٠٩ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣ — ٤ (رقم ٤٤٩٦) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٥٩ .

---

(١) تذكرت أوطاني — يقول المسواك : تذكرت وطني الذي فارقته (الحجاز) . أعلله : أنقله، أعطيه شيئاً يسيراً مما كان يتمتع به في الحجاز . العذيب وبارق فيهما هنا تورية : العذيب وبارق مكانان في الحجاز ؛ والعذيب مصغر عذب (حلو ، كناية عن ريق المحبوب) ، وبارق (لامع ، أبيض ، كناية عن أسنان المحبوب) . — أنقل المسواك بين ريق المحبوب وأسنانه ، فكأن قلبي يتنقل بين العذيب وبارق في الحجاز .

(٢) راجع ، فوق ، ص ٧١٤ .

(٣) مهفهف : نحيف ، ضامر . الاعطاف جمع عطف (بكسر العين) : جانب الجسم . معسول : حلو . اللمى الاسمرار في الشفة. معسول اللمى : حلو المقبل (بفتح الباء المشددة) . يعطفه : يميله. سرى النسيم : هب ، مر.

(٤) الماء القراح : الماء الصافي .

(٥) تأرجت برضابه : أخذت (الزجاجة) شيئاً من أرج (طيب رائحة) رضابه (ريقه) . أمدها : أعطاها ، أرسل اليها .

(٦) حتام = حتى متى . لا تصل (لا تنعم بالوصال على المدام (الخمر) : لا تشرب الخمر .

(٧) تميد : تتمايل .

(٨) سرى النجم : سار ، دار في فلكه .

شمس الدين الصايغ

١ ـ هوشمسُ الدينِ محمّدُ بنُ الحسنِ بن سِباعٍ الصايغُ الحَنَفيّ العَروضيّ، وُلِدَ سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ ـ ١٢٤٨ م) في دِمَشْقَ ؛ ولم يكنْ صائغاً، فيما يبدو، ولكنّه أقامَ بالصاغة (سوق الصائغين ـ جَنوبَ الجامعِ الأُمَويّ بدمشق) زماناً يُقْرِىء الناسَ العربيةَ والعَروضَ والأدبَ. وقد زار مِصْرَ حيناً.

وماتَ شمسُ الدين الصائغُ في ٣ شَعبانَ سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٦/ ٧/ ١٣٢٥ م).

٢ ـ كانَ شمسُ الدين الصائغُ عارفاً باللغة والنحو والعَروض وبعلوم الأدب فكان أهل الأدب يشتغلون عليه. وله شعرٌ متينٌ جيّد أكثرُه الغزل ووصف الطبيعة ؛ وله نثرٌ أيضاً. ثم هو مُصَنّف شرحِ مُلْحة الإعراب (للحريري) والدُريدية (مقصورة ابن دُريد ؟) واختصر الصِحاح (للجَوْهري). وله المَقامة الشِهابية (عملها لشِهاب الدين الحُوَتيّ). «ونظم قصيدة في مَقْصِد الهيتية التي لشيطان العراق[1] تزيد على الألف بَيْتاً بكثير[2]».

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال شمسُ الدين الصائغُ، وهو في مِصْرَ، يتشوّقُ إلى دِمَشْقَ :

أنفَقْتُ في ناديكِ أيامَ الصِبا ... حُبّاً، وذاكَ أعزُّ شيءٍ يُنْفَقُ.

ورَحَلْتُ عنك ولي إليْكِ تَلَفُّتٌ ؛ ... ولِكلٍّ جَمْعٍ صَدْعَةٌ وتَفَرُّقُ[3].

فاعْتَضْتُ عن أُنْسي بظلّكِ وَحْشَةً ... مِنْها وَهى جَلَدي وشابَ المَفْرِقُ[4] :

فلَبِسْتُ ثوبَ الشَيْبِ وهو مُشَهّرٌ، ... وخَلَعْتُ ثوبَ الشَرْخِ وهو مُفَتّقُ[5].

---

(١) شيطان العراق هو أنوشروان (أو نوشروان) الشاعر الضرير من أحياء النصف الثاني من القرن الهجري السادس، وكان يغلب على شعره شيء كثير من الهزل والسخف والخلاعة والمجون. (نكت الهميان ١٢٢ـ١٢٣). الهيتية (لعلها قصيدة في هجاء هيت، فان لشيطان العراق قصيدة في هجاء مدينة اربل).

(٢) الوافي بالوفيات ٢ : ٣٦٢ ؛ في فوات الوفيات (٢ : ٢٣٤) : «تزيد على ألفي بيت». وشهاب الدين الخولي (بدل الحوتي). وفي الوافي بالوفيات (٢ : ٢٦٢) : المقالة الشهابية.

(٣) تلفت : شوق وتذكر. الصدعة : افتراق الشمل بعد الاجتماع.

(٤) وهى يهي : ضعف. الجلد : الصبر والتصبر (التجلد). المفرق : مكان افتراق الشعر في الرأس (في وسطه أو احد جانبيه).

(٥) مشهر (لعلها بكسر الهاء المشددة : يجلب العيب والشناعة على صاحبه. وخلعت = بعد أن خلعت. الشرخ : أول الشباب وعنفوانه. وهو مفتق : ذو فتوق وشقوق (بعد أن أفنيته باللهو والملذات).

حيّاكِ ، يا أطلالَ جَوْبَرَ ، واصلاً غَيْثٌ مُريعٌ مُسْتَهِلٌّ مُشفق[1] .
والواديَ الشرقيَّ لا بَرِحَتْ بـه ديَمٌ تَسِحّ ووبْلُها يتَدفّق[2] .
فغِياضُه ورياضُـه كعُيُونه ، هذا يَعومُ به وهذا يَغْـرق[3] .
أنّى اتّجَهْتَ رأيتُ دوحاً مـاؤه مُتَسَلْسلٌ يعلـو عليه جَوْسق[4] .
(ولكم حوَتْ) تلك المنازلُ صُورةً فيها الجَمالُ مُجَمّعٌ ومُفَرّق .
كمْ من غَزال بالنُفوس مُتوّجٌ ، وقَضيب بان بالعُيون مُمَنْطَق[5] !
والريحُ تكتُبُ والجَـداولُ أسْطُرٌ خَطٌّ له نَسْخُ النسيم محقّق[6] .
والطيرُ يقرأ والنسيمُ مُـردِّدٌ ، والغُصْنُ يرقُص والغديرُ مُصفّق[7] !
ومَعاطفُ الأغصان أثنتهـا الصّبا طَرَباً ، فذا عـار وهذا مُورق[8] .
وكأنّ زَهْرَ اللّوْز أحداقٌ إلى الـ زُوّار من خَلَل الغُصون تُحَدّق .
وكأنّما في كلّ عُـود صادحٌ عُودٌ حـلا مَزْمومه والمُطْلَق[9] .
والوُرْقُ في الأوراق يُشْبِهُ شَجْوُها شَجْوي ، وأينَ منَ الخَليّ المُوثَق[10]

---

(١) جوبر : ضاحية من ضواحي دمشق . واصلا : متصلا ، متوالياً . مريع : خصيب (توصف به الارض ، والشاعر يقصد : يجعل الارض خصبة) . مستهل : شديد (كثير) . مشفق (لعلها : مطبق = الذي يطبق الارض : يسقيها كلها من جميع نواحيها) .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة . سح المطر : سال ، سقط بكثرة الوبل : سقوط المطر بشدة .

(٣) الغيضة (بفتح الغين) : مكان كثير الشجر .

(٤) الدوح : جمع دوحة : الشجرة العظيمة (مجموع من الشجر العظام) . ماؤه . (ماؤها) : الماء الذي يجري بينها . متسلسل : يجري في حدور (من أعلى الى أسفل) . الجوسق : القصر (ولعله يقصد بناء صغير يكون في الحدائق يتخذ للنزهة فقط لا للسكن) .

(٥) كم من فتاة جميلة كالغزال متوجاً بالنفوس (تتجه النفوس كلها نحوه بكثرة فكأنها تاج عليه) . و (كم من فتاة جميلة مستقيمة القد) كقضيب البان (تحيط بها الابصار من كل جانب فكأنها ممنطقة (مزنرة) بالعيون !

(٦) — تكتب الريح (القهوية) على سطح النهر (تحدث على سطحه تموجات وتعرجات) ثم يأتي النسيم الخفيف (بعد أن تسكن الريح) فيمحو ما كانت الريح قد أحدثته (يعود سطح النهر الى استوائه وملاسته) .

(٧) والنسيم مردد : يحمل صدى أصوات الطيور الى كل مكان .

(٨) وفي رواية : أغنّتها الصبا.... فغصن عار لأنه لما طرب خلع ثيابه. وهنالك غصن كان عارياً فجعله الطرب يهتز ويورق فرحاً وسروراً .

(٩) كأنما في كل عود (غصن من شجرة)صادح (طائر يصدح : يغني كأنه) عود (آلة موسيقية) عذبت جميع أنغامه المزموم منها (التي تحدث اذا ضغطت احدى الاصابع على أحد أوتار العود فيكون الصوت دقيقاً عالياً ، أو لم تضغط عليه فيكون الصوت الحادث منه ضخماً منخفضاً) .

(١٠) الورق جمع ورقاء (الحمامة) في الاوراق (بين أوراق الاغصان) . الشجو : الحزن . الخلي : الذي =

أشتاقُكم من أرض مصْرَ وبَيْنَنَـا   بِيدٌ تَخِبّ بها المطيّ وتُعنق[1].
وقَنِعْتُ حتّى صِرْتُ أرْجو منكُمُ   من بَعْد ذاك القُرْب طَيْفٌ يَطْرُق[2]
ولقد عَطَفْتُ على الزمان مُعاتبـاً   فرأيتُ كَفّي عنه - صبراً - ألْيَق[3]

* فوات الوفيات ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٦١ - ٣٦٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٤٠ (رقم ٣٦٣٧) ؛ بغية الوعاة ٣٤ ؛ بروكلمان ٢ : ٩ - ١٠ ، الملحق ٢ : ٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢٦ - ٩٢٧ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣١٨ - ٣١٩ .

شِهابُ الدين محمودُ بنُ فَهْدٍ*

١ - هُوَ شِهابُ الدين أبو الثّناء محمودُ بنُ سَلْمانَ بنِ فَهْدٍ الدِمَشْقِيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ، في شَعْبانَ من سَنَةَ ٦٤٤ هـ (أواخر ١٢٤٦ م) .

تَلَقّى شِهابُ الدين محمودٌ العِلْمَ على نَفَرٍ من أئِمّةِ عصره : أخَذَ الحَديثَ عن الرَضيّ بنِ البُرْهانِ ويَحْيى بنِ عبدِ الرحيم الحَنْبلي وجَمالِ الدين بنِ مالكٍ ، ودَرَسَ الفِقْهَ على النجّار ، وأخذ العربية (النحو) عن جمال الدين بن مالك ، وتلقّى الأدب على المَجْد بن الظهير وسَلَكَ طَريقته في النظم وأرْبى عليه .

في نحو ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) تَوَلّى شهابُ الدين الكتابةَ (في ديوان الإنشاء) في دِمَشْقَ ، كما تولّى القَضاء على المذهب المالِكيّ وَهُوَ لا يزالُ أيضاً صَغيرَ السِنّ . ويبدو أنّه كان يَتَولّى القضاء في فَتَراتٍ - في أثناء تولّيهِ الكتابةَ - .

ولمّا توفّي مُحْيِي الدين بنُ عبدِ الظاهِر (٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ م) رئيسُ ديوانِ الإنشاء في مِصْرَ ، أرْسِلَ شِهابُ الدين محمودٌ إلى القاهرة لِيَعْمَلَ في ديوان الإنشاء . وفي سَنَةَ ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ - ١٣٠٩ م) أصْبَحَ صاحِبَ ديوانِ الانشاء عِنْدَ السُلْطانِ بَيْبَرسَ البُنْدُقْداري .

= لم يعرف الحب . الموثق : المقيد (بقيد الحب) . - حزنها وهي حرة تفعل ما تشاء أخف جداً من حزني المقيد أنا الذي لا أستطيع التحرر مما أنا فيه) .

(١) البيد جمع بيداء = الفلاة : الارض الواسعة (التي تبيد ، أي يهلك ، السائر فيها) . المطية : الركوبة (بفتح الراء) ، الدابة التي يركبها الانسان في انتقاله . خب الفرس : جرى (وهو ينقل يديه معاً ورجليه معاً) . أعنق أسرع (هذه البيداء واسعة جداً تسرع فيها الخيل والابل حيناً ثم تتعب فتسير ببطء) .

(٢) الطيف : الخيال . يطرق : يأتي في الليل (في النوم ، يكون مناماً) .

(٣) - التفت الى الدهر أريد أن أعاتبه وألومه على ما فعل بي من العذاب والشقاء ثم رجعت الى نفسي فوجدت أن كفي عن عتابه (ترك عتابه) والصبر على ما أنا فيه أليق بي وأجدر وأحسن (لأن اللئيم لا يجوز عتابه) .

ثُمّ تُوُفِّيَ القاضي ابنُ فَضْلِ الله ناظرُ ديوانِ الإنشاء في دِمَشْقَ ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٧١٧ هـ (أواخر ١٣١٧ م) فأُعيدَ شِهابُ الدين محمودٌ إلى دِمَشْقَ لِيتَولّى نَظَرَ ديوانِ الإنشاء وكِتابةَ السرّ .

وكانت وفاةُ شِهابِ الدين محمودٍ في دِمَشْقَ ، في ٢٢ من شَعْبانَ من سَنَة ٧٢٥ هـ (٢ - ٨ - ١٣٢٥ م) .

٢ - كان شِهابُ الدين محمودٌ بارعاً في عددٍ من فنونِ العلمِ والأدب : في الفِقْهِ واللُغة والنحوِ والبلاغةِ ناثراً بليغاً وشاعِراً مُجيداً مُكثِراً من النثر والنظم . جاء في الدرر الكامنة (٥ : ٩٢) : « وقصائدُهُ كثيرةٌ تدخُلُ في ثلاثِ مُجلّداتٍ ، وأما المقاطعُ فقليلةٌ . ونثرُهُ يدخُلُ في ثلاثينَ مجلّدة » . كذا قالَ الصفديُّ . وقال (الصفديُّ أيضاً) : « وهو أحدُ الكَمَلَةِ الذين عاصَرْتُهم وأخذتُ عنهم . ولم أرَ من يَصْدُقُ عليه اسمُ الكاتبِ غيرَهُ ، لأنّه كان ناظماً ناثراً .... وله كتابُ حُسْنِ التوسّلِ الى صناعة الترسُّلِ ، جَوَّدَهُ ؛ وكتابُ أهنى المنائحِ في أسنى المدائح ...» ومن الغريبِ أن الصفديَّ يقول (٥ : ١٣ ، السطر التاسع) : « ولم يَكُنْ له ، فيما عَلِمْتُ ، نظمٌ ولا نَثْرٌ » ، مَعَ أنّه يقول في السطر نفسِه : « وكَتَبَ مجاميعَ أدبيةً كثيرةً » ، كما ذكر أنّه كان صاحبَ ديوانِ الإنشاء : كَتَبَ في أيامِ والدِه في ديوان الإنشاء نِيابةً ثمّ لمّا تُوُفِّيَ والدُه تولّى رئاسةَ ديوانِ الإنشاء استقلالاً . وشهاب الدين محمود مُصنِّف له : مقامة العشّاق - منازل الأحباب - حُسْنِ التوسّلِ الى صِناعة الترسُّل - أهنى المنائحِ[1] في أسنى المدائح (وهي بديعيّاتٌ : قصائدُ في مدحِ الرسولِ أفرَدَها من ديوانِهِ في مجموعٍ خاص ، وهي تبلُغُ نحوَ ألفٍ وثلاثِمائةٍ وخمسةٍ وستّين بيتاً) .

٣ - مختارات من آثاره

- كَتَبَ شِهابُ الدين محمودُ بنُ فَهْدٍ الى فَتْحِ اللهِ بنِ عبدِ الظاهر (فوات الوفيات ٢ : ٣٦٠) بقصيدةٍ منها :

هَل البَدْرُ إلاّ ما حواهُ لِثامُها ، أو الصُبْحُ إلاّ ما جَلاه ابْتِسامُها[2] ؟

---

(١) المنائح جمع منيحة : منحة ، عطية . وفي فوات الوفيات : « أسنى المنائح في أسنى المدائح » (٢ : ٣٥٨) .

(٢) اللثام : (في الاصل) : الغطاء على الفم . ما حواه (تضمنه) لثامها = وجهها . جلاه : ابرزه ، أظهره .



أوِ النارُ إلاّ ما بدا فَوْقَ خَدِّهــا سَناها ، وفي قَلْبِ المُحبِّ ضِرامها[1] ؟

إذا ما نَضَتْ عنها اللِثـامَ وأسْفَرَتْ تَقَشَّعَ عن شَمْسِ النهار غَمامها[2] .

تُريكَ مُحَيّا الشَمْسِ في لَيْلِ شَعْرِها على قِيدِ رُمْحٍ قَدُّها وقَوامها[3] ؛

وتُزْهى على البدر المُنير فإنّهــا مَدى الدهر – لا يَخْشى السِرارَ تَمامُها[4] .

كِلانا نَشاوى : غيرَ أن جُفونَهـا مُدامُ المُعَنّى ، والدَلالُ مُدامُها[5] .

وليلةَ زارَتْ والثُرَيّـا كأنّهـا – نِظاماً وحُسْناً – عِقْدُها وابْتِسامها .

وحيّتْ فأحْيَتْ ما أمات صُدودُها ، ورَدَّتْ فَرَدَّ الروحَ فيَّ سَلامُها .

وقالتْ – وما للعَيْنِ عَهْدٌ بطَيْفها ولا النوم مُذْ صَدَّتْ وعَزَّ مَرامُها[6] :

«لقد أتْعَبَتْ عَيْني جُفونَكَ في الدُجي» فقُلْتُ : «سلي جَفْنَيْكِ ، أينَ منامُها» [7] ؟

وما عَلِمَتْ أنّ الرُّقادَ ، وقد جَفَتْ ، كَمِثْلِ حَياتي في يَدَيْها زمامها»[8] ! .

– ومن مقطّعاته في الصُوَر الغزلية :

رأتْني ، وقد نالَ مِنّي النُحـولُ وفاضَتْ دُموعي على الخدِّ فَيْضا ،

فقالتْ : « بعَيْنَيَّ هــذا السَّقامَ ! » فقلت : « صَدَقْتِ ، وبالخَصْر أيْضا [9]

---

(١) السنى : ضوء البرق . الضرام : اشتداد اتقاد النار ، شدة اشتعالها .

(٢) نضت (رفعت ، أزالت) . أسفر : ظهر ، انكشف ، برز . تقشع : انجاب ، تفرق . شمس النهار = كناية عن الوجه (وجه المحبوبة) .

(٣) تريك محيا الشمس (وجهاً كأنه وجه الشمس ، كأنه الشمس حسناً وتلألأ) في ليل شعرها (في شعرها الاسود كالليل) على قيد (بكسر القاف : قدر ، مقدار) الرمح (أي هي طويلة كالرمح) . القد والقوام = استقامة الجسم .

(٤) تزهى : تعجب (بضم التاء وفتح الجيم) ، تفتخر . السرار : اختفاء ضوء القمر في آخر الشهر . التمام : امتلاء البدر (الليلة الرابعة عشرة من الشهر القمري) . لا يخشى السرار تمامها : يبقى جمالها تاما كالقمر ليلة البدر .

(٥) النشوان (ومؤنثه : نشوى) : السكران . مدام : خمر . المعنى : المتعب (بالحب) . – هي سكرى من دلالها (غنجها) وأنا سكران من النظر الى عيونها .

(٦) الطيف : الخيال الذي يراه النائم في منامه . – منذ بعدت عني لم أر طيفها في منامي ، لأنني لم أستطع النوم حتى أرى أحلاماً . عز (صعب ، بعد) مرامها (مقصدها ، مكانها ، الوصول إليها) .

(٧) عيني أتعبت جفونك في الدجى (الليل) بالسهر !

(٨) الزمام : مقود الدابة ، لجام الدابة . – منذ ابتعدت عني أصبح نومي وأصبحت حياتي كلها رهن ارادتها (إن رضيت عني نمت وعشت مطمئناً ، وان غضبت ذهب نومي وتنغصت حياتي) .

(٩) بعيني هذا السقام (تورية : أفدي بعيني هذه السقام ، أي النحول الذي بجسمك ؛ في عيني سقام ، فتور ، مثل الذي بجسمك) . وبالخصر أيضاً (فأجبت : وفي خصرك أيضاً نحول مثل السقام الذي في عينيك) .

* ورأيتُهُ في الماء يَسْبَحُ مرّةً ، والثَّغْرُ قد رَفّتْ عليه ظِلالُهُ ،
فظَنَنْتُ أنّ البدرَ قابَلَ وَجْهُهُ وَجْهَ الغَديرِ فلاح فيه خيالُهُ [1].

* رأيتُ في بُستانِ خِلٍّ لنا بَدْرَ دُجىً يَغْرِسُ أشْجارا [2] ؛
فقُلْتُ : إن أنْجَبَ هذا الذي يَغْرِسُهُ أثْمَرَ أقْمارا [3].

— من مقدّمة كتاب « حسن التوسّل » :

أمّا بَعْدُ — حَمْداً لله جاعلِ الانسانِ مَخْبوءاً تحتَ اللسان ، مَحْبُوّاً [4] من مواهبِ البلاغة في المَنْطِقِ بالمراتب الحِسان ؛ والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمّدٍ المخصوصِ من مُعْجِزِ القرآن بأوضحِ بُرهانٍ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ والتابعينَ لهم باحسان — فانّه لمّا جعَلَ اللهُ لي في كِتابة الإنشاء رِزْقاً باشرتُ بسببه من وظائفها ما باشَرْتُ ، وعاشرتُ من أجلهِ من أكابرِ أهلِها وأئمّتِها مَنْ عاشرت ، ورأيتُ من مذاهبِهم في أساليبها ما رأيتُ ، وَرَوَيْتُ عنهم من قواعدها بالمُجاوَرة والمُحاوَرة ما رَوَيْتُ ، واطّلَعْتُ فيها بكَثْرة المُباشرة على طرائقَ ، وأُلْجِئْتُ فيها باختلاف الوقائع الى مَضائِقَ أيِّ مضائقَ ؛ ونشأ لي من الوَلَدِ ووَلَدِ الولد من عاناها [5] ، وتَرَشَّحَ لها من بَنِيَّ مَنْ لم أرْضَ له بالتَلَبُّس بصورتِها دونَ التَحَلّي بمَعْناها ؛ فأحْبَبْتُ أن أضعَ لهم ولِمَنْ يَرْغَبُ في ذلك في هذه الأوراق من فصولِها قواعدَ ، وأُقيمَ لهم فيها على ما لا يَسَعُ الجهلُ بهِ من أصولِها وفروعِها شواهدَ ، ليأتوا هذه الصناعةَ من أبوابِها ويَعْلَموا من طُرُقِها ما هو الأخصُّ بأوضاعِها والأوْلى بها وسَمَّيْتُه « حُسْنَ التوسُّل الى صِناعة التَرسُّل » . وما تَوْفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلْتُ واليه أُنيب *.

فأوّلُ ما يُبْدَأُ [6] به (الكاتبُ) من ذلك حِفْظُ كتابِ الله تعالى ومُداومةُ قِراءته ومُلازمة درسهِ وتَدَبُّر معانيه حتّى لا يزالَ مُصَوَّراً في فِكْرِه دائراً على لسانهِ مُمَثَّلاً

(١) الثغر : البلد على شاطىء البحر ، الماء القريب من الشاطىء .
(٢) الخل : الصديق . بدر دجى كناية عن شاب جميل .
(٣) أنجب الرجل : ولد له أولاد نجباء كرام . — ان عاشت هذه الاغراس التي يزرعها فانها ستحمل أقماراً (لأنه، هو بدر) .
(٤) حبا : أعطى ، وهب . * القرآن الكريم (١١ : ٨٨ ، سورة هود) .
(٥) الى مضائق أي مضائق = مضائق (شدائد) صعبة . عانى الرجل الأمر : مارسه ، اشتغل به .
(٦) أول تلك الشروط لاجادة الانشاء .



في قَلْبِهِ ذاكراً له في كلّ ما يَرِدُ عليه من الوقائع التي يُحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويُفْتَقَرُ الى إقامة الأدلّةِ القاطعة به عليها ، وكفى بذلك مُعيناً له في قَصْدِه ومُغْنياً له عن غيره ....

ـ الحَضّ على القِتال (من رسالة الى بعض نُوّاب الثَّغْر[1] يُحَذِّرُ من تَحَرُّكِ للعدوّ : من التتار أو الإفْرَنْج الصليبيّين) :

..... أصْدرناها ومُنادي النَفير قد أعلن بـ« يا خيلَ اللهِ ، ارْكَبي ؛ ويا ملائكةَ الرحمنِ ، اصْحَبي[2] ؛ ويا وُفُودَ التأييدِ والظفر ، اقْرُبي » ؛ والعزائمُ قد رَكَضَتْ على سوابقِ الرُعْبِ الى العِدا ، والهِمَمُ قد نَهَضَتْ الى عَدوِّ الاسلام . فلو كان في مَطْلَعِ الشمسِ لاسْتَقْرَبَتْ ما بَيْنَها وبَيْنَه من المَدى[3] !

ـ من كتاب تقليد (تولية أو إقرار على تولية) : لصاحب سيس[4] باقراره على ما قاطع عليه من بلاده :

الحمدُ للهِ الذي خَصّ أيامَنا الزاهرةَ باصطناعِ مُلوكِ المِلَلِ ، وفَضّل دَوْلتنا القاهرةَ بإجابةِ من سألَ بَعْضَ ما أحْرَزَتْهُ لها البيض والأسَل وجَعَلَ من خصائص مُلْكِنا إطلاقَ المَمالك وإعطاء الدُوَل[5] ..... وبَعْدُ : فإنّه مما آتانا اللهُ مُلْكَ البسيطة[6] ، وجَعَلَ دَعْوَتنا بأعِنّةِ مِمالك الأقطار مُحيطة ، ومَكّن لنا في الأرضِ وأنْهَضَنا من الجِهاد في سَبيله بالسُّنّة والفَرْض[7] ، وجَعَلَ

---

(١) النائب : الحاكم الذي ينوب عن السلطان في حكم مقاطعة كبيرة . الثغر : البلد القريب من العدو .

(٢) النفير : الجماعة من الناس ينهضون الى الحرب . منادي النفير : داعي الحرب . اصحبي : كوني في صحبتنا (الى الحرب) .

(٣) استقربت المدى : وجدت المسافة قريبة (قصيرة) .

(٤) سيس = سيسة : بلد بين أنطاكية وطرسوس (في الشمال الغربي من بلاد الشام) .

(٥) البيض : السيوف . الاسل : الرماح. اطلاق الممالك (تحريرها ! ، ايجاد الممالك) . الملة : النحلة (بكسر النون) : الدين أو المذهب من دين . أعطاء الدول : تولية الحكام على البلاد .

(٦) البسيطة : الارض .

(٧) الفرض : ما يجب على الانسان عمله . السنة : ما يطلب من الانسان فعله ، إلا أن تركه لا يوجب عقاباً . أنهضنا : أقدرنا (جعلنا قادرين) . من الجهاد بالسنة والفرض : بجميع أعمال الجهاد ومتطلباته .



كلَّ يوم تُعْرَضُ فيه جيوشُنا من أمثلةِ يوم العَرْض[1] ، وأظلَّتْنا بوادرُ الفتُوحِ ، وأظلّت على الأعداء سيُوفُنا التي هي على من كَفَرَ بالله وكفر بالنعْمة دَعْوَةُ نوح[2] ..... وألْقَتْ إلينا ملوكُ الأقْطارِ السَلَم وبَذَلَتْ كرائِمَ بِلادها وتِلادها رَغْبَةً في الالتجاء من عَفْونا الى ظِلٍّ أعلى من عَلَم[3] ..... عاهَدْنا اللهَ تعالى أن لا[4] نَرُدَّ منهم آمِلاً ولا نَصُدَّ عن مَشارِع[5] كَرَمِنا آهلاً ولا نُخَيِّبَ من إحساننا راجياً ولا نَخْلِيَ عن ظِلِّ بِرِّنا لاجياً، عِلْماً أن ذلك شُكْرٌ لِلقُدْرَةِ التي جعَلَها الله لنا على ذلك الآمِل[6] .....

٤ — حسن التوسّل الى صناعة الترسّل ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٨ هـ ؛ مصر (مطبعة امين هندية) ١٣١٥ هـ .

أهنى المنائح في أسنى المدائح ، القاهرة (مطبعة جريدة الشورى) بلا تاريخ .

تخميس قصيدة « وصانا السرى وهجرنا الديارا » لرفاعة الطهطاوي (ت ١٢٩٠ هـ) ، مصر ١٣٠٩ هـ .

* فوات الوفيات ٢ : ٣٥٨ — ٣٦٦ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ١٢ — ١٤ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٩٥ — ٢٩٦ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٩٢ — ٩٤ (رقم ٤٧٤٧) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٦٩ — ٧٠ ؛ من ذيول العبر ١٤٠ — ١٤١ ؛ بروكلمان ٢ : ٥٤ ، الملحق ٢ : ٤٢ — ٤٣ ؛ زيدان ٣ : ١٤٤ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٤٨ — ٤٩ .

ابو الفداء

١ — هو أبو الفِدا اسماعيلُ بن عليٍّ الملكِ الافضلِ بنِ محمودِ المظفّرِ بن محمّدِ المنصورِ بن تقيّ الدين عمرَ بنِ نورِ الدين شاهنشاه بن نجم الدين أيّوب ، وُلِدَ في دِمَشْقَ في جُمادى الأُولى من سَنَة ٦٧٢ (تشرين الثاني — نوفمبر ١٢٧٣ م) . واشترك أبو الفدا في حصارِ المَرْقَب وعُمْرُهُ اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً ، كما اشترك منذ مطلع شبابه في محاربة الإفرنج الصليبيين.

(١) يوم العرض : يوم القيامة (جيوشنا يوم عرضها للقتال كثيرة ككثرة الناس يوم العرض الأكبر : يوم الحشر ، يوم القيامة) .

(٢) دعوة نوح — إشارة الى الآية الكريمة : « وقال نوح : رب ، لا تذر (لا تدع) على الارض من الكافرين دياراً » (٧١ : ٢٦ ، سورة نوح) .

(٣) ألقى فلان السلم : طلب الصلح . التلاد : القديم (من المال أو المجد الخ) . العلم : الجبل .

(٤) أن لا = ألا . (٥) المشرع : المكان على النهر يسهل شرب الماء منه .

(٦) البر : الرحمة ، طاعة (الله في الاحسان الى الآخرين) . — إحساننا الى الناس هو الشكر الذي يجب علينا لله لأن الله أعطانا القدرة على الملك على الناس .

ولمّا قُضِيَ على الحُكْمِ الأيّوبي في حَماةَ بَقِيَ أبو الفداء في خدمة الوُلاة المماليك. وفي سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) وُلّيَ على حَماةَ، ثمّ جُعِلَتْ ولايتُه عليها دائمةً (٧١٢ هـ) ولُقّبَ «الملكَ الصالحَ». وفي سنة ٧٢٠ هـ أصبحَ سُلطاناً على حَماة باسم الملكِ المؤيَّد.

وكانت وفاةُ أبي الفِداء في حَماة، في ٢٣ من المُحَرَّمِ ٧٣٢ هـ (٢٧ – ١٠ – ١٣٣١ م).

٢ – كان أبو الفِداء أديباً يَنظِمُ الشعرَ ويَعْطِفُ على الأدب والادباء، كما كان مُصنّفاً للكتب له: المختصر في أخبار البشر (منذ أقدم الازمنة الى سنة ٧٢٩ هـ. ومع أن الكتاب في الاصل اختصار لتاريخِ الكاملِ لابن الاثير، فان أبا الفداء قد توسّع في العصر الجاهليّ ثمّ مد الكلام الى عصره وزاد الكلام على الأحوال الاجتماعية والعلمية والادبية). وله أيضاً تقويم البلدان (وهو كتاب عامّ في الجغرافية استقصى فيه ما ذَكَرَهُ الجغرافيون العرب قبلَه وصحّح كثيراً ممّا كان يُروى على غير وجههِ من الاسماء والانساب) – مختصر سُنَن البَيْهقي (حديث) – الكناش في النحو والصرف – طبقات الشعراء.

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدمة تاريخ ابي الفداء:

.... سَنَحَ لي أن أوردَ في كتابي هذا شيئاً من التواريخ القديمة والاسلامية يكون تذكرةً يُغنيني عن مراجعةِ الكتبِ المُطَوّلةِ فاخترتُه واختصرتُه من «الكاملِ» تأليفِ الشيخ عزِ الدين عليٍّ المعروفِ بابنِ الأثيرِ الجَزَريّ...؛ ومن «تجاريبِ الأُمم» لابي علي احمد بن مِسْكَوَيْهِ؛ ومن تاريخ ابي عيسى احمدَ بنِ عليٍّ المنجِّمِ المُسمّى بكتاب «البيان عن تاريخ سِني زمان العالم على سبيل الحجة والبرهان»، ذَكَرَ فيه التواريخ القديمة، وهو مجلّد لَطيفٌ[1]؛ ومن «التاريخ المُظفّري» للقاضي شِهابِ الدين بنِ أبي الدم الحَمَويّ، وهو تاريخ يختص بالمِلّة الإسلامية في نحو ستة مجلدات؛ ومن تاريخ القاضي شمس الدين بن خَلّكان المسمى بوَفَيات الأعيان... ومن تاريخ اليمن للفقية عُمارةَ، وهو مجلد لطيف؛ ومن تاريخ القَيْروان المُسَمّى «بالجمع والبيان» للصِنْهاجيّ؛ ومن تاريخ «الدول المنقطعة» لابن أبي منصور وهو نحو اربع مجلدات؛ ومن تاريخ عليّ بنِ موسى بن عبدالملك بن سعيدِ المَغْربي

(١) لطيف: صغير، مختصر.

الأندلسي المسمى «لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام»، وهو نحو مجلدين؛ ومن كتاب ابن سعيد المذكور المسمى «بالمُغرب في أخبار اهل المغرب»...؛ ومن «مُفَرِّج الكُروب في أخبار بني أيوب» للقاضي جمال الدين بن واصل....

وأما التواريخ الاسلامية فرتّبتها على السنين حسب تأليف الكامل لابن الاثير.

ولما تكامل هذا الكتاب سمّيته المختصر في اخبار البشر.

وفي هذا الكتاب مقدمةٌ قصيرةٌ تتضمّن ثلاثة أمور: الاختلافُ في ذِكْرِ سِنِي الأحداث القديمة كاختلاف المؤرخين في مولد المسيح — معرفة نسخ التوراة وهي ثلاث نسخ سامرية وعبرانية ويونانية — استخراج التواريخ القديمة بالمقابلة.

٤ — المختصر من أخبار البشر[1]، القاهرة ١٢٨٦ هـ؛ القسطنطينية (دار الطباعة) ١٢٨٧هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ — ١٣٢٦ هـ؛ بذيل الآثار الباقية عن القرون الخالية للطبري)، بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه؛ (مختارات منه): التواريخ القديمة من المختصر من تاريخ البشر (تحرير فلايشر)، ليبزغ ١٨٣١ م؛ حياة محمّد (تحرير غانيار)، أوكسفورد ١٧٢٣ م؛ حياة محمّد (تحرير نويل ده فيرجيه)، باريس ١٨٣٧ م؛ «أخبار المسلمين» (تحرير رايسكه الخ)، كوبنهاغن، ١٧٨٩ — ١٧٩٤ م.

تقويم البلدان (= أقاليم البلاد وتقويمها) ويعرف أيضاً باسم «جغرافية أبي الفداء» (تحرير رينولد والبارون ماك‌كوكين‌ديسلان) باريس (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٠ م؛ (أعيد طبعه بالتصوير)، بغداد (مكتبة المثنى) ومصر (مؤسّسة الخانجي)....

(مختارات منه): خوارزم وما وراء النهر (تحرير غرافيوس)، لندن ١٦٥٠ م، ١٧١١ (؟)؛ ذكر بلاد العرب وذكر ديار مصر (تحريرغاينار)، أوكسفورد ١٧٤٠ م؛ ذكر مصر (تحرير مايكل)، غوتنجن ١٧٧٦ م؛ لوائح جغرافية ونماذج أخرى (تحرير رينك)، ليبزغ (ويدمان) ١٧٩١ م؛ افريقية (تحرير أيشهورن)، غوتنجن ١٧٩١ م؛ ذكر بلاد الشام (تحرير كولر)، ليبزغ ١٧٦٦ م؛ لوائح (تحرير فستنفلد) غوتنجن ١٨٣٥ م؛ ذكر بلاد المغرب (تحرير سولفيه)، الجزائر (مطبعة الحكومة) ١٨٣٩ م؛ ذكر بلاد العرب (تحرير رينو ودى سلان)، باريس ١٨٤٠ م.

* فوات الوفيات ١: ٢٠ — ٢٣؛ طبقات الشافعية ٦: ٨٤؛ الدرر الكامنة ١: ٣٩٦ — ٣٩٩ (رقم ٩٤١)؛ البدر الطالع ١: ١٥١ — ١٥٢؛ من ذيول العبر ١٧٠ — ١٧١؛ شذرات الذهب ٦: ٩٨ — ٩٩؛ بروكلمان ٢: ٥٥ — ٥٧، الملحق ٢: ٤٤؛ زيدان ٣: ٢٠١ — ٢٠٣؛ دائرة المعارف الاسلامية ١: ١١٨ — ١١٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٣١٧.

شهاب الدين النويري

١ — هو شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الوهّاب بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الدائم التَيْمي

---

(١) جزءان: الجزء الأول (تاريخ ما قبل الاسلام)، الجزء الثاني (تاريخ الاسلام).

البَكْري القُرَشيّ الكِنْدي النُوَيْريّ نسبةً الى قرية من قُرى بني سُويفَ في صعيدِ مِصْرَ ، وُلِدَ في ٢١ من ذي القَعْدة سَنَةَ ٦٧٧ هـ (٥/ ٤/ ١٢٧٩ م) في بلدة قوص ونشأ فيها .

سَمِعَ شِهابُ الدين النويريُّ الحديثَ من الشريف موسى بنِ عليّ بنِ أبي طالبٍ ويعقوبَ بنِ أحمدَ الصابونيّ وأحمدَ الحجّار وزَيْنبَ بنتِ يحيى (ت ٧٣٥ هـ) وأبي عبد الله محمّدِ بنِ ابراهيمَ بن جَماعة .

بدأ شهابُ الدين النُويريُّ حياتَه كاتباً (في ديوان الانشاء) وبَرَعَ في الكتابةِ ثمّ تقلّب في عَدَدٍ من المناصبِ في أيام الملك الناصرِ محمّدِ بنِ قلاوون[1] وحَظِيَ عنده ثمّ كان مُدّةً ناظراً للجيش في طرابُلُسِ الشامِ ثمّ ناظرَ الديوانِ في منطقة الدَقَهْلية ومِنطقة المُرْتاحية.

وكانت وفاةُ النُويري في ٢١ رَمَضانَ ٧٣٢ هـ (١٧/ ٦/ ١٣٣٢ م) في قوص .

٢ — شِهابُ الدينِ النُويريُّ أديبٌ عالمٌ متعدّدُ نواحي الشخصية العِلمية مُحيطٌ بعددٍ كبيرٍ من فنونِ العلمِ والأدبِ حَسَنُ التنظيم عند مُعالجة الموضوعات التي يتناولها . وقد كان له شيءٌ من النظم ، كما كان حَسَنَ الخطِّ سريعَ النَسْخ . وتقومُ شهرةُ النويريِّ على كتابهِ الجامع الشامل « نِهاية الأرب في فنون الأدب » وهو كتاب جَمَعَ فيه النويريُّ كلَّ ما يحتاجُ إليه الكاتبُ في ديوان الإنشاء من المعارف (راجع النصّ المختار) ، وقد قَدَّمَ هذا الكتاب الى الملك الناصرِ محمّدِ بنِ قلاوون .

٣ — مختارات من آثاره

... وبعدُ فمِنْ أوْلى ما تدبّجتْ به الطُروسُ والدفاترُ ونَطَقَتْ به الأقلامُ عن أفواهِ المحابرِ وأصدرته[2] ذوو الأذهانِ السليمةِ وانتسبتْ إليه ذوو الأنساب الكريمة ، وجَعَلَه الكاتبُ ذريعةً يتَوَصّلُ بها إلى بلوغ مقاصده ومَحَجّةً لا يَضِلُّ مسالِكَها في مصادرهِ وموارده فَنُّ الأدب الذي ما حلّ الكاتب بواديه إلا وعَمَرت بواديه[3] ، ولا ورد مشارعه إلا واستعذب شرائعه ، ولا نزل بساحته

(١) جاء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الحكم في ثلاث فترات : ٦٩٣ – ٦٩٤ ، ٦٩٨ – ٧٠٨ ثم ٧٠٩ – ٧٤١ هـ .

(٢) كذا في الأصل : وأصدرته ذوو ... وانتسبت اليه ذوو ... !

(٣) حل بواديه (في واديه) : نزل عنده (حل الكاتب بواديه : أصبح كاتباً مقتدراً) . البوادي جمع بادية. الذريعة : السبب (الوسيلة) .

إلا واتّسعت له رِحابُها[1] ، ولا تأمّل مشكلة إلا وتبيّنت له أسبابها .

وكنت ممّن عَدَلَ في مباديه على الإلمام بناديه وجعل صناعة الكتابة فنّنَهُ الذي يستظِلّ بوارفه وفنّه الذي جُمِعَ له فيه بين طريفه وتالده[2] . فعرفت جليّها وكشفت خفيّها .... واسترفعت القوانين ووضعت الموازين وعاينت المقترحات واعتمدت علي المقايسات .... وأتقنت موادّ هذه الصناعة وتاجرت فيها بأنفس بضاعة .

ثم نبذْتُها وراء ظهري وعزمت على تركها في سِرّي دون جهري[3] . وسألت الله تعالى الغُنية عنها وتضرعت إليه في ما هو خير منها . ورغبت في صناعة الآداب وتعلقت بأهدابها[4] وانتظمت في سلك أربابها . فرأيت غرضي لا يتمّ إلاّ بتلقّيها من أفواه الفضلاء شِفاهاً ، وموردي لا يصفو ما لم أُجرِّد العزم سفاها[5] .

فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة . وحيث[6] ذلّ لي مركبها وصفا لي مشربها آثرت ان أجرد منها كتاباً أستأنسُ به وأرْجِعُ إليه وأُعوِّل في ما يَعْرِضُ لي من المهمّات عليه . فاستخرْتُ اللهَ سبحانه وتعالى وأثبتُّ منها خمسةَ فنونٍ حَسَنَةَ الترتيب بيِّنَةَ التقسيم والتبويب ، كلُّ فنٍّ منها يحتوي على خمسةِ أقسامٍ : (هي) الفنُّ الأولُ في الآثار العُلْوية[7] .... ـ الفن الثاني في الإنسان وما يتعلّق به ..... ـ الفن الثالث في الحيَوان الصامت ..... ـ الفن الرابع في النبات ..... ـ الفن الخامس في التاريخ .....

ولما انتهتْ أبوابُه وفصولُه وانحصرَتْ جُمْلته وتفصيلُه ترجمتُهُ[8] « بنهاية

---

(١) ورد المشرع : ذهب الى مكان الماء ليستقي (المشارع جمع مشرعة : مكان استقاء الماء) . الشرائع جمع شريعة : المشرعة . الرحاب جمع رحبة (بفتح الراء) : الارض الواسعة .

(٢) عدل (مال) في مباديه (مبادئه : أول أمره) على الالمام بناديه : بمجتمعه، بمكانه (الأخذ بفن الكتابة) . الفنن (الغصن) الوارف (الممتد الظل) الطريف (المكتسب حديثاً) التالد (الموروث من زمن قديم) .

(٣) نبذتها وراء ظهري (أهملتها ، رفضتها ، تركتها) في سري دون جهري (أضمرت تركها ولم أعلنه).

(٤) الغنية : الاستغناء . تعلق بأهدابها (أطراف ثيابها) : تمسك بها وأصر على العمل بها.

(٥) شفاها : مشافهة (الأخذ بالرواية والسماع) . سفاها : شرب الماء بكثرة . المورد : مكان الماء .

(٦) حيث (كذا في الأصل) أقرأ : حين .

(٧) الآثار العلوية في الأصل : أحوال الجو والمناخ ، وقد وسع النويري الكلام في هذا الفن (الفصل) فتكلم على الفلك والجغرافية والآثار العمرانية وأمور الخلق . في هذا الفن الأول من كتاب « نهاية الأرب » : خلق السموات والملائكة ـ الكواكب ـ السحاب ـ الصواعق ـ الشهور والفصول ـ الأعياد ـ الارض (خلقها) ـ الجبال ـ خصائص البلاد ـ المباني القديمة ... الخ .

(٨) ترجمته : سميته (جعلت اسمه مبيناً لما فيه من الموضوعات) .

الأرب في فنون الأدب » واتيت فيه بالمقصود والغرض وأثبتُّ الجوهر ونَفَيْتُ العرض[1] وطوّقته بقلائد من مَقولي ورصّعته بفرائدَ من منقولي[2] .... وما اوردتُّ فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل اليه وأن الخواطر تشتمل عليه[3] ......

٤ – نهاية الأرب في فنون الأدب (طبع منه) :

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان ، غوطا ١٧٧٥ م[4] ؛ ذكر أيام العرب ووقائعها في الجاهلية (باعتناء راسموسن) غوطا ١٨١٧ ، ١٨٢١ م[5] ؛ تاريخ مسامي اسبانية والمغرب : نص ونقل الى اللغة الاسبانية بقلم غاسبار رميرو ، غرناطة ١٩١٧ م[6] ؛ نهاية الارب في فنون الأدب (ثمانية عشر جزءاً) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ، ١٣٤٢ – ١٣٧٤ هـ = ١٩٢٣ – ١٩٥٥ م .

* الوافي بالوفيات ٧ : ١٦٥ ؛ الطالع السعيد (١٩٦٦م) ٩٦ – ٩٧ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٠٩ – ٢١٠ (رقم ٥٠٦) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٦١ – ٣٦٢ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٤١ – ٢٤٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٣ : ٩٦٨ – ٩٦٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٥ ، الملحق ٢ : ١٧٣ – ١٧٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ – ١٥٩ .

ابن أبي جرادة الحلبي

١ – هو نَجْمُ الدينِ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ أبي جَرادةَ العُقيليُّ الحلَبي ، وُلِدَ سنَةَ ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) . سَمِعَ ابنُ أبي جَرادةَ الحديثَ وتَفقّهَ ، ثمّ تَولّي التدريسَ في أماكنَ عديدةٍ ، وتولّى القضاء أيضاً . وكانتْ وفاتُهُ في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٣٤ هـ (خريف ١٣٣٣ م) .

٢ – لابن أبي جرادةَ الحلبيِّ شِعرٌ جيّدٌ فيه لَفَتاتٌ بارعةٌ .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ أبي جرادةَ الحلبيُّ يُشَبِّهُ الأشجارَ على ضِفّتَيِ النهْرِ بنساء ينظُرْنَ في مِرآةٍ إلى حُسْنِ وُجوهِهِنّ :

---

(١) الجوهر : طبيعة الشيء وأصله الثابت . العرض : الصفة العارضة في الشيء والتي تأتي وتذهب وتزول .

(٢) طوقته : جعلت لها طوقاً (عقداً) بقلائد (جمع قلادة : عقد ثمين) من مقولي (مما قلته أنا من عندي) ورصعته (أنزلت فيه زخرفاً وزينة) من منقولي (مما رويته عن غيري) .

(٣) الخواطر تشتمل عليه : مما يهتم به الناس وهو قابل للتحقيق (ليس من عمل الخيال) .

(٤ و ٥) معجم المطبوعات العربية (ص ١٨٨٤ – ١٨٨٥) .

(٦) بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٧٤) .

كأنَّ وجهَ النَهْرِ - إذ حفَّتْ بهِ أشجارُه فصافَحتْهُ الأغصنُ -
مِرآةُ غيدٍ قد وقَفْنَ حوْلَها ينظُرْنَ فيها أيُّهُنَّ أحسَنُ !

٤ - * البدر الطالع ١ : ٥١١ - ٥١٢ .

عامر بن عامر البصري

١ - هو أبو الفضل عِزُّ الدين عامرُ بنُ عامرِ البصريُّ الحكيمُ الملقّبُ أوشيذر (!)، كانَ من حديثه أنه لمّا ادّعى عليُّ بنُ الفخرِ الأردستاني أنه عيسى صدّقه عامرٌ وقالَ بمقالهِ . ثم إن عليَّ بنَ الفخرِ أُخِذَ فقُتِلَ في ليلة القَدْر (٢٧ رمضان) من سَنَةَ ٦٩٦ هـ (١٧/٧/١٢٩٧ م) فقال عامرٌ فيه أبياتاً يرثيه بها ؛ وقد هجا القاضي نجمُ الدين ابراهيمُ بنُ هاشمٍ النيليُّ عامراً من أجلِ ذلك . ثمَّ انَّ عامراً انتقلَ وشيكاً الى سيواس (آسيةَ الصُغرى) حيثُ نَظَمَ تائيةً يُعارِضُ بها تائيةَ ابنِ الفارضِ (راجع ، فوق ، ص ٥٢٤) فانتهى من نَظْمِها ، كما يقولُ هو في آخرِها ، سنة ٧٣١ هـ (١٣٣٠ م) . ولعلّه لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً .

٢ - تائيةُ عامرِ البصريِّ خمْسُمائةٍ وبيْتانِ (في التَصوُّف) ، إلاّ أن جانباً كبيراً من أبياتِها يجري مَجْرى الفَخْرِ والغزلِ الذي ليس عليه دلائلُ صوفيةٌ . هذا الجانبُ فصيحُ القولِ متينُ السَبْكِ بَدْويُّ النَفَسِ في الأكثرِ مُشْبِهٌ شِعْرَ فحول الشِعرِ من طبقةِ أبي تمامٍ والمتنبي . أما الجانبُ الآخرُ الصوفيُّ فعليه سِماتُ الضَعْفِ التي نراها في الشِعْرِ الصوفي عامّةً .

٣ - مختارات من شعره

- من تائيّة عامر بن عامر البصري*

تدل هذه القصيدة على أن عامر بن عامر البصري من العلويين النصيريّة (المتطرفين - راجع فوق ص ٧) ، فهو يقول بالإمام الغائب (البيت العاشر)، ولكنه يخاطب «الامام» كما تخاطب الألوهية (وان كان هو يفعل ذلك في سياق من الرمز الصوفي):

تجلّى لِيَ المحبوبُ من كلِّ وِجهةٍ فشاهدتُه في كلِّ معنىً وصورةٍ .

(*) سأشرح الأبيات التالية شرحاً عاماً وأترك تحليل المعاني الصوفية (راجع ، فوق ، شعر ابن الفارض ، ص ٥٢٢ - ٥٢٥) .

وخاطبَني منّي بكشفِ سرائرٍ ،   تعالتْ عن الأغْيار لُطفاً وجلّتِ[1] ،

فقال : «أتدري من أنا ؟» قلت : أنت ، يا   مُنادى ، أنا ؛ إذ كنتَ أنت حقيقتي » .

حبيبٌ له في حبّةِ القلب مسكنٌ   ترفّع عن هِندٍ ودَعدٍ وعزّة[2] ؛

أبيتُ بجفنٍ من جفاه مُسهَّدٍ ،   وأغدو بشمْلٍ من نواه مُشتّتِ[3] .

كتمتُ هـواه بُرهةً فوّشى بـه   عليّ شُحوبي واصفراري وعبْرتي[4] !

هو العاشقُ المعشوقُ في كلّ صورةٍ ،   هو الناظرُ المنظور في كلّ لمْحة .

إليك رَحيلي إن رَحلْتُ ، فإن أقِـمْ   فعندكَ لا عندي تكون إقـامتي .

وان سِرت يوماً ، عنك فيك ، ومطلبي   سواك ثني شوقي اليك أعنّتي[5] .

إمامَ الهُدى ، حتّى متى أنتَ غائبٌ ؛   فمُنّ علينا ، يا أبانا ، برؤية[6] .

تراءتْ لنـا راياتُ جيشِك قـادماً   ففاحت لنـا منها روائح مِسكة[7] ؛

وبُشّرَتِ الدنيا بذلك فاغْتدتْ   مباسِمُها مُفْترّةً عن مَسرّة .

فأنتَ بهذا الأمـرِ قِدْماً مُعيّن ؛   لذلك قال الله : « أنتَ خليفتي[8] ! »

سندعوك — إنْ أمرٌ عنانا — لنصْرنا ؛   فمِثْلُكَ من يُدعى لكلّ مُلمّة .

لنا الشرفُ الأعلى الذي طَوْدُ عزّه   تَذِلّ له أعنـاق كلّ قبيلة .

ونحن لأهلِ الشرق والغربِ قِبْلةٌ   تُصلّي إلينا سُجّداً كـلُّ مِلّة .

وأيُّ يَدٍ مُدّتْ لفخرٍ ولم يكن   لنا خَمْسُها تُومي لفخرٍ ونجدة[9] !

---

(١) خاطبني مني : كلمني آتياً خطابه لي من داخلي . الأغيار : غير أهل المعرفة الصوفية ، غير الذين بلغوا الى الاتحاد بالله .

(٢) حبة القلب : داخل القلب ، قرارته .

(٣) الجفاء : البعد مع العداوة . النوى : البعد .

(٤) كتمت حب الله في قلبي فعرفه الناس من نحولي واصفرار وجهي وعبرتي (دموعي : بكائي) .

(٥) « شوقي » فاعل « ثنى » . « أعنتي » مفعول به من « ثنى » (رد) .

(٦) راجع مقدمة القصيدة .

(٧) يرى الشيعة أن الإمام محمد المهدي (الامام الثاني عشر الغائب) سيعود في آخر الزمان آتياً من المشرق على رأس جيش كبير فيملأ الدنيا عدلا كما كانت قد ملئت ظلماً .

(٨) يرى الشيعة أيضاً أن الخلافة ليست راجعة الى تفويض البشر ، بل هي منصب ديني نص عليه الله ثم عين الأئمة (الخلفاء) في علي وأبنائه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٩) خمسها : أصابعها الخمس . تومي = تومىء : تشير بالطاعة لنـا والمدح لنا . ويمكن أن يقرأ هذا البيت :

وأي يد مدت لفخر — ولم يكـن   لنا خمسها — تومي لفخر ونجدة !

بضم الخاء في خمسها (خمس أموالها) : بدفع زكاتها لنا .

أَحبابَنا ، إنّ الليــاليَ بَعدَكم رمَتْ بسِهام البَيْن شَمْلي فأصْمَتِ[1]
تَفَتَّتَ ، مُذْ غِبتم ، فؤاديَ بالنَّوى ؛ وأيُّ فؤادٍ بالنوى[2] لم يُفَتَّتِ !

٤ – تائية عامر بن عامر البصري (عني بنشرها وشرحها الشيخ عبد القادر المغربي) ، دمشق (منشورات المعهد الفرنسي بدمشق) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

* بروكلمان ١ : ٣٠٦ (السطر ٢١ وما يليه) ، الملحق ١ : ٤٦٤ (السطر ١١ والذي يليه) .

ابن سيد الناس

١ – هو فتح الدينِ ابو الفتحِ محمدُ بنُ محمدِ بن محمدٍ[3] (ثلاثَ مرّات) ابن أحمدَ بن عبدِ الله بنِ محمّد بن يحيى.... بن سيّدِ الناسِ اليَعْمُري الربعيّ* الإشبيليّ الأندلسي ، أصلُ أهلهِ من إشْبيلِيَة .

وُلِدَ أبو الفتحِ بنُ سيّدِ الناسِ في القاهرة في رابعِ عَشَرَ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٦١ هـ (٢٠/ ٩/ ١٢٦٣ م) في الأغلب .

قرأ أبو الفتحِ بنُ سيّدِ الناس على عددٍ كبيرٍ من شيوخِ الحديث والفِقْه والأدب (زَعَمَ بعضُهم أنّهم يبلغون ألفاً) : سَمِعَ الحديثَ سنة ٦٧٥ هـ من شمسِ الدين ابن العِماد ، وفي سَنَة ٦٨٥ هـ كتب الحديثَ عن قُطْبِ الدين العسقلانيّ ، كما أخذَ عن ابنِ النحّاسِ[4] ولازم ابنَ دقيقِ العيدِ وتخرّجَ عليه في أصول الفقه وأعادَ عنده[5] . وكان قد انتقلَ إلى دِمَشْقَ فوَصَلَ إليها في آخرِ رَبيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٩٠ هـ (١/ ٤/ ١٢٩١ م)[6] فَسَمِعَ من نفرٍ من علمائها ، ولعلّه سَمِعَ من

---

(١) البين : البعاد . الشمل : ما اجتمع من الأهل والأصحاب . أصمى : أصاب مقتلا (أصابني البعاد فشردني عن أهلي وبلدي : باعدت بيني وبين الاتحاد بالله ، لأن الامام غائب عن عيني !) .

(٢) النوى : البعد ، الفراق .

(٣) لعل جده أبا بكر محمـداً (ولد ٥٩٧ هـ) غادر الاندلس ثم توفي في تونس (٦٥٩ هـ) ، وأن أباه (٦٤٥ – ٧٠٥ هـ) جاء الى القاهرة .

(*) « ربعي » (بكسر العين) نسبة الى ربيع ، و (بفتح الراء والباء) نسبة الى ربيعة ، و (بفتح الراء) نسبة الى الربعة ، وهم حي من بني أسد (ولم أعرف الوجه في ضبط الكلمة أعلاه) .

(٤) بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان . برع في النحو والتفسير والحديث والمنطق والهندسة ؛ دخل مصر وتصدر للتدريس فيها . مات سنة ٦٩٨ هـ (راجع بغية الوعاة ٦) .

(٥) هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المعروف بابن دقيق العيد المنفلوطي (٦٢٥ – ٧٠٢ هـ) من علماء الحديث الكبار درس في دمشق حيناً وفي القاهرة . وقد أعاد عنده (كان ابن سيد الناس معيداً في حلقة ابن دقيق العيد : يرد بعده حتى يسمع الجالسون في أواخر الحلقة) .

(٦) وصل الى دمشق قبل وفاة الفخر البخاري (علي بن أحمد) أحد أئمة الحديث . كانت وفاة البخاري =

محمّد بنِ عبدِ المؤمن الصوري (توفي في منتصف ذي الحجة ٦٩٠ هـ) .

وتولّى ابنُ سيّدِ الناسِ تدريسَ الحديثِ في المدرسة الظاهرية ومدرسة أبي حلية (أو أبي خليفة !) وفي مسجد الرصد وجامع الخندق . وقد نال حظوةً عند الحُكّام في مِصْرَ والشام . ثمّ كانت وفاتُه في ٢١ شَعْبانَ سنة ٧٣٤ هـ (٢٦/ ٤/ ١٣٣٤ م) في القاهرة .

٢ ـ كان أبو الفتحِ بنِ سيّدِ الناسِ بارعاً في علوم الحديث والفِقْه كما كان مؤرِّخاً وذا باعٍ طويلة في علوم اللغة والأدب . وكذلك كان ناثراً ومُتَرَسِّلاً وشاعراً ؛ وشعرُه قصائدُ ومقطّعاتٌ في الفنون الوُجْدانية في الأكثرِ ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : عيون الأثر في غَزَوات سيّد ربيعةَ ومُضَرَ إذ هي أشرَفُ شمائل البشر[1] ـ بُشْرى اللّبيب بذِكْرى الحبيب[2] ـ المقامات العليّة في الكرامات الجَلِيّة ـ شرح جامع الترْمذي ـ عُدّة المعاد في عَرُوض « بانتْ سعاد »[3] . وله أيضاً رسائلُ بينَه وبينَ صلاح الدين الصَفَدي[4] (ت ٧٦٤ هـ).

قالوا : ولو أكَبّ ابنُ سيّدِ الناس على العِلم كما ينبغي لشُدّتْ إليه الرِحالُ ؛ ولو كان اشتغالُه بالعلم على قَدْرِ ذِهْنه لَبَلَغَ الغايةَ القُصوى ، ولكنّه كان يتلهّى عن ذلك بمُعاشرة الكِبار (الحكّام والوجهاء)[5] .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ سيّدِ الناسِ في النسيب والغزل :

قَضَى ولم يَقْضِ من أحبابهِ أرَبا صَبٌّ إذا مرّ خَفّاقُ النسيم صَبا[6] .

= في ثاني ربيع الآخر سنة ٦٩٠. في الدرر الكامنة (٤ : ٣٣١ ، رقم ٤٤٣٧) : « ورحل الى دمشق فاتفق وصوله عند موت الفخر بن البخاري (الفخاري) وكاد يدرك الفخر ففاته بليلتين . وكانت وفاة الفخر ابن الفخار في ثاني ربيع ٦٩٠ (راجع شذرات الذهب ٦ : ٤١٦ س) .

(١) يلفى هذا العنوان مختصراً (راجع المصادر و المراجع) .

(٢) الحبيب (محمد رسول الله) والكتاب قصائد بديعيات (وصف الرسول ومدحه) .

(٣) قصيدة « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » لكعب بن زهير (١ : ٢٨٢) . العروض (بفتح العين) : علم الوزن والقافية .

(٤) راجع عدداً من الرسائل الاخوانية يمتزج فيها النثر بالقصائد (الوافي بالوفيات ١ : ٢٩٣ وما بعد) .

(٥) راجع الدرر الكامنة ٤ : ٣٣١ ، ٣٣٣ ـ ٣٣٤ (رقم ٤٤٣٧) .

(٦) قضى : مات . لم يقض (لم ينل ، لم يحصل على) . أرب : مقصد ، غاية ، حاجة . صب : محب . صبا : مال ، اشتاق .



راضٍ بما صَنَعَتْ أيدي الغرامِ بهِ ، فحَسْبُهُ الحبُّ ما أعْطى وما سلبا .

ما ماتَ مَنْ مات في أحبابهِ كَلَفـاً وما قَضَى ، بل قَضى الحقَّ الذي وَجَبا[1] .

باللهِ ، يا نَسَماتِ الريحِ ، هل خبرٌ عَنْهُمْ يُعيدُ لِيَ العيشَ الذي ذهبا ؟

بانوا ؛ فأيُّ فؤادٍ لم يَذُبْ أسفاً ، وأيُّ قلبٍ غَداةَ البَيْنِ ما وَجَبا[2] !

ناديتُ بالسَفْحِ قلباً في ضِيافتِهِمْ لا يُذْكَرُ السَفْحُ الاّ حَنَّ مُفتريا[3] ،

غيرَ انْ تَصْرَعُهُ الذِكرى إذا خَطَرَتْ والريحُ ان نَسَمَتْ والدَمْعُ ان نَضَبا[4]

يَرْتاعُ للقُضْبِ إن ماسَتْ مَعاطِفُهـا لِيناً ، وكان يَرُوعُ السُمْرَ والقُضُبا !

— من مقدّمة « عيون الأثر » :

.. .. وبعدُ ، فلمّا وَقَفْتُ على ما جَمَعَهُ الناسُ قديماً وحديثاً مِنَ المجاميعِ في سيرةِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ومَغازيهِ وأيّامهِ الى غيرِ ذلك ممّا يتّصلُ بهِ ، لم أرَ إلاّ مُطيلاً مُملاً أو مُقَصِّراً بأكثرِ المقاصد مُخلاً . والمُطيل إمّا مُعْتَنٍ بالأسماء والأنسابِ والأشعارِ والآداب أو آخرُ يأخُذُ كل مأخذ في الطُرُقِ والرواياتِ ويَصْرِفُ الى ذلك ما تَصِلَ إليه القُدْرةُ من العنايات . والمُقَصِّرُ لا يَعْدو المنهجَ الواحدَ ، ومعَ ذلك فلا بُدَّ وأن يَتْرُكَ كثيراً ممّا فيه من الفوائد ؛ وإنْ كانوا جميعاً — رَحِمَهُمُ اللهُ — هُمُ القُدْوَةَ في ذلك وممّا جمعوه يَسْتَمِدُّ مَنْ أرادَ ما هنالك . فليسَ لي في هذا المجموعِ الاّ حُسْنُ الاختيارِ من كلامِهِمْ والتبرّكُ بالدخول في نِظامهم .

غيرَ أنّ التصنيفَ يكونُ في عَشْرَةِ أنواعٍ — كما ذَكَره[5] بعضُ العلماء — فأحَدُها جمعُ المتفرّقاتِ وهو ما نحن فيه ؛ فانّي أرجو أنّ الناظرَ في كتابي هذا لا يَجِدُ ما ضَمَّنْتُه إيّاه في مكانٍ ولا مكانينِ ولا ثلاثةٍ ولا أكثرَ من ذلك إلاّ بزيادةٍ كثيرةٍ تُتْعِبُ القاصدَ وتَتَعذّرُ بها على أكثرِ الناس المقاصدُ . فاقتضى

---

(١) الكلف : شدة الحب . وجب : لزم ، كان مقضياً (مفروضاً) .

(٢) بانوا : ابتعدوا ، رحلوا . غداة (صباح اليوم التالي من) البين (الفراق) . وجب : خفق (من الحزن والخوف) .

(٣) السفح : أسفل الجبل (وهو هنا رمز) . مفترياً (كذا في الأصل) لعلها : مقترباً (وهو يسمى الى المجيء الى السفح) أو مغترباً (وهو يشكو البعاد) .

(٤) نضب : جف ، سال وجرى (القاموس ١ : ١٣٣) .

(٥) لا حاجة هنا الى الهاء .

ذلك أنْ جَمَعْتُ هذه الأوراقَ وضَمّنْتُها كثيراً ممّا انتهى إليَّ من نَسَبِ سيّدِنا ونَبِيِّنا محمّدٍ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ومولدِه ورَضاعِه ....[1]

وقد اتحَفْتُ الناظرَ في هذا الكتابِ مِنْ طُرَفِ الأشعارِ بما يَقِفُ الاختيارُ عنده، ومن نُتَفِ الأنسابِ بما لا يَعْدو التعريفُ حَدَّهُ، ومن عَوالي الاسانيد[2] بما يَسْتَعْذِبُ الناهلُ وِرْدَهُ ويَسْتَنْجِحُ الناقلُ قَصْدَهُ[3] .....

٤ — عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٦ هـ ؛ دمشق ١٣٥٨ هـ ! !

بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب (تحرير كوزيغارتن) ، ستر السند في شمالي شرقيّ ألمانيا ١٨١٥ م .

* فوات الوفيات ٢ : ٢١١ — ٢١٤ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٢٨٩ — ٣١١ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٣٠ — ٣٣٥ (رقم ٤٤٣٧) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٤٩ — ٢٥٢ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٠٨ — ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٢ — ٩٣٣ ؛ زيدان ٣ : ١٦٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٨٥ ، الملحق ٢ : ٧٧ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٦٣ .

جلال الدين القزويني

١ — هو الخطيبُ قاضي قُضاةِ الإقليميين (مِصْرَ والشامِ) جلالُ الدين ابو المعالي أبو عبد الله محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عُمَرَ بن أحمدَ ..... القَزْوينيُّ الأصلِ الدِمَشْقيّ الدارِ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ في شَعبانَ من سنَةِ ٦٦٦ هـ (ربيع ١٢٦٨ م) .

تَفَقّهَ جلالُ الدين القَزْوينيُّ على أبيه ثمّ أخذَ عن شمس الدين محمّدِ بنِ أبي بكرٍ الفارسي الأيكيّ (ت ٦٩٧ هـ) وعن شهابِ الدين محمّدِ بنِ المجدِ الإرْبِليّ (ت ٧٣٨ هـ) وسَمِعَ من أبي العبّاس الفاروثيّ .

وكان آلُ القزويني قد رَحَلوا من الموصل الى بلاد الروم ثمّ جاءوا الى دِمَشْقَ ، نحو سنَةِ ٦٧٩ هـ واستقرّوا فيها . وفي دِمَشْقَ تصدّرَ جلال الدين للتدريس منذ سنَةِ ٦٩٣ هـ . وفي سنَةِ ٧٠٦ هـ تولّى الخَطابةَ في الجامع الأُمويّ . ثمّ انّه تولّى

---

(١) يورد ابن سيد الناس هنا أدوار حياة الرسول (الموضوعات التي تناولها في كتابه) .

(٢) عوالي الأسانيد : سلسلة السند التي تصل بها الرواية الى الرسول نفسه أو قريباً منه .

(٣) الناهل : الذي يشرب للمرة الأولى ، والذي يشرب حتى يرتوي . الورد : المجيء الى مكان شرب الماء (النهر أو النبع) .

القضاء في الشام ومصر في فترات متعاقبة أو متباعدة ، فانّ حياته لم تكن مستقرّة بما كان يكيد له أعداؤه وحساده عند الولاة والأمراء . من أجل ذلك كثر تردد جلال الدين القزويني بين دمشق والقاهرة .

وكانت وفاة جلال الدين القزويني في دمشق ، سنة ٧٣٩ ، في ١٥ جمادى الأولى في الاغلب (خريف ١٣٠٨ م) .

٢ ـ اشتغل جلال الدين القزويني بأنواع العلوم . ثمّ هو رأس علماء البلاغة في عصره اعتمد في تفصيلها وتوضيحها على السكّاكي (فوق ، ص ٤٨٤) كما اعتمد المتأخّرون من علماء البلاغة عليه هو . وللقزوينيّ كتابان شهر بهما :

أ) تلخيص المفتاح : اختصر القزوينيّ فيه القسم الخاصّ بعلم البلاغة من كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكيّ ، حذف الحشو وشذّب التطويل ووضّح بعض غامضه ثمّ زاد فيه شيئاً من الشواهد والفوائد .

ب) الإيضاح في علوم البلاغة : رأى القزوينيّ أنّه قد جاوز الحدّ في اختصار « مفتاح العلوم » في كتابه « تلخيص المفتاح » فعاد فشرح كتابه « تلخيص المفتاح » وفصّل فيه بعض ما كان قد أجمله إجمالاً شديداً ثم زاد فيه كثيراً من الأمثلة والشواهد . وجرى جلال الدين القزوينيّ على خطا السكّاكي فتابعه في تحكيم العقل والمنطق في دراسة أوجه البلاغة ـ على ما كان العرب قد سلكوا في أصول علم الكلام وفي درس الفلسفة .

ومن مؤلّفات جلال الدين القزويني أيضاً : الشذر المرجانيّ في شعر الأرّجاني (مختارات) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من فاتحة « التلخيص في علوم البلاغة » :

..... أمّا بعد فلمّا كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً وأدقّها سرّاً ، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم [1] القرآن أستارها ، وكان القسم الثالث من « مفتاح العلوم » الذي صنّفه

(١) نظم القرآن : تركيب جمله وأسلوبه المعجز للبشر (مع انه بلغة يتكلمها أهل الفصاحة والبلاغة من البشر) .



الفاضلُ العلاّمةُ أبو يعقوبَ يوسفُ السكّاكيُّ[1] أعظمَ ما صُنِّفَ فيه من الكُتُبِ المشهورة نَفْعاً لكونه أحسنَها ترتيباً وأتمَّها تحريراً[2] وأكثرَها للأُصول جمعاً ؛ ولكن كان غيرَ مَصُونٍ عن الحَشْوِ والتطويلِ والتعقيدِ ، قابلاً للاختصار مُفْتَقِراً الى الإيضاح والتجريد[3] ، أَلَّفْتُ مُخْتَصراً يتضمّنُ ما فيه من الفوائدِ ويشتملُ على ما يُحتاجُ إليه من الأمثلَةِ والشواهد . ولم آلُ جُهْداً[4] في تحقيقِه وتهذيبِه ، ورتّبْتُه ترتيباً أقربَ تناوُلاً من ترتيبه . ولم أُبالِغْ في لَفْظِه تقريباً لِمُتَعاطيه وطَلَباً لتسهيلِ فَهْمِه على طالبيه . وأضَفْتُ إلى ذلك فوائدَ عَثَرْتُ في بعضِ كُتُبِ القومِ[5] عليها ، وزوائدَ لم أظفَرْ في كلامِ أحدٍ بالتصريحِ بها والإشارة إليها ، وسَمَّيْتُه تلخيصَ المفتاح ....

٤ ـ تلخيص المفتاح ، كلكتّا ١٨١٥ م ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٦ هـ ، ١٢٨٠هـ، ١٣١٠هـ، ١٣٢٣هـ؛ وهنالك عدد من الطبعات ظهرت في القاهرة بلا ذكر لتاريخ الطبع ، منها طبعة ضبطها وشرحها عبد الرحمن البرقوقي (المكتبة التجارية الكبرى) ؛ ثم (بتحقيق عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ؛ ثمّ ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) ؛ الاستانة بلا تاريخ ، ثمّ ١٢٦٠ هـ ؛ بيروت ١٣٠٢ هـ . وقد ظهر هذا الكتاب أيضاً في القاهرة ضمن عدد من المجاميع : (طبعة حسن الطوخي) ١٢٩٦ هـ؛ ١٣٠٣هـ ؛ (مطبعة السيد علي) ١٣٠٤ هـ ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ (المطبعة الشرفية) ١٣٠٦ هـ ؛ (مطبعة أبي زيد) ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ هـ ؛ (المطبعة الحميدية المصرية) ١٣٢٣ هـ ؛ (مطبعة أبي الذهب) ١٣٢٤ هـ .

الايضاح ، بولاق ١٣١٧ هـ ؛ (بتصحيح أحمد مصطفى الفقي) ، على هامش كتاب شروح التلخيص ، القاهرة (محمّد صبيح وأولاده) ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٦ م ؛ (بتحقيق عبد المتعال الصعيدي) ، الطبعة الخامسة ، القاهرة (مكتبة الآداب) بُعيد ١٩٥٠ ؛ بتحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م ؛ القاهرة (محمّد علي صبيح) ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ م ، ثمّ (مشروحاً) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ؛ (بتحقيق لجنة من أساتذة كلّية اللغة العربية بجامعة الأزهر) ، القاهرة ...

* تهذيب الايضاح (هذّبه ورتّبه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

شروح التلخيص (وهي : مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح ـ مواهب الفتّاح في

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٤٨٤ .

(٢) التحرير : الضبط والدقة في صوغ النصوص .

(٣) التجريد : حذف الأمور الزائدة والتي تدخل شيئاً من الغموض على الموضوع الأصلي .

(٤) لم أترك محاولة (لتسهيل فهمه على الناس) .

(٥) القوم : (هنا) المؤلفون في موضوع البلاغة .

شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي – عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي – الايضاح –[1] حاشية الدسوقي على شرح السعد[2]) ، القاهرة (البابي) ١٩٣٧م.
بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (تحقيق عبد المتعال الصعيدي) ، القاهرة (مكتبة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .
القزويني وشروح التلخيص ، تأليف الدكتور أحمد مطلوب (منشورات مكتبة النهضة ببغداد) ، بغداد (مطابع دار التضامن) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
الوافي بالوفيات ٣ : ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ١٢٠ – ١٢٣ (رقم ٣٨٦٨) ؛ البدر الطالع ٣ : ١٨٣ – ١٨٤ ، من ذيول العبر ٢٠٥ – ٢٠٦ ؛ بغية الوعاة ٦٦ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٦ – ٢٧ ، الملحق ٢ : ١٥ – ١٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٦٦ .

محمّد بن القاسم الواسطي

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ القاسمِ بنِ أبي البدرِ المَليحي الواسطيُّ ، وَلِدَ نحوَ سَنَةِ ٦٧٥هـ (١٢٧٦–١٢٧٧ م) ودَرَسَ الفِقْهَ بأصولِه وفُروعِه، وتَلَقّى القِراءاتِ على أحمدَ بنِ غزالِ الواسطيِّ المُقرىء (٦٢٧–٧٠٧ هـ)، وقد مَهَرَ في القِراءات خاصّةً . ثمّ أصْبَحَ خَطيباً في بَغْدادَ في الجامعِ الذي أنشأه الوزيرُ محمّدُ بنُ فضلِ اللهِ بنِ رشيدِ الدولة الهَمَذانيِّ (ت ٧٣٦ هـ) . وكانت وفاتُه في الجُمُعَةِ الأخيرةِ من شَهْرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٤٤ هـ (شباط – فبراير ١٣٤٤ م) .

٢ – اشْتَهَرَ مُحمّدُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ بأنّه كان ماهراً في القِراءات حَسَنَ الصوت بعيدَ الصيت في الوَعْظ . وكانتْ له خُطَبٌ وقصائدُ ومُوشّحاتٌ؛ له قصيدةٌ في القِراءاتِ العَشْرِ ، وله قصائدُ طِوالٌ ومقطّعاتٌ قِصارٌ ؛ غيرَ أنّه يجيدُ في المُقطّعاتِ . وعلى قَصائدِهِ شيءٌ من النَفَسِ الصوفيِّ ومِنَ الضَعْف .

٣ – مختارات من شعره

جاء شخصٌ إلى محمّدِ بنِ القاسمِ الواسطيِّ وأنشدَه بَيْتَيْنِ ، وسألَه أن يزيدَ عليهما ، والبيتانِ هما :

---

(١) الايضاح للقزويني نفسه (انظر قبل بضعة أسطر) مطبوع بهامش شروح التلخيص .
(٢) حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ على شرح سعد الدين التفتازاني (بهامش شروح التلخيص) .

أيامَنا بالحِمى ، حُيِّيتِ أيـاماً ، وزادَكِ اللهُ إجـلالاً وإكراما[1] .
بالأمسِ قد كنتِ أحلى ما بأنفُسِنا ؛ فما أصابَكِ حتّى صِرتِ أحْلاما !

ـ فزاد محمّدُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ عليهما ثلاثةَ أبياتٍ ، فقال :

يا سادةً جرّحوا قلبي ببَيْنِهِـمُ وحمّلوه على الآلامِ آلاما[2] ،
للهِ ليَيْلاتُ أُنْسٍ كُنَّ لي بكُـمُ عَصَيْتُ فيهنّ عُذّالاً ولُوّاما[3] ،
كانتْ لنا من عَطِيّاتِ الزمانِ ، فمـا دامتْ علينا ولا المُعْطي لهـا داما !

ـ وله من قصيدة :

أنوحُ إذا الحادي بذِكْرِكُمُ غنّى ، وأبكي إذا ما البرقُ من نحوِكم عنّا[4] .
بِكُمْ وَلَهي ، لا بالعُذيبِ وبالنقـا ، وأنتُمْ مُرادي لا سُعادٌ ولا لُبنى[5] .
يَلَذُّ لِيَ الليلُ الطويلُ بذِكْرِكُمْ ؛ فما أطيبَ الليلَ الطويلَ إذا جنّا[6] !
أحِبّتَنا ، أينَ المواثيقُ بَيْنَنـا زمانَ خَلَوْنا بالحِمى وتعاهَدْنا .
ظَنَنّاكُمُ للعُمْرِ ذُخْراً وعُدّةً ، فيا قُرْبَ ما خَيّبْتُمُ فيكُمُ الظنّا !
وأقسَمْتُمو ألاّ تَحولوا عن الوفا ، فحُلْتُمْ عن العَهْدِ القديمِ وما حُلْنا[7] .
لئن عادَ ذاكَ العيشُ ، يا سادتي ، بكم وعُدْنا الى تلك الديارِ كما كُنّا ،
غَفَرْتُ لأيـامي جميعَ ذُنوبِهـا وقُلْتُ : لكِ الإنعامُ عِنْدِيَ والحُسنى !

٤ ـ * فوات الوفيات ٢ : ٣٦٨ ـ ٣٧٨ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٢٦٠ (رقم ٤٢٤٢) ؛ بروكلمان ٢٠٥ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٢٨ .

---

(١) الحمى : المكان المحمي (الأمين) ، الذي يجب الدفاع عنه (المسكن المألوف) .
(٢) البين : البعاد ، الفراق .
(٣) العاذل : الذي يلوم المحبين خاصة .
(٤) الحادي : الذي يسوق القافلة (هو يغني عادة حتى يخفف عن المسافرين ملل السفر والشعور بطول الطريق) . عنّ البرق : بدا ، ظهر .
(٥) الوله : ذهاب العقل من الحب . العذيب (النبع العذب أي الحلو ، اذا كان صغيراً) والنقا (الرمل الأبيض) كناية عن الأماكن المألوفة للسكن . سعاد ولبنى كناية عن النساء عامة .
(٦) جن الليل : غطى ما حولنا (بدأ ، اشتد) .
(٧) حال : انتقل ، انقلب ، تغير .

يحيى بن حمزة العلويّ

١ ـ هو يحيى بنُ حمزةَ بنِ عليِ بنِ ابراهيمَ العَلَويّ اليمنيّ من ملوكِ اليمن ، يتّصل نسبُه بالحسين بن عليّ بن أبي طالب .

وُلِدَ يحيى بنُ حمزة العلويُّ في صنعاء في ٢٧ من صفر سنة ٦٦٩ هـ (١٥/ ٩/ ١٢٧٠ م) واشتغل من أوّل عمره بتحصيل أنواع العلوم حتّى بلغ فيها مبلغاً كبيراً.

ولمّا توفّي الامامُ المهديُّ محمّدُ بنُ المطهّرِ بنِ يحيى[1] أظهرَ يحيى بنُ حمزة ابن عليّ الدعوةَ لنفسه وتلقّب باسْمِ المؤيَّدِ بالله (أو المؤيّد بربّ العزّة) فقاومَهُ نفرٌ من ذوي الجاه منهم الإمامُ عليّ بن صلاح بن ابراهيم والامامُ الواثق المُطَهَّر ابن محمّد بن المطهّر والسيدُ أحمدُ بنُ عليّ بن أبي الفتح الدّيْلمي ، غيرَ أن الناسَ استجابوا لدعوة يَحْيى بن حمزة . ولكن يبدو أنّ أمورَ اليمن لم تكن في ذلك الحين مستقرّةً فلم يَثْبُتِ المُلْكُ في نِصابٍ واحدٍ لتنازع العصبيّات .

وكانتْ وفاةُ يَحْيى بن حمزة في حصن هران، قِبليّ* ذَمار سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٥ م)[2] .

٢ ـ كان يحيى بنُ حمزةَ العلويّ من أكابر الزيديّة[3] ومن جِلّة علمائهم ومن الذين يُنْصفون مُخالفيهم في الرأي ، كثيرَ الدفاع عن الصّحابة وعن أكابر أئمّةِ الدين عادلاً زاهداً يجمع بينَ العِلْمِ والعمل ويسير في الأمّة سيرةَ الأمْرِ بالمعروفِ والنّهْي عن المنكر . وكذلك اشتهر بكَثْرة التصنيف للكتب في الموضوعات المختلفة في الحديث والأُصول والفِقه والبلاغَة والمَنْطِق والادب واللغة والتصوّف . من هذه الكتب : نِهاية الوصول الى علم الاصول ـ التمهيد لعلوم العدل والتوحيد ـ الحـاوي (في أصول الفقـه) ـ الاقتصاد ـ المُحَصَّل في شرح المفصّل ـ المِنهاج (والثلاثة الاخيرة في النحو) ـ الايجاز ـ الطِراز (وهما في البلاغة) ـ

(١) في تواريخ هذه الترجمة تضارب في الاصل . كانت وفاة المطهر سنة ٧٢٧ أو ٧٢٨ هـ (١٣٢٦ م) ؛ وكانت دعوة يحيى بن حمزة لنفسه سنة ٧٢٧ أو ٧٢٨ أو ٧٢٩ هـ .

(٢) في البدر الطالع (٢ : ٣٣٣) : « ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة » وهذا خطأ مطبعي أو وهم من الناسخ .

* القبلة في اليمن تتجه إلى الشمال .

(٣) الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهم يرون أن علياً كرم الله وجهه كان أحق بالخلافة ، ولكنهم يقبلون خلافة أبي بكر وعمر على أنها وقعت في نطاق التاريخ وبرضا الصحابة ، وإلى الزيدية تعود القاعدة الفقهية : « جواز إمامة المفضول (كأبي بكر وعمر) عندهم مع وجود الأفضل (كعلي) .



الأنوار المضيّة في شرح الاحاديث النبوية – القانون والمحقّق في علم المنطق – الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ أصْحاب سيّد المرسلين . ومن كتبه المشهورة : كتاب الانتصار على علماء الامصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمّة وأقاويل الامّة (في ثمانيةَ عشَرَ جزءاً) – الحاصر لفوائد مقدمة طاهر (وهو شرح مُقَدِّمة ابن بابشاذ المصري النحوي) – كتاب الطِراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – خلاصة السيرة (لابن هشام) – اللباب في محاسن الآداب .

وكتاب الطراز مرتّبٌ على ثلاثةِ فنونٍ : الفنّ الاول يتألّف من مُقدّماتٍ في تفسير علم البيان وماهيّته ومنزلته في العلوم ثمّ في الألفاظ الدائرة بين الحقيقة والمجاز معَ أقسام المَجاز وأحكامه والفَرْق بين الحقيقة والمجاز ، ثمّ في مفهوم الفصاحة والبلاغة وما يكون على جِهة الاشتراك بينهما . الفنّ الثاني : استعمال المجاز ثمّ التشبيه ثمّ الاستعارة وأقسامها وأحكامها ، ثمّ حقائق التشبيه ثمّ الاوصاف المحسوسة والاوصاف العقلية ثمّ أقسام التشبيه وأحكامه ثمّ التفريق بين التشبيه وبين الكناية ....

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة كتاب الطِراز :

..... أما بعدُ ، فانّ العلومَ الادبيةَ – وان عَظُمَ في الشرفِ شانُها وعلا على أوْج الشمس قَدْرها ومكانها – خلا أنّ[1] علم البيان هو أميرُ جنودها .... كيف لا وهو المُطَّلِعُ على أسرار الإعجاز والمستَوْلي على حقائقِ علم المَجاز . فهو من العلوم بمَنْزلة الانسان من السواد ، والمُهَيْمِنُ عليها[2] عند السَبْر والحكّ والانتقاد[3] ....

ثمّ انّ المقصود بهذا الإملاء هو الاشارةُ الى مَعاقدِ هذا العلمِ ومناظمه ، والتنبيهُ على مقاصده وتَراجمه. وقد كَثُرَ فيه خَوْضُ علماء الأدب ؛ وأتى فيه كلٌّ بمَبْلَغِ جِدّه وجُهْده ..... وأتَوْا فيه بالغثّ والسمين والنازل والثمين . وهم – في ما أتَوْا به من ذلك – فريقانِ . فمنهم من بَسَط كلامَه في نِهايةَ البسط ،

---

(١) كذا في الاصل ؛ والصواب : فان ، أو إلا أن .

(٢) = بمنزلة انسان العين (النقطة التي يرى بها الانسان) من سواد العين (البؤبؤ) .المهيمن : المسيطر .

(٣) السبر : الاختبار بالغوص على الباطن (كقياس عمق الجرح بالمسبار). الحك : الاختبار بصدم جسم بجسم آخر . الانتقاد : تمييز الحسنات من السيئات .



وخلط فيه ما ليس منه فكان آفتُه الإملالَ . ومنهم من أوْجزَ فيه غاية الإيجاز وحذف منه بعضَ مقاصده فكان آفتُه الإخلالَ . ولم أُطالِـعْ من الدواوين المؤلّفة فيه — معَ قِلّتها ونُزورها — إلاّ أكتبة[1] أربعةً أوّلُها كتابُ « المَثَل السائر » للشيخ أبي الفتح نَصْر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير[2] ، وثانيها كتاب « التِبْيان » للشيخ (عبد الواحد بنِ) عبد الكريم * ، وثالثها كتاب « النِهاية » لابن الخطيب الرازي** ، ورابعها كتاب « المِصْباح المُنير » لابن سراج المالكي .

وأوّلُ من أسّس من هذا العلم قواعِدَهُ وأوضحَ براهينَه وأظهر فوائدَه ... عبدُ القاهر الجُرجانيُّ ..... وله من المُصنَّفات فيه كتابان: أحدُهما لَقّبه بـ « دلائل الإعجاز » والآخرُ لقّبه بـ « أسرار البلاغة » . ولم أقِفْ على شيء منهما — مَـعَ شَغَفي بحُبِّهما وشِدّة إعجابي بهما — الاّ ما نقله العُلماءُ في تعاليقهم منهما .....

ثمّ إنّ الباعث على تأليف هذا الكتابِ هو أنّ جماعةً من الإخوان شَرَعوا عليّ في قراءة كتاب « الكَشّاف» تفسير الشيخ العالم المحقّق أستاذِ المفسّرين محمودِ بنِ ابنِ عُمَرَ الزَمَخْشَريّ[3] فانّه أسّسه على قواعدِ هذا العلم ، فاتّضح عند ذلك وجهُ الإعجاز من التنزيل ، وتحقّقوا أنه لا سبيلَ إلى الاطّلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بالوقوف على أسراره وأغواره . ومن أجل هذا الوجه كان متميّزاً من سائر التفاسير مؤسّساً على عِلْمَيِ المعاني والبيان سواءً . فسألني بعضُهم أن أُمْلِيَ فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق ؛ فالتهذيبُ يَرْجِـعُ الى اللفظ ، والتحقيق يَرْجِـعُ الى المعاني ، إذ كان لا مندوحة لأحدِهما عن الثاني[4] .

وأرجو أن يكونَ كتابي هذا متميّزاً من سائر الكتبِ المصنّفةِ في هذا العلم بأمْرَيْنِ : احدُهما اختصاصُه بالترتيب العجيب والتَلْفيق الأنيق الذي يُطْلِـعُ الناظرَ من أول وَهْلَة على مقاصد (هذا) العلم ويفيده الاحتواءَ على أسراره ؛ وثانيهما اشتمالُه على التسهيل والتيسير والإيضاح .. والتقريب ..... فلما صُغْته هذا المَصاغَ[5] الفائقَ وسَبَكْتُه على هذا القالَبِ الرائقِ سَمَّيْتُه « بكتاب الطِراز المتضمّن

(١) النزور : الندرة ، القلة . الأكتبة (المقصود : الكتب جمع كتاب) .
(٢) ضياء الدين بن الاثير (راجع ، فوق ، ص ٥٣٥) .
* الزملكاني (راجع ، فوق ، ص ٥٧٠).
** فخر الدين الرازي (ص ٤٤٢) .
(٣) الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) راجع ، فوق ، ص ٢٧٧ .
(٤) لا مندوحة : لا متسع ، لا سعة (يقصد : لاغنى) .
(٥) .... صغته هذه الصياغة .

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » لِيَكونَ اسْمُهُ مُوافِقاً لِمُسَمّاه ولفظُه مُطابِقاً لمعناه .

٤ ـ الطراز (بتصحيح سيّد بن عليّ المرصفي)، مصر (مطبعة المقتطف) ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م؛ ثمّ ١٣٣٨هـ.

* البدر الطالع ٢ : ٣٣١ ـ ٣٣٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣٧ ، الملحق ٢٣٣ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٧٤ ـ ١٧٥ .

الأُدفويّ

١ ـ هو كمالُ الدين أبو الفضلِ جعفرُ بنُ تَغْلِبَ (أو ثعلَب) بنِ جعفرٍ الأدْفُوِيّ ، وُلِدَ في شَعبانَ من سَنَةِ ٦٨٥هـ (١٢٨٦ م) في أَدْفو بصَعيدِ مِصْرَ . سَمِعَ الحديثَ في قُوصَ وفي القاهرةِ ، وكان تلميذاً لابن دَقيقِ العيدِ وأبي حَيّانِ الغَرْناطيّ . وقد أقام في بُستانٍ له بجِوارِ القاهرة . وكانت وفاةُ الأدْفويّ في القاهرة ، في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٧٤٨هـ (٢٣/ ٥/ ١٣٤٧ م) ، ودُفِنَ في مقابر الصوفية .

٢ ـ كان الأدفويّ فقيهاً ولُغَوِيّاً ، وكانتْ له خِبْرَةٌ في النظم والنَثْر ، كما كان مؤلّفاً مشهوراً ، له الطالع السعيدُ الجامعُ لأسماء نُجباءِ الصعيدِ ـ البدرُ السافر وتُحْفَة المسافر (تراجم لرجالٍ من القرون الخامس والسادس والسابع ، وأكثرُهم الشعراء) ـ الإمتاع بأحكام السَّماع ـ فرائدُ الفوائدِ ومقاصِد القواعد (في فروع الفِقه) ـ المُفْتي في معرفة التصوّف والصوفي .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ للأدفويّ أبياتٌ يشكو فيها من حالِ العِلم وحالِ رجال العلم في أيامِه :

إنّ الدروسَ بِمِصْرِنا في عَصْرِنا ... طُبِعَتْ على غَلَطٍ وفَرْطِ عِياطِ
ومَباحِثٍ لا تنتهي لنهايةٍ ... جَدَلاً ، ونَقْلِ ظاهرِ الأغلاطِ ؛
ومُدَرِّسٍ يُبْدي مَباحثَ كلُّها ... نشأتْ عن التَخْليط والأخلاط .
وفلانةٌ تَرْوي حديثاً غالباً ، ... وفلانُ يَرْوي ذاك عن أسْباط .
والفاضلُ النِحريرُ فيهم دأبُه ... قولُ أرسْطوطاليسَ أو بُقْراط .
وعلومُ دينِ اللهِ نادَتْ جَهْرةً : ... هذا زمانٌ فيه طَيُّ بِساطي[1] !

---

(١) طوي بساطه : بطل الاهتمام به .

– وقال الأدفوي في مقدّمة « الطالع السعيد » :

... ولمّا كان صعيدُ « قوص » الموضعَ الذي فيه نشأتي والمكانَ الذي إليه نسبتي والمَحلّة التي فيها عُشّي الذي منه دَرَجْتُ وخَشّي الذي منه خرجتُ[١] ، وأرضُه الأرضَ التي هي أولُ أرضٍ مَسّ جلدي تُرابُها ولَذّ لَطرفي آكامُها وظِرابُها وحَلا لقلبي أرجاؤها ورِحابُها[٢] ، والتي أمْطَرَ الرزقَ عليّ سحابُها ووُضِعَتْ عنّي بها التمائمُ وأقَمْتُ بها الى أن طارَ من رأسي غُرابُها[٣] ، وهي التي فيها أقولُ :

أحِنُّ الى أرضِ الصَّعيدِ وأهلِها ، ويزدادُ شوقي حينَ تبدو قِبابُها[٤] .
وتذكُرُها في ظُلمةِ الليلِ مُهجتي فتجري دُموعي إذ يزيدُ التهابُها .
وما صَعُبَتْ يوماً عليّ مُلِمّةٌ وشاهدتُها إلاّ وهانت صِعابُها[٥] :
بلادٌ بها كان الشبابُ مُساعدي على نَيْلِ آمالٍ عزيزٍ طِلابُها[٦] ؛
وقَضّيْتُ صَفْوَ العيشِ في عَرَصاتِها ، لذلك يحلو للفؤاد رِحابُها[٧] .
مواطِنُ أهلي ثمّ صَحْبي وجيرتي وأوّلُ أرضٍ مسّ جِلدي تُرابُها !

فأحْبَبْتُ أن أُحْيِيَ ما مات من عِلمِ عُلمائها وأنْشُرَ ما انطوى من فضلِ فُضلائها ، وأُظْهِرَ ما خَفِيَ من نَثْرِ بُلَغائها ودَرَسَ من نَظْمِ شُعرائها ، وأذْكُرَ ما نُسِيَ من مكارمِ كرمائها وكرامةِ صُلحائها ؛ فالمرءُ يُكْرَمُ بكرامةِ أهلِه كما يَعْظُمُ بنُبْلِه وفضلِه .

---

(١) الصعيد : مصر العليا (جنوبي مصر) . العش (بضم العين) بيت العصفور المبني في الشجر . الخش : الشق (في الجدار ونحوه) . درج الصبي (الصغير) : مشى (بدأ مشيه) . « ليس هذا بعشك فادرجي » مثل معناه : ليس لك في هذا الأمر حق (يضرب هذا المثل لمن يرفع نفسه فوق قدرته ولمن يتعرض لما هو ليس منه أو لا يتصل به أو لا يقدر عليه) . وخشي الذي منه خرجت : البلد الصغير الذي جئت منه .

(٢) الطرف : العين ، البصر . الظراب (بالكسر) : الظرب (بفتح فكسر) : ما نتأ من الحجارة (كناية عن الارض الضيقة القاحلة) . الارجاء جمع رجا (المثنى رجوان) : النواحي . الرحاب (جمع رحبة بفتح الراء) : البقعة الواسعة من الارض .

(٣) وضعت عني التمائم (جمع تميمة : حرز ، شيء يعلق على الاطفال لدفع العين والأذى) : نشأت ، جاوزت حد الطفولة . طار عن رأسي غرابها : أصبح شعري الاسود أبيض .

(٤) حين تبدو (لي) قبابها : حينما أكون قادماً من سفر فأرى رؤوس بيوتها من بعيد .

(٥) الملمة : النازلة الشديدة (المصيبة العظيمة) .

(٦) عزيز : صعب . الطلاب : الطلب ، محاولة الوصول الى المراد .

(٧) قضيت صفو العيش (يقصد : عاش أحسن أيام حياته) . العرصة (بفتح العين وسكون الراء) : قطعة من الارض لا بناء فيها ، والباحة المكشوفة أمام البيوت.

وكان شيخي .... أثيرُ الدين أبو حيّان محمّدُ بنُ يوسفَ الأندلسيُّ الغَرْناطيُّ[1] ... أشارَ عليَّ أن أعمَلَ تاريخاً للصعيد مرّةً ومرّةً وراجَعني في ذلك كرّةً بعدَ كرّة ، فرأيتُ امتثالَ اشارته عليَّ مُتَعَيِّناً حتْماً والإعراضَ عن إجابته غُرماً لا غُنماً[2] . فشرَعْتُ في هذا التأليفِ مُرَتَّباً على الأسماء[3] ، ولم أجِدْ مَنْ تقدّمني فيه فأكونَ تابعاً ؛ ولا مَنْ أسألُه فأكونَ لما يُوردُهُ جامعاً . فأنا مبتكرٌ لهذا العملِ مُلْجأً الى الفتور والكسل مُتَحَرٍ الى حصولِ الخَلَل[4] مُتَصَدٍ لما أنا منه على وَجَلْ . لكنّي أبذُلُ فيه جُهدي[5] وأوردُ منه ما عندي . وأخُصُّ به « قوص » وما يُضاف إليها من القُرى والبلاد ، وأقْصُرُهُ على أهلِها ومَنْ وُلِدَ بها ومَنْ أقام بها سِنينَ حتّى دُفِنَ بها ونُسبَ إليها من العباد ، أو تأهّلَ بها وله بها نَسْلٌ أو مَنْ له منها أصلٌ[6] . ولا أذكُرُ إلاّ من له عِلمٌ أو أدبٌ ، أو صلاحٌ بلَغَتْ رُتْبَتُه فيه غايةَ الرُتَب ، أو مَنْ سَمِعَ حديثاً فأُصيِّرَ ما قدَّمَ من ذكْره حديثاً[7] . ولا أذكُرُ الأحياء إلاّ في النادر لِغَرَض أو لأمرٍ عَرَض : إمّا لقلّة الأسماء في الحَرْف أو مَنِ احتوى على مَكارمَ أو حوَى كمال الظَرْف[8] ، أو مَنْ كان له إحسانٌ عليَّ وبرٌّ ساقَهُ إليَّ ، فشُكْرُ المُحْسنِ مُتَعَيِّنٌ والاعترافُ به من الحقِّ البَيِّن ..... وسَمَّيْتُه « الطالعَ السعيد الجامعَ أسماءَ نُجباء الصعيد ..... »

٤ – الطالع السعيد لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد (طبع على نفقة عبد الرحمن عليّ قريط) ، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ؛ ١٩١٩ م ؛ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (تحقيق سعد محمّد حسن) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م .

---

(١) أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) من علماء النحو.

(٢) متعيناً علي حتماً : واجباً علي أنا وملزماً . الغرم : الخسارة .

(٣) شرعت : بدأت . على الاسما = على الأسماء : على ترتيب الأحرف الأولى من الاسماء (أحمد ، بدر ، جعفر ، حاتم ، الخ) .

(٤) ملجأ ... الخلل (المعنى غامض) .

(٥) متصد له : أحاول القيام به . وجل : خوف . الجهد (بضم الجيم) : أقصى طاقة الانسان .

(٦) أقصره على أهلها : أجعله قاصراً (مخصوصاً بهم لا يتعداهم الى غيرهم) . تأهل واتهل : تزوج . من له منها أصل : من يرجع أصل (آبائه) اليها .

(٧) من سمع حديثاً (درس فيها أحاديث رسول الله) . حديث « الثانية » : جديد ، أو موضوع حديث بين الناس .

(٨) لقلة الاسماء في الحرف (اذا لم يكن هنالك أحد مشهور في حرف الضاد أو الظاء مثلا أو لقلة الاسماء في ذلك الحرف) .

* الدرر الكامنة ٢ : ٧٢ – ٧٣ (رقم ١٤٥٢) ؛حسن المحاضرة ١ : ٢٢٦؛ البدر الطالع ١ : ١٨٢ – ١٨٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٥٣ ؛ زيدان ٣ : ١٧٤ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٩ ، الملحق ٢ : ٢٧ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١١٦ .

ابن فضل الله العُمريّ

١ – هو شِهابُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيى بنِ فضلِ الله بن يحيى من نسلِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ الخطّاب ، ولذلك قيل له العُمَريّ ؛ وُلِدَ في دِمَشْقَ في ثالثِ شوّالٍ من سَنَةِ ٧٠٠ هـ (١٢/ ٦/ ١٢٠١ م).

تَلَقّى ابنُ فضلِ الله العُمريُّ العلمَ على أبيه وعلى جَماعة من العلماء في دِمَشْقَ والقاهرةِ والإسكندريةِ والحِجاز : أخذَ اللغة عن أثيرِ الدين بن حَيّان وقرأ العربية (النحو) على كمال الدين بن قاضي شُهْبة وشمسِ الدين بن مسلم ، وتفقّه على شهابِ الدين بنِ المجدِ عبدِ الله وبرهان الدين الفزاريّ (العزازي !) وتقيّ الدين ابن تَيْمِيّةَ ، وقرأ أُصولَ الفِقْه على شمس الدين الاصفهاني ، ودرس العَروض على شمس الدين بن الصائغ وعلاء الدين الوَداعي ، وقد قرأ على الوداعيّ عدداً من دواوينِ العرب أيضاً .

وكان كثيرٌ من آلِ فضلِ الله العُمريِّ في خدمةِ الدولة ، وكان أبوه كاتباً للسر في القاهرة فباشَرَ هو كتابةَ السرِ نيابةً عن أبيه. ثمّ بَدَرَتْ منه بادرةُ غلظةٍ فعُزِلَ من مَنْصِبِه ثمّ أُبْعِدَ الى دِمَشْقَ . وقد عاد الى مَنْصِبِه ثمّ عُزِلَ منه وبَقِيَ بَطّالاً حتّى مات بالطاعون في دِمَشْقَ ، في تاسعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١/ ٣/ ١٣٤٩ م).

٢ – كان ابنُ فضلِ الله العُمريُّ أديباً بارعاً يُجيد الترسُّلَ ويَنْظِمُ شعراً رقيقاً ، وكذلك كان عالماً له في الجُغْرافية خاصّةً علمٌ ومَقْدِرةٌ لم يَبْلُغْ إليهما أحدٌ في عَصْره مَبْلَغَه . أمّا نثرُه الفنّيُّ فعامٌّ أنيقٌ يستندُ الى اللفظ لا مُحَصَّلَ تحتَه . غيرَ أن له نثراً مُرْسَلاً يُصَرِّفُه في آثاره العِلْمية من تاريخيّة وجغرافية وأدبية . ثمّ إنّ ألفاظَه فَصيحةٌ لطيفةٌ وعِبارتُه جَزْلَةٌ متينةٌ جميلةٌ . ومَعَ أنّه يتكلّفُ وجوهَ البلاغة كسائرِ أدباءِ عَصْره ، فانّ بضاعتَه في التَوْرِيَةِ قليلةٌ عاديّةٌ . ولابنِ فضل الله العمري باعٌ طويلةٌ في الشعرِ ولكنّ شعرَه أقلُّ قيمةً من نثرِه . وفي شعرِه وصفٌ وغزلٌ ونسيبٌ واخوانيّاتٌ يتخلّلها فُكاهةٌ ومُجون .

وأشعارُه قصائدُ طوالٌ ومُقَطّعاتٌ وله أراجيزُ وموشّحاتٌ.

وابنُ فضلِ الله العُمريُّ ناقدٌ ومُصَنِّفٌ، من كتبه: مسالك الابصار في ممالك الأمصار أو المسالك والممالك (وهو كتاب في بضعةٍ وعشرين مجلّداً كبيراً أُريدَ منه في الأصل أن يكون كتاباً في الجغرافية وتقويم البلدانِ وتقدير المسافاتِ بينَها، ولكنّه يَتَضَمَّنُ فصولاً مبسوطة في التاريخ والتراجم وقَدْراً من الاشعار المختارة للجاهليين والاسلاميين، ومن الكلام على النباتِ والحَيَوان وعلى شعوبِ الارض) — الشتَويّات (رسائلُ في الشتاء بين ابن فضل الله العمري وبين نفر من علماء عصره في موضوع الشتاء) — صبابة المشتاق في البدائع النبويّة (وهي بديعيّات له: قصائدُ في مدح محمّدٍ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم) — فواضلُ السمَر في فضائل آل عُمَر (ابنَ الخطّاب) — الدعوة المستجابة — رسالة تشتمل على كلام جمليّ!! في أمرِ مشاهيرِ ممالكِ الفرنْجِ عبادِ الصليب في البَرّ دونَ البحر في إقْليميَ الشرقِ ومِصْرَ في أيامِ نور الدين زَنْكي وأواخرِ الدولة العُبَيْديةِ[1] في مصر) — النُبذة الكافية في معرفة الكِتابة والقافية — الدرر الفرائد في مختصر قلائد العقيان.

ولابنِ فضلِ الله العُمَري كتابُ «التعريف بالمصطلح الشريف» وفيه قوانينُ الإنشاء (أي ما يحتاج اليه الكاتبُ الموظّف في ديوان الانشاء من المعارف النظرية والعملية)، وهو سبعة أقسام: ففي الأقسام الأربعة الأولى كلامٌ على أنواع المكاتبات (الرسائل) والعهود والتقليدات (الخطب والرسائل المتعلّقة بتولية كبار الموظّفين كالقضاة والوزراء) والوصايا والأيْمان التي تَحلِفُ بها الأممُ المختلفة مع كلامٍ على الألقاب والمخاطبات التي تُفتتح بها الرسائلُ وتختم. وفي هذه الأقسام أيضاً نماذجُ كثيرةٌ من الرسائل في الموضوعات المختلفة والأجوبة عليها ممّا كان يدورُ بين سَلاطين المماليك أنفُسِهم أو بينَ سلاطينِ المماليك وبينَ غيرِهم من الملوك. وأمّا القسمان الخامسُ والسادس ففيهما كلامٌ على الجغرافية: على البلادِ المختلفة وما فيها من المناطق والمُدنِ والقلاع وغيرها وعلى الطرق بين المدن ومسافاتها وما عليها من مراكزِ البريد (محطّات نقل الأخبار والأشخاص والأشياء ممّا يتعلّق بالدولة). وفي القسم السابع معارفُ عامّةٌ يحتاج إليها الموظّفُ في ديوان الانشاء كأقسامِ الأراضي والأزمنة وكالكواكب وآلات القتال والصيد وأدوات العمل كالموازين والآلات الموسيقية

---

(١) جملي: موجز (!). الدولة العبيدية (الفاطمية).

وأدوات اللّعِب والسُكر وأنواع الحَيَوان الأليف والوحشيّ كأحوال الجوّ من السحاب والرياح والأمطار وغير ذلك .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ روى ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات ١ : ١١) أبياتاً حائية رقيقة لابن فضل الله العمري يقلّد فيها أبيات مهيار الديلمي : « يا نسيم الصبح من كاظمة » (انظر ، فوق ، ص ٩٩) . يقول ابن فضل الله العمري :

سَلْ شَجِيّاً عن فؤادٍ نَزَحا ... وخَلِيّاً فيهِـمُ كيف صَحا[١] ،
ومُحِبّاً لم يَـذُقْ بَعْدَهُمُ ... غيرَ تبريحٍ به ما بَرِحا[٢] .
مَزَجَ الدمْـعَ بذِكْرَى لهُـمُ ... مِثْلَ خَدَّيْ مَنْ سَقاهُ القَدَحا[٣] .
زارَهُ الطيفُ ؛ وهـذا عَجَبٌ : ... شَبَحٌ كيف يُـلاقي شَبَحا[٤] !

ـ ومن نثره اللفظي الأنيـق (فوات الوفيات ٢ : ٢٦٣) في وصف ابن العفيف التلمساني (الشابّ الظريف ، فوق ، ص ٦٥٧) :

« نَسيمٌ سَرى ونعيمٌ جرى وطَيْفٌ، لا بل أخفُّ مَوْقِعاً منه في الكَرى[٥] . لم يأتِ الاّ بما خَفَّ على القلوب وبَرِىءَ من العيوب . رَقّ شعْرُه فكاد أن يُشْرَبَ ، ودَقّ فلا غَرْوَ للقُضُبِ أن ترقُصَ وللحَمام أن يَطْرَبَ . ولَزِمَ طريقةً دَخَلَ فيها بلا استئذان ، ووَلَجَ القلوبَ[٦] ولم يَقْرَعْ بابَ الآذان. وكان لأهل عَصْرِهِ ومَنْ جاء على آثارِهم افْتِتاناً بشِعْرِه ـ وخاصّةً أهلَ دِمَشْقَ فانّه بين غمائِمِ حِياضِهِمْ رَبا ، وفي كمائم رِياضِهم حبا ، حتّى تَدَفّق نَهْرُهُ وأيْنَعَ زهره[٧] . وقد أدركتُ جَماعةً من خُلَطائه لا يَرَوْنَ عليه تفضيلَ شاعرٍ

---

(١) الشجي : الحزين . نزح : ابتعد . الخلي : الذي لم يعرف الحب بعد . كيف صحا (كيف لا يزال صاحياً ، لم يعرف الحب بعد !)

(٢) التبريح : التعذيب . ما برح ، لا يزال ، دائم .

(٣) مثل خدي من سقاه القدح (من سقاه كأس الحب : من تيمه بحبه) : دمعي مثل خدي المحبوب (أحمر كالدم) ـ كناية عن كثرة البكاء . (٤) الطيف : الخيال يرى في المنام .

(٥) سرى : سار (انتشر) ليلا . الكرى : النوم .

(٦) لا غرو : لا عجب . القضب جمع قضيب : الغصن . ولج : دخل .

(٧) الافتتان : الاعجاب . الغمائم جمع غيمة ؛ السحابة . الحياض : أحواض الماء . ربا : ترَبى ، نشأ . الكمائم جمع كمامة : الأوراق الخضر التي تكون فيها الزهرة قبل أن تتفتح . حبا : زحف (الطفل) على بطنه (نشأ صغيراً) . أينع الثمر : نضج (لا تستعمل للزهر) .

ولا يَرَوْنَ له شِعْراً الاّ وهم يُعَظّمونه كالمشاعر : لا ينظُرونَ له بيتاً الاّ كالبيتِ[1]، ولا يُقَدّمون عليه سابقاً .... »

ـ • قال في وصف الأهْرام من النثر المرسل :

« ومِنْ ذلك الأهرامُ في مِصْرَ ، وأجلّها الهرَمان بجيزة مِصْر . وقد أكثَرَ الناسُ القولَ في سَبَب ما بُنيا له ، فقيل : قُبورٌ ومستودَعُ مالٍ وكُتُبٍ ؛ وقيل : ملجأ من الطوفان ، وهو أبْعَدُ ما قيلَ فيهما لأنّها ليستْ شبيهةً بالمساكن . وأقربُها الى الصحّة ــ واللهُ أعلَمُ ــ أنّها إمّا هياكلُ كواكبَ وامّا قبورٌ . ولقد فُتِــحَ أكبرُها في زمانِ المأمون حينَ قَدِمَ مِصْرَ فلم يَظْهَرْ منه ما يدلّ على ما وُضِــعَ له . وعلى ألْسِنَةِ الناسِ أنّه وَجَد ذهباً فَوزَنَه وحَسَبَ مِقدارَ ما أنْفَقَه فوَجَدَهُ سواءً بسواءٍ لا يزيدُ أحدُهما على الآخرِ بشيءٍ ـ لعِلْمِهم السابقِ أنّه سيُنْفَقُ عليه مثلُ هذا المقدار . ووجدتُ هذا في كثيرٍ من الكُتُب فراجعتُ التواريخَ الصحيحةَ والكتبَ المسكونَ إليها فلم أجِدِ المأمونَ وَجَدَ به شيئاً ولا استفادَ ، زائداً عمّا يَعْلَمُ به الناسُ ، عِلْماً .

وأدلُّ الأدلّة على أنّ أحدَهُما هيكلُ بعضِ الكواكب أن الصابئةَ[2] كانت تأتي حقيقةً تَحُــجُّ الواحدَ وتزورُ الآخَرَ ولا تبلُغُ بهِ مبلَغَ الأوّلِ في التعظيم . واللهُ أعلَمُ بحقيقةِ أمرِها وجليّةِ أحوالِها .

وَهِيَ أشكالٌ لَهَبِيَّةٌ[3] ، كأنّ كلَّ هَرَمٍ لُهْبَةُ سِراجٍ : آخذةٌ في أسافِلِها على التربيع مسلوبةً في عمود الهواء آخذةً في الجوّ حتّى الى التثليث[4] . ولولا استدارةُ سفل أبلوج السُكّر[5] لشبّهناها به . ويُحْتَمَلُ أن يكونَ هذا الشكل موضوعاً لبعضِ الكواكب لمُناسبةٍ اقْتَضَتْهُ ..... »

٤ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الأوّل (بتحقيق أحمد زكي) ، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م ؛ وقد نشر من هذا الكتاب عدد من الفصول : رسالة تشتمل على كلام اجمالي في ممالك عبّاد الصليب (نشرها ميخائيل أماري) ، رومية ١٨٨٣م ؛

---

(١) لا ينظرون له بيتاً (من الشعر) الا كالبيت (كما ينظرون الى البيت العتيق) الكعبة : يرفعون قدره .

(٢) الصابئة فرقة من أهل العراق تعظم النجوم .

(٣) شكل لهبي أو هرمي أو مخروط (جسم قاعدته واسعة ثم يضيق كلما علا حتى ينتهي الى نقطة) .

(٤) والجسم اللهبي لا يكون له أقل من ثلاثة جوانب سوى القاعدة .

(٥) أبلوج (بضم الهمزة) السكر : قالب السكر : جسم مستدير قاعدته أوسع قليلا من رأسه .

ذكر أخبار بلاد الروم : آسية الصغرى (نشره تشنر) ليبزغ ١٩٢٩ م ؛ ذكر أخبار الهند (نشره شبيس في مجموعة التصانيف الشرقية) ، ليبزغ ١٩٤٣ م ؛ وصف افريقية والاندلس (عني بنشره حسن حسني عبد الوهّاب) ، تونس (مجلّة البدر) بلا تاريخ . التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة (مطبعة العاصمة) ١٣١٢ هـ .

* فوات الوفيات ١ : ٩ ـ ١١ ؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٢٥٢ ـ ٢٧٠ ؛ من ذيول العبر ٢٧٥ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٣٥٢ ـ ٣٥٤ (رقم ٨٢٨) ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٦٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٥٨ ـ ٧٥٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٧ ، الملحق ٢ : ١٧٥ ـ ١٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٤ .

عمر بن الورديّ

١ ـ هو زينُ الدين عُمَرُ بنُ مُظفَّرِ بنِ عُمَرَ بنِ مُحمدِ بنِ أبي الفوارسِ ابنِ الورديّ ، وُلِدَ في مَعَرّةِ النُعْمانِ ، سَنَةَ ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) ودَرَسَ في المَعرّةِ نفسِها وفي حماةَ وحَلَبَ ودِمَشْقَ . وكان قد عَمِلَ في حَلَبَ ، وهو لا يزالُ شابّاً ، نائباً للقاضي محمدِ بنِ النقيب (ت ٧٤٥ هـ) . وتوفّي ابن الوردي في حَلَبَ بالطاعونِ في ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٧٤٩ هـ (آذار ـ مارس ١٣٤٩ م) .

٢ ـ كان عمرُ بنُ الورديّ أديباً ناثراً وشاعراً ، كما كان مُلِمّاً بعددٍ من فنونِ العلم والأدب من الفقه واللُغة والنحو والتاريخ والنبات والحيوان . غيرَ أنّه اشتهر بالشعر وبقصيدة واحدة اسمها اللاميةُ أو الوصيّة أو نصيحةُ الاخوان ومُرْشدة الخلاّن ، وهي قَصيدةٌ حِكْميّة تبلُغُ سبعاً وسبعينَ بيتاً . هذه القصيدة فصيحةُ الألفاظ واضحةُ المعاني سَلِسَةٌ عَذْبة برُغْمِ أن عدداً من معانيها عاديٌّ جِدّاً ، إلاّ أنّها تُنَبِّهُ على مُعْظَمِ السيّئات التي يذهَبُ الإنسانُ عادةً ضحيّةً لها في الحياة . وله رسائلُ ومقاماتٌ وعددٌ من الأراجيز .

ثمّ إنّ ابنَ الوردي مصنّفٌ له من الكتب : تتمّة المختصر في أخبار البشر (أو : تاريخ ابن الوردي ، لخّص فيه « المختصر في أخبار البشر » لأبي الفِداء ثمّ أضافَ إليه أحداثَ عشرينَ سنةً من ٧٢٩ هـ الى ٧٤٩ هـ) ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب (أكثَرُهُ في الجغرافية وفيه كلامٌ على المعادن والنبات والحَيَوان ، ولكن تَغلِبُ عليه الصِبغةُ الأدبية الخيالية) ـ كتاب المِنَح . وله في الفِقه : المسائل المذهبية

في المسائل الملقّبة أبكار المعاني — فوائد فقهية — المسائل الملقّبة « الوردية » في الفرائض (تقسيم الارث) — رَجَزٌ في أربعٍ وعشرينَ مسألةً — منظومة شهود السوء — الشهاب الثاقب والعذاب الواقع بذوي النِحَل الكواذب (ضدّ الفتوّة) . ثمّ له في اللغة والنحو والشعر : مذكِّرَةُ الغريب نظماً وشرحُها — شرح ألفية ابن مالك — ضوء الدُرّ على ألفية ابن مُعْطٍ — تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة * — قصيدة اللُباب في علم الاعراب وشرحها — التحفة (النفحة) الوردية — اختصار مُلْحة الإعراب نظماً — بحور الشعر . ثمّ له عدد من الأراجيز في موضوعات مختلفة : أرجوزةٌ في تعبير الرؤيا (تفسير المنامات) — أرجوزة في خواصّ الأحجار — منطق الطير — البهجة (التحفة) الوردية (غيرَ التي سبقت) في نظم الحاوي (نظم كتاب « الحاوي الصغير » لنجم الدين عبد الغفّار بن عبد الكريم القزويني المتوفّى ٦٦٥ هـ ، وهو كتاب في الفقه الشافعي) . وكذلك له عددٌ من المقامات : مقامة في الطاعون العامّ — مقامة الصوفية — المقامة الدِمَشْقية المُسمّاة صَفْوَ الرحيق في وصف الحريق (حريق دمشق) .

٣ — مختارات من آثاره

— قال عمرُ بنُ الوردي يُقَرِّظُ قِطعةً من شعرِ ابنِ حبيبٍ الحلبي[١] :

.... تأمّلتُ هذه النُبْذَةَ التي رقّ من قائلِها الطِباعُ ففتخرتُ بنَظَرِها الأبصار على الأسماع . فوجدتُها مُشتملةً على مَباني القوافي الفَوائقِ والمعاني الرواقي الرقائق ، فقَبَسُها بَدْرِيٌّ وكوكَبُها دُرِّيٌّ[٢] : هاجتْ لي ذِكْرى حبيب[٣] فَهِيَ زُبْدةٌ من حَليبٍ ، لا بل قِطعةٌ من طِيب . أعذبُ من الوِصالِ وألذُّ من الماء الزُلال ، وألطفُ من الرِياض عند الصباحِ وأرقُّ من رحيقِ الطَلّ في ثُغور الأقاح[٤] . فيا

---

(١) ابن حبيب الحلبي الشاعر (ت ٧٧٩ هـ) ، انظر ترجمته تحت .

(٢) سأشرح الألفاظ بايجاز ، لأن التوريات والكنايات كثيرة متشعبة المآخذ : القبس : شيء قليل من نار أخذ من نار كثيرة . بدري : نسبة الى البدر (جميل) . الكوكب : النكتة (العلامة) في الشيء . درى : كثير اللمعان .

(٣) حبيب : أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر . ذكرى حبيب اسم الشرح الذي صنعه أبو العلاء المعري لديوان أبي تمام .

(٤) الرحيق : العسل ، السائل الحلو في قلوب الأزهار . الطل : المطر الخفيف ، الندى الذي يسقط ليلا فيتجمع قطرات على الأغصان . الأقاح جمع الجمع : جمع الاقحوان (جمع أقحوانة) : نبات له زهر قلبه أصفر وحول قلبه بتلات بيض تشبه بها الاسنان .



لها من مُقطّعاتِ نيلٍ أضرمتْ في رُوحِ كلِّ كليمٍ نارَ خليلٍ[1]، قدّرَ ناظرُها في السَرْدِ وقال ناظرها بالجوْهر الفرْد[2]، ونابت مَنابَ سيوفِ الهند وأغنَتْ عن التشبيب بسُعادَ وهنْد. ما أطولَ صِفاتِ شَعرِها وان كان قصيراً، فلو أُلقِيَتْ على وَجْهِ أبي العَلاءِ لأتى بصيراً[3] .....

– من مقدّمة تاريخ ابن الوردي «تَتِمّة المُختصَرِ في أخبار البشر»[4] :

.... انّي رأيتُ «المختصر في أخبار البشر» .... من الكُتُبِ التي لا يقَعُ مثلُها[5] ولا يَسَعُ جهلُها، فإنّه* اختاره من التواريخ التي لا تَقَعُ إلا للملوك ونَظَمَه في سُلوك الحُسْنِ بحُسْنِ السُلوك[6] فانجلى كالعَروس التي حسنُها المُغرِبُ وجمالُها الكامل وثغرُها العقد وضَرّاتها الدُوَلُ المنقطعة وخيالُها لذّة الأحلام ولفظُهـا المُنْتَظَمُ وخدّها ابنُ أبي الدَم ومحبّتُها تجارِبُ الأُمم وحُسّادها بنو اسرائيل ونظرها مُفَرِّجُ الكُروب ودلالُها وَفَياتُ الأعيان ووَصْلُها الأغاني وقُربها مروج الذهب ..... فاختصرتُه في نحو ثُلُثَيْهِ اختصاراً زادَهُ حُسْناً وكَفَلَ بوَجازةِ اللفظ وكمالِ المعنى.... أقمتُ[7] به إعرابَه وذلّلت صعابَه ونمّقتُه بياناً... وأودَعْتُهُ شيئاً من نَظْمي ونَثْري ورَجَوْتُ دعوةً صالحةً عند ذِكْري، وحذفتُ منه ما حذفُه أسْلَمُ... وسأذَيِّلُه – ان شاء اللهُ – مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وسبْعِمائةٍ

(١) مقطعات نيل (قطع من الاراضي الخصبة على ضفتي نهر النيل!). الكليم: موسى (كلمه الله). الكليم: المجروح (المحب الذي هجره حبيبه). الخليل: ابراهيم. نار خليل (نار أراد قوم ابراهيم أن يحرقوه بها فجعلها الله باردة فلم تؤذه).

(٢) ناظرها (ناظمها!) وناظرها (قارئها!) السرد: نسج الدروع (من حديد). قدر في السرد: أتقن الصناعة وجعـل المصنوعات متناسقة وافية بالغاية منها. الجوهر الفرد: الذرة التي تتألف منها الأجسام (من مصطلحات الفلاسفة) – اجاد ناظمها فيها وأعجب قارئها بها.

(٣) شعرها: ليلها؟ أبو العلاء: المعري الأعمى. لأتى بصيراً اشارة الى يعقوب الذي بكى على ضياع ابنه يوسف حتى عمي. ثم جاءوا اليه بقميص يوسف ووضعوه على وجهه فعاد بصيراً.

(٤) لأبي الفداء (ت ٧٣٢ هـ) انظر، فوق، ص ٧٤١.

(٥) لا يقع مثلها: لا يتفق مثلها (لا نجد مثله). * فإنه (فإن أبا الفداء).

(٦) استخدم ابن الوردي في هذه المقدمة عدداً كبيراً من أسماء الكتب على سبيل الكناية والتورية: العروس... حسنها المغرب (الغريب، النـادر) وجمالها الكامل ولفظهـا المنتظم... ووصلها الأغـاني وقربها مروج الذهب، الخ. من ذلك حسن السلوك في سياسة الملوك لمحمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت ٧٧٤هـ) – المغرب في حلى المغرب (لابن سعيد الاندلسي) – المنتظم لابن الجوزي – تجارب الامم (لابن مسكويه) – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل) – وفيات الأعيان (لابن خلكان) – الأغـاني (لابي الفرج الاصفهاني) الخ. ابن أبي الدم – ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله (ت ٦٤٢ هـ)

(٧) يبدو أنه ينقص هنا كلمة: بوجازة اللفظ وكمال المعنى «مما» أقمت به...

التي وَقَفَ المؤلّفُ عليها إلى التي صِرْنا إليها* ، وسَمَّيْته «تَتِمَّةَ المُخْتَصَرِ في أخبار البشر» ......

— من اللامية :

اعتزِلْ ذِكرَ الأغاني والغزَلْ   وقُلِ الفَصْلَ وجانبْ من هزَلْ[1] .
ودَعِ الذِكْرى لأيّامِ الصبا ،   فلأيامِ الصبا نجمٌ أفَل[2] .
واهجُرِ الخمرةَ إنْ كُنتَ فتىً ؛   كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عَقَل[3] !
واتّقِ اللهَ ، فتقوى الله ما   جاورتْ قلبَ امْرِىءٍ إلاّ وصل .
ليسَ مَنْ يقطَعُ طُرُقاً بطلاً ،   إنّما مَنْ يتقي اللهَ البطل .
اطلُبِ العلمَ ولا تكسَّلْ ، فما   أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل** .
لا تَقُلْ : قد ذهبتْ أربابُه ؛   كلُّ من سار على الدرب وصل !
في ازديادِ العلم إرغامُ العِدا ،   وجمالُ العلم إصلاحُ العمل .
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ   قطعُها أجملُ من تلك القُبَل.
مُلْكُ كِسْرى عنه تغني كِسرَةٌ ،   وعن البحر اجتزاءٌ بالوَشَل[4] .
لا تَقُلْ : أصْلي وفَصْلي ! أبَداً ،   إنّما أصلُ الفتى ما قد حصل[5] :
قد يسودُ المرءُ من غيرِ أبٍ ؛   وبحُسْنِ السبْكِ قد يُنْفى الزَغَل[6] ؛
وكذا الوردُ من الشوكِ ، وما   يَنْبِتُ النرْجِسُ إلاّ من بصل .
قيمةُ الإنسانِ ما يُحسِنُهُ   أكثَرَ الإنسانُ منه أمْ أقل[7] !

(*) بدأ ابن الوردي في اتمام كتاب «المختصر» (لأبي الفداء) من سنة ٧٠٩ (مع أن أبا الفداء سار في تاريخه الى سنة ٧٢٩ هـ — ولعل ابن الوردي لم يقع على نسخة تامة من المختصر) ثم وقف سنة ٧٤٩ هـ، وهي السنة التي توفي ابن الوردي فيها .

(١) الفصل : الجد (بكسر الجيم)، الكلام الفاصل الحاسم ، الصدق .   (٢) أفل : غاب ، ذهب ومر .

(٣) الفتى : الرجل الشجاع اللبق .   ** .... الخيرات عن ....

(٤) كسرة : القطعة الصغيرة (من الخبز) . الوشل : الماء القليل.

(٥) الاصل : من تقدمك في عمود النسب (كالاب والجد). الفصل : من تأخر عنك (كالابن والحفيد) .

(٦) من غير أب : من غير أب مشهور . الزغل : الغش ، العناصر الغريبة الخسيسة أو الضارة (تستخرج المعادن من الارض خاماً — ممزوجة بأشياء غريبة — فاذا أحسنا سبكها ، أي صهرها ومعالجتها صفت وصلحت . وكذلك الطفل يصلح بالتربية ، بحسن السبك !)

(٧) أأكثر (فعل ماض) الانسان منه ام أقل منه (من العمل الحسن) .

بينَ تبذيـرٍ وبُخلٍ رُتبـةٌ ، وكِلا هذين إنْ زاد قتـل .
ليس يخلو المـرءُ من ضِدٍّ وإن حاولَ العزْلة في رأسِ جبـل .
جانبِ السلطان واحذرْ بطشَه ، لا تعانِدْ مـن إذا قال فعـل .
لا تَلِ الحُكْمَ وإن هـم سألوا — رَغبةً فيك — وخالفْ من عَذَل[1] :
إنّ نصفَ الناسِ أعـداءٌ لِمَنْ وَلِيَ الاحكامَ ؛ هذا إنْ عَدَلْ .
خُذْ بنَصْلِ السيف واترُكْ غِمْدَه ، واعتبرْ فضلَ الفتى دون الحُلَل[2] .
لا يَضُرُّ الفضـلَ إقلالٌ ، كمـا لا يضُرُّ الشمسَ إطباقُ الطَفَل[3] .
حبُّكَ الأوطـانَ عَجزٌ ظاهرٌ ، فاغتربْ تَلْـقَ عن الأهل بدل .

— وله من قصيدة في مدح شهاب الدين بن فضل الله (العُمَري) :

أأُقتَلُ بينَ جِدِّكَ والمُـزاحِ بنَبْلِ جُفُونك المَرْضى الصِحاحِ[4] ؟
يُكَدِّرُني نواكَ وأنت صافٍ ، ويُسْكِرُني هواكَ وأنتَ صاحٍ !
وما لصباحِ وجهِكَ من مَسـاءٍ ، ولما لمساء شَعْرِك من صبـاح[5] .
رِضاك الى رِضابِك لي دليـلٌ ؛ أليسَ كِلاهما رُوحي وراحي[6] !
يُحَقُّ لِمَنْ لَحاني فيك ذَمّي ، وحُقَّ لكاتبِ السِر امتداحي[7] .
ولستُ سِوى ابنِ فضلِ الله أعْني شِهابِ الدين ذي الغُرَرِ المِلاح[8] .
له قلمٌ بفضلِ الله يَحيْـا لنا يَحْيى بـه بعد انْتزاح[9] ؛
أشدُّ من القَضاء مَضاءَ أمـرٍ وأجري في الخُطوب من الرِياح[10] .

---

(١) عذل : لام . (٢) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الجميل النفيس .
(٣) الإقلال : الفقر . الطفل : الفيء الكثيف الذي يحدث بعد الظهر من اصفرار الشمس قبيل الغروب ، ظلمة الليل المقبلة في آخر النهار .
(٤) النبل (جمع نبلة بفتح النون) : السهام . الجفون المرضى : الناعسة (كأنها مريضة) من صفات الجمال .
(٥) — بياض وجهك (صباح وجهك : جمالك) دائم . وسواد شعرك (شبابك) دائم .
(٦) الرضاب : الريق ما دام في الفم . الراح : الخمر .
(٧) لحاني : لامني . كاتب السر (الممدوح !) . : يحق له ان يمدحني على مدحي إياه (لأنه يعلم أني محب له مخلص في مدحه) .
(٨) الغرة : البياض في مقدمة الرأس (كرم الأصل والعمل الصالح) .
(٩) ..... فضل الله (ابن فضل الله) . يحيى (عبد الحميد بن يحيى) (راجع ، فوق، ١ : ٧٢٣) واضع قواعد الكتابة الديوانية. — لابن فضل الله العمري (الممدوح) براعة عبد الحميد بن يحيى في الترسل (كتابة الرسائل) . (١٠) — أمره نافذ في الأيام العادية وفي أيام الخطوب (الشدائد) .

فخُذْها بنتَ ليلَتِها عَروساً تُزَفُّ إليك كالخَوْدِ الرَداح[1] .
وما أنا شاعرٌ ، حاشا علومي ؛ ولستُ أرى التكسّبَ بامتداح .
فلي من أنعُمِ الرحمنِ مالٌ يصونُ عن احتياجٍ واجتياح[2] .
ولم أقْصِدْ بمَدْحِكَ غيرَ ردٍّ أرُوض به الزمانَ عن الجِماح[3] ؛

— وقال في الشكوى من الزمان والناس :

لا تَحْرِصَنّ على فضلٍ ولا أدبٍ ؛ فقد يَضُرُّ الفتى عِلمٌ وتَحْقيقُ .
ولا تُعَدَّ من العُقّالِ بَيْنَهُمُ ، فإنّ كلَّ قليلِ العقلِ مرزوق .
والحظُّ أحسنُ من خَطٍّ تُزَوِّقُه ، فما يُفيدُ قليلَ الحظِّ تزويق ؟.
والعِلْمُ يُحْسَبُ من رِزقِ الفتى ، وله بكلِّ مُتَّسَعٍ في الفضل تَضْييق[4] .
أهلُ الفضائلِ والآدابِ قد كَسَدوا ، والجاهلون لقد قامتْ لهم سوق[5] .
والناسُ أعداءُ من سارتْ فضائلُه ؛ وإنْ تَعَمّقَ قالوا عنه زِنْديق[6] !

٤ — ديوان ابن الوردي (في مجموعات الجوائب : مجموع أوّله لاميّة العرب) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

لامية ابن الوردي = الوصيّة ، نصيحة الاخوان (طبعت في عدد كبير من المجاميع) .

مقامات (في مجموعات الجوائب) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

تتمّة المختصر في أخبار البشر = تاريخ ابن الوردي ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٥ هـ ؛ (بذيل « تاريخ أبي الفداء ») ، استانبول ١٢٨٦ هـ ؛ مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ ؛ النجف ، الطبعة الثانية (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٩ م .

خريدة العجائب وفريدة الغرائب (باعتناء هايلندر) ، لوند في أسوج ١٢٨٤ هـ ؛ (باعتناء

---

(١) بنت ليلتها : قصيدة نظمت بسرعة (في ليلة واحدة) . عروس (قصيدة بارعة جيدة كالعروس) . الخود : المرأة الجميلة . الرداح : المرأة السمينة الضخمة الارداف.

(٢) الاجتياح : النازلة (المصيبة الجائحة التي تأخذ كل شيء) .

(٣)— أقصد ردا (زيادة فضل) أذل به الدهر فلا يجمح علي (يجور علي : يظلمني) — أريد زيادة من المال آمن بها من غدر الزمان . أو : غير ود (بالواو : صداقة) : إذا علم الدهر انك صديقي لم يجسر على العدوان عليّ .

(٤) في الأمثال : ذكاء المرء محسوب عليه (ان الذكاء الذي يهبه الله للفرد يقوم مقام جزء من حظه من الدنيا كالمال والسعادة الخ) .— تهب الدنيا للفرد ذكاء ثم تضيق عليه في كل متسع (ميدان) آخر من وجوه الحياة .

(٥) كسدوا : قل الطلب عليهم . قامت للجاهلين سوق : راجت أحوالهم وكثر رزقهم.

(٦) من سارت فضائلهم : كثرت أعمالهم الحميدة واشتهروا بذلك . تعمق : نظر في باطن الأمور ، أكثر التفكير . الزنديق : الذي يعلن التساؤل عن صحة الواجبات الدينية ، والمقصود هنا : أحد أتباع المذهب الفارسي القديم (الكافر) .

تورنبرغ) ، اوبسالا ١٨٣٥ — ١٨٣٩ م ؛ مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٦ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٩٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٠ ، ١٣١٤ هـ ؛ مصر ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ، مصر ١٣٠٩ ، ١٣١٦ هـ .

التحفة (النفحة) الوردية (باعتناء آبيشت) ، برسلاو في شرقي ألمانية ١٨٩١ م .

أحوال القيامة (مستخلص من « خريدة العجائب » — باعتناء سيغفريد فرديننند) ، برسلاو في شرقي ألمانيا ١٨٥٣ م .

بهجة الحاوي (البهجة الوردية) نظم فيها « الحاوي الصغير » لنجم الدين عبد الغفّار القزويني ، مصر (مطبعة أبي زيد — طبع حجر) ١٣١١ هـ .

المقدّمة (الألفية) الوردية — منظومة في تعبير الرؤيا ، بولاق ١٢٨٥ هـ ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ الخ .

* شرح لاميّة ابن الوردي (مطبوع في « أعجب العجب في شرح لاميّة العرب ») ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ ؛ فتح الرحيم الرحمن (بشرح لامية ابن الوردي) المسمّاة نصيحة الاخوان لمسعود بن الحسن بن أبي بكر الحسيني القناويّ ، مصر ١٢٧٨ ، ١٢٨٢ هـ ؛ مصر (المطبعة السعيدية) ١٢٨٥ هـ ؛ مصر (مطبعة وادي النيل المصرية) ١٢٩٤ هـ ؛ مصر ١٢٩٧ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٥ ، ١٣٢٤ ، ١٣٣٩ هـ .

تخميس لاميّة ابن الوردي ، لمرزوق المنصوري (في كتاب « طراز الأدب » لمحمود الفارسي) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ ؛ لمحمّد بن كمال الدين الأدهمي (ولد ١٢٩٦ هـ) ثمّ لعبد الرحمن بن يحيى الملاّح (ت ١٠٤٤) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .

فوات الوفيات ٢ : ١٤٥ — ١٤٧ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٢٧٢ — ٢٧٤ (رقم ٣٠٩٢) ؛ البدر الطالع ١ : ٥١٤ — ٥١٥ ؛ من ذيول العبر ٢٧٢ ؛ بغية الوعاة ٣٦٥ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٦١ — ١٦٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٥ — ١٧٧ ، الملحق ٢ : ١٧٤ — ١٧٥ ؛ زيدان ٣ : ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٦ — ٩٦٧ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٨ .

صفيّ الدين الحلّي

١ — هو صَفِيُّ الدينِ أبو الفضلِ أبو المَحاسنِ عبدُ العزيزِ بن سَرايا بنِ عليِ ابنِ أبي القاسمِ بنِ أحمدَ بنِ نصرِ بنِ سَرايا الحِلّيُّ الطائيُّ ، وُلِدَ في الحِلة (قُربَ الكوفة) ، في خامس ربيعِ الثاني ٦٧٧ هـ (٢٧/ ٨/ ١٢٧٨ م) ، ونَشأ فيها . اتّصلَ صفيُّ الدين بالملكِ المنصور نجم الدين غازي الأرتقيُّ صاحبِ ماردينَ (٦٩٢ — ٧١٢ م) وحَظِيَ عِنْدَه وعندَ ابنه وخليفتهِ نجم الدينِ صالحٍ (ت ٧٦٥ هـ) . وفي سَنَةِ ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) ذَهَبَ الى الحجّ فعرّجَ في طريقــهِ على

السُّلطانَ الناصرَ قلاوونَ الذي كانَ قد جاء الى عَرْشِ المماليكِ البحريةِ في مِصْرَ للمرّةِ الثالثةِ (٦٩٧ هـ) ومَدَحَه . ثم عادَ الى ماردين .

وكانتْ وفاةُ صفيِّ الدينِ في بَغْدادَ ، في أوائل سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) .

٢ ــ كان صَفيُّ الدينِ الحِلّيُّ شاعرَ عصرِه وأشهرَ شعراء زمانهِ برُغْم تقليده للشعراء العبّاسيين في المعاني والأغراض والأسلوب . وقد كان حَسَنَ الصناعة بارعاً في الصياغة مُجيداً في القصائد الطوالِ وفي المُقطّعاتِ . ثم إنه نَظَمَ في مُعْظَم أنواعِ الشعر من القَصيد والمُشطَّر والمخمّس والموشّح ، وكانَ أحياناً يتكلَّفُ في الصناعة تَكلّفاً بعيداً . واذا نحنُ استثْنَيْنا البوصيريَّ كانَ صَفيُّ الدينِ أولَ من قصد نَظْمَ البديعيّاتِ (القصائدَ في مدحِ الرسول) أو جَعَلَ منها فنّاً قائماً بنفسه على الأصحّ . وله القصائدُ الأُرتُقيّاتُ في مديحِ الملكِ المنصور (من آل أرتُق) جعَلَ أوائلَ حُروفها مثل رَويّها ، نحو :

حمراءُ لو ترَكَ السُّقاةُ مِزاجَهـا ... أمْسَتْ لنا عِوَضاً عن المِصْباحِ .
حقٌّ الصبا دَيْـنٌ عليك فَوَفِّهِ ... بالشُّربِ بين خمائلٍ ورَداحِ .

وعددُ هذه القصائد تسعٌ وعشرونَ بعَدَدِ حروفِ المُعْجَم . ثم له قصيدةٌ كلُّ كَلِمة من كلماتها مصغّرةٌ :

نُقيطٌ من مُسيكٍ في وُريدٍ ... خُوَيْلُكَ أو وُسيمٌ في خُدَيدٍ ؟

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ مدح صَفيُّ الدين السلطانَ الناصرَ قَلاوونَ بقصيدةٍ وازى بها قصيدةَ المتنبّي في كافورٍ : « بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا » .

أسْبَلْنَ من فوقِ النُّهودِ ذَوائباً ... فتَرَكْنَ حبّاتِ القلوبِ ذوائبا[1] ،
وجَلَوْنَ من صُبْحِ الوجوهِ أشعّةً ... غادَرْنَ فَوْدَ الليلَ منهـا شائبا[2] .
بيضٌ دعاهُنّ الغَبـيُّ كواعبـاً ، ... ولو استْبانَ الرُّشْدَ قال كواكبا[3] .

---

(١) أسبل : ألقى ، أنزل ، غطى . ذوائب جمع ذؤابة : الضفيرة من شعر . ذوائب جمع ذائبة .

(٢) جلا : أزاح ، أظهر ، كشف ، أبرز (رفعن اللثام عن وجوههن فظهرت وجوههن البيض كأنها الصبح) . الفود : الشعر المجاور للأذن . فود الليل : الليل . غادرن : تركن (لما كشفن عن وجوههن أصبح الليل منيراً — أبيض كأنه شائب) .

(٣) بيض (نساء جميلات) . الكاعب : التي كعب (استدار) ثدياها (في أول صباها) . دعاهن الغبي كواعباً (سماهن نساء) . استبان : ظهر ، وضح (لو ظهر له وجه الصواب لقال هن كواكب لكثرة جمالهن) .

أشرَقْنَ في حُلَلٍ كأنّ أديمَها شَفَقٌ تَدَرّعَه الشموسُ جَلابِبا[1] ،
وغَرَبْنَ في كُلَلٍ فقلت لصاحبي : «بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا»[2] ! ...

— وقال في الأمانة ، وفيها إشارات إلى القرآنِ الكريم :

قلوبنا مُودَعَةٌ عندكم أمانةٌ يُعْجِزُ عن حَمْلِها[3] .
ان لم تَصونوها بإحسانِكم رُدّوا الأماناتِ الى أهلِها[4] !

— وقال من المُوشّح المُضَمَّن ، وهو من مُختَرعاته ، وقد جَعَلَ خاتمةَ كلّ بيتٍ من الموشّحةِ مختومةً ببيتٍ من المقطوعة المشهورةِ لأبي نواسٍ :

وحقِّ الهوى ، ما حُلْتُ يوماً عن الهوى ؛ ولكنّ نجمي في المحبّةِ قد هوى[5] .
ومن كنتُ أرجو وَصْلَه قتلي نَوى وأضنى فؤادي بالقَطيعةِ والجوى[6] .
ليسَ في الهَوى عَجَبٌ إن أصابني النَصَبُ[7]
(حاملُ الهوى تَعِبُ يَستَفِزّه الطربُ) الخ الخ .

— وله في الحماسة :

سَلِ الرِماحَ العوالي عن مَعالينا ؛ واستَشهِدِ البيضَ : هل خابَ الرجا فينا[8] ؟

---

(١) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الجميل النفيس . الأديم ظاهر الجلد (سطح الثوب) . الشفق : الحمرة التي تظهر على الأفق بعد غياب الشمس . الشموس (جمع شمس) ثم النساء الجميلات . الجلباب : ثوب يكسو الجسم كله (كل ما فيهن جميل) .

(٢) وغربن (استترن عنا ، أخفين وجوههن عنا) في كلل (جمع كلّة بضم الكاف) خلف أستارهن . بأبي الشموس (أفدي النساء الجميلات كأنهن الشموس) . الجانحات (المائلات) غوارباً : غوارب ، غاربات . مائلات الى المغيب للغروب وراء الأفق . الجانحات (النساء المتجهات) غوارب (بنصب الباء بلا تنوين) المتجهات نحو الغرب .

(٣) قلوبنا مودعة (وديعة ، أمانة) عندكم (نحن نحبكم ، عشاق لكم). في القرآن الكريم أن الله تعالى عرض الأمانة (التبعة في الحياة) على كل موجود فخاف منها ولم يقبل أن يحملها (يكون مسؤولا عن غيره) . ولكن الانسان قبلها وكان جاهلا بحقيقتها فأتعب نفسه بها كثيراً .

(٤) في القرآن الكريم في سورة النساء : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » (٤ : ٥٨) . — ارددن قلوبنا الينا (لا توقعننا في حبكن) .

(٥) حال : مال ، انتقل ، تغير . نجمي في المحبة هوى (سقط ، غاب) : حظي في حبكم سيء .

(٦) أضنى : أنحل ، أضعف . الجوى : شدة الحب الى درجة المرض .

(٨) النصب التعب . والبيت التالي : حامل الهوى... (يستخفه) لأبي نواس.

(٨) العالية : صدر الرمح ، النصل في أعلى الرمح . المعالي جمع معلاة (بفتح الميم) : الشرف والرفعة . البيض (جمع أبيض) : السيوف .

وسائلِ العُرْبَ والأتراكَ ما صَنَعَتْ … في أرضِ قبرِ عُبيدِ الله أيدينـا[1] .
يا يومَ وقعةِ زوراء العراقِ وقـد … دِنّا الأعادي كما كانوا يَدينونا[2] ،
بِضُمَّرٍ ما رَبَطْناها مُسَـوَّمَةً … إلاّ لِنَغْزو بها من كان يَغْزونا[3] .
وفِتْيَةٍ إن نَقُلْ أصغَوْا مَسامِعَهم … لقولِنا أو دَعَوْناهـم أجابونا .
قومٌ إذا استُخْصِموا كانوا فَراعنةً … يوماً ، وإن حُكّموا كانوا موازينا !
تَدَرَّعوا العقلَ جِلباباً ، فإنْ حَمِيَتْ … نارُ الوغى خِلْتَهم فيها مجانينا[4] .
إذا ادَّعَوْا جاءتِ الدنيا مُصَدِّقَةً ، … وان دَعَوْا قالتِ الأيـامُ : آمينا !
إنّا لَقَوْمٌ أبَـتْ أخلاقُنا شَرَفاً … أن نَبْتَدي بالأذى من كان يُؤذينـا .
بيضٌ صنائعُنا ، سودٌ وقائعُنـا ، … خُضْرٌ مرابعُنا ، حُمْرٌ مواضينا[5] !

— وقال يَصِفُ مجيءَ الربيع :

وَرَدَ الربيعُ ، فمرحباً بـوُروده … وبنُورِ بَهْجته ونَـوْرِ وُروده[6] ؛
وبحُسْنِ منظرِه وطيبِ نسيمهِ … وأنيقِ ملبسهِ ووَشْيِ بُروده[7] .
فَصْلٌ إذا فَخَرَ الزمانُ فإنّه … إنسانُ مُقْلَتِـه وبيتُ قصيده[8] .
يا حبّذا أزهـارُه وثِمـارُه … ونَباتُ ناجِمه وحبُّ حَصيده[9] ،

---

(١) عبيد الله بن زياد والي العراق أيام استشهاد الحسين في كربلاء ، توفي في العراق (جنوبي العراق وقبره هناك) –كانت لنا معارك كثيرة في العراق !

(٢) دنا (حكمنا في ، عاملنا) كما كانوا يدينوننا (يعاملوننا) .

(٣) الضمر (جمع ضامر) : نحيل (الخيل) . مسومة : معدة ، مهيأة .

(٤) تدرعوا (لبسوا) العقل جلباباً (ثوباً واسعاً سابغاً على الجسم كله) : هم كثيرو التعقل (في أيام السلم).

(٥) (الصنائع (جمع صنيعة) : الأعمال الخيرة الحميدة . الوقائع جمع واقعة : الحروب ، المعارك . المربع : المسكن . الماضي : السيف .

(٦) ورد وروداً : جاء ، حل . البهجة : الفرح . النور (بفتح النون) : الزهر الابيض . الورود (جمع ورد) : أنواع الزهر .

(٧) الأنيق : الجميل (الذي يعجب العين). ملبس الربيع : النبات الأزهار (كأنها لباس) . غطاء على الارض. الوشي : الزخرف ، التزيين . البرد (بضم الباء) : ثوب من حرير .

(٨) انسان المقلة (العين) : البؤبؤ (الجزء الذي تبصر العين به) . بيت القصيد : المقصود من الشيء ، أجمل أبيات القصيدة .

(٩) الناجم : أول نجوم (بروز ، خروج) النبات من الارض . حب الحصيد : الحبوب التي نضجت (كالقمح والذرة ، الخ) . كل شيء في الربيع جميل .

أخَذَتْ يدا كانونَ في تجريدِهِ (1) : | والغُصْنُ قد كُسِيَ الغَلائِلَ بعد مـا
ماءُ الشبيبةِ في مَنابتِ عُودِهِ ؛ | نالَ الصبا بعدَ المَشيبِ ، وقد جرَى
مَلِكٌ تَحِفُّ به سَراةُ جُنودِهِ[2] . | والوَرْدُ في أعلى الغُصونِ كأنّـه
والأرضُ في عُرْسِ الزمانِ وعيدِهِ ! | والسُحْبُ تَعْقِدُ في السماءِ مآتِماً ،

– لصفيّ الدين رسالة تتضمّن قصّة قائمة على الفُكاهة والدُعابة جارية على أسلوب المقامات ، منها* :

... هذه الدارُ المباركةُ أوّلُ تُربةٍ بَرَّكُم أترابُها وأولُ أرضٍ مسَّ جسمَكم تُرابُها[3] ، فلا يَكُنْ على أيْديكُم خَرابُها . الا وإنّها – مُنْذُ خلا مَسْكَنُها من ساكنِها وتمكّنَ العَفاءُ[4] من أماكنها – جَعَلْتُموها نَدْوَةَ نهارِكم وليلِكم وحَلْبَةَ رَجْلِكم وخَيْلِكم[5] . والآنَ قدِ انجابتْ عنها أيامُ البُؤوس وأفَلَتْ طوالعُ النحوس[6] ولَحَظَها الدهرُ بعينِ الرِضا وقضى بِسَعْدِها فصلُ القضا وتولاّها نِعْمَ المولى وابتدرَ لسُكناها الصفيّ الحِلّي[7] . وفي يومِكم هذا يُرْسِلُ إليكم من يَلُمُّ شَعَثَها ويُطَهِّرُ خَبَثَها[8] . ومتى رآكم بها سارِبِينَ

---

(1) الغلالة (بضم الغين) : ثوب رقيق يلبس على البدن . كانون : شهر كانون (ديسمبر) الشتاء . تجريده (من الورق الذي عليه) .

(2) السري : الشريف ، العالي المقام .

(*) هذه قطعة صغيرة من « رسالة الدار في محاورة الفار » ، كتبها صفي الدين على لسان داره التي كان يسكنها في ماردين ثم أرسلها الى الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين يشكو فيها (رمزاً) من مماطلة نائب له (للملك الصالح) بدين . والقطعة المختارة يخاطب الجرذ بها اخوانه الفئران ويقول لهم : ان الدار لما هجرها ساكنها (صفي الدين) ساءت حالهم (لأنها خلت من الطعام لخلوها من الساكنين). أما وقد عزم صفي الدين على الرجوع الى الدار ، فعلى الفئران أن يحسنوا استقباله وأن يكونوا شاكرين هادئين .

(3) التربة : الارض . الأتراب جمع ترب (بكسر التاء) : الأشخاص الذين هم في سن واحدة . والترب الذي ولد معك (في مكان واحد أيضاً) . بركم : أحسن اليكم . مس جلدي ترابها (راجع ، فرق ، ٧٦٠).

(4) العفاء : الامحاء ، الخراب .

(5) الندوة : مجتمع كبار القوم للتشاور ، مجمع . الحلبة : جماعة الخيل تجتمع للسباق ، وصفي الدين يقصد بالحلبة « ميدان السباق » . الرجل (بفتح الراء) : المشاة . الخيل (الفرسان) . يقصد : أنتم ، أيها الفئران ، تسرحون وتمرحون وتسيرون وتتسابقون في هذا الدار كأنها لكم وحدكم .

(6) انجابت : انقشعت ، انجلت ، زالت . البؤوس جمع بؤس : شقاء . أفلت (غابت) طوالع (نجوم) .

(7) قضى (حكم) بسعدها (بأن يعود اليها السعد والسعادة والسكنى) فصل القضاء ... ابتدر : أسرع .

(8) لم (جمع) شعثها (ما تفرق من الأمور) : وحد جهودها وآراءها . الخبث : النجاسة .

وفي قَراراتِها راسبين كَرِهَ مَغْناها[1] واتّخذ لنفسه سِواها . فعادَ رَبْعُهـا كالرَمْسِ ......[2] ومتى تَقَبَّلَها إذا قابلَها أخْصَبَ رَبْعُها وتَعدّى إلينا نَفْعُها . ألا وإنَّ مَنِ استرشدَ بِحِكْمتي أثْبَتُّه في أمّتي وأتْمَمْتُ عليه نِعْمَتي ....

٤ — ديوان صفيّ الدين الحلّي (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٣ هـ ؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ ؛ (نشره حبيب خالد) ، دمشق (مطبعة حبيب خالد) ١٢٩٧ — ١٣٠٠ هـ ؛ (ومعه القصائد الارتقيّات) ، بيروت (مكتبة المطبعة الأدبية — طبع بمطبعة الآداب) ١٨٩٢ هـ ؛ (في مجموعة) ، مصر ١٢٩٩ هـ ؛ بيروت ١٣٠٠ هـ ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .

درر البحور في مدائح الملك المنصور (القصائد الارتقيّات) (تحرير برنشتاين) ، ليبسك ١٨١٦م بيروت بلا تاريخ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٣ هـ ؛ (في مجموعة) القاهرة ١٢٩٩هـ ؛ (في مجموعة مزدوجات لجماعة من الأفاضل السادات) ، مصر ١٣٢٢ هـ .

الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي (عني بتصحيحه هونرباخ — باشراف مجمع العلوم والآداب : لجنة الاستشراق ، رقم ١٠) ، ويسبادن (مطبعة فرانتز شتاينر) ١٩٥٥ م .

الكافية البديعيّة (مع شرحها لصفيّ الدين نفسه) ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٦ هـ .

* صفيّ الدين الحليّ ، تأليف محمّد رزق سليم ، مصر (دار المعارف — نوابغ الفكر العربي ، رقم٢٧).
شعر صفيّ الدين الحلّيّ ، تأليف جواد أحمد علّوش ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ١ : ٣٥٦ — ٣٦٦ ؛ الدرر الكامنة ٢ : ٤٧٩ — ٤٨١ (رقم ٢٤٣١) ؛ البدر الطالع ١ : ٣٥٨ — ٣٥٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦ ، الملحق ٢ : ١٩٩ — ٢٠٠ ؛ زيدان ٣ : ١٣٩ — ١٤٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٤١ .

ابن معتوق الواعظ الواسطي

١ — هو علاءُ الدينِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ معتوقِ بنِ عبدِالمجيد بنِ ورقاءَ الواسطيُّ ويُعْرَفُ بابن الشَرْدةِ ، أصلُه من واسط ، وكانَ مَوْلِدُه فيها (!) في ٢٢ من شَعبانَ ٦٩٧ هـ (١/ ٦/ ١٢٩٨ م) . نَشأَ في بَغْدادَ ثمّ انتقلَ إلى دِمَشْقَ وسَكَنَها وسَمِـعَ فيها الحافظَ الذَهبي (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩) . وقد

(١) ساربين : سائرين في كل مكان منها . القرار : المكان المنخفض . راسب (للجناس مع سارب) : غارق (تحتلون كل مكان فيها ظهر أو خفي) . مغناها : البقعة المسكونة (سكناها) .

(٢) كذا في الاصل . وينقص هنا جملة ؛ وأعتقد أنا أن الجملة يجب أن تكون : « وخربت كأن لم تغن بالأمس » (كأن لم تكن مسكونة من قبل) .

تولّى الوعظَ مُدّةً في دِمَشْقَ في الجامع الأموي .

وخُولِطَ ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ وانتابَتْهُ أوهامٌ كثيرةٌ ، ولكنّه ظلّ مُدّةً حَسَنَ الوعظ جيّدَ القولِ في الشِعْر . وفي آخرِ أيامِه زادَ تخليطُه فأُدْخِلَ المارستانَ فتُوُفِّيَ فيه في ربيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٧٥٠ هـ (مطلَعِ الصيفِ من عام ١٣٤٩ م) .

٢ ـ كان ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ معدوداً في عُقلاءِ المجانينِ ، وكان شاعراً رقيقاً حَسَنَ القولِ في الغَزَلِ خاصّة .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ معتوقٍ الواعظُ الواسطيُّ في النسيب :

أضْحى جَمالُكَ للوَرى أُعجوبةً ، كلُّ الورى قد قُيِّدوا بقِيادِهِ .
فوَحَقِّ مَنْ سَوّاكَ ، يا بَدْرَ الدُجى ، ما أنتَ إلاّ فِتنةٌ لِعِبادِهِ !

ـ وله قِطعةٌ عليها شيءٌ من النَفَس الصوفيّ :

لي حبيبٌ خيالُهُ نَصْبَ عيْني ، أيْنَما كُنْتُ وَجْهُهُ مِرْآتي .
يتَجلّى لِطورِ سيناءَ قلبي فتراني أَخِرُّ من صَعَقاتي[1] .
ليْتَني ما عَدِمْتُهُ من حَبيبٍ أتَراآهُ من جميعِ الجِهات .
وإذا لاحَ أو تجلّى لِعَيْني كِدْتُ أقْضي من شِدّةِ الحَسَرات .
هو ناري وجنّتي ومَماتي وحَياتي في السِرّ والخَلَوات .
لست مَهْما حَيِيتُ أنساه أصلاً لا ولا ساعةً مِنَ الساعات .

ـ كان ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ يتخيَّلُ أنّ الناسَ يسرقون كُتُبَه ولا يدفعون إليه أثمانَها ولا يردّونها إليه . وتجسّمَ هذا الوَهْمُ في خَيالِهِ في حتّى أصبح راسخاً في تفكيرِه وسلوكِه فكتب إلى نائبِ الشام (حاكمِ الشامِ من قِبَلِ السُلطان) يشكو حالَه (من قصيدة) . ثمّ هو يُعَرِّضُ بنائبِ السلطان فيها :

---

(١) في البيت اشارة الى الآية التالية في سورة الأعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال : رب ، أرني أنظر اليك . قال : لن تراني ؛ ولكن انظر الى الجبل ، فان استقرّ مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ؛ وخر موسى صعقاً (بفتح الصاد وكسر العين ؛ مغشياً عليه) . فلما أفاق قال : سبحانك ، تبت اليك ، وأنا أول المؤمنين » (٧ : ١٤٣) .

يا نائبَ السلطانِ ، لا تَكُ غـافلاً عن قَتْلِ قومٍ للظواهرِ زوّقوا[1] .
ما هم تِجارٌ بل لُصوصٌ كلُّهم ، فَأْمُرْ بِهِمْ أن يُقتلوا أو يُشنقوا[2] .
وأراكَ لا تُجْدى إليك شِـكايةٌ حتّى * كأنّك حائـطٌ لا ينْطِق[3] .
لا تعْفُ عن قومٍ سعَوْا بفسادِهم في الأرض بَغْياً منهم وتَخرّقوا[4] ؛
واكْشِفْ ظُلامةَ منْ شكا من خصْمِه ؛ فالحقُّ حقٌّ واضحٌ هـو مُشرق ؟

— وله في مثل ذلك :

يا دارَ علوةَ ، لا عَداكِ غَمامُ ؛ منّي عليكِ تَحيّـةٌ وسَلامُ[5] .
فلقد تَقَضّتْ لي بِربْعِكِ عِيشةٌ ، زَمَنَ الصبا إذْ لستُ فيـك ألام[6] ،
معْ فِتْيةٍ حلّوا بِبَطحاءِ الحِمـى ولهم بقلبي مَرْبَعٌ ومُقـامُ[7] ؛
يَحْمونَ بالبِيض النزيلَ حَمِيّةً ، ومَنِ استجارَ بهم فليس يُضام[8] .
انْظُرْ إليهم كيفَ تُضْرَم نارُهم للطارقينَ إذا ألَمَّ ظـلام[9]
تَرَهُمْ إذا ما الليلُ جَنَّ عليهِمُ وهُمو سُجودٌ في الدُّجى وقِيام[10] .
لولاهُمُ ما كان يُعْرَفُ ما الهـوى ، كلاّ ولا بَيْعُ النفوسِ يُسـام[11] !

٤ — * فوات الوفيات ٢ : ٥٠ — ٥٢ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٧٦ — ٧٧ (رقم ٢٦٦١) ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٤ .

---

(١) للظواهر زوقوا : زينوا مظاهرهم (ثيابهم وأعمالهم الظاهرة) ليخدعوا بها الناس .

(٢) التجار (بكسر التاء وفتح الجيم المهملة) : التجار (بضم التاء وتشديد الجيم) .

(٣) في الاصل : الا كأنك حائط ...

(٤) البغي : الظلم . تخرق (الكذب) : اختلق الكذب . — كذبوا على الناس .

(٥) لا عداك غمام : لا مرت بك غيمة (من غير أن تمطر) .

(٦) لست فيك (كذا في الأصل) ، اقرأ : اذ لست فيه (في زمن الصبا لا يلام الشاب على ما يفعل !)

(٧) هم يسكنون في البطحاء (الارض المستوية ، في مكة) في الحمى (الارض المحمية) . ولكنهم يسكنون في قلبي (لأني أحبهم) .

(٨) البيض : السيوف . يضام : يظلم .

(٩) الكرماء يشعلون في الليل ناراً حتى يراها الطارقون (الغرباء الآتون ليلا) فيأتون اليها وينزلون ضيوفاً على على أصحابها . ألم ظلام : بدأ نزول الليل .

(١٠) جن عليهم الليل : سترهم ، غطاهم . اذا أظلم الليل . قيام في الليل للعبادة وسجود (ساجدون : يقضون الليل بالصلاة) .

(١١) يسام : يطلب . لولا حب (أهل التصوف لله) لما كان في الارض حب ، ولا كان أحد يهب نفسه لمحبوبه (غير الله) .

الفاضل اليماني

١ ـ هو السيّدُ عزُّ الدين يحيى بنُ القاسم بنِ عُمَرَ بنِ عليَّ اليمنيُّ الصَّنْعانيّ ، يُعْرَفُ بالفاضلِ اليمانيّ (اليمنيّ) وبالفاضل العَلَويّ ، من أهلِ صَنعاء اليَمَن ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) .

تَلَقّى الفاضلُ اليمانيُّ العِلْمَ على مشايخ اليمن ثمّ ارتحَلَ ، للازديادِ من العلم ، إلى العِراق والشام وخُراسانَ ؛ وقد قرأ القُرآنَ في بَغْدادَ على ابنِ المحروق الواسِطيّ . وفي سَنَة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وَصَلَ إلى دِمَشْقَ من بلادِ العجم ولَقِيَ صلاحَ الدين الصفَدِيَّ . ويبدو أنّه غادَرَ دِمَشْقَ وَشيكاً إلى اليمن ، فما كاد يَصِلُ إليها حتى أدْرَكَتْه الوفاةُ ، سَنَةَ ٧٥٠ هـ في الأغلب .

٢ ـ بَرَعَ الفاضلُ اليمانيُّ في علومٍ كثيرةٍ ولكنّه صَرَفَ مُعْظَمَ عِنايتهِ الى « الكشّاف »(١) وصَنّفَ عليه بِضْعَ حواشٍ وتعليقاتٍ منها حاشِيَتُهُ المشهورةُ « حاشيةُ العلوي » . ومِن كُتُبِهِ : دُرَرُ الأصداف في حلّ عُقَدِ الكشّاف ـ تُحْفَة الأشراف في كشف غوامض الكشّاف ـ شَرْحُ اللُّباب (لتاج الدين الاسفرايني ، في النحو) . وللفاضل اليمني شِعْرٌ سَهْلٌ رقيقٌ فيه شيءٌ من المَزَحِ والتَّهَكُّم .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال الفاضلُ اليمنيُّ يشكو كَثْرةَ اشتغاله بالعِلم وقِلّة العائدة من ذلك* :

إنّ *المُفَصّلَ و *المِفْتاحَ قد شَغَلا ... صِبايَ واستغرقا بالدَّرْسِ أوقاتي(٢) .
ووافَقَ * الفائقُ * الكَشّافَ آوِنَـةً ... مَعَ * الأساس على كَدّي وإعناتي(٣) .
واللهُ يعلَمُ ما عُنّيتُ من تَعَبٍ ... في * الجامِعَيْنِ وتخريجِ *الزيادات(٤) .
وفي الأصولِ وفي فنّ الخِلاف على ... رأي العَميديّ ثمّ الأبْهَرِيّات(٥) .

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل (في تفسير القرآن) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) . راجع ، فوق ، ص ٢٧٧ .

(*) الكلمة المسبوقة بنجم * هي اسم كتاب (ان عدداً من هذه الكتب مذكورة في فهرست الكتب من هذا الكتاب) .

(٢) استغرق الدرس أوقاتي : ملأها ، أحاط بها .

(٣) الكد : التعب . الإعنات : الصعوبة والمشقة . ما (بمعنى : الذي) مفعول به من الفعل « يعلم » .

(٤) تخريج الأشعار (مثلا) ذكر الكتب التي ترد تلك الاشعار فيها .

(٥) الأصول : أصول الفقه (القواعد العامة في العقائد الدينية) . الخلاف : اختلاف آراء الفقهاء في المسائل الدينية . أبو حامد محمد بن محمد العميدي السمرقندي (ت ٦١٥ هـ). الأبهري: لعل المقصود هنا أثير الدين المفضل ابن عمر الأبهري السمرقندي (ت ٦٦٣ هـ) وله تصانيف كثيرة في الحكمة (الفلسفة) والمنطق والفلك .



وخُضْتُ في أبْحُرِ الرازي أُعبِّرُ عن شَرْحِ * العُيون إلى شَرْحِ * الإشارات[1].
وكم نَسَخْتُ وكم صَحَّحْتُ من نُسَخٍ، وكم تَصَرَّفْتُ في مَحْوٍ وإثْبات.
وكم لَقِيتُ شيوخاً بَرَزوا قِدَماً في الصالحات وفاقوا في الروايات.
فما استَفَدتُ بما حَصَّلْتُ في عُمُري سوى عَقاربَ تؤذيني وحَيّات.

٤ ـ * * بغية الوعاة ٤١٤؛ البدر الطالع ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١؛ بروكلمان ١ : ٣٤٥ (أسفل الصفحة) الملحق ١ : ٥٠٨ (السطر الحادي عشر) ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

ابن هشام الأنصاري

١ ـ هو جَمالُ الدينِ عبدُ الله بنُ يوسفَ بنِ أحمدَ بنِ عبد الله بن هِشام الأنصاريّ المِصْريُّ، وُلِدَ في ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٠٨ هـ (نَيْسانَ ـ أبريلَ ١٣٠٨ م) .

سَمِعَ ابنُ هِشامٍ ديوانُ زُهيرِ بنِ أبي سُلمى من أبي حَيّانَ الغَرْناطيّ ثمّ خالَفَهُ وانْحرَفَ عنه؛ وتلقّى أشياءَ من العِلْمِ على الشِهاب عبدِ اللطيفِ بن المُرحِّل وابنِ السرّاج والتاجِ التبريزي والتاج الفاكهانيّ .

وحَرَصَ ابنُ هشامٍ على أن يَنالَ نصيباً كبيراً من الدنيا فلم يَتِمَّ له ذلك : كان في أوّلِ أمرهِ على المذهب الحَنَفيّ ثمّ تفقّه بالمذهبِ الشافعيّ ودرّس تفسيرَ القُرآنِ في القبّة المنصورية . ولمّا لم يستطعْ أن يحتلَّ مَنْصِباً سامياً في مدارسِ الشافعيّة انتقل الى المذهبِ الحَنْبَليّ فأقامه الحنابِلَةُ في مَنْصِبٍ للتدريس في مدارسهم .

وكانتْ وفاةُ ابنِ هِشامٍ الأنصاريِّ في خامسِ ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٦١ هـ (١٨/ ٩/ ١٣٦٠ م) .

٢ ـ كان ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ عالماً بالعَرَبيةِ (باللغة والنحو) « انفردَ بالفوائدِ الغَريبة والمباحِثِ الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطّلاع المُفْرِطِ والاقتدار على التصرُّفِ في الكلام وبالمَلَكَةِ التي كان يتمكّنُ من التعبيرِ بها عن مقصودِهِ بما يُريدُ مُسْهِباً ومُوجزاً » (بغية الوعاة ٢٩٣) . وقال ابنُ خَلْدونٍ

(١) ان الكلمتين : « اشارات » و « عيون » تأتيان في عدد كبير من أسماء الكتب ، وكذلك « شرح الاشارات » و « شرح العيون » . والرازون أيضاً كثيرون عد بروكلمان منهم أربعة عشراً رازياً، ولم استطع تعيين الذي يقصده الشاعر .

(المقدّمة ، بيروت ١٩٠٠ ، ص ٥٤٧) : « ووَصَلَ إلينا بالمَغْرِب لهذه العصور ديوانٌ من مِصْرَ منسوبٌ إلى جمال الدين بن هشام من عُلمائها استوفى فيه أحكامَ الإعراب مُجْمَلَةً ومُفَصَّلَةً ، وتكلّم على الحروف والمُفْردات والجُمَل وحذفَ ما في الصناعة من المُتَكَرِّر في أكثرِ أبوابها وسمّاه بالمُغْني في الإعراب ، وأشارَ الى نُكَتِ إعرابِ القُرآنِ كلِّها وضَبَطَها بأبوابِ وفصولٍ وقواعدَ انتظم سائرَها[1]. فوَقَفْنا منه على علمٍ جَمٍّ يشهَدُ بعُلُوٍّ قدره في هذه الصناعة ووُفور بِضاعته منها ، وكأنّه يَنْحو في طريقته مَنْحاةَ أهلِ المَوْصِلِ الذين اقْتَفَوْا أَثَرَ ابنِ جِنّي واتّبعوا مُصْطَلَحَ تعليمهِ فأتى من ذلك بشيءٍ عَجيب دالٍّ على قُوّةِ مَلَكَتِه واطّلاعه » .

ولابن هشام الأنصاريّ من الكُتُب : قَطْرُ النَدى وبَلُّ الصَدى (نحو) — مُغْني اللبيبِ عَن كُتُبِ الأعاريب — الإعرابُ عن قواعدِ الإعرابِ — شُذورُ الذهب في معرفةِ كلامِ العرب — مُوقِدُ الأذهانِ ومُوقِظُ الوَسْنان (نحو) — المباحثُ المَرْضيّةُ المُتَعلّقةُ بمَنْ الشرطيّةِ .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » :

انّ أوْلى ما تَقْتَرِحُه القرائحُ وأعلى ما تجنَحُ إليه الجوانحُ[2] ما يَتَيَسَّرُ به فَهْمُ كتابِ الله المُنْزَلِ ويَتّضِحُ به حديثُ نبيّه المُرسَلِ ، فإنّهما الوسيلةُ إلى السعادة الأبديّة والذريعةُ[3] إلى تحصيلِ المصالح الدينية والدُنْيويّة ؛ وأصلُ ذلك عِلمُ الإعراب الهادي الى صَوْبِ[4] الصواب . وقد ..... وضعتُ هذا التصنيفَ على أحسنِ إحكامٍ وترصيف وتتبّعتُ فيه مُقْفَلاتِ مسائلِ الإعراب فافْتَتَحْتُها ومُعْضَلاتٍ يَسْتَشْكِلُها الطُلّابُ فأوضحتُها ونَقّحتُها وأغلاطاً وقعتْ لجماعةٍ من المُعْرِبينَ[5] وغيرهم فنبّهتُ عليها وأصلحتها .....

---

(١) انتظم سائرها — يقصد ابن خلدون : جعل ابن هشام الأنصاري للاعراب تقسيماً وتبويباً وقواعد تضبط جميع أحواله على نسق واحد .

(٢) القرائح : العقول . جنح : مال . الجوانح جمع جانحة : الضلع ، جانب الصدر (المقصود : القلب) .

(٣) الذريعة ، الوسيلة ، السبب ، السبيل (الى الوصول الى الشيء) .

(٤) صوب : ناحية .

(٥) المعضلة : المسألة الصعبة التي لا يسهل الاهتداء الى وجه حلها . المعرب : المشتغل بفن الاعراب (التحليل النحوي) .



وممّا حثّني على وضعه أنّني لمّا أنشأتُ في معناه المقدّمةَ الصغرى المسمّاة بـ « الإعراب عن قواعد الإعراب »[1] حسُنَ وقعُها عند أولي الألباب وسار نفعُها في جماعة الطلاّب مع أنّ الذي أودعْتُه فيها بالنسبة إلى ما ادّخرْتُه عنها كشذْرةٍ من عقد نحرٍ[2] بل كقطرةٍ من قطرات بحرٍ. وها أنا بائحٌ بما (كنت قد) أسْرَرْتُه مفيدٌ لمّا قرّرتُه وحرّرته مقرّبٌ فوائدَه للأفهام .... ليناله الطلاّبُ بأدنى إلمام[3] . وينحصرُ (هذا الكتاب) في ثمانية أبوابٍ : في تفسير المفردات وذكرِ أحكامها ـ في تفسير الجُمَلِ وذكر أحكامها ـ في ذكر ما يتردّدُ بينَ المفردات الجُمَلِ ، وهو الظرْفُ والجارُّ والمجرور وذكر أحكامهما ـ في ذكر الأوجه التي يدخُلُ الخلَلُ على المُعْرِبِ من جهتِها ـ في التحذيرِ من أمورٍ اشتهرتْ بين المُعربين والصوابُ خلافُها ـ في كيفيّة الإعراب ـ في ذكر أمورٍ كلّيّة يتخرّجُ عليها ما لا ينحصر من الأمور الجزئية ـ.....

ـ من مقدّمة « (شرح) قطر الندى وبلّ الصدى » :

.... وبعدُ ، فهذه نُكَتٌ حرّرتُها على مقدّمتي المسمّاة « قَطْرَ الندى وبلّ الصّدى »[4] رافعةٌ لِحجابها كاشفةٌ لِنقابها مُكمِّلَةٌ لشواهدها متمّمةٌ لِفوائدها ، كافيةٌ لِمَنِ اقتصر عليها وافيةٌ ببُغْيَةِ من جنَحَ من طُلاّب علم العربية إليها[5] . واللهُ المسؤولُ أن ينفعَ بها كما نفَعَ بأصْلِها .....

ـ ومن شعر ابن هشام الانصاريّ النحويّ قوله :

ومَنْ يصطَبِرْ للعلمِ يظفَرْ بنَيْله ، ومن يخطُبِ الحسناءَ يَصْبِرْ على البَذْلِ .
ومَنْ لم يذلّ النفسَ في طَلَبِ العُلا يسيراً ، يَعِشْ دَهْراً طويلاً أخا ذُلّ .

٤ ـ أوّلاً : كتب لابن هشام :

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (طبع حجر) بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه[6] ؛ ثمّ مصر

---

(١) كتاب في النحو لابن هشام . في معناه (في موضوعه) .

(٢) ادخرته : خزنته (لم أثبته في ذلك الكتاب) . الشذرة : القطعة الصغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة من العقد . النحر : العنق ، الرقبة .

(٣) مفيد : باذل (ذلك العلم) لافادة الطالبين . الإلمام : المعرفة القليلة (السطحية) .

(٤) وضع ابن هشام كتاب « قطر الندى الخ » ثم شرحه بنفسه .

(٥) علم العربية : النحو .

(٦) عدد من الطبعات أكثرها في مصر (!) .

(طبع حجر) بلا تاريخ ؛ طهران ١٢٦٨، ١٢٧٢، ١٢٧٤ ﻫ ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٧٦ ﻫ ؛ بولاق ١٢٨٤ ﻫ ؛ (على هامش حاشية الدسوقي) ، بولاق ١٢٨٦ ﻫ ؛ (على هامش مغني اللبيب) ، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى البابي) ١٣٠٢ ﻫ ؛ (بهامش حاشية الدسوقي على المغني) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٧ ﻫ ؛ مصر : الجزء الأوّل (المطبعة الشرفية) ١٣٢٨ ﻫ ، الجزء الثاني (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ ﻫ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٩ م ؛ (حقّقه مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله) ، دمشق (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م .

قطر الندى وبلّ الصدى (طبع حجر) بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه ؛ ثمّ بولاق ١٢٥٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٧٤ ﻫ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ ، ١٣٣٠ ﻫ ؛ (بهامش حاشية السجاعي على قطر الندى) ، بولاق ١٢٨٧ ، ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها) ، القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها أيضاً) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٥ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٨ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٤ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١١ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٤٤ ﻫ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٣ م ؛ تونس ١٢٨١ ، ١٣٢٦ ﻫ ؛ فارس ببلاد العجم ١٢٨٥ ﻫ ؛ (شرحه محمّد الزيني ومحمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (الشعب) بلا تاريخ .

موقد الأذهان وموقظ الوسنان (في الأحاجي النحوية = ألغاز ابن هشام الانصاري) ، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٢٧٩ ﻫ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامش حاشية على ألغاز ابن هشام الانصاري) ، القاهرة (محمود الحلبي) ١٣٠٤ ﻫ ؛ مطبوع مع كتاب شذور الذهب) ، القاهرة ١٣٠٥ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة الحرمين) ١٣٢٢ ﻫ .

شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، استانة ١٢٥٣ ﻫ ؛ بولاق ١٢٥٣، ١٢٨٢، ١٢٩٢ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٢٧٩، ١٢٨٩ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامش حاشية الأمير الكبير السنباويّ الازهري على شذور الذهب) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤، ١٣٠٧ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها أيضاً) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ﻫ ؛ القاهرة ١٣١٠، ١٣٢٠ ﻫ ؛ (في مجموعة) ، القاهرة ١٣٤٤ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٤٨ ﻫ ؛ (مطبوع مع « منتهى الارب بتحقيق شرح شذور الذهب » ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٩٥٣ م ؛ (مع منتهى الارب نفسه ...) ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٦٣ م .

أوضح المسالك الى ألفيّة ابن مالك (= التوضيح) (تحرير عبد الرحيم الصافيبوري) ، كلكتا ١٨٣٢، ١٨٣٧ م ؛ القاهرة (مطبعة الاعلام) ١٣٠٤ ﻫ ؛ القاهرة ١٣١٢ ﻫ ؛ القاهرة



١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة؟ـ المكتبة المحمودية) ١٣١٦ هـ ؛ الطبعة الرابعة ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٦ م ؛ (مطبوع مع بغية السالك الى أوضح المسالك ، تأليف عبد المتعال الصعيدي) ، القاهرة (مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده) ١٩٦٤ م .

الاعراب عن قواعد الاعراب (بذيل قطر الندى) ، بولاق ١٢٥٣ هـ ؛ (مطبوع مع مجيب الندا) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ (مطبوع مع قطر الندى) ، تونس ١٢٨١ هـ ؛ (مطبوع مع قطر الندى) ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ؛ مصر (؟) (المطبعة المحروسة) ١٢٨٢ هـ ؛ (مطبوع مع نزهة الطرف للميداني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ .

الجامع الصغير في علم النحو (نشره شريف سعيد الزيبق) ، دمشق (مطبعة الملاّح) ١٩٦٨ م .

مختصر شرح شذور الذهب ، فاس ١٣١٢ هـ (راجع بروكلمان ٢ : ١٩ ، السطر ٢٠) .

أربع رسائل[1] (مسائل في النحو وأجوبتها ـ مسألة اعتراض الشرط على الشرط ـ كتاب الشهداء في أحكام « هذا » ـ شرح القصيدة اللغوية في المسائل النحوية) .

ـ ثانياً : شروح وحواش وتعليقات على كتب ابن هشام :

(في ما يتعلّق بمغني اللبيب) : « تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب » لمحمّد بن أبي بكر الدماميني المتوفّى ٨٢٧ هـ (بهامش المنصف من الكلام) ، القاهرة ١٣٠٥ هـ ؛ « المنصف من الكلام على مغني ابن هشام » لأحمد بن محمّد الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٥ هـ ؛ الاستانة ١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية علي مغني اللبيب » لمحمّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) أتمّها ابنه مصطفى ، (بهامش مغني اللبيب) ، بولاق ١٢٨٤، ١٢٨٦، ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٧، ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية الأمير علي مغني اللبيب » لمحمّد ابن محمّد بن عبد القادر السنباوي الازهري المعروف بالأمير (ت ١٢٣٢ هـ) ، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ ؛ (بهامش مغني اللبيب) ، القاهرة .... هـ ؛ (بهامش شذور الذهب) ، القاهرة (محمّد مصطفى) ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٣٠٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٥ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ ، ١٣٢٧ هـ ؛ « القصر المبني على حواشي المغني » (= حاشية على شرح الازهري على مغني اللبيب) لعبد الهادي نجا بن رضوان نجا المصري الإبياري (ت ١٣٠٥ هـ) ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠١ هـ ؛ « فتح القريب بشرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الاعاريب » للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، القاهرة (المطبعة البهيّة) ١٣٢٢ ، (جمال وخانجي) ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤هـ ، الخ ؛ (بتصحيحات وتعليقات للشنقيطي ـ وقف على طبعه أحمد ظافر كوجان) ، بيروت (لجنة التراث العربي)

---

(١) هذه الرسائل أدخلها جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه « الاشباه والنظائر » (في النحو) والمطبوع في حيدر اباد الطبعة الثانية ١٣٥٩ـ ١٣٦١ هـ (راجع دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٠١) .



١٩٦٦ م ؛ « السبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب » (منظومة لمولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب) ، فاس ١٣٣٠ هـ ؛ « شرح السبك العجيب » لمحمّد الأغظف الولاتي (اللواتي) الحوضي مع « حاشية فتح الصمد » لعليّ بن مبارك الرعيني الادريسي ، بولاق ١٩٢٩ م ، ١٣٢٥ — ١٣٢٦ هـ (؟) .

(في ما يتعلّق بقطر الندى) : « مجيب الندا الى شرح قطر الندى » لعبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة حمد شاهين) ١٢٨١ هـ ؛ (بهامش حاشية ياسين العليمي) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢هـ ؛ بومبيء ١٨٨٠ م ؛ «حاشية» علي مجيب الندا للفاكهي ، لياسين بن زين الدين الشهير بالعليمي الحمصي (ت ١٠ شعبان ١٠٦١ هـ) ، القاهرة ١٢٩٩ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٣ هـ ؛ « حاشية » على شرح القطر ، لعليّ بن عبد القادر النبتيتي (ت نحو ١٠٦٥ هـ) ، القدس ١٣٢٠ هـ ؛ « حاشية » على شرح القطر لأحمد بن محمّد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ) ، بولاق ١٢٧٢ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة (محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٢٩٨ ، ١٣٠٨هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ ، ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٣٠٥ — ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٥ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٤ م ؛ « حاشية » (على قطر الندى) للحسن بن عبد الكبير (ت ١٢٣٣ هـ) ، تونس ١٢٨١ هـ ؛ « حاشية » (على مجيب الندا على قطر الندى) لمحمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ؛ « تقرير على حاشية الامام السجاعي » (على قطر الندى) لمحمّد بن محمّد الانباني (ت ١٣١٣ هـ) ، القاهرة ١٣٠٥ — ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠ هـ ؛ « حاشية » (على قطر الندى) لمحمّد غوث بن محمّد بن ناصر الدين بن صبغة الله ، مدراس بالهند ١٣٠١ — ١٣٠٢ هـ ؛ « نظم متن القطر » لعبد العزيز الفرغلي المتوفّي ١٣١٦ هـ (بهامش قطر الندى) ، القاهرة ١٢٥٣ هـ ؛ (مطبوع مع مجيب الندا) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٠ هـ ؛ تونس ١٢٨١ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ ، ١٣٣٠ هـ ؛ مصر (المطبعة المحروسة) ١٢٨٢هـ (؟) ؛ « تكميل المرام بشرح شواهد ابن هشام » لأبي عبد الله محمّد بن عبد القادر الفاسي (ت ١١١٦ هـ) ، فاس ١٣١٠ هـ ؛ « شفاء الصدر بتوضيح واعراب شواهد القطر » لعليّ بن عبد الرحيم العدوي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (المكتبة المحمودية) ١٣٢٢ هـ .

(في ما يتعلّق بشذور الذهب) : « حاشية على شرح شذور الذهب » لمحمّد بن عبادة بن برّي العدويّ (ت ١١٩٣ هـ) ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ، (حاشية العدوى نفسها ، بهامش شرح شذور الذهب) ، القاهرة (مطبعة التقدّم) ١٣٤٨ هـ «حاشية» على شرح ابن هشام لمختصره (لشذور الذهب) ، للأمير الكبير محمّد بن محمّد بن أحمد ابن أحمد بن عبد القادر السنباوي الازهري (ت ١٢٣٢ هـ) ، القاهرة ١٢٧٢ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية)

١٣٠٤، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ ؛ « تقرير على حاشية الأمير محمّد السنباوي » (على شذور الذهب) لمحمّد بن محمّد الانبابي (ت ١٣١٣ هـ) ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠ هـ ؛ « شرح شواهد شذور الذهب » لشمس الدين محمّد بن علي الفيّومي (ت هـ) ، مصر ١٢٨١ ، ١٢٩١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ .

(في ما يتعلّق بالاعراب عن قواعد الاعراب) : موصّل الطلاّب الى قواعد الاعراب » لخالد ابن عبد الله الازهري (٩٠٥ هـ) ، استانبول ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ ؛ (مطبوع مع اعراب ألفية ابن مالك) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ ؛ « مختصر (الاعراب) مع شرح لجملته المختصر من قطر الندى لعليّ بن أحمد بن محمّد الجزولي ، فاس ١٣١٢ هـ (بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٩ ، السطر ٢٠) .

(في ما يتعلّق بموقد الأذهان وموقظ الوسنان) : « حاشية » = (ألفاظ) لأحمد سيف الغزّيّ الحنفيّ ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .

التصريح بمضمون التوضيح (شرح على أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، لابن هشام) لخالد بن عبد الله الجرجاوي [1] الازهري (ت ٩٠٥هـ) ، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية » على التصريح بمضمون التوضيح لياسين بن زين الدين العليمي (ت ١٠٦١ هـ) ، القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ١٣٤٤ هـ ؛ طهران بلا تاريخ ؛ ثمّ طهران ١٢٨٦ هـ ؛ ١٨٨١ ، ١٨٨٨ م .

تهذيب أوضح المسالك ، تأليف محمّد سليم علي واحمد مصطفى المراغي ، القاهرة ٣٢٩ هـ .

منار السالك الى أوضح المسالك ، تأليف محمّد عبد العزيز حسن ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

بغية السالك الى أوضح المسالك ، تأليف عبد المتعال الصعيدي (مطبوع مع أوضح المسالك لابن هشام) ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده) ١٩٦٤ م .

منتهى الارب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٣ م ؛ الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٣ م .

سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٤ م .

حاشية على ألغاز ابن هشام الانصاري (موقد الاذهان) ... لخالد بن عبد الله الأزهري ، القاهرة (محمود الحلبي) ١٣٠٤ هـ .

حاشية على أوضح المسالك ، لمحمّد بن الطيّب بن عبد المجيد الكرانيّ (ت ١٢٢٧ هـ) ، فاس ١٣١٥ هـ .

الدرر الكامنة ٢ : ٤١٥ — ٤١٧ (رقم ٢٢٤٨) ؛ ذيول العبر ٣٣٦ ؛ بغية الوعاة ٢٩٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٩١ — ١٩٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٤٠٠ — ٤٠٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٧ — ٣١ ، الملحق ٢ : ١٦ — ٢٠ ؛ زيدان ٣ : ١٥٤ — ١٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٠١ — ٨٠٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٩١ .

---

(١) ؟ شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري ، القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٠٥ هـ .



ابن شاكر الكتبيّ

١ ـ هو صلاحُ الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ شاكر بن أحمدَ بن عبد الرحمن الداراني الدمَشْقِيُّ ، كان مولدُه في داريّا (إحدى قُرى دمشق) ، سنَةَ ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) . وقد نشأ في دِمَشْقَ وتلقّى العلمَ في حلبَ ودمَشقَ فسَمِعَ الحديثَ من ابن الشِحْنة[1] ومن الحافظ يوسفَ بن عبدِ الرحمن المِزّي (٦٥٤ ـ ٧٤٢ هـ) مُحدِّث الشام في عصره ومن الحجّار[2] وغيرِهم . وكان فقيراً فاتّجرَ بالكُتُبِ وجَمَعَ مالاً كثيراً . وكانتْ وفاتُه في رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٦٤ هـ (صيف ١٣٦٤ م) في دمشق .

٢ ـ ابنُ شاكرِ الكتبي من المؤرّخين ذوي الذَوْقِ الأدبي ؛ له كِتابُ عُيونِ التواريخ ، وهُوَ مجموعٌ من التراجمِ مُرتّبةٌ على السِنينَ تَقِفُ عند سَنَة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) ؛ وكتاب فَوَاتُ الوَفَيات ، وهو مجموعٌ آخرُ من التراجم لم يذْكُرْها ابنُ خَلّكانَ في كتابِهِ « وَفَيَات الأعيان » أو ذكَرَها ذِكْراً يسيراً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة « فَوات الوَفَيات » :

... وبعدُ فإنّ عِلمَ التاريخ مِرآةُ الزمان لِمَنْ تَدَبّرَ ومِشْكاةُ أنوار يَطّلِعُ بها على تَجارِبِ الأُمَمِ من أمعَنَ[3] النظَرَ وتفكّر ؛ وكنتُ ممّن أكثَرَ لكُتُبه المُطالعةَ واستجلى من فوائده المُراجعة . فلمّا وقفتُ على كتابِ وَفَيَاتِ الأعيانِ لقاضي القُضاةِ ابنِ خلّكان ، قدّسَ اللهُ روحَه ، وَجدتُه من أحْسَنِها وضعاً لما اشتَمَلَ عليه من الفوائدِ الغَزيرة والمحاسنِ الكَثيرة ، غيرَ أنه لمْ يذكُرْ أحداً من الخُلفاء ؛ ورأيتُه قد أخلّ بتراجم فُضلاء زمانه وجماعة مِمَّنْ تقدّمَ على أوانه ـ ولم أعلَمْ : أذلكَ ذُهولٌ عنهم أو لم يَقَعْ له تَرْجَمَةُ أحدٍ منهم . فأحبَبْتُ أنْ أجْمَعَ كِتاباً يتضمّنُ ذِكْرَ مَنْ لَمْ يذكُرْهُ مِنَ الأئمةَ الخُلفاء والسادةِ الفُضلاء وأذيّلَ من وَفاتِه إلى الآنِ . فاستَخَرْتُ اللهَ تعالى فانْشَرَحَ لذلك صدري ، وتوكّلتُ عليه وفوّضت إليه أمري وسَمّيتُه بفواتِ الوَفَيات ....

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٧٢ ، ولم أعرف أي أبناء الشحنة هو .

(٢) من ذيول العبر ٣٦٩ ، ولم اعرف من هو .

(٣) المقصود : أنعم النظر (دقق ، درس بعناية) .



٤ ـ فوات الوفيات ، القاهرة (مطبعة بولاق) ١٢٨٣هـ ؛ بولاق ١٢٩٩هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٥١ م .

** الدرر الكامنة ٤ : ٧١ ـ ٧٢ (رقم ٣٧٣٧) ؛ من ذيول العبر ٣٦٩ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٠٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٦٠ ، الملحق ٢ : ٤٨ ؛ زيدان ٣ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ١١٧٢ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦ ـ ٢٧ .

الصلاح الصفديّ

١ ـ هو صلاحُ الدين أبو الصفاء خليلُ بنُ أيْبَكَ بنِ عبدِ الله السَيْفيُّ الصَفَديُّ ، وُلِدَ في صَفَدَ (فِلَسْطينَ) ، في سَنَةِ ٦٩٦ أو ٦٩٧ هـ (١٢٩٦ م) .

أخذَ صلاحُ الدين الصفديُّ الأدبَ عن شهابِ الدين محمودِ بنِ فهدٍ (ت ٧٢٩ هـ) ولازمه مدّةً ، وعن ابنِ نُباتةَ المِصْريّ (ت ٧٦٨ هـ) ، وأخذَ النحوَ عن أثيرِ الدين أبي حيّانٍ الغَرْناطيّ (ت ٧٤٥ هـ) . أمّا الحديثُ والفِقْهُ فقد سَمِعَهُما من نفرٍ كثيرين منهم : يونسُ الدبابيسيّ (أو الدبّوسيّ) المِصْري (ت ٧٢٩ هـ) ـ وقد سَمِعَ منه في مِصْرَ ـ ومنهم بدرَ الدين بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) وأبو الفتحِ ابن سَيِّدِ الناس (ت ٧٣٤ هـ) وأبو الحجّاج المِزّيّ (ت ٧٤٢ هـ) مُحدّثُ الديارِ الشامية في وقته ؛ ومنهم الحافظُ أبو عبد الله الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ) وشيخ الاسلام تقيّ الدين السُبْكي (ت ٧٥٦ هـ) . ثمّ عاد الحافظُ الذهبي فسَمِعَ منه (وهذا شيء ينْدُرُ) .

وأوّلُ ما تولّى الصلاحُ الصفديّ من المناصب كتابةُ الدرج في بلده صَفَدَ ثمّ تولى جوانبَ من الكتابة في حلبَ ثمّ في دِمَشْقَ ثمّ في القاهرة ؛ وتولّى كتابةَ السِرّ حيناً في الرَحْبَة (على الفرات الأوسط) ثمّ أصبحَ وكيلاً لبيتِ المال في دِمَشْقَ إلى آخر أيامه . وفي هذه الأثناء كلِّها كان يتصدّرُ للتدريس في أماكنَ مختلفة ، فقد حَدّثَ في دِمَشْقَ (في الجامع الأمويّ) وفي حلبَ وغيرِهما . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في عاشرِ شوّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٦٤ هـ (٢٣/ ٧/ ١٣٦٣ م) ، وهي السَنَةُ التي اشتدّ فيها « الوباءُ والطاعونُ في البلادِ الشامية والعربية » (شذرات الذهب ٦ : ٢٠٠) .

٢ ـ كان الصلاحُ الصَفَدي أديباً وشاعراً ومؤرّخاً ومُصنّفاً مُكْثِراً له كتب منها : الوافي بالوَفَيات (أوسع كتب التراجم) ـ أعيان العصر وأعوان النصر

(تراجمُ المشاهيرِ ممن شَهِدوا القرن الثامن الهجري) – نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُميان (معجم أبجدي للمشاهير من العميان منذ صدر الاسلام) – الشعور بالعُور (تتمّة لنكت الهميان) . وله مجاميع أدبية منها : تَشْنيف السَمْع في انسكاب الدمع (الشعر المتعلّق بالبكاء على الأطلال وعلى الأحباب) – التذكرة الصلاحية (مجموع مطوّل في الشعر والنثر على الأبواب والأغراض) – لَوْعة الباكي ودمعة الشاكي (فيه أخبار المحبين) – ديوان الفُصحاءِ وتَرْجُمانُ البلغاءِ (مختارات من الشعر والنثر) . وله مصنّفات في النقد وشرح الأدب منها : جِنان الجِناس (في البديع) – فضّ الختام في التَوْرية والاستخدام (في البيان) – الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه – تمام المتون في شرح رسالة ابن زَيْدون – الغيث المسجّم في شرح لاميّة العجم . ثم له دواوين شعرِه ورسائلِه منها : مُنْشَآتُ الصفدي (مجموع مقالاتٍ ورسائلَ وتوقيعاتٍ ومناشيرَ) – ألحان السواجع بين البوادي والمراجع أو الغاديّ والراجع (مكاتباتٌ له بينَه وبين نفرٍ من معاصريه) . ثم له قصائد وموشّحات ومقامات ، الخ .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة كتاب الوافي بالوَفَيات :

..... وبعدُ ، فلمّا كانتْ هذه الأمّةُ المرحومة والمِلّة التي أمست أخبارُها بمسك الظلام على كافور الصباح مرقومةً خيرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ للناس وأشرفَ مِلّة أبطل فضلُها المنصوصُ من غيرها قواعدَ القِياس : علماؤها كأنبياءِ بني اسرائيل ، وأمراؤها كملوك فارسَ في التنويه والتنويل[1] ، وفضلاؤها أرْبَوْا على حكماءِ الهِند واليونان في التعليم والتعليل .....

(وقد) جمعَ المؤرّخون أخبارَ تلك الأحبار[2] ونظموا سُلوكَ تلك الملوك وأحْرزوا عقودَ تلك العقول.... فوقفت على تواريخَ ماتتْ أخبارُها في جِلْدها[3] .... ووجدتُ النفسَ تَسْتَرْوِحُ الى مطالعة أخبار مَنْ تقدّم ومراجعة آثار من خَرِبَ رَبْعُ عُمُرِه وتَهَدّم .....

والتاريخ للزمان مرآةٌ ، وتراجمُ العالم للمشاركة في المشاهدة مِرْقاة ، وأخبار

(١) التنويه (الاشتهار) والتنويل (العطاء ، الكرم) .
(٢) الحبر (بفتح الحاء) : العالم (بكسر اللام) . تلك الأحبار (كذا في الاصل) – أولئك الأحبار .
(٣) ماتت أخبارها في جلدها : أهملت في بطون الكتب فنسيت .

الماضين لمن عاقَرَ الهموم مَلْهاة[1] . وربّما أفادَ التاريخُ حزماً وعزماً وموعظةً وعلماً وهِمّة تُذْهِب هَمّاً ... وحِيَلاً تُثار للأعادي من مكامِنِ المكايدِ .... وصَبْراً يبعثه التأسّي بمن مضى ، واحتساباً يُوجِبُ الرضا بما مرّ وحَلا من القضا .....

فأحْبَبْتُ أن أجمعَ من تراجم الأعيان من هذه الأمّة الوَسَطِ* وكَمَلَة[2] هذه المِلّة التي مدّ الله لها الفضلَ الأوفى وبسط .... فلا أُغادر أحداً من الخلفاء الراشدين ، وأعيان الصّحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعُمّال والوزراء ، والقرّاء والمحدّثين والفقهاء ، والمشايخ والصُلحاء وأرباب العِرْفان[3] والاولياء ، والنُحاة والادباء والكُتّاب والشعراء ، والاطبّاء والحكماء والألِبّاء والعقلاء ، وأصحابَ النِحَل والبِدَعْ[4] والآراء ، وأعيان كلّ فنّ اشتهر ممّن أتقنه من الفضلاء من كل نجيب مُجيد ولَبيب مُفيد .....

ولم أُخِلّ بذكر وَفاةِ أحدٍ منهم الاّ فيما نَدَرَ وشَذّ ، وانخرط في سلك أقرانه وهو فَذّ ، لأنّي لم اتحقّق وفاته ، وكم مَنْ حاول أمراً فما بَلَغَهُ و فَاتَه[5] .....

وجعلتُ تَرتيبَه على الحروف وتَبْويبه ، وتَذْهيبَ وضعه بذلك وتهذيبه[6] . على أنّني ابتدأت بذكر سيّدنا محمّد رَسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، إذْ هُوَ الذي أتى بهذا الدين القَيِّمِ وسِراجُهُ وَهّاجٌ ، وصاحبُ التنبيه على هذه الشِرعة[7] والمِنْهاج ، فأذكرُ ترجمته مُخْتَصراً ، وأسرد أمْره مُقْتَصِراً ، لأنّ الناس قد صَنّفوا المغازيَ والسِيَرَ[8] ، وأطالوا الخُبْر فيه كما أطابوا الخَبَر[9] .....

---

(١) عاقر الهموم (دام على شرب الهموم كما تشرب الخمر) : تتابعت عليه الهموم .

(٢) الكملة : الكاملون : التابعون : الذين عاشوا في العصر الذي تلا العصر الذي عاش فيه الرسول .

(٣) العمال : الموظفون الذين يجمعون الضرائب . القراء : الذين يقرأون القرآن الكريم ويعرفون قواعد قراءته . أرباب العرفان (المعارف الالهية) : المتصوفون . * الوسط بين الفريقين : الحكم .

(٤) اللبيب : صاحب العقل . النحلة (بكسر النون) : المذهب ، العقيدة . البدعة (بكسر الباء) : الحركة الجديدة في الدين .

(٥) أخل بالشيء : ترك فيه مكاناً فارغاً . الفذ : الوحيد ، الموجود وحده . وفاته = الواو : حرف عطف . فاته (الامر) : ذهب عنه ، ضاع منه ، لم يصل اليه .

(٦) تذهيب : تفريق (في أصناف منظمة) . تهذيب : حذف الأشياء الزائدة ، اختصار .

(٧) الشرعة : الدين ، الشريعة .

(٨) المغازي : مناقب (فضائل) الغزاة (المجاهدين ، المحاربين في سبيل الله) . السيرة (بكسر السين) : حياة فرد من الناس . — المقصود : ألف الناس كتباً كثيرة في غزوات محمد رسول الله وفي تاريخ حياته .

(٩) الخبر (بكسر الخاء أو فتحها أو ضمها) : الاختبار (التقصي ، البحث عن الحقيقة) . الخبر (بفتح الخاء والباء) : النبأ ، السرد .



وقد أتيتُ في الترجمة النبويّة بما لا غنيّ عن عِرْفاته ، ولا يَسَعُ الفاضلَ غيرُ الاطّلاع على بديع معانيه وبَيانه . وسردتُ ذِكْرَ من جاء بعده من المُحَمَّدين[1] الى عصري وأبناء زماني الذين أينَعَ زَهْرُهم في رَوْض دَهْري . ثمّ أذكر الباقين من حرف الألِفِ الى الياء على توالي الحروف ، وأتَيْتُ في كلّ حرف بما جاء فيه من الآحاد والعشرات والمئينَ والألوف ، بشرطِ ألاّ أدَعَ كُمَيْتَ القلم يَمْرَحُ في مَيْدان طِرْسه إذا أجْرَرْتُهُ رَسَنَه[2] ، ولا أكونَ الاّ من الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحْسَنَهُ ، ولا أغدوَ إلاّ ممّن يُلْغي السيّئة ويَذْكُرُ الحَسَنة.....

وقد قَدّمت قبلَ ذلك مقدّمةً فيها فُصولٌ فوائدها مُهِمّة .... ثمّ انّي أعْقِدُ لكلّ اسْمٍ باباً ينقسم الى فصولٍ بعددِ حروفِ المعجم تتعلّقُ الحروفُ في الفصول بأوايل أسماء الآباء[3] لِيتَنَزّلَ كل واحدٍ في موضعه ..... وقد سَمّيته الوافيَ بالوَفَياتِ[4] ، .....

[أما فصول المقدّمة ففيها كلام على الأغراض التالية :

كيف كانت العرب تؤرّخ – أقدم التواريخ التي بأيدي الناس – تسجيل أيام الشهر – كيفيّة كتابة التاريخ – نِسْبة الرجل الى بلده وصناعته أو مذهبه أو عقيدته الخ وكيفية ذلك – في بيان العَلَم والكُنْية واللَقَب[5] وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة – في الهجاء (تهجئة الاسماء) – ترتيب المصنّفات (على السنين وعلى الحروف) – اشتقاق كلمة وفاة – فوائد التاريخ – ذكر شيء من أسماء كتب التواريخ المؤلّفة : تاريخ المشرق وبلاده ، تاريخ مصر ، تاريخ المَغْرب وبلاده ، تاريخ اليمن والحجاز ، التواريخ الجامعة ، تواريخ الخلفاء ، تواريخ الملوك ، تواريخ الوزراء والعُمّال ، تواريخ القُضاة ، تواريخ القرّاء[6] ، تواريخ العلماء ، تواريخ الشعراء ، تواريخ مختلفة] .

---

(١) المحمدون : الذين اسم كل واحد منهم « محمد » .

(٢) الكميت : الحصان الأحمر . الطرس : الورق . أجررته رسنه : تركته يجر رسنه . – المقصود : لم أترك نفسي على هواها تذكر صاحب كل اسم يخطر في بالي .

(٣) يقصد : يقسم أصحاب الاسم الواحد بحسب أسماء آبائهم = محمد بن أحمد يأتي في فصل قبل الفصل الذي يأتي فيه محمد بن بشير ، الخ .

(٤) الوافي : المبسوط ، المفصل ، الذي يحتوي أشياء كثيرة . الوفيات = جمع وفاة .

(٥) في « أبي الطيب أحمد المتنبي » ؛ أبو الطيب = كنية ، أحمد = علم (اسم) ، المتنبي = لقب .

(٦) الصفحة ٧٩١ ، الحاشية ٣ .

٤ – لوعة الشاكي ودمعة الباكي (دمعة الباكي ولوعة الشاكي)* ، مصر (طبع حجر)١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨١ هـ ؛ تونس ١٢٧٤ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ (؟) هـ ؛ تونس (مطبعة الفتوح الأدبية) ١٣٣١ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، الطبعة الثالثة ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣١٣ هـ؛ (بذيل المناقب الابراهيمية والمـآثر الخديوية . حمص ١٩١٠ م .

الغيث المسجّم (الغيث الذي انسجم) في شرح لاميّة العجم (للطغرائي) ، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٩٠ هـ ؛ مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٠٥ هـ ؛ ثم القاهرة بلا تاريخ ؛ (اللاميّتان – أعدّهما وعلّق عليهما عبد المعين الملوحي)دمشق (وزارة الثقافة وارشاد القومي : احياء التّراث القديم ، رقم ١٣) ، دمشق (مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي)١٩٦٦ م .

جنان الجناس في علم البديع ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩هـ .

تشنيف السمع بانسكاب الدمع (لذة السمع في وصف الدمع) ، مصر بلاتاريخ؛ القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

نكت الهميان في نكت العميان ، القاهرة بلا تاريخ ؛ (وقف على طبعه أحمد زكي) مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ؛ أعيد طبعه بالتصوير ، بغداد (؟) بعد ١٩٦٠ م .

مقدّمة الوافي بالوفيات ، باريس ١٩١٢ م .

الوافي بالوفيات **

تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، دمشق (مطبعة الولاية) ١٣٢٧ هـ ؛ بغداد (مطبعـة الولاية ؟)؟؛ (تحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٩ م .

قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الشراكسة ، بـولاق ١٢٨٧ هـ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٦ هـ .

أمراء دمشق في الاسلام (تحرير صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٩٥٥ م .

(*) ينسب هذا الكتاب الى نفر من المصنفين منهم الصفدي .

(**) الوافي بالوفيات (نشرته لجنة المستشرقين الألمانية : النشريات الإسلامية ، رقم ٦) : الجزء الأول (باعتناء ريتّر) استانبـول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ م ، الطبعة الثانية ، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ؛ الجزء الثاني(باعتناء ديدرينغ)، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٤٩ هـ؛ الجزء الثالث (باعتناء ديدرينغ) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٥٣ ؛ الجزء الرابع (باعتناء سفن ديدرينغ)، دمشق المطبعة الهاشمية ١٩٥٩ م ، الطبعة الثانية (باعتناء هلموت ريتّر – على صفحة الغلاف اليسرى بالألمانية : نشره سفن ديدرينغ)، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ الجزء الخامس (باعتناء س . ديدرينغ)، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م ؛ الجزء السابع (باعتناء احسان عباس) فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م؛ الجزء الثامن (باعتناء محمد يوسف نجم)، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .



تحفة ذوي الألباب في من حكم (في ذكر من تولّى أمر) دمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب (ارجوزة) ... ؛ ثمّ (بذيل أمراء دمشق في الاسلام) – راجع الكتاب السابق.
نصرة الثائر على المثل السائر، القاهرة.
التذكرة الصلاحية، القاهرة
توشيع التوشيح (تحقيق أَلبير حبيب مطلق) بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

** الأرب من غيث الأدب: شروح (للصفدي) على لاميّة الطغرائي ولامية الشنفري (اختصار من غيث الأدب الذي انسجم (بعناية عبده ينّي بابادوبولس)، بعبدا بلبنان (المطبعة العثمانية) ١٨٩٧ م.

طبقات السبكي ٦ : ٩٤ – ١٠٣ ؛ الدرر الكامنة ٢ : ١٧٦ – ١٧٧ (رقم ١٦٥٤) ؛ من ذيول العبر ٣٦٤ ؛ البدر الطالع ١ : ٢٤٣ – ٢٤٤ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٠٠ – ٢٠١ ؛ زيدان ٣ : ١٧٤ – ١٧٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٥٢ – ٥٤ ؛ نفح الطيب (بيروت) ٤ : ٣٩٤ – ٤٩٩ (نصوص) ؛ بروكلمان ٢ : ٣٩ – ٤١، الملحق ٢ : ٢٧ – ٢٩ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٦٤ – ٣٦٥.

ابن نباتة المصريّ

١ – هو جمالُ الدين[1] أبو بكرِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ بن نُباتةَ الفارقيُّ الحُذاقيّ المِصريُّ، وُلِدَ في القاهرة[2] في ربيعِ الأوّلِ سنة ٦٨٦ هـ (نَيْسان – ابريل ١٢٨٧ م).

دَرَسَ ابنُ نُباتةَ المصريُّ الحديثَ والفِقْهَ والأدب، وقد كان له اتّصالٌ في أثناءِ تَعَلّمه بتقيّ الدين بنِ دقيقِ العيدِ (ت ٧٠٢ هـ) وبهاء الدين بن النحّاس النحوي وعَلَم الدين قيس بن سُلطان الضرير.

بدأ ابنُ نُباته المِصْريُّ نظمَ الشعر باكراً، وافْتَتَحَ كُتّاباً ليتكسّب بالتعليم. ثم إنّه اتّصل بآل فَضْلِ الله، وهي أُسْرةٌ كان نَفَرٌ من أفرادها يَتَولَّوْنَ الكِتابةَ للأيّوبيّين في مِصْرَ والشام. غير أنه لم يَنَلْ عند الأيوبيين في مِصْرَ حَظْوةً،

---

(١) هو من نسل ابن نباتة السعدي (راجع، فوق، ص ٧٥)، وفي سرد نسبه شيء من الخلاف.
(٢) قال عمر موسى باشا (أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري ١٠٦): «وهم المستشرق بروكلمان في مكان ولادته فذكر أنه ولد بميافارقين، وهذا قول خاطىء لانه مصري الدار والمولد ...» والواقع أن بروكلمان يذكر (الملحق ٢ : ٤) أن جمال الدين بن نباتة هذا ولد في زقاق القناديل في مصر. أما الذي ولد في ميافارقين، عند بروكلمان (١ : ٩٢)، فهو عبد الرحيم بن محمد بن نباتة.



فذهب في سنة ٧١٦ هـ (١٣٠٦ م) إلى الشام واتّصل بالملك المؤيّد أبي الفداء صاحبِ حَماةَ فنال عنده حَظوةً فكان يَمْدَحُه ويؤلّف له الكُتُبَ فأقبلت عليه الدنيا ؛ وكان أكثرُ مُقامه في حماةَ عند أبي الفداء . ثم تُوفّي أبو الفداء (٧٣٢ هـ ١٣٣١ م) فخلفه ابنهُ الملكُ الأفضل ، ولم يكنْ ذا مَقْدِرة ، فزَهِدَ في الدُنيا ثم عُزِلَ في تلك السنة نفسها فزال بعزله مُلْكُ الأيّوبيين .

في هذه الأثناء كلّها اتّصل ابن نُباتةَ بنفر من الوجهاء ورجال الدولة بمدحهم ، من هؤلاء الوزيرُ أمينُ الدولة عبدُ الله الأميني ؛ واصْطَحَبه الوزيرُ الأميني الى القدس ، سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ – ١٣٣٥ م) ثم جَعَلَه ناظراً على كَنيسةِ القيامة[1] . ورجع ابن نُباتةَ المِصريّ الى دِمَشْقَ وكان في كلّ عام يَزورُ القُدْسَ ليجمع « مُتَحَصَّلَ كَنيسهِ القيامة » من الزوّار .

ثم قُتِلَ الوزيرُ الأمينيُّ (٧٤١ هـ) . وفي أوائل سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) دخل ابن نُباتةَ ديوان التوقيع على يد القاضي شهاب الدين بن فضل الله العُمَريّ. ويبدو أنه عزل من هذا الديوان سنة ٧٤٥ هـ ثم عاد إليه سنة ٧٤٨ هـ . في هذه الأثناء اتّصل بآلِ السُبْكي في دمشق ومدح نَفَراً منهم ، من هؤلاء تقيُّ الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م) وابنُه تاجُ الدين (ت ٧٧١ هـ).

وفي سنة ٧٦١ هـ عاد ابن نباته المِصْري الى القاهرة بعد أن كان قد غاب عنها خمسينَ سنةً أو تزيد ، فأكرمه السلطانُ الناصرُ حَسَنٌ إكراماً كثيراً فأكثَرَ ابنُ نُباتةَ من مدحه ، وألّف له مَجْموعةَ خُطَبٍ مِنْبرية (بعدد أسابيعِ السَنة الهجرية) ليُلْقيَها الخطباءُ في المساجد التي تُقام في صَلاة الجُمُعَة (وقد ذَكَرَ ابنُ نُباتةَ الناصرَ حَسَناً في مكان الدُعاء من هذه الخُطَبِ ذِكْراً جَميلاً) . ولكنّ هذه الحالَ الحسنة لم تَدُمْ على ابن نُباتةَ فقد قُتِلَ الناصرُ حَسَنٌ سنة ٧٦٢ هـ ثم اضطربَتْ حياةُ ابنِ نُباتةَ حتّى كانت وفاتُه في اوائل صَفَرَ من سَنة ٧٦٨ هـ (خريف ١٣٦٦ م) .

٢ – ابنُ نُباتةَ المِصريُّ شاعرٌ وراجزٌ وَوشّاحٌ ثم هو ناثرٌ باحثٌ ومُتَرَسِّل . يمتازُ ابنُ نُباتةَ المِصريُّ في شِعرِه بالرقّةِ وحُسْنِ التَوْرِيَةِ وبالاقتباسِ من

---

(١) كان أتباع الفرق النصرانية يختلفون في النظارة والاشراف على كنيسة القيامة في القدس والتي يقولون أن فيها قبر المسيح . من أجل ذلك جعلت النظارة عليها منذ أمد طويل جداً لنفر من المسلمين .



القُرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريف ثم بالاتّكاء على مُصْطَلحات أصحابِ النحوِ والعَروضِ والفِقْهِ والتّصوّف والفلسفة مَعَ نظرٍ الى مُصْطَلَحاتِ الشيعةِ . وهو في ذلك يُكْثِرُ من الصناعةِ حتّى يُصْبِحَ جانبٌ مِنْ شعره رَمْزاً[1] . ولابنُ نُباتةَ المِصريّ قصائدُ طِوالٌ ومُقطّعاتٌ تطول وتَقْصُرُ في المديح والرثاء والخمر والنسيب والغزل ووصف الطبيعة . وجانب من مديحه بَديعيّات (مدائح نبويّة) .

أما نثرُه فَفصيحٌ يَسْلُكُ فيه مَنْهَجَ القاضي الفاضلِ في تَكَلّفِ الصِناعة .

ومُصنّفات ابنُ نباتةَ المِصْري كثيرة ، منهــا : القَطْر النُباتي (مقطّعــات شعرية رقيقة) — المؤيّدات (مدائحُ في الملك المؤيّد أبي الفداء) — سوق الرقيق (غزل) — السبعة السيّارة (مقطّعات سُباعية ، من سبعة أبيات ، في أغراض مختلفة) . وله أيضاً : اختيارات من شعر ابن قلاقِس — اختيارات من شعر ابن الحجّاج — كتاب خبز الشعير (في السَرِقات الشعرية من شعره هو ومن غير شعره) . أما في النثر فله مجمع الفرائد — سَجْع المطوّق — سَرْح العيون في شرح رسالة ابن زيدون — زهر المنثور (في التَرسّل) — رسالة المفاخرة بين السيف والقلم — رسالة المفاخرة بين الورد والنَرْجِس — حظيرة الأُنس في حضرة القُدس (وصف رحلته الى بيت المقدس) — ديوان خطب مِنْبرية .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ نُباتةَ المصريُّ من بديعية له[2] :

لو كنتُ أرتاعُ من عَذْلٍ لَرَوّعَني	سَيْفُ المَشيبِ برأسي وهْوَ مسلول .
أما ترى الشيبَ قد دَلّت كواكبُه	على الطريقِ لو أنّ الصَبّ مَدْلول[3] .
والسِنّ قد قَرّعَتْها الأربعونَ ، وفي	ضمائرِ النفس تَسْويف وتَسويل[4] .

(١) الرمز هو تعبير مجانب يقوم على الإيغال في الاستعارات خاصة وفي التوريات والكنايات ، كما نجد في الأدب الصوفي مثلا (راجع ترجمة عمر بن الفارض ، ٥٢٠) .

(٢) البديعية : قصيدة في مديح الرسول . ونجد في الابيات التالية معارضة (تقليد) لقصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول (راجع ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥) .

(٣) ... على طريق الموت . ولكن الصب (المحب) لا يقبل هذه الدلالة .

(٤) ... النفس تميل الى أن تسوف (تؤجل ، تؤخر) التوبة ، ثم تسول لصاحبها (تزين له ، تغشه) أن الموت بعيد .

ثم يذكر المِعْراج[1] فيقول :

وحاز سَهْمَ المَعالي حين كـان له — من قاب قَوْسَيْنِ تنويـه وتنويل[2] .

على البُراق ، لِوَجْهِ البَرْقِ منخَجَلٍ ، — ورجل مسعاه ، تلوين وتشكيل[3]

لسِدْرَةِ المُنتهى – يا مُنتهى طلبي – — ما مِثْلُهُ ، يا ختامَ الرُسْلِ ، تَحْويل[4] .

– وله في مدح الملك المؤيّد أبي الفداء :

لولا مَعاني السِحْرِ من لَحَظاتِهـا — ما طالَ تـرْدادي على أبْياتها[5] ،

ولَما وَقَفْتُ على الديـار مُنادِياً — قلبي المُتَيَّمَ من ورا حُجُراتها

دارٌ عرَفْتُ الوَجْدَ مُنْذُ أتيتُها — زَمَنَ الوِصالِ ؛ فلَيْتَني لم آتِهـا !

ما لي وما لِلَّهْوِ بعدَ مَفـارِقٍ — قد نُفِّرَتْ غِرْبانُها بِبُزاتِهـا[6] ؛

والشيبُ في فَوْدي يَخُطّ أهِلَّـةً — معنى المَنونِ يلوحُ في نوناتِهـا[7] .

سَقْياً لرَوْضاتِ الجِنانِ وإنْ جَنَتْ — هذى الشجونَ على قُلوب جُناتِها[8] ؛

ولِدَوْلة المَلِكِ المُؤيَّـدِ إنهـا — جَمَعَتْ فُنونَ المَدح بعد شَتاتِها[9] .

---

(١) الاسراء هو انتقال رسول الله (في السنة الاولى قبل الهجرة) من مكة الى بيت المقدس ؛ والمعراج متابعة ذلك الانتقال الى السماء .

(٢) – بلغ محمد رسول الله أسمى الدرجات العلى لما وصل في (المعراج) الى قاب قوسين (مسافة قريبة جداً هي مقدار ما بين طرفي القوس) من عرش الرحمن ، وكان في ذلك تنويه (ذكر حميد ، فخر ، ثناء) لمحمد كما كان تنويلا (تلبية لرغبة له ولكل انسان) .

(٣) البراق دابة قيل فيها إنها أصغر من الفرس تضع حافرها عند منتهى بصرها (كانت تحت الرسول في المعراج) . الاستعارة في البيت غير واضحة لي ، والملموح فيها أن البرق الذي توصف حركته بالسرعة العظيمة بات على وجهه ألوان وأشكال من الخجل لما شاهد سرعة أرجل البراق .

(٤) سدرة المنتهى : شجرة نابتة عند أصل العرش . تحويل : اتجاه . – لا يوجد اتجاه محبب الى النفس أكثر من الاتجاه نحو سدرة المنتهى . ختام الرسل = خاتم الرسل (محمد رسول الله) الذي لا رسول بعده .

(٥) الترداد : توالي الزيارة .

(٦) المفارق جمع مفرق : مكان افتراق الشعر في الرأس (في أحد الجانبين أو في الوسط) . قد نفرت غربانها السود (كناية عن الشعر الأسود) خوفاً من بزاتها (جمع باز : الصقر : طائر كاسر يصيد الطيور) كناية عن المشيب.

(٧) الفود : الشعر النابت في أحد جوانب الرأس . الاهلة جمع هلال (خط منحن) كناية عن تزاحم الشيب في مواضع مختلفة من الرأس . المنون : الموت . النونات جمع نون (ن المشبهة لشكل الهلال) .

(٨) – ما أجمل تلك الرياض (التي كانت كالجنان ، جمع جنة) وان كان الذي تمتعوا بها (جنوا ، بفتح النون : قطفوا أزهارها) قد سببوا هذه الشجون (الاحزان والآلام) لقلوبهم (بالحب) .

(٩) الشتات : التفرق .

مَلِكٌ ليُمناهُ عَوائدُ أنعُمٍ ... ألِفَتْ حِياضُ الجُودِ فَيْضَ صِلاتها[1].
لم يَكْفِ أن جلّى الخُطوبَ عن الوَرى ... حتّى جَلا بعلومِهِ ظُلُماتها[2]!

— ولابن نُباتَةَ المصري في مسألةُ الدَّوْرِ المشهورةُ (وهي أن السببَ تُنْتِجُ منه نَتيجةٌ هي بدَوْرها سَبَبٌ للسبب الاول) قوله:

مَسألةُ الدَّوْرِ غَدَتَ بَيْني وبَيْنَ مَنْ أُحِبّ:
لولا مَشيبي ما جَفَتْ؛ لولا جَفاها لم أشِبّ[3]!

— وله من التَوْريات البارعة (في النسيب):

ومُولَعٍ بفِخاخٍ ... يَمُدّها وشِباكِ.
قالتْ لي العينُ: ماذا ... يَصيد؟ قلت: كَراكِ[4]!

— وقال يرثي وَلَداً له ماتَ صغيراً:

اللهُ جارُكَ، إنّ دَمعي جارٍ؛ ... يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ[5].
لمّا سَكَنْتَ من التُرابِ حَديقةً ... فاضتْ عليك العينُ بالأمطار.
شتّانَ ما حالي وحالُك: أنتَ في ... غُرَفِ الجِنانِ، ومُهْجتي في النار.
ما كُنتَ إلاّ مِثلَ لَمْحَةِ بارقٍ ... ولّى وأغْرى العينَ بالإمطار.
قالوا: صغيرٌ! قلتُ: إنّ *! وربّما ... كانتْ به الحَسَراتُ غيرَ صِغار.

— من رسالة المفاخرة بين السيف والقلم:

قال القلم[6]:

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم — «ن والقَلَمِ وما يَسْطُرون، ما أنتَ بنِعْمةِ

---

(١) عوائد أنعم: النعم (الاعطيات) التي تعود مرة بعد مرة. — ألف الناس أن يروا (بفتح الراء) صلاته (عطاياه) تملأ حياض الجود (الكرم): تكفي الناس كلهم ثم تفضل عن حاجاتهم.

(٢) جلى (كشف) الخطوب (المصائب والشدائد) عن الورى (جميع الناس — بكرمه) وجلا (كشف) بعلمه الظلمات (الجهل).

(٣) جفا: ابتعد عن. * قلت: إن! (فيها اكتفاء): إنه صغير.

(٤) كراك: نومك؛ كراك = الكراكي: نوع من الطيور.

(٥) دمعي جاري: مجاور لي؛ سائل، كثير الفيض. موحش الاوطان والاوطار: الوطن المألوف مع فقدك موحش. واللذات المألوفة بعد فقدك غريبة على النفس.

(٦) يضمن ابن نباتة في هذه القطعة عدداً من آيات القرآن الكريم هي على التوالي: من سورة ن (رقم ٦٨)، من سورة العلق (٩٦ : ٤)، من سورة حم السجدة (فصلت ٤١ : ٤٢)، من سورة الحديد (٥٧ : ٢٥)، من سورة الصف (٦١ : ٤).

ربّكَ بِمَجْنون »[1] — ثم الحمد لله « الذي علّمَ بالقَلَم ِ » وشرّفه بالقَسَم ....
أما بعدُ ، فان القلم مَنارُ الدين والدُنيا ، وقَصَبَةُ سِباقِ ذوي الدَرَجةِ العُليا ، ومِفْتاحُ بابِ اليُمْن المُجَرَّب إذا أعْيا[2] ؟.... بهِ رَقَمَ اللهُ الكتابَ الذي « لا يأتيه الباطلُ » وسُنّةَ نَبيّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم التي تُهَذِّب الخواطِرَ الحَواطِل .
فبَيْنَهُ وبينَ من يُفاخِره الكتابُ والسُنّة[3] ، وحَسْبُه ما جَرَى على يدِه الشريفةِ من مِنّة .....

فعِنْدَ ذلك نهض السيفُ عَجِلاً ، وتلمّظَ لِسانُه للقول مُرْتجلاً ، وقال :
بسم الله الرحمن الرحيم — « وأنْزَلْنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومَنافِـعُ للناسِ ، ولِيَعْلَمَ اللهُ من يَنْصُرُهُ ورُسُلَه بالغَيْبِ ؛ إنّ اللهَ قويٌّ عزيز » . الحمدُ للهِ الذي جعَلَ الجَنّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوف ، وشَرَعَ حَدّها بيد (أهل الطاعة على أهـل) العِصْيان فأغَصّتْهُمْ بمـاء الحُتوف ، وشَيّد بها مَراتِبَ « الذين يُقاتلون في سَبيلهِ صفّاً كأنهم بُنْيانٌ مرصوصٌ » وعَقْدٌ مرصوف ..... أما بعدُ ، فإنّ السيفَ زَنْدٌ لحقّ القَويّ وزَنْدِه الوَرِيّ[4] ؛ بهِ أظْهَرَ اللهُ الإسلامَ .....

٤ — ديوان ابن نباتة المصري * ، الاسكندرية بلا تاريخ ؛ مصر (المطبعة الوطنية) ١٢٨٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الكاستلية) ١٢٨٩هـ؛ (نشرته المكتبة الحميدية لصاحبها الشيخ أحمد عمر المحمصاني) ، بيروت (المطبعة الحميدية) ١٣٠٤ هـ ؛ (ملتزم طبعه الشيخ محمّد القلقيلي) ، مصر (مطبعة التمدّن) ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م .

---

(١) يسطرون : يكتبون . المفتاح المجرب لليمن (البركة) اذا أعيا (استعصى اليمن على الانسان) .
(٢) به (بالقلم) رقم الله (أثبت ، كتب على المجاز) الكتاب (القرآن الكريم في اللوح المحفوظ فيالسماء) الخواطل : (النفوس) الزائغة عن طريق الصواب . فبينه وبين من يفاخر الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) « حكم » (جاء في القرآن والحديث في حق القلم أقوال تحكم له : لفضله). المنة : النعمة .
(٣) الجنة تحت ظلال السيوف (حديث : الجهاد في سبيل الله يؤهل المجاهد للدخول الى الجنة)؟. شرع حدها : شهر السيوف . الحتوف : المهالك . العقد (بفتح العين) : بنـاء مؤلف من حجارة كبيرة مرصوف بعضها فوق بعض . العقد (بكسر العين) : القلادة التي توضع في العنق .
(٤) زند الحق : يمين الحق (الزند : مقدم الساعد — الذي يصل الكف بباقي اليد) . زنده الوري : قوته الفاعلة ، المؤثرة (الزند حديدة تقدح بها النارمن الحجر . الوري = الذي يوري ، أي يقدح النار بسهولة وبلا ابطاء .
(*) لديوان ابن نباتة المصري مخطوطات لجامعين مختلفين وبأحجام مختلفة . من هذه ديوان صغير فيه قصائد معظمها مدائح في الملك المؤيد (أبي الفداء) صاحب حماة ، لذلك يلفى بعنوان « المؤيدات » . ويبدو أن جميع هذه الطبعات لهذا الديوان الصغير . وفي معجم المطبوعات العربية لسركيس (ص ٢٦٣) ذكر لطبعات للديوانين .



سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون * ، استانبول ١٢٧٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ ، ١٢٩٠ هـ ؛ (بهامش الغيث المسجم للصفدي) ، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٥ هـ ؛ القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ ؛ (تحرير أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م .

المفاخرة بين السيف والقلم ، بيروت ١٣١٢ هـ ؛ (مع «مناظرات في الأدب») ، القاهرة ١٩٣٤ م .

** ابن نباتة الشاعر المصري ، تأليف اسماعيل حسين ، القاهرة (مطبعة الآداب والفنون) ١٩٤٠ م .

أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، تأليف عمر موسى باشا، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ بيروت (دار الفكر الحديث) ١٩٦٧ م .

الوافي بالوفيات ١ : ٣١١ — ٣٣٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٤٧ (رقم ٤٤٦٥) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٥٣ — ٢٥٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١١ — ١٢ ، الملحق ٢ : ٤ — ٥ ؛ زيدان ٣ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٠٠ — ٩٠١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦٨ .

اليافعيّ

١ — هو عفيفُ الدين أبو السعادات أبو عبدُ الرحمن (أبو محمّد) عبدُ الله بنُ أسعدَ بنِ سُليمانَ بن فلاحِ اليافعيُّ اليمني، وُلِدَ في عَدَنَ نحو سَنَةِ ٦٩٨ هـ. (١٢٩٨ م) وفيها نشأ وبدأ تَعَلُّمَه على عبد الله بن محمّد الذُهيني المعروفِ بالبصّال وعلى قاضي عَدَنَ ومُفتيها شرفِ الدين أحمدَ بنِ عليٍّ الحزاريّ .

حجّ اليافعيُّ، أوّلَ ما حجّ، سَنَةَ ٧١٢ هـ ثمّ وَالَى الحجَّ بعدَ ذلك زماناً طويلاً ؛ وصَحِبَ الشيخَ عَلِيّاً الطواشيَّ وأخذَ عنه السلوكَ في طريقِ التصوّف . ومَعَ أنّه تطوّفَ في البلادِ وأخذَ العلم عن شُيوخِها ، فانّه جاورَ في مَكّةَ منذُ سَنَةِ ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وأكثَرَ من التردّدِ بينَ مكّةَ والمدينةِ .

وكانت وفاةُ اليافعيّ في مكّةَ في العشرين من جُمادى الثانية من سَنَةِ ٧٦٨ هـ (٢٢/٢/١٣٦٧ م) .

(*) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) بحتري المغرب ، ناثر بارع وشاعر مجيد ، اشتهر بحبه ولادة بنت الخليفة المستكفي (الاندلسي) . وكان أبو عامر بن عبدوس الوزير يزاحم ابن زيدون في حب ولادة ، فكتب ابن زيدون الى ابن عبدوس رسالة هزلية يتهكم به فيها .



٢ ـ كان اليافعيُّ فقيهاً زاهداً يَغْلِبُ عليه التصوّفُ في آرائه وسُلوكه شديد التعظيم لابنِ عربيٍّ ، وقد نُقِلَ عنه شَطْحٌ في نَظْمه وكلامه . من ذلك قوله :

ويا ليلةً فيها السعادةُ والمُنى ؛ لقد صَغُرَتْ في جَنْبِها ليلةُ القَدْرِ !

واليافعيُّ مؤلّفٌ مُكْثِرٌ له : مختصر الدُرّ النَظيم في فضائلِ القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم ـ شمس الإيمان وتوحيد الرحمن وعقائد الحقّ والإيقان (منظومة صوفيه) ـ مَرْهَمُ العِلَل المُعضلة في الردّ على أئمّة المعتزلة ـ نشر المحاسن الغالية في فضائل المشايخ أُولي المقامات العالية ـ نور اليقين واشارات أهل التمكين ـ الرسالة المكّية في طريق السادة الصوفية ـ روض الرياحين في حكايات (أو مناقب) الصالحين (وله عناوين أخرى: روضات الرياحين ، نزهة العيون..... الخ) ـ العقيدة ـ مرآة الجِنان وعِبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وتقلّب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشهورين الأعيان (حتّى ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م) ـ ثمّ له أقوال وأشعارٌ وقِصَصٌ في التصوّف ، وله غير ذلك .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » :

.... هذا كتابٌ لَخَّصتُه واختَصَرْتُه مِمّا ذَكَرَهُ أهلُ التواريخ والسِيَرِ أُولي الحِفظ والإتقان في التعريف بِوَفَياتِ بعضِ المشهورينَ المذكورين الأعيانِ وغَزَوَاتِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ وشيءٍ من شمائله ومُعْجِزاته ومناقبِ أصحابه وأموره وأمورِ الخُلفاء والملوكِ وحُدوثِها في أيِّ الأزمانِ عَلى وجهِ التقريبِ لمعرفة المُهِمّ مِن ذلك دونَ الاستيعابِ واستقصاء[١] ذِكْرِ الأوصافِ لأَسْتَغْنِيَ بهِ في معرفةِ ما تضمّنه عَنِ الحاجةِ إلى استعارةِ التواريخ للمُطالعةِ في بعضِ الأحيان[٢] ، مُعْتَمِداً في الشمائل والمناقبِ على ما أفصَحَ به كتاب الشمائل للترْمذي وجامعُه والصحيحانِ[٣] ، وفي التواريخِ على ما قَطَعَ بهِ الذَهبيُّ أو أوّله

(١) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين): الطبع والخلق والصفة (المحمودة) . المناقب جمع منقبة : (بفتح الميم والقاف) : المفخرة (بفتح الميم والخاء) . الاستيعاب : تضمين الأشياء كلها . الاستقصاء : البحث عن التفاصيل .

(٢) يقصد أنه وضع هذا الكتاب ليستخدمه هو ثم يستغني مرة واحدة عن الرجوع الى غيره .

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩-٢٧٩ هـ) من أهل ترمذ (بلده على نهر جيحون في التركستان) =



وصحّح[1] ، ومُودِعه أشياء مِنَ الغرائب والنوادر والظرف[2] والمُلَح ، مُلْتَقِطاً ذلك من نفائس جواهر نوادر الفضلاء ؛ ومُعْظَمُها من تاريخ الإمام ابن خَلِّكان وشيئاً من تاريخ أبي سمرة[3] في قدماء علماء اليمن أولي الفقْه والحكمة والبيان ، مُختصراً في جميع ذلك على الاختصار بينَ التفريط المُخِلّ والإفراط المُمِل[4] ، مُحافظاً على لَفْظِ المذكورين في غالب الأوقاتِ حاذفاً للتطويل وما يَكْرَهُ المُتَدَيّنُ ذِكْرَهُ من الخلاعات على حَسْبِ ما أشرتُ إليه في هذه الأبيات :

أيا طالباً علمَ التواريخِ لم تُشَنْ ... بإخلالِ تَفْريطٍ وإملالِ إفراط[5] ....

وسمّيْته «مِرآة الجَنـان وعِبْرَةَ اليَقْظان في مَعرِفة حوادث الزمان وتقليب[6] أحوالِ الانسان وتاريخ موتِ بعضِ المشهورين من الأعيان» مُرَتّباً على سِنِي الهِجْرة النبَوِيّة .....

٤ — مرآة الجنان ، حيدر اباد (دائرة المعارف النظامية) ١٣٣٧ — ١٣٢٩ هـ .

روض الرياحين ، بولاق ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ — ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة والمكتبة السعيدية) بلا تاريخ ؛ القاهرة (مكتبة الجمهورية المصرية) بلا تاريخ .

الدرّ النظيم في خواصّ القرآن العظيم ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة ١٣١٥ هـ .

نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية (بهامش جامع كرامات الاولياء ليوسف بن اسماعيل النبهاني) ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٢٣ ، ١٣٢٩ هـ .

مرهم العلل المعضلة في دفع الشبه والردّ على المعتزلة بالبراهين والأدلة المفصّلة ، مختوماً بعقيدة

= تلميذ البخاري، وهو من حفاظ الحديث، له الشمائل النبوية (في التاريخ) — الجامع الكبير (في الحديث). الصحيحان : كتابان في الحديث ، هما الجامع الصحيح أو صحيح البخاري (لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري نسبة الى مدينة بخارى في التركستان (توفي ٢٥٦ هـ) ثم صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٠٤ — ٢٦١ هـ) .

(١) الذهبي (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩) . أوله (تأوله) : بحث عن وجه الصحة فيه . وصحح (كذا في الأصل) ، اقرأ : صححه . ومودعه (وأنا مودعه ، مودع فيه ، مضمنه) .

(٢) الظرف (كذا في الأصل)، اقرأ الطرف (بضم الطاء وفتح الراء) جمع طرفة (بضم الطاء) : الشيء النفيس النادر .

(٣) ابن خلكان (انظر ، فوق ، ص ٦٤٧) . أبو سمرة (؟) .

(٤) مختصراً (كذا في الأصل) ، اقرأ : مقتصراً : مقيداً نطاق البحث . التفريط المخل . التضييع مما يجب ذكره . الافراط الممل : التوسع (فوق ما تدعو الحاجة) حتى يسأم القارىء من القراءة .

(٥) شان ، يشين : عاب ، ذم .

(٦) تقليب (كذا في الاصل) ، اقرأ : تقلب .



أهل السنّة المفضّلة وذكر مذاهب الفرق الاثنين (الاثنتين) والسبعين المخالفين للسنّة المبتدعين (بعناية دانبسون روّس)، كلكتّا ١٩١٠ – ١٩١١ م.

الارشاد والتطريز (نشره محمّد بن جليل تيرورانغادي) ... ؟ ١٩٠٩ م.

شمس الايمان (نشره روّس)، كلكتّا ١٩٠٧ – ١٩١٠ م؛ جاوى ١٣١٨ هـ.

** شرح عقيدة اليافعي لمحمّد بن عمر بن بحرق (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٢٩٦ هـ (؟ بروكلمان ٢ : ٢٢٨، رقم ١٨).

مختصر من كتاب روض الصالحين (لليافعي) لنصر الهوريني (ت ١٢٩١ هـ)، القاهرة (المطبعة الكاستلية) ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ؛ (بهامش عرائس المجالس لاحمد بن محمد الثعلبي المتوفى ٤٢٠ هـ)، القاهرة ١٢٩٨ [1]، ١٣١٣، ١٣٢١ هـ [2].

الدرر الكامنة ٢ : ٣٥٢ – ٣٥٤ (رقم ٢١٢٠)؛ البدر الطالع ١ : ٣٨٧؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٠؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١٤٤ – ١٤٥؛ زيدان ٣ : ٢٦٧ – ٢٦٨؛ بروكلمان ٢ : ٢٢٦ – ٢٢٨، الملحق ٢ : ٢٢٧ – ٢٢٨؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٩٨.

ابن عقيـــل

١ – هو بهاءُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عقيلٍ، أصلُه من بالِسَ على نهر الفرات من شماليّ الشام، وُلِدَ في تاسع المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٩٨ هـ (بغية الوعاة، ص ٢٨٤) – ٧ / ١٠ / ١٢٩٨ م –.

جاءَ ابنُ عقيلٍ إلى القاهرة مُمْلِقاً (فقيراً) فاكتشفَ أبو حيّانَ الغَرْناطيُّ مواهبَهُ. أخذَ ابنُ عقيلٍ النحوَ من أبي حيّان (ت ٧٤٥ هـ) اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ولازم علاءَ الدين عليَّ بن إسماعيلَ القُونويَّ (٦٦٨ – ٧٢٩ هـ) وأخذَ عنه التفسيرَ والأُصول والفِقْه والنحو والمعاني والعَروض وبه تَخَرَّجَ (استوفى مُعْظَمَ علومه)، ولازمَ أيضاً جلالَ الدينِ محمّدَ بنَ عبدِ الرحمن القَزْوينيَّ (٦٦٦ – ٧٣٩ هـ). وقد تَصدَّرَ لتدريسِ فنونٍ مُخْتَلِفَةٍ من العلم في زاويةِ الشافعي وجامعِ ابنِ طولونَ وغيرِهما.

وتولّى ابنُ عقيلٍ القضاءَ وعُزِلَ منه ثمّ أُعيدَ اليه ثمّ عُزِل في حديث طويل.

(١) راجع طبعات «كتاب عرائس» للثعلبي في معجم المطبوعات لسركيس (ص ٦٤٤).

(٢) في بروكلمان (الملحق ٢ : ٢٢٧، السطر السابع والعشرون؛ راجع ٧٢٦): مختصر من روض الرياحين طبع في القاهرة ١٢٨١، ١٣١٥، ١٣٢٢، ثم بهامش كتاب الثعلبي (عرائس المجالس ؟) في القاهرة ١٣١٤هـ.



وكانتْ وفاتُه في ٢٣ من ربيعِ الأوّلِ من سَنَة ٧٦٩ هـ (١٨/ ١١/ ١٣٦٧ م) في القاهــرة .

٢ ـ كان ابنُ عقيلٍ إماماً في العربية (النحو) والبيان (البلاغة) ، وكان له في أصولِ الفِقْه وفروعه مشاركةٌ حسنة . ولابن عقيلٍ تصانيفُ منها : التفسير (الى آخرِ السورة الثالثة = سورة آل عِمرانَ) ـ مختصر الشرح الكبير ـ الجامع النفيس في الفِقه ـ المساعد في شرح التسهيل ـ شَرْحُ ألْفيّةِ ابنِ مالكٍ (وبه اشتهر) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من شرح ابنِ عقيلٍ على ألفيّة ابن مالك :

قال ابن مالك في « الكلام وما يتألّف منه » :

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاسْتَقِمْ واسْمٌ وفِعْلٌ ثمّ حرفٌ . والكَلِمْ
واحِدُهُ كَلِمَةٌ ، والقَولُ عَمّ ؛ وكِلْمةٌ بها كلامٌ قد يُؤَمّ .

وشرح ابنُ عقيلٍ هذين البيتينِ فقال :

الكلامُ المُصْطَلَحُ عليه عندَ النُحاةِ عِبارةٌ عن اللفظِ المُفيد[1] فائدةً يحسُنُ السكوتُ عليها . فاللفظُ جِنْسٌ يَشْمَلُ الكلامَ والكَلِمَةَ والكَلِمَ ؛ ويشملُ المُهْمَلَ كديز[2] والمُستعملَ كعَمْرو[3] . ومفيدٌ أخرَجَ المُهْمَلَ . وفائدةٌ يحسُنُ السكوتُ عليها أخرَجَ الكَلِمةَ وبعضَ الكَلِمِ ـ وهو ما يتركّبُ من ثلاثِ كَلِماتٍ فأكثرَ ولم يحسُنِ السكوتُ عليه ـ نحو : إن قامَ زيدٌ .

ولا يتركّبُ الكلامُ إلاّ مِنِ اسْمَيْنِ نحوَ زيدٌ قائم ، أو من فعلٍ واسْمٍ كقام زيدٌ وكقولِ المؤلّف[4] : اسْتَقِمْ ! فإنّه كلامٌ مركّبٌ من فِعلٍ أمرٍ وفاعلٍ مُسْتَتِرٍ ، والتقديرُ : اسْتَقِمْ أنتَ ! فاسْتَغْنَى بالمِثالِ عن أنْ يقولَ : فائدةٌ

---

(١) اللفظ (الكلام) المفيد : مجموع من الألفاظ يؤدي معنىً تاماً ، نحو : اذا أنت أكرمت الكريم ملكته ؛ واللفظ غير المفيد ، نحو : اذا أنت ... ، اذا أنت أكرمت ... ، اذا أنت أكرمت الكريم ...

(٢) مثل : ديز (وهي لفظة مهملة ، تتألف من ثلاثة أحرف من حروف الهجاء العربية ولكن لا معنى لها ، ولذلك أهملها العرب فلم يستعملوها في كلامهم) .

(٣) عمرو لفظة تدل على معنى (على انسان معين) فهي مستعملة (ترد في كلام العرب) .

(٤) المؤلف ، المصنف : ابن مالك ناظم الألفية .

يحسُنُ السكوتُ عليها ، فكأنّه قال : الكلامُ هو اللفظُ المُفيد فائدةً كفـائدةِ « استَقِمْ » .

وإنّما قالَ المصنّفُ[1] «كلامُنا» ليُعْلَمَ أنّ التعريف إنّما هو للكلامِ في اصْطلاحِ النّحْويّين ؛ لا في اصطلاحِ اللُغَويّين ، وهو في اللغة اسمٌ لكلّ ما يُتَكَلَّمُ به ، مفيداً كانَ أو غيرَ مفيدٍ .....

٤ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بولاق ١٢٥١ ، ١٢٥٣ هـ ؛ (مع ألفية ابن مالك) ، بولاق ١٢٦٤ ـ ١٢٦٥ هـ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٠ هـ ؛ (باعتناء ديترِيشي) ، ليبسك ١٨٥١ م ؛ ثمّ برلين ١٨٥٢ م ؛ (وقف على طبعه عيد سالم السلطي) ، بيروت (المطبعة العمومية) بلا تاريخ ، ثمّ (مطبعة الاتّحاد) ١٨٧٢ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٩ م ؛ (بعناية خليل وابراهيم وأمين سركيس) ، بيروت ١٨٩٢ م ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ مصر ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٥ هـ ؛ (بهامش حاشية محمّد الخضري[2] على ألفية ابن مالك) ، بولاق ١٢٩١ ، ١٣٠٢ هـ[3] ؛ الطبعة السادسة ، القاهرة (البابي) ١٩٢٦ م ؛ (مع «منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيـل» تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية) : الطبعة السادسة ١٣٧٠هـ = ١٩٥١ م ، الطبعة العاشرة ١٩٥٨ م ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م .

* فتح الجليل على حاشية ابن عقيل على ألفية ابن مالك = حاشية السجاعي[4] .... ، بولاق ١٢٧٠ ، ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ هـ ؛ حاشية محمّد الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بولاق ١٢٩١ ، ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (المطبعة الكاستلية[5]) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٢٦ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٢٦ م .

منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية) : الطبعة السادسة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ ، الطبعة العاشرة ١٩٥٨ م ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م .

---

(١) ابن هشام . (٢) محمد الدمياطي الخضري (١٢١٣ ـ ١٢٨٧ هـ) .

(٣) في معجم المطبوعات العربية لسركيس (ص ٨٨٦) : حاشية الخضري... وبهامشها شرح (ابن عقيل) ، بولاق ١٢٩١ و ١٣٠٢ ، الكاستلية ١٢٨٢ ، مطبعة محمد مصطفى ١٣٠١ ، الميمنية ١٣٠٥ و ١٣١٢ ، الأزهرية ١٣٢٦ . ولعل « شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك » بهوامش جميع هذه الطبعات .

(٤) السجاعي (بضم السين) أحمد بن أحمد (ت ١١٩٧ هـ) .

(٥) هي مطبعة كاستلي (يبدو أنه رجل ايطالي) .

الدرر الكامنة ٢ : ٣٧٢ – ٣٧٤ (رقم ٢١٥٧) ؛ البدر الطالع ١ : ٣٨٦ – ٣٨٧ ؛ بغية الوعاة ٢٨٤ – ٢٨٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٤ – ٢١٥ ؛ زيدان ٣ : ١٥٠ (السطر الخامس من اسفل) ثمّ .... ؛ بروكلمان ٢ : ١٠٨ ، الملحق ٢ : ١٠٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٨ – ٦٩٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٣١ .

الفيّومـــيّ

١ – هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ الفيّوميُّ الحَمَوِيُّ المُقرئُ ، وُلِدَ في الفَيّومِ (مِصْرَ) وفيها نشأ . وقد دَرَسَ على أبي حيّانَ الغَرْناطيّ .

ثمّ إنّ الفَيّوميَّ رَحَلَ إلى حَماةَ وقَطَنَها . ولمّا بنى أبو الفِدا الملكُ المؤيّدُ (٧١٠ – ٧٣٢ هـ) جامع الدَهْشة عيّنَ الفيّوميَّ فيه خطيباً .

وكانتْ وفاةُ الفيّومي سنَةَ ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ – كان الفيّوميُّ فاضلاً عارفاً باللُّغة والنحْوِ ومُقْرِئاً . له من الكتب : غريبُ شرح الوجيز (راجع النصّ) – نثرُ الجُمان في تراجم الأعيان – مختصر معالم التنزيل – المِصْباح المنير ، وهو قاموسٌ موجزٌ مرتّبٌ على أحرف الهجاء . لهذا القاموس مقدّمةٌ وجيزةٌ (راجع النصّ) وخاتمةٌ طويلة (٢ : ٩٤١ – ٩٧٩) في اللغة والصرف والنحو ممّا يُساعدُ على فَهْمِ اصطلاحاتِ القواميس .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة «المِصْباح المنير» :

..... وبعدُ، فانّي كُنْتُ جَمَعْتُ كِتاباً في غريبِ «شرح الوجيز» للامام الرافعي[1] وأوْسَعْتُ فيه من تصاريفِ الكَلِمة وأضَفْتُ إليه زياداتٍ من لُغة غيرِه ومن الألفاظ المُشْتَبِهات والمُتَماثِلاتِ ومن إعراب الشواهدِ وبيانِ معانيها وغير ذلك ممّا تدعو اليه حاجةُ الأديبِ الماهر.... (ثمّ) أحْبَبْتُ اختصارَه على النَهْجِ المعروفِ والسبيلِ المألوف لِيَسْهُلَ تَناوُلُه بضمِّ مُنْتَشِرِه، ويَقْصُرَ تَطاوُلُه بنَظْمِ مُنْتَثِرِه . وقيّدتُ ما يُحْتاجُ الى تَقْييده بألفاظٍ مشهورةِ البِناء فقُلْتُ :

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م) فقيه شافعي له «فتح العزيز في شرح الوجيز». والوجيز كتاب لحجة الاسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) .

مِثْلَ فَلْسٍ وفُلوس ، وقُفْل وأقفال ، وحِمْل وأحمال ونحو ذلك ؛ وفي الأفعال مثلَ ضَرَبَ يَضْرِبُ ..... وسَمَّيْتُه المِصباحَ المُنيرَ في غريبِ الشَرْحِ الكبير .....

٤ ـــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، بولاق ، ١٢٦٧ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٨ ، ١٣١٦ ﻫ ؛ طهران ؟ (طبع حجر) ١٢٦٦ ﻫ ؟ ؛ مصر ١٢٧٨ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٥ ؟ ﻫ ؛ كاونبور ١٢٨٨ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٠٢ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٢ ﻫ ؟ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ ، ١٣١٠ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة نظارة المعارف) ١٣١٠ ـــ ١٣١٢ ﻫ ، ١٣٣٠ ﻫ = ١٩١٢ م ؛ القاهرة ١٣١٥ ﻫ ؛ (صحّحه حمزة فتح الله ونقّحه وحذف منه ما لا يلائم تلاميذ المدارس) الطبعة السادسة ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٢٥ م .

* الدرر الكامنة ١ : ٣٣٤ (رقم ٧٨٧) ؛ بغية الوعاة ١٧٠ ؛ بروكلمان ٢ : ٣١ ، الملحق ٢ : ٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٦ .

بهاء الدين السبـــكي

١ ـــ هُوَ بهاءُ الدين أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ عبد الكافي بنِ عليٍّ بن تَمّامٍ السُبْكيُّ ـــ نِسبةً الى قرية سُبْك في المَنوفية بمِصْرَ ـــ ، وُلِدَ في القاهرة في العِشرين من جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٧١٩ ﻫ (٩/ ٨/ ١٣١٩ م) .

سَمِـــعَ بهاءُ الدين السُبكيُّ الحديثَ من جماعةٍ من كِبار العلماء في مِصْرَ والشام ، وأُذِنَ له في الفُتْيا والتدريس وعُمْرُهُ عِشرونَ سَنَةً ثمّ تقلّب في عددٍ من مناصب القضاء . وانتقل بهاءُ الدين السُبْكيّ في أواخرِ أيّامهِ إلى الحجازِ فلم يلبَثْ إلاّ قليلاً حتى تُوُفّي في مَكّة في رَجَبَ[1] من سنة ٧٧٣ ﻫ (١٣٧٢ م) .

٢ ـــ بهاءُ الدين السُبكيُّ مُحَدِّثٌ وفقيهُ كبيرٌ مشهورٌ ، وقد فاق أباه شيخَ شيخَ الإسلامِ تقيَّ الدين السُبكيَّ (ت ٧٥٦ ﻫ) في التدريس . ثمّ له شيءٌ من البراعة في النثر والنظم . وهو مُصَنِّفٌ له : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ـــ هديّة المُسافر الى النور السافر ـــ شرح مختصر ابن الحاجب (مطوّل) .

٣ ـــ مختارات من آثاره

ـــ افتتح بَهاء الدين السُبكيُّ أحَدَ دروسِهِ (سَنَةَ ٧٤٨ ﻫ) بقوله :

---

(١) في المراجع : ٢٧، ١٧، ٧ من رجب . ولعل ٢٧ أقرب الى الصحة .

الحمدُ للهِ الذي شَرَحَ لِمَنْ شَرَعَ إفادةَ العِلمِ صَدْراً ، ومَنَحَ من مَنَعَ نفسَه إرادة الإثم في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ أُخرى ...

– وله قصيدة يجمع فيها لفظ « عين ! » يقول منها في الغزل :

يَطوفُ على الصِحاب بكأسِ راحٍ وطافت مُقلتاهُ بآخرَيْنِ[1] .
يطوفُ على الرِفاقِ من الحُمَيّا ومِنْ خمرِ الرِضابِ بمُسكرَيْنِ[2] .
إذا نَجلو الحُمَيّا والمُحَيّا شَهِدنا الجمعَ بَيْنَ النيِّرَيْنِ[3] .
وآخرَ من بني الأعراب حُفَّتْ جُيوشُ الحُسنِ منه بعارِضَيْنِ[4] .
إلى عَيْنَيْهِ تنتسبُ المَنايا كما انتسبَ الرِماحُ الى رُدَيْنِ[5] .
نُلاحظ سَوْسَنَ الخَدَيْنِ منه فيُبْدِلُها الحياءُ بوَرْدَتَيْنِ[6] .

٤ – عروس الافراح بشرح تلخيص المفتاح (مطبوع مع مختصر المطوّل لسعد الدين التفتازاني) ، بولاق (المطبعة الاهلية) ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) ؛ (في مجموعة شرح التلخيص للتفتازاني) مصر (خانجي) ...

* الدرر الكامنة ١ : ٢٢٤ – ٢٢٩ (رقم ٥٤٤) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٨٥ – ٣٩٢ ؛ بغية الوعاة ١٤٨ – ١٤٩ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ البدر الطالع ١ : ٨١ – ٨٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٣ ، الملحق ٢ : ٥ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٧١ .

الشريف النيسابوريّ

١ – هو جمالُ الدين الشريفُ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الحُسينيُّ المشهور

---

(١) الراح : الخمر . مقلتاه : عيناه (كل عين طافت بكأس خمر أخرى) .
(٢) الحميا : الخمر . الرضاب : الريق (ما دام في الفم) .
(٣) المحيا : الوجه . النيران : الشمس والقمر . جلا : أظهر ، كشف عن . (اذا طاف المحبوب على محبيه يحمل الخمر ظهرت لنا الخمر الحمراء ووجهه الابيض كأنهما الشمس والقمر) .
(٤) جيوش الحسن : بدائع وجه الجميل (وجناته وعيناه، فمه ، الخ) العارض : جانب الوجه ، صفحة الخد .
(٥) ردين (في القاموس) : اسم فرس واسم رجل . الملموح هنا أنه رجل يصنع الرماح . (لا يأتي الموت الأكيد الا من عينيه ، كما أن الرماح الجياد لا تكون الا من صنع ردين) .
(٦) – اذا أطلنا النظر اليه خجل (فاصبح خده الأبيض كالزنبق أحمر كالورد) .

بالشريف النيسابوري نُقْرَكار[1] ، وُلِدَ سَنَة ٧٠٦ ﻫ (١٣٠٦ ــ ١٣٠٧ م) .

تَصَدَّرَ الشريفُ النيسابوريُّ للتدريس فدرَّسَ في المدرسة الأسدية في حَلَبَ (والتدريس فيها على المذهب الشافعي) وفي المدرسة الأسدية في ظاهر (ضواحي) دِمَشْقَ (والتدريس فيها على المذهب الحنفيّ) . وقد قضى في القاهرة مُدّةً وفيها تُوُفِّيَ سَنَة ٧٧٦ ﻫ (١٣٧٤ ــ ١٣٧٥ م) .

٢ ــ كان الشريفُ النيسابوريّ بارعاً في أصول الفِقْه وفروعه عالماً بالنحو ؛ وكان ذا اتّجاهٍ صوفيّ . وكان له شعرٌ . وله تآليفُ كلُّها شُروحٌ : شرح قصيدة البُسْتي ــ العُبابُ شرح اللُّباب (نحو) ــ شرح التسهيل (نحو) ــ شرح الشافِيَة (تصريف) ــ شرح التلخيص (بلاغة) ــ شرح المنار (أصول الفِقْه) ــ شرح التنقيح (أصول الفقه) ــ شرح لبّ اللباب .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ للشريف النيسابوري هذه الابياتُ التي يَلوح عليها الاتّجاه الصوفي :

هذّبِ النَفْسَ بالعلوم لِتَرْقى ... وترى الكُلَّ ، فهي[2] للكُلّ بَيْتْ .
إنّما النفسُ كالزُجاجةِ ، والعقــ ... ـلُ سِراجٌ ، وحكمةُ الله زَيْتُ ؛
فإذا أشرقتْ فانّك حيٌّ ، ... وإذا أظلمتْ فانّك مَيْــتُ !

٤ ــ ** الدرر الكامنة ٢ : ٣٩٢ ــ ٣٩٤ (رقم ٢٢٠٦) ؛ بغية الوعاة ٢٨٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٤٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ٢١ ؛ الاعلام للزركليّ ٤ : ٢٧١ ــ ٢٧٢ .

ابن حبيب الحلبي

١ ــ هو بدرُ الدين أبو محمّد الحسنُ بنُ عُمَرَ (ت ٧٣٣ ﻫ) بن الحسن بن حبيب بن عُمَرَ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ، في شَعبانَ من سَنَة ٧١٠ ﻫ (شتاء ١٣١١ م) ولمّا نُصبَ أبوه مُحْتَسِباً[3] في حَلَبَ انتقلَ مَعَه إليها فكانتْ نشأتُه فيها .

وتَطَوّفَ ابنُ حبيبٍ في البلاد كثيراً : زارَ القاهرةَ والإسكندريةَ (٧٣٦ ﻫ)

---

(١) نقركار : صائغ الفضة .
(٢) فهي ، أي النفس . الكل : مجموع الوجود .
(٣) المحتسب : موظف يتولى مراقبة الأسعار ورعاية الأخلاق في الاسواق .

والقُدْسَ والخَليل (٧٣٨ هـ) ومُعْظَمَ بلاد الشام (سورية) وحَجّ مرّتين (٧٢٦ و ٧٤٥ هـ). ثمّ إنّه استقرّ في حَلَبَ وتُوُفّيَ فيها في ٢١ من ربيعٍ الثاني من سَنَة ٧٧٩ هـ (٢٨/ ٨/ ١٣٧٧ م).

٢ - كانَ ابنُ حبيبٍ الحلبيُّ مؤرّخاً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً ومحدّثاً وفقيهاً. وفي شِعْره ونثره جمالٌ وعُذوبةٌ الى جانب تَكَلُّفٍ كثيرٍ. ثمّ إنّه مُصَنِّفٌ له: نسيمُ الصَبا (أوصاف من الطبيعة ومن الحياة في نثر أنيقٍ مسجوع) - درّة الاسلاك في دولة (مُلْك) الأتراك - جُهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار - تذكرة النبيه في أيام المنصور (قلاوون) وبنيه - النجم الثاقب في أشرف المناقب (في السيرة النبوية) - المُقتفى في ذكر فضائل المصطفى (رسول الله) - كشف المُروط[1] عن محاسن الشُروط (في الفِقه) - الفرائد المنتقاة من تاريخ حماة.

٣ - مختارات من آثاره

- وصف سفينة في بحر هائج

قال ابن حبيب الحلبي في كتاب «نسيم الصبا»:

يا لها سفينةً على الأموال أمينةً، ذاتُ دُسُرٍ وألْواحٍ[2] تجري مَعَ الرياح وتطير بلا جناح وتَعْتاضُ عن الحادي بالمَلاّح[3]؛ تخوض وتلعَبُ وتَردُ ولا تشربُ. لها قِلاع كالقِلاع وشراع يحجُبُ الشُعاع[4]، وسكّينة وسُكّان ومَكانة ومكان، وجُؤجؤ وفَقار، وأضلاع مُحْكَمَةٌ بالقار[5]، وجسمٌ عارٍ عن الفؤاد وهو في عين الماء بمنزلة السواد[6] .....

ما رأى الناسُ من قُصورٍ على المـا ء سِواها تسيرُ سَيْرَ القِداح[7] .....

---

(١) المرط: كساء واسع من حرير أو غيره.

(٢) دسر جمع دسار (بكسر الدال): مسمار، رباط (حبل) من ليف تشد به ألواح السفينة.

(٣) الحادي: سائق الابل. الملاح: الذي يوجه السفينة في سيرها.

(٤) تخوض وتلعب: تتحرك حركات تدل على اللهو والطيش. راجع القرآن الكريم (الزخرف ٤٣ : ٨٣) فذرهم يخوضوا ويلعبوا. يرد: يذهب الى النهر أو عين الماء. (السفينة) لا تشرب: لا يدخلها الماء مع أنها سابحة فيه. القلاع جمع قلع (بكسر القاف): شراع السفينة. القلاع جمع قلعة: الحصن. شراع يحجب الشعاع (شعاع الشمس) لكبره.

(٥) سكينة (حرف السفينة الامامي ؟). السكان: الدفة، أداة في آخر السفينة عادة توجه بها السفينة يميناً ويساراً. (٦) جسم عار عن الفواد: أجوف، فارغ. السواد: سواد العين.

(٧) القصور جمع قصر: البناء العظيم الفخم. القداح جمع قدح (بكسر القاف) السهم.

فبينما نحنُ من البحر في قاموسه كتب الجوُّ حروفَ الغيم في طُروسه[1] . وثارتْ ريحٌ عاصفٌ يتبعُها رعدٌ قاصف[2] . فمالت بنا الفُلْكُ واضْطَرَبَتْ ، ودَنَت شَفَتُها من رَشْفِ الماء واقتربت[3] ، واستمرّت ترفَعُ وتَخْفِضُ ، وتقربُ وترفِضُ ، وتَعْلو كالأطواد وتَهيم في كلِّ واد[4] ، وتَحومُ وتَحول ، وتجورُ وتجول[5] ، وتُضْرِمُ في الكُبود نار ناجرٍ ، إلى أن بَلَغَت القلوبُ الحناجرَ[6] :

ألا فارْجُهُ واخْشَهُ ، إنّه هو البحرُ فيه الغِنى والغَرَقْ[7] !

ثمّ نَظَرَ إلينا من لا تَخْفى عليه السَّرائر ، وأمرَ الجاريةَ بحَمْل العبيد إلى بعض الجزائر[8] . فلم نَدْرِ الاّ ونحن تِجاهَ جزيرةٍ تَسُرُّ النفوسَ بمحاسنها الغَزيرة[9] . فانحَدَرْتُ ماضياً الى بَنيها ، نائياً عن السفينة وساكِنيها[10] . فوَجَدتُّها مُخْضَرّةَ الأفْنان مُخْضَلّةَ الكُثْبان[11] ....

ــ وقال في النسيب :

ألحاظُه شَهِدَتْ بأنّي ظالمٌ وأتتْ بخطٍّ عِذاره تِذْكارا[12] .
يا حاكمَ الحُبِّ ، اتَّئِدْ في قِصّتي ؛ فالخطُّ زُورٌ ، والشُهود سُكارى[13] !

---

(١) القاموس : معجم الماء (جانب كبير من البحر) . الطرس (بكسر الطاء) : الورق .

(٢) العاصف : المتحرك حركة شديدة . القاصف : الشديد الصوت .

(٣) الفلك : السفينة . رشف الماء : أخذه بالشفتين قليلا قليلا .

(٤) ترفض (بضم الفاء أو كسرها) : تبعد (؟) . الطود (بفتح الطاء) : الجبل . تهيم في كل واد : تضل ، تسير على غير هدى . راجع القرآن الكريم (الشعراء ، ٢٦ : ٢٢٤) : والشعراء يتبعهم الغا وون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟

(٥) تحوم : تطوف كأنها تدور حول شيء . تحول : تهدأ ؛ تسكن ، تبدل خط سيرها . تجور : تعدل يميناً أو يساراً بعد أن كانت تسير سيراً مستقيماً . تجول : تطوف (تجري في أماكن مختلفة) .

(٦) ناجر : من شهور الصيف . بلغت القلوب الحناجر : ضاق الأمر على الناس . راجع القرآن الكريم (الأحزاب ٣٣ : ١٠) : واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر .

(٧) ارجه : انتظر منه الخير . اخشه : خف منه .

(٨) من لا تخفى عليه السرائر (جمع سريرة : سر ، ما يكتمه الانسان) : الله تعالى . الجارية : السفينة (وفيها تورية : السفينة كالجارية ملك لله يأمرها بما يشاء) . العبيد : العباد ، الناس . الغزيرة : الكثيرة الماء) .

(٩) بنوها : أبناؤها ، أهلها ، سكانها . نائياً : مبتعداً .

(١٠) مخضرة الافنان (جمع فنن ــ بفتح ففتح ــ الغصن) : خصبة . مخضلة (مبتلة) الكثبان (تلال الرمل) : كثيرة النبات والماء .

(١١) بخط عذاره (بالشعر النابت في وجهه أول ما ينبت) .

(١٢) اتئد : تمهل . القصة : صحيفة يرفعها المتظلم الى القاضي (عرض حال) .

٤ – نسيم الصبا ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٣ م ؛ الاسكندرية ١٢٨٩ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧هـ ؛ ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م).

النجم الثاقب

درّة الاسلاك في دولة الاتراك (فايرس ومردسنغه) ، أمستردام ١٨٤٠ – ١٨٤٦ م؛ بولاق ١٢٨٩ هـ؛ دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٧ م.

* تكملة درة الاسلاك لزين الدين طاهر بن الحسن بن عمر الحلبي (ابن صاحب هذه الترجمة) (مطبوع مع «درة الاسلاك»).

الدرر الكامنة ٢ : ١١٣ – ١١٥ (رقم ١٤٥٣) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٢٠٥ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٥ – ٤٦ ، الملحق ٢ : ٣٥ ؛ زيدان ٣ : ١٨٧ – ١٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٥ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٢٦ .

القيراطيّ

١ – هو برهانُ الدين أبو اسحاقَ ابراهيمُ بنُ شرف الدين عبد الله بن محمّد ابن عسكرٍ القيراطيُّ ، وُلِدَ في صَفَرٍ ٧٢٦ هـ (كانون الثاني – يناير ١٣٢٦ م).

حدّثَ القيراطيّ (روى أحاديثَ رسول الله) عنْ نَفَرٍ منهم ابن شاهد الجيش (ت ٧٤٦ هـ) وأحمدُ بنُ عليٍّ ابن أيوبَ المَسْتَوْلي والحسنُ بنُ السديد الإرْبِليّ وشَمْسُ الدين بن السرّاج[١].

وفي سَنَة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) جاء الى القاهرة وحدّثَ بها . واتّصل في القاهرة بابن نُباتةَ المصري وراسَله وأخذَ عنه طريقتَه في الصناعة ، وفي البديعِ والتَوْرِيةِ خاصّةً . وكانت بينَه وبينَ نَفَرٍ من الشعراء مُطارحاتٌ بالشعر . وقد مَدَحَ السُلطانَ الناصرَ حَسَناً (قُتل ٧٦٢ هـ).

وذهبَ القيراطيُّ الى الحِجاز وجاوَرَ في مكّةَ إلى أن تُوُفِّيَ فيها في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٧٨١ هـ (تموز – يوليو ١٣٧٩ م).

٢ – القيراطيُّ شاعر مُبْدِعٌ رقيقٌ ولكنّه أثقلَ شِعْرَه بالصناعة تقليداً لابن نُباتةَ المصري . وفنونُه البديعيّاتُ والمدحُ والرثاء والوصف والغزل والخمر والعِتاب والإخوانيّات . والقيراطيّ مُصَنِّفٌ له ديوانٌ عنوانه «مَطْلَعُ النَيِّرَيْنِ» ، ثمّ له : الوشاح المُفَصّل والفنون (؟ بروكلمان ٢ : ١٥) الموصّل في خَلْق الشباب المخصّل (وهو مجموع نثرٍ وشعرٍ في الحُبّ والمحبّين) – مكاتبات ومطارحات .

(١) شذرات الذهب ٦ : ٢٧٠ .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال القيراطيُّ في المشيب :

عيّرتني المشيبَ وَهْــوُ وقارٌ . ليسَ في الشيْبِ ، يا أُمامةُ ، عار .
لِمَ تخافي شَبيبتي وَهْــيَ لَيْلٌ ، كيفَ خِفْتِ المَشيبَ وهو نَهار !

ـ وقال في الخمر :

كم ليلةٍ نادَمْتُ بــدرَ سمائِها والشمسُ تُشْرِقُ في أكُفِّ سُقاتِها .
وجرَتْ بنا دُهْمُ الليالي للصِبــا وكؤوسُنا غُرَرٌ على جَبَهاتِها * .
فصَرَفْتُ ديـنـاري على دينـارِها وقَضَيْتُ أعــوامي على ساعاتِها .
حالفْتُ في الصَهباءِ كلَّ مُقَلِّــدٍ وسعيتُ مجتهداً الى حاناتِها .
فتَحيَّرَ الخمّارُ أين دِنانُها[١] حتّى اهتدى بالطيبِ من نَفَحاتِها .
فَشمِمْتُها ورأيتُها ولَمَسْتُها وشربتُها وسَمِعْتُ حُسْنَ صِفاتِها .
يا صاحِ ، قد نَطَقَ الهَزار مُؤَذِّناً ؛ أيليقُ بالأوتــارِ طولُ سُكاتِهــا ؟
إن كانَ عندكَ ، يا شرابُ ، بَقيّــةٌ ممّا تُزيلُ بهِ العُقولَ فهاتِهــا .
وإذا العقودُ من الحُبابِ تَنَظّمتْ إيّاكَ والتفريطَ في حبّاتِهــا[٢] .

٤ ـ مطلع النيّرين ، مصر ١٢٩٦ هـ .
الوشاح المفصّل[٣] .

* الدرر الكامنة ١ : ٣٢ (رقم ٧٧) ؛ المنهل الصافي ١ : ٧٠ ـ ٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ بروكلمان ٢ : ١٥ ، الملحق ٢ : ٧ ؛ زيدان ٣ : ١٣٥ ؛ الاعــلام للزركلي ١ : ٤٣ .

شهاب الدن الدمنهوريّ

١ ـ هو شهابُ الدين أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبد الهادي بنِ أحمدَ بنِ أبي العبّاسِ الشاطرِ[٤] ، كان جَدُّهُ أبو العبّاس من المَغْرِب، ووُلِدَ هو في دَمَنْهور

* الليلة الدهماء (الشديدة السواد) والغرة (بضم الغين وتشديد الراء: شدة البياض) كناية عن كثرة اللهو في أيام الشباب .
(١) الدن (بفتح الدال) : وعاء ، ضخم للخمر .
(٢) الحباب : فقاقيع الماء التي تطفو على وجه الخمر . لا تفرط بحباتها : اشربها كلها (اشرب الخمر بكثرة) .
(٣) ذكر الزركلي أن الكتاب مطبوع ، ولم يره سركيس (معجم المطبوعات العربية ١٥٣٥ - ١٥٣٦)
(٤) في المنهل الصافي : أحمد بن عبد الهادي ... شهاب الدين أبو العباس المعروف بالشاطر الدمنهوري (١ : ٣٥٦) ، وفي شذرات الذهب (١ : ٢٩٦) : شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر المعروف بابن الشيخ .

(مصر) في السابعِ والعِشرينَ من شوّالِ سَنَةَ ٧٣٣هـ (١٠/٧/١٣٣٣م) ثمّ كانتْ وفاتُه في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٧٨٧ هـ (كانون الأول - ديسمبر ١٣٨٥ م) في طريقِه إلى الحجّ.

٢ - كانَ شِهابُ الدين الدَمنهوريُّ ذا ذكاءٍ فِطْريّ مُفْرِطٍ لا يسمع حِكايةً أو قِطْعة من شِعْرٍ إلاّ أخبرَ بعَدَدِ ما فيها من الحُروف. وكان واسعَ الاطّلاعِ أديباً شاعراً سَهْلَ القولِ حَسَنَ الإشارةِ مع التوريات.

٣ - مختارات من شعره

- قال شِهابُ الدين الدَمَنْهوريُّ يَصِفُ المِرْوَحة:

ومَخْطوبةٍ في الحرّ من كلّ هاجرٍ ومهجورةٍ في البَرْد من كلّ خاطبِ[١]،
إذا ما الهوى المقصورُ هَيّجَ عاشقاً أتَتْ بالهوا الممدودِ من كلّ جانبِ[٢]

- وقال في رِباط المُشْتَهى، وهو رِباطٌ (خانقاه، تَكِيّة، زاوية) للصوفيةِ في الرَوْضة يُطِلُّ على النيل:

بروضةِ المِقياسِ صوفيّـةٌ هم مُنْيَـةُ الخاطرِ والمُشتهى[٣].
لهم على البحـر أيادٍ علَـتْ، وشَيْخُهُم ذاك له المُنْتهى[٤]!

٤ - * الدرر الكامنة ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ (رقم ٥٠٠)؛ المنهل الصافي ١ : ٣٥٦؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٩٦.

حافظ الشيرازيّ

١ - لمّا وُلِدَ حافظٌ الشيرازيّ كانتْ شيرازٌ تابعةً للإيلخانات[١]، وكانت تُعطى إقطاعاً للأُمراء أو للوُلاة فكَثُرَ تعاقُبُ الحكّام عليها واضطربتْ أحوالُها وأحوالُ

---

(١) الهاجر: التارك، المبغض (والهاجر: الذي يشعر بالحر الشديد). الهوى المقصور (بألف مقصورة): الحب، العشق. والهوا، الهواء الممدود (بألف ممدودة): الريح.

(٢) روضة المقياس: جزيرة في النيل فيها مقياس لمعرفة ارتفاع منسوب الماء في أيام الفيضان. المشتهى: الشيء المرغوب فيه.

(٣) أياد: أفضال. لهم على البحر (نهر النيل) أياد علت: يفيض من بركاتهم (؟). المنتهى: أسمى الفضل، أعلى مرتبة في الجنة.

(٤) في الايلخانات أو الخانات راجع، فوق، ص ٦٠٤.

فارسَ كلَّها بذلك. ثمّ جاء آلُ المُظَفّر حكّامُ شيراز (٧١٨ – ٧٩٥ هـ) فعَرَفَتْ شيرازُ شيئاً من الهدوء. إلاّ أنّ آلَ المظفّر أنفسَهم جعلوا يتنازعون الحكمَ فعادتْ شيرازُ الى شقائها الأوّل. ولمّا قضى تيمورلنك[1] على الفوضى في شيرازَ (٧٩٥ هـ)، بعدَ القضاء على آلِ المُظفّر، كان حافظٌ الشيرازيّ قد مات.

وُلِدَ خواجه شَمْسُ الدين محمّدُ بنُ بهاء الدين المعروفُ بلقب « حافظ الشيرازي » في شيرازَ، سَنَةَ ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) في الأغلب في أُسرةٍ غنيّةٍ سعيدة. ولمّا ماتَ بهاء الدين فارقَ ابناه الكبيران الأُسرة، وبقي شمس الدين محمّد (وهو أصغر الإخوة الثلاثة) مَعَ أمّهِ فعَمِلَ خبّازاً وخَبَرَ مع أمّه شقاء شديداً طويلا.

تلقّى شمسُ الدين محمّدٌ في شيرازَ العلومَ المألوفة (الفقه واللغة والأدب)، وقد حَرَصَ على سَماعِ دروس الشيخ قَوامِ الدين عبدُالله (ت ٧٧٢ هـ). ثمّ حَفِظَ القرآن الكريم وبرع في قراءته فقيل له « حافظ شيرازي »[2].

في سنة ٧٥٤ هـ استولى مُبارزُ الدينِ محمّدُ أحدُ بني المُظَفَّر على شيرازَ وحكم فيها خَمْسَ سَنَوات، ثمّ خلَفَهُ ابنُه شاه شُجاع منصور (٧٥٩ – ٧٨٦ هـ). ومَعَ أنّ حافظاً الشيرازيّ قد اتّصل ببرهانِ الدين فتحِ الله (وزيرِ مبارز الدين) وبحاجي خواجه قوام الدين (وزيرِ شاه شجاع) وتعرّضَ لحُكّام البَلاط المُظفري بالشعر للتكسّب، فانّه لم يَلْقَ نجاحاً كبيراً. ولكن يبدو أنّه نالَ حَظْوةً يسيرةً عند شاه شُجاع؛ ولعله، في هذه الفترةِ، تصدّرَ للتدريس في جامعِ شيرازَ يلقي فيه شيئاً من تفسير القرآن.

---

(١) تمر أو تيمور كان يلقب تيمور كوركان (تيمور صهر الملك) ولكنه اشتهر بلقب تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد في كش (قرب سمرقند) سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٦ م)، قيل في أسرة من نبلاء الترك. وقد كان من أتباع طقتمش خان (وهو ملك من ذرية جنكيزخان)، فلما توفي طقتمش وخلفه ابنه محمود استبد تيمورليك بحكم كش ثم نادى بنفسه ملكاً على بلاد ما وراء النهر (التركستان). واتسعت فتوح تيمورلنك في بلاد الهند (٨٠٠ – ٨٠١) واستولى على عاصمتها دلي (أو دهلي أو دلهي)، ثم فتح حلب ودمشق (٨٠٣) ثم بغداد. واجتاح آسية الصغرى وهزم العثمانيين قرب أنقرة وأسر السلطان أبا يزيد (بايزيد) الأول. وكانت وفاته سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م). وقد نقل تيمورلنك عدداً كبيراً من الصناع، من دمشق خاصة، الى بلاد ما وراء النهر وأقام بهم حضارة اسلامية زاهرة بالعمران والثقافة (راجع شذرات الذهب ٧ : ٦٢ – ٦٧ وغيره).

(٢) حافظ شيرازي (الحافظ الشيرازي)، والحافظ : الذي يحفظ القرآن الكريم. وحافظ (بالامالة القريبة من الكسر) شيرازي (بالامالة أيضاً). راجع القاعدة في هذا التركيب الاضافي الفارسي، فوق (٢٥٠، في الحاشية).



ولمّا ماتَ شاه شجاع ، سَنَةَ ٧٨٦ هـ ، عادَ أمراءُ آلِ المظفَّر الى التنازع على حُكم شيرازَ وعادتْ شيرازُ بذلك الى الفوضى والشقاء . ثمّ جاء تيمورلنك واستَوْلى على إصْبهانَ ، سنة ٧٨٩ هـ ولكنّه سَرعانَ ما رَجَعَ عن فارس كلِّها لأنّ توقتَمُش خان ملكَ القَبْجاق قدْ أغار على بلاده . ثمّ انّ تيمورَ عاد الى شيرازَ ، في السَنَةِ التالية ، واستَوْلى عليها . ويبدو أن حافظاً كان قد اعتزلَ الحياةَ العامّة ، هَرَباً من تلك الفوضى وذلك الذُلّ ، ولم يجتمعْ بتيمورَ في الأغلب .

وكانت وفاةُ حافظِ الشيرازيِّ ، في شيرازَ ، سَنَةَ ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) في الأرجح

٢ ـ كان حافظ الشيرازي ناثراً وشاعراً ، وشِعْرُه أقسامٌ : قصائدُ (والقصيدةُ نحوُ ثلاثينَ بيتاً الى مائة بيت) ورباعيّاتٌ (بيتانِ أو أربعةُ أشطُرٍ على نَسَقٍ معلوم)(١) وقِطْعاتٌ أي مُقَطّعاتٌ (بين ذلك) وغزَليّات (بالمعنى الفنّي : مقطوعةٌ قصيرةٌ ، بينَ سبعةِ أبياتٍ وخَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً بالتقريب ، موضوعُها الغزلُ في الأكثرِ وقد تكونُ في أغراضٍ أُخرى) . ثمّ ان قطعةَ « غزل » (غزلية) تنتهي بشَطْرينِ يُسمَّيان « تخلُّص » (تخلّصاً) ، وهما يُشْبِهانِ « قَفْلةً » ؛ يذكُرُ الشاعر في احد الشطرين اسمَهُ صراحةً أو يذكُرُ لَقَبَهُ كِنايةً . ولحافظٍ أيضاً مَثْنَويّاتٌ(٢) . ومُعْظَمُ خصائصه وأغراضه في غزليّاته .

وحافظٌ الشيرازيُّ شاعرٌ وُجْدانيٌّ غزِلٌ من الطبقة الأولى سَهْلُ الشعرِ يقرُبُ بشعره من عواطفِ الناس وطريقةِ خِطابهم ، ولذلك رُزِقَ شعرُهُ سَيْرورةً على الألْسُنِ يدلُّنا على ذلك مخطوطاتُ ديوانه التي لا يكاد يُدْرِكَها الحَصْر . ويدورُ مُعْظَمُ شعرِ حافظ على المعاني الغَزَلية والخَمْرية التي يَرى فيها أكثرُ دارسيه اتّجاهاً صوفياً ونَظَراً باطنياً ولا يَرَوْنَ أنْ تُفَسّر على ظاهرها ، وخُصوصاً فيما يتعلّقُ بخمْريّاته التي تنطوي على كثيرٍ من المدارك الدينية الوَثَنيّة ثم بغزلهِ الذي ينطوي على مداركَ مادّيّة من وَصْفه الخدودَ بالوَرْدِ والجَبينَ بالقمرِ والعينين بالنَرْجِسِ والقامةَ الرشيقةَ بشَجَرِ السَرْوِ ؛ وهذه الصفاتُ كلُّها عند مُعْظَمِ الدارسين لِشِعْرِ حافظٍ رموزٌ عن العِزّة الالهية

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٢٥١ .

(٢) المثنى والمثناة (بفتح الميم وبضمها) وجمعهما (المثاني) . وهي مزدوجات من الشعر تسمى بالفارسية دوبيتي : بيتين (والعرب يقولون : دوبيت) . (راجع القاموس ٤ : ٣٠٩) .



ومن المستغرَب أنّ نفراً من المُعْجَبين بحافظ كانوا يَسْتَفْتِحون[1] بديوانهِ ويعمَلون بما يخرُجُ لهم فيه لاعتقادِهِم أنّه عارفٌ بالأسرار . ولذلك قال قائلُهم :

أيْ حافظِ شيرازي ، تو كاشفِ هَرْ رازي !

(تو : أنت . هر : كلّ . راز : سرّ)

٣ — مختارات من شعره

— لحافظ الشيرازي عدد من الملمّعات ، منها هذه « الغزلية » التي هي مطلع ديوانه :

ألا يا أيُّها الساقي ، أدِرْ كأساً وناوِلْها[2] ؛
كه عشق آسان نمود أوّل ، ولي أُفتاد مشكلها .
....
حضوري كَر همي خواهي أزو غايب مشو ، حافظْ !
متى ما تَلْقَ من تَهْوى دَعِ الدنيا وأهمِلها

ومعنى البيتين الفارسيّين الأوّل والثاني : كان الحبّ في أوّل الأمر سهلاً ، ولكن كانت له (فيما بعد) مشاكل كثيرة — وإذا كنت تريدُه أن يكون حاضراً (معك) فلا تَغِبْ أنتَ عنه ، يا حافظُ !

وقد نقل محمّد الفراتي هذه الغزلية نقلاً عذباً ولكنّه تصرّفَ في النقل . قال :

أدِرْ كأساً وناوِلْها ، ألا يا أيُّها الساقي ،
فانّ الكأسَ للملدوغِ بالعشق هو الراقي .
قدِ استَسْهَلْتُ أولى العِشق فانهالَتْ على قلبي
مشاكلُ قيّدتْ عقلي ، فلا يُؤْمَلُ إطلاقي .
....

(١) الاستفتاح أن يضمر الانسان طلب النصيحة في أمر ما ثم يأخذ كتاباً ويفتحه كيف اتفق ثم يقرأ في الصفحة المفتوحة . والعادة أن يفتح المستفتح القرآن الكريم ثم يقلب سبع ورقات ثم يعد سبعة أسطر من أول الورقة الثامنة ويقرأ أول السطر الثامن .

(٢) قيل ان هذا البيت :

ادر كأساً وناولها ألا يا أيها الساقي ؛

ليزيد بن معاوية — راجع : « في الأدب العربي والتركي » ، تأليف حسين مجيب المصري ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٢ م (ص ٤٠٠ — ٤٠١) .

متى ما تَلْقَ من تَهوى ، دع ِ الدنيـــا وأهمِلْها .
فيا حافظُ ، جَمْعُ الشَمْ لِ بالذِكــرى هو الباقي .

– ومن ملمّعات حافظ ملمّعة منها (الأشطر المحصورة بين الأهلّة فارسيّة في الأصل) :

سُلَيْمى مُنْـذُ حلّتْ بالعِراقِ ألاقي من هواهـــا ما ألاقي .
(أيّها الحادي ، حبيبي في هَوْدَجِكَ *) إلى رُكْبانِكُمْ طالَ اشتياقي[1] .
ربيعَ العُمْرِ في مرعى حِماكم ، حَماكَ الله ، يا عهدَ التـلاقي .
(تعال أيّها الساقي وناولني رِطْلاً كبيراً) سقاكَ اللهُ من كأسٍ دِهاقِ[2]
(أصبح داخلي دَماً لعدم رُؤْيةِ محبوبي)* ألا تَعْساً لأيامِ الفراق .
دموعي بعدَكم لا تَحْقِروها ، فكم بحرٍ عميقٍ من سواقي[3] !

– ولحافظ مُلَمّعةٌ تتعاقب فيها خمسةُ أبياتٍ فارسية وخمسة عربية منها (الأبيات المحصورة بينَ أهلّة فارسية في الأصل) :

انّي رأيت دهـــراً من هَجْرِكَ القيامهْ[4] .
من جرّب المجرّبْ[5] حلّتْ بـــه الندامهْ .
(انّ عندي على رَغْبته في الفراقِ مِائةَ علامهْ)
ليستْ دموعُ عينـــي هذا لنـــا العلامهْ[6] .
(وسألتُ طبيبي عن أحوالِ المحبوبةِ فقالَ) :
في بُعْدِها عذابٌ ، في قُرْبِها الندامه .

---

* أيها الحادي سائق القافلة) الذي يحمل حبيبي في محمله (هودجه) ليسافر به ..

(١) الركبان = الراكبون : المسافرون . – أشتاق الى أن تأتوا الي ("تزوروني) أو أني أذهب إليكم .

(٢) كأساً دهاقاً : مملوءة . * في الصدر مني حرارة لبعدالحبيب عني .

(٣) دموعي بعدكم (بعد فراقكم) لا تحقروها (لاتظنوها قليلة) ... فالبحر العظيم يتجمع من السواقي (جمع ساقية : مجرى الماء) الصغيرة .

(٤) حافظ الشيرازي ، تأليف ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٤٤ م ، ص ١٧٧ .

(٥) – عشت مدة طويلة أتعذب في هجرك والبعد عنك .

(٦) المجرب (ساكنة في الاصل) .

(٦) – بكاؤك ليس علامة (دليلا) على أنك تحبنا وتتألم من فراقنا و بعدنا !

(قلتُ: إنّي عصيتُ صديقاً   لامَ مثلَ لومِكَ):
واللهِ، ما رأيْنا حُبّاً بلا ملامهْ!

– وتنسب الى حافظ الشيرازيّ غزلية هي[1]:

ألمْ يأنِ للأحبابِ أن يترحّموا، وللناقضينَ العهدَ أن يتندّموا[2]؟
ألم يأتِهم أنباءُ مَنْ باتَ بعدَهم وفي قلبه نارُ الأسى تتضرّم؟
فيا ليتَ قومي يعلمون بما جرى على مُرْتَجٍ منهم فيَعْفوا ويرحموا[3].
حكى الدمعُ منّي ما الجوانحُ أضْمرَتْ؛ فيا عَجَباً مِنْ صامتٍ يتكلّم[4]!
أتى موسمُ النَيْروزِ واخضَرّتِ الرُبى، ورَقّقَ خمرٌ، والنَدامى ترنّموا[5].
بني عمّنا، جودوا عَلَيْنا بجُرعة، ولِلْفَضْلِ أسبابٌ بها يُتَوَسَّمُ[6].
شهورٌ بها الأوطارُ تُقْضى من الصبا، وفي شأنِنا عيشُ الربيعِ مُحَرَّمُ[7].
أيا من علا كلَّ السلاطينِ سطوةً، ترحّمْ – جزاكَ اللهُ – فالخيرُ مَغْنَمُ.
لكلٍّ من الخُلاّنِ ذُخْرٌ ونِعْمَةٌ،
وللحافظِ المسكينِ فقرٌ ومغرَمُ[8].

٤ – ديوان خواجه حافظ شيرازي (به اهتمام سيّد أبو القاسم أنجوى شيرازي) طبعة ثانية بالتصوير، طهران؟ (سازمان انتشارات محمّد علي علمي) ١٣٦٦.

---

(١) راجع «حافظ الشيرازي للشواربي» (في رقم ٤)، ص ١٧٧.
(٢) ألم يأن (من أنى: حان، قرب): ألم يأت الوقت الذي ... ترحم: رحم، أشفق.
(٣) المرتجى: الراجي (الذي يأمل منك أن تساعده على أمر).
(٤) – دمعي يحكي (يشبه) ما أضمرته (أخفته، سترته) جوانحي (أضلاعي) من الحزن: بكائي شديد وكثير وطويل. وأنا صامت (ساكت) ولكن الناس يعلمون من بكائي ما أعانيه من العذاب في الحب (كأنني أشرح ذلك بالالفاظ والكلمات).
(٥) النيروز: عيد الربيع. الربى: التلال. رقق فلان الشيء: جعله لطيفاً ليناً. ورقق خمر (تركيب ضعيف) المقصود به: رقت الخمر (أصبحت صافية). ترنم: تغنى. الندامى: الذين يشربون الخمر معاً.
(٦) بجرعة: بشربة من الخمر. توسم: تخيل. للفضل أسباب بها يتوسم: للفضل علامات نعرفه بها!
(٧) العادة أن الناس في أشهر الربيع يقضون أوطارهم من الصبا (الشباب): يندفعون في التمتع بما يشتهون من الملذات، أما أنا فذلك محرم علي (لأن محبوبي. الذي هو العزة الالهية – ليس حاضراً لدي).
(٨) لكل خليل (محب) ذخر (ثروة مجموعة: محبوب) ونعمة (فرصة للتمتع بجمال المحبوب)، أما أنا (حافظاً المسكين: الشقي) فلي الفقر (غيبة المحبوب عني، بعده عني) والمغرم (الخسارة: لأنني لا أستطيع التمتع بمحبوبي كما يتمتع كل انسان آخر بمحبوبه).

* *روائع الشعر الفارسي (ترجمة محمّد الفراتي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي — سلسلة روائع الادب الشرقي ٢) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) بلا تاريخ (الصفحات ط — ى ، ٢٠١ — ٣١٠) .

حافظ الشيرازي شاعر الغناء والغزل في ايران ، تأليف ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٤٤ م .

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٣٦ — ٣٩ .

ابو أحمـــد الشاعر

١ — هُو عِزُّ الدين أبو أحمدَ الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ العِراقيُّ المعروفُ بأبي أحمدَ الشاعرِ ، أصلُه من العراق وسَكَنَ في حَلَبَ . وقد كان خاملاً في الحياة قليلَ السَعْي يَجْلِسُ في مكتبٍ في باب النَيْرَبِ[1] مَعَ العُدول (ذوي السِيرة الحسنة) للشهادةِ (للتكسّبِ بالشهادة أمامَ القضاة ؟) . وكانتْ وفاتُه في حَلَبَ في سابع عشر المحرّم من سنة ٨٠٣ هـ (٧/ ٩/ ١٤٠٠ م) .

٢ — كان أبو أحْمَدَ الشاعرُ من أهلِ الأدبِ جيّدَ الشعرِ رقيقَ القول. من شِعْرِه سبعُ بديعيّاتٍ (قصائدُ مَدَحَ بها الرسولَ) ، وله كتابُ « الدرّ النفيس من أجناس التجنيس » فيه سبعُ قصائدَ مَدَحَ بها البُرهانَ بنَ جَماعة[2] .

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو أحمدَ الشاعرُ في النسيب :

ولمّا اعْتَنَقْنا للوَداع عَشيّةً ، وفي كلِّ قلبٍ من تَفَرُّقِنا جَمْرُ ؛
بَكَيْتُ فأبكَيْتُ المَطِيَّ تَوَجُّعاً ، ورقَّ لنا من حادثِ السَفَرِ السَفْرُ[3]
جرى دُرُّ دمعٍ أبيضٌ من جُفُونِهِمْ ، وسالتْ دموعٌ كالعقيقِ لنا حُمْرُ[4] :
فراحوا وفي أعناقِهِمْ من دمُوعِنا عَقيقٌ، وفي أعناقِنا مِنْهُمُ دُرّ .

٤ — الضوء اللامع ٣ : ١٢٦ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٧ — ٢٨ .

---

(١) النيرب اسم قريتين قرب دمشق وقرب حلب .

(٢) لم استطع التوصل الى البرهان بن جماعة . هنالك نفر من آل جماعة ليس من المعقول (من حيث المكان والزمان) أن يكون أبو أحمد الشاعر قد مدح أحداً منهم.

(٣) المطي جمع مطية : الدابة التي تركب في السفر . السفر (بفتح السين وسكون الفاء) : المسافرون معاً

(٤) الدر : اللؤلؤ (.أبيض اللون). العقيق : حجر كريم أحمر اللون .

البُرَعيّ

١ ـ هو عبدُ الرحيم بنُ أحمدَ بن عليّ البُرَعِيُّ الهاجريُّ اليماني (اليمنيّ) ، منسوباً الى بُرَعَ بتِهامة (ساحل) اليمن بالقُرْب من وادي سِهام ، ومنسوباً أيضاً الى هَجَرَ[1]. لأنّه من سُكّان النيابتين[2] في اليمن. ثمّ لا نَعرفُ شيئاً من تفاصيل حياته . ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) على الأقل[3] . ومقامُه معروفٌ في وادي سَفْرة (بفتح السين) بينَ المدينة وينبُع (الحجاز) .

٢ ـ البُرَعيُّ شاعرٌ وُجدانيٌّ مُكثِرٌ ؛ وديوانُه الموجودُ بأيدي الناس مختاراتٌ من قصائده[4] ، أو هو ديوانُه الصغير[5] . وشِعرُ البرعيّ بديعيّاتٌ (قصائدُ في مدح الرسول) في الأكثر ، ويَغْلِبُ على شِعره النَفَسُ الصوفيّ والتعابيرُ الصوفية . ويكثُرُ في شعره ذِكْرُ الكَعْبَةِ والمَشْعَرِ الحرام . غيرَ أنّ شِعرَه ضعيفُ البناء ليّنُ السَبْكِ قليلُ المعاني ظاهرُ التقليد ، ولكنّ فيه مَعَ ذلك كلّه نَفَحاتٍ شَذِيّةً (طيبة).

٣ ـ مختارات من شعره

ـ من بديعيّة لعبد الرحيم البرعيّ :

ضربتْ سُعادُ خِيامَها بفـؤادي مِنْ قبل سَفْك دمي بسفح الوادي .

---

(١) هجر (بفتح ففتح) بلد باليمن بينه وبين عثّر (بتشديد الثاء المثلثة وفتحها) يوم وليلة .. والنسبة اليها هجرى وهاجري (القاموس ٢ : ١٥٨ س) . (٢) النيابتيين .

(٣) في بروكلمان (١ : ٣٠١ ، الملحق ١ : ٤٥٩) أن البرعي بلغ أشده نحو ٤٥٠ هـ . ولم يذكره العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) مع أنه ذكر شعراء يمانيين أقل منه قيمة وشهرة . ولم أعثر على ذكر له في « العبر » للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ولا في « ذيول العبر » للحافظ الذهبي ولمحمد بن علي الحسيني (ت ٧٦٥ هـ) ؛ ولا في « شذرات الذهب » للعماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) . وفي « تاج العروس » للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : « ومن المتأخرين الشاعر المفلق عبد الرحيم بن أحمد البرعي مادح المصطفى » (٥ : ٢٧٣) . وفي « ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ) أن وفاة البرعي كانت سنة ٨٠٣ هـ (ص ١٢٠) . وفي ديوان البرعي تقليد ظاهر لنفر من المتأخرين كابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) والبوصيري (ت ٦٩٥ هـ) كقول البرعي مثلا (ديوان ١٩) :

محمـد سيـد الكونين والثقلـيـ ن والفريقين من عرب ومن عجم

فانه أخذ حرفي من البوصيري (راجع ، فوق ، ص ٦٧٦) .

(٤) ذكر المستشرق يوسف هل (ت ١٩٥١ م) أن في مخطوطات ديوان البرعي عدداً من الموشحات (راجع بروكلمان ١ : ٣٠١) .

(٥) في تاج العروس (٥ : ٢٧٣) : والموجود بأيدي الناس هو ديوانه الصغير .

بعثتْ إليّ من الحجاز خيالَها ، شتّانَ بين بلادها وبلادي ؛
بلدٌ سمتْ اوطانُه وتشرّفتْ بمحمدٍ قمَرِ الكمال الهادي :
قمرٍ محا دينَ الضّلالة بالهُدى وأذلّ اهلَ البَغْيِ والإلحاد .

— قال البرعي في التشوّق الى نجد والحجاز :

قلْ للمَطيِّ اللواتي طَال مَسْراها من بعد تَقْبيل يُمناها ويُسراها ،
ما ضرّها يومَ جَدّ البينُ لو وقفتْ نقُصُّ في الحي شكْوانا وشكواها !
لو حُمّلت بعضَ ما حُمّلتُ من حُرَقٍ ما استعذبتْ ماءها الصافي ومَرعاها .
لكنها علمت شوقي فأوْجَدها شوقٌ إلى الشام أبكاني وأبكاها[1] .
ما هبّ من جبَلَيْ نجدٍ نسيمُ صَباً للغَور إلاّ وأشجاني واشجاها .
ولا سرى البارق المكيُّ مُبْتَسِماً إلا وأسهرني وَهْناً واسهاها[2]
تبادرتْ من رُبى نيّابتَيْ بُرَعٍ[3] كأن صوتَ رسول الله ناداها .

— وقال في الحبّ (الالهيّ) وفي الكِناية عن العزّة الالهية بأسماء النساء :

ما الحُبّ إلاّ لقومٍ يُعْرَفون به قد مارسوا الحبّ حتى هان مُعْظَمُه[4] .
عذابُه عندهم عَذْبٌ ، وظُلْمته نورٌ ، ومَغْرَمُه بالراء مغنمه[5] .
كلّفتَ نفسَك أنْ تَقْفو مآثرَهم ؛ والشيءُ صَعْبٌ على من ليس يُحْكمه[6] .
اني أُورّي لغيري ، حين يَسْألني ، بذكْر زينبَ عن لَيْلى فأُوهِمُه[7] .

---

(١) أوجدها بهذا المعنى (ليست في القاموس) ؛ المقصود : هاجها، جعل لها وجداً (شوقاً) . فاذا قلنا : شوقي أوجد لها (جعل لها) شوقاً ، أصبحت الكلمة قاموسية .

(٢) البارق المكي : البرق من نحو مكة . وهنا : بعد منتصف الليل . « أسهرها » (في الاصل المطبوع) .

(٣) (؟)

(٤) يعرفون به : اشتهروا بأنهم من أهل المحبة (من المتقدمين في سلوك طريق الصوفية) .

(٥) مغرمه بالراء كغنمه (بالنون) . — حينما يغرم (يفقد ، يخسر) الصوفي نفسه فان نفسه تكون قد اتصلت بالله ، وهذا مغنم (ربح) .

(٦) تقفو (تتبع) مآثرهم = مآثر المتصوفة (أعمالهم الحميدة ، ولاية الله لهم ، حب الله اياهم) : أن تبلغ الى مكانة المتصوفين .

(٧) أوري : آتي بتورية (أذكر شيئاً وأنا أقصد شيئاً آخر) . فأوهمه (أجعله يعتقد ما كان يظنه) أني أقصد بكلامي زينب (المرأة الجميلة المحبوبة) .

وطالما سجعتْ وَهْنــاً بذي سَلَـمٍ ورقاءُ يُعجَم شكواها فأفهمه[1] .

٤ ــ ديوان البرعي[2] ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٣، ١٢٨٨ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٧ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ ؛ بومباي ١٢٩١ ، ١٣٠٣ هـ .

مولد النبيّ الشهير بالعروس (مولد العروس) ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٣هـ ؛ (باعتناء أحمد المليجي) ، مصر ...

خمس قصائد (في كتاب « مدائح المصطفى ») ، القاهرة ١٢٨٠ هـ .

* * شرح ديوان البرعي (بقلم حافظ حسن المسعودي) مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

تخميس القصيدة السويجعيّة في مدح خير البريّة (سمعت سويجع الاثلات غنّى !! ؟) لمحمّد الخطيب الاسنوي (نحو ١٢٨١ هـ) ، (مطبوع مع « نور السراج في مولد النبيّ والمعراج) ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

هديّة العارفين ١ : ٥٥٩ ؛ ملحق البدر الطالع ١٢٠ ؛ تاج العروس ٥ : ٢٧٣ ؛ بروكلمان ١ ـ ٣٠١ ، الملحق ١ : ٤٥٩ ؛ زيدان ٣ : ٣٤ ؛ مجلّة الرسالة (القاهرة) ١٩ : ٣٧٤ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١١٨ ــ ١١٩ .

الدميريّ

١ ــ هو كمالُ الدين محمّدُ بنُ موسى بن عيسى الدميري ، نسبةً إلى بلدة دَميرةَ قُرْبَ سَمَنّودَ (في الدلتا) بمصر ، وُلِدَ في القاهرة في مَطْلَع سَنَة ٧٤٥ هـ (ربيع ١٣٤٤ م) في الأغلب .

تكسّبَ الدميريُّ في أول أمره بالخِياطة ثم درس الفِقْهَ واللغةَ على جماعة منهم بهاء الدين السُبْكيُّ وجمالُ الدين الأسْنَويّ (ت ٧٧٢ هـ) وابن عَقيل وبُرْهان الدين القيراطي .

---

(١) سجعت (غنت الحمامة) : بدت لطائف العزة الالهية بالبشر . وهنا : بعد منتصف الليل . ذو سلم موضع بالحجاز . الورقاء : الحمامة . يعجم : يغمض (على غيري) . شكواها : ما تشكوه (لأن هديل الحمام في الاصل لا يعرف أهو سرور أو حزن) فأفهمه (أنا) . ــ كان يجب أن يقول : تعجم شكواها فأفهمها .

(٢) طبع طبعات كثيرة في القاهرة ودمشق وبومباي .

حجّ الدميريّ مراراً بين سنَة ٧٦٢ وسنة ٧٨٠ هـ (١٣٦١ – ١٣٨٣ م) ؛ ومكثَ مدّةً طويلة في الحجاز . ولمّا عاد الى القاهرة تصدّر للتدريس في الجامع الازهر . وكانت وفاتُه في ثالث جُمادى الاولى من سنة ٨٠٨ هـ (٢٨–١٠– ١٤٠٥ م).

٢ – برع الدميريُّ في علوم القرآن وعلوم الحديث وفي الفقه واللغة والأدب ، وله مُصنَّفاتٌ أهمّها وأشهرها « حياة الحيَوان الكُبرى » (وهو معجم على الحروف فيه تفسير لغويّ لأسماء الحيَوان ثمّ ما يتعلّقُ باسْم الحيَوان المخصوص من الأحاديث والأمثال والأشعار ، معَ وَصْفٍ للحيوان وحياتِه وخصائصه الطبّيّة وتحريم أكله أو تحليله في المذاهب الاربعة وتأويلِ رُؤياه في المنام . وفي الكتاب استطرادٌ الى أخْبار نفرٍ من مشاهير الناس وتراجمِ نُخْبَةٍ من الأُدباء والعلماء ومن الخلفاء) . ويبدو أن الدميريّ اختصر هذا الكتابُ في كتابين آخرَيْن : حياة الحيَوان الوُسطى ، حياة الحيوان الصُغرى . وهذا الكتابُ ليس في ذكر صفات الحيَوان فقطْ ، بل فيه أيضاً استطراداتٌ تاريخيّةٌ وأدبية ، فبعد « الأوز » (١ : ٤٣) يستطردُ الدميريُّ الى ذكْرِ رسولِ الله فالخلفاءِ الراشدينَ فخلفاءِ بني أُميّةَ فخلفاءِ بني العبّاسِ حتّى خلافة المستكْفي باللهِ (١ : ٤٤ – ٩٣)، ثمّ يعودُ إلى « الألفة » (السنعلاة). ثمّ إنّ في ثنايا الكلام على القسم الأوفر من الحيَوانات استطراداتٍ أيضاً ، هنالك مثلاً فصلٌ في « فضل العقل وزَيْنه وفي قبح الجهل وشَيْنه » (٢ : ٢٠٥) وفصل في « صفة البراذين » (٢ : ١٩١) . وفي الكتاب نحوُ ألف وثلاثةٍ وستّينَ اسماً .

وللدميريّ أرجوزةٌ في الفِقْه تبلغُ ثلاثينَ ألفَ بيتٍ .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدمة « حياة الحيوان الكبرى للدميري » .

« الحمدُ لله الذي شرّف الإنسانَ بالأصْغرَيْنِ القلبِ واللسان ، وفضّله على سائر الحيَوان بنِعْمتَي المَنْطِق والبَيان ، ورجّحه بالعقل الذي وزَنَ به قضايا القياس في أحْسن ميزانٍ فأقامَ على وَحْدانيّته البُرْهانَ .....

وبعدُ ، فهذا كتابٌ لم يَسْألْني احدٌ تصنيفَه ولا كُلّفَت القريحةُ تأليفَه . وإنّما دَعاني إلى ذلك أنه وقَعَ في بعض الدروس التي لا مَخْبَأَ فيها لعِطْرٍ بعْدَ عَروسٍ (١)

(١) في الضوء اللامع (١٠ : ٥٩) سنة ٧٤٢ هـ .

(٢) « لا مخبأ لعطر بعد عروس » مثل قيل فيه (فرائد اللآل في مجمع الأمثال ٢ : ١٧٩) إن رجلا تزوج –

ذكرُ مالك الحزين والذيخ المنحوس. فتحصّلَ في ذلك ما يُشبِهُ حرْبَ البسوس[٢]، ومزْجَ الصّحيحُ بالسّقيم ولم يُفرّقْ بين نسْرٍ وظليم[٢] .... فقلت عند ذلك في بَيْتِهِ يُؤتى الحكَمُ وبإعطاء القوْسِ باريَها تتبيّنُ الحِكَمُ[٣]، وفي الرهان سابقُ الخيلِ يُرى وعندَ الصّباح يَحمَدُ القومُ السُرى[٤]. فاستخرتُ اللهَ تعالى وهُوَ الكريمُ المنّان في وضع كتابٍ في هذا الشان وسمّيْتُهُ «حياة الحيَوان» جعله اللهُ موجِباً للفوزِ في دار الجِنانِ ونفع به على ممَرّ الأزمان، إنه الرحيمُ الرحمنُ؛ ورتّبتُه على حروفِ المُعْجَمِ لِيَسْهُلَ به من الاسماء ما استَعْجَم»[٥].

* * *

ثم إن المؤلف بدأ حرْفَ الهمْزة بكلمةَ الأُسد (ص١ : ٣)، الابل (ص ١ : ١٣)، الأبابيل، الأتان (١ : ١٧)، الأخطب، الأُخيضر، الأخيل، الأربد، الأرخ، الإرَضة[٦] (١ : ١٨) الخ.

٤ — حياة الحيوان الكبرى، الاستانة ١٢٧٢ هـ؛ بولاق ١٢٨٥ هـ؛ القاهرة ١٢٧٤، ١٢٧٥ (؟)، ١٢٨٤ (؟)، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٣٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة

= امرأة فوجدها تفلة (بفتح التاء وكسر الفاء : متغيرة الرائحة)، فسألها : أين العطر ؟ فقالت: خبأته ! فقال المثل : (يقصد : لا يمكن السكوت بعد الآن، لا ينفع ذلك بعد الآن).

(١) مالك الحزين : طير من طيور الماء طويل القائمتين طويل المنقار دقيقه. الذيخ: ذكر الضبع. حرب البسوس: حرب كانت في الجاهلية بين بني بكر وبني تغلب دامت العداوة فيها أربعين سنة (يقصد : اختلافاً كثيراً)

(٢) الظليم : ذكر النعام.

(٣) «في بيته يؤتي الحكم» مثل (فرائد اللآل ٢ : ٥٦ — ٥٧) معناه أن الناس يأتون الى القاضي، والقاضي لا يذهب الى الناس المتخاصمين.

«أعط القوس باريها» (فرائد اللآل ٢ : ١٥) معناه : استعن على الاعمال التي تريدها بأهل الحذق والخبرة. الباري للقوس : الذي يعد القضبان التي تجعل قسيا. (إن الذي سيقرأ كتابي سيرى مقدرتي في الموضوع الذي أعالجه).

(٤) «عند الرهان تعرف السوابق» مثل (فرائد اللآل ٢ : ٢٨) معناه: بمقارنة بعض الاشياء ببعضها يعرف الصحيح منها من الفاسد. و «عند الصباح يحمد القوم السرى» مثل (فرائد اللآل ٢ : ٢) معناه : اذا سارت القافلة في الليل (والجو لطيف) وجدت في الصباح أنها قطعت مسافة طويلة لأنها لا تستطيع السير في النهار لشدة الحر في البادية (من قضى وقتاً طويلا في قراءة كتابي فسيجد أنه استفاد كثيراً).

(٥) استعجم : استغلق معناه (كان معناه غامضاً).

(٦) الابابيل : الجماعة من الطير (طيور أرسلها الله على جيش أبرهة فألقت عليه حجارة فهلك). الاتان : أنثى الحمار. الاخطب : الشقراق أو الصرد (طائر). الاخيضر : ذباب أخضر، الصقر. الأخيل : طائر أخضر على جناحه لمعة تخالف لونه. الارخ : ذكر البقر. الارضة : دويبة تنخر الخشب.

شرف) ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٩ ، ١٣١١ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الكاستلية والمطبعة الأدبية) ١٣١٩هـ ؛ طهران ١٢٨٥هـ؛ ليدن وبومباي ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ)، ١٩٠٨ م .

* * المختار من حياة الحيوان الكبرى للدميري (اختيار محمّد الحاذق) ، القاهرة (الشركة العربية) بلا تاريخ .

الضوء اللامع ١٠ : ٥٩ — ٦٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٧٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٧٩ — ٨٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٢ — ١٧٣ ، الملحق ٢ : ١٧٠ — ١٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ١٠٧ — ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٤٠ — ٣٤١ .

ابن مكانس

١ — هو فخرُ الدين أبو الفرجِ عبدُ الرحمن بنِ عبدِ الرزّاق بنِ ابراهيمَ بنِ مكانسَ القبطيُّ الأصلِ المِصْريُّ ، وُلِدَ في تاسعِ عشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٤٥ هـ (٢٢/ ٤/ ١٣٤٥ م) في القاهرة — وكان أبوه من كُتّاب الدواوين فنشأ هو في جوّ الكُتّاب — ثمّ اعتنقَ الإسلامَ في نحوِ العِشرين من عُمُرِه ؛ وقد خَدَمَ في ديوان الإنشاء .

ووَلِـعَ ابنُ مكانسَ في الأدبِ فأخذ الشعر عن القيراطي (ت ٧٨٦ هـ) وصَحِبَ الشيخَ بدرَ الدين البشتكيَّ . وفي سَنَةِ ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) خلَفَ فخرُ الدينِ أخاه كرمَ الدين في مَنْصِبِ نَظارَةِ الدولةِ ، ولكنه لم يَبْقَ فيه طويلاً فقد تولّى الوِزارةَ في دِمَشْقَ . ولمّا زارَ المَلِكُ الظاهرُ بَرقوقٌ مدينةَ حَلَبَ رافقه فخرُ الدين بنُ مَكانسَ .

ثمّ ان فخرَ الدين بنَ مكانسَ استُدْعِيَ الى القاهرة ليتولّى الوزارةَ ولكنّه سُقِيَ السُمّ في أثناء الطريقِ فمات في بَلْبَيْسَ في ١٢ من ذي الحِجّة ٧٩٤ هـ (٣١/ ١٠/ ١٣٩٢ م) .

٢ — كان ابنُ مكانسَ كثيرَ الذكاءِ حَسَنَ الذَّوْقِ . ومعَ أنّه خاضَ غِمارَ الحياةِ السياسية فقد غلَبَ عليه حُبُّ الأدب فكان كاتباً مُترسّلاً وشاعراً ووشّاحاً وراجزاً ، معَ قُصورٍ بيّنٍ في العَربية (الدرر الكامنة ٢ : ٤٣٨) . وشِعْره سَهْلٌ فيه شيءٌ من اللِين وكثيرٌ من الصِناعة . وفنونُه الوصفُ والعِتاب والحِكمة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ مكانسَ في النسيب (معَ التورية الكثيرةِ البارعة) :

عُلِّقْتُها مَعْشوقةً خالُها إنْ عَمَّها بالحُسْنِ قد خصّصا[١].
يا وَصْلَها الغالي ويا جِسْمَها ، لله ما أغْلى وما أرْخصا ![٢]

– ولابن مكانسَ أرجوزةٌ منها :

هلْ مِن فتىً ظريفِ مُعاشرٍ لَطيفِ
يَسْمَعُ مِن مَقالي ما يُرْخِصُ اللآلي :
اسْلُكْ معَ الناسِ الأدَبْ ترَ(ى) من الدهرِ العَجَبْ.
لا تُغْضِبِ الجَليسا ، لا تُوحِشِ الأنيسا ،
لا تَصْحَبِ الخسيسا ، لا تُسْخِطِ الرئيسا .
فهاكَها وَصِيّهْ تَصْحَبُها التَحيّهْ
تَحْمِلُها الكِرامُ إليكَ ؛ والسلامُ !

– وقال يَصفُ شَجَرَةً على شاطىء النيل :

يا سَرْحَةَ الشاطىءِ المُنْسابِ كَوْثَرُهُ على اليواقيتِ في أشكالِ حَصْباء[٣] ،
(إذا) تَبَسّم فيكِ النُورِ من جذَلٍ ، سَقاكِ من كلّ غيمٍ كُلُّ بَكّاء[٤].
مالت على النَهْرِ إذ جاشَ الحريرُ به كأنّها أُذُنٌ مالتْ لإصغاء[٥].
باكَرْتُها في سَراةٍ من أصاحِبِنا لا يَنْطَوُونَ على بُغْضٍ وشَحناء !

٤ – * الدرر الكامنة ٤٣٨ – ٤٣٩ (رقم ٢٣٠٣) ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٣٣٤ ؛ زيدان ٣ : ١٣٥ ؛ بروكلمان ٢ : ١٦ – ١٧ ، الملحق ٢ : ٧ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٤٢٤ وما بعد ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٨٢ ؛ الكشكول ١ : ٨٧ – ٩٥ .

---

(١) علقتها = تعلقتها : أحببتها حباً شديداً (لم أستطع بعده مفارقتها) . الخال : النكتة السوداء في الخد؛ والخال أخو الأم . عمها : انتشر في جميع جسمها . والعم أخو الأب (تورية وطباق معاً) .

(٢) الوصل : التمتع بلقاء المحبوب . الغالي : النادر ، الكثير الثمن . أغلى : أعظم ثمناً . أرخص : أندى ، أطرى ، أنعم . وأرخص : أقل ثمناً (ما أغلى وصلها وما أنعم جسمها !) .

(٣) السرحة : الشجرة الكبيرة (الطويلة) . المنساب : الجاري على مهل وفي يسر . الكوثر : الماء العذب .
– لعل الشاعر يصف جانباً ضحضاحاً من نهر النيل فيذكر أن الحجارة الصغار في قاعه ياقوت ولكن في شكل حجارة

(٤) تبسم النور من جذل : لمع البرق فرحاً (بكثرة لمعاناً شديداً) . غيم بكاء : كثير المطر .

(٦) الحرير : صوت الماء الجاري على سطح غير مستو .

ابن خطيب داريّا

١ ـ هو جمالُ الدين أبو المَعالي أبو عبد الله محمّدُ بنُ أحمدَ بن سُليمانَ (سَلمانَ ، سَلامةَ) بن يَعْقوبَ الأنصاريُّ النَيْسابوريُّ الأصل الدمَشْقيُّ الدار ، وُلِدَ في منتصف ربيع الأوّل (الضوء اللامع ٦ : ٣١٠ ، ثالث ربيع الاول) ٧٤٥هـ (٢٨/ ٧/ ١٣٤٤ م) ؛ وَهُوَ منسوبٌ الى أبيهِ خَطيبِ داريّا (إحدى قُرى الشام) .

سَمِعَ ابنُ خطيب داريّا من العِماد بنِ كثيرٍ وأبي الحرم القلانسي[1] وغيرهما . وقد اشتغل بالفِقْه والعربية (النحو) وبعددٍ من فنونِ الأدب . وقال الشعرَ في صباه ومدَحَ جماعةً من الأمراء والعلماء .

وكانتْ في ابنِ خطيبِ داريّا نزعةٌ من الشرّ : أراد أنْ يتلاعبَ بالقاضي بُرهانِ الدينِ بنِ جَماعةَ ، زوّرَ عليه تذكرةً بِبَيْعِ قِسْم من جامعِ بني أُميّةَ . وفَطِنَ القاضي ابنُ جماعةَ لذلك فهَرَبَ ابنُ خطيبِ داريّا الى القاهرة . ثمّ إنّه انقلبَ الى التَصوّفِ والتَّعَفّف وانتقل الى بَيْسان (في غَوْرِ الأُرْدنّ) حيثُ تُوُفّيَ في ربيع الأوّلِ من سَنَةِ ٨١٠ هـ (آب ـ أغسطس ١٤٠٧ م) .

٢ ـ كان ابنُ خطيبِ داريّا عالماً بالعربية وبالفِقْه وكانتْ له مُشاركةٌ في العلوم النَقْلية (اللغوية والدينية) وفي العلوم العقلية (الفلسفية) ، كما كان يَنْظِمُ شعراً . ومن كتبه : الإمتاع بالإتباع (رتّبه على الحروف) ـ الأمداد في الأضداد ـ محبوبُ القلوبِ وملاذُ الشواذ (ذكر فيه شواذّ القرآن) ـ طَرْف اللسان بطرق الزمان (ذكَرَ فيه أسماءَ الأيام والشهور) ـ تحصيلُ الأدوات بتفصيل الوَفَيَاتِ (ذكر الأماكن التي توفّي فيها جماعةٌ من الصحابة) ـ مطالب المطالب (في معرفة تعليم العلوم ومعرفة من هو أهل لذلك) ـ طَرْح الخَصاصة بشَرْحِ الخُلاصة (شرح ألْفيّة ابنِ مالكٍ) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ خطيبِ داريّا يُعَلّل طَلَبه للحديثِ (أقوالِ رسول الله) . والحبيبُ من أسماءِ محمّدٍ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم :

لَم أسْمُ في طَلَب الحديث لسِمْعَةٍ ، أو لاجتماعِ قديمِهِ وحديثِهِ .
لكن اذا فاتَ المُحبَّ لقاءُ من يَهْوى تَعَلّل باستماعِ حَديثِهِ .

---

(١) الضوء اللامع ٦ : ٣١١ .

– وقال في قبولِ النُصْح من جميعِ الناس :

اقبَلْ نصيحةَ واعظٍ ولَوْ انه فيها مُرائي .
فلَرُبّما نفَعَ الطبيبُ وكانَ أحوجَ للدواء !

– وله في الغزل :

يا عينُ ، إنْ بعُدَ الحبيبُ ودارُه ، ونأتْ مَرابعُه وشطّ مَزارُهُ ؛
فلقد حظيتِ مِنَ الزمان بطائلٍ : ان لَمْ تَريه فهذه آثارُه !

٤ – * الضوء اللامع ٦ : ٣١٠ – ٣١٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٠٦ – ١٠٨ ؛ بغية الوعاة ١٠–١١ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٨٨ – ٨٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧ ، الملحق ٢ : ٧ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٧ .

الفيروز ابادي

١ – هو مجدُ الدين أبو الطاهرِ محمّدُ بنِ شيخِ الإسلام سراجِ الدين يعقوبَ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ بنِ عُمَرَ الشيرازيُّ الفيَروزاباديُّ ، وُلِدَ في بلدةِ كازَرونَ قُرْبَ شيرازَ ، في جُمادى الأولى ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) .

بدأ الفيروزاباديُّ تعَلّمَه في شيرازَ سنَةَ ٧٣٧ هـ ثم ذهب الى واسطَ . وفي سنَةَ ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) جاء الى بَغْدادَ . وفي ٧٥٠ هـ كان في دِمَشْقَ يَسْمَعُ من تَقيّ الدين السُبْكيّ ثمّ ذَهَبَ معَه الى القُدْسِ . وبَقِيَ الفيروزاباديُّ في القدسِ عَشْرَ سنينَ . بعْدَئذٍ ذهب الى بلادِ الروم (آسيةَ الصُغرى) ثم الى القاهرة . وفي ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ذَهَبَ الى مكّةَ ومكث فيها مُدّةً زار في أثنائها دَهْلي وما جاورها من بلادِ الهند . وفي سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) دعاه والي بَغدادَ السُلْطان بهادورُ أحمدُ بنُ أويسِ بنِ حسَنٍ بزُرْكَ[1] الجلائري فلَقِيَ عندَهُ حظْوةً . ثم زارَ تيْمورلَنْكَ في شيرازَ . وفي ٧٩٦ هـ ذهب الى اليمن فنال حظْوةً عند الملك الأشرف سُلْطانِ تَعِزَّ فأصبحَ هنالك قاضي القضاة .

وكانت وفاةُ الفيروزاباديِّ في زَبيدَ باليمن في ٢٠ شوّالٍ من سنة ٨١٧ هـ (٣/ ١/ ١٤١٥ م) .

٢ – الفيَروزاباديُّ من أشهرِ علماء اللغة ، كان سريعَ الحِفْظ فبَرَعَ في علومِ

(١) حسن بزرك (منعوت ونعت) . بزرك (فارسية) كبير .

كثيرةٍ وخصوصاً في التفسير والحديث والفِقْه واللغة ؛ وكان له نَظْمٌ ونثرٌ .
وللفيروزابادي نحوُ أربعينَ كتاباً أشهرُها القاموسُ المُحيطُ الذي اختصره من تآليفَ له في هذا الفن أوْسعَ نِطاقاً . والقاموسُ المحيطُ كتابُ لغة ، ولكنّ فيها فوائدَ جغرافيةً وتاريخية واستطرادات أدبيةً أحياناً . ومن كُتُبه أيضاً : اللامعُ المُعْلَم (قاموس) ـ الجليسُ الأنيسُ في أسماء الخندريس (الخمر) ـ تحبير المُوشّينَ فيما يقال بالسين والشين ـ البُلْغة في تأريخ أئمّة اللغة ـ الغُرَرُ المثلّثة والدُرر المبثّثة[1] ـ تحفة الأبيه[2] في من نُسِبَ الى غير أبيه ، الخ .

ـ من مقدمة « القاموس المحيط » :

الحمد لله مُنْطقِ البلغاء باللُغى في البوادي ومُودعِ اللسانِ ألْسَنَ اللُّسُنِ الهوادي .... وبعد فإن للعلم رِياضاً وحِياضاً وخمائلَ وغِياضاً وطرائقَ وشِعاباً وشواهق وهِضابا، يتفرّع عن كلّ أصل منه أفنانٌ وفنون ، وينشقّ عن كلّ دَوْحة منه خِيطان وغصون[3] .....

هذا واني قد نبغت في هذا الفن قديماً وصبغت به أديماً ولم أزل في خدمته مستديماً . وكنت بُرهةً من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ومصنّفاً على الفُصَح والشوارد محيطاً . ولمّا أعياني الطِلاب شرعت في كتابي الموسوم باللامع المُعْلَم العُجاب الجامع بين المُحْكَم والعُباب[4] فهما غرّتا الكتب المصنّفة في هذا الباب ونيّرا براقع الفضل والآداب ، وضَمَمْتُ إليهما زيادات امتلأ بها الوِطاب واعتلى منها الخطاب ففاق كلّ مؤلّف في هذا الفن هذا الكتابُ . غير أني خمّنته في ستّين سِفراً يُعْجِزُ تحصيلُه الطُلاّبَ . وسُئلت تقديمَ كتاب وجيز على ذلك النظام وعمل مُفْرَغٍ في قالَبِ الإيجاز والإحكام مَعَ التّزام إتمام المعاني وإبرام المباني ، فصرفت صَوْبَ هذا القصد عِناني وألّفت هذا الكتاب محذوفَ الشواهد مطروحَ الزوائد مُعْرِباً عن الفصح والشوارد ، وجعلت بتوفيق الله تعالى زُفَراً في زِفْر ولخّصت كلّ ثلاثين

---

(١) المبثثة : المنثورة ، المتفرقة .

(٢) الابيه : الفطن ، المتذكر بعد نسيان .

(٣) اللغى : اللغات . ألسن اللسن : أفصح أنواع اللغات . الخيطان جمع خوط (بضم الخاء) : الغصن الصغير الناعم .

(٤) صبغت به أديما : أصبح البحث في اللغة فيّ كأنه الدباغ في الجلد لا ننفصل . المحكم كتاب في اللغة لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨ ﻫ) . العباب كتاب في اللغة لأبي الفضائل رضي الدين الحسن ابن فهد الصغاني (ت ٦٥٠ ﻫ) .

سِفراً في سِفْر وضمّنته خُلاصةَ ما في العباب والمحكم وأضفت اليه زيادات مَنَّ الله تعالى بها وأنعم ورَزَقَنيها عند غَوْصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماءَ الغَطَمْطَم وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الاعظم(*) .....

٤ — القاموس المحيط ، اشقودرة في ألبانية ١٢٣٠ﻫ ؛ (باعتناء ماتيو لمسدن)، كلكتّا ١٢٣٠ — ١٢٣٢ ، ١٢٧٠ ﻫ ؛ استانبول ١٢٥٠ ﻫ ؛ (مع ترجمة تركية) ، استانبول ١٢٧٢ ﻫ ؛ استانبول (المطبعة البحرية) ١٣٠٤ ﻫ ؛ (بتصحيح نصر الهوريني[1]) ، بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٤ ، ١٢٨٩ ﻫ ؛ بومباي (طبع حجر) ١٢٧٢ ، ١٢٧٨ — ١٢٧٩ ﻫ ؛ طهران ١٢٧٦ﻫ ؛ تبريز (؟) ١٢٧٧ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الكاستليّة) ١٢٨١ ، ١٢٨٩ ﻫ ، (بهامش «تاج العروس») ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ — ١٣٠٧ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٠ ، ١٣٣٢ (١٩١٣ م) ، ١٣٣٤ ﻫ ؛ لكنـــهو ١٢٨٩ ، ١٢٩٨ ﻫ ، ١٨٨٥ م (١٣٠٣ ﻫ) .

تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ، بولاق ١٢٩٠ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٦ ﻫ ؛ (بهامش الناسخ والمنسوخ لابن حزم) ، القاهرة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦ م) .

سفر السعادة (نقله من الفارسية الى العربية أبو الجود محمّد بن محمود المخزومي الحنفي المصري) القاهرة بلا تاريخ ؛ (بهامش الفوز الكبير مع فتح الخبير في أصول التفسير لوليّ الدين بن عبد الرحيم) ، القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٤٦ ﻫ ؛ (بهامش كشف الغمّة "شعراني) ، القاهرة (الحلبي) ١٣١٧ ، ١٣٣٢ ﻫ ؛ (بهامش الناسخ والمنسوخ لابن حزم) ، القاهرة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦ م) .

تحبير الموشّين فيما يقال بالسين والشين ، الجزائر ١٩٠٩ م .

المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) ، الرياض (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ١٣٨٩ ﻫ = ١٩٦٩ م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (تحقيق محمّد علي النجّار) ، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية) ١٣٨٣ — ١٣٩٠ ﻫ = ١٩٦٣ — ١٩٧٠ م .

الصِلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر (حقّقه نور الدين عدنان الجزائري وعبد القادر الحياري ومحمّد مطيع الحافظ) ، دمشق (دار التربية) ١٩٦٩ م .

* تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ ﻫ) ، القاهرة (المطبعة

---

(١) الوطاب : الظرف ، الوعاء . الخطاب : التخاطب ، توجيه الكلام الى الآخرين . زفر (بضم الزاي وفتح الفاء) : البحر . الزفر (بكسر الزاي وسكون الفاء) : القربة (وعاء من جلد للماء — أي اختصرته كثيراً حتى لكأني أجعل البحر في قربة للماء) . السفر : الكتاب . الدأماء : البحر . الغطمطم : العظيم الواسع المنبسط (الدأماء هنا مفعول أول به من «غوصي») »كذا في الأصل وفي شرح مقدمة القاموس المحيط.

(٢) يبدو أن جميع النسخ المطبوعة مبنية على النسخة التي صححها نصر الهوريني .



الوهبية) ١٢٨٦ — ١٢٨٧ هـ (الى آخر حرف العين) ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ — ١٣٠٨ هـ ؛ (اعادة طبعه بالتصوير) ، بيروت (   ) .

تصحيح القاموس المحيط لأحمد تيمور (ت ١٣٤٨ هـ) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ .

الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٤ هـ) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ .

القول المأنوس بتحرير ما في القاموس ، لمحمّد بن يحيى القرافي (ت ١٠٠٨ هـ) ، بهامش القاموس طبعة بولاق ١٣٠١ — ١٣٠٣ هـ .

القول المأنوس في صفة القاموس ، لمحمّد سعد الله المرادي الرامبوري ، رامبور ١٢٨٧ هـ .

الناموس الملخّص من القاموس لعليّ بن سلطان محمّد القارىء الهروي (ت ١٠١٤ هـ) ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

إضاءة الأدموس ورياضة الشموس في اصطلاح القاموس (ومعه) فتح القدّوس في شرح خطبة القاموس ، لأحمد بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسيّ الهلاليّ (ت ١٠٧٠ هـ) (ثمّ) ذيل اضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح القاموس ، فاس ١٣٢٩ هـ .

حلية العروس نظم اضاءة الناموس لمحمّد بن عبد القادر الكردودي (ت ١٢٦٨ هـ) ، فاس ١٣٢٣ هـ .

الضوء اللامع ١٠ : ٧٩ — ٨٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٨٠ — ٢٨٥ ؛ بغية الوعاة ١١٧ — ١١٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٢٦ — ١٣١ ؛ الشقائق النعمانية (بهامش وفيات الأعيان) ١ : ٣٢ — ٣٤ ؛ زيدان ٣ : ١٥٧ — ١٥٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣١ — ٢٣٤ ، الملحق ٢٣٤ — ٢٣٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٩٢٦ — ٩٢٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٩ .

القلــــقشنديّ

١ — هو شِهابُ الدين أبو العبّاس أحمدُ بنُ عليِّ بنِ احمدَ بن عبد الله الفَزاريّ القَلْقَشَنْديُّ ، وُلِدَ في قَلْقَشَنْدَةَ قُربَ قليوب (شَمالَ القاهرة) سَنَةَ ٧٥٦هـ (١٣٥٥ م) ونشأ فيها ثمّ انتقلَ الى الإسكندرية وتلقّى فيها الحديثَ والفِقْهَ والنحو والأدبَ على نَفَرٍ من عُلمائها فأجازه عُمَرُ بنُ المُلَقِّن الانصاريُّ ، سَنَةَ ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م) بالإفتاء ورواية الحديث .

اشتغلَ القلقشنديُّ بالتدريس والتأليف . وفي سَنَة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) عُيِّنَ في ديوان الإنشاء في القاهرة . وكانتْ وفاتُه في عاشِر جُمادى الثانية من سَنَة ٨٢١ (١٦/٧/١٤١٨ م) .

٢ — كان القلقشنديّ واسعَ الإحاطة بعلوم زمانه بارعاً في علوم البلاغة خاصّةً ،

يفضّل النثرَ على الشعر لأنّ الشعر مُثقَلٌ بالقيود اللفظية (من وزن وقافية يُحْوِجان الى التقديم والتأخير والتبديل والحذف) ممّا يجعل المعنى أسير الألفاظ ، بينما الألفاظ في النثر تكون تبعاً للمعنى فيبرز المعنى طليقاً من القيود دالاّ على عبقريّة صحيحة . ومع ذلك فالقلقشندي مُرهَف الحسّ في تخير شواهده القصارِ والطوال من الشعر الجيّد . وكان للقلقشنديّ إلمام بالعلوم الرياضيّة والطبيعية .... وكان القلقشندي مؤلّفاً مكثراً له « صبح الأعشى في كتابة[1] الانشاء » تكلّم فيه على فضل الكتابة وتاريخ ديوان الإنشاء وعلى صِفات الكاتب وآدابِ الكتابة ومـا يَحتاج اليه الكاتبُ من المعارفِ في اللغةِ والدين والجغرافية والتاريخ والأدب . ثمّ تكلّم على الحياة ثمّ تكلّم على الحياة السياسية والإدارية في مِصْرَ والشام وعلى أسلوب المكاتبات وعلى ما يَعْرِضُ في إدارة الدولة من الأحوال . وله أيضاً : نِهايةُ الأرب في معرفـة قبائل العرب – قلائدُ الجُمان في التعريفِ بقبائل عرب الزمان – حِلْية الفضلِ وزينة الكـرَمِ في المفاخرة بين السيف والقلم .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة « صبح الأعشى » :

الحمدُ لله جاعلِ المرء بأصغرَيْه : قلبه ولسانه ، والمتكلّم بأجْمَلَيْه : فَصاحته وبَيانه .... الذي حَفِظَ برسوم الخطوط ما تَكِلُّ الأذهانُ السليمةُ عن حِفظه[2] . ....

وبعدُ ، فلمّا كانت الكِتابةُ من أشرف الصنائع وأرفَعِها ، وأربحِ البضائع وأنفَعِها ..... لا سيّما كتابةُ الإنشاء التي هِيَ منها بمنزلة سُلطانِها .... لا تلتفتُ الملوكُ إلاّ إليها ، ولا تُعَوِّلُ في المَهَمّات[3] إلاّ عليها ، يُعَظِّمون أصحابَها ويُقرِّبون كُتّابها .... (ثمّ) كانت الديارُ المِصرية والمملكة اليُوسفية[4] ... قد رَجَحَتْ سائرَ الأقاليم ... وحَظِيَتْ من فُضلاء الكُتّابِ بما لم تَحْظَ به مملكةٌ من الممالك ولا مِصْرٌ من الأمصار[5] ، وحَوَتْ من أهلِ الفضل والأدبِ ما لم

(١) سمى القلقشندي كتابه صبح الأعشي في صناعة الانشا ، ولكن الكتاب اشتهر باسم صبح الأعشى في كتابة (وقيل : قوانين) الانشا . والكتاب مطبوع (دار الكتب المصرية) بعنوان « صبح الاعشى » فقط.

(٢) برسوم الخطوط (بالكتابة ، بالخط) تكل (تتعب ، تضعف ، تقصر) .

(٣) تعول : تعتمد . المهمة (بفتح الميم والهاء) : الأمر المهم (بضم الميم وكسر الهاء) .

(٤) المملكة اليوسفية : دولة يوسف بن أيوب بن شاذي (صلاح الدين الأيوبي) .

(٥) المصر : البلد الكبير الذي هو عاصمة لمنطقته ، كالكوفة والبصرة وحمص .



يَحْوِ قُطْرٌ من الأقطار .....

هذا ، والمؤلِّفون في هذه الصَّنْعة قد اختلفتْ مقاصدُهُمْ في التصنيف ، وتبايَنَتْ[1] مواردُهم في التأليف : ففِرْقةٌ أخذتْ في بيانِ أصول الصَّنعة وذِكْر شواهدِها ، وأخرى جنَحَتْ[2] الى ذِكْرِ المُصْطَلَحات وبَيانِ مَقاصدِها ، وفِرْقةٌ اهتمَّتْ بتدوينِ الرسائل ليُقْتَبَسَ مِن معانيها ... وتكون أنموذجاً ... لمن أراد أن ينسُجَ على مِنوالها[3] ..... ولم يكُنْ فيها تصنيفٌ جامعٌ لمقاصدِها ، ولا تأليفٌ كافلٌ بمصادرِها الجليلة ومواردِها .... وكــان الدستورُ الموسومُ بـ « التعريفِ بالمُصْطَلَح الشريف » ، صَنْعَةُ أحمدَ بنِ فضلِ اللهِ العُمَريّ[4] ، أنفسَ الكُتُبِ المصنَّفة في هذا الباب عِقْداً ، وأعدَلَها طريقاً وأعذَبَها وِرْداً[5] ، قد أحاطَ من المحاسن بجوانبِها .... إلاَّ أنّه قد أهْمَلَ من مقاصدِ « المُصْطَلَح » أموراً لا يسوغُ تَرْكُها كالبطائق فلم يَقَعِ الغِنى به عمّا سِواه[6] ... ثمّ تلاه التَّقَويّ ابنُ ناظرِ الجيشِ بوضع دُستوره المُسمّى بـ « تَثْقيفِ التعريف »[7] مُقْتَفِياً أثَرَهُ في الوَضْعِ مَــعَ إيرادِ ما أهْمَلَهُ في تعريفه ، فاشتَهَرَ ذِكْرُه وعزَّ وُجودُه[8] . وكان مَعَ ذلك قد تَرَكَ ممّا قد تَضَمّنه التعريفُ مقاصِدَ لا غِنىً عنها كالوصايا والأوصاف ومراكز البريد وأبراج الحَمام[9] ....

وكيفَما كان ، فالاقتصارُ على مَعْرِفة المُصْطَلَحِ قُصورٌ[10] .... وكنتُ في حدود سَنَةِ إحدى وتِسعينَ وسبعمائَة ، عندَ استقراري في كِتابةِ الإنشاء بالأبواب الشريفة السُّلطانية ، أنشأتُ مقامةً بَنَيْتُها على أنّه لا بُدَّ للإنسانِ من حِرفةٍ

---

(١) تباينت : افترقت واختلفت . المورد : مكان شرب الماء . اختلفت مواردهم في التأليف : اختلفت المصادر التي استقوا منها موادّ كتبهم .

(٢) جنحت : مالت . المصطلح : ما اتفق عليه أصحاب كل صناعة من الأمور .

(٣) النسج : الحياكة . المنوال : النول (الآلة التي يحاك عليها النسيج) . نسج على منواله : عمل مثل عمله ، قلده .

(٤) راجع ، فوق ، ص٧٦٢ .

(٥) العقد : السلك تنظم فيه حبات من اللؤلؤ وغيره . أنفسها عقداً : أغلاها قيمة (وأحسنها تنسيقاً وتنظيماً !) . أعدلها (أكثرها استقامة ، أصحها) . طريقاً : طريقة ، منهجاً ، أسلوباً . أعذبها : أحلاها ورداً : شربا (ماء) .

(٦) ساغ الشراب : مر في الحلق بسهولة . لا يسوغ (لا يجوز) تركه . البطاقة : .... الغنى : الاستغناء .

(٧) في بروكلمان (الملحق ٢ : ١٧٦ ، السطر ١٤) : للمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري مختصر اسمه « تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف» لتقي الدين المحبي من أحياء أواخر القرن الثامن للهجرة.

(٨) عز (ندر ، قل) و جوده : أصبح الحصول عليه صعباً .

(٩) أبراج (بيوت) للحمام الزاجل التي تحمل الرسائل .

(١٠) الاكتفاء بفهم المصطلحات وحدها تقصير .

يتعلَّقُ بها ، ومعيشة يَتَمسَّكُ بِسَبَبِها ، وأنَّ الكتابةَ هي الصناعة التي لا يَليقُ بطالبِ العلم من المكاسب سِواها ..... وجَنَحْتُ الى تفضيلِ كِتابة الإنشاء ونبَّهْتُ فيها على ما يحتاجُ إليه كاتبُ الإنشاء من المَوادِّ ، وضمَّنْتُها من أُصولِ الصَّنْعةِ ما أربَتْ [1] به على المُطَوَّلات وزادتْ ، وأوْدَعْتُها من قوانينِ الكِتابةِ ما استولتْ به على جميعِ مقاصدِها أو كادتْ ، وأشَرْتُ فيها الى وجهِ تَعَلُّقي بحِبال هذه الصَّنعة ... إلاَّ أنَّها قد وَقَعَتْ موقع الوَحْيِ والإشارة ، ومالتْ إلى الإيجاز فاكْتَفَتْ بالتَّلْويح [2] عن واسعِ العِبارة ... فأشارَ من رأيُه مقرونٌ بالصَّواب أن أُتْبِعَها بمُصَنَّفٍ مبسوطٍ [3] يشتملُ على أُصولها وقواعدها ..... فامْتَثَلْتُ أمرَهُ بالسَّمْعِ والطاعة ... فشَرَعْتُ في ذلك ، بعدَ أنِ اسْتَخَرْتُ اللهَ ... مُسْتَوْعِباً [4] من المُصطَلَحِ ما اشتمل عليه « التعريفُ » و « التثقيفُ » ، مُوَضِّحاً لما أبْهَماه [5] بتَبْيينِ الأمْثِلَةِ مَعَ قُرْبِ المأخذِ وحُسْنِ التأليف ، مُتَبَرِّعاً بأمورٍ زائدةٍ على « المُصطَلَحِ الشريف » لا يَسَعُ الكاتبَ جَهْلُها ... منها ما يَحتاجُ إليه الكاتب من الفنون ... ذاكِراً من أحوالِ الممالكِ المُكاتَبَةَ عن هذهِ المَمْلكة [6] ما يُعْرَفُ به قَدْرُ كلِّ مملكةٍ ومَلِكِها .... وسَمَّيْتُه « صُبْحِ الأعشى [7] في كِتابة الإنشا » .... وقد رَتَّبْتُه على مُقدِّمةٍ وعَشْرِ مقالاتٍ وخاتمةٍ ...

٤ – صبح الأعشى في كتابة الانشاء ، بولاق ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ؛ أوكسفورد ١٩١٣ – ١٩١٤ م [8] ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٣١ – ١٣٣٨ هـ – ١٩١٣ = ١٩٢٠ م .

ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر (مختصر صبح الأعشى – عني بنشره محمود سلامة) ، مصر (مطبعة الواعظ) ١٩٠٦ م .

نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، بغداد (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ ؛ بغداد (مطبعة الرياض) ١٣٣٢ هـ ؛ بغداد (عني بنشره علي الخاقاني) ، النجف (دار البيان) ، بغداد (مطبعة النجاح) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ؛ (تحقيق ابراهيم الابياري) ، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ م ؛ بومباي ١٢٩٦ هـ .

---

(١) أربى : زاد .

(٢) الوحي والتلويح (هنا) : الايماء ، الاشارة الخفيفة . (٣) المبسوط : المفصل .

(٤) الاستيعاب : الاشتمال على معظم الأشياء .

(٥) أبهم الرجل الأمر : أخفاه ، جعله غامضاً (لم يوضحه ايضاحاً كافياً) .

(٦) يقصد : الدول التي بينها وبين دولة المماليك مكاتبات .

(٧) الأعشى : السيء البصر ، الضعيف البصر في الليل خاصة .

(٨) طبع منه جزء واحد يحتوي على ما في الجزأين الأول والثاني من طبعة دار الكتب المصرية .

قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان (حقّقه ابراهيم الابياري) القاهرة (دار الكتب الحديثة)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

* سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، اقتطفها من نهاية الارب للقلقشندي أبو الفوز محمّد أمين السويدي البغدادي، بغداد ١٢٨٠ هـ؛ بومبيء (طبع حجر) ١٢٩٦ هـ.

فهارس صبح الأعشي للقلقشندي، أعدّه محمّد قنديل البقلي[1].

القلقشندي في كتاب صبح الأعشى، عرض وتحليل عبد اللطيف حمزة، (أعلام العرب رقم ١٢)، القاهرة (وزارة الارشاد) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

الأصول الأدبية في صبح الأعشى، تأليف الدكتور مصطفى الشكعة، بيروت (دار الأحد — البحيريّ اخوان) ١٩٧١ م.

الضوء اللامع ١٠ : ٨؛ شذرات الذهب ٧ : ١٤٩؛ بروكلمان ٢ : ١٦٦ — ١٦٧، الملحق ٢ : ١٦٤ — ١٦٥؛ زيدان ٣ : ١٤٤ — ١٤٧؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ٦٩٩ — ٧٠٠؛ الاعلام للزركلي ١ : ٧٢

الدمامينيّ

١ — هو محمّدُ بن أبي بكر بن عُمَرَ بنِ أبي بكرِ بنِ محمّدٍ .... الإسكندريُّ المعروفُ بابنِ الدمامينيّ، وُلِدَ في الإسكندريةِ (مِصْرَ)، سَنَةَ ٧٦٣ هـ (١٣٦٢ م). ودَرَسَ الدمامينيُّ في الإسكندريةِ على البهاء الدماميني ثمّ انتقلَ الى القاهرةِ وسَمِعَ فيها على السَّرّاجِ بنِ المُلَقِّن وغيرِه.

وتولّى الدمامينيُّ في الإسكندريةِ التدريسَ في عِدّةِ مدارسَ، كما تولّى القَضاء فيها والخَطابَةَ في جامعِها. ثمّ انه انتقلَ الى القاهرةِ فتصدّرَ في الجامعِ الأزهرِ لإقراء النَحْوِ، كما تولّى القضاء فيها أيضاً. وقد تَكَسَّبَ بالتِجارةِ والحِياكة زَمَناً فلم يُوَفَّقْ.

وتَقَلّبَ الدمامينيُّ في البلادِ : أكثرَ التردّدَ بين القاهرةِ والإسكندريةِ، وسَكَنَ دِمَشْقَ (٨٠٠ هـ) ثمّ حجّ (٨٠١ هـ) وعادَ الى الإسكندرية. وحجّ أيضاً سَنَةَ ٨١٩ هـ ثمّ ذهبَ الى اليمن (٨٢٠ هـ) وأقام يدرّسُ في جامعِ زَبِيدَ فلم يَلْقَ نَجاحاً، فانتقلَ إلى الهند فنالَ فيها حَظْوةً كبيرةً، ولكنّه تُوُفّي

---

(١) نشرتها دار عالم الكتب (القاهرة ؟) — راجع مجلة «قافلة الزيت» (أكتوبر — نوفمبر ١٩٧١ م).

فجأة في بَلْدة كُلْبَرْجَةَ ، في شعْبانَ ٨٢٧ هـ (تموز – يوليو ١٤٢٤ م) ، قيلَ مسموماً .

٢ – الدمامينيُّ من علماء اللغة والنحو ، وهو يُجيدُ عدداً من فنون الأدب كما يُجيدُ الخطَّ أيضاً . وله شِعْرٌ ونثرٌ . وفي شعره شيءٌ من البَراعة وشيء من الرقّة والطّلاوة . وأكثرُ شعرِه في الأدب والغزَل والألغاز . وللدمامينيِّ تصانيفُ منها : كتاب القوافي – جواهر البحور (في العَروض) – تحفة الغائب في شرح مغني اللبيب (لابن هشام الانصاريّ) – نزول الغيث (حاشية فيها نقد على الصفَديّ في شرحه المسمّى : الغيث الذي انسجم في شرح لاميّة العجم للطُغرائي) – شمس المُغرِب في المُرقص والمُطرب – شرح صحيح البخاري . وله ديوان شعر اسمه الفواكه البدرية ..

٣ – مختارات من آثاره

– قال الدمامينيّ في ذمّ الزمان :

رَماني زَمـاني بما ساءني ، فجاءتْ نُحوسٌ وغابتْ سُعودُ .
وأصبحتُ بينَ الورى بالمَشيبِ عليلاً ؛ فليْتَ الشبابَ يعودُ !

– وقال يَصفُ مُغنّياً جَميلاً يَعزِفُ وهُوَ يُغنّي .

يا عَذولي في مُغَنٍّ مُطْرِبٍ حرّكَ الأوتارَ لمّا سَفَرا .
كم يهزّ العِطْفَ منه طَرَباً عندما يَسْمَعُ منه وَتَرا[1] !

– وقال في امرأة جبّانة (تَصنع الجُبْنَ . والجَبّانة أيضاً : المَقْبرة) :

مُذْ تَعانَتْ صِناعةَ الجُبْنِ خَوْدٌ قَتَلَتْنا عُيونُها الفتّانه .
لا تَقُلْ لي : كم ماتَ فيها قَتيلاً ؟ كم قَتيلٍ بهذهِ الجَبّانه !

– من مقدمة «كتاب العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة» :

.... أمّا بَعْدُ ، فلا يَخفى أنّ العَروضَ صِناعةٌ تُقيم لِبِضاعة الشِعر في سوق المحاسن وزناً ، وتجعل تعاطيَه بالقِسطاس المستقيم سهلاً بعدَ أن كان حَزْناً .

---

(١) العطف : الجانب الأعلى من الجسد . – هو يطرب من حسن عزفه .
(٢) الحزن (بفتح الحاء) : الارض القاسية الوعرة (الأمر الصعب) .

وقد كنتُ في زمن الصبا مشغوفاً بالنظر الى محاسن هذا الفنِّ مُولَعاً بالتنقير عن مباحثه التي طَنَّ على أذُني منها ما طنَّ؛ أُطيل الوُقوفَ بمعاهده، وأترددُ إلى بيوت شواهده، وأسبح فيه سَبْحاً طويلاً، وأجِدُ التعلّقَ بسببه خفيفاً، وإنْ كان الجاهلُ يراه ثقيلاً. إلى ان ظَفِرْتُ في أثناء تصفُّحي لكتب هذا العلم بالقصيدة المقصورة المُسمّاة بالرامزة – نَظْمَ الشيخ الإمامِ البارع ضياء الدين أبي محمّدٍ عبد الله بن محمّد الخزرجيِّ، نوّرَ اللهُ تعالى ضريحَه وأمدَّ بمَدَدِ الرحمةِ روحَه – فوجدتُّها بديعةَ المِثال بعيدةَ المَنال. ورُمْتَ أن أذوقَ حلاوةَ فَهْمِها فإذا الناس صيامٌ، وحاولتُ أن افْتَرِعَ أبكارَ معانيها فإذا هي من المقصورات في الخِيام. وطَمِعتُ منها في لِين الانقياد فأبدَتْ إباءةً وعِزّاً، وسامَتْها الأفهامُ أنْ تُفْصِحَ عن المُراد فأبتْ أنْ تُكلِّمَ الناسَ إلاّ رمزاً. فطَفِقْتُ أُطلِّقُ النومَ لِمُراجَعَتِها وأُنازل السَهَرَ لِمُطالعتها، مَعَ أنّني لا أجِدُ شيخاً أتطفّل بقَدْري الحقير على فضله الجليل، ولا أرى خليلاً أُشاركه في هذا الفنّ؛ وهيهات عُدِمَ في هذا الفنِّ الخليلُ. ولم أزَلْ على ذلك إلى أن حَصَلْتُ على حَلِّ معقودِها وتحرير نُقودها وسَدَّدتُّ سِهامَ البحث إليها وعَطّرتُ المحافل بنَفَحات الثناء عليها. فقَتَلْتُها خُبْراً وأحْيَيْتُ لها بين الطَلَبة ذِكْراً. وعلّقتُ عليها شرحاً مُختصراً يَضْرِبُ في هذا الفنّ بسَهْمِ مُصيب ويَقْسِمُ للطالب من المطلوب أوفى[قدرٍ] وأوفر نصيب.
ثمّ قَدِمَ علينا بعضُ طلبةِ الأندلسِ بشرحٍ على هذه المقصورة للإمام العلاّمة قاضي الجَماعة بغَرْناطةَ السيدِ الشريفِ أبي عبد الله محمّد بن أحمدَ الحُسينيِ السَبْتيِّ، رَحْمَةُ اللهِ عليه ورِضوانُه، فإذا هو شرحٌ بديعٌ لم يُسْبَقْ إليه ومؤلَّفٌ نفيسٌ ملأه (الشارحُ) من بدائع الحُلى ما يَسْتحليه ذوقُ الواقفِ عليه. ووجدتُّه قد سَبَقَني الى ابتكارِ ما ظَنَنْتُ أنّي أبو عُذرتهِ وتقدمني إلى الاحتكام في كثيرٍ ممّا خلتُ أنّي مالكُ إمْرَتِه. فحَمِدتُّ اللهَ إذ وفّقني لمُوافقة عالمٍ مُتقدّمٍ، وشكرتُه على ما أنعَمَ به من ذلك ولم أكن على ما فاتَ من السبق بمُتَنَدِّمٍ. لكنّي أعْرَضْتُ عمّا كنتُ كَنيته (كتبته!) وطَرَحْتُه في زوايا الإهمال واجْتَنَبْتُه، إلى أنْ حرّكت الأقدارُ عَزْمِيَ في هذا الوقتِ إلى كتابةِ شرحٍ وسيطٍ فوق الوجيزِ ودونَ البسيطِ جَمَعْتُ فيه بينَ ما سُبِقَ إليه من المعنى الشريف وما سَنَحَ بعدَه للفكرِ من تالدٍ وطريفٍ وبعضَ ما وقفتُ عليه لأئمّة هذا الشان مُتحرّياً لما زانَ مُتَحرِّفاً عمّا شانَ مُعْتَرِفاً بعَجزِ الفكرِ وقُصوره وكَلالِ الذهنِ وفُتوره. ولمّا

حوَى هذا الشرحُ عيوناً من النُكَتِ تُطيل على خفايا المقصورةِ غمزَها وتَكشفُ للأفهام حُجُبَها المستورةَ وتُظهِرُ رمزَها ، سمّيتُه « بالعيون الغامزة على خبايا الرامزة » ..... قال الناظم[1] :

(وللشعرِ ميزانٌ تُسمّى عروضُه بها النقصُ والرُجحان يدْريهما الفتى)

أقولُ : أوْردَ (الناظم) كلامَه في هذا البيتِ على وجهٍ يُشعِرُ بتعريف العَروض ، فكأنّه يُشير الى ما عرّفه (به) بعضُ الفضلاء حيث قال : « العَروضُ آلةٌ قانونيةٌ يُتعرّفُ منها صحيحُ أوزانِ الشعرِ العربي وفاسدُها .... »

٤ ــ العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٣٢٤ هـ .

تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب (بهامش كتاب المنصف من الكلام على مغني ابن هشام لتقيّ الدين الشُمُنّي) ، مصر ١٣٠٥ هـ .

* * الضوء اللامع ٧ : ١٨٤ ــ ١٨٧ (رقم ٤٤٠) ؛ بغية الوعاة ٢٧ ــ ٢٨ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٨١ ــ ١٨٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٥٠ ــ ١٥١ ؛ زيدان ٣ : ١٥٥ ؛ بروكلمان ٣ : ٣٢ ــ ٣٣ ، الملحق ٢ : ٢١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

ابن حجّة الحمويّ

١ ــ هو أبو المحاسنِ تقيّ الدينِ أبو بكرِ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الله الحَمَويُّ الأزْراريّ (فقد كان في شبابهِ يَبيعُ الأزرارَ) ، وُلِدَ في حماةَ سنَةَ ٧٦٧ هـ (١٣٦٧ م) في الأغلب . وقد تنقّل في طلَبِ العِلم بين المَوْصِلِ ودمَشْقَ والقاهرةِ وكَسَبَ صَداقةَ نفَرٍ من أدباءِ عصرِه . وفي إحدى أوْباتهِ إلى دمَشْقَ ، ٧٩١ هـ (١٣٩٠ م) ، كان الظّاهرُ برقوقٌ يُحاصِرُ دِمَشْقَ فكَتَبَ ابن حجةَ إلى ابنِ مكانسَ رسالةً بليغةً يَصِفُ له فيها ذلك الحصار .

وفي أيامِ السُلطان المؤيّدِ سيفِ الدينِ شيخِ المحموديِّ (٨١٥ ــ ٨٢٤ هـ) دَخَلَ ابن حجّةَ الحَمَويَّ ديوانَ الانشاء ، إذ عيّنَه ناصرُ الدين محمّدُ بنُ محمّدٍ البارزيِّ مُتَوَلّيَ كتابةِ أمانةِ السر. وبعدَ وفاةِ البارزيِّ عاد ابنُ حجّةَ إلى حماة (٨٣٠ هـ) ثمّ تُوُفّي فيها ، في ٢٥ من شعبانَ ٨٣٧ هـ (٢٧/ ٣/ ١٤٣٤ م).

(١) ضياء الدين الخزرجي .

٢ — كان ابنُ حجّةَ شاعراً ومُتَرسِّلاً ومؤلّفاً . وشعرُه مملوءٌ بأوجه البلاغة ، معَ شيءٍ من التكلّف والضعْف ؛ ونثرُه المُرْسَلُ سَهْلٌ واضحٌ متينٌ . وتقومُ شُهرةُ ابنِ حجّةُ الحَمَوي على بديعيّة له مطلعُها : « لي في ابتداء مدحِكُمْ ، يا عُرْبَ ذي سَلَمٍ » يُعارِضُ بها البُرْدةَ للبوصيريِّ : « أمِنْ تذكُّرِ جيران بذى سَلَمٍ » (راجع ، فوق ، ص ٦٧٣) .وقد نَظَمَ ابنُ حِجّةَ هذه البديعيّةَ استجابةً لرَغْبة ناصرِ الدين البارِزيِّ (راجع المختارات) وطَوى كلَّ بيتٍ منها على وجهٍ من أوجه البديع . وقصيدةُ ابنِ حِجّةَ نازلةٌ عن قصيدةِ البُوصيريِّ في متانةِ التركيبِ وفي البراعةِ في استخدامِ أوجهِ البلاغة وفي النَفَسِ الشعريِّ ، فالبوصيريُّ نَظَمَ قصيدته في مَدحِ الرسولِ وُجداناً وتقوىً بينما اتّخذَ ابنُ حِجّةَ مدحَ الرسولِ موضوعاً يؤلّفُ حولَه « مقالةً » في عِلم البديعِ شعراً !

صَنَعَ ابنُ حجّةَ لبديعيّته هذه شرحَيْنِ : شرحاً مُوجَزاً سمّاه « تقديمَ أبي بكرٍ » وشرحاً مُطوّلاً هو كتابُ « خزانةِ الأدب وغاية الأرب » . ولابنِ حجّةَ الحَمَويِّ من الكُتُبِ أيضاً : أزهار الأنوار (مجموع فيه مُقطّعات شعرية وحكايات قصيرة) — بلوغ المَرام من سيرة ابن هشام والروض الأُنُفُ والاعلام[1] (في سيرة الرسول) — بلوغ المُراد من الحيوان والنبات والجماد (قلّد فيه حياة الحيوان للدميري) — كشف اللثام عن وجه التَوْرِيَةِ والاستخدام (بلاغة) — السيرة الشيخية (سيرة المؤيّد شيخ بن عبد الله المحموديّ) — ثَمَرات (ثِمار) الأوراق (مجموعُ فوائدَ وطرائفَ أدبيةٍ وتاريخية تصلُحُ للمذاكرة والمسامرة) — تأهيل الغريب (مجمــوع شعر للمتقدّمــين والمتأخّرين) — قهوة الانشاء — الثَمَرات الشهيّــة من الفواكــه الحَمَويّة والزوائد المصرية (ديوان شعره) — مجرى السوابق (مجموع شعر في الخيل من شعره وشعر غيره = ابن نباتة) — قهوة الإنشاء (رسائل ديوانية واخوانية) — تغريد الصادح (مجموع أمثال) ، الخ .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة « خزانة الأدب » :

الحمدُ لله البديعِ الرفيعِ الذي أحْسن ابتداءَ خلقِنا بصنعتِه وأوْلانا جميلَ الصنيعِ فاستهلّتِ الاصواتُ ببراعة تَوْحيده وهُوَ البصيرُ السَميع ؛ أدّبَ سيّدنا مُحمّداً صلى الله عليه وسلم فأحْسن تأديبَه حتى أرْشدنا — جزاه الله خيراً — الى

سُلوكَ الأدبِ وأوْضَحَ لنا بديعَه وغريبه ....

وبعدُ ، فهذه البديعيّةُ التي نَسَجْتُها بمدحهِ صلى اللهُ عليه وسلم على مِنْوال طَرْزِ البُرْدة[1] كان مولانا المقر الأشرف العالي المَوْلوي القاضوي المخدومي الناصري سيّدي محمد بن البارزيّ الجُهَنيّ الشافعي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية – جمّل اللهُ الوجودَ بوجوده – هُوَ الذي ثقّف لي هذه الصَعدة[2] وحلب لي ضَرعها الحافل لحصول هذه الزُبدة[3] وما ذاك إلا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلي[4] ، رحمه الله تعالى ، التزم فيها بتسميته النوع البديعي[5] وروى بها من جنس الغزل ليتميّز بذلك عن الشيخ صَفِيِ الدين الحِلّي[6] ، تغمّده الله تعالى برحمته ، لأنّه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العِبْء . غير أن الشيخ عز الدين ما أعْرب عن بناء بيوتِ أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ[7] ولا طالت يده لإبهام العقادة[8] الى شيء من اشارات ابن أبي الاصبع[9] وربما رَضِيَ في الغالب بتسمية النوع ولم يُعْرِبْ عن المُسَمى ونَثَرَ شَمْلَ الألفاظ والمعاني لشدّة ما عقده نظماً ...

فاستخار اللهَ مولانا الناصريُّ المشار إليه ورسم لي بِنَظْمِ قصيدةٍ أُطَرِّزُ حُلّتها ببديع هذا الالتزام وأجاري الحِلّيّ برقةِ السحرِ الحلال الذي يُنْفَثُ في عُقَدِ الأقلام[10]. فصِرْتُ أُشيِّدُ البيتَ فيَرْسِمُ لي بهَدْمِه – وخرابُ البيوتِ في هذا

(١) اشتهرت قصيدة البوصيري باسم البردة (الثوب السابغ) ، مع أن اسمها في الأصل البرأة (راجع ، فوق ، ص ٦٧٤) .

(٢) ثقف : قوم ، صحح . الصعدة : القصبة الفارسية تكون عادة معوجة في أماكن فتمرر على النار وتثقف (تقوم) .

(٣) الحافل : المملوء . الزبدة : الخلاصة من كل شيء . – هو الذي أشار علي بنظم هذه القصيدة وبين لي طريقة العمل .

(٤) عز الدين الموصلي ....

(٥) ذكر في قصيدته كل نوع من أنواع البديع (من غير أن يعرف ذلك النوع أحياناً ولا أن يأتي بمثل عليه) .

(٦) راجع ، فوق ، ص ٧٧٢ .

(٧) ما أعرب (ما أوضح ، ما بين) عن أبيات (من الشعر في قصيدته) أذن الله أن ترفع (أي جيدة) . في هذه الجملة تضمين من قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » (٢٤ : ٣٦ ، سورة النور) .

(٨) كذا في الاصل .

(٩) ابن أبي الاصبع ، لعله عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الاصبع العدواني المصري (ت ٦٥٤ هـ) من علماء اللغة (راجع ، فوق ، ص ٥٧٤) .

(١٠) .... ينفث في عقد الاقلام : أجيد في نظمها (في البيت تضمين من قوله تعالى : «ومن شر النفاثات في العقد» (السورة ١١٣ ، سورة الفلق) : كانت الساحرة تتمنى الخير أو الشر لأحد من الناس ثم تعقد بعد كل أمنية عقدة في خيط وتنفث عليها . فنقل ابن حجة نفث الساحرة في عقد الخيط الى مجيء الادب البارع على عقد الاقلام) .

البناء صَعْبٌ على الناس – ويقول: بيتُ الصَفِي اصْفى مورداً وأنور اقتباس (كذا). فأسُنّ كلّ ما حدَّه الفكر وأُراجِعه ببيتٍ له على المنـاظرة طاقةٌ فيَحكُمُ لي بالسبق ويَنْقُلُني الى غيره، وقد صار لي فِكْرةٌ الى الغايات سبّاقة. فجاءتْ بديعيةٌ هدمتُ بها ما نَحتَه المَوْصلي في بيوته من الجبال وجارَيْتُ الصفيَّ مقيّداً بتسمية النوع (١) وهو من ذلك محلول العِقال، وسمَّيْتُها «تقديمَ أبي بكرٍ» عالماً أنه لا يُسْمَعُ من الحِلّي والمَوْصلي في هذا التقديم مَقال. وكان المشارُ إليه – عظّم الله شأنه – هُوَ الذي مشى أمامي وأشار الى هذا السلوك وأرشد فاقتديت برأيه، وهل يقتدي ابو بكرٍ بغير محمد (٢) فقلت:

لي في ابتِدا مَدْحِكُمْ، يا عُرْبَ ذي سَلَمِ
براعةٌ تَسْتَهِلُّ الدمعَ في العَلَمِ (٣).

بالله، سِرْ بي، فسِربي طلّقوا وطني ... ورَكّبوا في ضُلوعي مُطْلَقَ السَقَمِ (٤).
ورُمْتُ تلفيق صبري كي أرى قدمي ... يَسْعى مَعي فسعى، لكن أراق دَمي (٥).
يا سعدُ، ما تَمّ لي سَعْدٌ يُطَرِّفُني ... بقُرْبِهِم وقليلُ الحَظ لم يُلَمِ (٦).
هلْ من يَفي ويَقي إنْ صحّفوا عَذَلي ... وحرّفوا وأتَوْا بالكَلْمِ في الكَلِمِ (٧)!
قد فاض دمعي وفاظ القَلْبُ إذ سَمِعا ... لَفْظَيّ عَذْلٌ مَلا الأسماعَ بالألم (٨)

ثم يبدأ بذكر الرسول في البيت السـابع والاربعين (ص ١٩٩، بولاق سنة

---

(١) أراجعه: أعيد نظمه. ببيت له على المناظرة طاقة (قدرة) على أن يكون نظيراً (شبيهاً) ببيت صفي الدين الحلي في المعنى المقصود.

(٢) وهل يقتدي أبو بكر إلا بمحمد. – في ذلك تورية وموازنة: أبو بكر هو ابن حجة؛ ومحمد محمد البارزي الذي أشار على ابن حجة بنظم هذه القصيدة. ثم في ذلك اشارة الى أبي بكر الصديق ومحمد رسول الله (ع).

(٣) براعة (مقدرة) تستهل الدمع: تجعل الدمع ينسكب. ذو سلم والعلم مكانان في الحجاز ذكرا مناسبة لمدح الرسول ولا يقصد الشاعر منهما دلالة خاصة. «براعة تستهل» اشارة الى «براعة الاستهلال» وهي وجه من أوجه البلاغة. والشاعر يقصد أن في مطلع قصيدته هذه براعة استهلال (أي أن مطلع هذه القصيدة جيد).

(٤) السرب: القطيع من الماشية، والجماعة من الناس. طلقوا وطني: هجروه.

(٥) –كنت أقصد أن يحملني قدمي الى ما فيه الخير فحملني الى أمر أراق (سفك) دمي (أضر بي).

(٦) يطرّفني: (يسرني).

(٧) يفي من الوفاء بالوعد. يقي من الوقاية (الحفظ، المحافظة، الدفاع). التصحيف: التبديل في أحرف الكلمة: عدل = عذل؛ التعريف: الخطأ في اللفظ: الكلم (بفتح الكاف وكسر اللام: الكلمات): الكلم (بفتح الكاف وسكون اللام): الجرح. والتصحيف والتحريف من أنواع الجناس في البلاغة.

(٨) فاظ: قاء (خرج القيء من فمه)؛ فاظت نفسه: مات. والقلب من أوجه البلاغة.

١٢٩١ هـ) :

محمدُ بنُ الذبيحيَنِ الأمينُ ابو الـــ بتولِ خيرُ نبيٍّ في اطّرادِهِمِ [١] .
أبدى البديعُ له الوصفَ البديعَ ، وفي نظم البديعِ حــلا ترديدُه بفمي [٢] .
كرّرْتُ مدحي حَلا في الزائدِ الكرمِ ابْـ نِ الزائدِ الكرمِ بنِ الزائدِ الكرمِ [٣] .

٤ ــ بديعيّة ابن حجّة الحموي المسمّاة بتقديم أبي بكر (بذيل ديوان المتنبّي) ، كلكتّا ١٢٣٠ هـ ؛
(بهامش مقامات بديع الزمان الهمذاني) ، بولاق ١٢٧٣ ، ١٢٩١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ .

خزانة الأدب وغاية الأرب القاهرة ١٢٧٣ ، ١٢٩١ هـ ؛ ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ [٤] .

ثمرات الأوراق (بهامش محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني) ، بولاق ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ هـ ؛ (بهامش المستطرف للإبشيهي) ، القاهرة ١٣٠٨ ، ١٣٢٠ ــ ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٣٩ هـ ؛ [٥] (حقّقه ابو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) .

تأهيل الغريب (مطبوع مع « ثمرات الأوراق » بهامش محاضرات الأدباء) .

كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ، بيروت (المطبعة الأنسية) ١٣١٢ هـ .

مجرى السوابق

** ذيل على ثمرات الأوراق (لابن حجّة الحموي) ، للشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي (ت ١٣٠٨ هـ) (مطبوع مع « ثمرات الأوراق » ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ هـ ؛ (مطبوع مع « ثمرات الاوراق » بهامش المستطرف) .

العقد البديع في فنّ البديع (شرح على بديعية ابن حجّة الحموي) ، تأليف الخوري بولس عوّاد ، بيروت (المطبعة العمومية) ١٨٨١ م .

تقيّ الدين بن حجة الحمويّ ، تأليف محمود رزق سليم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م .

---

(١) محمد (رسول الله) ابن الذبيحين (من نسل ابراهيم والد اسماعيل واسحق ، وقد اختلف الرواة في أيهما كان الذبيح الذي أراد ابراهيم أن يضحيه . والعرب في الحجاز يرجعون بجانب من نسلهم الى اسماعيل بن ابراهيم) . والذبيح الثاني هو عبد الله بن عبد المطلب ، فقد كان عبد المطلب أيضاً يريد ذبح ابنه عبد الله في نذر له ، ثم فداه بمائة بعير . أبو البتول (والد فاطمة) . في اطرادهم : في نسق الانبياء .

(٢) البديع الاولى : الله . البديع الثانية : الجميل . البديع الثالثة : نظم الشعر في مدح الرسول . والبديع : فن كبير من فنون البلاغة أشهر أبوابه الجناس (الإتيان بألفاظ متفقة في اللفظ ومختلفة في المعنى ، في التركيب الواحد) .

(٣) كررت : رددت ، أعدت مرة بعد مرة .

(٤) بهامش طبعة ١٣٠٤ : رسائل بديع الزمان الهمذاني ثم شرح الفتح المبين في مدح الأمين (بديعية لعائشة الباعونية المتوفاة ٩٢٢ هـ) .
ثم يلاحظ أن التواريخ لطبع الكتابين واحدة : ١٢٧٣ ، ١٢٩١ ، ١٣٠٤ هـ .

(٥) تظهر سنة ١٣٠٢ هـ على هذا الكتاب (وهي سنة تأسيس المطبعة الخيرية وليست تاريخ طبع « ثمرات الاوراق ») .



الضوء اللامع ١١ : ٥٣ – ٥٦ ؛ البدر الطالع ١ : ١٦٤ – ١٦٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٢١٩ – ٢٢٠ ؛ بروكلمان ٢ : ١٨ – ١٩ ، الملحق ٢ : ٨ – ٩ ؛ زيدان ٣ : ١٣٥ – ١٣٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٣٩٩ – ٤٠٠ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٤٣ .

المقريزي

١ – هو تَقِيّ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ القادرِ بنِ محمدٍ المَقْريزيُّ أو ابن المقريزيّ ، نِسبةً الى حارة في بَعْلَبَكّ تُعْرَفُ بحارة المقارزة . كانت أُسرةُ المَقْريزي من بَعْلَبَكّ ثم انتقلَتْ في أيام أبيه إلى القاهرةِ . وفي القاهرةِ وُلِدَ تقيُّ الدين سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) فنشّأه جَدّه لأمّه شمس الدين بن الصائغ (ت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ م) على المذهب الحنفيّ . ولكنّ تقيَّ الدين انتَقَلَ (٧٨٦ هـ = ١٣٨٤ م)، بعدَ وفاةِ جَدّه ، إلى المذهب الشافعي ثم نَشأ له مَيْلٌ إلى المذهب الظاهري[1] .

وفي سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) ذهبَ المقريزي الى الحجّ وسَمِعَ من نَفَرٍ كثيرين من علماء مَكّةَ . وبعد رجوعه من الحجّ تولّى نِيابة القضاء على المذهب الشافعي . وفي سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) عُيِّنَ مُحْتَسِباً للقاهرة وللوجه البَحْري (منطقة الدلتا) ثمّ أصبح واعظاً في جامع عمرو بنِ العاصِ ومدرسةِ السُلطانِ حَسَنٍ وإماماً في جامعِ الحاكم ومُدرّساً للحديث في المدرسة المُؤيّدية . ثمّ انه ذهب الى دِمَشْقَ (٨١١ هـ = ١٤٠٨ م) وتولّى تدريسَ الحديثَ في المدرسة الإقبالية والمدرسة النُوريّة . وبعدَ سنة ٨٢٠ هـ عاد الى القاهرة وانقطع في بيته الى التأليف .

وحجّ المقريزي مرّةً ثانيةً معَ أُسْرَتهِ (٨٣٤ هـ = ١٤٣١ م) ثم عاد الى القاهرة سنة ٨٣٩ هـ .

---

(١) المذهب الظاهري مذهب فقهي بدأه أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الاصفهاني (ت ٢٧٠ هـ = ٨٨٤ م) ثم كان ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) اكبر رجاله . ويقوم المذهب الظاهري على فهم الآيات والاحاديث على ظاهرها اللغوي (الا اذا كانت قواعد البلاغة العربية تمنع ذلك) . ان ما وصف من أحوال الجنة والنار مثلا ، من مثل الصراط والحساب والقصور ومقامع الحديد ، كلها يجب أن تفهم على ما يؤدي اليه المدلول اللغوي (بخلاف رأي المعتزلة الذي يقول بأن هذه الالفاظ تشابيه واستعارات استعملت في القرآن الكريم والحديث الشريف لتقريب صورة الجنة والنار من أذهان الناس) وأنها لا تشبه ما نعرفه في الدنيا بتلك الالفاظ .



وفي القاهرةِ تُوُفِّي المقريزيُّ بعدَ مَرْضَةٍ طويلةٍ، في ٢٧ رَمَضانَ[1] ٨٤٥ هـ (٩/ ٢/ ١٤٤٢ م).

٢ - تقيّ الدين المقريزي أحدُ كبارِ المؤرّخين في عَصْرِ المَماليكِ، وقد كان المقريزيّ بابنِ خلدونٍ مُعْجَباً. وكان المقريزيّ مُصَنِّفاً واسعَ المعرفةِ، وأشْهر كُتُبه: كتابُ المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط[2] والآثار، بدأه بمقدّمةٍ جُغْرافية وَصَفَ فيها بُلْدانَ مِصْرَ وخِطَطَ تلكَ المُدُنِ (أقسامها وأحياءَها وأسواقها وشوارعها) ووصف الآثار المصرية منذ الزمن القديم منْ هَياكلَ وقصورٍ ومساجدَ وكنائسَ ومدارسَ ومكتباتٍ ودُورٍ الخ. وكذلك عَرَضَ المقريزي في «الخِطط» لتراجمِ نَفَرٍ من ذوي المقام والعِلم والجاه كما ألَمّ بشيء من وَصْفِ الحياةِ الاجْتماعية والاقتصادية والثقافية.

٣ - مختارات من آثاره

..... وبعدُ، فإنّ التاريخَ من أجلّ العلوم قَدْراً وأشرفِها عند العلماء مكانةً وخَطَراً[3] لما يَحْويهِ من المواعظ والإنذار بالرحيلِ الى الآخرةِ من هذه الدار؛ والاطّلاعِ على مكارمِ الأخلاق ليُقْتَدَى بها، واستعلام مَذَامِّ الفعال ليَرْغَبَ عنها أولو النُهى. لا جَرَمَ أنْ كانتِ الأنفسُ الفاضلةُ به رامقةً[4]، والهِمَمُ العالية اليه مائلةً وله عاشقة. وقد صَنّف فيه الأئِمّةُ كثيراً وضَمّنَ الأجلّةُ كُتُبَهم منه شيئاً كبيراً. وكانت مِصْرُ هي مَسْقَطَ راسي، وملعبَ أترابي ومَجْمَعَ ناسي ... فلا تَهْوِي الأنفسُ إلى غيرِ ذِكْرِها .. لا زلتُ منذ شَذَوْتُ العلمَ[5] وآتاني ربّي الفَطانةَ والفَهْم أرغبُ في معرفة أخبارِها وأحبُّ الإشراف على الاغتراف من آبارها، وأهْوَى مُساءلةَ الرُكْبان عن سُكّان ديارِها. فقيّدتُ بخطّي في الأعوامِ الكثيرةِ وجَمَعْتُ من ذلك فوائدَ قلّ ما يَجْمَعُها كتابٌ أو يَحْويها

---

(١) في الضوء اللامع (٢ : ٢٥) في ٢٦ رمضان.

(٢) الخطة (بكسر الخاء): الارض التي تنزلها أنت ولم يكن قد نزلها احد قبلك (تخطيط المدن).

(٣) خطر: قيمة، أهمية.

(٤) رمق: نظر.

(٥) شذوت (هنا) العلم: عرفت منه شيئاً قليلا.

– لِعزّتها وغَرابتها – إهابٌ[1] . إلاّ أنها ليستْ بمرتّبةٍ على مِثالٍ ولا مُهذّبةٍ بطريقةٍ ما نُسِـجَ على مِنْوال . فأردتُ أن أُلَخّصَ منها أنباءَ ما بديارِ مِصْرَ من الآثار الباقية عن الأُمم الماضية والقُرون الخالية وما بَقِيَ بفُسطاطِ[2] مِصْرَ من المعاهد غيرَ ما كادَ يُفْنيه البِلى والقِدَم ولم يَبْقَ الاّ ما يَمْحو رَسْمَها الفناءُ والعَدَم ؛ وأذكرَ ما بمدينةِ القاهرة من آثار القُصور الزاهرة وما اشتملت عليه من الخِطَط والأصقاع ،وحَوَتْه من المباني البديعة والأوضاع[3] مَعَ التعريف بحالِ من أسّسَ ذلك من أعيان الأماثل .... وأنثرَ خِلالَ ذلك نُكَتاً لطيفةً وحِكَماً بديعةً شريفة من غيرِ إطالةٍ ولا اكثارٍ ولا إجحافٍ مُخِلٍّ بالغَرَضِ ولا اختصار[4] ، بل وَسَطٌ بينَ الطَرَفَيْنِ ، وطريقٌ بَيْنَ بَيْنَ . فلهذا سَمّيته «كتاب المواعظ والاعتبار في ذِكْر الخِطط والآثار» . وانّي لأرجو أنْ يَحْظى – ان شاء اللهُ تعالى – عند الملوك ، ولا يَنْبُوَ عنـه طِباع العاميِّ والصُعْلوك ، ويُجِلّه العالمُ المُنتهي ويُعْجَبُ به الطالبُ المبتدي... ويُعِدّه أولو الرأيِ والتدبيرِ موعظةً وعِبَراً : يَسْتَدِلّون به على عظيمِ قُدرةِ الله تعالى في تبديلِ الأبدال[5] ويَعْرِفون به عجائبَ صُنْعِ ربِّنا – سبحانَه – من تنقُّلِ الأحوالِ الى حالٍ بعد حال .....

٤ – الخطط المقريزية : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة (دار الطباعة المصرية) ١٢٧٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ ؛ (التزام أحمد المليجي) ، القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٤ – ١٣٢٦ هـ ؛ (باعتناء : بوريانت – كازانوفا – غاستون فيات) ، القاهرة (المعهد الفرنسي الأركيولوجي) ١٩١١ م (١٣٢٨ هـ) وما بعد ؛ (نبذ مسلولة من الخطط المقريزية) : (أ) شذور (نبذة) العقود في أمور (ذكر) النقود = النقود القديمة والاسلامية (باعتناء توكسن) ، روستوك في ألمانية ١٧٩٧ م ؛ (في مجموعة : ثلاث رسائل) ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ (الرسالة الأولى) ؛ مصر ١٢٩٨ هـ ؛ ثمّ (طبعة غُفل : بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه) ؛ = النقود الاسلامية المسمّى بشذور العقود في ذكر النقود (تحقيق السيد علي بحر العلوم) ، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٧م ؛ (ب) رسالة المكاييل

---

(١) الاهاب : الجلد (كتاب مجلد ، جزء) .

(٢) الفسطاط : مصر القديمة (قبل بناء القاهرة) .

(٣) الاحوال والاشكال (في البناء) .

(٤) الاجحاف (هنا) الحذف والترك .

(٥) الابدال جمع بديل : الخلف (الذي يحل محل انسان سبقه في الحياة أو الملك ، الخ) .

والموازين (الأوزان والمكاييل ـ الأكيال) الشرعية (باعتناء توكسن)، روستوك ١٨٠٠ م ؛
(ج) الإلمام بما في أرض الحبشة من ملوك الاسلام (باعتناء رينك) ، ليدن ١٧٩٠ م ؛ مصر (مطبعة التأليف) ١٨٩٥ م (١٣١٣ ـ ١٣١٤ هـ) ؛ (د) الطرفة الغريبة من أخبار حضرموت العجيبة (نوسكوفوي) ، بون ١٨٦٦ م ؛ (هـ) أخبار قبط مصر (باعتناء هاماكر) ، أمستردام (؟) ١٨٢٤ م ؛ (باعتناء فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٤٥ م ؛ = دخول قبط مصر في دين النصرانية (باعتناء فترز) سالباشي (؟ ـ راجع سركيس ، ص ١٧٨١) ١٨٢٨ م ؛ = القول الابريزي للعلاّمة المقريزي : تاريخ الأمة القبطية (نشره مينا اسكندر المحامي)، القاهرة (مطبعة التوفيق) ١٨٩٨ م ؛ (و) خبر الحملات على دمياط (باعتناء هاماكر) ، أمستردام (؟) ١٨٢٤ م ؛ (ز) النحل وما فيها من غرائب الحكمة ! (تحقيق جمال الدين الشيّال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٤٦ م .

اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة والخلفاء (باعتناء هوغو بونتز) ، ليبسك (هرّاسو فيتز) ١٩٠٩ م ، توبنجن ١٩١١ م ؛ القدس (مطبعة دار الأيتام السورية) ... ؛ (تحرير جمال الدين الشيّال) القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٨ م ؛ = ... الأئمّة الفاطميّين الخلفاء (نشره محمّد حلمي ومحمّد أحمد) ، القاهرة (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية) ....

السلوك لمعرفة دول الملوك (نشره مصطفى زيادة) ، القاهرة ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ م !!! (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م !!

(تحقيق عبد المجيد عابدين) ، القاهرة (عالم الكتب) ١٩٦١ م .

التبر المسبوك في ذيل السلوك (تحرير غيّاردو) ، القاهرة ١٨٩٧ م .

الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك (نشره جمال الدين الشيّال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥ م .

إمتاع الأسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة والأتباع (صحّحه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م .

البيان والإعراب عمّا في أرض مصر من الأعراب (باعتناء فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٤٧ م ؛ القاهرة ١٣٣٤ هـ ؛

اغاثة الأمّة بكشف الغمّة (نشره مصطفى زيادة وجمال الدين الشيّال) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٠ م .

الاشارة والأسماء (كذا) الى حلّ لغز الماء (وعليه شرح : الطائر الميمون في حلّ لغز الكنز المدفون ، لجمال الدين القاسمي المتوفّي ١٣٣٨ هـ) ، دمشق ١٣٢٢ هـ .

النزاع والتخاصم في ما بين بني أميّة وبني هاشم (تحرير غيراردوس فوس)، ليدن (بريل) ١٨٨٨ م ؛ القاهرة ١٩٣٧ م .

نَحلُ عِبَرِ النّحْل (نشر... جمال الدين الشيال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

* فصل الحاكم في النزاع والتخاصم في ما بين بني أمية وبني هاشم (لمحمد عقيل بن عبد الله ابن يحيى) ، صيداء ١٣٤٣ هـ .

المنهل الصافي ١ : ٣٩٤ — ٣٩٩ ؛ الضوء اللامع ١ : ٢١ — ٢٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٦ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ البدر الطالع ١ : ٧٩ — ٨٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٧ — ٥٠ ؛ الملحق ٢ : ٣٦ — ٣٨ ؛ زيدان ٣ : ١٩٠ — ١٩٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٣ : ٩٧٥ — ١٧٦ ؛ الاعلام للزركي ١ : ١٧٢ — ٩٧٣ .

الإبشيهيّ

١ — هو بهاءُ الدينِ أبو الفتحِ محمّدُ بنُ أحمدَ الخطيبِ بنِ منصورِ بنِ أحمدَ ابنِ عيسى المَحَلّيُّ الإبْشِيهِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) في مديرية الغَرْبية بمكانٍ اسمه إبْشُويه (بكسر الهمزة في الأغلب) قُربَ الفَيّوم .

قضى الإبشيهيُّ أكثرَ أيامِ حياتهِ في المَحلّة الكُبرى فقرأ فيها القرآنَ ودرس شيئاً من الفقه ومن النحو . وقد زار القاهرةَ مِراراً وذهب الى الحجّ ، سنة ٨١٤ هـ (١٤١٢ م) . بعدَ ذلك استقرّ حيناً في القاهرة وسَمِعَ من جلال الدين البُلْقيني (ت ٨٢٤ هـ) ، ولعلّه سَمِعَ من البِقاعي وشهاب الدين محمود الشاعر الشاعر (راجع ، فوق ، انظر الفهرست) . ولمّا توفّي والدُه أحمدُ تولّى هو الخَطابَة بعدَه ، كما كان يشتغلُ بالأدب . وكانت وفاةُ محمّدِ بنِ أحمدَ الإبشيهي نحوَ سَنَةِ ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) .

٢ — كان الإبشيهيُّ أديباً يُحْسِنُ التحديثَ والإطرافَ بالأشعارِ والحكايات والحِكَم . وقد صنّف كُتُباً منها : المُسْتَطْرَف في كلّ فنٍّ مُسْتَظْرَف — أطواق الأزهار على صدور الأنهار — تذكِرَة العارفين وتبصِرَة المُسْتبصِرين .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدمة المستطرف للابشيهي :

الحمدُ للهِ الملكِ العظيمِ العليّ الكبير ، الغنيّ الحميدِ اللطيف الخبير ، المنفردِ بالعزّ والبقاءِ والإرادة والتدبير ، الحيّ العليم الذي ليس كَمِثْلِه شيءٌ وهُوَ السميع البصير ، تباركَ الذي بيده المُلْكُ وهُوَ على كلِّ شيءٍ قدير . أحْمَدُهُ حَمْدَ عبدٍ مُعْتَرِفٍ بالعَجْز والتقصير ....

أما بعدُ ، فقد رأيتُ جماعةً من ذَوِي الهِمَمِ جَمعوا اشياءَ كثيرةً من الآداب والمواعظِ والحِكَمِ ، وبسطوا مُجَلّداتٍ في التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورَقائق الأشعار وألّفوا في ذلك كُتُباً كثيرةً ، وتفرّدَ كلٌ (كتاب) منها بفرائدِ فوائدَ لم تكنْ في غيرِه من الكتب مَحْصورة . فاستَخرْتُ[1] اللهَ تعالى وجَمَعْتُ من مجموعِها هذا المجموعَ اللطيف، وجعلتُه مُشْتمِلاً على كلِّ فنٍّ ظريف ، وسَمّيتُه « المُسْتطْرَف[2] في كل فن مُسْتَظْرَف » واستَدْلَلْتُ فيه بآياتٍ كثيرةٍ من القُرآنِ العظيم واحاديثَ صحيحة من احاديثِ النبيِّ الكريم وطَرّزتُه بحكاياتٍ حَسَنةٍ عن الصالحين الأخيار ونقلتُ فيه كثيراً مما أوْدَعه الزَمَخْشَريّ[3] في كتابه « ربيع الأبرار » ، وكثيراً مما نقله ابنُ عبد رَبّه[4] في كتاب « العِقْد الفريد » . ورَجَوْتُ ان يَجِدَ مُطالِعُه فيه كلَّ ما يَقْصِدُ ويُريد . وجَمَعْتُ فيه لطائفَ وظرائفَ عديدةً من مُنْتَخَباتِ الكتبِ النفيسة المُفيدة وأوْدَعتُه من الأحاديث النبَويّةِ والأمثالِ الشعْرية والألفاظِ اللُغَويّة والحكايات الجِدّية والنوادرِ الهَزْلية ومِنَ الغرائبِ والدقائقِ والأشعارِ والرّقائق ما تُشَنَّفُ بذِكْرِه الأسماعُ وتَقَرُّ برؤْيته العُيونُ[5] ويَنْشرِحُ بمطالعته كلُّ قلبٍ محزون .... وجعلتُه يشتملُ على أربعةٍ وثمانينَ باباً من أحْسنِ الفُنون مُتَوَجّةً بألفاظٍ كأنها الدُرُّ المَكْنون .... وجعلتُ أبوابه مُقَدّمة وفَصّلْتُها في مواضعها مُرتّبة مُنظّمة ليَقْصِدَ الطالبُ إلى كلِّ بابٍ منها عندِ الاحْتياج إليه ويَعْرِفَ مكانَه بالاستِدْلالِ عليه ....

[ومن رؤوس ابواب كتاب المستطرف] :

مَباني الاسلام — العقل والذكاء والحُمْق — القرآن العظيم وفضله — العلم والادب وفضل العالم والمتعلم — الأمثال السائرة — البيان والبلاغة والفصاحة وذِكْر الفُصحاء من الرجال والنساء — الأجوبة المُسْكتة والمُسْتحسنة — الخُطَب والخُطَباء والشعراء — التوكل على الله — المَشْورَة والنصائح والتجارِب — الصمت وصَوْن للسان — ما يجب على من صَحِبَ السلطان — الوزراء — ذِكْر القُضاة وقَبول الرشوة

---

(١) استخار الرجل الله : سأله أن يختار له ، سأله أن يختار هو لنفسه أمراً حسناً صالحاً .

(٢) المستطرف : الشيء الطريف ، الجديد (المحبب الى النفس) . (٣) راجع فوق ٢٧٧ .

(٤) أديب أندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . (٥) يسرّ به الإنسان.



والقُصّاص والمتصوفة – الظلم وشُؤمه – اصطناع المعروف – مَحاسنُ الأخلاق ومساويها – الحياء والتواضع – الشرف والسُؤْدُد – الخير والصلاح وذكر الصَحابة والأولياء الصالحين – البُخل – الطعام والضيافة – العَفْو والحِلْم – الشجاعة والحروب وفضل الجهاد – المدح – الهجاء – بِرّ الوالدَيْنِ – الأسفار – الغِنى – الهدايا والتُحَف – شَكْوى الزمان والصبر – ما جاء في اليُسْر بعد العُسْر والفَرَج بعدَ الشِدّة – العَبيد والإماء – أخبار العرب – الكِهانة والقِيافة – الحِيَل والخِدَع – الدَوابُّ والوُحوش والطير – خَلْق الجانّ – البحار – عجائب الأرض – الأصوات والألحان – العِشْق – ذكر رقائق الشعر والمُوَشَّحات والألغاز – النساء – ذمُّ الخمر – المُزاح والنَهْيُ عنه – النوادر والحِكايات – الدُعاء وآدابه – القَضاء والقَدَرُ – الأمراض والطِب والعِيادة – الصبر والتعازي والمراثي – الدنيا وأحوالُها والزُهد – فضل الصلاة على النبي .

٤ – المستطرف من كلّ فنّ مستظرف ، بولاق ١٢٦٨ ، ١٢٧٢ ، ١٢٨٥ ، ١٢٩٢ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد شاهين) ١٢٧٧ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة كاستلّي) ١٢٧٩ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبدالرازق) ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣١١ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٠٥ ﻫ (؟) ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ ، ١٣٢١ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٢٠ ، ١٣٤٨ ﻫ ؛ كلكتا – بلا تاريخ ..

* المستقطف من المستطرف (لجريس شاهين) ، بيروت ١٨٦٤ م .
المختار من المستطرف من كلّ فنّ مستظرف (اختيار محمّد عبد اللطيف الخطيب) ، القاهرة (الشركة العربية) ١٩٦٠ م .

الضوء اللامع ٧ : ١٠٩ (رقم ٢٣٧) ؛ بروكلمان ٦٨٢ – ٧٩ ، الملحق ٢ : ٥٥ – ٥٦ ؛ زيدان ٣ : ١٤٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ١٠٠٥ – ١٠٠٦ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٩ .

ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ

١ – هو شيخُ الاسلام قاضي القُضاة شِهابُ الدين أبو الفضل أحمدُ بنُ عليِّ بن محمّد بن حَجَرٍ العَسقلانيُّ ، أصلُه من عَسْقلانَ (فِلَسْطين) ومَوْلِدُه في مِصْرَ القديمةِ (الفُسطاط) في ٢٢ شَعْبانَ من سنة ٧٧٣ (١/ ٣/ ١٣٧٢ م) . وقد يَتَمَ من أبيه باكراً .

اتّجه ابنُ حَجَرٍ في أول أمرِه إلى التجارةِ وعانى الأدبَ وعِلْمَ الشعرِ ثم تَرَكَها كلَّها والتَفَتَ إلى دِراسةِ الحديثِ . زارَ الحجازَ حاجّاً مرتين وزارَ الشامَ

واليمن ولَقِيَ في مدينة زَبِيدَ (اليمن) الفَيْروزابادِيَّ صاحبَ القاموس .

في سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٢ م) أصْبح ابن حجر مدرّساً للحديثِ والفِقه في القاهرة . وفي ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) نابَ عن القاضي جمال الدين البُلْقيني ثم خلَفَه في المُحرَّم من سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) ، وفي العامِ التالي أصبح قاضِيَ القضاة .

اعتزلَ ابنُ حجرٍ القضاء (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م) ثم عادَ إليه ثم استقالَ بعد مُدّة لِمرَضِه . وبَعْدَ بِضْعةِ أشْهُرٍ تُوُفِّيَ (١٨ من ذي الحِجّة ٨٥٢ هـ = ٢١/ ٢/ ١٤٤٩ م) في القاهرة .

٢ ـ كان ابنُ حَجَرِ العَسْقلانيُّ من ثِقاتِ الحُفّاظ للحديثِ واسعَ العلمِ به والدراية عارفاً بأخبار رجاله ، كما كان خطيباً بليغاً ومُصَنِّفاً مُكْثِراً في الحديث والفِقه والتاريخ ، فمن كُتُبه : فتح الباري بشَرْح صحيح البخاريّ ـ نُخْبَة الفِكَر في مُصْطَلَح أهل الأثر (في مصطلح الحديث) ـ تفسير غريب الحديث ـ بُلوغ المَرام من أدلّة الاحكام (مختصر من « أصول الأدلّة الحديثية للأحكام الشرعية » : القواعد الأساسية المُسْتَمَدّة من الحديث لمعرفة الأحكام الشرعية) ـ الدُرَرَ الكامنة في أعيان المائة الثامنة (تراجم لجماعةٍ من المشهورين كانوا أحياء بين سنة ٧٠١ وسنة ٨٠٠ هـ = ١٣٠١ ـ ١٣٩٨) ـ إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر (موجز للحوادث ولتَراجم الرجال مِمّنْ كان في حياته منذ مَوْلِده سَنَةَ ٧٧٣ للهِجرة) ـ الإصابة في تمييز الصَحابة (معجم لتراجم صَحابة رسول الله والتابعين لهم تبلُغُ ١٣,٢٧٩ ترجمةٍ) ـ محاسن المَساعي في مناقب الإمام الأوزاعي[1] ، الخ ...

وابنُ حجرٍ العسقلانيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ في ديوانه بديعيّاتٌ (مدائحُ في رسول الله) وملوكيّاتٌ (مدائحُ في الملوك وغيرهم) ورثاءٌ وإخوانيّاتٌ وغَزَلٌ ونسيبٌ وحِكمة . وأشعارُه قصائدُ ومُقَطّعاتٌ ومُوشّحات . وعلى شعره جفافُ أسلوب العلماء . ومن أرَقِّ نظمِه قولُه في بديعيّة :

---

(١) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي فقيه أهل الشام، ولد في بعلبك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م) وسكن بيروت وتوفي فيها سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م). انتشر مذهبه في الشام والمغرب حيناً ثم أخذ مكانه (بفتح النون) في الشام المذهب الشافعي وأخذ مكانه في المغرب المذهب المالكي



وكُنتُ أكتِمُ حبِّيَ في الهوى زَمَنـاً حتّى تكلّمَ دمعُ العين فانكَشفا .
سألتُ قَلْبِيَ عن صبري فأخبَرني بأنّه حينَ سِرتُمْ عَنِّيَ انصرفا .
وقُلتُ للطرْفِ : أينَ النومُ بعدَهُم ؟ فقال : نَومي وبَحرُ الدمْعِ قد نُزِفا !

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة ديوانه :

.... سُئلتُ غيرَ مرّة أنْ أُجرّدَ من منظومي طَرَفاً مُهَذّباً وأن أُفْردَ من مقاطيعي التي تُلْهي عن المَواصيل[1] ما كان منها مُرقِصاً أو مُطرباً . فكتبتُ في هذه الأوراق سبعةَ أنواعٍ من كلّ نوعٍ سبعةُ أشياء ، إلاّ الأخيرَ منه ؛ فافتتَحتُ بالنَبويّات ثمّ (تَلَتْها) المُلوكيّات ثمّ الإخوانيّات ثمّ الغزليّات ثمّ الأغراض المختلفة ثمّ الموشّحات ثمّ المقاطيع.....

ـ من مقدّمة « الدرر الكامنة » :

.... هذا تعليقٌ مُفيدٌ جَمَعْتُ فيه تراجمَ مَنْ كانوا في المِائَةِ الثامنةِ من الهِجْرة النبوية ، مِنَ ابتداء سَنَةِ إحدى وسَبْعِمائَةٍ إلى آخرِ سَنَةِ ثماني مِائَةٍ ، من الأعْيان والعُلماء والمُلوك والأُمراء والكُتّاب والوزراء والأدباء والشعراء . وعُنيتُ برُواة الحديث النبَوي فذكَرتُ مَنِ اطّلعتُ على حاله وأشَرْتُ الى بعض مَرْويّاته ـ إذِ الكثيرُ منهم شُيوخُ شُيوخي ، وبعضُهم أدركتُهُ ولم ألْقَهُ ، وبعضهم لَقيتُه ولم أسْمَعْ منه[2] ، وبعضُهم سَمِعْتُ منه ـ وقد استَمْدَدْتُ في هذا الكتابِ من ..... (هنا عدد من أسماء مجاميع التراجم التي أخذ ابنُ حجر منها) .

ـ من كتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » :

وفيها (في سَنَة ٧٧٣هـ) زادَ النيل زيادةً مُفْرطَةً ودام الى أيام هاتورَ[3] فاجتمعَ جماعةٌ بالجامع الأزهر وبجامع عَمْرو[4] وسألوا اللهَ تعالى في هُبوطِهِ

---

(١) المقاطيع (قطع قصار من الشعر) والمواصيل (غير قاموسية): المعشوقون والمعشوقات يتصل بهم المحب العاشق.

(٢) الشيوخ : الأساتذة الكبار . أدركته (ولدت وهو حي وعشت في حياته زمناً) ولم ألقه (لم أجتمع به) . لم أسمع منه : لم آخذ منه (علماً) . (٣) هاتور : تموز (يوليه) .

(٤) الجامع الازهر في القاهرة ، وجامع عمرو (بن العاص) في الفسطاط (مصر القديمة).

وكرّروا ذلك . فهبَط وزرَعَ الناسُ . وقال في ذلك شهاب الدين بنُ العطّار[1] مقاطيعَ ، و (قال) شهاب الدين بن أبي حجلة مقامتَهُ المشهورة . وفيها (في تلك السنة) أمرَ السُلطان[2] الأشرافَ أنْ يمتازوا عن الناسِ بعصائبَ خضْرٍ على العمائمِ ، ففُعِلَ ذلك في مِصْرَ والشامِ وغيرِهما .....

٤ – الاصابة (نشره محمّد وجيه عبد الحقّ وغلام قادر وشبرنجر) ، كلكتّة ١٨٥٦ – ١٨٩٣ م ؛ = مصر (مطبعة السعادة والمطبعة الشرفية) ١٣٢٣ – ١٣٢٨ هـ .

الدرر الكامنة ، حيدر اباد ١٣٤٨ – ١٣٥٠ هـ ؛ (حققه محمّد سيد جاد الحقّ) ،مصر (دار الكتب الحديثة) ١٣٨٥ –١٣٨٧ هـ = ١٩٦٦ – ١٩٦٧ م .

إنباء الغمر بأبناء العمر (تحت مراقبة محمّد عبد المعيد خان) ، حيدر اباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م (السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩–١١ ؛ (تحقيق حسن حبشيّ) ، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي ، رقم ١٦) ، القاهرة .....

لسان الميزان ، حيدر اباد ١٣٢٩ – ١٣٣١ هـ .

تهذيب تهذيب الكمال ، دهلي (حجر) ١٨٩١ م ؛ حيدر اباد ١٣٢٥ – ١٣٢٧ هـ .

تقريب التهذيب في أسماء الرجال ، لكنهو (حجر) ١٢٧١ – ١٢٧٢ هـ ؛ دهلي ١٣٠٨ ، ١٣٢٠ هـ . القاهرة ١٣٠١ هـ .

غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر (الجيلانيّ) ، كلكته (طبع حجر) ١٩٠٣ م .

الرحمة الغيثيّة بالترجمة الليثية (مناقب الامام الليث بن سعد) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس (مناقب الامام الشافعي) (طبع مع الرحمة الغيثية) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بولاق ١٣٠٠ – ١٣٠١ هـ ؛ دهلي (طبع حجر) ١٨٩٠ – ١٨٩١ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ – ١٣٢٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٥٩ م .

هدى الساري الى فتح البخاري (مقدّمة فتح الباري) ، الهند ... القاهرة (ادارة الطباعة المنيرية) ١٣٤٧ هـ .

نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (باعتناء ليس) ، كلكتّة ١٨٦٢ م ؛ مصر ١٣٠١ هـ ؛ (في مجموعة) ...

نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (شرح نخبة الفكر ...) ، كلكتّا ١٨٦٢ م ؛ القاهرة (المطبعة اليمنية) ١٣٠٨ هـ ؛ لاهور (المطبع العلمي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ، (سراج الدين) ١٣٨٣ هـ .

---

(١) (؟)

(٢) في سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ – ١٣٧٢ م) كان السلطان في مصر الاشرف ناصر الدين شعبان ، من المماليك البحرية ، قتل سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) .



ديوان خطب ، بولاق ١٣٠١ هـ .
ديوان.... ابن حجر العسقلاني (جمعه وصحّحه السيد أبو الفضل) ، حيدراباد الدكن (المكتبة العربية : عبد الله بن عمر با معروف وأولاده – طبع حجر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .
منبّهات ابن حجر العسقلاني ، استانبول ؟ (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ .
تفسير غريب الحديث ، القاهرة (زكريّا علي يوسف) بلا تاريخ.
بلوغ المرام من أدلّة الأحكام ، القاهرة (البابي) ١٣٥١ هـ ؛ (حقّقه رضوان محمّد رضوان) ، القاهرة (دار الكتاب العربي)١٩٥٤م ؛ (عني بتصحيحه محمّد حامد الفقي) ، الطبعة الثانية ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٣ م ؛ القاهرة (البابي) ١٣٥١ هـ .
رفع الإصر عن قضاة مصر (تحرير حامد عبد المجيد ومحمّد المهدي أبي سنة ومحمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ – ١٩٦١ م .
قطعة من « كتاب الردّة » – وهي مأخوذة من كتاب الاصابة لابن حجر العسقلاني (فصلها وصبطها ولهلم هونرباخ) ، ماينز – ألمانية (مطبعة مجتمع العلماء والأدباء) ١٩٥١ م [1].
* تقريب التهذيب المحشّى بالمغني لمحمّد بن طاهر النبّي (في أسماء رجال الحديث) ، دهلي (طبع حجر) ١٢٩٠ هـ ؛ دهلي ١٣٢٠ هـ .

الضوء اللامع ٢ : ٣٦ – ٤٠ (رقم ١٠٤) ؛ درّة الحجال ١ : ٦٤ – ٧٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٨٧ – ٩٢ ؛ نظم العقيان ٤٥ – ٥٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ١٧١ – ١٧٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٧٠ – ٢٧٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٨٠ – ٨٤ ، الملحق ٢ : ٧٢ – ٧٦ ؛ زيدان ٣ : ١٧٩ – ١٨٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٦ – ٧٧٩ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٧٣ – ١٧٤ .

شهاب الدين بن عربشاه

١ – هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ ابراهيمَ ابنِ نصرِ بنِ محمّدِ بنِ عَرَبْشاهَ ، ويُعْرَفُ أيضاً باسم « العَجَميّ » وباسم « الروميّ » لأنّه سكن مُدّةً طويلةً في بلادِ الروم (آسيةَ الصُغرى) . وقد كان مَوْلِدُه في دِمَشْقَ في ٢٥ من ذي الحِجّة سنة ٧٩٠ (٢٧ – ١٢ – ١٣٨٨ م)، وفي دِمَشْقَ بدأ قراءةَ القرآن على الزينِ بنِ عُمَرَ اللبّان .

لمّا استَوْلى تَيمورلَنكُ على دِمَشْقَ (٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م) انتقل ابنُ عربشاه وأهلُه – في مَنْ نَقَلَهُمْ تيمورلنكُ من أهلِ الشام – الى بلادِ ما وراء النهر واستقرّ في سَمَرْقَنْدَ وأخَذَ فيها العِلْمَ عن السيّدِ محمّدِ بنِ السيدِ الشريفِ

(١) لابن حجر العسقلاني بضعة عشر كتاباً أخرى مطبوعة ولكنها تتعلق بالفقه الخالص .

الجُرْجاني (ت ٨٣٨ هـ) وعَنْ شمسِ الدين أبي الخيرِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ الجَزَريِّ (ت ٨٣٣ هـ)، وكانا نازلَيْنِ في سمرقند.

ومن سمرقندَ انتقلَ ابنُ عربشاه الى خوارزمَ ثمّ الى دَشْت. وفي أثناء هذه المدّةِ التي مرّتْ - منذ نُزوله في سمرقند - تعلم التركيةَ والفارسيةَ والمُغوليةَ.

وفي سَنَةِ ٨١٤ هـ (١٤١١ م) انتقلَ ابنُ عربشاه الى البلاد العُثمانية (آسية الصغرى)، في أيّام السُلطانِ مُحمّدٍ الأوّلِ (٨٠٥ - ٨٢٤ هـ) فمَكَثَ فيها عَشْرَ سَنَواتٍ كان في خِلالِها كاتباً في ديوان الإنشاء يكتُبُ باللُغات العربية والتركية والفارسيّة والمُغولية. وفي هذه الأثناء نَقَلَ للسُلطان محمّدٍ الاول عَدَداً من الكتب الى اللغة التركية. وبعدَ موتِ محمّدٍ الاول انتقلَ ابنُ عربشاه الى حَلَبَ (٨٢٥ هـ = ١٤٢٢ م) فمَكَثَ فيها ثلاثَ سَنَواتٍ ثمّ انتقل الى دِمَشْقَ. وفي دمشق قرأ صحيح مُسْلِمٍ على القاضي شِهابِ الدينِ الحَنْبلي، في سَنَةَ ٨٣٠ هـ.

وفي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) ذَهَبَ الى الحجّ. ثم انتقل الى القاهرة (٨٤٠ هـ). وفي أيام السلطان الظاهر سيفِ الدين جَقْمَق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) جرت على ابن عربشاه مِحْنة، فقد حَبَسَه السلطانُ الظاهر في سجن الجرائم، في الثامن من جُمادى الثانية، سنة ٨٥٤؛ ثمّ أفرَجَ عنه بعدَ أسبوعينِ. ولكنّ ابنَ عربشاه تُوُفِّيَ وَشيكاً بعدَ ذلك، في الخامسِ من رَجَبَ من سَنَةِ ٨٥٤ هـ (١٣ - ٨ - ١٤٥٠ م).

٢ - كان شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ عَرَبْشاهَ أديباً واسِعَ الاطّلاعِ على عَدَدٍ مِنْ فُنونِ المعرفة من القُرآن والحَديث والفِقْه والتاريخ واللُغات (المغولية والتركية والفارسية) والبلاغة والأدب، حَسَنَ القَصَص والتَحْديث. وكانَ يقولُ الشِعْرَ. ولابن عربشاه مصنّفاتٌ هي أساسُ شُهْرَته. من هذه المُصنّفات: العقدُ الفريد (في التوحيد) - تَرْجُمان المترجم (بكسر الجيم؟) بمنتهى الأرب في لُغات التُرك والعَجَم والعَرَب - جَلْوة الأمداح الجَمالية في حَلّتي العَروض العربية (أرجوزة في النحو: في الحروف) - مرآة الادب في علم المعاني والبيان والبديع (سَلَكَ فيه أسلوباً بديعاً: جعله قصائدَ غَزَليةً، كلٌّ بابٍ منه قصيدةٌ مفردةٌ على قافيةٍ مُستقلّة، مَعَ مقدمة في النحو) - عجائبُ المقدور في نوائبِ تَيْمور - التأليف الطاهر في شِيَمِ الملكِ الظاهر القائم بنُصْرة الحقّ أبي سعيدٍ جَقْمَق - فاكهة الخُلفاء ومُفاكهة الظُرفاء - مَرْزُبان نامه (كتاب قِصَص

على ألْسِنَةِ الحيوان ألّفه مرزبانُ بنُ رُسْتَمَ بنِ شَروينَ أمير طبَبْرِسْتانَ في اللهجة الإيرانية التي كانت مُحْكيّة في قُطْره ، في أواخر القرن الرابع للهجرة ، ثمّ نقله سَعْدُ الدين الوراويني إلى الفارسية الدارجة ، في الرُبْعِ الأوّل من القرن السابع الهجري . وجاء ابن عربشاه هذا فنقله الى اللغة العربية) — تيمور نامه — منشآت (رسائل !) .

أمّا كتابه فاكهة الخلفاء فهو شَبيهٌ بكتاب مَرْزبان نامه . يتألّفُ كتابُ فاكهةُ الخلفاء من مقدّمةٍ وعَشْرةِ أبواب : في ذكْرِ مَلِكِ العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السَبَبَ — في وَصايا ملكِ العجم المتميّز على أقرانه بالفضل والحكم — في حكم ملك الاتراك مَعَ خَتَنِه الزاهد شيخ النُسّاك — في مباحث عالم الإنسان مع العِفْريت جانّ الجانّ — في نوادر ملك السباع ونَديمِه أميرِ الثعالب وملك الضباع — في نوادر التيس المَشْرقي والكَلْب الافرقيّ الخ .... وفي الكتاب قِصَصٌ مختلفة يتَخَلّلُها حِكَمٌ وأشعارٌ الى جانب أوجهٍ من التعليل والمَغْزى الأخلاقي ؛ وبَعْضُ القِصَصِ عاديٌّ من حيثُ المادّةُ ومن حيثُ فنُّ السَرْد . وأسلوبُ ابنِ المقفّعِ في كتابِ كليلةَ ودِمْنةَ غالبٌ على أسلوب كتابِ فاكهة الخلفاء في مطالعِ الأبوابِ وفي التخلّص من قِصّةٍ إلى قِصّة ، وفي الانتقال من باب الى باب أيضاً . غير أنّه يخالف كتابَ كليلةَ ودمنة ، إذ أنّ جُمَلَهُ مسجوعةٌ وأوجهُ البلاغة فيه كثيرةٌ الى حدِّ التكلّفِ في كثيرٍ من الاحيان . وابن عربشاه يَميل في هذا الكتابِ ميلاً ظاهراً الى أسلوب المقامة حتّى أنّه جعَلَ لِكتابه هذا راويةً سَمّاه أبا المحاسن .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة فاكهة الخلفاء :

..... أما بَعْدُ فانّ اللهَ المُقَدّسَ في ذاته المُنَزّهَ عن سِماتِ النَقْص في صِفاته قد أوْدَعَ في كلّ ذَرّةٍ من مخلوقاته من بديع صُنْعِه ولَطيفِ آياته[١] ومن الحِكَمِ والعِبَرِ ما لا يُدْرِكُه البَصَرُ ولا تَكاد تَهتْدي اليه الفِكَرُ ولا يَصِلُ اليه فَهْمُ ذوي النَظَر ؛ ولكنّ بَعْضَ ذلك للبصر بالرَصَد[٢] ظاهرٌ يُدْرِكه كل أحد ، كما قيل (شعر) :

فَفي كُلِّ شيءٍ له آيـةٌ　　تَدُلُّ عـلى أنّه واحـدُ .

(١) اللطيف : الخفي (الذي لا يظهر الا بالتأمل) . الآيات : الدلائل والعلامات (المعجزات) .

(٢) الرصد (بسكون الصاد أو بفتحها) : الترقب ، التأمل .

لكن لمّا كَثَرُتْ هذه الآياتُ والحِكَمُ ، وانتشرتْ أزهارُ رياضها في وِهاد العُقول والأكَم[1] وتَرادَفَ ما فيها من العجائبِ والعِبَرِ وتَكَرّر وُرودُ مَراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادَتْها النفوسُ ولم يَكْتَرِثْ لوُقوعها القلبُ الشَموس[2] ..... فكَثُرَ في ذلك أقوالُ الحُكماء وتَكَرّرتْ مَقالات العلماءِ فَلَمْ (تُصْغِ) الاسماعُ إلَيْها ولا عوّلت[3] الأفكارُ عليها . فقَصَدَ طائفة من الأذكياء وجَماعةٌ من حُكماء العُلماء مِمَّنْ يَعْلَمُ طُرُقَ المسالك إبرازَ شيءٍ من ذلك على ألْسِنَةِ الوُحوش وسُكّان الجبالِ والعُروش[4] وما هو غيرُ مألوفِ الطِباعِ من البهائم والسِباع وأصنافِ الأطيار وحيتان البحار وسائرِ الهوام[5] ؛ فيُسْنِدون إليها الكلامَ لتَميلَ لِسَماعه الأسماعُ وتَرْغَبَ في مطالعته الطِباع ، لأنّ الوُحوشَ والبهائم والهَوامَّ والسوائِمَ[6] غيرُ مُعْتادَةٍ لشيء من الحِكْمَةِ ولا يُسْنَدُ إليها أدَبٌ ولا فِطْنَة[7] ..... لأنّ طَبْعها الشِماس والأذى والافتراسُ والإفسادُ والنفورُ والعُدْوانُ والشرور والكَسْر والتفريق والنَهْش والتمزيق . فإذا أُسْنِدَ إليها مكارمُ الأخلاقِ وأُخْبِرَ بأنّها تَعامَلَتْ فيما بَيْنَها بِمُوجِبِ العَقْلِ والوِفاقِ وسَلَكَت —وَهِيَ مجبولةٌ على الخيانة— سُبُلَ الوفاء ، ولازمت —وَهِيَ مطبوعة على الكُدورة— طُرُقَ الصفاء ، أصْغت الآذانُ إلى استماعِ أخْبارِها ومالت الطِباعُ الى استِكْشافِ آثارِها ، وتَلَقّتْها القُلوبُ بالقَبول والصُدورُ بالانْشراحِ لِكَوْنِها أخْباراً مَنْسوجَةً على مِنْوال[8] غريبٍ ....

٤ — عجائب المقدور في نوائب تيمور ، كلكتا ١٢٣٣ ، ١٢٥٧ هـ ؛ لاهور ١٨٦٨ م ؛ بولاق ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٥ هـ .

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (تحرير فرايتاخ) ، بونّ ١٨٣٢ م وما بعد !! ؛ ومطبعة الآباء الآباء الدومينيكيّين ١٨٦٩ م؛ بولاق ١٢٧٦ هـ، ١٢٩٠ (؟) ؛ القاهرة (مطبعة شرف)

---

(١) الوهدة : المكان المنخفض . الأكمة : التلة .

(٢) ترادف : توالي ، جاء بعضه وراء بعض . المراسيم : ما يرسمه (يفرضه) القانون . الشموس : النافر (الشموس في الاصل صفة للدابة التي لا تمكن أحداً من ركوبها) .

(٣) عول : اعتمد ، احتفل بالشيء ، التفت اليه واهتم به .

(٤) العروش جمع عرش : البيت ، الخيمة (!) .

(٥) السبع : الحيوان المفترس (من أكلة اللحوم، من الاسد نزولا الى النملة) . سائر : باقي . الهوام (بلا شدة على الميم) : جمع هامة : الحشرة (التي لا عظم فيها).

(٦) السوائم جمع سائمة : الحيوان الاليف الذي يرعى العشب .

(٧) الفطنة : الحذق (الذكاء المكتسب) .

١٣٠٠ – ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٥ – ١٣١٦ هـ .

مرزبان نامه ، القاهرة (طبع حجر – مطبعة أحمد الأزهري) ١٢٧٨ هـ .

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحقّ سعيد جقمق (في JRSA 1907 في الصفحات ٣٩٥ وما بعدها) .

* تيمور نامه أو أخبار تيمور .... (رسالة جامعية باللغة العربية ، تأليف هـ.س.جاريت) ، كلكتّا ١٨٨٢ م .

الضوء اللامع ٢ : ١٢٦ – ١٣١ ؛ البدر الطالع ١ : ١٠٩ – ١١٣ ؛ نظم العقيان ٦٣ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٨٠ – ٢٨٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٦ – ٣٧ ، الملحق ٢ : ٢٤ – ٢٥ ؛ زيدان ٣ : ١٦٨ – ١٦٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧١١ – ٧١٢ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢١٨.

النواجيّ

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ حسنِ بنِ عُثمانَ النَواجيُّ – نِسبةً الى نواجَ ، بالقُرب من المحلّة ، في مديرية الغَرْبية ، من مِصْرَ – وُلِدَ في القاهرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) .

تلقّى النَواجيُّ الفقهَ على كمالِ الدين محمدِ بنِ مُوسى الدَميريّ (٧٤٥ – ٨٠٨ هـ) ، وكان الدميريُّ يُدرِّسُ في الأزهرِ ثمّ انّه تصدّر لتدريس الحديث في المدرسة الحُسينية والمدرسة الجَمالية الى أن توفّي . وحجّ النواجي مرّتينِ ، سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) وسنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م)؛ وكان يَعْقِد مجالسَ ذِكْرٍ (للصوفية) . وقد كان صديقاً لابن حِجّةَ الحَمَويّ .

وكانت وفاةُ النواجيّ في ٢٥ من جُمادى الأُولى ٨٥٩ هـ (١٤ – ٥ – ١٤٥٥ م) .

٢ – كان النواجيّ مُعْتَنياً بالأدب عِنايةً بالغةً عارفاً بالنحو ، وهو أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ مُصَنِّف له كتبٌ كثيرة مُعْظَمها مجاميعُ من الشعر ومن النثر في الخمر والغزل خاصّة . فمن كتبه : حَلْبة الكُميت (وهو كتاب جمع فيه أشعاراً كثيرةً وشيئاً من الحكايات الطريفة تتعلّق كلّها بالكُميت ، أي بالخمر ، وما يتّصل بها : اسمِها وأصلِها ومنافعِها وخواصّها ورأي الحكماء فيها والنُدمان ومجالسِ الشراب وآدابه والأزهارِ والجنائن والمطر والتوبة من شُربها ، الخ . وقد فَرَغَ النواجيُّ من تأليف هذا الكتاب في ٣٠ شوّالٍ من ٨٢٤ هـ = ٢٧/ ١٠/ ١٤٢١ م) . ومن

كُتُبه أيضاً : مراتع الغِزلان في الحِسان من الجواري والغِلمان ــ خلع العِذار في وصف العِذار[1] (مجموع أشعارٍ في الغزل) ــ صحائف الحسنات (في وصف الخال) ــ كتاب الصَّبوح (مجموع من الأشعار والقصص تدور على شرب الخمر صباحاً ، وتَرْجِــعُ الى العصر العبّاسيّ) ــ التذكرة (في الأدب) ــ نُزهة الألباب في أخبار ذوي الألباب (قِصص عن الأجواد والبخلاء من الأذكياء والفصحاء والأغبياء) ــ تُحفة الأديب ــ تأهيل الغريب (مجموعُ أشعارٍ ، لشعراء مختلفين في الجاهلية وصدر الاسلام ، مرتّبةٍ على حروف الرويّ ، أي عــلى القوافي) ــ عقودُ الــلآلِ في الموشّحات والأزجــال ــ مقدّمة في صناعة النظم والنثر ــ الشافية في بديع الاكتفاء (في البلاغة) ــ روضة المجالسة وغَيْضة المجانسة (في الجِناس) ــ الحجّة (المحجّة) في سَرِقات ابن حِجّة ــ رسالة في حُكم حرف المضارعة ــ ديوان شعر ــ بديعيّات (في مدح الرسول) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « حلبة الكميت »[2] (للنواجي) :

الحمدُ لله الذي أدارَ كُؤوسَ الأدب على أهل الذوق فمالوا طرباً بقَهْوة الإنشا[3] ، وأطْلع نُجومَ حَبابِها في سناء البلاغة فاستَغْنَوْا بأنوارها الزاهرة عن صُبْح الاعشى[4] .... وبعد فقد سألني من أمرُهَ مُطاعٌ ومخالفته لا تُستطاعُ أن أجمعَ له من مقاطيعِ الشُّرْبِ نُبْذة رفيعةَ البَزّ رقيقةَ الحاشية[5] وأقتطفَ له من حدائقِ الآداب زَهْرةَ قُطوفُها دانية[6] لِيُنَزِّهَ طَرْفَهُ في « جنّاتٍ من

---

(١) العذار (بكسر العين مطلقاً) : اللجام والشعر النابت على جانبي الوجه . خلع العذار : ترك الحياء . (وترد العذار » في هذا الكتاب حيناً بالفتح ، فلتصحح بالكسر) .

(٢) في هذه القطعة استعارات كثيرة متداخلة وسأقتصر على تفسير الألفاظ والاشارة العارضة الى عدد من تلك الاستعارات .

(٣) القهوة : الخمر . الانشاء : الاسلوب ، تركيب الكلام .

(٤) الحباب : ما يطفو على وجه الكأس من الفقاقيع (والشعراء يشبهونها بالنجوم) . الاعشى : الذي يسوء بصره في الليل ، فاذا جاء الصبح عادت اليه صحة بصره . و « صبح الاعشى في كتابة الانشا » كتاب للقلقشندي (انظر ، فوق ، ص ٨٣٣) .

(٥) البز : النسيج من حرير . الحاشية : طرف الثوب . رقيق الحاشية : لطيف ، ناعم ، دقيق النسج (كناية عن الجودة والطرافة) .

(٦) القطوف : الاثمار الناضجة التي آن وقت قطافها . دانية القطوب : سهلة القطع من أغصانها .

نخيلٍ وأعناب » ، ويُمتِّعَ ذَوْقَه « بفاكهةٍ كثيرةٍ وشَراب » .... فجمعتُ له في هذه الاوراق ما رقّ وراق ، وأبرزتُ في وصف الكُميت شعرَ من تفحّلَ وأمسى وَهُوَ الى الغايات سبّاق[1] ، ..... فأكْرِمْ به من مجموعٍ غازلتْهُ عيونُ المحاسنِ من وراء الستائر ، فكيفَ لا يَنْشَرِحُ صدرُ مُتَأمّلهِ وكأسُ حضرتِهِ في كلّ وقتٍ دائر ؛ تنفّستِ الصَهْباء في لَهَواته نَظْماً ونَثْراً .... ونَظمتُ بهِ شملَ كلّ غريبٍ ليكونَ هذا المجموعُ مُفْرَداً ، وسَلَلْتُ سيفَ الابتكار من غِمده ونَصَلْتُهُ من كلّ ذِهْنٍ كَليلٍ لئلاّ يَظْهرَ على مَتْنه صَداً ، وسَمّيته حَلْبة الكُمَيت وحَسَمْتُ مادّة الأسفِ بجمعهِ بحيث لا أقولُ لَيْتَ[2] ..... ورأيتُ فحولَ الشعراء قد تَفرّسوا في السبق الى كلّ حلبة ، وكان عَيْشُهُمْ بالكميتِ أخضرَ وما منهم إلاّ من أدارَ على شَرب الأدب شَرْبة[3] ، فقدّمت مَنْ أجادَ مِنْهُمُ النظمَ في عقودِ حَبابها وداوى عِلَلَ الأفهام بما أحْكَمَهُ في أصول شَرابها .....

— وللنواجيّ مقطّعات كثيرة مبنيّة على التوريات ، منها : (يصح الوزن والمعنى بقراءة : الصبا أو الصباح) :

بعدَ صِباحِ الوجوهِ عيشي مضى ، فيا رعى اللهُ زمانَ الصبا — حْ[4] !
وبِتُّ أرعى النجمَ ، لكنّني أهفو إذا هبّ نسيمُ الصَّبا — ح[5] .

---

(١) رق وراق : لطف وصفا . الكميت : الخمر . تفحل : (في القاموس) : تشبه بالفحل ، وتفحل الشجر (لم يكن له ثمر) . والمقصود هنا « أصبح فحلا » ، فاق أشباهه » .

(٢) نصلته : جعلت فيه نصلا وأزلت النصل منه (معنيان متضادان) ؛ المقصود : أخليت كتابي هذا من كل ذهن كليل (من كل بيت من الشعر الضعيف) . وحسمت ... الخ : قطعت الامور التي تحمل على الاسف والندم (في جمع مادة هذا الكتاب بأن اخترت فيه الاشعار الجياد فقط) كيلا أقول غدا : ليتني تركت هذا البيت الذي اخترته أو ليتني اخترت ذلك البيت الذي كنت قد تركته .

(٣) تفرسوا (حلقوا في ركوب الخيل : أجادوا قول الشعر) في كل حلبة (المضمار الذي تركض فيه الخيول) ، أي في كل موضوع . العيش الاخضر : الرغد الناعم ، السعيد . أدار على شرب (بفتح الشين) الادب (الذين يطالعون الادب) . شربة (بفتح الشين) : مقداراً (من الخمر أو الماء : من الادب الجيد) .

(٤) الصباح (بكسر الصاد) جمع صبيح : جميل الوجه . الصبا (بكسر الصاد) : الشباب .

(٥) بت (قضيت الليل) أرعى النجم (ساهراً ، حزيناً) . أهفو : أطرب ، اشتاق . الصبا (بفتح الصاد) : ريح تهب من الشرق .

٤ ــ حلبة الكميت ، بولاق ١٢٧٦ ، ١٢٩٩ هـ ؛ بيروت ١٨٧٣ م ؛ مصر (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ مصر (المكتبة العلاّمية ! ــ العمومية ؟) ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

تحفة الأديب (مسلولة من « زهر الربيع في المثل البديع ») ، مطبوعة في مجموعة « التحفة البهيّة » (رقم ٨) ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

* * الضوء اللامع ٧ : ٣٢١ ــ ٢٣٢ (رقم ٥٧١) ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ؛ نظم العقيان ١٤٤ ــ ١٤٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٥٦ ــ ١٥٧ ؛ زيدان ٣ : ١٤٨ ــ ١٤٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٦٩ ــ ٧٠ ، الملحق ٢ : ٥٦ ــ ٥٧ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣٢٠ .

ابراهيم الباعوني

١ ــ هو برهانُ الدينِ أبو اسحقَ ابراهيمُ بنُ احمدَ بنِ ناصرِ بنِ خليفةَ بنِ فَرَجٍ الباعونيُّ الدمشقيّ ، نِسبةً الى باعونَ ــ قريةٍ في حورانَ ــ وُلِدَ في صَفَدَ في ٢٧ رَمَضَانَ ٧٧٧ هـ (٢٠/ ٢/ ١٣٧٦ م) ونشأ فيها . ودَرَسَ ابراهيمُ الباعونيُّ على أبيه وحَفِظَ القرآنَ تجويداً على حَسَنِ بنِ حَسَنٍ الفرعي إمامِ جامعِ صَفَدَ . وفي نحوِ سَنَةِ ٧٩٠ هـ انتقلَ مَعَ أبيه إلى دِمَشْقَ ودرس فيها الفِقْهَ على الشَرَفِ الغزّي والنُور الأنباري وغيرِهما . ثمّ انّه انتقل الى مِصْرَ ، سَنَةَ ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) ، فأخذ عن السِراج البُلْقينيّ والكَمال الدَميري والعِراقي والهَيْثمي وغيرِهم . بعدَئذٍ عادَ الى بلده (صفد ؟) . ثمّ عاد الى دِمَشْقَ وتولّى الحُكم (القضاء) والخَطابة في الجامع الأُمويّ نِيابةً عن أبيه . ولمّا طُلِبَ منه أن يتولّى القضاءَ أصالةً أبى .

وكانت وفاةُ ابراهيمَ الباعونيِّ في دِمَشْقَ في ٢٤ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٨٧٠ هـ (١٢/ ١٢/ ١٤٦٥ م) .

٢ ــ كان ابراهيمُ الباعونيُّ شيخَ الأدبِ في عصرِه أديباً مُكثِراً من النظم والنثر ، وقدمَهَرَ في عَدَدٍ من فنونِ الأدب . وشِعْرُه سَهْلٌ رائقٌ . وهو بارعُ الصناعةِ وخصوصاً في نثرهِ فله رسائلُ عاطلةٌ (تتألّف من الأحرف التي لا نُقَطَ لها : أ ، د ، ر ، س ، الخ) « من عجائبِ الوضعِ في السلاسةِ والانسجام » . ثمّ هو مؤلّف له : مختصرُ الصحاح (للجوهري) ــ العُباب (نظم فقه الشافعيّ) ــ ديوان شعر ــ ديوان خُطَبٍ ورسائلَ ــ الغَيْثُ الهاتن في العِذار الفاتن (أتى

فيه بمقاطيعَ فائقةٍ ، نحو مائةٍ وخمسينَ مقطوعاً ، أوْدَعَ كلاًّ منها معنىً غريباً غيرَ الآخرِ معَ كثْرةِ ما قال الناسُ في ذلك) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابراهيمُ الباعونيُّ يتغزّلُ بساعٍ (حامل أخبارٍ ورسائلَ) مليحٍ جميلٍ :

بالروحِ أفْدي ساعِياً جمالُه سَبى الورى .
لا بُدَّ لي من وَصْلِه ولو جرَى مَهْما جرى(*) !

– وقال أبياتاً في الافتخار بعزّةِ نفسه منها :

ألم ترَ أنّي قد خُلِقْتُ كما ترى بأخلاقِ أحرارِ الورى التخلّقُ[1] .
وإنّيَ صبّارٌ شكورٌ وحامِدٌ ، وانّي إذا أمْلَقْتُ لا أتملّقُ[2] .
وإنْ عرَضْتَ لي حاجةٌ من حوائجي فإنّي بغيرِ اللهِ لا أتعلّقُ .

– وقال في المسألةِ من الله دونَ المسألة من الناس :

سَلِ اللهَ ربَّكَ ما عِنْدَهُ ولا تسألِ الناسَ ما عندَهُمْ .
ولا تبْتَغِ من سِواه الغِنى : وكُنْ عبدَهُ لا تكُنْ عبدهم .

– وقال في الصديقِ الذي تَفْتُرُ صداقتُه :

إذا استغنى الصديقُ وصا ر ذا وصلٍ وذا قَطْعِ[3] ،
ولم يُبْدِ احتفالاً بي ولم يَحْرِصْ على نفعي[4] ،
فأنأى عنه أستغْني بجاهِ الصبرِ والقنْعِ[5] ؛
وأحسَبُ أنّه ما مرّ في الدنيا على سمعي !

– وقال في الرجل الكريم لا تُقْبِلُ عليه الدنيا فلا يَستطيعُ أن ينفعَ الناسَ :

أشدُّ الناسِ في الدنيا عَناءً كَريمٌ مجدُهُ مجدٌ أثيلُ[6] ؛

(*) جرى : سار ، ركض . وجرى : حدث (من المشاكل و المصائب) .

(١) الورى : الناس. (٢) أملقت : افتقرت . أتملق : أتودد (الى غيري وأداهنه) .

(٣) ذو وصل (محبة ، زيارة) مرة وذو قطع (جفاء ، هجران) مرة أخرى .

(٤) لم يبد احتفالا بي : لم يظهر اهتماماً بي .

(٥) أنأى (ابتعد) واستغني عنه بجاه (بغنى) الصبر والقناعة اللذين أملكهما .

(٦) العناء : التعب . الأثيل : القديم الثابت .

يُحِبُّ مكارمَ الأخــلاقِ مِثلي ، وليس له الى الدنيــا سبيل[1] !

٤ ـ * * المنهل الصافي ١ : ٢٦ ـ ٢٧ ؛ الضوء اللامع ١ : ٢٦ ـ ٢٩ ؛ البدر الطالع ١ : ٨ ـ ١٠ ؛ نظم العقيان ١٣ ـ ١٥ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٠٩ ـ ٣١٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٣ ؛ راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٢ (ترجمة أبيه ؟) . دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٠٩ (رقم ٣) .

الشمُنّي

هو تقيّ الدين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن محمد بن حسن بن عليّ بن يحيي ابن محمّد بن خلف‌الله بن خليفة التميمي الداري القسنطيني[2] الاصل يعرف بالشمنّي (بضم الشين والميم وتشديد النون) ، نسبة الى بعض بلاد المغرب .

ولد الشمنيّ في العشر الأخير من شهر رمضان من سنة ٨٠١ هـ (أيار ـ مايو ١٣٩٩ م) في الاسكندرية . وفي سنة ٨١٠ هـ انتقلَ به أهلُه الى القاهرة فنشأ فيها . وكان الشُمُنيّ أستاذاً للسيوطيّ فبالغَ السيوطيُّ في عَدٍّ أساتذة الشمنيّ وذَكَرَ منهم شمَسَ الدين محمّدَ بنَ عليّ الزراتني (ت ٨٢٥ هـ) ووليَّ الدين أحمدَ بن أبي الفضل العراقي (ت ٨٢٦ هـ) وعلاءَ الدين عليَّ بنَ محمّد البُخاري (ت ٨٤١ هـ) وسِراجَ الدين صالحَ بنَ عُمَرَ البُلقيني (ت ٨٦٨ هـ) حتّى ذَكَرَ كمال الدين الدَميري (ت ٨٠٨ هـ) والحافظ الهَيْثمي عليَّ بنَ أبي بكرٍ (ت ٨٠٧ هـ) وزينَ الدين العراقيَّ عبدَ الرحيم بنَ الحسن (ت ٨٠٦ هـ) بينما كانتْ وِلادةُ الشمنيّ سنَةَ ٨١٠ هـ !

وتصدّر الشمنيّ للتدريس فأقام مدة في المدرسة الجمالية ثمّ تولّى المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسيّ بقرب الجبل (المقطّم !) ومشيخة مدرسة اللالا . وقد درّس فنوناً كثيرة منها : التفسير والحديث والفقه والعربية (النحو) والبلاغة وغيرها . وكانت وفاة الشمنيّ في القاهرة في سابع عشر ذي الحِجّة ٨٧٢ هـ (٧/ ٧/ ١٤٦٨ م) .

كان الشمنيّ بارعاً في عدد من فنون العلم ؛ وقد اشتهر وراج أمر وتقاطر اليه الطلاّب

---

(١) ليس له الى الدنيا (مال الدنيا ، الغنى) سبيل : (لم يحصل على ثروة) .

(٢) قسنطينة (قسطنطينة) بلد في القطر الجزائري .

من أنحاء كثيرة . وقد كان الشمنيّ يدرّس الأصول ولا يهتمّ بالحواشي (بتعليقات العلماء على الكتب المختلفة) . غير أنّ الشمنيّ لم يترك من الكتب ما يدلّ على مكانته من الاحاطة بفنون العلم ؛ فمن تصانيفه : مزيل الخفاء على ألفاظ الشفاء – كمال الدرايه في شرح النقاية (؟) – شرح ألفية ابن مالك – حاشية على مغني اللبيب لابن هشام .

٤ – المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٥ هـ .
مزيل الخفاء على ألفاظ الشفاء (راجع الأعلام للزركلي ١ : ٢١٩) .

— الضوء اللامع ٢ : ١٧٤ – ١٧٨ ؛ بغية الوعاة ١٦٣ – ١٦٧ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٢٤ – ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٣ – ٣١٤ ؛ البدر الطالع ١ : ١١٩ – ١٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٩٩ ، الملحق ٢ : ٩٢ – ٩٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٩ .

ابن تَغْري بَرْدي

١ – هو أبو المحاسن جَمالُ الدينِ يوسفُ بنِ عبدِ الله تَغْري بَرْدي الظاهريُّ الجُوَيني ، كان أبوه مملوكاً رومياً (من بلادِ الروم : آسيَةَ الصُغرى) ، أي تُرْكيّاً ، جَعَلَه مَوْلاه السُلطانُ الملكُ الظاهرُ بَرْقوقٌ (٧٨٤ – ٨٠١ هـ) والياً على حَلَبَ ودِمَشْقَ (٨٠٧ – ٨٠٩ هـ) ؛ وكانتْ وفاتُه سنة ٨١٥ هـ في دِمَشْق .

وُلِدَ جَمالُ الدين يوسفُ ابنُ تَغْري بَرْدي في القاهرة ، في شَوّالٍ من سنة ٨١٣ هـ (شباطَ – فبراير ١٤١١ م) ونشأ لطيماً (يَتيمَ الابوين) .

درسَ ابنُ تغري بردي على المقريزي واشتغل بالفِقْهِ على بدرِ الدين محمودِ ابنِ أحمدَ العَيْنيّ (ت٨٥٥ هـ) ، وقرأ شَرْحَ ألفية (ابنِ مالكٍ) لابنِ عقيلٍ على أحمدَ بنِ محمّدِ الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ) ولازمَه ، كما درسَ فروعاً من علوم مختلفة كالمنطق والفلك والطبّ . وقضى ابن تغري بردي مُعْظَمَ حياته مُتّصِلاً ببَلاطِ المماليك . وقد حجّ سَنَةَ ٨٦٣هـ (١٤٥٩ م) . وكانتْ وفاتُه في القاهرة في خامسِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٨٧٤هـ (٨/ ٥/ ١٤٧٠ م) .

٢ – ابن تَغْري بَرْدي من كِبارِ المؤرّخين في عَصْرِ المماليك له عددٌ من الكتب في التاريخ أو في التراجم خاصّةً . أشهرُ هذه الكتب : النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة ، وهو تاريخٌ لمصرَ مُنذ الفتح الاسلاميِّ الى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٤ م) مرتّبٌ على السِنينَ وفي آخرِ كلِّ سَنَةٍ ذِكْرٌ للذين تُوُفّوا فيها مَعَ اهتمامٍ بتسجيلِ زياداتِ النيلِ ونُقْصانه ومَعَ الاشارة أحياناً الى أحوالٍ تَجْري في البلاد المُجاورة لمصر — المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « جعله مُعْجَماً لمشاهيرِ الرجالِ منذ سنة ٦٥٠ هـ الى أواخرِ أيامه هو لِيكونَ ذَيْلاً وتَتِمّةً لكتاب الوافي بالوَفَيات للصفَدي — مَوْرِدُ اللطافة في من وَلِيَ السلطنةَ والخلافة — حوادثُ الدهور في مَدى الأيام والشهور (ذيلٌ لكتاب « السلوك » للمقريزي) — البحرُ الزاخر في علمِ الأوائل والأواخر (في التاريخ) — حِلْيةِ الصِفات في الاسماء والصناعات (في الأدب) .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة « النجوم الزاهرة » :

.... ونشكُرُهُ (تعالى) على أنّ أخّرنا عن كلِّ الأُمم [١] — وهذا لَعَمْري من أعظَمِ الإحسان وأسبَغ [٢] النِعَم — لِنُعايِنَ مِمّن تقدّمَ آثارَهم ونُشاهِدَ منازِلَهم ودِيارَهم ونسمعَ كما [٣] وقعَتْ وجرَتْ أخبارُهم .....

ولم أقُلْ كمقالة الغَيْرِ إنّي مُسْتَدْعىً إلى ذلك من أميرٍ أو سلطانٍ ، ولا مُطَّلَبٌ [٤] به من الأصدقاء والإخوان . بل ألّفْتُه لِنفسي .... لِيكونَ لي في الوِحْدة جليساً وبين الجُلساء مُسامراً وأنيساً . ولا أُنَزِّهُه من خَلَلٍ وإنْ حوى أحسنَ الخِلال ، ولا من زَلَلٍ وان طاب مَوْرِدُه الزُلال [٥] ....

أمّا بعدُ ، فلمّا كان لِمصْرَ مَيْزَةٌ على كلِّ بلدٍ بخِدمة الحرَمَيْنِ الشريفين [٦] ، أحْبَبْتُ أن أجعَلَ تاريخاً لِمُلوكِها مُسْتَوْعِباً من غَيرِ مَيْنٍ [٧] . فحمَلَني

---

(١) أخرنا في الزمن ، أتى بنا بعدهم وملكنا أملاكهم .

(٢) أسبغ : أصفى ، أوسع . (٣) لعلها : كيف .

(٤) مستدعى : مدعو (قد دعاني أحد الى وضع هذا الكتاب) . مطلب : مطالب .

(٥) أنزهه : أبرئه من العيب (لا أدعي أنه لا خطأ فيه) . الخلل : النقص . الخلال جمع خلة (بفتح الخاء) : الخصلة (بفتح الخاء) ، العادة ، الصفة . الزلل جمع زلة : العثرة ، الخطأ . المورد : مكان الماء . الزلال : العذب ، الحلو .

(٦) الحرمان الشريفان : مكة والمدينة (كان الخليفة أو الملك الكبير في الاسلام من واجباته الدفاع عن مكة والمدينة ، ولذلك كان يقال له « حامي الحرمين الشريفين ») .

(٧) مستوعب : جامع لكل شيء (لأكثر الأشياء) . المين : الكذب .

ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه ، وقُمْتُ بتصنيفه وأعبائه . واستفْتَحْتُه بفتح مصْر ... وأجمعُ في ذلك أقوال مَن اختلف من المؤرّخين وأهل الأخبار[١] .. ليجْمَعَ الواقفُ عليه بين صحّة النقل والدراية[٢] .... ثم أذكُرُ من ولِيَها من يوم فُتِحتْ وما يقع في دولته من العجَب .... ولا أقتصرُ على ذلك ، بل أستَطْرِدُ إلى ذكْرِ ما بُنِيَ فيها من المباني الزاهرة كالميادين والجوامع ومِقياس النيل[٣] وعِمارة القاهرة .... على أنّني أذكُرُ مَنْ تُوُفِّيَ من الأعيان في دولة كلِّ خليفة وسلطان بالاقتصار[٤] ، بعدَ فراغ ترْجمة المقصود من الملوك معَ ذِكْرِ بعضِ الحوادثِ في مُدّة ولاية المذكور في أيّما قُطْرٍ من الأقطار ، وأبدأ فيه – بعدَ التعريف بأحوال مِصْرَ – بولاية عَمْرو بن العاص[٥] في المملكة الإسلامية ، ثمّ ملك بعدَ ملك كلٌّ واحدٍ على حدته وما وقَعَ في أيامه الى الدولة الأشرفية الإينالية[٦] ، وسمّيْتُه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ...

٤ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (تحرير يونبول وماتّس – جزءان فقط ، الى سنة ٣٦٥ هـ ، ليدن ١٨٥٥ – ١٨٦١م ؛ (تحرير وليم بوبّر – منشورات جامعة كاليفورنيا[٧]) ،بركلي وليدن ١٩٠٩ – ١٩٢٩ م ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩ م وما بعد .

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (تحرير كارليل) ، كمبردج (أرشديكون) ١٧٩٢م ؛

نزهة الابصار في مناقب الأئمة الاربعة الأخيار (مسلولة من مورد اللطافة) مع تتمة الى سنة ٩٨٢هـ ،مطبوع في « مجموعة » بولاق ١٢٩٤هـ ؛ مطبوع في « التحفة البهيّة » استانبول ١٣٠٢ هـ .

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (الجزء الأوّل = : تحقيق أحمد يوسف نجاتي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

---

(١) « من اختلف من » لا حاجة اليها .

(٢) النقل : الرواية عن السابقين . الدراية : المعرفة والتثبت .

(٣) مقياس النيل : جدار منصوب مدرج بخطوط لمعرفة مقدار ارتفاع مياه النيل في أيام الفيضان .

(٤) العين : الرجل الوجيه المشهور في قومه . الاقتصار : التعرض لجوانب معدودة من الاشياء (ترك التوسع في الأمور) .

(٥) عمرو بن العاص : أحد قواد العرب العظام وفاتح مصر وواليها في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام معاوية بن أبي سفيان .

(٦) الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين اينال من ملوك دولة الجراكسة (المماليك البحرية) ، تولى الملك سنة ٨٥٧ هـ وتوفي سنة ٨٦٥ هـ .

(٧) راجع تفصيل طبع الأجزاء في بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣٩ ؛ ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ٥٢ – ٥٣ :

منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور : وهو يشتمل على الاخبار والتراجم التي أدخلها المؤلّف في تاريخه المسمّى « النجوم الزاهرة » (تحرير وليم بوبّر) ، بركلي (مطبعة جامعة كاليفورنيا) ١٩٣٠ – ١٩٤٢ م .

* الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٥ – ٣٠٨ (رقم ١١٧٨) البدر الطالع ٢ : ٣٥١ – ٣٥٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٧ – ٣١٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٥١ – ٥٢ ، الملحق ٢ : ٣٩ – ٤٠ ؛ زيدان ٣ : ١٩٤ – ١٩٦ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٨ .

الشهاب الحجازيّ

١ – هو أبو الطيّبِ (أو أبو العبّاس) شِهابُ الدين أحمدُ بنُ محمّد بن عليّ بنِ الحَسَنِ (وقيل : الحسين) بن ابراهيمَ الحجازيُّ الاصلِ الأنصاريّ الخَزْرَجيّ السَعْديّ العُباديّ[1] القاهري البُلْقِيني القابِسي ، وُلِدَ في ٢٧ شَعْبانَ من سنة ٧٩٠ هـ (٣١/ ٨/ ١٣٨٨ م) .

سَمِـعَ الشهاب الحجازيّ من ابن حَجَرٍ العَسْقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) وقيل سَمِـعَ أيضاً من الكَمال الدَميري (ت ٨٠٨ هـ) شَيْئاً من شَرْحه على سُنَنِ ابنِ ماجَةَ (في الحديث) ومن نَفَرٍ آخرينَ منهم المَجْد الحَنَفي والبُرْهان الأنْباسيّ والبدرُ النسّابة وابنُ أبي المجد ؛ ولازَم جَماعةً منهم العزّ بن جَماعةَ والوَليُّ زينُ الدين العِراقي والشمس البِرْماوي والبساطي ، وقد أجازه العراقيّ والهيثمي[2] . غير أن الشهابَ الحجازي انصَرَفَ الى الأدب .

ويبدو أن الشهابَ الحجازيَّ لم يُعْقِبْ ذُكوراً فقد أوْرَدَ له صاحبُ الضوءِ اللامعِ (راجع شَذَرات الذهب ٧ : ٣١٩ ، في الحاشية) :

قالوا : إذا لَمْ يُخلِّفْ ميّتٌ ذَكَراً يُنْسى ؛ فقُلْتُ لهم في بعضِ أشْعاري :
بَعْدَ المَماتِ أُصَيْحابي سَتَذْكُرُني بما أُخلّفُ من أوْلادِ أفكـاري !

وكانتْ وفاةُ الشهاب الحِجازي في الثامن (وقيل في السابع) من رَمَضانَ من سنة ٨٧٥ هـ (١٢/ ٣/ ١٤٧١ م) ، وقيل سنة ٨٧٤ هـ .

---

(١) نسبة الى الأنصار (أهل المدينة الذين نصروا الرسول لما هاجر اليهم) من قبيلة الخزرج أبناء عم الاوس ، من نسل سعد بن عبادة (بضم العين) .

(٢) وقد أجاز له (رواية ما تعلمه) العراقي والحيثمي (ولعل الحاء خطأ مطبعي) (حسن المحاضرة ٢ : ٢٧٥).

٢ ـ كان الشهاب الحجازيّ أديباً بارعاً في فنون كثيرة من فنون المعرفة ، ولكنّه تَوَفّرَ على الأدب فكان له نَثْرٌ وشعرٌ يَغْلِبُ عليهما التَكَلُّفُ وطَلَبُ التَوْرِيَة ـ وقد كانت له توريات بعيدةٌ أحياناً ـ . وأكثرُ شعرِه الغزلُ ، وله رثاءٌ . وكان في غَزَلِه شيءٌ من المُجون . وقصائدُه الطِوال ضعيفةٌ ، ممّا نرى من مَرْثِيَتِه الطويلة التي أوْرَدَها السُيوطي في « حسن المحاضرة » (١ : ١٧١ ـ ١٧٢) . ويبدو أن نَثْرَهُ جيّدٌ متينٌ . وقد كانتْ له رسائلُ إخوانيةٌ الى جانب مَقْدِرَةٍ له في التصنيف .

والشِهابُ الحِجازيّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ مطيلٌ ، له : اللمعة الشهابية من البروق[1] الحجازية (وهو ديوان شعره) ـ روض الآداب (مختارات من القصائد المطوّلات ومن الموشّحات والأزجال والمقاطيع والنثريات والحكايات ، وقد جعلها أبواباً ورَتّبَ كلَّ بابٍ على الحروف الأبجدية باعتبار القافية ، وقد فرَغ من تأليف هذا الكتابِ في ١٧ من المُحَرّم ٨٣٦ = ١/ ١/ ١٤٢٣ م) ـ كُنّاس الحَواري[2] في الحِسان من الجواري ـ جنّة الوُلْدان في الحسان من الغلمان ـ كتاب العَروض ـ قلائدُ النحور من جواهر البحور ـ نُزْهة الألباب وروضة (أو رياض) الآداب (وهو غير الكتاب السابق) ـ نديمُ الكاعب وحبيب الحابب (!) ـ مفاخرة بين السماء والارض ـ التذكرة ، نحو سبعين جزءاً (نظم العقيان ٦٤) ـ القواعد والمقامات من شرح المقامات[3] ـ أسنى الوسائل في ما حَسُنَ من المسائل ـ نَيْل الرائد في النِيل الزائد (وهو جداولُ لزيادات النيل بحسب الازمان) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال الشهاب الحجازيّ في مليحةٍ تَلْبَسُ ثوباً خَمْرِيَّ اللَوْنِ :

في ثَوْبِها الخَمْرِيّ قد أقبَلَتْ ... بِوَجْنَةٍ حمراءَ كالخَمْرِ ؛
فَمِلْتُ سُكْراً حينَ أبصَرْتُها ، ... لا تُنْكِروا سُكْري من الخَمْري !

---

(١) في زيدان « البروج » (٣ : ١٣٧) . ولعل « البروق » أصوب .

(٢) في زيدان (٣ : ١٣٧) الكناس الحوارى ... الكناس (بكسر الكاف) : بيت الظبي . الحوارى ؟ الحواريات : نساء الامصار (المدن الكبيرة) .

(٣) في عنوان هذا الكتاب خلافات يسيرة .

وقال في فَتاةٍ اسمها جَنّةُ رآها تبْكي :

نُزْهَةُ عَيْني جَنّةٌ أرْسَلَتْ مَدامعاً من مُقْلَةٍ هامِيَهْ[1] .
قد قُلْتُ لَمّا أنْ بَكَتْ واغتَدَتْ كَزَهْرَةٍ في رَوْضَةٍ زاهِيَهْ :
جارِيَــةٌ أعْيُنُهــا جَنّــةٌ ، وجَنّــةٌ أعْيُنُهــا جارِيَهْ[2] !

— وقال في مَليحةٍ قرعاء :

فتاةٌ ما لهــا في الرأسِ شَعْرٌ ، ولكنْ في لَواحِظِهــا فُتورُ[3] .
ويا عَجَبــاً لِكَوْني في هَواهــا أموتُ أسىً ، وليسَ لَها شُعورُ[4] .

— وقال في الحريق الذي وَقَعَ في بولاق (مصر) سنة ٨٦٢ هـ :

لَهفي على مِصْرَ وسُكّانِها ، والدّمْعُ من عَيْني عَلَيْها طَليقْ[5] .
ما شاهدوا الحَشْرَ وأهْوالَه ، ما بالُهم ذاقوا عَذابَ الحَريقْ[6] !

— خَرَجَ للشهاب الحجازيِّ دَمّلٌ فكتب إلى الشريف صلاحِ الدينِ الأسْيوطيِّ يَصِفُ له حالَه في مَرَضِهِ هذا :

..... إنّه حَدَثَ لي نازلةٌ ، وَهِيَ طُلوعُ دُمَّلٍ كادَ أنْ يُنْزِلَني التُّرابَ ويُفَرِّقُ بَيْني وبين الأحْبابِ والأتْرابِ[7] . ولي عَشْرُ لَيالٍ لا أكْتَحِلُ

---

(١) همى المطر والدمع : سال بكثرة ، انهمر . المقلة : العين .

(٢) جارية (فتاة) أعينها (عيناها) جنة (نعيم للذي ينظر اليها) . وجنة (الفتاة التي تدعى جنة) أعينها (عيناها) جارية (تسيل بالدمع) — ويمكن تفسير الشطر الثاني على الوجه التالي : جنة (جنينة) أعينها (ينابيعها) جارية (تتدفق بالماء) فيكون في البيت تورية في الجمع بين بكاء الفتاة جنة وبين أنهار « الروضة الزاهية » .

(٣) الفتور في العين : الذبول من غير مرض .

(٤) الاسى : الحزن . في « الشعور » تورية : الشعور اسم هو جمع « الشعر » الذي يكون في الرأس ؛ والشعور « مصدر » (الاحساس) .

(٥) الدمع من عيني طليق : حر (يجري بكثرة وبلا مانع) .

(٦) الحشر : اجتماع الناس يوم القيامة ليذهبوا الى جنة أو الى نار . ما شاهدوا الحشر وأهواله : ما وصلوا بعد الى يوم القيامة — أو ما عملوا عملا يستحقون عليه أهوال الحشر . « ذاقوا عذاب الحريق » تضمين من قوله تعالى : « ذوقوا عذاب الحريق » في سورة آل عمران (٣ : ١٨١) وفي غيرها من السور .

(٧) كاد ينزلني التراب : يؤدي بي الى القبر (الى الموت) . ويفرق بيني وبين الاتراب (جمع الترب — بكسر التاء) : الذين هم في سن واحدة : يجعلني أموت قبل أوان موتي .

بالمَنام ، ولا أطْعَمُ الطعامَ ؛ فها أنا في هذا الشّهْرِ الشريفِ صائمُ اللّيْلِ والنّهارِ ، وطائرُ قَلْبي قَدْ غَشِيَتْهُ نارُ هذا الدُمّلِ فكأنّه السَّمَنْدَلُ[1] ؛ وكَيْفَ لا ! وهُوَ في النار .

لَقَدْ طالَ لَيْلٌ ساءَني فيهِ دُمّلٌ فأسْهَرَ أجْفاني ولَمْ أسْتَطِعْ صَبرَا .
كأنّي بِعِلْمِ الوقتِ مُغْرًى ، فها أنا أُراعي نُجومَ اللّيْلِ أرْتَقِبُ الفَجْرا[2]

فيا له مِنْ دُمّلٍ خِلْتُهُ من حَرارتِه جَمْرة ، وشَبَّهْتُه بفارسٍ عادٍ[3] بَغَضٍ إليَّ الحياةَ فَكَرَّ في مُهْجَتِي كَرَّةً وكرّةً[4] . فلَمْ أجِدْ بُدّاً مِنَ اسْتِعْمالِ الصَّبْرِ مُذْ وُصِفَ لي ، فما أحلاهُ وما أمَرَّهُ.... حتى أشْبَهْتُ القولَ الشاذَّ[4] ، ومُنِعْتُ به أنْ آلَفَ الإخْوانَ وأَلْتَذَّ بِمَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ . فمَنَعَني في الحالَيْنِ مِنَ المَلاذِّ وهَوّنَ عَلَيَّ المَوْتَ بهذهِ المَشَقّةِ الصَعْبَةِ ، ورَخُصَتْ مُهْجَتِي حتى كادَتْ أن تُباعَ –كما يُقالُ– بحَبّة[5]. ويَئِسْتُ من العافيةِ فقُلْتُ على غَلَبَةِ الظنّ لم يَبْقَ بَيْني وبينها مَجاز[6] ، إذْ هُوَ في احْمرارِهِ كالعَقيق ، ودَمْعي يَنْبَعُ من العُيونِ ، وبَيْني وبينَ النومِ حِجاز[7] ....

على أنّ صاحبَ الدُمّلِ ضَعيفٌ[8] لا يُزار . وكُلّما قَصَدَ اسْتِعارَةَ الصبرِ –وتَهَجَّمَ عليه اللّيْلُ– رَجَعَ عن ذلك واسْتَعار[9] اسْتِعار .فتَراني كُلّما جَنّ اللّيْلُ سَلْسَلْتُه بالدموع[10] . ونَحَلَ جِسْمي في هذه العَشْرِ

---

(١) السمندل : طائر يدخل النار فلا يحترق (يشبه قلبه بالسمندل والحرارة التي يولدها الدمل في الجسم بالنار)– إنه لا يزال حياً مع شدة الحرارة المتولدة في جسمه من الدمل لأن قلبه كالسمندل لا يحترق بالنار) .

(٢) مغرى بعلم الوقت : مكلف بالتوقيت للناس فلذلك يجب أن يظل ساهراً حتى يعرف مقادير الزمن التي تمر . أراعي : أراقب . ارتقب : أنتظر .

(٣) عاد : معتد ، هاجم . فكر (فهجم) في مهجتي (في قلبي) كرة (هجمة ، مرة) وكرة (لعل من الأصوب أن نقرأ : اذ كر علي مهجتي ألف كرة وكرة !) .

(٤) القول الشاذ (في قراءة القرآن ، في الفقه ، في النحو) يهجره العلماء ولا يأخذون به (لا يقبلونه) فيكون مهملا .

(٥) الحبة : مقدار من الوزن يساوي حبتين معتدلتي الحجم من شعير (راجع المعجم الوسيط ١ : ١٥١) ، ويكون الوزن من الفضة أو الذهب .

(٦) لم يبق بيني وبين العافية (الصحة ، السلامة) : مجاز (ممر)لم يبق لي اليها وصول .

(٧) حجاز : حاجز ، فاصل ، مانع .

(٨) ضعيف = مريض .

(٩) واستعار استعار – اقرأ : واستعر (بسكون السين وفتح التاء والعين والراء) : اشتعل (استعارا) .

(١٠) سلسلته بالدموع : سلسلت الألم بالدموع (حاولت أن أخفف الألم عني بالبكاء) ، سلسلت الليل بالدموع (قضيت الليل بالبكاء) .

لَيالِيَ لِعَدَمِ المَطْعَمِ والهُجوعِ[1] . والواقعُ أنّ البُكاءَ لا يُسْمِنُ ولا يُغْني مِنْ جوع [2] . فأقسِمُ بالفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ ، لَقَدَ فَطَّرَ هـذا الصيامُ قَلْبي وقَطَعَني عن المَخاديمِ ورُميتُ بالنَّوَى فطار لُبّي[3] . وأعْظَمَ[4] مَنْ لا يَعْرِفُ الألَمَ ولا يُفَرِّقُ بين البُرْءِ والسَقَمِ، إذ لم يَرَني مع الساجدِ والراكعِ ، ولا جَمَعَ بيني وبَيْنَه في هذا الشَّهْرِ جامع [5]، وقال لي : « مِثْلُكَ يُفَرِّطُ في هـذه العَشْرِ[6] ، وقِراءةُ لَيْلَةِ القَدْرِ خيرٌ من ألْفِ شَهْرٍ[7] » ؟ فلَمّا رأيْتُه جاهِلَ دائي تَلَوْتُ لَه : سَلامٌ هِيَ حتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ[8] !

٤ ـ ثلاث رسائل : جنّة الولدان في الحسان من الغلمان ـ الكُنَّس الجواري في الحسان من الجواري ـ قلائد النحور في جواهر البحور ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ.

روض الآداب ، بومبيء ١٨٩٨ م (سركيس ، ص ١١٥١ ؛ بروكلمان نقلاً عن سركيس) .

* * الضوء اللامع ٢ : ١٤٧ ـ ١٤٩ (رقم ٤١٦) ؛ نظم العقيان ٦٣ ـ ٧٧ ؛ حسن المحاضرة ١ : ١٧١ ـ ١٧٢ ، ٢٧٥ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٢١ ، الملحق ٢ : ١١ ـ ١٢ ؛ زيدان ٣ : ١٣٦ ـ ١٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

---

(١) الهجوع : الاغفاء ، النوم .

(٢) « لا يسمن ولا يغني من جوع » (٨٨ : ٧ ، سورة الغاشية) : لا يفيد ، ليس له قيمة .

(٣) واقسم بالفجر وليال عشر تضمين من قوله تعالى في مقام القسم أيضاً: « (والفجر وليال عشر » (٨٩ : ١ ، سورة الفجر) .

(٣) فطر : شقق ، قطع . الصيام (هنا) : الامتناع عن لقاء الاخوان . المخاديم جمع مخدوم : الذي تجب علينا خدمته واحترامه . ـ طار لبي (عقلي) : تحيرت ، جننت .

(٤) أعظم (استعظم ، استغرب) من لا يعرف الالم .... (هذا الانقطاع مني عن لقاء الاخوان) ، يبدو أن كلمة أو كلمات تنقص من هذه الجملة .

(٥) مع الساجد والراكع = من المصلين جماعة . ولا جمع بيني وبينه جامع (مسجد) : لم نصل معاً في المسجد .

(٦) ... (أرجل تي) مثلك يفرط (يضيع الثواب) في هذه (في الاصل : هذا) العشر (في الليالي العشر الاخيرة من شهر رمضان) ؟ قراءة ليلة القدر = قراءة القرآن والعبادة في ليلة القدر (وهي ليلة تكون في الليالي العشر الأخيرة في رمضان ما دعا فيها أحد إلا أجيب الى ما دعاه) خير من (العبادة) في ألف شهر .

(٧) في القرآن الكريم (سورة القدر ، السورة ٩٧) : « ليلة القدر خير من ألف شهر ».

(٨) « سلام هي حتى مطلع الفجر » (آخر سورة القدر) . تلوت له : « سلام هي حتى مطلع الفجر » : عذرته ، سامحته .



البرهان البقاعيّ

١ ـ هو برهانُ الدين أبو الحسنِ ابراهيمُ بنُ عُمَرَ بنِ حسنِ بنِ الرُباط بنِ عليٍّ بنِ أبي بكرٍ الخِرباويُّ البِقاعي ، اذ كان مولدُه في خِربةِ روحا في سهلِ البِقاعِ من أرضِ الشام سَنَةَ ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ م) .

في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) أوقعَ بنو مزاحمٍ ببني الحسنِ بن الرُباط ـ وقد جُرِحَ برهانُ الدين في هذه الواقعة ـ فهَجَرَ جماعةٌ من بني الحسن خِربةَ روحا واستقرّوا ، بعدَ تنقّلٍ يسيرٍ ، في دِمَشْقَ .

ولمّا جاء الشمسُ بن الجزَرَيّ الى دِمَشْقَ (٨٢٧ هـ = ١٤٢٤ م) درسَ عليه البرهانُ البِقاعيّ القرآنَ والقراءاتِ . وكذلك أخذَ عن نفرٍ منهم تقيُّ الدين أبو بكرِ بنِ محمّدٍ الحُصْنيّ (ت ٨٢٩ هـ) والحافظُ ابنُ حَجَرٍ العَسقلانيّ . وقد كانت بينَه وبين السَّخاويّ صاحبِ « الضوء اللامع » منافسةٌ ووَحْشة .

وحجّ البرهانُ البِقاعي وكَثُرَ تَنَقّلُهُ في البلادِ ثمّ عادَ الى الاستقرار في دِمَشْقَ فكانتْ وفاتُه فيها ، في ١٨ من رَجَبَ سَنَةِ ٨٨٥ هـ (٢٤/ ٩/ ١٤٨٠ م) .

٢ ـ كان البُرهانُ البِقاعيُّ بارعاً في عَدَدٍ من العلوم كالتفسير والحديثِ والأُصولِ والفِقه واللُغة والنحو . وكان يجمَعُ في تفسيرِ القرآنِ بينَ المنقولِ (الرواياتِ الدينية) وبينَ المعقولِ (استخراج المعاني بالعقل) وينقُلُ أحياناً من رِوايات التوراة والإنجيل ، فحمَلَ عليه جماعةٌ من أجلِ ذلك . وكذلك كان شاعراً على شِعرِه شيءٌ من البَراعة وشيءٌ من التقليد ، كما كان مُتَرَسِّلاً ومُصنِّفاً للكتب . فمن كُتُبِه : الأقوالُ القويمة في الأخذ من الكتب القديمة ـ نَظْم الدُرَر في تناسُبِ الآيِ والسُوَر ـ المَقْصِد الأقصى لمطابقة اسم كلّ سورة للمُسمّى ـ الفتح القُدسي في آية الكُرسي ـ تنبيه الغبيّ الى تكفير ابن عربيّ ـ الناطقُ بالصواب الفارض بتكفير ابن الفارض ـ أسواق الأشواق في مصارع العشّاق (تقليد لكتاب مصارعِ العشّاق للسَّرّاج القارىء) ـ بَذْلُ النُصْح والشفقة للتعريف بصُحْبة وَرَقَةَ (بنِ نَوْفلٍ) ـ مقدّمة ايساغوجي ـ علم الميزان ـ البهاء في علم الحساب والمساحة (أرجوزة) ـ أخبار الجهاد في فتح البلاد ـ الاستشهاد بأبيات الجهاد ـ ما لا يُستَغنى عنه من مُلَحِ اللسان ـ تَهْديم الاركان في « ليس في الامكانِ

أبدعَ ممّا كان[1] » – دَلالةُ البُرهان على أن في الإمكان أبدعَ ممّا كان .

٣ – مختارات من شعره

– قال البرهان البقاعي يرثي نفسه :

نعَمْ ، إنّني عمّا قَريبٍ لَميِّتٌ ؛ ومَنْ ذا الذي يَبْقى على الحَدَثانِ[2] ؟

كأنّك بي أنعى علَيْكَ ، وعِندَها ترى خَبَراً صُمّت له الأُذُنان[3] .

فلا حَسَدٌ يبقى لَدَيْكَ ولا قِلىً فيُنْطَقَ في مَدْحي بأي معان[4] ؛

وتُنْظَرَ أوْصافي فتُعْلَمَ أنّها علَتْ عن مُدانٍ في أعزّ مكان .

ويُمْسي رجالٌ قد تَهَدّم رُكْنُهُمْ ومَدْمَعُهُمْ لي دائمُ الهَمَلان .

فكم من عزيزٍ بي يَذِلُّ جِماحُهُ فيَطْمَعَ فيه ذو شقاً وهَوان[5] .

فيا رُبَّ من يُفْجا بِهَوْلٍ يَؤودُه ؛ ولو كنتُ موجوداً لَدَيْه دَعاني[6] .

ويا رُبَّ شَخْصٍ قَد دَهَتْه مُصيبَةٌ لها القلبُ أمسى دائمَ الخَفَقان

فيَطْلُبَ من يَجْلو صَداها فلا يَرى ؛ ولو كُنْتُ جلّتها يَدي ولِساني[7] .

وكَمْ ظالمٍ نالَتْهُ منّي غَضاضَةٌ لِنُصْرَةِ مَظْلومٍ ضعيفِ جَنان[8] .

وكم خُطّةٍ سامَتْ ذَويها مَعَرَّةً أُعيدَتْ بضَرْبٍ من يَدي وطِعان[9] .

---

(١) « ليس في الامكان أبدع مما كان » قول للفقهاء المتفلسفين يذهب الى أن الله خلق هذا العالم على أحسن ما يمكن أن يكون . ولعل البقاعي يقصد أن الله قادر على أن يخلق عالماً أبدع من هذا العالم الذي خلقه لنا .

(٢) الميّت (بتشديد الياء) : الذي سيموت . الميت (بسكون الياء) : الذي مات . الحدثان : الليل والنهار ، حوادث الدهر ونوائبه .

(٣) أنعى عليك(إليك) : يأتيك نعيي (خبر موتي) . خبر تصم له الأذنان : شديد الوقع على النفس ، مسيء .

(٤) القلى : البغض . بأي معان : بكل وجه من أوجه معاني (المدح) .

(٥) – كم من رجل هو الآن عزيز (قوي ، مكرم) في حياتي . سيذل اذا أنا مت غدا حتى يتجرأ في الاعتداء عليه من كان قبل عاجزاً أو شريراً .

(٦) يفجا = يفجأ ، يفاجأ : يأتيه أمر على غير انتظار . آده : اتعبه ، أثقله (كان ثقيلا عليه) .

(٧) الصدا = الصدأ : أثر الرطوبة في تحلل سطح الحديد وغيره (الهم والغم) . يجلو الصدأ : يمنع الصدأ أو يزيله (يزيل الهم ويزيح الغم) . ولو كنت (كان هنا تامة) : لو كنت على قيد الحياة .

(٨) – رب ظالم متكبر اعتدى على مظلوم ضعيف فانتصرت أنا للمظلوم الضعيف فعاد الذي ظلمه ذليلا .

(٩) – رب أمر مدبر أنزل بقوم معرة (عاراً ، أذى) فرددت أنا تلك المعرة عمن نزلت بهم بدفاعي عنهم : بضربي (بالسيف) وبطعني (بالرمح) .

فإن يرثني من كنتُ أجمعُ شملَهُ   بتشتيتِ شملي فالوفاءُ رثاني[1].

— وقال في وصف نهر النيل :

ولمّا رأيتُ البدرَ ألقى شعاعَه   على نيلِ مصرٍ والسفينُ بنا تجري ،
تخيّلتُه نهراً يسيرُ بسيرِنا   من الفضّةِ البيضاءِ في لُجّةِ البحرِ[2].

٤ — لعب العرب بالميسر (في مجموعة « طرف عربية » جمعها عمر السويدي : لاندبرغ) ليدن ١٣٠٣ هـ ؛

سرّ الروح ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

نظام الدرر في تناسب الآيات والسور ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ....

* نظم العقيان ٢٤ — ٢٥ ؛ الضوء اللامع ١ : ١٠١ — ١١١ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٤٩ ، ٣٣٩ — ٣٤٠ ؛ البدر الطالع ١ : ١٩ — ٢٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٩ — ١٨٠ ، الملحق ٢ : ١٧٧ — ١٧٨ ؛ زيدان ٣ : ١٨٢ — ١٨٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٥٠ .

ابن الهائم الشاعر[3]

١ — هو شهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ الهائمِ السُلَميُّ المنصوريُّ ، يرجِعُ نسبُهُ الى العبّاسِ بنِ مِرداسِ السُلَمي ابنِ الخنساء الشاعرة المشهورة ، وُلِدَ سنةَ ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ — ١٣٩٧ م) في المنصورة (مصر) ولذلك عُرِفَ بالمنصوري .

في سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) جاء ابنُ الهائمِ الى القاهرةِ ودَرَسَ على القاضي شرَفِ الدين عيسى الأقفهسي .

ثم قرأ الألفية على شمس الدين الجُندي وأخذ النحو عن شمس الدين القرشي شيخ المدرسة الشيخونية . وسَمِعَ أيضاً من الزركشي[4] . بعدئذٍ أصبحت له وظيفةٌ في المدْرسة الشيْخونية .

(١) اذا رثاني غدا شخص كنتُ في حياتي أجمع شمله بتشتيت شملي (أنفعه بجلب الضرر على نفسي) : فيكون الوفاء (الخلق الكريم) قد حمله على أن يفعل ذلك .

(٢) — تخيلت القمر في السماء سفينة من فضة تسير في بحر من الزرقة أو السواد (في السماء) وكأنه يرافقنا في السير

(٣) هو غير شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي المصري المقدسي الفرضي الحاسب (٧٥٣ — ٨١٥ هـ) راجع شذرات الذهب ٧ : ١٠٩ ؛ البدر الطالع ١ : ١١٧ — ١١٨ .

(٤) لعله زين الدين أبو ذر عبد الرحمن بن محمد الزركشي المصري (٧٥٠ — ٨٤٥ هـ) استقر للتدريس في المدرسة الأشرفية المستجدة في القاهرة سنة ٨٣٣ هـ سمع منه الحديث وروى عنه خلق كثيرون (شذرات الذهب ٧ : ٢٥٦) .

وكانت وفاةُ ابنِ الهائمِ المنصوريّ في القاهرةِ ، في جُمادى الثانية من سنة ٨٨٧ هـ (صيف ١٤٨٢ م) .

٢ - كانَ شهابُ الدين بنُ الهائمِ المنصوريُّ شاعراً مُقْتَدِراً متينَ السَّبْكِ مُتَصَرِّفاً في فُنونِ القَوْلِ مُتَفَنِّناً يُطيلُ القصائدَ ويأتي بالمُقَطَّعات فيجيدُ فيها كُلِّها ، وإنْ كان في القِصارِ أبرعَ . وشِعْرُه بديعيّاتٌ وحِكَمٌ وأوْصافٌ وغَزَلٌ ، وقد يأتي بالإحماضِ أحياناً . ويبدو أن أحْسَنَ شِعْرِهِ القولُ في الأغراضِ العارضةِ في الحياةِ العامّةِ .

٣ - مختارات من شعره

- قال شهاب الدين بن الهائم المنصوري من بديعيّة (في مدح رسول الله) :

أذْكَتْ بروقُ الحِمى من مُهْجَتي لَهَبا ... فأنشأتْ مُقْلَتي من جَفْنِها سُحُبا[1] .
يا نازلينَ بقلبي ، طابَ مَنْزِلُكم ؛ ... ويا عُرَيْبَ الحِمى، حُيِّيتُمُ عَرَبا !
جُزْتُمْ على البانِ فاهتَزّتْ مَعاطِفُه ، ... وأرْخَتِ الدَّوْحُ من أغْصانِها عَذَبا[2]
عَجِبْتُ كيفَ سَكَنْتُمْ من مُحِبِّكُمُ ... قَلْباً خَفوقاً من الأشواقِ مُضْطَرِبا !
وارْحَمْتاهُ لعينٍ كُلّما هَجَعَت ... ألْفَتْ كَراها بكَفِّ السُّهْدِ مُنْتَهَباً[3] .
في كلِّ يومٍ أنادي رَسْمَ رَبْعِكُمُ ؛ ... يا رَبْعَ لَيْلى، لَقَدْ هَيَّجْتَ لي طَرَبا[4] .
(ما للغريبِ) الذي شَطَّ المَزارُ بِـه ... عنِ الأحِبّةِ إلّا سَيِّدُ الغُرَبا[5] :
كهفُ العُصاةُ مُغيثُ المُسْتَغيثِ به ... محمّدٌ (*) المُصْطَفى أعْلا الوَرَى نَسَبا[6] ؛

---

(١) أذكى : أوقد ، أشعل . الحمى : المسكن (المقصود هنا : الحجاز) . المهجة : دم القلب (القلب) . سحب جمع سحاب (المقصود : سحب تحمل ماء ، كناية عن كثرة البكاء)

(٢) جاز : مر . البان (شجر ، المقصود به هنا : شجر الحجاز) . المعطف : (بكسر الميم وفتح الطاء) : الرداء . اهتزت معاطفه (أي جسده) : طرب ، فرح . الدوح : جمع دوحة : الشجرة الكبيرة (يقصد أشجار البلاد كلها ، البلاد كلها !) . العذبة : طرف العمامة (بكسر العين) الذي يتدلى الى القفا وأعلى الظهر . أرخت الدوح عذباً : تاهت وافتخرت عجباً بنفسها (لأن ذكر رسول الله مر بها) .

(٣) هجع : أغفى ، نام . ألفى : وجد . الكرى : النوم . السهد : السهر ، ذهاب النوم. - كلما أردت أن أنام لم أجد نوماً (لأن ذكركم يشغلني (بفتح الغين) عن النوم .

(٤) رسم الربع : مكان الدار .

(٥) شط : بعد ، أصبح بعيداً . شط المزار به : سكن بعيداً عن وطنه الاصلي . سيد الغرباء : محمد رسول الله (لأنه هاجر من موطنه مكة الى المدينة) . (*) محمد (يجب تنوينها وكسرها) ولكن وزنها حينئذ يختل .

(٦) كهف العصاة : ملجأ المذنبين الذين لا يجدون شافعاً لهم عند الله سواه .

من أطْلع اللهُ من لألاء غُـرّتـهِ ... بَدْراً وأنْزلَ في أوْصافه كُتُبا[1] .
به هَدى اللهُ أقواماً أعَـزَّ بِهِـمْ ... ديناً أذلَّ به الأوْثانَ والنُّصُبا[2] .
يا سَيِّداً قد رَقى السَّبْعَ الطباقَ إلى ... أن جاوزَ الرُّسْلَ والأمْلاكَ والحُجُبا[3]
وشاهَدَ الحقَّ فاسْتَغْنى برُؤيَتِـه ... عن كلِّ شيءٍ فنالَ السُؤْلَ والأرَبا[4]
أرْجو شَفاعتَكَ العُظْمى إذا زَفرَتْ ... لَظَى وصالَتْ على أصحابِها غَضَبا[5].
يا ربِّ ، عبدُكَ يَرْجو مِنْكَ مَغْفرةً ... فأعْطِه من رَحيبِ العَفْوِ ما طَلَبا .
يا ربِّ ، صَلِّ على الهـادي وعِتْرتِه ... وصَحْبِه الأتقياءِ السادةِ النُجُبا[6] ،
ما لاحَ وَجْهُ صباحٍ من لِثامِ دُجىً ... (ورَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَبا)[7]

ـ وله أبيات في أغراض متفرقة يَغْلِبُ عليها الحكمة :

إذا سَبَّ عِرْضي ناقصُ العَقْلِ جاهلٌ؛ ... فليس له إلاّ السُكوتُ جـوابُ.
ألَمْ تَرَ أن اللَّيْثَ ليس يَضيرُه ... ـ إذا نَبَحَتْ يوماً عليه ـ كلابُ[8].
• وصادحٍ في ذُرى الأوراق أرّقَني ... شَدْواً، وما كان جَفْني يَعْرِفُ الأرَقا[9].
لو ذاقَ ما ذُقْتُ من جَوْرِ الغَرامِ لَما ... شَدا ، ولو كان يَدْري ما علا وَرَقا[10].

---

(١) أنزل في أوصافه (صفاته الحميدة وفضله) كتباً : ذكر الله صفاته في الكتب المنزلة (التوراة والانجيل والقرآن) .

(٢) ديناً (يقصد : الاسلام) . الوثن : حجر على غير صورة معينة . النصب (بسكون الصاد أو بفتحها) : علم (بفتح ففتح : شيء بارز مرفوع) : يتخذه الوثنيون للعبادة . ـ أذل الله بالاسلام أهل الوثنية كلهم .

(٣) رقي في السبع الطباق (ارتقى ، ارتفع في السماوات السبع ، بالمعراج) وجاوز في ارتقائه المكان الذي فيه الرسل الا ولون والاملاك (الملائكة) ثم جاوز الحجبا : تخطى الاستار التي لا يجوز لأحد آخر أن يتخطاها ثم اقترب من عرش الله . (٤) الحق : الله . السؤل : السؤال ، المطلب . الارب : الحاجة ، الغاية .

(٥) لظى : جهنم . زفرت النار : أحدث اشتعالها صوتاً شديداً . صالت على أصحابها : سطت (ألسنة اللهيب في جهنم) وهجمت على أهل جهنم .

(٦) الهادي : محمد رسول الله . عترته : أهله . النجيب : الكريم النسب والكريم العمل .

(٧) لثام : قناع ، غطاء . دجى : اشتداد الظلام . ما لاح وجه صباح ... : ما طلع الصباح (كل يوم ، دائماً). رنحت (حركت) عذبات (انظر ص٨٧٥ الحاشية٢) صبا : ريح الشرق. الشطر الاخير للبوصيري.

(٨) يضيره : يضره .

(٩) صادح : مغن (طائر ، حمامة) . في ذرى الا وراق : في أعلى الأغصان. أرقني (منع النوم عن عيوني) . شدواً : بالغناء ، بغنائه .

(١٠) الجور : الظلم . شدا : غنى . لو كان يدري ... (بوجود الغرام!) ما علا ورقا : ما ارتفع فوق غصن (وغنى) . ما علا ورقا (ورقي - الواو حرف عطف) .

* لا أطلبُ الرزقَ بشعرٍ ، ولـو كُنْتُ على جيِّدِهِ أقـدرُ .
كيفَ ، وعِلْمي أن لي سيِّداً يرزُقُني من حيثُ لا أشعُرُ[1] .
* لا تجنحنَّ لعِلْمٍ لا ثوابَ له ، واجنحْ لِما فيه أجرٌ غيرُ ممنونِ[2] .
إنَّ العلومَ ثِمارٌ فاجنِ أحسَنَها ؛ وأحسَنُ العِلْمِ ما يهدي الى الدين .
– إنّي غدَوْتُ غريبـاً لمّا فقَدتُ الأحبَّهْ .
يا صِدْقَ من قال قِدْماً : فَقْدُ الأحبَّةِ غُرْبَهْ !
* خاطبْ أخاك بما تصفو مودّتُه ، وارفقْ به لا يُنافي حبَّهُ بُغْضُ[3] .
فاللهِ قالَ لأعلى الخلْقِ مرتبةً : « (لوكنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفَضّوا[4] ..) »
– وقال يصف شهاباً ساقطاً :

وكوكبٍ من أُفقِـه في إثْرِ عِفْريتٍ وثَبْ[5]
كأنّـهُ مُحـارِبٌ يجُرُّ رُمْحاً من ذَهَبْ !

– وقال في الغزل والنسيب :

يا مليحاً ماسَ غُصْنـاً ورَنا سيْفاً صقيلا[6] ،
لا تُقابِلْني بِحَدٍّ واصفَحِ الصَّفْحَ الجميلا[7] .

– وقال ، وفي قوله شيء من الدُعابة والمُجون :

ولَيْلةٍ بِتُّ بهـا ، والكَرى في مُقْلَتي أذْيالُهُ تُسْحَبُ[8] ،

---

(١) أن لي سيداً : آلهاً ، رباً .
(٢) جنح : مال ، اتجه الى . أجر : ثواب . غير ممنون : لا يمن به صاحبه عليك (لا يفتخر عليك بأنه منحك هذا العلم) .
(٣) لا ينافي حبه (مفعول به) بغض : كيلا يصرفه البغض لك عن الحب لك .
(٤) أعلى الخلق مرتبة (مكانة) : محمد رسول الله . « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آية من سورة آل عمران ، ٣ : ١٥٩) .
(٥) كوكب : شهاب ، نيزك . عفريت : شيطان(إشارة الى أن الشهب التي تسقط من السماء تطرد الشياطين وتمنعهم من الاقتراب لاستراق السمع – من الاطلاع على أخبار الغيب) .
(٦) ماس (تحرك ، تمايل) . غصناً (كالغصن) ورنا (تطلع ، نظر) سيفاً صقيلا (ففعل نظره في نفوس محبيه ما يفعل السيف في الاجساد) .
(٧) الحد : العقاب . الحد : حد السيف (كناية عن نظر المحبوب – راجع البيت السابق) . الصفح (العفو) الجميل (الحسن ، الكريم ، الواسع) .
(٨) يسحب الكرى (النعاس ، النوم) أذياله في مقلتي (عيني) : بدأ النوم يسيطر علي !

إذ جاءني إبْليسُها عارِضاً   عليَّ أنواعاً بِها يَخْلِبُ[1] ؛
فقال لي : هَلْ لَكَ في غادةٍ   في وَجْنَتَيْها الصُّبْحُ والكَوْكب ؟
فقلتُ : لا ! قال : ولا شادنٍ   يَرنو بِطَرْفٍ بالنُّهى يَلْعَب[2] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا قَهْوةٍ   تَكْسوك كأسَ المُلك إذ تُشْرَبُ[3] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا كَبْشَةٍ   خَضراءَ فالعَيْشُ بها طَيِّب[4] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا مُطْرِبٍ   إذا شَدا عِنْدَ الصَّفا يُطْرِب ؟
فقلت : لا ! قال : فَنَمْ مُعْرِضاً   عنّي ، فأنتَ الحَجَرُ المُتْعِب[5] !

٤ ــ الضوء اللامع ٢ : ١٥٠ ــ ١٥١ (رقم ٤٢٧) ؛ نظم العقيان ٧٧ ــ ٩٠ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٤٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ زيدان ٣ : ١٣٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٢ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٥٠ .

علي بن ابي بكر السقّاف

١ ــ هو عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ السَقّاف بن محمّدٍ مَوْلى الدُوَيْلَة ابنِ عليٍّ ، ونسبُهُ مُتّصلٌ بجعفرٍ الصادِق ، وُلِدَ في مدينة تَريمَ (في حضرموت باليمن) سنَةَ ٨١٨ هـ (١٤١٥ ــ ١٤١٦ م) . ثمّ توفّي والِدُه (٨٢١ هـ) فنشأ في رِعايةِ أخيه عبدِ الله العيدروس . وكانتْ وفاتُه في تَريمَ في الثاني عَشَرَ من المُحَرَّمِ من سنَةِ ٨٩٥ هـ (٦ ــ ١٢ ــ ١٤٨٩ م) .

٢ ــ كان عليُّ بن أبي بكرٍ السقّاف جَمَّ المَواهبِ كثيرَ التحصيل للعلم بَرَعَ في فنونٍ كثيرةٍ منها الفِقْهُ والأصولُ والنحو والفلك ؛ ثمّ أصبحَ من الأئمة المُجَدِّدين وزعيمَ نهضةٍ فكريةٍ . وهو شاعرٌ وُجدانيّ مُكْثِرٌ . وأكثرُ شِعرِه صوفيٌّ المَنْحى في التأمّل بالله وفي مدح الرسول . وله نثرٌ أنيقٌ لفظيٌّ في الأكثر وأدنى رتبةً من شِعرِه . ومن مؤلّفاته : معارج الهداية ــ البرقة المُشيقة في إلباس

---

(١) خلب : خدع ، سلب العقل .
(٢) الشادن : الظبي الصغير (كناية عن غلام جميل) . يرنو (ينظر بفتور) بطرف (بعين) . النهى : العقل .
(٣) القهوة : الخمر . تكسوك كاس الملك (كذا) : تكسو لباس الملك !
(٤) كبشة خضراء : حشيشة الكيف .
(٥) الحجر المتعب : ....

الخرقة الانيقة ــ الدُرّ المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي ــ كتاب في علم الميقات ــ كتاب النكاح .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قالَ عليُّ بنُ أبي بكرِ السقّافِ في معنىً صوفيٍّ[1] :

خليليَّ ، مُرّا بي على بانةِ اللّوَى وحيثُ الخيامُ الحُمْرُ في شِعْبِ عامرِ ؛
وشُمّا شذا الأحبابِ إنْ هبّتِ الصّبا وشُمّا بُروقاً في اللّيالي الدواجر[2] .
قِفا بي على ماء العُذيبِ وجيرةٍ بسَفْحِ لِوَى وادي القَريطِ وحاجِرِ
وميلا الى نجدِ الغَرامِ ورامةٍ ؛ لعلَّ بها يُشْفَى غَليلُ ضَمائري !

ــ وقال في كتاب معارج الهداية : (وفيها معانٍ صوفيةٌ أيضاً) :

.... ولا تَحْصُلُ المعرفةُ الحقيقيةُ السامية إلاّ بتزْكيةِ النفس عن ظُلْمةِ أخلاقها وتخْليتِها عن أوصاف الرذائل وتحْليتِها بنور الفضائل والارتقاء من حالٍ الى حالٍ حتّى يَسْتَوِيَ سُلطانُ الحقيقةِ على ممالك الخليقة وتُطْوى بايْدي الوُجودِ[3] سُرادِقاتُ الوجود .

٤ ــ ★ تاريخ الشعراء الحضرميّين ١ : ٧٨ – ٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٤ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٧ : ٤٦ .

---

(١) أسماء الاماكن السامة والخاصة (بانة اللوى ، شعب عامر ، ماء العذيب ، حاجر ، نجد ، الخ) إشارات صوفية الى العزة الالهية والمعاني الدينية الروحية ولا صلة لها بالاماكن التي تدل عليها هذه الاسماء الجغرافية .

(٢) الدواجر غير موجودة في القاموس ، والشاعر يقصد « الدواجي » جمع داجية (مظلمة) . والدجاجير (في القاموس) : الظلمات ، وربما جاز « دياجر » (قياسا على : مصابيح ومصابح) .

(٣) لعلها : الموجود (الله ، بالاصطلاح الصوفي) . السرادق (هنا) المكان المسكون .

عصر المماليك

ثانياً [1] — دولة المماليك البرجيّة

٧٨٤ — ٩٢٣ هـ (١٣٨٢ — ١٥١٧ م)

كان مُعْظَمُ المماليكِ البُرجية من أصلٍ جركسيّ جلَبَهُم أسيادُهم المماليكُ البحريةُ في زمنٍ متأخّرٍ واتّخذوا منهم حَرَساً وجُنوداً. وبما أن هؤلاء كانوا يسكُنون في أبراجِ قلعة القاهرة فقد عُرفوا باسم « المماليك البُرجيّة ».

ضَعُفَ المماليكُ البحرية بعواملَ كثيرةٍ ثمّ جاء آخرُهم الصالحُ صلاح الدين حاجّي الثاني إلى العرش وعُمُرُهُ ستُّ سَنَوات فاستبدّ به أحدُ مماليكِ بيْتِه — وهو مملوك بُرجي يدعى برقوقَ بنَ أنسٍ العثمانيَّ اليلبغاويّ — وحكم عنه حيناً وعزَلَهُ حيناً آخرَ وحكم مكانه. ثمّ أعاده إلى الحكم ثمّ ألقاه في السجن ونادى بنفسه سُلطاناً وتسمّى « الملكَ الظاهرَ سيفَ الدين » فكان بذلك مؤسّسَ دولةِ المماليك البرجيّة.

لم يُولِ المماليكُ البرجيةُ قاعدةَ الوِراثةِ في تَسَنُّمِ العرش اهتماماً كبيراً، فانّ مُعْظَمَهُمْ كانوا قُوّاداً في الجيش يَصِلُ أحدهم الى الحُكم من طريق الكِفاح أوِ الاستبداد. وكان عددُ السلاطينِ البرجيّةِ البارزين الأقوياء أقلّ من عددِ أمثالِهم من المماليك البحرية. فمن مشاهير المماليك البرجيّة وذوي الأثرِ السياسيّ والحضاريّ فيهم برقوقٌ (٧٨٤ — ٨٠١ هـ) وبَرْسَباي (٨٢٥ — ٨٤١ هـ) والأشرفُ سيفُ الدين قايتْباي (٨٧٢ — ٩٠١ هـ) ثمّ قانْصوه الغُوري (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ).

ويبدو أن الحياةَ الاجتماعيةَ والاقتصادية، في أيامِ المماليك البُرجية، كانت عظيمةَ السوء لما كان فيها من الفساد في الإدارة ومن الظلم في الرعيّة.

---

(١) راجع، فوق، ص ٦٠٢.

ـ جيران المماليك

لمّا تغلّبَ المماليكُ البحريةُ على الإفرنج الصليبيّين وأخرجوهم من بلادِ الشام (سورية وفلسطين) انتقلَ أولئك الافرنجُ الصليبيّون الى عددٍ من جزر البحر الأبيض المتوسّط مثلِ قُبْرُسَ ورودس ومالطةَ. وكذلك كان الأتراكُ العثمانيّون جيراناً للمماليك على الحدود الشّمالية لسوريةَ، كما كان التتر أبناءُ تيمورلَنْك يحكُمون فارسَ والعِراقَ (على التخوم الشرقية لسورية)، ثمّ قامتِ الدولةُ الفارسية الصَفَويّة في فارسَ في مطلع القرن العاشر للهِجرة (أواخرِ القرنِ الخامس عَشَرَ للميلاد).

وكانت صِلاتُ المماليكِ البرجية بجميعِ هؤلاء الجيرانِ صلةَ عَداءٍ. ففي أثناء الفترة الأولى من حكم فَرَجِ بنِ برقوقٍ (٨٠١ ـ ٨٠٨ هـ) وَصَلَتْ جَحافلُ تيمورلنك إلى شَماليّ سوريةَ، سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠١ م) ـ بعد أن كانت قد عاثتْ فساداً وتدميراً وتقتيلاً في العِراق وفارس وما وراءهما ـ فاستولى تيمورلنك على حَلَبَ ثمّ انحدر الى حَماةَ وحِمْصَ وبَعْلَبَكّ فأخذها ثمّ سقط على دمشق. وأكْثَرَ تيمورُ من القتل في سوريَةَ حتّى أنّ رؤوسَ القتلى جُمِعَتْ قِباباً كثيرةً. وقد نَجَتْ دِمَشْقُ مِنَ التخريب والتقتيل لأنّ عبدَ الرحمنِ بنَ خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ـ وهو العالمُ الاجتماعيّ المشهور ـ قد ألقى بينَ يدَيْ تيمور خُطبةً هدّأتْ نقمَتَه على دِمَشْقَ، ولكنّ يمور اختارَ طائفةً من علماء دِمَشْقَ وصُنّاعِها فحَمَلَهُمْ مَعَه الى عاصمته سَمَرْقَنْدَ وأنشأ بهم في بلادِ التُركستان حضارةً إسلامية رائعة.

وفي نحو ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) فتَحَ بَرْسَباي جزيرةَ قُبْرُسَ واستولى على عاصمتها عِقاباً للقرصان الفِرنْج الذين كانوا يُغيرون منها على سواحلِ البلاد الإسلامية وأَسَرَ مَلِكَها جانوس وعاد به وبسائر الأسرى وبالغنائم الى مِصْرَ ثمّ قَبِلَ طَلَبَ الصُلْح في مقابلِ فِدية قدرُها مائتا ألفِ دينارٍ وجزية سَنَويّة قدرُها عِشرون ألفاً. وبَقِيَتْ هذه الجزيرةُ داخلة في نُفوذِ المماليك البرجيّة طَوالَ حُكْمِهم.

وفي سنة ٩٢٢ هـ سار السلطان سليمٌ الأوّلُ العُثماني الى سوريةَ فاتحاً فتصدّى له قانصوه الغُوري ودارتِ المعرَكَةُ بينَهما في مَرْجِ دابقٍ شَمالَ حَلَبَ، في الخامسِ والعشرين من رَجَبَ (٢٦/٨/١٥١٦ م) فانهزم قانصوه وقُتِلَ واستولى العثمانيّون على سورية. ثمّ تابع السلطان سليمٌ مسيرَه الى مِصْرَ واستطاع



أن يفتح مِصْرَ ويبسُطَ حكمَهُ عليها في أواخرِ شهرِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٩٢٣ هـ (منتصف نَيْسان – ابريل ١٥١٧ م) ، فانقرضت بذلك دولةُ المماليك ودَخلَتْ مِصْرُ في الحُكم العثمانيّ .

صورة العصر

نستطيعُ أن نُجْمِلَ صورةَ العصرِ العامّةَ في عصرِ المماليك البُرجيةِ إذا قُلنا إنّها كانت تختلفُ مِنْ صورة العصرِ في عصرِ المماليك البحرية في الدَّرَجة والمِقْدار فَقَطْ : كان الضعفُ السياسيُّ والفَوْضى في عصرِ المماليك البرجيةِ أكثرَ ، كما كانتِ خصائصُ الأدبِ أدنى دَرَكَةً .

اشتهر نَفَرٌ من المماليك البرجيّة منهم سيفُ الدين بَرقوقٌ (٨٠١ – ٨٧٤ هـ) مؤسّسُ دولتِهِمُ وسيفُ الدين بَرْسِباي (٨٣٥ – ٨٤١ هـ) وسيفُ الدين قايِتْباي (٨٧٢ – ٩٠١ هـ) والأشرف قانصوه الغُوري (٩٠٦ – ٩٢٢ هـ) آخرُ المماليك البرجيّة ، وهوالذي ذَهَبَتْ بمقتله دولةُ المماليك وقامت مكانَها في البلاد العَرَبية دولةُ بني عُثمان .

وبسقوطِ دولة المماليك انتهت الخلافةُ العبّاسية التي كان المماليكُ قد أقاموها مُتَّكَأً لهم في مِصْرَ (٦٥٩ – ٩٢٣ هـ) وانتقلَ مَنْصِبُ الخلافة ال آلِ عُثمان أيضــاً .

لمّا جاء المماليكُ البرجيّة الى الحكم كان تيمورُ لنك قد بدأ اجتياحَه في إيران ثمّ ظلّ يَتَبَسَّطُ في الأرض شرقاً وغرباً وينشُرُ فيها القتلَ والخَراب حتّى تُوُفّيَ سَنَةَ ٨٠٧ هـ في أيام ناصرِ الدين فَرَجِ بنِ بَرقوقٍ ثاني سَلاطينِ المماليك البُرْجية .

واستمرّتِ الزّلازلُ والطواعين والقَحْط والغلاءُ تتوالى كُلُّها على مِصْرَ والشام . ورُؤِيَ عددٌ من المُذَنَّباتِ لا ريبَ في أن بَعْضَها كان مُذَنَّبَ هاليّ الذي يَظْهَرُ في سماء الأرض مرّةً كلَّ ستٍّ وسبعينَ سَنَةً .

وساءت الحياة الاقتصادية في مِصْرَ في دولة الجَراكسة (المماليك البرجيّة) فقد أصبحَ زِمام الاقتصادِ في يَدِ القِبْطِ حتّى قال الشاعر شِهابُ الدين بنُ ساعدِ الأعرجُ السَعْدي (ت ٧٨٥ هـ) في المَغانم الاقتصادية المُقَسَّمة بينَ المماليك (البحرية والبرجية) وبين القِبْط :

وكيفَ يرومُ الرزقَ في مصرَ عاقلٌ ... ومن دُونه الأتراكُ بالسيف والتُرْسِ
وقد جمعَتْهُ القِبْطُ من كلِّ وجهةٍ ... لأنفُسِهِمْ بالرُبْعِ والثُمْنِ والخُمْسِ.
فَلِلتُّركِ والسُلطانِ ثُلْثُ خَراجِها ، ... وللقِبْطِ نِصْفٌ،والخلائقُ في السُدْسِ.

وكَثُرَتِ الاحتفالاتُ في هذا العصرِ كحفْلةِ تَوْلِيَةِ السُلطانِ الجديدِ وحفَلاتِ رَمَضانَ والعيدينِ والموالدِ والسَمَرِ والغِناء وحفَلاتِ الزَواجِ والختان ، كما كان يكثُرُ الناسُ في تَشييعِ الجنازات .

وفي أواسطِ القرنِ التاسعِ للهجرة (الخامسَ عشرَ للميلاد) عُرِفَ شَرابُ القهوة (البُنّ) . جاء في شذرات الذهب (٨ : ٣٩ – ٤٠) : « في سَنَةَ ٩٠٩ ه (١٥٠٣ م) تُوُفّي « أبو بكرِ بن عبدِ الله الشاذليُّ المعروفُ بالعَيْدروس مُبْتَكِرُ القهوةِ المُتَّخَذَةِ من البُن المجلوب من اليمن . وكان أصلَ اتّخاذه لها أنّه مرّ في سياحته بشَجَرِ البُنّ فاقْتاتَ من ثَمَرِه حين رآه متروكاً مع كثْرته فوجد فيه تجفيفاً للدماغ واجتلاباً للسهَر وتنشيطاً للعبادة ، فاتّخذه قُوتاً وطعاماً وشَراباً وأرْشَدَ أتباعَه إلى ذلك . ثمّ انتشرتْ (قهوة البنّ) في اليمن ثمّ في بِلادِ الحِجاز ثمّ في الشام ومِصْرَ ثمّ في سائرِ البلاد . واختلفَ العُلماء في أوائلِ القرنِ العاشرِ في القهوة فقال نَفَرٌ منهم إنّ شربَها حرامٌ وقال أكثرُ العُلماء إنها مُباحة .

وحدَثَ في هذا العصرِ عددٌ من البِدَعِ منها زيادةُ الصلاةِ والتسليمِ على النبيّ بعدَ الأذان ، فإنّ الأذانَ الشرعيّ المرْويّ عن رسولِ الله ينتهي بقول المؤذّن : « ..... اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ ، لا إلهَ إلاّ اللهُ » . وانتشرتْ كذلك الأخبارُ الواردةُ في الإسرائيليّات وكثُرَ الفسادُ في حلَقات الصوفية واحتفالاتهم .

ووقع النزاع بينَ أتباعِ المذاهبِ الإسلامية بين الحنابلة والأشعرية (الشافعيّة خاصّةً) ممّا كان مألوفاً مُنذ قرون . وكذلك كثُرَتْ مكائدُ الاسماعيليةِ وكلامُهم في المُغَيَّبات بما لا يجوزُ (إذ لا يعلَمُ الغيبَ إلا اللهُ) . وفي مطلعِ القرنِ العاشرِ أيضاً انتشرَ المذهبُ الشيعي (الإمامي) في فارسَ على يدِ إسماعيلَ الصفَوِيّ شاهِ إيران (٨٠٧ – ٩٣٠ ه) .

وتَعرّضَ الإسلامُ السُنّيُّ خاصّةً لهَجَمات كثيرةٍ في أيامِ المماليك البُرجيّة في كلّ مكان : إنّ أوروبّةَ التي لاقتْ في الأندلس هزيمةً مُنْكَرَةً على يدِ يوسفَ بنِ تاشفينَ في معْركة الزلاّقة (٤٧٩ ه = ١٠٨٦ م) نقَلَتْ نشاطَها

العسكريّ ، بعدَ عَشْرِ سَنَوات فَقَطْ ، إلى المَشْرِقِ وأثارتِ الحروبَ الصليبيّة مائتَيْ عامٍ كاملةً من سَنَة ٤٩١ الى سَنَة ٦٩٠ للهجرة (١٠٩٨ - ١٢٩١ م) ثمّ استطاعَ المماليكُ البحريةُ أن يُطَهِّروا المشرقَ كلَّه من الجيوش الصليبية . هؤلاء الإفرنج الصليبيّون عادوا وَشيكاً الى الكَيْدِ للإسلام بطريقةٍ سلمية .

وفي ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) - مُنْذُ أيامِ المماليك البحرية وبعدَ انتهاءِ الحُروب الصليبيّةِ بثمانية وثلاثين عاماً - بدأتْ حربٌ صليبيةٌ على الإماراتِ الاسلامية في شرقيّ إفريقية عامّةً وفي الحَبَشة خاصّةً . ففي سَنَة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) « استُشْهِدَ سعدُ الدين أبو البركات محمّدُ بنُ أحمدَ مَلِكُ الحَبَشَة ، وكان في حَياته كثيرَ الجِهاد للدفاع عن مُلْكه ، وكان شُجاعاً وقائداً بارعاً . فلمّا ماتَ جَمَعَ الحطّي[1] صاحبُ الحبشةِ جَمْعاً عظيماً وجهّز عليه أميراً يقالَ له باروا . فالتقى الجَمْعانِ فاستُشْهِدَ مِنَ المسلمين جَمْعٌ كثيرٌ منهم أربعُمائةِ شيخٍ من الصُلحاء .... واستحرّ القتلُ في المسلمين حتّى هَلَكَ أكثرُهم . وانهزم من بَقِيَ ، ولجأ سَعْدُ الدين الى جزيرةِ زَيْلَعَ في وَسَط البحر فحَصَروه فيها الى أن وَصَلوا اليه ... فطعنوه فمات .... واستَوْلى الكُفّار[2] على بلادِ المُسلمين وخرّبوا المَساجد وبَنَوْا بَدَلَها الكنائسَ وأسَروا وسَبَوْا ونَهَبوا » (شذرات الذهب ٧ : ٤٧-٤٨) .

ولجأ الإفرنجُ الأوروبيّون إلى إثارةِ حركةٍ للاستخفافِ ، على مِثالِ ما كانوا قد فَعَلوا في الأندلُس[3] ، - وكانوا يُسَمّونها حركةَ الاستشهاد - وذلك بأن يَنْهَضَ فردٌ أو جماعةٌ في الأماكن العامّة فيتعرّضون للإسلام عامّةً أو للرسولِ عليه السلامُ أوْ للقرآنِ الكريمِ فيحدُثُ شيءٌ من الهَرْج والفَوْضى والمُنازعاتِ والقلاقل .

في شَهْرِ شَعبانَ مِنْ سَنَة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) أسْلَمَ ميخائيلُ الأسلميُّ ، وكانَ نَصرانياً من الإسكندرية ، فأغْدَقَ عليه السلطانُ (سيفُ الدين بَرقوقٌ) نِعَماً كثيرةً ورَفَعَ مرتبتَهُ وجعله تاجرَه الخاصّ . ثمّ تَبَيَّنَ وشيكاً أنّه زِنديقٌ وقامتْ عليه الحُجّةُ فضُرِبَتْ عُنُقُهُ في ثالثِ عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ من سَنَة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) ، كما جاء في شذرات الذهب (٧ : ٣٠٦-٣٠٧) . وفي

---

(١) المقصود : أحد ملوك الحبشة .

(٢) يبدو أنه كان لا يزال في شرقي افريقية حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) جماعات كبيرة من الوثنيين الذين كانوا يجندون أيضاً لقتال المسلمين .

(٣) بدأت هذه الحركة في أيام عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ = ٨٢٢ - ٨٥٢م) بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل أول أمراء الأندلس الأمويين.

شذرات الـذهب أيضاً (٧ : ٣٣٧) : في سَنَـةِ ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ - ١٣٩٣ م) «اجتمع بالقُدْسِ أربعةٌ من الرُهبانِ ودَعَوُا الفقهاءَ لِمُناظرتِهم. فلمّا اجتمعوا جَهَروا بالسُوء من القول وصَرّحوا بذمِّ الإسلامِ. فثار الناسُ عليهم فأحْرقوهم».

ويبدو أن الحروبَ الصَليبيّةَ ثمّ غاراتِ الرومِ بعدَ ذلك قد أبادتْ كثيراً من سُكّان السواحِلِ على شواطىء جبَلِ لُبنانَ، وخُصوصاً شَمالَ بيروتَ. لقد كانتْ بلدةُ جُونيةَ عامرةً وكانتْ مركزاً لِدراسةِ الحَديثِ حتّى قيل إنّه كان فيها أربعُمِائةِ عالمٍ يَعْقِدونَ حَلَقاتِ العِلم. وذكرَ ياقوت الحَمَويّ (معجم البلدانَ - ليدن ٢ : ١٦٠ - ١٦١) أنّ أبا الحَسَنِ مُحمّدَ بنَ أحمدَ بنِ عُمَرَ البَغْداديَّ البزّازَ نزيلَ جونية كان إمامَها وخَطيبَها. ثم غَبَرَ زمانٌ طويلٌ لم يكن فيها أحدٌ. قال المُعَلِّمُ بطرسُ البُستانيُّ في «دائرة المعارف» (٦ : ٦٠٠) : «وليس في جونيةِ بيوتٌ للسُكنى، بل إنّما هي مَحَلٌّ أشغالٍ يقوم بها قومٌ من سُكّان القرى المُجاورة لها».

الحياة الثقافيّة

كَثُرتْ كُتُبُ الثقافةِ والعلمِ في هذا العصر، فَمِنَ المؤلّفين المُوسِعِيّينَ الذين وضعوا كُتُباً مبسوطةً (مفصّلةً كبيرةَ الحجمِ) الفيروزاباديُّ (ت ٨١٧ هـ) صاحبُ «القاموسِ المحيط» وغيرِه ثمّ القلقشنديُّ (ت ٨٢١ هـ) صاحب «صُبْح الأعشى في صناعة الانشا» ثمّ ابنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) صاحبُ «الإصابة في تمييز الصحابة» (تراجمِ صحابةِ رسولِ الله) و «الدُرَرِ الكامنةِ في أعيانِ المائـةِ الثامنة» (في التراجم العامّـة) ثمّ المَقْريزيّ (ت ٨٤٥ هـ) صاحب «المواعظ والاعتبار بذكْرِ الخِطط والآثار». ثمّ هنالك عبدُ الرحمن السُيوطيّ (ت ٩١١ هـ) الذي تملأ أسماءُ مؤلّفاته بِضْعَ صَفَحاتٍ ملزوزةٍ في عددٍ كبيرٍ من الفنونِ الإنسانية خاصّةً (راجع، تحتَ، ص ٩٠٢ وما بعد).

أمّا المؤلّفون المُوسِعيّون الذين مالوا إلى الجانب العلميّ وتكلّموا على وُجوه مختلفة من العلوم والفنونَ (الرياضيّة والطبيعية) فنعُدّ منهم علاءَ الدين البهائيّ (ت ٨١٥ هـ) والسيّدَ الشريف الجُرجانيَّ (٨١٦ هـ) وسِراجَ الدين بنَ الورديّ (ت ٨٦١ هـ) وله «خريدةُ العجائب» (في الفَلَك والجُغرافية، مَعَ الصور والرسوم)[1]. ثمّ هنالك جلالُ الدين محمّدُ بنُ أسعدَ الدوّاني الصدّيقي (ت ٩٠٧هـ)

---

(١) راجع كلمة وجيزة عن هـذا الكتاب (زيدان ٣ : ٢٣٥) ثم ملاحظة قيمة في تحقيق نسبة =

له «أنموذَج العلوم» (في فنون مختلفة) ثمّ إنّ كُتُبَه كثيرةٌ جدّاً. ومن هذه الطبَقة أحمدُ بنُ يحيى بنِ محمّدِ بن الحفيد التفتازانيّ (ت ٩١٦ هـ) صاحب الكتب الموسعيّة في علوم مختلفة.

وأمّا المؤلّفون في الرياضيّات والفلك خاصّةً وما يتّصِلُ بهما فكثيرون منهم محمّدُ بنُ محمّدٍ الحلبيّ (ت ٨٠٠ هـ) وموسى بنُ محمّدِ بنِ عثمانَ الحلبيّ (ت ٨٠٥ هـ) وعبدُ الله بنُ خليلٍ الماردينيّ (ت ٨٠٩ هـ) والرياضيُّ الكبيرُ ابنُ الهائمِ المقدسيُّ (ت ٨١٥ هـ) صاحبُ المعادلاتِ التي تُريدُ أن تختصرَ الضَربَ والقِسْمة بالجمعِ والطرح. ثمّ هنالك أعلامُ الرياضياتِ والفلك: موسى قاضي زاده (ت ٨١٥ هـ) وغياث الدين الكاشيُّ (ت ٨٣٠ هـ) والأميرُ أولُغ بك (ت ٨٥٣ هـ). وهنالك أيضاً أبو العبّاس أحمدُ بنُ رجبَ بن طَيْبُغا (ت ٨٥٠ هـ) وعليُّ بنُ محمّد الزمزميّ المكّيّ (ت ٨٧٨ هـ) ومحمّدُ بنُ محمّد الماردِيني الكبيرُ الذي كان في أواخرِ القرن التاسع للهجرة وكان مؤلّفاً مُكثِراً. وفي أوائلِ القرنِ العاشر للهجرة كان مُصْلِـحُ الدين بنُ سِنانٍ وكان له ايضاً كتابٌ في الثِقَلِ النوعيّ. وفي أواخرِ القرن التاسع للهجرة كان الملاّح العالم أحمدُ بن ماجدٍ الذي ألّف في علم المِلاحة كتاباً قيِّماً من الناحية النظَرية ومن الناحية العملية في تَسْيِيرِ السفن في البِحار المختلفة والوصول بها الى الموانىء المقصودة.

وكان في القرن التاسع للهجرة أيضاً مؤلّفون في الموسيقى منهم داوودُ بن ناصر الأغبريّ ومحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الذهبيّ الصبّاح ومحمّدُ بنُ الحسن الطحّان ومحمّد بن عبد الحميد اللاذقيّ.

وفي موضوعِ الفُروسية (الخيل) والحَرْب كانت المؤلّفاتُ كثيرةً في عصر المماليك البرجية فقد ألّف عِماد الدين موسى بنُ محمّدٍ اليوسفيّ المصْريّ (ت ٧٥٩ هـ) كتابَ «كشف الكروب في معرفة الحروب» وألّف طَيْبُغا الأشرفيّ (ت ٧٩٧ هـ) «الجهاد والفروسية» (في أصول القتال ووصف أدَواته وآلاته)؛ وألّف أرْنَبغا الزردكاش في سَنَةِ ٨٦٧ للهجرة «الأنيق في المجانيق» (وهو وصفٌ لأنواع المنجنيقات مَعَ صورٍ لها ولأقسامها). وكان محمّدُ بن مَنْكَلى قد ألّف

= «خريدة العجائب» الى إحدى المسمين بعمر بن الوردي مع تحقيق أسميهما ايضاً (الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٨ – ٢٢٩ و ١٠ : ١٦٢)؛ راجع ايضاً بروكلمان ٢ : ١٦٣، ١٧٥ – ١٧٧، الملحق ٢ : ١٦٢–١٦٣، ١٧٤ – ١٧٥.



في أواخر القرن الثامن للهجرة كتاباً في « تَعْبِئة الجيوش » . ونحن نُلاحظُ أنّ كتبَ الفروسية والقتال كانت في القرن التاسع الهجريّ كثيرةً جدّاً .

ونَجِدُ في علم الحَيَوان كتابَ « حياة الحيوان الكبرى » للدّميري (ت ٨٠٨ هـ) وكتاب « المُطْلقات من عجائب المخلوقات » و « حياةَ الحيوان » لمحمّد بنِ عبد الكريم الصَفَديّ (ت ٨٩٦ هـ) . ومن الذين ألّفوا في الطبّ محمّدُ المَهْدي بنُ عليّ بنِ ابراهيمَ اليمنيُّ (ت ٨١٥هـ) وحاجّي باشا خُضْرُ[1] بنُ عليّ الأيْدِيني (ت ٨٢٠ هـ) له كتابُ « شفاء الأسقام وأدواء (!) الآلام » .

الخصائص الأدبية

في عصرِ المماليكِ البرجية تسرّب الى اللغة العربية ألفاظٌ كثيرةٌ من التركية والفارسية فيما يتعلّق بالألقاب خاصّةً . من هذه مثلاً لفظةُ « الخواجا » ، ففي شذرات الذهب : في سَنَةِ ٨٢٢ هـ توفّي الخواجا محمّد الزاهد البخاريّ (٧ : ١٥٧) ، وفي سَنَةِ سَنَةِ ٨٢٦ هـ توفّي إبراهيمُ بنُ مباركِ شاه الأسعردي الخواجا التاجر المشهور صاحب المدرسة بالجسر الأبيض، كان كثيرَ المال واسعَ العطاء كثير البذل (٧ : ١٢٧). وفي سَنَةِ ٨٩٦ هـ توفّي مُصْلِحُ الدين مصطفى بنُ يوسفَ بنِ صالحِ البُرُسّاوي الحَنَفي المعروف بخواجه زاده (ابن الخواجه) كان والدُه من التجّار صاحبَ ثروةٍ عظيمةٍ ، وكان أولادُه في غاية الرفاهية . وعُيِّنَ للمُتَرْجَم (أي لمصطفى بن يوسفَ) في شَبابه كلَّ يومٍ دِرْهمٌ واحدٌ ، وكان ذلك لاشتغاله بالعلم وتركه طريقة والدِه (التجارة) ..... وكذلك كَثُرَ لَقَبُ «زاده» ، (ابن) في الاسماء ، نحو خواجه زاده (٧ : ٣٥٤ ، ٣٥٥) ، قاضي زاده ومنلا زاده (٧ : ٣٦٤ ، ٨ : ٢) . وكذلك اشتهر لقب بك . ففي شذرات الذهب أيضاً : وفي سَنَةِ ٨٨٢ هـ توفّي العلمي شاكر بك عبد الغنيّ بن شاكر القاهري الشهير بابن الجيعان . ودخلت كلمة خوند (عالم) في حديث الناس (٧ : ١٩٢) .

وظلّت فنون الأدب في عصر المماليك البرجيّة ما كانت في عصرِ المماليك البحرية ، إلاّ أنّ خصائصَ الشِعر أصبحتْ أدنى كما أصْبَحَ الأسلوبُ أكثرَ ركاكةً . وكاد الشعر خاصّةً يفقدُ جميعَ عناصرِ الابتكار . وهجم العلماءُ على قولِ الشعر وقالوا

---

(١) عرف العرب الاسم « خضر» بفتح فكسر (وهو الاصل ، وذلك من لون الخضرة) . وعرفوه أيضاً بكسر الخاء وبضمها (القاموس ٢ : ٢١ — ٢٢) . والعامة وغير العرب لا يستخفون ضبط هذا الاسم بفتح فكسر .



القصائدَ الرديئة في فروعِ العلم والفقه وارتكب بعضُهم سَرِقاتٍ من شعر الأقدمين واضحةَ المعالم «موصوفة». نَظَمَ الفقيهُ شهاب الدين بنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) قصيدةً يمدَحُ بها الخليفةَ المُستعينَ العباسيَّ من خلفاء مِصْرَ (٨٠٨ — ٨١٦ هـ) جاء فيها :

المُلْكُ أضحى ثابتَ الآساسِ بالمُسْتعينِ العادلِ العبّاسيّ .
رَجَعَتْ مكانةُ آلِ عمّ المُصطفى لِمَحَلِّها من بعدِ طول تناسي .
فَرْعٌ نما من هاشِمٍ في روضةٍ زاكي المنابتِ طيّب الأغراس .
كم نِعْمَةٍ لله كانتْ عندَهُ وكأنّها في غُربة وتناسي .
ما زالَ سِرَّ الشرِّ بينَ ضُلوعه كالنارِ أو صحبته الارماس[1] .

لقد سطا الشاعرُ هنا على قصيدتينِ لأبي تمّامٍ (ت ٢٣٢ هـ) قال أبو تمّامٍ في إحديهما :

فَرْعٌ نما من هاشِمٍ في تُرْبَة كان الكفيءَ لها من الأغراسِ .

وقال في الثانية منهما :

كم نِعْمَةٍ لله كانت عندَهُ فكأنّها في غُربة وإسار
ما زال سِرَّ الكُفر بين ضُلوعه

وضَعُفَ بعضُ الشعر جداً حتّى أصبحَ ألفاظاً مصفوفة . في شذرات الذهب (٧ : ٣٤٩) : أنّ مُحمّدَ بنَ محمّدٍ المعروفَ ايضاً بابن الشحنة الإمام العالم الناظم الناثر ... من نظمه :

قُلتُ له لمّا (وفى مَوْعدي) ، وما بقلبي لسواه نَفاقُ ،
وجاد بالوصل على وجهه حتّى (سما كلّ حبيب) وفاق .

في هذين البيتين ضعفٌ ظاهرٌ ، وكان يَجِبُ أيضاً أن يقول : «وفى بموعدي ... سما على كلّ حبيب» .

واتّسعَ ، في هذا العصرِ ، العملُ بخَيال الظلّ . جاء في شَذَرات الذهب : يُقال إنّ ابنَ سودون[2] (بضمّ السين ؟) أولُ من أحدَثَ خيالَ الظلّ . غير

(١) اقرأ : «كالنار أو في صحبة الارماس» (جمع رمس : القبر) . راجع عصر سلاطين المماليك ٨ : ١١٠ — ١١١ .

(٢) هو نور الدين أبو الحسن علي بن سودون البشغاوي الجركسي (٨١٠ — ٨٦٨ هـ) ، ولد في القاهرة ونشأ فيها . وحج مراراً وحضر عدداً من الغزوات وتولى الامامة في بعض المساجد . سلك في شعره ونثره طريق الهزل =

أن نشأةَ خيالِ الظلّ (في المشرق الاسلامي) قديمةٌ، وكذلك كان خيالُ الظلّ في مِصْرَ من قبلِ ذلك (راجع، فوق، ص ٧٦٠).

واستمرّ الشعرُ العربيّ يدخُلُ في الشعرِ الاسلاميّ غيرِ العربيّ، في الفن الذي يُسمّى «المُلَمَّع» (راجع، فوق، ٦٢٢)، كما نرى عند قانصوه الغوري (ت ٩٢٢ هـ؛ راجع تحت).

أحمد باشا الروميّ

١ – هو وليّ الدين المولى أحمد بن وليّ الدين المولى الحسيني الروميّ (نسبة الى بلاد الروم: أرضروم: آسية الصغرى) الشهير بأحمد باشا.

كان أحمدُ الروميّ قاضي عسكر (قاضي الجيش)، وقد أُعْجِبَ به السُلطانُ الغازي محمّدُ خان[1] فاتّخذه مَعلّماً. بعدَئذ استَوْزره[2] سَنَةَ ٨٧٢ هـ ثم عزله سنة ٨٧٥ هـ، ولكنْ جعَلَه أميراً (والياً) على عددٍ من البُلدان منها تِيرة وأنْقَرة وبروسا[3]. تُوُفِّيَ أحمدُ الرومي وهو أميرُ على بروسا سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ – ١٤٩٧م).

٢ – كان أحمد الروميّ عالماً وشاعراً ووشّاحاً ينظم في التركية والعربية.

٣ – مختارات من شعره

– من موشّحة له في الغزل عارض بها موشّحة للمولى خضر بن المولى جلال الدين (ت ٨٦٣ هـ):

يا راميَ قلبي بسهام اللَحَظات هيهاتِ نَجاتي.

= والمجون. انتقل الى دمشق وتعاطى فيها «خيال الظل (راجع فوق، ص ٦١٨)، وكانت وفاته فيها. ومن كتبه: نزهة النفوس ومضحك العبوس (مجموع نكات وأشعار في قسمين الأول منها في المدح والجديات وثانيها في الهزليات، طبع في القاهرة طبع حجر ١٢٨٠ هـ)؛ – قرة العين ونزهة الخاطر (مختارات من «نزهة النفوس) – الفوائد اللطيفة – مقاطع من الشعر والنثر اختارها من ديوانه – مقامتان – شرح على قصة «أبي قردان زرع فدان (نصفه ملوخية ونصفه بادنجان) على طريق المنيفة (؟ – وهي في الأصل من القصص للأطفال). راجع الضوء اللامع ٥ : ٢٢٩؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٠٧؛ زيدان ٣ : ١٣٧؛ بروكلمان ٢ : ٢٠، الملحق ٢ : ١١؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٠٥).

(١) محمد الفاتح (الثاني) العثماني، تولى العرش ثلاث مرات: ٨٤٧ – ٨٤٨، ٨٤٨ هـ – ٨٤٩ هـ، ٨٥٥ – ٨٨٦ هـ. وفي المرة الثالثة فتح القسطنطينية (١٩ جمادى الاولى ٨٥٧ = ٢٩/٥/١٤٥٣ م) ولقب بالغازي أو الفاتح.

(٢) في زامباور (ص ٢٤١): روم محمد.

(٣) تكتب أحياناً بورصة، ولكنها تلفظ بروسا (بتقديم الراء على الواو).

ما زلتُ فِداكَ : روحي وحيــاتي من قبلِ مَماتي .
نَمقْتُ إلى بابك قُرَّةَ عَيْنــي بالدَّمْعِ كِتابا[1] ؛
أشهدتُ على الوجد مِدادي ودَواتي سَلْ من عَبراتي[2] .
جِلبابُ دُجـى صدْغِكَ هذا قد أصْبَحَ مِسْكا[3] .
يا ريمُ قد أحــرقَ في الصيــنِ قلوبَ الظَّبَيات[4] ......

٤ - * شذرات الذهب ٨ : ١٣ ؛ الشقائق النعمانية ١ : ٢٢٥ ؛ الكواكب السائرة ١ : ١٤٥ - ١٤٧ .

شمس الدين السخاويّ

١ - هو شمسُ الدين أبو الخير مُحمّدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ محمّدِ بن أبي بكرِ ابن عُثمانَ بنِ محمّدٍ السَخاويُّ ، أصْلُ أهْلِه من سَخا (مصر الغربية - مركز كَفْر الشيخ) ، مَوْلِدُه في القاهرة في ربيعِ الأوّلِ من سنة ٨٣١ هـ[5] .

تَلَقّى شمسُ الدين السَخاويُّ العلمَ على نَفَرٍ من علماء عَصْرِه منهم ابْنُ حَجَرٍ العَسْقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) ثُمّ لازمه وحَمَلَ عنه أكثرَ تصانيفهِ ؛ وكان ابن حَجَرٍ يفضّله على جميعِ طلاّبه .

تطوّف السَخاويُّ، بعدَ وفاة شيخه ابن حجر، في عَدَدٍ من بُلْدانِ مِصْرَ ثم زارَ الشامَ والحِجازَ حاجّاً مراراً : حجَّ في المرّة الأولى سَنَةَ ٨٧٠ هـ (١٤٦٦ م) ؛ ولَعَلّه بعدَ هذه الحِجّةِ اتّصل « بالأمير يَشْبَكَ بنِ المَهْدي كاشفِ (مفتش، محقق؟) الوجهِ القِبْلي - وكان من أكبرِ رِجالِ الدولة في عهد السلطان قايِتْباي[6]

(١) - جعلت بؤبؤ عيني دمعاً (مكان الحبر) وكتبت اليك به كتاباً أنيقاً (مزخرفاً) .

(٢) المداد : الحبر . - ان لم تصدق ما كتبته اليك عن وجدي (شدة حنيني) فاسأل (انظر الى) عبراتي (دموعي) .

(٣) الشعر الاسود المنسدل على صدغك (جانب رأسك ، كأنه جلباب الدجى = ثوب الليل) قد أصبح (لي) مسكاً (برائحته الطيبة ولونه الاسود) .

(٤) الريم = الرئم : الغزال الابيض (كناية عن المحبوب) . أحرق في الصين (احرق كل شيء حتى وصل أثر احراقه الى الصين) قلوب الظبيات (الأوانس المحبات) .

(٥) في الكواكب السائرة (١ : ٥٣) : ربيع الاولى ٨٣١ ؛ وفي بروكلمان (٢ : ٤٣) : ربيع الاول ٨٣١ هـ = كانون الثاني - يناير ١٤٢٦ م .

(٦) الملك الاشرف قايتباي ، حكم من ٨٧٢ هـ الى ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) .

ـ فحصل من طريقه على إحدى وظائف تدريس الحديث »[1] .

ثمّ حجّ السخاويّ سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨١ م) وسنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) وبقي في مكّة إلى سنة ٨٩٨ هـ . وكانت وفاتُه في المدينة ، في ٢٨ شعبانَ من سنة ٩٠٢ هـ (٣٠/ ٤/ ١٤٩٧ م) .

٢ ـ كان شمس الدين السخاويُّ من رجال الحديث ومن المؤلّفين في التاريخ . ولقد حرَص في أثناء تولّيه التدريس في دار الحديث الكاملية والبرقوقية وغيرهما أن يُعيدَ الى دراسة الحديث زَهْوها الأوّل والاهتمامَ الذي كان لها من قبلُ .

وكان شمسُ الدين السخاويُّ مؤلّفاً مُكثِراً واسعَ المعرفة شديدَ الضَبْط حسَنَ النَقْد إلاّ أنّه كان شديدَ التحامُلِ على نَفَرٍ من مُعاصريه يُبالغُ في النَقْد ويقسو في التعبير ويُجانب اللياقة أحياناً . فمن كتبه : « الضوء اللامع لأهل (أعيان) القرن التاسع ـ الإعلام بالتوبيخ لِمَنْ ذمّ التاريخ (أهل التاريخ) ـ وجيز الكلام بذَيْل دُوَل الاسلام[2] ـ الكوكب المُضيء (في تراجم علماء القرن التاسع) ـ التِبْر المسبوك في ذيل السلوك[3] ـ القول المُنبي عن ترجمة ابن عربيّ (في الردّ على كتاب الفُتوحات المكية وكتاب الفُصوص لابن عربي) ـ استجلاب ارتقاء الغُرَف بحُبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف ـ السرّ المكتوم في الفرق بين المالَيْنِ المحمودِ والمذموم ـ تُحفة الأحباب وبُغية الطلاّب في الخِطط والمزارات والتراجم والبِقاع (في زيارة القبور) ـ القول التامّ في الرَمْي بالسِهام ـ علم الحساب ـ عُمدة الناس في مناقب سيّدنا العبّاس ـ التُحفة اللطيفة في فضائل المدينة الشريفة ـ أسماء الرجال (رجال الحديث) ـ العَرْفُ الناسم من الثغر الباسم ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ـ أُرجوزة في الألفاظ المتشابهات .

ـ من مقدمة الضوء اللامع :

وبعد ، فهذا كتاب من أهمّ ما به يُعتنى : جمعت فيه مَن علمته من أهل هذا القرن الذي أوله سَنة إحدى وثمانِمائة ـ خُتم بالحُسنى ـ من سائر العلماء والقضاة

---

(١) الادب المصري للدكتور عبد اللطيف حمزة (الالف كتاب رقم ٢٤٢) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) بلا تاريخ .

(٢) ذيل على تاريخ دول الاسلام » للحافظ الذهبي .

(٣) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي .

والصلحاء والرُواه والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء ، مصرياً كان (احدهم) او شامياً او حجازياً او رومياً او يمنياً أو هندياً — مشرقياً او مغربياً — بل وذكرت[1] فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من أهل الذمة اكتفاء في أكثرهم بمن أضفتهم إليه في عَزْوه [نسبته] لأنه اجتمع لي من هو الجم الغفير وارتفع عني اللَّبس في جمهورهم إلا اليسير.... وربما أثبتّ من لا يذكر[2] لبعض الأغراض التي لا يحسن معها الاعتراض. وألحقت في أثنائه كثيراً من الموجودين[3] رجاء انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين معَ غَلَبَةِ الظن الغني عن التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه ....

ثم ليُعْلَمْ أن الأغراضَ في الناس مختلفة والأعراضَ بدون التباس في المحظور مؤتلفة ، ولكني لم آلُ في التحرّي جُهْداً ، ولا عدلت عن الاعتدال في ما أرجو قصداً.... وسمّيته « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » .....

٤ — التبر السبوك في ذيل السلوك (عني بنشره شارل غلياردو) ، بولاق ١٢٩٦ هـ .

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (مطبوع في مجموع « أربع رسائل ») ، لكنهو ١٣٠٣ — ١٣٠٤ هـ .

تحفة الأحباب وبغية الطلاّب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات (بهامش الجزء الرابع من « نفح الطيب » للمقرّي) ، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٠٤ هـ ؛ مصر ١٩٣٧ م (؟ — بروكلمان ٢ : ٤٤ ، رقم ١٥ ، السطر ٢٧) .

شرح ألفية مصطلح[4] الحديث (مطبوع مع « ألفية العراقي ») ، لكنهو ١٣٠٣ هـ .

القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع ، حيدر اباد ١٣٢١ هـ ؛ مصر ... (؟ — معجم المطبوعات ، ص ١٠١٤) .

وجيز الكلام بذيل دول الاسلام (مطبوع مع « دول الاسلام » للذهبي) ، حيدر اباد ١٣٣٣ هـ .

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ١٣٤٩ هـ .

الضوء اللامع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

---

(١) ذكرت : أثبت ، أوردت (في كتابي هذا) . المذكورون : النابهون المشهورون ، المعروفون .

(٢) من لا يذكر : من لا يستحق الذكر . (٣) الموجودون : الذين لا يزالون أحياء .

(٤) لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) « كتاب معرفة أنواع علم (علوم) الحديث » يعرف باسم « مقدمة ابن الصلاح » . وقد صنع ابن الصلاح نفسه شرحاً على هذا الكتاب أسمه « فتح المغيث (المغيث) » . ولعبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) شرح على مقدمة ابن الصلاح اسمه « التقييد (التنقيد) والايضاح لما أطلق وغلق من كتاب ابن الصلاح » ثم أرجوزة للعراقي نفسه نظم فيها مقدمة ابن الصلاح وسماها تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى » أو « المقاصد المهملة (؟) » أو « ألفية العراقي » . ثم ان السخاوي شرح « ألفية العراقي » (راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣٣ ، رقم ٢٦ ، السطر الخامس ثم ١ : ٤٤٢ ، السطر السادس وما بعد ، الملحق ١ : ٢١٦ السطر ١٦) .

حرز الاماني (مختصر من القول البديع) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .
** تمييز الطيّب من الخبيث في ما أتى على ألسنة الناس من الأحاديث (مختصر من «المقاصد الحسنة»[1]، (نشره ابراهيم بن حسن الفيّومي) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٤ ، ١٣٤٢ هـ .

الضوء اللامع (ترجم فيه لنفسه) ٨ : ١ – ٣٢ ؛ نظم العقيان ١٥٢ – ١٥٣ ؛ النور السافر ١٦ – ٢١ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٨٤ – ١٨٧ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٥٣ – ٥٤ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٥ – ١٦ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٣ – ٤٤ ، الملحق ٢ : ٣١ – ٣٣ ؛ زيدان ٣ : ١٨٣ – ١٨٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٦٧ : ٦٨ ؛ عصر سلاطين المماليك ٤ : ٢٧٢ – ٢٨١ .

شمس الدين القادري

١ – هو شمسُ الدينِ أبو الفضلِ محمّدُ بنُ أبي بكرِ بنِ عُمَرَ بنِ عِمْرانَ نجيب (؟) بنِ عامرٍ الأنصاري الأوْسيّ السَعْدي المُعاذِي[2] الدنْجاويّ القاهري الدُمياطي الجوهري المعروفُ بالقادري ، وُلِدَ – في ما قال هو (الضوء اللامع ٧ : ١٨٨) – سنَةَ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، في دَنْجيةَ قُربَ دُمياطَ .

انتقل القادريُّ الى البَهْنَسا من صعيدِ مِصْرَ وقرأ القرآن على بهاء الدين بن الجمّال. وقَبْلَ أن يبلُغَ العشرين جاء إلى القاهرة ولازمَ المُناويّ . وقد ناب في القضاء عن الأشموني في أيّامِ الزَيْني زكريّا[3]. وكان قد تكسّبَ بالشِعر . وكانتْ وفاتُه في جُمادى الأولى من سنَةِ ٩٠٣ هـ (شتاء ١٤٩٧ م) .

٢ – بَرَعَ شمسُ الدينِ القادريُّ في عددٍ من فُنونِ الأدب ، وله نثرٌ ونظم . وشِعرهُ عاديٌّ تمتزجُ فيه المَتانةُ من تقليدِ فُحولِ الشُعراء بالضَعْف ، وتتّفق له المعاني الحِسانُ ، وعلى شِعرهِ نفحةٌ دينية . وقد بالغ السُيوطي فقال فيه : «وهو الآنَ شاعرُ الدنيا على الإطلاق لا يُشاركه في طَبَقته أحدٌ » ؛ ولعلّ هذه المبالغةَ في المديح راجعةٌ إلى أن القادريَّ قد مَدَحَ السُيوطي بقصيدة أثبتَها السُيوطيُّ برُمّتها في حُسن المحاضرة . وقد خمّس القادريُّ البُردةَ للبوصيريّ .

---

(١) صنع هذا المختصر عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الزبيدي المتوفي ٩٤٤ هـ (ذكر بروكلمان أيضاً ذلك في ترجمة ابن الديبع الزبيدي ٢ : ٥٢٧ والملحق ٢ : ٥٤٨ ؛ غير انه ذكر أيضاً سنة ٨٩٧ هـ عرضاً ٢ : ٤٤ ، الملحق ٢ : ٣٢ ، وهو خطأ مطبعي) .

(٢) نسبة الى سعد من معاذ بن أهل المدينة من الاوس ، كان من كبار الصحابة (ت ٥ هـ = ٦٢٦–٦٢٧م) .

(٣) لعله زكريا بن محمد الانصاري (٨٢٣ – ٩٢٦ هـ) قاضي القضاة في القاهرة .



٣ ـ مختارات من شعره

شَجاكَ بِرَبْعِ العامريّةِ معهَدُ ... به أنكَرَتْ عيناكَ ما كنتَ تعهَدُ[1].

وبي غادةٌ كالشمس في أفْقِ حُسْنِها ... نأتْ وبقلبي حَرُّها يتوقّد.

خفيفةُ أعطافٍ نَشاوى من الصبا ... ثقيلةُ أرْدافٍ تُقيم وتُقعِد[2].

وأعْجَبُ من جسمٍ حكي الماء رقّةً ... يُقِلُّ بلُطْفٍ قَلْبَها وهو جلمد[3].

ثم ينتقل، بعدَ أن يكونَ قد قال في الغزل والنسيب خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً، إلى مَدْحِ جلالِ الدين السُيوطيّ:

كأن بِفيها مِنْ سَنا العلم جوهراً ... جَلاه «جلالُ الدين» فهو مُنَضَّدُ[4].

إمامُ اجتهادٍ، عالمُ العصر، عاملٌ ... بجامع فضلٍ ناسكٌ مُتَهَجِّدُ[5].

ومُجتهدٌ قد طالَ في العلمِ مَدْركاً ... وباعاً، ففي كلٍّ العلوم له يدُ.

وقد جاد صَيْبَ العلمِ روضةَ أصله ... فطابَ له بالعلمِ فَرْعٌ ومَحْتِد[6].

فلو أبْصَرَ الكُفّارُ في العلمِ دَرْسَه ... وقد شاهدوا تَقريرَه لتَشَهّدوا[7].

٤ ـ ** الضوء اللامع ٧ : ١٨٨ ـ ١٨٩ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٥ ـ ٢٧٧ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٨٥ .

الحسين بن صدّيق بن الأهدل

١ ـ هو بدرُ الدينِ الحسينُ بنُ الصدّيقِ بنِ الحسينِ (نحو ٧٧٩ ـ ٨٥٥ هـ)

---

(١) شجاك: حزنك، أحزنك. ربع: مسكن، مكان، بلد. العامرية: ليل العامرية محبوبة مجنون ليل (كناية عن كل محبوبة، عن العزة الالهية). ما كنت تعهد (تألف).

(٢) العطف (بكسر العين) ـ الجانب الأعلى من الجسم. نشوى: سكرى.

(٣) ـ أنا أعجب من أن جسمها الغض (اللين) فيه قلب من جلمد (صخر).

(٤) جوهر: كلام ثمين (أو أسنان براقة). جلاه: أبرزه. منضد: مرتب.

(٥) المتهجد: الذي يقوم في الليل للعبادة.

(٦) صيب (كذا في الأصل) = الصوب (بفتح الصاد): انصباب المطر وسقوطه. الفرع: نسل الرجل. المحتد: الأصل النبيل. طاب له في العلم فرع (تلاميذه) ومحتد (شيوخه، أساتذته).

(٧) التقرير = تقرير الدروس (الأسلوب في إلقاء الدروس، في التعليم). في هذا البيت لمحة من قول المتنبي في سيف الدولة:

ومستكبر لم يعرف الله ساعة، ... رأى سيفه في كفه فتشهدا!

ابنِ عبدِ الرحمن بنِ الأهدلِ اليمنيُّ ، وُلِدَ في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٨٠٥ هـ (خريف ١٤٠٢م) في أبياتِ حسينٍ (اليمن) ونشأ فيها وفي نواحيها . درس الفِقْهَ والنَّحْوَ في بلدهِ على أبي بكرِ بن قعيصٍ وأبي القاسم بن عُمَرَ بن مطيرٍ وغيرِهما . ثمَّ دخَلَ زَبيدَ سَنَةَ ٨٦٨ هـ ودرس الفِقْهَ على عُمَرَ الفتى وغيرِه كما درس الأدب على ابن الزين الشرجيِّ . وفي سَنَةِ ٨٧٢ هـ (١٤٦٨ م) حجَّ وجاورَ ثمَّ زارَ ، وسَمِعَ في مكَّةَ والمدينةِ من نَفَرٍ من علمائهما . وكذلك لَقِيَ السَّخاويَّ (ت ٩٠٢ هـ) ودرس عليه «أشياء من تصانيفه» . وقد تَصَدَّرَ في موطنه لإقراء القرآنِ والتدريس . وكانتْ وفاتُه في عدن آخرِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٩٠٣ هـ (آخرِ أيلولَ — سبتمبر ١٤٩٧ م) .

٢ — كان بدرُ الدينِ بنُ الأهدلِ فاضلاً بارعاً في عددٍ من العلوم حَسَنَ القراءة للقرآن حسنَ الضَبْطِ لها . وكان متصوِّفاً . وله شعرٌ سهلٌ عليه نفحةٌ دينية وشيءٌ من الضَعْفِ في اللغة .

٣ — مختارات من شعره

— قال بدرُ الدينِ بنُ الأهدلِ في الشكوى مَعَ الثقة باللهِ :

أما لهذا الهَمِّ مِنْ مُنْتَهى ؟ أما لهذا الحُزْنِ من آخِرِ ؟
أما لهذا الضيقِ من فارجٍ ؟ أما لناب الخَطْبِ من كاسر[1] ؟
أما لهذا العُسْرِ من دافعٍ باليُسْرِ عن هذا الشَجِي العاثر[2] ؟
بَلى ، بلى ! مَهْلاً ! فكُنْ واثقاً بالواحدِ الفَرْدِ العَلِي القادر[3] .

— وله وَسيلةٌ (قصيدةٌ يتوسَّلُ فيها بالرسولِ إلى الله) منها :

يا رسولَ الله ، في جاهِكَ ما يبلُغُ القاصدُ أقْصى ما قَصَدْ .
يا رسول الله ، ما لي عَتَدٌ غيرُ حُبِّيكَ ، ويا نِعْمَ العَتَد[4] .

---

(١) الناب : سن في جانب الفم قبل الاضراس ، كناية عن الشدة والافتراس . الخطب : المصيبة . أما لناب الخطب من كاسر : هل هنالك من يستطيع دفع المصائب ؟

(٢) الشجي : الحزين . العاثر : الذي يقع في أثناء سيره ، قليل الحظ .

(٣) الواحد الفرد العلي (ترك تشديد الياء للوزن ، وهذا ضعف) القادر من أسماء الله الحسنى .

(٤) العتد (في القاموس) الفرس التام الخلقة المعد للجري . والشاعر يقصد : ما يعده الانسان للاستعانة به والاعتماد عليه .

يا رسول الله ، قَوِّمْ أوَدي ، فلَكَمْ قَوَّمْتَ بالدينِ أوَدْ[1] .

يا رسول الله ، هل مِنْ نَفْحةٍ منك تأتي ومِنَ الفَرْدِ الصَمَدْ[2] .

مَنْ لِيَوْمِ الجَمْعِ إلاّ أحمدُ : يومَ لا والدَ يُغني أو وَلَدْ[3] .

يا مليحَ الوجهِ يا خيرَ الورى ، أنتَ بعدَ اللهِ نِعْمَ المُعْتَمَدْ !

ربِّ ، جَنِّبْنا بجاهِ المُصْطفى كلَّ كدٍّ وبَلاءٍ ونَكَدْ[4] .

٤ ــ ** الضوء اللامع ٣ : ١٤٤ ــ ١٤٥ (رقم ٥٥٦) ؛ النور السافر ١٦ ــ ٣٠ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٢٠ معجم المؤلفين لكحالة ٤ : ١٣ .

أحمد أبو عُبَيَّةَ

١ ــ هو الشيخُ شِهابُ الدين أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ عُبَيَّةَ المَقْدِسي الأثري ، وُلِدَ في الثاني عشر من ربيعِ الأوّلِ ٨٣١ هـ (٢١/ ١٢/ ١٤٤٧ م) .

تعلّم أحمدُ بن عُبَيَّةَ في القُدْس وتولّى القَضاء فيها . ثم حَدَثَتْ له مِحْنَةٌ تتعلّقُ بكنيسة القيامة فرَحَلَ إلى دِمَشْقَ فكانَ يُذَكِّرُ الناسَ ويَعِظُهُمْ في الجامع الأُمَوي . وكانتْ وَفاتُه في دِمَشْقَ في الثالثِ مِنْ جُمادى الأُولى ٩٠٥ هـ (٦/ ١٢/ ١٤٤٩ م) .

٢ ــ كان أحمدُ بن عُبَيَّةَ عالماً واعظاً وشاعراً وُجْدانياً له غَزَلٌ ووَصْفٌ و بديعيات .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ وناعورةٍ أنّتْ فقلتُ لها : اقْصُري ؛ أنينُكِ هذا زاد للقلب في الحُزْنْ .

فقالتْ : أنيني إذْ ظَنَنْتُكَ عاشِقاً تَرِقَّ لحالِ الصَبِّ؛ قلتُ لها: إنّي[5] ...

ــ قال أحمدُ بن عبيّةَ قصيدةً يتغزّلُ فيها ثُمّ يَتَخَلَّصُ الى مَدْحِ الرَسول :

---

(١) الأود : الاعوجاج ، العجز عن حمل الاشياء . بالدين : بالاسلام .

(٢) الفرد ، الصمد (الذي يتجه الناس اليه في أمورهم) : من أسماء الله الحسنى .

(٣) يوم الجمع : يوم القيامة . أحمد من أسماء الرسول .

(٤) جنبنا : أبعد عنا (الشرور) . المصطفى من أسماء الرسول . الكد : التعب . البلاء : المصيبة النكد : سوء الحال .

(٥) اقصري (بهمزة وصل وصاد مضمومة) وأقصري (بهمزة قطع وصاد مكسورة) : انتهي (فعل أمر) ، يكفيك .

قال العَذولُ: وَقَعْتَ في شَرَكِ الهوى ! فأجَبْتُ: هذا من فِعالِ عُيوني .
يا قاتلَ اللهُ العُيونَ فإنّها حَكَمَتْ علينا بالهَوى والهُونِ[1] ....
خَدَعوا فُؤادي بالوِصالِ ، وعِنْدَما ثَبَتَ الهوى في أضْلُعي هَجَروني .
هَجَروا ، ولو ذاقوا الذي قد ذُقْتُه تركوا الصُدودَ وربّما وَصَلوني .
لم يَرْحَموني حينَ حانَ فِراقُهم ؛ ما ضَرّهم لَوْ أنّهم رَحِموني .
ومِنَ العجائبِ أن نَسُوا وُدّي ؛ ومِنْ وُدّي لَهُمْ كُلُ الورى عَرَفوني .
ما مَخْلَصي في الحُبِ من شَرَكِ الهَوى إلاّ بِمَدْحِ المُصْطفى المأمون[2]....

٤ – ** شذرات الذهب ٨ : ٢٥ ؛ الكواكب السائرة ١ : ١٢٤ – ١٢٥ .

محمد الجلجوليّ

١ – هو الشيخُ أبو العَوْنِ مُحَمّدُ بنُ عليِّ بنِ سالمٍ الغَزّيُّ الجلجوليّ القادريّ الصوفيّ ، أصْلُ أسرَتِه من غزّةَ (فِلِسطين) ثم انتقلوا الى جَلْجوليا . وُلِدَ محمّدٌ الجلجولي[3] في جلجولية ؛ وتَلَقّى التصوّفَ على الطريقةِ القادرِيّة[4] ، فيما يبدو ، من شهابِ الدينِ بنِ ارْسلانَ (رِسْلانَ) الرمْلي ومن رَضِيّ الدينِ الغزّي .

في سَنَةَ ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) خَرَجَ محمّدٌ الجلجولي حاجّاً فزارَ القُدْسَ والخليلَ ثم وصل إلى مكّةَ . وفي آخرِ عُمُرِه انْتَقَلَ إلى الرمْلة وبَقِيَ فيها الى أنْ ماتَ سنة ٩١٠ هـ[5] .

٢ – كان الشيخُ أبو العَوْنِ محمّدٌ الجلجوليّ من رِجال التصوّفِ المَعْدودين في عصرِه ، وقد رَوَوْا له كَراماتٍ وأعمالاً خارقةً للعادةِ كثيرةً ، وكان له شِعْرٌ قَوِيٌّ مَتِينٌ وسَهْلٌ عَذبٌ على مَذهبِ أهل التصوّف فيه حَماسةٌ مِنْ حَماسةِ العارفينَ (الصوفية) .

---

(١) الهون = الهوان : الذل . (٢) مخلص (بفتح الميم واللام) : منجى ، خلاص ، مخرج .

(٣) لما ذكر السخاوي (الضوء اللامع ٨ : ١٨٤) محمداً الجلجوجي قال : « وهو حي قريب التسمين » . والسخاوي قد أتم تأليف كتابه هذا سنة ٨٩٦ هـ (بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣١ ، السطر السابع من أسفل) . وبما أن وفاة الجلجوجي كانت سنة ٩١٠ هـ ، فيجب أن يكون قد عاش أكثر من مائة سنة .

(٤) طريقة صوفية منسوبة الى عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ = ١١٦٧ م) ، وكانت تروى له كرامات كثيرة .

(٥) تبدأ السنة ٩١٠ هـ في ١٤/٦/١٥٠٤ م . والغالب أنه توفي في صفر أو في المحرم ، على أبعد تقدير ، لأن صلاة الغائب أقيمت عليه في الجامع الأموي في دمشق يوم الجمعة في ١٧ صفر ٩١٠ (٣٠/٧/١٥٠٤ م) .

٣ – مختارات من شعره

– قال محمدٌ الجلجوليُّ في الحُضور والمَعْرفة (يخاطب العزّةَ الالهيةَ):

يا حاضراً في ضميرِ القلبِ ما غابا، لولاكَ ما لذّ لي عَيْشٌ ولا طابا.
آثارُ فِعْلِكَ كانت أصلَ مَعْرِفَتي؛ ويَجْعَلُ اللهُ للتَوْفيق أسْبابا.

– وقال في الحماسة على طريقة العارفينَ:

تَعالَوْا إلينا لا مَلالٌ ولا بُعْدُ. ولا صَدَّ عن أبوابِنا لا ولا طَرْدُ.
تَعالَوْا وقد صَحَّحْتُمُ عَقْدَ وُدِّكُم؛ فمَنْ صَحّ منهُ العَقْدُ صَحّ له الوُدّ.
إذا جِئْتُمُ لا تَنْزِلوا عِنْدَ غَيْرِنا. ومَنْ غيرُنا حتّى يَكونَ له «عِنْد»[1]!
فما كُلُّ دارٍ في الهَوى دارُ زَيْنَبٍ، ولا كلّ خَوْد بينَ أتْرابها هِند.
أنا الفارسُ الصِنديدُ والأسَدُ الذي –أبوالعَوْنِ– مَنْ عَزْمي تَذِلّ لَهُ الأُسْدُ[2].
فتَحْتُ رُتوقاً كان صَعْباً مَسَدُّها، ولَيْسَ لها من بَعْدِ فَتْقي لَها سَدّ[3].
وجرّدتُ سيفَ العَزْمِ في مَوْكِبِ الوفا بحِدٌ ذُبابٍ ما له أبـدا غمد[4].

٤ – ** الضوء اللامع ٨ : ١٨٤ (رقم ٤٦٢)؛ الكواكب السائرة ١ : ٧٤ – ٧٧.

جلال الدين السيوطيّ

١ – هو جلالُ الدين أبو الفضلِ عبدُ الرحمنِ بْنُ الكمالِ أبي بكرِ بنِ محمّدِ ابنِ سابقِ الدينِ بنِ الفَخْرِ عُثمانَ بن ناظرِ الدين محمّدِ بنِ سيفِ الدينِ خَضِرِ ابنِ نجمِ الدين أبي الصّلاح أيوبَ بنِ ناصرِ الدين محمّدِ بنِ الشيخِ هُمامِ الدين الهُمامِ الخُضَيري الأسيوطيّ. أمّا «الأسيوطي» (السيوطي) فنسبة الى أسيوط في صعيد مصر حيث كانت أسرته تعيش؛ وأما «الخضيري» فلا يَعْرِفُ السيوطيُّ نفسُه وجهاً لها. وكانت أمّه جاريةً تركية.

---

(١) غيرنا = كناية عن العزة الالهية. – وأي الناس له قيمة حتى يمكن أن ينزل عنده الناس.

(٢) الصنديد: السيد الشجاع.

(٣) شققت طرقاً (الى المعرفة الالهية) كانت مسدودة سداً يصعب على غيري فتحه. أما الآن فانها لن تغلق بعد أن فتحتها أنا.

(٤) الذباب من السيف: حده أو طرفه المتطرف (رأسه) جردت سيف العزم: جرؤت على السير في طريق التصوف (للوصول الى الله). في موكب الوفا (المحبة الالهية والطاعة). ما له أبداً غمد (بفتح الغين) رد السيف الى قرابه): لن يبطل السير في طريق التصوف بعدي.

ومعَ العِلم بأن نفراً كثيرين من أسلافِ السيوطي كانوا من أهلِ الوَجاهة والإدارة والتجارة والمـال ، فانه لم يكن فيهم من أهـلِ العلم إلاّ والدُه (نحو ٨٠٢ ـ ٨٥٥ هـ) الذي تولّى القَضاء في أسيوط ثم انتقل إلى القاهرة وسَمـعَ الحديثَ من الحافظ ابن حَجَرِ العَسْقلاني وغيره، سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م)، ولازم محمّدَ عليّ القاياتيّ (٧٨٥ ـ ٨٥٠ هـ) وأخذ عنه الفِقه والأصول والكلام والنحو والمعاني والمنطق ، وقد أجازه القاياتي بالتدريس سنة ٨٢٩ هـ .

أمّا جلالُ الدين السيوطيُّ نفسُه فقد وُلِدَ في أوّل ليلةٍ من رَجَبَ سَنَةَ ٨٤٩ هـ (٣/ ١٠/ ١٤٤٥ م) في القاهرة ونشأ فيها يتيماً . وقد تلقّى السُيوطيّ العِلمَ على نحو مائة وخمسين شيخاً[1] منهم : جلالُ الدين المَحلّيّ (ت ٨٦٤ هـ) حَضَرَ عليه سَنَةً كاملةً يومينِ في كلّ أسبوعٍ ، ومحمّدُ بنُ سعد الدين المَرْزُبانيّ الحَنَفي (ت ٨٦٧ هـ) لازمه حتّى مات ، وصالحُ بنُ عُمَرَ البُلْقيني (ت ٨٦٨ هـ) لازمه إلى أن مات ؛ ثمّ إنّ ابنَ صالحٍ البلقينيّ أجازه بالتدريسِ والفُتيا ، سَنَةَ ٨٧٦ هـ . ومنهم شَرَفُ الدين المُناوي (ت ٨٧١ هـ)، وأحمدُ بنُ محمّدٍ الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ) ، وأحمدُ بنُ ابراهيمَ الكِنانيُّ العَسْقلاني (ت ٨٧٦هـ) ، ومُحْيي الدين الكافِيَجي[2] (ت ٨٧٩هـ) وقد لازمه السيوطي أربَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . ويبدو أنّ والده كان قد زار به رِضوانَ العُقبي وابنَ حَجَرَ العسقلاني (توفّيا ٨٥٢ هـ) . ومن شُيوخه أيضاً محمّدُ بن موسى السيرائي وسيفُ الدين محمّدُ بنُ أحمدَ الحنبلي وشهاب الدينَ أحمدُ بن عليّ الشارمساحي وتقيّ الدين الشِبلي الحنفي وقد لازمه السيوطي أربـع سنوات . ويبدو أن ثقافة جـلال الدين السيوطيّ ـ وكانت واسعةً جدّاً وعميقةً بعضَ العمق ـ كانتْ راجعةً الى جُهوده في المطالعة أكثرَ ممّا كانت راجعةً الى الدراسة على المشاهيرِ من علماء عصرِه .

وتَطوّفَ السُيوطيُّ في البلاد فزارَ الشامَ والحجازَ حاجّاً وزارَ اليمن والهِنْدَ والمَغْرِب والتَكْرور (غربيّ إفريقية ـ بين المغرب والسنغال) .

ثمّ إنّ السُيوطيَّ تقلّبَ في مَناصبِ التدريسِ : درّس الفِقهَ في الجامع الشَيْخوني وتولّى الإفتاء وإملاء الحديثِ في جامعِ ابن طولونَ ، ثمّ أُضيفَتْ إليه وظيفةُ تدريسِ الحديثِ في الخانقاه الشَيْخونية . وفي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) أُسْنِدَتْ

---

(١) ..... في شذرات الذهب (٨ : ٥٣) واحداً وخمسين .

(٢) الكافيجي (بكسر الفاء وفتح الياء الأولى) : محمد بن سليمان بن سعد المعروف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو لابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) اللاحقة «جي» (أداة نسبة من التركية) .



اليه مَشْيخة الخانقاه البَيْبَرْسية أكبر الخانقاهات وأغناها في القطر المصْريّ. وأراد السيوطي، فيما يبدو، أن يَسيرَ في إدارة الخانقاه بالحقّ والعدلِ (وأكثرُ الناس يَطلُبون المنافعَ من أي الوجوه جاءتْ ثم لا يُبالون بالحقّ والعدل) فشَغَبَ عليه الطلاّب، بتَحْريض من نَفَر من أعدائه، وذلك في ١٢ رجب ٩٠٦ هـ (٢/ ٢/ ١٥٠١ م)، فهجر التدريسَ كلَّه واعتزلَ في بيته في روضة المِقْياس (جزيرة الروضة) مُنْقَطعاً الى العبادة والتأليف حتّى وافاه اليَقينُ في ١٨ جُمادى الأُولى ٩١١ هـ (١٧/ ١٠/ ١٥٠٥ م).

٢ — قال جلالُ الدين السُيوطيّ عن نفسه (حسن المحاضرة ١ : ١٥٧) :

«رُزِقْتُ التبحّرَ في سَبْعة علومٍ : التفسيرِ والحديثِ والفقهِ والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبُلغاء لا على طريقةِ العَجَم وأهلِ الفلسفة. والذي أعتقده أنّ الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة، سوى الفقه، والنقول التي اطّلعت عليها لم يَصِلْ اليه ولا وَقَفَ عليه أحدٌ من أشياخي ..... ودون هذه السبعةِ في المَعْرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونَها الإنشاء والترسّل والفرائض (تقسيم الارثِ)، ودونها القِراءات ولم آخُذْها عن شيخٍ، ودونها الطبّ. وأمّا علم الحسابِ فهو أعسرُ شيء عليّ وأبعدُه عن ذِهني، وإذا نَظَرْتُ في مسئلةٍ تتعلّق به فكأنّما أُحاولُ جَبَلاً أحْمِلُه... وقد كُنتُ في مبادىء الطَلَبِ قرأتُ شيئاً في علم المَنْطِق[1] ثم ألقى اللهُ كَراهتَهُ في قلبي».

وقيمةُ جلال الدين السيوطيّ إنّما هي في كُتُبه الكثيرةِ في المَوْضوعاتِ المختلفة؛ ومعَ أن هذه الكُتُبَ كُتُبُ جَمْعٍ في الأكثر، فانّها تمتاز بالشُمول والدقّة. وفنونُ كتبهِ : تفسير القرآن وتعلّقاته والقراءات، فنّ الحديث وتعلّقاته، فن الفقه وتعلّقاته، الأجزاء المفردة في مسائلَ مخصوصةٍ على ترتيب الأبواب (موضوعات مختلفة)، فنّ العربية وتعلّقاته، فن التاريخ والادبَ[2].

وللجلال الدين السيوطي خُطَبٌ وشِعْر من طبقة متوسطة.

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «نظم العقيان في أعيان الأعيان» :

---

(١) كذا في الأصل : قرأت شيئاً في علم المنطق.

(٢) راجع ثبتاً (بفتح ففتح) مفصلا لمصنفات السيوطي في حسن المحاضرة (١ : ١٥٧ — ١٦١) وفي بروكلمان (١ : ١٨١ — ٢٠٤، الملحق ١ : ١٧٨ — ١٩٨).

.... هذا تأليفٌ لطيفٌ في تراجم أعيانِ العصرِ على طريقةِ أهل العلم الراسخين لا (طريقة) عموم المؤرّخين : قَصَرْتُه على أعيان الأعيان وأفراد [١] الزمان ، ولم أدْعُ اليه الجَفَلى [٢] ولا حَشَدتُ فيه ، بل انتقيْتُ أماثلَ النُبلاء ولم أوردْ فيه إلاّ مَحاسنَ ولا وردتُ فيه الاّ زُلالَ ماءٍ غيرِ آسنٍ *. وسمّيْتُه « نَظْمَ العِقْيان في أعيانِ الأعيان » . واللهُ المُستعانُ وعليه التكلان .

.... وقد اختارَ اللهُ سُبحانَه أن نكونَ آخرَ الأمم وأطْلَعَنا على أنْباء مَنْ تَقدّمَ لِنَتّعظَ بما جرى على القُرون الخالية وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ ، فهل ترى لهم مِنْ باقيةٍ [٣] ! ولِنَقْتَدِيَ بِمَنْ تَقَدّمَنا من الأنبياء والأئِمّةِ والصُلحاء .

هذا وإنّ الجاهلَ بعلمِ التاريخ راكبٌ عَمياءَ خابطٌ خَبْطَ عشواءَ ، يَنْسِب إلى مَنْ تقدّمَ أخبارَ مَنْ تأخّر ، ويَعْكِسُ ذلك ولا يَتَدَبّرُ ، وإنْ رُدّ عليه وَهْمُه لايتأثّر ، وإنْ ذُكّرَ لِجهله [٤] لا يَتَذكّر : لايُفرّقُ بينَ صَحابيّ وتابعيّ ، وحَنَفِيّ ومالكيّ وشافعيّ ، ولا بينَ خليفةٍ وأمير ، وسُلطانٍ ووزير .....

وربّما أفادَ التاريخُ حَزْماً وعزماً وموعِظةً وعِلماً ، وهِمّةً تُذْهِبُ هَمّاً ، وثَباتاً يُزيلُ وَهْناً ، وصبراً يَبْعَثُه في الناس حُسْنُ التأسّي بِمَنْ مضى [٤] ، واحتساباً يُوجب الرضا بما مرّ وحَلا من القضا : « وكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنباء الرُسُلِ ما نُثَبّتُ به فؤادَكَ ... ـ لَقَدْ كان في قَصَصِهِم عِبرةٌ لأُولي الألْباب » [٥] .....

فالرأيُ عِندَنا ألاّ يُقْبَلَ مَدحٌ ولا ذمٌّ من المؤرّخين الاّ بما اشْتَرَطَه الشيخُ الإمامُ الوالدُ [٦] حيثُ قال ـ ونقلتُه من خَطّه في مجاميعه ـ : « يُشْتَرَطُ في المؤرّخِ الصدقُ ، وإذا نَقَلَ أن يعتمدَ اللفظَ دون المعنى [٧] ، وألاّ يكونَ ذلك

---

(١) أفراد الزمان : الذين يكون منهم في الزمن الواحد فرد واحد (النخبة) .

(٢) يقال : دعاهم الجفلى (دعاهم جميعاً ، بجماعتهم ، بأكثرهم) . يقصد السيوطي (أنه لم يذكر في كتابه نفراً كثيرين .

* ماء آسن : تغير طعمه .

(٣) من سورة الحاقة : فهل ترى لهم من باقية (٦٩ : ٧) ثم « لنجعلها تذكرة وتعيها أذن واعية » (٦٩ : ١٢) .

(٤) لعل الجملة : وان ذكر ، فلجهله لا يتذكر .

(٥) التأسي : أن يقيس انسان حاله بحال غيره (ممن أصيب بأكبر من مصيبته) فيحمله ذلك على الرضا بحاله هو .

(٦) والد جلال الدين السيوطي . ومع ان الاسطر التالية هي لوالد السيوطي ، فانها تدل على اتجاه السيوطي نفسه لأنه تبناها .

الذي نَقَلَه أخَذَهُ في المذاكرة وكَتَبه بعدَ ذلك ، وأن يُسَمِّيَ المنقولَ عنه . فهذهِ شروطٌ أربعةٌ في ما يَنْقلُه . ويُشْتَرَطُ فيه أيضاً لِما يُتَرْجِمُه من عندِ نفسهِ —ولِما عساه يطولُ في التراجم من المنقولِ ويقصُرُ— : أن يكونَ عارفاً بحالِ صاحبِ التَرْجَمة علماً ودِيناً وغيرهما مِنَ الصفات، وهذا عزيزٌ جداً ، وأن يكونَ حَسَنَ العِبارة عارفاً بمَدْلولات الألفاظ ، وأن يكونَ حَسَنَ التصوّرِ حتّى يتصورَ في حالِ ترجمتهِ جميعَ حالِ ذلك الشخصِ ويُعَبِّرَ عنه بعبارة لا تزيدُ عليه ولا تنقُصُ عنه ، وألاّ يَغْلبَه الهوى فيُخَيِّلَ إليهِ هواه الإطنابَ في مدحِ مَنْ يُحبُّه والتقصيرَ في غيرِه . بل إمّا أن يكونَ مُجرّداً عن الهوى —وهو عزيزٌ— وإمّا أن يكونَ عنده من العَدْلِ ما يقهرُ به هواه ويَسْلُكُ طريقَ الانصاف . فهذه أربعةُ شروطٍ أخرى ولك أن تَجْعَلَها خمسةً ، لأنّ حُسْنَ تصوّرِه وعلمَه قد لا يحصل (بهما) الاستحضارُ حينَ التصنيفِ فيجعَلَ حصولَ التصوّرِ زائداً على حُسن التصوّر والعِلم . فهذه تِسعةُ شروطٍ في المؤرّخِ ، وأصْعَبُها الاطّلاعُ على حالِ الشخصِ في العلمِ فانّه يَحتاجُ الى المُشارَكةِ في علمهِ والقُرْبِ منه حتّى يَعْرِفَ مرتبَتَه » . انتهى .

٤ — مصادر ومراجع(١)

(أ) فرّقت هذه المصادر والمراجع بحسب موضوعاتها. ولكنّ عدداً من هذه الكتب تتزاحم موضوعاتها ، فقد يصلح كتاب أن يكون في باب الحديث أو في باب الفقه، وقد يصلح أن يكون في باب الحديث أو في باب التاريخ ، الخ .

(ب) انّ عدداً من كتب السيوطي طبعت في مجموعات ، وسأشير اليها ، حبّاً بالاختصار ، بالاشارات التالية :

المجموعة : مجموعة لجلال الدين السيوطي ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣١٦— ١٣١٧ هـ .

التحفة البهية : التحفة البهية والطرفة الشهية ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

مجموعة اربع رسائل ، لكنهاو ١٣٠٣ — ١٣٠٤.

* * *

أوّلاً — في علوم القرآن الكريم :

تفسير الجلالين(٢) ، كلكتّا ١٢٥٧ هـ ؛ دهلي ١٢٥٧ هـ ؛ دهلي (طبع حجر) ١٢٨١هـ ؛ دهلي

---

(١) في آخر صفحة من متن هذا الجزء مستدركات لعدد قليل من كتب السيوطي والشروح على كتبه .

(٢) تفسير الجلالين (تفسير القرآن العظيم) بدأ تأليفه محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عبد الله الانصاري المحلي (٧٩١ — ٨٦٤ هـ) ثم أتمه جلال الدين السيوطي ، ولذلك يعرف بعنوان « تفسير الجلالين » : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي .

١٢٨٩ ، ١٣٠٢هـ ؛ مصر ١٢٧٨هـ (بلاهامش) ، ١٢٩٩هـ ؛ بولاق مصر القاهرة ١٢٨٠هـ ، بولاق ١٢٨٢ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٨هـ ؛ بومبيء ١٢٨٢ ، ١٢٨٦ ، ١٣٠٦ - ١٣٠٧هـ ؛ لكناو ١٢٨٦ ، ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (مطبعة مصطفى وهبي ١٢٩٧ هـ ؛ مصر ١٢٩٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الازهرية ١٣٠٠ هـ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ ، ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠١ - ١٣٠٢ هـ ؛ (بحاشية الفتوحات الالهية لسليمان الجمل) ، مصر ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٥ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ هـ ؛ الهند ١٣١١ هـ ؛ مصر (المطبعة العثمانية) ١٣١٥ هـ ؛ (بهامش الجمالين للقارىء الهرويّ المتوفّى سنة ١٠١٤ هـ) ، مصر (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ مصر (مطبعة عبد الرحمن محمّد) ١٣٤٦ هـ ؛ القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

(**) شروح وحواش على تفسير الجلالين : لعلي أصغر بن عبد الجبّار الأصفهاني ، طهران ؟ (طبع حجر) ١٢٧٢ هـ ؛ الفتوحات الالهية لسليمان الجمل (ت ١٠٢٤ هـ) ، بولاق ١٢٧٥ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٢ - ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٨هـ ؛ لمحمّد الخلوتي الصاوي (ت ١٢٤٧ هـ) ، القاهرة ١٢٩٠ ، ١٣١٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٣٧ هـ ؛ الهلالين (على القسم الأخير من تفسير الجلالين) لركن الدين تراب عليّ ، كاونبور ١٢٨٠ هـ ؛ الكمالين لسلام الله الدهلويّ ، دهلي ١٢٨١ هـ ؛ (مع الزلالين لمحمّد رياست علي) ، دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ (بهامش الجلالين) ، دهلي ١٣٠٧ ، ١٣١١ هـ ؛ (مع مختارات من حاشية محمّد رياست علي : حياة القلوب) ، دهلي ١٣١٧ هـ ؛ الجمالين لعلي بن سلطان محمّد القارىء الهرويّ (ت ١٠١٤ هـ) ، ميرات في الهند ١٢٨٤ ، ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ تعليقات لفيض حسن سهرانبوري ، عليكره ١٢٨٧ هـ (؟) ؛ الزلالين لمحمّد رياست علي (مع الكمالين) دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ لكنهو ١٣١٨ هـ ؛ كشف المحجوبين لسعد الله القندهاري ، بومباي ١٣٠٦ - ١٣٠٧هـ ؛ ترويح الأرواح لروح الله غلبا جزوي (وتعليقات لغلام رسول) ، لاهور ١٣١٨ هـ ؛ قبس النيّرين لمحمّد العلقمي ، القاهرة (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ تحفة المختار (تلخيص حاشية سليمان الجمل على تفسير الجلالين لأحمد مختار بك حفيد خواجه يوسف باشا) ، طرابلس الغرب ١٣١٧ هـ (؟ - بروكلمان ٢ : ١٨٢ ، السطر ١١ من أسفل) .

الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور [١] ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٤ هـ ؛ طهران (المكتبة الاسلامية) ١٣٧٧ هـ .

ترجمان القرآن في التفسير المسند [٢] (مختصر من الدر المنثور) ، القاهرة ١٣١٤ هـ .

---

(١) المأثور : الحديث المروي عن رسول الله .

(٢) المسند (من حديث رسول الله) ؛ ما أسند الى قائله : ما ذكر الذين رووه (بفتح الواو الاولى وتسكين الثانية) واحداً واحداً حتّى تصل رواية ذلك الحديث الى رسول الله .



الاكليل في استنباط التنزيل[1] ، دهلي ١٢٩٥ ، الهند ١٣٣٦هـ (؟- لعلّه الاكليل في القراءات -- راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٨١ ، السطر الأوّل) ؛ (بهامش جامع التبيان في تفسير القرآن لمعين الدين الصفوي الإيجي) ، دهلي ١٢٩٦ هـ ؛ (راجعه أبو الفضل عبد الله محمّد ! الصديق الغماري الحسيني — بنفقة أسعد درابزوني الحسيني) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٣هـ) .

مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، ليدن ١٨٣٩ م (١٢٥٥ هـ) ؛ بولاق ١٢٤٨ هـ (؟) ، ١٢٨٤ ، ١٣١٠ هـ ؛ مصر ١٣٠٠ ، ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ؛ القاهرة (المكتبة المحمودية التجارية) بلا تاريخ .

معترك الاقران في معجزات القرآن ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٩ — ١٩٧٠ م .

متشابه القرآن ، مكّة ١٣١١ هـ .

أصول التفسير (مجرّداً من النقاية) بشرح القاسمي ! (مطبوع في مجموع أوله : رسالة نور الانوار) ، الهند ١٢٩٣ هـ ؛ = في أصول التفسير ، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ هـ .

لباب النقول في أسباب النزول (اسباب النزول)[2] ، بولاق ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ هـ ؛ (استانبول) ١٢٩٠ هـ ؛ مصر (مطبعة مصطفى وهبي) ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٠٠ هـ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ ، ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١٥ هـ ؛ (بهامش تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس للفيروزادباي) القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٨ ، ١٣٤٤ هـ ؛ القاهرة (البابي — الطبعة الثانيـة) ١٩٥٤ م ؛ (مع تفسير القرآن العظيم : تفسير الجلالين) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والتركية والهندية الخ ، دمشق القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ هـ ؛ دمشق (مطبعة القدسي والبدير) ١٣٤٨ هـ ؛ (تحرير محمّد حليم أنصاري — تصحيح وترئين محمّد عبد الحليم جيشتي) ، كراجي (نور محمّد) ١٣٣٩هـ[3] ؛ = المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغات : مختصر معرّبات القرآن (رسالة جامعية تقدّم بها « بل » الى جامعة يايل : فيها النص العربي) ، القاهرة ١٩٢٤ م .

الاتقان في علوم القرآن (تحرير بشير الدين ونور الحقّ) ، كلكتّا ١٢٦٨ — ١٢٧١ هـ (١٨٥٢ — ١٨٥٤ م) ؛ القاهرة ١٢٧٢ ، ١٢٧٨ هـ ؛ (مع شروح لشبرنغر) ، مصر ١٢٧٩—١٢٨٧هـ ؛ دهلي ١٢٨٠هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٨ هـ ؛ القاهرة ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ — ١٣٤٥ هـ (١٩٢٥ م) ، ١٣٥٤ — ١٣٥٥ هـ (١٩٣٥ م) .

---

(١) الاستنباط : استخراج شيء من شيء (أخذ التفاصيل من قاعدة عامة) . التنزيل : الوحي (القرآن الكريم) — يقصد السيوطي : كل شيء يمكن أن يعرف من تأمل القرآن الكريم (كل شيء مذكور في القرآن الكريم) .

(٢) أسباب النزول : الأسباب والمناسبات التي إقتضت نزول الآيات .

(٣) هذا الكتاب بالاردية.

(**) المختار من كتاب الاتقان في علوم القرآن (اختاره عامر محمّد بحيري)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٠ م.

ثانياً – في علوم الحديث الشريف:

جامع المسانيد (– جامع الجوامع، الجامع الكبير)، القاهرة ١٣٢١ هـ.

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (مختصر من الجامع الكبير)، بولاق ١٢٨٦ هـ القاهرة ١٣٢١ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٣٨ م؛ القاهرة (البابي) ١٩٣٩ م.

الفتح الكبير في ضمّ الزيادة الى الجامع الصغير (أو زيادات الجامع الصغير) (مزجها وأحسن ترتيبها يوسف النبهاني)، القاهرة (دار الكتب العربية الكبرى) ١٣٢٠ هـ؛ القاهرة ١٣٥٠ هـ؛ = صحيح الجامع الصغير وزيادته = الفتح الكبير (بتحقيق محمّد ناصر الألباني؛ بيروت (المكتب الاسلاميّ) ١٩٦٩ م.

الجامع الصغير في حديث البشير النذير (مجموعة حكم مأخوذة من الجامع الصغير، ومعها ترجمة فرنسية)، مرسيليا ١٨٥١ م.

مسند عمر بن عبد العزيز ... الهند ١٣١٤ هـ (سركيس، ص ١٠٨٤).

تنوير الحوالك: شرح على موطّأ مالك، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة الحسيني) ١٣٥٣ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٧ م (١٣٥٦ هـ).

الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ.

مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجة (بهامش سنن ابن ماجة)، دهلي ١٢٨٢ هـ؛ ١٩٠٥ م (١٣٢٣ م).

الكنز المدفون في الفلك المشحون، بولاق ١٢٨٨ هـ: القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٣ هـ[1].

زهر الربى على المجتبى (شرح على سنن النسائي: المجتبى) (مطبوع مع المجتبى)، كاونبور ١٢٦٥ هـ (١٨٤٧ م)، ١٣٠١ هـ (١٨٨٢ م)؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٢ هـ؛ = سنن النسائي بشرح السيوطي، القاهرة ١٩٣٠ م.

قوت المغتذي في جامع الترمذي (في مجموعة أربعة شروح على الترمذي)، كاونبور ١٢٩٩ هـ.

حصول الرفق بأصول الرزق، بومباي ١٨٨٥ م؛ (مطبوع في رسائل ثمان)، لاهور ١٨٩٣ م.

اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (وهو تلخيص لكتاب الموضوعات من الأحاديث المعروفات لأبي الفرج بن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ)، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة (المكتبة الحسينية المصرية) ١٣٥٢ هـ.

التعقيبات على الموضوعات (تعقيبات السيوطي على كتاب الموضوعات ... لابن الجوزي)، لاهور (طبع حجر) ١٨٨٦ م (١٣٠٣ – ١٣٠٤ هـ)؛ (في مجموعة أربع رسائل)، لكناو ١٣٠٣ – ١٣٠٤ هـ.

---

(١) لعله ليونس المالكي (نحو ٧٥٠هـ) راجع بروكلمن ٢١: ٧٥، الملحق ٢: ٨١.

ذيل اللآلىء المصنوعة (في مجموعة أربع رسائل)، لكنو ١٣٠٣ – ١٣٠٤ هـ.

الدرر المنتثرة (المنتشرة) في الأحاديث المشتهرة (الدرر المنثورة في الاسم الأعظم) (بهامش الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيثمي)، القاهرة ١٣٠٧، ١٣٢٩هـ.

الازهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، القاهرة ١٣٠٢ هـ.

مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ؛ (مطبوع مع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض)، مصر ١٢٧٦ هـ.

إنباه الذكيّ ... (مطبوع في رسائل اثنتي عشرة)، لاهور ١٨٩١ م؛ (في رسائل تسع)، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧، ١٣٣٤ هـ.

إنباه الأذكياء لحياة الأنبياء (مطبوع في رسائل اثنتي عشرة)، لاهور ١٨٩١ م؛ حيدر اباد ١٣١٧، ١٣٣٤ هـ.

رسالة في خلق آدم (في رسائل اثنتي عشرة) لاهور ١٨٩١ م.

إحياء الميت في فضل البيت (مطبوع في رسائل ثمان)، لاهور ١٨٩٣ م؛ (بهامش الاتحاف بحبّ الأشراف لعبد الله بن محمّد الشبراوي)، القاهرة ١٣١٦ هـ، ١٣١٧؛ فاس ١٣١٦هـ.

القول الاشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربّه (في رسائل تسع)، لاهور ١٨٩٠ م.

الباهر في حكم النبيّ بالباطن والظاهر، القاهرة ١٣٥١ هـ.

كفاية المحتاج في علم الاحتجاج [1]، طبع حجر بلا ذكر مكان للطبع ولاتاريخه (بروكلمان، الملحق ١٨٨، رقم ١٥٦).

الدرج (الدرجات) المنيفة في الآباء الشريفة (في مجموعة لجلال الدين السيوطي)، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ هـ.

السبل الجليّة في الآباء العليّة (في مجموعة لجلال الدين السيوطي)، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ هـ؛ ١٣٣٤ هـ.

المعجزات والخصائص النبوية (الخصائص الكبرى = كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص)، حيدر اباد ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ؛ (تحقيق محمّد خليل هراس)؛ القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٩٦٧ م.

لباب الحديث (وعليه شرح: تنقيح القول الحثيث على لباب الحديث لمحمّد النوويّ البنتاني الغاوي)، مكّة ١٣١٢ هـ.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواويّ في أصول الحديث، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧هـ؛ (حقّقه عبد الوهاب عبد اللطيف)، المدينة المنورة (المكتبة العلمية) ١٩٥٩ م؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ.

الدرّ النثير تلخيص نهاية ابن الأثير (تلخيص النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ بهامش – النهاية في غريب الحديث والأثر .... بتصحيح

---

(١) في بروكلمان (٢ : ١٩٢)، السطر ١٢ من أسفل، الملحق ٢، ١٨٨ السطر ١٤ في معرفة الاختلاج.



عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاويّ) ، القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ .
مفتاح الجنّة في الاحتجاج بالسنّة ، القاهرة (إدارة الطباعة المنيرية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (محمّد أمين دمج) ١٩٧٠ م .
ألفية السيوطي في مصطلح الحديث (شرحها وحقّق مباحثها محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) بلا تاريخ ؛ = نظم الدرر = ألفية الدرر في الأثر (الألفية في مصطلح الحديث) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٣٢ هـ .

** مختصرات وشروح: فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمّد عبد الرؤوف بن عليّ المُناويّ (ت١٠٣٢هـ) ، القاهرة ١٢٨٦هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجاريّة الكبرى) ١٩٣٨م؛ التيسير (١) بشرح الجامع الصغير لمحمّد عبد الرؤوف المناوي (وهو مختصر لشرحه الكبير المسمّى : فيض القدير ،بولاق ١٢٨٦ هـ (سركيس ، ص١٧٩٩) ؛ بيروت (المكتب الاسلامي) ١٩٧١ م (أ) ؛ السراج المنير شرح الجامع الصغير لعليّ بن أحمد العزيزي البولاقي (ت ١٠٧٠ هـ) ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ (؟) ، ١٢٧٨ ، ١٢٩٢ (١٢٩٣ ؟ هـ) ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ هـ ؛ حاشية لمحمّد الحفني (ت ١١٨١ هـ) على شرح العزيزيّ على الجامع الصغير ، بولاق ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ ؛ حاشية لمحمّد الحفني على السراج المنير (بهامش السراج المنير) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٤ هـ .
نيل المرام من أحاديث خير الأنام (مختصر من السراج المنير) لمحمّد بن عبد الرحمن الجرداني (بهامش مرشد الانام الى ما يجب معرفته من العقائد والأحكام للجرداني نفسه) ، القاهرة ١٣١٥ هـ ؛

العرائس الحسان في نفائس أحاديث سيّد الانام (موجز من الجامع الصغير) لابراهيم السعيد بن ابراهيم سند (انتهى من تأليفه ١٢٨٠ هـ) ، تونس ١٣٠٨ هـ ؛ النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير (شرح) لعبد الحيّ اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) (مطبوع في مجموع) ، الهند ١٣٢٢ هـ؛ تنقيح القول الحثيث لشرح لباب الحديث لمحمّد بن عمر الواوي البنتاني الغاوي ، مكّة ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٣ هـ .

ثالثاً ـ في الفقه (الأصول والفروع) والتصوّف :

الاشباه والنظائر في الفروع (في فروع الفقه) ، مكّة ١٣٣١ هـ ؛ (بهامش المواهب السنية شرح الفوائد البهيّة) ، مكّة ١٣٣٤ هـ ؛ (تحرير علي مالكي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٩هـ = ١٩٣٦ م ؛ (نشره محمّد حامد الفقي) ، القاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م ؛ = الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

(١) في بروكلمان (الملحق ٢ : ١٨٤ ، السطر ١٧) : التيسير شرح الجامع الصغير لعيسى بن أحمد الزبيري البراوي الأزهري (ت ١١٨٢ هـ) .

الردّ على من أخلد الى الارض وجهل أن الاجتهاد في كلّ عصر فرض ، الجزائر ١٣٢٥ هـ .
تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء (في رسائل تسع) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ هـ .
بشرى الكئيب بلقاء الحبيب (اختصره السيوطيّ من كتابه شرح الصدور في شرح حال الموتى في القبور) لاهور ١٨٨٩ م ؛ (بهامش شرح الصدور ...) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٩ هـ .
وظائف اليوم والليلة (من كتاب « منهاج السنة ») أو الرد على الرافضي الحلّي ، القاهرة ١٣٤٠هـ .
تنوير الحلك في إمكان روية النبي (جهاراً) للملك ، بلا ذكر مكان الطبع ولا الناشر ولا المطبعة ولا تاريخه ؛ ثمّ مصر ١٣٢٩ هـ .
الحرز المنيع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع = مختصر القول البديع ... ، مصر ١٣٢٥ هـ .
الحجج المبينة في التفضيل بين مكّة والمدينة (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
وصول الأماني بأصول التهاني ، (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ .
الأرّج في الفرّج (تحرير أحمد عبيد) ، دمشق (المكتبة العربية) ١٣٥٠ هـ .
ثلج الفؤاد في أحاديث لبس السواد (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
رسالة في اللباس (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
رسالة في استعمال الحنّاء (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
سهام الاصابة في الدعوات المجابة (المستجابة) ، مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٧ هـ .
المصابيح في صلاة التراويح (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
التنقيح في مشروعيّة التسبيح (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
أبواب السعادة في أسباب (درجات) الشهادة ، (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
افادة الخبر بنصّه في زيادة العمر ونقصه ، (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
نزول الرحمة بالتحدّث بالنعمة (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ هـ .
تحفة المغربي (بذيل رحلة ابن جبير) ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
نور اللمعة في خصائص يوم الجمعة (بهامش صلح الجماعتين لأحمد الخطيب المنكابادي) ، مكّة ١٣١٢ هـ .
ضوء الشمعة في خصائص يوم الجمعة[1] (في مجموع رسائل ثمان) ، لاهور ١٨٩٣ م .
كتاب الصلصلة عن وصف الزلزلة (في مجموع تسع رسائل) ، لاهور ١٨٩٠ م .
تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذلية ، القاهرة ١٩٣٤ م .
المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة (بهامش اللآلي والدرّ ليوسف بن محمّد الشربيني) ، القاهرة ١٢٨٥هـ .
اتحاف الفرقة برفو الخرقة (مطبوع في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
الشرف المحتّم في ما منّ الله به على وليّه سيدي أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ، (في مجموعة من رسالتين ، الاولى للسيوطي) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

---

(١) في بروكلمان (٢ : ١٨٨) : بهامش تنبيه الغافلين لأحمد زيني دحلان .

شرح الصدور في شرح حال الموتى في القبور ، لاهور ١٨٨٩ م ؛ (بهامش بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطي) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٩ هـ .
البدور السافرة في أحوال (أمور الآخرة) ، لاهور (طبع حجر) ١٣١١هـ ؛ (مطبوع مع مع غيره) ، المدينة المنوّرة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ .

الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان (مواعظ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٦ ــ ١٢٨٧، ١٢٩٩ هـ ؛ مصر ١٢٨٧ ، ١٢٩٩ هـ ؛ (مع تنبيه الغافلين لزيني دحلان ــ بهامش رسالة البعث والنشور في أحوال الموتى والقبور لمحمّد سعيد بابصيل) ، مصر (مطبعة شرف) ١٢٩٨ ا ، ١٣٠٤هـ؛ (بهامش دقائق الأخبار في ذكر الجنّة والنار لعبد الرحيم بن أحمد القاضي) ، القاهرة ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٢٦هـ ؛ مصر (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٢هـ
برد الأكباد عند فَقْد الأولاد منسوب اليه [1] ، القاهرة (مصطفى تاج) ١٣٣٢ هـ .

التثبيت عند (في علم) التبييت (في ليلة المبيت) = (أرجوزة في سؤال الملكين في القبر ، ١٧٦ بيتاً) (مطبوع في مجموعة فيها ستّ رسائل) ، فاس ١٣٢٧ هـ ؛ (أرجوزة مفيدة : مع تعليقات لمحمّد بدر الدين النعساني) ، مصر (المطبعة الحسينيّة) .... ؛ شروح على التثبيت : لأبي الحجّاج يوسف القاسمي (ت ١١١٥ هـ) ، فاس ١٣١٤ هـ ؛ لأبي عبد الله محمّد التهاميّ كنّون (ت ١٣٠٣ هـ) (على هامش التقييد على نيّة الجلوس في المسجد ... الخ للتهاميّ كنّون نفسه) ، فاس ١٣٢١هـ ؛ ليوسف بن محمّد بو عصرية ، فاس ١٣١٤هـ .

رابعاً ــ في علم اللسان وفنونه :

المزهر في علوم اللغة (بتصحيح نصر الهوريني) ، بولاق ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة (محمّد عارف) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة بلا تاريخ ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣١٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٥ هـ ؛ (شرحه محمّد أحمد جاد المولى ومحمّد أبو الفضل ابراهيم وعليّ محمّد البجاوي ؛ القاهرة (دار احياء الكتب العربية) الطبعة الثالثة بلا تاريخ؛ القاهرة (مكتبة صبيح) بلا تاريخ .
الأخبار المرويّة في سبب وضع العربية (مطبوع في مجموعة ثماني رسائل) ، لاهور ١٨٩٣ م ؛

(مطبوع في التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .
الاشباه والنظائر النحوية ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣١٦ ــ ١٣١٧ هـ ، ١٣٥٩ هـ .

الاقتراح في علم أصول النحو ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف النظامية) ١٣١٠ ، الطبعة

---

(١) ينسب هذا الكتاب « برد الأكباد » إلى شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين (٧٧٧ ـــ ٨٤٢هـ) ، وكان اشتغاله بالحديث والفقه .



الثانية ١٣٥٩هـ ؛ دهلي ١٣١٣ هـ .
جمع الجوامع [1] وشرحه للسيوطي أيضاً ، القاهرة ١٣١٨ هـ ؛ (شرحه محمّد بدر الدين النعساني) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ — ١٣٢٨ هـ .
الفريدة في النحو والتصريف والخط مع شرحه «المطالع السعيدة» للسيوطي نفسه ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
البهجة المرضية في شرح الألفية (لابن هشام) ، مصر (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ ؛ لكنهو (طبع حجر) ١٨٣١ م ؛ (بهامش الأزهار الزينية في شرح متن الألفية لزيني دحلان ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٩ هـ ؛ (بهامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) ، مصر ١٣٢٢ هـ .
الزبدة (ألفية في النحو) ، مصر (مطبعة الترقي) ١٣٢٢ هـ .
الأرَج في الفرَج (تلخيص لكتاب الفرج بعد الشدّة [2] لابن أبي الدنيا مع زيادات) (طبع في كتاب بعنوان : تفريج المهج بتلويح الفرج [3] ... ، والأرج مطبوع بالهامش) ، مصر (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ مصر (المطبعة الوهبية) ١٣١٨ هـ (سركيس ، ص ٢١٥) .
فتح القريب بشواهد مغني اللبيب لابن هشام = شرح شواهد المغني ، العجم ١٢٧١ هـ ؛ القاهرة (ذُيِّل بتصحيحات وتعليقات لمحمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي) (جمالي وخانجي — المطبعة البهية !!) ١٣٢٢ هـ ؛ (وقف على طبعه أحمد ظاهر تموجان) ، بيروت (لجنة التراث العربي) ١٩٦٦ م .
عقود الجمان في علم المعاني والبيان (نظم فيه تلخيص المفتاح) ، بولاق ١٢٩٣ هـ .
شرح الأرجوزة المسمّاة بعقود الجمان ... ، مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٢ ، ١٣٠٥ هـ .
فتح الجليل للعبد الذليل (بلاغة) ، مصر ....
الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب (مختصر من ذم الصاحب والخليل لعلي بن ظافر الازدي) (صححه احمد عبيد) ، دمشق (المكتبة العربية) ١٣٦٨ م .
مشتهى العقول في منتهى النقول ، مصر ١٢٧٦ هـ .
تحفة المُجالس ونزهة المجالس (نشره محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة ١٣٢٦هـ ؛ مصر ١٣٢٩هـ .
درر الكلم الخ (في ثماني رسائل) ، لاهور ١٨٩٣ م .
المرج النضر والارج العطر ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
نزهة العمر ، دمشق ١٣٤٩ هـ .

---

(١) جمع الجوامع (في النحو) شرحه السيوطي وسماه « همع الهوامع » (راجع معجم المطبوعات العربية لسركيس ، ص ١٠٧٨) .
(٢) راجع ٢ : ٣٣٦ — ٣٣٨ ؛ راجع فوق ص ٩٠٨ .
(٣) في معجم المطبوعات العربية (ص ١٠٧٥) : الارج في الفرج ، لخص فيه (السيوطي) كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا وزاد عليه . (وهو مطبوع في مجموع) موسوم بـ « تفريج المهج بتلويح الفرج » الجامع لثلاثة كتب : الأول « حل العقال » لابن قضيب البان ، والثاني « الارج في الفرج » للسيوطي ، والثالث (وهو بالهامش) « معيد النعم ومبيد النقم » لتاج الدين السبكي .

نظم البديع في مدح الشفيع [1] ؛ مع « شرح السيوطيّ عليه »، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٨ هـ .
المقامات (مقامات السيوطي) ، الهند (طبع حجر) ١٢٧٥ هـ ؛ بهوبال بالهند ١٢٩٧ هـ ؛ القاهرة ١٢٧٥ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .
المقامة الوردية (في مفاخرة الأزهار) ، القاهرة ١٢٧٢ هـ .
رشف اللآل في وصف الهلال [2] جمع فيه اشعار خليل الصفدي في الهلال الجديد (مطبوع في مجموع « التحفة البهيّة » ، رقم ٧) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ) هـ ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٩ .
المقامة السندسية في النسبة الشريفة المصطفويّة ، مصر (طبع حجر) ... ؛ (في مجموعة) ، حيدر اباد ١٣١٦ — ١٣١٧ هـ .
نزهة الجلساء بأشعار النساء (تحرير صلاح الدين المنجّد) ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٨ م .
** جواهر الحكايات والأسئلة واللطائف والروايات والأمثلة (مختصر من كتاب « من نحا إلى نوادر جحا » للسيوطي) ، قازان ١٩٠٥ م .
المهمّات المفيدة (شرح المفيدة في النحو) لمحمّد بن أحمد بن زكري الزواوي ، فاس ١٣١٩ هـ .
ثمار المزهر (نظم أشياء من المزهر) لمصطفى محمّد فاضل بن ماء مين الملقّب بماء العينين (ت ١٣٢٨ هـ) ، فاس ١٣٢٤ هـ .
الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع (نحو) للمختار بن بون الشنقيطي ، القاهرة (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٢٨ هـ .

خامساً — في التاريخ والتراجم :

الشماريخ في علم التاريخ (في مجموع اثنتي عشرة رسالة) ، لاهور ١٨٩٠ ، ١٨٩٢ م ؛ (تحرير سيبولد) ، ليدن (بريل) ١٨٩٤ ، ١٨٩٦ م .
بدائع الزهور في وقائع الدهور [3] ، القاهرة ١٢٨٢ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٦ ، ١٣٢٤ ، ١٣٥٢ هـ .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ ؛ (التزام مصطفى فهمي وأخويه) ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ !! ؛ — طبع جزء صغير منه (باعتناء تورنبرج وهندال) ، أوبسالا في أسوج ١٨٣٤ م .

---

(١) الشفيع : محمد رسول الله . (٢) الهلال الجديد .
(٣) ينسب هذا الكتاب وهما لابن اياس (انظر تحت .....) ، وربما قيل « بدائع الزهور ... » لابن اياس ، والقائل يقصد « تاريخ مصر » لابن اياس (راجع مثلا بروكلمان ٢ : ٣٨٠ ، الملحق ٢ : ٤٠٥ — ٤٠٦) . وينسب هذا الكتاب الى السيوطي (راجع بروكلمان ٢ : ٢٠٢ ، رقم ٢٨٨ ، الملحق ٢ : ١٩٦ — ١٩٧) . وفي بروكلمان (الملحق ٢ : ٢١٦) : للواعظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري البصري (المتوفى في أوائل القرن الثامن للهجرة ، وقيل بعد منتصف القرن العاشر ، عدد من الكتب العامة (الشعبية) منها « بدائع الزهور ووقائع الدهور » (بواو العطف) ، وهو كتاب في تاريخ الخليقة ووصف مصر وقصص الانبياء .



لباب الألباب في تحرير الانساب (تحرير فت) ، ايدن (اوخمتانس) ١٨٤٠ وما بعده .
كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى = الخصائص والمعجزات النبويّة = انباه الذكي في حياة النبي ، حيدر اباد ١٣١٦ه .
الآية الكبرى في شرح قصّة الاسراء ، دمشق ١٣٥٠ ه .
نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين (في مجموعة من رسائل السيوطيّ) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ه ، ١٣٣٤ ه .
التعظيم والمنّة في أنّ أبوي الرسول في الجنّة ، حيدر اباد ١٣١٧ ، ١٣٢٥ ، ١٣٣٤ه .
مسالك الحنفا في والدي المصطفى (في مجموعة رسائل للسيوطي) ، حيدر اباد ((مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية) ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ ه .
دفع (رفع) التأسّف عن اخوة يوسف (في مجموع اثنتي عشرة رسالة ، رقم ٨) ، لاهور ١٨٩١ م ؛ (في تسع رسائل) ، لاهور ١٨٩٢ م .
مناهل الصفاء بتواريخ الأئمة والخلفاء (= تاريخ الخلفاء) (تحرير وليم ليس وعبد الحقّ) ، كلكتّا ١٨٥٦ م ؛ لكنهو ١٨٥٧ م ؛ لاهور ١٨٧٠ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٢ م ؛ ١٣٠٤ ه ؛ دهلي ١٣٠٦ه ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ه؛ القاهرة ١٣٢٢ ه ؛ القاهرة (دار الطباعة المنيرية) ١٣٥١ ه ؛ القاهرة ١٣٥١ ه ؛ (بتحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٩ م .
تحذير الخواصّ من أكاذيب القصّاص ، القاهرة (مكتبةعبد الواحد التازيّ)١٣٥١ه .
طبقات الحفّاظ للذهبي (باعتناء فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٣٣ – ١٨٣٤م ؛ = ذيل تذكرة الحفاظ دمشق (حسام الدين القدسيّ) ١٣٤٧ ه .
طبقات المفسّرين (موبرسنغه) ، ليدن (ليختمانس) ١٨٣٩ م .
الأوج في خبر عوج . الهند ١٣١٤ ه .
ريح النسرين في من عاش من الصحابة مائة وعشرين (في رسائل تسع) ، لاهور ١٢٩٠، ١٢٩٢ م .
الرسالة المجيدية لرضيّ الدين عبد المجيد تونغ (في الرسائل البهيّة؟) لكناو ١٨٧١ م.
إسعاف المبطّأ برجال الموطّأ (بهامش سنن ابن ماجه) ، دهلي ١٢٨٢ ه ؛ حيدر اباد ١٣٢٠ه ؛ بذيل تنوير الحوالك شرح موطّأ مالك) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ ه ؛ (بذيل الموطّأ) ، القاهرة ١٣٤٨ – ١٣٤٩ ه ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٧ م (؟) ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة الحسيني) ١٣٥٣ ه .
تزيين الممالك بمناقب الامام مالك (مطبوع مع المدوّنة الكبرى لسحنون) ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٢٤ ه .
تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة (في مجموع) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ ه .
النفحة المسكية ، بومباي ١٣٠٤ ه ؛ (في مجموعة ثماني رسائل) لاهور ١٨٩٣ م .



بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي بقراءته على الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي)، القاهرة (على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه) ١٣٢٦ هـ ؛ (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (عيسى البابي الحلبي) ١٩٦٤ — ١٩٦٥ م.

تاريخ السلطان الملك الأشرف (تحرير فارمند)، فينا ١٨٨٤ م.

الدراري في أبناء (أبناء) السراري، بولاق ١٣٠١ هـ.

المستطرف في أخبار الجواري (حققه صلاح الدين المنجد)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.

نظم العقيان في أعيان الأعيان (نشره فيليب حتي)، نيويورك (المطبعة السورية الاميركية) ١٩٢٧ م.

سادساً — في سائر الفنون المتفرقة:

النقاية (بعنوان: الأصول المهمة في علوم جمة) (مطبوع مع «التحفة البهية»)، قسطنطينية ١٣٠٢ هـ.

اتمام الدراية على النقاية (شرح النقاية)، بومباي ١٣٠٩هـ؛ القاهرة ١٣٠٩هـ؛ فاس ١٣١٧هـ؛...

لقراء النقابة (بهامش مفتاح العلوم للسكاكي)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ.

الحاوي في الفتاوي (في فنون مختلفة)، القاهرة (ادارة الطباعة المنيرية) ١٣٥٢ هـ.

اللمعة في أجوبة الاسئلة السبعة (أدخله السيوطي في الحاوي في الفتاوي)، القاهرة ١٣٤٩ هـ.

الوديك في فضل الديك، القاهرة (مطبعة الحرمين) ١٣٢٢ هـ.

صون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام (تحرير النشار)، القاهرة (الخانجي) ١٩٤٧ م.

مختصر السيوطي لكتاب نصيحة اهل الايمان في الرد على منطق اليونان لابن تيمية (تحرير سامي النشار) (مطبوع مع «صون المنطق والكلام»)، القاهرة (الخانجي) ١٩٤٧ م.

المنهج السوي في الطب النبوي[1] (الطب النبوي)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٧ هـ؛ (بهامش تحصيل المنافع لعبد الرحيم العراقي)، القاهرة ١٣٠٥ هـ.

الرحمة في الطب والحكمة، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.

علم الخط (مطبوع في التحفة البهية)، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ.

---

(١) لعله منحول اليه، فهو ينسب أيضاً الى شمس الدين الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) راجع بروكلمان، الملحق ٢: ١٨٢ — ١٨٣.



مجموع عقائد السيوطي .....، تونس ١٣٢٠ هـ.
فضل الأغْوات الذين استوْمنوا على الحريم (الحُرُمات)، مصر (مطبعة باب الفرج)...
رشف الزلال من السحر الحلال (= مقامة النساء: مقامات في أمور الزواج)، مصر (طبع حجر) راجع معجم المطبوعات العربية ص ١٠٨٠) القاهرة بلا تاريخ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٩!
ثبَت بمولفات السيوطي بخطه (في رسائل اثنتي عشرة)، لاهور ١٨٩١م؛ — .... المعطي الحافل بمؤلفات السيوطي، جاونبور ١٣٠٠، ١٣١١ هـ.
الإيضاح في علم النكاح [1]، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ؛ ثم ١٢٧٩، ١٢٩٣ هـ.

* قبر السيوطيّ وتحقيق موضعه، بقلم أحمد باشا تيمور، القاهرة ١٣٤٦ هـ.
حسن المحاضرة ١: ١٥٥ — ١٦١؛ الضوء اللامع ٤: ٦٥ — ٦٧؛ البدر الطالع ١: ٣٢٨ — ٣٣٤؛ النور السافر ٥٤ — ٥٧؛ الكواكب السائرة ١: ٢٢١ — ٢٣٦؛ شذرات الذهب ٨: ٥١ — ٥٥؛ زيدان ٣: ٢٤٤ — ٢٥٠؛ بروكلمان ٢: ١٨٠ — ٢٠٤، الملحق ٢: ١٨٧ — ١٩٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧١ — ٧٣؛ عصر سلاطين المماليك (تأليف محمود رزق سليم) ٣: ٣٥٥ — ٣٨٨، ٤: ٢٨١ — ٢٨٢.

أحمدُ بن الفَرْفور الدمَشْقي

١ — هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ الله بنِ محمودٍ المعروفُ بابنِ الفَرْفورِ الدمَشْقيّ، وُلِدَ في نِصفِ شَعْبانَ ٨٥٢ هـ (١٤/ ١٠/ ١٤٤٨ م) وتَلقّى العِلمَ على بُرهانِ الدين الباعونيّ ونجمِ الدين قاضي عَجْلونَ وغيرِهما.

وَلِيَ أحمدُ بنُ الفرفور القضاءَ على المذهبِ الشافِعِيّ في دِمَشْقَ، ثم أُضيفَ إليه (٩١٠ هـ) القضاءُ في مِصْرَ فذهب اليها واستناب عنه في دمشق ابنَه وليَّ الدين.

تُوُفّيَ أحمدُ الفرفوري في القاهرة في ١٧ جمادى الثانية ٩١١ هـ (١٤/ ١٢/ ١٥٠٥ م).

٢ — كان أحمد الفَرْفوري قاضي القُضاةِ في مِصْرَ والشامِ، وكان فقيهاً عالماً وشاعراً متوسّطاً.

٣ — مختارات من شعره

— في سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) قال أحمدُ الفرفوريُّ قصيدةً يَمْدَحُ بها قانْصُوه الغَوْريّ منها:

---

(١) لعله منسوب إليه.

لَكَ المُلْكُ بالفَتْحِ المُبينِ مُخَلَّدُ لأنَّكَ بالنَّصْرِ العزيزِ مُؤَيَّدُ .
وكانَ لكَ اللهُ المُهَيْمِنُ حافظاً يُعينُكَ في كلِّ الأمورِ ويُسْعِدُ :
ففي السِلْمِ حِلْمٌ فيه كالماء رِقَّةٌ ، وفي الحرب نار جَمْرُها يتَوقَّدُ !
لأنَّكَ حامي حَوْمةِ الدينِ بالظُّبا وللسيف خَدٌّ بالدماء مُوَرَّدُ[1] .
وكان الذي قد شاهَدَتْه عيونُنا بأضعافِ ما قال الرُّواة وردَّدوا .
يُدَبِّرُ أمرَ المُلْكِ مِنْكَ رَوِيَّةٌ يُريكَ بها اللهُ الصَّوابَ فتَرْشُدُ[2] .

٤ ـ * شذرات الذهب ٨ : ٤٩ ـ ٥٠ ؛ الكواكب السائرة ١ : ١٤١ ـ ١٤٥ .

جلال الدين بن هبة الله

١ ـ هُوَ جلالُ الدينِ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بن أحمدَ ابنِ عبدِ القادر النَّصيبيُّ الحَلَبيُّ ، وُلِدَ في حَلَبَ في ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٨٥١ هـ (ربيعِ عامِ ١٤٤٧ م) .

تلقّى جلالُ الدينِ العلمَ على جماعةٍ من علماء الشامِ ثُمَّ قَدِمَ القاهرةَ سَنَةَ ٨٧٦ هـ (١٤٦٢ ـ ١٤٦٣ م) وتابعَ تَلَقِّيَ العلمِ . وقد نابَ في القضاء في دِمَشْقَ وحَلَبَ والقاهرة ثُمَّ تولّى قضاء حماةَ وقضاءَ حلبَ أصالةً . وكانتْ وفاتُه في ثالثِ عَشَرَ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٩١٦ (١٤/ ١٢/ ١٥١٠ م) .

٢ ـ كان جلالُ الدينِ بنُ هبة الله ذا فِطنة وحافظةٍ واعيةٍ بَرَعَ في الفِقْهِ وألّفَ كتابَ الابْتهاج وجعله تعليقاً على كتابِ المِنهاج[3] ، كما صَنَّفَ مجموعاً من الأدب . واختصرَ « جمع الجوامع » للسيوطي ؛ وكان له نظمٌ يسير .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال جلالُ الدين بنُ هبةِ الله مُخَمِّساً قصيدةً لابن العَفيف التِلْمِسانيِّ :

غِبْتُمْ فطَرْفي من الهِجرانِ ما غَمَضا ، ولم أجِدْ عنكُمُ لي في الهوى عِوَضا .
فيا عَذولاً بفَرْطِ اللَّوْمِ قد نَهَضا ، (للعاشقينَ بأحكامِ الغرامِ رِضا ؛
فلا تكُنْ ، يا فتى ، بالعَذْلِ مُعْتَرِضا)[4] .

---

(١) الظبا جمع ظبة (بضم ففتح) : حد السيف. (٢) الروية : التفكير .
(٣) منهاج الطالبين للنووي (ت ٦٧٦ هـ) . (٤) العذل : اللوم .
الطرف : العين . العذول : اللائم . الفرط : الافراط ، الزيادة عن الحد . نهض : قام في وجهي .

أنا الوفيُّ بعَهْدٍ ليس يَنْتَقِضُ ، وإنْ همُ نَقَضوا عَهْدي وإنْ رَفَضوا.
فقُلْتُ لمّا بقَتْلي بالأسى[1] فرَضوا : (روحي الفِداءُ لأحْبابي وان نَقَضوا
عهدَ الـوفيِّ الذي للعَهْدِ مـا نقضا) .

أحبابَنا، ليس لي عن عَطْفِكُمْ بَدَلُ ، وعن غرامي ووَجْدي لستُ أنتقل .
يا سائلي عن أحِبّائي وقد رَحَلـوا، (قِفْ واستَمِـعْ سيرةَ الصبِّ الذي قتلوا
فمات في حُبِّهم لم يَبْلُـغِ الغرضا)[2] .

قد حمّلوه غراماً فوق ما يَسَـعُ وعذّبوا قَلْبَهُ هَجْراً وما انتفعوا .
دَعَوْا أجابَ، توالى سُهْدُهُ هَجَعوا، (رأى فحَبَّ فرامَ الوَصْلَ فامتنعوا ؛
فسـامَ صبراً فأعْيا نَيْلُه فقضى)[3] .

٤ - ** الكواكب السائرة ١ : ٦٩ - ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٧٥ - ٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٧ . الضوء اللامع ٨ : ٢٥٩ ؛

عبدُ القادرِ بنُ حَبيبٍ

١ - هو الشيخُ عبدُ القادرِ بنُ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ حبيبٍ الصفَديّ ، أخذَ العِلْمَ والطريقةَ (التصوّف) عن شِهابِ الدينِ بنِ أرسلانَ الرَمليّ .

أرادَ ابنُ حبيبٍ في أولِ أمرِه ألاّ يُعْرَفُ عنه أنه مُتَصوّفٌ من ذوي المَقاماتِ الرفيعةِ فتَستّر « بالتظاهُرِ بالرَقْصِ والنَفْخِ في المِزمارِ وبالخِلاعة » (عادةٌ كانت مألوفةً في بعضِ الصوفيّين) ثم ترك ذلك ولَزِمَ دارَه بعيداً عن حياةِ الناسِ يُقْرِىءُ الأطفالَ ويُؤذّنُ في أوقاتِ الصلَوات . ثم اتّفق أنْ لَقِيَهُ المُتصوّفُ المَغْربي عليُّ ابنُ ميمونٍ فنَشَرَ ذِكْرَه .

كانتْ وَفاةُ عبدِ القادرِ بنِ حبيبٍ في صَفَدَ ، في ١١ جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٩١٥ هـ (٢٧/ ٨/ ١٥٠٩ م) .

---

(١) الاسى : الحزن .
(٢) الوجد : الحب والشوق . الصب : المحب .
(٣) - لما دعوه بحسنهم وجمالهم الى أن يحبهم أجاب (أحبهم) . فلما توالى (طال ، استمر) سهده (سهره) كثر حبه لهم وتعلق بهم . هجعوا : ناموا (تركوه ونسوه) . فسام (طلب) صبراً فأعيا نيله (أعجزه الحصول على الصبر) فقضى (مات) .

٢ ـ كان عبدُ القادرِ بن حبيب متصوِّفاً يعتقد أقوالَ مُحْيِي الدين بن عَرَبِيٍّ[1] ويتأوّلُها تأوّلاً حسناً . وله شعرٌ سهْلُ التركيبِ فيه ضعفٌ أحياناً ، وفيه شيء من عُذوبةِ الإشاراتِ الصوفية .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ لعبدِ القادرِ بن حبيبٍ تائيةٌ مشهورةٌ مطلعُها :

لمّا غفَوْتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ   أرحْتُ نفسِيَ من حمْلِ المشقّاتِ .

جاء فيهـا :

الحقُّ يدْعوكَ في الأسحارِ فاسْعَ وقُمْ   وافتحْ فؤادكَ وانْشَقْ طيبَ نفْحات .
واغرِسْ بقلْبِكَ أشجارَ الودادِ لهُ   (وأخْلِ) من شوْكِ سعْدانِ الخليقات .
دَعِ الزمانَ وأهْليه ، ونفسُكَ لا   تذْهبْ عليهم ـ أخا العرفانِ ـ حسَرات .
طُوبى لِمَنْ ذاقَ كأساً مِنْ محبّتِه   ودامَ حتّى حظِي مِنْه بكاسات .
خوْفُ المُحبِّ وفسْقُ العارفين ، كذا   كِذْبُ المُريدِ فسادٌ في الطريقات .
إن لم تجِدْ مُنْصِفاً لِلْحقِّ دَعْهُ إلى   موْلى المـوالي ومسّاكِ السمَوات !

٤ ـ * شذرات الذهب ٨ : ٦٩ ـ ٧١ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٤٢ ـ ٢٤٦ .

ابن مُلَيْكٍ الحَمَوِيُّ

١ ـ هو الشيخُ علاءُ الدين أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله ابنِ مُلَيْكٍ الحَمَويُّ الدِمَشقيّ الفُقّاعيّ ، وُلِدَ في حَماةَ سنةَ ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ ـ ١٤٣٧ م) .

أخذ ابنُ مُليك الأدبَ عن الفخْرِ عثمانَ بن العبدِ التنوخيّ ، وأخذَ النحوَ والعَروضَ عن بهاءِ الدين بن سالم . ثمّ إنّه قدِمَ إلى دمَشْقَ وتكسّبَ مُدّةً ببَيْعِ الفُقّاع[2] ، ومِنْ هنا جاء لقَبُهُ « الفقّاعي » . بعدَئذٍ ترَكَ ذلك وأخذَ

(١) محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) كان صوفياً متطرفاً له شطح (ألفاظ يدل ظاهرها على الزندقة والكفر) وكان يمزج المدارك الصوفية بالتأويلات العقلية ويؤمن حيناً بالحلول (حلول العزة الالهية في انسان مخصوص) وحيناً بالاتحاد (فناء الانسان في الذات الالهية) وذلك أن يكون كل جزء من العالم المنظور جانباً ممثلا للألوهية (راجع ، فوق ، ٥٤٢) .

(٢) الفقاع (بضم الفاء وتشديد القاف) : شراب يتخذ من الاثمار أو من بزورها (!) ومن الشعير فيكون على سطحه فقاقيع .

يتردّدُ الى دُروسِ الشيخِ بُرهانِ الدين بنِ عَوْنٍ فأخذَ عنه الفِقْهَ الحَنَفيّ .

تَطَوَّفَ ابنُ مُليكٍ في الشام فذهبَ الى حَلَبَ ومدح فيها ابنَ النصيبي قاضي القُضاة (الديوان ٨٦ ، ١١٥) وإلى طرابُلُسَ . وكذلك زارَ مِصْرَ (الديوان ١٢٠) ومدح فيها ابن أجا (الديوان ٦٧ ، راجع ٦٢)[1] .

وكانت وفاةُ ابنِ مُليكٍ في دِمَشْقَ ، في شَوّالٍ من سَنَةِ ٩١٧ هـ (مطلع ١٥١٢ م)[2] .

٢ ـ كان لعليّ بن مُليك مُشاركةٌ في اللغة والصرف والنحو ومعرفةٌ بكلامِ العرب ، كما كـان مُلِماً بالحديث والفِقْـه ؛ ولكنّ شُهْرَتَـهُ كانت في الأدب والشعر . وقد كان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً رَقيقاً صاحبَ بديهةٍ ، فصيحَ الألفاظ سَهْلَ التراكيب كثيرَ الصناعة اللفظية والتكلُّفِ في شعرهِ ونثرهِ على السواء. ثمّ هو يُكْثِرُ تقليدَ الشعراء في ألفاظهم وأساليبهم : قلّد أبا تمّامٍ (الديوان ١٥٨) والمُتنبّي (الديوان ٩٦ ـ ٩٧) وابنَ الفارض (الديوان ٧٧ ، ٢٠٣) وغيرَهم . وفنونُه البديعيّاتُ والمدح والرثاء الى جانبِ أغراضٍ له وُجْدانيةٍ عَرَضَتْ له في حياتِه اليومية . وأوسعُ فنونِه الغزلُ . وله شيءٌ من المُجون (الديوان ١٣١ ، ١٥٠ ، ٢٠٦) .

وله أيضاً تَخْميسٌ للقصيدة المنفرجة « اشتدّي ، أزْمَةُ ، تَنْفَرِجي » . وله ديوانٌ اسمُه « النَفَحات الأدبية من الرياض الحَمَويّة » ثمّ مجموعٌ من الأشعارِ (مختاراتٌ من الشعراء) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مرّ عليُّ بنُ مليكٍ بالمَرْجَة (ساحة دِمَشْقَ) فرأى جماعةً يعْرِفونه ، وكانوا يَشْربونَ ، فَدَعَوْهُ إلى الزاد (مُشارَكَتِهم في الطعام) فمالَ إليهم وقَعَدَ مَعَهُم (يَعِظُهم) . في أثناء ذلك جاء الشُرْطة فأخذوهم وهُوَ

---

[1] محمود بن محمد بن أجا التدمري الاصل ولد في حلب سنة ٨٥٤ ، ذهب الى القاهرة واشتغل بالعلم فيها ثم زار القدس سنة ٨٨٨ هـ وعاد الى حلب وتولى فيها القضاء (٨٩٠ هـ) وحج (٩٠٠ هـ) ثم عاد الى حلب . بعدئذ طلبه السلطان قانصوه الغوري و ولاه كتابة السر (٩٠٦ هـ) . وكانت وفاته في حلب سنة ٩٢٥ هـ .

[2] يبدأ شهر شوال من سنة ٩١٧ هـ في نحو الثاني والعشرين من كانون الاول ـ ديسمبر ١٥١٢ م .

مَعَهم . فلمّا وَصَلوا إلى القاضي عَرَفَهُ القاضي ولامَهُ فقال :

والله ، ما كُنْتُ رفيقاً لهُمْ ، ولا دَعَتْني لِلْهَوى داعِيَهْ .
وإنّما بالشِعْر نادَمْتُهم ، لأجلِ ذا ضَمّتْنِيَ القافيهْ !

• هلْ لِصَبٍّ قدْ غيّرَ السُقْمُ حالَهْ زَوْرَةٌ مِنْكُمُ على كُلّ حالهْ ؟
يا لَقَوْمي ، مَنْ لِلْفَتَى من فتاةٍ مَزَجَتْ كأسَ صَدّها بالمَلالهْ .
قلتُ إذْ مَدّ شَعْرُها لي ظِلالاً ، أسْبَغَ اللهُ لي عليها ظِلالهْ :
« كمْ مُحِبٍّ بدَمْعِهِ قد أتاها سائلاً وَهْيَ لا تُجيبُ سُؤاله »[1] .
حاولتْ زَوْرتي فنَمّ عليها قُرْطُها في الدُّجى ومِسْكُ الغُلالة[2] .
ثمّ لمّا أنْ سَلّمتْ أذْكَرَتْني عَهْدَ من سَلّمتْ عليهِ الغَزاله[3] :
خاتَمِ الأنبياء والرُسْلِ حَقّاً مَنْ أتى بالهُدى وأدّى الرِساله .
يا إمامَ الهُدى ويا مَنْ عليهِ مِنْ طِرازِ الوَقارِ أبْهى جَلاله ،
كُنْ شَفيعي مِمّا جَنَيْتُ قَديماً زَمَنَ اللهْوِ والصِبا والجَهاله !

٤ ــ النفحات الادبية من الرياض الحموية ــ ديوان علاء الدين بن مليك (المكتبة الانسية) ، بيروت (المطبعة العلمية) ١٣١٢ هـ .

* الكواكب السائرة ١ : ٢٦١ ــ ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٨٠ ــ ٨١ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣ ، الملحق ٢ : ١٣ ؛ زيدان ٣ : ١٣٩ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٦٤ . معجم المؤلفين لكحالة ٧ : ٢١٩ .

الاشمـــونيّ

١ ــ هو نورُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عيسى بنِ محمّدٍ الأُشمونيُّ ، نِسبةً الى أُشْمونَيْنِ[4] ، وُلِدَ في القاهرة في شَعبانَ من سَنَةِ ٧٣٨ هـ (آذار ــ

---

(١) في قوله « سائلا » تورية : السائل الذي يسأل (وهنا هو المحب) . والسائل : الذي يسيل ، يجري (وهنا هو الدمع) .

(٢) نم عليها : وشى بها (أشهر أمرها للناس) . قرطها (الحلقة التي تزين بها أذنها ــ لان قرطها يضيء في الليل أو يسمع صوته) . ومسك الغلالة (رائحة المسك الطيبة التي تنبعث من غلالتها : الثوب الذي تلبسه مما يلي جسدها) . (٣) محمد رسول الله كلمه الظبي (الغزال) .

(٤) أشمونين (بضم الهمزة ولفظ التثنية) : بلد في الصعيد الأوسط من مصر (تاج العروس ٩ : ٣٥٥) . وهي غير أشمون (بضم الهمزة) جريس (بالتصغير) : قرية تحت شطنوف (في المنوفية ، شمال القاهرة) .

ـ مارس ١٤٣٥ م) .

أخذ نورُ الدين الأُشمونيُّ العِلمَ عن نفرٍ منهم جلالُ الدين المحلّي (ت ٨٦٤ هـ) وصالحُ بنُ عُمَرَ البُلْقيني (ت ٨٦٨ هـ) ويوسفُ بن سعد الدين المُناوي (ت ٨٧١ هـ) ومحمّد بن سليمان الكافِيَجي (ت ٨٧٩هـ) ثمّ تصدّرَ للاقراء . وقد تولّى القضاءَ في دُمْياطَ . وكانت وفاته في القاهرةِ في سابعِ عَشَرَ ذي الحِجّة من سنة ٩١٨ هـ (٢٤/ ٢/ ١٥١٣ م) .

٢ ـ بَرَعَ نورُ الدين الأُشمونيّ في عدد من العلوم منها الفقْهُ والنحوُ والمَنْطِق والحساب (الفَرْض : تقسيم الارث) ، ولكنّ شُهرتَهُ قائمةٌ على معرفتهِ بالصَرْفِ والنحو . وقد كانتْ بينَه وبين السُيوطيّ (ت ٩١١ هـ) منافسةٌ . ثمّ هو مؤلّفٌ له : منهجُ السالك الى ألْفية ابن مالك (شرح ألْفية ابن مالك) ـ شرح التسهيل[١] ـ نظم جمع الجوامع[٢] ـ نظم أيساغوجي[٣] ـ نظم المنهاج[٤] (في الفقه) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مقدّمة « منهج السالك »[٥] :

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . أمّا بعدَ حَمْدِ اللهِ على ما مَنَحَ مِنْ أبوابِ البيان ، والصلاةِ والسلامِ على مَنْ رَفَعَ بماضي العَزْمِ قواعدَ الإيمان وخَفَضَ بعاملِ الجَزْمِ كَلِمَةَ البُهتان : محمّد المُنْتَخَبِ من خُلاصةِ مَعَدٍّ وعَدْنانَ[٦] ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين أحْرزوا قَصَبَاتِ السَبْقِ في مِضمارِ الإحسان وأبرزوا

---

(١) التسهيل في النحو لابن مالك ، وقد شرح الاشموني بعضه .

(٢) جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، وهو غير جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في الحديث .

(٣) ايساغوجي (من اليونانية : المقدمة) في علم المنطق ، وهو في الأصل كتاب من وضع ملكون الصوري (المعروف في المصادر الأجنبية والعربية باسم فرفوريوس : ذي الديباج الأحمر) المتوفى عام (٣٠٤ م = ٣١٨ ق.هـ) . وكلمة ايساغوجي تستعمل للدلالة على علم المنطق . (٤) ......

(٥) لاحظ أن الأشموني يستعمل في التعبير عن آرائه ألفاظاً من علم الصرف وعلم النحو (عامل ، ضمير ، ماض ، فتح ، رفع ، خفض ، جزم ، الخ) ، على سبيل التورية .

(٦) الرفع : تحريك الكلمة بالضمة ـ إعلاء الشيء . الماضي : الفعل الماضي ـ القاطع ، البات ، ذو الأثر والنفوذ . الخفض : تحرك الكلمة بالكسرة ـ جعل الشيء منخفضاً متدنياً ، منحطاً عن غيره . الجزم : قطع النفس عند آخر الكلمة (بلا تحريك لآخرها) ـ الفصل في الأمور . البهتان : الكذب (الكفر) . معد بن عدنان : جدان من أجداد عرب الشمال الذين منهم قريش ومن قريش بنو هاشم آل الرسول .

ضميرَ القِصّة والشان بلسان السِنان وسِنان اللسان[1] . فهذا[2] شرحٌ لطيفٌ[3] بديع على أَلْفيّة ابنِ مالك[4] مُهذَّبُ المقاصدِ واضحُ المسالك ، يمتزجُ بها[5] امتزاجَ الروحِ بالجسد ويَحِـلُّ منها مَحِـلَّ الشجاعةِ من الأسد ، تَجِـدُ نَشْرَ التحقيق من أدراجِ عباراته يَعْبَقُ[6] ، وبَدْرَ التدقيق من أبراج إشاراته يُشْرِق ؛ خَلا من الإفراط المُمِلِّ وعلا عن التفريط المُخِلِّ[7] وكان بينَ ذلك قَواماً[8] .

وقد لقّبْتُهُ بـ « منهجِ السالك الى أَلْفيّة ابن مالك » . ولمْ آلُ جُهداً في تَنْقيحه وتهذيبه وتوضيحه وتقريبه[9] . واللهَ أسألُ أن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعَ به من تَلَقّاه بقلبٍ سليم ؛ إنّه قريبٌ مُجيب . وما تَوْفيقي إلاّ باللهِ عليه توكّلتُ وإليه أُنيب[10] .

– المعرب والمبني[11] :

المُعْرَب والمَبْنِيُّ اسمَا مفعول مُشْتَقّان من الإعراب والبِناء ، فوجَبَ أن يُقَدَّمَ الإعرابُ والبِناء[12] . فالإعراب في اللُغة مصدرُ أعْرَبَ ، أي أبانَ

---

(١) قصبات السبق : التقدم في الأمور على المتنافسين والمتسابقين (كانت العادة أن تزرع – تشك في الارض – قصبة واحدة ، ثم يجري المتسابقون ، فمن استطاع أن يصل الى تلك القصبة أولا ويحرزها (أي ينزعها من الارض) ، عد سابقاً في ذلك الجري . حاز قصبات السبق : سبق غيره في كل شيء .

(٢) الفاء في « فهذا » رابطة لقوله « أما » في مطلع المقدمة .

(٣) لطيف : صغير ، قصير ، موجز (مع أن هذا الشرح مطبوع في ثلاثة أجزاء) .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢ هـ) من كبار علماء النحو . والألفية (أرجوزة من ألف بيت) .

(٥) بها = بألفية ابن مالك (امتزاج الشرح بالأصل : على منهج واحد) .

(٦) نشر : رائحة . أدراج العبارات : تدرجها ، جريها على نسق منطقي . عبق الطيب في المكان أو الجسم الخ : لزق به (بقيت رائحته ولم تذهب مدة طويلة) .

(٧) الافراط : الزيادة بلا حاجة اليها ، التطويل . التفريط : التضييع ، العناية بالأمر أقل مما يجب . المخل : الذي يجعل الشيء ناقصاً نقصاً يبطل الفائدة منه .

(٨) « وكان بين ذلك قواماً » من سورة الفرقان (٢٥ : ٦٧) . قواماً : اقتصاداً (اعتدالا ، بقدر الحاجة).

(٩) لم آل جهداً : لم أدخر وسعاً (بذلت كل جهد أستطيعه) . التنقيح (التنقية من العيوب) التهذيب (حذف ما لا حاجة اليه) والتوضيح (التبيين) والتقريب (تسهيل الفهم على الناس) .

(١٠) في هذه الجمل اقتباس من القرآن الكريم : إلا من أتى الله بقلب سليم (٢٦ : ٨٩ ، الشعراء) ، ان ربي قريب مجيب (١١ : ٦١ ، هود) ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب (١١ : ٨٨) .

(١١) شرح الاشموني (منهج السالك) ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد (مكتبة النهضة المصرية) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م (١ : ١٩ – ٢٠) .

(١٢) أن يقدم بحث الاعراب والبناء على بحث سائر موضوعات الصرف والنحو .

أي أظْهَرَ أو أجال أو حسّنَ أو غيّرَ ، أو أزالَ عَرَبَ الشيء وهو فسادُه ، أو تكلّم بالعربية أو أعطى العَربون أو وُلِدَ عربيَّ اللون [١] أو تكلّم بالفُحْش أو لم يَلْحَنْ في الكلام أو صار له خيلٌ عِرابٌ [٢] أو تحبّبَ الى غيرِه ، ومنه العَروبة المُتَحَبِّبَةُ الى زوجها. وأما في الاصطلاح ففيه مَذْهبان : أحدُهما أنّه لَفْظيّ ، واختاره الناظمُ [٣] ونَسَبَهُ الى المُحقّقين وعرّفَه في التَسْهيل [٤] بقوله : ما جِيءَ به لِبَيانِ مُقتضى العاملِ من حَرَكةٍ أو حَرْفٍ أو سُكون أو حَذْفٍ [٥]. والثاني أنّه مَعْنويّ والحركاتُ دلائلُ عليه ، واختاره الأعلمُ [٦] وكثيرون ، وهو ظاهرُ مذهبِ سيبَوَيْه [٧] ، وعرّفوه بأنّه تغييرُ أواخرِ الكَلِم لاختلافِ العواملِ الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً. والمذهب الأوّلُ أقربُ الى الصوابَ ، لأنّ المَذهبَ الثاني يقتضي أنّ التغييرَ الأوّل ليس إعراباً — لأنّ العواملَ لم تختلفْ بعدُ — وليسَ كذلك.

والبِناءُ في اللغة : وَضْعُ شيءٍ على شيءٍ على صفةٍ يُرادُ بها الثبوتُ [٨]. وأمّا في الاصطلاحِ فقال في التسهيل: ما جِيءَ به لا لبيانِ مقتضى العاملِ من شِبْهِ [٩]

(١) عربي اللون : أسمر .

(٢) خيل عراب جمع عربي (بتشديد الياء) : عتيق (كريم الاصل ، خالص النسب) .

(٣) الناظم = ناظم الألفية : ابن مالك .

(٤) التسهيل في النحو كتاب لابن مالك .

(٥) العامل : العنصر ، السبب (الكلمة أو الحال) الذي يؤثر في آخر الكلمة فيحركها على وجه مخصوص به ، من حركة (بالفتحة أو الكسرة أو الضمة أو السكون) أو حرف (اعراب بالأحرف : مؤمنان ومؤمنون ومؤمنين وأبوه وأبيه الخ) أو سكون (لم يذهب ، الخ) أو حذف (حذف حرف العلة بالجزم من آخر الفعل المعتل : يجري — لم يجر) .

(٦) الأعلم الشنتمري الاندلسي يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ) .

(٧) راجع ٢ : ١٢٠ — ١٢١ .

(٨) اذا بنى الانسان بيتاً ، فهو ينتظر أن يبقى هذا البيت على الصورة التي بناه عليها مدة طويلة . وكذلك الكلمة المبنية يجب أن تبقى كما هي لا تتغير مهما تبدل موقعها في التركيب وعملها في الجملة (فاعلا ، مفعولا ، مجروراً ، الخ) .

(٩) في الجملة : « بنى خالد بيتاً كبيراً » نجد الكلمة « بيتاً » معربة اعراباً حقيقياً لأن الفعل « بنى » وقع عليها مباشرة فنصبها . أما الكلمة « كبيراً » فقد نصبت لأنها تابع لكلمة « بيتاً » (نعتاً) ، ولم تنصب لوقوع الفعل عليها مباشرة . الحكاية : الجملة التي تأتي بعد القول « قيل: التفاح نافع » أو نحو « سورة المؤمنون » (لأن اسم السورة الكريمة « المؤمنون » فنحن نتركها دائماً مرفوعة . وكذلك يردّنا القاموس مثلا في بعض الأحيان الى مادة فيه بهذا اللفظ : الأتراك (أطلب « العثمانيون » لأن ترتيب الحروف كما ترد اللفظة في القاموس أو في دائرة المعارف هي « عثمانيون » لا عثمانيين . النقل : هو الحكاية ايضاً .

الإعراب – وليس حكايةً أو إتباعاً أو نقلاً أو تخلّصاً من سُكونَيْن – فعلى هذا فهو لفظيّ. وقيل هو لِزُومُ الكَلِمةِ حَرَكةً أو سُكوناً لغيرِ عاملٍ أو اعتلال (راجع الحاشية ٩ على الصفحة السابقة). وعلى هذا هو مَعْنويّ. والمناسبةُ في التسميةِ على المذهبين ظاهرةٌ.

٤ – شرح الاشموني على ألفية ابن مالك المسمّى «منهج السالك الى ألفيّة ابن مالك» (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية)، مصر (مطبعة السعادة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م).

* حاشية الصبّان [1] على الاشموني على ألفيّة ابن مالك، بولاق ١٢٨٠ هـ.

الضوء اللامع ٦ : ٥ ؛ البدر الطالع ١ : ٤٩١ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٧ : ٢٢٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٦٣.

قانصوه الغُوريّ

١ – في آخرِ أيامِ المماليكِ كانتِ الحالُ في مِصْرَ شديدةَ الاضطراب: توالى على العرشِ في خَمْسِ سَنَواتٍ (٩٠١ – ٩٠٦ هـ) خمسةُ سلاطينَ كان آخرَهم قانصوه بنُ عبدِ الله الجركسيُّ الغُوريُّ المولودُ في حدودِ سَنَةَ ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م).

كان قانصوه من مماليكِ السلطانِ الأشرفِ قايت باي (٨٧٢ – ٩٠١ هـ)، فأعتَقَهُ قايت باي وولاّه عَدداً من الأعمال ثمّ جَعَلَه سَنَةَ ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) كاشفاً [2] للوجه القِبْليّ. وظلّ قانصو يتقلّبُ في المناصبِ حتّى تولّى الوزارةَ، سَنَةَ ٩٠٦ هـ (١٥٠١ م) في أيام طومان باي الذي تولّى الحُكْمَ نحوَ مائةِ يومٍ.

وزادَ الاضطرابُ فأجْمَعَ القُوّادُ والأعيانُ على أن يُوَلّوا قانصوه على العرش – لما كانَ يبدو عليـه من دلائلِ الشجاعة والحَزْمِ والمقدرة – برُغْمِ مُمانعته. وقد كانتْ أيامُه أيامَ استقرارٍ وعمرانٍ.

وجاء السلطانُ سليمٌ إلى العرشِ العُثمانيّ، سَنَةَ ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وبدأ فتوحَه في البلادِ العَرَبية. وفي سَنَةَ ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) التَقَى الجيشُ العُثمانيُّ بقيادةِ السُلطانِ سليمٍ نفسِه بجيشِ المماليكِ بقيادةِ قانصوه، في مَرْجِ دابق (قُرْبَ حَلَبَ، شماليَّ سورية)، فقُتِلَ قانصوه وانهزم جيشُه وفتَحَ السلطانُ

(١) محمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ في القاهرة) من علماء النحو ذوي التآليف (تجد لدراسته مراجع كثيرة في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١ : ١٧ – ١٨).

(٢) الكاشف: موظف لمراقبة الأطيان (الأراضي الزراعية) وجمع الضرائب من اصحابها.

سليمٌ بلادَ الشامِ (سورية) . وفي السنةِ التاليةِ دخلَ السلطانُ سليمٌ مِصْرَ .

٢ ـ كان قانصوه الغوريُّ أديباً شاعراً مُحِبّاً للعِلْم والأدب واسعَ المعرفة بثقافةِ عَصْره . وقد أمرَ بنَقْلِ الشاهنامه (للفِرْدوسيّ) من الفارسيةِ الى التّركية . وقد كان يَعْقِدُ المجالسَ للمناظرات . ولقانصوه شعرٌ بالعربيةِ وبالتّركيّة ؛ وله شعرٌ مُلَمَّعٌ (بعضُ أبياتِه بالعربيةِ وبعضُها بالتّركية ـ أو بعضُ أقسامِ كلِّ بيتٍ من الأبياتِ بالعربيةِ وبعضُها الآخر بالتّركية). وشعرُه ضعيفٌ عموماً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال السلطان قانصو الغوري قصيدة في ذكر الأيّام والليالي المباركة ، منها :

للهِ في أيّامِنا نَفَحاتُ	مِنْ دَهْرِنا تزكو بها الأوقاتُ[1] .
فبِها ألا فتَعَرّضوا وتضرّعوا ،	فيها تُجاب لكم بها الدّعَوات[2] .
هذى مواسِمُها لنا قد أقبلتْ	ودَنا بمَوْعِدِها لنا مِيقات .
فَبِفَضْلِ شَعْبانٍ وليلةِ نِصْفه	يَرْوي الصحيحَ من الحديثِ ثِقاتُ ؛
وبفضلِ ليلةِ نصفه قد فُسِّرتْ	في الذِكْر من تنزيلهِ آيات[3] :
إذ قيل يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ مُحْكَمٍ	فيها ، وفيها تَسْقُطُ الوَرَقات[4] .
هي ليلةٌ فيها على أهلِ الهُدى	وقلوبِهِمْ قد خَفّتِ الطاعات .
هي ليلةٌ ما زال مُحْتَفِلاً بها	ـ مُذْ قام دينُ المُصطفى ـ السادات .
هي ليلةٌ يتوقّعُ الداعي بها	للهِ أنْ تُقضى له الحاجات .
يا ربَّنا ، فيها تَقَبَّلْ دعوةً	لي مِنك فيها تَشْمَلُ الخَيْرات:
أصْلِحْ لِيَ المُلْكَ الذي قلّدتَني ؛	وصَلاحُه أن تَسْعَدَ الحَرَكات ،

---

(١) زكا يزكو : طهر ، زاد .

(٢) مما يروى في الحديث (ولا أعلم أنا درجة صحته ولا لفظه الصحيح) : ان لربكم في بعض أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها .... » يجوز : فيها .

(٣) شعبان هو الشهر الثامن من السنة القمرية . الذكر (بكسر الذال المعجمة أخت الدال المهملة) : القرآن الكريم .

(٤) « فيها يفرق كل أمر حكيم» آية في سورة الدخان (٤٤ : ٤) . فيها، في القرآن الكريم (في ليلة النصف من شعبان) . تسقط الورقات .... ؟

وتَدُرُّ أرزاقُ الرعيّةِ فيه ، في أمْنٍ ، ففيهـا تَنْزِل البركات ؛
واجْمَعْ قلوبَ عساكري جَمْعاً به تصفو وتصلُـحُ مِنهُمُ النِيّات .

— قال السلطان قانصوه الغوري :

جماعةٌ من العلماء جاءوا إلى خِدمتي ومَعَهم قِصّة[1] ، وفي عُنوانها مكتوبٌ : « واللهُ الغَنيّ وأنتمُ الفقراء »[2] . فقلتُ في جوابِهِمْ : « فإذا عَرَفْتم ذلك ، فلماذا تَرَكْتُمُ الغنيَّ وطلبتُمْ من الفقير؟ بل المناسبُ أن تكتبُوا على قِصّتكم : « إنْ أعْطَيْتَ فالإعطاءُ من الله ، والأمرُ مَسُوقٌ إليك ؛ وان مَنَعْتَ فالمَنْعُ من اللهِ والعَتْبُ (محمول) عليك » . ثمّ قال : « رأيتُ هذهِ العبارةَ مكتوبةً على حائطٍ فحَفِظْتُها » .

— روى السُلطان قانصوه الغوري هذه الفُكاهةَ ، ويبدو أنّه عَرَفَها من التركية ثمّ أوْرَدَها بالعربية[3] :

إنّ ابنَ عُثمانَ أمرَ لناصرِ الدين[4] أن يَشْوِيَ له وزّاً . فشَوَى وأكلَ منه رِجْلاً . فسألَ السلطان عن رِجْلِ الوزّ . فقال (ناصر الدين) : ما يكونُ الوزّ الا رِجْلٌ واحدٌ . فسكت السلطان .

(عندئذ) رَكِبَ السلطانُ ورَكِبَ مَعَه الشيخُ (ناصر الدين) ، فإذا به طائفةٌ من الوزّ واقفةٌ على رِجْلٍ واحدٍ . فقال ناصرُ الدين للسلطان : انظُرْ كلّاً واحدٍ منها برِجْلٍ واحدٍ . فدَقّ السُلطانُ طَبْلَ بازهِ[5] فمَدّوا أرْجُلَهُمْ . فقالَ السلطان لناصرِ الدين : أكلتَ الرِجْلَ وكَذَبْتَ ! قال أيضاً ناصرُ الدين : يا فلانُ ، لأيْش ما دَقّيتْ طبلَ بازكَ ذلك الوقتَ حتّى يَمُدَّ الوزُّ المَشْويُّ رِجْلَهُ المُلَتَّمَ[6]؟

(١) خدمتي : مكاني (لطلب شيء مني) . القصة : عريضة فيها طلب من الدولة .

(٢) « والله الغني وأنتم الفقراء » آية في سورة محمد (٤٧ : ٣٨) .

(٣) في هذه الفكاهة أخطاء كثيرة في الألفاظ والتراكيب : رجل واحد (وحقها التأنيث) — مدوا (أي الوز) أرجلهم (والصواب : مدت أرجلها) — لايش ما دقيت (عامية) : لماذا ما دققت ، أو لم (بكسر ففتح) لم تدق ؟ .

(٤) ابن عثمان : أحد سلاطين بني عثمان . ناصر الدين أو خواجه (خاجه) ناصر الدين : شخصية فكاهية معروفة باسم « جحا » .

(٥) طبل باز : الطبال ، صاحب الطبل (طبل صاحب الطبل) .

(٦) رجله الملتم : رجله المرفوعة.



ـ ولقانصو الغوري شعر ملمّع (راجع ، فوق ، ص ٦٢٢) بين التركية والعربية ، منه :

يا الهي ، بن كنه كار ؛ أنت غفّار الذنوبْ .
عيبمي يوزمه أورمه ؛ أنت ستّار العيوب .
قيسو إشلر سنكه معلوم[1] ؛ أنت علاّم الغيوب .
بن فقيره قِل عنايت ؛ انّني أرجو رضاك .

ومعنى الأشطر التركية : يا الهي ، أنا مذنب ... لا تضرب وجهي بعيبي (بعيوبي : ذنوبي) ... جميع الأشياء معروفة عندك[2] (انّك عالم بكلّ شي ») ... وأنا الفقير (اليك) فتولّني بعنايتك ...

٤ ـ * مجالس السلطان الغوري : صفحة من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري ، للدكتور عبد الوهّاب عزّام ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م .

بدائع الزهور لابن اياس ؛ شذرات الذهب ٨ : ١١٣ ـ ١١٥ ، راجع ٤٩ ـ ٥٠ ، ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ؛ أعلام النبلاء للطبّاخ ٣ : ١١٥ ـ ١٦٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ٧٢٠ ـ ٧٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٤ ، الملحق ٢ : ١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٤ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٨ : ١٢٧ .

عائشةُ الباعونيّة

١ ـ هِيَ الشَيْخة أمُ عبدِ الوهّاب بنتُ يوسفَ بنِ أحمدَ بنِ ناصرِ الدين بن خليفةَ الباعونيةُ الدِمَشْقيةّ الصالِحيّةُ الصوفِية ، وُلِدَتْ في دِمَشْقَ وحَفِظَتِ القُرآنَ الكريمَ ولها من العُمُرِ ثماني سَنَوات .

تَلَقّتْ عائِشَةُ الباعونيةُ النُسْكَ والتَصوّفَ على إسماعيلَ الحوارزميّ ثُمَّ على يحيي الأُرْمَويِ . بَعْدئذٍ حُمِلَتْ إلى القاهرةِ ونالت فيها حظّاً وافراً من العلوم وأُجيزَتْ بالإفْتاء والتدريس .

---

(١) يرد هذا الشطر في « مجالس السلطان الغوري » لعبد الوهاب عزام (ص ٤٣) هكذا : قاموا اشلر ساكه معلوم (فيه خطأ مطبعي في « قاموا » و « ساكه ») .

(٢) المعنى اللفظي : مهما (نعمل من) أشياء فهي لك معلومة (انت تعلمها) .

يبدو أنَّ عائشةَ الباعونيةَ كانتْ حَرِيصةً على أنْ تَجْعَلَ لولدٍ لها جاهاً في الدَّوْلة ، فمدحت أبا الثناء محمودَ بْنَ أجا الحَلَبيَّ صاحبَ ديوانِ الإنشاء بالديارِ المِصْرية . ثم اتّفق أنْ كان أبو الثناء في الشامِ فَصَحِبتْهُ ، ومعها ابنُها ، إلى مِصْرَ وقابلتِ السُلْطانَ قانْصُوه الغوري ، ولكنَّ مأربَها مِنْ رِحْلتها إلى مِصْرَ لم يتحقّقْ – فـان قانْصُوه الغُوري كان مَشْغولاً بالخَطَرِ المُطِلِّ على مُلْكه من الدَّوْلة العُثْمانية . وعادَتْ عائشةُ الباعونيةُ الى دِمَشْقَ . ولمّا وَصَلَ قانصوه الغَوريّ إلى حَلَبَ ، في رَجَبَ ٩٢٢ هـ (آب – أغسطس ١٥١٦ م) في مُحاولةٍ لصَدّ الجيوشِ العُثْمانية عن الشامِ ، انْتَهَزَتْ عائشةُ الباعونيةُ الفُرْصَةَ وسارتْ لمُقابلته ، ولكنَّ قانْصُوه الغُوريَّ سَقَطَ قتيلاً في مَعْرَكَةِ مَرجِ دابقٍ قبلَ أن تَصِلَ إليه عائشةُ ؛ ثم بَدأ السُلْطانُ سَليمٌ العُثْماني يستولي على المُدُنِ الشاميةِ واحدةً واحدة .

عادتْ عائشةُ الباعونيةُ إلى دِمَشْقَ ثُم تُوُفِّيَتْ فيها وَشيكاً، في السَنَةِ نَفْسِها (٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م) .

٢ – كانتْ عائشةُ الباعونيةُ عالمةً فاضلةً وأديبةً بارعةً وشاعرةً مُجيدةً ، وكان أكثرُ شِعرِها بديعيّاتٍ تتّكىء فيها على ابنِ الفارض من حيثُ المعنى وعلى البوصيريّ من حيث اللفظُ والمعنى معاً . ولها شيءٌ من المديح وقصائدُ إخوانيةٌ في عددٍ من الأغراض الوجدانية . وكذلك كانتْ مُصَنَّفَةً لها : الفتح الحَنَفيّ (أقوال صوفية) – الملامح الشريفة والآثار المُنيفة (قصائدُ صوفيةٌ) – دُر الغائصِ في المعجزات والخصائص (قصيدة رائية : بديعية) ، الخ .

٣ – مختارات من آثارها

– قالت عائشة الباعونية تصف دمشق :

نَزِّهِ الطَرْفَ في دِمَشْقَ ففيهـا كلُّ ما تشتهي وما تَخْتـارُ .
هِيَ في الأرضِ جنّةٌ ، فتأمّلْ كيفَ تَجْري من تَحْتِها الأنهار .
كَمْ سَما في رُبوعِها كلُّ قَصْرٍ أشْرَقَتْ من وُجوهِها (!) الأقمار .

وتُناغيكَ بَيْنَهــا صادِحاتٌ خَرِسَتْ عند نُطْقِها الأوتار[١] .

ــ من الفتح المبين في مدح الأمين (بديعيّة : في مدح محمّد رسول الله) :

في حُسْنِ مطلعِ أقماري بذي سَلَمِ أصبحتُ في زُمرة العُشّاق كالعَلَمِ[٢] .
أقول والدمع جارٍ جارحٌ مُقَلي والجارُ جارَ بعَذْلٍ فيه مُتَّهَمِ[٣] .
يا سعدُ ، ان أبصرتْ عيناك كاظمةً وجئتَ سَلْعاً فسَلْ عن أهلِها القُدُم .
أحِبّةٌ لم يـزالوا مُنتهى أمَـلي وإنْ همُ بالتنــائي أوْجبوا نَدَمي .
كيف السُلُوُّ ونارُ الحبِّ مُوقَدَةٌ وسْطَ الحشا وعيونُ الدمع كالدِيَم[٤] .
ولي جفونٌ بغيرِ السُهْدِ ما اكتحلتْ ، ولي رُسومٌ بغيرِ السُقم لم تُسَمِ[٥] .
تَهابُني الأُسْدُ في آجامِهــا ، وظُبا تلك الظِبا قد أذلّتْني لِعِزِّهِم[٦] .
بلغتُ في العِشقِ مرمىً ليس يُدْرِكُه الاّ خليعُ صِباً مِثْلي الى العَدَم[٧] .
قالوا: ارْعَوِي ؛قلتُ:قلبي ما يُطاوِعني ! قالوا : انْثَني ؛ قلتُ:عَهْدي غيرُ منفصم.
يا عاذِلي ، أنتَ معذورٌ ؛ فلستَ تَرى ــاذا بدا الصبحُ ماغطّى غشى الظُلَم[٨]
عن ذمِّ مِثْلِكِ تِبْياني أُنَزِّهُهُ ، إذ أنتَ عِنْديَ معدودٌ من النَعَم[٩] .

(١) خرست (سكتت) عند نطقها الأوتار ... : المقصود : أصوات الطيور أجمل من أصوات الآلات الموسيقية .

(٢) ذو سلم : موضع في الحجاز (ليس مقصوداً لذاته) . أقماري : كناية عن المحبوب. اصبحت... ... كالعلم (الجبل العالي ، العلامة الظاهرة) : مشهورة .

(٣) ... والدمع جار (من جرى يجري : سال يسيل) جارح مقلي (عيوني) بكثرة البكاء . والجار جار (ظلم) بعذل (لوم) متهم (ظالم ، غير ناصح في لومه) .

(٤) السلو : النسيان ، التسلي . الديمة : السحابة الممطرة .

(٥) السهد : ذهاب النوم ، السهر . رسوم : أعضاء وصفات جسدية . السقم : المرض ، النحول . لم تسم (الصواب : لم توسم) : لم تتصف .

(٦) الأجمة : مجتمع الأشجار (ويسكنها الأسدأحياناً) . ظبا (جمع ظبة بضم الظاء وفتح الباء بلا تشديد : حد السيف) تلك الظبا (بكسر الظاء = الظباء جمع ظبية : الغزال) .

(٧) خليع صبا (بكسر الصاد) : من خلع الحياء في التمتع بصباه (شبابه) . الى العدم : حتى لم يبق عندي شيء من الحياء .

(٨) غشى (كذا في الأصل ، ولعلها عشا : سوء البصر في الليل . ولعلها : دجى) . ــ المقصود : اذا طلع الصبح (ظهرت الحقيقة، وصلت الى المعرفة الصوفية) ترى حينئذ كلما كان ظلام الليل (الجهل بالحقيقة الالهية) قد حجبه عنك .

(٩) النعم : الأنعام ، البهائم كالغنم والبقر .

أتعبتَ نَفْسَكَ في عَذْلي ؛ ومعذرةٌ ... منّي إليك فسمعي عنك في صَمَمِ .
لُمْ ، يا عذولي ، وشاهدْ حسْنَهم ؛ فإذا ... شاهدتَه واستَطعْتَ اللَوْمَ -بعدُ- لُمِ .
ما بهجةُ الشمسِ في الآفاق مُشرِقةً ... يوماً بأبهجَ من لألاءِ حُسْنِهِمِ .
لا مَكّنَتْني المعالي من سيادتِها ... إنْ لم أكُنْ لهمُ من جُلمة الخَدَمِ .
لهم شمائلُ بالإحسانِ قد شَمَلَتْ ... وعلّمتْ كَرَمَ الأخلاقِ والشيَمِ[1]
حلّوا بقلبي ، فيا قلبي تَهَنَّ بِهِمْ ... وافرحْ ولا تلتفتْ عنهم لغيرهِمِ .
فليتَ شِعْرِيَ ، هل حالي بمُنْتظمٍ ... قبلَ الفَواتِ ، وهل شَمْلي بمُلْتئمِ ؟
نعمْ ، نعمْ ، حدّثَتْني -وهي صادقةٌ- ... ظنونُ سِرّي حديثاً غيرَ مُتَّهَمِ .
سادوا فجودُهُمُ جَمٌّ ، وبَذْلُهُمُ ... حَتْمٌ ، ومَوْرِدُهُمْ غُنْمٌ لكلّ ظَمِي[2] .

ومنها في مدح الرسول :

كم أعقَبَتْ راحةٌ باللمسِ راحتُه ، ... وكم محا مِحْنَةً ريقٌ له بفَمِ !
وذكرُه كاد -لولا سُنّةٌ سبَقَتْ- ... إذا تكرّرَ يُحيي باليَ الرِمَمِ[3] .
قالوا : هو الغيثُ ! قلت : الغيثُ آونةً ... يَهْمي ، وغيثُ نَداه لا يزالُ هَمي[4].
جرّدتُ حَجّي له من كلّ مُفْسِدةٍ ... ولم تزَلْ بالصَفا تَسعى له قَدَمي[5] .
طهَ الذي إنْ أخَفْ ذَنْبي ولُذْتُ بِه ... أمِنْتُ خوفي ونجّاني من النِقَمِ[6] .

- وقالت تذكُرُ شيئاً من ترْجَمَتِها :

وكان مِمّا أنعَمَ اللهُ تَعالى به عليّ أنّني بحَمْدِهِ لم أزلْ أتقلّبُ في أطوار الإيجاد في رَفاهِيَةٍ لَطائفِ البَرِّ الجَواد إلى أنْ خرجتُ إلى هذا العالم المشحونِ

---

(١) شمائل جمع شمال (بكسر الشين) : طبع ، خصلة ، خلق . الشيمة : الخصلة الجميلة . قد شملت (عمت الناس) .

(٢) جم : كثير . البذل : العطاء . حتم : مؤكد . المورد : مكان شرب الماء . غنم : غنيمة ، ربح الظمي (الظمىء : الظامىء : العطشان) .

(٣) لولا سنة سبقت : لولا القانون (الذي يدل على أنه لا يحيي الأموات الا الله) . بالي الرمم : بقايا أجساد الموتى التي بليت (تهرأت وتفتتت) .

(٤) آونه : حيناً . لا يزال همي = لا يزال هامياً (يهطل دائماً) .

(٥) - جعلت حجي له (لله) خالصاً من كل غاية أخرى تفسده (التجارة مثلا تفسد الحج) . الصفا والمروة من مناسك الحج (موضعان في مكة يسعى الحاج بينهما سبع مرات) - والصفاء : النقاء وسلامة النية (تورية).

(٦) طه من أسماء الرسول . لاذ : التجأ .

بمَظاهر تَجلّياته الطافح بعجائب قُدْرته وبديع آياته ..... فربّاني اللُّطْفُ الرّبّانيُّ في مَشْهَدِ النِعْمة والسلامة ، وغَذّاني بِلبانِ مَدَدِ التوفيقِ لسُلوك سبيل الاسْتقامة . وفي بُلوغ دَرَجة التمييز أهّلني الحق لِقراءة كتابهِ العزيز ومنّ عليّ بحِفْظه على التمام ولي من العُمُر ثمانيةُ أعوامٍ .....

٤ - الفتح المبين في مدح الأمين (بديعية) على هامش خزانة الأدب لابن حجّة الحموي ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .

مولد النبي (المورد الأهنا في المولد الاسنى) ، دمشق ١٣٠١ ، ١٣١٠ هـ .

* شذرات الذهب ٨ : ١١١ - ١١٣ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٨٧ - ٢٩٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٩٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٤٩ ، الملحق ٢ : ٣٨١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٠٩ (رقم ٦) ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٦ - ٧ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٨ : ٥٧ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٦ : ٦٦ - ٧٢ .

حسينٌ البيريّ

١ - هو حُسامُ الدينِ حُسينُ بنُ حسنِ بنِ عُمَرَ البيريُّ ، نِسْبَةً الى البيرةِ على الفُراتِ ، الحلبي الصوفي العارفُ بالله . ومن ألقابه أيضاً : الإمامُ الكبير والعلاّمة والمُفتي . انتقل الى حَلَبَ وجاوَرَ (تعبد ودَرّس ودرّس) بجامع الطواشي حيناً ثمّ إنّه تولّى النَظَر والمشيخة في مَقام سَيّدي ابراهيمَ بنِ أدهمَ . وكانتْ وفاتُه سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) .

٢ - كان لحُسينِ البيريّ ذَوْقٌ (سلوكٌ صحيحٌ في طريق التصوّف) كما كان أديباً يَنْثِر ويَنْظِمُ باللُغات العربية والتركية والفارسية ، وقد نَقَلَ شيئاً من «مَثْنَوي» لجلالِ الدين الروميّ (من الفارسية الى العربية) وشيئاً من مَنْطِقِ الطير . ولحُسينِ البيري «رسالةٌ في القُطْب والامام» .

٣ - مختارات من شعره

- في مطلع كتابِ «مثنوى» لجلالِ الدين الرومي نشيدٌ (راجع فوق ، ص ٤٣٦) نَقَلَهُ حسينٌ البيري من الفارسية الى العربية ، منه :

اسْمعوا ، يا سادتي ، صوتَ اليَراعْ[1] كيف يَحْكي عن شكايات الوَداع .

---

(١) اليراع جمع يراعة : القصبة (كناية عن القلم) . والشاعر يستعمل كلمة «يراع» على أنها مفردة (وهذا خطأ شائع) .

ما تــرى قَطُّ حريصاً قد شَبِــعْ ؛ ما حوَى الدرَّ الصدف[1] حتّى قنع .

ــ ومن شِعْرِه في مجرى القضاء :

بقايا حُظوطِ النفسِ في الطبعِ أُحْكِمَتْ ؛ كذلك أوصافُ الأمورِ الذميمةِ .
تحيّرتُ في هذين ؛ والعُمْرُ قد مضى . إلهي ، فعامِلْنا بحُسْنِ المَشيئــة .

٤ ــ * * الكواكب السائرة ١ : ١٨٤ ــ ١٨٥ ــ شذرات الذهب ٨ : ١٠٨ .

حمزةُ الناشريّ

١ ــ هو تقِيُّ الدينِ حَمزةُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ الناشريُّ اليمنيُّ ، وُلِدَ في ثالثِ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ ٨٣٣ هـ (٤/ ٧/ ١٤٣٠ م) في نخل وادي زَبيدَ ونشأ في زبيدَ .

دَرَسَ حمزةُ الناشريُّ على جماعةٍ من علماء عصرهِ في اليمنِ ومِصْرَ والحجازِ منهم الطيّبُ بنُ أحمدَ الناشريُّ وابنُه عبدُ الله ومجدُ الدين الفَيْروزابادِيُّ الشيرازيُّ صاحبُ القاموسِ المحيطِ وابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ والشيخ زكريّا الأنصاريُّ وأبو الخير السخاويّ . وقد تصدّرَ في بلدهِ للتدريس فتفَقّهَ عليه كثيرون . وناب في قضاءِ زبيدَ وأفتى . وكانت وفاتُه في تاسعِ عَشَرَ ذي القَعْدة سَنَةَ ٩٢٦ هـ (٢٩/ ٩/ ١٥٢٣ م) في زبيدَ ، وقد قاربَ مِائَةَ سَنَةٍ .

٢ ــ كانَ حمزةُ الناشريُّ شخصاً لطيفاً مَرِحاً وكان عارفاً بالنبات والتاريخِ ، كما كان أديباً بارعاً وشاعراً مُحْسِناً له لَفَتاتٌ جميلةٌ . ثمّ إنّه كان مُصَنِّفاً أيضاً له : مجموع حمزة (فتاوى لعلماء اليمن وعلماء زبيد منهم خاصة) ــ ألفيّةٌ في غريب القرآن ــ البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشرٍ[2] ــ سالفة العِذار في الشعر المذموم

(١) الوزن في هذا البيت يقتضي تسكين الكلمة « الصدف » (هذا خطأ طبعاً ، وضعف في الشاعر) . ويبدو أن في نقل هذا البيت الى اللغة العربية تصرف كبير .

(٢) ألف حمزة الناشري هذا الكتاب ذيلا (تتمة) لكتاب كان قد ألفه قريب له (النور السافر ١٣١) . وأورد خير الدين الزركلي اسم هذا الكتاب « البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر » في ترجمة حمزة هذا (٢ : ٣١٠) ثم أورده « البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر » لعثمان بن عمر الناشري المتوفي سنة ٨٤٨ هـ (٤ : ٣٧٤) نقلا عن السخاوي ...

والمختار – عجائب الغرائب وغرائب العجائب – حدائق الرياض وغيضة(!) الفيّاض (في النبات) – انتهاز الفُرَص في الصيد والقَنَص (ألّفه للملك المظفّر)[1].

٣ – مختارات من شعره

– قال حمزةُ الناشريُّ يَصِفُ زَهْرَ الفُلِّ الأبيض :

زهورُ الفُلّ تَنْظُرُها ابتهاجاً ... نجوماً زاهراتٍ في غِياضِ[2].

وما غَرَبَتْ نجومُ الليل ، لكن ... نُقِلْنَ من السماء الى الرياض !

– وله في الفُلّ أيضاً :

انظُرْ إلى الفُلِّ في الأغصان والورَقِ ... ونزِّهِ الطَرْفَ في رُؤياه بالحَدَقِ[3].

تزهو حديقتُه فخراً ببهجتِها ... في رَفْرَفٍ أخضرٍ أو أبيضٍ يَقَقِ[4].

كأنّ خُضْرَتَها والفُلَّ حين بدا ... صحنُ السماء وفيه أنجُمُ الأُفُقِ !

٤ – * الضوء اللامع ٣ : ١٦٤ – ١٦٥ (رقم ٦٣٠) ؛ النور السافر ١٣٠ – ١٣٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٢٣٨ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٤٢ – ١٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٠٩ – ٣١٠ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٤ : ٧٩ .

محمد بن عمر بن بحرق الحميري

١ – هو محمدُ بنُ عُمَرَ بنِ مُبارَكِ بنِ عبدِ الله بنِ بَحْرَقٍ الحِمْيَرِيِ ، وُلِدَ في مدينة سِيوُونَ (في حَضْرَمَوْتَ باليمن) في ١٥ شَعبانَ من سَنَةِ ٨٦٩ هـ (١١/ ٤/ ١٤٦٥ م) . ونال ابن بحرق قِسْطاً وافراً من علوم زمانهِ فقد تتلمذَ لعبدِ الله أحمدَ بامخرمةَ وأخذَ عن محمّدِ بن أحمدَ بافضل وعن أحمدَ بن محمّدِ ابن محمّدِ باجرفيل الدوعني ، كما أخذ التصوّفَ عن أبي بكرٍ عبدِ الله بن العَيْدروس العَلَويّ . وكذلك زار زَبيدَ وأخذ عن علمائها ومتصوّفيها .

وقد تولّى قضاء الشِحْرِ مدّةً يسيرةً ثمّ استعفى من مَنْصِبِهِ لأنّه لم يَرْضَ

---

(١) راجع الحاشية الأولى على الصفحة التالية .

(٢) « زهور » ليست في القاموس . جمع زهر (بسكون الهاء أو فتحها): «أزهار» . الغيضة : موضع يكثر فيه الشجر ويلتف (يتكاثف ، يقرب بعضه من بعض) .

(٣) الطرف : البصر . الرؤيا : المنام (المقصود الرؤية : النظر) الحدقة : العين .

(٤) الرفرف : جانب من الرمل (أو الارض) مشرف (عال ، يطل على غيره) أخضر (مكسوّ بالنبات) . أبيض يقق : شديد البياض .

أن يُمْضِيَ (يُنَفِّذَ) رَغَباتِ حاكِمِها الامير مطران(!) بْن منصور ثم غادر الشِحْرَ الى عَدَنَ واشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف في رِعاية الامير مَرجانٍ الطاهريّ. ولَمّا ماتَ الاميرُ مرجانٌ غادر ابن بحرق عَدَنَ الى الهند ونال حَظوةً في الدولة الدكنية[1]؛ وكان المظفّر من أشدّ المُعْجَبين به والعاطفين عليه. ثمّ حيكَتْ حولَهُ الوشاياتُ فانتقل الى مدينة كمباية (الهندية) حيث توفّي في ٢٠ شَعبانَ سنة ٩٣٠ هـ (٢٢/ ٦/ ١٥٢٤ م).

٢ ــ كان محمّدُ بنُ عُمَرَ بن بحرق وافرَ الذكاء واسعَ المعرفة بفنونٍ كثيرةٍ، وله مصنّفاتٌ عديدةٌ منها: حِلْية البنات والبنين في ما يُحتاج اليه من أمرِ الدين ــ الأحمدية في السيرة النبويّة ــ العروة الوثيقة في الشريعة والطريقة والحقيقة (منظومة في التصوّف؟) ــ فتح الرؤوف في معاني الحروف (منظومة) ــ فتح الاقفال في أبْنِيَةِ الأفعال (منظومة؟) ــ أرجوزة في الطبّ وشرحها ــ أرجوزة في علم الحساب وشرحها ــ مواهب القُدّوس في مناقب أبي بكر بن عبدالله العيدروس ــ رسالة في علم المِيقات. وله عدد من الشروح والتلاخيص على كتب لغيره.

وابن بحرق الحِمْيريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ تَغْلِبُ النزعةُ العلمية على شعرهِ؛ وشعره في التصوّفِ والبديعيّات والمديح والرثاء.

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال محمّد بن عمر بن بحرق يمدح تلميذَه أحمدَ بن أبي بكرِ بن عبد الله العيدروس (توفّي في عدن في ٣٠ المحرّم ٩٢٢ هـ).

اذا سامني الدهــرُ ضَيْماً، ولم ... أجِدْ لي على الدهرِ من يُسْعِدُ،
فبَيْني وبينَ بُلوغِ المُــنى ... نِدائِيَ بالصــوتِ: يا أحمدُ!
يُجيبُ النسيبُ الحسيبُ الذي ... اليه انْتَهى المجدُ والسُؤْدُد.
فآباؤه الغُــر زُهْرُ الــورى؛ ... وهذا هو القُطْب والفَرْقَد[2].

---

(١) الدولة الدكنية في حيدر آباد الدكن. كانت الدكن موحدة في أيام الملوك محمود شاه الثاني، علاء الدين شاه، ولي الله شاه، كليم الله شاه (٨٨٧ – ٩٣٢ هـ). وكان في أحمد أباد (كجرات) مظفر شاه الثاني (٩١٧ – ٩٣٢ هـ). وكذلك كان في الدكن ملوك طوائف عديدون ليس فيهم «مظفر» (راجع زامباور، ص ٤٣٨ – ٤٤١).

(٢) الغر: البيض (الأشراف، العظماء). زهر (جمع أزهر: أبيض، مشهور) الورى (الناس): اباؤه أشرف الناس وأشهرهم وأعظمهم. القطب: حديدة تدور عليها الرحى (حجر الطاحون)، كناية عن الأهمية. الفرقد: النجم الذي يهتدي به (النجم القطبي)، كناية عن الفائدة.

فقدْ خَصّه اللهُ مِـن بَيْنِهِمْ بآياتِ مجـدٍ له تشهد .
فلا زالَ كالبـدرِ في تِمِّـهِ ، ولا زال طالِعَهُ الأسْعَدُ[1] .

— وقال يرثي تلميذه المذكور :

لِمَنْ تُبْنى مَشيداتُ القُصورِ وأيامُ الحيـاةِ الى قُصور !
وفيمَ الحِرْصُ من جَمْعٍ ومنـعٍ وما تُغني القَنـاطِرُ من نَقير[2] .
فلا يَغْتَرَّ بالدنيـا لبيبٌ ، ولو أبْـدت له وجهَ السرور ؛
فغايةُ صَفْوِها كـدرٌ ، وأقصى حلاوَتِها الى الكأس المَرير[3] .
فوأأسفـًا على أطـوادِ عِلْمٍ اذا اشْتَعَلَتْ مُلِمّاتُ الأمور[4] .
وواحزَنَا على تيّارِ جُـودٍ يُمَدُّ بصَيِّبِ الغَيْثِ الغَـزير .

٤ — * حاشية أحمد الرفاعي على شرح ابن بحرق اليمني على لاميّة الافعال لجمال الدين محمّد بن مالك ، مصر (أحمد البابي الحلبي) ١٣٠٦ ﻫ .

الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ — ٢٥٤ (رقم ٦٩٢) ؛ النور السافر ١٤٣ — ١٥٢ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٧٦ — ١٧٧ ؛ بروكلمان ٢ : ٥٣١ ، الملحق ٢ : ٥٥٣ — ٥٥٥ ؛ الأعلام للزركلي ٧:٢٠٧ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة١١ :٨٩ — ٩٠؛ الشعراء الحضرميّون ١ :١٢١—١٢٧ .

ابن إيـاس

١ — هو أبو الـبركاتِ زينُ الدينِ محمّدُ بنُ أحمـدَ بنِ إياسٍ الحَنَفي ، وُلِدَ في سادس ربيعٍ الثاني من سَنَة ٨٥٢ ﻫ (٩/ ٦/ ١٤٤٨ م) في القاهرة وتَلَقّى علومَه على نَفَرٍ منهم جَلالُ الدين السُيوطي (ت ٩١١ ﻫ) وعبد الباسط بنُ خَليلٍ الحَنَفي (ت ٩٢٠ ﻫ = ت ٩٢٠ ﻫ) الفقيهُ المؤرّخ .

(١) التم : وجود القمر في تمامه (ليلة أربع عشرة) . طالعه الاسعد : اعتقد علماء الفلك القدماء أن السماء مقسمة بروجاً (مناطق) بعضها منازل سعد وبعضها منازل شؤم . وحينما يعمل الانسان عملا (يولد ، يقوم برحلة ، يسير الى الحرب) يختار أن يكون الزمن زمن نزول الشمس أو القمر أو النجم الذي ولد ذلك الانسان في أيام ظهوره في السماء في منزلة من المنازل (المناطق) السعيدة .

(٢) القناطر = القناطير (المقادير الكبيرة ، الكثيرة) . النقير : نكتة (بقعة صغيرة ملونة أو منخفضة) في ظهر نواة (بزرة) التمر . المقصود : جميع أموال الدنيا لا تفيد شيئاً (لدفع أحداث الدنيا) .

(٣) الكأس المرير (المريرة ، لأن الكأس مؤنثة) : الموت .

(٤) الطود (بفتح الطاء) الجبل ..... حتى العلوم الكثيرة لا تفيد شيئاً في الملمات (الكوارث ، المصائب) .

حجَّ ابنُ إياسٍ في سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٨ م) . ثم يبدو أنّه عاشَ في عزلةٍ منصرفاً الى التأليف ولم يتّصلْ بالبلاط المملوكي قط . ولعلّ وفاته كانتْ سنةَ ٩٣٠ للهجرة (١٥٢٤ م) .

٢ – ابنُ إياسٍ مؤرّخٌ في الدرجةِ الأولى أرادَ أن يكتبَ لمصرَ تاريخاً منذُ أقدمِ الأزمنة (منذ الخليقةِ ، بادئاً بآدمَ) الى آخرِ أيّامه هو . ومكانته في التاريخِ أنّه توسّع في تاريخ عصرِه (أواخرِ أيامِ المماليكِ وأوائلِ أيامِ العثمانيّين) ثمّ تناولَ معظمَ مظاهرِ البيئة التي عاش فيها ، في الجانب الطبيعي (الأحداثَ الفلكيةَ ثمّ كوارثَ الطبيعة من الفيَضان والأوبئة ثمّ الأحوالَ الاجتماعيةَ من الفوضى والظُّلم ممّا كان يجري على يدِ المماليكِ إلى الأحوال المُشْرِقة في العدل أحياناً وفي الأعمال الخيرية ممّا كان يجري أيضاً على أيدي نفَرٍ من المماليك مرّةً بعدَ مرّة ، ثمّ الاشارات الأدبية هُنا وهُنالك) .

وابنُ إياسٍ ينظِمُ شعْراً أيضاً مُجاراةً لعصْرٍ أراد نفَرٌ كثيرون من أهله أن يبرُزوا في هذا الميدان . وشعْرُ ابنِ اياسٍ ضعيفٌ ركيكٌ كثيرُ الجوازاتِ الشواذِّ قليلُ الروْنق ، ولكنّ فيه أحياناً شيئاً يسيراً من الاحسان ، كما تجِدُ في المُختارات اليسيرة المُنتقاة ممّا أوْرَدَهُ ابنُ إياسٍ لنفسِه من الشعر في كتابه « بدائع الزهور » .

وهُوَ أيضاً مُصَنِّفٌ أشهرُ كتبه وأهمُّها بدائعُ الزهور في وقائع الدهور وفيه جميعُ خصائصه في كتابةِ التاريخ . ويبدو أن بعضَ الكتابِ من أوّله مفقودٌ وأنّ شيئاً من الأحداث المتأخّرةِ دخيلةٌ على الكتاب . ثمّ له من الكتب : عجائبُ السلوك (وهو ملخّص لكتابِ بدائع الزهور) – عقودُ الجُمان في وقائع الأزمان (موجز في تاريخ مصر) – مرَجُ الزهور في وقائع الدهور (مختصر عامّ في التاريخ القديم ، إلى أيام كسرى أنوشروان ، أكثرُه خرافاتٌ وإسرائيليّات ؛ والأغلبُ أن هذا الكتابَ منحولٌ لابن اياس وليس له) – نَشْقُ الأزهار في عجائب الاقطار (كتاب في الفلك ونظام العالم ومظاهره ، وخصوصاً فيما يتعلّق بمصر ، وفي الآثار القديمة في مصر) – نُزهة الأمم في العجائب والحِكَم ! (في عجائب الحكم ، في تاريخ العالم) – مُنْتَظِمُ بدْءِ الدنيا وتاريخ الأمم (تاريخ عامّ الى أيام الخليفةِ المُكْتَفي العبّاسي المتوفّي في آخرِ سنَةِ ٢٩٥ هـ) .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابنُ إياسٍ في مقدّمةِ الجزء الرابع من « بدائع الزهور » (تاريخ مصر) :

الحمدُ لله الذي فاوتَ بين العباد وفضّل بعضَ خلْقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمّد أفصح مَنْ نطقَ بالضاد ....

وبعدُ فهذا جزء من كتابنا المؤلّف في التاريخ الموسوم بـ«بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وقد أوردت فيه فوائدَ سَنيةً وغرائبَ مستعذبةً مرضيّةً تصلحُ لمسامرة الجليس وتكون للمنفرد كالأنيس. وقد طالعتُ على هذا التاريخ كُتُباً شتّى نحوَ سبعةٍ وثلاثينَ تاريخاً حتّى استقام لي ما أريدُ، وجاء (تاريخي هذا) ـ بحمد الله ـ كالدُّرّ النضيد ..... وقد توخّيتُ فيه تاريخَ مصر وأوردتُ ذلك شيئاً فشيئاً على الترتيب[1] قاصداً فيه الاختصار. فجاء بحمد الله ليس بالطويل المُمِلّ ولا بالقصير المُخِلّ. وذكرتُ فيه ما وقع في القُرآن العظيم من الآيات المُكرّمة، في أخبارِ مصرَ، كنايةً أو تصريحاً، وما وَرَدَ (فيها[2]) من الأحاديث الشريفة النبويّةِ في ذِكْرها، وما خُصّتْ به من الفضائل، وما فيها من المحاسنِ دونَ غيرِها من البلاد، وما اشتملتْ عليه من عجائبَ وغرائبَ ووقائعَ وغيرِ ذلك، ومن نزَلَها من أولادِ آدمَ ونوحٍ عليهما السلامُ، ... ومن مَلَكَها من مبتدأ الزمان من الجبابرة والعمالقة واليونان والفراعنة والقِبْط[3] وغير ذلك.... إلى وقتنا هذا وهو افتتاحُ عام إحدى وتسعمائةٍ، ومن كان بها من الحُكماء والعلماء والفقهاء والقرّاء .... وقد بيّنْتُ ذلك في تراجمِهِمْ من مبتدأ خبَرِهم وذِكْرِ أنسابهم ومُدّةِ حياتهم الى حينِ وفاتهم، حسْبَ ما يأتي ذِكْرُ ذلك في مواضعه على التوالي من الشهور والأعوام.

ـ قال ابنُ إياسٍ في احتفالٍ كبيرٍ سار فيه السلطانُ قانصوه الغُوريّ في موكبٍ حافلٍ من الاسكندرية إلى القاهرة، سنَةَ ٩٢٠ للهجْرة وقال: «وقد نظَمْتُ في ذلك هذه القصيدةَ التي لم يُنْسَجْ مِثْلُها على مِنوالٍ». من هذه القصيدة:

وتضاحكَ الميْدانُ مُذْ غنّتْ به ... أطيارُه سحَراً على العيدانِ.

عاينْتُه لمّا بدا في موْكبٍ ... يزهو على كِسرى أنوشِروانِ.

---

(١) على ترتيب السنين (حوادث السنة العشرين، حوادث السنة الواحدة والعشرين، الخ).

(٢) فيها: في مصر.

(٣) الجبابرة: أقوام شديدو القوة والبطش اعتقد المؤرخون الأقدمون أنهم كانوا السكان الأولين في الأرض. العمالقة: أقوام طوال القامة جداً (في اعتقاد المؤرخين القدماء). الفراعنة: ملوك مصر القدماء (وأهل مصر في زمن الفراعنة). القبط: (سكان مصر قبل الفتح الاسلامي ثم الذين بقوا منهم على النصرانية بعد الفتح الاسلامي).

ما زال أهلُ الثغْرِ من فَرَحٍ به   بتَباشُرٍ في السِرّ والإعلان[1] .
لو كان ذو القَرْنينِ حيّاً في الورى   لاقاه بالإكـرام والإحسان[2] ،
واختارَه مَلِكاً يَـلي مِنْ بَعدِه   في سائرِ الأقطـار والبلدان .
فاقَ الملوكَ بمِصْرَ مِمَّنْ قد مَضَى   أخبارُه في سـالف الأزمـان .
فالله يَكْفيه مؤونَةَ حاسـدٍ   ويُطيل أيـاماً له بتَهـان
ما ماسَ غُصْنٌ في الرياض وكَلّلَتْ   أيْدي الغَمـامِ شَقائقَ النُعْمان .

— وتُوُفِّيَ ابنٌ صغيرٌ للسُلطان قانصوه الغوري فقال ابنُ إياسٍ يرثيه :

لَهْفي على من كان ظنّي أنّـني   أفْني المدائـحَ في الثناء قوافيـا .
فمضى وأثْكَلَني ، فها أنـا ناظِمٌ   تلك المعـاني الغُرَّ فيه مَراثيـا .

— وقال ابن اياس (بدائع الزهور ، طبعة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م ، ٤ : ٢١٨) :

وفي يوم الأربعاء خامسِ عشَرهِ (ربيعِ الأول ٩١٧ هـ) تُوُفِّيَ الشِهابُ أحمدُ المَحَلاّويّ مُؤذنُ السُلطان ، وكان حَسَنَ الصوتِ مطبوعاً في فنّه ..... ومات وقد ناف عن الأربعين سَنَةً ، وقيل جاوز الخمسين ..... وقد تزَوّجَ نحواً من مِائَةِ امرأةٍ . وقد قُلْتُ في ذلك مُداعبةً لطيفةً :

قالتْ نساءُ المَحلّي   يا وَيْحَه ، كم ....
مُؤذّنٌ لا يُصلّي   كأنّما هو ديكُ !

٤ — تاريخ مصر (المشهور باسم بدائع الزهور في وقائع الدهور[3]) ، بولاق ١٣١١ — ١٣١٢ هـ ؛ (باعتنـاء باول كاله ومحمّد مصطفى ومورتس) — (في النشريات الاسـلامية

---

(١) الثغر : الاسكندرية .

(٢) ذو القرنين : الاسكندر المقدوني الكبير كان في القرن الرابع قبل الميلاد واستولى على بلاد كثيرة في أوروبة وآسية (الى السند ، غربي الهند) وفي افريقية .

(٣) هنالك كتاب صغير باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » (مطبوع في ٢٢٠ صفحة من القطع الصغير) ينسب الى ابن اياس يتناول تاريخ الانبياء قبل الاسلام ، وهو مملوء بالاسرائيليات (بالقصص التي يمتزج فيها قليل من التاريخ وكثير من الخرافات) وقد طبع مراراً (راجع معجم المطبوعات العربية لسركيس ، ص ٤٢) . وللسيوطي (ت ٩١١ هـ) أيضاً كتاب في التاريخ اسمه « بدائع الزهور (الأمور) في وقائع الدهور ، في التاريخ (راجع بروكلمان ٢ : ٢٠٢ ، الملحق ٢ : ١٩٦) طبع في القاهرة سنة ١٢٨٢ هـ ، لعله المنسوب الى ابن اياس . وكذلك لأحمد بن عبد الله البكري الواعظ البصري كتاب اسمه « بدائع الزهور ووقائع الدهور (بروكلمان ، الملحق ١ : ٦١٦) .

بجمعية المستشرقين الالمان) ، استانبول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ – ١٩٣٢ م ؛ الطبعة الثانية (حقّقها محمّد مصطفى) ، فيسبادن (فرانز شتاينر) ١٩٦١ م .

نشق الأزهار في عجائب الأمصار (بعناية لانغليس) ، باريس ١٨٠٧ م .

صفحات لم تنشر من بدائع الزهور (حقّقه محمّد مصطفى) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ م .

* فهرست الأعلام (لتاريخ مصر : بدائع الزهور ...) ، عني بجمعها وترتيبها محمّد علي الببلاويّ بمساعدة علي صبحي ، بولاق ١٣١٤ هـ .

زيدان ٣ : ٣٢٠ – ٣٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٨٠ ، الملحق ٢ : ٤٠٥ – ٤٠٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٢ – ٨١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٣٢ – ٢٣٣ .

عبد الهادي السودي اليمني

١ – هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ ابنِ محمّدٍ السُّوديِّ ، نسبْةً الى سُودَةِ شعْبٍ (قرية قرب صَنعاءِ اليمنِ) ، وقدِ اشتهرَ باسمِ عبدِ الهادي السُودي اليمني .

سَلَكَ عبدُ الهادي اليمني طريقَ الصوفية وأوْغَلَ ، وقرأ الحديثَ والفِقْهَ . ثمّ حَدَثَتْ له جَذْبَةٌ[1] رُوِيَتْ عنه في أثنائها كَراماتٌ كثيرةٌ . وقد كان مُغْرَماً بشُرْب القهوة[2] يَطْبُخُها بِيَدَيْه ونارها دائماً مُوقَدَةٌ عندَهُ . وبعدَ الجَذْب أغْرَقَ في الزُهْدِ فلم يَقْتَنِ شيئاً ، وكانْ كلّما أُهْدِيَتْ إليه هَدِيّةٌ صغيرةٌ أو كبيرةٌ رخيصةٌ أو غالية من سُوقَةٍ أو من مَلِكٍ ألْقَاها في النارِ تَحْتَ وعاء القهوة .

كانت وفاةُ عبد الهادي السُودي في سابعِ صَفَرَ من سَنَةِ ٩٣٢ هـ (٢٣/ ١١/ ١٥٢٥ م) ، في تَعِزَّ ، وقبرُه فيها مشهورٌ يُزار .

٢ – كان عبدُ الهادي السُوديّ عارفاً بعلومِ الفِقْه وبالتاريخ والأدب مَعَ مُشاركةٍ في علومٍ أُخرى . ثمّ نَظَمَ الشعرَ بعد الجَذْب . وشِعْرُه كثيرٌ سَهْلٌ متينٌ . وكان من عادته أن يَنْظِمَ ويكتُبُ ما يَنْظِمُه على الجُدرانِ ثمّ يَمْحوه . غيرَ أن مُريديه (أتباعَه) كانوا ينقُلون من هذا النظْم ما استطاعوا . ولعبدِ الهادي ديوانٌ لا يزالُ مخطوطاً .

---

(١) الجذبة : انصراف الذهن عن كل شيء الا الله (في الاصطلاح الصوفي) حتى أن المجذوب يعمل أحيانا أعمالا لا تعد في أعمال العقلاء .   (٢) القهوة : شراب البن .



٣ – مختارات من شعره

– لعبد الهادي السوديّ شِعْرٌ على مَذهَبِ القوم (الصوفيّة) ، منه :

* باللهِ ، كَرِّرْ ، أيُّها المُطْـرِبُ ، تَذْكارَ قومٍ ذِكْرُهم يُعْجِبُ ؛
ما زَمْزَمَ الحـادي بذِكْراهُمُ في الشّرْقِ الاّ رَقَصَ المَغْرِبُ[١] .

* ومُهَفْهَفٍ قبّلتُ أشْنَبَ ثَغْرِه ؛ وبلوغُ ذاك الثغرِ ما لا يُحْسَبُ[٢] .
قال : احْسُبِ القُبَلَ التي قبّلتَني ؛ فأجَبْتُ: إنّا أُمّةٌ لا نَحْسُبُ[٣] !

* كيفَ حـاروا فيكَ ؟ واعَجَبًا ! يا مُنى سَمْعي ويـا بَصَري[٤] .
أنت لا تَخْفى عـلى أحَدٍ غيرِ أعمَـى الفِكْرِ والنَظَر .
حَيْرَةٌ عَمّتْ . وأيُّ فتـىً رام عِرْفاناً ولم يَحِـرِ[٥] !

٤ – * * البدر الطالع ١ : ٤٠٨ ؛ النور السافر ١٥٥ – ١٩١ شذرات الذهب ٨ : ١٨٨ – ١٩١ ؛ بروكلمان الملحق ٨٩٧ .

إستـدراك (تابع ص ٩١٤) : للسيوطي (مصادر ومراجع) :

تفسير القرآن المعظّم (على نفقة عيسى البابي الحلبي – مصر) ، مصر (مطبعة دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م .
لباب النقول في أسباب النزول (بهامش تفسير القرآن المعظّم) ....
حادي الأنام الى دار السلام ، المدينة المنوّرة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ .
همع الهوامع شرح جمع الجوامع (عني بتصحيحه محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (الخانجي) ١٣٢٧ – ١٣٢٨ هـ .

* * الكمالين على الجلالين لسلام الله الدهلوي (بهامش الجلالين) ، دلهي ١٣١٧ هـ .
حياة القلوب لمحمّد رياست علي (بذيل الكمالين على الجلالين) ....
تنقيح القول الحثيث لشرح لباب الحديث (شرح محمّد نوري بن عمر البنتيني) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ هـ .
تحفة البلغاء (شرح فارسي على مناهل الصفاء) لمولوي غلام رسول ومولوي أحمد ومولوي محمّد غار ، لاهور ١٧٩٢ م ؛ (بشرح فارسي لمحمّد جعفر عليّ نجاوي) ، لكنهو ١٩٠٣ م .

---

(١) زمزم : حرك لسانه بكلام غير مفهوم . الحادي : سائق الابل (في القافلة) . ذكراهم = ذكرى الصوفية ، كناية عن الكلام على العزة الالهية .

(٢) الأهيف : النحيل الخصر . الشنب : بياض الاسنان (كناية عن الجمال) . ما لا يحسب : كثير جداً .

(٣) في الحديث الشريف (فيما يتعلق برؤية هلال رمضان) : نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نحسب ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته .....   (٤) فيك = في العزة الالهية (في الله) .   (٥) العرفان : المعرفة الصوفية (معرفة الله).



فهرس هجائي مختصر

لأعلام الاشخاص

م – مكرّر ح – في الحاشية ن – انظر

اكتفيت في هذا الفهرس بالمشهور من أعلام الاشخاص فذكرت مثلاً « المتنبّي » ولم أذكر في النسق الهجائي « أبو الطيّب » ولا « أحمد بن الحسين » . أمّا إذا كان الاسم أقلّ شهرة ثمّ كان علماً على نفر كثيرين ، مثل « الاصفهاني » أو « الشهرزوري » ، فقد رأيت أن أقول مثلاً :
الاصفهاني : حمزة – الراغب – عماد الدين الخ (أعني : اطلب : حمزة الاصفهاني الخ .)

---

(١) يرد اسم محمد رسول الله كثيراً ثم هو يرد في ألقابه الشريفة المختلفة : أحمد ، مصطفى ، الحبيب ، الرسول ، النبي ، سيد المرسلين، خاتم الانبياء ، أبو البتول (فاطمة : ٨٤٣) الخ .

فهرس الكتب

(اذا كانت مطبوعة أو موصوفة أو مأخوذاً منها نص)

الصادح والباغم ٢٢٢ ، ٢٢٥ .

كتب ودراسات للمؤلف

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم (منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)	١٤٠٠
تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث (منذ مطلع العصر العبّاسيّ إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م))	١٢٠٠
تاريخ الادب العربي : الأدب في الأعصر المتأخّرة (حتّى الفتح العثماني : ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م)	١٨٠٠
تاريخ العلوم عند العرب	٩٥٠
تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون	١٢٠٠
الفكر العربي في منهاج البكالوريا	٨٠٠
تاريخ الجاهلية	٤٠٠
الشابيّ شاعر الحبّ والحياة	٣٥٠
القومية الفصحى	٣٠٠
تاريخ العلوم عند العرب (في منهاج البكالوريا)	٦٠٠
تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية	٤٠٠
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الرابعة)	٥٠٠
الأسرة في الشرع الإسلامي	٤٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
وثبة المغرب	٥٠٠
أبو تمّام : دراسة تحليلية	٣٥٠
أبو نواس	١٥٠
أبو العلاء المعرّي	٢٠٠
حكيم المعرّة	٢٠٠
العرب والفلسفة اليونانية	٢٥٠

شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢)	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط	٤٠٠
عمر فرّوخ وجهوده الثقافية في أربعين عاماً (١٩٣١ – ١٩٧١)	١٥٠

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة	
السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه	١٢٠٠
الطريق إلى النجوم	
من تأليف فان در ريت وللي	
(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش)	٤٠٠
الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)	
(من تأليف ليوبولد فايس – محمّد أسد)	٢٠٠
الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط	
(من تأليف المستشرق جورج سارطون	
مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم)	١٥٠
الاسلام منهج حيـــاة	
(من تأليف الدكتور فيليب حتّي)	٧٠٠

* * *

1000	Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1—23 d. H. (622—644 n. Chr).
300	Qur'anic Arabic.
300	L'arabccoranique .
1200	On Pnblic and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H = 1328. C.E. = السياسة الشرعية = Translated from the Arabic .

